



4240  
SIA



صفحة	
٠٠٢	(سورة سنا وفيها المسائل الآتية)*
٠٠٣	المسئلة الثالثة في بيان معنى الحكمة
٠٠٩	المسئلة الرابعة في بيان كيفية تسخير الجبال وتسليحها مع داود
٠١١	المسئلة الخامسة في بيان المراد من قوله تعالى وفليل من عبادي اشرار
٠١٥	الكلام في بيان المذاهب المفضلة الى السرك
٠٢٩	(سورة فاطر)*
٠٥٧	(سورة يس وفيها المسائل الآتية)*
٠٥٧	الكلام على حكمة اتيح بعض السور ببعض حروف الهجاء
٠٧٢	الكلام في بيان لطائف قوله تعالى وما لي لا اعبدا الذي اظن في الآيات
٠٦١	الكلام على نبذة من علم الهيئة
٠٨٨	المسئلة الثالثة في بيان الخلاف في ان السماء هل هي مبسوطة او مستديرة
٠٩٠	المسئلة الرابعة في بيان نبذة من علم الهيئة
٠٩٧	المسئلة الثالثة في بيان مباحث لعوية ومعنونه في اثنته ماوان
١٠٧	المسئلة الرابعة في بيان المراد من مخالفة الشيطان وعده
١٠٩	المسئلة الاولى في بيان سبب حصول العداوة بين اشقيان والانس
١١٣	الكلام في بيان لطائف لفظية ومعنوية في قوله تعالى لا اؤم نبي الا اجماعا
١١٧	الكلام في بيان لطيفة غريبة في قوله تعالى فدا هو حديد بين
١٢٥	الكلام في بيان استدلال المعتزلة على ان المعدوم شيء وارجاء
١٢٥	(في المسائل الرابعة والآتية)

- ٢١٥ المسئلة الرابعة في بيان الرد على من يثبت لله تعالى الجوارح
- ٢٢٠ الكلام في بيان ان النار اشرف ام العطين
- ٢٢٠ \* (سورة الزمر وفيها المسائل الآتية) \*
- ٢٥٢ المسئلة الاولى في بيان احتجاج القائلين بحدوث القرآن والجواب عنه
- ٢٨٩ \* (سورة المؤمن وفيها المسائل الآتية) \*
- ٣٠١ المسئلة الاولى في بيان استدلال اكثر العلماء على اثبات عذاب القبر
- ٣٠٩ المسئلة الثانية في بيان اصل عظيم من اصول الفقه
- ٣٢٤ المسئلة الرابعة في بيان حكاية تاريخية
- ٣٢٦ الكلام في بيان متارة الدنيا وكمال حال الآخرة
- ٣٢٨ المسئلة الاولى في بيان احتجاج اهل السنة على اثبات عذاب القبر
- ٣٣٧ الكلام في بيان دلائل وجود الله تعالى وقدرته
- ٣٤٥ \* (سورة حم السجدة وفيها المسائل الآتية) \*
- ٣٤٦ المسئلة الاولى في بيان احتجاج القائلين بخلق القرآن والجواب عنه
- ٣٤٧ المسئلة الخامسة في بيان اقسام فضائل اللغات
- ٣٦٢ المسئلة الثانية في استدلال المنجمين على ان بعض الايام يكون نحسا وبعضها سعدا
- ٣٦١ المسئلة الثانية في بيان استدلال اهل السنة على انه تعالى يريد الكفر من الكافر
- ٣٧٢ المسئلة الثانية في بيان مراتب الدعوة الى الله تعالى
- ٣٨٥ \* (سورة شورى وفيها المسائل الآتية) \*
- ٣٨٨ الكلام في بيان اقسام الموجودات
- ٣٩١ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج نعاذ الفياس على قرأهم والجواب عنه
- ٣٩٢ المسئلة الاولى في بيان احتجاج علماء التوحيد على ان الله ليس جسما مركبا من الاعضاء
- ٤١٦ المسئلة الثانية في بيان اصل كبير من اصول الفقه
- ٤٢٣ المسئلة الرابعة في بيان اختلافهم في حقيقة كلام الله تعالى
- ٤٢١ (سورة الزخرف)
- ٤٣٩ المسئلة الثانية في بيان الاستدلال على ابطال اهل بالثقليد
- ٤٦٢ \* (سورة الدخان) \*
- ٤٦٣ المسئلة الخامسة في بيان اختلافهم في بايلة الماركة
- ٤١٨ \* (سورة البقرة) \*
- ٤٦٣ \* (سورة البقرة) \*

	٥٨
* (سورة القتال)	٥٩
* (سورة الفتح)	٥٠
* (سورة الحجرات)	٥٨
* (سورة ق)	٦١
* (سورة الذاريات)	٦
المسئلة الاولى في بيان حكمة القسم بالاشياء المقسم بها في أوائل السور	٦٥
الكلام في بيان فوائد قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون	٦٧
* (سورة الطور)	٦
المسئلة الرابعة في بيان بحث عظيم في معنى الزمان والمكان	٦٥
* (سورة النجم)	٧٢
المسئلة الرابعة في بيان الفرق بين الفواحش والكبائر	٧٦
* (سورة القمر)	١
المسئلة الثانية في بيان الفرق بين الاسماء المشقة وبين اسماء الاجناس	٧
الكلام في بيان لطيفة نحوية تتعلق باسم الفاعل	٨
المسئلة الاولى في بيان ان القدرية من هم	٨
* (تمت)	

الجزء السابع من مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير  
الكبير للإمام محمد فخر الدين الرازي فخر الدين

---

ابن العلامة ضياء الدين عمر

المشتهر بخطيب الري

نفع الله به المسلمين

آمين

٢

\* ( و بها مشه تفسير العلامة أبي السعود ) \*

\* (سورة سبأ) \*

مكية وقيل الاورى الذين اتوا العلم  
الآية وهى اربع ونجسون آية  
\* (بسم الله الرحمن الرحيم)  
(الحمد لله الذى له ما فى السموات  
وما فى الارض) اى له تعالى  
خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد  
والاعداد والاحياء والامانة  
جميع ما وجد فيهما داخلا في  
حقيقتيهما واخراجا عنها متمكنا  
فيهما فكانه قيل له جميع  
المخلوقات كما فى آية الكرسي  
وصفه تعالى بذلك لتبرر ما  
افاده تعليق الحمد المعروف بلام  
الحقيقة بالاسم الجليل من  
اختصاص جميع افراد به تعالى  
على ما بين فى فاتحة الكتاب ببيان  
تفرد تعالى واستقلاله بما  
يوجب ذلك وكون كل ما سواه  
من الموجودات التى من جلته  
الانسان تحت ملكوته تعالى  
ليس لها فى حد ذاتها استحقاق  
الوجود فضلا عما عداها من  
صافاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها  
من جهته عز وجل فافهنا شاه  
فهو بممرل من استحقاق الحمد  
الذى مداره الجليل الصادر  
عن القادر بالاختيار فظهر  
اختصاص جميع افراد به تعالى  
وقوله تعالى (وله الحمد فى  
الآخرة) بيان لاختصاص  
الحمد الاخرى به تعالى ارباب  
اختصاص النبوى به على ان  
الجارمعلق اما بنفس الجدويعا  
تعلق به الخبر من الاستقرار  
واطلاقه عن ذكر ما يشعر  
بالمحمود عليه ليس للاكتفاء  
بذكر كونه فى الآخرة عن  
التبيين كما كفى فها سبق يدكر  
كون المحمود عليه فى الدنيا عن  
ذكر كونه الحمد ايضا فيها بل  
ليعم النعم الاخرى كما فى قوله  
على الحمد لله الذى صدق وعده

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سورة سبأ مكية وقيل فيها آية مدنية وهى و يرى الذين اتوا العلم الذى أنزل اليه  
(الآية وهى اربع وقيل خمس وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير  
السور المفتحة بالحمد خمس سور سورتان منها فى النصف الاول وهما الانعام والنمل  
وسورتان فى الاخير وهما هذه السورة وسورة الملائكة والخامسة وهى النحل  
تقرأ مع النصف الاول ومع النصف الاخير والحكمة فيها ان نعم الله سع كثر وه  
قدرتنا على احصائها منحصرة فى قسمين نعمة الاجداد ونعمة الابقاء فان الله تعالى خا  
اولا برحته وخلق لنا ما نقوم به وهذه النعمة نوحده مرة اخرى بالايجاد فانه يخلقنا  
اخرى ويخلق لنا ما يدوم فلنا حالتان الابتداء والاعادة وفى كل حايدله تعالى علينا نعمة  
نعمة الاجداد ونعمة الابقاء فقال فى النصف الاول الحمد لله الذى خلق السموات و  
وجعل الظلمات والنور اشارة الى الشكر على نعمة الاجداد ويدل عليه قوله تعالى فيه هم  
الذى خلقكم من طين اشارة الى الاجداد الاول وقال فى السورة الثانية وهى الكهف الحمد  
لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيا اشارة الى الشكر على نعمة الله  
فان الترائع اهما البقاء ولولا شمرع بقادله الخلق لاتبع كل واحد هواه واوقعت المنة  
فى المشتبهات وادى الى التقاتل والتفانى مما قال فى هذه السورة الحمد لله اشارة الى نعمة  
الاجداد الباقى ويدل عليه قوله تعالى وله الحمد فى الآخرة وقال فى الملائكة الحمد لله متدة

واورثا الارض نبوا من الجنة وقوله تعالى الذى احل ادا رلقامة من فضله الآية وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم لدينوية كما  
قرله تعالى الحمد لله الذى هدانا لهذا اى للاحزاء هذا من الايمان والعمل الصالح والمرق بين الحمدين مع كون نعمتى الدنيا والطريق

النفسيل ان الاول على نعم الملائكة والثاني على وجه التلذذ والاعتباط وقبور في الخبر انهم يلهمون التسليح كما يلهمون النفس  
( وهو الحكيم ) الذي احكم امور الدين ( ٣ ) والدنيا ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة ( الجبر ) بيواطن الاشياء ومكوناتها  
وقوله تعالى ( يعلم ما يلج في الارض )

الى نعمة الابقام يدل عليه قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا والملائكة بأجمعهم  
لا يكونون رسلا الا يوم القيمة يسلمهم الله مسلمين على المسلمين كما قال تعالى وتلقاهم  
الملائكة وقال تعالى عنهم سلام عليكم طبت فادخلوها خالدين وقائمة الكتاب لما اشتملت  
على ذكر النعمتين بقوله تعالى الحمد لله رب العالمين اشارة الى النعمة العاجلة وقوله مالك  
يوم الدين اشارة الى النعمة الآجلة قرئت في الافتتاح وفي الاختتام ثم في التفسير مسائل  
( المسئلة الاولى ) الحمد شكر والشكر على النعمة والله تعالى جعل ما في السموات وما في  
الارض لنفسه بقوله له ما في السموات وما في الارض ولم يبين أنه لنا حتى يجب الشكر  
نقول جوابا عنه الحمد يفارق الشكر في معنى وهو أن الحمد أعم فيحمد من فيه صفات  
جيدة وان لم ينم على الحمد أصلا فان الاحسان يحسن منه أن يقول في حق عالم  
لم يجمع به أصلا أنه عالم عامل بارع كامل فيقال له انه يحمد فلا نال يقال انه يشكره اذا  
ذكر نعمه أو ذكره على نعمه قال تعالى يحمد في الاول لا تسلفه بأوصاف الكمال ونعوت  
الجلال ومشكور لا يزال على ما أبدى من الكرم واسدى من النعم فلا يلزم ذكر النعمة  
للمحمد بل يكفي ذكر العظمة وفي كونه مالك ما في السموات وما في الارض عظمة كاملة فله  
الحمد على أنا نقول قوله له ما في السموات وما في الارض يوجب شكرا أم بما يوجه قوله  
تعالى خلق لكم ما في الارض وذلك لان ما في السموات والارض اذا كان لله ونحن  
المنفعون به لاهو يوجب ذلك شكرا لا يوجه كون ذلك لنا ( المسئلة الثانية ) قد ذكرتم  
أن الحمد هنا اشارة الى النعمة التي في الآخرة فلم ذكر الله السموات والارض فقوله الحمد  
الآخرة غير مرئية فذكر الله النعم المرئية وهي ما في السموات وما في الارض ثم قال وله الحمد  
في الآخرة ليقاس نعم الآخرة بنعم الدنيا ويعلم فضلها بدوامها وفناء العاجلة ولهذا قال  
وهو الحكيم الخبير اشارة الى ان خلق هذه الاشياء بالحكمة والخبر والحكمة صفة بابتة  
لله لا يمكن زوالها فيمكن منه ايجاد أمثال هذه مرة اخرى في الآخرة ( المسئلة الثالثة )  
الحكمة هي العلم الذي يتصل به الفعل فان من يعلم امرا ولم يأت بما يناسب علمه لا يقال له  
حكيم ومن يأتي بأمر عجيب على سبيل الاتفاق من غير علم لا يقال له حكيم فالفاعل الذي  
فعله على وفق العلم هو الحكيم والخبر هو الذي يعلم عواقب الامور وبواطنها فقوله حكيم  
اي في ابتداء الخلق كما ينبغي وخبر اي بالانتهاء يعلم ما يصدر من المخلوق وما لا يصدر  
الى ما ذا يكون مصير كل احد فهو حكيم في الابتداء خير في الانتهاء ثم بين الله تعالى كما  
اخبره بقوله ( يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو  
الرحيم الغفور ) ما يلج في الارض من الحبة والاموات ويخرج منها من السنايل  
والاحياء وما ينزل من السماء من انواع رحته منها المطر ومنها الملائكة ومنها القرآن  
وما يعرج فيها منها الكلم الطيب لقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب ومنها الارواح  
ومنها الاعمال الصالحة لقوله والعمل الصالح يرفعه وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قدم  
ما يلج في الارض على ما ينزل من السماء لان الحبة تبرز اولاً ثم تسقى ثانياً ( المسئلة الثانية )

على الاطلاق يؤذن نفحامة شأن انقسم عليه وقوة ثباته وصحته لما ان ذلك في حكم الاستشهاد على الامر ولا ريب في ان المستشهد به كلما  
كان اجل واعلى كانت الشهادة آكد واقوى والمستشهد عليه احق بالثبوت واولى لاسيا ادا خص بالذكر من النعوت ماله تعلق خاص

بالمقسم عليه كما نحن فيه فان وصفه بعلم الغيب الذي اشهر افراده وادخلها في الخفاء هو القسم عليه تنبيه لهم على هذه الحكم وتكونه مما  
 لا يجوز حوله شائبة ريب ما وفائدة الامر بهذه المرتبة من اليقين ان لا يبقى للعائدين عذرا ( ٤ ) اصلا فانهم كانوا يعرفون امامته ونزاهته  
 عن وصمة الكذب فضلا عن اليقين  
 الفاجرة وانما لم يصدقوه مكررة  
 وقرئ علام الغيب وعالم الغيب  
 وعالم الغيوب بالرفع على المدح  
 ( لا يعزب عنه ) اي لا يعدو قرئ  
 بكسر الزاي ( مثقال ذرة ) مقدار  
 اصغر منخلة ( في السموات ولا في  
 الارض ) اي كائنه فيهما ولا  
 اصغر من ذلك اي من مثقال ذرة  
 ( ولا اكبر ) اي منه ورفعهما على  
 الابتداء والخبر قوله تعالى ( الا في  
 كتاب مبين ) هو اللوح المحفوظ  
 والجملة مؤكدة لنفي العزوب  
 وقرئ ولا اصغر ولا اكبر يقع  
 الراعي في المجلس ولا يجوز ان  
 يطفئ المرفوع على مثقال ولا  
 المقطوع على ذرة بأنه قص في حيز  
 الجرم لا امتناع الصرف لما ان الاستثناء  
 ينتمى الى ان يحصل الضمير في عنه  
 للغيب او يجعل المثلث في الروح  
 خارجا عنه لبرزه للطالعين له  
 فيكون المعنى لا يفصل عن الغيب  
 الاسطورة في اللوح ( ليجزى  
 الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) علة  
 لقوله تعالى لتأتينكم وبيان لما  
 يقتضى آياتها ( اولئك ) اشارة الى  
 الموصول من حيث اتصافه بما في  
 في حيز الصلة وما فيه من معنى  
 البعد للايدان ببعد منزلتهم في  
 الفضل والشرف اي اولئك  
 الموصوفون بالصفات الخلية  
 ( لهم ) بسبب ذلك ( مغفرة ) لما فرط  
 منهم من بعض فرطات قلوبهم  
 عنها البشر ( وورق كريم ) لاتعب  
 فيه ولا من عليه ( والذين سوا في  
 آياتنا ) بالقدح فيها وصد الناس  
 عن التصديق بها ( معاجزين ) اي  
 مساقطين كي يفوتونا وقرئ  
 معجزين اي مشطبين عن الايمان

قال وما يعرج فيها ولم يقل يعرج اليها اشارة الى قبول الاعمال الصالحة مرتبة النفوس  
 الزكية وهذا لان كلمة الى للغاية فلوقال وما يعرج اليها لفهم الوقوف عند السموات فقال  
 وما يعرج فيها ليفهم نفوذها فيها وصعودها منها ولهذا قال في الكلم الطيب اليه يستعد  
 الكلم الطيب لان الله هو المنتهى ولا مرتبة فوق الوصول اليه واما السماء فهي دنيا  
 وفوقها المنتهى ( المسئلة الثالثة ) قال وهو الرحيم الغفور رحيم بالاتزال حيث ينزل الرزق  
 من السماء غفور عندما تعرج اليه الارواح والاعمال فرحم أولا بالاتزال وغفر ثانيا عند  
 العروج ثم بين ان هذه النعمة التي يستحق الله بها الحمد وهي نعمة الآخرة انكرها قوم  
 فقال تعالى ﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ﴾ ثم رد عليهم وقال ( قل بلى وربي  
 لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من  
 ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة  
 ورزق كريم ) اخبر بآياتها واكد به اليقين قال الزخسري رحمه الله لو قال كلف يصح  
 التأكيد باليمين مع انهم يقولون لارب وان كانوا يقولون به لكن المسئلة الاصولية  
 لا تثبت باليمين واجاب عنه بأنه لم يقتصر على اليقين بل ذكر الدليل وهو قوله ليجزى  
 الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبيان كونه دليلا هو ان المسمى قديق في الدنيا مدة مسيرة  
 في اللذات العاجلة ويموت عليها والمحسن قديم في دار الدنيا في الآلام الشديدة مدة  
 ويموت فيها فلولا دار تكون الاجزية فيها لكان الامر على خلاف الحكمة والذي اقله  
 انما هو ان الدليل المذكور في قوله عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة اظهره وذلك لانه اذا  
 كان عالما بجميع الاشياء يعلم اجزاء الاحياء ويقدر على جمعها فالساعة ممكنة القيام وقد  
 اخبر عنها الصادق فتكون واقعة وعلى هذا قوله تعالى في السموات ولا في الارض فيه  
 لطيفة وهي ان الانسان له جسم وروح والاجسام اجزاء هل في الارض والارواح في  
 السماء فقوله لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات اشارة الى علمه بالارواح وقوله ولا في  
 الارض اشارة الى علمه بالاجسام واذا علم الارواح والاشباح وقدر على جمعها لا يبقى  
 استبعاد في المعاد وقوله ولا اصغر من ذلك اشارة الى ان ذكر مثقال الذرة ليس للتحديد بل  
 الاصغر منه لا يعزب وعلى هذا فلوقال قائل فأي حاجة الى ذكر الاكبر فان من علم الاصغر  
 من الذرة لابد من ان يعلم الاكبر فنقول لما كان الله تعالى أراد بيان اثبات الامور في  
 الكتاب فلو اقتصر على الاصغر لثبوتهم متوهم انه ثبت الصغائر لكونها محل النسيان اما  
 الاكبر فلا ينسى فلا حاجة الى اباته فقال الانبات في الكتاب ليس كذلك فان الاكبر ايضا  
 فيه مكتوب ثم لما بين علمه بالصغائر والكبار ذكر ان جمع ذلك واثباته للجزاء فقال ليجزى  
 الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم ذكر فيهم امرين الايمان  
 والعمل الصالح وذكر لهم امرين المغفرة والرزق الكريم فالمغفرة جزاء الايمان فكل  
 مؤمن مغفور له ويدل عليه قوله تعالى ان الله لا يفرغ ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن  
 يشاء وقوله عليه السلام فيما اخبرنا تاج الدين عيسى بن احمد بن الحاكم البندهي قال

من اراده ( اولئك لهم عذاب ) الكلام فيه كالذي مر آنفا ومن في قوله تعالى ( من رجز ) للبيان قال قتادة رضي ( اخبرني )  
 الله عنه الرجز سوء العذاب وقوله تعالى ( اليم ) بالرفع صفة عذاب اي اولئك الساهون لهم عذاب من جنس سوء العذاب شديد

بالإسلام وقرئ اليم بالمرصه لرجل وقرئ الذين اوتوا العلم اي يعلم اولو العلم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شابههم من  
سما، الامة اومن آمن من علم اهل الكتاب كعبه الله بن سلام ( ٥ ) وكعب واضراهما رضى الله عنهم ( الذى ازل اليك من ربك ) اي

القرآن ( هو الحق ) بالنصب على  
انه مفعول ثان ليرى والمفعول  
الاول هو الموصول الثانى وهو  
ضغير الفصل وقرئ بالرفع على  
الابتداء والجر والجملة هو المفعول  
الثانى ليرى وفوله تعالى ويرى  
الح مستأنف مسوق للاستشهاد  
بأولى العلم على الجهلة الساعين  
فى الآيات وقيل منسوب  
عطف على يجرى اي وابعلم اولو  
العلم عند مجئ الساعة معانده  
انه الحق حسبا عما يلى الا ان  
برهانا ويحتجوا به على المكذبين  
وقد جوز ان يراد بأولى العلم من  
لم يؤمن من الاحبار اي ليعلموا  
بومئذ انه هو الحق فيزدادوا  
حسرة وغما ( ويهدى ) عطى  
على الحق عطف الفعل على الاسم  
لانه فى تأويله كافي هو تعالى  
صافات ويقبضن اي وهاهنا  
كانه قبيل ويرى الذين اوتوا  
العلم الذى ازل اليك الحق  
وهاديا ( الى صراط العزيز الحميد )  
الذى هو التوحيد والتسديد  
لباس القوى وقيل مستأنف  
وقيل حال من الذى ازل سلى  
اضمار مبتدأ اي وهو يهدى كافي  
قول من قال نبوت وارثهم  
مالكا ( وقال الذين كفروا ) هم  
كفار قریش قالوا يحيا نبيا  
بعضهم لبعض ( هل نذكركم على  
رجل ) يعنون به النبي عليه  
الصلاة والسلام وانما سدوا  
بالتكثير الطعن والخفريات فانهم  
الله تعالى ( يا نبىكم ) اي بعدتكم  
بعجب عجاب وقرئ يا نبىكم من  
الانباء ( اذا مرقم كل مرق )  
اي اتمتم ومزقت اجسادكم كل  
تمزيق وفرفت كل تمزيق بحيث  
صرتم ترابا ورفاتا ( انكم انى خلق  
جديد ) اي مستقرون فيه عدل

اخبرنى والذى عن جدى عن يحيى السنة عن عبد الواحد الملقبى عن احمد بن عبد الله  
التميمى عن محمد بن يوسف القزوينى عن محمد بن اسمعيل البخارى يخرج من النار من قال  
لا اله الا الله وفى قلبه وزن ذرة من ايمان والرزق الكريم من العمل الصالح وهو مناسب  
فان من عمل لسيد كريم عملا فعند فراغه من العمل لابد من ان ينعم عليه انعاما ويطعمه  
طعاما ووصف الرزق بالكريم قد ذكرنا انه بمعنى ذى كرم او مكرم اولانه يأتى من غير طلب  
بمخلاف رزق الدنيا فانه مالم يطلب ويتسبب فيه لا يأتى وفى التفسير مسائل ( المسئلة  
الاولى ) قوله اولئك لهم مغفرة ورزق كريم يحتمل وجهين ( احدهما ) ان يكون لهم ذلك  
جزاء فيوصله اليهم لقوله ليجزى الذين آمنوا ( وانبيها ) ان يكون ذلك لهم والله يجزيهم  
بشيء آخر لان قوله اولئك لهم جملة تامة اسمية وقوله تعالى ليجزى الذين آمنوا جملة فعلية  
مستقلة وهذا الباع فى البشارة من قول القائل ليجزى الذين آمنوا رزقا ( المسئلة الثانية )  
السلام فى ليجزى التعليل من انهم لا يحتاجون الى رزق فاعلمنا وجه المناسبة فقول الله  
تعالى اراد ان لا ينقطع ثوابه فجعل للمكلف دارا باقية ليكون ثوابه واصلا اليه دائما ابدا  
وجعل قبلها دارا فيها الآلام والاسقام وفيها الموت ليعلم المكلف مقدار ما يكون فيه  
فى الآخرة اذا نسيه الى ما قبلها واذا نظر اليه فى نفسه ( المسئلة الثالثة ) مير الرزق  
بالوصف بقوله كريم ولم يصف المغفرة لان المغفرة واحدة هى للمؤمنين والرزق منه شجرة  
الزقوم والحليم ومنه القواكه والشراب الطهور غير الرزق لخصول الانقسام فيه ولم يميز  
المغفرة لعدم الانقسام فيها ثم قال تعالى ( والذين سعوا فى آياتنا معجزين اولئك لهم عذاب  
من رجز اليم ) لما بين حال المؤمنين يوم القيامة بين حال الكافرين وقوله والذين سعوا  
فى آياتنا اي بالابطال ويكون معناه الذين كذبوا بآياتنا وحينئذ يكون هذا فى مقابلة  
ما تقدم لان قوله تعالى آمنوا معناه صدقوا وهذا معناه كذبوا فان قيل من اين علم كون  
سعيهم فى الابطال مع ان المذكور مطلق السعى فقول فهم من قوله تعالى معجزين وذلك  
لانه حال معناه سعوا فيها وهم يريدون التعجير والسعى فى التقرير والتبليغ لا يكون  
السعى معجزا لان القرآن وآيات الله معجزة فى نفسها لا حاجة الى احد واما المكذب  
فرواى باختفاء آيات بينات فيحتاج الى السعى العظيم والجا، انبلغ ليروج كذبه اعله  
يعجز المتمسك به وقيل بان المراد من قوله معجزين اي ثابتهن انهم يخوتون الله وعلى هذا  
يكون كون الساعى ساعيا بالباطل فى غاية الظهور لهم عذاب فى مقابلة لهم رزق وفى  
الآية لطائف ( الاولى ) قال ههنا لم عذاب ولم يقل يجزيهم الله وقد تقدم القول  
منا ان قوله تعالى ليجزى الذين آمنوا يحتمل ان يكون الله يجزيهم بشيء آخر وقوله اولئك  
لهم مغفرة اخبار عن مستحقهم المعد لهم وعلى الجملة فاحتمال الزيادة هالك قائم نظرا الى  
قوله ليجزى وههنا لم يقل ليجزيهم فلم يوجد ذلك ( الثانية ) قال ههنا لهم مغفرة نعم زادهم  
فقال ورزق كريم وههنا لم يقل الا لهم عذاب من رجز اليم والجواب تقدم فى ملة ( السئلة )  
قال ههنا لهم مغفرة ورزق كريم ولم يقله بن التبعية فلهل لهم نصيب من رزق ولا رزق

اليه عن الجملة المعاملة الدالة على الحدوث عمل نبعنون وتحلقون خالق جديد الاشياء فى الاستعداد والسجوب وكذلك تقديم الطرف والعمل  
فيه مدلل عليه المذكور لانفسه لما لم يبعد ان لا يعمل فيها بل فيها جديد فعل بمعنى فاعل من جد فهو جديد وفل فهو قليل



وقيل بمعنى مفعول من جدد الذساج الثوب اذا قطعه ثم شاع ( افترى على الله كذبا ) فيما قاله ( ام به حنة ) أي يبرهنه ذلك ويثبت على لسانه والاستدلال بهذا التردد على ان بين الصدق ( ٦ ) والكذب واسطة هو ما لا يكون من الاخبار عن بصيرة بين الفساد لظهور

كون الافتراء خاص من الكذب ( بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد ) جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام بالاضراب عن شقيه وابطالهما وثابت قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم واثباتهم بما قالوا في حقه عليه الصلاة والسلام كأنه قيل ليس الامر كما زعموا بل هم في كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والادراك الذي هو الجنون حقيقة وفيما يؤدي اليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون ما يقولون وتقديم العذاب على ما يوجب ويستتبعه للسرعة الى بيان ما يسوءهم وبفت في اعضادهم والاشعار بفجاسة سرعة ترتيبه عليه كأنه يسأبه فيسبقه ووصف الضلال بالبعد الذي هو وصف الضلال للبالغة ووضع الوصول موضع ضميرهم للتحذير بما في حيز الصلة على ان علة ما ارتكبوه واجتروا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم بالآخرة وما فيها من فزون العقاب ولولاها لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله تعالى ( اقل يروا الما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ) استثناء مسروق لهويل ما اجتروا عليه من تكذيب آيات الله تعالى واستهزاء ما قالوا في حقه عليه الصلاة والسلام وانه من العظام الموجبة لتزول اشد العقاب وحلول افظع العذاب من غير رت وتأخير والفساء للعدب على مقدر يتضاهيه المقام وقوله تعالى ( ان نشأ ) الحيا لما

من جنس كريم وقال ههنا لهم عذاب من رجز أليم بلفظة صالحة للتبويض وكل ذلك إشارة الى سعة الرحمة وقلة الغضب بالنسبة اليها والرجز قيل اسوأ العذاب وعلى هذا من لسان الجنس كقول القائل خاتم من فضة وفي الاليم قراءتان الجر والرفع فالرفع على ان الاليم وصف العذاب كأنه قال عذاب أليم من أسوأ العذاب والجر على انه وصف الرجز والرفع اقرب نظرا الى المعنى والجر نظرا الى اللفظ فان قيل فلم تخصصر الاقسام في المؤمن الصالح عمله والمكذب الساعي المجز لجواز ان يكون احد مؤمنا ليس له عمل صالح او كافر متوقف فنقول اذا علم حال الفريقين المذكورين يعلم ان المؤمن قريب الدرجة بمن تقدم أمره والكافر قريب الدرجة بمن سبق ذكره وللمؤمن مغفرة ورزق كريم وان لم يكن في الكرامة مثل رزق الذي عمل صالحا ولا كافر الغير المعاند عذاب وان لم يكن من أسوأ الانواع التي للمكذبين المعاندين \* ثم قال تعالى ( ويري الذين اتوا العلم انهم لم يكن من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد ) لما بين حال من يسعى في التكذيب في الآخرة بين حاله في الدنيا وهو ان سعيه باطل فان من اتقى علما لا يفتخر بتكذيبه ويعلم ان ما نزل الى محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق وقوله هو الحق يفيد الحصر اي ليس الحق الا ذلك واما قول المكذب فباطل بخلاف ما اذا تنازع خصمان والنزاع لفظي فيكون قول كل واحد حقا في المعنى وقوله تعالى ويهدي الى صراط العزيز الحميد يتم ان يكون بيان كونه هو الحق فانه هاد الى هذا الصراط ويحتمل ان يكون بيانا لفائدة اخرى وهي انه مع كونه حقا هاديا والحق واجب القبول فكيف اذا كان فيه فائدة في الاستقبال وهي الوصول الى الله وقوله العزيز الحميد يفيد رغبة ورهبة فانه اذا كان عزيزا يكون ذا انتقام ينتقم من الذي يسعى في التكذيب واذا كان حميدا يشكر سعي من يصلي ويعمل صالحا فان قيل كيف قدم الصفة التي للهية على الصفة التي للرجة مع ان بدا سعي في بيان تقديم جانب الرحمة فنقول كونه عزيزا تام للهية شديدة الانتقام بقوى جانب الرغبة لان رضا الجبار العزيز اعزوا كرم من رضا من لا يكون كذلك فالعزة كما تخوف ترجي ايضا وكما ترغب عن التكذيب ترغب في التصديق ليحصل القرب من العزيز ثم قال تعالى ( وقال الدين كفروا هل ندلكم على رجل يبشركم اذا مرقم كل مرق انكم لفي خلق جديد ) وجه الترتيب هو ان الله تعالى لما بين انهم انكروا الساعة ورد عليهم بقوله قل بلى وربي لتأتينكم وبين ما يكون بعد اتيانها من جزاء المؤمن على عمله الصالح وجزاء الساعي في تكذيب الآيات بالتعذيب على السيئات بين حال المؤمن والكافر بعد قوله قل بلى وربي لتأتينكم فقال المؤمن هو الذي يقول الذي انزل اليك الحق وهو يهدي وقال الكافر هو الذي يقول هو باطل ومن غاية اعتقادهم وعنادهم في ابطال ذلك قالوا على سيد العجب هل ندلكم على رجل منكم يبشركم اذا مرقم كل مرق انكم لفي خلق جديد وهذا كقول القائل في الاستبعاد جاء رجل يقول ان الشمس تطلع من المغرب الى غير ذلك

ينشأ عنه ذكرنا حاطهما بهم من الحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على انه لم يبق من اسباب وقوعه الاتعلق المشيئة به اي افعلوا ( من ) ما عاوا من المنكر الهائل المستبغ للعقوبة فلم ينظروا الى ما لحاط بهم من جمع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص ان نشأ جبرية

على موجب جنایاتهم ( تخسف بهم الارض ) كما خسفناها بقارون ( اولسقط عليهم كسفا ) اي قتلها ( من السماء ) كما اسقطناها على اصحاب الايكة لاستيلاجهم ذلك بما ارتكبوه من الجرائم وقيل ( ٧ ) هو تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرته وما

يحتل فيه اذاحة لاستجالتهم البعث حتى جعلوه اقترادوه هزوا وتهديد عليها والمضى اعوا فلم ينظروا الى ما حاط بمجواتهم من السماء والارض ولم يفكروا اهم اء خلفا ام هي وان لنا تخسف بهم الارض اولسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالايات بعد ظهور البيئات فتأمل وكن على الحق المبين وقرئ تخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى افترى على الله وكسفا بسكون السين ( ان في ذلك ) اي فيما ذكر من السماء والارض من حيث احاطتهما بالنظر من جميع الجوانب او فيما تلى من الوحي الناطق بما ذكر ( لآية ) واضحة ( لكل عبد منيب ) شانه الانابة الى ربه فانه اذا تأمل فيهما او في الوحي المذكور يتزجر عن تعاطي القبايح وينيب اليه تعالى وفيه حث بليغ على التوبة والانابة وقد اكد ذلك بقوله تعالى ( ولقد آتينا داود منا فضلا ) اي آتيناه لحسن اثارته وصحة توبته فضلا على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام اي نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد فانه معجزة خاصه به عليه الصلاة والسلام او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن فنكبره للتفخيم ومنا لتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية كما في قوله تعالى وآتيناه من لدنا علواً وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا آخر تيق الناس مترقبه فاذا ورد هاتين عندها فضل تمكن ( يا جبال اوبي معه ) من التأويب اي رجلي معه التسبيح

من الحالات ثم قال تعالى ( افترى على الله كذبا ما به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والعنزال البعید ) هذا يحتمل وجهين ( احدهما ) ان يكون تمام قول الذين كفروا اولاً اعنى هو من كلام من قال هل ندلكم ويحتمل ان يكون من كلام السامع الجيب لمن قال هل ندلكم كأن السامع لما سمع قول القائل هل ندلكم على رجل قال له اهو يفترى على الله كذبا ان كان يعتقد خلافه ام به جنة جنون ان كان لا يعتقد خلافه ( وفي هذا الطيفة ) وهي ان الكافر لا يرضى بأن يظهر كذبه ولهذا قسم ولم يحزم بأنه مفتر بل قال مفتر ومجنون احترازا من ان يقول قائل كيف يقول بأنه مفتر مع انه جاز ان يظن ان الحق ذلك فظن الصدق يمنع تسمية القائل مفتريا وكاذبا في بعض المواضع الا ترى ان من يقول جاء زيد فاذا تبين انه لم ينجى وقيل له كذبت يقول ما كذبت واتماسعت من فلان انه جاء فتلست انه صادق فيدفع الكذب عن نفسه بالظن فهم احترزوا عن تبين كذبهم فكل عاقل ينبغي ان يحترز عن ظهور كذبه عند الناس ولا يكون العاقل ادنى درجة من الكافر ثم انه تعالى اجابهم مرة اخرى وقال بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب في مقابلة قولهم افترى على الله كذبا وقوله والضلال البعيد في مقابلة قولهم به جنة وكلاهما مناسب اما العذاب فلان نسبة الكذب الى صادق مؤذية لانه شهادة عليه بأنه يستحق العذاب فجعل العذاب عليهم حيث نسبوه الى الكذب واما الجنون فلان نسبة الجنون الى العاقل دونه في الايذاء لانه لا يشهد عليه بأنه يعذب ولكن ينسبه الى عدم الهداية فبين انهم هم الضالون ثم وصف ضلالهم بالبعدلان من يسمى المهتدى ضالا يكون هو الضال فمن يسمى الهادي ضالا يكون اضل والنبي عليه الصلاة والسلام كان هادي كل مهتد ثم قال تعالى ( افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ تخسف بهم الارض اولسقط عليهم كسفا من السماء ) لما ذكر الدليل بكونه عالم الغيب وكونه جازيا على السبآت والحسنات ذكر دليلا آخر وذكر فيه تهديدا اما الدليل فقوله السماء والارض فانها يدلان على الوحدة كآيتنا مرارا وكما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ويدلان على الحشر لانهما يدلان على كمال قدرته ومنها الامادة وقد ذكرناه مرارا وقال تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم واما التهديد فقوله ان نشأ تخسف بهم الارض يعني نجعل عين نافعهم ضارهم بالخسف والكسف ثم قال تعالى ( ان في ذلك لآية لكل عبد منيب ) اي لكل من يرجع الى الله ويترك التعصب ثم ان الله تعالى لما ذكر من ينيب من عباده ذكر منهم من اناب واصاب ومن جلتهم داود كما قال تعالى عنه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب وين ما آناه الله على اثارته فقال ( ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحريد ) وفي الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) قوله تعالى منا إشارة الى بيان فضيلة داود عليه السلام وتقديره هو ان قوله ولقد آتينا داود منا فضلا مستقل بالمفهوم ونام

اول النوحه على الذنب وذلك اما بأن يخلق الله تعالى فيها صوتا مثل صوته كما خلق الكلام في الشجرة اوبان يتنمل له ذلك وقرئ اوبي من الاوب اي ارجى معه في التسبيح كما رجع فيه وكان كلا سمع عليه الصلاة والسلام يسمع من الجبال ما يسمع من المسبح معجزة له عليه الصلاة

والسلام وقيل كان ينوح على ذنبه وترجع وتحزن وكانت الجبال تسعد على نوحه باصدائها والطير باصواتها وهو يدل من آتينسا اختيار قلنا ومن فضلا باختيار قولنا (والطير) بالنصب عطفا على فضلا بمعنى ( ٨ ) وسخرنا له الطير لان ابتداء اياه عليه الصلاة والسلام

كما يقول القائل آتى الملك زيد اخلة فاذا قل القائل آتاه منه خلة يفيدانه كان من خاص ما يكون له فكذلك آتاه الله الفضل عام لكن النبوة من عنده خاص بالعباد ومثل هذا قوله تعالى يبشرهم ربهم برجة مندور ضون فان رجة الله واسعة تصل الى كل احد في الدنيا لكن رجة في الآخرة على المؤمنين رجة من عندهم خلاصة فقال يبشرهم ربهم برجة منه ( المسئلة الثانية ) في قوله يا جبال اوبي معه قال الزمخشري يا جبال بدل من قوله فضلا معناه آتيناه فضلا قولنا يا جبال اومن آتيناه ومعناه قلنا يا جبال ( المسئلة الثالثة ) قرئ اوبي بتشديد الواو من التأويب وبسكونها وضم الهمزة اوبي من الاوب وهو الرجوع والتأويب الترجيع وقيل بأن معناه سبرى معه وفي قوله بسبحن قالوا هو من السباحة وهي الحركة المخصوصة ( المسئلة الرابعة ) قرئ والطير بالنصب جلا على محل المنادى والطير بالرفع جلا على لفظه ( المسئلة الخامسة ) لم يكن الموافق له في التأويب منحصرا في الجبال والطير ولكن ذكر الجبال لان السجود " بمرر " نظير " رر " استبعد منهما الموافقة فاذا وافقه هذه الاشياء فغيرها اولى ثم ان من الناس من لم يوافقهم وهم القاسية قلوبهم التي هي اشد قسوة من الحجارة ( المسئلة السادسة ) قوله والاله الحديدي عطف والمعطوف عليه يحتمل ان يكون قلنا المقدر في قوله يا جبال تقديره قلنا يا جبال اوب والنا ويحتمل ان يكون عطفا على آتيناه تقديره آتيناه فضلا والاله ( المسئلة السابعة ) لأن الله له الحديد حتى كان في يده كالشمع وهو في قدرة الله يسير فانه يابن بالمار ويحل حتى يصير كالمداد الذي يكتب به فأي عاقل يستبعد ذلك من قدرة الله قيل انه طلب من الله ان يغنيه عن اكل مال بيت المال فالان له الحديد وعلمه صفة اللبوس وهي الدروع وانما اخبر الله له ذلك لانه وقاية للروح التي هي من امره وسعى في حفظ آدمي المكرم عند الله من القتل فاخر ادخيره من القواس والسياف وغيرهما ثم قال تعالى ( ان عمل سابعات وقدر في السرد واهلوا صالحا اني بما تعملون بصير ) قبل ان انا لله - تفسير فقه مفسرة بمعنى اي عمل سابعات وهو تسميرنا وتحقيقه لان يعمل يعني أننا له الحديد ليعمل سابعات ويمكن ان يقال الهمناه ان يعمل وان مع الفعل المستقبل للمصدر فيكون معناه أننا له الحديد والهمناه عمل سابعات وهي الدروع الواسعة ذكر الصفة ويعلم منها الموصوف وقدر في السرد قال المفسرون اي لا تعطل المسامير فتتسع القرب ولا توسع القرب فتتقلل المسامير فيها ويحتمل ان يقال السرد هو عمل الزرد وقوله وقدر في السرد اي الزرد اشارة الى انه غير مأمور به امر ايجاب انما هو كدسابه الكسب يكون بقدر الحاجة وباقي الايام والايام الى العبادة فتقدر في ذلك العمل ولا تشغل جميع اوقاتها بالكسب بل - عمل به القوت فحسب ويدل عليه قوله تعالى واعاوا صالحا اي لستم مغلوطين الا لله بل الصالح انما هو ذاك راكثر وامدواكم بمكة رواه فيه ثم اكد طلب الفعل الصالح بقوله اني بما تعملون بصير وتذكرنا مرارا ان من يعمل تلك شعلا ويعلم انه

مغيرهاله فلاحاجة الىاضماره  
انقل عن الكسائي ولاي تقدير  
ضاف اي تسبيح الطير كما نقل  
نه في رواية وقيل عطفا على  
مل الجبال وفيه من التكلف  
نظا ومعنى مالا يخفى وقرئ  
لرفع عطفا على لفظها تشبيها  
بحركة البنائية العارضة بالحركة  
لاعرابية وقد جوز اتصافه  
بلى انه مفعول معه والاول  
هو الوجه وفي تنزيل الجبال  
الطير منزلة العقلاء المطيعين  
لامر تعالى المذعنين لحكمه  
لشعر بانه ما من حيوان وجاد  
صامت وناطق الا هو متفاد  
نشيته غير متمنع على ارادته  
من العفامة العروة عن غاية  
عظمة شبه تعالى وكال كبرياء  
سلطانه لا يمتنع على اولى الالاب  
والنا له الحديد ) اي جعلناه  
مينا في نفسه كالشمع يصرفه في  
به كيف يشاء من غير احاء  
بار ولا ضرب بمطرقة او حملناه  
بالسبة الى قوته التي آتيناها  
ايه ليا كالشمع بالنسبة الى سائر  
القوى البشرية ( ان عمل )  
امرناه ان عمل على ان ان  
درية حدف عنها الباء وفي  
جملها على المفسره تكلف لا يخفى  
( سابعات ) واسعات وقرئ  
صابعات وهي الدروع الواسعة  
الصافية وهو عليه الصلاة  
والسلام اومن اتخدها وكانت  
قبل صائح فالوا كان عليه الصلاة  
والسلام حين ملك على بني  
اسرائيل يخرج متكررا فيسأل  
الناس ما تقولون في داود هذا  
عليه قسطن الله تعالى له ملاك في  
صورة دس يسأل على عادته فقال  
نعم لرحل لولا خصلة فيه  
فربيع اود ساءه بها فقال لولا  
اليطم - الى بيت المال فقدر

ذلك سار ، ن ان يكسبه ما يستغني به عن بيت المال فعلمه تعالى صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدروع بارعة آلاف ( بمرأى )  
بمعنى على نفسه ، على القراء ( ومن في السرد ) السرد لسم الدروع اي اقتصد في سجعها بحيث تدراس حباتها

وقيل مدر في مساميرها فلا تملها دأفا ولا غلاظا ورد بان دروعه عليه الصلاة والسلام لم يكن مسمرة كإني عنه الالة الحديد وقيل معنى قدر في السرد لا تصرف جميع اوقات ( ٩ ) اليه بل مقدار ما يحصل به القوت واما الباقي فامرته الى العبادة وهو الانسب بقوله تعالى ( واعملوا الصالحات ) نعم الخطاب

بمراى من الملك يحسن العمل ويتقنه ويحتثه فيه ثم لما ذكر الميبب الواحد ذكر منيبا آخر وهو سليمان كما قال تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب وذكر ما استفاد هو بالانابة **المسئلة الاولى** ( ولسليمان الريح عدو هاشم ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن رزغ منهم من امر ناذقه من عذاب السعير ) وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قرئ لسليمان الريح بالرفع وبالصب وجه الرفع ولسليمان الريح مسخرة وسخرت لسليمان الريح ووجه الصب ولسليمان سخرنا الريح والرفع وجه آخر وهو ان يقال معاهو لسليمان الريح كما يقال زيد الدار وذلك لان الريح كانت له كالمملوك المخصص به بأمرها بما يريد حيث يريد ( المسئلة الثانية ) الواو للعطف فعلى قراءة الرفع يصير عطف الجمله اسمية على جملة فعلية وهو لا يجوز او لا يحسن فكيف هذا فقول لما بين حال داود كانه تعالى قال ما ذكرنا لداود ولسليمان الريح واما على النصيب فعلى قولنا وألنا له الحديد كانه قال وألنا لداود الحديد وسخرنا لسليمان الريح ( المسئلة الثالثة ) المسخر لسليمان كانت ريحا مخصوصة لاهذه الرياح فانها لمافع عامة في اوقات الحاجات ويدل عليه انه لم يقرأ الاعلى التوحيد فقرأ احد الرياح ( المسئلة الرابعة ) قال بعض الناس المراد من تسخير الجبال وتسبيحها مع داود انها كانت تسبح كالسبح كل شئ وان من شئ الا يسبح بحمده وكان هو عليه السلام يفقه تسبيحها فيسبح ومن تسخير الريح انه راض الخيل وهى كالريح وقوله غدوها شهر ثلاثون فرسخا لان من يخرج للتفرج فى أكثر الامر لا يسرا أكثر من فرسخ ويرجع كذلك وقوله فى حق داود وألنا له الحديد وقوله فى حق سليمان وأسلنا له عين القطر انهم استخرجوا تدوب الحديد والنحاس بالار واستعمال الآلات منهما والشياطين اى اناسا أقوىاء وهذا كما قد جله على هذا ضعف اعتقاده عدم اعتماده على قدرة الله والله قادر على كل ممكن وهذه أشياء ممكنة ( المسئلة الخامسة ) اقول قوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال وقوله ولسليمان الريح عاصفة لوقال قائل ما الحكمة فى ان الله تعالى قال فى الانبياء وسخرنا مع داود الجبال وفى هذه السورة قال يا جبال أوبى معه وقال فى الريح هناك وهما ولسليمان نقول الجبال لما سبحت شرفت بذكر الله فلم يضافها الى داود بلام الملك بل جعلها معه كالمصاحب والريح فيها انها سبحت فجعلها كالمملوكة له وهذا حسن وفيه أمر آخر معقول يظهر لى وهو ان على قولنا أوبى معه سبرى فالجبل فى السير ليس أصلا بل هو يتحرك معه تبعا والريح لا تتحرك مع سليمان بل تتحرك سليمان مع نفسه فإلى الريح مع سليمان بل سليمان كان مع الريح وأسلنا له عين القطر اى النحاس ومن الجن اى سخرنا له من الجن وهذا نبى عن ان جميعهم ما كانوا تحت أمره وهو الظاهر واعلم ان الله تعالى ذكر ثلاثة أشياء فى حق داود وثلاثة فى حق سليمان عليهما الصلاة والسلام فالجبال المسخرة لداود ومن جنس تسخير الريح لسليمان وذلك لان النحاس مع ما هو أخف منه اذا تحركا يسبق الخفيف الثقيل ويبقى الثقيل مكانه لكن الجبال كانت أثقل من الأذى والآذى أثقل

الآخرة روى عن السدى رحمه الله كان معه ملك ( ٢ ) ( را ) ( سا ) بيده سوط من نار كل من استصى عليه ضربه من حيث لا يراه الحى ( يحملون له ما يشاء ) تفصيل لما ذكر من علمهم وقوله تعالى ( من يحارب ) الحى ان لما يشاء أى من قصور حصينة

ومساكن شريفة سميت بذلك لانها يذب عنها ويحارب عليها وقيل هي المساجد (وتماثيل) وصور الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام على ما اعتاده فانه كانت تعمل حينئذ في المساجد ليراهن ( ١٠ ) الناس ويعبدوا مثل عبادتهم وحرمة

من الريح فقد رآه الله ان سار الثقيل مع الخفيف الى الجبال مع داود على ما قلنا اوى اى سىرى وسليمان وجنوده مع الريح الثقيل مع الخفيف ايضا والطير من جنس تسخير الجن لانهما لا يجتمعان مع الانسان الطير لنفوره من الانس والانس لنفوره من الجن فان الانسان يتقى مواضع الجن والجن يطلب ايدا اصطباد الانسان والانسان يطلب اصطباد الطير فقد رآه الله ان صار الطير لا يفر من داود بل يستأنس به ويطلبه وسليمان لا يفر من الجن بل يسخره ويستخدمه واما القطار والحديد فقبانفسهما غير خفي (وههنا لطيفة) وهى ان الاذى ينبغي ان يتقى الجن ويتجنبه والاجتماع به يفضى الى المفسدة ولهذا قال تعالى أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب ان يحضرون فكيف طلب سليمان الاجتماع بهم فنقول قوله تعالى من يعمل بين يديه باذن ربه اشارة الى ان ذلك الحضور لم يكن فيه مفسدة (ولطيفة اخرى) وهى ان الله تعالى قال ههنا باذن ربه بلفظ الرب وقال ومن يرغ منهم عن امرنا ولم يقل عن امر ربه وذلك لان الرب لفظ يبنى عن الرحمة فعندما كانت الاشارة الى حفظ سليمان عليه السلام قال ربه وعند ما كانت الاشارة الى تعذيبهم قال عن امرنا بلفظ التعظيم الموجب لزيادة الخوف وقوله تعالى تذق من عذاب السعير فيه وجهان (احدهما) ان الملائكة كانوا موكلين بهم وبأيديهم مقارع من نار فالاشارة اليه (وثانيهما) ان السعير هو ما يكون في الآخرة فأوعدهم بما في الآخرة من العذاب ثم قال تعالى (يعملون به ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعلموا ان داود شكرنا وقيل من عبادى الشكور) المحاريب اشارة الى الابنية الرفيعة ولهذا قال تعالى اذ تسوروا المحراب والتماثيل ما يكون فيهما من النقوش ثم لما ذكر الماء الذى هو المسكن بين ما يكون في المسكن من ماعون الاكل فقال وجفان كالجواب جمع جابية وهى الحوض الكبير الذى يجيى الماء الى يجمعه وقيل كان يجمع على جفنه واحدة النفس وقدور راسيات بابتات لاتقل لكبرها وانما يعرف منها في تلك الجفان وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قدم المحاريب على التماثيل لان النقوس تكون في الابنية وقدام الحفان في الذكر على القدور مع ان القدور آلة الطبخ والجفان آلة الاكل والطبخ قبل الاكل فقول لما بين الابنية الملكية اراد بيان عظمة السعاط الذى يمد في تلك القدور وانار الى الجفان لانها تكون فيه واما القدور فلا تكون فيه ولا تحترق هناك ولها قال راسيات أى غير مقولات مما بين حال الجفان العظيمة كان يتبع في الفرس ان لصعد الذى يكون فيها في اى شى يطبخ فأشار الى القدور المناسبة للجفان (المسئلة الثانية) ذكر في حق داود اشتعاله بآه الحرب وفي حق سليمان بحاله السلم وهى المسكن والمساكن وذلك لان سليمان كان ولدا ردا وداود تبتل جالوت والملك الجبارة وداود على الملك فكان سليمان كره لملك يكون أبوه تدسوى على ابنه الملك وجمع له المال فهو بفرقة على جنوده ولان سليمان لم يقدر احد دله في ظنه فتركوا الحرب معه وان حارب احد

التصاوير شرع جديد وروى أنهم علموا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسطا الاسدان ذراعيهما واذا قعد اظله النسران بأخضتهما (وجفان) جمع جفنة وهى الصفحة (كالجواب) كالحياض الكبار جمع جابية من الجبابرة لاجتماع الماء فيها وهى من الصفات العالية كاللدابة وبرى بابات الباء قيل كان يقعد على الجفنة لف رجل (وقدور راسيات) ثابتات على الاناق لانزل عنها لفظها (اعلموا آل داود شكرا) حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على انه مفعول له او مصدر لاعلموا لان العمل للهم شكره اولفعله المحدود اى اسكروا شكرا او حال اى شاكرين او مفعول به اى اعلموا شكرا (وقيل من عبادى الشكور) اى المتوفر على اداء السكر بقلبه واسائه وجوارحه اكثر اوفائه ومع ذلك لا يوفى حقه لان التوفيق للسكر نعمة تستدعى شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى مجره عن الشكر وروى انه عليه الصلاة والسلام جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم يكن نأى ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلى فلما قضينا عليه الموت اى على سليمان عليه السلام (مادلهم) اى الجن او آله (على موته الادابة الارض) اى الارضا قضيت الى فعلها وقضى بفتح الراء وهوتار الحشبة من فعاها يقال ارست الارضا الحشبة ارضا فأرست أرضا مثل أكانت القوارح اسنائه اكلا فأكانت

أكان (تأكل منسأته) أى عصاه من نساء البعير اذا طردته لانها يطردها ما يطرد وقرئ منسأته بالفسا كنة بدلا (كان) من الهمة ونهمزة ساكنة وبأخراجها بين بين عند الوقوف ومنسأته على مفعلة كضاهه في ميصأة ومنسأته اى من طرف عذاه من ساء

الفوس وفيه لغتان كما في صفة بالكسر والقح وقرئ اكلت منساة ( فلما خربت بيت الجن ) من تبيت الشيء اذا علمته بعد التنباه عليه اي علمت الجن علما بينا بعد التنباس الاسر عليهم ( ان لو كانوا ) ( ١١ ) يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ) اي انهم لو كانوا يعلمون

الغيب كما يزعمون لعلوا موته عليه الصلاة والسلام حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تشييره الجن اخر او من تبين الشيء اذا ظهر وتبين اي ظهرت الجن وان مع ما في حيزها بدل اشتغال من الجن اي ظهر ان الجن لو كانوا يعملون الغيب صالح وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على ان المتبين في الحقيقة هو ان مع ما في حيزها لانه بدل وقرئ تبينت الانس واختير في كانوا للجن في قوله تعالى ومن الجن من يعمل وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب \* روى ابن داود عليه السلام أسس بنيان بيت المقدس في موضع فسطاط موسى فترقى قبل تمامه فوصى به الى سليمان عليهما السلام فاستعمل فيه الجن والشياطين ثبائرو حتى اذا حارجه وعلمه سأل ربه ان يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب فدعاهم فسوا عليه صريحا من قوارر ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو منكئ عليها فبقي كذلك وهم فيما أسروا به من الاعمال حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى عليه الصلاة والسلام فلم يكن يظهر اليه شيطان في صلاته الا احترق ثم به يوم شيطان فطرق فاذ اسلمان عليه السلام قد خدر ميتا فتحوا عنه فاذا عصاه قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فخبوا على ذلك فوجدوه قد مات

كان زمان الحرب يسيرا لادراكه اياه بالريح فكان في زمانه العظيمة بالاطعام والانعصام ( المسئلة الثالثة ) لما قال عقيب قوله تعالى ان اعمل سابغات اعملوا صالحا قال عقيب ما يعمل الجن اعملوا آل داود شكرا اسارة الى ما ذكرنا ان هذه الاشياء خالية لا ينبغي ان يجعل الانسان نفسه مستغرقة فيها وانما الواجب الذي ينبغي أن يكثر منه هو العمل الصالح الذي يكون شكرا وفيه اشارة الى عدم الالتفات الى هذه الاشياء وقلة الاشتغال بها كما في قوله وقد رفي السرد أي اجعله بقدر الحاجة ( المسئلة الرابعة ) انتصاب شكرا يحتمل ثلاثة اوجه ( احدها ) ان يكون مفعولا له كقول القائل جئتكم طمعا وعبدت الله رجاء غفرانه ( وثانيها ) ان يكون مصدرا كقول القائل شكرت الله شكرا ويكون المصدر من غير لفظ الفعل كقول القائل جلست قعودا وذلك لان العمل شكر فقلوه اعملوا يقوم مقام قوله اشكروا ( وثالثها ) ان يكون مفعولا به كقولك اصرب زيدا كما قال تعالى واعملوا صالحا لان الشكر صالح ( المسئلة الخامسة ) قوله وقليل من ادب الشكور اشارة الى ان الله خفف الامر على عباده وذلك لانه لما قال اعملوا آل داود شكرا افهم منه ان الشكر واجب لكن شكر نعمه كما ينبغي لا يمكن لان الشكر بالتوفيق وهو نعمة تحتاج الى شكر آخر وهو توفيق آخر فداثما تكون نعمة الله بعد الشكر خالية عن الشكر فقال تعالى ان كنتم لاتقديرون على الشكر التام فليس عليكم في ذات حرج فان عبادي قليل منهم الشكور ويقوى قولنا أنه تعالى ادخل الكل في قوله عبادي مع الاضافة الى نفسه وعبادي بلفظ الاضافة الى نفس المتكلم لم ترد في القرآن الا في حق الناجين كقوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله وقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فان قيل على ما ذكرتم شكر الله بتمامه لا يمكن وقوله قابل يا بل على ان في عباده من هو شاكر لانعمه نقول الشكر به الرابطة البسرة هو الواقع وقليل فاعله واما الشكر الذي يناسب نعم الله فلا قدرة عليه ولا يكاف الله نفسا الاوسعها او نقول الشاكر التام ليس الامن رضى الله عنه وقال له يا عبدى ما آتيت به من الشكر القليل قبلته منك وكتب لك انك شاكر لانعمي بأسرها وهذا القول نعمة عظيمة لا كافك شكرها \* ثم قال تعالى ( فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منساة فلما خربت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ) لما بين عظمة سليمان وتشجير الريح والروح له بين انه لم ينبج من الموت وانه قضى عليه الموت تنبها للخلق على ان الموت لا يمنه ولو نجما منه احد لكان سليمان اولى بالنجاة منه وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) كان سليمان عليه السلام يقف في عبادة الله ليلة كاملة ويوما تاما وفي بعض الاوقات يزيد عليه وكان له عصا يتكئ عليها واقفا بين يدي ربه ثم في بعض الاوقات كان واقفا على عاداته في عبادته اذ توفى نضن جنوده انه في العبادة وبقى كذلك اياما وتماضى شهورا ثم اراد الله اظهار الامر لهم فقدر ان اكلت دابة الارض عصاه فوقع

منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة ماك وهو ان ثلاث عشرة سنة واتي في ملكه اربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه ( لانه كان اسبأ ) يان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله ابريان احوال الشاكرين الى اولاد سليمان يشجب بن يعرب بن



عطشان وقرئ<sup>١</sup> يمنع الصرف على انه اسم القبيلة وقرئ<sup>٢</sup> بقلب الهمزة الفا ولعله اخراج لها بين بين (في مسكنهم) وقرئ<sup>٣</sup> بكسر الكاف بالمسجد وقرئ<sup>٤</sup> بلفظ الجمع اى مواضع سكنهم وهى بالين يقال لها ( ١٢ ) مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليل

وَعَلَّمَ حَالَهُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى فَلَاخِرَتَيْنِ الْجَنِّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ كَانَتْ الْجَنُّ تَعْلَمُ مَا لَا يَعْلَمُهُ الْإِنْسَانُ فَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ الْقَدْرَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلِ الْإِنْسَانُ لَمْ يَوْتِ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا فَهُوَ أَكْثَرُ الْأَشْيَاءِ الْحَاضِرَةِ لَا يَعْلَمُهَا وَالْجَنُّ لَمْ تَعْلَمْ إِلَّا الْأَشْيَاءَ الظَّاهِرَةَ وَأَنَّ كَانَتْ خَفِيَّةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْإِنْسَانِ وَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْأَمْرُ بِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ أَذْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَهُ لَمَابَقُوا فِي الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ ظَانِينَ أَنَّ سُلَيْمَانَ حَيٌّ وَقَوْلُهُ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْجَنِّ لَمْ يَكُونُوا فِي التَّخْفِيرِ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَكُونُ فِي زَمَانِ النَّارِ فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ \* ثُمَّ قَالَ تَعَالَى (لَقَدْ كَانَ لِسَاءٌ فِي مَسْأَلِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلًّا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ حَالِ الشَّاكِرِينَ لِنِعْمِهِ بِذِكْرِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ بَيْنَ حَالِ الْكَافِرِينَ بِأَنَّهُمْ يَحْكِيَانِ أَهْلَ سَبَإٍ وَفِي سَبَإٍ قَرَاءَتَانِ بِالْفَتْحِ عَلَى أَنَّهُ اسْمُ بَقْعَةٍ وَبِالْجَمْعِ التَّنْوِينَ عَلَى أَنَّهُ اسْمُ قَبِيلَةٍ وَهُوَ الْأَضْمَرُ لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْآيَةَ لِسَبَإٍ وَالْقَاهِمُ هُوَ الْعَاقِلُ لَا الْمَكَانَ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى اضْمَارِ الْأَهْلِ وَقَوْلُهُ آيَةٌ أَيْ مِنْ فَضْلِ رَبِّهِمْ ثُمَّ يَبْنِيهَا بِذِكْرِ بَدَلِهِ بِقَوْلِهِ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ قَالَ الزَّحْمَشَرِيُّ آيَةٌ آيَةٌ فِي جَنَّتَيْنِ مَعَ أَنَّ بَعْضَ بِلَادِ الْعِرَاقِ فِيهَا آلَافٌ مِنَ الْجَنِّ وَأَجَابَ بِأَنَّ الْمُرَادَ لِكُلِّ وَاحِدٍ جَنَّتَيْنِ أَوْ عَنْ يَمِينٍ بِلَدِّهِمْ وَشِمَالِهَا جَاعَتَانِ مِنَ الْجَنِّاتِ وَلَا تَصِلُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ جَعَلَهَا جَنَّةً وَاحِدَةً قَوْلُهُ كُلًّا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ بِرُكْبَةٍ أَيْ تَكْمِيلِ الدَّمِ عَلَيْهِمْ حَيْثُ لَمْ يَمْسُحُوا مِنْ أَكْلِ نَارِهَا خَوْفٌ وَآمَرُضٌ وَقَوْلُهُ وَاشْكُرُوا بَيَانٌ أَيْضًا لِكَمَالِ النِّعْمَةِ فَإِنَّ الشُّكْرَ لَا يَطْلُبُ إِلَّا الْعُلَى النِّعْمَةَ الْمَعْتَبَرَةَ ثُمَّ لَمَّا بَيَّنَّ حَالَهُمْ فِي مَسَاكِنِهِمْ وَبَسَاتِينِهِمْ وَأَكْلَهُمْ أَتَمَّ بَيَانَ النِّعْمَةِ بِأَنَّ بَيْنَ أَنْ لَا غَالَةَ عَلَيْهِ وَلَا تَبِعَةَ فِي الْمَالِ فِي الدُّنْيَا فَقَالَ بِلَدِّهِ طَيِّبَةٌ أَيْ طَاهِرَةٌ عَنْ الْمُؤْذِيَّاتِ لَا حِيَةَ فِيهَا وَلَا عَقْرَبَ وَلَا وَبَاءَ وَلَا وَخْمَ وَقَالَ وَرَبُّ غَفُورٍ أَيْ لَا عِقَابَ عَلَيْهِ وَلَا عَذَابَ فِي الْآخِرَةِ فَعِنْدَ هَذَا بَيَانُ كَمَالِ النِّعْمَةِ حَيْثُ كَانَتْ لَذَّةً خَالِيَةً عَنِ الْمَقَاسِدِ الْمَالِيَةِ \* ثُمَّ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَّ مَا كَانَ مِنْ جَانِبِهِ ذَكَرَ مَا كَانَ مِنْ جَانِبِهِمْ فَقَالَ (وَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَبِيلَ الْعَرَمِ وَبَدَلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْلِ حِطٍّ وَاثِلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سَدْرِ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجْزِي إِلَّا الْكَافِرِينَ) فَبَيَّنَّ كَيْفَ ظَلَمُوا بِالْأَعْرَاضِ بَعْدَ إِبَانَةِ الْآيَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ ذَكَرَ بَآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ثُمَّ بَيَّنَّ كَيْفِيَّةَ الْإِسْتِقَامِ مِنْهُمْ كَمَا قَالَ أَنَا مِنَ الْمَجْرِمِينَ مُتَقِمُونَ وَكَيْفِيَّتَهُ أَنَّهُ تَعَالَى أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ سَيْلًا غَرِقَ أَمْوَالَهُمْ وَخَرِبَ دُورُهُمْ وَفِي الْعَرَمِ وَجُوهٌ (أَحَدُهَا) أَنَّهُ الْجَرْدُ الَّذِي سَبَبَ خَرَابَ السُّكْرِ وَذَلِكَ مِنْ حَيْثُ أَنَّ بَلْقَيْسَ كَانَتْ قَدْ عَمِدَتْ إِلَى جِبَالٍ بَيْنَهَا شَعْبٌ فَسَدَّتِ الشَّعْبَ حَتَّى كَانَتْ مِيَاهُ الْأَمْطَارِ وَالْعَيُونُ تَجْتَمِعُ فِيهَا وَتَصِيرُ كَالْبَحْرِ وَجَعَلَتْ لَهَا أَبْوَابًا ثَلَاثَةً مَرْتَبَةً بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وَكَانَتْ الْأَبْوَابُ يَفْتَحُ بَعْضُهَا بَعْدَ بَعْضٍ فَتَقْبُ الْجَرْدُ السُّكْرَ وَخَرِبَ السُّكْرُ سَبَبُهُ وَانْقَلَبَ الْبَحْرُ عَلَيْهِمْ (ثَانِيًا) أَنَّ الْعَرَمَ اسْمُ السُّكْرِ وَهُوَ جَمْعُ الْعَرْمَةِ وَهِيَ الْحَجَارَةُ (ثَالِثًا) اسْمُ الْوَادِي الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ الْمَاءُ وَقَوْلُهُ وَبَدَلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْلِ حِطٍّ يَبْنِي بِهِ

آيَةٌ) دَالَّةٌ بِمُلَاحَظَةِ أَحْوَالِهَا مُتَابِعَةٌ وَالْإِلَاحَاقَةُ عَلَى وَجُودِ لَصَانِعِ الْمُخْتَارِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ أَيْشَاءٍ مِنَ الْأُمُورِ الْبَدِيعَةِ لِمَجَازِيِ الْمَحْسَنِ وَالْمُسَىِّعَةِ مُعَايِنَةً لِلْبَرَّهَانِ السَّابِقِ كَأَنَّهُ نَصَتْ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (جَنَّتَانِ) بَدَلٌ مِنْ آيَةٍ أَوْ خَبَرٍ لِبَتْدَأِ مَحْذُوفٍ أَيْ هِيَ جَنَّتَانِ وَفِيهِ مَعْنَى الْمَدْحِ وَيُؤَدِّهِ قِرَاءَةُ النَّصْبِ عَلَى الْمَدْحِ وَالْمُرَادُ بِهِمَا جَاعَتَانِ مِنَ الْبَسَاتِينِ (عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ) جَاعَةٌ عَنْ يَمِينٍ بِلَدِّهِمْ وَجَاعَةٌ مِنْ شِمَالِهِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ تَيْنِكَ الْجَمَاعَتَيْنِ فِي تَقَارُبِهِمَا وَتَضَامُهُمَا كَأَنَّهُمَا جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ أَوْ بَسَاتِينَا كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمَا عَنْ يَمِينٍ مَسْكَنُهُ وَعَنْ شِمَالِهِ (كُلًّا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ) حِكَايَةٌ لِمَا قِيلَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ تَكْمِيلًا لِلنِّعْمَةِ وَتَذَكِيرًا لِحَقُوقِهَا أَوَّلًا نَطَقَ بِهِ لِسَانُ الْحَالِ أَوْ بَيَانٌ لِكُونِهِمْ أَحْقَاءً بِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا (بِلَدِّهِ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) اسْتِثْنَاءٌ مِنْ لَمَّا يُوْحِبُ السُّكْرَ الْأُمُورِ أَيْ بِلَدِّكُمْ بِلَدِّ طَيِّبَةٍ وَرَبِّكُمْ الَّذِي رَزَقَكُمْ مَا فِيهَا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَطَلَبَ مِنْكُمْ السُّكْرَ رَبِّ غَفُورٍ لِعُرْطَاتٍ مِنْ يَشْكُرُهُ وَقَرِئَ السُّكْرُ بِالنَّصْبِ عَلَى الْمَدْحِ قِيلَ كَانَ طَيِّبُ الْبِلَادِ هَوَاءً وَاخْضَبَهَا وَكَانَتْ الْمَرْأَةُ تَخْرُجُ وَعَلَى رَأْسِهَا الْمَكْتَلُ فَتَعْمَلُ بِيَدَيْهَا وَتَسِيرُ فِيمَا بَيْنَ الْأَشْجَارِ فَيَتَلَيَّ الْمَكْتَلُ مَا يَتَسَاءَلُ فِيهِ مِنَ الثَّارِ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ مِنْ مُؤْذِيَّاتِ الْهَوَامِّ شَيْءٌ (وَأَعْرَضُوا) عَنْ الشُّكْرِ بَعْدَ إِبَانَةِ الْآيَاتِ الدَّاعِيَةِ لَهُمْ إِلَيْهِ قِيلَ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ نَبِيًّا فَدَعَوْهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَذَكَرُوهُمْ بِنِعْمِهِ وَأَنْدَرُوهُمْ عِقَابَهُ فَكَذَّبُوهُمْ

(فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَبِيلَ الْعَرَمِ) أَيْ سَبِيلَ الْأَمْرِ الْعَرَمِ أَيْ الصَّعْبِ مِنْ عَرَمِ الرَّجُلِ فَهُوَ عَرَمٌ وَعَرَمٌ إِذَا شَرَسَ حَلْقَهُ وَصَعِبَ (دَوَامٌ) أَوَّلُ الْمَطَرِ الشَّدِيدِ وَقِيلَ الْعَرَمُ جَمْعُ عَرْمَةٍ وَهِيَ الْحَجَارَةُ الْمُرْكُومَةُ وَقِيلَ هُوَ السُّكْرُ الَّذِي يَحْسُ الْمَاءُ وَقِيلَ هُوَ السَّمُّ لِلْبَهَائِ الَّذِي يَجْعَلُ سَدًّا

وقيل هو البناء الرصين الذي منه الملكة بلقيس بين الجبلين بالعصر والغار وحقت به ماء العيون والأمطار وزكت فيه خروفا على ما يحتاجون اليه فيسقيهم وقيل العرم الجرذ الذي نقب ( ١٣ ) عليهم ذلك السد وهو الفأر الأعشى الذي يقال له الحمد سلطه الله تعالى على سدهم

فبقية فخر بلادهم وقيل العرم دوام الخراب وذلك لان البساتين التي فيها الناس يكون فيها الفواكه الطيبة بسبب العمارة فاذا تركت سنين تصير كالقبضة والاحبة تلتف الاشجار بعضها ببعض وتلتبт المفسدات فيها فتقل الثمار وتكثر الاشجار والحط كل شجرة لها شوك او كل شجرة ثمرتها مرة او كل شجرة ثمرتها لا تؤكل والائل نوع من الطراف ولا يكون عليه ثمرة الا في بعض الاوقات يكون عليه شيء كالعفص او اصغر منه في طعمه وفي طبعه والسدر معروف وقال فيه قليل لانه كان احسن اشجارهم فقلله الله ثم بين الله ان ذلك كان مجازة لهم على كفرانهم فقال ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى اى لانجازى بذلك الجزاء الا الكفور قال بعضهم المجازة تقال في النعمة والجزاء في العقوبة لكن قوله تعالى ذلك جزيناهم بدل على ان الجزاء يستعمل في العقوبة ولعل من قال ذلك اخذ من ان المجازاة مفاعلة وهي في اكثر الامر تكون بين اثنين يؤخذ من كل واحد جزاء في حق الآخر وفي النعمة لا تكون مجازاة لان الله تعالى مبتدئ بالنعمة ثم قال تعالى ( وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير وسروا فيها ليالي واما امنين فقالوا ربنا باعدين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعّلناهم احاديث ومن قنّاهم كل ممزق ان في ذلك لايات لكل صبار شكور ) اى بينهم وبين الشام فانها هي البقعة المباركة وقرى ظاهرة اى يظهر بعضها لبعضها يرى سواد القرية من القرية الاخرى فان قال قائل هذا من النعم والله تعالى قد شرع في بيان تبديل نعمهم بقوله وبدلناهم بحجبتهم جنتين فكيف عاد مرة اخرى الى بيان النعمة بعد النعمة فقول ذكر حال نفس بلدهم وبين تبديل ذلك بالحط والائل ثم ذكر حال خارج بلدهم وذكر عمارتها بكثرة القرى ثم ذكر تبديله ذلك بالمقاو والبيادى والبرارى بقوله ربنا باعدين اسفارنا وقد فعل ذلك وبدل عليه قراءة من قرأ ربنا بعد على المبتدأ والخبر وقوله وقدرنا فيها السير الا ما كن العمورة تكون منازلها معلومة مقدرة لا تتجاوز فلما كان بين كل قرية مسيرة نصف نهار وكانوا يغدون الى قرية ويروحون الى اخرى ما يمكن في العرف تتجاوزها فهو المراد بالتقدير والمقاو لا يتقدر السير فيها بل يسير السائر فيها بقدر الطاقة جادا حتى يقطعها وقوله وسروا فيها ليالي واما امنين فقالوا ربنا باعدين اسفارنا كان بينهم ليالي واما معلومة وقوله آهبن اشارة الى كثرة العمارة فان خوف قطاع الطريق والانقطاع عن الرفيق لا يكون في مثل هذه الاماكن وقيل بأن معنى قوله ليالي واما تسيرون فيه ان ستم ليالي وان شتم اياما لعدم الخوف بخلاف الموضع المحوفة فان بعضها يسلك لبلاللا يعلم العدو يسيرهم وبعضها يسلك نهارا لئلا يقصدهم العدو اذا كان العدو غير مجاهر بالقصد والعدواة وقوله تعالى قالوا ربنا باعدين اسفارنا قيل بأنهم طلبوا ذلك وهو محتمل وجهين احدهما أن يسألوا بطرا كما طلبت اليهود النجوم والبصل ويحتمل ان يكون ذلك لفساد اعتقادهم وشدة اعتمادهم على أن ذلك لا يتقدر كما يقول القائل لغيره اضربني اشارة الى انه لا يتقدر عليه ويمكن أن يقال قالوا ربنا بعد بلسان الحال اى لما كفروا فقد

انه مفعول ثان له اى ذلك الجراء القطع جزيناهم لاجزاء آخر اودك التبديل جزيناهم لاجزائه ( بما كفروا ) بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكائهم ضدها وبسبب كفرهم بالرسول ( ودخل نجازى الا الكفور ) اى وما نجازى هذا الجراء الا بالمباح في



الكفران او الكفر وقرى يحازى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وهل يحازى على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل يجرى على البناء للمفعول ايضا وهذا بيبان ماوتوا من ( ١٤ ) الهم الحاضرة في مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من المنزاة

وقوله تعالى (وحملنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) حكاية لماوتوا من النعم البادية في مسايرهم ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك بكلمة لقضتهم وبيان العاقبة واعمالهم يذكر الكل معالما في التثنية والتكرير من زياده تنبيه وتذكير وهو عطف على كارلسبا لاعلى ما بعده من الجمل الناطقة بأفعالهم او اجريتها اى وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من فنون النعم بينهم اى بين بلادهم وبين القرى الشامية لى باركنا فيها للعالمين (قرى ظاهره) متواصلة يرى بعضها من بعض لقاربها بهى ظاهرة لا عين اهلها اورا كبة متن الطريق ظاهرة للسائلة غير بعيدة عن مساكنهم حتى تحقق عليهم (وقدرنا فيها السير) اى جعلناها في نسبة بعضها الى بعض على مقدار معين يلقى بحال ابناء السبيل قيل كان العددي مزرية بصيل في اخرى والرائح منها يبيت في اخرى الى ان يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلا لماوتوا من انواع النعم وتوفيرها في الحضر والسفر (سيروا فيها) على ارادة القول اى وقلنا لهم سيروا في تلك القرى (لبالى واياما) اى متى شئتم من اللبالي والايام (آمين) من كل ما كرهه لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات وسيروا فيها آمين وان تطاولت مدة سفرهم وامدت لبالي واياما كثيرة وسيروا فيها لبالي اعانكم واياهم لا تتقون فيها الا الامن لكن لاعلى الحقيقة بل على تذليل تمسكهم من السير المذكور

وتسوية مبادئه واسماه على الوجه المذكور مثله امرهم بذلك (فقالوا ربنا ناعدن اسفارنا) وقرى نارسا (حتى) بطروا اعمه وشتموا اطيب الناس وملوا العاقبة تطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل اليوم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا

لو كان جنى حناننا بعد لكان اجدر أن نشتمه وسألوا ان يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مغاور وققارا ليركبوا فيها الزواجل ويتزودوا الازواد ويتناولوا فيها على الفقراء فيجعل الله ( ١٥ ) تعالى لهم الاجابة تخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلعا

لا يسمع قهقار ولا عيب وقرى

بعد وربنا بعد بين أسفارنا وبعد

بين أسفارنا على النداء واستناد

الفعل الى بين ورفع به كإيقال

سير فرسخا وبوعد بين أسفارنا

وقرى ربا بعد بين أسفارنا

وبين سرنا وبعد برقع ربا

على الابتداء والمنى على خلاف

الاول وهو استبعاد مسيرهم

مع قصرها اودنوها وسهولة

سبلوها لفرط تعدهم رغبة

ترفهم وعدم اعتدادهم بسم الله

تعالى كأنهم يتشاحون على الله

تعالى وتجاوزون عليه ( وطلوا

أنفسهم ) حيب عرضوها لخطئ

والاعداء حين اطروا لعمه

ارغطوها ( يعطاهم أحاديث )

أى جعلناهم بحيث يحدث

الناس بهم متعجبين من احوالهم

ومعجبين بعاقبتهم وما لهم

( ومزقناهم كل مرق ) أى فرقناهم

كل تقريق على ان لمزق مصدر

او كل مطرح ومكان تقريق على

الاسم مكان وفى عبارة التقريق

الحاص بتقريق بسبل وخرة

حتى اذ افرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قال الحق وهو العلى الكبير ( لما بين الله تعالى حال الشاكرين وحال الكافرين وذكرهم بمن مضى عادالى خطابهم وقال لرسوله صلى الله عليه وسلم قال للمشركن ادعوا الذين زعمتم من دون الله ليكشفوا عنكم الضر على سبيل التهكم ثم بين انهم لا يملكون شيئا بقوله لا يملكون يقال ذرة فى السموات ولا فى الارض \* واعلم ان المذاهب المفضية الى الشرك اربعة ( احدها ) قول من يقول الله تعالى خلق السماء والسموات وجعل الارض والارضيات فى حكمهم ونحن من جملة الارضيات فنعبد الكواكب والملائكة التى فى السماء فهم آلهتنا والله الههم فقال الله تعالى فى ابطال قولهم انهم لا يملكون فى السموات شيئا كما اعترقتم ثم قال ولا فى الارض على خلاف ما زعمتم ( وثانيها ) قول من يقول السموات من الله على سبيل الاستبداد والارضيات منه ولكن بواسطة الكواكب فان الله خلق العناصر والتركيبات التى فيها بالاتصالات والحركات والطوائع فجعلوا لغير الله معه شركا فى الارض والاولون جعلوا الارض لغيره والسماء فقال فى ابطال قولهم وماله من شرك أى الارض كالسماء لله لا لغيره ولا لغيره فيه نصيب ( وثالثها ) قول من قال التركيبات والحوادث كلها من الله تعالى لكن فوض ذلك الى الكواكب وفعل المأذون ينسب الى الأذن ويسلب عن المأذون فيه مثاله اذا قال ملك للملوك اضرب فلانا فاضربه يقال فى العرف الملك ضربه ويصح عرفا قول القائل ما ضرب فلان فلانا وانما الملك امر بضربه فاضرب فهو لا جعلوا السماويات معينات لله فقال تعالى فى ابطال قولهم وماله منهم من ظهير ما فوض الى شئ شيئا بل هو على كل شئ حفيظ و رقيب ( ورابعها ) قول من قال اننا نعبد الاصنام التى هى صور الملائكة ليشفعوا لنا فقال تعالى فى ابطال قولهم ولا تنفع الشفاعة عبده الا لمن أذن له فلا فائدة لعبادتكم غير الله فان الله لا يأذن فى الشفاعة لم يعبد غيره فطلبكم الشفاعة تفوتون على انفسكم الشفاعة وقوله حتى اذا فزع عن قلوبهم أى ازيل الفزع عنهم يقال قرد البعير اذا أخذ منه القراد ويقال لهذا تشديد السلب \* وفى قوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وجوه ( احدها ) الفزع الذى عند الوحي فان الله عند ما يوحى يفزع من فى السموات ثم يزيل الله عنهم الفزع فيقولون لجبريل عليه السلام ماذا قال الله فيقول قال الحق أى الوحي ( وثانيها ) الفزع الذى من الساعة وذلك لان الله تعالى لما وحي الى محمد عليه السلام فزع من فى السموات من القيامة لان ارسال محمد عليه السلام من اشراط الساعة فلما زال عنهم ذلك الفزع قالوا ماذا قال الله قال جبريل الحق أى الوحي ( وثالثها ) هو ان الله تعالى يزيل النزع وقت الموت عن القلوب فيعترف كل احد بأن ما قال الله تعالى هو الحق فينفع ذلك القول من سبق ذلك منه ثم يقبض روحه على الايمان المنفصل عليه بينه وبين الله تعالى ويضرب ذلك القول من سبق منه خلافة فيقبض روحه على التوفيق بينه وبين الله تعالى اذا علمت هذا قول على

بعد وقبل انه كان كاذبا وقد علمه بكهاتد فباع ألاكه وسار بقومه وهم الوفاء من بلد الى بلد حتى انتهى الى مكة العظيمة وأهلها جرحهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بنى اسمعيل عليه السلام وعبرهم فأرسل اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يسألهم المقام معهم

ان يرجع اليه رواده الذين أرسلهم الى اصقاع البلاد يطلبون له موضعا يسعه ومن معه من قومه فابوا فاقبلوا ثلاثة ايام فانهرمت جرحهم ولم يفلت منهم الا الشريد وأقام نعليه بكه وماحولها في قومه ( ١٦ ) وعساكره حولافاصبهم الحبي فاضطروا الى الخروج وقد

رجع اليه رواده فاسترقوا  
فرتين فرقة توحهت نعوغان  
وهم الاردو كنده وجير ومن  
يتلوهم وسار نعلبة نحو الشام  
فزل الاوس والخرج اساحارئة  
من نعلبة المديبة وهم الانصار  
ومضت عسان فزلاوا بالشام  
وانخرعت حراصة عكة فافام  
بها ربيعه بن حارثة بن عمرو  
بن عاص وهو الخي فولى امر  
مكة وحجاجة البيت م جاهم  
أولاد اسمعيل عام السلام  
فسألوهم السكى معهم وحولهم  
فاذنوا لهم في ذلك وروى عن  
ابن عباس رضى الله عنهما ان  
فروة بن مسيك العظيبي سأل  
النبي عليه الصلاة والسلام عن  
سبأ فقال عليه الصلاة والسلام  
هو رجل كان له عشرة اولاد ستة  
منهم سكاوا الى الجين وهم مدحج  
وكندة والارد ولاسعيون  
وجير وانما منهم بحيلة وحيم  
واربعة منهم سكنوا الشام وهم  
لحم وجدام وعاملة وعسان لما  
هلكت اموالهم وحربت بلادهم  
تفرقوا ابدى سبأ شذر مذر فزلت  
طوائف منهم الى خارجهم حراصة  
زلاوا طاهر مكة ورت الاوس  
والخرج سيثرب فكانوا اول  
من سكنها ثم رل عدهم ثلاث  
قبائل من اليهود هو يثعاع  
وبو قريظة والاسير فخالعوا  
الاوس والخرج فاموا عدهم  
ورتل طوائف اخر منهم بالشام  
وهم لذين نصروا امامهم ودهم  
عسان وعاملة ولحم وحدم  
وتسوخ زلب وعيرهم وسأ  
تجمع هذه القبائل كلها والجمهور  
على جميع لربهم فخالعوا  
وسدانية والتمطانية شعبان  
سبأ وحصر موت ولعدانية  
شعبان ربيعة ومضر واما

القولين الاولين قوله تعالى حتى غاية متعلقة بقوله تعالى قل لانه بينه بالوحى لان قول  
القاتل قل لفلان للانذار حتى يسمع المخاطب مايقوله ثم يقول بعد هذا الكلام مايجب  
قوله فلما قال قل فزع من في السموات ثم ازيل عنه الفزع وعلى الثالث متعلقة بقوله  
تعالى زعمتم اى زعمتم الكفر الى غاية التفريع ثم تركتم ما زعمتم وتلتم قال الحق وعلى  
القولين الاولين فاعل قوله تعالى قالوا ماداهو الملائكة السائلون من جبريل وعلى الثالث  
الكفار السائلون من الملائكة والفاعل في قوله الحق على القولين الاولين هم الملائكة  
وعلى الثالث هم المشركون \* واعلم ان الحق هو الموجود ثم ان الله تعالى لما كان وجوده  
لا يرد عليه عدم كان حقا مطلقا لا يرتفع بالباطل الذى هو العدم والكلام الذى يكون  
صدقا يسمى حقا لان الكلام له متعلق في الخارج بواسطته متعلق بما في الدهن والذى  
في الدهن متعلق بما في الخارج فاذا قال القائل جاء زيد يكون هذا اللفظ متعلقه  
بما في ذهن القائل ودهن القائل متعلقه بما في الخارج لكن للصدق متعلق يكون في  
الخارج فيصير له وجود مستمر والكذب متعلق لا يكون في الخارج وحينئذ اما  
ان لا يكون له متعلق في الدهن فيكون كالمعدم من الاول وهو الالفاسط التى تكون  
صادرة عن معاند كاذب واما ان يكون له متعلق في الدهن علم خلاف ما في الخارج  
فيكون اعتقادا باطلا جهلا او ظنا لكن لما لم يكن لمتعلقه متعلق يرب ذلك الكلام  
ويطل وكلام الله لا بطلان له في اول الامر كما يكون كلام الكاذب المعاند ولا يأتية  
الباطل كما يكون كلام الظان وقوله تعالى وهو العلى الكبير قد ذكرنا في تفسير قوله تعالى  
ذلك بأن الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلى الكبير ان الحق  
اشارة الى أنه كامل لانقص فيه فيقل نسبة العدم وفوق الكاملين لان كل كامل  
فوقه كامل فقوله وهو العلى الكبير اشارة الى انه فوق الكاملين في ذاته وحمه تد  
وهذا يطل القول بكونه جمعا وفي حيز لان كل من كان في حيز فاربعين يحكم في اشارة  
اليه وهو مقطوع الاشارة لان الاسارة لو لم تقع اليه لما كان المشار اليه هو واداهوت  
الاشارة اليه فقد ساهت الاشارة عنده وفي كل موقع تقف الاشارة بقدر العقل على ان  
يعرض العدد أكثر من ذلك فيقول لو كان بين مأخذ الاشارة والمشار اليه اكبر من هذا  
العدد لكان هذا المشار اليه اعلى فيصير عليا بالاضافة لامطلقا وهو على مطلقا ولو كان  
جمعا لكان له مقدار وكل مقدار يمكن ان يعرض اكبر منه فيكون كبيرا بالنسبة الى  
غيره لامطلقا وهو كبيره المقابلة ثم قال تعالى ( قل من يرزكم من السموات والارض ) قد  
ذكرنا مرارا ان العامة يعبدون الله لالكونه الهاوايا يطلبون به شيئا وذلك اما دفع  
ضرر او جرنفع نبيه الله تعالى العامة بقوله قل ادعوا الذين زعمتم على انه لا يدفع الضرر  
احدا الا هو كما قال تعالى وان يسسك الله بضر فلا كاش له الا هو وقال بعد اتمام بيان  
ذلك قل من يرزكم من السموات والارض اشارة الى ان جرنفع ليس الابيه ومنه فاذا

قضاة مختلف وبها فعضهم ينسبونهم الى فسطاط وبعضهم الى عدنان والله تعالى اعلم ( ان في ذلك ) اى في ذلك ذكر ( ان كنتم )  
من قصتهم ( لآيات ) عطية ( لكل صبار شكور ) اى شأنه الصبر عن الشهوات ودوامى الهوى وعلى مشاق الطاعات والسكر على المم

وخصيص هؤلاء لا اله الا الله المتفعلون بها ( ولقد صدق عليهم ان ليس ظنه ) اي حق عليهم ظنه او وحده سادها وقرى بالتخفيف اي  
صدق في ظنه او صدق لظن طه ويحور ( ١٧ ) تعدية الفعل اليه نفسه لانه نوع من القول وقرى بنصب اللس ورفع الظن مع الشديدي

ان كنتم من الخواص فاعبدوه له لوه وكبريائه سواء دفع عكم ضرا او لم يدفع وسواء  
تمكم بخير او لم ينفع فان لم تكونوا كذلك فاعبدوه لدفع الضر وجرا النفع \* ثم قال تعالى  
( قل الله ) يعني ان لم يقولوا هم قل انت الله يرزق ( وههنا لطيفة ) وهى ان الله تعالى عند  
الضر ذكر انهم يقولون الله ويعترفون بالحق حيث قالوا الحق وعند النفع لم يقل انهم  
يقولون ذلك وذلك لان لهم حالة يعترفون بأن كاشف الضر هو الله حيث يقعون في الضر  
كما قال تعالى واذا مس الناس ضر دعوا ربهم مبين اليه واما عند الراحة فلا تنه لهم لذلك  
فلذلك قال قل الله اى هم حالة الراحة غافلون عن الله \* ثم قال تعالى ( وانا اواباكم على هدى  
او في ضلال مبين ) وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) هذا ارشاد من الله لرسوله الى الماظرات  
الجارية في العلوم وغيرها وذلك لان احدا الماظرين اذا قل للاخر هذا الذى تقوله خطأ  
وانت فيه مخطى بغضبه وعند الغضب لا يبق سداد الفكر وعند اختلاله لا مطمع في  
الفهم فيعوت الغرض واما اذا قل له بأن احدا لا يشك في انه مخطى والتماضى في الباطل  
قبيح والرجوع الى الحق احسن الاخلاق فجتهد ونصر ايا على الخطأ ليحترز فانه يجتهد  
ذلك الخضم في النظر ويترك التعصب وذلك لا يوجب نقصا في منزله لانه اوهم بأنه في قوله  
ذلك ويدل عليه قول الله تعالى ايبه وانا اواباكم مع انه لا يشك في انه هو الهادى وهو  
المهتدى وهم الضالون والمضلون ( المسئلة الثانية ) في قوله تعالى هدى او في ضلال مبين  
ذكر في الهدى كلمة على وفي الضلال كلمة في لان المهتدى كأنه مرتفع متسلع وذكره بكلمة  
التعلى والضال منغمس في الظلمة غريق فيها فذكره بكلمة في ( المسئلة الثالثة ) وصف  
الضلال بالمبين ولم يصف الهدى لان الهدى هو الصراط المستقيم الموصل الى الحق  
والضلال خلافه لكن المستقيم واحد وما هو غيره كله ضلال وبعضه ادين من بعض غير  
البعض عن البعض بالوصف ( المسئلة الرابعة ) قدم الهدى على الضلال لانه كان وصف  
المؤمنين المذكورين بقوله انا وهو مقدم في الذكر \* ثم قال تعالى ( قل لا نسألون عما اجرنا  
ولا نسأل عما نعملون ) اضاف الاجرام الى النفس وقال في حقهم ولا نسأل عما نعملون  
ذكر لفظ العمل لئلا يحصل الاغصاب المانع من الفهم وقوله لا نسألون ولا نسألون زيادة  
حب على النظر وذلك لان كل احدا اذا كان مؤاخذا بجرمه فاداحترز نحا ولو كان الرب  
يؤاخذ بالجرم لما كفى النظر \* ثم قال تعالى ( قل يسمع بيننا بالحق وهو الفتح  
العليم ) اكد ما يوجب الطر والتفكر فان مجرد الخطأ والضلال واجب الاجتناب  
فكيف اذا كان يوم عرض وحساب ورواب و عذاب وقوله يفتح قيل معناه يحكم ويمكن  
ان يقال بأن الفتح ههنا مجاز وذلك لان ارباب المعلق والمهد المسدود يقال فيه ففتح على  
طريق الحقيقة ثم ان الامر اذا كان فيه انغلاق وعدم وصول اليه فاذا بينه احد يكون  
قفتح وقوله وهو الفتح العليم اشارة الى ان حكمه يكون مع العلم لامل حكم من يحكم  
بما يتفق له بمجرد هواء \* ثم قال تعالى ( قل اروني الدين الحقتم به نركاء كلال هو الله العزيز  
سبيل الى حله معولا باياله لا ياتهم مع الصبر كلما ( ٣ ) ( را ) ( سا ) وكذا لا يكون لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهكم من  
جلب نفع او دفع ضر لعلمهم يستجيبون لكم ان صحت دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وأنه لا يفضل المكارة قتال ( لا علكون

يعنى وحده له صادقا وح  
التخفيف عن اهل الصدق حين  
حصل له ادعاهم ورفعهما  
والتخفيف بل الا الى ذلك  
اما طه رأى انهم اياهم  
في الشهوات اوسى آدم حين  
شاهد آدم عليه السلام قد اصى  
الى وسوسته قال ان درية اضعف  
منه عروما وقل ظن ذلك عند  
اجبار الله تعالى الملائكة ايه يجعل  
فهمان يصدقها ويسعدك انما  
وقال ولا ضللتهم ولا عويهم  
( فاتبعوه ) اى اهل ساء والناس  
( الا ارفعهم من المؤمنين ) الا ارفعهم  
هم المؤمنون لم يدعوه على ان  
من يايه وتقللهم بالانسافة  
الى الكفار او الا ارفعهم من فرق  
المؤمنين لم يدعوه وهم الخالصون  
( وما كان له عليهم من سلطان )  
اي تسلط واستبداد بالسوسة  
ولا استعوا وقول الى ( لا تعلم  
من يؤمن بالآخرة بن دونهما  
في شئ ) استثناء مفرغ من اعم  
العلل ومن موصولة اى وما كان  
تسلطه عليهم لا يتعلق علمهم  
بؤنه بالآخرة مما يميزهم عن غيرهم  
شكها لتعلقها حاليات  
الحياة والالسير لمؤمنين  
او الا يؤمن من دونه  
من صدر ضلاله و  
حصول العلم حصول معاة  
مبالغة ( ورك على كل شئ حطة )  
اي محافظ عليه فان فعلا وهما  
صعتمان متاخمتان ( فاى  
لذكرين اشهارا الى ما  
عليه وتكبر الهم  
رستم ) اى رستم  
معولا رستم  
تخفيفا لطول رستم  
والشأن اقيام صواب  
تعالى ( من دور لله ) تارة ولا

سبيل الى حله معولا باياله لا ياتهم مع الصبر كلما ( ٣ ) ( را ) ( سا ) وكذا لا يكون لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهكم من  
جلب نفع او دفع ضر لعلمهم يستجيبون لكم ان صحت دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وأنه لا يفضل المكارة قتال ( لا علكون

منقال ذرة من خير وشروفع وضر (في السموات ولا في الارض) اى فى أمر ما من الامور وذكرهما للتعميم صرنا اولان آلهتهم بعثها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام اولان الاسباب القريبة ( ١٨ ) الخيرو الشر سماوية وارضية والجهة استئناف

الحكيم) قد ذكرنا ان المعبود قديعه قوم لدفع الضرر وجع لتوقع المنفعة وقليل من الاشرف الاعزة يعبدونه لانه يستحق العبادة لذاته فلما بين انه لا يعبد غير الله لدفع الضرر ادلادافع الضرر غيره بقوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله وبن انه لا يعبد غير الله لتوقع المنفعة بقوله قل من يرزقكم من السموات والارض بين ههنا انه لا يعبد احد لاستحقاقه العبادة غير الله فقال قل ارونى الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم اى هو المعبود لذاته وانصافه بالعزة وهى القدرة الكاملة والحكمة وهى العلم التام الذى عمله موافق له \* ثم قال تعالى (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون) لما بين مسئلة التوحيد شرع فى الرسالة فقال تعالى وما ارسلناك الا كافة وفيه وجهان (احدهما) كافة اى ارساله كافة اى عامة لجميع الناس تمنعهم من الخروج عن الاقياد لها (والثاني) كافة اى ارسالك كافة تكفى الناس انت من الكفر والهاء للبالغة على هذا الوجه بشيرا اى تحثهم بالوعد ونذيرا تزجرهم بالوعيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك لان خلفاه ولكن لفقتهم \* ثم قال تعالى (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) لما ذكر الرسالة بين الحشر وقال (قل انكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) قد ذكرنا فى سورة الاعراف ان قوله لا تستأخرون يوجب الانذار لان معناه عدم المهلة عن الاجل ولكن الاستقدام ما وجهه وذكرنا هناك وجهه ونذكر ههنا انهم لما طلبوا الاستجبال بين انه لا استجبال فيه كالأعمال وهذا يفيد عظم الامر وخطر الخطب وذلك لان الامر الخفير اذا طلبه طالب من غيره لا يؤخره ولا يوقفه على وقت بخلاف الامر الخطير وفى قوله تعالى انكم ميعاد يوم قرأت (احداها) رفعها مع التنوين وعلى هذا يوم بدل (وثانيتهما) نصب يوم مع رفع ميعاد والتنوين فيها ميعاد يوما قال الزمخشري ووجهه انه منصوب بفعل محذوف كأنه قال ميعاد اعنى يوما وذلك بفيد التعظيم والتهويل ويحتمل ان يقال نصب على الظرف تقديره لكم ميعاد يوما كما يقول القائل انا جايك يوما وعلى هذا يكون العامل فيه العلم كأنه يقول لكم ميعاد تعلمونه يوما وقوله معلوم بدل عليه كقول القائل انه مقتول يوما (والسائلة) الاضافة لكم سيعاد يوم كفى قول القائل سحق ثوب للتبيين واسناد الفعل اليهم بقوله لا تستأخرون عنه بدلا عن قوله لا يؤخر عنكم زيادة تأكيد لوقوع اليوم \* ثم قال تعالى (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه) لما بين الامور الثلاثة من التوحيد والرسالة والحق وكافروا بالكل كافرين بين كفرهم العام بقوله وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن وذلك لان القرآن مشتمل على الكل وقوله ولا بالذى بين يديه المنهور انه التوراة والانجيل وعلى هذا فالذين كفروا المراد منهم المشركون المنكرون للنبوات والحق ويحتمل ان يقال ان المعنى هو اننا لا نؤمن بالقرآن انه من الله ولا بالذى بين يديه اى ولا بما فيه من الاخبارات والمسائل والآيات والدلائل وعلى هذا فالذين كفروا المراد منهم

لبيان حالهم (ومالهم) اى لا آلهتهم (فيهما من شرك) اى شركة لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا (وماله) اى الله تعالى (منهم) من آلهتهم (من ظهير) يعينه فى تدبير أمرهما (ولا تنفع الشفاعة عنده) اى لا توجد رأسا كما فى قوله \* ولا ترى الضرب بها يخجر \* لقوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا بأذنه وانما علق الذى ينفعها لا بوقوعها نصريها بنفى ما هو غرضهم من وقوعها وقوله تعالى (الا لمن اذن له) استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا تقع الشفاعة فى حال من الاحوال الا كائنه لمن اذنه فى الشفاعة من النبيين والملائكة ونحوهم من المستأهلين لقيام الشفاعة فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية اما من جهة اصنامهم فظهور انتفاء الاذن لها ضرورة استحالة الاذن فى الشفاعة لجماد لا يعقل ولا ينطق وامان جهة من يعبدونه من الملائكة فلان اذنهم مقصور على الشفاعة للمستحقين لها لقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذنه الرحمن وقال صوابا ومن البين ان الشفاعة للكفرة بمنزل من الصواب اولاتفع الشفاعة من الشفاعة المستأهلين لها فى حال من الاحوال الا كائنه لمن اذنه اى لاجله وفى شأنه من المستحقين للشفاعة وامان عداهم من غير المستحقين لها فلا تنفعهم اصلا وان فرض وقوعها وصدورها عن الشفاعة اذ لم يؤذن لهم فى شفاعتهم بل فى شفاعة غيرهم فعلى هذا ثبت حرمانهم من شفاعة هؤلاء بعبارة النص ومن شفاعة الاصنام بدلالته اذ حيث

حرموها من جهة القادرين على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلا ينحصر حرمانها من جهة العجرة عنها اولى وقرئ اذله مبينا (امموم) للفعول (حتى اذا فزع عن قلوبهم) اى قابوب الشفاعة والمشفوع لهم من المومنين واما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع بمنزل وعن

التفريع عن قلوبهم بألف منزل والتفريع ازالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع واستند الفعل الى الجار والمجرور وحتى غاية لما ينبئ عنه ما قبلها من الاشعار بوقوع الاذن لمن اذنه فانه مسبوق بالاستئذان ( ١٩ ) المستدعي الترقب والانتظار للجواب كأنه سئل كيف يؤذن

لهم فقيل يتربصون في موقف الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفزع مليا حتى اذا ازيل الفزع عن قلوبهم بعد التنبأ والتي وظهرت لهم تباشير الاجابة ( قالوا ) اى المشفوع لهم اذ هم المحتاجون الى الاذن والمهتمون بأمره ( ماذا قال ربكم ) اى فى شأن الاذن ( قالوا ) اى الشفعاء لانهم المسائرون للاستئذان بالذات المتوسطون بينهم وبينه عز وجل بالشفاعة ( الحق ) اى قال ربنا القول الحق وهو الاذن فى الشفاعة للمستحقين لها وقرئ الحق سرفوعا اى ما قاله الحق ( وهو العلى الكبير ) من تمام كلام الشفعاء بالوداع تراعى عظمة جناب العزة عز وجل وقصور شأن كل من سواه اى هو المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من اشراف الخلائق ان يتكلم الا اذنه وقرئ فزع مخففا بمعنى فرع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وقرئ فرغ الزاء المجهلة والفين المعجمة اى نفى الوجع عنها وافى من فرغ الزاد اذالم يبقى منه شئ وهو من الاسناد المجازى لان الفراغ وهو الحلو حال ظرفه عند ففاده فاستند اليه على عكس قوله جرى الزهر وعن الحسن تخفيف الراد واصله فرغ الوجع عنها اى انتهى عنها وفنى ثم حذف الفاعل واستند الى الجار والمجرور وبه يعرف حال التفريع وقرئ ارتفع عن قلوبهم بمعنى اكشف عنها ( قل من يرزقكم من السموات والارض ) امر عليه الصلاة والسلام بتبكيك المشركين بحملهم على الاقرار بأن آلهتهم لا يكون مثقال ذرة فيهما وان الرزاق هو الله تعالى فانه

العموم لان اهل الكتاب لم يؤمنوا بالقرآن انه من الله ولا بالذى فيه من الرسالة وتفصيل الحشر فان قيل أليس هم مؤمنون بالوحدانية والحشر فنقول اذالم يصدق واحدا منى الكتاب من الامور المختصة به يقال فيه انه لم يؤمن بشئ منه وان آمن ببعض ما فيه لكونه فى غيره فيكون ايمانه لا بما فيه مثاله ان من يكذب رجلا فيما يقوله فاذا أخبره بأن النار حارة لا يكذبه فيه ولكن لا يقال انه صدقه لانه انما صدق نفسه فانه كان عالما به من قبل وعلى هذا فقوله بين يديه اى الذى هو مشتمل عليه من حيث انه واد فيه \* وقوله تعالى ( ولوترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انكم كنتم مؤمنين ) لسا وقع اليأس من ايمانهم فى هذه الدار بقولهم لن تؤمن فانه لتأيد النفي وعد نبيه عليه الصلاة والسلام بانه يراهم على اذل حال موقوفين للسؤال يرجع بعضهم الى بعض القول كما يكون عليه حال جماعة اخطوا فى أمر يقول بعضهم لبعض كان ذلك بسببك ويرد عليه الآخر مثل ذلك وجواب لو محذوف تقديره ولوترى اذ الظالمون موقوفون رأيت عجبائهم بدأ بالاتباع لان المضل اولى بالتوبخ فقال يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انكم كنتم مؤمنين اشارة الى ان كفرهم كان مانعا لالعدم المقتضى لانهم لا يمكنهم ان يقولوا ما جاءنا رسول ولا ان يقولوا قصم الرسول وهذا اشارة الى اتيان الرسول بما عليه لان الرسول لو اهل شيئا لما كانوا يؤمنون ولولا المستكبرون لا آمنوا \* ثم قال تعالى ( قال الذين استكبروا الذين استضعفوا ) رد لما قالوا ان كفرنا كان مانعا ( نحن صدقناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين ) يعنى المانع ينبغي ان يكون راجعا على المقتضى حتى يعمل عمله والذى جاء به هو الهدى والذى صدر من المستكبرين لم يكن شيئا يوجب الامتناع من قبول ما جاء به فلم يصح تعليلكم بالمانع ثم بين ان كفرهم كان اجرا من حيث ان المعذور لا يكون معذورا لالعدم المقتضى او لقيام المانع ولم يوجد شئ منهما \* ثم قال تعالى ( وقال الذين استضعفوا الذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمرونا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا ) لما ذكر المستكبرون انما صدقناكم وما صدر منا ما يصلح مانعا وصارفا اعترف المستضعفون به وقالوا بل مكر الليل والنهار منعنا ثم قالوا لهم انكم وان كنتم ما اتيتم بالصارف القطعى والمانع القوى ولكن انضم امركم ايانا بالكفر الى طول الامد وامتداد المدد فكفرنا ففكان قولكم جزء السبب ويحتمل وجها آخر وهو ان يكون المراد بل مكركم بالليل والنهار محذوف المضاف اليه وقوله اذ تأمرونا ان نكفر بالله أى تنكروا ونجعل له اندادا هذابين ان المشرك بالله مع انه فى الصورة مثبت لكنه فى الحقيقة منكر لوجود الله لان من يساويه المخلوق المنحوت لا يكون الها وقوله فى الاول يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا بلفظ المستقبل وقوله فى الآيتين المتأخرتين قال الذين استكبروا وقال الذين استضعفوا بصيغة الماضى مع ان السؤال والتراجع فى القول لم يقع اشارة الى ان ذلك

لاشكروا به كينطق به قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن يلاك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله وحيث كانوا يتلغنون احيانا فى الجواب مخافة الالتزام قيل له عليه الصلاة



والسلام (قل الله) اذلا جواب سواء عندهم ايضا ( وانا اواياكم لهدى اوفى ضلال مبين) اي وان احدا الفريقين من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة والذين يشركون ( ٢٠ ) به في عبادة الجداد النازل في ادنى المراتب الامكانية

الذين هم الذين من الهدى والذين لم يبين وهذا بعد ما سبق من سرير المبلغ الناطق بتعيين من تولى الهدى ومن هو في السلال بلوغ من التصريح بذلك ليراه على سنن الانصاف المستكن للخصم اللد وقرئ وانا اواياكم انا على هدى اوفى ضلال مبين واخذوا الجارين للذين بان الله انهم كمن استعنى منارا ينظر الله به ويتطلع عليها والصالح تائه منغمس في ظلام لا يرى شيئا او محبوس في مضجعه لا يستطيع الخروج منها (فان لا يولون عما جرمنا ولا نسأل عما يعملون) وهذا بلوغ في الانصاف وابعد من الجدل والاعتساف حيث اسند فيه الاجرام وان اريد به الزلة وترك الارلى الى انفسهم ومطلق العمل الى المحاطين مع ان اعالمهم اكبر الكبار (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة عند الحشر والحساب (ثم يقم بيننا بالحق) اي يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بأن يدخل المحقن الجنة والمبطلين النار (وهو الفتاح) الحاكم الفصيل في الفضائل المتعلقة (العلم) بما ينبغي ان يعنى به (قل اروني الذين الحقتم) اي الحقنوه (به شركاء) اريد بأسرهم بارة الاصنام مع كونها بمرأى منه عليه الصلاة والسلام اظهار خطتهم العظيم واطلاعه على بطلان رأيهم اي ارونيها لانظر ماى صفة الحقنوها بالله الذى ليس كمثل شئ في استحقاق العبادة وفيه مزيد تكييت لهم بعد انزام الحجية عليهم (كلا) ودع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة (بل هو الله العزيز الحكيم) اي الموصوف بالغبية

لا بد وان يقع فان الامر الواجب الوقوع يوجد كانه وقع ألا ترى الى قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون \* ثم قال تعالى (واسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يحزون الا ما كانوا يعملون) معناه انهم يتراجعون القول في الاول ثم اذا جاءهم العذاب الشاغل يسرون ذلك التراجع الدال على الندامة وقيل معنى الاسرار الاظهار اى اظهروا الندامة ويحتمل ان يقال بأنهم لم تراجعوا في القول رجعوا الى الله بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا فعمل صالحنا احيوا وانجروا بأن لا مريد لكم وأسروا ذلك القول وقوله وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اشارة الى كيفية العذاب والى ان مجرد الرؤية ليس كافيا بل لما رأوا العذاب قطعوا بأنهم واقعون فيه فتركوا الندم ووقعوا فيه فجعل الاغلال في اعناقهم وقوله هل يحزون الا ما كانوا يعملون اشارة الى ان ذلك حقهم عدلا \* ثم قال تعالى (وما ارسلنا في قريه من نذير الا قلنا متروها انما ارسلناكم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادنا وما نحن بمعدين) تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وبيان لان ابناء الكفار الانبياء الاخيار ليس بدعابل ذلك عادة جرت من قبل وانما نسب القول الى المترفين مع ان غيرهم ايضا قالوا انما ارسلناكم به كافرون لان الاغنياء المترفين هم الاصل في ذلك القول ألا ترى ان الله قال عن الذين استضعفوا انهم قالوا للمستكبرين لو لانا انتم لكننا مؤمنين ثم استدلو على كونهم مصيبين في ذلك بكثرة الاموال والاولاد فقالوا نحن اكثر اموالا واولادنا اي بسبب لزومنا الدنيا وقوله وما نحن بمعدين اي في الآخرة كأنهم قالوا حالنا عاجلا خير من حالكم واما أحلا فلا نذهب اما انكار انهم للعذاب رأسا او اعتقادا لحسن حالهم في الآخرة ايضا قياسا \* ثم ان الله تعالى بين خطأهم بقوله (قل ان ربي يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر) يعنى ان الرزق في الدنيا لا تدل سعته وضيقه على حال الحق والمبطل فكم من مؤسر شقى ومعر شقى (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ان قرة الرزق وضنك العيش وكثرة المال وخصب العيش بالمشيئة من غير اختصاص بالفاسق والصالح \* ثم بين فساد استدلالهم بقوله (وما أموالكم ولا اولادكم بائى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون) يعنى قولكم نحن اكثر اموالا فحقن أحسن عند الله حالا ليس استدلالا صحيحا فان المال لا يقرب الى الله ولا اعتبار بالتعزبه وانما المفيد العمل الصالح بعد الايمان والذى يدل عليه هو ان المال والولد يشغل عن الله فيبعد عنه فكيف يقرب منه والعمل الصالح اقبال على الله واشتغال بالله ومن توجه الى الله وصل ومن طلب من الله شيئا حصل وقوله فأولئك لهم جزاء الضعف اي الحسنه فان الضعف لا يكون الا في الحسنه وفي السيئه لا يكون الا المثل ثم زاد وقال وهم فى الغرفات آمنون اشارة الى دوام النعيم وتأنيده فان من تنقطع عنه النعمة لا يكون آمنا \* ثم بين حال المسي بقوله (والذين يسعون فى آياتنا معاجزين) وقد ذكرنا تفسيره \* وقوله (اولئك فى العذاب محضرون) اشارة الى الدوام

التقاهرة والحكمة الباهرة فابن شركاؤكم التى هى اخس الاشياء واذلها من هذه الرتبة العالية والضمير اما ( ايضا ) الله عز وعلا اول الشأن كفى قل هو الله احد) وما ارسلناك الا كافة للناس (اي الارسلناهم امامة لهم فانها اذا عمتهم فقد كف عنهم ان يخرج منها

أحد منهم أو لا جامعاً لهم في الإبداع فهي حال من الكاف والتاء للبالغ ولا سبيل إلى جعلها حالا من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها الجبرور (بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (٢١) ذلك فيجعلهم جهلهم على ما هم عليه من الغي والضلال (ويقولون)

من فرط جهلهم وغاية غيهم (مق هذا الوعد) بطريق الاستهزاء يعنون به المبشر به والنذر عنه أو الموعود بقوله تعالى يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا (إن كنتم صادقين) مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به (قل لكم ميعاد يوم) أي وعد يوم أو زمان وعد والاضافة للتبيين وقرئ ميعاد يوم مؤنثين على البسمل ويوما بأضمار أعني للعظيم (لا تستأخرون عنه) عند مفاجأته (ساعة ولا تستقدمون) صفة لميعاد وفي هذا الجواب من المبالغة في التهديد ما لا يخفى حيث جعل الاستئثار في الاستحالة كالاستقدام المتمتع عقلاً وقد مر بيان مراراً ويجوز أن يكون نفي الاستئثار والاستقدام غير مقيد بالمفاجأة فيكون وصف الميعاد بذلك لتحقيقه وتقريره (وهال الذين كتموا لن تؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) أي من الكتب القديمة الدالة على البعث وقبل أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروهم أنهم يحدون نفعه في كتبهم فعضوا فقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيامة (ولو ترى أذا الظالمون المكرون للبعث) موقوفون عند ربهم (أي في موقف الحساب) يرجع بعضهم إلى بعض القول (أي يتحاورون ويتراجعون القول) (يقول الذين استضعفوا) بدل من يرجع إلخ أي يقول الاتباع (لدين استكبروا) في الدنيا واستضعفهم في الغي والضلال (لولا أأنتم) أي لولا اضلالكم وصدكم لنا عن الإيمان (لكننا مؤمنين) باتباع الرسول

أيضاً كما قال تعالى كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وكما قال تعالى وما هم بغائبين \* ثم قال تعالى مرة أخرى (قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) إشارة إلى أن نعيم الآخرة لا ينافي بنعمة الدنيا بل الصالحون قد يحصل لهم في الدنيا النعم مع القطع بحصول النعيم لهم في العقب بناء على الوعد قطعاً لقول من يقول إذا كانت العاجلة لنا والآجلة لهم فالقد أولى فقال هذا النقد غير مختص بكم فإن كثيراً من الأشقياء مدقعون وكثير من الأتقياء متمعون وفيه مسائل (الأولى) ذكر هذا المعنى مرتين مرة لبيان أن كثرة أموالهم وأولادهم غير دالة على حسن أحوالهم واعتقادهم ومرة لبيان أنه غير مختص بهم كأنه قال وجود الترف لا يدل على الشرف ثم إن سلنا أنه كذلك لكن المؤمنين سيحصل لهم ذلك فإن الله يملكهم دياركم وأموالكم والذي يدل عليه هو أن الله تعالى لم يذكر أن الرزق يشاء من عباده بل قال لمن يشاء ونانيا قال لمن يشاء من عباده والعباد المضافات يراد بها المؤمن ثم وعد المؤمن بخلاف مال الكافر فإن الكافر دابره مقطوع وماله إلى الزوال وما له إلى الوبال وأما المؤمن فخالقه يخلفه الله ويخلف الله خير فأن ما في يد الإنسان في معرض البوار والتلف وهما لا يتطرقان إلى ما عند الله من الخلف ثم أكد ذلك بقوله والله خير الرازقين وخيرية الرازق في أمور (أحدها) أن لا يؤخر عن وقت الحاجة (والثاني) أن لا ينقص عن قدر الحاجة (والثالث) أن لا يتركه بالحساب (والرابع) أن لا يتركه بطلب الثواب والله تعالى كذلك أما الأول فلأنه عالم وقادر والثاني فلأنه غني واسع والثالث فلأنه كريم وقد ذكر ذلك بقوله رزق من يشاء بغير حساب وما ذكرناه هو المراد أي يرزقه حللاً لا يحاسبه عليه وأربع فلأنه على كبير والثواب يطلبه الأدنى من الأعلى ألا ترى أن هبة الأعلى من الأدنى لا تقتضي ثواباً (المسألة الثانية) قوله تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه يحقق معنى قوله عليه الصلاة والسلام ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان يزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً وذلك لأن الله تعالى ملك على وهو غني ملي فاذا قال أنفق وعلى بدله فبحكم الوعد يلزمه كما إذا قال قاتل الق متاعك في البحر وعلى ضمانه فن أنفق فقد أتى بما هو شرط حصول البدل فيحصل البدل ومن لم ينفق فالزوال لازم للمال ولم يأت بما يستحق عليه من البدل فيفوت من غير خلف وهو التلف ثم إن من العجب أن التاجر إذا علم أن ماله من أمواله في معرض الهلاك يبعه نسيئة وإن كان من الفقراء ويقول بأن ذلك أولى من الإهمال إلى الهلاك فإن لم يبع حتى يهلك ينسب إلى الخطأ ثم إن حصل به كفيل ملي ولا يبيع ينسب إلى قلة العقل فإن حصل به رهن وكتب به وثيقة ولا يبيعه ينسب إلى الجنون ثم إن كل أحد يفعل هذا ولا يعلم أن ذلك قريب من الجنون فإن أموالنا كلها في معرض الروال المحقق والانفاق على الأهل والولد لأقراض وقد حصل الضامن الملي وهو الله العلي وقال تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ثم رهن

عليه الصلاة والسلام (الذين استكبروا الذين استضعفوا) استثناف مبنى على السؤال كأنه قيل فإذا مال الذين استكبروا في الجواب فقيل هالوا (أنتم ممدونكم عن الهدى أمد أذجامكم بل كنتم مجرمين) منكبين أكونهم هم الصادقون لهم عن الإيمان مثبتين أنهم هم الصادون



بأنفسهم بسبب كونهم راسخين في الاجرام ( وقال الذين استضعفوا لا الذين استكبروا ) اضربا عن اضربهم وابطالاله ( بل مكر الليل والنهار ) أى بل صدنا مكرهم بنا بالليل والنهار غخذ المضاف اليه واتي ( ٢٢ ) مقامه الظرف اساعا وجعل ليلهم ونهارهم ما كرين

على الاسناد المجازي وفري  
عند كل واحد اما راضا او بستانا او طاحونة او حاما او منفعة فان الانسان لابد من ان يكون له صنعة او جهة يحصل له منها مال وكل ذلك ملك الله وفي يد الانسان بحكم العارية فكأنه مرهون بما تكفل الله من رزقه ليحصل له الوثوق التام ومع هذا لا ينفق ويترك ماله ليتلف لا مأجورا ولا مشكورا ( المسئلة الثالثة ) قوله خير الرازيين يني عن كثرة في الرازيين ولا رازق الا الله فاجاب عنه فقوله عن جوابان ( احدهما ) ان يقال الله خير الرازيين الذين تظنونهم رازقين وكذلك في قوله تعالى وهو احسن الخالقين ( وانيهما ) هوان الصفات منها ما حصل لله وللعبد حقيقة ومنها ما يقال لله بطريق الحقيقة وللعبد بطريق المجاز ومنها ما يقال لله بطريق الحقيقة ولا يقال للعبد لا بطريق الحقيقة ولا بطريق المجاز لعدم حصوله للعبد لاحقيقة ولا صورة مثال الاول العلم فان الله يعلم انه واحد والعبد يعلم انه واحد بطريق الحقيقة وكذلك العلم يكون النار حارة غاية ما في الباب ان حله قديم وعلمنا حادث مثال الثاني الرازي والخالق فان العبد اذا اعطى غير مشيئا فان الله هو المعطى ولكن لاجل صورة العطاء منه سمى معطيا كما يقال للصورة المقوسة على الخائط فرس وانسان مثال الثالث الازلي والله وغيرهما وقد يقال في اشيائه في الاطلاق على العبد حقيقة وعلم الله مجازا كالاستواء والنزول والمعية ويد الله وجنب الله ﷻ قال تعالى ( و يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون ) لما بين ان حال النبي صلى الله عليه وسلم كحال من تقدمه من الانبياء وحال قومه كحال من تقدم من الكفار وبين بطلان استدلالهم بكثرة اموالهم واولادهم بين ما يكون عاقبة حالهم فقال ويوم نحشرهم جميعا يعني المكذبين بك ومن تقدمكم ثم نقول لمن يدعون انهم يعبدونهم وهم الملائكة فان غاية ما ترقى اليه منزلتهم انهم يقولون نحن نعبد الملائكة والكواكب فيسأل الملائكة انهم كانوا يعبدونكم اهانة لهم فيقول كل منهم سبحانك نزهك عن ان يكون غيرك معبودا وانت معبودنا ومعبد كل خلق وقولهم انت ولينا من دونهم اشارة الى معنى لطيف وهو ان مذاهب الناس مختلفة بعضهم لا يسكن المواضع المعمورة التي يكون فيها سواد عظيم لانه لا يترأس هناك فيرضى بالضباغ والبلاد الصغيرة وبعضهم لا يريد البلاد الصغيرة لعدم اجتماعه فيها بالناس وقلة وصوله فيها الى الاكياس ثم ان الفريقين جميعا اذا عرض عليهم خدمة السلطان واستخدام الارذال الذين لا التفات اليهم اصلا يختار العاقل خدمة السلطان على استخدام من لا يؤبه به ولو ان رجلا سكن جبلا ووضع بين يديه شيئا من القاذورات واجتمع عليه الذباب والديدان وهو يقول هؤلاء اتباعي واشياعي ولا ادخل المدينة مخافة ان احتاج الى خدمة السلطان العظيم والتردد اليه ينسب الى جنون فكذلك من رضى بأن يترك خدمة الله وعبادته وورضى باستتباع الهوى الذين هم اضل من البهايم واكل من الهوام يكون مجنونا فافه والانت ولينا من دونهم يعني كونك ولينا بالمعبودية اولى واحب الينا من كونهم اولياءنا بالعبادة لنا

بل مكر الليل والنهار بالتونين ونصب الظرفين اي بل صدنا مكرهم في الليل والنهار على ان التونين عوض عن المضاف اليه او مكر عظيم على انه للتخفيف وقرئ بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب اي يكررون الاعوام مكرنا دائما لا تفوتون عنه فالرفع على الفاعلية اي بل صدنا مكرهم الاغواء في الليل والنهار على ماسبق من الاتساع في الظرف باقامته مقام المضاف اليه والنصب على المصدرية اي بل يكررون مكر الليل والنهار اي مكرنا دائما وقوله تعالى ( اذنا مؤمنين ) ظرف للمكر اي بل مكرهم الدائم وقت اسرهم لنا ( ان تكسر بالله ونجعل له اندادا ) على ان المراد بمكرهم اما نفس اسرهم ماد كركا في قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا قال الحطاب المذكورين نعمة من الله تعالى واي نعمة واما امور آخر مقارنة لاسرهم داعية الى الامتثال به من الترعيب والترهيب وغير ذلك ( واسروا الندامة لما راوا العذاب ) اي اضرب الفريقان الندامة على مافعل من الضلال والاضلال وأخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعيير او اظهارها فاه من الاضداد وهو المناسب لحالهم ( وجعلنا الاعلال في اعناق الذين كفروا ) اي في اعتاقهم والاطهار في موضع الاضمار للتوبيخ بدمهم والتنبيه على موجب اسلاهم ( هل يحزون الاما كانوا يعملون ) اي لا يحزون الاحزاء ما كانوا يعملون والاباء كانوا يعملونه على نزع الحار ( وما

ارسلنا في قرية ) من القرى ( من نذير الاثال مترفوها انما أرسلتم به كفارون ) تسلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم معاهيه ( وقالوا ) من قومه من الكذب والكفر بما جاء به والمافسة بكثرة الاموال والاولاد والمساخرة بمحفوظ الدسا وخرافتها والتكبر بدلالة

على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اى الفريقين خير مقاموا حسن نديا بانه لم يرسل قطاى اهل قرية من نذير الا مال متروهم  
مثل مال مترو اهل مكة فى حقه عليه الصلاة والسلام وكادوا ( ٢٣ ) به نحو ما كادوا به عليه الصلاة والسلام وقاسوا امورا الآخرة

الموهومة والمروضة عندهم  
على امور الدنيا وزعموا هم لولم  
يكرموا على الله تعالى لما رزقهم  
طيبات الدنيا ولولا ان المؤمنين  
هانوا عليه تعالى لما حرمهموها  
وعلى ذلك رأى الرىك بنو  
احكامهم ( وقالوا نحن اكثر  
اموالا ولا دوا من نحن بمعددين )  
امامنا على انتقاء العذاب الاخرى  
رأسا وعلى اعتقاده تعالى اكرمهم  
فى الدنيا فلا يشبههم فى الآخرة  
على تقدير وقوعها ( قل ) رداعليهم  
وحسنا لمادة طمعهم انفسارغ  
وتحقيقا للحق الذى عليه يدور  
امرا الكون ( ان رى بسط الرزق  
لن يشاء ) ان يسقطه ( ويقدر )  
على من يشاء ان يقدره عليه من  
غير ان يكون لاحد من الفريقين  
داع الى ما فعل به من البسط  
والقدر فرما يوسع على العاصى  
ويضييق على المطيع وربما يمسك  
الاسر وربما يوسع عليهما معا وقد  
يضييق عليهما وقد يوسع على  
ضعف تارة ويضييق عليه اخرى  
ينزل كلام من ذلك حسما تقضيه  
منيته المبنية على الحكم البالغة  
فلا يقاس على ذلك اسر السواب  
والعذاب اللذين مناطهما الطاعة  
وعدمها وقرئ ( ويقدر ) بالتشديد  
( ولكن اكثر الناس لا يعلمون )  
ذلك فيزعمون ان مدار البسط  
هو النور والكرامة ومدار  
القدر هو الهوان ولا يدرون  
ان الاول كثيرا ما يكون بطريق  
الاستدراج والشاى بطريق  
الابتلاء ورفع الدرجات ( وما  
اموالكم ولا اولادكم بالى تقر بكم  
عدما زنى ) كلام مستأنف  
من جهته غر وعلى خطوب به  
الناس بطريق التلوين والانتفات

وقالوا بل كانوا يعبدون الجن اى كانوا يتقادون لامر الجن فهم فى الحقيقة كانوا  
يعبدون الجن ونحن كنا كالقابلة لهم لان العبادة هى الطاعة وقوله تعالى اكثرهم  
بهم مؤمنون لوقال قائل جميعهم كانوا تابعين للشياطين فواجه قوله اكثرهم بهم  
مؤمنون فانه يبنى ان بعضهم لم يؤمن بهم ولم يطع لهم نقول الجواب عنه من وجهين  
( احدهما ) ان الملائكة احتزوا عن دعوى الاحاطة بهم فقالوا اكثرهم لان الذين رأوهم  
واطلعوا على احوالهم كانوا يعبدون الجن ويؤمنون بهم ولعل فى الوجود من لم يطلع  
الله الملائكة عليه من الكفار ( الثانى ) هو ان العبادة عمل ظاهر والايمان عمل باطن  
فقالوا بل كانوا يعبدون الجن لا اطلاعهم على اعمالهم وقالوا اكثرهم بهم مؤمنون عند  
هل القلب اثلا يكونوا مدعين اطلاعهم على ما فى القلوب فان القلب لا اطلاع عليه الا الله  
كما قال تعالى انه علم بذات الصدور سم بين ان ما كانوا يعبدونه لا ينفعهم فقال ( فالقوم  
لا يملك بعضهم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها  
تكذبون ) وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) الخطاب بقوله بعضهم مع من نقول يحتمل ان  
يكون مع الملائكة لسبق قوله تعالى أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وعلى هذا يكون ذلك  
تكيلا للكافرين حيث بين لهم ان معبودهم لا ينفع ولا يضر ويصحح هذا قوله تعالى  
لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولانه  
قال بعده ونقول للذين ظلموا ذوقوا فآزدهم ولو كان الخطاب بهم الكفار لقال فذوقوا  
وعلى هذا يكون الكفار داخلين فى الخطاب حتى يصح معنى قوله بعضهم لبعض اى  
الملائكة للكفار<sup>١</sup> والحاضر الواحد يجوز ان يجعل من يشاركه فى امر مخاطبا بسببه كما  
يقول القائل لواحد حاضر له شريك فى كلام انتم قلتم على معنى انت قلت وهم قالوا ويحتمل  
ان يكون معهم الجن اى لا يملك بعضهم لبعض ايها الملائكة والجن واذا لم تملكوها  
لانفسكم فلا تملكوها لغيركم ويحتمل ان يكون الخطاب هم الكفار لان ذكر اليوم يدل على  
حضورهم وعلى هذا فقوله ونقول للذين ظلموا انما ذكره تأكيد لبيان حالهم فى الظلم  
وسبب نكالهم من الانم ولو قال فذوقوا عذاب النار لكان كاميا لكنه لا يحصل ماد كرا  
من الفائدة فانهم كلما كانوا يسمعون ما كانوا عليه من الظلم والعناد والام والفساد  
يتحصرون ويندمون ( المسئلة الثانية ) قوله نفعا مفيد للحسرة واما الضر فالفائدة فيه  
مع انهم لو كانوا يملكون الضر لما نفع الكافرين ذلك فقول لما كانت العبادة تقع لدفع  
ضر العبود كما يعبد الجبار ويخمد مخافة شره بين انهم ليس فيهم ذلك الوجه الذى  
يحسن لاجله عبادتهم ( المسئلة الثالثة ) قال ههنا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون وقال فى  
السجدة عذاب النار الذى كنتم به جعل المكذب ههناك العذاب وجعل المكذب ههنا  
النار وهم كانوا يكذبون بالكل والفائدة فيها ان هناك لم يكن أول مارأوا النار بل كانوا  
هم فيها من زمان بدليل قوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم

مبالغة فى تحقيق الحق وتقرير ما سبق اى وما جاعة اموالكم واولادكم بالجماعة التى تقر بكم عدنا قرية فان الجمع المكسر عقلاؤه  
غير عقلاؤه سواء فى حكم التأثت اوبالحصلة التى تقر بكم وقرئ بالذى اى بالشئ الذى ( الامن آمن وعمل صالحا ) استثناء من

ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون اى العذاب المؤبد الذي انكرتموه بقولكم لن  
تمسنا النار الا اياما معدودة اى قلتم ان العذاب ان وقع فلا يدوم فذوقوا الدائم وهما  
اول ما رواه البار لانه مذكور عقيب الحشر والسؤال فقيل لهم هذه النار التي كنتم بها  
تكذبون ثم قال تعالى (واداتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم  
عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا  
سحر مبين) اظهرا لفساد اعتقادهم واشتداد عنادهم حيث بين ان اعلى من يعبدونه وهم  
الملائكة لا يتأهل للعبادة لذواتهم كما قالوا سبحانه انت ولينا اى لا اهلية لنا الا لآبادتك  
من دونهم اى لا اهلية لنا لان نكون معبودين لهم ولالفع اوضح كما قال تعالى فاليوم  
لاملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ثم مع هذا كله اذا قال لهم النبى عليه السلام كلاما من  
التوحيد وتلا عليهم آيات الله الدالة عليه قال الله فى كل شئ آيات داله على وحدانيته  
امكروها وقالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم يعنى يعارضون  
البرهان بالتقليد وقالوا ما هذا الا افك مفترى وهو يحتمل وجوها (احدها) ان يروى  
المراد ان القول بالوحدانية افك مفترى ويدل عليه هو ان الموحد كان يقول فى حق  
المسرك انه يأك كما قال تعالى فى حقهم اُنسكا آلهة دون الله تريدون وكما قالوا هم للرسول  
اجتنبنا لتأفكنا عن آلهتنا (وانها) ان يكون المراد ما هذا الا افك اى القرآن افك وعلى  
الاول يكون قوله وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الاسحر مبين اشارة الى  
القرآن وعلى الثانى يكون اشارة الى ما أتى به من المعجزات وعلى الوجهين فقوله تعالى  
وقال الذين كفروا بدلا عن ان يقول وقالوا للحق هو ان انكار التوحيد كان مختصا  
بالمشركين واما انكار القرآن والمعجزات كان متفقا عليه بين المشركين واهل الكتاب فقال  
تعالى وقال الذين كفروا للحق على وجه العموم ثم قال تعالى (وما آتيناكم من كتب  
يدرسونها وما ارسلنا اليهم فلک من نذير وكذب الدين من قلمهم وما اعوا معشائر  
ما آتيناكم فكذبوا رسلی فكيف كان نكير) وما ارسلنا اليهم فلک من نذير تأ كيد لبيان  
تقليدهم يعنى يقولون عند ما أتى عليهم الآيات البينات هذا رجل كاذب وقولهم افك  
مفترى من غير برهان ولا كتاب انزل عليهم ولا رسول ارسل اليهم فالآيات البينات  
لا تعارض الا بالبراهين العقلية ولم يأتوا بها وبالقلبيات وما عندهم كتاب ولا رسول غيرك  
القول المعبر آيات من كتاب الله او خبر رسول يمين انهم كالذين من قلمهم كذبوا بل  
الاولى قوله تعالى وما نلوا معشائر ما آتيناكم قال الضمرون معاش وما بلغ هؤلاء  
سراون ما آتينا المتقدمين من القوة والعمه وطول العمر ثم ان الله اخذهم  
عهدهم انهم انما يأتونهم فكيف حال هؤلاء الضعفاء وعدى يحتمل ذلك وجها آخر وهو ان  
المراد وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشائر ما آتيناكم اى الذين من قبلهم ما بلغوا  
معشائر ما آتينا قوم محمد من البيان والبرهان وذلك لان كتاب محمد عليه السلام اكل

من والجمع باعتبار معاها كائن  
الافراد في العليين باعتبار لفظها  
وما فيه من معنى البعد مع قرب  
العهد المشار اليه للايدان تعاو  
رتتهم وبعد مدلتهم في الفضل  
اى فأولئك المتعوقون بالايام  
والعمل الصالح (لهم جزاء  
الضعف) اى ثابت لهم ذلك على  
ان الحار والمحروور خير للمعده  
والجمله خير لاولئك وفيه  
ناكيد لتكرار الاسماء او اثبتت  
لهم ذلك على ان الحار والمحروور  
حرراً لاولئك وما معده مرتفع على  
الصاعية واضافة الحراء الى  
الضعف من اضافته المصدر الى  
المفعول اصله فأولئك لهم ان  
يبحاروا الضعف ثم جراء الضعف  
ثم جراء الضعف ومعناه ان  
تقتناعهم لهم حسناتهم الواحده  
عمرها فاموقعها وقرئ جراء  
الضعف على فأولئك لهم الضعف  
جراء وجراء الضعف على ان  
يبحاروا الضعف وجراء الضعف  
بالرفع على ان الضعف بدل من  
جراء (بما عملوا) من الصالحات  
(وهي في العرفات) اى عرفات  
الجنة (أمنون) من جميع المكاهه  
وقرئ يعنى الزاء وسكو بها  
وقرئ في العرفه على اراده  
الحسن (والدين يسعون في  
آياتنا) بالرد والطعن فيها  
(معاصرين) سابقين لانياس  
واوزاعين الهم يقوتون (اولئك  
ما عملوا عليه نفعاً (فلان ربي  
يسيطر الزقق بل يشاء من عباده)  
اى يوسع عليه تارة (يسرله)  
اى يضيقه عليه تارة اخرى  
نحو الفقر والعقوف في سائل الله  
وبعضوا لصحابة دعاء (وما  
انفقتم من شئ فهو خسر) - وشا  
اما عاجلاً واما آجلاً (وهو خير  
الرايين) فان غيره و... في  
اخصال رفق لاحتقه لرايه

وامى الح واقناطالهم عما علموا به اطباعهم الفارغة من شفاعتهم ونخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولا عبادهم مبدأ الشرك فيظهور قصورهم ( ٢٥ ) عن رتبة العبودية وتترهم عن عبادتهم يظهر حال سائر شركائهم بطريق الاولوية

وقرى الععلان بالنون ( قالوا )

استضاف مبنى على سؤال نشأ

من حكاية سؤال الملائكة كأنه

قيل هذا يقول الملائكة حينئذ

رلى يقولون متزهين عن ذلك

( سبحانك انت ولبنانم دونهم )

والعدول الى صيغة الماضي للدلالة

على التحقيق اى انت الذى تواليه

من دونهم لاموالاء بيننا وبينهم

كانهم ينووا بذلك براءتهم من

الرضا بعبادتهم مضربوا عن

ذلك ونفوا انهم عبدوهم حقيقة

بعولهم ( بل كانوا يعبدون الجن )

اى الشياطين حيث اطاعوهم فى

عبادة عباد الله سبحانه وتعالى وقيل

كانوا يتنولون لهم ويغيبون لهم

انهم الملائكة فيعبدونهم وقيل

يدخلون اجواف الاصنام اذا

عبدت فيعبدون بعبادتها

( اكثرهم بهم مؤمنون ) الصير

الاول للانس او للمشركين

والاكثر بمعنى الكل والثاني

للجن ( فالיום لا يملك بعضكم

لبعض سمعا ولا بصر ) من جهة

ما يقال للملائكة عند جواهرهم

بالنزه والتبرؤ عما نسب اليهم

الكفرة يخاطبون بذلك صلى

رؤس الاشهاد اظهارا للجزم

وقسورهم عند عبادتهم

وتصبيصا على ما يوجب خيبة

رجائهم بالكلية والفاء ليست

لترتيب ما بعدها من الحكم على

جواب الملائكة فانه محقق اجابوا

بذلك ام لال لترييب الاخبار به

عليه ونسبه عدم النفع والضر

الى البعض المبهم لليلة فهاهو

المقصود الذى هو بان عدم نفع

الملائكة للعبدة بطلبه فى سائر

عدم نفع العبدة لهم كأن نفع

الملائكة لعبدهم فى الاستحالة

من سائر الكتب واوضح ومحمد عليه السلام افضل من جميع الرسل وافصح وبرهانه اوفى

وبانه اشفى من ان المتقدمين لما كذبوا بما جاءهم من الكتب وبمن اناهم من الرسل انكر

عليهم وكيف لا ينكر عليهم وقد كذبوا بافصح الرسل واوضح السبل ويؤيد ما ذكرنا من

المعنى قوله تعالى وما آتيناهم من كتب يدرسونها يعنى غير القرآن ما آتيناهم كتابا وما

أرسلنا اليهم قبلك من نذير فلما كان المؤتى فى الآية الاولى هو الكتاب فحمل الالباء فى

الآية الثانية على اتياء الكتاب اولى \* ثم قال تعالى ( قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا

لله منى وفراى تم تفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب

شديد ) ذكر الاصول الثلاثة فى هذه الآية بعدما سبق منه تقريرها بالدلائل فقوله ان

تقوموا لله اشارة الى التوحيد وقوله ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم اشارة الى

الرسالة وقوله بين يدي عذاب شديد اشارة الى اليوم الاخر وفى الآية مسائل ( الاولى )

قوله انما اعظكم بواحدة يقتضى أن لا يكون الا بالتوحيد والايمان لا يتم الا بالاعتراف

بالرسالة والخسر فكيف يصح الحصر المذكور بقوله انما اعظكم بواحدة فقول

التوحيد هو المقصود ومن وحد الله حق التوحيد ينسرح الله صدره ويرفع فى الآخرة

قدره فالتبى صلى الله عليه وسلم أمرهم بما يفتح عليهم أبواب العبادات ويهيئ لهم أسباب

السعادات وجواب آخر هو ان النبى صلى الله عليه وسلم ما قال انى لا آمركم فى جميع

عمرى الا بشئ واحد وانما قال اعظكم أولا بالتوحيد ولا آمركم فى أول الامر بغيره لانه

سابق على الكل وبدل عليه قوله تعالى تم تفكروا فان التفكير أيضا صار مأمورا به

وموعوظا ( المسئلة الثانية ) قوله بواحدة قال المفسرون أنها على انها صفة خصلة أى

اعظكم بخصلة واحدة ويحتمل أن يقال المراد حسنة واحدة لان التوحيد حسنة

واحسان وقد ذكرنا فى قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان ان العدل نفي الالهية

عن غير الله والاحسان اثبات الالهية له وقيل فى تفسير قوله تعالى هل جزاء الاحسان

الا الاحسان أن المراد هل جزاء الايمان الاجنان وكذلك يدل عليه قوله تعالى ومن

احسن قولامن دعا الى الله ( المسئلة الثالثة ) قوله منى وفراى اشارة الى جميع الاحوال

فان الانسان اما ان يكون مع غيره أو يكون وحده فاذا كان مع غيره دخل فى قوله منى

واذا كان وحده دخل فى قوله فراى فكأنه يقول تقوموا لله مجتمعين ومنفردين لا تمنعكم

الجمعية من ذكر الله ولا يحوجكم الانفراد الى معين يعينكم على ذكر الله ( المسئلة الرابعة )

قوله تم تفكروا يعنى اعترفوا بما هو الاصل والتوحيد ولا حاجة فيه الى تفكر ونظر

بعد ما بان وظهر تم تكروا فيما أقول بعده من الرسالة والخسر فانه يحتاج الى تفكر وكاة

تم تفكر ما ذكرنا فانه قال ان تقوموا لله تم تفكروا م بين ما تفكرون فيه وهو أمر النبى

عليه السلام فقال ما بصاحبكم من جنة ( المسئلة الخامسة ) قوله ما بصاحبكم من جنة

يفيد كونه رسولا وان كان لا يلزم فى كل من لا يكون به جنة أن يكون رسولا وذلك لان

لعدم الصرمع انه لا بحث عنه اصلا اما التعميم ( ٤ ) ( را ) ( سا ) الجزم لاجل عدم النفع على تقدير العبادة وعدم الضرر على تقدير

تركها اولان المراد دفع الضرر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بدلات اليوم مع سوته على الاطلاق لانقاذ رجائهم على تحقيق النفع

تركها اولان المراد دفع الضرر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بدلات اليوم مع سوته على الاطلاق لانقاذ رجائهم على تحقيق النفع

تركها اولان المراد دفع الضرر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بدلات اليوم مع سوته على الاطلاق لانقاذ رجائهم على تحقيق النفع

تركها اولان المراد دفع الضرر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بدلات اليوم مع سوته على الاطلاق لانقاذ رجائهم على تحقيق النفع

تركها اولان المراد دفع الضرر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بدلات اليوم مع سوته على الاطلاق لانقاذ رجائهم على تحقيق النفع

تركها اولان المراد دفع الضرر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بدلات اليوم مع سوته على الاطلاق لانقاذ رجائهم على تحقيق النفع

تركها اولان المراد دفع الضرر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بدلات اليوم مع سوته على الاطلاق لانقاذ رجائهم على تحقيق النفع

يومئذ وقوله عز وجل ( ونقول للذين ظلموا ) عطف على نقول لللائكة لا على لايمان كما قيل فانه مما يقال يوم القيامة خطابا لللائكة مترتبا على جوابهم الحق وهذا حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ( ٢٦ ) لما سيقال للعبدة يومئذ ان حكاية ما سيقال لللائكة اي

يومئذ يحشرهم جميعا نقول لللائكة كذا وكذا ويقولون كذا وكذا ونقول للمشركين ( ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ) يكون من الاحوال والاحوال ما لا يحيط به نطاق المقال وقوله تعالى ( واذننى عليهم آياتنا بينات ) بيان لبعض آخر من كفرانهم اى اذاتلى عليهم بلسان الرسول عليه الصلاة والسلام آياتنا الناطقة بحقيقة التوحيد وبطلان الشرك ( فالواما هذا ) يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم ( الارجل يريدان بصدرك عما كان يعبد آباءكم ) فيستبعضكم بما يستدعيه من غير ان يكون هناك دين الهى واصافه الالباء الى الحاطبين لا الى انفسهم لتحريك عرق العصية منهم مبالغة في تهريهم على الشرك وتغهيرهم عن التوحيد ( وقالوا ما هذا ) يعنون القرآن الكريم ( الا انك اى كلام مصروف عن وجهه لا مصداق له في الواقع ) ( مفترى ) باسناد الى الله تعالى ( وقال الذين كفروا الحق اى لا سر النبوة او الاسلام او القرآن على ان العطف لاختلاف العنوان بأن يراد بالاول معناه وبالثانى نظمه الجبر ( لما جاءهم ) من غير تدبر ولا تأمل فيه ( ان هذا الا سحر مبین ) ظاهر سحرته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامعين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المسارعة الى البت بهذا القول الباطل انكار عظيم له وتجبيل بلسانه ( وما يتناهى من كتب يدرسونها ) فهاديل على صحة الاشراك كما في قوله تعالى اما انزلنا عليهم اظلاما فهو

النبي عليه السلام كان يظهر منه أشياء لانكون مقدورا للبشر وغير البشر من تظاهر منه العجائب اما الجن أو الملك وادالم يكن الصادر من النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة الجن يكون بواسطة الملك أو بقدره الله تعالى من غير واسطة وعلى التقديرين فهو رسول الله وهذا من أحسن الطرق وهو أن يثبت الصفة التي هي أشرف الصفات في البشر ينفي أخس الصفات فانه لو قال أولا هو رسول الله كانوا يقولون فيه النزاع فاذا قال ما هو مجنون لم يسعهم انكار ذلك لعلمهم بعلو شأنه وحاله في قوة لسانه وناله فاذا ساعدوا على ذلك زمتهم المسئلة ولهذا قال بعده ان هو الا نذير يعنى اما هو به جنة أو هو رسول لكن تين انه ليس به جنة فهو نذير ( المسئلة السادسة ) قوله بين يدي عذاب شديد اشارة الى قرب العذاب كأنه قال ينذركم بعذاب حاضر بمسكم عن قريب بين يدي العذاب اى سوف أتى العذاب بعده ثم قال تعالى ( قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله وهو على كل شىء شهيد ) لما ذكر أنه ما به جنة ليلزم منه كونه نبيا ذكر وجها آخر يلزم منه انه نبي اذالم يكن مجنونا لان من يرتكب العناء الشديد لا لغرض عاجل اذالم يكن ذلك فيه نواب أخروي يكون مجنونا فالنبي عليه السلام بدعواه النبوة يجعل نفسه عرضة للهلاك عاجلا فان كل أحد يقصده ويعاديه ولا يطلب أجر في الدنيا فهو يفعل للآخرة والكاذب في الآخرة معذب لامتاب فلو كان كاذبا لكان مجنونا لكنه ليس بمجنون فليس بكاذب فهو نبي صادق وقوله وهو على كل شىء شهيد تقرير آخر للرسالة وذلك لان الرسالة لا تثبت الا بالدعوى والبيئة بأن يدعى شخص النبوة ويظهر الله له المعجزة فهي بيئة شاهدة والتصديق بالفعل يقوم مقام التصديق بالقول في افادة العلم بدليل أن من قال لقوم اتى مرسل من هذا الملك اليكم أنزمتكم قبول قولى والملك حاضر ناظر ثم قال للملك أيها الملك ان كنت انارسولك اليهم فقل لهم اتى رسولك فاذا قال انه رسولى اليكم لا يبقى فيه شك كذلك اذا قال يا أيها الملك ان كنت انارسولك اليهم فالبسنى قبائك فلو ألبسه قباءه في عقب كلامه يجزم الناس بأنه رسوله كذلك حال الرسل اذا قال الانبياء لقومهم نحن رسل الله ثم قالوا يا الهنا ان كنارسلك فأنطق هذه الحجارة وانت سر هذا الميت ففعله حصل الجزم بأنه رسوله ثم قال تعالى ( قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب ) وفيه وجهان ( أحدهما ) يقذف بالحق في قلوب المحققين وعلى هذا الوجه لاية بما قبلها تتعلق وذلك من حيث ان الله تعالى لما بين رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان هو الا نذير لكم وأكد بقوله قل ما سألتكم من أجر فهو لكم وكان من عادة المشركين استبعاد تخصيص واحد من بينهم بائزال الذكر عليه كما قال تعالى عنهم أنزل عليه الذكر من بيننا ذكر ما يصلح جوابا لهم فقال قل ان ربي يقذف بالحق أى في القلوب اشارة الى أن الامر يريده يفعل ما يريد ويعادى ما يشاء لمن يشاء ثم قال تعالى علام الغيوب اشارة الى الجواب سؤال فاسديذكر عليه وهو ان من يفعل شيئا كما يريد من غير اختصاص محل الفعل بشىء لا يوجد في غيره لا يكون عالما وانما فعل ذلك اتافا كما

يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى اما آياتناهم كتابا من قبله فهم به مستسكون وقرئ يدرونها ويدسونها بقصد الدال ( اذا ) متعلون من الدرس ( وما ارسلنا اليهم قبلا من نذير ) يدعوهم اليه ويذهرهم بالعقاب ان لم يتركوا وقد بان من قبل ان لا وجه له بوجه من

الوجوه من ابن ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرأيهم ثم هددهم بقوله تعالى ( وكذب الذين من قبلهم ) من الأمم المتقدمة والقرون الحالية كما كذبوا ( وما تلغوا معشار ( ٢٧ ) ما آتيناهم ) أي ما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من القوة وطول العمر

وكثرة المال أو ما بلغ أولئك عشر

ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى

( فكذبوا رسلي ) عطف على

كذب الذين الخ بطريق التفصيل

والنفسير كقوله تعالى كذبت

قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا

الخ ( فكيف كان تكذيب ) أي

استكاري لهم بالنسبة فليحذر

هؤلاء من مثل ذلك ( قل إنما

اعظيكم بواحدة ) أي ما ارشدكم

واضح لكم الاخصصة واحدة

هي ما دل عليه قوله تعالى ( إن

تقوموا لله ) على انه يدل منها أو

بيان لها أو خبر مبتدأ محذوف

أي هي أن تقوموا من مجلس رسول

الله صلى الله عليه وسلم أو تنصبا

للأمر خالصا لوجه الله تعالى

معرضا عن المماراة والتقليد مثنى

وفرادى ) أي منفردين اثنين اثنين

واحدا واحدا فإن الأزدحام

يشوش الأفكار ويخلط الأفكار

بالأزدحام وفي تقديم مثنى ايدان

بأنه أو تقي واقرب إلى الاطمئنان

( ثم تنكروا ) في إسرء عليه الصلاة

والسلام وما جاء به لعلوا حقيقته

وحقيقته وقوله تعالى ( ما بصاحبكم

من جنة ) استئناف مسوق من

جهته تعالى للتنبيه على طريقة

النظر والتأمل بأن مثل هذا

الأمر العظيم الذي تحته ملائكة الدنيا

والآخرة لا يتصدى لأدائه إلا

بجنون لا يبالي باقتضاه عند

مطالبته بالبرهان وظهور مجزه

أو مؤيد من عند الله مرشح للنبوة

واقف بحجته وبرهانه وأد مد

عام انه عليه الصلاة والسلام

أرحم العالمين عقلا وأصدقهم

قولا وأزهدهم نفسا وأفضلهم

علما وأحسنهم عملا وأجمعهم

الكلمات البشرية وجب أن

تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم

إذا أصاب السهم موضعا دون غيره مع تسوية الموضع في المحاذاة فقال يقذف بالحق كيف يشاء وهو عالم بما يفعلوه عالم بعواقب ما يفعلوه فهو يفعل ما يريد لا كما يفعل الهاجم العاقل عن العواقب انه هو علام الغيوب ( الوجه الثاني ) ان المراد منه هو انه يقذف بالحق على الباطل كما قال في سورة الانبياء بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه وعلى هذا تعلق الآية بما قبلها ايضا ظاهر وذلك من حيث ان براهين التوحيد لما ظهرت وشبههم دحضت قال قل ان ربي يقذف بالحق أي على باطلكم وقوله علام الغيوب على هذا الوجه له معنى لطيف وهو ان البرهان الباهر المعقول النفاهر لم يعم الا على التوحيد والرسالة واما الحشر فعلى وقوعه لا برهان غير اخبار الله تعالى عنه وعن احواله وهو الهولولا بيان الله بالقول لما بان لاحد بخلاف التوحيد والرسالة فلما قال يقذف بالحق أي على الباطل إشارة الى ظهور البراهين على التوحيد والنبوة قال علام الغيوب أي ما يخبره عن الغيب وهو قيام الساعة واحوالها فهو لا خلف فيه فان الله علام الغيوب والآية تحتل تسيرا آخر وهو ان يقال ربي يقذف بالحق أي ما يقذفه يقذفه بالحق لا بالباطل والباء على الوجهين الاولين متعلق بالمفعول به أي الحق مقذوف وعلى هذا الباء فيه كالباء في قوله وقضى بينهم بالحق وفي قوله فاحكم بين الناس بالحق والمعنى على هذا الوجه هو ان الله تعالى قذف ما قف في قلب الرسل وهو علام الغيوب يعلم ما في قلوبهم وما في قلوبكم \* ثم قال تعالى ( قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعبد ) لما ذكر الله انه يقذف بالحق وكان ذلك بصيغة الاستقبال ذكر ان ذلك الحق قد جاء وفيه وجوه ( احدها ) انه القرآن ( الثاني ) انه بيان التوحيد والحشر وكل ما ظهر على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ( الثالث ) المعجزات الدالة على نبوة محمد عليه السلام ويحتمل ان يكون المراد من جاء الحق ظهر الحق لأن كل ما جاء فقد ظهر والباطل خلاف الحق وقد بينا ان الحق هو الموجود ولما كان ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكن انتفاؤه كالتوحيد والرسالة والحشر كان حقا لا ينتفى ولما كان ما يأتون به من الاشرار والتكذيب لا يمكن وجوده كان باطلا لا يثبت وهذا المعنى يفهم من قوله وما يبدئ الباطل أي الباطل لا يفيد شيئا في الاولى ولا في الآخرة فلا يمكن لوجوده اصلا والحق المأني به لا عدم له اصلا وقيل المراد لا يبدئ الشيطان ولا يعبد وفيه معنى لطيف وهو ان قوله تعالى قل ان ربي يقذف بالحق لما كان فيه معنى قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه كان يقع لتوهم ان الباطل كان فورده عليه الحق فأبطاله ودمغه فقال ههنا ليس للباطل تحقق اولا وآخر وانما المراد من قوله فيدمغه أي فيظهر بطلانه الذي لم يزل كذلك واليه الإشارة بقوله تعالى في موضع آخر وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا يعني ايسر امرا متجددا زهوق الباطل فقوله وما يبدئ الباطل أي لا يثبت في الاول شيئا خلاف الحق ولا يعبد أي لا يعبد في الآخرة شيئا خلاف الحق \* ثم قال تعالى ( قل ان ضللت فأنما أضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الى ربي انه سميع قريب )

الى ذلك معجزات نزلها هم الجبال ويجوز ان يتعلق بما قبله على معنى ثم تنكروا فعملوا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز ان تكون ما استفهامية على معنى ثم تنكروا أي شيء به من آثار الجنون ( ان هو الا انذار لكم بأن يدي عذاب شديد ) هو عذاب الآخرة فانه عليه



الصلاة والسلام مبعوث في نسمة الساعة ( قل ما سألتكم من أجر ) اي اى شئ سألتكم من اجر على الرسالة ( فهو لكم ) والمراد نبي السؤال رأسا كقول من قال ان لم يعطه شيئا ان اعطيتنى ( ٢٨ ) شيئا فخذة وقيل ماموصولة اريد بهاماسا لهم بقوله تعالى ما سألتكم

عليه من اجر الا ان شاء ان يغتذ الى ربه سبيلا وقوله تعالى لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل اليه تعالى منفعتهم الكبرى وقرباه عليه الصلاة والسلام قرباهم ( ان اجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد ) مطلع يعلم صدق وخلص نبي وقرى ان اجرى بسكون الياء ( قل ان ربي يقذف بالحق ) اي يلقيه وينزله على من يحنينه من عباده او يرمي به الباطل فيدفعه او يرمي به في اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام واعلاء كلمة الحق ( علام الغيوب ) صفة محمولة على محل ان واسمها او يدل من المستكن في يقذف او خبرنا ان لان او خبر مبتدأ محذوف وقرى بالنصب صفة لربى او مقدر باغنى وقرى بكسر الغين وبالفتح كعبور مبالغة غائب ( قل جاء الحق ) اي الاسلام والتوحيد ( وما يبدئ الباطل وما يعيد ) اي زهق الشرك بحيث لم يبق اثره اصلا مأخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا إعادة فيجعل مثلا في الهلاك بالمرءة ومنه قول عبيد اقمر من اهل عبيد \* فليس يمدى ولا يعيد ، وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيد ولا يبدئ خيرا الا الله ولا يعيد وقيل ما استفهامية منصوبة بما بعدها ( قل ان ضلالت عن الطريق الحق ) فانما اضل على نفسى ) فان وبال ضلالى علمها لانه يسبها اذهى الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قبول الشريعة بقوله تعالى ( وان اهتديت فبما يوحي الربي ) لان الاهتداء بهدائه

هذا فيه تقرير الرسالة ايضا وذلك لان الله تعالى قال على سبيل العموم من اعتدى فلنفسه وقال في حق النبي صلى الله عليه وسلم وان اهتديت فبما يوحي الى ربي يعنى ضلالى على نفسى كضلالتكم واما اهتدائى فليس بالنظر والاستدلال كاهتدائكم وانما هو بالوحي المبين وقوله انه سميع اي يسمع اذا ناديته واستعديت به عليكم قريب بآتيكم من غير تأخير ليس كن يسمع عن بعد ولا يلحق الداعى \* ثم قال تعالى ( ولوترى اذ فرعوا فلا فوتوا ) واخذوا من مكان قريب ) لما قال سميع قال هو قريب فان لم يعذب عاجلا ولا يعين صاحب الحق في الحال فيوم الفرع آت لا فوات وانما يستجمل من يخاف الفوت وقوله ولوترى جوابه محذوف اي ترى عجايا واخذوا من مكان قريب لا يهربون وانما لاخذ قبل تمكنهم من الهرب \* ثم قال تعالى ( وقالوا آمنا به ) اي بعد ظهور الامر حيث لا ينفع ايمان قالوا آمنا ( واني لهم التنووش ) اي كيف يقدر ان على الظفر بالمطلوب وذلك لا يكون الا في الدنيا وهم في الآخرة والدنيا من الآخرة بعيدة فان قيل فكيف قال في كثير من المواضع ان الآخرة من الدنيا قريبة ولهذا سماها الله الساعة وقال لعل الساعة قريب نقول الماضى كالامس الدابر بعد ما يكون اذلا وصول اليه والمستقبل وان كان بينه وبين الحاضر سنين فانه آت فيوم القيامة الدنيا بعيدة لمضيها وفي الدنيا يوم القيامة قريب لآتيانه والتنووش هو التناول عن قرب وقيل عن بعد ولما جعل الله الفعل مأخوذا كالجسم جعل ظرف الفعل وهو الزمان كظرف الجسم وهو المكان فقال ( من مكان بعيد ) والمراد ماضى من الدنيا \* ثم بين الله تعالى ان ايمانهم لا تنفع فيه بسبب انهم كفروا به من قبل والاشارة في قوله آمنا به \* وقوله ( وقد كفروا به من قبل ) الى شئ واحد اما محمد عليه الصلاة والسلام واما القرآن واما الحق الذى أتى به محمد عليه السلام وهو اقرب واولى \* وقوله ( ويقذفون بالغيب ) صد يؤمنون بالغيب لان الغيب ينزل من الله على لسان الرسول فيقذفه الله في القلوب ويقبله المؤمن واما الكافر فهو يقذف بالغيب اي يقول ما لا يعلمه وقوله ( من مكان بعيد ) يحتمل ان يكون المراد منه ان مأخذهم بعيد أخذوا الشريك من انهم لا يقدر ان على اعمال كثيرة الا اذا كانوا اشخاصا كثيرة فكذلك المخلوقات الكثيرة واخذوا بعد الامادة من حالهم وعجزهم عن الاحياء فان المريض يدوى فاذا مات لا يمكنهم اعادة الروح اليه وقياس الله على المخلوقات بعيد المأخذ ويحتمل ان يقال انهم كانوا يقولون بأن الساعة اذا كانت قائمة فالثواب والنعم لنا كقول قائمهم رلن رجعت الى ربي ان الى عنده للحسنى فكانوا يقولون ذلك فان كان من قول الرسول لما كان ذلك عندهم حتى يقولوا عن احساس فان ما لا يجب عقلا لا يعلم الا بالاحساس او بقول الصادق فهم كانوا يقولون عن الغيب من مكان بعيد فان قيل قد ذكرت ان الآخرة قريب فكيف قال من مكان بعيد نقول الجواب عنه من وجهين ( احدهما ) ان ذلك قريب عند من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن لم يؤمن لا يمكنه التصديق به فيكون بعيدا عنده ( الثاني ) ان

وتوفيقه وقرى ربي بفتح الياء ( ان سميع قريب ) يعلم قول كل من المهتدى والضال وفعله وان بالغ في اخفاسا ( ولوترى اذ ) الحكاية ( فرعوا ) عند الموت او البعث اويوم بدر وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ثمانين الفا ينزون الكعبة ليخرجوها فاذا دخلوا الى الداء خسف

هم وجواب لو محذوف اى لرأيت اسرارها (فلافتون) فلا يفوتون الله عز وجل بهرب او تحصن (واخذوا من مكان قريب) من ظهر الارض او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى قليبها (٢٩) او من تحت اقدامهم اذا خسف لهم والجملة معطوفة على فزعوا

وقيل على لافتون على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا ويؤيده انه قرئ واخذوا العطف على محله اى فلا فوت هنا وهناك اخذوا وقالوا آمنا به اى محمد عليه الصلاة والسلام وقدم ذكره في قوله تعالى ما بصاحبكم (واى لهم التناوش) التناوش التناول السهل اى ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تارلا سهلا من مكان بعيد افاته في حين التكليف وهم منه بمنزل بعيد وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تسالوه من ذراع في الاسحالة وقرئ بالهمز على قلب الواو لضمها وهو من نأشت الشيء اذ اطلته وعن ابى عمرو لتناوش بالهمز تناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت ونأخرت ومنه من مال

تمنى نأشا ان يكون اطاعنى وقد حدثت بعد الامور امور (وقد كفروا به) اى بمحمد صلى الله عليه وسلم او بالعذاب الشديد الذى انذرهم اياه (من قبل) اى من قبل ذلك فى اوان التكليف (ويقذفون بالغيب) ويرجون بالطن ويتكلمون بما لم يظهر لهم فى حق الرسول عاياه الصلاة والسلام من المطاعن او فى العذاب المذكور من ت الهول بنفيه (من مكان بعيد) من جهة بعيدة من حاله عليه الصلاة والسلام حيث ينسبوا صلى الله عليه وسلم الى السحر والسحر والكذب وان بعد شئ مما جاء به الشعر والسحر وابعدى من عادته المعروفة فياين الدانى والفاصى الكذب

وله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرى شيئا لا يراه من مكان بعد لا مجال للوهم فى حقوه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان باقى اليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على قد كفروا به على حكاية الحال الماضية او على ما يكون تمثيلا لحالهم بحال الماذى فى تحصيل ماضيعوه

الحكاية يوم القيامة فكأنه قال كانوا يقذفون من مكان بعيد وهو الدنيا ويحتمل وجهها آخر وهو انهم فى الآخرة يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا لعمل صالحا وهو قذف بالغيب من مكان بعيد وهو الدنيا \* ثم قال تعالى (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من العود الى الدنيا او بين لذات الدنيا فان قيل كيف يصح قولك ما يشتهون من العود مع انه تعالى قال (كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا فى شك مرئيب) وما حيل بينهم وبين العود قلنا لم قلتم انه ما حيل بينهم بل كل من جاءه الملك طلب التأخير ولم يعط وأرادوا ان يؤمنوا عند ظهور اليأس ولم يقبل وقوله مرئيب يحتمل وجهين (أحدهما) ذى ريب (والثاني) موقع فى الريب وسند ذكره فى موضع آخر ان شاء الله تعالى والله اعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين وصلاته على خير خلقه محمد النبي وآله وصحبه وازواجه اجمعين

\* (سورة فاطر اربعون وخمس آيات مكية) \*

\* (بسم الله الرحمن الرحيم) \*

(الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا) قد ذكرنا فيما تقدم ان الحمد لله يكون على النعمة فى اكثر الامر ونعم الله قسمان عاجلة وآجلة والعاجلة وجود بقاء والآجلة كذلك ايجاد مرة وبقاء اخرى وقوله تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور اشارة الى النعمة العاجلة التى هى الاجداد واستدلنا عليه بقوله تعالى وهو الذى خلقكم من طين ثم قضى اجلا وقوله فى الكهف الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب اشارة الى النعمة العاجلة التى هى البقاء فان البقاء والصلاح بالشرع والكتاب ولولا لوقعت المنازعة والمخاصمة بين الناس ولا يفصل بينهم فكان يفضى ذلك الى القتال والتفانى فانزال الكتاب نعمة تتعلق بها البقاء العاجل وفى قوله فى سورة سبأ الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وله الحمد فى الآخرة اشارة الى نعمة الاجداد النافى بالحشر واستدلنا عليه بقوله يعلم ما يلج فى الارض من الاجسام وما يخرج منها وما ينزل من السماء من الارواح وما يعرج فيها منها وقوله عن الكافرين وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى وههنا الحمد اشارة الى نعمة البقاء فى الآخرة ويدل عليه قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اى يجعلهم رسلا يتلقون عباد الله كما قال تعالى وتلقاهم الملائكة وعلى هذا فاقوله تعالى فاطر السموات يحتمل وجهين (الاول) معناه مبدعها كما نقل عن ابن عباس (والثاني) فاطر السموات والارض اى شاقهما لنزول الارواح من السماء وخروج الاجساد من الارض ويدل عليه قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا فان فى ذلك اليوم تكون الملائكة رسلا وعلى هذا فأول هذه السورة متصل بآخر ما مضى لان قوله كما فعل باشياعهم بيان لانقطاع رجاء من كان فى شك مرئيب وبقائه بأن لا قبول لتوبته ولا فائدة لقوله آمنتم كما قال تعالى عنهم وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش فلما ذكر حالهم بين حال الموقن وبشره بارساله الملائكة اليهم مبشرين وبين انه يفتح لهم

وله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرى شيئا لا يراه من مكان بعد لا مجال للوهم فى حقوه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان باقى اليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على قد كفروا به على حكاية الحال الماضية او على ما يكون تمثيلا لحالهم بحال الماذى فى تحصيل ماضيعوه



من الايمان في الدنيا (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من نفع الايمان والنجاة من النار وقرئ بأشمام الصم للحاء (كأفعل بأشياعهم من قبل) أي بأشباحهم من كفره الاثم الدارجة (الهم كانوا في شك مرعب) أي (٣٠) موقع في الرتبة اودى رتبة والاول منقول من يصح

ابواب الرحمة وقوله تعالى (اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع) أقل ما يكون لدى الجناح ان يكون له جناحان وما بعدهما زيادة وقال قوم فيه ان الجناح اشارة الى الجهة وببانه هو ان الله تعالى ليس فوقه شيء وكل شيء فهو تحت قدرته وشمته والملائكة لهم وجه الى الله يأخذون منه نعمه ويعطون من دونهم مما اخذوه باذن الله كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقوله علمه شديد القوى وقال تعالى في حقهم فالدبر اتأمرأ فهم ا جناحان وفيهم من يفعل ما يفعل من الخير بواسطة وفيهم من يفعله لا بواسطة فالفعل بواسطة فيه ثلاث جهات ومنهم من له اربع جهات واكثر والظاهر ما ذكرناه ولا وهو الذي عليه اطباق المفسرين وقوله تعالى (يزيد في الخلق ما يشاء) من المفسرين من خصصه وقال المراد الوجه الحسن ومنهم من قال الصوت الحسن ومنهم من قال كل وصف محمود والاولى ان يعنى ويقال الله تعالى قادر كامل يفعل ما يشاء فيزيد ما يشاء وينقص ما يشاء وقوله تعالى (ان الله على كل شيء قدير) يقرر قوله يزيد في الخلق ما يشاء ثم قال تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) لما بين كمال القدرة ذكر بيان نفوذ المشيئة ونفاذ الامر وقال ما يفتح الله للناس يعني ان رحم فلا مانع له وان لم يرحم فلا باعث له عليها وفي الآية دليل على سبق رحمة غضبه من وجوه (احدها) التقديم حيث قدم بيان فتح ابواب الرحمة في الذكر وهو وان كان ضعيفا لكنه وجه من وجوه الفضل (وانايتها) هو انه انت الكناية في الاول فقال ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وراز من حيث العربية ان يقال له ويكون عائدا الى ما ولكن قال تعالى لها ليعلم ان المفتوح ابواب الرحمة ولا ممسك رحته فهي واصلة الى من رحمة وقال عند الامسك وما يمسك فلا مرسل له بالتذكير ولم يقل لها فا صرح بانه لا مرسل للرحمة بل ذكره بلفظ يحتمل ان يكون الذي لا يرسل هو غير الرحمة فان قوله تعالى وما يمسك عام من غير بيان وتخصيص بخلاف قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فانه مخصص بهين (ونالها) قوله من بعده اي من بعد الله فاستدنى ههنا وقال لا مرسل له الا الله فزل له مرسله وعند الامسك قال لا ممسك لها ولم يقل غير الله لان الرحمة اذا جاءت لا ترتفع فان من رحمة الله في الآخرة لا يعذبه بعدها ولا غيره ومن يعذبه الله فقد رحمه الله بعد العذاب كالفساق من اهل الايمان ثم قال تعالى (وهو العزيز) اي كامل القدرة (الحكيم) اي كامل العلم ثم قال تعالى (يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم) لما بين ان الحمد لله وبين بعض وجوه النعمة التي تستوجب الحمد على سبيل التفصيل بين نعمه على سبيل الاجال فقال اذكروا نعمة الله وهي مع كثرتها منحصرة في قسمين نعمة اليجاد ونعمة الابقاء فقال تعالى (هل من خالق غير الله) اشارة الى نعمة اليجاد في الابداء وقال تعالى (يرزقكم من السماء والارض) اشارة الى نعمة الابقاء بالرزق الى الانتهاء نعم بين انه (لله الهوا) نظرا الى عظمتها حيث هو عزيز حكيم قادر على كل شيء قدير نافذ الارادة في كل شيء

ان يكون مربيا من الايمان الى المعنى والثاني من صاحب الشك الى الشك كما يقال شعر شاعر والله اعلم \* عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصاغا

سورة الملائكة مكية وهي

نحس واربعون آية

\*(بسم الله الرحمن الرحيم)\*

(الحمد لله دطر السموات والارض) مبدعها من غير مثال يحتذيه ولا نازن يتبعه من القطر وهو الشق وقيل السق طولاً كانه شق العدم باخراجها منه واصافته محضة لانه معنى الماضي فهو نعت للاسم الحليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو قلب في المشتق (جاءل الملائكة) الكلام في اضافته وكونه نعتا او بدلا كما قبله وقوله تعالى (رسلا) منصوب به على الوجه الثاني من الاضافة بالاتفاق واما على الوجه الاول فكذلك عند الكسائي واما عند البصريين فبعضهم يدل هو عليه لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عندهم الاعراف باللام وقال ابو سعيد السديك اسم الفاعل المتعدى الى اثنين يعمل في الثاني لان باضاتته الى الاول تعذر اضافته الى الثاني ومنه نسبة له رجال بعضهم ذلك بانه الاضافة اشبه المعروف باللام فعمل عليه وقرئ جاعل بالرفع على المدح وتقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة اي جاعلهم وسابط بينه تعالى وبين آيائه والصالين من عباده يا هون اللهم رسالاته

بالوصى والالهام والرياء الصادقة او بينه تعالى وبين خلقه اذنا حيث بوصولون اليهم آتاف قدرته وصنعه هذا على تدبير كون (ولا) لعل دميديا اياه على تقدير كونه ابداعيا فرسلا نصب على الحالية وقرئ رسلا بسكون السين (اولى اجنحة) صفة رسلا واولوا اسم جمع

لذوكان اولاماسم جمع لذا ونظيرهما في الاسماء المتكئة الخاص والخلفة وقوله تعالى ( متى وثلاث ورباع ) صفات لاجئة اى ذوى  
أجنة متعددة متفاوتة في العدد حسب تفاوت مالهم من المراتب ( ٣١ ) يزلون بها ويعرجون اويسرعون بها والمعنى ان من الملائكة

ولايل لهذا ولا معبود لذاته غير هذا ونظرا الى نعمته حيث لا خالق غير هو لا رازق الا هو  
ثم قال تعالى ( فأتى تؤفكون ) اى كيف تصرفون عن هذا الظاهر فكيف تنصرفون  
المخوف بمن له الملكوت نعم لما بين الاصل الاول وهو التوحيد ذكر الاصل الثاني وهو  
الرسالة فقال تعالى ( وان يكذبوك فقد كذبت رسلك من قبلك ) ثم بين من حيث الاجال ان  
المكذب في العذاب والمكذب له الثواب بقوله تعالى ( والى الله ترجع الامور ) ثم بين  
الاصل الثالث وهو الحشر فقال تعالى ( يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تفرنكم الحياة  
الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور ) اى الشيطان وقد ذكرنا ما فيه من المعنى اللطيف في تفسير  
سورة لقمان ونعيده ههنا فنقول المكلف قد يكون ضعيف الذهن قليل العقل مخيف  
الرأى فيغير بأدنى شئ وقد يكون فوق ذلك فلا يغيره ولكن اذا جاء غار وزين له ذلك  
الشئ وهون عليه مفاسده وبين له منافع يغير لما فيها من اللذة مع ما انضم اليه من دعاء ذلك  
الغار اليه وقد يكون قوى الجاش غزير العقل فلا يغير ولا يغير فقال الله تعالى لا تفرنكم  
الحياة الدنيا اشارة الى الدرجة الاولى وقال ولا يفرنكم بالله الغرور اشارة الى الثانية  
ليكون واقعا في الدرجة الثالثة وهى العليا فلا يفر ولا يغير ثم قال تعالى ( ان الشيطان  
لكم عدو فاتخذوه عدوا ) لما قال تعالى ولا يفرنكم بالله الغرور ذكر ما يمنع العاقل من  
الاعتراض وقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ولا تسمعوا قوله وقوله فاتخذوه  
عدوا اى اعملوا ما يسوء وهو العمل الصالح ثم قال تعالى ( اتبادعوا حزبه ليكونو من  
أصحاب السعير ) اشارة الى معنى لطيف وهو ان يكون له عدوه في أمره طريقان  
( أحدهما ) أن يعاديه مجازاة له على معاداته ( والآخر ) ان يذهب عداوته براضائه فلما  
قال الله تعالى ان الشيطان لكم عدو أمرهم بالعداوة وأشار الى أن الطريق ليس الا هذا  
وأما الطريق الآخر وهو الأراضاء فلا فائدة فيه لانكم اذا راضيتوه واتبعتموه فهو  
لا يؤدبكم الا الى السعير واعلم أن من علم أن له عدوا لا مهرب له منه وجزم بذلك فإنه يقف  
عنده ويصبر على قتاله والصبر معه الظفر فكذلك الشيطان لا يقدر الانسان ان يهرب  
منه فإنه معه ولا زال يتبعه الا ان يقف له ويهزمه فهزيمة الشيطان بعزيمة الانسان  
فالطريق الثابت على الجادة والانتكال على العبادة . ثم بين الله تعالى حال حزبه وحال حزب  
الله فقال ( الذين كفروا لهم عذاب شديد ) فالعداوى للشيطان وان كان في الحال في عذاب  
ظاهر فهو ليس بشديد الانسان اذا كان عاقلا يختار العذاب المقطع اليسير دفعا للعذاب  
الشديد المؤبد ألا ترى ان الانسان اذا عرض في طريقه شوك ونار ولا يكون له بد من  
أحدهما يخطى الشوك ولا يدخل النار ونسبة النار التي في الدنيا الى النار التي في الآخرة  
دواء الشوك الى النار مجازة . وقال تعالى ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات )  
لهم سفرة واجركبير قد ذكر تفسيره مرارا وبين فيه ان الإيمان في مقابلته المذمومة فلا  
يؤبد مؤمن في النار والعمل الصالح في مقابلته الاجر الكبير ثم قال تعالى ( أفنزين

خلقنا لكل واحد منهم جناتنا  
وخلقت أجنة كل منهم ثلاثة  
وخلقنا آخر لكل منهم أربعة  
أجنة وروى ان صنفنا من  
الملائكة لهم ستة أجنة بجنات  
منها يقون أجسادهم وبآخرين  
منها يطرون فيا أسرا به من  
جهته تعالى وجناتنا منها  
مرحيان على وجوههم حياة  
من الله عز وجل وعن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم انه رأى  
جبريل عليه السلام اية المعراج  
وله ستائة جناح وروى انه  
سأله عليهما السلام أن يتراى له  
في صورته فقال انك لن تطيق  
ذلك قال اى أحب ان تفعل  
فخرج علي الصلاة والسلام في  
لبية مقمرة فأتاه جبريل عليهما  
السلام في صورته ففتى عليه  
عليه الصلاة والسلام ثم أتاه  
وجبريل مسنده واحدى يديه  
على صدره والاخرى بين كفيه  
فقال سبحان الله ما كنت أرى  
أن شيئا من الملقى هكذا فقال  
جبريل عليه السلام فكيف لو  
رأيت اسرافيل له انسا عشر  
جناحا جناح منها بالمشرق  
وجناح منها بالمغرب وان العرش  
على كاهله والله لتضال الاحياء  
لعظمة الله عز وجل حتى يورد  
مثل الوضع وهو العصفور  
الصغير ( يزيد في الحاق ما يشاء )  
استثناف مقرر لما قبله من تفاوت  
احوال الملائكة في عدد الاجنة  
ومؤذن بان ذلك من احكام مشيئته  
تعالى لا لامر راجع الى دعاتهم  
بيان حكم كل ناطق بأن تعالى  
يريد ش اى حاق كان كل  
ما يشاء أو يريد . هو . . .  
ومنه . . . حكمه من الاله والى  
لا يخطى الشوك ولا يدخل النار  
عنه الصلاة والسلام من تخصيص

بعض المعاني بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن في بعض المواد المعهودة بطريق التميل لا بطريق الحصر  
فيها وقوله تعالى ( ان الله على كل شئ قدير ) تعليل بطريق التحق في الحكم المذكور فان شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء بما يجب قدرته

تعالى على ان يزيد كل ما يشاء ايماننا ( ما يفتح الله للناس من رجة ) عبر عن ارسالها بالفتح ايذاً بأنها أنفس الخزان التي ينافس فيها المتنافسون واعزها من الاوتشكرها للاشاعة والايهام أى ( ٣٢ ) شئ يفتح الله من خزان رجه كانت من نعمة وصحة

له سوء عمله فراه حسناً فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون ) يعنى ليس من عمل سيئ كالذى عمل دجال كما قال بعد هذا آيات وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وله تعلق بما قبله وذلك من حيث انه لما بين حال المسيء الكافر والمحسن المؤمن وما من احد يعترف بأنه يعمل سيئاً الا قليل فكان الكافر يقول الذى له العذاب الشديد هو الذى يتبع الشيطان وهو محمّد وقومه الذين استوتهم الجن فاتبعوها والذى له الاجر العظيم نحن الذين دنا على ما كان عليه آباؤنا فقال الله تعالى لستم انتم بذلك فان المحسن غيره ومن زين له العمل السيئ فراه حسناً غير بل الذين زين لهم السيئ دون من اساء وعلم انه مسمى فان الجاهل الذى يعلم جهله والمسيء الذى يعلم سوء عمله يرجع ويتوب والذى لا يعلم بصراً على الذنوب والمسيء العالم له صفة ذم بالاساءة وصفة مدح بالعلم والمسيء الذى يرى الاساءة احساناً له صفته اذم الاساءة والجهل ثم بين ان الكل بمشيئة الله وقال فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وذلك لان الناس اشخاصهم متساوية في الحقيقة والاساءة والاحسان والسنة والحسنة يمتاز بعضها عن بعض فاذا عرفها البعض دون البعض لا يكون ذلك باستقلال منهم فلا بد من الاستناد الى ارادة الله ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث حزن من اصرارهم بعد آياته بكل آية ظاهرة وحجة باهرة فقال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آناهم ثم ين آت حزنه ان كان لما بهم من الضلال فآله عالم بهم وبما يصنعون لو اراد ايمانهم واحسانهم لصدهم عن الضلال ورددهم عن الاضلال وان كان لما به منهم من الابداء فآله عالم بفعلهم يجازيهم على ما يصنعون ثم عاد الى البيان فقال تعالى ( والله الذى ارسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه الى بلد ميت فأحييناه الارض بعد موتها كذلك النشور ) هبوب الرياح دليل ظاهر على الفاعل المختار وذلك لان الهواء قد يسكن وقد يتحرك وعند حركته قد يتحرك الى اليمين وقد يتحرك الى اليسار وفي حركته المختلفة قد يبدى السحاب وقد لا يبدى هذه الاختلافات دليل على مسخره وبرور بر مقدر وفي الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) قال تعالى والله الذى ارسل بلفظ الماضى وقال تفسير سحاباً بصيغة المستقبل وذلك لانه لما أسند فعل الارسال الى الله وما يفعل الله يكون بقوله كن فلا يبقى في العدم لازمان ولا جزأ من الزمان فلم يقل بلفظ المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة كونه كأنه كان وكأنه فرغ من كل شئ فهو قدر الارسال في الاوقات المتوالية الى المواضع الممينة والتقدير كالارسال ولما أسند فعل الامارة الى الريح وهو يرأف في زمان فقال تبارك على هبتها ( المسئلة الثانية ) قال ارسل اسباباً الى انساب وقال سقناه باسناد الى المتكلم وكذلك في قوله فأحييناه وذلك لانه في الاول عرف نفسه بفعل من الافعال وهو الارسال ثم لما عرف قال أنا الذى عرفنى سميت السحاب وأحييت الارض ففي الاول كان تعريفاً بالفعل العجيب وفي الثاني كان تذكيراً بالنعمة

وأمن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحيط به ( فلا تمسك لها ) أى لا أحد يقدر على امساكها ( وما يمسك ) أى شئ يمسك ( فلا يرسل له ) أى لا أحد يقدر على ارساله واختلاف الضميرين لما أن مرجع الاول مفسر بالرجة ومرجع الثاني مطلق يتناولها وغيرها كائناً ما كان وفيه اشعار بان رجه سبقت غضبه ( من بعده ) أى من بعد امساكها ( وهو العزيز ) الغالب على كل ما يشاء من الامور التي من جعلها الفتح والامساك ( الحكيم ) الذى يفعل كل ما يفعل حسباً تقتضيه الحكمة والصحة والجلالة تدليل مقرر لما قبلها ومغرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التي عليها يدور امر التكوين وبعد ما بين سبحانه انه الموجد للكل والملكوت والمتصرف فيهما باقضى والبسط من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل ما بوجه من الوجوه امر الناس طاعة او أهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال ( يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم ) أى انعم الله عليكم اب جعلت محمد ممدداً وكأية عليكم ان جعلت اسماً اى راعوها واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بموليها ولما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فتوبها مضمرة في نعمة الاتحاد ونعمة الاسباء ففي ان يكون في الوجوه شئ غير ما على يد احدى النعمتين بطريق الاستبصار الاستبصار المذمى باستدلاله بآيات عذبه قال ( هل من خالق غير الله ) أى هل خالق له تعالى وهو يدعى ان خالق

مبتدأ محذوف المبريدت عليه كذا من لا يكيد العموم وعبر الله نعت له باعتبار محله كأنه نعت له في قراءة الجر باعتبار لفظه ( فان ) وقرئ بالتحسب على الاسماء وقوله تعالى ( يرزقكم من السماء والارض ) اى بالمطر والنبات كلام مبتدأ على التقدير لاملح له من الاعراب

داحل في خيز لنفي والانكار ولاسماخ لما قيل من انه صفة اخرى لخالق مرفوعة المحل ويجبرورته لان معناه نفي وجود خالق موصوف بوصفى المعايير والرافضية معا من غير تعرض ( ٣٣ ) لنفي وجود ما اتصف بالمغايرة فقط ولا لما قيل من انه المبرر للبند ولا لما قيل من

انه مفسر لظن ارتفع به قوله تعالى من خالق على الفاعلية اى هل يرزقكم من خالق الخ لما ان معناهما نفي رازقية خالق مغايرة تعالى من غير تعرض لنفي وجوده رأسامع انه المراد سحما الاى الى قوله تعالى ( لا اله الا هو ) فانه استثنائى مسوق لتقرير النفي المستفاد منه تصدواجا وجرى الجواب عما يهجمه الاستفهام صورة فحيث كان هذا ناطقا بنفى الوجود تعين ان يكون ذلك ايضا كذلك قطعاً والغا في قوله تعالى ( فالى تؤفكون ) لتزيب انكار عدولهم عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها كانه قبل وادابين تفردتعالى بالالوهية والحالفة والرافضية فن اى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى ( وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ) تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين خطايى الناس مسارعة الى تسليته عليه الصلاة والسلام بعموم البلية والاشارة الى الوعد والوعيد ما نياى وان اسفروا على ان يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين نعم ما لمت عليهم الحجية وألقمتهم الحجر فتأس بأولئك الرسل فى المصاهرة على ما أصابهم من قتل قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتشكيك الرسل للتفخيم الموجب لمزيد التساية والتوجه الى المصاهرة اى رسل اولو شأن خطير وذوو عدد كبير ( والى الله ترجع الامور ) لالى غيره فيجازى كلا منك ومنهم بما اتهم عليه من الاحوال

فان كمال نعمة الرياح والسحب بالسوق والاحياء وقوله سقناه وأحيينا بصيغة الماضى يؤيد ما ذكرناه من الفرق بين قوله أرسل وبين قوله تيسر ( المسئلة الثالثة ) ما وجه التشبيه بقوله كذلك النشور نقول فيه وجوده ( احدها ) ان الارض الميتة لما قبلت الحياة الثلاثة بها كذلك الاعضاء تقبل الحياة ( وثانيها ) كان الريح تجمع القطع السحابية كذلك تجمع بين اجراء الاعضاء وابعاض الاشياء ( وثالثها ) كما اناسوق الريح والسحاب الى ابلد الميت نسوق الروح والحياة الى البدن الميت ( المسئلة الرابعة ) ما الحكمة فى اختيار هذه الآية من بين الآيات مع ان الله تعالى له فى كل شىء آية تدل على أنه واحد فنقول لما ذكر الله انه فاطر السموات والارض وذكر من الامور السماوية الارواح وارسالها بقوله جاعل الملائكة رسلا ذكر من الامور الارضية الرياح وارسالها بقوله والله الذى ارسل الرياح \* نعم قال تعالى ( من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ) لما بين برهان الايمان اشار الى ما كان يمنع الكفار منه وهو العزة الظاهرة التى كانوا يوهومونها من حيث انهم ما كانوا فى طاعة احد ولم يكن لهم من يأمرهم وينهاهم فكانوا يفتنون الاصنام وكانوا يقولون ان هذه آلهتنا تم انهم كانوا يفتنونهم مع أنفسهم وأية عزة فوق المعية مع المعبود فهم كانوا يطلبون العزة وهى عدم التذلل للرسول وترك الاتباع له فقال ان كنتم تظنون بهذا الكفر العزة فى الحقيقة فهى كلها لله ومن يتذلل له فهو العزيز ومن يعزز عليه فهو الذليل وفى الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) قال فى هذه الآية لله العزة جميعا وقال فى آية اخرى والله العزة لرسوله وللمؤمنين فقوله جميعا يدل على ان لاعزة لغيره فنقول قوله لله العزة أى فى الحقيقة والذات وقوله لرسوله أى بواسطة القرب من العزيز وهو الله وللمؤمنين بواسطة قربهم من العزيز بالله وهو الرسول وذلك لان عزة المؤمنين بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم الا ترى قوله تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله ( المسئلة الثانية ) قوله اليه يصعد الكلم الطيب تقرير لبيان العزة وذلك لان الكفار كانوا يقولون نحن لانعبد من لانزاه ولا نحضر عنده لان البعد من الملك دله فقال تعالى ان كنتم لاتصلون اليه فهو يسمع كلامكم ويقبل الطيب فن قبل كلامه وصعد اليه فهو عز يزو من رد كلامه فى وجهه فهو ذليل واما هذه الاصنام لا يتبين عندها الذليل من العزيز اذ لا علم لها فكل احد يسميها وكذلك يرى عملكم فن عمل صالحا رفعه اليه ومن عمل سيئاً رده عليه فالعزيز من يرفع الذى عمله لوجهه والذليل من يدفع الذى عمله فى وجهه واما هذه الاصنام فلا تعلم شىء فلا عز يزو عندها ولا ذليل فلا عز بها بل علم بادلته وذلك لان ذلة السيد ذلة للعبد من كان معبوده وربّه والله سجدة او خشيا ماذا يكون هو ( المسئلة الثالثة ) فى قوله اليه يصعد الكلم الطيب وحوه ( احدها ) بكزة لا اله الا الله هى الطيبة ( ثانيها ) سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر طيب ( ثالثها ) هذه

التي من جلستها صبرك وتكذيبهم وفى الاختصار ( ٥ ) ( را ) ( سا ) على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع ايهام الجزاء ثوبا وعقابا من المبالغة فى الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول ادخل فى التهويل ( يا أيها الناس ) رجوع

الى خطايهم وتكرر النداء لنا كيد العظة والتذكير ( ان وعد الله ) المشار اليه برجع الامور اليه تعالى من البعث والجزاء ( حق ) ثابت لاحالة من غير خلف ( فلا تغرنكم الحياة الدنيا ) بأن يذهلكم التمتع بمتاعها ( ٣٤ ) وبليكم التلهي بخوارفها عن تدارك

الكلمات الاربع وخامسة وهى تبارك الله والمختار أن كل كلام هو ذكر الله أو هو الله كالنصيحة والعلم فهو اليه يصعد ( المسئلة الرابعة ) قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه في الهاء وجهان ( أحدهما ) هى عائدة الى الكلام الطيب أى العمل الصالح هو الذى يرفعه الكلام الطيب ورد في الخبر لا يقبل الله قولا بلا عمل ( ونانيهما ) هى عائدة الى العمل الصالح وعلى هذا في الفاعل الرافع وجهان ( أحدهما ) هو الكلام الطيب أى الكلام الطيب يرفع العمل الصالح وهذا يؤيده قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ( ونانيهما ) الرافع هو الله تعالى ( المسئلة الخامسة ) ما وجه ترجيح الذكر على العمل على الوجه الثاني حيث يصعد الكلام بنفسه ويرفع العمل بغيره فنقول الكلام شريف فإن امتياز الانسان عن كل حيوان بالنطق ولهذا قال تعالى ولقد كرمنا بني آدم أى بالفس الناطقة والعمل حركة وسكون يشترك فيه انسان وغيره والشريف اذا وصل الى باب الملك لا يمنع ومن دونه لا يجد الطريق الا عند الطلب ويدل على هذا أن الكافر اذا تكلم بكلمة الشهادة ان كان عن صدق آمن عذاب الدنيا والآخرة وان كان ظاهرا آمن في نفسه ودمه وأهله وحرمة في الدنيا ولا كذلك العمل بالجوارح وقد ذكرنا ذلك في تفسير قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات ( ووجه آخر ) القلب هو الاصل وقد تقدم ما يدل عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب وما في القلب لا يظهر الا باللسان وما في اللسان لا يتبين صدقه الا بالفعل قال قول اقرب الى القلب من الفعل ألا ترى ان الانسان لا يتكلم بكلمة الا عن قلب واما الفعل قديكون لاجن قلب كالعبث بالهبة ولان النائم لا يخلو عن فعل من حركة وتقلب وهو في أكثر الامر لا يتكلم في نومه الا نادرا لما ذكرنا ان الكلام بالقلب ولا كذلك العمل فاقول اشرف ( المسئلة السادسة ) قال الزمخشري المكر لا يتعدى فهم انتصاب السيآت وقال بأن معناه الذين يمحرون المكرات السيآت فهو وصف مصدر محذوف ويحتمل أن يقال استعمل المكر استعمال العمل فعدها تعديته كما قال الذين يعملون السيآت وفي قوله الذين يعملون السيآت يحتمل ما ذكرناه ان يكون السيآت وصف المصدر تقديره الذين يعملون العملات السيآت وعلى هذا فيكون هذا في مقابلة قوله والعمل الصالح يرفعه اشارة الى بقائه وارتقائه ومكر أو لك أى العمل السيء هو سور اشارة الى فناءه \* نعم قال تعالى ( والله خلقكم مما تراب ثم من نطفة ثم جعلكم

ما همكم يوم حلول الميعاد والمراد منهم عن الاعتار بها وان توجه النهى صورة البها كافي قوله تعالى لا يجر منكم شقاق ( ولا يفرنكم بالله ) وصفوه وكرمه تعالى ( الغرور ) أى المبالغ في الغرور وهو الشيطان بأن يفتنكم المغفرة مع الاصرار على المعاصي فاعلموا ما شئتم ان الله عفور يغفر الذنوب جميعا فان ذلك وان امكن لكن تعاطى الذنوب بهذا التوقع من قبيل تساؤل السم تعويلا على دفع الطبيعة وتكرير فعل النهى للبالغة فيه ولاختلاف العرورين في الكيفية وقرئ الغرور بالضم على انه مصدر اوجع غار كغفود جمع عاهد ( ان الشيطان لكم عدو ) عداوة قديمة لا تكاد تزول وتهدم لكم للاهتمام به ( فاتخذوه عدوا ) بمخالفتمكم له في عقائدكم وافعالكم وكوبكم على حذر منه في مجامع حوالكم وقوله تعالى ( انما يدعو حربه ليكونوا من اصحاب السعير ) تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالنبيه على ان غرضه في دعوة شيخته الى اتباع الهوى والركون الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافهم الدنيوية كما هو مقصد المتعاصين في الدنيا عند سعى بعضهم في حاجة بعض بل هو نوريطهم والقائم في العذاب الملد من حيث لا يحسبون ( الذين كفروا لهم ) بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته ( عذاب شديد ) لا يقادر قدره مدد لا يبلغ مداه ( والذين آمنوا عملوا الصالحات لهم ) بسبب ما ذكر من الايمان

والعمل الصالح الذى من جلته عداوة الشيطان ( مغفرة ) عظيمة ( واجركبير ) لا غاية لهما ( انهن زين له سوء عمله فرآه ) ( وذكرنا ) حسنا ) اما تقرير للسبق من التباين بين عاقبتى الفريقين ببيان تباين حالهما المؤديين الى تينك العاقبتين والفاء لانكار ترتيب

ما بعدها على ما قبلها اي بعد كون حالهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كن استتبعه واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح حتى لا تكون عاقبتاهما ( ٣٥ ) كما ذكر فحذف ما حذف للدلالة ما سبق عليه وقوله

تعالى ( فان الله يضل ) الخ تقرير

له وتحقيق الحق ببيان ان الكل

بمشيئة تعالى اي فانه تعالى يضل

( من يشاء ) ان يضله لاستحقاقه

واستحقاقه الضلال وصرف

اختياره اليه فيرده اسفل سافلين

( ويهدي من يشاء ) ان يهديه

بصرف اختياره الى الهدى فيرفعه

الى اعلى عليين واما تعهد ما يقبه

من نبيه عليه الصلاة والسلام عن

التمسر والتعز بن عليهم لعدم

اسلامهم ببيان اهم ليسوا باهل

لذلك بل لأن يضرب عنهم صفحا

ولا يبال بهم قطعا اي ابعدكون

حالهم كما ذكر تعسر عليهم

فحذف لما دل عليه قوله تعالى

( فلا تذهب نفسك عليهم حسرات )

دلالة بينة واما تعهد لصره عليه

الصلاة والسلام عما كان عليه

من الحرص الشديد على اسلامهم

والمبالغة في دعوتهم اليه ببيان

استخالة تحولهم عن الكفر لكونه

في غاية الحسن عندهم اي ابعد

ما ذكر من زين له الكفر من قبل

الشيطان فراه حسنا فانهمك

فيه يقبل الهداية حتى تطمع في

اسلامه وتتعب نفسك في دعونه

فحذف ما حذف للدلالة ما مر من

قوله تعالى فان الله يضل من يشاء

الخ على انه من شاء الله تعالى ان

يضله فن يهدي من اضل الله وما

لهم من ناصرين وقرئ فلا تذهب

نفسك وقوله تعالى حسرات اما

مفعول له اي فلا تبك نفسك

للعسرات والجمع للدلالة على

تضاعف اعتماده عليه الصلاة

والسلام على احوالهم او على

كثرة قبائح اعمالهم الموجبة

للتأسف والتعسر وعليهم صلة

تذهب كما يقال هلك عليه حسابا ومات

وذكرنا ما قبل من ان قوله من تراب اشارة الى خلق آدم ثم من نقطة اشارة الى خلق اولاده وبنان الكلام غير محتاج الى هذا التأويل بل خلقكم خطاب مع الناس وهم اولاد آدم كلهم من تراب ومن نقطة لان كلهم من نطفة والطعمة من غذاء والغذاء بالآخرة ينتهى الى الماء والتراب فهو من تراب صار نقطة وقوله وما تحمل من انثى ولا تضع اشارة الى كمال العلم فان ما في الارحام قبل الانطلاق بل بعده مادام في البطن لا يعلم حاله احد كيف والام الحاملة لاتعلم منه شيئا فلما ذكر بقوله خلقكم من تراب كمال قدرته بين بقوله وما تحمل من انثى ولا تضع الابعاد كمال علمه ثم بين نفوذ ارادته بقوله وما يعمر من معمر ولا يقص من عمره الا في كتاب فيبين انه هو القادر العالم المريد والاصنام لا قدرة لها ولا علم ولا ارادة فكيف يستحق شي منها العبادة وقوله ان ذلك على الله يسير اي الخلق من التراب ويحتمل ان يكون المراد التعمير والقصان على الله يسير ويحتمل ان يكون المراد ان العلم بما تحمله الانثى يسير والكل على الله يسير والاول اشبه فان اليسر استعماله في الفعل البقي \* نعم قال تعالى ( وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج

ومن كل تاكون مجاطريا وتسخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعدكم تشكرون ) قال اكثر المفسرين ان المراد من الآية ضرب المثل في حق الكفر والايمان او الكافر والمؤمن فلا يمان لا يشتبه بالكفر في الحسن والذم كما لا يشتبه البحران العذاب فرات والملح الاجاج ثم على هذا فقوله ومن كل تاكون لجما طريا البيان ان حال الكافر والمؤمن او الكفر والايمان دون حال البحرين لان الاجاج يشارك فرات في خبر ونفع اذ اللحم الطرى يوجد فيهما والحلية توجد فيهما والفلك تجري فيهما ولا نفع في الكفر والكافر وهذا على نسق قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل وقوله كالجاراء واشد قسوة وان من الجارة لا يتفجر منه الانهار والظاهر ان المراد منه ذكر دليل آخر على قدرة الله وذلك من حيث ان البحرين يستويان في الصورة ويختلفان في الماء فان احدهما عذب فرات والآخر ملح اجاج ولو كان ذلك بأيجاب لما اختلف المتساويان ثم انهما بعد اختلافهما يوجد مهما امور متشابهة فان اللحم الطرى يوجد فيهما والحلية تؤخذ منهما ومن يوجد في المتشابهين اختلافان ومن المختلفين اشتباها لا يكون الا قادرا مختارا وقوله وما يستوى البحران اشارة الى ان عدم استوائهما دليل على كمال قدرته ونفوذ ارادته وفي الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) قال أهل اللغة لا يقال في ماء لبحر اذا كان فيه ملح وحة ملح وانما يقال له ملح وقد ذكر في بعض كتب الفقه بصير بهما ماء البحر مالحا و يؤخذ قائله به وهو اصح مما يذهب اليه التزم وذلك لان الماء العذب اذا التقي فيه ملح حتى ملح لا يقال له الا ملح وماء ملح يقال للماء الذي صار من اصل خلقته كذلك لان المالح شيء فيه ملح ظاهر في الدوق والماء الملح ليس ماء وملحا بخلاف الطعم المالح فانه العذب الملقى فيه الملح ماء فيه ملح ظاهر

عليه حزنا او هو بيان التمسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صاته واما حال كأن كلها صارت حسرات وقوله تعالى ( ان الله عليم بما يصنعون ) اي من القبايح لتعليل لما قبله على الوجوه الثلاثة مع ما فيه من الوعيد \* عن ابن عباس رضي



الله عنهما انما نزلت في ابى جهل ومشرى مكة ( والله الذى ارسل الرياح ) مبتدأ وخبر وقرئ الریح وصيغة المضارع في قوله تعالى ( فتشیر سمعاً ) لحكاية الحال الماضية استحضاراً لتلك الصورة البديعة ( ٣٦ ) الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان

احداثها لتلك الحاصية وذلك استدلالها او لادلالة على استمرار الانارة ( فسقناه الى بلد مت ) وقرئ بالتخفيف ( فأحيينا به الارض ) اى بالطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان بينهما تلازماً في الذهن كافي التلارج او بالسحاب فانه سبب السب ( بعد موتها ) اى يسها وايراد الفعلين على صيغة الماضى للدلالة على التحقق واستاندهما الى نون العظمة المنى عن اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مريد الصنع ولتكميل الجملة بين احياء الارض وبين البعث الذى شبه به بقوله تعالى ( كذلك النشور ) في كمال الاختصاص بالقدرة الربانية ولكاف في حيز الرفع على الخبرية اى مثل ذلك الاحياء الذى تشاهدونه احياء لاموات في صحة القدورية وسهولة التأتى من غير تفاوت بينهما اصلا سوى الالف في الاول دون الثاني وقيل في كيفية الاحياء يرسل الله تعالى من تحت العرش ماء فنبث منه اجساد الخلق ( من كان يريد العزة ) هم المشركون الذين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا الذين كانوا يتعززون بهم من الذين آمنوا بأستهم كما في قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين آيتتوني عندهم العزة والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الارادة واستقرارها ( فله العزة جميعاً ) اى له تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الآخرة اى فليطلبها منه لامن غيره فاستغنى

عن ذكره بذكر دليله ايدانا بأن اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله ( لا يسمعون ) تعالى ( اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ) بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن

فبوله تعالى اياهما اوصود الكتبة بهجيتهما وتقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال الاعتدابه كقوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عبادة يأخذ الصدقات اى ( ٣٧ ) اليه يصل الكلم الطيب الذى به يطلب العزة لالى الملائكة الموكلين باعمال

العباد فقط وهو يعن صاحبه

ويعطى طلبته بالذات والمستكن

فى رفته للكلم فان مدار قبول

العمل هو التوحيد ويؤيده

القرامة بنصب العمل او للعمل

فانه يحقق الايمان ويقويه

ولايتال الدرجات العالية الابه

وقرى يصعد من الاعداد على

البناين والمصعد هو الله سبحانه

او المتكلم به او الملك وقيل الكلم

الطيب يتناول الذكر والدعاء

والاستغفار وقراءة القرآن وعنه

عليه الصلاة والسلام انه سبحانه الله

والحمد لله ولا اله الا الله والله

اكبر اذا قالها العبد عرج بها

الى السماء خيا بها وجه الرحمن

فاذا لم يكن عمل صالح لم تقبل

وعن ابن مسعود رضى الله عنه

ما من عبد مسلم يقول خمس

كلمات سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله

الاخذهن ملك فجعلهن تحت

جناحه ثم صعد بهن فايريهن

على جمع من الملائكة لاستغفروا

لنا ثلثن حتى يحبى بهن وجه

رب العالمين ومصادقه قوله

عن وجل اليه يصعد الكلم

الطيب الخ ( والذين يذكرون

السيات ) بيان لحال الكلم

الطيب والعمل السيء وأهلها

بمسد بيان حال الكلم الطيب

والعمل الصالح واتصاف

السيات على انها صفة المصدر

المحذوف اى يذكرون المكرات

السيات وهى مكرات قرئش

بالنبي عليه الصلاة والسلام فى

دار الندوة وتداولهم الرأى فى

احدى الثلاث التى هى الاثبات

والقتل والاخراج ( لهم )

بسبب مكراتهم ( عذاب شديد )

لا يقادر قدره ولا يؤبه عندهما

يذكرون ( ومكر أولئك ) وضع اسم

لا يسمعون دعاءكم والله يصعد اليه الكلم الطيب فيسمع ويقبل ثم تزل عن تلك الدرجة وقال هب انهم يسمعون كما يظنون فانهم كانوا يقولون بأن الاصنام تسمع وتعلم ولكن ما كان يمكنهم ان يقولوا انهم يحيون لأن ذلك انكار للمحسوس وعدم سماعهم انكار للمعقول والنزاع وان كان يقع فى المعقول فلا يمكن وقوعه فى المحسوس ثم انه تعالى قال ويوم القيامة يكفرون بشرككم لما بين عدم النفع فيهم فى الدنيا بين عدم النفع منهم فى الآخرة بل اشار الى وجود الضرر منهم فى الآخرة بقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم اى بأشراككم بالله شيئا كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم اى الاشرار وقوله ولا يثبتك مثل خبير يحتمل وجهين ( احدهما ) ان يكون ذلك خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم ووجهه هو ان الله تعالى لما اخبر ان الخشب والججر يوم القيامة ينطق ويكذب عابده وذلك امر لا يعلم بالعقل المجرد لولا اخبار الله تعالى عنده انهم يكفرون بهم يوم القيامة وهذا القول مع كون الخبر عنه امر اعجيبا هو كما قال لان الخبر عنه خبير ( وثانيهما ) هو ان يكون ذلك خطبا باغبر مختص باحد اى هذا الذى ذكره هو كما قال ولا يثبتك ايها السامع كأننا من كنت مثل خبير ثم قال تعالى ( يا أيها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد ) لما كثرت الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم والاصرار من الكفار قالوا ان الله لعله يحتاج الى عبادتنا حتى يأمرنا بها امر بالغا ويهدنا على تركها مبالغا فقال تعالى انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى فلا يأمركم بالعبادة لاحتياجه اليكم وانما هو لاشفاقه عليكم وفى الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) التعريف فى الخبر قليل والاكثر ان يكون الخبر نكرة والمبتدأ معرفة وهو معقول وذلك لان الخبر لا يخبر فى الاكثر الا بما لا يكون عند الخبر به علم او فى ظن المتكلم ان السامع لا علم له به ثم ان المبتدأ لابد من ان يكون معلوما عند السامع حتى يقول له ايها السامع الامر الذى تعرفه أنت فيه المعنى الفلانى كقول القائل زيد قائم او قام اى زيد الذى تعرفه نبت له قيام لا علم عندك به فان كان الخبر معلوما عند السامع والمبتدأ كذلك ويقع الخبر تانيها لانفهما يحسن تعريف الخبر غاية الحسن كقول القائل الله ربنا ومحمد نبينا حيث عرف كون الله ربنا وكون محمد نبيا وهما لما كان كون الناس فقراء امرا ظاهرا لا يخفى على احد قال انتم الفقراء ( المسئلة الثانية ) قوله الى الله اعلام بأنه لا افتقار الاله ولا انكال الاعليه وهذا بوجوب عبادته لكونه مفتقرا اليه وعدم عبادة غيره لعدم الافتقار الى غيره ثم قال والله هو الغنى اى هو مع استغنائه بدعوى كل الدعاء وانتم مع احتياجكم لاتجيبونه ولا تدعونه فيجيبكم ( المسئلة الثالثة ) فى قوله الحميد لما زاد فى الخبر الاول وهو قوله انتم الفقراء زيادة وهو قوله الى الله اشارة لوجوب حصر العبادة فى عبادته زاد فى وصفه بالغنى زيادة وهو كونه جيدا اشارة الى كونكم فقراء وفى مقابله الله غنى وفقركم اليه فى مقابلة نعمه عليكم لكونه جيدا واجب الشكر فليست انتم فقراء والله مثلكم فى الفقر بل هو غنى على الاطلاق ولستم انتم لما افتقرتم اليه

الاشارة موضع ضميرهم للايدان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر والفساد عن سائر القسدين واشباههم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على تراعى أمرهم فى الطغيان وبعد منزلهم فى العدوان اى ومكر أولئك المفسدين الذى ارادوا ان يذكروا به عليه



الصلاة والسلام ( هويور ) اى هو يهلك ويفسد خاصة لامن مكروا به ولقد ابارهم الله تعالى بعد ابارة مكراتهم حيث اخرجهم من مكة وقتلهم واثمتهم في قلب فجمع عليهم مكراتهم الثلاث التي اكتفوا ( ٣٨ ) في حقه عليه الصلاة والسلام بواحدة منهم ( والله خلقكم

من تراب ) دليل آخر على صحة البعث والنشور اى خلقكم ابتداء منه في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجاليا كما سر تحقيقه مرارا ( ثم من نقطة ) اى ثم خلقكم منها خلقا تفصيليا ( ثم جعلكم ازواجا ) اى اصنافا اودكرانا واناا وعن قتادة جعل بعضكم زوجا لبعض ( وما تحمل من اتي ولا تضع الا بعلة ) الا ملتبسة بعلة تا بعة لمشيته ( وما يجر من عمر ) اى من احد واتماسمى عمر ابا اعتبار مصيره اى وما بعد في عمر احد ( ولا ينقص من عمره ) اى من عمر احد على طريقة قولهم لا يئيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن لاعلى معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقيل الزيادة والنقص في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة أثبتت في الاوح مثل ان يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون والاهاربون واليه اشار عليه الصلاة والسلام بقوله الصدقة والسنة تعمران الدبار وتريدان في الاعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في الحقيقة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يوما وهكذا حتى ياتي على آخره وقرئ ولا ينقص على البناء للفاعل ومن عمره يسكون الميم ( الا في كتاب ) عن ابن عباس رضي الله عنهما انه للوح وقيل هم الله عز وجل وقيل حقيقة كل انسان ( ان ذلك ) اى ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه محارا للقول والافهام ( على الله يسير ) لاستغنائهم عن الاسباب فكذلك

ترككم غير مقضى الحاجات بل قضى في الدنيا حوائجكم وان آتمتم يقضى في الآخرة حوائجكم فهو حديد \* ثم قال تعالى ( ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ) بيانا للغناء وفيه بلاغة كاملة وبيانها انه تعالى قال ان يشأ يذهبكم اى ليس اذهابكم موقوفا الاعلى مشيئة بخلاف الشيء المحتاج اليه فان المحتاج لا يقول فيه ان يشأ فلان هدم داره واعدم عقاره وانما يقول لولا حاجة السكنى الى الدار لبعثنا لولا الافتقار الى العقار لتركناهم انه تعالى زاد بيان الاستغناء بقوله ويأت بخلق جديد يعنى ان كان يتوهم متوهم ان هذا الملك له كال وعظمة فلو اذهب نزال ملكه وعظمته فهو قادر بان يخلق خلقا جديدا احسن من هذا واجل واتموا كل \* ثم قال تعالى ( وما ذلك على الله بعزيز ) اى الازهاب والاتيان وههنا مسألة وهى ان لفظ العزيز استعمله الله تعالى تارة في القائم بنفسه حيث قال في حق نفسه وكان الله قويا عزيزا وقال في هذه السورة ان الله عزيز غفور واستعمله في القائم بغيره حيث قال وما ذلك على الله بعزيز وقال عزيز عليه ما عتم فهل هما بمعنى واحدا بمعنيين فقول العزيز هو العالب في اللغة يقال من عزب اى من غلب سلب قاله عزيز اى غالب والفعل اذا كان لا يطيقه شخص يقال هو مغلوب بالنسبة الى ذات الفعل فقوله وما ذلك على الله بعزيز اى لا يغلب الله ذلك الفعل بل هو هين على الله وقوله عزيز عليه ما عتم اى يحزنه ويؤذيه كالشغل الغالب \* قوله تعالى ( ولا تزر وازرة وزر اخرى ) وان تدع منقلة الى حمله لا يحمل مذهبى \* ولو كان دافرى ) متعلق بما قبله وذلك من حيث انه تعالى لما بين الحق بالدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة ذكر ما يدعوههم الى النظر فيه فقال ولا تزر وازرة وزر اخرى اى لا تحمل نفس ديب نفس فالتنى صلى الله عليه وسلم لو كان كاذبا في دعائه لكان مذنبا وهو معتقد بأن ذنبه لا تحمله اتم فهو يتوق ويحترز والله تعالى غير فقير الى عبادتكم فتفكروا واعلموا انكم ان ضلالم فلا يحمل احد عكم وزركم وليس كما يقول اكبركم اتبعوا سيلنا ولحمل خطاباكم وفي الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) قوله وازرة اى نفس وازرة ولم يقل ولا تزن نفس وزر اخرى ولا جمع بين الموصوف والصفة فلم يقل ولا تزن نفس وازرة وزر اخرى لفائدة ( اما الاول ) فلانه لو قال ولا تزن نفس وزر اخرى لما علم ان كل نفس وازرة مهمومة بهم وزرها متخيرة في امرها ( ووجه آخر ) وهوان قول القائل ولا تزن نفس وزر اخرى قدي يجمع معها ان لا تزر وزرا اصلا كالصوم لا يزر وزر غيره ومع ذلك لا يزر وزرا اساقوله ولا تزر وازرة بين انها تزر وزرها ولا تزر وزر العير ( اما ) ترك ذكر الموصوف فلظهور الصفة وزومها للموصوف ثم قال تعالى وان تدع منقلة اسارة الى ان احدا لا يحمل عن أحد شيئا مبتدأ ولا بعد السؤال فان المحتاج قدي يصبر وتقضى حاجته من غير سؤاله فاذا انتهى الافتقار الى حد الكمال يحوجه الى السؤال ( لمسئلة الثانية ) في قوله منقلة زيادة بيان لما تقدم من حيث انه قال اولاولا تزر وازرة وزر اخرى فيظن ان احدا لا يحمل عن احد لكون ذلك الواحد قادرا على حمله كما

البعث ) وما يستوى الحرا هذا عذب فرات سائح شرابه وهذا ملح أجاج ) مثل ضرب المؤمنين والكافر والفرات الذى ( ان ) كسر العطف والسائح الذى سهل انحداره لعذوبته والاجاج الذى يحرق بملوحته وقرئ سبع كسيد وسبع بالتخفيف وملح ككسب

وأوله تعالى (ومن كل اى من كل واحد منهما (أأكلون لحما طريا وتخرجون) اى من المالح خاصة (حلية بلبسوها) اما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع ( ٣٩ ) واما سكتة التمسك والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد

لا يتساويان من حيث انهما متفاوتان فياها المقصود بالذات من الماء لما خالط احدهما ما افسده وحيره عن كمال فطرته لا يساوى الكافر المؤمن وان شاركه في بعض الصفات كالنجاسة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الحاصية العظمى لبقاء احدهما على فطرته الاصلية وحيازته لكمال الثلاث دون الآخر او تفضيل للاجاء على الكافر من حيث انه يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر خلو من المنافع الكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او أشد قسوة وان من الحجارة ما يتفجر منه الانهار وان منها ما يشفق فيخرج منه ماء وان منها ما ييبط من حشية لله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان (وترى العاك فيه) اى فى كل منهما وافراد ضير الخطاب مع جمعه فياسبق وما لى لان الخطاب لكل احد تنأتى منه الرؤية دون المتضمن بالصرح فقط (موأحر) شواقى الماء بجرىها مقبلة ومدبرة يريح واحدة (لتبتقوا من فضله) من فضل الله تعالى بالقلة فيها واللام معلقة بمواخر وقد جوز تعلقها بما يدل عليه الافعال المذكورة اى فعل ذلك لتبتقوا من فضله (ولعلكم تشكرون) اى ولتشكروا على ذلك وحرف الترجي للإيذان بكونه مرضيا عند الله تعالى (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) زيادة احدهما ونقص الآخر باضافة بعض اجزاء كل منهما الى الآخر (وتسخر الشمس والقمر) عطف على يولج واخلا فهما

ان القوى اذا اخذ بيده رمانة او سفرجلة لا تحمل عنه واما اذا كان الحمل قبلا قد يرحم الحامل فيحمل عنه فقال منقلة يعنى ليس عدم الوزر لعدم كونه محلا للرجة بالنقل بل لكون النفس منقلة ولا يحمل منها شئ (المسئلة الثالثة) زاد في ذلك بقوله ولو كان ذا قربى اى المدعو لو كان ذا قربى لا يحمله وفي الاول كان يمكن ان يقال لا يحمله لعدم تعلقه به كالعدو الذى يرى عدوه تحت نقل او الاجنى الذى يرى اجبيا تحت حمل لا يحمله عنه فقال ولو كان ذا قربى اى يحصل جميع المعانى الداعية الى الحمل من كون النفس وازرة قوية تحتمل وكون الاخرى منقلة لا يقال كونها قوية ليس عليها حمل وكونها سائلة داعية فان السؤال مظنة الرجة ولو كان المسؤول قريبا فادنى لا يكون الخلف الامناع وهو كون كل نفس تحت حمل ثقيل \* ثم قال تعالى (انما ننذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة) اشارة الى ان الارشاد فوق ما أتيت به ولم يعد لهم فلا تنذر انذارا مقيدا الا الذين تمتلئ قلوبهم خشية وتحلى ظواهرهم بالعبادة كقوله الذين آمنوا اشارة الى عمل القلب وعملوا الصالحات اشارة الى عمل الظواهر فقوله الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلاة في ذلك المعنى ثم لما بين ان لاتزر وازرة وزر اخرى بين ان الحسنة تنفع المحسنين فقال (ومن تركى فأنما يتركى لنفسه) اى فتركيته لنفسه \* ثم قال تعالى (والى الله المصير) اى المتركى ان لم تظهر فآلته عاجلا فالمصير الى الله يظهر عنده في يوم اللقاء في دار البقاء والوازر وان لم تظهر تبعة وزره في الدنيا فمى تظهر في الآخرة اذ المصير الى الله \* ثم قال تعالى (وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الخرورو وما يستوى الاحياء ولا الاموات) لما بين الهدى والضلالة ولم يهدد الكافر وهدى الله المؤمن ضرب لهم مثلا بالبصير والاعمى فالؤمن بصير حيث ابصر الطريق الواضح والكافر اعمى وفي تفسير الآية مسائل (المسئلة الاولى) ما الفائدة في تكثير الامله ههنا حيث ذكر الاعمى والبصير والظلمة والنور والظل والخرورو والاحياء والاموات فنقول الاول مثل المؤمن والكافر فالؤمن بصير والكافر اعمى ثم ان البصير وان كان حديد البصر ولكن لا يبصر شيئا ان لم يكن في ضوء فذكر لايمان والكفر مثلا وقال الايمان نور المؤمن بصير والبصير لا يخفى عليه النور والكفر ظلمة والكافر اعمى فله صاد فوق صاد ثم ذكر لما لهما ومرجعهما مثلا وهو الظل والخرورو فالؤمن بايمانه في ظل وراحة والكافر بكفره في حر وتعيب ثم قال تعالى وما يستوى الاحياء ولا الاموات مثلا آخر في حق المؤمن والكافر كما أنه قال تعالى حال المؤمن والكافر فوق الاعمى والبصير فان الاعمى يشارك البصير في ادراك ما والكافر غير مدرك ادراكا نافعا فهو كالنبت وبدل على ما ذكرنا انه تعالى أعاد الفعل حيث قال أولا وما يستوى الاعمى والبصير وعطف الظلمات والنور والظل والخرورو أعاد الفعل وقال وما يستوى الاحياء ولا الاموات كما جعل هذا مقابلا لذلك (المسئلة الثانية) كرر كلمة النفي بين الظلمات والنور والظل والخرورو والاحياء والاموات

صفة لما ان ايلاج احد الملون في الآخر متجدد حيناً فحيناً واما تسخير التبرين فأمر لاتعدد فيه وانما المتعدد والتجدد آثاره وقد اشير اليه بقوله تعالى (كل يجرى) اى بحسب حركته الحاصية وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب

تعدو ايام السنة جريانا مستقرا ( لاجل مسمى ) فدره الله تعالى لجرىانهما وهو يوم تقيامة كاروى من الحسن رحمه الله وقيل جريانهما عبارة عن حركتهما الحاصتين بهما في ( ٤٠ ) فلكيهما والاجل المسمى هو منتهى دورتيهما ومدة الحربان للشمس سنة

وللمقرر شهر وقد مرتقصيله في سورة لقمان ( ذلكم ) اشارة الى فاعل الافاعيل المذكورة وما فيه من معنى البعد للايدان بعبادة العظمة وهو مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة اى ذلكم العظيم الشأن الذى ابداع هذه الصنائع البديعة ( الله ربكم له الملك ) وفيه من الدلالة على ان ابداعه تعالى لتلك البدائع مما يوجب بوث تلك الاخبار له ما لا يخفى ويحوز ان يكون الاخير كدما مستدا في مقابلة قوله تعالى ( والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ) للدلالة على فقره تعالى بالالوهية والربوبية وقرى يدعون بلياء الختانية ولقطمير لقاعة النواة وهو مثل في الصلة والحفارة ( ارتدعوهم لا يسعوا دعائم ) استثنائ مقرر لضمون ما قبله كاشف عن جلية حال ما يدعونه بأنه جاد ليس من شأنه السماع ( ولو سمعوا ) على الغرض والتقدير ( ما سجعوا ) لكم ) لجرهم عن الافعال بالمرءة لا لما قيل من انهم متبرؤن منكم ومما تدعون لهم فان ذلك مما لا يتصور منهم في الدنيا ويرم القيسامة بكفرون شرككم ) اى يمحذون باثرا ككم لهم وعبادكم اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون ( ولا يثبتك مسل حبير ) اى لا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير احبرته به وهو الحق سبحانه فانه الخبير بكس الامور دور سائر الخبيرين والمراد تخفيق ما خبره من حال آلهتهم وثنى ما يدعون لهم من الالهية ( يا ايها الناس اتمموا الفراء الى الله ) في انفسكم وفيما يبين لكم من امرهم

ولم يكرر بين الاعمى والبصير وذلك لان التكرير لاتأ كيد والمساواة بين الظلمة والنور والظل والحر ورمضادة فالظلمة تنافى النور وتضاده والعمى والبصر كذلك اما الاعمى والبصير ليس كذلك بل الشخص الواحد قد يكون بصيرا وهو بعينه بصيرا عمى فالاعمى والبصير لا مساواة بينهما الا من حيث الوصف والظل والحرور والمنافاة بينهما ذاتية لان المراد من الظل عدم الحرور لبرد فما كانت المنافاة هناك اتم أ كد بالتكرار واما الاحياء والاموات وان كانوا كالا عمى والبصير من حيث ان الجسم الواحد يكون حيا محلا للحياة فيصير ميتا محلا للموت ولكن المنافاة بين الحى والميت أتم من المنافاة بين الاعمى والبصير كما بينا ان الاعمى والبصير يشتركان في ادراك اشياء ولا كذلك الحى والميت كيف والميت يخالف الحى في الحقيقة لافى الوصف على مائتين في الحكمة الالهية ( المسئلة الثالثة ) قدم الاشرف فى منلين وهو الطل والحى واخره فى منلين وهو البصر والورور فى منل هذا يقول المفسرون انه لنواخى او اخر اذى وهو ضعيف لان نواخى الاواخر راجع الى الجمع ومجزة القرآن فى المعنى لافى مجرد اللفظ فالشاعر يقدم ونؤخر للجمع فيكون اللفظ حاملا له على تغيير المعنى واما القرآن فحكمة بالغة والمعنى فيه صحيح واللفظ فصيح فلا يقدم ولا يؤخر اللفظ بلا معنى فقول الكفار قبل النى صلى الله عليه وسلم كانوا فى ضلالة فكانوا كالا عمى وطريقهم كالظلمة ثم لما جاء السى صلى الله عليه وسلم وبين الحق واهتدى به منهم قوم فصاروا بصيرين وطريقهم كالورق قال وما يستوى من كان قبل البعث على الكفر ومن اهتدى بعده الى الايمان فلما كان الكفر قبل الايمان فى زمان محمد صلى الله عليه وسلم والكفر قبل المؤمن قدم المقدم ثم لما ذكر المآل والمرجع قدم ما يتعلق بالرجة على ما يتعلق بالغصب لقوله فى الالهيات سبقت رجتي غضى ثم ان الكافر المصر بعد البعثة صار اصل من الاعمى وشابه الاموات فى عدم ادراك الحق من جميع الوجوه فقال وما يستوى الاحياء اى المؤمنون الذين آمنوا بما أنزل الله والاموات الذين تليت عليهم الآيات البيات ولم ينتفعوا بها وهؤلاء كانوا بعد ايمان من آمن فأخبرهم عن المؤمنين لوجود حياة المؤمنين قبل ممات الكافرين المعاندين وقدم الاعمى على البصير لوجود الكفار الضالين قبل البعثة على المؤمنين المهتدين بعدها ( المسئلة الرابعة ) فان قلت قابل الاعمى بالبصير بلفظ المفرد وكذلك الظل بالحرور وقابل الاحياء بالاموات بلفظ الجمع وقابل الظلمات بالور بلفظ الجمع فى احدهما والواحد فى الاخر فهل تعرف فيه حكمة قلت نعم بفضل الله وهدايته اما فى الاعمى والبصير والظل والحرور فلانه قابل الجنس بالجنس ولم يذكر الافراد لان فى العيمان وأولى الابصار قد يوجد فرد من احد الجنسين يساوى فردا من الجنس الآخر كالبصير الغريب فى موضع والاعمى الذى هو تربية ذلك المكان وقد يقدر الاعمى على الوصول الى مقصد ولا يقدر البصير عليه او يكون الاعمى عنده من الذكاء ما مساوى به البليد البصير فالنفاوت بينهما فى الجنسين مقطوع به فان

او خطب مله وعريف الفقراء للباة فى فقرهم كائهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء فحسب وان افتقار ( جنس ) سائر الخلائق بالنسبة الى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قل تعالى وخلق الانسان ضيعا ( والله هو الغنى الحميد ) اى المستغنى على الاطلاق

المنم على سائر الموجودات  
المسجوب للحمس ( ان يشأ  
يذهبكم ويأت بخلق جديد )  
ليسوا على صفتكم بل مستمرون  
على الطاعة اوبالم آخر غيرما  
تعرفونه ( وما ذلك ) اى ما ذكر  
من الادهاب بهم والاتبان  
باخرين ( على الله بعز ) بمعتذر  
ولامتسر ( ولا تزاوره ) اى  
لا تحمل نفس آتمة ( وزراخرى )  
ام نفس اخرى بل انما تحمل  
كل منهما وزرها واما ما فى قوله  
تعالى ولحملن اثقالهم وانقلا  
امع اقالهم من حمل المضلين  
اعلا غير اقالهم فهو حمل  
انقال اضلالهم مع اقال مضلاهم  
وكلاهما اوزارهم ليس فيها من  
اوزار غيرهم شئ ( وان تدع  
مثقة ) اى نفس اقلها الاوزار  
الى حملها ( لجل بعض اوزارها  
لا يحمل منه شئ ) لم تجب بحمل  
شئ منه ( ولو كان ) الله المدعو  
المهوم من الدعوة ( ذا قري ) دا  
قراءة من الداعي وقري ذوقرى  
وهذانى للحمل اختيارا والاول  
ينى له احبارا ( انما تذر )  
استشاف مسوق لبيان من  
يتخط بما ذكر اى انما تذرهم  
الاذات ( الذين يحشون  
ربهم بالعب ) اى يحشون تعالى  
غائب عن عذابه او عن الناس  
فى خلواتهم ويحشون عذابه  
وهو عائب عنهم ( واماوا  
الصلوة ) اى راعوها كما ينبغي  
وجعلوها منا رامتصوبا وعلا  
مرفوعا اى اغشايتع اندارك  
وتحذيرك هؤلاء من قومك  
دون من عداهم من اهل القرد  
والغناد ( ومن ترك ) اى تلهو  
من اوضار الاوزار والمعاصي  
بالتأثر من هذه الاذات ( فانما  
يرتكى لنفسه ) لا قصار نفعه  
عليها كما ان من تدنس بها لا  
تدنس الا عليها وفري من  
آركى فانما يرتكى وهو

جنس البصير خير من جنس الاعمى واما الاحياء والاموات فالتفاوت بينهما اكثر اذ ما من  
ميت يساوى فى الادراك حيا من الاحياء فذكر ان الاحياء لا يساؤون الاموات سواء  
قابلت الجنس بالجنس او قابلت الفرد بالفرد واما الظلمات والنور فالخلق واحد وهو  
التوحيد والباطل كثير وهو طرق الاشراك على ما بينا ان بعضهم يعبدون الكواكب  
وبعضهم النار وبعضهم الاصنام التى هى على صورة الملائكة والى غير ذلك والتفاوت  
بين كل فرد من تلك الافراد وبين هذا الواحد بين فقال الظلمات كلها اذا اعتبرتها لا نجد  
فيها ما يساوى النور وقد ذكرنا فى تفسير قوله وجعل الظلمات والنور السبب فى توحيد  
النور وجعل الظلمات ومن جملة ذلك ان النور لا يكون الا بوجود منور ومحل قابل للاستنارة  
وعدم الحائل بين النور والمستنير مثاله الشمس اذا طلعت وكان هناك موضع قابل  
للاستنارة وهو الذى يمسك الشعاع فان البيت الذى فيه كوة يدخل منها الشعاع اذا كان  
فى مقابلة الكوة منفذ يخرج منه الشعاع ويدخل بيتا آخر ويبسط الشعاع على ارضه  
يرى البيت الثانى مضيئا والاول مظلم وان لم يكن هناك حائل كالبيت الذى لا كوة له فانه  
لا يضىء فاذا حصلت الامور الثلاثة يستنير البيت والا فلا وتحقق الظلمة تفقد اى امركان  
من الامور الثلاثة ثم قال تعالى ( ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من فى القبور )  
وفيه احتمال معنيين ( الاول ) ان يكون المراد بيان كون الكفار بالنسبة الى سماعهم  
كلام النبى والوحى النازل عليه دون حال الموتى فان الله يسمع الموتى والنبى لا يسمع  
من مات وقبر فالموتى سامعون من الله والكفار كالموتى لا يسمعون من النبى ( والثانى )  
ان يكون المراد تسليية النبى صلى الله عليه وسلم فانه لما بين له انه لا ينفهم ولا يسمعهم قال له  
هؤلاء لا يسمعهم الا الله فانه يسمع من يشاء ولو كان صخرة صماء واما انت فلا تسمع من فى  
القبور فاعليك من حسابهم من شئ \* ثم قال تعالى ( ان انت الا نذير ) بيانا للتسليية \* ثم  
قال تعالى ( اننا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ) لما قال ان انت الا نذير بين انه ليس نذيرا  
من تلقاء نفسه انما هو نذير باذن الله وارساله \* ثم قال تعالى ( وان من امة الا خلا فيها نذير )  
تقريبا لامرين ( احدهما ) لتسليية قلبه حيث يعلم ان غيره كان مثله محتملا لتأذى القوم  
( وثانىها ) ازام القوم قوله فانه ليس بدعا من الرسل وانما هو مثل غيره يدعى ما ادعاه  
الرسل ويقرره \* قوله تعالى ( وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم  
بالبينات ) يعنى انت جئتكم بالبينة والكتاب فكذبوك وآذوك وغيرك ايضا اتاهم بمثل ذلك  
وفعلوا بهم ما فعلوا بك وصبروا على ما كذبوا فكذلك نلزمهم بأن من تقدم من الرسل لم يعلم  
كونهم رسلا الا بالمحجزات البينات وقد آتيناها محمدا صلى الله عليه وسلم ( وبازبروا بالكتاب  
المنير ) والكل آتيناها محمدا فهو رسول مثل الرسل يلزمهم قبوله كما يلزم قبول موسى  
وعيسى عليهم السلام اجمعين وهذا يكون تقريبا مع اهل الكتاب واعلم انه تعالى ذكر  
امورا ثلاثة اولها البينات وذلك لان كل رسول فلا بد له من معجزة وهى ادنى الدرجات ثم

اعتراض مقرر لحديثهم وامامهم الصلاة لادبها من معظم مبادئ التزمي (والى الله المصير) لآلى احد حيرة مستقلا او اشتراكا فيصاريهم على تركهم احسن الجراء (وما يستوى الاعمى والبصير) اى الكافرو المؤمن (ولا الظلمات ولا النور) اى ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع افراد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق (ولا الضل ولا الحرور) اى ولا الثواب ولا لعقاب وادخال لا على المتقابلين لذكور في الاستواء وتوسيطها بينهم للتأكيد والحرور فعول من لم يرب على السجود وقيل السجود ما يهب بهارا والحرور ما يهب ليلا (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفصل واثر صيغته الجمع في الطرفين تحقيقا للتباين بين افراد الفريقين وقيل تمثيل للعلماء والجهلة (ان الله يسمع من يشاء) ان يسمعه ويوفقه لهم آياته والا تماظ بظلماته (وما انت سمع من في القصور) ترشيح لتمثيل المصريين على الكثير بالاموات واشباع في افتناؤه عليه الصلاة والسلام من بجانهم (ان آت الادبر) ما عليك لا لا ندر واما الاستدع لبنة فلس من وسأشك ولا حية نكته في لطبوع عن قبولهم (ارسلك بالحق) اى محمدين وحقا انت اورسالا معصوما بالحق ويعجز ان يعلق بقوله (نشيروا وبديرا) ن شيروا او عدا الحق وبدير يا وسيد حق و من ان

قد ينزل عليه كتاب يكون فيه مواظ وتنبهات وان لم يكن فيه نسخ واحكام مشروعة شرعا نسخا ومن ينزل عليه مثله اعلى مرتبة عن لا ينزل عليه ذلك وقد تنسخ شريعته الشرائع وينزل عليه كتاب فيه احكام على وفق الحكمة الالهية ومن يكون كذلك فهو من أولى العزم فقال الرسل تبين رسالتهم بالبينات وان كانوا اعلى مرتبة فبالزبر وان كانوا اعلى فبالكتاب والنبي آتينا الكل فهو رسول اشرف من الكل لكون كتابه اتم وأكمل من كل كتاب \* ثم قال تعالى (ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير) اى من كذب بالكتاب المنزل من قبل وبالرسل المرسل اخذه الله تعالى فكذلك من يكذب بالنبي عليه السلام وقوله فكيف كان نكير سؤال للتقرير فانهم علموا شدة انكار الله عليهم واتبائه بالامر المنكر من الاستئصال \* ثم قال تعالى (ألهم تر ان الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها) وهذا استدلال بدليل آخر على وحدانية الله وقدرته وفي تفسير هامسائل (المسئلة الاولى) ذكر هذا الدليل على طريقة الاستخبار وقال ألم تر و ذكر الدليل المتقدم على طريقة الاخبار وقال والله الذي ارسل الرياح وفيه وجهان (الاول) ان انزال الماء اقرب الى البقع والمفعة فيه اظهر فانه لا يخفى على احد في الرؤية ان الماء منه حياة الارض فظم دلالة بالاستفهام لان الاستفهام الذى للتقرير لا يقال الا في الشيء الظاهر جدا كما ان من ابصر الهلال وهو خفي جدا فقال له غيره اين هو فانه يقول له في الموضع الفلاني فان لم يره يقول له الحق معك انه خفي وانت معذور واذا كان بارزا يقول له اماراه هذا هو ظاهر (والثاني) وهو انه ذكره بعد ما قرر المسئلة بدليل آخر وظهر بما تقدم للمدعو بصرية بوجوده الدلالات فقال له انت صرت بصيرا بما ذكرناه ولم يبق لك عذر الا ترى هذه الآية (المسئلة الثانية) المخاطب من هو يحتمل وجهين (احدهما) النبي صلى الله عليه وسلم وفيه حكمة وهى ان الله تعالى لما ذكر الدلائل ولم تنفعهم قطع الكلام معهم والتفت الى غيرهم كما ان السيد اذ فصيح بعض العبيد ومنعهم من الفساد ولا ينفعهم الارشاد يقول لغيره اسمع ولا تكن مثل هذا ويكرر معه ما ذكره مع الاول ويكون فيه اشعار بأن الاول فيه نفيصة لا يستأهل للمخاطب فيتنبه له ويدفع عن نفسه تلك القبيصة (والآخر) ان لا يخرج الكلام اجنبي عن الاول بل يأتي بما يقاربه لئلا يسمع الاول كلاما آخر فيترك التفكير فيما كان فيه من النصيحة (المسئلة الثالثة) هذا استدلال على قدرة الله واختياره حيث اخرج من الماء الواحد ثمرات مختلفة وفيه لطائف (الاولى) قال أنزل وقال اخرجنا وقد ذكرنا فائدته ونعبيدها فقول قال الله تعالى ألم تر أن الله أنزل فان كان جاهلا يقول نزول الماء بالطبع لقله فيقال له فلاخراج لا يمكنك ان تقول فيه انه بالطبع فهو رد الله فما كان سمط اطهر اسنده الى المتكلم (ووجه آخر) هو ان الله تعالى لما قال ان الله أنزل عن الله بدليل وقرب المتفكر فيه الى الله تعالى فصار من الحاضرين فقال له اخرجنا لقربه (ووجه ثالث) الاخراج اتم نعمة من الانزال لان الانزال لفائدة

بان النذارة قرينه البشارة لاسيما  
وقد اقترنا آنفا ولان الانذار  
هو الانسب بالمقام (وان بكذبوك)  
اي تموا على كذبك فلا تبال  
بهم وبكذبيهم ( فقد كذب  
الذين من قبلهم ) من الامم  
السانية ( جاءتهم رسلهم  
بالبينات ) اي المجهزات الطاهرة  
الدالة على نبوتهم ( وبالزبر )  
كصحف ابراهيم ( وبالكتاب  
النير ) كالنور والانبجيل  
والزبور على ارادة التفصيل  
دون الجمع ويجوز ان يراد لهما  
واحد والعطف لتعابير العنواوين  
( ثم اخذت الذين كفروا )  
وضع الوصول موضع ضميرهم  
لدمهم بما في حيز الصلة والانشاء  
بعلة الاخذ ( فكيف كان سكر )  
اي اسكارى بالعقوبة وفيه مرید  
تشديد وتهويل لها ( ألم تر )  
استئناف مسوق لتقرير ما قبله  
من اخلاف احوال الناس ببيان  
ان الاختلاف والتفاوت امر  
مطرود في جميع المخلوقات من  
النبات والجماد والحيوان والرونة  
ولهية أى ألم تعلم ( ان الله ارسل  
من السماء فأنزلناه ) بذلك  
الماء والالفت لاطهار كمال  
الاعتناء بالفعل لما فيه من لصنع  
البدیع المني عن كمال القدرة  
والحكمة ( ثم غررنا مختلفا الوانها )  
اي اجناسها او اصنافها على ان  
كلامها ذو اصناف مختلفة او  
هيئاتها وأشكالها ابرالوانها  
من الصفرة والخضرة والجررة  
وعبرها وهو الاوفى لما في قوله  
تعالى ( ومن الجبال جدد ) اي  
ذو جدد اي حطوط طرائق ويقال  
جدة الحمار للخطوة السوداء  
على ظهره وقرى جدد بالفنم  
جمع جديدة بمعنى الجادة وجدد  
تفقتين وهو لطريق الواضح  
( بيض وجر مختلف الوانها )  
بالهدة والضعف

الاجراج فأسند الائم الى نفسه بصيغة المتكلم وما دونه بصيغة الغائب ( الطيفة الثانية )  
قال تعالى ( ومن الجبال جدد بيض وجر مختلف ألوانها وغرايب سود ومن الناس  
والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك ) كان قائلًا قال اختلاف الثمرات لاختلاف  
البقاع الا ترى ان بعض النباتات لا تنبت ببعض البلاد كالزعفران وغيره فقال تعالى  
اختلاف البقاع ليس الابارادة الله والافلم صار بعض الجبال فيه مواضع جرد ومواضع  
بيض والجدد جمع جدة وهى الخطة او الطريقة فان قيل الواو في ومن الجبال ما تقديرها  
نقول هى تحتل وجبين ( احدهما ) ان تكون للاستئناف كأنه قال تعالى وأخرجنا  
بالماء ثمرات مختلفة الالوان وفي الاشياء الكائنات من الجبال جدد بيض دالة على  
القدرة رادة على من ينكر الارادة في اختلاف الوان الثمار ( فانهما ) ان تكون للعطف  
تقديرها وخلق من الجبال قال الزمخشري اراد ذو جدد ( والطيفة الثالثة ) ذكر الجبال  
ولم يذكر الارض كما قال في موضع آخر وفي الارض قطع متجاورات مع ان هذا الدليل  
مثل ذلك وذلك لان الله تعالى لما ذكر في الاول أخرجه ثمرات كان نفسا خراج  
الثمار دليلا على القدرة ثم زاد عليه بيانا وقال مختلفا كذلك في الجبال في نفسها دليل  
للقدره والارادة لان كون الجبل في بعض نواحي الارض دون بعضها والاختلاف الذى  
في هيئة الجبل فان بعضها يكون اخفض وبعضها ارفع دليل القدرة والاختيار ثم زاده  
بيانا وقال جدد بيض اي مع دلالتها بنفسها هى دالة باختلاف ألوانها كما ان اخراج  
الثمار في نفسها دلائل واختلاف الوانها دلائل ( المسئلة الرابعة ) مختلف الوانها الظاهر  
ان الاختلاف راجع الى كل لون اي بيض مختلف الوانها وجر مختلف الوانها لان الابيض  
قد يكون على لون الجص وقد يكون على لون التراب الابيض دون باض الجص وكذلك  
الاحمر ولو كان المراد ان البياض والجر مختلف الالوان لكان مجرد تأكيد والاول اولى  
وعلى هذا فنقول لم يذكر مختلف الوانها بعد البياض والجر والسود بل ذكره بعد البياض  
والجر واخر السود الغرايب لان الاسود لما ذكره مع المؤكيد وهو الغرايب يكون بالعا  
غاية السواد فلا يكون فيه اختلاف ( المسئلة الخامسة ) قيل بأن الغريب مؤكدا لعود  
يقال اسود غريب والمؤكد لا يبحى المتأخرا فكيف جاء غرايب سود نقول قال  
الزمخشري غرايب مؤكدا لذى لون مقدر في الكلام كأنه تعالى قال سود غرايب ثم اعاد  
السود مرة أخرى وفيه فائدة وهى زيادة التأكيد لانه تعالى ذكره مضمرًا ومظهرًا ومنهم  
من قال هو على التقديم والتأخير ثم قال تعالى ومن الناس والدواب والانعام استدلالا  
آخر على قدرته وادارته وكأن الله تعالى قسم دلائل الخلق العالم الذى نحن فيه وهو  
عالم المركبات قسمين حيوان وغير حيوان وامانبات وامامعدن والنبات  
أشرف وأشار اليه بقوله فأخرجناه ثمرات ثم ذكر المعدن بقوله ومن الجبال ثم ذكر  
الحيوان وبدأ بالأشرف منها وهو الانسان فقال ومن الناس ثم ذكر الدواب لان منافها



(وعرايب سود) عطف على بعض او على جدد كأنه يل ومن الجبال مخطط ووحيد رمتها ماهو على لون واحد عرايب وهو تأكيد لفتن يسره مانعه فان الغريب أكيد للاسود كالعاق للاصفر والقائي للاجر ومن حق التأكيديا يتبع المؤكد ونظيره في الصفة قول النابغة \* والمؤمن العائدات الطير يصحها \* وفي مثله مرشد بأكيد ثمانية من التكرار باعتبار الاختيار والظهار (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) أي ومنهم بعض مختلف ألوانه او بعضهم مختلف ألوانه على ما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وأبدا الجنتين اسميين مع مشاركتها ما فاجها من الجلة الغفلة في الاستشهاد بمصوبهم على - ابن الناس في الاحوال الباطنة لأن اختلاف الجبال وله س والدواب والانعام فيأذكر من لالوان امر مستمر فغير عنه بما يدل على الاستمرار واما اخرج الثمرات المختلفة فحيث كان أمرا حادثا عبر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما كان فيه نوع خصاء علقه الرؤية ثم بطريق الاستهتام التقريري الذي عن الجبل عليها ولترتيب فيها مختلف احوال الجبال والناس وغيرهما فمما يشاهده عبيد عن السائل فلذلك حردت من تنعق اراية فتدبر وله تعالى (كسبك) مصدر تشبى لقوله تعالى مختلف أي صفة لسدره المؤكد تقديره مختلف احتمالا كما كان ذلك أي كاختلاف الثمار والجمال وقرئ ألوانا وقرئ والدواب بالتخفيف مبالغة في المنه من لثماء اساكين وقوله تعالى عما يخشى الله من عباده الاعيان تكلم

في حياتها والانعام منفعتها في الاكل منها أولان الدابة في العرف تطلق على الفرس وهو بعد الانسان أشرف من غيره وقوله مختلف ألوانه القول فيه كما انها في انفسها دلائل كذلك في اختلافها دلائل واما قوله مختلف ألوانه فذكر لكون الانسان من جلة المذكورين وكون التذكير أعلى وأولى \* ثم قال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزير غفور) الخشية بقدر معرفة الخشي والعالم يعرف الله فيخافه ويرجوه وهذا دليل على ان العالم اعلى درجة من العابد لان الله تعالى قال ان أكرمكم عند الله اتقاكم فيبين ان الكرامة بقدر التقوى والتقوى بقدر العلم فالكرامة بقدر العلم لا بقدر العمل نعم العالم اذا ترك العمل قدح ذلك في علمه فان من يرام يقول لو علم لعمل ثم قال تعالى ان الله عزير غفور ذكر ما يوجب الخوف والرجاء فكونه عزير اذا انتقام يوجب الخوف التام وكونه غفورا لما دون ذلك يوجب الرجاء البالغ وقرأة من قرأ بنصب العلماء ورفع الله معناها انما يعظم ويجل \* ثم قال تعالى (ان الذين يتلون كتاب الله) لما بين العلماء بالله وخشيتهم وكرامتهم بسبب خشيتهم ذكر العالمين بكتاب الله العاملين بما فيه وقوله يتلون كتاب الله اشارة الى الذكر وقوله تعالى (واقاموا الصلاة) اشارة الى العمل البدني وقوله (وانفقوا مما رزقناهم) اشارة الى العمل المالي وفي الآيتين حكمة بالغة فقوله انما يخشى الله اشارة الى عمل القلب وقوله ان الذين يتلون اشارة الى عمل اللسان وقوله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم اشارة الى عمل الجوارح ثم ان هذه الاشياء الثلاثة متعلقة بجانب تعظيم الله والشفقة على خلقه لا نأينا ان من يعظم ملكا اذا رأى عبدا من عباده في حاجة يلزمه قضاء حاجته وان تهاون فيه يخل بالتعظيم والى هذا اشار بقوله عبدي مرضت فاعدتني فيقول العبد كيف تمرض وانت رب العالمين فيقول الله مرض عبدي فلان وما زرته ولوزرته لوجدتني عنده يعني التعظيم متعلق بالشفقة فحيث لاشفقة على خلق الله لا تعظيم لجانب الله وقوله تعالى (سرا وعلاية) حث على الانفاق كيفما تهيأ فان تهيأ سرا فذلك ونعم والافعلانية ولا يمنع ظنه ان يكون رياء فان ترك الخير مخافة ان يقال فيه انه مرء عين الرياء ويمكن ان يكون المراد بقوله سرا اي صدقة وعلاية اي زكاة فان الاعلان بالزكاة كالاعلان بالفرض وهو مستحب وقوله تعالى (يرجون تجارة لن تبور) اشارة الى الاخلاص اي يفتقون لا ليقال انه كريم ولا لئى من الاشياء غير وجه الله فان غير الله باثر والتاجر فيه تجارته باثرة وقوله تعالى (ليوفهم أجورهم) اي ما يتوقعونه ولو كان امرا بالغ الغاية (ويزيدهم من فضله) اي يعطيهم ما لم يخطر ببالهم عند العمل ويحتمل ان يكون يزيدهم النظر اليه كاجاء في تفسير الزيادة (انه غفور) عند اعطاء الاجور (شكور) عند اعطاء الزيادة \* ثم قال تعالى (والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق) لما بين الاصل الاول وهو وجود الله الواحد بأشواع الدلائل من قوله والله الذى ارسل الرياح وقوله والله خلقكم وقوله ألم تر ان الله انزل ذكر



لقوله تعالى اما تذر الذين  
يخشون ربهم بالغيب بتعيين من  
يخشاه عز وجل من الناس  
بعديان اختلاف طبقاتهم وتباين  
مراتبهم اما في الاوصاف المعنوية  
فبطريق التمثيل واما في الاوصاف  
الصورية فبطريق التصريح  
توفية لكل واحدة منهما حقها  
اللائق بهما من البيان اى اعطى  
تعالى بالغيب العالمون به عز وجل  
وعا يلقى به من صفاته الجليلة  
وافعاله الجميلة لما من مدار الحشية  
معرفة الحشى والعلم بشؤنه فن كان  
اعلم به تعالى كان اخشى منه عز وجل  
كما قال عليه الصلاة والسلام انا  
اخشاكم لله واتقاكم له ولذلك  
عقب بذكر افعاله الدالة على كمال  
قدرته وحيث كمال الكفر بمزمل  
من هذه المعرفة امتنع انذارهم  
بالكلية وتقديم المفعول لان  
للقصود حصر العاطلة ولواخر  
انعكس الاسرو فرى رفع الاسم  
الجليل ونصب العلماء على ان  
الحشية مستعارة للتعظيم فان المعظم  
يكون مهيبا (ان الله عزير غفور)  
تعليل اوحوب الحشية لدلالته على  
انه معاقب للمصر على طغيانه غفور  
للتائب عن عصيانه (ان الذين  
يتلون كتاب الله اى يداومون  
على قراءته او متاعه ما فيه حتى  
صارت سعة لهم وعنوانا والمراد  
بكتاب الله تعالى القرآن وقيل  
جنس كتب الله فيكون ثناء على  
المصدقين من الامم بعد اختصاص  
حال المكذبين منهم وليس بذلك  
فان صيغة المضارع منادية باستمرار  
مشروعية تلاوته والعمل بما فيه  
واستنباههما للسيئات من توفية  
الاجور وزيادة الفضل وحلها  
على حكاية الحال الماضية مع كونه  
تفعلا

الاصل الثانى وهو الرسالة فقال والذى اوحينا اليك من الكتاب هو الحق وايضا كما انه قد  
ذكر ان الذين يتلون كتاب الله يوفهم الله فقال والذى اوحينا اليك من الكتاب هو الحق  
تقرير للمامين من الاجر والثواب في تلاوة كتاب الله فانه حق وصدق فتاليه محقق ومحقق  
وفي تفسيرها مسائل (المسئلة الاولى) قوله من الكتاب يحتمل أن يكون لابتداء الغاية  
كما يقال ارسل الى كتاب من الامير والوالى وعلى هذا فالكتاب يمكن ان يكون المراد منه  
اللوحة المحفوظ يعنى الذى اوحينا من اللوح المحفوظ اليك حق ويمكن ان يكون المراد  
هو القرآن يعنى الارشاد والتبيين الذى اوحينا اليك من القرآن ويحتمل ان يكون  
للبيان كما يقال ارسل الى فلان من الثياب والقماش جملة (المسئلة الثانية) قوله  
هو الحق آكد من قول القائل الذى اوحينا اليك حق من وجهين (احدهما) ان تعريف  
الخبر يدل على ان الامر في غاية الظهور لان الخبر في الاكثر يكون نكرة لان الاخبار في  
الغالب يكون اعلاما بثبوت امر لا معرفة للسامع به لا مريعره السامع كقولنا زيد قام  
فان السامع ينبغي ان يكون عارفا بزيد ولا يعلم قيامه فيخبر به فاذا كان الخبر ايضا معلوما  
فيكون الاخبار للتنبية فيعرفان باللام كقولنا زيد العالم في هذه المدينة اذا كان علمه  
مشهورا (المسئلة الثالثة) قوله (مصدق للمامين يديه) حال مؤكدة لكونه حقا لان  
الحق اذا كان لا خلاف بينه وبين كتب الله يكون خاليا عن احتمال البطلان وفي قوله  
مصدق تقرير لكونه وحيا لان النبى صلى الله عليه وسلم لمسلم يكن قارنا كاتبا واتى ببيان  
ما في كتب الله لا يكون ذلك الا من الله تعالى وجواب عن سؤال الكفار وهو انهم كانوا  
يقولون بأن التوراة ورد فيها كذا والانجيل ذكر فيه كذا وكانوا يفترون من التثليث وغيره  
وكانوا يقولون بأن القرآن فيه خلاف ذلك فقال التوراة والانجيل لم يبق بهما ونوق  
بسبب تغييركم فهذا القرآن ما ورد فيه ان كان في التوراة فهو حق وما بقى على ما نزل وان لم  
يكن فيه ويكون فيه خلافه فهو ليس من التوراة فالقرآن مصدق للتوراة (وفيه وجه  
آخر) وهو ان يقال ان هذا الوحى مصدق لما تقدم لان الوحى لو لم يكن وجوده لكذب  
موسى وعيسى عليهما السلام في انزال التوراة والانجيل فاذا وجد الوحى ونزل على  
محمد صلى الله عليه وسلم علم جوازه وصدق به ما تقدم وعلى هذا فقيه لطيفة وهى انه تعالى  
جعل القرآن مصدقا لما مضى مع ان ماضى ايضا مصدق له لان الوحى اذا نزل على واحد  
جاز ان ينزل على غيره وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولم يجعل ما تقدم مصدقا للقرآن لان  
القرآن كونه معجزة يكتفى في تصديقه بأنه وحى واما ما تقدم فلا بد معه من معجزة تصدقه  
(المسئلة الرابعة) قوله (ان الله بعباده خبير بصير) فيه وجهان (احدهما) انه تقرير  
لكونه هو الحق لانه وحى من الله والله خير عالم بالباطن بصير عالم بالظواهر فلا يكون  
باطلا في وحيه لافي الباطن ولا في الظاهر (وثانيهما) ان يكون جوابا لما كانوا يقولون انه  
لم ينزل على رجل عظيم فيقال ان الله بعباده خبير يعلم بواطنهم وبصير يرى ظواهرهم

طاهرا بما لاسيل اليه كيف  
لا والمقصود التزغيب في دين  
الاسلام والعمل بالقرآن السامخ  
لما بين يديه من كتب التعرص  
لسان حقيتها قبل اتساعها  
والاشباع في ذكر استنباعها لما  
ذكر من العوائد العظيمة بما يورث  
الرغبة في تلاوتها والاقبال على  
العمل بها وتخصيص التلاوة بما  
لم ينسخ منها باطل قطعاً لما ان الباقي  
مشروعاً ليس الاحكامها لكن  
لأن حيث انه حكمها بل من  
حيث انه حكم القرآن واما  
تلاوتها فمعمل من المشروعية  
واستنباع الاحر بالرة فتدبر  
(وافاءوا الصلوة وانفقوا مما  
ورزقاهم سرا وعلاية) كيفما  
اتفق من غير قصد اليها وقيل  
السرف المسنونة والعلاية في  
المفروضة (برحون تجارة)  
تحصيل نواب والطاعة وهو خير  
ان وقوله تعالى (لن تور) اي لن  
نكسد ولن تهاك بالخسران اصلا  
صعفة لتجاره بجهنم لادلالة  
على انها ليست كسائر التجارات  
الدائرة بين الرمح والخسران  
لانه يشترط باق بفان والاخبار  
برجلهم من اكرم الاكرمين عدة  
قطعية محصورة مرجوهم وقوله  
تعالى (ليوفيهم اجورهم) متعلق  
بان تور على معنى انه يتفق عنها  
الكساد وتفق عند الله تعالى  
ليوفيهم اجور اعمالهم (ويريدهم  
من فله) على ذلك من حرث  
رجته ما يشاء وقيل سجد  
عليه ما عدى من اعمالهم المرضية  
فعلوا ذلك ليوفيهم الخ وقيل  
يرجع على ان اللام للعاقبة راءه  
عنور سكور) تعاليل لما قبله من  
التوفيق والزادة أي غفور  
افرحاتهم شكور لطاعتهم أي  
مجازيهم عليها وقيل هو خير  
ان الذين ويرحون سال من واو  
اسقوا (راى اوحيا اليه من

فاخار محمدا عليه السلام ولم يختبر غيره فهو اصلح من الكل \* ثم قال تعالى (ثم أورثنا  
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات  
باذن الله) اتفق اكثر المفسرين على ان المراد من الكتاب القرآن وعلى هذا فالذين  
اصطفينا هم الذين اخذوا بالكتاب وهم المؤمنون والظالم والمقتصد والسابق كلهم منهم  
ويدل عليه قوله تعالى جنات عدن يدخلونها أخبر بدخولهم الجنة وكلمة ثم أورثنا ايضا  
تدل عليه لان الايرات اذا كان بعد الايحاء ولا كتاب بعد القرآن فهو الموروث والايراث  
المراد منه الاعطاء بعد ذهاب من كان بيده المعطى ويحتمل ان يقال المراد من الكتاب هو  
جنس الكتاب كافي قوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات وبازبر وبالكتاب المنير والمعنى  
على هذا انا اعطينا الكتاب الذين اصطفينا وهم الانبياء ويدل عليه ان لفظ المصطفى على  
الانبياء اطلاقه كثير ولا كذلك على غيرهم ولان قوله من عبادنا دل على ان العباد اكابر  
مكرمون بالاضافة اليه ثم ان المصطفين منهم اشرف منهم ولا يليق بمن يكون اشرف من  
الشرفاء ان يكون ظالما مع ان لفظ الظالم اطلقه الله في كثير من المواضع على الكافر  
وسمى الشرك ظلما وعلى الوجه الاول التفسير ظاهر بين معناه آتينا القرآن لن آمن بمحمد  
واخذوه منه وافترقوا فمنهم ظالم وهو المسمى ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر  
سيئا وسابق بالخيرات وهو الذي اخلص العمل لله وجرده عن السيات فان قال قائل  
كيف قال في حق من ذكر في حقه انه من عباد الله وانه مصطفى انه ظالم مع ان الظالم يطلق على  
الكافر في كثير من المواضع فقول المؤمن عند المعصية بضع نفسه في غير موضعها فهو  
ظالم لنفسه حال المعصية واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو  
مؤمن ويصحح هذا قول عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ظالمنا مغفور له  
وقال آدم عليه السلام مع كونه مصطفى ربنا ظلمنا انفسنا واما الكافر فيضع قلبه الذي  
به اعتبار الجسد في غير موضعه فهو ظالم على الاطلاق واما قلب المؤمن فمطمئن بالايمان  
لا يضيعه في غير التفكير في آلاء الله ولا يضيع فيه غير محبة الله وفي المراتب الثلاثة اقوال  
كبيرة (احدها) الظالم هو اراجح السيات والمقتصد هو الذي تساوت سياته وحسناته  
والسابق هو الذي ترجحت حسناته (ثانيها) الظالم هو الذي ظاهره خير من باطنه والمقتصد  
من تساوى ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير (ثالثها) الظالم هو الموحد بلسانه الذي  
تحالفه جوارحه والمقتصد هو الموحد الذي يمنع جوارحه من المخالفة بالتكليف  
والسابق هو الموحد الذي ينسبه التوحيد عن التوحيد (رابعها) الظالم صاحب الكبيرة  
والمقتصد صاحب الصغيرة والسابق المعصوم (خامسها) الظالم التالى للقرآن غير العالم به  
والعامل بموجبه والمقتصد التالى العالم والسابق التالى العالم العامل (سادسها) الظالم  
الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم (سابعها) الظالم اصحاب المشامة والمقتصد  
اصحاب الميمة والسابق السابقون المقربون (ثامنها) الظالم الذي يحاسب فيدخل النار

الكتاب) وهو القرآن ومن

للتبيين او الجنس ومن التبعية  
وقيل اللوح ومن للايتداء (هو الحق  
مسدقا لما بين يديه) اى احقه مصدقا  
لما تقدمه من الكتب السماوية حال  
مؤكد لان حقيقته تستلزم موافقته  
اياها في العقائد واصول الاحكام  
(ان الله لعباده لطيف بصير) محيط  
ببواطن امورهم وظواهرها  
فلو كان في احوالك ما نافي النبوة  
لم يوح اليك مثل هذا الحق المجزئ  
الذى هو عيار على سائر الكتب  
وتقديم الحبيب للتنبيه على ان العبد  
هى الامور الروحية (ثم اورثنا  
لكتاب) اى قضينا بتوريثه منك  
او نورثه والتعير عنه بالماضى  
لتقرره وتحققه وقيل اورثنا من  
الامم السالفة اى اخرناه عنهم  
واعطيناه (الذين اصطفينا من  
عبادنا) وهم علماء الامة من الصحابة  
ومن بعدهم عن يسير سيرتهم والامة  
باسرهم فان الله تعالى اصطفاهم  
على سائر الامم وجعلهم امة وسطا  
ليكونوا شهداء على الناس  
واحتصمهم بكرامة الانعام الى  
افضل رسله عليهم الصلا والسلام  
وليس من ضرورة وراثة الكتاب  
مرأته حق رعايته لقوله تعالى  
فحلف من بعدهم خلف ورثوا  
الكتاب الالية (فهم ظالم لنفسه)  
بالتقصير في العمل به وهو المرجأ  
لامر الله (ومنهم مقتصد) يعمل به  
في اغلب الاوقات ولا يغفل عن خلط  
السي (ومنهم سابق بالخيرات) بادن  
الله (قل هم السابقون الاولون  
من المهاجرين والانصار وقيل هم  
الداؤمون على امامه مواجبه علما  
وعلا وتعايا وقوله تعالى بادن  
الله اى بتبسيره وتوفيقه تنبيهه على  
عزة منال هذه الرتبة وصعوبة  
مأخذها

والمقتصد الذى يحاسب فيدخل الجنة والسابق الذى يدخل الجنة من غير حساب  
(تاسعها) الظالم المصر على المعصية والمقتصد هو النادم والتائب والسابق هو المقبول  
التوبة (ماشرها) الظالم الذى اخذ القرآن ولم يعمل به والمقتصد الذى عمل به والسابق الذى  
اخذه وعمل به وبين للناس العمل به فعملوا به بقوله فهو كامل ومكمل والمقتصد  
كامل والظالم ناقص والمختار هو ان الظالم من خالف فترك او امر الله وارتكب مناهيه  
فانه واضع لشيء في غير موضعه والمقتصد هو المجتهد في ترك المخالفة وان لم يوفق لذلك ونذر  
منه ذنب وصدر عنه اثم فانه اقتصد واجتهد وقصد الحق والسابق هو الذى لم يخالف  
بتوفيق الله ويدل عليه قوله تعالى باذن الله اى اجتهد ووفق لما اجتهد فيه وفيما اجتهد  
فهو سابق بالخير يقع في قلبه فيسبق اليه قبل تسويل النفس والمقتصد يقع في قلبه فتدده  
النفس والظالم تغلبه النفس وتقول بعبارة اخرى من غلبته النفس الامارة وامرته  
فأطاعها ظالم ومن جاهد نفسه فغلب تارة وغلب اخرى فهو المقتصد ومن قهر نفسه فهو  
السابق وقوله (ذلك هو الفضل الكبير) يحتمل وجوها (احدها) التوفيق المدلول عليه  
بقوله باذن الله ذلك هو الفضل الكبير (ثانيها) السبق بالخيرات هو الفضل الكبير  
(ثالثها) الايرات فضل كبير هذا على الوجه المشهور من التفسير اما الوجه الآخر وهو  
ان يقال ثم اورثنا الكتاب اى جنس الكتاب كما قال تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات وبازبر  
وبالكتاب النبىرى رد عليه اسئلة (احدها) ثم التواخي وابتاء الكتاب بعد الانبياء الى محمد  
صلى الله عليه وسلم لم يكن فالمراد بكلمة ثم نقول معناه ان الله خير بصير خبرهم وابصرهم  
ثم اورثهم الكتاب كما انه قال تعالى انا علمنا البواطن وابصرنا الظواهر واصطفينا عبادا  
ثم اورثناهم الكتاب (ثانيها) كيف يكون من الانبياء ظالم لنفسه نقول منهم غير راجع الى  
الانبياء المصطفين بل المعنى ان الذى اوحينا اليك هو الحق وانت المصطفى كما اصطفينا  
رسلا وآتيناهم كتباً ومنهم اى من قومك ظالم كفرك وبما ازل اليك ومقتصد آمن بك  
ولم يأت بجميع ما امرته به وسابق آمن وعمل صالحا (ثالثها) قوله جنات عدن يدخلونها  
الداخلون هم المذكورون وعلى ما ذكرتم لا يكون الظالم داخلا نقول الداخلون هم  
السابقون واما المقتصد فامرهم موقوف او هو يدخل النار اولاً ثم يدخل الجنة والبيان  
لاول الامر لا لما بعده ويدل عليه قوله يحملون فيها من أساور من ذهب وقوله اذهب عنا  
الحزن ثم قال (جنات عدن يدخلونها يحملون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا واباسهم  
فيها حرير) وفي الداخلين وجوه (احدها) الاقسام الثلاثة وهى على قولنا ان الظالم  
والمقتصد والسابق اقسام المؤمنين (والثاني) الذين يتلون كتاب الله (والثالث) هم  
السابقون وهو اقوى لقرب ذكرهم ولانه ذكر اكرامهم بقوله يحملون فالأكرم هو  
السابق وعلى هذا فيه اباحت (الاول) تقديم الفاعل على الفعل وتأخير المفعول عنه  
موافق لترتيب المعنى اذا كان المفعول حقيقة كما قولنا الله خلق السموات وقول القائل

التعل والسائق العالم وقيل الطام  
الحرم والمصدق الذي خلط  
الضال بالسي والسائق الذي  
ترجحت حسنة بحيث صارت  
سياسة مكفرة وهو معنى قوله  
عليه الصلاة والسلام اما الذين  
سبقوا فاولئك يدخلون الجنة  
يزرقون فيها بغير حساب واما  
المتصدقون فاولئك يحاسبون حسابا  
يسيرا واما الذين طلبوا انفسهم  
فاولئك يحاسبون في طول الخسر  
ثم يتلقاهم الله تعالى برحمته وقد  
روى ابن عمر رضي الله عنه قال  
وهو على المنبر قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم سابقنا سابق  
ومقتصدنا تاج وظالمنا معفور له  
(ذلك) اشارة الى السبق بالخير  
وما فيه من معنى البعد مع قرب  
العهد بالمشار اليه للاشعار بما هو  
ربته وبعد منزلته في الشرف (هو  
الفضل الكبير) من الله عز وجل  
لا يزال لا توفيقه تعالى (حنات  
عدن) اما بدل من الفضل الكبير  
يتنزل السبب منزلة المسبب او  
مبتدأ خوه (يدخلونها) وعلى  
الاول هو مستأنف وجع الضمير  
لان المراد بالسائق الخس  
وتخصيص حال السائقين  
وما لهم بالذكور والكوت عن  
المرسين الآخرين والى بدل  
على حرمانها من دخول الجنة  
مطلقا لكون فيه تحديرا لهما من  
لدمير ويحريضا على السعي في  
ادراك شأ السائقين وقرئ  
جاءت عدن وجنة عدن على الحساب  
بفعل بمره الظاهر وهري  
دحاوينا على بناء السعول  
(يؤمنون) احوال ارحامه تدر  
وترى يحاربون من حيث لم يدر  
حائية من اساور) هي جمع اسورة  
جمع سوار (من ذهب) من الاولى

يدبني الجدار فان الله موجود قبل كل شيء ثم له فعل هو الخلق ثم حصل به المفعول وهو  
السموات وكذلك زيد قبل البناء ثم الجدار من بناءه واذا لم يكن المفعول حقيقيا كقولنا  
زيد دخل الدار وضرب عمرا فان الدار في الحقيقة ليس مفعولا للداخل وانما فعل من  
افعاله تحقق بالنسبة الى الدار وكذلك عمرو فعل من افعال زيد تعلق به فسمى مفعولا  
لا يحصل هذا الترتيب ولكن الاصل تقديم الفاعل على المفعول ولهذا ياعد المفعول المقدم  
بالضمير تقول عمرا ضربه زيد فتوقعه بعد الفعل بالهاء العائدة اليه وحينئذ يطول الكلام  
فلا يختاره الحكمم الا لقائده في تقديم الجنات على الفعل الذي هو الدخول واعادة  
ذكرها بالهاء في دخولونها وما الفرق بين هذا وبين قول القائل يدخلون جنات عدن نقول  
السامع اذا علم ان له مدخلا من المداخل وله دخول ولم يعلم عين المدخل فاذا قيل له انت  
تدخل فالى ان يسمع الدار او السوق يبقى متعلق القلب بأنه في اى المداخل يكون فاذا  
قيل له دار زيد تدخلها فذكر الدار يعلم مدخله وبما عنده من العلم السابق بأن له دخولا  
يعلم الدخول فلا يبقى له توقف ولا سيما الجنة والنار فان بين المدخلين بونا بعيدا (الثاني)  
قوله يدخلون فيها اشارة الى سرعة الدخول فان التحلية لو وقعت خارجا لكان فيه تأخير  
الدخول فقال يدخلونها وفيها تقع تحليتهم (الثالث) من اساور بجمع الجمع فانه جمع  
اسورة وهي جمع سوار وقوله ولباسهم فيها حرير ليس كذلك لان الاكثر من اللباس يدل  
على حاجة من دفع بردا وغيره والاكثر من الزينة لا يدل الاعلى الغنى (الرابع) ذكر  
الاساور من بين سائر الخلى في كثير من المواضع منها قوله تعالى وحلوا أساور من فضة  
وذلك لان التحلى بمعينين (أحدهما) اظهار كون التحلى غير مبتذل في الاشغال لان التحلى  
لا يكون حالة الطبخ والغسل (وثانيهما) اظهار الاستغناء عن الاشياء واطهار القدرة على  
الاشياء وذلك لان التحلى اما باللائي والجواهر واما بالذهب والفضة والتحلى بالجواهر  
واللائي يدل على ان التحلى لا يعجز عن الوصول الى الاشياء الكثيرة عند الحاجة حيث  
لم يعجز عن الوصول الى الاشياء القليلة الوجود لاحتاجة والتحلى بالذهب والفضة يدل على  
انه غير محتاج حاجة اصلية والا لصراف الذهب والفضة الى دفع الحاجة اذا عرفت هذا  
فقول الاساور محلها الايدي واكثر الاعمال باليد فانها لا يطش فاذا حليت بالاساور علم  
الفراغ والذهب والؤلؤ اشارة الى النوعين اللذين منهما الخلى \* ثم تعالى (وقالوا  
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور) في الحزن اقوال كثيرة والاولى  
ان يقال المراد اذهب كل حزن والالف واللام للجنس واستغراقه واذ هاب الحزن بحصول  
كل ما ينبغي وبقائه دائما فان شيئاً منه لم يحصل لكان الحزن موجودا بسببه وان حصل  
ولم يدم لكان الحزن غير ذاهب بعد بسبب زواله وخوف فواته وقوله ان ربنا لغفور  
شكور ذكر الله عنهم امورا كلها تنفد الكرامة من الله (الاول) الحمد فان الحمد مناب  
(الثاني) قولهم ربنا فان الله لم يناد بهذا اللفظ الا واستجاب لهم اللهم الا ان يكون المنادى

تعيينية والثانية بيانية أى يحلون  
لعن اساور من ذهب كأنه افضل  
من سائر افرادها ( ولؤلؤا )  
بالنصب عطفا على محل من اساور  
ومرى بالجر عطفا على ذهبى  
من ذهب مرصع باللؤلؤ أو من  
ذهب فى صفاء اللؤلؤ ( ولباسهم  
فيه احرير ) وتغيير الاسلوب قدم  
سره فى سورة الحج ( وقالوا اى  
يقولون وصيغة الماضى للدلالة  
على التحقيق ( الحمد لله الذى  
ادبع عذ الحزن ) وهو ما أهمهم  
من خوف سوء العاقبة وعن ابن  
عباس رضى الله عنهما حزن  
الاعراض والافات وعنه حرر  
الموت وعن الضعفاك حزن  
وسوسة ابليس وقيل هم العاس  
وقيل حزن ذوال النعم والطاهر انه  
المنس المنظم لجميع احزان الدين  
والدنيا وقرئ الحزن وعن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ليس على اهل لاله الا الله وحشة  
فى قبورهم ولا فى محشرهم ولا فى  
مسيرهم وكانى ما هل لاله الا الله  
يخرجون من قبورهم ينفضون  
التراب عن وجوههم ويقولون  
الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن  
( ان ربنا لغفور ) اى للذين  
( شكور ) للطبعين ( الذى  
احلنا دار المقامة ) اى دار الاقامة  
التي لا اتال عنها ابدا ( من فضله )  
من انعامه وتفضله من غير ان  
يوجه شئ من ذلك الى انفسنا  
وصاتنا ( لا يسئنا العوب )  
كلال والدرق وهما ان

قد ضيع الوقت الواجب أو طلب ما لا يجوز كالرد الى الدنيا من الآخرة ( الثالث )  
قولهم غفور ( الرابع ) قولهم شكور والغفور اشارة الى ما غفر لهم فى الآخرة  
بما وجد لهم من الحمد فى الدنيا والشكور اشارة الى ما يعطيهم ويزيد لهم بسبب ما وجد  
لهم فى الآخرة من الحمد \* ثم قال تعالى ( الذى أحلنا دار المقامة من فضله ) أى دار  
الاقامة لما ذكر الله سرورهم وكرامتهم بتخليتهم وادخالهم الجنات بين سرورهم  
ببقائهم فيها واعلمهم بدوامها حيث قالوا الذى أحلنا دار المقامة اى الاقامة والمفعول  
ربما يحى المصدر من كل باب يقال ماله معقول اى عقل وقال تعالى مدخل صدق  
وقال تعالى ومزقناهم كل ممزق وكذلك مستخرج للاستخراج وذلك لان المصدر  
هو المفعول فى الحقيقة فانه هو الذى فعل فجاز اقامة المفعول مقايته وفى قوله دار  
المقامة اشارة الى ان الدنيا منزلة ينزلها المكلف ويرتحل عنها الى منزلة القبور ومنها الى  
منزلة العرصة التى فيها الجمع ومنها التفريق وقد تكون النار لبعضهم منزلة اخرى  
والجنة دار المقامة وكذلك النار لاهلها وقولهم من فضله اى بحكم وعده لا بايجاب من  
عنده وقوله تعالى ( لا يسئنا فيها نصب ولا يسئنا فيها القوب ) القوب الاعياء والنصب  
هو السبب للاعياء فان قال قائل اذا بين انه لا يسئنا فيها نصب علم انه لا يسئنا فيها لغوب ولا  
ينفى المتكلم الحكيم السبب ثم ينفى مسيئه بحرف العطف فلا يقول القائل لا آكات ولا  
شعبت اولات ولا مشيت والعكس كثير فانه يقال لاشعبت ولا آكات لما ان فى الشبع  
لا يلزمه انتفاء الاكل وسياق ما تقرر ان يقال لا يسئنا فيها اعياء ولا مشقة فقول ما قال  
الله فى غابة الجلالة وكلام الله اجل وبيانه اجل ووجهه هو انه تعالى بين مخالفة الجنة لدار  
الدنيا فان الدنيا اما كنها على قمين ( احدهما ) موضع تمس فيه المشاق والمتاعب كالبرراى  
والصحارى والطرقات والاراضى ( والاخر ) موضع يظهر فيه الاعياء كالقبوت  
والنازل التى فى الاسفار من الخانات فان من يكون فى مباشرة شغل لا يظهر عليه الاعياء  
الا بعد ما يستريح فقال تعالى لا يسئنا فيها نصب اى لبست الجنة كاللواضع التى فى الدنيا  
مظان المتاعب بل هى افضل من المواضع التى هى مواضع مرجع العى فقال ولا  
يسئنا فيها القوب اى ولا نخرج منها الى مواضع تعب ونزجع اليها فيسئنا فيها الاعياء وقرئ  
لغوب بفتح اللام والترتيب على هذه القراءة ظاهر كأنه قال لا نتعب ولا يسئنا ما يصلح لذلك  
وهذا لان القوى السوى اذا قال ماتعت اليوم لا ينعهم من كلامه انه ما على شئنا لجواز  
انه عمل علام يكن بالنسبة اليه متعبا لقوته فاذا قال مامسنى ما يصلح ان يكون متعبا يفهم  
انه لم يعمل شئنا لان نفس العمل قد يصلح ان تكون متعبا لضعف او متعبا بسبب كثرة  
والغوب هو ما يلعب منه وتيل النصب انتعب الممرض وعلى هذا فلهذا القليل ظاهر  
كأنه قال لا يسئنا مرض ولا دون ذلك وهو الذى يعنى منه مباشرة \* ثم قال تعالى ( والذين  
كفروا لهم نار جهنم ) عطف على قوله ان الذين يتلون كتاب الله وما بينهما كلام يتعلق

الذين يتلون كتاب الله على ما بينا وقوله جات عدن يدخلونها قد ذكرنا انه على بعض  
الاقوال راجع الى الذين يتلون كتاب الله ﷺ ثم قال تعالى ( لا يقصى عليهم فيموتوا ) أى  
لا يستريحون بالموت بل العذاب دائم ( ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور )  
أى النار وفيه لطائف ( الاولى ) ان العذاب فى الدنيا ان دام كثيرا يقتل فان لم يقتل  
بعساده البدن وبصير مزاجا فاسدا متمكنا لا يحس به المذب فقال عذاب نار الآخرة  
ليس كعذاب الدنيا اما أن يفنى واما أن يألفه البدن بل هو فى كل زمان شديد  
والمذب فيه دائم ( الثانية ) راعى الترتيب على احسن وجه وذلك لان الترتيب أن  
لا يقطع العذاب ولا يفتقر فقال لا يقطع الا بأقوى الاسباب وهو الموت حتى يتمون  
الموت ولا يجابون كما قال تعالى ونادوا يا مالك ليقتض علينا ربك أى بالموت ( الثالثة ) فى  
المعذنين اكنفى بأنه لا ينقص عذابهم ولم يقل يزيدهم عذابا وفى المسابن ذكر الزيادة بقوله  
ويزيدهم من فضله مما بين ان عذابهم لا يخفف قال تعالى ( وهم بصطرحون فيها ) أى  
لا يخففون وان اضطرحوا واضطربوا لا يخفف الله من عذبه انعاما الى أن يطلوه بل يطلون  
ولا يحدون والاضطراح من الصراخ والصراخ صوت المذب وقوله تعالى ( ربنا أخرجنا )  
أى صراخهم بهذا أى يقولون ربنا أخرجنا لان صراخهم كلام وفيه اشارة الى ان  
ابلامهم تعذيب لتأديب وذلك لان المؤدب اذا قال للمؤدب لارجع الى ما فعلت وبثسما  
فعلت يتركه واما المذب فلا وترتبه حسن وذلك لانه لما بين انه لا يخفف عنهم بالكلية  
ولا ينفو عنهم بين انه لا يقبل منهم وعدا وهذا لان المحسوس بصبر لعله يخرج من غير سؤال  
فاذا طال لبثه يطلب الاخراج من غير قطيعة على نفسه فان لم يفده يقطع على نفسه  
قطيعة ويقول اخرجنى اعمل كذا وكذا واعلم ان الله تعالى قدين ان من يكون فى الدنيا  
ضالافهو فى الآخرة ضال كما قال تعالى ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى ثم  
انهم لم يعلموا ان العود الى الدنيا بعيد محال بحكم الاخبار وعلى هذا قالوا ( نعمل صالحا )  
جازمين من غير استعانة بالله ولا مشاورة فيه ولم يقولوا ان الامر بيد الله فقال الله لهم اذا  
كان اعتمادكم على انفسكم فقد عمرناكم مقدارا يمكن التذكر فيه والايان بالايان  
والاقبال على الاعمال وقولهم ( غير الذى كنا نعمل ) اشارة الى ظهور فساد عملهم لهم  
وكان الله تعالى كالمهدهم فى الدنيا لم يهدهم فى الآخرة فما قالوا ربنا زدنا للمحسنين  
حسنات بفضلك لا بعملهم ونحن احوج الى تخفيف العذاب منهم الى تضعيف التواب  
فان فعل بنا ما انت اهل نظر الى فضلك ولا تفعل بنا ما نحن اهل نظر الى عدلك وانظر  
الى مغفرتك الهائلة ولا تنظر الى معذرتنا الباطلة وكأهدى الله المؤمن فى الدنيا هدهاء فى  
العقى حتى دعاه بأقرب دعاء الى الاجابة واثنى عليه بأطيب ثناء عند الانابة فقالوا الحمد لله  
وقالوا ربنا غفور اعترافا بتقصيرهم شكورا اقرارا بوصول ما لم يخطر ببالهم اليهم وقالوا  
احلنا دار المتامة من فضله أى لاعمل لنا بالنسبة الى نعم الله وهم قالوا اخرجنا نعمل صالحا

النصب نفس المشقة والكلفة  
واللعوب ما يحدث منه من القنور  
والنصرج بنى الثانى مع استلزام  
فى الاول له وتكرير الفعل المنفى  
للبالعة فى بيان اشتفاء كل منهما  
(والذين كفروا لهم نار جهنم  
لا يقضى عليهم ) لا يحكم عليهم  
بموت ثان ( فيموتوا ) ويستريحوا  
ونصبه باضمارا وقرئ فيموتون  
عطفا على يقضى كقوله تعالى  
ولا يؤذونهم فيعتدروا ( ولا  
يخفف عنهم من عذابها ) بل كما  
خبت زيد اسعارها ( كذلك )  
أى مثل ذلك الجراء الطبيع  
( نجزي كل كفور ) مبالغ فى  
الكفر أو الكفران لاجراما خف  
وادنى منه وقرئ يحرق على  
البناء للفعل واستاده الى الكل  
وقرئ يجازى ( وهم بصطرحون  
فيها ) يستعيثون والاضطراح  
افتعال من الصراخ استعمل فى  
الاستعداد لهذه المستعيث صوته  
( ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير  
الذى كنا نعمل ) باضمار القول  
وتعبد العمل الصالح بالوصف  
المذكور العسر على ما علموه  
من غير الصالح والاعتراف به  
والاشعار بان استغفراهم لتلايه  
وانهم كانوا يحسبونهم صالحا  
والاثنين خلافه وقوله تعالى





وحال من انقضى فانكم لولم يحصل لكم علم بأن من كذب الرسل اهلك لكان عندكم أخفى  
وفسادكم أخف لكن اهلتم وعمرتم وأمرتم على لسان الرسل بما أمرتم وجعلتم خلافتكم  
في الارض اى خليفة بعد خليفة تعملون حال الماضين وتصبحون بحالهم راضين (فن كفر)  
بعد هذا كله (فعلبه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الامقتا) لان الكافر  
السابق كان بمقوتنا كالعبد الذي لا يخدم سيده واللاحق الذي انذره الرسول ولم ينتبه  
امقت كالعبد الذي ينصحه الناصح وبأمره بخدمة سيده ويعده ويوعده ولا ينفعه  
النصح ولا يسعده والتالى لهم الذى رأى عذاب من تقدم ولم يخش عذابه امقت الكل  
ثم قال تعالى (ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) أى الكفر لا ينفع عند الله حيث  
لا يزيد الا المقت ولا ينفعهم في انفسهم حيث لا يفيدهم الا الخسار فان العمر كرأس مال  
من اشترى به رضا الله ربح ومن اشترى به سخطه خسر ثم قال تعالى (قل أرأيتم  
شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات  
أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان بعد الظالمون بعضهم بعضا الاغروا) تقريراً  
للتوحيد وابطالاً للشرك وقوله أرأيتم المراد منه اخبروني لان الاستفهام يستدعى  
جواباً يقول القائل أرأيت ماذا فعل زيد فيقول السامع باع واشترى ولولا تضخمه معنى  
أخبرني والا لما كان الجواب الا قوله لا ونم وقوله شركاءكم انما اضاف اليهم الشركاء من  
حيث ان الاصنام في الحقيقة لم تكن شركاء الله وانما هم جعلوها شركاء فقال شركاءكم  
اى الشركاء يجعلكم ويحتمل ان يقال شركاءكم اى شركاءكم في النار لقوله انكم وما  
تعبدون من دون الله حصب جهنم وهو قريب ويحتمل ان يقال هو بعيد لاتفاق المفسرين  
على الاول وقوله اروني بدل عن أرأيتم لان كليهما ما يفيد معنى اخبروني ويحتمل ان يقال  
قوله أرأيتم استفهام حقيقى وأروني امر تعجيز للتبيين فلما قال أرأيتم يعنى أعلمتم هذه التى  
تدعونها كما هى وعلى ما هى عليه من العجزاؤ توهمون فيها قدرة فان كنتم تعملونها عاجزة  
فكيف تعدونها وان كان وقع لكم ان لها قدرة فأروني قدرتها فى اى شئ هى أهى فى  
الارض كما قال بعضهم ان الله اله السماء وهؤلاء آلهة الارض وهم الدين قالوا أمور  
الارض من الكواكب والاصنام صورها ام هى فى السموات كما قال بعضهم ان السماء  
خلقت باستعانة الملائكة والملائكة شركاء فى خلق السموات وهذه الاصنام صورها ام  
قدرتها فى الشفاعة لكم كما قال بعضهم ان الملائكة ما خلقوا شيئاً ولكنهم مقربون عند  
الله فعبدها يشفعوا لها فهل معهم كتاب من الله فيه اذنه لهم بالشفاعة وقوله أم آتيناهم  
كتاباً فى العائد اليه الضمير وجهان (احدهما) انه عائد الى الشركاء اى هل آتيناهم شركاء  
كتاباً (وبابهما) انه عائد الى المشركين اى هل آتيناهم المشركين كتاباً وعلى الاول فعناه  
ما ذكرنا اى هل مع ما جعل شريكاً كتاب من الله فيه ان له شفاعة عند الله فان احداً  
لا يشفع عنده الا باذنه وعلى الثانى فعناه ان عبادة هؤلاء اما بالعقل ولا عقل لمن يعبد من

(انه علم بذات الصدور) قيل  
انه تعاليل لما قبله لانه ذالم  
مصرات الصدور وهى اخفى  
ما يكون كان علم بعيرها (هو  
اى جعلكم خلائف فى الارض)  
يقال للمستخلف خليفة وحليف  
والاول يجمع خلافت وثلثى  
حلفاء والمعنى انه تعالى جعلكم  
خلائف فى رضه ولقى اليكم  
وعاليد انصرف فيها وسلطكم  
على ما فيها وابعاح لكم منافعها او  
حلكم حلفاء من قبلكم من الامم  
واورثكم ما أبديهم من متاع  
الدنيا لتشكروه بالتوحيد  
وطاعة (فن كفر) منكم مثل  
هذه النعمة السنية وغفلتم (فعلبه  
كفره) اى وبال كفره  
لا يعده لى غيره وقوله تعالى  
(ولا يزيد الكافرين كفرهم  
عند ربهم الا مقتا ولا يزيد  
الكافرين كفرهم الا خساراً)  
بيان لو بال الكفر وغائلة وهو  
مقت لله تعالى اياهم اى بغضه  
الشديد الذى ليس وراءه اخرى  
وصغار وحسار لا حرة الذى  
ما بعده شر وحسار وتكرير  
لزيادة التقرير والتنبية على ان  
اقتضاء الكفر لكل واحد من  
الامرين به ثلثين اتجهين لطريق  
الاستغلال والاصابة (نل)  
تبيكتا لهم (أرأى شركاء الدين  
تدعون من دون الله) اى  
آلهتكم والاصافه ليهم لانهم  
جماؤهم شركاء لله تعالى من غير  
ان يكون له اصل ما اصلا

لم يخلق من الارض جزءاً من الاجزاء ولا في السماء شيئاً من الاشياء واما بالقل ونحن  
ما آتينا المشركين كتاباً فيه امرنا بالسجود لهؤلاء ولو امرنا لجاز كما امرنا بالسجود لآدم  
والى جبهة الكعبة فهذه العبادة لاعقلية ولا عقلية فوعده بعضهم بعضاً ليس الاضروا  
غرمهم الشيطان وزين لهم عبادة الاصنام مما بين انه لا خلق للاصنام ولا قدرة لها ولا على  
جزء من الاجزاء بين ان الله قدير بقوله ( ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولن  
زالنا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليماً غفوراً ) ويحتمل ان يقال لما بين شركهم  
قال مقتضى شركهم زوال السموات والارض كما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن  
منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحن ولدا ويدل على هذا قوله تعالى في  
آخر الآية انه كان حليماً غفوراً كان حليماً ما ترك تعذيبهم الاحلام منه والاكوانا يستحقون  
اسقاط السماء وافتراق الارض عليهم وانما اخر ازالة السموات الى قيام الساعة حليماً  
ويحتمل الآية وجهان لنا وهو ان يكون ذلك من باب التسليم واثبات المطلوب على تقدير  
التسليم ايضا كانه تعالى قال شركاؤكم ما خلقوا من الارض شيئاً ولا في السماء جزءاً ولا  
قدروا على الشفاعة فلا عبادة لهم وهب انهم فعلوا شيئاً من الاشياء فهل يقدرون على  
امساك السموات والارض ولا يمكنهم القول بانهم يقدرون لانهم ما كانوا يقولون به كما  
قال تعالى عنهم ولن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ويؤيد هذا قوله وان  
زالنا ان امسكهما من احد من بعده فادان تين أن لا معبود الا الله من حيث ان غيره  
لم يخلق من الاشياء وان قال الكافر بان غيره خلق فخلق مل ما خلق فلا شريك له انه  
كان حليماً غفوراً حليماً حيث لم يجعل في اهلاكم بعدا صرارهم على اشراكهم وغفورا  
يعفو لمن تاب ويرحمه وان استحق العقاب \* ثم قال تعالى ( واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن  
جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا  
في الارض ومكر السيئ ولا يحيق المدر السيئ الا باهله ) لما بين انكارهم للتوحيد ذكر  
تكذيبهم للرسول ومالغتهم فيه حيث انهم كانوا يقسمون على انهم لا يكذبون الرسل اذا  
تين لهم كونهم رسلا وقالوا انما نكذب بمحمد صلى الله عليه وسلم لكونه كاذباً ولو تين لنا  
كونه رسولا لا منا كما قال تعالى عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن  
بها وهذا مبالغة منهم في التكذيب كما ان من ينكر دين انسان فدينقول والله لو علمت ان له  
شيئاً لقضيته وزدت له اظهارة لكونه مطالبا بالباطل فكذلك ههنا عاندوا وقالوا والله  
لو جاءنا رسول لكننا اهدى الامم فلما جاءهم نذير اى محمد صلى الله عليه وسلم جاءهم اى صح  
مجيئتهم بالبينه ما زادهم الا نفورا فانهم قبل الرسالة كانوا كافرين بالله وبعدها صاروا  
كافرين بالله ورسوله ولانهم قبل الرسالة ما كانوا معذنين كما صاروا بعد الرسالة وقال  
بعض المفسرين ان اهل مكة كانوا يلعنون اليهود والنصارى على انهم كذبوا برسولهم لما  
جاؤهم وقالوا لو جاءنا رسول لا طعنناه واتبعناه وهذا فيه اشكال من حيث ان المشركين

وقبل جعلهم شركاء لانفسهم  
فيما يملكونه ويأباه سابق النظم  
الكريم وسياقه ( اروني ماذا  
خلقوا من الارض ) بدل اشتمال  
من ارايتم كانه قيل اخبروني  
عن شركائكم اروني اى جزء  
خلقوا من الارض ( أم لهم شرك  
في السموات ) اى أم لهم شركة  
مع الله سبحانه في خلق السموات  
ليستحقوا بذلك شركة في الألوهية  
ذاتية ( أم آتيناهم كتاباً ) ينطق  
بأننا اتخذناهم شركاء ( فهم على  
بينة منه ) اى حجة ظاهرة  
من ذلك الكتاب بان لهم شركة  
جعلية ويجوز ان يكون ضمير  
آتيناهم للمشركين كما في قوله تعالى  
أم ازلنا عليهم سلطاناً الخ وقرئ  
على بينات وفيه ايماء الى  
ان الشرك امر خطير لا بدق اثباته  
من تعاضد الدلائل ( بل ان  
يعد الظالمون بعضهم بعضاً  
الاعمرورا ) لما نفي انواع الحجج  
في ذلك اضرب عنه بذكر  
ما جعلهم عليه وهو تعيير الاسلاف  
للاخلاف واضلال الرؤساء  
للاتباع بأنهم شفعاء عند الله  
يشفعون لهم بالتقريب اليه  
( ان الله يمسك السموات والارض  
أن تزولا ) استئناف مسوق لبيان  
غاية قبح الشرك وهو له اى  
يمسكها كراهة زوالهما او بمنعها  
ان تزولا لان الامساك منع  
( ولئن زالنا ان امسكهما ) اى  
ما مسكهما ( من احد من بعده )  
من نعد امساكته تعالى او من  
بعد الزوال

كانوا منكربين للرسالة والحشر مطلقا فكيف كانوا يعترفون بالرسالة فمن اين عرفوا ان اليهود كذبوا وما جاءهم كتاب ولولا كتاب الله وبيان رسوله من اين كان يعلم المشركون انهم صدقوا شيئا وكذبوا في شيء بل المراد ما ذكرنا انهم كانوا يقولون نحن لوجاءنا رسول لانكره وانما ننكر كون محمد رسولا من حيث انه كاذب ولو صح كونه رسولا لآمنوا وقوله فلما جاءهم اى فلما صح لهم بحجة بالمجزة وفي قوله اهدى وجهان (احدهما) ان يكون المراد اهدى بمنح عليه وعلى هذا فقوله من احدى الامم للسبين كما يقول القائل زيد من المسلمين ويدل على هذا قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما رادهم الانفورا اى صاروا أضل مما كانوا وكانوا يقولون نكون اهدى (وثانيهما) ان يكون المراد ان نكون اهدى من احدى الامم كما يقول القائل زيدا لى من عمرو وفي الامم وجهان (احدهما) ان يكون المراد العموم اى اهدى من اى احدى الامم وفيه تعريض (وثانيهما) ان يكون المراد تعريف العهد اى امة محمد وموسى وعيسى ومن كان في زمانهم سم قال تعالى استكبارا في الارض ونصه يحتمل ثلاثة اوجه (احدها) ان يكون حالا اى مستكبرين في الارض (وثانيها) ان يكون مفعولا لاهى للاستكبار (وثالثها) ان يكون بدلا عن الفور وقوله ومكر السيى اضافة الجنس الى نوعه كما يقال علم الفقه وحرقة الحدادة وتحقيقه ان يقال معناه مكروا مكرًا سينما عرف لظهور مكرهم ثم ترك التعريف باللام واضيف الى السيى لكون السوء فيه أبن الامور ويحتمل ان يقال بأن المكر يستعمل استعمال العمل كما ذكرنا في قوله تعالى والذين يمكرون السيئات اى يعملون السيئات ومكرهم السيى وهو جميع ما كان يصدر منهم من القصد الى اذى ومنع الناس من الدخول في الايمان واظهار الانكار ثم قال ولا يبحى المكر السيى الأباهله اى لا يحيط الا بفاعله وفي قوله ولا يبحى وقوله الأباهله فواذما في قوله يبحى فهى انها تذى عن الاحاطة التى هى فوق الحقوق وفيه من التحذير ما ليس في قوله ولا يبحى او ولا يصل واما في قوله بأهله فقيه ما ليس في قول القائل ولا يبحى المكر السيى الا لما كرى لا بأمن المسيى فان من اساء ومكره سى آخر فديلقه جراء على سيئه واما اذا لم يكن سينما فلا يكون اهلا فياً من المكر السيى واما في البى والابات فصانته الخصم بخلاف ما يقول القائل المكر السيى يبحى بأهله فلا يبنى عن عدم الحيق بغير اهله فان قال قائل كبيرا ما ترى ان الما كرى مكر ويقيده المكر ويغلب الخصم بالمكر والآية تدل على عدم ذلك فقول الجواب عنه من وجوه (احدها) ان المكر المذكور في الآية هو المكر الذى مكروه مع النى صلى الله عليه وسلم من العزم على القتل والاخراج ولم يبحى لانهم حيث قتلوا يوم بدر وغيره (وثانيها) هو ان تقول المكر السيى عام وهو الاصح فان البى عليه السلام نهى عن المكر واخبر عن النى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكروا ولا تعينوا مكرًا فان الله يقول ولا يبحى المكر السيى الأباهله وعلى هذا فذلك الرجل المذكور به يكون اهلا فلا يرد نقضا (وثالثها) ان الامور

والجمل سادة مسد الجوابين ومن الاولى سريدة لتأكيد العموم والثانية للابتداء (اى كان حليما عمورا) غير معاجل بالعقوبة التى تستوجبها جناياتهم حيث اسكهم ما وكث حدير بين ان تهدا هذا حسبا قال تعالى نكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا (واقسموا بالله جهد ايمانهم لى جاءهم نذير ليكون اهدى من احدى الامم) لمع قرىضا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى انهم الرسل كذبوهم فوالله لئن انا رسول لكونن اهدى من احدى الامم اليهود والنصارى وغيرهم ومن الامة التى يقال لها احدى الامم تعنيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة (فلا جاءهم نذير) وائ نذير اشرى الرسل عليهم الصلاة والسلام (ما رادهم) اى البدير او بحيشه (الانمورا) تساعدا عن الحق (استكبارا في الارض) بدل من عمورا او مفعوله (ومكر السيى) اصله وان مكروا السيى اى المكر لى ثم ومكروا السيى ثم ومكر السيى وقرئ يسكون المهرقة في الوصل ولعله احتلاس ظن سكونا ووقفة حميفا وقرئ مكرًا سبار ولا يبحى المكر السيى الأباهله

بعواقبها ومن مكر به غيره ونفذ فيه المكر عاجلا في الظاهر ففي الحقيقة هو الفائر والمالك هو الهالك وذلك مثل راحة الكافر ومشقة المسلم في الدنيا وبين هذا المعنى قوله تعالى فهل ينظرون الا سنة الاولين يعني اذا كان لمكرهم في الحال رواج فالعاقبة للتقوى والامور بخواتيمها فيه لكون كاهلك الاولون \* وقوله تعالى ( فهل ينظرون الا سنة الاولين ) اي ليس لهم بعد هذا الانتظار الاهلاك وهو سنة الاولين وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) الاهلاك ليس سنة الاولين انما هو سنة الله بالاولين فقول الجواب عنه من وجهين ( احدهما ) ان المصدر الذي هو المفعول المطلق يضاف الى الفاعل والمفعول لتعلقه بهما من وجهه دون وجهه فيقال فيما اذا ضرب زيد عرا عجبت من ضرب عمرو وكيف ضرب مع ماله من العزم والقوة وعجبت من ضرب زيد كيف ضرب مع ماله من العلم والحكمة فكذلك سنة الله بهم أضافها اليهم لانها سنة سنت بهم و اضافها الى نفسه بعدها بقوله تعالى ( فلن تجد لسنة الله تبديلا ) لانها سنة من سن الله اذا علمت هذا فقول اضافها في الاول اليهم حيث قال سنة الاولين لان سنة الله الاهلاك بالاشراك والاكرام على الاسلام فلا يعلم انهم ينتظرون أيهما فاذا قال سنة الاولين تميزت وفي الثاني أضافها الى الله لانها لما علمت فلاضافة الى الله تعظمها وتبين انها امر واقع ليس لها من دافع ( وانيهما ) ان المراد من سنة الاولين استمرارهم على الانكار واستكبارهم عن الاقرار وسنة الله استئصالهم بأصرارهم فكأنه قال انتم تريدون الايمان بسنة الاولين والله يأتي بسنة لا تبديل لها ولا تحويل عن مستحقها ( المسئلة الثانية ) التبديل تحويل فا الحكمة في التكرار نقول بقوله فلن تجد لسنة الله تبديلا حصل العلم بأن العذاب لا تبديل له بغيره وبقوله تعالى ( ولن تجد لسنة الله تحويلا ) حصل العلم بأن العذاب مع انه لا تبديل له بالحوال لا يتحول عن مستحقه الى غيره فيتم تهديد المسمى ( المسئلة الثالثة ) المخاطب بقوله فلن تجد يحتمل وجهين وقد تقدم مرارا ( أحدهما ) ان يكون عاما كأنه قال فلن نجد ايها السامع لسنة الله تبديلا ( والثاني ) ان يكون مع محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فكأنه قال سنة الله انه لا يهلك ما بقى في القوم من كتب الله ايمانه فاذا آمن من في علم الله انه يؤمن يهلك الباقي كما قال نوح انك ان نذرهم اى تمهل الامر وجاء وقت سنك \* ثم قال تعالى ( اولم يسبروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الدين من قبلهم وكانوا اسد منهم قوة ) لما ذكر ان للاولين سنة وهى الاهلاك نبههم بتذكير حال الاولين فانهم كانوا مارين على ديارهم راين لا مارههم واملهم كان فوق املهم وعلمهم كان دون علمهم اما الاول فلطول اعمارهم وشدة اقتدارهم واما علمهم فلانهم لم يكذبوا مل محمد ولا بمحمد وأنتم يا اهل مكة كذبتم محمدا ومن تقدمه وقوله تعالى وكانوا اسد منهم قوة قد ذكرناه في سورة الروم بقى فيه ابحاث ( الاول ) قال هناك كانوا اسد من غير واد وقال ههنا بالواو واما الفرق نقول قول القائل اماريت زيدا كيف اكرمني واعظم منك بعيد ان القائل يخبره بأن زيدا

فهل ينظرون ) اي ما ينتظرون ( الا سنة الاولين ) اي سنة الله فيهم تعذيب مكذبيهم ( فلن تجد لسنة الله تبديلا ) بان يضع موضع العذاب غير العذاب ( ولن تجد لسنة الله تحويلا ) بان ينقله من المكذبين الى غيرهم والعماء لتعليل ما يفيد الحكم بانظارهم العذاب من عيشته وادى وحدان التبديل والتحويل عاره عن نفى وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفى مستقل لتأكيد انتفاهما ( اولم يسبروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الدين من قبلهم ) استشهد على ما قبله من حريان سنة تعالى على تعذيب المكذبين بما يشاهدونه في مسيرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار دمار الامم الماضية العرانية والهمرية للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام اي قد وادى مساكنهم ولم يسبروا في الارض فنظروا كيف كان عاقبة الدين من قبلهم ( وكانوا اسد منهم قوة ) واطول اعمارا ها نفهم طول المدى وما عى عنهم شدة القوى ومحل الجلسة السحب على حاله

اعظم واذا قال امارأيته كيف اكرمني هو اعظم منك يفيد انه تقرر ان كلا المعنيين حاصل عند السامع كأنه رآه اكرمه وراه اكبر منه ولا شك ان هذه العبارة الاخيرة تفيد كون الامر الثاني في الظهور مثل الاول بحيث لا يحتاج الى اعلام من المتكلم ولا اخبار اذا علمت هذا فقول المذكور ههنا كونهم أشد منهم قوة لا غير ولعل ذلك كان ظاهرا عندهم فقال بالواو اي نظركم كايضع على عاقبة امرهم يقع على قوتهم واما ههنا فالكذا كور اشياء كثيرة فإنه قال كانوا أشد منهم قوة وأناروا الارض وعمروها وفي موضع آخر قال فلم يسبروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم واشد قوة وآارا في الارض ولعل علمهم لم يحصل بأمارتهم الارض اوبكثرتهم ولكن نفس القوة ورجحانهم فيما عليهم كان معلوما عندهم فان كل طائفة تعتقد فيمن تقدمهم انهم اقوى منهم ولا نزاع به \* وقوله تعالى (وما كان الله ليبحره من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليا قديرا) يحتمل وجهين (احدهما) ان يكون بآنا اللهم اي ان الاولين مع شدة قوتهم ما أعجزوا الله وما قاتوه فهم اولي بأن لا يعجزوه (والثاني) ان يكون قطعاً لاطماع الجهال فان قاتلا لو قال هب ان الاولين كانوا شد قوة واعول اعمارا لكننا نستخرج بذلك ما يزيد على قواهم ونستعين بأمر ارضية لها خواص او كواكب سماوية لها آثار فقال تعالى وما كان الله ليبحره من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليا بأفعالهم واقوالهم قديرا على اهلاكهم واستئصالهم \* ثم قال تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا مترك على ظهرها من دابة ولئن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم قال الله كان بعباده نصيرا) لما خوف الله المكذبين من مضى وكان من شدة عنادهم وفساد اعتقادهم يستعملون بالعذاب ويقولون عجل لنا عذابنا فقال الله للعذاب اجل والله لا يؤاخذ الناس بنفس الظلم فان الانسان ظلموم جهول وانما يؤاخذ بالاصرار وحصول بأس الناس عن ايمانهم ووجود الايمان ممن كتب الله ايمانه فاذا لم يبق فيهم من يؤمن يهلك المكذبين ولو آخذهم بنفس الظلم لكان كل يوم اهلاكا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اذا كان الله يؤاخذ الناس بما كسبوا فما بال الدواب يهلكون نقول الجواب من وجوه (احدها) ان خلق الدواب نعمة فاذا كفر الناس بزيل الله النعم والدواب أقرب النعم لان المفرد اولاً ثم المركب والمركب اما ان يكون معدنيا واما ان يكون ناميا والنامي اما ان يكون حيوانا واما ان يكون نباتا والحيوان اما انسان واما غير انسان فالدواب أعلى درجات المخلوقات في عالم العاصر للانسان (الثاني) هو ان ذلك بيان لشدة العذاب وعمومه فان بقاء الاشياء بالانسان كما ان بقاء الانسان بالاشياء وذلك لان الانسان يدر الاشياء ويعلمها ويتبني الاشياء ثم ينفع بها الانسان فيبقى الانسان فأذا كان الهلاك عاما لا يبقى من الانسان من يعمر فلا تبقى الابنية والزروع فلا تبقى الحيوانات الاهلية لان بقاءها بحفظ الانسان اياها عن التلف والهلاك بالسقي والعلف

وقوله تعالى (وما كان الله ليبحره من شيء) اي ليسبقه ويفوته (في السموات ولا في الارض) اعتراض مقرر لما يفهم مما قبله من استئصال الامم السالمة وقوله تعالى (انه كان عليا قديرا) اي مبالغى العلم والفسرة ولذلك علم بجميع اعمالهم السيئة فعاقبهم بموجها تحليل لذلك (ولو يؤاخذ الله الناس) جمعا (بما كسبوا) من السيئات كما فعل بأولئك (ما ترك على ظهرها) اي على ظهر الارض (من دابة) من نعمة تدب عليها من بني آدم وقبلهم وغيرهم ايضا من شؤم معاصيهم وهو المروى عن ابن مسعود والنس رضي الله عنهما ويعضد الاول قوله تعالى (ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى) وهو يوم لقيامة (فاذا جاء اجلهم قال الله كان بعباده نصيرا) فيجازيهم عند ذلك بأعمالهم ان خيرا ام خيرا وان شرا فشر \* عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت والله تعالى اعلم

(ال لث) هو انزال المطر هو انعام من الله في حق العباد فاذا لم يستحقوا الانعام قطعت الامطار عنهم فيظهر الجفاف على وجه الارض فتموت جميع الحيوانات وقوله تعالى ماترك على ظهرها من دابة يؤيد الوجه الثالث لان بسبب انقطاع الامطار تموت حيوانات البر اما حيوانات البحر فتعيش بماء البحار (المسئلة الثانية) قوله تعالى على ظهرها كناية عن الارض وهى غير مذكورة فكيف علم نقول مما تقدم ومما تأخر اما ما تقدم فقوله وما كان الله ليجهز من شئ في السموات ولا في الارض فهو اقرب المذكورات الصالحة لعود الهاء اليها ؛ واما ما تأخر فقوله من دابة لان الدواب على ظهر الارض فان قيل كيف يقال لماعليه الخلق من الارض ووجه الارض وظهر الارض مع ان الوجه مقابل الظهر كالعضد نقول من حيث ان الارض كالدابة الحاملة للانفسال والحمل يكون على الظهر يقال له ظهر الارض ومن حيث ان ذلك هو المقابل للخلق المواجه لهم يقال له وجهها على ان الظاهر في مقابلة البطن والظهر والظاهر من باب والبطن والباطن من باب فوجه الارض ظهر لانه هو الظاهر وغيره منها باطن وبطن (المسئلة الثالثة) في قوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وجوه (احدها) الى يوم القيامة وهو مسمى مذكور في كثير من المواضع (ثانيها) يوم لا يوجد في الخلق من يؤمن على ما تقدم (ثالثها) لكل امة اجل ولكل اجل كتاب واجل قوم محمد صلى الله عليه وسلم ايام القتل والاسر كيوم بدر وغيره (المسئلة الرابعة) قوله تعالى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا تسليمة للمؤمنين وذلك لانه تعالى لما قال ماترك على ظهرها من دابة وقال لا نصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال فاذا جاء الهلاك فالله بالعباد بصيرا ما ان نجيبهم او يكون توفيقهم تقريبا من الله لاتعذبا ؛ لا يقال قد ذكرت ان الله لا يؤاخذ بمجرد الخلق وانما يؤاخذ حين يجتمع الناس على الضلال ونقول بأنه تعالى عند الاهلاك يهلك بالمؤمن فكيف هذا ؛ نقول قد ذكرنا ان الامانة والافشاء ان كان للتعذيب فهو مؤاخذة بالذنب واهلاك وان كان لا يصل النواب فليس باهلاك ولا بمؤاخذة والله لا يؤاخذ الناس الا عند عموم الكفر وقوله بصيرا لفظ اتم في التسليمة من العليم وغيره لان البصير بالشيء الناظر اليه اولى بالانجاء من العالم بحاله دون ان يراه والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

(سورة يس مائون و ثلاث آيات مكة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يس والقرآن الحكيم) قد ذكرنا كلاما كثيرا في حروف التهجى في سورة الصكوت وذكرنا ان في كل سورة بدأ الله فيها بحرف التهجى كان في أوائلها الذكر او الكتاب او القرآن والذكر ههنا انجاء (البحث الاول) هو اريد ذكر هذه الحروف في أوائل السور امورا تدل على انها غير خالية عن الحكمة ولكن علم الانسان لا يصل اليها بعينها

سورة يس مكيدة وعنه عليه الصلاة والسلام يدعى المعمة تم صاحبها حبر الدارين والدافعه والقاضية تدفع عنه كل سوء وتفضي له كل حاجة وآياتها ثلاث وثمانون

(بسم الرحمن الرحيم) \*

(يس) اما سرود على نمط التعديد فلا حط له من الاعراب او اسم للسورة كما نص عليه الحبليل وسليويه وعليه الاكثر ففعله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او النصب على انه معمول لفعل مضمير وعليهما مدار قراءة يس بالرفع والنصب اى هذيس واقرايس ولا مساغ للنصب باختيار فعل القسم لان ما بعده مقسم به وقد اوا الجمع بين قسمين على شئ واحد قبل انفساء الاول ولا محال للعطف لاحتلافهما اعرابا وقيل هو محرور باختياره القسم متوحد لكونه غير منصرف كاسلف في فاتحة سورة البقرة من ان ما كانت من هذه الفوائج مفردة مثل صاد وفاء وون او كانت موازنة لمعد محو طس ويس وهم المراجعة لقابيل وهابيل يأتى فيها الاعراب اللطيفة ذكره سليويه في باب اسماء

فقول ما هو الكلى من الحكمة فيها اما بسان ان فيها ما يدل على الحكمة فهو ان الله تعالى ذكر من الحروف نصفها وهى اربعة عشر حرفا وهى نصف ثمانية وعشرين حرفا وهى جميع الحروف التى فى لسان العرب على قولنا الهمة ألف متحركة ثم انه تعالى قسم الحروف ثلاثة اقسام تسعة أحرف من الالف الى الذال وتسعة أحرف آخر فى آخر الحروف من الفاء الى الياء وعشرة من الوسط من الراء الى الغين وذكر من القسم الاول حرفين هما الالف والحاء وترك سبعة وترك من القسم الآخر حرفين هما الفاء والواو وذكر سبعة ولم يترك من القسم الاول من حروف الخلق والصدر الا واحدا لم يذكره وهو الخاء ولم يذكر من القسم الآخر من حروف الشفة الا واحدا لم يتركه وهو الميم والعشر الاواسط ذكر منها حرفا وترك حرفا ذكر الراء وترك الزاى وذكر السين وترك الشين وذكر الصاد وترك الضاد وذكر الطاء وترك الظاء وذكر العين وترك الغين وليس هذا امرا يقع اتفاقا بل هو ترتيب مقصود فهو لحكمة واما ان عينها غير معلومة فظاهر وهب ان واحدا يدعى فيه شيئا فاذا يقول فى كون بعض السور مفتحة بحرف كسورة نون ووص وبعضها بحرفين كسورة حم ويس وطس و طه وبعضها بثلاثة أحرف كسورة الم وطسم والر وبعضها بأربعة كسورتي المر والمص وبعضها بخمسة أحرف كسورتي حم عسق وكهيعص وهب ان قائلا يقول ان هذا اشارة الى ان الكلام اما حرف واما فعل واما اسم والحرف كثيرا ما جاء على حرف كواو العطف وفاء النعيق وهمة الاستفهام وكاف التشبيه وباء الالصاق وغيرها وجاء على حرفين كن للتبعض واو للتخيير وام للاستفهام المتوسط وان للشرط وغيرها والاسم والفعل والحرف جاء على ثلاثة أحرف كالى وعلى فى الحرف والى وعلا فى الاسم والايألو وعلى يعلو فى الفعل والاسم والفعل جاء على اربعة والاسم خاصة جاء على ثلاثة وأربعة وخمسة كفعل وسجل وجر دخل فاجاء فى القرآن اشارة الى ان تركيب العربية من هذه الحروف على هذه الوجوه فاذا يقول هذا القائل فى تخصيص بعض السور بالحرف الواحد والبعض بأكثر فلا يعلم تمام السر الا الله ومن اعلم الله به اذا علمت هذا فنقول اعلم ان العبادة منها قلبية ومنها لسانية ومنها جارحية وكل واحدة منها قسمان قسم عقل معناه وحقيقته وقسم لم يعلم اما القلبية مع انها ابعد عن الشك والجهل ففيها ما لم يعلم دليله عقلا وانما وجب الايمان به والاعتقاد سمعا كالصراط الذى أرق من الشعرة واحد من السيف ويمر عليه المؤمن والموقن كالبرق الخاطف والميزان الذى توزن به الاعمال التى لا تقل لها فى نظر الناظر ركيقات الجنة والبار فان هذه الاشياء وجودها لم يعلم بدليل عقل وانما المعلوم بالاعتقاد امكانها ورتوعها معلوم متطوع به بالسمع ومنها ما علم كالرسيد والنبوة وقدرة الله وصدق الرسول وكذلك فى العبادات الجارحية ما علم معناه وما لم يعلم كقادير النصب وعدد الركعات وقد ذكرنا الحكمة فيه وهى ان العبد اذا أتى بما امر به من غير ان يعلم

السور من كتابه وقيل هما حرفا كتبا بناء كما فى حيث وابن حسبا يشهد بذلك قراءة ليس بالكسر كبير وقيل الفتح والكسر تحريك للجهد فى الهرب من التقاء الساكنين وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان معناه يا انسان فى لغة طي فالو المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم اصله يا انيسين فاقصر على شطره كما قيل من الله فى ابن الله (والقرآن) بالجر على انه مقسم به ابتداء وقد يجوز ان يكون عطف على يس على تقدير كونه محرورا باضمار باء القسم (الحكيم) اى المضمين للحكمة او بالاطق بها بطريق الاستعارة او ان تصف لها على الاسناد المحازى وقد يجوز ان يكون الاصل الحكيم قائم فصنف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانعلا به مرفوعا بعد الجر اسكن فى الصفة المشبهة كالمرفوع فى صدر سورة لقمان (انك لمن المرسلين) جواب للقسم والجملة لرد انكار الكفرة بقولهم فى حقه عليه السالة والسلام لست مرسلنا وهذه شهادة منه عز وجل من جهته ما شير اية بوليه تعالى فى جوابهم قل كفى بالله شهيدا بيني



ما فيه من الفائدة لا يكون الآتيا بمحض العبادة بخلاف ما لو علم الفائدة فربما يأتي به  
للفائدة وان لم يؤمن كالو قال السيد لعبد انقل هذه الحجارة من ههنا ولم يعلم بما في النقل  
فانقلها ولو قال انقلها فان تحتها كنزا هولك ينقلها وان لم يؤمن اذا علم هذا فكذلك في  
العبادات الاساية الذكزية وجب منها ما لا يفهم معناه حتى اذا تكلم به العبد علم  
منه انه لا يقصد غير الانقياد لامر المعبود الامر الناهي فاذا قال حم يس ألم طس  
علم انه لم يذكر ذلك اعني يفهمه او يفهمه فهو تلفظ به اقامة لما امر به ( البحث الثاني )  
قيل في خصوص يس انه كلام هو نداء معناه يا انسان وتقريره هو ان تصغير انسان  
انيسين فكأنه حذف المصدر منه واخذ الجوز وقال يسن أى انيسين وهذا يحتمل أن  
يكون الخطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى بعده انك لمن المرسلين  
( البحث الثالث ) قرئ يس اما بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف هو قوله هذه كأنه قال  
هذه يس واما بالنصب على نداء المفرد أو على انه مبنى كحيث وقرئ يس اما بالنصب على  
معنى انزل يس واما بالفتح كأين وكيف وقرئ يس بالكسر بكسر الجيم لاسكان الياء وكسرة  
ما قبلها ولا يجوز ان يقال بالجر لان اضممار الجار غير جائز وليس فيه حرف قسم ظاهر وقوله  
تعالى والقرآن الحكيم أى ذى الحكمة كعيشة راضية أى ذات رضا أو على انه ناطق  
بالحكمة فهو كالحى المتكلم \* وقوله تعالى ( انك لمن المرسلين ) مقسم عليه وفيه مسائل  
( المسئلة الاولى ) الكفار انكروا كون محمد رسلا والمطالب تثبت بالدليل لا بالقسم  
فالحكمة فى الاقسام نقول فيه وجوه ( الاول ) هو ان العرب كانوا يتوقون الايمان  
الفاجرة وكانوا يقولون ان اليمين الفاجرة توجب خراب العالم وصحح النبي صلى الله عليه  
وسلم ذلك بقوله اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع ثم انهم كانوا يقولون ان النبي صلى الله عليه  
عليه وسلم يصيبه من آلهتهم عذاب وهى الكواكب فكان النبي صلى الله عليه وسلم  
يحلف بأمر الله وازال كلامه عليه وبأشياء مختلفة وما كان يصيبه عذاب بل كان كل  
يوم أرفع شأننا وامنع مكانا فكان ذلك يوجب اعتقاد انه ليس بكاذب ( الثانى ) هو ان  
المناظرين اذا وقع بينهما كلام وغلب احدهما الآخر بتمشية دليله واسكته يقول  
المطلوب انك قررت هذا بقوة جدالات وانت خير في نفسك بضعف مقالك وتعلم ان الامر  
ليس كما تقول وان أمت عليه صورة دليل وعجزت انا عن القدح فيه وهذا كثير الوقوع  
بين المناظرين فعند هذا لا يجوز أن يأتي هو بدليل آخر لان الساكت المقطع يقول فى  
الدليل الآخر ما قاله فى الاول فلا يجد أمرا الا ليمين فيقول والله انى لست متكبرا وان  
الامر على ما ذكرت ولو علمت خلافه لرجعت اليه فههنا يتعين اليمين فكذلك النبي صلى  
الله عليه وسلم لما أقام البراهين وقالت الكفرة ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم وقالوا  
لحقق لما جاءهم ان هذا الاسحرميين تعين التمسك بالايمان لعدم فائدة الدليل ( الثالث )  
هو ان هذا ليس مجرد الحلف وانما هو دليل خرج فى صورة اليمين لان القرآن معجزة ودليل

وبينكم وفي تخصيص القرآن  
بالاقسام به اولا وبوصفه بالحكيم  
ثانيا تنويه بشأنه وتنبه على انه  
كأن يشهد برسالته عليه الصلاة  
والسلام من حيث قطعه المعجز  
المنطوى على بادائع الحكم يشهد  
بها من هذه الحيثية ايضا لما ان  
الاقسام بالنبي استشهد به على  
تحقق مضمون الجملة القسمية  
وتقوية ثبوته فيكون شاهدا به  
ودليلا عليه قطعا وقوله تعالى  
( على صراط مستقيم ) خبر آخر  
لان احوال من المستكن فى الجار  
والمجرور على انه عبارة عن  
الشريعة الشريفة بكمالها لاعتق  
التوحيد فقط وفائدته بيان ان  
شريعته عليه الصلاة والسلام اقوم  
الشرائع واعدها كما يعرب عنه  
التنكير التفضيلى والوصف اثر  
بيان انه عليه الصلاة والسلام من  
جهة المرسلين بالشرائع ( تنزيل  
العزيز الرحيم ) نصب على المدح  
وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ  
محذوف وبالجر على انه بدل من  
القرآن واياما كان فهو مصدر  
بمعنى المفعول عبر به عن القرآن  
بيان الكمال عراقة فى كونه منزلا  
من عند الله عز وجل كأنه نفس

كونه مرسلا هو المعجزة والقرآن كذلك فان قيل فلم لم يذكر في صورة الدليل وما الحكمه في ذكر الدليل في صورة اليمين قلنا الدليل ان ذكر لا في صورة اليمين قد لا يقبل عليه سامع فلا يقبله فؤاده فاذا ابتدئ به على صورة اليمين واليمين لا يقع لاسيما من العظيم الا على امر عظيم والامر العظيم تتوفر الدواعي على الاصغاء اليه فلصورة اليمين تتسرب اليه الاجساد ولكونه دليلا شافيا ينشربه الفؤاد فيقع في السمع وينفع في القلب (المسئلة الثانية) كون القرآن حكما عندهم لكون محمد رسولا فلهم ان يقولوا ان هذا ليس بقسم نقول الجواب عنه من وجهين (احدهما) ان كون القرآن معجزة بين ان انكروه قيل لهم فأتوا بسورة من مثله (والثاني) ان العاقل لا يثق بيمين غيره الا اذا حلف بما يعتقد عظيمته فالكافر ان حلف بمحمد لا تصدقه كما تصدقه لو حلف بالصليب والصنم ولو حلف بديننا الحق لا يوثق بمن لا يوثق لو حلف بدينه الباطل وكان من المعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يعظمون القرآن فحلفه به هو الذي يوجب تقمته به ﷺ وقوله تعالى (على صراط مستقيم) خبر بعد خبر اى انك على صراط مستقيم والمستقيم اقرب الطرق الموصلة الى المقصد والدين كذلك فانه توجه الى الله تعالى وتولى عن غيره والمقصود هو الله والمتوجه الى المقصد اقرب اليه من المولى عنه والمتحرف منه ولا يذهب فهم احدا الى ان قوله انك منهم على صراط مستقيم مبرله عن غيره كما يقال ان محمدا من الناس مجتبي لان جميع المرسلين على صراط مستقيم وانما المقصود بيان كون النبي صلى الله عليه وسلم على الصراط المستقيم الذي يكون عليه المرسلون وقوله على صراط مستقيم فيه معنى لطيف يعلم منه فساد قول المباحية الذين يقولون المكلف بصير واصلا الى الحق فلا يبقى عليه تكليف وذلك من حيث ان الله بين ان المرسلين مادامو في الدنيا فهم سالكون سالكون مهتدون متجهون الى السبيل المستقيم فكيف ذلك الجاهل العاجز ﷺ وقوله تعالى (تنزيل العزيز الرحيم) قرئ بالجر على انه بدل من القرآن كما انه قال والقرآن الحكيم تنزيل العزيز الرحيم انك لمن المرسلين لتنذر وقرئ بالنصب وفيه وجهان (احدهما) انه مصدر فعله منوى كما انه قال نزل تنزيل العزيز الرحيم لتنذر ويكون تقديره نزل القرآن او الكتاب الحكيم (والثاني) انه مفعول فعل منوى كما انه قال والقرآن الحكيم اعنى تنزيل العزيز الرحيم انك لمن المرسلين لتنذر وهذا ما اختاره المخبري وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ منوى كما انه قال هذا تنزيل العزيز الرحيم لتنذر ويحتمل وجهها آخر على هذه القراءة وهو ان يكون مبتدأ خبره لتنذر كما انه قال تنزيل العزيز للانداز وقوله العزيز الرحيم اشارة الى ان الملك اذا ارسل رسولا فالمرسل اليهم امان يخالفوا المرسل ويهيئوا المرسل وحينئذ لا يندر الملك على الانتقام منهم الا اذا كان عزيزا او يخافوا المرسل ويكرموا المرسل وحينئذ يرجعهم الملك او تقول المرسل يكون معه في رسالته منع عن اشياء واطلاق لاشياء فالتنع بؤكد العزة والاطلاق يدل على الرحمة ﷺ وقوله تعالى

النزيل واطهارا لغفامته  
الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية  
بوصفه بالحكمة وفي تخصيص  
الاسمين الكريمين العربيين عن  
الغلبة التامة والرأفة العامة حت  
على الايمان به ترهيبا وترغيبا  
واشعار بان تنزيه ناشئ عن غاية  
الرحمة حسبا لنطقه بقوله تعالى  
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين  
وقيل النصب على انه مصدر  
مؤكد لفعله المضمر اى نزل  
تنزيل العزيز الرحيم على انه  
استئناف مسوق لبيان ماد ذكر  
من فخامة شأن القرآن وعلى  
كل تقدير ففيه فضل تأكيد  
يضمون الجملة القصية (التنذر)  
متعلق بتنزيل على الوجوه  
الاول وبمعامله المضمر على  
الوجه الاخير اى لتنذره كما  
في صدر الاعراف وقيل هو  
متعلق يدل عليه من المراسين  
اى انت مرسل لتنذر (قوما  
ما تنذر آبائهم) اى لم ينذر  
آبؤهم لاقربوا لطاول مدة  
النعمة على ان مادية فكون  
صحة مية له اية احتياجهم الى  
الانداز او اى بذره او شئنا  
المرء آباءهم لا بعدون على انها  
موسولة او موصوفة فتكون  
مفعولا ثانيا لتنذر او انداز  
آبائهم الاتيين

( لتنذر قوما ما أنذر آبائهم فهم غافلون ) قد تقدم تفسيره في قوله لتنذر قوما ما أنذرهم من نذر من قبلك وقيل المراد الاثبات وهو على وجهين (أحدهما) لتنذر قوما انذار آبائهم فتكون مامصدرية (الثاني) ان تكون موصولة معناه لتنذر قوما الذين أنذر آبائهم فهم غافلون فعلى قولنا مانافية تفسيره ظاهر فان من لم ينذر آبائه وبعد الانذار عنه فهو يكون غافلا وعلى قولنا هي للاثبات كذلك لان معناه لتنذرهم انذار آبائهم فانهم غافلون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) كيف يفهم النفسيران وأحدهما يقتضى ان لا يكون آبائهم منذرين والاخر يقتضى ان يكونوا منذرين وبينهما تضاد نقول على قولنا مانافية معناه ما أنذر آبائهم وانذار آبائهم الاولين لا ينافي ان يكون المتقدمون من آبائهم منذرين والمتأخرون منهم غير منذرين ( المسئلة الثانية ) قوله لتنذر قوما ما أنذر آبائهم يقتضى ان لا يكون النبي صلى الله عليه وسلم مأمورا بالانذار اليهود لان آباءهم أنذروا فنقول ليس كذلك اما على قولنا ماللاثبات لالانفي فظاهر واما على قولنا هي نافية فكذلك وقد بينا ذلك في قوله تعالى بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أنذرهم من نذر من قبلك وقلنا ان المراد ان آباءهم قد أنذروا بعد ضلالهم وبعد ارسال من تقدم فان الله اذا أرسل رسولا لا دام في القوم من بين دين ذلك النبي ويأمر به لا يرسل الرسول في اكثر الامم فاذالم يبق فيهم من بين ويضل الكل ويتباعد العهد ويفشو الكفر يبعث رسولا آخر مقرر الدين من كان قبله او وازعما لشرع آخر فعنى قوله تعالى لتنذر قوما ما أنذر آبائهم اي ما أنذروا بعدما ضلوا عن طريق الرسول المتقدم واليهود والنصارى دخلوا فيه لانهم لم تنذر آبائهم الاذنون بعدما ضلوا فهذا دليل على كون النبي صلى الله عليه وسلم مبعوثا بالحق الى الخلق كافة (المسئلة الثالثة) قوله فهم غافلون دليل على ان البعثة لا تكون الا عند الغفلة اما ان حصل لهم العلم بما أنزل الله بان يكون منهم من يبلغهم شريعة ويخالفونه فحق عليهم الهلاك ولا يكون ذلك تعذبا من قبل ان يبعث الله رسولا وكذلك من خالف الامور التي لا تفقر الى بيان الرسل يستحق الاهلاك من غير بعثه وليس هذا قولنا بمذهب المعتزلة من التحسين والتعجيل العقلي بل معناه ان الله تعالى لو خلق في قوم علما بوجوب الاشياء وتركوه لا يكونون غافلين فلا يتوقف تعذيبهم على بعثة الرسل \* ثم قال تعالى (لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون ) لما بين ان الارسال او الانزال للانذار اشار الى ان النبي صلى الله عليه وسلم ليس عليه الهداية المستلزمة للاهتداء وانما عليه الانذار وقد لا يؤمن من المنذرين كثير وفي قوله تعالى لقد حق القول وجوه (الاول) وهو المشهور ان المراد من القول هو قوله تعالى حق القول مني لا ملائ جهنم منك ومن تبعك (الثاني) هو ان معناه لقد سبق في علمه ان هذا يؤمن وان هذا لا يؤمن فقال في حق البعض انه لا يؤمن وقال في حق غيره انه يؤمن فحق القول اي وجد وبت بحيث لا يبدل بغيره (الثالث) هو ان يقال المراد منه لقد حق القول الذي قاله الله على لسان الرسل من

على انها مصدرية فيكون نعتا لمصدر مؤكداى لتنذر انذارا كاشماثل انذارهم (فهم غافلون) على الوجه الاول متعلق بنفي الانذار مرتب عليه والضمير للقرينين اي لم تنذر آبائهم فهم جميعا لاجله غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق بقوله تعالى لتنذر او بما يفيد انك لمن المرسلين وارد لتغليل انذاره عليه السلام او ارساله بغفلتهم لحوجة اليهما على ان الضمير للقوم خاصة فالعنى فهم غافلون عنما انذر آبائهم الاقدمون لامتناد المدة واللام في قوله تعالى ( لقد حق القول على اكثرهم ) جواب القسم اي والله لقد بدت وتحقق عليهم البتة لكن لا لطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب اصرارهم الاختيارى على الكفر والانكار وعدم تأثرهم من التذكير والانذار وغلوهم في العتو والطغيان وتماديهم في اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلوهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا والمراد بما حق من القول قوله تعالى لا يلبس عند قوله لا عوبنهم اجمعين لا ملائ جهنم منك ومن تبعك منهم اجمعين وهو المعنى بقوله

التوحيد وغيره وبأن برهانه فأكثرهم لا يؤمنون بعد ذلك لأن من يتوقف لاستماع الدليل في مهلة النظر يرجح منه الايمان اذ بان له البرهان فاذا تحقق وأكد بالايمان ولم يؤمن أكثرهم فأكثرهم تبين أنهم لا يؤمنون لمضى وقت رجاء الايمان ولأنهم لم يؤمنوا عند ماحق القول واستمروا فان كانوا يريدون شيئاً أوضح من البرهان فهو العيان وعند العيان لا يفيد الايمان وقوله على أكثرهم على هذا الوجه معناه ان لم تبلغه الدعوة والبرهان قليلون فحق القول على أكثر من لم يوجد منه الايمان وعلى الاول والثاني ظاهر فان أكثر الكفار ماتوا على الكفر ولم يؤمنوا ( وفيه وجه رابع ) وهو ان يقال لقد حقت كلمة العذاب العاجل على أكثرهم فهم لا يؤمنون وهو قريب من الاول \* ثم قال تعالى ( انا جعلنا في اعناقهم أغلالاً فهي الى الاذقان فهم مقمحون ) لما بين أنهم لا يؤمنون بين ان ذلك من الله فقال انا جعلنا وفيه وجوه ( احدها ) ان المراد انا جعلناهم ممسكين لا ينفقون في سبيل الله كما قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ( والثاني ) ان الآية نزلت في أبي جهل وصاحبيه الخزوميين حيث حلف ابوجهل انه يرضخ رأس محمد فراه ساجداً فآخذ صخرة ورفها ليرسلها على رأسه فالتزقت بيده ويده بعنقه ( والثالث ) وهو الاقوى وأشد مناسبة لما تقدم وهو ان ذلك كناية عن منع الله ايهم عن الاهتداء وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) هل للوجهين الاولين مناسبة مع ما تقدم من الكلام فنقول الوجه الاول له مناسبة وهي ان قوله تعالى فهم لا يؤمنون يدخل فيه أنهم لا يصلون كما قال تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم أي صلاتكم عند بعض المفسرين والزكاة مناسبة للصلاة على ما بينا فكأنه قال لا يصلون ولا يزكون وأما على الوجه الثاني فناسبة خفية وهي انه لما قال لقد حقق القول على أكثرهم وذكرنا ان المراد به البرهان قال بعد ذلك بل عاينوا أبصروا ما يقرب من الضرورة حيث التزقت يده بعنقه ومنع من ارسال الحجر وهو يضطر الى الايمان ولم يؤمن علم انه لا يؤمن أصلاً والتفسير هو الوجه الثالث ( المسئلة الثانية ) قوله فهي راجعة الى ماذا نقول فيها وجهان ( احدهما ) انها راجعة الى الايدي وان كانت غير مذكورة ولكنها معلومة لان المعلول تكون أيديه مجموعة في العمل الى عقه ( وبانيهما ) وهو ما اختاره الزمخشري انها راجعة الى الاعلال معناه انا جعلنا في أعناقهم أغلالاً لا غلاظاً بحيث تبلغ الى الاذقان فلم يتمكن المعلول معها من أن يطأطئ رأسه ( المسئلة الثالثة ) كتب يفهم من الغل في العنق المنع من الايمان حتى يجعل كناية فتقول المعلول الذي بلغ الغل دقته وبقي مقمحاً رافع الرأس لا يبصر الطريق الذي عند قدمه وذكر بعده ان بين يديه سداً ومن خلفه سداً فهو لا يقدر على انتهاج السبيل ورؤيته وقد ذكر من قبل ان المرسل على صراط مستقيم فهذا الذي يهديه النبي الى الصراط المستقيم العقلي جعل ممنوعاً كالمعلول الذي يجعل ممنوعاً من ابصار الطريق الحسي وبمحتمل وجه آخر وهو ان يقال الاعلال في الاعناق عبارة عن عدم الانقياد فان المقاد

الاعلى لا ملائ جهنم من الجنة  
وا اس اجعين كما يلوح به تقديم  
الحنة على الناس فانه كما ترى قد  
اوقع فيه الحكم بادخال جهنم على  
من تبع ابليس وذلك لتعليل له  
بتبعيته قطعاً وثبوت القول على  
هؤلاء الذين عرعنهم بأكثرهم  
انما هو لكونهم من جهة أولئك  
المصرين على تبعة ابليس ابدًا  
واذ قد تبين ان مناط ثبوت القول  
وتحققه عليهم اصرارهم على  
الكفر الى الموت ظهر ان قوله  
تعالى ( فهم لا يؤمنون ) متصرع  
في الحقيقة على ذلك لا على ثبوت  
القول وقوله تعالى ( انا جعلنا في  
اعناقهم اغلالاً ) تقرر لتسليمهم  
على الكفر وعدم ارجعائهم عنه  
تمثيل حالهم بحال الدين علت  
اعناقهم ( فهي الى الاذقان ) أي  
فالاغلال منتهية الى اذقانهم فلا  
تدعهم يلتفتون الى الحق ولا  
يعطفون اعناقهم نحوه ولا  
يطأطئون رؤسهم له ( فهم  
مقمحون ) رافعون رؤسهم لا  
عاضون ابصارهم بحيث لا  
يكدون يرون الحق او يظفرون  
الجهنم وجعلنا من بين ايديهم  
سداً ومن خلفهم سداً عشانهم  
نهم

يقال فيه انه وضع رأسه على الخط وخضع عنقه والذي في رقبته الغل الثخين الى الذقن لا يبطأ طي رأسه ولا يحركه تحريك المصدق ويصدق هذا قوله مغمحون فان المغمح هو الرافع رأسه كالتأني يقال بعير قاح اذا رفع رأسه فلم يشرب الماء ولم يبطأ طئه للشرب والايان كالماء الزلال الذي به الحياة وكأنه تعالى قال انا جعلنا في اعناقهم اغلا لا فهم مغمحون لا يخضعون الرقاب لامر الله وعلى هذا فقوله تعالى (وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) يكون متمما لمعنى جعل الله اياهم مغلولين لان قوله وجعلنا من بين ايديهم سدا اشارة الى انهم لا ينتهجون سبيل الرشاد فكأنه قال لا يبصرون الحق فينقادون له لمكان السد ولا ينقادون لك فيبصرون الحق فينقادون له لمكان الغل والايان المورث للايقان اما اتباع الرسول او لا فتلوح له الحقائق نائيا واما بظهور الامور او لا واتباع الرسول نائيا ولا يتبعون الرسول او لا لانهم مغلولون فلا يظهر لهم الحق من الرسول نائيا ولا يظهر لهم الحق او لا لانهم واقعون في السد فلا يتبعون الرسول نائيا (وفيه وجه آخر) وهو ان يقال المانع اما ان يكون في النفس واما ان يكون خارجا عنها ولهم المانعان جميعا من الايمان اما في النفس فالغل واما من الخارج فالسد ولا يقع نظرهم على انفسهم فيرون الآيات التي في انفسهم كآياتنا في الآفاق وفي انفسهم وذلك لان المغمح لا يرى نفسه ولا يقع بصره على يديه ولا يقع نظرهم على الآفاق لان من بين السدين لا يبصرون الآفاق فلا تبين لهم الآيات التي في الآفاق وعلى هذا فقوله انا جعلنا في اعناقهم وجعلنا من بين ايديهم اشارة الى عدم هدايتهم لآيات الله في الانفس والآفاق وفي تفسير قوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا مسائل (المسئلة الاولى) السد من بين الايدي ذكره ظاهر الفائدة فانهم في الدنيا سالكون وينبغي ان يسلكوا الطريقة المستقيمة ومن بين ايديهم سدا فلا يقدر على السلوك واما السد من خلفهم فما الفائدة فيه فنقول الجواب عنه من وجوه (الاول) هو ان الانسان له هداية فطرية والكافر قد يتركها وهداية نظرية والكافر ما ادركها فكأنه تعالى يقول جعلنا من بين ايديهم سدا فلا يسلكون طريقة الاهتداء التي هي نظرية وجعلنا من خلفهم سدا فلا يرجعون الى الهداية الجبلية التي هي الفطرية (الثاني) هو ان الانسان مبدؤه من الله ومصيره اليه فعلى الكافر لا يصير ما بين يديه من المصير الى الله ولا ما خلفه من الدخول في الوجود بخلق الله (الثالث) هو ان السالك اذا لم يكن له بد من سلوك طريق فان انسد الطريق الذي قدماه يفوته المقصد ولكنه يرجع واذا انسد الطريق من خلفه ومن قدماه فلو وضع الذي هو فيه لا يكون موضع اتان لانه مهلك فقوله وجعلنا من بين ايديهم ومن خلفهم اشارة الى ادلاكهم (المسئلة البانية) قوله تعالى فأغشيناهم بحرف الناء يقتضى ان يكون للاغشاء بالسد لئلا يكون الاغشاء مرتبعا على جعل السد فكيف ذلك فقول ذلك من وجهين (احدهما) ان يكون

لا يبصرون) اما تممة للتثليل وتكميل له اي تكميل اي وجعلنا مع ما ذكر من امامهم سدا عظيما ومن ورائهم سدا كذلك فغطينا بهما ابصارهم فهم بسبب ذلك لا يبصرون على ابصار شيء ماصلا واما تمثيل مستقل فان ما ذكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد غطينا ابصارهم بحيث لا يبصرون شيئا قطعنا كاد في الكشف عن كماله فطاعة حالهم وكونهم محبوسين في مطبوعة الغي والجهالات محرومين من النظر في الادلة والايات وقرئ سدا بالضم وهي لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان من خلق الله فالضم وقرئ فأغشيناهم من العشا وقيل الايتان في بني محروم وذلك ان ابا جهل حلف لئن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرضخن رأسه فاداه وهو عليه الصلاة والسلام يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انشنت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها يجهد فرجع الى قومه فأخبرهم بذلك فقال عجزوا عني آخر انا قبله بهذا الحجر فذهب قاعى الله تعالى بصره (وسواء عليه

ذلك يانا لامر مرتبة يكون بعضها سببا لبعض فكانه تعالى قال انا جعلنا في اعناقهم  
 اغلاالا فلا يبصرون انفسهم لا قاحهم وجعلنا بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فلا  
 يبصرون ما في الآفاق وحيث يمكن ان يروا السماء وما على يمينهم وشمالهم فقال بعد  
 هذا كله وجعلنا على ابصارهم غشاوة فلا يبصرون شيئا أصلا (وانبيها) هو ان ذلك بيان  
 لكون السد قريبا منهم بحيث يصير ذلك كالغشاوة على ابصارهم فان من جعل من خلفه  
 ومن قدماه سدين ملتزمين به بحيث يبقى بينهما ملتزما تبقى عينه على سطح السد فلا  
 يبصر شيئا اما غير السد فللحجاب واما عين السد فلكون شرط المرئ ان لا يكون قريبا  
 من العين جدا (المسئلة الثالثة) ذكر السدين من بين الايدي ومن خلف ولم يذكر من بين  
 والتمثال ما الحكمة فيه فقول اما على قولنا انه اشارة الى الهداية الفطرية والنظرية  
 فظاهر واما على غير ذلك فنقول بما ذكر حصل العموم والمنع من انتهاج الماهج المستقيمة  
 لانهم ان قصدوا السلوك الى جانب اليمين او جانب الشمال صاروا متوجهين الى شيء  
 ومولين عن شيء فصار ما اليه توجههم ما بين ايديهم فيجعل الله السد هناك فيمنعه من  
 السلوك فكيف ما توجه الكافر يجعل الله بين يديه سدا ( ووجه آخر ) احسن مما ذكرنا  
 وهو انما بينا ان جعل السد صار سببا للاغشاء كان السد ملتزما به وهو ملتزم بالسدين  
 فلا قدرة له على الحركة يمنة ولا يسرة فلا حاجة الى السد عن اليمين وعن الشمال وقوله تعالى  
 فأغشيناهم فهم لا يبصرون يحتمل ما ذكرنا انهم لا يبصرون شيئا ويحتمل ان يكون المراد هو  
 ان الكافر مصدود وسبيل الحق عليه مسدود وهو لا يبصر السد ولا يعلم الصد فيظن انه  
 على الطريقة المستقيمة وغيره ضال ثم انه تعالى بين ان الانذار لا ينفعهم مع ما فعل الله بهم  
 من الغل والسد والاغشاء والاعماء بقوله تعالى ( وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم  
 لا يؤمنون ) اي الانذار وعدمه بيان بالنسبة الى الايمان منهم اذ لا وجود له منهم على  
 التقدير فان قيل اذا كان الانذار وعدمه سواء فلماذا الانذار نقول قد أجبت في غير  
 هذا الموضع انه تعالى قال سواء عليهم وما قال سواء عليك فالانذار بالنسبة الى النبي صلى  
 الله عليه وسلم ليس بعدم الانذار لان احدهما مخرج له عن العهدة وسبب في زيادة سيادته  
 عاجزا وسعادته آجلا واما بالنسبة اليهم على السواء فانذار النبي صلى الله عليه وسلم ليخرج  
 عماء عليه وبنال بواب الانذار وان لم ينفعوا به لما كتب عليهم من البوار في دار القرار ﷺ  
 قال تعالى ( انما نذكر من انبياء الذكر وخسى الرحمن بالغيب فبشره بجمعة واجر كريم )  
 والترتيب ظاهر وفي التفسير مسائل ( المسئلة الاولى ) قال من قبل لتنذر وذلك يقتضي  
 الانذار لتمام ما اراد انما تنذره هي يقتضي التخصيص فكيف الجمع بانهم يقولوا  
 ما هو ووجه ( الاول ) هو ان قوله لتنذر كيف ما كان سواء كان قريبا او لم يكن وقوله  
 انما تنذر راي المنذر المريد لا يكون الا بالنسبة الى من يدع الذكر ويخسى ( الثاني ) هو  
 ان الله تعالى لما قال ان الارسال والاتزال للانذار وذكر ان الانذار وعدمه بيان بالنسبة

أأنذرتهم أم لم تنذرهم ) بيان  
 لشانهم بطريق التصريح اثر بيانه  
 بطريق التمثيل اي مستوعدهم  
 امدارك اياهم وعدمه حساسا  
 تحقيقه في سورة البقرة وقوله  
 تعالى ( لا يؤمنون ) استثنائ  
 مؤكدا لما فيه من اجل ما فيه  
 الاستواء احوال مؤكدة او  
 بدل منه ولما بين كون الانذار  
 عندهم كعدمه عقب ببيان من  
 يتأثر منه قتيلا ( اما تنذر )  
 اي انذار مستبعا للآخر ( من  
 اتبع الذكر ) اي القرآن بالتأمل  
 فيه او الوعظ ولم يصير على تنوع  
 خطوات الشيطان ( وحسى  
 الرحمن بالغيب ) اي حاف عتابه وهو  
 غائب عنه على انه حال من الفاعل  
 او المعول واخافه في سريره ولم  
 يغتر برحمته فانه منتقم قهار كما انه  
 رحيم عاذا كما طقه قوله تعالى  
 نحي عبادي الى انا لعبور الرحيم  
 وان عذابي هو العذاب الاليم  
 ( مريم ) عظيمه او آخر  
 كريم ) لا يدركه والعاء  
 لتتبع الدارة ولا مرمها على  
 ما قبلها من اذاع الذكر والسيه

الى اهل العناد قال لبيد ليس انذارك غير مفيد من جميع الوجوه فأنذر على سبيل العموم  
وانما تنذر بذلك الانذار العام من يتبع الذكر كأنه يقول يا محمد انك بانذارك تهدي  
ولا تدرى من تهدي فأنذر الاسود والاحمر ومقصودك من يتبع انذارك وينفع بذكرك  
(الثالث) هو ان نقول قوله لتنذر أى أو لا فاذ أنذرت وبالغت وبلغت واستهرا البعض  
وقولى واستكبر وولى فأعرض بعد ذلك فانما تنذر الذين اتبعوك (الرابع) وهو قرىب من  
الثالث انك تنذر الكل بالاصول وانما تنذر بالفروع من ترك الصلاة والركاة من اتبع  
الذكر وآمن (المسئلة الثانية) قوله من اتبع الذكر يحتمل وجوها (الاول) وهو المشهور  
من اتبع القرآن (الساني) من اتبع ما في القرآن من الآيات ويدل عليه قوله تعالى  
والقرآن ذى الذكر فاجعل القرآن نفس الذكر (الثالث) من اتبع البرهان فانه ذكر  
يكمل المفطرة وعلى كل وجه فغناه انما تنذر العلماء الذى يخشون وهو كفوفه تعالى انما  
يخشى الله من عباده العلماء وكفوفه تعالى والدين آمنوا وعملوا الصالحات وقوله اتبع  
الذكر أى آمن وقوله وخشى الرحمن أى عمل صالحا وهذا الوجه يتأيد بقوله فينبهه  
بمغفرة واجركريم لا ذكرنا مرارا أن الغفران جزء الايمان فكل مؤمن معفور والاجر  
الكريم جزاء العمل كما قال تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق  
كريم وتفسير الذكر بالقرآن يتأيد بتعريف الذكر بالالف واللام وقد قدم ذكر القرآن  
في قوله تعالى والقرآن الحكيم وقوله وخشى الرحمن فيه لطيفة وهى ان الرحمة تورب  
الاتكال والرجاء فقال مع انه رحن ورحم فالعاقول لا ينبغي ان يترك الخشية فان كل من  
كانت نعمته بسبب رحمة اكثر فالحوف منه اتم مخافة ان يقطع عنه النعم المتواترة  
وتكلمة اللطيفة هى ان من اسماء الله اسمين يختصان به هما الله والرحمن كما قال تعالى  
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن حتى قال بعض الأئمة هما علما ادارفت هذا فالله اسم  
بنى عن الهية والرحمن بنى عن العاطفية فقال في موضع يرجو الله وقال ههما وخشى  
الرحمن يعنى مع كونه ذاهية لا تقطعوا عنه رجاءكم ومع كونه دارجة لا تأمنوه وقوله  
بالعيب يعنى بالدليل وان لم ينه الى درجة المرتى المشاهد فان عند الانتهاء الى تلك الدرجة  
لا يبقى للخشية فائدة والمشهور ان المراد بالعيب ما غاب عنا وهو احوال القيامة وقيل  
ان الوجدانية تدخل فيه وقوله فينبهه فيه اشارة الى الامر الثانى من امرى الرسالة  
فان النبى صلى الله عليه وسلم بشير ونذير وقد ذكر أنه ارسل لينذروا كرا ان الادار النافع  
عند اتباع الذكر فقال بسرا كما انذرت ونفعت وقوله بمغفرة على التكثير أى مغفرة واسعة  
تستره من جميع الجوانب حتى لا يرى عليه ار من آثار النفس ويظهر عليه انوار الروح  
الزكية واجر كرم أى ذى كرم وقد ذكرنا ما فى الكرم فى قوله ورزق كرم وفى قوله ورزقا  
كر بما قال تعالى (انما نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدمو وآرادهم وكل شى احصياه  
امام مبین) فى الترتیب وجوه (احدها) ان الله تعالى لما بين الرسالة وهو اصل من الاصول

(انما نحن نحيى الموتى) بيان لسان  
عظيم يسطو على الادار والتبشير  
انطوا اجاليا أى نبعثهم بعد مماتهم  
وعن الحسن احياءهم اخراجهم  
من الشرك الى الايمان فهو جنته  
عدة كريمة تحقق المنشأ به  
(وكتب ما قدمو) أى ما سلفوا  
من الاعمال الصالحة وغيرها  
(وآرادهم) التى أبوهها من  
الحسنات كعلم علوه او كتاب القوه  
او حبس وقوه او بناءه من  
المساجد والرباطات والقناطر  
وعبر ذلك من وجوه البر ومن  
السات كما تأسيس وابتين الظلم  
والعدوان وترتب مبادئ الشر  
والفساد فيما بين العباد وغير ذلك  
من منون الشرور التى احذونها  
وستوها لمن هدهم من المفسدين  
وتبيل هى آثار المشائين الى  
المساحد ولعل المراد بانها من جهة  
لا تاروقرى ويكتب على الباء  
للمعول ورفع اناهم (وكل شى)  
من الاشياء كأنما كان (احصناه  
فى امام مبین) اصل عظيم الشأن  
مظهر لجميع الاشياء بما كان  
وما سيكون وهو اللوح المحفوظ  
وقرى كل شى بالرفع واضرب  
لهم



الثلاثة التي يصير بها المكلف مؤمنا مسلما ذكر اصلا آخر وهو الحشر ( وثانيها ) وهو ان الله تعالى لما ذكر الانذار والبخارة بقوله فبشره بمغفرة ولم يظهر ذلك بكماله في الدنيا فقال ان لم ير في الدنيا فآله يحيى الموتى ويجزى المنذرين ويجزى المبشرين ( وثالثها ) أنه تعالى لما ذكر خشية الرحمن بالغيب ذكر ما يؤكده وهو احياء الموتى وفي التفسير مسائل ( المسئلة الاولى ) انا نحن يحتمل وجهين ( أحدهما ) أن يكون مبتدأ وخبرا كقول القائل \* أنا ابو النجم وشعري شعري \* ومثل هذا يقال عند الشهرة العظيمة وذلك لان من لا يعرف يقال له من انت فيقول انا ابن فلان فيعرف ومن يكون مشهورا اذا قيل له من انت يقول أنا اى لا معرف لى أظهر من نفسى فقال انا نحن معروفون باوصاف الكمال واذا عرفنا بانفسنا فلا تنكر قدرتنا على احياء الموتى ( وثانيهما ) ان يكون الخبر نحي كانه قال انا يحيى الموتى ونحن يكون تأكيدا والاوول اولى ( المسئلة الثانية ) انا نحن فيه اشارة الى التوحيد لان الاشتراك يوجب التمييز بغير النفس فان زيدا اذا شاركه غيره في الاسم فلو قال أنا زيد لم يحصل التعريف التام لان السامع ان يقول أيا زيدا فيقول ابن عمرو ولو كان هناك زيد آخر ابوه عمرو لا يكفي قوله ابن عمرو فلما قال الله انا نحن أى ليس غيرنا أحد يشار كنا حتى نقول انا كذا فتمتاز وحينئذ تصير الاصول الثلاثة مذكورة الرسالة والتوحيد والحشر ( المسئلة الثالثة ) قوله ونكتب ما قدموا فيه وجوه ( أحدها ) المراد ما قدموا وأخروا فاكنتى بذكر أحدهما كما في قوله تعالى سرايل تقيكم الحرو والمراد والبرد ايضا ( وثانيها ) المعنى ما أسلفوا من الاعمال صالحة كانت او فاسدة وهو كما قال تعالى بما قدمت ايديهم اى بما قدمت في الوجود على غيره واوجده ( وثالثها ) نكتب نياتهم فانها قبل الاعمال وآثارهم اى أعمالهم على هذا الوجه ( المسئلة الرابعة ) وآثارهم فيه وجوه ( الاول ) آثارهم اقدمهم فان جماعة من اصحابه بعدت دورهم عن المساجد فأرادوا النقلة فقال صلى الله عليه وسلم ان الله يكتب خطواتكم ويتبيكم عليه فآلزموا بيوتكم ( والثاني ) هى السنن الحسنة كالكتب المصنفة والقناطر المبنية والحبائس الدارة والسنن الـيئة كالظلمات المستمرة التى وضعها ظالم والكتب المضلة وآلات الملاهى وادوات المناهى المعمولة الباقية وهو فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من غير ان ينقص من اجر العامل شئ ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها وزر من عمل بها فاقدموا هو أفعالهم وآثارهم افعال الشاكرين فبشرهم حيث يؤخذون بها ويؤجرون عليها ( والثالث ) ما ذكرنا ان الآثار الاعمال وما قدمه والنيات فان النية قبل العمل ( المسئلة الخامسة ) الكتابة قبل الاحياء فكيف اخر في الذكر حيث قال نحي ونكتب ولم يقل نكتب ما قدموا ونحيهم نقول الكتابة معظمة لامر الاحياء لان الاحياء ان لم يكن للحساب لا يظم والكتابة فى نفسها ان لم تكن احياء واعادة لا يبق لها اثر اصلا فالاحياء هو المعتبر والكتابة مؤكدة معظمة لامره

مثلا اصحاب القرية ( ضرب المثل يستعمل تارة فى تطبيق حالة غريبة بحالة اخرى مثلها كما فى قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط واخرى فى ذكر حالة عريية وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما فى قوله تعالى وضربنا لكم الامثال على احد الوجوهين اى يتالكم احوالا بدعية هى فى الغرابة كالامثال قالنى على الاول اجمل اصحاب القرية مثلا لهؤلاء فى العلو فى الكفر والاصرار على كذب الرسل اى طبق حالهم بحالهم على ان مثلا مفعول ثان لا ضرب واصحاب القرية مفعوله الاول أخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى لثاني اذكر وبين لهم قصة هى فى لغرابة كالمثل وقوله تعالى اصحاب القرية بدل منه بتقدير الخفاف اوبسان له والقرية انطاكية ( اذ جاءها المرسلون ) بدل استعمل من اصحاب القرية وهم رسل عيسى عليه السلام الى اهلهما ونسبه ارساله اليه تعالى فى قوله ( ذارسلنا اليهم الذين ) بآء على انه كان بأمره تعالى لكميل التمثيل وتقيم التسلية

فلهذا قدم الاحياء ولانه تعالى لما قال انا نحن وذلك يفيد العظمة والجبروت والاحياء  
عظيم يختص بالله والكتابة دونه فقرن بالتعريف الامر العظيم وذكر مايعظم ذلك  
العظيم وقوله وكل شيء احصيناه في امام مبین يحتمل وجوها (احدها) ان يكون ذلك بيانا  
لكون ما قدموا وآنارهم امرا مكتوبا عليهم لا يبدل فان القلم جف بما هو كائن فلما قال  
نكتب ما قدموا بين ان قبل ذلك كتابة اخرى فان الله كتب عليهم انهم سيفعلون كذا  
وكذا ثم اذا فعلوه كتب عليهم انهم فعلوه (وثانيها) أن يكون ذلك مؤكدا لعنى قوله  
ونكتب لان من يكتب شيئا في اوراق ويرميها قد لا يجدها فكانه لم يكتب فقال نكتب  
ونحفظ ذلك في امام مبین وهذا كقوله تعالى علمها عند ربى في كتاب لا يضل ربى  
ولا ينسى (وثالثها) ان يكون ذلك تعميما بعد التخصيص كانه تعالى يكتب ما قدموا وآنارهم  
وليست الكتابة مقتصرة عليه بل كل شيء محصى في امام مبین وهذا يفيد ان شيئا من  
الاقوال والافعال لا يعزب عن علم الله ولا يفوته وهذا كقوله تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر  
وكل صغير وكبير مستطر يعنى ليس مافى الزبر منحصر افما فعلوه بل كل شيء فعلوه مكتوب  
وقوله احصيناه ابلغ من كتبناه لان من كتب شيئا مفرقا يحتاج الى جمع عدده فقال هو  
محصى فيه وسمى الكتاب اماما لان الملائكة يتبعونه لما كتب فيه من أجل ورزق واحياء  
واماتة اتبعوه وقيل هو اللوح المحفوظ وامام جاء جمعا في قوله تعالى يوم ندعوك كل اناس  
بامامهم اى بائنتهم وحينئذ فامام اذا كان فردا فهو ككتاب وحجاب وادان كان جعافه  
كجبال وحبال والبين هو المظهر للامور لكونه مظهرا للملائكة ما يعملون وللناس  
ما يفعل بهم وهو الفارق يفرق بين احوال الخلق فيعمل فرقا في الجنة وفريقا في السعير  
ثم قال تعالى (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون) وفيه وجهان  
والترتيب ظاهر على الوجهين (الوجه الاول) هو ان يكون المعنى واضرب لاجلهم مثلا  
(والثاني) ان يكون المعنى واضرب لاجل نفسك اصحاب القرية لهم مثلا اى مثلهم عند  
نفسك بأصحاب القرية وعلى الاول نقول لما قال الله ائتكم المرسلين وقال لتذر قال  
قل لهم ما كنت بدعا من الرسل بل قبلى بقليل جاء اصحاب القرية مرسلون وانذروهم بما  
انذرتكم وذكروا التوحيد وخوفوا بالقيامة وبشروا بنعيم دار الاقامة وعلى الثاني  
نقول لما قال الله تعالى ان الانذار لا ينفع من اضله الله وكتب عليه انه لا يؤمن قال للنبي  
عليه الصلاة والسلام فلا تأس واضرب لنفسك ولقومك مثلا اى مثل ائمتهم عند نفسك  
مثلا حيث جاءهم ثلاثة رسل ولم يؤمنوا وصبر الرسل على القتل والايذاء وانت جئتهم  
واحدا وقومك اكثر من قوم الثلاثة فانهم جاؤا قرية وانت بعثت الى العالم وفي التفسير  
مسائل (المسئلة الاولى) ما معنى قول القائل ضرب مثلا وقوله تعالى واضرب مع ان  
الضرب في اللغة اما اساس جسم جمعا بعنف واما السير اذا قرن به حرف في كقوله  
تعالى اذا ضربتم في الارض نقول قوله ضرب مثلا معناه مثل مثلا وذلك لان الضرب

وهما بوحنابولس وقيل غيرهما  
(فكذبوهما) اى فأتياهم  
فدعواهم الى الحق فكذبوهما  
في الرسالة (فمزنا) اى قوينا  
يقال عزز المطر الارض اذا  
لبدها وقرى بالتخفيف من عزه  
اذ غلبه وفهره وحذف المقول  
لدلالة ما قبله عليه ولان المقصد  
ذكر المعززة به (بثالث) هو شمعون  
(فقالوا) اى جميعا (انا اليكم  
مرسلون) مؤكداين كلامهم لسبق  
الانكار لما ان تكذبيهما تكذيب  
لثالث لاتحاد كلمتهم وذلك انهم  
كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم  
عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا  
من المدينة رأيا شيخا يرعى غنات  
له وهو حبيب التجار صاحب يس  
فسألهما فاجبراه قال امكما آية  
فقالا لنشفي المريض ونبرى  
الاكه والابرص وكان له ولد  
مريض منذ سنتين فمسماه ققام  
فآمن حبيب وفشا الخير وشفي  
على ايديهما خلق وبلغ حديثهما  
الى الملك وقال لهما التنا لله  
سوى آلهتنا قالانم من اوجدك  
واللهتك فقال حتى انظر في امر  
كما فتبعهما الناس وقيل وقيل  
ضربوهما وقيل حسبنا ثم بعث  
عيسى عليه السلام شمعون قد دخل  
متكررا وعاش رحاشية الملك

اسم للنوع يقل هذه الاشياء من ضرب واحد أى اجعل هذا وذلك من ضرب واحد  
 (المسئلة الثانية) اصحاب القرية معناه واضرب لهم ملامن اصحاب القرية فترك الم  
 وقيم الاصحاب مقاسه في الاعراب كقوله واسأل القرية هذا قول الزمخشري في الكشف  
 ويحتمل ان يقال لاحاجة الى الاضمار بل المعنى اجعل اصحاب القرية لهم مثلا او مثل  
 اصحاب القرية بهم (المسئلة الثالثة) اذ جاءها المرسلون اذ منصوبة لانها بدل من اصحاب  
 القرية كأنه قال تعالى واضرب لهم وقت مجيء المرسلين ومثل ذلك الوقت بوقت مجيئك  
 وهذا أيضا قول الزمخشري وعلى قولنا ان هذا المثل مضروب لنفس محمد صلى الله  
 تعالى عليه وسلم تسليمة فيحتمل ان يقال اذ ظرف منصوب بقوله اضرب أى اجعل الضرب  
 كأنه حين مجيئهم وواقع فيه والقرية انطاكية والمرسلون من قوم عيسى وهم اقرب مرسل  
 ارسل الى قوم الزمان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهم ثلاثة كما بين الله تعالى وقوله اذ  
 ارسلنا محمدا وجاهم (احدهما) ان يكون اذ ارسلنا بدلا من اذ جاءها كأنه قال اضرب لهم  
 مثلا اذ ارسلنا الى اصحاب القرية اسين (وثانيهما) وهو الاصح الاوضح ان يكون اذ ظرفا  
 والفعل الواقع فيه جاءها أى جاءها المرسلون حين ارسلناهم اليهم أى لم يكن مجيئهم من  
 تلقاء انفسهم وانما جؤهم حيث امروا وهذا فيه لطيفة وهى ان في الحكاية ان الرسل كانوا  
 مبعوثين من جهة عيسى عليه السلام ارسلهم الى انطاكية فقال تعالى ارسل عيسى  
 عليه السلام هو ارسلنا ورسول رسول الله بأذن الله رسول الله فلا يقع لك يا محمد أن أولئك  
 كانوا رسل الرسول وانارسل الله فان تكذيبهم كتكذيبك فتم التسليمة بقوله اذ ارسلنا  
 وهذا يؤيد مسئلة فقهية وهى ان وكيل الوكيل بأذن الموكل وكيل الموكل لا وكيل الوكيل  
 حتى لا ينزل بعزل الوكيل اياه وينزل اذ اعزله الموكل الاول وهذا على قولنا واضرب لهم  
 مثلا واضرب المثل لاجل محمد صلى الله عليه وسلم ظاهر وقوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين  
 فكذبوهما ( في بعضه الاثنين حكمة بالغة وهى انها كانا مبعوثين من جهة عيسى بأذن  
 الله فكان عليهما نهاء الامر الى عيسى والاثيان بما امر الله والله عالم بكل شيء لا يحتاج  
 الى شاهد يشهد عده واما عيسى فهو بشر فامر الله ارسلنا اثنين ليكون قولهما على  
 قومهما عند عيسى حجة تامة وقوله تعالى ( فعزنا بالثالث ) أى قويتا وقرى فعزنا بالثالث  
 مخففا من عز اذا غلب فكأنه قال فعلينا نحن وقهرنا بالثالث والاول اظهر واشهر وترك  
 المفعول حيث لم يقل فعزناهما لمعنى لطيف وهو ان المقصود من بعنهما نصرة الحق  
 لانصرتهم والكل متقون للدينين بالبرهان المبين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) النبي  
 صلى الله عليه وسلم يرسله الى الاطراف واكتفى بواحد وعيسى عليه السلام بعث  
 اثنين نقول النبي بعث لتقرير الفروع وهو دون الاصول فاكتفى بواحد فان خبر الواحد  
 في الفروع مقبول واما هما فبعنا بالاصول وجعل لهما معجزة تفيد اليقين والامساكني  
 ارسلنا اثنين ايضا ولان ثلاثة ( المسئلة الثانية ) قال الله تعالى لموسى عليه السلام سنشد

حتى استأنسوا به ورفعوا خبره  
 الى الملك فأنس به فقال له يوما  
 بلغني انك حبست رجلين فهل  
 سمعت ما يقولانه قال لاحال  
 الفضب بيني وبين ذلك فدعاهما  
 فقال سمعون من ارسلكما قالا  
 الله الذى خلق كل شيء وليس  
 له شريك فقال صفاه واوجرا  
 قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد  
 قال وما آيتكما قالا ما يغيب الملك  
 فدعا بغلام مطموس العينين  
 فدعوا الله تعالى حتى انشق له  
 بصرفاخذ ابندقتين فوضعهما  
 في حد قبة فصارا مثلين ينظر  
 بهما فقال له سمعون أرايت لو  
 سألت الهك حتى يصنع مثل  
 هذا فيكون لك وله السرف  
 قال ليس لى عنك سرا الهنا  
 لا يصبر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفذ  
 وكان سمعون يدخل معهم  
 على الصنم فيصلى ويتضرع وهم  
 يحسبون انهم ثم قال ان قدر  
 الهكما على احياء ميت آمنابه  
 فدعوا بغلام مات من سبعة ايام  
 فقام وقال انى ادخلت في سبعة  
 اودية من النار وانى احذركم  
 ما اتم فيه فآمنوا وقال قصت  
 ابواب السماء فرأيت شابا حسن  
 الوجه يشمع لهؤلاء الثلاثة  
 قال الملك من هم قال سمعون  
 وهذان فتعجب الملك فلما رأى  
 سمعون ان قوله قد

عزذك فذكر المفعول هناك ولم يذكره هنا مع ان المقصود هناك ايضا نصرة الحق نقول  
 موسى عليه السلام كان افضل من هرون وهرون بعث معه بطلبه حيث قال فأرسله معي  
 فكان هرون مبعوثا ليصدق موسى فيما يقول ويقوم بما يأمره واما هما فكل واحد  
 مستقل ناطق بالحق فكان هناك المقصود تقوية موسى وارساله من يؤنس معه وهو هرون  
 واما ههنا المقصود تقوية الحق فظهر الفرق \* ثم بين الله ماجرى منهم وعليهم مثل ماجرى  
 من محمد صلى الله عليه وسلم وعليه (فقالوا انا اليكم مرسلون) كما قال انك لمن المرسلين وبين  
 ما قال القوم بقوله (قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء) جعلوا كونهم بشرا  
 مثلهم دليلا على عدم الارسال وهذا عام من المشركين قالوا في حق محمد أنزل عليه الذكر  
 وانما ظنوه دليلا بناء على انهم لم يعتقدوا في الله الاختيار وانما قالوا فيه انه موجب  
 بالذات وقداستوينا في البشرية فلا يمكن الرجحان والله تعالى رد عليهم قولهم بقوله الله  
 اعلم حيث يجعل رسالته وبقوله الله يحتج اليه من يشاء الى غير ذلك وقوله وما انزل الرحمن  
 من شيء يحتل وجهين (احدهما) ان يكون متملما ذكره فيكون الكل شبهة  
 واحدة ووجهه هو انهم قالوا انتم بشر لما نزلتم من عند الله وما انزل الله اليكم احدا  
 فكيف صرتم رسالا (وثانيهما) ان يكون هذا شبهة اخرى مستقلة ووجهه هو انهم لما  
 قالوا انتم بشر مثلنا فلا يجوز رجحانكم علينا ذكرنا النبهة من جهة النظر الى المرسلين ثم  
 قالوا شبهة اخرى من جهة المرسل وهو انه تعالى ليس بمنزل شيئا في هذا العالم فان تصرفه  
 في العالم العلوي وللعلويات التصرف في انسفلات على مذهبهم فالله تعالى لم ينزل شيئا من  
 الاشياء في الدنيا فكيف انزل اليكم وقوله الرحمن اشارة الى الرد عليهم لان الله لما كان  
 رحن الدنيا والارسال رحة فكيف لا ينزل رحته وهو رحن فقال انهم قالوا ما انزل  
 الرحمن شيئا وكيف لا ينزل الرحمن مع كونه رحن شيئا هو الرحمة الكاملة \* ثم قال تعالى  
 (ان اتمم الاتكذبون) اي ما أنتم الا كاذبين (قالوا ربنا يعلم انا اليكم مرسلون) اشارة الى  
 انهم بمجرد التكذيب لم يسأموا ولم يتركوا بل اعادوا ذلك لهم وكرر القول عليهم  
 واكدوه باليمين وقالوا ربنا يعلم انا اليكم مرسلون واكدوه باللام لان يعلم الله يجري مجرى  
 القسم لان من يقول يعلم الله فيما لا يكون فقد نسب الله الى الجهل وهو سبب العقاب كما  
 ان الحنث سببه وفي قوله ربنا يعلم اشارة الى الرد عليهم حيث قالوا انتم بشر وذلك لان الله  
 اذا كان يعلم انهم مرسلون يكون كقوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته يعني هو عالم  
 بالامور وقادر فاخترنا بعلمه لرسالته \* ثم قال (وما علينا الا البلاغ المبين) تسليية لانفسهم  
 اي نحن خرجنا عن عهدنا ماعلينا وحثالهم على النظر فانهم لما قالوا ماعلينا الا البلاغ  
 كان ذلك بوجوب تصكركم في امرهم حيث لم يطلبوا منهم اجرا ولا قصدوا رياسة وانما كان  
 شغلهم التبليغ والذكر وذلك مما يحتمل العاقل على النظر والمبين يحتمل امورا (احدها)  
 البلاغ المنسب للحق عن الباطل اي الفارق بالمعجزة والبرهان (وثانيها) البلاغ المظهر لما

اترفيه نصحه فآمن وآمن قوم  
 ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل  
 عليه السلام فهلكوا هكدا قالوا  
 ولكن لا يسعه سباق النظم  
 الكريم حيث اقتصر فيه على  
 حكاية تماديهم في العناد والجاج  
 وركوبهم من المكابرة في الحجاج  
 ولم يذكر فيه من يؤمن احد سوى  
 حبيب ولوان الملك وفوما من  
 حواشيه آمنوا وكان الظاهر ان  
 يظاهروا الرسل ويساعدوهم  
 قبلوا في ذلك او قتلوا كذاب  
 التجار الشهيد وكان لهم فيه  
 ذكر ما بوجه من الوحوه اللهم لا  
 ان يكون ايمان الملك بطريق  
 الخفية على خوف من عتاة ملته  
 فيعتزل عنهم معتذرا بعد من  
 الاعذار (قالوا) اي اهل لطاكية  
 الذين لم يؤمنوا مخاطبين للثلاثة  
 (ما انتم الا بشر مثلنا) من غير  
 مزية لكم علينا موجبة  
 لاختصاصكم بما تدعونه ورفع  
 نشر لانتفاض النفى المقتضى  
 لاعمال ما بالا وما انزل الرحمن  
 من شيء (ما تدعونه من الوحي  
 والرسالة) انتم الا كاذبون  
 في دعوى

ارسلنا لكل اى لا يكتفى ان تبلغ الرسالة الى شخص او شخصين ( وثالثها ) البلاغ المظهر  
 للحق بكل ما يمكن فاذا تم ذلك ولم يقبلوا يحق ها لك الهلاك \* ثم كان جوابهم بعده  
 انهم ( قالوا انا تطيرنا بكم ) وذلك انه لما ظهر من الرسل المبالغة في البلاغ ظهر منهم العلوفى  
 التكذيب فلما قال المرسلون انا اليكم المرسلون قالوا انتم الاتكذبون ولما اكد الرسل  
 قولهم باليمين حيث قالوا ربنا يعلم اكدوا قولهم بالتطير بهم فكأنهم قالوا في الاول كنتم  
 كاذبين وفي الثانى صرتم مصرين على الكذب حالفين مقسمين عليه واليمين الكاذبة تدع  
 الديار بلاقع فتشاء منا بكم ثانيا وفي الاول تركتم في الثانى لان ترككم لكون الشؤم  
 مدر كنا بسببكم فقالوا ( لئن لم تنتهوا لنرجنكم ولنيسنكم منا عذاب اليم ) وقوله لنرجنكم  
 يحتمل وجهين ( احدهما ) لنشتنكم من الرجم بالقول وعلى هذا فقوله ولنيسنكم ترق  
 كأنهم قالوا ولا نكتفى بالنتيم بل يودى ذلك الى الضرب والايلام الحسى ( وثانيهما ) ان  
 يكون المراد الرجم بالحجارة وحينئذ فقوله ولنيسنكم بيان للرجم يعنى ولا يكونا لرجم  
 رجا قليلا نرجنكم بحجر وجري بل نديم ذلك عليكم الى الموت وهو عذاب اليم ويكون  
 المراد لنرجنكم ولنيسنكم بسبب الرجم عذاب منا اليم وقد ذكرنا في الايلم انه بمعنى المؤلم  
 والفعال بمعنى مفعول قليل ويحتمل ان يقال هو من باب قوله عيشة راضية اى ذات رضا  
 فالعذاب الليم هو ذوالم وحينئذ يكون فعلا بمعنى فاعل وهو كثير \* ثم اجابهم المرسلون  
 بقولهم ( قالوا اطركم معكم ) اى شؤمكم معكم وهو الكفر \* ثم قالوا ( أن ذكرتم ) جوابا  
 عن قولهم لنرجنكم يعنى اتفعلون بنا ذلك وان ذكرتم اى ين لكم الامر بالمعزة والبرهان  
 ( بل انتم قوم مسرفون ) حيث تجمعون من تتركه كن يشاء به وتقصدون ايلام من يجب  
 فى حقه الاكرام او مسرفون حيث تكفرون ثم تصرون بعد ظهور الحق بالمعز والبرهان  
 فان الكافر مسمى فاذا تم عليه الدليل واوضح له السبيل وبصريكون مسرفوا المسرف هو  
 المجاوز الحد بحيث يبلغ الغد وهم كانوا كذلك فى كثير من الاشياء اما فى التبرك والتشاؤم  
 فقد علم وكذلك فى الايلام والاكرام واما فى الكفر فلان الواجب اتباع الدليل فان لم  
 يوجد به فلا اقل من ان لا يحزم بقبضه وهم جزموا بالكفر بعد البرهان على الايمان فان  
 قيل بل للاضراب فالامر المضرب عنه نقول يحتمل ان يقال قوله أن ذكرتم وارد على  
 تكذيبهم ونسبتهم الرسل الى الكذب بقولهم ان انتم الاتكذبون فكأنهم قالوا نحن  
 كاذبون وان جئنا بالبرهان لابل انتم قوم مسرفون ويحتمل ان يقال نحن مشؤمون  
 وان جئنا ببيان صحة ما نحن عليه لابل انتم قوم مسرفون ويحتمل ان يقال نحن  
 مستحقون للرجم والايلام وان ينصحة ما أتياه لابل انتم قوم مسرفون واما الحكاية  
 فمشهورة وهى ان عيسى عليه السلام بعث رجلين الى انطاكية فدعيا الى التوحيد واظهرا  
 المعجزة من ابراء الاكاه والابرص واحياء الموتى فحبسهما الملك فأرسل بعدهما شعبون  
 فأتى الملك ولم يدع الرسالة وقرب نفسه الى الملك بحسن التدبير ثم قال له انى اسمع ان فى

رسالته ( قالوا ربنا يعلم انا اليكم  
 المرسلون ) استشهدوا بعلم الله  
 تعالى وهو يجرى مجرى القسم  
 مع مافيه من تحذيرهم معارضة  
 علم الله تعالى وزادوا اللام  
 المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة  
 الانكار ( وما علينا ) اى من جهة  
 ربنا ( الا البلاغ لبيّن ) اى الاتبليغ  
 رسالته تبليغا ظاهرا بينا بالآيات  
 الشاهدة بالصحة وقد خرجنا عن  
 عهده فلامؤاخذه لنا بعد ذلك  
 من جهة ربنا او ما علينا شئ \* نطالب  
 به من جهتكم الاتبليغ الرسالة  
 على الوجه المذكور وقد فعلناه  
 فأتى شئ \* نطلبون منا حتى تصدقونا  
 بذلك ( قالوا ) لما ضافت عليهم  
 الحيل وصيت بهم العلل ( انا تطيرنا  
 بكم ) تشاء منا بكم جريا على يدن  
 الجملة حيث كانوا يفتنون بكل  
 ما يوافق شهواتهم وان كان  
 مستتبلا لكل شر ووبال  
 ويتشائمون بما لا يوافقها وان كان  
 مستتبعا لسعادة الدارين او بناء  
 على ان الدعوة لا تخلو عن الوعيد  
 بما يكرهونه من اصابة ضرمتافى

الحبس رجلين يدعيان امرأ بديعا افلا يحضران حتى نسمع كلامهما قال الملك بلى  
فاحضرا وذكرا مقالتهما الحق فقال لهما شمعون فهل لكم بينة قالانم فأبرأ الا كه  
والابرس واحيا الموتى فقال شمعون ايها الملك ان شئت ان تغلبهم فقل للالهة التي  
تعبدونها تفعل شيئا من ذلك قال الملك انت لا تخفي عليك انها لا تبصروا لسمع ولا تقدر  
ولا تعلم فقال شمعون فاذن ظهر الحق من جانبهم فأمن الملك وقوم وكفر آخرون وكانت  
الغلبة للمكذبين \* ثم قال تعالى ( وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا  
المرسلين ) وفي فائدته وتعلقه بما قبله وجهان ( احدهما ) انه بيان لكونهم أتوا بالبلاغ  
المبين حيث آمن بهم الرجل الساعي وعلى هذا فقوله من أقصى المدينة فيه بلاغة باهرة  
وذلك لانه لما جاء من أقصى المدينة رجل وهو قدام دل على ان اذارهم واطهارهم بلغ  
الى أقصى المدينة ( وثانيهما ) ان ضرب المثل لما كان لحمد صلى الله عليه وسلم تسلية  
لقلبه ذكر بعد الفراغ عن ذكر الرسل سعى المؤمنين في تصديق رسلهم وصبرهم على  
مأوؤذوا ووصول الجزء الاو في اليهم ليكون ذلك تسلية لقلب اصحاب محمد كما ان ذكر  
المرسلين تسلية لقلب محمد صلى الله عليه وسلم وفي التفسير مسائل ( المسئلة الاولى ) قوله  
وجاء من أقصى المدينة رجل في تكبير الرجل مع انه كان معروفا معلوما عند الله فائدتان  
( الاولى ) ان يكون تعظيما لشانه اى رجل كامل في الرجولية ( الثانية ) ان يكون  
مفيدا للظهور الحق من جانب المرسلين حيث آمن رجل من الرجال لا معرفة لهم به فلا يقال  
انهم تواطوا والرجل هو حبيب النجار كان ينجح الاصنام وقد آمن بمحمد صلى الله عليه  
وسلم قبل وجوده حيث صار من العلماء بكتاب الله ورأى فيه نعت محمد صلى الله عليه وسلم  
وبعثه ( المسئلة الثانية ) قوله يسعى تبصرة للمؤمنين وهداية لهم ليكونوا في التصحيح باذلين  
جهدهم وقد ذكرنا فائدة قوله من أقصى المدينة وهى تبليغهم الرسالة بحيث انتهى الى  
من في أقصى المدينة والمدينة هى انطاكية وهى كانت كبيرة شائعة وهى الآن دون  
ذلك ومع هذا فهى وكبرة قوله تعالى قال يا قوم اتبعوا المرسلين فيه معان لطيفة ( الاول )  
في قوله يا قوم فانه ينبى عن اشفاق عليهم وشفقة فان اضافتهم الى نفسه بقوله يا قوم يفيد  
انه لا يريد بهم الا خيرا وهذا مثل قول مؤمن آل فرعون يا قوم اتبعون فان قيل قال هذا  
الرجل اتبعوا المرسلين وقال ذلك اتبعوني فالفرق نقول هذا الرجل جاءهم وفي اول  
مجيئهم فصحبهم ومارأوا سيرته فقال اتبعوا هؤلاء الذين اظهروا لكم الدليل واوضحوا لكم  
السييل وامامؤ من آل فرعون فكان فيهم واتبع موسى ونصحهم مرارا فقال اتبعوني  
في الايمان بموسى وهرون عليهما السلام واعلموا انه لو لم يكن خيرا لما اخترته لنفسى وانتم  
تعلمون انى اخترته ولم يكن للرجل الذى جاء من أقصى المدينة ان يقول انتم تعلمون اتباعى  
لهم ( الثانى ) جمع بين اظهار النصيحة واظهار ايمانه فقوله اتبعوا نصيحة وقوله المرسلين  
اظهار انه آمن ( الثالث ) قدم اظهار النصيحة على اظهار الايمان لانه كان ساعيا في

بأنفسهم واهليهم واموالهم ان لم  
يؤمنوا فكانوا ينفرون عنه وقد  
روى انه حبس عنهم الفطرق قالوه  
( لئن لم تنتهوا ) اى عن مقاتلتكم  
( لئلا نرجنكم ) بالحجارة ( ولينصركم  
من عذاب اليم ) لا يبادر قدره  
( طالوا طائركم ) اى سبب شؤمكم  
( معكم ) لامن قبلنا وهو سوء  
عقيدتكم وقبح اعمالكم وقرئ  
طيركم ( أن ذكرتم ) اى وعظمت بما  
فيه سعادتكم وجواب الشرط  
محدوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اى  
تقديرتم وتوعدتم بالرحم  
والعذيب وقرئ بألف بن  
الهمزتين ويقع ان بمعنى أنظيرتم  
لان ذكرتم وأن ذكرتم وان  
ذكرتم بغير استفهام وأن ذكرتم  
بمعنى طائركم معكم حيث حرى  
ذكرتم وهو ابلغ ( بل انتم قوم  
مصرفون ) اضرب عاتق فضيه  
الشرطية من كون لتذكير سبا  
للشؤم او محصيا للتوعداى ليس  
الامر كذلك بل أنتم قوم عادتكم  
الاسراف فى العصيان فلذلك  
اتاكم الشؤم او فى الظلم والعدوان  
ولذلك توعدتم

النصح وأما الإيمان فكان قدامن من قبل وقوله رجل يسعى يدل على كونه مريدا للنصح  
ومادكر في حكايته انه كان يقتل ويقول اللهم اهد قومي \* قال تعالى ( اتبعوا من  
لا يسألكم اجرا وهم مهتدون ) وهذا في غاية الحسن وذلك من حيث انه لما قال اتبعوا  
المرسلين كأنهم منعوا كونهم مرسلين فنزل درجة وقال لاشك ان الخلق في الدنيا  
سالكون طريقه وطالبون للاستقامة والطريق اذا حصل فيه دليل يدل يجب اتباعه  
واما عدم الاعتماد على اهتدائه ومعرفة الطريق لكن هؤلاء لا يطلبون أجرة وهم  
مهتدون عالمون بالطريقة المستقيمة الموصلة الى الحق فهب أنهم ليسوا بمرسلين هادين  
اليسوا بمهتدين فاتبعوهم \* ثم قال تعالى ( ومالي لأعبد الذي فطرني ) لما قال وهم  
مهتدون بين ظهور اهتدائهم بأنهم يدعون من عبادة الجما إلى عبادة الحي القيوم ومن  
عبادة ما لا يقع الى عبادة من منه كل نفع ( وفيه لطائف الاولى ) قوله مالي اي مالي مانع  
من جاني اشارة الى ان الامر من جهة المعبود ظاهر لاختفاء فيه فمن يتبع من عبادته يكون  
من جانبه مانع ولا مانع من جاني فلا جرم عبده وفي العدول عن مخاطبة القوم الى حال  
نفسه حكمة اخرى ولطيفة ثانية وهي انه لو قال مالكم لاتعبدون الذي فطركم لم يكن في  
البيان مثل قوله ومالي لانه لما قال ومالي وأحد لا يخفى عليه حال نفسه علم كل احد انه  
لا يطلب العلة وبيان من أحد لانه اعلم بحال نفسه فهو يبين عدم المانع وأما لو قال مالكم  
جاز ان يفهم منه انه يطلب بيان العلة لكون غيره اعلم بحال نفسه فان قيل قال الله مالكم  
لاترجون الله وقارا فنقول القائل هناك غير مدعو وانما هو دواع وهنا الرجل مدعو الى  
الايمان فقال ومالي لا اعبد وقد طلب مني ذلك ( الثانية ) قوله لذي فطرني اشارة الى وجود  
المقتضى فار قوله ومالي اشارة الى عدم المانع وعند عدم المانع لا يوجد الفعل مالم يوجد  
المقتضى فقوله الذي فطرني ينفي عن الاقتضاء فان الخالق ابتداء مالك والمالك يجب على  
المالك اكرامه وتعظيمه ومنع بالايحاء والم يجب على المم عليه شكر نعمته ( الثالثة )  
قدم بيان عدم المانع على بيان وجود مقتضى مع ان المستحسن تقديم مقتضى حيث  
وجد مقتضى ولا مانع فيوجد لان مقتضى لظهوره كان مستغنيا عن البيان رأسا فلا قل  
من تقديم ما هو اولي بالبيان لوجود الحاجة اليه ( الرابعة ) اختار من الآيات فطرة نفسه  
لانه لما قال ومالي لا اعبد باسناد العبادة الى نفسه اختار ما هو اقرب الى ايجاب العبادة  
على نفسه وبيان ذلك هو ان خالق عمر ويجب على زيد عبادته لان من خلق عمرا لا يكون  
الا كامل القدرة شامل العلم واجب الوجود وهو مستحق للعبادة بالنسبة الى كل مكلف  
لكن العبادة على زيد بخلق زيد اظهر ايجابا واعلم ان لمشهور في قوله فطرني حلقة  
اختراما وابتداء والغريب فيه ان يقال فطرني اي جعاني على الفطرة كما قال الله تعالى  
فطرة الله التي فطر الناس عليها وعلى هذا فقوله ومالي لا اعبد اي لم يوجد في مانع فأنا باق

وتشاء من بمن يجب اكرامه  
والتي تركه ( وجعل من اقصى المدينة  
رجل يسمى ) هو حبيب النجار  
وكا يفتن اصنامهم وهو من  
آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم  
وبينهما ستائة سنة كما آمن به سبع  
الاكبر ورقة بن نوفل وغيرهما  
ولم يؤمن بنى غيره عليه الصلاة  
واسلام احد فل مبعثه وقيل  
كان في غار بعد الله تعالى فبالله  
خبر لرسول عليهم الصلاة والسلام  
اطهر دينه ( قال ) استثنى وقع  
جواب عن سؤال نشأ من حكاية  
مجيئه ساعيا كما به قيل في داهال  
عند مجيئه فقل قال ( يا قوم اتبعوا  
المرسلين ) تعرض لعنوان  
رسالتهم مثالهم على اتباعهم كما  
ان حطابهم ساء قوم لتأليف  
قلوبهم واستمالتها نحو قبول  
نصيحته وقوله تعالى ( اتبعوا من  
لا يسألكم اجرا وهم مهتدون )  
نكير للتأكيد وللتوسل به الى  
وصدعهم بما يرغبهم في اتباعهم من  
التنزه عن ارض الدنيا سوى  
والاهتداء الى حيز الدنيا والدين  
( ومالي لا اعبد الذي فطرني )  
تلطف في الارشاد بآياده في معرض  
المناجاة لنفسه واعراض النصح  
حيث ارادهم نه حثارتهم ما يختر  
نفسه والمراد تقرعهم على ترك  
عبادته خالقهم الى عبادة غيره



على فطرة ربي والفطرة كافية في الشهادة والعبادة فان قيل فلي هذا يختلف معنى الفطر  
في قوله فاطر السموات فنقول قد قيل بأن فاطر السموات من الفطر الذي هو الشق فالتحذير  
لازم او نقول المعنى فيهما واحد كأنه قال فطر المكلف على فطرته وفطر السموات على  
فطرتها والاول من التفسير اظهر \* وقوله تعالى ( واليه ترجعون ) اشارة الى الخوف  
والرجاء كما قال ادعوه خوفا وطمعا وذلك لان من يكون اليه المرجع يخاف منه ويرجى  
وفيه ايضا معنى لطيف وهو ان العابد على اقسام ثلاثة ذكرناها مرارا ( فالاول ) عابد يعبد  
الله لكونه الها مالكا سواء انعم بعد ذلك او لم ينعم كالعبد الذي يجب عليه خدمة سيده  
سواء احسن اليه او اساء ( والثاني ) عابد يعبد الله للنعمة الواصلة اليه ( والثالث ) عابد  
يعبد الله خوفا مثال الاول من يخدم الجواد ومثال الثاني من يخدم الغاشم فجعل القائل  
نفسه من القسم الاعلى وقال ومالى لا اعبد الذى فطرني اى هو مالكي أعبده لانظرا الى  
ما سيعطيني ولانظر الى ان لا يعذبني وجعلهم دون ذلك فقال واليه ترجعون اى خوفاً  
منه ورجاؤكم فيه فكيف لا تعبدونه ولهذا لم يقل واليه ارجع كما قال فطرني لانه صار  
عابداً من القسم الاول فرجوعه الى الله لا يكون الا للكرام وليس سبب عبادة ذلك بل  
غيره \* ثم قال تعالى ( أأنتخذ من دونه آلهة ) ليم التوحيد فان التوحيد بين التعطيل  
والاشراك فقال ومالى لا أعبد اشارة الى وجود الاله وقال أأنتخذ من دونه اشارة الى نفي  
غيره فيتحقق معنى لا اله الا الله \* وفي الآية ايضا لطائف ( الاولى ) ذكره على طريق  
الاستفهام فيه معنى وضوح الامر وذلك ان من أخبر عن شيء فقال مثلا لا أنتخذ  
يصح من السامع ان يقول له لم لا أنتخذ فيسأله عن السبب فاذا قال أأنتخذ يكون كلامه  
انه مستغن عن بيان السبب الذى يطالب به عند الاخبار كأنه يقول استشرتك فدلني  
والمستشار يتفكر فكأنه يقول تفكر في الامر تفهم من غير اخبار مني ( الثانية ) قوله  
من دونه وهى لطيفة محببة وبيانها هو انه لما بين انه يعبد الله بقوله الذى فطرني بين ان من  
دونه لا يجوز عبادته فان عبد غير الله وجب عبادة كل شيء مشارك للمعبود الذى أنتخذ  
غير الله لان الكل محتاج مفتقر حادث فلو قال لا أنتخذ آلهة لقل له ذلك يختلف ان أنتخذت  
الها غير الذى فطرك ويلزمك عقلا ان أنتخذ آلهة لاحصر لها وان كان الهك ربك وخالقك  
فلا يجوز ان أنتخذ آلهة ( الثالثة ) قوله أأنتخذ اشارة الى ان غيره ليس باله لان المتخذ  
لا يكون الها ولهذا قال تعالى ما أنتخذ صاحبة ولا ولداً وقال الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً لانه  
تعالى لا يكون له ولد حقيقة ولا يجوز وانما النصارى قالوا بنى الله عيسى وسماء ولداً فقال  
ولم يتخذ ولداً ولا يقال قال الله تعالى فانتخذه وكيف لا في حق الله تعالى حيث قال رب المشرق  
والمغرب لا اله الا هو فانتخذه وكيف لا نقول ذلك امر متجدد وذلك لان الانسان في اول الامر  
يكون قليل الصبر ضعيف القوة فلا يجوز ان يترك اسباب الدنيا ويقول اتى توكل فلا  
يحسن من الواحد من ان لا يشتغل بأمر اصلا ويترك اطفاله في ورطة الحاجة ولا يوصل

كأبني عنه قوله ( واليه ترجعون )  
مبالغة في التهديد عادى المساق  
الاول فقال ( أأنتخذ من دونه  
آلهة ) انكار ونفي لا أنتخذ الآلهة  
على الإطلاق وقوله

الى اهله نفقتهم ويجلس في مسجد وقلبه متعلق بعباءة زيد وعمر فاذا قوى بالعبادة قلبه ونسى نفسه فضلا عن غيره واقبل على عبادة ربه بجميع قلبه وترك الدنيا واسبأ بها وفوض امره الى الله حيثئذ يكون من الابرار الاخيار فقال الله لرسوله انت علمت ان الامور كلها بيد الله وعرفت الله حق المعرفة وتيقنت ان المشرق والمغرب وما فيهما وما يقع بينهما بأمر الله ولا اله يطلب لقضاء الحوائج الا هو فاتخذ وكبلا وفوض جميع امورك اليه فقد ارتقت عن درجة من يؤمر بالكسب الحلال وكنت من قبل تنجر في الحلال ومعنى قوله فاتخذ وكبلا اي في جميع امورك وقوله تعالى لا تنفن حتى يحتمل وجهين (احدهما) ان يكون كالوصف كأنه قال ألتخذ آلهة غير مغنية عند ارادة الرحمن بي ضرا (وانهينما) ان يكون كلاما مستأنفا كأنه قال لا اتخذ من دونه آلهة ثم قال تعالى (ان يردن الرحمن بضر لا تنفن حتى شفاعتهم شيئا ولا يتقذون) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال ان يردن الرحمن بضر ولم يقل ان يرد الرحمن بي ضرا وكذلك قال تعالى ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضرره ولم يقل ان اراد الله بي ضرا تقول الفعل اذا كان متعديا الى مفعول واحد تعدى الى مفعولين بحرف كاللازم بتعدي بحرف في قولهم ذهب به وخرج به ثم ان المتكلم البالغ يجعل المفعول بغير حرف ما هو اولى بوقوع الفعل عليه ويجعل الآخر مفعولا بحرف فاذا قال القائل مثلا كيف حال فلان يقول اختصه الملك بالكرامة والنعمة فاذا قال كيف كرامة الملك يقول اختصها بزيد فيجعل المسئول مفعولا بغير حرف لانه هو المقصود اذا علمت هذا فالمقصود فيما نحن فيه بيان كون العبد تحت تصرف الله بقلبه كيف يشاء في البؤس والرخاء وليس الضر بمقصود بيانه كيف والقائل مؤمن يرجو الرحمة والنعمة بناء على ايمانه بحكم وعد الله ويؤيد هذا قوله من قبل الذي فطرنى حيث جعل نفسه مفعول الفطرة فكذلك جعلها مفعول الارادة وذكر الضر ووقع تبعا وكذا القول في قوله تعالى ان ارادني الله بضر المقصود بيان انه يكون كما يريد الله وليس الضر بخصوصه مقصود ابالذ كرو يؤيده ما تقدم حيث قال تعالى اليس الله بكاف عبده يعنى هو تحت ارادته ويتأيد ما ذكرناه بالنظر في قوله تعالى قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا حيث خالف هذا النظم وجعل المفعول من غير حرف السوء وهو كالضر والمفعول بحرف هو المكلف وذلك لان المقصود ذكر الضر للتخويف وكونهم محلا له وكيف لا وهم كفرة استحقوا العذاب بكفرهم فجعل الضر مقصودا بالذ كر لجرهم فان قيل فقد ذكر الله الرحمة ايضا حيث قال او اراد بكم رحمة نقول المقصود ذلك ويدل عليه قوله تعالى من بعده ولا يجحدون لهم من دون الله ولما ولا نصيرا وانما ذكر الرحمة تيمنا للامر بالتقسيم الحاصر وكذلك اذا تأملت في قوله تعالى يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا فان الكلام ايضا مع الكفار وذكر النفع وقع تبعا لخصر الامر بالتقديم ويدل عليه قوله تعالى بل كان الله بما تعملون

(ان يردن الرحمن بضر لا تنفن حتى شفاعتهم شيئا) اي لا تنفعى شيئا من النفع (ولا يتقذون) من ذلك الضر النصره والمطاهرة استئناف سيقى لتعليل النفي المذكور وجعله صفة لآلهة كاذب اليه بعضهم ربما يوهى ان هناك آلهة ليست كذلك وقري ان يردن بفتح الباء على معنى ان يوردنى ضرا اي يعلى موردنا للضر

خيرا فانه للتخويف وهذا كقوله تعالى وانا اوابا كم على هدى او في ضلال مبين والمقصود  
 انى على هدى وانتم في ضلال ولو قال هكذا لمنع مانع فقال بالتقسيم كذلك ههنا المقصود  
 الضر واقع بكم ولاجل دفع المانع قال الضر والنفع (المسئلة الثانية) قال ههنا ان يردن  
 الرجن وقال في الزمر ان ارادنى الله فا الحكمه في اختيار صيغة الماضى ههناك  
 واختيار صيغة المضارع ههنا وذكر المريد باسم الرجن هنا وذكر المريد باسم الله هناك  
 نقول اما الماضى والمستقبل فان ان في الشرط تصير الماضى مستقبلا وذلك لان المذكور  
 ههنا من قبل بصيغة الاستقبال في قوله األتخذ وقوله ومالى لا اعبد والمذكور هناك  
 من قبل بصيغة الماضى في قوله أفرأيت وكذلك في قوله تعالى وان بمسك الله بضر  
 لكون المتقدم عليه مذكورا بصيغة المستقبل وهو قوله من يصرف عنه وقوله انى  
 أخاف ان عصيت والحكمة فيه هو ان الكفار كانوا يخوفون النبي صلى الله عليه وسلم بضر  
 يصيبه من آلهتهم فكانه قال صدر منكم التخويف وهذا ماسبق منكم وههنا ابتداء  
 كلام صدر من المؤمن للتقرير والجواب ما كان يمكن صدوره منهم فافترق الامران واما  
 قوله هناك ان ارادنى الله فنقول قد ذكرنا ان الاسمين المختصين بواجب الوجود الله  
 والرجن كما قال تعالى قل ادعوا الله وادعوا الرجن والله الهيمه والعظمة والرجن  
 للرأفة والرحمة وهناك وصف الله بالعزة والانتقام في قوله أليس الله بعزى ذى انتقام وذكر  
 ما يدل على العظمة بقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض فذكر الاسم الدال  
 على العظمة وقال ههنا ما يدل على الرحمة بقوله الذى فطرني فانه نعمته هي شرط سائر نعم  
 فقال ان يردن الرجن بضر ثم قال تعالى لاتغن عنى شفاعتهم شيئا ولا يقذون على ترتيب  
 ما يقع من العقلاء وذلك لان من يريد دفع الضر عن شخص اضربه شخص يدفع بالوجه  
 الاحسن فيشفع او لا فان قبله والايدفع فقال لاتغن عنى شفاعتهم ولا يقدررون على  
 انتقاذى بوجه من الوجوه وفي هذه الآيات حصل بيان ان الله تعالى معبود من كل وجه  
 ان كان نظرا الى جانبه فهو قاطر ورب مالك يستحق العبادة سواء احسن بعد ذلك اولم  
 يحسن وان كان نظرا الى احسانه فهو رجن وان كان نظرا الى الخوف فهو يدفع ضره  
 وحصل بيان ان غيره لا يصلح ان يعبد بوجه من الوجوه فان ادنى مراتبه ان يعبد ليوم كرمه  
 وغير الله لا يدفع شيئا الا اذا اراد الله وان يرد فلا حاجة الى دافع \* ثم قال تعالى (انى ادا لنى  
 ضلال مبين) يعنى ان فعلت ذلك فانا ضال لا بينا والمبين مفعول بمعنى ففعل كما جاء  
 عكسه ففعل بمعنى مفعول في قوله اليم اى مؤلم ويمكن ان يقال ضلال مبين اى مظهر  
 الامر للناظر والاول هو الصحيح \* ثم قال تعالى (انى آمنت بربكم فاسمعون) في الخطاب  
 بقوله بربكم وجوه (احدها) هم المرسلون قال المفسرون اقبل القوم عليه يريدون قتله  
 فأقبل هو على المرسلين وقال انى آمنت بربكم فاسمعوا قولى واشهدوا لى (وثانيها) هم الكفار  
 كأنه لما نصحهم وما نفعهم قال فانا آمنت فاسمعون (وثالثها) بربكم أيها السامعون

(انى اذا) اى اذا اتخذت من  
 دونه آلهة (لنى ضلال مبين)  
 فان اشراك ما ليس من شأنه  
 النفع ولا دفع الضر بالخالف  
 المقتدر الذى لا مارد غيره  
 ولا خير الاخيره ضلال بين  
 لا يخفى على احد من له تمييز في الجملة  
 (انى آمنت بربكم) خطاب  
 منه للرسول بطريق التلويح  
 قيل لما نصح قومه بما ذكر هموا  
 برجه فأسرع نحو الرسل قبل  
 ان يقتلوه فقال ذلك وانما أكد  
 لاطهار صدوره عنه بكمال  
 الرغبة والنشاط واذن الرب  
 الى ضميرهم روماء لزيادة التقرير  
 واظهار للاختصاص والافتداء  
 بهم كأنه قال بربكم لذى أرسلكم  
 او لذى تدعوننا الى الايمان به  
 (فاسمعون) اى اسمعوا ايعانى  
 واشهدوا لى به عند الله تعالى  
 وقيل الخطاب للكفرة شافهم  
 بذلك اظهارا للتصلب في الدين  
 وعدم المبالاة بالقتل واضافة  
 الرب الى ضميرهم لتعقيق الحق  
 والتنبيه على بطلان ما هم عليه من  
 اتخاذ الاصنام اربابا وقيل  
 للناس جميعا

فاسمعون على العموم كما قلنا في قول الواعظ حيث يقول يامسكين ما أكثر أملك وما أنزر  
 عملك يريد به كل سامع يسمعه وفي قوله فاسمعون فوائد (أحدها) أنه كلام متروك متفكر  
 حيث قال فاسمعون فإن المتكلم إذا كان يعلم أن لكلامه جاعة سامعين يتفكر (وثانيها)  
 أن ينبه القوم ويقول اتني أخبرتكم بما فعلت حتى لا تقولوا لم أخفيت عنا أمرنا  
 ولو أظهرت لآمننا معك (وثالثها) أن يكون المراد المصاع الذي بمعنى القبول يقول  
 القائل فصحتك فسمع قولي أي قبله فإن قلت لم قال من قبل وإلى لا عبد الذي فطرنى  
 وقال ههنا آمنت بربكم ولم يقل آمنت بربى نقول على قولنا الخطاب مع الرسل أمر ظاهر  
 لأنه لما قال آمنت بربكم ظهر عند الرسل أنه قبل قولهم وآمن بالرب الذي دعوه إليه ولو قال  
 بربى لعلمهم كانوا يقولون كل كافر يقول لى رب وأنا مؤمن بربى وأما على قولنا الخطاب  
 مع الكفار ففيه بيان للتوحيد وذلك لأنه لما قال عبد الذي فطرنى ثم قال آمنت بربكم  
 فهم أنه يقول ربى وربكم واحد وهو الذى فطرنى وهو بعينه ربكم بخلاف ما لو قال آمنت  
 بربى فيقول الكافر وأنا أيضا آمنت بربى ومنل هذا قوله تعالى الله ربنا وربكم \* ثم قال  
 تعالى (قيل ادخل الجنة) فيه وجهان (أحدهما) أنه قتل ثم قيل له ادخل الجنة بعد القتل  
 (وثانيهما) قيل ادخل الجنة عقيب قوله آمنت وعلى الأول \* فقوله تعالى (قال ياليت  
 قومي يعلمون) يكون بعدموته والله أخبر بقوله وعلى الثانى قال ذلك في حياته وكأنه سمع  
 الرسل أنه من الداخلين الجنة وصدقهم وقطع به وعلمه فقال ياليت قومي يعلمون كما علمت  
 فيؤمنون كما آمنت وفي معنى قوله تعالى قيل وجهان كما أن في وقت ذلك وجهان  
 (أحدهما) قيل من القول (والثاني) ادخل الجنة وهذا كما في قوله تعالى إنما أمره إذا  
 أراد شيئا أن يقول له كن ليس المراد القول في وجه بل هو الفعل أي يفعله في حينه من غير  
 تأخير وتراخ وكذلك في قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي في وجه جعل الأرض بالعة ماءها  
 \* وفي قوله تعالى (بما غفر لى ربى) وجوه (أحدها) أن ما استفهامية كأنه قال ياليت قومي  
 يعملون بما غفر لى ربى حتى يشتغلوا به وهو ضعيف والألكن الاحسن أن تكون  
 ما محذوفة الألف يقال بم وفيم وعم ولم (وثانيها) خبرية كأنه قال ياليت قومي يعلمون  
 بالذى غفر لى ربى (وثالثها) مصدرية كأنه قال ياليت قومي يعملون بمغفرة ربى لى  
 والوجهان الآخران هما المختاران \* ثم قال تعالى (وجعلنى من المكرمين) قد ذكرنا  
 أن الإيمان والعمل الصالح يوجبان أمرين هما الغفران والاكرام كما في قوله تعالى والذين  
 آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والرجل كان من المؤمنين الصالحاء  
 والمكرم على ضد المهان والاهانة بالحاجة والاكرام بالاستغناء فيغنى الله الصالح عن كل  
 أحد ويدفع جميع حاجاته بنفسه ثم انه تعالى لما بين حال المتخلفين المتخلفين له من  
 قومه بقوله تعالى (وما نزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) إشارة الى هلاكهم  
 بعده سريعا على اسهل وجه فانه لم يحتج الى ارسال جند يهلكهم وفيه مسائل (المسئلة

(قيل ادخل الجنة) قيل له ذلك  
 لما قتلوه اكرامه بدخولها حيث نزل  
 كسلر الشهداء وقيل لما هموا  
 بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة قاله  
 الحسن وعن قتادة ادخله الله الجنة  
 وهو فيها حتى يرزق وقيل معناه  
 البشري بدخول الجنة وانه من  
 أهلها وانما لم يقل له لان الغرض  
 بيان القول لا القول له لظهوره  
 وليالفة في المسارعة الى بيانه  
 والجملة استثناف وقع جوابا عن  
 سؤال نشأ من حكاية حاله ومقاله  
 كأنه قيل كيف كان لقاءه به بعد  
 ذلك التصلب في دينه والتعصبي  
 بروحه لوجه تعالى فقيل قيل  
 ادخل الجنة وكذلك قوله تعالى  
 (قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لى  
 ربى وجعلنى من المكرمين) فانه  
 جواب عن سؤال نشأ من حكاية  
 حاله كأنه قيل فاذا قال عندئذ  
 تلك الكرامة السنية فقيل قال الخ  
 وانما غنى علم قومه بحاله ليصلهم  
 ذلك على اكساب مثله بالتوبة  
 عن الكفر والدخول في الإيمان  
 والطاعة جريا على سنن الاولياء في  
 كظم الغيظ والترحم على الأعداء  
 أو ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم  
 في أمره وانه كان على الحق وان  
 عداوتهم لم تنكسبه الاسعاده وقرئ  
 من المكرمين وما موصولة  
 او مصدرية والباء صلة يعلمون  
 او استفهامية وردت على الاصل  
 والباء متعلقة بغفر لى بأى شيء  
 غفر لى ربى يريد به نفخيم شأن

الاولى) قال ههنا وما أنزلنا باسناد الفعل الى النفس وقال في بيان حال المؤمن قبل ادخل الجنة باسناد القول الى غير مذكور وذلك لان العذاب من باب الهيبة فقال بلفظ التعظيم وأما في ادخل الجنة فقال قيل ليكون هو كالمهنا بقول الملائكة حيث يقول له كل ملك وكل صالح يراه ادخل الجنة خالدا فيها وكثيرا ما ورد في القرآن قوله تعالى وقيل ادخلوا اشارة الى أن الدخول يكون دخولا باكرام كما يدخل العريس البيت المزين على رؤس الاشهاد يهنيه كل أحد (المسئلة الثانية) لم أضاف القوم اليه مع أن الرسل أولى بكون الجمع قوما لهم فان الواحد يكون له قوم هم آله واصحابه والرسل لكونه مرسلين يكون جميع الخلق وجميع من أرسل اليهم قوما له نقول لوجهين (أحدهما) لبيان الفرق بين اثنين هما من قبيلة واحدة أكرم أحدهما غاية الاكرام بسبب الايمان وأهين الآخر غاية الاهانة بسبب الكفر وهذا من قوم أولئك في النسب (وثانيهما) أن العذاب كان مختصا بأقارب ذلك لان غيرهم من قوم الرسل آمنوا بهم فلم يصبهم العذاب (المسئلة الثالثة) خصص عدم الانزال بما بعده والله تعالى لم ينزل عليهم جندا قبله أيضا فافادة التخصيص نقول استحقاقهم العذاب كان بعده حيث أصروا واستكبروا في حال الهلاك أنه لم يكن بجند (المسئلة الرابعة) قال من السماء وهو تعالى لم ينزل عليهم ولا أرسل اليهم جندا من الارض فافادة التقيد نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن يكون المراد وما أنزلنا عليهم جندا بأمر من السماء فيكون للعموم (وثانيهما) أن العذاب نزل عليهم من السماء فيبين أن النازل لم يكن جندا لهم عظيمة وانما كان ذلك بصيحة أخذت نارهم وخربت ديارهم (المسئلة الخامسة) (وما كنا منزلين) أية فافادة فيه مع أن قوله وما أنزلنا يستلزم أنه لا يكون من المنزلين نقول قوله وما كنا أى ما كان ينبغي لنا أن ننزل لان الامر كان يتم بدون ذلك فما أنزلنا وما كنا محتاجين الى انزال أو نقول وما أنزلنا وما كنا منزلين في مثل تلك الواقعة جندا في غير تلك الواقعة فان قيل فكيف أنزل الله جنودا في يوم بدر وفي غير ذلك حيث قال وأنزل جنودا لم تروها نقول ذلك تعظيما لمحمد صلى الله عليه وسلم والا كان تحريك ريشة من جناح ملك كافيا في استئصالهم وما كان رسل عيسى عليه السلام في درجة محمد صلى الله عليه وسلم \* ثم بين الله تعالى ما كان بقوله (ان كانت) الواقعة (الصيحة) وقال الر محترى أصله ان كان شيء الصيحة فكان الاصل ان يذكرك لكنه تعالى انت لما بعده من المفسر وهو الصيحة \* وقوله تعالى (واحدة) تأكيد لكون الامر هينا عند الله \* وقوله تعالى (فأذا هم خامدون) فيه اشارة الى سرعة الهلاك فان خجودهم كان مع الصيحة وفي وقتها لم يتأخرو وصفهم بالخمود في غاية الحسن وذلك لان الحى فيه الحرارة الغريزية وكلما كانت الحرارة أوفر كانت القوة الغضبية والنهوانية أتم وهم كانوا كذلك اما الغضب فانهم قتلوا مؤمنا كان ينصحهم وأما الشهوة فلا تنهم احتملوا العذاب الدائم بسبب استيفاء الذات الحالية فاذن كانوا كالنار الموقدة ولانهم كانوا جبارين مستكبرين كالنار ومن

المهاجرة عن ملتهم والمصاهرة على اذنتهم (وما أنزلنا على قومه من بعده) من بعد قتله اورفعه (من جند من السماء) لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلنا ليوم بدر والخندق بل كفيتم امرهم بصيحة ملك وفيه استحقاق لهم ولا هلاك لهم وإعلاء الى تعظيم شأن الرسول صلى الله عليه وسلم (وما كنا منزلين) وما صح في حكمتنا ان ننزل لاهلاك قومه جندا من السماء لما انقذنا لكل شيء سببا حيث اهلكنا بعض من اهلكنا من الامم بالحاسب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالحسف وبعضهم بالاعراق وحثنا انزال الجنود من خصائصك في الانتصار من قومك وقيل ماموصولة معطوفة على جند اى وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة وغيرها (ان كانت) اى ما كانت الاخذة او العقوبة (الصيحة واحدة) صاح لها جبريل عليه السلام وقرئ الصيحة بالرفع على ان كانت تامة وقرئ الازقية واحدة من رقا الطرادا صاح (فأذا هم خامدون) ميتون شبهوا بالنار الخامدة رمزا الى ان الحى كالنار الساطعة في الحركة والالتهاب والميت كالرماد كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور ماد بعد ادهو ساطع

خلق منها فقال قاداهم خامدون ( وفيه وجه آخر ) وهوان العناصر الاربعة يخرج بعضها عن طبيعته التي خلقه الله عليها ويصير العنصر الآخر بارادة الله فالأحجار تصير مياه والمياه تصير أحجار وكذلك الماء يصير هواء عند الغليان والسخونة والهواء يصير ماء للبرد ولكن ذلك في العادة بزمان وأما الهواء فيصير نارا والنار تصير هواء بالاشتعال والجود في أسرع زمان فقال خامدين بسببها فخمود النار في السرعة كاطفاء سراج أو شعلة \* ثم قال تعالى ( يا حشرة على العباد ) أي هذا وقت الحسرة فاحضري يا حشرة والتكثير وهم الذين أخذتهم الصيحة في حسرة على أولئك ( وناهيها ) لتعريف الجنس الكفار المكذبين ( المسئلة الثانية ) من المتحسر تقول فيه وجوه ( الاول ) لا تمحسر أصلا في الحقيقة اذ المقصود بيان أن ذلك وقت طلب الحسرة حيث تحققت الندامة عند تحقق العذاب ( وههنا بحث لغوي ) وهو أن المفعول قد يرفض رأسا اذا كان الغرض غير متعلق به يقال ان فلا ناعطى ويمنع ولا يكون هناك شيء معطى اذ المقصود أن له المنع والاعطاء ورفض المفعول كثير وما نحن فيه رفض الفاعل وهو قليل والوجه فيه ما ذكرنا ان ذكر التحسر غير مقصود وإنما المقصود ان الحسرة متحققة في ذلك الوقت ( الثاني ) ان قائل يا حشرة هو الله على الاستعارة تعظيما للامر وتوبيلا له وحينئذ يكون كاللفاظ التي وردت في حق الله كالضحك والنسيان والسحر والتعجب والتعنى أو نقول ليس معنى قولنا يا حشرة وياندامة ان القائل متحسر أو نادم بل المعنى انه يخبر عن وقوع الندامة ولا يحتاج الى تجوز في بيان كونه تعالى قال يا حشرة بل يخبر به على حقيقته الا في النداء فان النداء مجاز والمراد الاخبار ( الثالث ) المتلهفون من المسلمين والملائكة ألا ترى الى ما حكى عن حبيب انه حين القتل كان يقول اللهم اهد قومي وبعد ما قتلوه وأدخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون فيجوز أن يتحسر المسلم للكافر ويتندم له وعليه ( المسئلة الثالثة ) قرئ يا حشرة بالثنوين ويا حشرة العباد بالاضافة من غير كلمة على وقرئ يا حسره على بالهاء اجراء للوصل مجرى الوقف ( المسئلة الرابعة ) من المراد بالعباد نقول فيه وجوه ( احدها ) الرسل الثلاثة كأَنَّ الكافرين يقولون عند ظهور البأس يا حشرة عليهم ياليتهم كانوا حاضرين شأننا لنؤمن بهم ( وناهيها ) هم قوم حبيب ( وناهيها ) كل من كفر وأصر واستكبر وعلى الاول فاطلاق العباد على المؤمنين كافي قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقوله يا عبادي الذين أسرفوا وعلى الثاني فاطلاق العباد على الكفار وفرق بين العبد مطلقا وبين المضاف الى الله تعالى فان الاضافة الى الشريف تكسو المضاف شرفا تقول بيت الله فيكون فيه من الشرف ما لا يكون في قولك البيت وعلى هذا فقوله تعالى وعباد الرحمن من قبيل قوله ان عبادي وكذلك عباد الله \* ثم بين الله تعالى سبب الحسرة بقوله تعالى ( ما يأتهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ) وهذا سبب الندامة وذلك لان من جاءه ملك في

( يا حشرة على العباد ) تعالى فهذه من الاحوال التي حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليه قوله تعالى ( ما يأتهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ) فان المستهزئين بالناسحين الذين نيطت بنصائحهم سعادة الدارين احقاء بأن تحضروا ويحضر عليهم المتحسرون او قد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وقد جوز ان يكون تحسرا عليهم من جهة الله تعالى بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا لان المعنى يا حسرتي ونصبتها لطولها بما تعلق بها من الجسار وقيل باضمار فعلها والمتأدى محذوف وقرئ يا حشرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسره على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف ( ألم يروا ) أي ألم يعلموا وهو متعلق عن العمل في قوله تعالى ( كم اهلكنا قبلهم من القرون ) لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خيرية لان اصلها الاستفهام خلا ان معناه نافذ في الجملة كأنفذ في قولك ألم تر ان زيد المنطلق وان لم يعمل في لفظه ( انهم اليهم لا يرجعون ) بدل من كم اهلكنا على المعنى أي ألم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم من المذكورين آتيا ومن غيرهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستثناف وقرئ ألم يروا من اهلكنا والبدل حينئذ بدل احتمال

بادية وعرفه نفسه وطلب منه امرا هينا فكذبه ولم يجبه الى مادعا ثم وقف بين يديه وهو على سرير ملكه فعرفه انه ذلك يكون عنده من الندامة ما لا مزيد عليه فكذلك الرسل هم ملوك واعظم منهم باعز الله اياهم وجعلهم نوابه كما قال ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله وجاهوا وعرفوا انفسهم ولم يكن لهم عظمة ظاهرة في الحس ثم يوم القيامة او عند ظهور البأس ظهرت عظمتهم عند الله لهم وكان ما يدعون اليه امرا هينا نفعه عائد اليهم من عبادة الله وما كانوا يسألون عليه اجرا فعند ذلك تكون الندامة الشديدة وكيف لا وهم لم يقنعوا بالاعراض حتى آذوا واستهزؤا واستخفوا واستهانوا وقوله ما يأتهم الضمير يجوز ان يكون عائدا الى قوم حبيب اى ما يأتهم من رسول من الرسل الثلاثة الا كانوا يستهزؤن على قولنا الحسرة عليهم ويجوز ان يكون عائدا الى الكفار المصريين \* ثم ان الله تعالى لما بين حال الاولين قال للحاضرين (الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون) اى الباقون لا يرون ما جرى على من تقدمهم ويحتمل ان يقال ان الذين قيل في حقهم يا حسرة هم الذين قال في حقهم ألم يروا ومعناه ان كل مهلك تقدمه قوم كذبوا واهلكوا الى قوم نوح وقوله \* وقوله (انهم اليهم لا يرجعون) بدل في المعنى عن قوله كم اهلكنا وذلك لان معنى كم اهلكنا ألم يروا كثرة اهلاكنا وفيه معنى ألم يروا المهلكين الكثيرين انهم اليهم لا يرجعون وحيث يكون كبديل الاشتمال لان قوله انهم اليهم لا يرجعون حال من احوال المهلكين اى اهلكوا بحيث لا رجوع لهم اليهم فيصير كقولك الاترى زيدا أدبه وعلى هذا فقوله انهم اليهم لا يرجعون فيه وجهان (احدهما) اهلكوا اهلاكا لا رجوع لهم الى من في الدنيا (وثانيهما) هو انهم لا يرجعون اليهم اى الباقون لا يرجعون الى المهلكين بنسب ولا ولادة يعنى اهلكناهم وقطعنا نسلهم ولا شك في ان الاهلاك الذى يكون مع قطع النسل أتم واعم والوجه الاول اشهر نقلا والتانى اظهر عقلا \* ثم قال تعالى (وان كل لما جيع لدينا محضرون) لما بين الاهلاك بين انه ليس من اهلكه الله تركه بل بعده جمع وحساب وحبس وعقاب ولوان من اهلك تركه لكان الموت راحة ونعم ما قال القائل

ولو انا اذا متنا تركنا \* لكان الموت راحة كل حى

ولكننا اذا متنا بعثنا \* ونسئل بعده عن كل شى

وقوله وان كل لما في ان وجهان (احدهما) انها مخففة من الثقيلة واللام في لما فارقة بينها وبين النافية وما زائدة مؤكدة في المعنى والقراءة حيثئذ بالتخفيف في لما (وثانيهما) انها نافية ولما بمعنى الا قال سيويه يقال نشدك بالله لما فعلت بمعنى الافعلت والقراءة حيثئذ بالتشديد في لما يؤيد هذا ما روى ان أبا قرأ وما كل الاجيع وفي قول سيويه لما بمعنى الاوارد معنى مناسب وهو ان لما كأنها حرفان في جمعاهما لموافقا كدالتنى ولهذا يقال في جواب من قال قد فعل لما يفعل وفي جواب من قال فعل لم يفعل والاكأنها حرفان في

(وان كل لما جيع لدينا محضرون) بيان لرجوع الكل الى المحشر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا وان نافية وتنوين كل عوض عن المضاف اليه ولما بمعنى الا وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له ولما بعده والمعنى ما كلهم الا مجموعون لدينا محضرون للحساب والجزاء وقيل محضرون معذبون فكل عبارة عن الكفرة وقرئ لما بالتخفيف على ان ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وما مزيدة للتأكيد والمعنى ان كلهم مجموعون الح (آية لهم الارض الميتة) بالتخفيف وقرئ بالتشديد وقوله تعالى آية خير مقدم للاهتمام به وتكثيرها للتخيم ولهم امام متعلقة بها لانها بمعنى العلامة او مضمرة هو صفة لها والارض مبتدأ والميتة صفتها وقوله تعالى (احييناها) استئناف مبين لكيفية كونها آية وقيل آية مبتدأ ولهم خبر والارض الميتة مبتدأ موصوف و احييناها خبره والجملة مفسرة لآية وقيل الارض مبتدأ و احييناها خبره والجملة خبر لآية وقيل الخبر لها هو الارض و احييناها صفتها لان المراد بها الجنس لا المينة والاول هو الاول لان مصب الفائدة هو كون الارض آية لهم لا كون الآية هي الارض (واخر جئنا بها) جنس الحب (فنه يأكلون) تقديم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل



ان ولا فاستعمل احد هما مكان الآخر قال الزمخشري فان قال قائل كل وجيع بمعنى واحد فكيف جعل جميعا خبرا لكل حيث دخلت اللام عليه اذ التقدير وان كل لجميع نقول معنى جميع مجموع ومعنى كل كل فرد بحيث لا يخرج عن الحكم احد فصار المعنى كل فرد مجموع مع الآخر مضموم اليه ويمكن ان يقال محضرون يعني عما ذكره وذلك لانه لو قال وان جميع لجميع محضرون لكان كلاما صحيحا ولم يوجد ما ذكره من الجواب بل الصحيح ان محضرون كالصفة للجميع فكأنه قال جميع جميع محضرون كما يقال الرجل رجل عالم والنبي نبي مرسل والواو في وان كل لعطف الحكاية على الحكاية كأنه يقول بينت لك ما ذكرت وابين ان كلا لدينا محضرون وكذلك الواو في قوله تعالى ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنانا من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون﴾ كأنه يقول واقول ايضا آية لهم الأرض الميتة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما وجه تعلق هذا بما قبله نقول مناسب لما قبله من وجهين (احدهما) انه لما قال وان كل لما جميع كان ذلك إشارة الى الحشر فذكر ما يدل على امكانه قطعاً لانكارهم واستبعادهم واصرارهم وعنادهم فقال وآية لهم الأرض الميتة أحييناها كذلك نحى الموتى (وثانيهما) انه لما ذكر حال المرسلين واهلاك المكذبين وكان شغلهم التوحيد ذكر ما يدل عليه وبدأ بالأرض لكونها مكانهم لامفارقة لهم منها عند الحركة والسكون (المسئلة الثانية) الأرض آية مطلقاً فلم خصصها بهم حيث قال وآية لهم نقول الآية تعدد وتسردلن لم يعرف الشيء بأبلغ الوجوه واما من عرف الشيء بطريق الرؤية لا يذكر له دليل فان النبي وعباد الله المخلصين عرفوا الله قبل الأرض والسماء فليست الأرض معرفة لهم وهذا كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى ينبين لهم انه الحق وقال اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد يعني انت كفالك ربك معرفة عرفك كل شيء فهو شهيد لك على كل شيء واما هؤلاء المتين لهم الحق بالآفاق والانفس وكذلك ههنا آية لهم (المسئلة الثالثة) ان قلنا ان الآية مذكورة للاستدلال على جواز احياء الموتى فيكون قوله احييناها ولا حاجة الى قوله واخرجنا منها حبا وغير ذلك وان قلنا انها للاستدلال على وجود الاله ووحده فلا فائدة في قوله الأرض الميتة احييناها لان نفس الأرض دليل ظاهر وبرهان باهرتم هب انها غير كافية فقوله الميتة احييناها كاف في التوحيد فافائدة قوله واخرجنا منها حبا نقول مذكورة للاستدلال عليها ولكل ما ذكره الله تعالى فائدة اما قوله واخرجنا منها حبا فله فائدة بالنسبة الى بيان احياء الموتى وذلك لانه لما احيى الأرض واخرج منها حبا كان ذلك احياء تاما لان الأرض المنخفضة التي لا تثبت الزرع ولا تخرج الحب دون ما تثبت في الحياة فكأنه قال تعالى الذي احيى الارض احياء كاملا منتبها للزرع يحى الموتى احياء كاملا بحيث تدرك الامور واما بالنسبة الى التوحيد فلا في تعديده النعم كأنه يقول آية لهم الأرض

ويعاش به ( وجعلنا فيها جنانا من نخيل واعناب ) اى من انواع النخل والعنب ولذلك جمادون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع ود كر التخييل دون التصور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمريد النفع وآثار الصنع ( وفجرنا فيها ) وقرئ بالتخفيف والعجز والتخفيف كالفتح والفتح لفظا ومعنى ( من العيون ) اى بعضا من العيون لهذه الموصوف واقيت الصفة مقامه او العيون ومن مرادة على رأى الاخفش ( ليأكلوا من ثمره ) متعلق بجعلنا وناخيره عن تغيير العيون لانه من مبادئ الاثمار اى وجعلنا فيها جنانا من نخيل ورتبنا مبادئ اثمارها ليأكلوا من ثمر ما ذكر من الجنان والنخيل باجراء الضمير مجرى اسم الإشارة وقبل الضمير لله تعالى بطريق الالتصاق الى الغيبة والاضافة لان الثمر مخلقه تعالى وقرئ تضمنتين وهى اعة فيه او جمع ثمار وبضمة وسكون ( وما عملته ايديهم ) علف على ثمره وهو ما يتخذ منه من العصير والندس ونحوهما وقيل مانا فيه والمعنى ان البحر بخلق الله تعالى لا يفعلهم وعمل الجملة المنصب على الحالية ويؤكد الاول قراءه عملت بلاهاء فان حذف العائد من الصلة احسن من المحذوف من غيرها ( أفلا يشكرون ) اسكار

فانها مكانهم ومهدهم الذى فيه تحريرهم واسكانهم والامر الضرورى الذى عنده وجودهم وامكانهم وسواء كانت ميتة اولم تكن فهي مكان لهم لابد لهم منها فهي نعمة ماحياؤها بحيث تحضر نعمة نانية فانها تصير احسن وازدهم اخراج الحب منها نعمة نالية فان قوتهم يصير في مكانهم وكان يمكن ان يجعل الله رزقهم في السماء وفي الهواء فلا يحصل لهم الوثوق بمجعل الجلات فيها نعمة رابعة لان الارض تنبت الحب في كل سنة واما الاشجار بحيث تؤخذ منها الثمار فتكون بعد الحب وجودا ثم فجزنا فيها العيون ليحصل لهم الاعتماد بالحصول ولو كان ماؤها من السماء لحصل ولكن لم يعلم انها ان تغرس وان يقع المطر وينزل القطر وبالنسبة الى بيان احياء الموتي كل ذلك مفيد وذلك لان قوله واخرجنا منها حيا كالاشارة الى الامر الضرورى الذى لابد منه وقوله وجعلنا فيها جنات كالامر المحتاج اليه الذى ان لم يكن لا يعنى الانسان ولكنه يبقى مختل الحال وقوله وفجرنا فيها من العيون اشارة الى الزينة التي ان لم تكن لان معنى الانسان ولا يبقى في ورطة الحاجة لكنه لا يكون على احسن ما ينبغي وكان حال الانسان بالحب كحال الفقير الذى له ما يسد خلته من بعض الوجوه ولا يدفع حاجته من كل الوجوه وبالثمار يعتبر حاله كحال المكتفي بالعيون الجارية التي يعتمد عليها الانسان ويقوى بها قلبه كالمستغنى الغنى المدخر لقوت سنين فيقول الله عز وجل كما فعلنا في موات الارض كذلك نفعل في الاموات في الارض فحييهم ونعطيهم ما لابد لهم منه في بقائهم وتكونهم من الاعضاء المحتاج اليها وقواها كالعين والقوة الباصرة والاذن والقوة السامعة وغيرهما ونزيد له ما هو زينة كالعقل الكامل والادراك الشامل فيكون كانه قال نحى الموتي احياء تاما كما احيينا الارض احياء تاما (المسئلة الرابعة) قال عند ذكر الحب فغديا يكون وفي الاشجار والثمار قال لياكلوا من نمره وذلك لان الحب قوت لابد منه فقال غديا يكون اي هم آكلوه واما الثمار ليست كذلك فكانه تعالى قال ان كما ما اخرجناها كانوا يقون من غير اكل فاخرجناها لياكلوها (المسئلة الخامسة) خصص الخيل والاعناب بالذكر من سائر الفواكه لان الماعون الحلاوة وهي فيها ثم ولان التمر والعنب قوت وفاكهة ولا كذلك غيرهما ولانهما اعم نفعا فانها تحمل من البلاد الى الاماكن البعيدة فان قيل فقد ذكر الله الرمان والزيتون في الانعام والقضب والريون والتين في مواضع نقول في الانعام وغيرها المقصود ذكر الفواكه والثمار التي ترى الى قوله تعالى انزل من السماء ماء فاخرجنا به الى قوله فليستل الانسان الى طعمه فاستوفى الانواع بالذكر وههنا المقصود ذكر صفات الارض فاختر منها الالذ الانفع وقد ذكرنا في سورة الانعام ما يستفاد منه الفوائد ويعلم منه فائدة قوله تعالى فاكهة ونخل ورمان (المسئلة السادسة) في المواضع التي ذكر الله الفواكه لم يذكر التمر بلفظ شجرته وهي النخلة ولم يذكر العنب بلفظ شجرته بل ذكره بلفظ العنب والاعناب ولم يذكر الكرم وذلك لان العنب شجرته بالنسبة الى نمرته حقيرة قليلة

واستقبح لعدم شكرهم للنعمة  
المعدودة والفاء للعطف على مقدر  
يقضيه المقام اي ابرون هذه النعم  
او ايتعممون بها فلا يشكرونها  
(سبحان الذى خلق الأزواج  
كلها) استثنائى مسوق لتأنيده  
تعالى عما فعلوه من ترك شكره  
على آلائه المذكورة واستعظام  
ما ذكر في حيز الصلة من يدائع  
آثار قدرته واسرار حكمته  
وروائع نعماته الموجبة للشكر  
وتخصيص العبادة به والعجب من  
اخلالهم بذلك والحالة هذه  
وسبحان علم التسبيح الذى هو  
التبديد عن السوء اعتقاد او قولا  
اي اعتقاد البعد عنه والحكم به  
من سجع في الارض والماء اذا البعد  
فيها

القائمة والخل بالنسبة الى عمرته عظيمة جليلة القدر كثيرة الجدوى فان كثيرا من الظروف منها يتخذ ويلجأ اليه وينفع وله شبه بالحيوان فاختر منها ما هو الاعجب منها وقوله تعالى وفجرنا فيها من العيون آية عظيمة لان الارض اجزاؤها بحكم العادة لاتصعد ونحن نرى منابع الانهار والعيون في المواضع المرتفعة وذلك دليل القدرية والاختيار والقائلون بالطوائع قالوا ان الجبال كالقصاب المبنية والابخرة ترتفع اليها كما ترتفع الى سقوف الحمامات وتكون هناك قطرات من الماء ثم تجتمع فان لم تكن قوية تحصل المياه الى اكمة كالأبار وتجري في القنات وان كانت قوية تشق الارض وتخرج انهارا جارية وتجتمع قصب الانهار العظيمة وتمدها مياه الامطار والتلوج فقول اختصاص بعض الجبال بالعيون دليل ظاهر على الاختيار وما ذكره تعسف فالحق هو ان الله تعالى خلق الماء في المواضع المرتفعة وساقها في الانهار والسواقي او صعد الماء من المواضع المنخفضة الى الاماكن المرتفعة بأمر الله وجرى في الاودية الى البقاع التي انعم الله على اهلها ثم قال تعالى لياكلوا من ثمرة وما عملته ايديهم افلا يشكرون والترتيب ظاهر ويظهر ايضا في التفسير وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) لم اذكر الترتيب على الانتفاع بقوله لياكلوا عن ذكر الثمار حتى قال وفجرنا فيها من العيون وقال في الحب فيه ياكلون عقيب ذكر الحب ولم يقل عقيب ذكر النخيل والاعناب لياكلوا نقول الحب قوت وهويت وجوده بمياه الامطار ولهذا يرى اكثر البلاد لا يكون بها شيء من الاشجار والزرع والحراث لا يبطل هناك اعتمادا على ماء السماء وهذا لطف من الله حيث جعل ما يحتاج اليه الانسان اعم وجودا واما الثمار فلا تنم الا بالانهار ولا تنضج الا بالانهار ولا يبعد وجود الانهار فلهذا اخرج ( المسئلة الثانية ) الضمير في قوله من ثمرة عائدا الى اي شيء نقول المشهور انه عائدا الى الله اي لياكلوا من ثمرة الله ( وفيه لطيفة ) وهي ان الثمار بعد وجود الاشجار وجرى ان الانهار لم توجد الا بالله تعالى ولولا خلق الله ذلك لم توجد فالمر بعد جميع ما يظن الظان انه سبب وجوده ليس الا بالله تعالى وارادته فهي ثمرة ويحتمل ان يعود الى النخيل وترك الاعناب لحصول العلم بانها في حكم النخيل ويحتمل ان يقال هو راجع الى المذكور أي من ثمرة ما ذكرنا وهذا الوجهان نقلهما الزمخشري ويحتمل وجه آخر اغرب واقرب وهو ان يقال المراد من الثمر القوائد يقال ثمرة التجارة الربح ويقال مرة العبادة النواب وحينئذ يكون الضمير عائدا الى التفجير المدلول عليه بقوله وفجرنا فيها من العيون تفجيريا لياكلوا من فوائده ذلك التفجير وفوائده اكثر من الحمار بل يدخل فيه ما قال الله تعالى انا صبينا الماء صبا الى ان قال فاخرجنا به حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلنا وحدائق غلبا وفاكهة وابا والتفجير اقرب في الذكر من النخيل ولو كان عائدا الى الله لقال من ثمرة كما قال وجعلنا وفجرنا ( المسئلة الثالثة ) ما في قوله وما عملته من اي المآت هي نقول فيها وجوه ( احدها ) نافية كانه قال وما عملت التفجير ايديهم بل الله فجر ( وانيها ) موصولة بمعنى الذي كانه قال

وامن ومنه فرس سروج  
واسع الجري واتصاه على  
لصدية ولا يكاد يذكرنا صبه  
ي اسج سجاته اي ازهه عما لا  
يليق به عقدا وعلات زيتها خاصا به  
حقيقا بشأنه وفيه مبالغة من  
جهة الاشتقاق من السج ومن  
جهة النقل الى التفعيل ومن  
جهة العدول عن المصدر الدال  
على الجنس الى الاسم الموضوع  
له خاصة لاسيما العلم المشير الى  
لحقيقة الحاضرة في الذهن ومن  
جهة اقامته مقام المصدر مع  
الفعل وقيل هو مصدر كضفران  
اريد به التنزه التام والتباعد  
الكلي عن السوء ففيه مبالغة  
من جهة اسناد التنزه الى الذات  
المقدسة فالمعنى تنزه بذاته

والذى علمته ايديهم من الفراس بعد التفجير يا كلون منه ايضا ويا كلون من ثمر الله الذى  
أخرجها من غير سعى من الناس فغطف الذى علمته الايدي على ما خلقه الله من غير مدخل  
للانسان فيه (وثالثها) هى مصدرية على قراءة من قرأ وما علمت من غير ضمير عائد معناه  
لبأكلوا من ثمره وعمل ايديهم يعنى يفرسون والله ينبتا ويخلق برهما فبأكلون مجموع عمل  
ايديهم وخلق الله وهذا الوجه لا يمكن على قراءة من قرأ مع الضمير (المسئلة الرابعة) على  
قولنا ما موصولة يحتمل ان تكون بمعنى وما علمته اى بالتجارة كأنه ذكر نوعى ما يأكل  
الانسان بهما وهما الزراعة والتجارة ومن النبات ما يؤكل من غير عمل الايدي كالغلب  
والتمر وغيرهما ومنه ما يعمل فيه عمل صنعة فيؤكل كالاشياء التى لا تؤكل الا مطبوخة  
أو كالتوتون الذى لا يؤكل الا بعد اصلاح ثم لما عدد العلم اشار الى الشكر بقوله  
أفلا يشكرون وذكر بصيغة الاستفهام لما بينا من فوائد الاستفهام فيما تقدم \* ثم قال  
تعالى (سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن انفسهم وما لا يعلمون)  
قد ذكرنا ان لفظة سبحان علم ادال على التسبيح وتقديره سبح تسبيح الذى خلق الأزواج  
كلها ومعنى سبح زه ووجه تعلق الآية بما قبلها هو انه تعالى لما قال افلا يشكرون وشكر  
الله بالعبادة وهم تركوها ولم يقتنعوا بالتزكّل عبدوا غيره وأتوا بالشرك فقال سبحان الذى  
خلق الأزواج وغيره لم يخلق شيئاً فقال او نقول لما بين انهم انكروا الآيات ولم يشكروا  
بين ما ينبغي ان يكون عليه العاقل فقال سبحان الذى خلق الأزواج كلها أو نقول لما بين  
الآيات قال سبحان الذى خلق ما ذكره عن ان يكون له شريك او يكون عاجزا عن احياء  
الموتى وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله كلها يدل على ان افعال العباد مخلوقة لله لان  
الزوج هو الصنف وافعال العباد اصناف ولها اشباه هى واقعة تحت اجناس الاعراض  
فتكون من الكل الذى قال الله فيها انه خلق الأزواج كلها لا يقال مما تنبت الأرض  
يخرج الكلام عن العموم لان من قال أعطيت زيدا كل ما كان لى يكون للعموم ان  
اقتصر عليه فاذا قال بعده من الثياب لا يبقى الكلام على عمومه لانا نقول ذلك اذا كانت  
من لبسان التخصيص اما اذا كانت لتأكيد العموم فلا بدليل ان من قال اعطيته كل  
شئ من الدواب والنياب والعبيد والجوارى يفهم منه انه بعدد الاصناف لتأكيد العموم  
ويؤيد هذا قوله تعالى فى حم الذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام  
ما تركبون من غير تقييد (المسئلة الثانية) ذكر الله تعالى امورا ثلاثة ينحصر فيها المخلوقات  
فقوله مما تنبت الأرض يدخل فيها ما فى الأرض من الامور الظاهرة كالنبات والثمار  
وقوله ومن انفسهم يدخل فيها الدلائل النفسية وقوله وما لا يعلمون يدخل ما فى اقطار  
السموات وتقوم الأرضين وهذا دليل على انه لم يذ كر ذلك للتخصيص بدليل ان الانعام بما  
خلقها الله والمعادن لم يذ كرها وانما ذ كر الاشياء لتأكيد معنى العموم كما ذكرنا فى المثال  
(المسئلة الثالثة) قوله وما لا يعلمون فيه معنى لطيف وهو انه تعالى انما ذكر كون الكل

عن كل ما لا يليق به تنزهها خاصا به  
فالجملة على هذا اخبار من الله  
تعالى بتزده وبراهنه عن كل ما لا  
يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى  
الاول حكم منه عز وجل بذلك  
ونلقين المؤمنين ان يقولوه  
ويصدقوا مضمونه ولا يخلوا به  
ولا يفلوا عنه والمراد بالازواج  
الاصناف والانواع (مما تنبت  
الأرض) بيان لها والمراد به كل  
ما ينبت فيها من الاشياء المذكورة  
وعبرها (ومن انفسهم) اى خلق  
لازواج من انفسهم اى الذكور  
والانثى (وما لا يعلمون) اى  
والازواج مما لم يعلمهم الله  
تعالى على خصوصياته لعدم  
قدرتهم على الاطاعة بها ولما يتعلق  
بذلك شئ من مصالحهم الدينية  
والدنيوية

مخلوقا لئلا يزه الله عن الشريك فان المخلوق لا يصلح شريكا للخالق لئلا يحد التوحيد الحقيقي لا يحصل الا بالاعتراف بان لا اله الا الله فقال تعالى اعلوا ان المانع من التشريك فيما تعلمون وما لا تعلمون لان الخلق عام والمانع من الشراكة الخلق فلا تشركوا بالله شيئا مما تعلمون فانكم تعلمون انه مخلوق وما لا تعلمون فان عند الله كله مخلوق لكون كله ممكنا ثم قال تعالى ( وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون ) لما استدلل الله باحوال الارض وهى المكان الكلى استدلل بالليل والنهار وهو الزمان الكلى فان دلالة المكان والزمان متناسبة لان المكان لا تستغنى عنه الجواهر والزمان لا تستغنى عنه الاعراض لان كل عرض فهو فى زمان ومثله مذكور فى قوله تعالى ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ثم قال بعده ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا اترلنا عليها الماء اهتزت وربت حيث استدلل بالزمان والمكان هناك ايضا لكن المقصود اولاهنا ان اثبات الوحدة بديل قوله تعالى لا تسجدوا للشمس ثم الحشر بديل قوله تعالى ان الذى احياها لمحي الموتى وههنا المقصود اولاهنا ان اثبات الحشر لان السورة فيها ذكر الحشر اكثر يدل عليه النظر فى السورة وهناك ذكر التوحيد اكثر بديل قوله تعالى فيه قل انكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين الى غيره وآخر السورتين بين الامر وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) المكان يدفع عن اهل السنة شبه الفلاسفة والزمان يدفع عنهم شبه المشبهة ( امايان الاول ) فذلك لان الفلسفى يقول لو كان عدم العالم قبل وجوده لكان عند فرض عدم العالم قبل وقبل وبعد لا يتحقق الا بالزمان فقبل العالم زمان والزمان من جملة العالم فيلزم وجود الشئ عند عدمه وهو محال فنقول لهم قد وافقتمونا على أن الامكنة متناهية لان الابعاد متناهية بالاتفاق فاذن فوق السطح الاعلى من العالم يكون عدم وهو موصوف بالفوقية وفوق وتحت لا يتحقق الا بالمكان ففوق العالم مكان والمكان من العالم فيلزم وجود الشئ عند عدمه فان اجابوا بان فوق السطح الاعلى لا خلا ولا ملا فنقول قبل وجود العالم لآن ولا زمان موجود ( وامايان الثانى ) فلان المشبهى يقول لا يمكن وجود موجود الا فى مكان فالله فى مكان فنقول فيلزمكم ان تقولوا الله فى زمان لان الوهم كما لا يمكنه ان يقول هو موجود ولا مكان لا يمكنه أن يقول هو كان موجودا ولا زمان وكل زمان فهو حادث وقدأ جمعنا على ان الله تعالى قديم ( المسئلة الثانية ) لو قال قائل اذا كان المراد منه الاستدلال بالزمان فلم اختار الليل حيث قال وآية لهم الليل فنقول لما استدلل بالمكان الذى هو المظلم وهو الارض وقال وآية لهم الارض استدلل بالزمان الذى فيه الظلمة وهو الليل ( ووجه آخر ) وهو ان الليل فيه سكن الناس وهذا الاصوات وفيه النوم وهو كالموت ويكون بعده طلوع الشمس كالنفخ فى الصور فيتحرك الناس فذكر الموت كما قال فى الارض وآية لهم الارض الميتة فذكر من الزمانين أشبههما بالموت كما ذكر من المكانين أشبههما بالموت ( المسئلة الثالثة ) ما معنى سلخ النهار من الليل نقول معناه تمييزه منه يقال

وانما اطلعهم على ذلك بطريق الاجال على منهاج قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما ينطبه وقوفهم على عظم قدرته وسعة ملكه وسلطانه ( وآية لهم الليل ) جهلة من خير مقدم ومبتدأ مؤخر كما سرقوله تعالى ( نسلخ منه النهار ) جهلة مبنية لكيفية كونه آية اى نزله ونكشفه عن مكانه مستعار من السلخ وهو ازالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال والاعطب فى الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت الاهداب من الشاة وقد يعكس ومنه الشاة المسلوخة ( فاذا هم مظلمون ) اى داخلون فى الظلام مفاجأة وفيه رمز الى ان الاصل هو الظلام

انسلخ النهار من الليل اذا اتى آخر النهار ودخل اول الليل وسلخه الله منه فانسلك هو منه  
واما اذا استعمل بغير كلمة من قبيل سلخت النهار او الشمس فغناه دخلت في آخره فان قيل  
فالليل في نفسه آية فاية حاجة الى قوله نسلخ منه النهار نقول الشيء تبين بصد منافعه  
ومحاسنه ولهذا لم يجعل الله الليل وحده آية في موضع من المواضع الا وذكر آية النهار  
معها وقوله فاذا هم مظلون اى داخلون في الظلام واذا المفاجأة اى ليس يدهم  
بعد ذلك امر ولا بد لهم من الدخول فيه \* وقوله تعالى ( والشمس تجري لمستقر لها  
ذلك تقدير العزيز العليم ) يحتمل ان يكون الواو للعطف على الليل تقديره وآية لهم  
الليل نسلخ والشمس تجري والقمر قدرناه فهي كلها آية وقوله والشمس تجري اشارة الى  
سبب سلخ النهار فانها تجري لمستقر لها وهو وقت الغروب فينسلخ النهار وفائدة ذكر السبب  
هو ان الله لما قال نسلخ منه النهار وكان غير بعيد من الجهال ان يقول قائل منهم سلخ النهار  
ليس من الله انما يسلخ النهار بغروب الشمس فقال تعالى والشمس تجري لمستقر لها بأمر  
الله فغرب الشمس سالخ للنهار فذكر السبب يتبين صحة الدعوى ويحتمل ان يقال بان قوله  
والشمس تجري لمستقر لها اشارة الى نعمة النهار بعد الليل كما انه تعالى لما قال وآية لهم  
الليل نسلخ منه النهار ذكر ان الشمس تجري فطلع عند انقضاء الليل فيعود النهار بمنافعه  
وقوله لمستقر اللام يحتمل ان تكون للوقت كقوله تعالى اقم الصلاة لادلوك الشمس وقوله  
تعالى فطلقوهن لعدتهن ووجه استعمال اللام للوقت هو ان اللام المكسورة في الاسماء  
لتحقيق معنى الاضافة لكن اضافة الفعل الى سببه احسن الاضافات لان الاضافة  
لتعريف المضاف بالمضاف اليه كما في قوله دار زيد لكن الفعل يعرف بسببه فيقال تجرى  
الرياح واشترى للاكل واذا علم ان اللام تستعمل للتعليل فقول وقت الشيء بشبه سبب الشيء  
لان الوقت يأتي بالامر الكائن فيه والامور متعلقة باوقاتها فيقال خرج لعشر من كذا  
واقم الصلاة لادلوك الشمس لان الوقت معرف كالسبب وعلى هذا فغناه تجرى الشمس  
وقت استقرارها اى كلما استقرت زمانا امرت بالجرى فجرت ويحتمل ان تكون بمعنى الى  
اى الى مستقر لها وتقديره هو ان اللام تذكر للوقت وللوقت طرفان ابتداء وانتهاء يقال  
سرت من يوم الجمعة الى يوم الخميس فجاز استعمال ما يستعمل فيه في احد طرفيه لما بينهما  
من الاتصال ويؤيد هذا قراءة من قرأ والشمس تجري الى مستقر لها وعلى هذا ففي ذلك  
المستقر وجوه ( الاول ) يوم القيامة وعنده تستقر ولا يبقى لها حركة ( الثانى ) السنة  
( الثالث ) الليل اى تجرى الى الليل ( الرابع ) ان ذلك المستقر ليس بالنسبة الى الزمان بل  
هو للكان وحينئذ فقيه وجوه ( الاول ) هو غايه ارتفاعها في الصيف وغايه انخفاضها  
في الشتاء اى تجرى الى ان تبلغ ذلك الموضع فتزجج ( الثانى ) هو غايه مشارقتها في كل  
يوم لها مشرق الى ستة اشهر ثم تعود الى تلك المقنطرات وهذا هو القول الذى تقدم  
في الارتفاع فان اختلاف المشارق بسبب اختلاف الارتفاع ( الثالث ) هو وصولها الى

والنور عارض ( والشمس تجري  
لمستقر لها ) لخمسين يتننى اليه  
دورها فشبّه بمستقر المسافر اذا  
قطع مسيره اولكيد السماء فان  
حركتها فيه توجد ابداً بحيث  
يظن ان لها هناك وقفة قال  
« والشمس حيرى لها بالجودوم »  
اولا استقرار لها على نهج  
مخصوص اولمتهى مقدر لكل  
يوم من المشارق والمغرب فان لها  
في دورها ثلثمائة وستين مشرقاً  
ومغرباً تطلع كل يوم من مطلع  
وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما  
الى انعام القابل اولتقطع جريهما عند  
خراب العالم وقرئ الى مستقر  
لها وقرئ لا مستقر لها اى  
لا يكون لها فانها متحركة دائماً  
وقرئ

ينها في الابتداء (الرابع) هو الدائرة التي عليها حركتها حيث لا تميل عن منطقة البروج على مرور الشمس وسنذكرها ويحتمل ان يقال لمستقرها اي تجرى مجرى مستقرها فان اصحاب الهيئة قالوا الشمس في فلك والفاك يدور فبدير الشمس فالشمس تجرى مجرى مستقرها وقالت الفلاسفة تجرى لمستقرها اي لا يمر لوجودها لاستقر وهو استخراج الاوضاع الممكنة وهو في غاية السقوط واجاب الله عنه بقوله ذلك تقدير العزيز العليم اي ليس لارادتها وانما ذلك بارادة الله وتقديره وتديره وتسخره اياها فان قيل حددت الوجوه الكثيرة وما ذكرت المختار فما الوجه المختار عندك نقول المختار هو ان المراد من المستقر المكان اي تجرى لبلوغ مستقرها وهو غاية الارتفاع والانخفاض فان ذلك يشتمل المشارق والمغرب والمجرى الذي لا يختلف والزمان وهو السنة والليل فهو اتم فائدة وقوله ذلك يحتمل ان يكون اشارة الى جري الشمس اي ذلك الجري تقدير الله ويحتمل ان يكون اشارة الى المستقر اي لمستقرها وذلك المستقر تقدير الله والعزيز الغالب وهو تكمال القدرة يغلب والعليم كامل العلم اي الذي قدر على اجرائها على الوجه الانفع وعلم الانفع فاجراها على ذلك وبانه من وجوه (الاول) هو ان الشمس في ستة اشهر كل يوم تمر على مسامتة شيء لم تمر من امسها على تلك المسامتة ولو قدر الله مرورها على مسامتة واحدة لاحترقت الارض التي هي مسامتة لمرها وبقي المجموع مستوليا على الاماكن الاخر فقدر الله لها بعد التجمع الرطوبات في باطن الارض والاشجار في زمان الشتاء ثم قدر قربها بتدريج لتخرج النبات والثمار من الارض والتجر وتنضج وتجفف ثم تبعد لئلا يحترق وجه الارض واغصان الاشجار (الثاني) هو ان الله قدر لها في كل يوم طلوعا وفي كل ليلة غروبا لئلا تكل القوى والابصار بالسر والتعب ولا يخرب العالم بترك العمارة بسبب الظلمة الدائمة (الثالث) جعل سيرها بطأ من سير القمر واسرع من سير زحل لانها كاملة السور فلو كانت بطيئة السير لدامت زمانا كبيرا في مسامتة شيء واحد فقهرقه ولو كانت سريعة السير لما حصل لها لبث بقدر ما ينضج الثمار في بقعة واحدة \* ثم قال تعالى (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) قال الزمخشرى لابد من تقدير لفظ يتم به معنى الكلام لان القمر لم يجعل نفسه منازل فالمعنى اننا قدرنا مسيره منازل وعلى ما ذكره يحتمل ان يقال المراد منه والقمر قدرناه زمانا منازل لان ذا النسي قريب من النسي ولهذا جاز قول القائل عيشة راضية لان ذا الشيء كالقائم به الشيء فأتوا بلفظ الوصف وقوله حتى عاد كالعرجون القديم اي رجع في الدقة الى حالته التي كان عليها من قبل والعرجون من الانعراج يقال لعود العذق عرجون والقديم المتقدم الزمان قيل ان ما غير عليه سنة فهو قديم والصحيح ان هذه بعينها لا تشترط في جواز اطلاق القديم عليه وانما تعتبر العادة حتى لا يقال لمدينة بنيت من سنة وستين انها بناء قديم او هي قديمة ويقال لبعض الاشياء انه قديم وان لم يكن له سنة ولهذا جاز ان يقال بيت قديم وبناء قديم

لا مستقر لها على ان لا يعني ليس (ذلك) اشارة الى جريها وما فيه من معنى البدمع قرب العهد بالمشار اليه للايهان يعلو رتبته بعدمزله اي ذلك الجري البديع المنطوي على الحكم الرائعة التي تحارفهم العقول والافهام (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) المحيط علمه بكل معلوم (والقمر قدرناه) بالنصب باضمار فعل يفسر الطاهر وقرئ بالرفع على الابتداء اي قدرنا له (منازل) وقيل قدرنا مسيره منازل وقيل قدرناه ذا منازل وهي ثمانية وعشرون الشيطان البطين الثريا الدران الهقعة الهنعة الذارع



ولم يحز ان يقال في العالم انه قديم لان القديم في البيت والبناء ثبت بحكم تقادم العهد  
ومرور السنين عليه واطلاق القديم على العالم لا يعتاد الا عند من يعتقد انه لأوّل له  
ولاساق عليه \* ثم قال تعالى ( لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار  
وكل في ذلك يسبحون ) اشارة الى ان كل شئ من الاشياء المذكورة خلقها على وفق  
الحكمة فالشمس لم تكن تصلح لها سرعة الحركة بحيث تدرك القمر والالكان في شهر واحد  
صيف وشتاء فلا تدرك الثمار وقوله ولا الليل سابق النهار قيل في تفسيره ان سلطان الليل  
وهو القمر ليس يسبق الشمس وهي سلطان النهار وقيل معناه ولا الليل سابق النهار اى  
الليل لا يدخل وقت النهار والناني بعيد لان ذلك يقع ايضا للواضح والاول صحيح ان  
اريد به ما بينته وهو ان معنى قوله تعالى ولا الليل سابق النهار ان القمر اذا كان على  
أفق المشرق ايام الاستقبال تكون الشمس في مقابلته على أفق المغرب ثم ان عند غروب  
الشمس يطلع القمر وعند طلوعها يغرب القمر كأن لها حركة واحدة مع ان الشمس متأخر  
عن القمر في ليلة مقدارا ظاهرا في الحس فلو كان للقمر حركة واحدة بها يسبق الشمس  
ولا تدرك الشمس وللشمس حركة واحدة بها تأخر عن القمر ولا تدرك القمر لبق القمر  
والشمس مدة مديدة في مكان واحد لان حركة الشمس كل يوم درجة فخلق الله تعالى  
في جميع الكواكب حركة أخرى غير حركة الشهر والسنة وهي الدورة اليومية وبهذه  
الدورة لا يسبق كوكب كوكبا اصلا لان كل كوكب من الكواكب اذا طلع غرب  
مقابله وكلما تقدم كوكب الى الموضع الذي فيه الكوكب الآخر بالنسبة لنا تقدم  
ذلك الكوكب فبهذه الحركة لا يسبق القمر الشمس قبين ان سلطان الليل لا يسبق  
سلطان النهار فالمراد من الليل القمر ومن النهار الشمس فقوله لا الشمس ينبغي لها  
ان تدرك القمر اشارة الى حركتها البطيئة التي تتم الدورة في سنة وقوله ولا الليل سابق  
النهار اشارة الى حركتها اليومية التي بها تعود من المشرق الى المشرق مرة أخرى  
في يوم وليلة وعلى هذا ففيه مسائل (المسئلة الاولى) ما الحكمة في اطلاق الليل وارادة  
سلطانه وهو القمر وماذا يكون لوقال ولا القمر سابق الشمس نقول لوقال ولا القمر سابق  
الشمس ما كان يفهم ان الاشارة الى الحركة اليومية فكان يتوهم التناقض فان الشمس  
اذا كانت لا تدرك القمر والقمر اسرع ظاهرا واذا قال ولا القمر سابق يظن ان القمر  
لا يسبق فليس بأسرع فقال الليل والنهار ليعلم ان الاشارة الى الحركة التي بها تتم الدورة  
في مدة يوم وليلة ويكون لجميع الكواكب او عليها طلوع وغروب في الليل والنهار  
(المسئلة الثانية) ما الفائدة في قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك بصيغة الفعل وقوله  
ولا الليل سابق النهار بصيغة اسم الفاعل ولم يقل ولا الليل يسبق ولا قال مدركة القمر  
نقول الحركة الاولى التي للشمس ولا يدرك بها القمر مختصة بالشمس فجعلها كالصادرة منها  
وذكر بصيغة الفعل لان صيغة الفعل لا تطلق على من لا يصدر منه الفعل فلا يقال هو

النسرة الطرف الجبهة الزبرة  
الصفرة العواء السماك الغفر  
الزباني الاكليل القلب الشولة  
النعام البلدة سعد الداج سعد  
بلغ سعد السمود سعد الاخبية  
فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو  
المؤخر الرشا وهو يطن الحوت  
ينزل كل ليلة في واحد منها  
لا يخطاها ولا يتقاصر عنها فاذا  
كان في آخر منازلها وهو الذي  
يكون قبيل الاجتماع دق  
واستقوس (حتى عاد كالرجون)  
كالتمراخ الموج فعلون من  
الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ  
كالرجون وهما لغتان كالزبون  
والزبون (القديم) العتيق وقيل  
هو ما مر عليه حول فصاعدا  
(لا الشمس ينبغي لها) اى يصح  
ويتسهل (ان تدرك القمر) في  
سرعة السير

يخط ولا يكون يصدر منه الخياطة والحركة الثانية ليست مختصة بكوكب من الكواكب بل الكل فيها مشتركة بسبب حركة ذلك ليس ذلك فلما كان كوكب من الكواكب فالحركة ليست كالصادرة منه فأطلق اسم الفاعل لانه لا يستلزم صدور الفعل يقال فلان خياط وان لم يكن خياطاً فإن قيل قوله تعالى يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً يدل على خلاف ما ذكرتم لان النهار اذا كان يطلب الليل فالليل سابقه وقلتم ان قوله ولا الليل سابق النهار معناه ما ذكرتم فيكون الليل سابقاً ولا يكون سابقاً نقول قد ذكرنا ان المراد بالليل ههنا سلطان الليل وهو القمر وهو لا يسبق الشمس بالحركة اليومية السريعة والمراد من الليل هناك نفس الليل وكل واحد لما كان في عقيب الآخر فكأنه طالبه فان قيل فاذكر ههنا سابق النهار وقد ذكر هناك يطلبه ولم يقل طالبه نقول ذلك لما بينا من ان المراد في هذه السورة من الليل كواكب الليل وهى في هذه الحركة كأنها لا حركة لها ولا تسبق ولا من شأنها انها سابقة والمراد هناك نفس الليل والنهار وهما زمانان والزمان لا قرار له فهو يطلب حثيثاً لصدور التفصيص منه وقوله تعالى وكل في فلك يسبحون يحقق ما ذكرنا اى لكل طلوع وغروب في يوم وليلة لا يسبق بعضها بعضاً بالنسبة الى هذه الحركة وكل حركة في فلك تخصه وفيه مسائل (المسئلة الاولى) التنوين في قوله وكل عوض عن الاضافة معناه كل واحد واسقاط التنوين للاضافة حتى لا يجمع التعريف والتشكيك في شئ واحد فلا سقط المضاف اليه لفظاً ودالتون عليه لفظاً وفي المعنى معرف بالاضافة فان قيل فهل يختلف الامر عند الاضافة لفظاً وتركها فنقول نعم وذلك لان قول القائل كل واحد من الناس كذا لا يذهب الفهم الى غيرهم فيفيد اقتصار الفهم عليه فاذا قال كل كذا يدخل في الفهم عموم اكثر من العموم عند الاضافة وهذا كما في قبل وبعد اذا قلت افعل قبل كذا فاذا حذف المضاف وقلت افعل قبل افاد فهم الفعل قبل كل شئ فان قيل فهل بين قولنا كل منهم وبين قولنا كلهم وبين كل فرق نقول نعم عند قولك كلهم ثبت الامر للاقتصار عليهم وعند قولك كل منهم ثبت الامر اولا للعموم ثم استدركت بالتخصيص فقلت منهم وعند قولك كل ثبت الامر على العموم وتركه عليه (المسئلة الثانية) اذا كان كل بمعنى كل واحد منهم والمذكور الشمس والقمر فكيف قال يسبحون نقول الجواب عنه من وجوه (احدها) ما بينا ان قوله كل للعموم فكأنه اخبر عن كل كركب في السماء سيار (ثانيها) ان لفظ كل يجوز ان يوحى نظراً الى كونه لفظاً موحداً غير متنى ولا مجوع ويجوز ان يجمع لكون معناه جمعا واما التنبيه فلا يدل عليها اللفظ ولا المعنى فعلى هذا يحسن ان يقول القائل زيد وعمرو كل جاء او كل جاؤا ولا يقول كل جاء آ بالتنبيه (وثالثها) قال ولا الليل سابق النهار والمراد ما في الليل من الكواكب قال يسبحون (المسئلة الثالثة) الفلك ماذا نقول الجسم المستدير او السطح المستدير او الدائرة لان اهل الامة اتفقوا على ان فلكة المغزل سميت فلكة لاستدراجها وفلكة الخيمة

فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في الآثار والمنافع او في المكان بأن تنزل في منزله او في سلطانه فتطمس نوره وابلا حرق النقي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا تيسر لها الا ما قدر لها (ولا الليل سابق النهار) اى يسبقه في قوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتهما وهما النيران والسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وايراد السابق مكان الادراك لانه الملازم لسرعة سيره (وكل) اى وكلهم على ان التنوين عوض عن المضاف اليه الذي هو الضمير العائد الى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعتهما فان اختلاف الاحوال يوجب تعدد اما في الذات او الى الكواكب فان ذكرهم امشعر لها (في فلك يسبحون) يسبحون بانسابة وسهولة

هى الخشبة المسطحة المستديرة التى توضع على رأس العمود لئلا يمزق العمود الخشبة وهى صفحة مستديرة فأن قبل فعلى هذا تكون السماء مستديرة وقد اتفق أكثر المفسرين على ان السماء مبسوطة لها اطراف على جبال وهى كالسقف المستوى ويدل عليه قوله تعالى والسقف المرفوع نقول ليس فى النصوص ما يدل دلالة قاطعة على كون السماء مبسوطة غير مستديرة ودل الدليل الحسى على كونها مستديرة فوجب المصير اليه اما الاول فظاهر لان السقف المقبب لا يخرج عن كونه سقفا وكذلك كونها على جبال وأما الدليل الحسى فوجهه (أحدها) ان من أمعن فى السير فى جانب الجنوب يظهر له كواكب مثل سهيل وغيره ظهورا أبديا حتى ان من يرصد يراه دائما ويخفى عليه بنات نعش وغيرها خفأ أبديا ولو كان السماء مسطحا مستويا لبان الكل للكل بخلاف ما اذا كان مستديرا فالبعوض حينئذ يستتر بأطراف الارض فلا يرى (الثانى) هو ان الشمس اذا كانت مقارنة للحمل مثلا فاذا غربت ظهر لنا كوكب فى منطقة البروج من الحمل الى الميزان ثم فى كل قليل يستتر الكوكب الذى كان غروبه بعد غروب الشمس و يظهر الكوكب الذى كان طلوعه بعد طلوع الشمس وبالعكس وهو دليل ظاهر وان بحث فيه يصير قطعيا (الثالث) هو ان الشمس قبل طلوعها وبعد غروبها يظهر ضوءها ويستتر الجو بعض الاستنارة ثم يطلع ولولا ان بعض السماء مستتر بالارض وهو محل الشمس فلا يرى جرمها وينتشر نورها لما كان كذا بل كان عند اعادتها الى السماء يظهر لكل أحد جرمها ونورها معا ليكون السماء مستوية حينئذ مكشوفة كلها لكل احد (الرابع) القمر اذا انكسف فى ساعة من الليل فى جانب المشرق ثم سئل اهل المغرب عن وقت الكسوف اخبروا عن الكسوف فى ساعة اخرى قبل تلك الساعة التى رأى اهل المشرق فيها الكسوف لكن الكسوف فى وقت واحد فى جميع نواحي العالم والليل مختلف فدل على ان الليل فى جانب المشرق قبل الليل فى جانب المغرب فالشمس غربت من عند اهل المشرق وهى بعد فى السماء ظاهرة لاهل المغرب فعلم ان استنارها بالارض ولو كانت مستوية لما كان كذلك (الخامس) لو كانت السماء مبسوطة لكان القمر عند ما يكون فوق رؤسنا على المسامطة أقرب الينا وعند ما يكون على الافق ابعد منا لان العمود اصغر من القطر والوتر وكذلك فى الشمس والكواكب كان يجب ان يرى أكبر لان القريب يرى أكبر وليس كذلك فان قيل جازان يكون وهو على الافق على سطح السماء وعند ما يكون على مسامطة رؤسنا فى بحر السماء غائرا فيها لان الخرق جائز على السماء نقول لا تنازع فى جواز الخرق لكن القمر حينئذ تكون حر كته فى دائرة لاعلى خط مستقيم وهو غرضنا ولانا نقول لو كان كذلك لكان القمر عند اهل المشرق وهو فى منتصف نهارهم أكبر مقدارا لكونه قريبا من رؤسهم ضرورة فرضه على سطح السماء الادنى وعندنا فى بحر السماء وبالجملة الدلائل كثيرة والاكتار منها يلين بكتب الهيئة التى الغرض منها بيان

ذلك العلم وليس الغرض في التفسير بيان ذلك غير ان القدر الذي اوردناه يكفي في بيان كونه فلكا مستديرا (المسئلة الرابعة) هذا يدل على أن لكل كوكب فلكا فلما قولك فيه نقول اما السبعة السيارة فلكل فلك واما الكواكب الاخر فقيل لكل فلك واحد ولذا ذكر كلاما مختصرا في هذا الباب من الهيئة حيث وجب الشروع بسبب تفسير الفلك فقول قيل ان للقمر فلكا لان حركته أسرع من حركة الستة الباقية وكذلك لكل كوكب فلك لاختلاف سيرها بالسرعة والبطء والمعرفان بعضها يمر في دائرة وبعضها في دائرة اخرى حتى في بعض الاوقات يمر بعضها ببعض ولا يكسفه وفي بعض الاوقات يكسفه فكل كوكب فلك ثم ان اهل الهيئة قالوا فكل فلك هو جسم كرة وذلك غير لازم بل اللازم ان نقول لكل فلك هو كرة او صفحة او دائرة يفعلها الكوكب بحركته والله تعالى قادر على ان يخلق الكوكب في كرة يكون وجوده فيها كوجود مسمار مفرق في نخن كرة مخوفة ويدير الكرة فيدور الكوكب بدوران الكرة وعلى مذهب ارباب الهيئة حركة الكواكب السيارة على هذا الوجه وكذلك قادر على ان يخاق حلقة يحيط بها اربع سطوح متوازية بها فانها اربع دوائر متوازية كجبر الرحي اذا قورنناه واخر جنا من وسطه طاحونة من طواحين اليد ويبقى منه حلقة يحيط بها سطوح ودوائر كما ذكرنا وتكون الكواكب فيه فلك فتدور تلك الحلقة وتدير الكوكب والحركة على هذا الوجه وان كانت مقدورة لكن لم يذهب اليه أحد من يعتبر ذلك هو قادر على ان يجعل الكواكب بحيث تشق السماء فتجعل دائرة متوهمة كالو فرضت سمكة في الماء على وجهه تنزل من جانب وتصل الى موضع من الجانب الآخر على استدارة وهذا هو المفهوم من قوله تعالى وكل في ذلك يسبحون والظاهر ان حركة الكواكب على هذا الوجه وأرباب الهيئة انكروا ذلك وقالوا لا تجوز الحركة على هذا الوجه لان الكوكب له جرم فاذا شق السماء وتحرك فاما أن يكون موضع دورانه ينشق ويلتئم كالما تحرك السمكة او لا ينشق ولا يلتئم بل هناك خلاء يدور الكوكب فيه لكن الخلاء محال والسماء لا تقبل الشق والالتئام هذا ما اعتمدوا عليه ونحن نقول كلاهما جائز أما الخلاء فلا يحتاج اليه ههنا لان قوله تعالى يسبحون يفهم منه انه بشق والتئام واما امتناع الشق والالتئام فلا دليل اهم عليه وشبهتهم في المحدد للجهات وهي هناك ضعيفة ثم انهم قالوا على ما بينا تخرج الحركات وبه علماء الكسوفات ولو كان لها حركات مختلفة لما وجب الكسوف في الوقت الذي يحكم فيه بالكسوف والخسوف وذلك لاننا نقول للشمس فلكان (احدهما) مركزه مركز العالم (ثانيهما) مركزه فوق مركز العالم وهو مثل بياض البيض بين صفرتة وبين القز والشمس كرة في الفلك الخارج المركز تدور بدورانه في السنة دورة فاذا جعلت في الجانب الاعلى تكون بعيدة عن الارض فيقال انها في الارج واد ا حصلت في الجانب الاسفل تكون قريبة من الارض فتكون في الخسوف واما القمر فله ثلاث شامل لجميع

أجزائه وافلاكه وفلك آخر هو بعض من الفلك الاول محيطه كالثمرة الفوقانية من  
البصلة وفلك ثالث في الفلك التحتاني كما كان في الفلك الخارج المركز في فلك الشمس وفي  
الفلك الخارج المركز كرة مثل جرم الشمس وفي الكرة القمر مركز كسمار في كرة مفرق  
فيها ويسمى الفلك الفوقاني الجوزهر والخارج المركز الفلك الحامل والفلك التحتاني  
الذي فيه الفلك الحامل الفلك المائل والكرة التي في الحامل تسمى فلك التدوير وكذلك  
قالوا في الكواكب الخمسة الباقية من السيارات غير ان الفوقاني الذي سموه فلك  
الجوزهر لم يثبتوا لها فائتوا أربعة وعشرين فلكا الفلك الاعلى وفلك البروج وزحل  
ثلاثة أفلاك الحمل والحامل وفلك التدوير والمشتري ثلاثة كما زحل والمريخ كذلك  
ثلاثة وللشمس فلكا المنزل والخارج المركز وللزهرة ثلاثة أفلاك كالعنويات ولعطارد  
أربعة أفلاك الثلاثة التي ذكرناها في العلويات وفلك آخر يسمونه المدير والقمر أربعة  
أفلاك والرابع يسمونه فلك الجوزهر والمدير ليس كالجوزهر لان المدير غير محيط بأفلاك  
عطارد وفلك الجوزهر محيط ومنهم من زاد في الخمسة في كل فلك فلكين آخرين وجعل  
تدويراتها مركبة من ثلاثة أفلاك وقالوا ان بسبب هذه الاجرام تختلف حركات  
الكواكب ويكون لها عروض ورجوع واستقامة وبطء وسرعة هذا كلامهم على  
سبيل الاقتناص والاقتصار ونحن نقول لا يبعد من قدرة الله خلق مثل ذلك وأما على سبيل  
الوجوب فلان سلم ورجوعها واستقامتها بأرادة الله وكذلك عرضها وطولها وبطؤها  
وسرعتها وقربها وبعدها هذا تمام الكلام (المسئلة الخامسة) قال المنجمون الكواكب  
أحياء بدليل انه تعالى قال يسبحون وذلك لا يطلق الاعلى المساقل نقول ان أردتم  
القدر الذي يصح به التسبيح فنقول به لانه ما من شيء من هذه الاشياء الا وهو يسبح  
بحمد الله وان أردتم شيئا آخر فلم يثبت ذلك والاستعمال لا يدل كافي قوله تعالى في حق  
الاصنام ما لكم لا تنطقون وقوله لا تنطقون ۞ ثم قال تعالى (وآية لهم أناجلنا ذريتهم  
في الفلك المنحون) ولها مناسبة مع ما تقدم من وجهين (احدهما) انه تعالى لما من باحياء  
الارض وهي مكان الحيوانات بين انه لم يقتصر بل جعل للانسان طريقا يتخذ من البحر  
خيرا ويتوسطه أو يسير فيه كما يسير في البر وهذا حينئذ كقوله وجلناكم في البر والبحر  
ويؤيد هذا قوله تعالى وخلقناهم من مثله ما ركبون اذا فرسناه بأن المراد الابل فانها  
كسفن البراري (وانيهما) هو انه تعالى لما بين سباحة الكواكب في الافلاك وذكر  
ما هو مثله وهو سباحة الفلك في البحار ولها وجه ثالث وهي ان الامور التي أنعم الله بها على  
عباده منها ضرورية ومنها نافعة والاول للحاجة والثاني للزينة فخلق الارض واحياؤها  
من القبيل الاول فانها المكان الذي لولاه لما وجد الانسان ولولا احياؤها لما عاش والليل  
والنهار في قوله وآية لهم الليل ايضا من القبيل الاول لانه ازمان الذي لولاه لما حدث  
الانسان والشمس والقمر وحركنهما لولم تكن لما عاش نعم انه تعالى لما ذكر من القبيل

( وآية لهم أناجلنا ذريتهم )  
اولادهم الذين يبعثونهم الى  
تجاراتهم اوصيائهم ونساءهم  
الذين يستصحبونهم فان الذرية  
تطلق عليهن لاسيما مع الاختلاط  
وتخصيصهم بالذكر لما ان  
استقرارهم في السفن اشق  
واستساقم فيهما ابدع (في الفلك  
المنحون) اي المماو، وقيل هو فلك  
نوح عليه السلام وجل ذريتهم  
فيها جل آباؤهم الاقدمين وفي  
اصالهم هؤلاء وذريتهم  
وتخصيص اعقابهم بالذكر دونهم  
لايه ابلغ في الامتنان وادخل في  
التعجب الذي عليه يدور كونه  
آية

الاول آيتين ذكر من القليل النائي وهو الزينة آيتين (احدهما) الفلك التي تجري في البحر فيستخرج من البحر ما يزين به كما قال تعالى ومن كل تأكلون لحاطريا وتستخرجون حلبة تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر (وثانيهما) الدواب التي هي في البر كالفلك في البحر في قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فان الدواب زينة كما قال تعالى والخيول والبغال والحمير لتركبوها وزينة وقال ولكم فيها جبال حين تريحون وحين تسرحون فيكون استدلالا عليهم بالضروري والنافع لا يقال بأن النافع ذكره في قوله جنات من نخيل واعناب فانها للزينة لاننا نقول ذلك حصل تبعا للضروري لان الله تعالى لما خلق الارض مبتدعة لدفع الضرورة واتزل الماء عليها كذلك لزم ان يخرج من الجنة النخيل والاعناب بقدره الله واما الفلك فمقصود لا تبع ثم اذا علمت المناسبة في الآيات اباحت لغوية ومعنوية (اما اللغوية) قال المفسرون الذرية هم الآباء اى جلنا آباءكم في الفلك والالف واللام للتعريف اى فلك نوح وهو مذكور في قوله واصنع الفلك ومعلوم عند العرب فقال الفلك هذا قول بعضهم واما الاكثرون فعلى ان الذرية لا تطلق الا على الولد وعلى هذا فلا بد من بيان المعنى فنقول الفلك اما ان يكون المراد الفلك المعين الذي كان لنوح واما ان يكون المراد الجنس كما قال تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون وقال تعالى وترى الفلك فيه مواخر وقال تعالى فاذا ركبوا في الفلك الى غير ذلك من استعمال لام التعريف في الفلك لبيان الجنس فان كان المراد سفينة نوح عليه السلام فقيه وجوه (الاول) ان المراد انا جلنا اولادكم الى يوم القيامة في ذلك المخالف ولو لا ذلك لما بقي للادمي نسل ولا عقب وعلى هذا فقوله جلنا ذريتهم بدل قوله جلناهم اشارة الى كمال النعمة اى لم تكن النعمة مقتصرة عليكم بل متعددة الى اعقابكم الى يوم القيامة هذا ما قاله الزمخشري ويحتمل عندي ان يقال على هذا انه تعالى انما خص الذرية بالذكر لان الموجودين كانوا كفارا لافائدة في وجودهم فقال جلنا ذريتهم اى لم يكن الحمل جلالهم وانما كان جلالا لما في اصلاهم من المؤمنين كما ان من حمل صندوقا لقيمة له وفيه جواهر اذ اقبل له لم يحمل هذا الصندوق وتعب في حمله وهو لا يشتري بشيء يقول لأجل الصندوق وانما أجل ما فيه (النائي) هو ان المراد بالذرية الجنس معناه جلنا اجناسهم وذلك لان ولد الحيو ان من جنسه ونوعه والذرية تطلق على الجنس ولهذا يطلق على النساء نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الذراري اى النساء وذلك لان المرأة وان كانت صنفا غير صنف الرجل لكنها من جنسه ونوعه يقال ذراريها اى امثالنا فقوله انا جلنا ذريتهم اى امثالهم وآباؤهم حيث تدخل فيهم (الثالث) هو ان الضمير في قوله وآية لهم عائذ الى العباد حيث قال يا حصرة على العباد وقال بعد ذلك وآية لهم الارض وقال وآية لهم الليل وقال وآية لهم انا جلنا ذريتهم اذا علم هذا فكأنه تعالى قال وآية للعباد انا جلنا ذريات العباد ولا يلزم ان يكون المراد بالضمير في الموضعين اشخاصا معينين كما قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم ويريد بعضكم

بعضا وكذلك اذا قاتل قوم ومات الكل في القتال يقال هؤلاء القوم هم قتلوا أنفسهم فهم في الموضعين يكون عائدا الى القوم ولا يكون المراد اشخاصا معينين بل المراد ان بعضهم قتل بعضا فكذلك قوله تعالى وآية لهم اي آية لكل بعض منهم انا حملنا ذرية كل بعض منهم او ذرية بعض منهم واما ان قلنا ان المراد جنس الفلك فهو اظهر لان سفينة نوح لم تكن بحضرتهم ولم يعلموا من حل فيها فاما جنس الفلك فانه ظاهر لكل احد وقوله تعالى في سفينة نوح وجعلناها آية للعالمين اي بوجود جنسها ومثلها وبؤيده قوله تعالى الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان في ذلك لايات لكل صبار شكور فقول قوله تعالى حملنا ذريتهم اي ذريات العباد ولم يقل حملناهم لان سكون الارض عام لكل احد يسكنها فقال وآية لهم الارض الميتة الى ان قال فانه يأكلون لان الاكل عام واما الحمل في السفينة فمن الناس من لا يركبها في عمره ولا يحمل فيها ولكن ذرية العباد لابد لهم من ذلك فان فيهم من يحتاج اليها فيحمل فيها (المسئلة الثانية) جعل الفلك قارة جمعا حيث قال وترى الفلك فيه مواخر جمع مأخرة واخرى فردا حيث قال في الفلك المشحون نقول فيه تدقيق ملجج من علم اللغة وهو ان الكلمة قد تكون حركتها مثل حركة تلك الكلمة في الصورة والحركتان مختلفتان في المعنى منالها قولك سجد يسجد سجدوا بالمصدر وهم قوم سجدوا في جمع ساجد نظن انهما كلمة واحدة لمعنيين وليس كذلك بل السجود عدد كونه مصدرا حركته اصلية اذا قلنا ان الفعل مشتق من المصدر وحركة السجود عند كونه للجمع حركة متغيرة من حيث ان الجمع يشتق من الواحد وينبغي ان يلحق المشتق تغيير في حركة او حرف او في مجموعهما فاسجد لما اردنا ان يشتق منه لفظ جمع غيرناه وجئنا بلفظ السجود فاذا السجود للمصدر والجمع ليس من قبيل الالفاظ المشتركة التي وضعت بحركة واحدة لمعنيين اذا عرفت هذا فقول الفلك عند كونه واحدا مثل قفل وبرد وعند كونها جمعا مثل خشب ومرد وغيرها فان قلت فاذا جعلته جمعا ماذا يكون واحدها نقول جاز ان يكون واحدها فلكة او غيرها مما لم يستعمل كواحد النساء حيث لم يستعمل وكذا القول في امام مبين وفي قوله ندعوا كل اناث بامامهم اي بأئمتهم عند قوله تعالى امام مبين امام كزمام وكتاب وعند قوله تعالى كل اناث بامامهم امام كسهم وكرام وجعاب وهذا من دقيق التصريف (واما المعنوية) فنذكرها في مسائل (المسئلة الاولى) قال ههنا جلنا ذريتهم من عليهم بحمل ذريتهم وقال تعالى انما لما تخي الماء حملناكم في الجارية من هناك عليهم بحمل انفسهم نقول لان من ينفع المتعلق بالغير يكون قد نفع ذلك الغير ومن يدفع الضرر عن المتعلق بالغير لا يكون قد دفع الضرر عن ذلك الغير بل يكون قد دفعه مناله من احسن الى ولد انسان وفرحه فرح بفرحه ابوه واذا دفع واحد الالم عن ولد انسان يكون قد فرح اباه ولا يكون في الحقيقة قد ازال الالم عن ابيه فعند طغيان الماء كان الضرر يلحقهم فقال دفعت عنكم الضرر ولو قال دفعت عن اولادكم الضرر لما حصل

(وخلقناهم من مثله) مما يماثل الفلك (مايركبون) من الابل فانها سعات البرا وما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات العباد ليس بمجرد كون صنعهم باقدار الله تعالى والهامة بل لمزيد اختصاص اصلها بقدرته تعالى وحكمته حسبا يعرب عنه قوله عز وجل واصنع الفلك بأعيننا ووحينا والعبير عن ملابتهم بهذه السفن بالركوب لانها باختيارهم كما ان التعبير عن ملابسة ذريتهم بفلك نوح عليه السلام بالحل لكونها بغير شعور منهم واختيار (وان نشأ نفرقهم) الخ من تمام الآية فانهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى واذا غشيهم موج كاطلل دعوا الله مخلصين له الدين وقرئ نفرقهم بالسنديد وفي تعليق الاعراب بمحض المشيئة اشعار بانهم قدس كامل ما يوجب اهلاكم من معاصيهم ولم يبق الا تعلق مشيئته تعالى به اي ان نشأ نفرقهم في اليوم مع ما حملناهم فيه من الفلك فحديث خلق الابل حبش كلام مجيئه في خلال الآية بطريق الاسطراد لكمال التماثل بين الابل والفلك فكانها نوح منه او مع مايركبون من السفن والزوارق (فلا صريح لهم) اي فلامعيتهم يحرسهم من العرق ويدفعه عنه قبل



بيان دفع الضرر عنهم وههنا أراد بيان المنافع فقال جلنا ذرئهم لان النفع حاصل بنفع  
الذرية ويدل على هذا ان ههنا قال في الفلك المشحون فان ابتلاء الفلك من الاموال  
يحصل بذكره بيان المنفعة واما دفع المضرة فلان الفلك كلما كان اثقل كان الخلاص به  
ابطأ وهنالك السلامة فاختار هنالك ما يدل على الخلاص من الضرر وهو الجري وههنا  
ما يدل على كمال المنفعة وهو الشحن فان قيل قال تعالى وجلناهم في البر والبحر ولم يقل  
وجلنا ذريتهم مع ان المقصود في الموضوعين بيان النعمة لا دفع النعمة نقول لما قال في البر  
والبحر علم الخلق لان ما من احد الا وحل في البر والبحر واما الحمل في البحر فلم يعلم فقال ان كنا  
ما جلناكم بأنفسكم فقد جلنا من بهمكم امره من الاولاد والاقراب والاخوان  
والاصدقاء (المسئلة الثانية) قوله المشحون يفيد فائدة اخرى غير ما ذكرنا وهي ان الآدمي  
يرسب في الماء و يفرق فحملة في الفلك واقع بقدرته لكن من الطبيعيين من يقول الخفيف  
لا يرسب في الماء لان الخفيف يطلب جهة فوق فقال الفلك المشحون اثقل من النقال التي  
ترسب ومع هذا حل الله الانسان فيه مع ثقله فان قالوا ذلك لا متناع الخلاع نقول قد ذكرنا  
الدلائل الدالة على جواز الخلاع في الكتب العقلية فاذن ليس حفظ الثقل فوق الماء  
الابارادة الله ( المسئلة الثالثة ) قال تعالى وآية لهم الارض وقال وآية لهم الليل ولم يقل  
آية لهم الفلك جعلناها بحيث تحملهم وذلك لان حملهم في الفلك هو العجب اما نفس  
الفلك فليس بحمل لانه كيت مبني من خشب واما نفس الارض فعب ونفس الليل عجب  
لا قدرة عليهما لاحد الا الله \* ثم قال تعالى ( وخلقناهم من مثله ما مركبون ) وفيه مسائل  
( المسئلة الاولى ) من حيث اللغة والمعنى اما اللغة فقوله لهم يحتمل ان يكون عائدا الى  
الذرية اي جلنا ذريتهم وخلقنا للمحمولين ما مركبون ويحتمل ان يكون عائدا الى العباد  
الذين عاد اليهم قوله وآية لهم وهو الحق لان الظاهر عود الضمائر الى شيء واحد (المسئلة  
الثانية ) من يحتمل وجهين ( احدهما ) ان يكون صلة تقديره وخلقناهم مثله وهذا على رأى  
الاخفش وسيؤيده يقول من لا يكون صلة الا عند النفي نقول ما جاء من احد كما في قوله  
تعالى وما سننا من لغوب ( وانيهما ) هي مبنية كما في قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم  
كأنه لما قال خلقناهم والمخلوق كان اشياء فال من مثل الفلك البيان ( المسئلة الثالثة )  
الضمير في مثله على قول الاكثرين عائدا الى الفلك فيكون هذا كقوله تعالى وآخرون شكله  
ارواج وعلى هذا فالانهار ان يكون المراد الفلك الاخر الموجود في زمانهم وبؤيد هذا  
هو انه تعالى قال وان نشأ نفرقهم ولو كان المراد الابل على ما قاله بعض المفسرين لكان  
قوله وخلق لهم من مثله ما مركبون فاصلا بين متصلين ويحتمل ان يقال الضمير عائدا الى  
معلوم غير مذكور تقديره ان يقال وخلقناهم من مثل ما ذكرنا من المخلوقات في قوله خلق  
الازواج كلها مما تنبت الارض وهذا كما قالوا في قوله تعالى ليسأكلوا من ثمره ان الهاء  
عائدا الى ما ذكرنا من ثمره ما ذكرناه وعلى هذا نقوله خلقناهم فيدلطفية \* وهي ان ما من

وهو عه وقيل فلا استغاثه لهم من  
قولهم اتاهم الصريح ( ولاهم  
يتخذون ) اي يتخون منه بعد  
وقوعه وقوله تعالى ( الارجة  
منا ومنا ) استثناء مفرغ من  
اعم العلل الشاملة للباعث المتقدم  
والغاية المتأخرة اي لا يعانون  
ولا يتخذون شيء من الاشياء الا  
لرجة عظيمة من قبلنا داعية الى  
الاغاثة والانتقاذ وتتمتع بالحياة  
مرتبة عليهما ويجوز ان يراد  
بالرجة ما يقارن التمتع من الرجة  
الدنيوية فيكون كلاهما غاية  
الاغاثة والانتقاذ اي لنوع من  
الرجة وتتمتع ( الى حين ) اي  
الى زمان قدر فيه آجالهم كما  
قيل

ولم اسلم لحي اني ولكن  
سلبت من الحزم الى الحزم  
( واذا قيل لهم اتقوا ) بيان  
لاعراضهم عن الايات التنزيلية  
بعد بيان اعراضهم عن الايات  
الاقامية التي كانوا يشاهدونها  
او عدم تأملهم فيها اي اذا قيل لهم  
بطريق الادبار بما نزل من الايات  
او بغيره اتقوا ( ما بين ايديكم وما  
خامكم ) من الآفات والحوادث  
ذاتها محيطة بكم وما يصيبكم من  
"بكاره من حيث تحسبون ومن  
حيث لا تحسبون او من العوائق  
المنازلة على الامم الحايضة قبلكم  
والعذاب المعد لكم في الآخرة  
ومن نوازل السماء ونوئ  
الارض او من عذاب الدنيا  
وعذاب

احدا لاوله ركوب مركوب من الدواب وليس كل احد يركب الفلك فقال في الفلك جلنا  
 ذريتهم وان كنا ما جلناهم واما الخلق فلهم عام وما يركبون فيه وجهان (احدهما) هو  
 الفلك الذي مثل فلك نوح (وثانيهما) هو الابل التي هي سفن البر فان قيل اذا كان المراد  
 سفينة نوح فلو وجه مناسبة الكلام نقول ذكرهم بحال قوم نوح وان المكذبين هلكوا  
 والمؤمنين فازوا فكذلك هم ان آمنوا يفوزوا وان كذبوا يهلكوا \* ثم قال تعالى  
 (وان نشأ نغرقهم) اشارة الى فائدتين (احدهما) ان في حال النعمة ينبغي ان لا يأمنوا  
 عذاب الله (وثانيتهما) هو ان ذلك جواب سؤال مقدر وهو ان الطبيعي يقول السفينة  
 تحمل بمقتضى الطبيعة والمجوف لا يرسب فقال ليس كذلك بل لو شاء الله اغرقهم وليس  
 ذلك بمقتضى الطبع ولو صح كلامه الفاسد لكان لقائل ان يقول ألسنت توافق ان من  
 السفن ما ينقلب وينكسر ومنها ما ينقبه ثاقب فيرسب وكل ذلك بمشيئة الله فان شاء الله  
 اغرقهم اغرقهم من غير شيء من هذه الاسباب كما هو مذهب اهل السنة اوبشئ من تلك  
 الاسباب كما تسلم انت \* وقوله تعالى (فلا صريح لهم) اي لا مغيب لهم يمنع عنهم الفرق  
 (ولا هم يتقذرون) اذا ادركهم الفرق وذلك لان الخلاص من العذاب اما ان يكون بدفع  
 العذاب من اصله او برفعه بعد وقوعه فقال لا صريح لهم بدفع ولا هم يتقذرون بعد الوقوع  
 فيه وهذا مثل قوله تعالى لاتن عن شفاعتهم شيئا ولا هم يتقذرون بقوله لا صريح لهم ولا هم  
 يتقذرون فيه فائدة اخرى غير الحصر وهي انه تعالى قال لا صريح لهم ولم يقل ولا منقذ لهم  
 وذلك لان من لا يكون من شأنه ان ينصر لا يشرع في النصرة مخافة ان يغلب ويذهب ماء  
 وجهه وانما ينصر ويغيث من يكون من شأنه ان يغيث فقال لا صريح لهم واما من  
 لا يكون من شأنه ان يتقذ اذا رأى من يعز عليه في ضر يشرع في الانقاذ وان لم ينق بنفسه  
 في الانقاذ ولا يغلب على ظنه وانما يبذل الجهد فقال ولا هم يتقذرون ولم يقل ولا منقذ لهم  
 ثم استثنى فقال (الارحة منا ومتاعا الى حين) وهو يفيد امرين (احدهما) انقسام  
 الانقاذ الى قسمين الرحمة والمتاع اي فمين علم الله منه انه يؤمن فينقذه الله رحمة وفمين علم  
 انه لا يؤمن فليستع زمانا وزدادا تما (وثانيهما) انه بيان لكون الانقاذ غير مفيد للدوام  
 بل الزوال في الدنيا لا بد منه فينقذه الله رحمة ويمتعه الى حين ثم يمسه فالزوال لازم ان يقع  
 \* ثم قال تعالى (واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحون) وجه تعلق  
 الآية بمقابلها هو ان الله تعالى لما عدهد الآيات بقوله وآية لهم الارض وآية لهم الليل  
 وآية لهم اننا جلنا ذريتهم وكانت الآيات تفيد اليقين وتوجب القطع بما قال تعالى  
 ولم تقدمهم اليقين قال فلا قل من ان يحترزوا عن العذاب فان من اخبر بوقوع عذاب  
 يتقيه وان لم يقطع بصدق قول المخبر احتياطا فقال تعالى اذا ذكر لهم الدليل القاطع  
 لا يترفون به وادقيل لهم اتقوا لا يتقون فهم في غاية الجهل ونهاية الغفلة لأمثل العلماء  
 الذين يأتعون البرهان ولا مثل العامة الذين يذنون الامر على الاحوط ويدل على ما ذكرنا

الآخرة او ما تقدم من الذنوب  
 وما تأخر (لعلكم ترحون) اما  
 حال من وآو اتقوا او غاية له اي  
 راجين ان ترحوا او كي ترحوا  
 فتنبها من ذلك لما عرفتم ان مناط  
 النجاة ليس الارحة الله تعالى  
 وجواب اذا محذوف بقية بانفهامه  
 من قوله تعالى (وما تأتيتهم من آية  
 من آيات ربهم الا كانوا عنها  
 معرضين) انفهاما بينهما اما اذا  
 كان الانذار بالآية الكريمة  
 فبعبارة النص واما اذا كان  
 بفيره فبدل لانه لانهم حين  
 اعرضوا عن آيات ربهم فلا ت  
 يعرضون عن غيرها بطريق  
 الاولوية كما أنه قيل وادقيل لهم  
 اتقوا العذاب اعرضوا حسبا  
 اعتادوه وما نافية وصيغة المضارع  
 للدلالة على الاستمرار التجدد ومن  
 الاولى مزيدة لتأكيد العموم  
 والثانية تبعية واقعة مع  
 مجرورها صفة لآية واصنافه  
 الآيات الى اسم الرب المتضاف  
 الى ضميرهم لتنجيم شأنها المستمع  
 لتحويل ما جرتوا عليه في حقها  
 والمراد بها ما الآيات التنزيلية  
 فأنيانها وزولها والمعنى ما ينزل اليهم  
 آية من الآيات القرآنية التي من  
 جعلتها هذه الآيات الناطقة بما  
 فصل من بدائع صنع الله تعالى  
 وسواها والآية الموجبة للاقبال  
 ها بها والايمان بها الا كانوا عنها  
 معرضين على وجه الكذب

قوله تعالى لعلكم ترجون بحرف التمني أى فى ظنكم فإن من يخفى عليه وجه البرهان لا يترك طريقة الاحتراز والاحتياط وجواب قوله اذا قبل لهم اتقوا محذوف معناه واذا قبل لهم ذلك لا يتقون او يعرضون وانما حذف لدلالة ما بعده عليه وهو قوله تعالى وما تأتئهم من آية من آيات ربهم وفى قوله تعالى ما بين ايديكم وما خلفكم وجوه (احدها) ما بين ايديكم الآخرة فانهم مستقبلون لها وما خلفكم الدنيا فانهم تاركون لها (وثانيها) ما بين ايديكم من انواع العذاب مثل الفرق والحرق وغيرهما المدلول عليه بقوله تعالى وان نشأ نفرقهم فلا صريح لهم ولا هم يتقذون وما خلفكم من الموت الطالب لكم ان نجوتم من هذه الاشياء فلا نجاة لكم منه يدل عليه قوله تعالى ومتابا الى حين (وثالثها) ما بين ايديكم من امر محمد صلى الله عليه وسلم فانه حاضر عندكم وما خلفكم من امر الخشر فانكم اذا اتقيتم تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالخشر رجكم الله وقوله تعالى لعلكم ترجون مع ان الرجة واجبة فيه وجوه ذكرناها مرارا وتزيد ههنا وجه آخر وهو انه تعالى لما قال اتقوا بمعنى انكم ان لم تقطعوا بناء على البراهين فاتقوا احتياطا قال لعلكم ترجون يعنى ارباب اليقين يرجون جزما وارباب الاحتياط يرجون ان يرجوا والحق ما ذكرنا من وجهين (احدهما) اتقوا راجين الرجة فان الله لا يحب عليه شئ (وثانيهما) هو ان الاتقاء نظرا اليه امر يفيد الظن بالرجة فان كان يقطع به احد لامر من خارج فذلك لا يمنع الرجاء فان الملك اذا كان فى قلبه ان يعطى من يخدمه اكثر من اجرته اضعافا مضاعفة لكن الخدمة لا تقتضى ذلك يصح منه ان يقول افعل كذا ولا يبعد ان يصل اليك اجرتك اكثر مما تستحق ثم قال تعالى (وما تأتئهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) وهذا متعلق بما تقدم من قوله تعالى يا حشرة على العباد ما يأتئهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن وما تأتئهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين يعنى اذا جاءتهم الرسل كذبوهم فاذا تأتوا بالآيات اعرضوا عنها وما التفتوا اليها وقوله ألم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون الى قوله لعلكم ترجون كلام بين كلامين متصلين ويحتمل ان يقال هو متصل بما قبله من الآية وبيانه هو انه تعالى لما قال واذا قبل لهم اتقوا وكان فيه تقدير اعرضوا قال ليس اعراضهم مقتصر على ذلك بل هم عن كل آية معرضون او يقال اذا قبل لهم اتقوا اقترحوا آيات مثل انزال الملك وغيره فقال وما تأتئهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين وعلى هذا كانوا فى المعنى يكون زائدا معناه الا يعرضون عنها أى لاتعصمهم الآيات ومن كذب ببعض هان عليه التكذيب بالكل وقوله تعالى (واذا قبل لهم اتقوا بما رزقكم الله) اشارة الى انهم يخلون بجميع ما على المكلف وذلك لان المكاف عليه التعظيم لجانب الله والشفقة على خلق الله وهم تركوا التعظيم حيث قيل لهم اتقوا فلم يتقوا وتركوا الشفقة على خلق الله حيث قيل لهم اتقوا فلم يتقوا (وفيد لهذا الاول) خوطبوا بأدنى الدرجات فى التعظيم والشفقة فلم يأتوا بتبى

والاستهزاء وما ما يعصمها وغيرها من لايات التكوينية الشاملة الحجرات وغيرها من يعاجيب المصنوعات التى من جملها الآيات الثلاث المفسودة آتفا فالمراد بتأنيها ما يميز نزول الوحي وظهور تلك الامور اها والمغنى ما يظهر لهم آية من لايات التى من جملتها ما ذكر من شأنه الشهادة بوحده ائنه تعالى وتفرده بالالوهية الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدى الى الايمان به تعالى وبيان على ان يقال الاعراض عنها كواقع مثله فى قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استقرار انبياء الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة فى حيز النصب على انها حال من مفعول تأتى او من فاعله المتخصص بالوصف لاسية اها على ضمير كل منهما والاسماء مفرغ من عم الاحوال أى ما تأتئهم من به من آيات ربهم فى حال من احوالهم الاحال، اعراضهم عنها وما تأتئهم آية منهم فى حال من احوالها الاحال اعراضهم عنها او اذا قيل لهم اتقوا بما رزقكم الله أى اعطاكم بطريقى التفضل والامام من نواع الاموال عبر عنها بآيات تصبغ الحق وزرعها فى لاسق

منه وعباد الله المخلصون خوطبوا بالآدنى فأتوا بالأعلى إنما قلنا ذلك لأنهم في التقوى أمروا بأن يتقوا ما بين أيديهم من العذاب والآخرة وما خلفهم من الموت والعذاب وهو أدنى ما يكون من الانتقام وأما الخاص فبتقوى تغيير قلب الملك عليه وإن لم يعاقبه ومتقوا العذاب لا يكون إلا البعيد فهم لم يتقوا معصية الله ولم يتقوا عذاب الله والمخلصون اتقوا الله واجتنبوا مخالفته سواء كان يعاقبهم عليه أولا يعاقبهم وأما في الشفقة فقليل لهم انفقوا بما أي بعض ما هو لله في أيديكم فلم ينفقوا والمخلصون أثروا على أنفسهم وبذلوا كل ما في أيديهم بل أنفسهم صرفوها إلى نفع عباد الله ودفع الضرر عنهم (الثانية) كما أن في جانب التعظيم ما كان فائدة التعظيم راجعة إلى الله فأن الله مستغن عن تعظيمهم كذلك في جانب الشفقة ما كان فائدة الشفقة راجعة إلى الله فأن من لا يرزقه المتمول لا يموت إلا باجالة ولا بد من وصول رزقه إليه لكن السعيد من قدر الله إقبال الرزق على يده إلى غيره (الثالثة) قوله بمارزقكم إشارة إلى امرين (أحدهما) أن البخل به في غاية القبح فأن البخل البخل من يبخل بمال الغير (وثانيهما) أنه لا ينبغي أن يمنعكم من ذلك مخافة الفقر فأن الله رزقكم فإذا انفقتم فهو يخلفه لكم ثانيا كما رزقكم أولا \* وفيه مسائل أيضا (المسئلة الأولى) عند قوله تعالى وإذا قيل لهم انفقوا حذف الجواب وههنا إجاب واتي بأكثر من الجواب وذلك لأنه تعالى لو قال وإذا قيل لهم انفقوا قالوا أنطم من لو يشاء الله أطعمه لكان كافيا لما الفائدة في قوله تعالى قال الذين كفروا للذين آمنوا نقول الكفار كانوا يقولون بأن الأ طعام من الصفات الحميدة وكانوا يفخرون به وإنما أرادوا بذلك القول ردا على المؤمنين فقالوا نحن نطم الضيوف معتقدين بأن أفعالنا ثناء ولولا أ طعامنا لما اندفع حاجة الضيف وأتم يقولون أن الحكم يرزق من يشاء فلم تقولون لما انفقوا فلما كان غرضهم الرد على المؤمنين لا الامتناع من الأ طعام قال تعالى عنهم قال الذين كفروا للذين آمنوا إشارة إلى الرد وأما في قولهم اتقوا ما بين أيديكم فلم يكن لهم رد على المؤمنين فأعرضوا وأعرض الله عن ذكر أعراضهم لحصول العلم به (المسئلة الثانية) ما الفائدة في تغيير اللفظ في جوابهم حيث لم يقولوا أنفق على من لو يشاء الله رزقه وذلك لأنهم أمروا بالانفاق في قوله وإذا قيل لهم انفقوا فكان جوابهم بأن يقولوا أنفق فلم قالوا أنطم نقول فيه بيان غاية مخالفتهم وذلك لأنهم إذا أمروا بالانفاق والانفاق يدخل فيه الأ طعام وغيره لم يأتوا بالانفاق ولا بأقل منه وهو الأ طعام وقالوا لا نطم وهذا كما يقول القائل لغيره أعط زيدا دينارا يقول لا أعطيه درهما مع أن المطابق هو أن يقول لا أعطيه دينارا ولكن المبالغة في هذا الوجه أتم فكذلك ههنا (المسئلة الثالثة) كان كلامهم حقا فأن الله لو شاء أطعمه فلماذا ذكره في معرض الذم نقول لأن مرادهم كان الإنكار لقدرة الله أولعدهم جواز الأمر بالانفاق مع قدرة الله وكلاهما فاسد بين الله ذلك في قوله بمارزقكم فانه يدل على قدرته ويصح أمره بالأعطاء لأن من كان له في يد الغير مال وله في خزائنه مال فهو

على منهاج قوله تعالى واحسن كما أحسن الله إليك وتبينها على عظم جنايتهم في ترك الامتثال بالأمر وكذلك من النعصية أي إذا قيل لهم بطريق الصيحة انفقوا بعض ما أعطاكم الله تعالى من فضله على المحتاجين فأن ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكارة (قال الذين كفروا) بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة (للذين آمنوا) تكلموا بهم وبما كانوا عليه من تعليق الأمور بمشيئة الله تعالى (أنطم) حسبا تعظوننا به (من لو يشاء الله أطعمه) أي على زعمكم وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة إذا أسروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أبقره الله ونطمه نحن وقيل قاله مشركو فريش حين استطمهم ففراء المؤمنين من أموالهم التي زعموا أنهم جعلوها لله تعالى من الحرث والأناعم يوهمون أنه تعالى لما لم يشأ أطعمهم وهو قادر عليه ففحن أحق بذلك وما هو إلا لفرط جهالتهم فأن الله تعالى يطعم عباده بأسباب من جلته حيث الأ غنياء على أ طعام الفقراء وتوفيقهم لذلك (إن أتم إلا في ضلال مبين) حيث تأمرونا بما يخالف مسيئة الله تعالى وقد جوز أن يكون جوابهم من جهته تعالى أو حكاية لجواب المؤمنين لهم (ويقولون متى هذا الوعدان كنتم صادقين) أي فيما

تعدرتنا به من قيام الساعة  
محاطين لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم والمؤمنين لما انهم  
ايضا كانوا يتلون عليهم آيات  
الوعيد بقيامها ومعنى القرب  
في هذا اما بطريق الاستهزاء  
واما باعتبار قرب العهد بالوعد  
(ما يظنون) جواب من  
جهته تعالى اى ما ينتظرون  
(لا يصح واحد) هى الشبهة  
الاولى (بأخذهم) مفاجأة  
(وهم يخشون) اى يخشون  
في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر  
بالهم شئ من مخالفتهم كقول  
تعالى فأخذتهم لساعة لا يفتد  
وهم لا يشعرون فذيعروا بعدهم  
فهور علائقهم ولا يعرفونها  
لا يتهموا اصل يخشون  
يختصمون فكننت التاء  
وأدغمت في الصاد ثم كسرت  
الحاء لالتقاء الساكنين وقرئ  
بكر الياء للاتباع وفتح الخاء  
على القاء حركته التاء عليه  
ومرئ على الاختلاس  
ه بالاسكان على تجويز الجمع  
بين الساكنين اذا كان اللى  
ه غما وان لم يكن الاول حرف  
هـ مـ رى يـ خـ مـ من خصمه  
اذا جالده (فترى يستغيثون  
وصية) أى شئ من امرهم  
ان كانوا فيما بين اهلهم واولادهم  
المهم (جعون) ركلواى خارج  
ابـ بـ بل تبعهم الضيف  
نـ تـ ر حـ كـ وـ (وتخفى  
سود) هى الشخصية الثانية بها

مخير ان اراد اعطى مما فى خزائنه وان اراد امر من عنده المال بالايعطاء ولا يجوز ان  
يقول من يده ماله فى خزائنى اكثر مما فى يدي اعطيه منه وقوله ان اتم الا فى ضلال مبين  
اشارة الى اعتقادهم انهم قطعوا المؤمنين بهذا الكلام وان امرهم بالاتفاق مع قولهم  
بقدره الله ظاهر الفساد واعتقادهم هو الفاسد وفيه مباحث لغوية ومعنوية (اما  
اللغوية) فنقول ان وردت للنفي بمعنى ما و كان الاصل فى ان تكون للشرط والاصل فى  
ما ان تكون للنفي لكنهما اشتراكا من بعض الوجوه فتقارضا واستعمل ما فى الشرط  
واستعمل ان فى النفي اما الوجه المشترك فهو ان كل واحد منهما حرف مركب من حرفين  
مقاربين فان الهمزة تقرب من الالف والميم من النون ولا بد من ان يكون المعنى الذى  
يدخل عليه ما وان لا يكون ثابتا ما فى ما فظاهر واما فى ان فلائك اذا قلت ان جاءنى زيد  
اكرمه ينبغى ان لا يكون له فى الحال مجئ فاستعمل ان مكان ما وقيل ان زيد قائم اى ما زيد  
بقائم واستعمل ما فى الشرط تقول ما تصنع اصنع والذى يدل على ما ذكرنا ان ما النافية  
تستعمل حيث لا تستعمل ان وذلك لانك تقول ما ان جلس زيد فاجعل ان صلة ولا تقول ان  
جلس زيد بمعنى النفي وبمعنى الشرط تقول اما ترى فاجعل ان اصلا وما صلة فدلنا هذا على  
ان ان فى الشرط اصل وما دخل وما فى النفي بالعكس (البحث الثانى) قد ذكرنا ان قوله ان  
تم الا يقيد ما لا يفيد قوله اتم فى ضلال لانه يوجب الحصر وانهم ليسوا فى غير الضلال  
(البحث الثالث) وصف الضلال بالمبين قد ذكرنا معناه انه لظهوره بين نفسه انه ضلال  
اى فى ضلال لا يخفى على احد انه ضلال (البحث الرابع) قد ذكرنا ان قوله فى ضلال يفيد  
كونهم مغمورين فيه فائصين وقوله فى و اضع على بينة وعلى هدى اشارة الى كونهم  
راكبين متن الطريق المستقيم قادرين عليه (واما المعنوية) فهى انهم انما وصفوا الذين  
آمنوا بكونهم فى ضلال مبين لكونهم ظانين ان المؤمن كلامه متناقض ومن تناقض كلامه  
يكون فى غاية الضلال انما قلنا ذلك لانهم قالوا انظروا من لو يشاء الله اطعمه اشارة الى ان  
الله ان شاء ان يطعمهم كان يطعمهم فلان قدر على اطعامهم لانه يكون تحصيله للحاصل  
وان لم يشأ اطعامهم لا يقدر احد على اطعامهم لامتناع وقوع ما لم يشأ الله فلا قدرة لنا  
على الاطعام فكيف تأمرونا بالاطعام (ووجه آخر) وهو انهم قالوا اراد الله تجويعهم  
فلو اطعمناهم يكون ذلك سعييا فى ابطال فعل الله وانه لا يجوز وانتم تقولون اطعموهم فهو  
ضلال ولم يكن فى الضلال الا هم حيث نظر والى المراد ولم ينظروا الى الطلب والامر وذلك  
لان العبد اذا امره السيد بأمر لا ينبغى ان يكشف سبب الامر والاطلاع على المقصود  
الذى امر به لاجله ماله المالك اذا اراد الركوب للمجموع على عدوه بحيث لا يطلع عليه  
اخذ وقال له احضر المركوب فلو تطلع واستكشف المقصود الذى لاجنه الركوب  
لنسب الى "يريد ان يطلع عدوه على الخذر منه وكشف سره فالادب فى الطاعة وهو اتباع  
الامر لا تتبع المراد فالله تعالى اذا قال انفقوا مازقكم لا يجوز ان يقولوا لم لم يطعمهم

الله بما في خزائنه \* ثم قال تعالى ( ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ) وهو اشارة الى ما اعتقدوه وهو ان التقوى المأمور بها في قوله واذ قيل لهم اتقوا والاتفاق المذكور في قوله تعالى واذ قيل لهم اتقوا لافائدة فيه لان الوعد لاحقيقته وقوله متى هذا الوعد اى متى يقع الموعد به وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) وهى ان للشرط وهى تستدعى جزاء ومتى استفهام لا يصلح جزاءه الجواب فنقول هى فى الصورة استفهام وفى المعنى انكار كما فهم قالوا ان كنتم صادقين فى وقوع الحشر فقولوا متى يكون ( المسئلة الثانية ) الخطاب مع من فى قولهم ان كنتم نقول الظاهر انه مع الانبياء لانهم لما انكروا الرسالة قالوا ان كنتم بأبيها المدعون الرسالة صادقين فاجرونا متى يكون ( المسئلة الثالثة ) ليس فى هذا الموضع وعد فالاشارة بقوله هذا الوعد الى اى وعد نقول هو ما فى قوله تعالى واذ قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم من قيام الساعة او نقول هو معلوم وان لم يكن مذكورا لكون الانبياء مقيمين على تذكيرهم بالساعة والحساب والواب والعقاب \* ثم قال تعالى ( ما ينظرون الا صيحة واحدة ) اى لا ينظرون الا الصيحة المعلومه والتذكير للتكثير فان قيل هم ما كانوا ينظرون بل كانوا يحزمون بعدها فنقول الانتظار فعلى لانهم كانوا يفعلون ما يستحق به فاعله البوار وتجميل العذاب وتقريب الساعة لولا حكم الله وقدرته وعلمه فانهم لا يقولون او نقول لما لم يكن قوله متى استفهاما حقيقيا قال ينظرون انتظارا غير حقيقى لان القائل متى يفهم منه الانتظار نظر الى قوله وقد ذكروا ههنا فى الصيحة امورا تدل على هولها وعظمتها ( احدها ) التكثير يقال فلان مال اى كثير وله قلب اى جرى ( ونابها ) واحدة اى لا يتاج معها الى ثانية ( ونالها ) تأخذهم اى تعهم بالاخذ وتصل الى من فى مشارق الارض وغاربها ولا شك ان مثلها لا يكون الا عظيما \* وقوله ( تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ) بما يعظم به الامر لان الصيحة المعنادة اذا وردت على غافل يرجف فان المقبل على مهم اذا صاح به صائح يرجف فؤاده بخلاف المنتظر للصيحة فاذا كان حال الصيحة ما ذكرناه من الشدة والقوة وزد على الغافل الذى هو مع خصمه مشغول يكون الارتجاف اتم والارتجاف اعظم ويحتمل ان يقال يخصمون فى البعث ويقولون لا يكون ذلك اصلا فيكونون غافلين عنه بخلاف من يعتقد انه يكون فينتبه ، وينتظر وقوعه فانه لا يرتجف وهذا هو المراد بقوله تعالى فصعق من فى السموات ومن فى الارض الامن شاء من اعتقد وقوعها فاستعد لها وقدم لها ذلك فحين شام برقا وعلم ان سيكون رعد من لم يشمه ولم يعلم ثم رعد الرعد ترى الشأم العالم نباتا والغافل الذاهل معشيا عليه ثم بين شدة الاخذ وهى بحيث لا تمهلهم الى ان يوصوا وفيه امور مينة للشدة ( احدها ) عدم الاستطاعة فان قول القائل فلان فى هذه الحال لا يوصى دون قوله لا يستطيع التوصية لان من لا يوصى قد يستطيعها ( الناقى ) التوصية وهى بالقول والقول يوجد اسرع مما يوجد الفعل فقال لا يستطيعون كلمة فكيف فعلا يحتاج الى زمان

وبين الاولى اربعون سنة اى  
بفتح فى موصيعة الماضى للدلالة  
على تحقق الوقوع ( فاذا هم من  
الاجداث ) اى القبور رجعت جدث  
وقرى بالفاء ( المردم ) مالت  
اسرهم على الاطلاق ( ينسلون )  
يسرعون بطريق الاجبار دون  
الاختيار لقوله تعالى لدينا  
محضرون وقرى بنم السين  
( فالوا ) اى فى ابتداء بعضهم من  
القبور ( ياويلنا ) احضر فهذا  
اوانك وقرى ياويلنا ( من بعثنا  
من مرفدنا ) وقرى من اهبتنا  
من هب من نومه اذا اتبه وقرى  
من هبتنا بمعنى اهبتنا وقيل اصله  
هب بنا فحذف الجار واصل  
الفعل الى الضير قبل فيه ترشح  
ورمز واشعار بأنهم لا خللاط  
عقولهم يظنون انهم كانوا انما  
وعن مجاهد ان الكفار جميعه  
يحدون فيها طم السوم باد اصبح  
بأهل القبور يقولون دلا وعن  
ابن عباس وابى بن كعب وناذره  
رحمهم الله تعالى ان الله تعالى يرفع  
عهم العذاب بين الفخين  
فيؤقدون فاذا بعثوا بالفحة الثانية  
وشاهدوا من احوال القيامة  
ماشاهدوا دعوا بالويل وقالوا  
ذات ويل اذا عاينوا جهنم وما  
فيها من انواع العذاب يصير  
عذاب القبر فى جنبها مثل النوم  
فيقولون دلا وقرى من بشتا  
ومن هبتنا بمن الجارة والمصدر  
والمرند اما مصدر اى من  
رفادنا او اسم مكان اريد به

طويل من اداء الواجبات ورد المظالم ( الثالث ) اختيار التوصية من بين سائر الكلمات يدل على انه لا قدرة له على اهم الكلمات فان وقت الموت الحاجة الى التوصية امس ( الرابع ) التذكير في التوصية للتعميم اى لا يقدر على توصية ما ولو كانت بكلمة بسيرة ولان التوصية قد تحصل بالاشارة فالعاجز عنها عاجز عن غيرها ( الخامس ) قوله ولا الى اهلهم يرجعون بيان لشدة الحاجة الى التوصية لان من يرجو الوصول الى اهله قديمسك عن التوصية لعدم الحاجة اليها واما من يقطع بأنه لا وصول له الى اهله فلا بد له من التوصية فالذالم يستطع مع الحاجة دل على غاية الشدة \* وفي قوله ولا الى اهلهم يرجعون وجهان ( احدهما ) ما ذكرنا انهم يقطعون بانهم لا يهلون الى ان يجتمعوا بأهلهم وذلك يوجب الحاجة الى التوصية ( وثانيهما ) انهم الى اهلهم لا يرجعون يعنى يموتون ولا رجوع لهم الى الدنيا ومن يسافر سفرا ويعلم انه لا رجوع له من ذلك السفر ولا اجتماع له بأهله مرة اخرى يأتي بالتوصية \* ثم بين ما بعد الصيحة الاولى فقال ( ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون ) اى نفخ فيه اخرى كما قال تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قال تعالى في موضع آخر ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال ههنا فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون والقيام غير النسلان وقوله في الموضوعين اذا هم يقتضى ان يكونا معانقول ( الجواب ) عنه من وجهين ( احدهما ) ان انقيام لانفاى المتى السريع لان الماتى قائم ولا ينفى في النظر ( وثانيهما ) ان لسرعة الامور كأن الكل في زمان واحد كقول القائل \* مكرم مقبل مدبر معا \* ( المسئلة الثانية ) كيف صارت النفختان مؤثرتين في أمرين متضادين الاحياء والاماتة نقول لا مؤثر غير الله والنفخ علامة نعم ان الصوت الهائل يزلزل الاجسام فعند الحياة كانت اجزاء الحى مجمعة فزلزلها فحصل فيها تقريق وحالة الموت كانت الاجزاء متفرقة فزلزلها فحصل فيها اجتماع فالخاصل ان النفختين يؤثران تزلزلا وانتقالا للاجرام فعند الاجتماع تفرق وعند الافتراق تجتمع ( المسئلة الثالثة ) ما التحقيق في اذا التى للفجأة نقول هى اذا التى للظرف معناه نفخ في الصور فاذا نفخ فيه هم ينسلون لكن الشئ قد يكون ظرفا للشئ معا وما كونه ظرفا فعند الكلام يعلم كونه ظرفا وعند المشاهدة لا يتجدد علم كقول القائل اذا طلعت الشمس اضاء الجو وغير ذلك فاذا رأى اضاءة الجو عند الطلوع لم يتجدد علم زائدا واما اذا قلت خرجت فاذا اسد بالباب كان ذلك الوقت ظرف كونه الاسد بالباب لكنه لم يكن معلوما فاذا رآه علمه فحصل العلم بكونه ظرفا له مفاجأة عند الاحساس فقيل اذا للمفاجأة ( المسئلة الرابعة ) اين يكون في ذلك الوقت اجدات وقد زلزلت الصيحة الجبال نقول يجمع الله اجزاء كل واحد في الموضع الذى قبر فيه فيخرج من ذلك الموضع وهو جدته ( المسئلة الخامسة ) الموضع موضع ذكر الهية وتقدم ذكر الكافر ولفظ الرب يدل على الرحمة فلو قال بدل الرب المضاف اليهم لفظا دالا على الهية هل يكون الياق ام لا ( قلنا ) هذا

الجلس ينتظم مراقد الكل ( هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ) جملة من مبتدأ وخبر وما موصولة محذوفة العائد او مصدرية وهو جواب من قيل الملائكة او المؤمنين عدل به عن سنن سؤالهم تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبها على ان الذى يهمهم هو السؤال عن نفس البعث ماذا هو دون البعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذى وعدكم ذلك في كتابه وارسل اليكم الرسل فصدقكم فيه وليس الامر كما توهمون حتى تسألوا عن البعث وقيل هو من كلام الكافرين حيث يتذكرون ما سمعوه من الرسل عليهم الصلاة والسلام فيحيون به انفسهم او بعضهم بعضا وقيل هذا صفة لمزقنا وما وعدنا خرمبتدا محذوف او مبتدأ خبره محذوف اى ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حى ان كانت اى ما كانت النفخة التى حكيت اتفاقا ( الا صيحة واحدة ) حصات من نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور ( فاذا هم جمع اى مجموع الدنا محضرون ) من غير لبس ما صرفة عبر رفيه من تبيين امر البعث والحشر والايذان باستغنائهما عن الاسباب مالا يحق ( فاليوم لا تظلم نفس ) من النفوس برة كانت اوف جرة ( شيئا ) من الظلم ( ولا يتجزون الا ما كنتم تعملون ) اى الاجزاء



اللفظ أحسن ما يكون لأن من أساء واضطر الى التوجه الى من أحسن اليه يكون ذلك أشد  
ألموا أكثرندما من غيره ( المسئلة السادسة ) المسمى اذا توجه الى المحسن يقدم رجلا  
ويؤخر اخرى والنسلان هو سرعة المشى فكيف يوجد منهم ذلك نقول ينسلون من غير  
اختيارهم وقد ذكرنا في تفسير قوله فاذا هم ينظرون انه أراد أن يبين كمال قدرته ونفوذ  
ارادته حيث ينفخ في الصور فيكون في وقته جمع وتركيب واحياء وقيام وعد وفي زمان  
واحد فقوله فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون يعنى في زمان واحد ينهون الى هذه  
الدرجة وهى النسلان الذى لا يكون الا بعد مراتب ثم قال تعالى ( قالوا يا ويلنا من بعثنا  
من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ) يعنى لما بعثوا قالوا ذلك لان قوله ونفخ  
في الصور يدل على انهم بعثوا وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) لوقال قائل لوقال الله تعالى  
فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون يقولون يا ويلنا كان أليق نقول معاذ الله وذلك  
لان قوله فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون على ما ذكرنا اشارة الى أنه تعالى في أسرع  
زمان يجمع اجزاءهم وبؤلفها ويحييها ويحركها بحيث يقع نسلانهم في وقت النفخ مع ان  
ذلك لا بدله من الجمع والتأليف فلو قال يقولون لكان ذلك مثل الحال لينسلون اى ينسلون  
قائلين يا ويلنا وايس كذلك فان قولهم يا ويلنا قبل أن ينسلوا وانما ذكر النسلان لما ذكرنا  
من الفوائد ( المسئلة الثانية ) لوقال قائل قدر فنامعنى النداء فى مثل يا حصرة ويا حسرتا  
ويا ويلنا ولكن ما الفرق بين قولهم وقول الله حيث قال يا حصرة على العباد من غير اضافة  
وقالوا يا حسرتا ويا حسرتا ويا ويلنا نقول حيث كان القائل هو المكلف لم يكن لا حد علم  
الابحاله او بحال من قرب منه فكان كل واحد مشغولا بنفسه فكان كل واحد يقول  
يا حسرتا ويا ويلنا فقوله قالوا يا ويلنا اى كل واحد قال يا ويلى و اما حيث قال الله قال على  
سبيل العموم لشمول علمه بحالهم ( المسئلة الثالثة ) ما وجه تعلق من بعثنا من مرقدنا  
بقولهم يا ويلنا نقول لما بعثوا تذكروا اما كانوا يسمعون من الرسل فقالوا يا ويلنا من بعثنا  
أبعثنا الله البعث الموعود به أم كنا نياما فنبهنا وهذا كما اذا كان انسان موعودا بان يأتيه  
عدو لا يطيقه ثم يرى رجلا هائلا يقبل عليه فيرتجف في نفسه ويقول هذا ذلك أم لا ويدل  
على ما ذكرنا قولهم من مرقدنا حيث جعلوا القبور موضع الرقاد اشارة الى انهم شكوا  
فى انهم كانوا نياما فنبهوا او كانوا موتى وكان الغالب على ظنهم هو البعث فجمعوا بين  
الامرين فقالوا من بعثنا اشارة الى ظنهم انه بعثهم الموعود به وقالوا من مرقدنا اشارة الى  
توهمهم احتمال الانتباه ( المسئلة الرابعة ) هذا اشارة الى ماذا نقول فيه وجهان  
( احدهما ) انه اشارة الى المرقد كما أنهم قالوا من بعثنا من مرقدنا هذا فيكون صفة للمرقد  
يقال كلامى هذا صدق ( وثانيهما ) هذا اشارة الى البعث اى هذا البعث ما وعد به الرحمن  
وصدق فيه المرسلون ( المسئلة الخامسة ) اذا كان هذا صفة للمرقد فكيف يصح قوله  
تعالى ما وعد الرحمن وصدق المرسلون نقول يكون ما وعد الرحمن مبتدأ خبره محذوف

ما كنتم تعملونه فى الدنيا على  
الاستمرار من الكفر والمعاصى  
على حذف المضاف وامامة  
المضاف اليه مقامه للتنبيه على قوة  
التلازم والارتباط بينهما كما  
شئ واحد والابحاله كنتم تعملونه  
اى بمقابلته او بسببه ونعيم  
الخطاب للمؤمنين يرده انه تعالى  
بوفهم أجورهم ويزيدهم من  
فضله اضعافا مضاعفة وهذه  
حكاية لما سيقال لهم حين يرون  
العذاب المعدلهم تحقيقا للحق  
وتقريعا لهم وقوله تعالى ( ان  
اصحاب الجنة اليوم فى شغل  
فاكهن ) من جهة ما سيقال لهم  
يومئذ زيادة لحسرتهم وندامهم  
فان الاخبار بحسرتهم حال اعدائهم  
اثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم  
مساة على مساة وفى هذه  
الحكاية مزجوة لهؤلاء الكفرة  
عماهم عليه ومدعاة الى الاقتداء  
بسيرة المؤمنين والشغل هو  
النأن الذى يصد المرء ويشغله  
عماسواه من شؤنه لكونه اهم  
عنده من الكل اما لا يخافه كمال  
المسرة والبهجة او كمال المساة  
والغم والمراد ههنا هو الاول  
وما فيه من التكثير والالهام  
للايدان بارتفاعه عن رتبة البيان  
والمراد به ما هم فيه من فنون  
الملاذاتى تلهيهم عما عداهم  
بالكسبه واما ان المراد به  
افضاض الاكابر والسماع  
وضرب الاوتار والتزاور

تقديره ما وعد الرحمن حق والمرسلون صدقوا او يقال ما وعد به الرحمن وصدق فيه  
المرسلون حق والاول اظهر لقلة الاضمار او يقال ما وعد الرحمن خبر مبتدأ محذوف  
تقديره هو ما وعد الرحمن من البعث ليس تنبيههم النوم وصدق المرسلون فيما أخبروكم به  
(المسئلة السادسة) ان قلنا هذا اشارة الى المرقد أو الى البعث فجواب الاستفهام بقولهم  
من بعثنا أين يكون نقول لما كان غرضهم من قولهم من بعثنا حصول العلم بأنه بعث او تنبيه  
حصول الجواب بقوله هذا بعث وعد الرحمن به ليس تنبيههم كما أن الخائف اذا قل لغيره ماذا  
تقول أيقظني فلان فله أن يقول لا تخف ويسكت لعله ان غرضه ازالة الرعب عنه وبه  
يحصل الجواب \* ثم قال تعالى (ان كانت الاصححة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون)  
أي ما كانت الفخمة الاصححة واحدة يدل على النفخة قوله تعالى ونفخ في الصور ويحتمل ان  
يقال ان كانت الواقعة وقرئت الصيحة مرفوعة على ان كان هي التامة بمعنى ما وقعت  
الاصححة وقال الزمخشري لو كان كذلك لكان الاحسن ان يقال ان كان لان المعنى حينئذ  
ما وقع شيء الاصححة لكن التأنيث جائز احواله على الظاهر ويمكن ان يقول الذي قرأ بالرفع  
ان قوله اذا وقعت الواقعة تأنيث تهويل ومبالغة يدل عليه قوله ليس لوقعتها كاذبة فأنها  
للمبالغة فكذلك هنا قال ان كانت الاصححة مؤنة تأنيث تهويل ولهذا جاءت اسماء  
يوم الحشر كلها مؤنة كالقيامة والقارعة والحاقة والطامة والصاخة الى غيرها  
والزمخشري يقول كاذبة بمعنى ليس لوقعتها نفس كاذبة وتأنيث اسماء الحشر لكون الحشر  
مسمى بالقيامة وقوله محضرون دل على ان كونهم ينسلون اجباري لا اختياري \* ثم بين  
ما يكون في ذلك اليوم بقوله تعالى (قال يوم لاتظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم  
تعملون) فقولاه لاتظلم نفس ليأمن المؤمن ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ليأمن المجرم  
الكافر وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما الفائدة في الخطاب عند الاشارة الى يأمن المجرم  
بقوله ولا تجزون وترت الخطاب في الاشارة الى أمان المؤمن من العذاب بقوله لاتظلم ولم يقل  
ولا تظلمون أنها المؤمنون نقول لان قوله لاتظلم نفس شيئا يفيد العموم وهو كذلك فأنها  
لا تظلم أبدا ولا تجزون مخصص بالكافر فان الله يحجز المؤمن وان لم يفعل فان الله فضلا  
مخصص بالمؤمن وعدلا عاما وفيه بشارة (المسئلة الثانية) ما المقتضى لذكر قاء التعقيب نقول  
لما قال محضرون مجوعون والجمع للفصل والحساب فكأنه تعالى قال اذا جمعوا لم يجمعوا  
اذا لفصل بالعدل فلا ظلم عند الجمع للعدل فصاعدا عدم الظلم مترتبا على الاحضار للعدل ولهذا  
يقول التائي لوالى او للقاضى جلست للعدل فلا ظلم اي ذلك يقتضى هذا ويستعقبه  
(المسئلة الثالثة) لا يجزون عين ما كانوا يعملون بل يجزون بما كانوا او على ما كانوا وقوله  
ولا تجزون الا ما كنتم تعملون يدل على ان الاجزاء بعين العمل لا يقال جزى يتعدى بنفسه  
وبالباء يقال جزيته خيرا وجزيته بخيرا لان ذلك ليس من هذا لانك اذا قلت جزيته بخير  
لا يكون الخير ففعولك بل تكون الباء للمقابلة والسببية كأنك تقول جزيته جزاء بسبب

او ضيافه الله تعالى او شغلهم عما  
فيه اهل النار على الاطلاق  
او شغلهم عن اهلهم في النار  
لا يجمعهم امرهم ولا يبالون بهم  
كيلا يدخل عليهم تنقيص في  
نعمهم كما روى كل واحد منها عن  
واحد من اكار لسلف فليس  
مرادهم بذلك حشر شغلهم فيما  
ذكروهم فقط بل بيان انهم جنة  
اشغالهم وتخصيص كل منهم كذا  
من تلك الامور بل ذكر محمول  
على اقتضاء مقام البيان اياه وهو  
مع جاره خبر لان وفا كهو خبر  
آخر لها اي انهم مستغفرون  
في سئل واي سئل في شغل عظيم  
السأل متجهون بنعيم مقيم فارزون  
بالباء كبر والتعبير عن حالهم هذه  
بالجملة الاسمية قبل تحقيقها بنزيل  
المترقب المتوقع منزله الواضع  
لذا اذ ان غاية سرعه تحقيقها  
ووقوعها وريدة مساة  
الحاصلين بدل وقرى في  
سئل لسكون العز وفي شغل  
فتحتين وبفتح وسكون ولكل  
نفس ودرى فكهو للناظر  
وفكهو بضم الك وهو لغة  
كفوس وفا كهن وفكهو على  
المان من المسكر في لظرف  
وهو له تعالى اعم وأردحهم في  
دلائل على الارث يتكرد  
استثنى مسون ليد كنية  
شعاعهم وتنكبههم وتكميلها عما  
يردهم بعبه وسرورامن سرکه

ما فعل فنقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) ان يكون ذلك اشارة على وجه المبالغة الى عدم الزيادة وذلك لان الشيء لا يزيد على عينه فنقول قوله تعالى يجوزون بما كانوا يعملون في المساواة كأنه عين ما عملوا يقال فلان يجاوزني حرفا بحرف اي لا يترك شيئا وهذا يوجب اليأس العظيم (الثاني) هو ان ما غير راجع الى الخصوص وانما هي للجنس تقديره ولا تجزؤون الاجنس العمل اي ان كان حسنة فحسنة وان كان سيئة فسيئة فتجزؤون ما تعملون من السيئة والحسنة وهذا كقوله تعالى وجزا سيئة سيئة منها \* ثم بين حال المحسن وقال (ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون) وقوله في شغل يحتمل وجوها (أحدها) في شغل عن هول اليوم بأخذ ما آتاهم الله من الثواب فاعندهم خبر من عذاب ولا حساب وقوله فاكهون يكون متمم البيان سلامتهم فآله لوقال في شغل جاز ان يقال هم في شغل اعظم من التفكير في اليوم واهواله فان من يصيبه فتنة عظيمة ثم يعرض عليه امر من اموره ويخبر بخسران وقع في ماله يقول أنا مشغول عن هذا بأهم منه فقال فاكهون اي شغلوا عنه بالذمة والسرور لا بالويل والثبور (وثانيها) ان يكون ذلك بيانا لحالهم ولا يريد انهم شغلوا عن شيء بل يكون معناه هم في عمل ثم بين عملهم بأنه ليس بشاق بل هو ملذ محبوب (وثالثها) في شغل عما توقعوه فانهم تصوروا في الدنيا امورا وقالوا نحن اذا دخلنا الجنة لانطلب الا كذا وكذا فرأوا ما لم يخطر ببالهم فاشتغلوا به وفيه وجوه غير هذه ضعيفة (أحدها) قيل افتضاض الابكار وهذا ما ذكرناه في الوجه الثالث ان الانسان قد يترجم في نظره الآن مداعبة الكواعب فيقول في الجنة التذبه بما ان الله ربما يؤتيه ما يشغله عنها (وثانيها) قيل في ضرب الاوتار وهو من قبل ما ذكرناه توهم (وثالثها) في التزاور (ورابعها) في ضيافة الله وهو قريب مما قلنا لان ضيافة الله تكون بالذم ما يمكن وحينئذ تشغله تلك عما توهمه في دنياه وقوله فاكهون خبر ان وفي شغل بيان ما فكاهتهم فيه يقال زيد على عمله مقبل وفي بيته جالس فلا يكون الجارو المجرور خبرا ولو نصبت جالسا لكان الجارو والمجرور خبرا وكذلك لو قال في شغل فاكهين لكان معناه اصحاب الجنة مشغولون فاكهين على الحال وقرئ بالنصب والفاكهة الملتذ التمتع به ومنه الفاكهة لانها لا تكون في السعة الا للذة فلا تؤكل لدفع الم الجوع وفيه معنى لطيف وهو انه اشار بقوله في شغل عن عدمهم الا لم فلا لم عندهم ثم بين بقوله فاكهون عن وجد انهم اللذة وعادم الالم قد لا يكون واجدا للذة فين انهم على أتم حال ثم بين الكمال بقوله هم وازواجهم وذلك لان من يكون في لذة قد تنقص عليه بسبب تفكره في حال من يهيم امره فقال هم وازواجهم ايضا فلا يبقى لهم تعلق قلب واما من في البار من اغار بهم واخوانهم فيكونون هم عنهم في شغل ولا يكون منهم عندهم الم ولا يشتهون حضورهم والازواج يحتمل وجهين (أحدهما) اشكالهم في الاحسان وامثالهم في الايمان كما قال تعالى من شكله ازواج (وثانيها)

ارواجهم لهم فيهم فيه من النسل والفاكهة على انهم مبتدأ وازواجهم عطف عليه ومنكئون خبر والجاران صلتان له فدمتا عليه لمراعاة المواصل او هو والجار ان بما تعلق به من الاستقرار اخبار مترتبة وفيل الخبر هو الظرف الاول والثاني مستأنس على انه متعلق بمنكئون وهو خبر لمبتدأ محذوف وقيل على انه خبر مقدم ومنكئون مبتدأ مؤخر وقرئ متكئين بلا همز نصبا على الحال من المستكن في الظرفين او احد هما وقيل هم تأكيد للمستكن في خبر ان ومنكئون خبر آخر لها وعلى الارائك متعلق به وكذا في ظلال او هذا بمضمرة وهو حال من المعطوفين والظلال جمع ظل كضباب جمع شعب او جمع طلع كضباب جمع فيه ويؤيده قراءة في خلل والارائك جمع اربكة وهي المرمر المزين بالنياب والستور قال ثعلب لا يكون اريكه حتى تكون عليها ححلة وقوله تعالى (لهم فيها فاكهة) الخ بيان لما يتمتعون به في الجنة من المآكل والمسارب ويشذ ذون ه من المآلذ الحسانية والروحانية بمديان ما لهم فيها من محاسن الانس ومحافل القدس كمكبل لبيان كفية ما هم فيه من الشغل والبهجة اي لهم فيها فاكهة

كثيرة من كل نوع من انواع  
الصوكة وما في قوله تعالى  
(ولهم ما يدعون) موصولة  
او موصوفة عبرها عن مدعو  
عظيم الشأن معين او مبهم ايذانا  
بأنه الحقيقي بالدعاء دون  
ماعداه ثم صرح بدروما لزيادة  
التقرير بالتحقيق بعد التسويق  
كما ستعرفه وهي باقية على عمومها  
ومصدورها التعميم بعد تخصيص  
بعض المواد المتبادلة بالذكر  
وايما كان فهو مبتدأ ولهم خبره  
والجملته معطوفة على الجملة  
السابقة وعدم الاكتفاء بلفظ  
ما يدعون على كفة ثلاثيهم  
كول ما عماره عن توابع الفاكه  
وتحاتها والمعنى ولهم ما يدعون  
به لا نفسهم من مدعو عظيم  
السأل او كل ما يدعون به كائن  
ما كان من اسباب البهجة  
وموجبات السرور وايما كان  
ففيه دلالة على انهم في اوصي  
عابه البهجة والعطة ويدعون  
يفتخرون من السعاه كما سير اليه  
مثل استوى واحتمل اداسوى  
وحل لنفسه ومن معنى يدعون  
كالارتقاء بمعنى التراب والذل  
معنى يتربون من ولهم دعوى  
دعاستى بمعنى ١٤ على وان  
الرجح هو من ادماى دعوا  
به اهل احد يايعهم فكر  
الافتعال بمعنى لعل كالا حمال  
بمعنى الحمل والارتحال بمعنى  
الرحالة ولعنشد القراة  
دعنت كما ذكره الكوا

الازواج هم المفهومون من زوج المرأة وزوجة الرجل كما في قوله تعالى الاعلى ازواجهم  
او ما ملكت ايمانهم وقوله تعالى ويندرون ازواجا فان المراد ليس هو الاشكال قوله في  
ظلال جمع ظل وظلل جمع ظلة والمراد به الوقاية عن مكان الالم فان الجالس تحت كن  
لا يخشى المطر ولا حر الشمس فيكون به مستعدا لدفع الالم فكذلك لهم من ظل الله ما يقيمهم  
الاسواء كما قال تعالى لا يمسننا فيها نصب ولا يمسننا فيها لغوب وقال لا يرون فيها شمسا ولا  
زمهيرا اشارة الى عدم الآلام (وفيه لطيفة) ايضا وهي ان حال المكلف اما ان يكون  
اختلالها بسبب ما فيه من الشغل وان كان في مكان مال كالقاعد في حرا الشمس في البستان  
المتزه او يكون بسبب المكان وان كان الشغل مطلوبا كملاعبة الكواعب في المكان  
المكشوف واما ان يكون بسبب الأكل كالتفرج في البستان اذا اعوزه الطعام واما  
بسبب فقد الحبيب والى هذا يشير اهل القلب في شرائط السماع بقولهم الزمان والمكان  
والاخوان فقال تعالى في شغل فاكهون اشارة الى أنهم ليسوا في تعب وقال هم  
وازواجهم اشارة الى عدم الوحدة الموحشة وقال في ظلال على الارائك متكون اشارة  
الى المكان وقال لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون اشارة الى دفع جميع حوائجهم وقوله  
متكون اشارة الى ادل وضع على القوة والفراغة فان القائم قديقوم لشغل والقاعد قد  
يقعد لهم واما المتكى فلا يتكى الا عند الفراغ والقدرة لان المريض لا يقدر على  
الانكاه وانما يكون مضطجعا او مستلقيا والارائك جمع اريكة وهي السرير الذي عليه  
الفرش وهو تحت الحلات فيكون مربيا هو وما فوقه وقوله لهم فيها فاكهة اشارة الى ان  
لا جوع هناك وليس الاكل لدفع الم الجوع وانما مأكولهم فاكهة ولو كان لحما طريا  
لا يقال قوله تعالى ولحم طير مما يشتهون يدل على التغير وصدق الشهوة وهو الجوع لانا  
نقول قوله مما يشتهون يؤكد معنى عدم الالم لان أكل الشيء قديكون للتداوى من غير  
شهوة فقال مما يشتهون لان لحم الطير في الدنيا يؤكل في حالتين (احدهما) حالة التعم  
(والثانية) حالة ضروف المعدة وحينئذ لا يأكل لحم طير يشتهيه وانما يأكل ما يوافقه  
ويأمر به الطبيب واما انه يدل على التغير فنقول مسلم ذلك لان الخاص يخالف العام على  
ان ذلك لا يقدح في غرضنا لانا نقول انما اختار من انواع المأكول الفاكهة في هذا  
الموضع لانها أدل على التمتع والتلذذ وعدم الجوع والتشكير لبيان الكمالات وقد ذكرناه  
مرارا وقوله لهم فيها فاكهة ولم يقل يأكلون اشارة الى كون زمام الاختيار بيدهم  
وكونهم مالكيين وقادرين وقوله ولهم ما يدعون فيه وجوه (احدها) لهم فيها ما يدعون  
لانفسهم اى دعاؤهم مستجاب وحينئذ يكون هذا افتعالا بمعنى الفعل كالا حمال بمعنى  
الحمل والارتحال بمعنى الرحيل وعلى هذا فليس معناه انهم يدعون لانفسهم دعاء فيستجاب  
دعاؤهم بعد الطلب بل معناه ولهم ما يدعون لانفسهم اى ذلك لهم فلا حاجة لهم الى الدعاء  
والطلب كما ان الملك اذا طلب منه مملوكه شيئا يقول لك ذلك فيفهم منه تارة ان طلبك مجاب

وان هذا أمرهين بان تعطى ما طلبت ويفهم تارة منه الرد وبيان ان ذلك لك حاصل فمطلبه  
فقال تعالى ولهم ما يدعون ويطلبون فلا طلب لهم وتقديره هو ان يكون ما يدعون بمعنى  
ما يصح ان يطلب ويدعى بمعنى كل ما يصح ان يطلب فهو حاصل لهم قبل الطلب أو نقول  
المراد الطلب والاجابة وذلك لان الطلب من الله ايضا فيه لذة فلو قطع الله الاسباب بينهم  
وبينه لما كان يطيب لهم فابق اشياء يعطيهم اياها عند الطلب ليكون لهم عند الطلب لذة  
وعند العطاء فان كون المملوك بحيث يتمكن من ان يخاطب الملك في حوائجه منصب عظيم  
والملك الجبار قديف حوائج الممالك بأسرها قصد منه لئلا يخاطب (الثاني) ما يدعون  
ما يتدعون وحينئذ يكون افتعالا بمعنى التفاعل كالاتفال بمعنى القتال ومعناه  
ما ذكرناه ان كل ما يصح ان يدعو احد صاحبه اليه أو يطلبه احد من صاحبه فهو حاصل  
لهم (الثالث) ما يتنونه (الرابع) بمعنى الدعوى ومعناه حينئذ انهم كانوا يدعون في الدنيا  
ان لهم الله وهو مولاهم وان الكافرين لا مولى لهم فقال لهم في الجنة ما يدعون به في الدنيا  
فتكون الحكاية محكية في الدنيا كأنه يقول في يومنا هذا لكم ايها المؤمنون غدا ما تدعون  
اليوم لا يقال بان قوله ان أصحاب الجنة اليوم في سفل فاكهون هم وازواجهم في ظلال  
يدل على ان القول يوم القيامة لا نقول الجواب عنه من وجهين (احدهما) ان قوله هم  
مبتدأ وازواجهم عطف عليهم فيحتمل ان يكون هذا الكلام في يومنا هذا يخبرنا ان المؤمن  
وازواجه في ظلال غدا وله ما يدعيه (والجواب الثاني) وهو اولى هو ان نقول معناه لهم  
ما يدعون اي ما كانوا يدعون لا يقال بأنه اضممار حيث لا ضرورة وانه غير جائز لا نقول  
على ما ذكرنا يبقى الادعاء مستعملا في معناه المشهور لان الدعاء هو الايتان بالدعوى وانما  
قلنا ان هذا اولى لان قوله سلام قولاً من رب رحيم هو في دار الآخرة وهو كالتفسير لقوله  
ما يدعون ولان قوله ما يدعون مذكورين جل كلاهما في الآخرة فما يدعون ايضا ينبغي ان  
يكون في الآخرة وفي الآخرة لا يبقى دعوى وبينه لظهور الامور والفصل بين اهل الثبور  
والجور \* وقوله تعالى (سلام قولاً من رب رحيم) وهو اكل الاسماء وهو آخرها الذي  
لا شيء فوقه ولبينه في مسائل (المسئلة الاولى) ما الرفع لقوله سلام نقول فيحتمل ذلك  
وجوها (احدها) هو بدل مما يدعون كأنه تعالى لما قال لهم ما يدعون بينه بدله فقال  
لهم سلام فيكون في المعنى كالبتدأ الذي خبره جار ومجرور كما يقال في الدار رجل  
وزيد مال وان كان في النحو ليس كذلك بل هو بدل وبدل المكرة من المعرفة جائز  
فتكون ما بمعنى الذي معرفة وسلام نكرة ويحتمل على هذا ان يقال ما في قوله تعالى  
ما يدعون لا موصوفة ولا موصولة بل هي نكرة تقديره لهم شيء يدعون به يبين بذكر البدل  
فقال سلام والاول هو الصحيح (وثانيهما) سلام خبر ما ولهم لبيان الجهة تقديره ما يدعون  
سلام لهم اي خالص والسلام بمعنى السالم الخالص او السليم يقال عبد سلام اي سليم من  
العيوب كما يقال زيد السرف متوفر والجار والمجرور يكون لبيان من له ذلك والسرف

وقوله تعالى (سلام) على التقدير  
الاول بدل من ما يدعون او خبر  
لمبتدأ محذوف وقوله تعالى  
(قولا) مصدر مؤكد لفعل هو  
صفة لسلام وما بعده من الجار  
متعلق بصبر هو صفة له كأنه  
قبل ولهم سلام او ما يدعون  
سلام يقال لهم قولا كأنما (من)  
جهة (رب رحيم) اي يسلم عليهم  
من جهته تعالى بواسطة الملك  
او بدونها مبالغة في تعظيمهم قال  
ابن عباس رضي الله عنهما  
واللائكة يدخلون عليهم بالتحية  
من رب العالمين واما على التقدير  
الثاني فقد قيل انه خبر لما يدعون  
ولهم لبيان الجهة كما يقال لزيد  
السرف متوفر على ان السرف  
مبتدأ ومتوفر خبره والجار  
والمحذوف لبيان من له ذلك اي  
ما يدعون سالم لهم خالص لاشوب  
فيه وقولا حينئذ مصدر مؤكد  
لصنوع الجملة اي عدة من رب  
رحيم والاوجه ان يتصعب على  
الاختصاص وقيل هو مبتدأ  
محذوف الخبر اي لهم سلام اي  
تسليم قولاً من رب رحيم واسلامه  
من الآفات

عبدت الشيطان وان دعتك نفسك الى فعل فانظر اهو مأذون فيه من جهة الشرع  
اوليس كذلك فان لم يكن مأذونا فيه فنفسك هي الشيطان او معها الشيطان يدعوك فان  
اتبعته فقد عبدته نعم ان الشيطان يأمر او لا بمخالفة الله ظاهرا فمن اطاعه فقد عبده ومن  
لم يطعه فلا يرجع عنه بل يقول له اعبدا الله كي لا تهان وليرتفع عند الناس شأنك وينتفع  
بك اخوانك واعوانك فان اجاب اليه فقد عبده لكن عبادة الشيطان على تفاوت وذلك  
لان الاعمال منها ما يقع والعامل موافق فيه جناته ولسانه واركانه ومنها ما يقع والجنان  
واللسان مخالف للجوارح اولل اركان فمن الناس من يرتكب جريمة كارها بقلبه  
لمسايقترف من ذنبه مستغفرا لربه يعترف بسوء ما يقترف فهو عبادة الشيطان بالاعضاء  
الظاهرة ومنهم من يرتكبها وقلبه طيب ولسانه رطب كإفك تجد كثيرا من الناس يفرح  
بكونه مترددا الى ابواب الظلمة للسعاية وبعد من المحاسن كونه ساريا مع الملوك ويفتخر  
به بلسانه وتجدهم يفرحون بكونهم آمريين الملك بالظلم والملك يتقادلهم او يفرحون  
بكونه يأمرهم بالظلم فيظلمون فرحين بما ورد عليهم من الامر اذا عرفت هذا فالطاعة  
التي بالاعضاء الظاهرة والواطن طاهرة مكفرة بالاسقام والالام كما ورد في الاخبار  
ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الحمى من فجع جهنم وقوله صلى الله عليه وسلم السيف محاء  
للاذنوب اى لسل هذه الذنوب ويدل عليه ما قال صلى الله عليه وسلم في الحدود انها كفارات  
وما يكون بالقلوب فلا خلاص عنه الا بالتوبة والدم واقبال القلب على الرب وما يكون  
باللسان فهو من قبل ما يكون بالقلب في الظاهر والمثال يوضح الحال فقول اذا كان  
عند السلطان امير وله غلمان هم من خواص الامير واتباع بعدهم من عوام الناس  
فاذا صدر من الامير مخالفة ومسارة مع عدو السلطان ومصادمة بينهما لا يعفو الملك عن  
ذلك الا اذا كان في غاية الصفح او يكون للامير عنده يد سابقة او توبة لاحقة فان صدر  
من خواص الامير مخالفة وهوبه عالم ولم يزرجه عدت المخالفة موجودة منه وان كان  
كارها واظهر الانكار حسنت معاقبته دون معاقبته لان اقدام خواصه على المخالفة  
دليل على سوء التربية فان كان الصادر من الخواشي الابعاد وبلغ الامير ولم يزرجه عوتب  
الامير وان زجرهم استحق الامير بذلك الزجر الاكرام وحسن من الملك ان يسدى الى  
الزجور الاحسان والانعام ان علم حصول اتزجاره اذا علمت هذا فالقلب امير واللسان  
خاصته والاعضاء خدمه فما يصدر من القلب فهو العظيم من الذنب فان اقبل على محبة  
غير الله فهو الويل العظيم والضلال المبين المستعقب للعقاب الاثيم والعذاب المهيمن  
وما يصدر من اللسان فهو محسوب على القلب ولا يقبل قوله ان لم ينكر فعله وما يصدر من  
الاعضاء والقلب قد اظهر عليه الانكار وحصل له الاتزجار فهو الذنب الذي حكى النبي  
صلى الله عليه وسلم عن ربه انه قال لولم تذنبوا لخلقت اقواما يذنبون ويستغفرون فأعفر  
لهم (وهنا لطيفة) وهى ان الشيطان قد يرجع عن عبد من عباد الله فرحانا فيظن انه قد

جهنم بقوله تعالى اصلوها اليوم  
الح والعهد الوصية والتقدم بأمر  
فيه خير ومنفعة والمراد ههنا  
ما كفهم الله تعالى على السنة  
الرسل عليهم الصلاة والسلام من  
الاوامر والنواهي التي من جلبها  
قوله تعالى يا بني آدم لا يفتنكم  
الشيطان كما اخرج ابويكم من  
الجنة الآية وقوله تعالى  
ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه  
لكم عدو مبين وغيرهما من  
الايات الكريمة الواردة في هذا  
المعى وقيل هو الميثاق المأخوذ  
عليهم حين اخرجوا من ظهور  
بني آدم واشهدوا على انفسهم  
وقيل هو ما نصب لهم من الحجب  
العقلية والسعيبة الائمة  
بعادته تعالى الزاجرة عن عبادة  
غيره والمراد لعبادة الشيطان  
طاعته فيما يوسوس به اليهم  
بزيته لهم عبر عنها بالعمادة لزيادة  
التحذير والتنبيه عنها ولو فوهها  
في مقبله عبادته عروج وقرئ  
اعهد تكسر الهمزة واعهد تكسر  
الهاء واحمد بالحاء مكان العين  
واحد بالادغام وهى لغة بني تميم

حصل مقصوده من الاغواء حيث يرى ذلك العبد ارتكب الذنب ظاهرا ويكون ذلك رافعا لدرجة العبدان بالذنب ينكسر قلب العبد فيتخلص من الاحجاب بنفسه وعبادته ويصير اقرب من المقرين لان من لم يذنب مقرب عند الله كما قال تعالى لهم درجات عند ربهم والذنب الثابت النادم منكسر القلب والله عنده كما قال صلى الله عليه وسلم حاكبا عن ربه أنا عند المنكسرة قلوبهم و فرق بين من يكون عند الله وبين من يكون عنده الله ولعل ما يحكى من الذنوب الصادرة عن الانبياء من هذا القبيل لتحصل لهم الفضيلة على الملائكة حيث تبجحوا بأنفسهم بقولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقد يرجع الشيطان عن آخر يكون قدامه بشئ فلم يفعله والشخص يظن انه غلب الشيطان ورده خائبا فينتجح في نفسه وهو لا يعلم ان الشيطان رجع عنه محصل المقصود مقبولا غير مردود ومن هذا يتبين امر اصولى وهوان الناس اختلفوا في ان المذنب هل يخرج من الايمان أم لا وسبب النزاع وقوع نظر الحصين على امرين متباينين فالذنب الذى بالجسد لا بالقلب لا يخرج بل قد يزيد في الايمان والذى بالقلب يخاف منه الخروج عن ربة الايمان ولذلك اختلفوا في عصمة الانبياء من الذنوب والاشبه ان الجسدى جائز عليهم والقرآن دليل عليه والقلبي لا يجوز عليهم ثم انه تعالى لمنهى عباده عن عبادة الشيطان ذكر ما يحملهم على قبول ما أمروا به والانهاء عما نهوا عنه بقوله انه لكم عدو مبين وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) من اين حصلت العداوة بين الشيطان والانسان فتقول ابتداءها من الشيطان وسببه تكريم الله بنى آدم لما رأى ابليس ربه كرم آدم وبنيه عاداهم فعاداه الله تعالى والاول منه لؤم والثانى من الله كرم اما الاول فلان الملائكة اذا كرم شخصا ولم ينقص من الآخر شيئا اذ لاضيق في الخزانة فعداوة من يعادى ذلك المكرم لا تكون الا لؤما واما الثانى فلان الملائكة اذا علم ان اكرامه ليس الامنة وذلك الضعيف ما كان يقدر ان يصل الى بعض تلك المنزلة لولا اكرام الملك يعلم ان من بغضه ينكر فعل الملك او ينسب الى خزانته ضيقا وكلاهما يحسن التعذيب عليه فيعاديها تمامالا اكرام واكمالا لالافضال ثم ان كثيرا من الناس على مذهب ابليس اذا رأوا واحدا عند ملك محترما بغضوه وسعوا فيه اقامة لسنة ابليس فالملك ان لم يكن متحلقا باخلاق الله لا بعد الساعى ويسمع كلامه ويترك اكرام ذلك الشخص واحترامه ( المسئلة الثانية ) من اين ابانة عداوة ابليس نقول لما اكرم الله آدم عاداه ابليس وظن انه بقى في منزلته وآدم في منزلته مل متباغضين عند الملائكة والله كان عالما بالضماثر فأبعده واطهر امره فأظهره من نفسه ما كان يخفيه لزوال ما كان يحمله على الاخفاء فقال لا تعدن لهم صراطك المستقيم وقال لا تخشكن ذريته ( المسئلة الثالثة ) اذا كان الشيطان للانسان عدوا مينا لما بال الانسان يميل الى مرضيه من الشرب والزنا ويكره مساخطه من المجاهدة والعبادة فنقول سبب ذلك استعانة الشيطان باعوان من عدلانسان وترك استعانة

( انه لكم عدو مبين ) اى ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب الانتهاء عن المتبى عنه وقيل تعليل للنهى ( وأل اعبدوني ) عطف على ان لاتعبدوا على ان ان فيهما مفسدة للعهد الذى فيه معنى القول بالنهى والامر او مصدرة حذف عنها الجار اى الم أعهد اليكم في ترك عبادة الشيطان وفي عبادتى وتعميم الهى على الامر لما ان حق التغلب التقدم على التحلية كما في كلمة التوحيد ولتصل به قوله تعالى ( هذا صراط مستقيم ) فانه اشارة الى عبادته تعالى التى هى عبارة عن التوحيد والاسلام وهو المشار اليه بقوله تعالى هذا صراط على مستقيم والمقصود بقوله تعالى لا تعدن لهم صراطك المستقيم والتكثير للتفخيم واللام فى قوله تعالى ( ولقد اضل منكم جبلا كثيرا ) جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتأکید التفرج ببيان ان حمايتهم ليست تنقض العهد فقط بل به وعدم الاتعاظ بما



الانسان بالله فيستعين بشهوته التي خلقها الله تعالى فيه لمصالح بقاءه وبقاء نوعه ويجعلها سببا لفساد حاله ويدعوه بها الى مساكن المهلكات وكذلك يستعين بغضبه الذي خلقه الله فيه لدفع المفاسد عنه ويجعله سببا لوباله وفساد احواله وميل الانسان الى المعاصي كميل المريض الى المضار وذلك حيث ينحرف المزاج عن الاعتدال فيزى المحسوم يريد الماء البارد وهو يزيد في مرضه \* ومن به فساد المعدة فلا يهضم القليل من الغذاء يميل الى الاكل الكثير ولا يشبع بشئ وهو يزيد في معدته فسادا وصحج المزاج لا يشتهي الا ما ينفعه فالدنيا كالهواء الوبيء لا يستغنى الانسان فيه عن استنشاق الهواء وهو الفسد لمزاجه ولا طريق له غير اصلاح الهواء بالارواح الطيبة والاشياء الزكية والرش باخل والماورد من جملة المصلحات فكذلك الانسان في الدنيا لا يستغنى عن امورها وهي المعينات للشيطان وطريقه ترك الهوى وتقليل التأويل وتحريف الهوى بالذكر الطيب والزهدي فاذا صح مزاج عقله لا يميل الى الحق ولا يبق عليه في التكليف كلفة ويحصل له مع الامور الالهية الفة وهناك يعترف الشيطان بانه ليس له عليه سلطان \* ثم قال تعالى (وان اعبدونى هذا صراط مستقيم) لما منع من عبادة الشيطان جل على عبادة الرحمن والشارع طيب الارواح كان الطيب طيب الاشباح وكان الطيب يقول للمريض لا تفعل كذا ولا تأكل من ذا وهي الحبة التي هي رأس الدواء لئلا يزيد مرضه ثم يقول له تناول الدواء الفلاني تقوية لقوته المقاومة للمرض كذلك الشارع منع من الفساد وهو اتباع الشيطان وحل على المصلح وهو عبادة الرحمن وفيه مسائل (المسئلة الاولى) عند المع من عبادة الشيطان قال انه لكم عدومين لان العداوة ابلغ الموانع من الاتباع وعند الامر بعبادة الرحمن لم يقل انه لكم حبيب لان المحبة لا توجب متابعة المحبوب بل ربما يورث ذلك الاتكال على المحبة فيقول انه يحبني فلا حاجة الى تحمل المشقة في تحصيل مرضيه بل ذكر ما هو ابلغ الاشياء في الحمل على العبادة وذلك كونه طريقا مستقيما وذلك لان الانسان في دار الدنيا في منزل قفر مخوف وهو متوجه الى دار اقامة فيها اخوانه والنازل في بادية خالية يخاف على روحه وماله ولا يكون عنده شئ احب من طريق قريب آمن فلما قال الله تعالى هذا صراط مستقيم كان ذلك سببا حاثا على السلوك وفي ضمن قوله تعالى هذا صراط اشارة الى ان الانسان مجتاز لانه لو كان في دار اقامة فقوله هذا صراط مستقيم لا يكون له معنى لان المقيم يقول وماذا افعل بالطريق وانا من المقيمين (المسئلة الثانية) ماذا يدل على كونه طريقا مستقيما نقول الانسان مسافر اما مسافة راجع الى وطنه واما مسافة تاجر له متاع يتجر فيه وعلى الوجهين فالله هو المقصد واما الوطن فلانه لا يوطن الا في مأمن ولا امن الا بمالك لا يزول ملكه لان عند زوال ملك الملوك لا يبقى الا من والراحة والله سبحانه هو الذي ملكه دائم وكل ماعده فهو فان واما التجارة فلان التاجر لا يقصد الا الى موضع يسمع او يعلم ان

شاهدوا من العقوبات السايلة على الامم الحالية بسبب طاعتهم للشيطان والخطايا التي اخرجهم الذين من جلتهم كفار مكة خصوصا بزيادة التوبيخ والتفريع لتضاعف جنائياتهم والجليل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الحلق وقرئ بضمتين وتشديد بضمين وتخفيف وبضمة وسكون وبكسرين وتخفيف وبكسرة وسكون والكل لغات وقرئ جلا جمع جبلة كقطر وخلق في جمع فطرة وخلقته وقرئ جيلا ليا وهو الصنف من الناس اى وبالله لقد اضل منكم خلقا كثيرا او صنف كثيرا عن ذلك الصراط المستقيم الذي امرتكم بالشبات عليه فاصابهم لاحل ذلك ما اصابهم من العقوبات الهائلة التي ملأه الاثاق اخبارها وبقى مدى الدهر آثارها والما في قوله تعالى (اقل تكونوا تعقلون) للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى اكنتم تشهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون بها اضلالهم او فلم تكونوا تعقلون شئنا صلاحنا

لتأخذه هناك رواجاً والله تعالى يقول ان العمل الصالح عنده مثاب عليه مقابل باضعاف  
ما يستحق والله هو المقصد وعبادته توجه اليه ولا شك ان القاصد لجهة اذا توجه اليها  
يكون على الطريق المستقيم ( المسئلة الثالثة ) العبادات تنبي عن معنى التذلل فلما قال  
لا تعبدوا الشيطان لزم ان يتكبر الانسان على ماسوى الله ولما قال وان اعبدوني ينبغي  
ان لا يتكبر على الله لكن التكبر على ماسوى الله ليس معناه انه يرى نفسه خيراً من غيره  
فان نفسه من جملة ماسوى الله فينبغي ان لا يلتفت اليها ولو كانت متجملعة بعبادة الله  
بل معنى التكبر على ماسوى الله ان لا يقاد لشيء الا باذن الله وفي هذا التكبر غاية التواضع  
فانه حينئذ لا يقاد الى نفسه وحظ نفسه في التفوق على غيره فلا يتفوق فيحصل التواضع  
التام ولا يقاد لامر الملوك اذا خالفوا امر الله فيحصل التكبر التام فيرى نفسه بهذا  
التكبر دون الفقير وفوق الامير \* ثم ان الله تعالى ذكر ما ينبيه لعداوة الشيطان بقوله تعالى  
( ولقد اضل منكم جبلاً كثيراً افلم تكونوا تعقلون ) وفي الآية مسائل ( المسئلة الاولى )  
في الجبل ست لغات كسر الجيم والباء مع تشديد اللام وضمهما مع التشديد وكسرها مع  
التخفيف وضمهما معه وتسكين الباء وتخفيف اللام مع ضم الجيم ومع كسرها ( المسئلة  
الثانية ) في معنى الجبل الجيم والباء واللام لا تخلو عن معنى الاجتماع والجبل فيه اجتماع  
الاجسام الكبيرة وجبل الالين فيه اجتماع اجزاء الماء والتراب وشاة لجباء اذا كانت  
مجمعة الالين الكثير لا يقال البلجة نقض على ما ذكرتم فانها تنبى عن التفرق فان الابلح  
خلاف المقرون لانا نقول هي للاجتماع اما كن الخالية التي تسع المتكثرات فان البلجة  
والبلدة بمعنى والبلد سمي بلدا للاجتماع لا للتفرق فالجبل الجمع العظيم حتى قيل ان دون  
العشرة آلاف لا يكون جبلاً وان لم يكن صحيحاً ( المسئلة الثالثة ) كيف الاضلال نقول  
على وجهين أحدهما ان الاضلال تولية عن المقصد وصدعنه فالشيطان يأمر البعض  
بترك عبادته الله وبعبادة غيره فهو تولية فان لم يقدر بأمره بعبادة الله لامر غير الله من  
رياسة وجاه وغيرهما فهو صدوه يفضي الى التولية لان مقصوده لو حصل لترك الله واقبل  
على ذلك الغير فحصل التولية \* ثم بين ما ل اهل الضلال بقوله تعالى ( هذه جهنم التي  
كنتم توعدون ) وحال الضال كحال شخص خرج من وطنه مخافة عدوه فوقع في مشقة ولو أقام  
في وطنه لعل ذلك العدو كان لا يظفر به أو يرجه كذلك حال من لم يتحرك لطاعة  
ولا عصيان كالجنانين وحال من استعمل عقله فأخطأ الطريق فأن المجنون من اهل النجاة  
وان لم يكن من اهل الدرجات وقد قيل بأن البلاء ادنى الى الخلاص من فطانة بقاء  
وذلك ظاهر في المحسوس فان من لم يعرف الطريق اذا أقام بمكانه لا يبعد عن الطريق  
كثيراً ومن سار الى خلاف المسد يبعد عنه كثيراً \* ثم بين انهم واصلون اليها حاصلون فيها  
بقوله تعالى ( اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ) وفي هذا الكلام ما يوجب شدة ندامتهم  
وحسرتهم من ثلاثة أوجه ( أحدها ) قوله تعالى اصلوها فانه أمر تنكيل واهانة كقوله

ترددوا عما كنتم عليه كي لا يبعث  
بكم العقاب وقوله تعالى ( هذه  
جهنم التي كنتم توعدون ) استئناف  
يخاطبون به بعد تمام التوبيخ  
والقريع والالزام والتبكيك  
عند اشرافهم على شعير جهنم اى  
كنتم توعدونها على السنة الرسل  
عليهم الصلاة والسلام بمقابلة  
عبادة للشيطان مثل قوله تعالى  
لاما لن جهنم منك وعن تبعك  
منهم اجعين وقوله تعالى قال  
اذهب من تبعك منهم فان جهنم  
جراؤك جراء موفورا وقوله  
تعالى قال اخرج منها مذموماً  
مدحوراً المن تبعك منهم لاملائ  
جهنم منكم اجعين وعير ذلك مما  
لا يحصى وقوله تعالى ( اصلوها  
اليوم بما كنتم تكفرون ) امر  
تنكيل واهانة كقوله تعالى دق  
انك انت العريز الخ اى ادخلوها  
من فوق وقاسوا فتون عذابها  
اليوم تكفركم المسمى في الدنيا  
وقوله تعالى ( اليوم نحتم على  
افواههم ) اى ختما يمنعها عن  
الكلام الثقات الى العيبة للايدان  
بأن ذكر احوالهم القبيحة

دق أنك أنت العزيز الكريم (والثاني) قوله اليوم يعني العذاب حاضروا لذاتك قدمضت  
وياهما قد انقضت وبقى اليوم العذاب (الثالث) قوله تعالى بما كنتم تكفرون فان  
الكفر والكفران ينبي عن نعمة كانت يكفر بها وحياء الكفور من المنع من أشد الآلام  
ولهذا كثيرا ما يقول العبد المجرم افعلوا بي ما يأمر به السيد ولا تحضروني بين يديه  
والى هذا المعنى اشار القائل

أليس بكاف لذى نعمة \* حياء المسمى من المحسن

\* ثم قال تعالى ( اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا  
يكسبون ) في الترتيب وجوه ( الاول ) انهم حين يسمعون قوله تعالى بما كنتم تكفرون  
يريدون ينكرون كفرهم كما قال تعالى عنهم ما اشركنا وقالوا آتينا به فيختم الله على افواههم  
فلا يقدررون على الانكار وينطق الله غير لسانهم من الجوارح فيعترفون بذنوبهم  
( الثاني ) لما قال الله تعالى لهم الم اعهد اليكم لم يكن لهم جواب فسكتوا وخرسوا  
وتكلمت أعضاؤهم غير اللسان وفي الختم على الافواه وجوه ( اقواها ) ان الله تعالى  
يسكت السنتهم فلا ينطقون بها وينطق جوارحهم فتشهد عليهم وانه في قدرة الله يسير  
اما الاسكات فلا يخفاء فيه واما الانطاق فلان اللسان عضو متحرك بحركة مخصوصة  
فكما جاز تحركه بها جاز تحرك غيره بمثلها والله قادر على الممكنات والوجه الآخر انهم  
لا يتكلمون بشيء لانقطاع أعضائهم وانهاك استارهم فيقفون ناكسي الرأس وقوف  
القنوط اليأس لا يجد عنذرا فيعتذروا لاجال توبة فيستغفر وتكلم الايدي ظهور الامور  
بحيث لا يسع معه الانكار حتى تنطق به الايدي والابصار كما يقول القائل الحيطن تبكى  
على صاحب الدار اشارة الى ظهور الحزن والاول الصحيح وفيه لطائف لفظية ومعنوية  
( اما اللفظية فالاولى ) منها هي ان الله تعالى اسند فضل الختم الى نفسه وقال نختم واسند  
الكلام والشهادة الى الايدي والارجل لانه لو قال تعالى نختم على افواههم وتنطق  
ايديهم يكون فيه احتمال ان ذلك منهم كان جبرا وقهرا والاقرار بالاجبار غير مقبول  
فقال تعالى تكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم اى باختيارها بعد ما قدرها الله تعالى على  
الكلام ليكون ادل على صدور الذنب منهم ( الثانية ) منها هي ان الله تعالى قال تكلمنا  
ايديهم وتسند ارجلهم جعل الشهادة للارجل والكلام للايدي لان الافعال تسند الى  
الايدي قال تعالى وما علمناه ايديهم اى ما علموه وقال ولا تلقوا بأيديكم اى ولا تلقوا  
بأنفسكم فاذا الايدي كالعاملة والشاهد على العامل ينبغي ان يكون غيره فجعل الارجل  
والجلود من جلة الشهود لبعداضة الافعال اليها ( واما المعنوية فالاولى ) منها ان يوم  
القيامة من تقبل شهادته من المقرين والصادقين كلهم اعداء للمجرمين وشهادة العدو على  
العدو غير مقبولة وان كان من الشهود العدول وغير الصادقين من الكفار والفساق  
غيره وول الشهادة فجعل الله الشاهد عليهم منهم لا يقال الايدي والارجل ايضا صدرت

استدعى ان يعرض عنهم ويحكى  
احوالهم الفظيعة لغيرهم مع  
ما فيه من الالاء الى ان ذلك من  
مقتضيات الختم لان الخطاب للقبلى  
الجواب وقد انقطع بالكلية  
ومرئ نختم ( وتكلمنا ايديهم  
وتشهد ارجلهم بما كانوا  
يكسبون ) يروى انهم يمجحدون  
ويخاصمون فيشهد عليهم حيرانهم  
واهااليهم وعشاثرهم فيخلفون  
ما كانوا شركين فيختم الله على  
افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم  
وفي حديث يقول العبد يوم  
القيامة اى لا حيز على شهادته  
الامن يسي فيختم على فيه ويقال  
لاركانه انطق فتطلق بأعماله ثم  
يخلى بينه وبين الكلام فيقول  
بعدا لكن وصحفا فنحن كنت  
انا ضل وقيل تكليم الاركان  
وشهادتها دلالتها على افعالها  
وطهور آثار المعاصي عليها  
وقرى وتكلم ايديهم وقرى  
ولتكلمنا ايديهم وتشهد بلامكى  
ولصب على معنى ولدك نختم  
على قلوبهم رقرى ولتكلمنا  
ايديهم ولنسهم - بلام الامر  
دالمعوم

( ولونشاء لطمسنا على أعينهم ) الطمس تعقية شق العين حتى تعود مسوحة ومقوول المشيئة محذوف على القاعدة المستتره التي هي وقوعها شرطا وكون مفعولها مضيون الجزاء اى لو نشاء ( ١١٣ ) ان لطمس على أعينهم لفعلائه وايشار صيغة الاستقبال

وان كان المعنى على المضى لافادة ان عدم الطمس على أعينهم لاستمرار عدم المشيئة فان المضارع المعنى الواقع موقع الماضى ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفاءه بحسب المقام كما سرفى قوله تعالى ولو يجهل الله للناس الشر استجهلهم بالخير ( فاستبقوا الصراط ) اى فارادوا ان يستبقوا الى الطريق الذى اعتادوا سلوكه على ان انتصاه بترع الجار او هو بضمن الاستباق معنى الابتدار او بالطرفية ( فالى يصرون ) الطريق وجهة السلوك ( ولو نشاء لمسخناهم ) بتغير صورهم وابطال قواهم ( على مكائهم ) اى مكائهم الا ان المكائة اخص كالقائمة والمقام وقرئ على مكائهم اى لمسخناهم مسخا يمحدهم مكائهم لا يتقدرون ان يبرحوه باقبال ولا دبار ولا رجوع وذلك قوله تعالى ( ها استطاعوا مضيا ولا يرجعون ) اى ولا رجوعا فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة عن ابن عباس رضى الله عنهما قرودة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لا تعدناهم على أرحلمهم وازمنامهم وقرئ مضيا بكسر الميم وقمها وليس مساق الشرطيتين لمجرد بيان قدرته تعالى على ما ذكر من عقوبة الطمس والمسخ بل لبيان انهم مجاهم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاتصاف عما شغلوا من آثار دمار أمثالهم أحقاه بان يفعل بهم في الدنيا تلك العقوبة كما فعل بهم في الآخرة عقوبة الحتم وان المانع من ذلك ليس الاعداء تعلق المشيئة الالهية به كما نه

الذنوب منها فهي فسقة فينبغى أن لا تقبل شهادتها لانا نقول في رد شهادتها قبول شهادتها لانها ان كذبت في مثل ذلك اليوم فقد صدر الذنب منها في ذلك اليوم والمذنب في ذلك اليوم مع ظهور الامور لابد من ان يكون مذنبا في الدنيا وان صدقت في ذلك اليوم فقد صدر منها الذنب في الدنيا وهذا كمن قال لفاسيق ان كذبت في نهار هذا اليوم فعبدى حر فقال الفاسق كذبت في نهار هذا اليوم عتق العبد لانه ان صدق في قوله كذبت في نهار هذا اليوم فقد وجد الشرط ووجب الجزاء وان كذب في قوله كذبت فقد كذب في نهار ذلك اليوم فوجد الشرط ايضا بخلاف ما لو قال في اليوم الثانى كذبت في نهار اليوم الذى عقلت عتق عبدك على كذب فيه ( المسئلة الثانية ) الختم لازم الكفار في الدنيا على قلوبهم وفي الآخرة على افواههم ففي الوقت الذى كان الختم على قلوبهم كان قولهم بافواههم كما قال تعالى ذلك قولهم بافواههم فلما ختم على افواههم ايضا لم يكن قولهم باعصائهم لان الانسان لا يملك غير القلب واللسان والاعضاء فاذا لم يبق القلب والقم تعين الجوارح والاركان \* ثم قال تعالى ( ولونشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط ) فاني يصرون ولونشاء لمسخناهم على مكائهم فاستطاعوا مضيا ولا يرجعون ( قد ذكرنا مرارا ان الصراط المستقيم هو بين الجبر والقدر وهو الطريقة الوسطى والله تعالى في كل موضع ذكر ما يمسك به المجرة ذكر عقبيه ما يمسك به القدرية وبالعكس وههنا كذلك لما قال الله تعالى وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون وقال اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون وكان ذلك متمسك القدرية حيث أسند الله الكفر والكسب اليهم واحال الخير والشر عليهم ذكر عقبيه ما يدل على ان كفرهم وكسبهم بمشيئة الله وذلك لان الكفر يعنى البصيرة ويضعف القوة العقلية وعنى البصيرة بارادة الله ومشيئته اذا شاء اعنى البصائر كما انه لو شاء لطمس على أعينهم البصيرة وسلب القوة العقلية باختياره ومشيئته كما ان سلب القوة الجسمية بمشيئته حتى لو شاء لمسخ المكلف على مكائهم واقامه بحيث لا يتحرك يمنة ولا يسرة ولا يقدر على المضى والرجوع فاعماه البصائر عنده كما عماه الابصار وسلب القوة العقلية كسلب القوة الجسمية فقال ولو شاء لطمسنا على أعينهم اشارة الى انه شاء أو اراد اعماه بصائرهم فضلوا وانه لو شاء طمس أعينهم لما اهدوا الى طريقهم الظاهرة وشاء واختار سلب قوة عقولهم فزلوا وانه لو شاء سلب قوة اجسامهم ومسخهم لما قدروا على تقدم ولا تأخر وفي الآيتين ابحاث لفظية ( البحث الاول ) في قوله فاستبقوا الصراط قال الزخشرى فيه وجوه ( الاول ) انه يكون فيه حذف حرف الى واتصال الفعل من غير حرف واصله فاستبقوا الى الصراط ( الثانى ) ان يكون المراد من الاستباق الابتدار فاعمله اعمال الابتدار ( الثالث ) ان يجعل الصراط مستبقا لاستبقا اليه يقال استبقنا فسبقتم وحيثئذ يكون مبالغة في الاهتداء الى الطريق كما انه يقول الصراط الذى هو معهم ليسوا طالعين له قاصدين اياه واتماهم

قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ ( ١٥ ) ( را ) ( سا ) جريا على موجب جنائياتهم المستندية لها لفعلائها ولكننا لم نشاء جريا على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين الى امهالهم ( ومن لعمره ) اى نطل عمره ( ننكسه في الخلق ) اى قلبه فيه

ونخلق على عكس ما خلقناه أولا فلا يزال يتزايد ضعفه وتناقص قوته وتنتقص بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود الى حالة شبهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم ( ١١٤ ) والادراك وقرئ نكسه من الثلاثي المجرد ونكسه من

عليه اذا طمس الله على اعينهم لا يبصرونه فكيف ان لم يكونوا على الصراط ( البحث الثاني ) قدم الطمس والاعماء على المسخ والاعجاز ليكون الكلام مدرجا كما أنه قال ان اعماهم لم يروا الطريق الذي هم عليه وحينئذ لا يهتدون اليه فان قال قائل الامعى قد يهتدى الى الطريق بامارات عقلية او حسية غير حس البصر كالاصوات والمشي بحس المس فارتق وقال فلو مسخهم وسلب قوتهم بالكلية لا يهتدون الى الصراط بوجه من الوجوه ( البحث الثالث ) قدم المضى على الرجوع لان الرجوع اهون من المضى لان المضى لا يبي عن سلوك الطريق من قبل واما الرجوع فينبى عنه ولا شك ان سلوك طريق قدروى مرة اهون من سلوك طريق لم يرفقال لا يستطيعون مضيا ولا أقل من ذلك وهو الرجوع الذى هو اهون من المضى ثم قال تعالى ( ومن نعمه نكسه في الخلق افلا يعقلون ) قد ذكرنا ان قوله تعالى الم اعهد اليكم قطع للاعذار بسبق الانذار ثم قرر ذلك وأتمه شرع في قطع عذر آخر وهو ان الكافر يقول لم يكن لبئنا في الدنيا الايسرا ولوعمرتنا لما وجدت منا تقصيرا فقال الله تعالى افلا تعقلون انكم كلما دخلتم في السن ضعفتكم وقد عمرناكم مقدار ما تمكثون من البحث والادراك كما قال تعالى اولم نعمركم ما تذكر فيه من تذكر ثم انكم علمتم ان الزمان كلما يعبر عليكم يزداد ضعفكم فضيعة زمان الامكان فلو عمرناكم اكثر من ذلك لكان بعده زمان الازمان ومن لم يأت بالواجب زمان الامكان ما كان يأتي به زمان الازمان ثم قال تعالى ( وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين ) في الترتيب وجهان قد ذكرنا ان الله في كل موضع ذكر اصلين من الاصول الثلاثة وهى الوجدانية والرسالة والحشر ذكر الاصل الثالث منها وههنا ذكر الاصلين الوجدانية والحشر اما الوجدانية ففي قوله تعالى ألم اعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان وفي قوله وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم واما الحشر ففي قوله تعالى اصلوها اليوم وفي قوله اليوم فتحتم على أفواههم الى غير ذلك فلماذا كرهما وبينهما ذكر الاصل الثالث وهو الرسالة فقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين وقوله وما علمناه الشعر اشارة الى انه معلم من عند الله فعلمه ما أراد ولم يعلمه ما لم يرد في تفسير الآية مباحث ( البحث الاول ) خص الشعر بنى التعليم مع أن الكفار كانوا ينسبون الى النبي صلى الله عليه وسلم أشياء من جعلها السحر ولم يقل وما علمناه السحر وكذلك كانوا ينسبونه الى الكهانة ولم يقل وما علمناه الكهانة فقول اما الكهانة فكانوا ينسبون النبي صلى الله عليه وسلم اليها عندما كان يخبر عن الغيوب ويكون كما يقول واما السحر فكانوا ينسبونه اليه عند ما كان يفعل ما لا يقدر عليه الغير كشق القمر وتكلم الحصى والجذع وغير ذلك واما الشعر فكانوا ينسبونه اليه عند ما كان يتلو القرآن عليهم لكنه صلى الله عليه وسلم ما كان يتحدث بالقرآن كما قال تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الى غير ذلك ولم يقل ان كنتم في شك من رسالتي فأنطقوا

الاكاس ( افلا يعقلون ) اى ابرون بك فلا يعقلون ان من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسح وان عدم ايقاعهما لعدم تعلق مشيئته تعالى بهما وقرئ تعقلون بالنواجرى الخطاب قبله ( وما علمناه الشعر ) رد وبطلان لما كانوا يقولونه في حقه عليه الصلاة والسلام من انه شاعر وما يقوله شعر اى ما علمناه الشعر بتعليم القرآن على معنى ان القرآن ليس بشعر فان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال من خرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والمافية مبنى على خيالات واوهام واهية فاین ذلك من التنزيل الجليل الخطر المذم عن مسالة كلام البشر الشحون بفنون الحكم والاحكام الباهرة الموصلة الى سعادة الدنيا والاخرة ومن اين اشتبه عليهم الشؤون واختلط بهم الطنون قائلهم الله انى يؤفكون ( ولا ينبغي له ) وما صح له الشعر ولا يتأتى له لو طلبه اى جعلنا بحيث لو اراد فرض الشعر لم يأت له كما جعلناه اميا لا يهتدى للخط لتكون الحجة أثبت والشبهة أدهش واما قوله عليه الصلاة والسلام أنا انى لا كذبنا ابن عبد المطلب وقوله عليه الصلاة والسلام هل أتت الا صبيحة ديت وفي سبيل الله ما لقيت فن قيل الاتعاقبات الواردة من غير قصد اليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير فيه للقرآن اى وما ينبغي للقرآن ان يكون شعرا ( ان هو ) اى

ما اقرآن ( الا ذكر ) اى عظة من الله عروجل وارشاد للقلوب كما قال تعالى ان هو الا ذكر العالمين ( وقرآن مبين ) ( الجذوع ) اى كتاب مماوى بين كونه كذلك وفارق بين الحق والباطل يقرأ في المحارب ويلى في المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز

الدارين فكم بينه وبين ما مالوا ( لينذر ) اى القرآن او الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيده القراءة بالتاء وقرع لينذر من نذره اى عله ولينذر مبني للفعول ( ١١٥ ) من الانذار ( من كان حيا ) اى عاقلا متأملا فان الغافل بمنزلة الميت او مؤمنا فى علم الله تعالى فان الحياة

الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنفعية ( روى ) انقول اى تجب كلمة العذاب ( على الكافرين ) المصيرين على الكفر وفى ابراهيم بمقابلة من كان حيا اشعار بأنهم لخلوهم عن آثار الحياة واحكامها التى هى المعرفة اموات فى الحقيقة ( الم يروا ) الهمة للانكار والتعجب والواو للطف على جلة منفية مقدرة مستتعبة للعبث اى لم يتفكروا او لم يلاحظوا ولم يعلموا علما يقينا متاجا للمائة ( انا خلقناهم ) اى لاجلهم وانفاهم ( مما علمت ايدينا ) اى مما تولينا احداثه بالذات وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة فى الاختصاص والتفرد بالاحداث والاعتناء به ( انعاما ) مفعول خلقنا وتأخير عن الحارين المتعلقين به مع ان حق التقديم عليها ماسررا من الاعتناء بالتقدم والتشويق الى المؤخر فان ماحقه التقديم اذا أخر حتى النفس مترتبة له فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لاسيما عند كون التقدم منبها عن كون المؤخر امرا ناعسا خطيرا كما فى النظم الكريم فان الجار الاول المعرب عن كون المؤخر من منافعهم والثانى المصع عن كونه من الامور الخطيرة يزدان النفس شوقا اليه ورغبة فيه ولان فى تأخير جماعته بينه وبين احكامه المفرعة عليه بقوله تعالى ( فهم لها مالكون ) الايات الثلاث اى فليكنها اياهم وائثار الجملة الاسمية على ذلك للدلالة على استقرار ماليتهم لها واستمرارها واللام متعلقة بالكون مقوية لعملى فهم مالكون لها بجليكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها لا يزاوهم فى ذلك غيرهم اوقادرون على ضبطها متمكنون من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا اياها لهم كفى قول من قال

الجدوع أو أسبعوا الخلق العظيم أو أخبروا بالغيوب فلما كان تحديه صلى الله تعالى عليه وسلم بالكلام وكانوا ينسبونه الى الشعر عند الكلام خص الشعر بنفى التعليم ( البحث الثانى ) مامعنى قوله وما ينبغى له قلنا قال قوم ما كان يتأنى له وآخرون ما يتسهل له حتى انه انتمل ببنت شعر سمع منه من احفا يروى انه كان يقول صلى الله تعالى عليه وسلم ويأتىك من لم تزود بالخبار ( وفيه وجه احسن من ذلك ) وهو ان يحمل ما ينبغى له على مفهومه الظاهر وهو ان الشعر ما كان يليق به ولا يصلح له وذلك لان الشعر يدعو الى تغيير المعنى لمرعاة اللفظ والوزن فالشارع يكون اللفظ منه تبعا للمعنى والشارع يكون المعنى منه تبعا للفظ لانه يقصد لفظا به يصح وزن الشعر او قافيته فيحتاج الى التعديل لمعنى يأتى به لا لجل ذلك اللفظ وعلى هذا نقول الشعر هو الكلام الموزون الذى قصد الى وزنه قصدا اوليا واما من يقصد المعنى فيصدر موزونا مقفى فلا يكون شاعرا الا ترى الى قوله تعالى لن تالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ليس بشعر والشاعر اذا صدر منه كلام فيه متحركات وساكنات بعدد ما فى الآية تقطيعه بفعلاتين فاعلاتين يكون شعرا لانه قصد الاتيان بألفاظ حروفها متحركة وساكنة كذلك والمعنى تبعه والحكيم قصد المعنى فجاء على تلك الالفاظ وعلى هذا يحصل الجواب عن قوله من يقول ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر بيت شعرو هو قوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب اوبيتين لانا نقول ذلك ليس بشعر لعدم قصده الى الوزن والقافية وعلى هذا لو صدر من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كلام كثير موزون مقفى لا يكون شعرا لعدم قصده اللفظ قصدا اوليا ويؤيد ما ذكرنا انك اذا تتبعت كلام الناس فى الاسواق تجد فيه ما يكون موزونا واقعا فى بحر من بحور الشعر ولا يسمى المتكلم به شاعرا ولا الكلام شعرا لفقد القصد الى اللفظ اولا ثم قوله تعالى ان هو الاذكر وقرآن مبين يحقق ذلك المعنى اى هو ذكر وموعظة للقصد الى المعنى والشعر لفظ مزخرف بالقافية والوزن ( وهنا لطيفة ) وهى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان من الشعر لحكمة يعنى قديقصد الشاعر اللفظ فيوافقه معنى حكيمى كما ان الحكيم قديقصد معنى فيوافقه وزن شعري لكن الحكيم بسبب ذلك الوزن لا يصير شاعرا والشاعر بسبب ذلك الذكر يصير حكيميا حيث سمى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شعره حكمة ونفى الله كون النبي شاعرا وذلك لان اللفظ قالب المعنى والمعنى قلب اللفظ وروحه فاذا وجد القلب لا نظر الى القلب فيكون الحكيم الموزون كلامه حكيميا ولا يخرج عن الحكمة وزن كلامه والشاعر الموعظ كلامه حكيميا \* ثم قال تعالى ( لينذر من كان حيا ويحيى القول على الكافرين ) قرئ بالتاء وبالياء خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم وبالياء على وجهين ( احدهما ) ان يكون المنذر هو النبي صلى الله عليه وسلم حيث سبق ذكره فى قوله وما علمناه وقوله وما ينبغى له ( وثانيهما ) ان يكون المراد ان القرآن ينذر والاول اقرب الى المعنى ( والثانى ) اقرب الى اللفظ اما الاول



أصبحت لأجل السلاح ولا \* أملاك رأس البعيران نقرأه والاول هو الاظهر ليكون قوله تعالى (وذللناهم) بأسيس النعمة على حيالها لآلئمة لما قبلها اى صيرناها متفادلهم بحيث لاتستصى عليهم فى شئ مما يريدون ( ١١٦ ) بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله تعالى

فلان المنذر صفة للرسول اكثر ورودا من المنذر صفة للكتب (واما الثانى) فلان القرآن اقرب المذكورين الى قوله لينذر وقوله من كان حيا اى من كان حيا القلب ويحتمل وجهين ( احدهما ) ان يكون المراد من كان حيا فى علم الله فينذره به فيؤمن ( الثانى ) ان يكون المراد لينذر به من كان حيا فى نفس الامر اى من آمن فينذره بما على المعاصى من العقاب وبما على الطاعة من الثواب ويحقق القول على الكافرين اما قول العذاب وكنهه كما قال تعالى ولكن حق القول منى لأملائن جهنم من الجنة والناس اجمعين وقوله تعالى حق كلمة العذاب وذلك لان الله تعالى قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فاذا جاء حق التعذيب على من وجد منه التكذيب واما القول المقول فى الوحداية والرسالة والخسر وسائر المسائل الاصولية الدينية فان القرآن فيه ذكر الدلائل التى بها تثبت المطالب ثم انه تعالى اعاد الوحداية ودلائل دالة عليها \* فقال تعالى (أولم يروا انا خلقناهم ماعملت ايدينا انعاما) اى من جملة ماعملت ايدينا اى ماعملناه من غير معين ولا ظهير بل عملناه بقدرتنا وارادتنا \* وقوله تعالى (فهم لها مالكون) اشارة الى اتمام الانعام فى خلق الانعام فانه تعالى لو خلقها ولم يملكها الانسان ما كان ينفع بها \* وقوله تعالى (وذللناهم) زيادة انعام فان المملوك اذا كان آبيا متمردا لا ينفع فلو كان الانسان يملك الانعام وهى نادة صادرة لتمام الانعام الذى فى الركوب وان كان يحصل الاكل كما فى الحيوانات الوحشية بل ما كان يكمل فعمة الاكل ايضا بالاتباع الذى فى الاسطيد ولعل ذلك لانه لا يتهاى البعض وفى البعض \* وقوله تعالى (فما ركوبهم ومنها يأكلون) بيان لمنفعة التذليل اذ لولا التذليل لما وجدت احدى المنفعتين وكانت الاخرى قليلة الوجود ثم بين تعالى غير الركوب والاكل من الفوائد \* بقوله تعالى (ولهم فيها منافع ومشارب) وذلك لان من الحيوانات ما لا يركب كالغنم فقال منافع لتعمها والمشارب كذلك عامة ان قلنا بأن المراد جمع مشرب وهو الآنية فان من الجلود ما يتخذ أواني الشرب والادوات من القرب وان قلنا ان المراد المشروب وهو اللبن والاسمان فهى مختصة بالاناث ولكن بسبب الذكور فان ذلك متوقف على الحمل وهو بالذكور والاناث \* ثم قال تعالى (افلا يشكرون) هذه النعم التى توجب العبادة شكرا ولو شكرتم لزيدكم من فضله ولو كفرتم لسلبها منكم فما قولكم افلا تشكرون استدامة لها واستزادة فيها \* ثم قال تعالى ( واتخذوا من دوالله آلهة لعلهم ينصرون ) اشارة الى بيان زيادة ضلالهم ونهايتهم فانهم كان الواجب عليهم عبادة الله شكرا لانعمه فتركوها واقبلوا على عبادة من لا يضر ولا ينفع وتوقعوا منه النصرة مع انهم هم الناصرون لهم كما قال عنهم حرقوه وانصروا آلهتهم وفى الحقيقة لا هى ناصرة ولا منصور \* وقوله تعالى (لا يستطيعون نصرهم وهم آلههم جند محضرون) اشارة الى الخسر بعد تقرير التوحيد وهذا كقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون وقوله احشروا الذين ظلموا

(فما ركوبهم) الخ فان الغافيه لتفريع احكام التذليل عليه وتقصيها اى فبعض منهار ركوبهم اى مركوبهم اى معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من ثبات الركوب وقرئ ركوبتهم وهى بمعناه كالخلوب والخلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرئ ركوبهم اى ذو ركوبهم (ومنها يأكلون) اى وبعض منها يأكلون لجه (ولهم فيها) اى فى الانعام بكلا قسميها (منافع) اخر غير الركوب والاكل كالجلود والاصواف والايوار وغيرها والحرثاة بالثيران (ومشارب) من اللبن جمع مشرب وهذا مجمل ما فصل فى سورة النحل (افلا يشكرون) اى ايشاهدون هذه النعم او يتنعمون بها فلا يشكرون المنعم بها واتخذوا من دون الله ( اى متجاوزين الله تعالى الذى شاهدوا فقرده بتلك القدرة الباهرة وتفضله عليهم بهاتيك النعم المتظاهرة (آلهة) من الاصنام واشركوها به تعالى فى العبادة (لهم نصرون) رجاء ان ينصروا من جهتهم فيما حزنهم من الامور ويشفعوا لهم فى الآخرة وقوله تعالى ( لا يستطيعون نصرهم) الخ استئناف سيق لبيان بطلان رأيهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم اى لا تقدر آلهتهم على نصرهم (وهم) اى المشركون (لهم) اى لا آلهتهم (جند محضرون) يشعرونهم عند مساقمهم الى النار وقبل معدون فى الدنيا لحفظهم وخد متهم والذب عنهم ولا يساعده مساقم النظم الكريم فان الفاء فى قوله تعالى (فلا يحركك

قولهم) لترتيب النهى على ما قبله فلا بد ان يكون عبارة عن خسائهم وحرمانهم عما علقوا به اطباعهم الفارغة (وازواجهم) وانعكاس الامر عليهم لترتيب الشر على ما رتبوه لرجاء الخير فان ذلك مما يهون الخطب ويورث السلوة واما كونهم معذبين لنذمتهم



وحفظهم فبعض من ذلك والنهي وان كان بحسب الظاهر متوجها الى قولهم لكنه في الحقيقة متوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى له عليه السلام عن التأثر منه بطريق ( ١١٧ ) الكناية على البلغ وجهه آكد فان النهي عن اسباب الشئ ومبادئه المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهاني وإبطال للسببية وقد

يوجه النهى الى السبب ويراد النهى عن السبب كما في قوله لا رينك ههنا يريد به نهى مخاطبه عن الحضور لديه والمراد بقولهم ما بنى عنه ما ذكر من اتخاذهم الاصنام آلهة فان ذلك مما لا يخلو عن التفوه بقولهم هؤلاء آلهتنا وانهم شركاء الله سبحانه في العبودية وغير ذلك مما يورث الحزن وقرئ يحزنك بضم الياء وكسر الزاي من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى (انا علم مايسرون وما يعلنون) لتلليل صريح للنهي بطريق الاستثنا بعد تعليله بطريق الاشعار فان العلم بما ذكر مستلزم للحجزة قطعا اى انا نجازيم بجميع جناتهم الخافية والبادية الى لا يعزب عن علمنا شئ منها وفيه فضل تسليية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم السر على العلن اما البالغة في بيان شمول علمه تعالى لجميع المعلومات كائن علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع استوائهما في الحقيقة فان علمه تعالى بعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شئ في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذا من شئ يعلن الا وهو او مبادئه مضى في القلب قبل ذلك فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تلقه بحالته الثانية حقيقة ( اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة ) كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان انكارهم البعث بعدما شاهدوا في انفسهم اوضح دلائله واعدل شواهد كآان ماسبق مسوق لبيان بطلان اثرا كهم بالله تعالى بعد ما عاينوا فيما بأيديهم ما يوجب التوحيد والاسلام واما ما قيل من انه تسليية ثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتوهم ما يقولونه بالنسبة الى

وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقوله اولئك في العذاب محضرون وهو يحتمل معنيين ( احدهما ) ان يكون العابدون جندا لما اتخذوه آلهة كاذكرنا ( الثاني ) ان يكون الاصنام جندا للعابدين وعلى هذا فقيه معنى لطيف وهو انه تعالى لما قال لا يستطيعون نصرهم اكدها بأنهم لا يستطيعون نصرهم حال ما يكونوا جندا لهم ومحضرون لنصرتهم فان ذلك دال على عدم الاستطاعة فان من حضر واجتمع ثم عجز عن النصرة يكون في غاية الضعف بخلاف من لم يكن متأهبا ولم يجمع انصاره \* وقوله تعالى ( فلا يحزنك قولهم ) اشارة الى الرسالة لان الخطاب معه بما يوجب تسليية قلبه دليل اجتنابه واختياره اياه \* وقوله تعالى ( انا علم مايسرون وما يعلنون ) يحتمل وجوها ( احدها ) ان يكون ذلك تهديدا للناقضين والكافرين فقولهم مايسرون من النفاق وما يعلنون من الشرك ( الثاني ) مايسرون من العلم بك وما يعلنون من الكفر بك ( الثالث ) مايسرون من العقائد الفاسدة وما يعلنون من الافعال القبيحة ثم انه تعالى لما ذكر دليلا من الاقلاق على وجوب عبادته بقوله اولم يروا انا خلقناهم مما عملت ايدينا انعاما ذكر دليلا من الانفس \* فقال ( اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة ) قيل ان المراد بالانسان ابي بن خلف فان الآية وردت فيه حيث اخذ عظما باليا واتي النبي صلى الله عليه وسلم وقال انك تقول ان الهك يحبي هذه العظام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ويدخلك جهنم وقد ثبت في اصول الفقه ان الاعتبار بمموم اللفظ لا بخصوص السبب الا ترى ان قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها تزلت في واحدة واراد الكل في الحكم فكذلك كل انسان ينكر الله او الحشر فهذه الآية رد عليه اذا علمت عمومها فنقول فيها لطائف ( الطيفة الاولى ) قوله اولم يروا انا خلقناهم مما عملت ايدينا معناه الكافرون المنكرون التاركون عبادة الله المتخذون من دونه آلهة اولم يروا خلق الانعام لهم وعلى هذا فقولته تعالى اولم ير الانسان كلام اهم من قوله اولم يروا لانه مع جنس الانسان وهو مع جمع منهم فنقول سبب ذلك ان دليل الانفس اشمل واكمل واتم واظم فان الانسان قد يغفل عن الانعام وخلقها عند غيبتها ولكن هو مع نفسه متى ما يكون وانما يكون فقال ان غاب عن الحيوان وخلقها فهو لا يغيب عن نفسه فاباله اولم يروا انا خلقناه من نطفة وهو اثم نعمة فان سائر النعم بعد وجوده وقوله من نطفة اشارة الى وجه الدلالة وذلك لان خلقه لو كان من اشياء مختلفة الصور كان يمكن ان يقال العظم خلق من جنس صلب واللحم من جنس رخو وكذلك الحال في كل عضو ولما كان خلقه من نطفة متشابهة الاجزاء وهو مختلف الصور دل على الاختيار والقدرة والى هذا اشار بقوله تعالى يسقي بما واحد \* وقوله ( فاذا هو خصيم مبين ) ( فيه لطيفة ) غريبة وهى انه تعالى قال اختلاف صور اعضائه مع تشابه اجزاء ما خلق منه آية ظاهرة ومع هذا فهناك ما هو اظهر وهو نطقه وفهمه وذلك لان النطفة جسم فهب ان جاهلا يقول انه استحالة

بعد ما شاهدوا في انفسهم اوضح دلائله واعدل شواهد كآان ماسبق مسوق لبيان بطلان اثرا كهم بالله تعالى بعد ما عاينوا فيما بأيديهم ما يوجب التوحيد والاسلام واما ما قيل من انه تسليية ثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتوهم ما يقولونه بالنسبة الى

انكارهم الحشر فكلا والهمزة للانكار والتعجب والواو للعطف على جملة مقدرة هي مستتبة لمعطوف كما مر في الجملة الانكارية السابقة اي لم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينيا ( ١١٨ ) انا خلقناه من نطفة الخ اوهى عين الجملة السابقة اعيدت تأكيدها

وتكون جسما آخر لكن القوة الناطقة والقوة الفاهمة من اين تقتضيهما النطفة فابداع النطق والفهم اعجب واغرب من ابداع الخلق والجسم وهو الى ادراك القدرة والاختيار منه اقرب فقوله خصم اي ناطق وانما ذكر الخصم مكان الناطق لانه اعلى احوال الناطق فان الناطق مع نفسه لا يمين كلامه مثل ما بينه وهو يتكلم مع غيره والمتكلم مع غيره اذا لم يكن خصما لا يمين ولا يجتهد مثل ما يجتهد اذا كان كلامه مع خصمه وقوله ميين اشارة الى قوة عقله واختار الابانة لان العاقل عند الافهام اعلى درجة منه عند عدمه لان الميين بان عنده الشئ ثم ابانه فقوله تعالى من نطفة اشارة الى ادنى ما كان عليه وقوله خصم ميين اشارة الى اعلى ما حصل عليه وهذا مثل قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة الى ان قال تعالى ثم انشأناه خلقا آخر فا تقدم من خلق النطفة علقه وخلق العلقه مضغة وخلق المضغة عظما اشارة الى التغيرات في الجسم وقوله ثم انشأناه خلقا آخر اشارة الى ما اشار اليه بقوله فاذا هو خصم ميين اي ناطق عاقل \* ثم قوله تعالى ( وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ) اشارة الى بيان الحشر وفي هذه الآيات الى آخر السورة غرائب وهجائب تذكرها بقدر الامكان ان شاء الله تعالى فنقول المنكرون للحشر منهم من لم يذكر فيه دليلا ولا شبهة واكتفى بالاستبعاد ودعى الضرورة وهم الاكثرون وبدل عليه قوله تعالى حكاية عنهم في كثير من المواضع بلفظ الاستبعاد كما قال وقالوا ائذا ضلنا في الارض ائنا لفي خلق جديد ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ائنا لنكلمن المصدقين ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون الى غير ذلك فكذلك ههنا \* قال ( قال من يحيي العظام وهي رميم ) على طريق الاستبعاد فبدأ اولا بابطال استبعادهم بقوله ونسي خلقه اي نسي انا خلقناه من تراب ومن نطفة متشابهة الاجزاء ثم جعلنا لهم من النواصي الى اقدام اعضاء مختلفة الصور والقوام وما اكتفينا بذلك حتى اودعناهم ما ليس من قبيل هذه الاجرام وهو النطق والعقل الذي بهما استحقوا الاكرام فان كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد فلهذا يستبعدون خلق الناطق العاقل من نطفة قدرة لم تكن محل الحياة اصلا ويستبعدون اعادة النطق والعقل الى محل كانا فيه ثم ان استبعادهم كان من جهة ما في المعاد من التفتت والتفرق حيث قالوا من يحيي العظام وهي رميم اختاروا العظم للذكر لانه ابعد عن الحياة لعدم الاحساس فيه ووصفوه بما يقوى جانب الاستبعاد من البلاء والتفتت والله تعالى دفع استبعادهم من جهة ما في المعبد من القدرة والعلم فقال وضرب لنا مثلا اي جعل قدرتنا كقدرتهم ونسي خلقه العجيب وبدأه الغريب ومنهم من ذكر شبهة وان كانت في آخرها تعود الى مجرد الاستبعاد وهي على وجهين ( احدهما ) انه بعد العدم لم يبق شيئا مكيف يصح على العدم الحكم بالوجود واجاب عن هذه الشبهة \* بقوله تعالى ( قل يحييها الذي انشأها اول مرة ) يعني كخالق الانسان ولم يكن شيئا مذكورا كذلك بعينه وان لم يبق شيئا مذكورا ( وثانيها )

للتذكير السابق وتمهيدا لانكار ما هو احوق منه بالانكار والتعجب لما ان المنكر هناك عدم علمهم بما يتعلق بخلق اسباب معاشهم وهمت عدم علمهم بما يتعلق بخلق انفسهم ولا ريب في ان علم الانسان باحوال نفسه اهم واحاطتها بها اسهل واكمل فالانكار والتعجب من الاخلال بذلك ادخل كانه قيل الم يعلموا خلقه تعالى لاسباب معاشهم ولم يعلموا خلقه تعالى لانفسهم ايضا مع كون العلم بذلك في غاية الطهور ونهاية الاهمية على معنى ان المنكر الاول بعيد قبح والثاني ابعد واقبح ويجوز ان تكون الواو لعطف الجملة الانكارية الثانية على الاولى على انها مقدمة في الاعتبار وان تقدم الهمزة عليها لاقتضاءها الصدارة في الكلام كما هو رأى الجمهور وايراد الانسان مورد الضمير لان مدار الانكار متعلق باحواله من حيث هو انسان كما في قوله تعالى اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا وقوله تعالى ( فاذا هو خصم ميين ) اي شديد الخصومة والجدال بالباطل عطف على الجملة المنفية داخل في حيز الانكار والتعجب كانه قيل اولم يرانا خلقناه من اخس الاشياء وامهنا فقاجا خصوصتنا في امر يشهد بصحته وتحققه مبدأ فطرته شهادة بينة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على استقراره في الخصومة واستمراره عليها روى ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجعفي وابو جهل والعاص ابن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي بن خلف الاترو الى ما قول ل محمدان

الله بيعت الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولا خيمته واخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويقول يا محمد اتري الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم ثم ويبعثك ويدخلك جهنم فنزلت وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو خصم ميين فاذا

هو بعدما كان ماء مهينا رجل يميز منطبق قادر على الحسام مبين معرب عما في نفسه فصيح فهو حينئذ معطوف على خلقه غير داخل تحت الانكار والتعجب بل هو من متمات شواهد ( ١١٩ ) حصة البعث بقوله تعالى ( وضرب لنا مثلا ) معطوف حينئذ

على الجملة المنفية داخل في حيز الانكار والتعجب واما على التقدير الاول فهو عطف على الجملة العجائية والمعنى فقا جأ خصوصتنا وضرب لنا مثلاً اي اوردي شأننا قصة عجيبية في نفس الامر هي في الغرابة والبعده على العقول كالمثل وهي انكار احيا لنا المظالم او قصة عجيبية في زعمه واستبعدنا وعدنا من قبيل المثل وانكرها اشد الانكار وهي احيائنا اياها وجعل لنا مثلاً ونظيراً من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تعالى ( ونسئ خلقه ) اي خلقنا اياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه اما عطف على ضرب داخل في حيز الانكار والتعجب احوال من فاعله باضمار قد او بدونه وقوله تعالى ( قال ) استثناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية ضربه المثل كأنه قيل اي مثل ضرب او ماذا قال فقيل قال ( من يحيى العظام ) من يحيى العظام منكراته اشد التنكير مؤكداً له بقوله تعالى ( وهي رميم ) اي بالية اشد البلاء بعيدة من الحياة غاية البعد فالمثل على الاول هو انكار احياها تعالى للعظام فانه امر عجيب في نفس الامر حقيق لغرابته وبعده عن العقول بأن يعد مثلاً لضرورة جزم العقول ببطلان الانكار ووقوع المنكر لكونه كالانشاء بل اهون منه في قياس العقل وعلى الثاني هو احياءه تعالى لها فانه امر عجيب في زعمه قد استبعده وعده من قبيل المثل وانكره اشد الانكار مع انه في نفس الامر اقرب شيء من الوقوع لما سبق من كونه مثل

ان من تفرق أجزاءه في مشارق العالم ومغاريبه وصار بعضه في ابدان السباع وبعضه في جدران الرباع كيف يجمع وأبعد من هذا هو ان انسانا اذا أكل انسانا وصار اجزاء المأكول في أجزاء الأكل فان أعيد فاجزاء المأكول اما ان تعاد الى بدن الأكل فلا يبقى للمأكول اجزاء تخلق منها اعضاؤه واما ان تعاد الى بدن المأكول منه فلا يبقى للأكل اجزاء فقال تعالى في ابطال هذه الشبهة ( وهو بكل خلق عليم ) ووجهه هو ان في الأكل اجزاء أصلية وأجزاء فضلية وفي المأكول كذلك فاذا أكل انسان انسانا صار الاصل من اجزاء المأكول فضلياً من اجزاء الأكل والاجزاء الاصلية للأكل هي ما كان له قبل الأكل والله بكل خلق عليم يعلم الاصل من الفضلي فيجمع الاجزاء الاصلية للأكل وينفخ فيها روحه ويجمع الاجزاء الاصلية للمأكول وينفخ فيها روحه وكذلك يجمع الاجزاء المتفرقة في البقاع المبددة في الاصقاع بحكمته الشاملة وقدرته الكاملة ثم انه تعالى عاد الى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم وابطال انكارهم وعنادهم \* فقال تعالى ( الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون ) ووجهه هو ان الانسان مشتمل على جسم يحس به وحياة سارية فيه وهي كحرارة جارية فيه فان استبعدتم وجود حرارة وحياة فيه فلا تستبعدوه فان النار في الشجر الاخضر الذي يقطر منه الماء أعجب واغرب وانتم تحضرون حيث منه توقدون وان استبعدتم خلق جسمه فخلق السموات والارض أكبر من خلق انفسكم فلا تستبعدوه فان الله خلق السموات والارض فبان لطف قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون \* وقوله تعالى ( أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ) قدم ذكر النار في الشجر على ذكر الخلق الاكبر لان استبعادهم كان بالصريح واقعا على الاحياء حيث قالوا من يحيى العظام ولم يقولوا من يجمعها ويؤلفها والنار في الشجر تناسب الحياة \* وقوله تعالى ( بلى وهو الخلاق ) اشارة الى انه في القدرة كامل \* وقوله تعالى ( العليم ) اشارة الى ان علمه شامل ثم كديبانه \* بقوله تعالى ( انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ) وهذا اظهر فساد تمثيلهم وتشبيههم وضرب مثلهم حيث ضربوا الله مثلاً وقالوا لا يقدر احد على مثل هذا قياساً للغائب على الشاهد فقال في الشاهد الخلق يكون بالآلات البدنية والانتقالات المكانية ولا يقع الا في الازمنة الممتدة والله يخلق بكن فيكون فيكون تضربون المثل الادنى وله المل الاعلى من ان يدرك وفي الآية مباحث ( البحث الاول ) قالت المعتزلة هذه الآية دالة على ان المعدوم شيء لانه يقول لما اراده كن فيكون فهو قل القول له كن لا يكون وهو في تلك الحالة شيء حيث قال انما امره اذا اراد شيئا والجواب ان هذا بيان لعدم تخلف الشيء عن تعلق ارادته به فقوله اذا مفهوم الحين والوقت والآية دالة على ان المراد شيء حين تعلق الارادة به ولا دلالة فيها على انه شيء قبل ما اذا اراد وحينئذ لا يرد ما ذكره لان الشيء حين تعلق الارادة به شيء

الانشاء او اهون منه واما على الثالث فلا فرق بين ان يكون المثل هو الانكار والمنكر وعدم تأييد الرميم مع وقوعه خبر الموثق لانه اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرفات وقد تمسك بظاهر الآية الكريمة من أثبت للعظم حياة وبني عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة واما

اصحابنا فلا يقولون بحياته كالشعر ويقولون المراد باحياء العظام ردها الى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة في بدن حي حساس ( قل ) تبيكنا له بتذكير ما نسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال وارشاده ( ١٢٠ ) الى طريقة الاستشهاد بها ( يحييها الذي

موجود لا يريد في زمان ويكون في زمان آخر بل يكون في زمان تعلق الارادة فاذا الشيء هو الموجود لا المعدوم لا يقال كيف يريد الموجود وهو موجود فيكون ذلك ايجادا لموجود نقول هذا الاشكال من باب المعقولات ونجيب عنه في موضعه وانما غرضنا ابطال تمسكهم باللفظ وقد ظهر ان المفهوم من هذا الكلام انه يريد ماهوشي اذا اراد وليس في الآية انه اذا اراد ما كان شيئا قبل تعلق الارادة ( البحث الثاني ) قالت الكرامية لله ارادة محدثة بدليل قوله تعالى اذا اراد ووجه دلالة من امرين ( أحدهما ) من حيث انه جعل للارادة زمانا فان اذا ظرف زمان وكل ماهو زمانى فهو حادث ( وثانيهما ) هو انه تعالى جعل ارادته متصلة بقوله كن وقوله كن متصل بكون الشيء ووقوعه لانه تعالى قال فيكون بقاء التعقيب لكن الكون حادث وما قبل الحادث متصل به حادث والفلاسفة وافقوهم في هذا الاشكال من وجه آخر فقالوا ارادته متصلة بأمره وأمره متصل بالكون لكن ارادته قديمة فالكون قديم فكونات الله قديمة وجواب الضالين من التمسك باللفظ هو ان المفهوم من قوله اذا اراد من حيث اللفظ اذا تعلق ارادته بالشيء لان قوله اراد فعل ماضى واذا دخلت كلمة اذا على الماضى تجعله في معنى المستقبل ونحن نقول بأن مفهوم قولنا اراد ويريد وعلم ويعلم يجوز ان يدخله الحدوث وانما نقول لله تعالى صفة قديمة هي الارادة وتلك الصفة اذا تعلق بشئ نقول اراد ويريد وقبل التعلق لانقول اراد وانما نقول له ارادة هو بها مريد ولنضرب مثالا للافهام الضعيفة ليزول ما يقع في الاوهام الضعيفة فنقول قولنا فلان خياط يراد به ان له صناعة الخياطة فلولم يصح منا ان نقول انه خاط ثوب زيد او يخط ثوب زيد لا يلزم منه نفي صحة قولنا انه خياط بمعنى ان له صناعة بها يطلق عليه عند استعماله تلك الصناعة في ثوب زيد في زمان ماضى خاط ثوبه وبها يطلق عليه عند استعماله تلك الصناعة في ثوب زيد في زمان مستقبل يخط ثوبه والله المثل الاعلى فافهم ان الارادة امر ثابت ان تعلق بوجود شيء نقول اراد وجوده اى يريد وجوده واذا علمت هذا فهو في المعنى من كلام اهل السنة تعلق الارادة حادث وخرج بما ذكرنا جواب الفريقين ( البحث الثالث ) قالت المعتزلة والكرامية كلام الله حرف وصوت وحادث لان قوله كن كلام وكن من حرفين والحرف من الصوت ويلزم من هذا ان كلامه من الحروف والاصوات واما انه حادث فلما تقدم من الوجهين ( أحدهما ) انه زمانى ( والثاني ) انه متصل بالكون والكون حادث والجواب يعلم بما ذكرنا وذلك لان الكلام صفة اذا تعلق بشئ نقول قال ويقول فتعلق الخطاب حادث والكلام قديم فقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فيه تعلق وازافة لان قوله تعالى يقول له باللام للاضافة صريح في التعلق ونحن نقول ان قوله للشيء الحادث حادث لانه مع التعلق وانما القديم قوله وكلامه لامع التعلق وكل قديم وحادث اذا نظرت الى مجموعهما لا تجدهما في الازل وانما تجدهما جميعا فيما لا يزال فله

انشأها اول مرة ) فان قدرته كما هي لاستحالة التغير فيها والمادة على حالها ( وهو بكل خلق عليم ) مبالغ في العلم بتفاصيل كليات الخلق والايجاد انشاء واعادة محيط بجميع الاجزاء المتشعبة المتبددة لكل شخص من الاشخاص اصولها وفروعها واوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق مع القوى التي كانت قبل والجملة اما اعتراض تدبير مقرر لمضمون الجواب او معطوفة على الصلة والمعدول الى الجهة الاسمية للتنبيه على ان علمه تعالى بما ذكر امر مستمر ليس كانشاء للمنشآت وقوله تعالى ( الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ) يدل من الموصول الاول وعدم الاكتفاء بعطف صلته على صلته للتأكيد ولتفاوتها في كيفية الدلالة اى خلق لاجلكم ومنفعتكم منه نار اى ان جعل ابداعي والجاران متعلقان به قدما على مفعوله الصريح مع تأخرهما عنصرية لما من الاعناء بالقدم والتشويق الى المؤخر ووصف الشجر بالاخضر نظرا الى اللفظ وقد قرئ الخضراء نظرا الى المعنى وهو المرخ والعفار يقطع الرجل منهما عصيتين مثل السواكين وهما خضرا وان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو اننى فتندح النار باذن الله تعالى وذلك قوله تعالى ( فاذا أنتم منه توقدون ) فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المادية المضادة لها بكيفية كان

تدر على اعاده الغضاضة الى ما كان غضافطراً عليه البيوسة والبلا وقوله تعالى ( أوليس الذى خلق السموات والارض ) استئناف مسوق من جهته عز وجل لتحقيق مضمون الجواب الذى امر عليه الصلاة والسلام بأن يخطبهم

( معنى )

معنى الحدوث ولكن الاطلاق موهم فتفكر جدا ولا تقل المجموع حادث من غير بيان مرادك فان ذلك قديهم منه ان الجميع حادث بل حقق الاشارة وجود العبارة وقل احد طرفي المجموع قديم والآخر حادث ولم يكن الآخر معه في الازل واما قوله كن من الحروف نقول الكلام يطلق على معنيين (احدهما) ما عند المتكلم (والثاني) ما عند السامع ثم ان احدهما يطلق عليه انه هو الآخر ومن هذا يظهر فوائد اما بيان ما ذكرناه فلان الانسان اذا قال لغيره عندي كلام اريد ان اقله لك غذا ثم ان السامع اتاه غذا وسأله عن الكلام الذي كان عنده امس فيقول له اني اريد ان تحضر عندي اليوم فهذا الكلام اطلق عليه المتكلم انه كان عندك امس ولم يكن عند السامع ثم حصل عند السامع بحرف وصوت ويطلق عليه ان هذا الذي سمعت هو الذي كان عندي ويعلم كل عاقل ان الصوت لم يكن عند المتكلم امس ولا الحرف لان الكلام الذي عنده جاز ان يذكره بالعربي فيكون له حروف و جاز ان يذكره بالفارسية فيكون له حروف آخر والكلام الذي عنده ووعده واحد والحروف مختلفة كثيرة فاذا معنى قوله هذا ما كان عندي هو ان هذا يؤدي اليك ما كان عندي وهذا ايضا مجاز لان الذي عنده ما انتقل اليه وانما علم ذلك وحصل عنده علم مستفاد من السمع والبصر في القراءة والكتابة او الاشارة اذا علمت هذا فالكلام الذي عند الله وصفة له ليس بحرف على ما بان والذي يحصل عند السامع حرف وصوت واحد هما الآخر لما ذكرنا من المعنى وتوسع الاطلاق فاذا قال تعالى يقول له حصل قائل و سامع فاعتبرها من جانب السامع لكون وجود الفعل من السامع لذلك القول فغيره بالكاف والنون الذي يحدث عند السامع ويحدث به المطلوب \* ثم قال تعالى ( فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون ) لما تقررت الوجدانية والاعادة وانكروها وقالوا بأن غير الله آلهة قال تعالى وتنزه عن الشريك الذي بيده ملكوت كل شيء وكل شيء ملكه فكيف يكون المملوك للمالك شريكا وقالوا بأن الاعادة لا تكون فقال واليه ترجعون ردا عليهم في الامرين وقد ذكرنا ما يتعلق بالنحو في قوله سبحان اى سبحوا تسبيح الذي او سبح من في السموات والارض تسبيح الذي فسبحان علم للتسبيح والتسبيح هو التنزيه والملكوت مبالغة في المالك كالرجوت والرهوت وهو فعلول او فعلوت فيه كلام ومن قال هو فعلول جعلوه ملحقا به \* ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس وقال الغزالي فيه ان ذلك لان الايمان صحته بالاعتراف بالخشع والخشع مقرر في هذه السورة بأبلغ وجد فجعله قلب القرآن لذلك واستحسنه فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى سمعته يترجم عليه بسبب هذا الكلام ويمكن ان يقال بأن هذه السورة ليس فيها الا تقرير الاصول الثلاثة بأفوى البراهين فابتدأها بيان الرسالة بقوله انك لمن المرسلين ودليها ما قدمه عليها بقوله والقرآن الحكيم وما اخره عنها بقوله لتنذر قوما وانهاؤها بيان الوجدانية والخشع بقوله فسبحان الذي بيده

بذلك ويلزمهم الحجة والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يفترضه المقام اى ليس الذى انشأها اول مره وليس الذى جعل لهم من النجى الاخضر نارا وليس الذى خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما (بإدراك) على ان يخلق مثلهم ( في الصغر والقماء بالنسبة اليهما فان بديهة العقل قاضية بأن من مدرك على خلقهما فهو على خلق الانسان اقدر كما قال تعالى نخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يفدرو قوله تعالى (بلى) جواب من جهة تعالى وتصريح بإثباته الاستفهام الانكارى من تقرير ما بعد النفي وايدان بتعين الجواب لنقطة وابد اول نعموا فيه مخافة الالتزام وقوله تعالى (وهو الخلاق العليم) عطف على ما يقيد الانجاب اى بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ في الملق والعل كيقاوكا (انما امره) اى شانه (اذا اراد شيئا) من الاشياء (ان يقول له كن) اى ان يخلق به قدرته (فيكون) فيحدث من غير توقف على شيء آخر اصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى فيما اراده بأمر الامر الملعاع المأمور المطيع في سرعة حصول المأمور به من غير توقف على شيء ما وقرئ فيكون بالنصب عطفا على يقول

ملكوت كل شيء إشارة الى التوحيد وقوله واليه ترجعون إشارة الى الحشر وليس في هذه السورة الا هذه الاصول الثلاثة ودلائله وثوابه ومن حصل من القرآن هذا القدر فقد حصل نصيب قلبه وهو التصديق الذي بالجنان واما وظيفة اللسان التي هي القول فكما في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا وفي قوله تعالى ومن احسن قولا وقوله تعالى بالقول الثابت والزمهم كلمة التقوى واليه يصعد الكلم الطيب الى غير هذه مما في غير هذه السورة ووظيفة الاركان وهو العمل كما في قوله تعالى واقبوا الصلاة وآتوا الزكاة وقوله تعالى ولا تقربوا الزنا ولا تقتلوا النفس وقوله واعملوا صالحا وايضا مما في غير هذه السورة فلما لم يكن فيها الاعمال القلب لا غير سماها قلبا ولهذا ورد في الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم نذب الى تلقين يس لمن دنا منه الموت وقراءتها عند رأسه لان في ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف القوة والاعضاء الظاهرة ساقطة البنية لكن القلب يكون قدا قبل على الله ورجع عن كل ماسواه فقرأ عند رأسه ما يزيد به قوة قلبه ويشد تصديقه بالاصول الثلاثة وهي شفاعته واسرار كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلمها الا الله ورسوله وما ذكرناه ظن لا ينقطع به ونرجو الله ان يرجحنا وهو ارحم الراحمين ثم تفسير هذه السورة والمحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين

(سورة الصفات مائة واثنان وثمانون آية مكية)  
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والصفات صفا فان اجرات زجرا فالتاليات ذكرنا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأ ابو عمرو وحزرة والصفات صفا بادغام التاء فيما يليه وكذلك في قوله فان اجرات زجرا فالتاليات ذكرنا والباقون بالظهار وقال الواحدى رحمه الله ادغام التاء في الصاد حسن لمقاربة الحرفين ألا ترى انهما من طرف اللسان واصول الشيا يسيمان في الهمس والمدغم فيه يزيد على المدغم بالطباق والصغير وادغام الانقص في الازيد حسن ولا يجوز ان يدغم الازيد صوتا في الانقص وايضا ادغام التاء في الزاي في قوله فان اجرات زجرا حسن لان التاء مهموسة والزاي مجهورة وفيها زيادة صغير كما كان في الصاد وايضا حسن ادغام التاء في الذال في قوله فالتاليات ذكرنا لاتفاقهما في انهما من طرف اللسان واصول الشيا واما من قرأ بالظهار وترك الادغام فذلك لاختلاف الخارج والله اعلم (المسئلة الثانية) في هذه الاشياء الثلاثة المذكورة المقسم بها يحتمل ان تكون صفات ثلاثة لموصوف واحد ويحتمل ان تكون اشياء ثلاثة متبانية اما على التقدير الاول فقيه وجوه (الاول) انها صفات الملائكة وتقديره ان الملائكة يقفون صفوا اما في السموات لاداء العبادات كما اخبر الله عنهم انهم قالوا وانا نحن الصافون وقيل انهم يصفون اجنتهم في الهواء

(فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء) تزيده عز وعلا عما وصفوه تعالى به وتعجيب عما لو افى شأنه تعالى وقد مرت تحقيق معنى سبحان والفاء للإشارة الى ان ما فصل من شأنه تعالى موجبة لتزده وتزيده اكل ايجاب كان وصفه تعالى بالما لكية الكلية المطلقة للاشعار بانها مقتضية لذلك اتم اقتضاء والملوك مبالغة في الملك كالرجوت والرهوت وقرئ ملكة كل شيء وملكة كل شيء وملك كل شيء (واليه ترجعون) لا الى غيره وقرئ ترجعون يفتح التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعد ما لا يخفى عن ابن عباس رضى الله عنهما كنت لا اعلم ما روى في فضائل يس وقرأتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله له واعطى من الاجر كما ما قرأ القرآن اثنى وعشرين مرة واما مسلم قرئ عنده نازل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يعومون بين يديه صفوا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون عليه ويتبعون جنازته يصلون عليه ويشهدون دفنه واما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيء رضوان خازن الجنة بشرة

(ويقفون)



من شراب الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان في القرآن سورة تشفع لقارئها وتستغفر لمستمعها الا وهي سورة يس

\* سورة والصافات مكية وآياتها مائة واحد او اثنتان وثمانون آية \*

\*(بسم الله الرحمن الرحيم)\*

( والصافات صفا ) اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الفاعلات للصفوف على ان المراد ايقاع نفس الفعل من غير قصد الى المقول او الصافات أنفسها اى الناظمت لها في سلك الصفوف بقيامها في مقاماتها المعلومة حسبا بنطق به قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وعلى هذين المنين مدار قوله تعالى واتالنحن الصافون وقيل الصافات أقدامها في الصلاة وقيل اجتمعت في الهواء ( فالزاجرات زجرا ) اى الفاعلات للزجرا والزاجرات لما يبط به زجره من الاجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالزجور ومن جهة ذلك زجر العباد عن المعاصي وزجر الشياطين عن الوسوسة والاعواء ومن استراق السمع كاسيأتى وصفا وزجرا مصدران مؤكدا لما قبلهما اى صفا يدعوا زجرا بليليا وما ذكرنا

ويقفون منتظرين وصول امر الله اليهم ويحتل ايضا أن يقال معنى كونهم صفوفًا أن لكل واحد منهم مرتبة معينة ودرجة معينة في الشرف والفضيلة او في الذات والغلبة وتلك الدرجة المرتبة باقية غير متغيرة وذلك يشبه الصفوف واما قوله فالزاجرات زجرا فقال الليث يقال زجرت البعير فأنما أزجره زجرا اذا أحنثه ليضى وزجرت فلانا عن سوء فأنزجراى نهيته فانهى فعلى هذا الزجر للبعير كالخث وللانسان كالنهى اذا عرفت هذا فنقول في وصف الملائكة بالزجروجوه ( الاول ) قال ابن عباس يريد الملائكة الذين وكلوا بالسحاب يزجرونها بمعنى انهم ياتون بهامن موضع الى موضع ( الثانى ) المراد منه ان الملائكة لهم تأثيرات في قلوب بنى آدم على سبيل الالهامات فهم يزجروهم عن المعاصي زجرا ( الثالث ) لعل الملائكة ايضا يزجرون الشياطين عن التعرض لبنى آدم بالشر والايذاء واقول قد ثبت في العلوم العقلية أن الموجودات على ثلاثة اقسام مؤثر لا يقبل الاثر وهو الله سبحانه وتعالى وهو اشرف الموجودات ومناثر لا يؤثر وهو عالم الاجسام وهو اخس الموجودات وموجود يؤثر في شئ ويتأثر عن شئ آخر وهو عالم الارواح وذلك لانها تقبل الاثر عن عالم كبرياء الله ثم انها تؤثر في عالم الاجسام واعلم ان الجهة التى باعتبارها تقبل الاثر من عالم كبرياء الله غير الجهة التى باعتبارها تستولى على عالم الاجسام وتقدر على التصرف فيها وقوله فالتاليات ذكرنا اشارة الى الاشرف من الجهة التى باعتبارها تقوى على التأثير في عالم الاجسام اذا عرفت هذا فقوله والصافات صفا اشارة الى وقوفها صفا صفا في مقام العبودية والطاعة بالخشوع والخضوع وهى الجهة التى باعتبارها تقبل تلك الجواهر القدسية اصناف الانوار الالهية والكمالات الصمدية وقوله تعالى فالزاجرات زجرا اشارة الى تأثير الجواهر الملكية في تنوير الارواح القدسية البشرية واخراجها من القوة الى الفعل وذلك لما ثبت ان هذه الارواح النطقية البشرية بالنسبة الى ارواح الملائكة كالقطرة بالنسبة الى البحر وكالشعلة بالنسبة الى الشمس وان هذه الارواح البشرية انما تنتقل من القوة الى الفعل في المعارف الالهية والكمالات الروحانية بتأثيرات جواهر الملائكة ونظيره قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وقوله نزل به الروح الامين على قلبك وقوله تعالى فالملقيات ذكرنا اذا عرفت هذا فنقول في هذه الآية دقيقة اخرى وهى ان الكمال المطلق للشئ انما يحصل اذا كان تاما وفوق التام والمراد بكونه تاما ان تحصل جميع الكمالات اللائقة به حصولا بالفعل والمراد بكونه فوق التام ان تفيض منه اصناف الكمالات والسعادات على غيره ومن المعلوم ان كونه كاملا في ذاته مقدم على كونه مكملًا لغيره اذا عرفت هذا فقوله والصافات صفا اشارة الى استكمال جواهر الملائكة في ذاتها وقت وقوفها في مواقف العبودية وصفوف الخدمة والطاعة وقوله تعالى فالزاجرات زجرا اشارة الى كيفية تأثيراتها في ازالة ما لا ينبغي عن جواهر الارواح البشرية وقوله تعالى فالتاليات ذكرنا



في قوله تعالى (التاليات ذكرنا) ففعل التاليات أي التاليات ذكرنا عظم الشأن من آيات الله تعالى وكسبه التثنية على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرها من النسخ والتقديم والتعجيل والنسج وقيل هو أيضا مصدر مؤكد لما قبله فان التلاوة من باب الذكر م ان هذه الصفات ان اجريت على الكل فقطفها بالقاء للدلالة على ترتبها في الفضل اما يكون الفضل للصف لم لزجر م للتلاوة او على العكس وان اجريت كل واحدة منهن على طوائف معينة فهو للدلالة على ترتب الموصونات في مراتب الفضل بمعنى ان ضوابط الصفات ذوات فضل والتاليات افضل والتاليات ابر فضل او على العكس وقيل المراد بالذكورات نفوس العلماء العمال الصفات أنفسها في صفوف الجماعات واقدمها في الصلوات الزاحرات بالمواظع والتمساح التاليات آيات الله تعالى امراضات شرائعها واحكامه وقيل طوائف الغزاة انضادت انفسهم في مواطن الحرب بينهم بان مرصوص اوطر امة قوامهم الاماقت لهم فيها ان راسايل المعاهد سواها والعدو المعاندة لحد التاليات آيات الله تعالى وذكره وتسميته في نضاعف ذلك والكلام في العطف ودلائله على ترتب الصفات في الفضل او ترتب موصوفاتها فيه

اشارة الى كيفية تأثيراتها في افاضة الجلايا القدسية والانوار الالهية على الارواح الناطقة البشرية فهذه مناسبات عقلية واعتبارات حقيقية تنطبق عليها هذه الالفاظ الثلاثة قال ابو مسلم الاصفهاني لا يجوز حل هذه الالفاظ على الملائكة لانها مشعرة بالتأنيث والملائكة مبرؤون عن هذه الصفة والجواب من وجهين (الاول) ان الصفات جمع الجمع فانه يقال جماعة صافة ثم يجمع على صافات (والثاني) انهم مبرؤون عن التأنيث المعنوي اما التأنيث في اللفظ فلا وكيف وهم يسمون بالملائكة مع ان علامة التأنيث حاصلة في هذا الوجه (الثاني) ان تحمل هذه الصفات على النفوس البشرية الطاهرة المقدسة المقبلة على عبودية الله تعالى الذين هم ملائكة الارض وبيانهم من وجهين (الاول) ان قوله تعالى والصفات صفات المراد الصفوف الحاصلة عند أداء الصلوات بالجماعة وقوله فان اجرات زجرا اشارة الى قراءة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كأنهم بسبب قراءة هذه الكلمة يزجرون الشياطين عن لقاء الوسواس في قلوبهم في أثناء الصلاة وقوله فالتاليات ذكرنا اشارة الى قراءة القرآن في الصلاة وقيل فان اجرات زجرا اشارة الى رفع الصوت بالقراءة كأنه يزجر الشيطان بواسطة رفع الصوت روى انه صلى الله عليه وسلم طاف على بيوت اصحابه في الليالي فسمع ابا بكر يقرأ بصوت منخفض وسمع عمر يقرأ بصوت رفيع فسأل ابا بكر لم تقرأ هكذا فقال المعبود سمع عليم وسأل عمر لم تقرأ هكذا فقال اوقف الوسن وأطر الشيطان (الوجه الثاني) في تفسير هذه الالفاظ الثلاث في هذه الآية ان المراد من قوله والصفات صفا الصفوف الحاصلة من العلماء المحققين الذين يدعون الى دين الله تعالى والمراد من قوله وان اجرات زجرا اشتغالهم بالزجر عن الشبهات والشهوات والمراد من قوله تعالى فالتاليات ذكرنا اشتغالهم بالدعوة الى دين الله والترغيب في العمل بشرائع الله (الوجه الثالث) في تفسير هذه الالفاظ الثلاثة ان تحملها على احوال الغزاة والمجاهدين في سبيل الله فقوله والصفات صفا المراد منه صفوف القتال لقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا واما الزاجرات زجرا فان زجرة والصيحة سواء والمراد منه رفع الصوت بزجر الخيل واما التاليات ذكرنا فالمراد اشتغال الغزاة وقت شروعه في محاربة العدو بقراءة القرآن وذكر الله تعالى بالتهليل والتقدیس (الوجه الرابع) في تفسير هذه الالفاظ الثلاثة ان تجعلها صفات لآيات القرآن فقوله والصفات صفا المراد آيات القرآن فانها انواع مختلفة بعضها في دلائل التوحيد وبعضها في دلائل العلم والقدرة واحكامه وبعضها في دلائل النبوة وبعضها في دلائل المعاد وبعضها في بيان التكليف والاحكام وبعضها في تسليم الاخلاق الفاضلة وهذه الآيات مرتبة ترتيبا لا يتغير ولا يتبدل فهذه الآيات تشبه اشخاصا واقفين في صفوف معينة وقوله فان اجرات زجرا المراد منه الآيات الزاجرة عن الافعال المنكرة وقوله فالتاليات ذكرنا المراد منه الآيات الدالة على وجوب الاقدام على اعمال البر والخير وصف الآيات بكونها تالية على قانون

ما يقال شعر شاعر وكلام قائل قال تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوام وقال يس  
والقرآن الحكيم قبل الحكيم بمعنى الحاكم فهذه جملة الوجوه المحتملة على تقدير ان يجعل  
هذه الالفاظ الثلاث صفات لشيء واحد (واما الاحتمال الثاني) وهو ان يكون المراد  
بهذه الثلاث اشياء متغايرة فقبل المراد بقوله والصفات صفا الطير من قوله تعالى والطير  
صفات والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل ما تلي من كتاب الله واقول  
فيه وجه آخر وهو ان مخلوقات الله اما جسمانية واما روحانية اما الجسمانية فانها مرتبة  
على طبقات ودرجات لا تتغير البتة فالارض وسط العالم وهي محفوفة بكرة الماء والماء  
محفوف بالمهواء والهواء محفوف بالنار ثم هذه الاربعة محفوفة بكرات الافلاك الى آخر  
العالم الجسماني فهذه الاجسام كأنها صفوف واقفة على عتبة جلال الله تعالى واما  
الجواهر الروحانية الملكية فهي على اختلاف درجاتها وتباين صفاتها مشتركة  
في صفتين احدهما التأثير في عالم الاجسام بالتحريك والتصريف واليه الاشارة بقوله  
فالزاجرات زجرا فاننا ان المراد من هذا الزجر السوق والتحريك والناس في الادراك  
والمعرفة والاستغراق في معرفة الله تعالى والثناء عليه واليه الاشارة بقوله تعالى  
فالتاليات ذكرا ولما كان الجسم ادنى منزله من الارواح المستقلة فالتصرف في  
الجسمانيات ادون منزلة من الارواح المستغرقة في معرفة جلال الله المقلبة على تسبيح  
الله كما قال ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته لاجرم بدأ في المرتبة الاولى بذكر الاجسام  
فقال والصفات صفا ثم ذكر في المرتبة الثانية الارواح المدبرة لاجسام هذا العالم ثم  
ذكر في هذه المرتبة الثالثة أعلى الدرجات وهي الارواح المقدسة المنوجهة  
بكليتها الى معرفة جلال الله والاستغراق في الثناء عليه فهذه احتمالات خطرت بالبال  
والعالم باسرار كلام الله تعالى ليس الاثمة (المسئلة الثالثة) للناس في هذا الموضع  
قولان (الاول) قول من يقول المقيم به ههنا خالق هذه الاشياء لاعيان هذه الاشياء  
واحتجوا عليه بوجوه (الاول) انه صلى الله عليه وسلم نهى عن الخلف بغير الله فكيف  
يليق بحكمة الله أن يخلف بغير الله (الثاني) ان الخلف بالشيء في مثل هذا الموضع تعظيم  
عظيم للمخلوق به ومثل هذا التعظيم لا يليق الا بالله (الثالث) أن هذا الذي ذكرناه  
تأكد بمائه تعالى صرح به في بعض السور وحو قوله تعالى والسماء وما بناها  
والارض وما طحاها ونفس وما سواها (والقول الثاني) قول من يقول ان القسم واقع  
باعيان هذه الاشياء واحتجوا عليه بوجوه (الاول) أن القسم وقع بهذه الاشياء بحسب  
ظاهر اللفظ فالعدل عنه خلاف الدليل (والثاني) أن تعالى قال والسماء وما بناها  
فلعل لفظ القسم بالسماء تم عطف عليه القسم بالباني للسماء فلو كان المراد من القسم  
بالسماء القسم بمن بنى السماء لزم التكرار في موضع واحد وانه لا يجوز (الثالث) انه  
لا يبعد ان تكون الحكمة في قسم الله تعالى بهذه الاشياء التنبيه على شرف ذواتها

كالذي سلف واما الدلالة على  
الرب في الوجود كما في قوله  
يا لهف زبانة للحرث  
الصالح فالغام فلايب  
فغير ظاهرة في شيء من الطوائف  
المذكورة فانه لو سلم تقدم  
الرب على الزجر في الملائكة  
والغزاة فتأخر التلاوة عن الزجر  
غير ظاهر وقيل الصفات  
الطير من قوله تعالى والطير صفات  
والزاجرات كل ما زجر عن  
عن المعاصي والتاليات كل من  
يتا كتاب الله تعالى وقيل  
الزاجرات القوارع القرآنية  
وقرئ بادغام الشاء في الصاد  
والزاي والذال (ان الهكم لواحد)  
جواب للقسم والجملة تحقيق  
الحق الذي هو التوحيد بما هو  
المألوف في كلامهم من التأكيد  
القسامي وتمهيد لما يقبضه من البرهان  
الناطق به اعني قوله تعالى (رب  
السموات والارض وما بينهما)  
ورب المشارق فان وجودها  
وانظامها على هذا النمط البديع  
من اوضح دلائل وجود الصانع  
وعده وقوته راعدا شواهد  
وحده كما مر في قوله تعالى لو كان  
فيهما آلهة الا لله لنسدتا رب  
خبرنا لان اواخر لم يندأ محذوف  
اي مالك السموات والارض وما  
ينها من الموجودات ومربها  
ومبغها الى كالاتها والمراد بالشارق  
مشارك الشمس واعادة الرب  
فيها لعاية ظهور آمار الربوبية  
فيها وتجدها كل يوم فانها  
للمائة

وستون مشرقا مشرق كل يوم من مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب وتعرب كل يوم في مغرب منها واما قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقا المصيف والشتاء ومغربا هما (انا زيننا السماء الدنيا) اى القرين منكم (بزينة) عجيبة بديعة (الكواكب) بالجر بدل من زينة على ان المراد بها الاسماء ما يزان به لا المصدر فان الكواكب بانفسها واضاع بعنهما من بعض زينة وادى زينة وقرئ بالاضافة على انها بيانية لما ان الزينة مبهمة صادقة على كل ما يزان به فتقع الكواكب بيانا لها ويجوز ان يراد بزينة الكواكب ما زينت هي به وهو ضوؤها وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما بزينة الكواكب بضوء الكواكب هذا واما على تقدير كون الزينة مصدرا فالمعنى على تقدير اضافتها الى الفاعل بأن زانت الكواكب اياها واصله بزينة الكواكب وعلى تقدير اضافتها الى المفعول بأن زان الله الكواكب وحسبها والمراد هو التزيين في رأى العين فان جميع الكواكب من الثوابت والسيارات تبدو للناس ظن كانهما جواهر متلاثة في سطح سما الدنيا بصور بديعة واسكال رائعة ولا يقدح في ذلك ارتكاز الثوابت في الفلك الثامن وماعدا الثمر في السنة المتوسطة

وكال حقائقها لاسيما اذا جلنا هذه الالفاظ على الملائكة فانه تكون الحكمة في القسم بها التنبيه على جلالة درجاتها وكال مراتبها والله اعلم فان قيل ذكر الحلف في هذا الموضع غير لائق وبيانه من وجوه (الاول) ان المقصود من هذا القسم اما اثبات هذا المطلوب عند المؤمن او عند الكافر والاول باطل لان المؤمن مقرب من غير هذا الحلف والثاني باطل لان الكافر لا يقربه سواء حصل الحلف او لم يحصل فهذا الحلف عديم الفائدة على كل التقديرات (الثاني) انه تعالى حلف في اول هذه السورة على ان الاله واحد وحلف في اول سورة والذاريات على ان القيامة حق فقال والذاريات ذروا الى قوله انما توعدون لصادق وان الدين لواقع واثبات هذه المطالب العالية الشريفة على المخالفين من الدهرية وامثالهم بالحلف واليمين لا يليق بالعقلاء والجواب من وجوه (الاول) انه تعالى قرر التوحيد وصحة البعث والقيامة في سائر السور بالدلائل اليقينية فلما تقدم ذكر تلك الدلائل لم يبعد تقريرها فذكر القسم تأكيدا لما تقدم لاسيما والقرآن انما أنزل بلغة العرب واثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة مأثوفة عند العرب (الوجه الثاني) في الجواب انه تعالى لما قسم بهذه الاشياء على صحة قوله تعالى ان الهكم لواحد ذكر عقبيه ما هو كال دليل اليقيني في كون الاله واحدا وهو قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ورب المشرق وذلك لانه تعالى بين في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا ان انتظام احوال السموات والارض يدل على ان الاله واحد فهنا لما قال ان الهكم لواحد اردفه بقوله رب السموات والارض وما بينهما ورب المشرق كانه قبل قد بينا ان النظر في انتظام هذا العالم يدل على كون الاله واحدا فتأملوا في ذلك الدليل ليحصل لكم العلم بالتوحيد (الوجه الثالث) في الجواب ان المقصود من هذا الكلام الرد على عبدة الاصنام في قولهم بانها آلهة فكانه قبل هذا المذهب قد بلغ في السقوط والركاكة الى حيث يكفي في ابطالها مثل هذه الحجج والله اعلم (المسئلة الرابعة) اما دالة احوال السموات والارض على وجود الاله القادر العالم الحكيم وعلى كونه واحدا منزها عن الشريك قد سبق تقريرها في هذا الكتاب مرارا وطورا واما قوله تعالى ورب المشرق فتحتمل ان يكون المراد مشارق الشمس قال السدي المشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب فانه تطلع الشمس كل يوم من مشرق وتعرب كل يوم في مغرب ويحتمل ان يكون المراد مشارق الكواكب لان لكل كوكب مشرقا ومغربا فان قيل لم اكتفى بذكر المشارق قلنا لوجبهين (الاول) انه اكتفى بذكر المشارق كقوله تنبئكم الحروا الثاني ان الشروق أقوى حالا من الغروب وأكثر نفعا من الغروب فذكر الشروق تنبيها على كثرة احسان الله تعالى على عباده ولهذه الدقيقة استدل ابراهيم عليه السلام بالمشرق فقال ان الله يأتي بالشمس من المشرق (المسئلة الخامسة) اخرج اصحاب بقوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما على كونه تعالى خالقا

لأعمال العباد قالوا الان اعمال العباد موجودة فيما بين السموات والارض وهذه الآية دالة على ان كل ما حصل بين السموات والارض فالله ربه ومالكه فهذا يدل على ان فعل العبد حصل بخلق الله وان قالوا الاعراض لا يصح وصفها بانها حصلت بين السموات والارض لان هذا الوصف انما يليق بما يكون حاصلًا في حيز وجهه والاعراض ليست كذلك قلنا انها لما كانت حاصلة في الاجسام الحاصلة بين السموات والارض فهي ايضا حاصلة بين السماء والارض ﴿ ثم قال تعالى ( انازينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الا على ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ناقد ) في الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) قرأ حزة وحفص عن عاصم زينة منونة الكواكب بالجرو وهو قراءة مسروق بن الاجدع قال الفراء وهو رد معرفة على نكرة كما قال بالناسية ناصية فرد نكرة على معرفة وقال الزجاج الكواكب بدل من الزينة لانها هي كما تقول مررت بأبي عبد الله زيد وقرأ عاصم بالتونين في الزينة ونصب الكواكب قال الفراء يرد زينا الكواكب وقال الزجاج يجوز ان تكون الكواكب في النصب بدلا من قوله زينة لان زينة في موضع نصب وقرأ الباقر زينة الكواكب بالجرو على الاضافة ( المسئلة الثانية ) بين تعالى انه زين السماء الدنيا وبين انه انما زينها لمنفعتين ( احدهما ) تحصل الزينة ( والثانية ) الحفظ من الشيطان المارد فوجب ان نحقق الكلام في هذه المطالب الثلاثة ( اما الاول ) وهو تزين السماء الدنيا بهذه الكواكب فلنقول انه ثبت في علم الهيئة ان هذه الثوابت مركوزة في الكرة الثامنة وان السيارات الستة مركوزة في الكرات الستة المحيطة بسماء الدنيا فكيف يصح قوله اننا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب والجواب ان الناس الساكنين على سطح كرة الارض اذا نظروا الى السماء فانهم يشاهدونها مزينة بهذه الكواكب فصيح قوله تعالى اننا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب وعلى اننا قد بينا في علم الهيئة ان الفلاسفة لم يتم لهم دليل في بيان ان هذه الكواكب مركوزة في الفلك الثامن ولعلنا شرحنا هذا الكلام في تفسير سورة تبارك الذي يده الملك في تفسير قوله تعالى ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح ( واما المطلوب الثاني ) وهو كون هذه الكواكب زينة السماء الدنيا فقيه بحثان ( البحث الاول ) ان الزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به كالبقة اسم لما تلاق به الدواء قال صاحب الكشاف وقوله بزينة الكواكب يحتملها فان اردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل اى بأن زينها الكواكب او على اضافته الى المفعول اى بأن زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء بحسنها وان اردت الاسم فللاضافة وجهان ان تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة قد تحصل بالكواكب وبغيرها وان يراد ما زينت به الكواكب ( البحث الثاني ) في بيان كيفية كون الكواكب زينة للسماء

ان ثبت ذلك ( وحفظا ) منصوب اما بطفه على زينة باعتبار المعنى كما انه قيل اننا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا ( من كل شيطان مارد ) اى خارج عن الطاعة برعى الشهب واما باخمار فعله واما بتقدير فعل مؤخر معلل به كانه قيل وحفظا من كل شيطان مارد زينناها بالكواكب كقوله تعالى ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقوله تعالى ( لا يسمعون الى الملا الا على ) كلام مبتدأ مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء عنهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعزيم في في اثناء ذلك من العذاب ولا سبيل الى جعله صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سؤال مقدر لعدم استقامة المعنى ولا على الحفظ على ان يكون الاصل لثلاث سموا فحذفت اللام كما حذفت من قولك جئتكم ان نكرمى فيق ان لا يسموا ثم يحذف ان ويهدر عملها كما في قول من قال \* الا يا ايهاذا الزاجر اى احضر الوغى \* لما ان كل واحد من زينك الحذفين غير منكر بافتراده فاما اجتماعهما فن انكر المنكرات التى يجب تزنيها ساحة التنزيل الجليل عن امثالها واصل يسمعون يتسمعون والملا الاعلى الملائكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الكتبة وعنه اشرف الملائكة عليهم

وجوه (الاول) ان النور والضوء احسن الصفات واكملها فان تحصل هذه الكواكب  
المشرقة المضيئة في سطح الفلك لا جرم يقي الضوء والنور في جرم الفلك بسبب حصول هذه  
الكواكب فيها قال ابن عباس بزينة الكواكب اى بضوء الكواكب (الوجه الثانى)  
يجوز ان يراد اشكالها المتناسبة المختلفة كشكل الجوزاء وبنات نعش والثريا وغيرها  
(الوجه الثالث) يجوز ان يكون المراد بهذه الزينة كيفية طلوعها وغروبها (الوجه  
الرابع) ان الانسان اذا نظر في البلة الظلماء الى سطح الفلك ورأى هذه الجواهر الزواهر  
مشرقة لامعة متلاثلة على ذلك السطح الازرق فلا شك انها احسن الاشياء واكملها  
في التركيب والجوهر وكل ذلك يفيد كون هذه الكواكب زينة (واما المطلوب الثالث)  
وهو قوله وحفظنا من كل شيطان مارد فقيه بثمان (البحث الاول) فيما يتعلق باللغة فقوله  
وحفظنا اى وحفظناها قال المبرد اذا ذكرت فعلا ثم عطف عليه مصدر فعل آخر نصبت  
المصدر لانه قد دل على فعله مثل قولك افعل وكرامة لانه لما قال افعل علم ان الاسماء  
لا تعطف على الافعال مكان المعنى افعل ذلك واكرمك كرامة قال ابن عباس يريد حفظ  
السماء بالكواكب من كل شيطان مارد يريد الذى تتردد على الله قيل انه الذى لا يتمكن منه  
واصله من الملائكة ومنه قوله صرح مبرد ومنه الامردوذ كرنا تفسير المارد عند قوله مردوا  
على المفاق (البحث الثانى) فيما يتعلق بالمباحث العقلية في هذا الموضع فنقول  
الاستقصاء فيه مذكور في قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها  
رجوما للشياطين قال المفسرون الشياطين كانوا يصعدون الى قرب السماء فرجما  
سموا كلام الملائكة وعرفوا به ماسيكون من الغيوب وكانوا يخبرونهم به ويهملونهم  
انهم يعلمون الغيب فنعهم الله تعالى من الصعود الى قرب السماء بهذه الشهب فانه تعالى  
يرمى بها فيحرقهم بها (وبقى ههنا سوالات السؤال الاول) هذه الشهب هل هى من  
الكواكب التى زين الله السماء بها أم لا والاول باطل لان هذه الشهب تبطل وتضمحل  
فلو كانت هذه الشهب تلك الكواكب الحقيقية لوجب ان يظهر نقصان كثير  
في اعداد كواكب السماء ومعلوم ان هذا المعنى لم يوجد البتة فان اعداد كواكب  
السماء باقية على حاله واحدة من غير تغير البتة وايضا فجعلها رجوما للشياطين مما  
يجب وترج النقصان في زينة السماء فكان الجمع بين هذين المقصودين كالتناقض واما  
التميم الثانى وهو ان يقال ان هذه الشهب جنس آخر غير الكواكب المركوزة في الفلك  
فهذا الصواب على ما دللنا على انه لا يورث تبارك الذى يده الملك ولقد زينا السماء الدنيا  
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين والضمير في قوله وجعلناها رجوما الى المصابيح فوجب  
ان تكون تلك المصابيح هى الرجوم بأعيانها من غير تمارت والجواب ان هذه الشهب  
غير تلك المصابيح الباقية واما قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها  
رجوما للشياطين فمسلوك نير يحصل في الجوالعالى فهو مصابيح لاهل الارض الا ان

اصلا والى لا يطالبون  
لسماع والاغذاء اليهم وقرى  
سجود بالتخفيف (ويقدفون)  
يرمون (من كل جانب) من جميع  
جوانب السماء اذا قصدوا  
لصعود اليها (دحورا) علة  
بذنى اى لا دحور وهو الطرد  
وحال بمعنى مدحورين او مصدر  
مؤكد له لانهما من واحد  
قرى دحور بفتح الدال اى قدنا  
دحورا مبالغا في الطرد وقد جوز  
ان يكون مصدرا كالقبول  
والولوع (ولهم عذاب واصب)  
اى ولهم في الآخرة غير ما في الدنيا  
من عذاب الرجم بالنهب  
عذاب سيد دهم غير يتطوع  
كقوله تعد وعدنا لهم عذاب  
السعير (الامن خطب الخطبة)  
اسدنا من اويسعون ومن يدل  
منه وخطب الاخلاص والمراد  
اختلاس كدم الملائكة مسابقة  
كجاءه رب عنه تعريف الخطبة  
وقرى بكسر الهمزة والياء  
الساكنة رذخ الماء ركة  
وتشديد الساكنين  
(تبع شهاب الى تبعه) وقوله  
وترى... رائهات ما يرى  
منه من امة (دفع) معنى  
الذلة كانه يتب او يندثر  
برجم به... ان ارصدنا  
لاستراق لسمع فتاهم او  
بحرقهم او شهابهم دلوا وانما  
يعد من يصل منهم باطل  
لهذا قيل المراد كواكب  
السماء

تلك المصايح منها باقية على وجه الدهر آمنة من التغير والفساد ومنها ما لا يكون كذلك وهي هذه الشهب التي يحدتها الله تعالى ويجعلها رجوما للشياطين وبهذا التقدير فقد زال الاشكال والله اعلم (السؤال الثاني) كيف يجوز ان تذهب الشياطين الى حيث يعلمون بالتجويز ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم البتة وهل يمكن ان يصدر مثل هذا الفعل عن عاقل فكيف من الشياطين الذين لهم مزية في معرفة الحيل الدقيقة والجواب ان حصول هذه الحالة ليس له موضع معين والالم يذهبوا اليه وانما يمنعون من المصير الى مواضع الملائكة ومواضعها مختلفة فربما صاروا الى موضع تصيبهم فيه الشهب وربما صاروا الى غيره ولا يصادفون الملائكة فلا تصيبهم الشهب فلما هلكوا في بعض الاوقات وسلموا في بعض الاوقات جاز ان يصيروا الى مواضع يغلب على ظنونهم انه لا تصيبهم الشهب فيها كما يجوز فيمن يسلك البحر ان يسلكه في موضع يغلب على ظنه حصول النجاة هذا ما ذكره ابو علي الجبائي من الجواب عن هذا السؤال في تفسيره ولقائل ان يقول انهم اذا صعدوا فاما ان يصلوا الى مواضع الملائكة او الى غير تلك المواضع فان وصلوا الى مواضع الملائكة احترقوا وان وصلوا الى غير مواضع الملائكة لم يفوزوا بمقصودهم اصلا فعلى كلا التقديرين المقصود غير حاصل واذا حصلت هذه التجربة وثبت بالاستقراء ان الفوز بالمقصود محال وجب ان تمتنعوا عن هذا العمل وان لا يقدموا عليه اصلا بخلاف حال المسافرين في البحر فان الغالب عليهم السلامة والفوز بالمقصود اما ههنا فالشيطان الذي يسلم من الاحتراق انما يسلم اذا لم يصل الى مواضع الملائكة واذا لم يصل الى تلك المواضع لم يفز بالمقصود فوجب ان لا يعود الى هذا العمل البتة والا قرب في الجواب ان نقول هذه الواقعة انما تنفق في الندرة فلعلها لا تشتهر بسبب كونها نادرة بين الشياطين والله اعلم (السؤال الثالث) قالوا دلت التواريخ المتواترة على ان حدوث الشهب كان حاصل قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم فان الحكماء الذين كانوا موجودين قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا في سبب حدوثه واذا ثبت ان ذلك كان موجودا قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم امتنع حله على مجيء النبي صلى الله عليه وسلم اجاب القاضي بأن الاقرب ان هذه الحالة كانت موجودة قبل النبي صلى الله عليه وسلم لكنها كثرت في زمان النبي صلى الله عليه وسلم فصارت بسبب الكثرة معجزة (السؤال الرابع) الشيطان مخلوق من النار قال تعالى حكاية عن ابليس خلقتني من نار وقال والجان خلقناه من قبل من نار السموم ولهذا السبب يقدر على الصعود الى السموات واذا كان كذلك فكيف يعقل احراق النار بالدار والجواب يحتمل ان الشياطين وان كانوا من النيران الا انها نيران ضعيفة فاذا وصلت نيران الشهب اليهم وتلك النيران اقوى حالا منهم لاجرم صار الاقوى مبطلا للاضعف الا ترى ان السراج الضعيف اذا رجع في النار القوية فانه ينطفئ فكذلك ههنا (السؤال الخامس) ان مقرر

الملائكة هو السطح الاعلى من الفلك والشياطين لا يمكنهم الوصول الا الى الاقرب من السطح الاسفل من الفلك فيبقى جرم الفلك مانعا من وصول الشياطين الى القرب من الملائكة ولعل الفلك عظيم المقدار فمع حصول هذا المانع العظيم كيف يعقل ان يسمع الشياطين كلام الملائكة فان قلتم ان الله تعالى يقوى سمع الشيطان حتى يسمع كلام الملائكة فنقول فعلى هذا التقدير اذا كان الله تعالى يقوى سمع الشيطان حتى يسمع كلام الملائكة وجب ان لا ينفى سمع الشيطان وان كان لا يريد منع الشيطان من العمل فالفائدة في رميده بالرجوم فالجواب مذهبنا ان افعال الله تعالى غير معللة فيفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ولا اعتراض لاحد عليه في شئ من افعاله فهذا ما يتعلق بمباحث هذا الباب واذا اضيف ما كتبناه ههنا الى ما كتبناه في سورة الملك وفي سائر الآيات المشتبهة على هذه المسئلة بلغ تمام الكفاية في هذا الباب والله اعلم \* واما قوله لا يسمعون الى الملائكة الا على فقيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قرأ حجة والكسائي وحفص عن عاصم لا يسمعون بتشديد السين والميم واصله يسمعون فادغمت التاء في السين لاشتراكهما في الهمس والتسمع تطلب السماع يقال تسمع سمع اولم يسمع والباقون بتخفيف السين واختار ابو عبيد التشديد في يسمعون قال لان العرب تقول سمعت الى فلان ويقولون سمعت فلانا ولا يكادون يقولون سمعت الى فلان وقيل في تقوية هذه القراءة اذ انفى التسمع فقد نفى سمعه ووجه القراءة الثانية قوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون وروى مجاهد عن ابن عباس ان الشياطين يسمعون الى الملائكة الا على نعم يمنعون فلا يسمعون وللولين ان يجيبوا فيقولون التنصيص على كونهم معزولين عن السمع لا يمنع من كونهم معزولين ايضا عن التسمع بدلالة هذه الآية بل هو اقوى في ردع الشياطين ومنعهم من استماع اخبار السماء فان الذي منع من الاستماع فبان يكون ممنوعا من السمع اولى ( المسئلة الثانية ) الفرق بين قولك سمعت حديث فلان وبين قولك سمعت الى حديثه بأن قولك سمعت حديثه يفيد الادراك وسمعت الى حديثه يفيد الاصغاء مع الادراك ( المسئلة الثالثة ) في قوله لا يسمعون الى الملائكة الا على قولان ( الاول ) وهو المشهور ان تقدير الكلام لثلاثا يسمعون فلما حذف الناصب ما د الفعل الى الرفع كما قال بين الله لكم ان تضلوا وكما قال رواسى ان تميد بكم قال صاحب الكشف حذف ان واللام كل واحد منهما جائزا بانفراده اما اجتماعهما فن المنكرات التي يجب صون القرآن عنها ( والقول الثاني ) وهو الذي اختاره صاحب الكشف انه كلام مبتدأ منقطع عما قبله وهو حكاية حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدر ان يسمعون الى كلام الملائكة ويتسمعوا وهم مقذوفون بالشبه مدحورون عن ذلك المقصود ( المسئلة الرابعة ) الملائكة الا على الملائكة لانهم يسكنون السموات واما الانس والجن فهم الملائكة الاسفل لانهم سكان الارض واعلم انه تعالى وصف اولئك الشياطين بصفات ثلاث ( الاولى ) انهم لا يسمعون ( الثانية ) انهم يقذفون



من كل جانب دحورا وفيه ابحاث (الاول) قد ذكرنا معنى الدحور في سورة الاحراف عند قوله اخرج منها مذموما مدحورا قال المبرد الدحور اشد الصغار والذل وقال ابن قتيبة دحرته دحرا ودحوا اى دفعته وطردته (البحث الثانى) فى انتصاب قوله دحورا وجوه (الاول) انه انتصب بالمصدر على معنى يدحرون دحورا ودل على الفعل قوله تعالى ويقذفون (الثانى) التقدير ويقذفون للدحور ثم حذف اللام (الثالث) قال مجاهد دحورا مطرودين فعلى هذا هو حال سميت بالمصدر كالركوع والسجود والحضور (البحث الثالث) قرأ ابو عبد الرحمن السلى دحورا بفتح الدال قال الفراء كانه قال يقذفون يدحرون بما يدحرون قال ولست استهى الفتح لانه لو وجد ذلك على صحة لكان فيها الباء كما تقول يقذفون بالحجارة ولا تقول يقذفون بالحجارة الا انه جائز فى الجملة كما قال الشاعر \* تعال اللحم للاضياف نيئا + اى تعال باللحم (الصفة الثالثة) قوله تعالى ولهم عذاب واصب والمعنى انهم مرجومون بالشهب وهذا العذاب مسلط عليهم على سبيل الدوام وقد ذكرنا تفسير الواصب فى سورة النحل عند قوله تعالى وله الدين واصبا قالوا كلهم انه الدائم قال الواحدى ومن فسر الواصب بالشديد الموضع فهو معنى وليس تفسيره \* ثم قال تعالى الامن خطف الخطفة ذكرنا معنى الخطف فى سورة الحج قال الزجاج وهو اخذ الشيء بسرعة واصل خطف اختطف قال صاحب الكشاف من فى محل الرفع بدل من الواو فى لا يسمعون اى لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذى خطف الخطفة اى اختلس الكلمة على وجه المسارقة فأتبعه يعنى لحقه واصابه يقال تبعه واتبعه اذا مضى فى اثره واتبعه اذا لحقه واصله من قوله تعالى فأتبعه الشيطان وقد مر تفسيره وقوله تعالى شهاب ثاقب قال الحسن ثاقب اى مضى واقول سمى ثاقبا لانه يقب بنوره البهواء قال ابن عباس فى تفسير قوله والنجم الثاقب قال انه رجل سمى بذلك لانه يقب بنوره سمك سبع سموات والله اعلم \* قوله تعالى (فاستفتحهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب) فى الآية مسائل (المسئلة الاولى) فى بيان النظم اعلم انا قد ذكرنا ان المقصد الاقصى من هذا الكتاب الكريم اثبات الاصول الاربعة وهى الالهيات والمعاد والنبوة وانبات القضاء والقدر فنقول انه تعالى افتتح هذه السورة باثبات ما يدل على وجود الصانع ويدل على علمه وقدرته وحكمته ويدل على وحدانيته وهو خلق السموات والارض وما بينهما وخلق المشارق والمغرب فلما احكم الكلام فى هذا الباب فرع عليها اثبات القول بالخشع والنشر والقيامة واعلم ان الكلام فى هذه المسئلة يتعلق بطرفين اولهما اثبات الجواز العقلى وثانيهما اثبات الوقوع اما الكلام فى المطلوب الاول فاعلم ان الاستدلال على الشئ يقع على وجهين (احدهما) ان يقال انه قدر على ما هو اصعب واشد واشق منه فوجب ايضا ان يقدر عليه (والثانى) ان يقال انه قدر عليه فى احدى الحالتين والفاعل والقابل باقيان كما كانا فوجب ان تبقى القدرة عليه فى

(فاستفتحهم) فاستفتحهم مشركى مكة (هم اشد خلقا) اى اقوى خلقه وامتن بنية او اصعب خلقا واشق ايجادا (ام من خلقنا) من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليه اطلاقه ويجيبه بعد ذلك لاسيا قراءة من قرأ أم من عددنا وقوله تعالى (انا خلقناهم من طين لازب) فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم من الامم كساد ونمود ولان المراد اثبات المعاد وورد استحداثهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وقرئ لازم ولا تب

الحالة الثانية والله تعالى ذكر هذين الطريقين في بيان ان القول بالبعث والقيامة امر جازئ ممكن (اما الطريق الاول) فهو المراد من قوله فاستفتهم اهم اشد خلقا والتقدير كانه تعالى يقول استفت يا محمد هؤلاء المكربين اهم اشد خلقا من خلق السموات والارض وما بينهما وخلق المشارق والمغارب وخلق الشياطين الذين يصعدون الفلك ولاشك انهم يعترفون بان خلق هذا القسم اشد في العرف من خلق القسم الاول فثبت بالدلائل المذكورة في ابواب التوحيد كونه تعالى قادرا على هذا القسم الذي هو اشد واصعب فبان يكون قادرا على اعادة الحياة في هذه الاجساد كان اولي ونظير هذه الدلالة قوله تعالى في آخريس أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس (واما الطريق الثاني) فهو المراد من قوله انا خلقناهم من طين لازب والمعنى ان هذه الاجسام قابلة للحياة اذ لو لم تكن قابلة للحياة لما صارت حية في المرة الاولى والاله قادر على خلق هذه الحياة في هذه الاجسام ولولا كونه تعالى قادرا على هذا المعنى لما حصلت الحياة في المرة الاولى ولاشك ان قابلية تلك الاجسام باقية وان قادية الله تعالى باقية لان هذه القابلية وهذه القدرة من الصفات الداتية فامتنع زوالها فثبت بهذين الطريقين ان القول بالبعث والقيامة امر ممكن ولما بين تعالى امكان هذا المعنى بهذين الطريقين بين وقوعه بقوله قل نعم وانتم داخرون وذلك لانه ثبت صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ولاجل ظهور المعجزات عليه والصادق اذا اخبر عن امر ممكن الوقوع وجب الاعتراف بوقوعه فهذا تقرير نظم هذه الآية وهو في غاية الحسن والله اعلم (المسئلة الثانية) في تفسير الفاظ هذه الآية اما قوله فاستفتهم يعني انه لما ثبت بالدلائل القاطعة كونه تعالى خالقا للسموات والارض وما بينهما فاستفت هؤلاء المكربين وقل لهم اهم اشد خلقا ام هذه الاشياء التي بينا كونه تعالى خالقها ولم يحك عنهم انهم اقروا ان خلق هذه الاشياء اصعب لاجل ان ظهور ذلك كالمعلوم بالضرورة فلا حاجة ان يحكى عنهم صحة ان الامر كذلك ثم قال تعالى انا خلقناهم من طين لازب يعني انا لما قدرنا على خلق الحياة في ذواتهم اولا وجب ان نبقى قادرين على خلق الحياة فيهم ما بنا لما يبينا ان حال القابل وحال الفاعل ممتنع التغير وفيه دقّة اخرى وهى ان القوم قالوا كيف يعقل تولد الانسان لامن الطفلة ولومن الابوين فكأنه قيل لهم ادكم ما اقررتم بحدوب العالم واعترقتم بان السموات والارض وما بينهما انما حصل بتخليق الله تعالى وتكوينه ملابد وان تعترفوا بان الانسان الاول انما حدث لامن الابوين فاذا عقلتم ذلك واعترقتم به فقد سقط قولكم الانسان كيف يحدث من غير الطفلة ومن غير الابوين وايضا قد اشتهر عند الجمهور ان آدم مخلوق من الطين اللازب ومن قدر على خلق الحياة في الطين اللازب فكيف يجبر عن اعادة الحياة الى هذه الدوات واما كيفية خلق الانسان من الطين اللازب فهي مذكورة في السورة المتقدمة واعلم ان

هذا الوجه انما يحسن اذا قلنا المراد من قوله تعالى انا خلقناهم من طين لازب هو انا  
 خلقنا آباهم آدم من طين لازب وفيه وجوه اخرو هو ان يكون المراد انا خلقنا كل انسان  
 من طين لازب وتقريره ان الحيوان انما يتولد من المني ودم الطمث والمني يتولد من الدم  
 فالحيوان انما يتولد من الدم والدم انما يتولد من الغذاء والغذاء اما حيواني واما نباتي اما  
 تولد للحيوان الذي صار غذاء فالكلام في كيفية تولده كالكلام في تولد الانسان فثبت ان  
 الاصل في الاغذية هو النبات والنبات انما يتولد من امتزاج الارض بالماء وهو الطين  
 اللزب واذا كان الامر كذلك فقد ظهر ان كل الخلق متولدون من الطين اللزب واذا  
 ثبت هذا فنقول ان هذه الاجزاء التي تركب هذا الطين اللزب قابلة للحياة والله تعالى  
 قادر عليها وهذه القابلية والقادرية واجبة البقاء فوجب بقاء هذه الصحة في كل الاوقات  
 وهذه بيانات ظاهرة واضحة واما اللزب فقبل الاصق وقيل البرج وقيل الخندوا كثر  
 اهل اللغة على ان الباء في لازب بدل من الميم يقال لازب ولازم \* نعم قال تعالى ( بل عجبت  
 ويسخرون ) وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) تقرير الكلام ان يقال ان هؤلاء المنكرين  
 أقروا بانه تعالى قادر على تكوين اشياء اصعب من اعادة الحياة الى هذه الاجساد وقد  
 تقرر في صرائح العقول ان العادر على الاشق الاشد يكون قادرا على الاسهل الايسر  
 مع قيام هذه الحجة البديهية في هؤلاء الاقوام مصرين على انكار البعث والقيامة وهذا في  
 موضع التعجب الشديد فان مع ظهور هذه الحجة الحلية الظاهرة كيف يعقل بقاء القوم على  
 الاصرار فيه فانت يا محمد تعجب من اصرارهم على الانكار وهم في طرف الانكار وصلوا  
 الى حيث يسخرون منك في قولك بابات الحسرو والنسرو والبعث والقيامة فهذا هو المراد  
 من قوله بل عجبت ويسخرون ( المسئلة الثانية ) قرأ حجرة والكسائي عجبت بضم الـ  
 والباقون بفتحها قال الواحدى والضم قراءة ابن عباس وابن مسعود وبرايم ويجي  
 ابن وناب والاعمش وقراءة اهل الكوفة واختيار ابى عبدة اما الذين قرؤوا بالفتح فقد  
 احتجوا بوجوه ( الاول ) ان القراءة بالضم تدل على اسناد العجب الى الله تعالى وذلك محال  
 لان التعجب حالة تحصل عند الجهل بصفة الشيء ومعلوم ان الجهل على الله محال ( الثاني )  
 ان الله تعالى اضاف التعجب الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في آية اخرى في هذه المسئلة فقال  
 وان تعجب فاعجب قولهم ائذا كنا ترابا ( والثالث ) انه تعالى قال بل عجبت ويسخرون  
 والظاهر انهم انما سخروا لاجل ذلك التعجب فلما سخروا منه وجب ان يكون ذلك التعجب  
 صادرا منه واما الذين قرؤوا بضم الناء فقد اجابوا عن الحجة الاولى من وجوه ( الاول ) ان  
 القراءة بالضم لانسل انما تدل على اسناد التعجب الى الله تعالى وبيانه انه يكون التقدير  
 قل يا محمد بل عجبت ويسخرون ونظيره قوله تعالى اسمع بهم وابصر معهم ان هؤلاء ماتوا ولول  
 فيه اتم هذا النحو من الكلام وكذلك قوله تعالى ها اصبرهم على البار الثاني سلمنا ذلك  
 يقتضى اضافة التعجب الى الله تعالى فلم قلتم ان ذلك محال ويروى ان شريحا كان

( بل عجبت ) اى من قدرة الله  
 تعالى على هذه الحقائق العظيمة  
 واسكارهم للبعث ( ويسخرون )  
 من تعجبك وتقريرك للبعث  
 وقرئ بضم الناء على معنى انه  
 بلغ كمال قدرتي وكثرة مخلوقاتي  
 الى حيث عجبت منها وهؤلاء  
 لجهلهم يسخرون منها أو عجبت  
 من ان يسكروا البعث من هذه  
 افاعيله ويسخروا من يحوره  
 والهجب من الله تعالى اما على  
 الفرض والخيال او على معنى  
 الاستعظام اللازم له فانه روعة  
 تعزى الاسان عد استعظام  
 الشيء وقيل انه مقدر بالقول  
 اى تل يا محمد بل عجبت

يختار القراءة بالنصب ويقول العجب لا يليق الابن لا يعلم قال الاعمش فذكرت ذلك  
لابراهيم فقال ان شريحا يعجب بعلمه وكان عبدالله اعلم وكان يقرأ بالضم وتحقيق القول  
فيه ان نقول دل القرآن والخبر على جواز اضافة العجب الى الله تعالى اما القرآن فقوله  
تعالى وان تعجب فعجب قولهم والمعنى وان تعجب يا محمد من قولهم فهو ايضا عجب عندي  
واجيب عنه انه لا يمنع ان يكون المراد وان تعجب فعجب قولهم عندهم واما الخبر فقوله  
صلى الله عليه وسلم عجب ربكم من الكم وقنوطكم وعجب ربكم من شاب ليست له صبرة  
واذا ثبت هذا فنقول العجب من الله تعالى خلاف العجب من الآدميين كما قال ويمكرون  
ويمكر الله وقال سخر الله منهم وقال تعالى وهو خادعهم والمكروا الخداع والسخرية من  
الله تعالى بخلاف هذه الاحوال من العباد وقد ذكرنا ان القانون في هذا الباب ان هذه  
الالفاظ محمولة على نهايات الاعراض لا على بدايات الاعراض وكذلك ههنا من تعجب من  
شيء فانه يستعظمه فالتعجب في حق الله تعالى محمول على انه تعالى يستعظم تلك الحالة ان  
كانت قيمة فيترتب العقاب العظيم عليه وان كانت حسنة فيترتب الثواب العظيم عليه  
فهذا تمام الكلام في هذه المناظرة والاقترب ان يقال القراءة بالضم ان ثبت بالتواتر  
وجب المصير اليها ويكون التأويل ما ذكرناه وان لم تثبت هذه القراءة بالتواتر كانت  
القراءة بفتح التاء اولى والله اعلم \* ثم قال تعالى ( واذاذكروالايدكرونا واذا رآوا آية  
يستسخرون وقالوا ان هذا الاسحريين ائذ امتنا وكننا ترابا وعظاما ائذ السالمعون اواباؤنا  
الاولون قل نعم وانتم داخرون) اعلم انه تعالى لما قرر الدليل القاطع في اثبات امكان  
البحث والقيامة حكى عن المنكرين اشياء اولها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستعجب من  
اصرارهم على الانكار وهم يسخرون منه في اصراره على الاثبات وهذا يدل على انه  
صلى الله تعالى عليه وسلم مع اولئك الاقوام كانوا في غاية التباعد وفي طرفي القبيض واثنا بقوله  
واذاذكروالايدكرونا وبالحق قوله واذا رآوا آية يستسخرون ويجب ان يكون المراد  
من هذا الثاني والثالث غير الاول لان العطف يوجب التباين ولان التكرير خلاف  
الاصل والذي عندي في هذا الباب ان يقال القوم كانوا يستبعدون الحشر والقيامة  
ويقولون من مات وصار ترابا وتفرقت اجزائه في العالم كيف يعقل عوده بعينه وبلغوا  
في هذا الاستبعاد الى حيث كانوا بسخرون ممن يذهب الى هذا المذهب واذا كان كذلك  
فلا طريق الى ازالة هذا الاستبعاد عنهم الا من وجهين ( احدهما ) ان يذكر لهم الدليل  
الدال على صحة الحشر والنشر مثل ان يقال لهم هل تعلمون ان خلق السموات والارض  
اشدوا صعبا من اعادة انسان بعد موته وهل تعلمون ان القادر على الاصعب الاشق يجب  
ان يكون قادرا على الاسهل اليسر فهذا الدليل وان كان جليا قويا الا ان اولئك  
المنكرين اذا عرض على عقولهم هذه المقدمات لا يفهمونها ولا يتفكرون عليها واذا ذكروا  
لم يذكروها لشدة بلادتهم وجهلهم فلا جرم لم ينتفعوا بهذا النوع من البيان (والطريق

ر واذاذكروا) اي ودأبهم  
الاستمرار انهم اذا وعظوا بشيء  
من المواعظ ( لا يذكرون )  
لا ينتظرون واذا ذكر لهم ما يدل  
على صحة البعث لا ينتفعون به  
لغاية بلادتهم وقصور فكرهم  
( واذا رآوا آية ) اي معجزة  
تدل على صدق القائل به  
( يستسخرون ) يسألون  
في السخرية ويقولون انه سحر  
او يستدعي بعضهم من بعض ان  
يسخر منها ( وقالوا ان هذا ) اي  
ما يرونه من الآيات الباهرة ( الا  
سحر مبين ) ظاهر سحره ( ائذ  
متنا وكنا ترابا وعظاما ) اي كان  
لعض اجزائنا ترابا وبعضها  
عظاما وتقدم التراب لانه منقلب  
من الاجزاء البادية والعالمل في اذا  
مادل عليه بمعونون في قوله تعالى  
( السالمعون ) اي نعت لانفسه  
لان دونه خطويا لو تفرق واحد  
منها لكان في المنع وتقديم الطرف  
لثبوتية الانكار للبعث بتوجيهه  
الى حالة منافاة له غاية المناقاة  
وكذا تكرير المعجزة في ائذ  
للباغة والشديد في ذلك وكذا  
نحلية الجملة بان واللام لتأكيد  
الانكار لا لانكار التأكيد كما  
يوهمد ظاهر الطم الكريم فان  
بعدم الهمزة لا تقتضيانها الصدارة  
كما في مثل قوله تعالى افلا  
تعلقون على رأى الجهور فان  
المعنى عندهم اعجب الانكار  
لانكار المعجب كما هو المشهور  
وعرى بطرح الهمزة

(الثاني) ان ثبت الرسول صلى الله عليه وسلم جهة رسالته بالمعجزات ثم يقول لما ثبت بالمعجز كوني رسولا صادقا من عند الله فانا اخبركم بأن البعث والقيامة حق ثم ان اولئك المنكرين لا ينفعون بهذا الطريق ايضا لانهم اذ ارأوا معجزة قاهرة وآية باهرة جلوها على كونها سحرا وسخروا بها واستهزؤا منها وهذا هو المراد من قوله واذارأوا آية يستسخرون فظهر بالبيان الذي ذكرناه ان هذه الالفاظ الثلاثة منبهة على هذه الفوائد الجليلة واعلم ان اكثر الناس لم يقفوا على هذه الدقائق فقالوا انه تعالى قال بل عجبتم ويسخرون ثم قال واذا رأوا آية يستسخرون فوجب ان يكون المراد من قوله يستسخرون غير ما تقدم ذكره من قوله ويسخرون فقال هذا القائل المراد من قوله ويسخرون اقدامهم على السخرية والمراد من قوله يستسخرون طلب كل واحد منهم من صاحبه ان يقدم على السخرية وهذا التكلف انما لهم لعدم وقوفهم على الفوائد التي ذكرناها والله اعلم (وارابع) من الامور التي حكاها الله تعالى عنهم انهم قالوا ان هذا الاسحر مبين يعني انهم اذا رأوا آية ومعجزة سخروا منها والسبب في تلك السخرية اعتقادهم انها من باب السحر وقوله مبين معناه ان كونه سحرا امر بين لاشبهة لاحديه ثم بين تعالى ان السبب الذي يحملهم على الاستهزاء بالقول بالبعث وعلى عدم الالتفات الى الدلائل الدالة على صحة القول وعلى الاستهزاء بجميع المعجزات هو قولهم ان الذي مات وتفرقت اجزأؤه في جملة العالم فافيه من الارضية اختلط بتراب الارض وما فيه من المائية والهوائية اختلط بخارات العالم فهذا الانسان كيف يعقل عوده بعينه حيا فاهما فهذا الكلام هو الذي يحملهم على تلك الاحوال الثلاثة المتقدمة ثم انه تعالى لما حكى عنهم هذه الشبهة قال قل يا محمد نعم وانتم داخرون وانما اكنفي تعالى بهذا القدر من الجواب لانه ذكر في الآية المتقدمة بالبرهان اليقيني القطعي انه امر يمكن واذا ثبت الجواز القطعي فلا سبيل الى القطع بالوقوع الا باخبار الخبر الصادق فلما قامت المعجزات على صدق محمد صلى الله عليه وسلم كان واجب الصدق فكان مجرد قوله قل نعم دليلا قاطعا على الوقوع ومن تأمل في هذه الآيات علم انها وردت على احسن وجوه الترتيب وذلك لانه بين الامكان بالدليل العقلي وبين وقوع ذلك الممكن بالدليل السمعي ومن المعلوم ان الزيادة على هذا البيان كالامر بالمنع \* اما قوله أو آبأؤنا فاعني أو تبعت آبأؤنا وهذه الف الاستفهام دخلت على حرف العطف وقرأ نافع وابن عامر ههنا وفي سورة الواقعة ساكنة الواو وذكرنا الكلام في هذا في سورة الاعراف عند قوله أو أمن اهل القرى \* اما قوله تعالى قل نعم فقول قرأ الكسائي وحده نعم بكسر العين \* اما قوله تعالى وانتم داخرون اي صاغرون قال ابو عبيد الدخور اشد الصغار وذكرنا تفسير هذه اللفظة عند قوله سجد الله وهم داخرون \* قوله تعالى (فانما هي زجرة واحدة) فاذاهم ينظرون وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون اعلم انه تعالى لما بين في الآية المتقدمة

الاولى وبطرح الثانية فقط (أو آبأؤنا الاولون) رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيويه اي وآبأؤنا الاولون ايضا مبعوثون وقيل عطف على محل ان واسمها وقيل على الضمير في مبعوثون للفصل بهمة الانكار الجارية مجرى حرف النفي في قوله تعالى ما اشركنا ولا آبأؤنا واما ما كان مرادهم زيادة الاستبعاد بناء على انهم اقدم فبعثهم ابعد على زعمهم وقرئ أو آبأؤنا (قل) تبكيثا لهم (نعم) والخطاب في قوله تعالى (وانتم داخرون) لهم ولا بائهم بطريق التعليل والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم اي كلكم مبعوثون والحال انكم صاغرون ادلاء وقرئ نعم بكسر العين وهي لغة فيد (فانما هي زجرة واحدة) هي اما ضمير مبهم يفسره خبره او ضمير البعثة والجملة جواب شرط مفسر او تعليل لنهي مقدر أي اذا كان كذلك فانما هي الخ او لا تستعجبوه فانما هي الخ والزجرة الصيحة من زجر الراعي عنه اذا صاح عليها وهي النخبة

ما يدل على إمكان البعث والقيامة ثم اردفه بما يدل على وقوع القيامة ذكر في هذه الآيات بعض تفاصيل احوال القيامة وانه تعالى ذكر في هذه الآية أنواعا من تلك الاحوال (فالحالة الاولى) قوله تعالى فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون وفيه اباحت (البحث الاول) قوله فانما جواب شرط مقدر والتقدير اذا كان كذلك فاهي الازجرة واحدة (البحث الثاني) الضمير في قوله فانما هي ضمير على شريطة التفسير والتقدير فانما البعث زجرة واحدة (البحث الثالث) الزجرة في اللغة الصيحة التي يزرجر بها كالزجرة بالنم والابل عند الحث ثم كثر استعمالها حتى صارت بمعنى الصيحة وان لم يكن فيها معنى الزجر كما في هذه الآية واقول لا يبعد ان يقال ان تلك الصيحة انما سميت زجرة لانها تزرجر الموتى عن الرقود في القبور ونحهم على القيام من القبور والحضور في موقف القيامة فاذا عرفت هذا فقول المراد من هذه الزجرة ما ذكره الله تعالى في قوله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فبالنفخة الاولى يموتون وبالنفخة الثانية يحيون ويقومون وههنا سؤالات (السؤال الاول) ما الفائدة في هذه الصيحة فان القوم في تلك الساعة اسوات لان النفخة جارية مجرى السبب لحياتهم فتكون مقدمة على حصول حياتهم فثبت ان هذه الصيحة انما حصلت حال كون الخلق امواتا فتكون تلك الصيحة عديمة الفائدة فهي عبث والعبث لا يجوز في فعل الله (والجواب) اما صحابنا فيقولون يفعل الله ما يشاء واما المعتزلة فقال القاضي فيه وجهان (الاول) ان تعتبر بها الملائكة (الثاني) ان تكون الفائدة التخويف والارهاب (السؤال الثاني) هل لتلك الصيحة تأثير في اعادة الحياة الجواب لا بدليل ان الصيحة الاولى استعقت الموت والثانية الحياة وذلك يدل على ان الصيحة لأمر لها في الموت ولا في الحياة بل خالق الموت والحياة هو الله تعالى كما قال الذي خلق الموت والحياة (السؤال الثالث) تلك الصيحة صوت الملائكة او الله تعالى يخلقها ابتداء (الجواب) الكل جائز الا انه روى ان الله تعالى يأمر اسرافيل حتى ينادي ايها العظام النخرة والجاود البالية والاجزاء المتفرقة اجتمعوا باذن الله تعالى (اللفظ الرابع) من الالفط المذكورة في هذه الآية قوله تعالى فاذا هم ينظرون فيحتمل ان يكون المراد ياتظرون ما يحدب بهم ويحتمل ينظر بعضهم الى بعض وان يكون المراد ينظرون الى البعث الذي كذبوا به (الحالة الثانية) من وقائع القيامة ما اخبر الله عنهم انهم بعد ان قيام من القصور قالوا يا ويلنا هذا يوم الدين قال الزجاج الويل كلمة يقولها القائل رقت الهلثة والمقصود انهم لما شاهدوا القيامة قالوا هذا يوم الدين اي يوم الجزاء هنا والمقصود ان الله تعالى ذكر في آيات كثيرة من القرآن ان ترى في الدنيا محسنا ومسيئا وعاصيا وصديقا وزنديقا ورأينا انه لم يصل اليهم في الدنيا ما يليق بهم من الجزاء فوجب القول بابسات القيامة ليجري الذين اساءوا بما عملوا ويحزى الذين احسنوا بالحسنى وبإحالة فهذا يدل على ان الجزاء انما يحتمل بعد الموت والكفار وان سمعوا هذا الدليل

الثانية (فاذا هم) فأتون من مرافقهم احياء (يطرون) يصرون كما كانوا او ينتظرون ما يفعل بهم (وقالوا) اي المبعوثون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر (يا ويلنا) اي هلاكنا احضر فهذا اوان حضوره وقوله تعالى (هذا يوم الدين) تحليل لدعائهم الويل لطريق الاستئناف اي اليوم الذي يجازى فيه بأعمالنا وانما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون في الدنيا انهم يحشرون ويحاسبون ويمجرون بأعمالهم فلما شاهدوا البعث ايقنوا بانعده ايضا وقوله تعالى (هذا يوم الفصل ادى كنتم بكم يوم) كلام للملائكة جسابا لهم طريق السويح والتقريع وميل هو ايضا من كلام بعضهم بعض والفصل لقضاء او الفرق بين ثرق لهدى واضلال

وقوله تعالى ( احسروا الدين ظلوا ) خطاب من الله عز وجل ( ١٣٧ ) للملائكة ومن بعضهم لبعض بمحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف

وقيل من الموقف الى المحيم ( واذا وجههم ) اى اشباههم ونظراءهم من العصاة عابد الصنم مع عبدة وعابد الكوكب مع عبدة كقوله تعالى وكنتم ازواجاً ثلاثين وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتي على دينهم ( وما كانوا يعبدون من دون الله ) من الاصنام ونحوها زيادة في تحسيرهم وتخييلهم قيل هو عام مخصوص بقوله تعالى ان الدين سبقت لهم منا الحسنى الآية الكريمة وانت خبير بان الموصول عبارة عن المشركين خاصة حتى به لتقليل الحكم بما في حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص ( فاهدوهم الى صراط المحيم ) اى عرفوهم طريقها ووجهوهم اليها وفيه نهكهم ( وقفوهم ) احبسوهم في الموقف كالملائكة سارعوا الى ما امروا به من حشرهم الى المحيم فأمرؤا بذلك وعلى بقوله تعالى ( انهم مسئولون ) ايذاً فان اول الامر بان ذلك ليس لغو عنهم ولا لسترهم بنا حير العذاب في الجنة بل ليسألوا لکن لاهن عقائدهم واعمالهم كاقيل فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى المحيم بل عما يطق به قوله تعالى ( مالكم لا تاصرون ) بطريق التوبيخ والتفريع والتهم اى لا ينصرون بعضكم بعضاً كما كنتم ترعون في الدنيا وتأخرون هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت نكير لعداب رسده الحاحية الى النصرة وحاله انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ والتفريع حينئذ اشد وقعا وتأثيرا وقرئ لا تاصرون ( بل هم

القوى لكنهم انكروا وتمردوا ثم انه تعالى اذا احياهم يوم القيامة فاذا شاهدوا القيامة يذكرون ذلك اليوم ويقولون هذا يوم الدين اى يوم الجزاء الذي ذكر الله الدلائل الكثيرة عليه في القرآن فكفروا بها ونظيره ان من خوف بنى ولم يلتفت اليه ثم عاينه بعد ذلك فقد يقول هذا يوم الواقعة الفلانية فكذا ههنا وفيه احتمال آخر وهو انه تعالى قال في سورة الفاتحة مالك يوم الدين فيين انه لا مالك في ذلك اليوم الا الله فقولهم هذا يوم الدين اشارة الى ان هذا هو اليوم الذي لاحكم فيه لاحد الا لله وانما ذكره لما حصل في قلوبهم من الخوف الشديد اما قوله تعالى هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ففيه بحثان ( الاول ) اختلافوا في ان هذا هل هو من بقية كلام الكفار او يقال تم كلامهم عند قوله تعالى هذا يوم الدين واما قوله هذا يوم الفصل فهو كلام غيرهم فبعضهم قال بالاول وزعم ان قوله هذا يوم الفصل الآية من كلام بعضهم لبعض والا كثرون على القول الثاني واحتجوا بوجهين ( الاول ) ان قوله كنتم به تكذبون من كلام بعضهم لبعض خطاب مع جميع الكفار فقايل هذا القول لا بد ان يكون غير الكفار ( الثاني ) ان قوله احسروا الذين ظلوا وازوجههم منسوق على قوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون فلا كان قوله احسروا الذين ظلوا كلام غير الكفار فكذلك قوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون يحسان يكون كلام غير الكفار وعلى هذا التقدير فقوله هذا يوم الدين من كلام الكفار وقوله هذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم والوجه في كونه جوابا لهم ان اولئك الكفار انما اعتقدوا في انفسهم كونهم محقين في انكار دعوة الانبياء عليهم السلام وكونهم محقين في تلك الاديان الفاسدة فقايلوا هذا يوم الدين اى هذا هو اليوم الذي يصل فيه الينا جزاء طاعاتنا وخيراتنا فالملائكة يقولون لهم انه لا اعتبار بظواهر الامور في هذا اليوم فان هذا اليوم يفصل فيه الجزاء الحقيقي عن الجراء الظاهري وتميز فيه الطاعات الحقيقية عن الطاعات المقرونة بالرياء والسمعة فهذا الطريق صار هذا الكلام من الملائكة جوابا لما ذكره الكفار \* ثم قال تعالى ( احسروا الذين ظلوا وازوجههم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط المحيم ) وفي الآية اباحت ( البحث الاول ) اعلم انه لا نزاع في ان هذا من كلام الملائكة فان قيل ما معنى احسروا مع انهم قد حسروا من قبل وحضروا في محفل القيامة وقالوا هذا يوم الدين وقات الملائكة لهم بل هذا يوم الفصل اجاب القاضي عنه فقال المراد احسروهم الى دار الجراء وهى النار ولذلك قال بعده فاهدوهم الى صراط المحيم اى خذوهم الى ذلك الطريق ودلوهم عليه ثم سأل نفسه فقال كيف يصح ذلك وقد قال بعده وقفوهم انهم مسئولون ومعلوم ان حشرهم الى المحيم انما يكون بعد المسئلة واجاب انه ليس في العطف بحرف الواو ترتيب فلا يمنع ان يقال احسروهم وقفوهم مع اننا بقولنا لان ان الوقوف كان قبل الحشر الى النار هذا اما قوله القاضي وعندى فيه وجه آخر وهو ان يقال انهم اذا قاموا من قبورهم لم يعد ان يقفوا هناك بحيرة تلحقهم بسبب



اليوم مستسلمون) متقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد ( ١٣٨ ) باب الحيل عليهم واسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكاهم

معاندها هوال القيامه سم ان الله تعالى يقول للملائكة احشروا الذين ظلموا واهدوهم الى صراط الجحيم اى سوقوهم الى طريق جهنم وقفوهم هناك وتحصل المسئلة هناك ثم من هناك يساقون الى النار وعلى هذا التقدير فظاهر النظم موافق لما عليه الوجه (البحث الثانى) الامر فى قوله تعالى احشروا الذين ظلموا هو الله فهو تعالى امر الملائكة ان يحشروا الكفار الى موقف السؤال والمراد من الحشر ان الملائكة يسوقونهم الى ذلك الموقف (البحث الثالث) ان الله امر الملائكة بحشر ثلاثة اشياء الظالمين وازواجهم والاشياء التى كانوا يعبدونها فيه فوئد (الفائدة الاولى) انه تعالى قال احشروا الذين ظلموا ثم ذكر من صفات الذين ظلموا كونهم عابدين لغير الله وهذا يدل على ان الظالم المطلق هو الكافر وذلك يدل على ان كل وعيد ورد فى الظالم فهو مصروف الى الكفار وبما يؤكد هذا قوله تعالى والكافرون هم الظالمون (الفائدة الثانية) اختلفوا فى المراد بأزواجهم وفيه ثلاثة اقوال (الاول) المراد بأزواجهم اشباههم اى احزا بهم ونظراؤهم من الكفرة فاليهودى مع اليهودى والنصرانى مع النصرانى والذى يدل على جواز ان يكون المراد من الازواج الاشياء وجوه (الاول) قوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة اى اشكالا واستباها (الثانى) انك تقول عندى من هذا الزواج اى امثال وتقول زوجان من الخلف لكون كل واحد منهما نظير الآخر وكذلك الرجل والمرأة سيما زوجين لكونهما متشابهين فى اكثر احكام الكاح وكذلك العدد الزوج سمي بهذا الاسم لكون كل واحد من سميته مثلا للقسم الثانى فى العدد الصحيح قال الواحدى فعلى هذا القول يجب ان يكون المراد بالذين ظلموا الرؤساء لانك لو جعلت الذين ظلموا عاما فى كل من اشرك لم يكن لازواج معنى (القول الثانى) فى تفسير الازواج ان المراد قرناؤهم من الشياطين لقوله تعالى واخوانهم يمدونهم فى الغي نعم لا يقصرون (والقول الثالث) ان المراد نساؤهم اللواتى على دينهم اما قوله وما كانوا يعبدون من دون الله فقيه قولان (الاول) المراد ما كانوا يعبدون من دون الله من الاوتان والطواغيت ونظيره قوله فاقنوا النار التى وقودها الناس والحجارة قيل المراد بالناس عباد الاوتان والمراد بالحجارة الاصنام التى هى ابحار منحوتة فان قيل ان تلك الاحجار جادات فالفائدة فى حشرها الى جهنم اجاب القاضى بأنه ورد الخبر بأنها تعاد وتحبى لتحصل المبالغة فى توبيخا لكفار الذين كانوا يعبدونها ولقائل أن يقول هب ان الله تعالى يحبى تلك الاصنام اى انه لم يصدر عنها ذنب فكيف يجوز من الله تعالى تعذيبها والا قرب ان يقال ان الله تعالى لا يحبى تلك الاصنام بل يتركها على الجمادية سم يلقبها فى جهنم لان ذلك مما يزيد فى تحجيل الكفار (القول الثانى) ان المراد من قوله وما كانوا يعبدون من دون الله الشياطين الذين دعوهم الى عبادة ما عبدوه فلما قبلوا منهم ذلك الدين صاروا كالعابدين لاولئك الشياطين وتأكد هذا بقوله تعالى المأعده اليكم يابنى آدم ان لاتعبدوا الشيطان والقول الاول اولى لان الشياطين

مستسلم غير منتصر (واقبل) حيثئذ (بعضهم على بعض) هم الاتباع والرؤساء او الكفرة والقرناء (يتسألون) يسأل بعضهم بعضا سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال (قالوا) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية تساؤلهم كأنه قيل كيف تسألوهم فقبل قالوا اى الاتباع للرؤساء ولكل للقرناء (انكم كنتم تأتوننا) فى الدنيا (عن العين) عن اقوى الوجوه وامتها وعن الدين او عن الخير كأنكم تسفوننا نفع السامح فتبعناكم فهلكنا مستعار من عين الانسان الذى هو اشر فى الحائنين واقوامهما وانفعهما ولذلك سمي عينا ويتبين بالسامح او عن القوة والقسر فتفسرونا على الغى وهو الاوفى بالجواب او عن الحلف حيث كانوا يحلفون ثم على الحق (قالوا) استئناف كما سبق اى قال الرؤساء او القرناء (بل لم تكونوا مؤمنين) اى لم تمنعكم من الايمان بل لم تؤمنوا باختياركم واعرضتم عنه مع تمكنكم منه وازتم الكفر عليه (وما كان لنا عليكم من سلطان) من فخر وتسلط سلبكم به اختياركم (بل كنتم فوما طاعين) مخذلين للطغيان مصرين عليه (فحق علينا) اى لزمنا وببت علينا (قول ربنا) وهو قوله تعالى لاملن جهنم منك وعن تبعك منهم اجعين (انا لذاثون) اى العذاب الذى ورد به الوعيد (فاغوبناكم) فدعوناكم الى الغي دعوة غير ملتبسة فاستجبتم لسا باختياركم واستحبناكم الغي على الرشيد (ناكتنا غاونا) فلا عتب علينا فى تعرضنا لاعوائكم بتلك

المرتبة من الدعوة لتكونوا امثالا في الفواية ( ١٣٩ ) ( فانهم ) اى الاتباع والتبوعين ( يومئذ في العذاب مشتركون ) حسبا كانوا

مشتريين في الفواية ( انكذلك ) اى مثل ذلك الفعل البديع الذى تقتضيه الحكمة التشريعية ( تفعل بالجرمين ) المتناهين في الاجرام وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى ( انهم كانوا اذا قيل لهم ) بطريق الدعوة والتلقين ( لاله الا الله يستكبرون ) عن القبول ( ويقولون ائنا لناركوا ) آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين ( رد عليهم ونكذب لهم ببيان ان ما جاء به من التوحيد هو الحق الذى قام به البرهان واجمع عليه كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام فآين الشعر والجنون من ساحته الرفيعة ( انكم ) بما فعلتم من الاشرار ونكذب الرسول عليه الصلاة والسلام والاستكبار ( لذائقوا العذاب الاليم ) والالذات لظهور كمال الغضب عليهم وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولاذكر الله الا قليلا

وقرئ لذائقون العذاب على الاصل ( وما تجزون الا ما كنتم تعملون ) اى الاجزاء ما كنتم تعملونه من السيئات والال بما كنتم تعملونه منها ( الا عباد الله المخلصين ) استثناء منقطع من ضمير ذائقوا وما بينهما اعتراض بعبارة مسارعة الى تحقيق الحق ببيان ان ذوقهم العذاب ليس الا من جهتهم لا من جهة غيرهم اصلا وجعله استثناء من ضمير تجزون على معنى ان الكفرة لا يجزون الا بقدر اعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم يجزون اعضافا مضاعفة مما لوجهه اصلا لا سيما جعله استثناء متصلا بتعميم الخطاب في تجزون لجميع المكلفين فانه

عقلاء وكلمة مالا تليق بالعقلاء والله اعلم ثم قال فاهدوهم الى صراط الجحيم قال ابن عباس دلوهم يقال هديت الرجل اذا دلته وانما استعملت الهداية ههنا لانه جعل بدل الهداية الى الجنة كما قال فبشرهم بعذاب اليم فوقعت البشارة بالعذاب لهؤلاء بدل البشارة بالنعيم لا اولئك وعن ابن عباس فاهدوهم سوقوهم وقال الاصم قدموهم قال الواحدي وهذا وهم لانه يقال هدى اذا تقدم ومنه الهداية والهواذى والهاديات الوحش قال ولا يقال هدى بمعنى قدم ثم قال وقفوهم يقال وقفت الدابة اقفها وقفا فوقفت هى وقفا والمعنى احبسوهم وفي الآية قولان ( احدهما ) على التقديم والتأخير والمعنى قفوهم واهدوهم والاصوب انه لا حاجة اليه بل كانه قيل فاهدوهم الى صراط الجحيم فاذا انتهوا الى الصراط قيل وقفوهم فان السؤال يقع هناك وقوله انهم مسؤولون قيل عن اعمالهم في الدنيا واوقالهم وقيل المراد سألهم الخزنه الم يأتكم رسل منكم بالبينات قالوا بلى ولكن حققت كلمة العذاب على الكافرين ويجوز ان يكون هذا السؤال ما ذكر بعد ذلك وهو قوله تعالى مالكم لا تناصرون اى انهم يسئلون توبخا لهم فيقال مالكم لا تناصرون قال ابن عباس رضى الله عنهما لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا وذلك ان ابا جهل قال يوم بدر نحن جميع منتصر فقبل لهم يوم القيامة مالكم غير مناصرين وقيل يقال للكفار ما لشر كائكم لا يمنعونكم من العذاب ثم قال تعالى ( بل هم اليوم مستسلمون ) يقال استسلم لشيء اذا انقاد له وخضع ومعناه فى الاصل طلب السلامة بترك المنازعة والمقصود انهم صاروا متقادين لاحيلة لهم فى دفع تلك المضار لا العابد ولا المعبود ثم قال تعالى ( فاقبل بعضهم على بعض ) قيل هم والشياطين وقيل الرؤساء والاتباع ( يتساءلون ) اى يسأل بعضهم بعضا وهذا التساؤل عبارة عن التخاصم وهو سؤال التبكيت يقولون غررتمونا ويقول اولئك لم قبلتم منا وبالجملة فليس ذلك تساؤل المستفهمين بل هو تساؤل التوبيخ والوم والله اعلم قوله تعالى ( قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوم اطغين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون ائنا لناركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين ) واعلم ان الله تعالى لما حكى عنهم انه اقبل بعضهم على بعض يتساءلون شرح كيفية ذلك التساؤل فقال قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين وهذا قول الاتباع لمن دعاهم الى الضلالة وفى تفسير اليمين وجوه ( الاول ) ان لفظ اليمين ههنا استعارة عن الخيرات والسعادات وبيان كيفية هذه الاستعارة ان الجانب الايمن افضل من الجانب الايسر لوجوه ( احدها ) اتفاق الكل على ان اشرف الجانبين هو اليمين ( والثاني ) لا يباشرون الاعمال الشريفة الا باليمين مثل مسالخة الاخيار والاكل

ليس في حيز الاحتمال فاعني انكم لذائقوا العذاب الاليم لكن عباد الله المخلصين الموحدين ( ١٤٠ ) ليسوا كذلك وقوله تعالى (اولئك) اشار اليهم للايدان بأنهم ممتازون بما اتصفوا به من الاخلاص في عبادة الله تعالى عن عداهم امتياز بالغاً منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة ومافيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشاراليه للشعار بملو طبقته وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى (لهم) اما خبره وقوله تعالى (رزق) مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقراء او مبتدأ ولهم خبر مقدم والجملة خبر لا وتلك والجملة الكبرى استثناء مبين لما افاده الاستثناء اجمالاً بالانفصالي وقيل هي خبر للاستثناء المنقطع على انه متأول بالمبتدأ وقوله تعالى (معلوم) اي معلوم الخصائص من حسن النظر ولذة الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعمت الكمال وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقوله تعالى (فواكه) اما بدل من رزق او خبر مبتدأ مضمر اي ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر لان رزاق اهل الجنة كلها فواكه اي ما يؤكل لجرد التلذذ دون الانقياس لانهم مستغنون عن القوت لكون خلقهم محكمة محفوظة من الخلل المحوج الى البدل وقيل لان الفواكه من اتباع سائر الاطعمة فذكرها من عن ذكرها (وهم مكرمون) عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك اعظم المثوات واليقها باولى انهم وقيل مكرمون في نيله حيث يصل اليهم بغير تعب وسؤال كاهو شأن ارزاق الدنيا وقرئ مكرمون بالشديد ( في جنات النعيم )

والشرب وما على العكس منه يباشرونه باليد اليسرى (الثالث) انهم كانوا يتفألون وكانوا يتيمنون بالجانب الايمن ويسمونه بالبارح (الرابع) ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب اتسا من في كل شيء (الخامس) ان الشريعة حكمت بان الجانب الايمن لكاتب الحسنات واليسر لكاتب السيآت (السادس) ان الله تعالى وعد المحسن أن يؤتي كتابه بينه وبينه والمسي أن يؤتي كتابه بيساره فثبت ان الجانب الايمن أفضل من الجانب اليسر واذا كان كذلك لاجرم استعير لفظ اليمين للخيرات والحسنات والطاعات فقوله انكم كنتم تأتوننا عن اليمين يعني انكم كنتم تخدمونا وتوهمون لنا ان مقصودكم من الدعوة الى تلك الاديان نصرة الحق وتقوية الصدق ( الوجه الثاني ) في التأويل انه يقال فلان يمين فلان اذا كان عنده بالمنزلة الحسنة فقال هؤلاء الكفار لا تمتهم الذين اضلوهم وزنوا لهم الكفر انكم كنتم تخدمونا وتوهمون لنا اننا عندكم بمنزلة اليمين أي بالمنزلة الحسنة فوثقنا بكم وقبلنا عنكم ( الوجه الثالث ) ان أئمة الكفار كانوا قد حلفوا لهؤلاء المستضعفين أن ما يدعونهم اليه هو الحق فوثقوا بايمانهم وتمسكوا بهودهم التي عهدوها لهم فعني قوله كنتم تأتوننا عن اليمين أي من ناحية الموائيق والايمان التي قدمتموها لنا ( الوجه الرابع ) أن لفظ اليمين مستعار من القوة والقهر لان اليمين موصوفة بالقهر وبها يقع البطش والمعنى انكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتعبرونا عليه ثم حكي الله تعالى عن الرؤساء انهم أجابوا الاتباع من وجوه ( الاول ) انهم قالوا لهم بل لم تكونوا مؤمنين يعني انكم ما كنتم موصوفين بالايمان حتى يقال انازلناكم عنه ( الثاني ) قولهم وما كان لنا عليكم من سلطان يعني لا قدرة لنا عليكم حتى نفهركم ونجبركم ( الثالث ) بل كنتم قوم طاغين اي ضالين غالين في معصية الله ( الرابع ) قولهم فحق علينا قول ربنا اننا لذاثقون والمعنى ان الله تعالى لما أخبر عن وقوعنا في العذاب فلم يحصل وقوعنا في العذاب لما كان خبر الله حقا بل كان باطلا ولما كان خبر الله امرا واجبا لاجرم كان الوقوع في العذاب الاليم لازما قاله مقاتل قوله تعالى فحق علينا قول ربنا اشارة الى قول الله لا بليس لاملان جهنم منك ومن تبعك منهم اجعين وقوله تعالى اننا لذاثقون يعني لما وجب ان يحق علينا قول ربنا وجب ان نكون ذا ثقين لهذا العذاب ( الخامس ) قولهم فأغويننا كم انا كنا غاوين والمعنى انا انما اقدمنا على اغوائكم لانا كنا موصوفين في انفسنا بالغواية وفيه دققة اخرى كما ثم قالوا ان اعتقدتم ان غوايتكم بسبب اغوائنا فعوايتنا ان كانت بسبب اغوائنا وآخر لزم التسلسل وذلك محال فعلمنا ان حصول الغواية والرشاد ليس من قبلنا بل من قبل غيرنا وذلك الغير هو الذي ذكره فيما قبل وهو قوله فحق علينا قول ربنا وما حكي الله تعالى كلام الاتباع للرؤساء وكلام الرؤساء للاتباع قال بعده فانهم يومئذ في العذاب مشتركون يعني فالتبوع والتابع والمخدوم والخادم مشتركون في الوقوع في العذاب

اي في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف احوال من المستكن ( ١٤١ ) في مكرمون او خير نان لاؤلك وقوله تعالى ( على سرر ) محتمل

لصالية والخيرية فقوله تعالى  
( متقابلين ) حال من المستكن  
فيه اوفي مكرمون وقوله تعالى  
( يطاف عليهم ) اما استئناف معنى  
على سؤال نشأ من حكاية تكامل  
مجالس انهم احوال من الضمير  
في متقابلين اوفي احد الجارين  
وقد جوز كونه صفة لمكرمون  
( بكأس ) بانه فيه نجر او ضمير  
فان الكأس تطلق على نفس  
الخمر كما في قول من قال وكأس  
شربت على لذة

واخرى تدوايت منهاها  
( من معين ) متعلق بضمير هو صفة  
لكأس اي كاشته من شراب معين  
او من نهر معين وهو الجاري على  
وجه الارض الظاهر للعيون او  
الخارج من العيون من عان الماء  
اذا نبع وصف به الخمر وهو  
للماء لانها تجري في الجفة في انهار  
كما يجري الماء قال تعالى وانهار من  
خمر ( بيضاء لذة للشاربين ) صفتان  
ايضا لكأس ووصفها بلذة اما  
للمبالغة كما انها نفس اللذة اولها  
تأنيث اللذ بمعنى الذي يدورونه  
فعل قال

ولذ قطع الصرخى تركته  
نأرض العدا من خيفة الحدائن  
يريد به النوم ( لانيهاغول ) اي  
غائلة كما في خور الدنيا من غاله  
اذا افسده واهلكه ومنه الغول  
( ولا هم عنها ينزفون ) يسكرون  
من زف الشارب فهو زيف  
ومنزوف اذا ذهب عقله ويقال  
للمطعون زف فأت اذا خرج  
دمه كله افرده هذا بالتقي مع  
اندراجها فيما قبله من نفي الغول  
عنها لما انه من مظم فمفسد الخمر  
كأنه جنس برأسه والمعنى لانيها

كما كانوا في الدنيا مشركين في العواية ثم قال ايضا انا كذلك نفعل بالمجرمين وعن  
بالمجرمين ههنا الكفار بدليل انه تعالى قال بعد هذه الكلمة انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله  
الا الله يستكبرون والضمير في قوله انهم عائد الى المذكور السابق وهو قوله بالمجرمين وهذا  
يدل على ان لفظ المجرم المطلق مختص في القرآن بالكافرين تعالى انهم انما وقعوا في ذلك  
العذاب لانهم كانوا مكذبين بالتوحيد وبالنبوة اما التكذيب بالتوحيد فهو قوله تعالى  
انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون يعني ينكرون ويتعصبون لآيات الشرك  
ويستنكفون عن الاقرار بالتوحيد واما التكذيب بالنبوة فهو قولهم ائنا لتاركوا  
آلهتنا لشاعر مجنون ويعنون محمدا ثم تعالى كذبهم في ذلك الكلام فقال بل جاء بالحق  
وصدق المرسلين وتقرير هذا الكلام انه جاء بالدين الحق لانه ثبت بالعقل انه تعالى منز  
عن الضد والند والشريك فلما جاء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يقرر هذه المعاني كان مجيئه  
بالدين الحق قرأ ابن كثيرنا لتاركوا آلهتنا بجمزة وياه بعدها خفيفة ساكنة بلامد  
وقرأ نافع في رواية قالون وابوعرو على هذا التفسير ويمدان والباقون بجمزتين بلامد  
وقوله تعالى وصدق المرسلين يعني صدقهم في مجيئهم بالتوحيد ونفي الشرك وهذا تنبيه  
على ان القول بالتوحيد دين لكل الانبياء ولما حكى الله عنهم تكذيبهم بالتوحيد وبالنبوة  
نقل الكلام من الغيبة الى الحضور فقال انكم لذا نقوا العذاب الاليم كأنه قيل فكيف  
يليق بالرحيم الكريم تعالى عن النفع والضر ان يعذب عباده فأجاب عنه بقوله وما  
تجزون الا ما كنتم تعملون والمعنى ان الحكم يقتضي الامر بالحسن والطاعة والتهى عن  
القبج والمعصية والامر والتهى لا يكمل المقصود منهما الا بالترقيب في الثواب والترهيب  
بالعقاب واذا وقع الاخبار عنه وجب تحقيقه صونا للكلام عن الكذب فلهذا السبب  
وقعوا في العذاب ثم قال الاعباد الله المخلصين يعني ولكن عباد الله من الاستثناء المقطع

❦ قوله تعالى ( اولئك لهم رزق معلوم فوا كهوهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين  
يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لانيهاغول ولا هم عنها ينزفون ) وعندهم  
قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون ) اعلم انه  
تعالى لما وصف احوال المتكبرين عن قبول التوحيد المصيرين على انكار النبوة أردفه  
بذكر حال المخلصين في كيفية الثواب وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) ذكرنا في قبح الام  
وكسرهما من المخلصين قراءتين فالفتح ان الله تعالى أخلصهم بلطفه واصطفاهم بفضله  
والكسر هو انهم اخلصوا الطاعة لله تعالى ( المسئلة الثانية ) اعلم انه تعالى وصف رزقهم  
بكونه معلوما ولم يبين ان اي الصفات منه هو المعلوم فلذلك اختلفت الاقوال فقليل معناه  
ان ذلك الرزق معلوم الوقت وهو مقدار غدوة وعشية وان لم يكن ثمه لا بكرة ولا عشية قال  
تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقل معناه ان ذلك الرزق معلوم الصفة لكونه  
مخصوصا بخصائص خلقها الله فيه من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقليل معناه

نوع من انواع الفساد من نقص او صداع او نجار او عر بدة اولفو او بانيم ( ١٤٢ ) ولا هم يسكرون وقرى يذفون بكسر الزاى من انزف

الشارب اذا نقد عقله او شرابه  
وقرى يذفون بضم الزاى من  
نزف يذف بضم الزاى فيهما  
( وعندهم قاصرات الطرف )  
قصرن ابصارهن على أزواجهن  
لا يمددن طرفا الى غيرهم (عين)  
نجل العيون جمع عيناء والنجل  
سعة العين (كأنهن يبض مكنون)  
شهن يبيض العام المصون  
من العبار ونحوه في الصفاء  
والبياض المحلوط بأدنى صفرة  
فان ذلك احسن الوان الابدان  
( فاقبل بعضهم على بعض  
يتساملون ) معطوف على يطاك  
اى يشر بون فيتصادثون على  
الشراب كما هو عادة الشرب قال  
وما بقيت من اللذات الا  
أحاديث الكرام على المدام  
فيقبل بعضهم على بعض يتساملون  
عن الفضائل والمعارف وعا  
جرى لهم وعليهم في الدنيا  
فالتعبير عنه بصيغة الماضي  
للتأكيد والدلالة على تحقق  
الوقوع حتما ( قال قائل منهم ) في  
تضاعيف محاوراتهم ( اى كانلى )  
في الدنيا ( قرن ) مصاحب ( يقول )  
لى على طريقة لتوضيح بما كنت  
عليه من الايمان والتصديق  
بالبعث ( أنك لمن المصدقين )  
اى بالبعث وقرى بنشديد  
الصاد من التصديق والاول هو  
الاوفى لقوله تعالى ( أنذمتنا  
وكنا ترابا وعظاما أُنْذِمْتُونِ )  
اى لمبعوثون ونجيز بون من الدين  
بمعنى الجزاء اولموسون يقال  
دانه اى ساسه ومنه الحديث  
العاقل من دان نفسه وقيل كان  
رجل تصدق بماله لوجه الله  
تعالى فاحتاج فاستجدى بعض  
اخوانه فقال أين مالك هل  
تصدقت به ليعوضنى الله

انهم يتيقنون دوامه لا كرزق الدنيا الذى لا يعلم متى يحصل ومتى يقطع وقيل معناه انه  
القدر الذى يستحقونه بأعمالهم من ثواب الله وكرامته عليهم وقدين الله تعالى انه يعطيهم  
غير ذلك على سبيل التفضل ثم لما ذكر تعالى ان لهم رزقا بين ان ذلك الرزق ماهو فقال فواكه  
وفيه قولان ( الاول ) ان الفا كلمة عبارة عما يؤكل لاجل التلذذ لا لاجل الحاجة وازراق  
اهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات فانهم أجسام محكمة  
مخلوقة لا يبدفكل ما يأكلونه فهو على سبيل التلذذ ( والثانى ) ان المقصود من ذكر الفا كلمة  
التنبية بالادنى على الاعلى يعنى لما كانت الفا كلمة حاضرة أبدا كان الادام اولى بالحضور  
والقول الاول اقرب الى التحقيق واعلم انه تعالى لما ذكر الاكل بين ان ذلك الاكل حاصل  
مع الاكرام والتعظيم فقال وهم مكرمون لان الاكل الخالى عن التعظيم يليق بالبهائم ولما  
ذكر تعالى مأكولهم وصف تعالى مساكنهم فقال فى جنات النعيم على سرر متقابلين  
ومعناه انه لا كلفة عليهم فى التلاقي للانس والتخاطب وفى بعض الاخبار انهم اذا أرادوا  
القرب سار السرير تحتهم ولا يجوز ان يكونوا متقابلين الامع حصول الخواطر والسرائر  
ولن يكونوا كذلك الامع الفسحة والسعة ولا يجوز ان يسمع بعضهم خطاب بعض و يراه  
على بعد الابان يقوى الله ابصارهم واسماعهم واصواتهم ولما شرح الله صفة المأكل  
والمسكن ذكر بعده صفة التراب فقال يطاف عليهم بكأس من معين يقال للزجاجة التى  
فيها الخمر كأسا وتسمى الخمرة نفسها كأسا قال \* وكأس شربت على لذة \* وعن الاخفش  
كل كأس فى القرآن فهى الخمر وقوله من معين اى من شراب معين او من نهر معين المعين  
ماخوذ من عين الماء اى يخرج من العيون كما يخرج الماء وسمى معينا لظهوره يقال فان  
الماء اذا ظهر جاريا قاله تلعب فهو مفعول من العين نحو مبيع ومكيل وقيل سعى معينا  
لانه يجرى ظاهر العين ويجوز ان يكون فيعلا من العين وهو الماء الشديد الجرى ومنه  
أمعن فى المسير اذا استند فيه وقوله بيضاء صفة للخمر قال الاخفش خبر الجنة اشد بياضا  
من اللبن وقوله لذة فيه وجوه ( احدها ) انها وصفت باللذة كأنها نفس اللذة وعينها كما  
يقال فلان جود وكرم اذا أرادوا المبالغة فى وصفه بهاتين الصفتين ( وثانيها ) قال الزجاج  
اى ذات لذة فعلى هذا حذف المضاف ( وتالها ) قال الليث اللذ والذيد يجريان مجرى  
واحد فى النعت ويقال شراب لذ ولذيد قال تعالى بيضاء لذة للشاربين وقال تعالى من خمر  
لذة للشاربين ولذلك سمي النوم لذة الاستلذاذه وعلى هذا لذة بمعنى لذية والاقرب من هذه  
الوجوه الاول ثم قال تعالى لافيه غول وفيه اباحت ( البحث الاول ) قال الفراء العرب  
تقول ليس فيها غيلة وغائلة وغول سواء وقال ابو عبيدة الغول ان يقتال عقولهم  
وانشد قول مطيع بن ابياس

وما زالت الكأس تغتالهم \* وتذهب بالاول الاول

وقال الليث الغول الصداق والمعنى ليس فيها صداق كما فى خبر الدنيا قال الواحدى

تعالى في الآخرة خيرا منه فقال أئتتك لمن المصدقين ( ١٤٣ ) بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا فيكون

التعرض لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما حيثئذ لتأكيد انكار الجراء المبني على انكار البعث (قال) اي ذلك القاتل بعد ما حكي جلسائه مقالة قرينه في الدنيا (هل انتم مطلعون) اي الى اهل النار لا ريبكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه وقيل القاتل هو الله تعالى او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لا ريبكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم قيل ان في الجنة كوى ينظر منها اهلها الى اهل النار (فاطلع) اي عليهم (فراه) اي قرينه (في سواء الحميم) اي في وسطها وقرئ فاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرئ فاطلعون فاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرئ فاطلعون فاطلع على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع اما ايضا او عرض عليهم الاطلاع فقبلوا ما عرضنه فاطلع هو بعد ذلك وان جعل الاطلاع متعديا فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم كما هو ديدن الجلساء فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون اراد مطلعون اي في موضع المتصل موضع المنفصل كقوله

هم الفاعلون الخير والاثمونه اوشبه اسم الفاعل بالمضارع لما بينهما من التماثل (قال) اي القاتل مخاطبا لقرينه (تالله ان كنت لتردين) اي لتهلكي بالاغواء وقرئ لتغوين والهاء فيه معنى التجنب وان هي المحففة من وان ضمير الشأن الذي هو اسمها

رحمه الله وحقيقته الاهلاك يقال غاله غولا اي اهلكه والغول المهالك ثم سمي الصداغ غولا لانه يؤدي الى الهلاك ثم قال تعالى ولا هم عنها ينزفون وقرئ بكسر الزاي قال القراء من كسر الزاي فله معنيان يقال انزف الرجل اذا نفذت خبرته وانزف اذا ذهب عقله من السكر ومن قبح الزاي فغناه لا يذهب عقولهم اي لا يسكرون يقال نزف الرجل فهو منزوف وتزيف والمعنى ليس فيها قط نوع من انواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من صداغ او خمار او عريدة ولا هم يسكرون ايضا وخصه بالذكر لانه اعظم المفاسد في شرب الخمر ولما ذكر الله تعالى صفة مشروبهم ذكر عقبيه صفة متكوحهم من ثلاثة اوجه (الاول) قوله وعندهم قاصرات الطرف ومعنى القصير في اللغة الحبس ومنه قوله تعالى حور مقصورات في الخيام والمعنى انهن يحبسن نظرهن ولا ينظرن الى غير ازواجهن (الصفة الثانية) قوله تعالى عين قال الزجاج كبار الاعين حسانها واحدها عيناء (الصفة الثالثة) قوله تعالى كأنهن بيض مكنون المكنون في اللغة المستور يقال كننت الشيء واكننته ومعنى هذا التشبيه ان ظاهر البيض باض يشوبه قليل من الصفرة فاذا كان مكنونا كان مصونا عن القبرة والفترة فكان هذا اللون في غاية الحسن والعرب كانوا يسمون النساء بيضات الخدود ولما تم الله صفات اهل الجنة قال فأقبل بعضهم على بعض يتسألون فان قيل على اي شيء عطف قوله فأقبل بعضهم على بعض يتسألون قلنا على قوله يطاق عليهم والمعنى يشربون ويتحدثون على الشرب قال الشاعر وما بقيت من الذات الا \* محادثة الكرام على المدام

والمعنى فيقبل بعضهم على بعض يتسألون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا قوله تعالى (قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول أئتتك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدنيون قال هل انتم مطلعون فراه في سواء الحميم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين أئما نحن بميتين الاموتنا الاولى وما نحن بمعدين ان هذا لهو الفوز العظيم لئلا هذا فليعمل العاملون) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى كما ذكر في اهل الجنة انهم يتسألون عند الاجتماع على شرب خمر الجنة فان محادثة العقلاء بعضهم مع بعض على الشرب من الامور اللذيذة وتذكر الخلاص عند اجتماع اسباب الهلاك من الامور اللذيذة ذكر تعالى في هذه الآية ان اهل الجنة اذا اجتمعوا على الشرب وأخذوا في المكاملة والمساءلة كان من جملة تلك الكلمات انهم يتذكرون انهم كان قد حصل لهم في الدنيا ما يوجب لهم الوقوع في عذاب الله نعم انهم تخلصوا عنه وفازوا بالسعادة الابدية والمقصود من ذكر هذه الاشياء ان اهل الجنة يتكامل سرورهم وبهجتهم اما قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين اي قال قائل من اهل الجنة اني كان لي قرين في الدنيا يقول أئتتك لمن المصدقين اي كان يوبخني على التصديق بالبعث والقيامة ويقول تبجبا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدنيون اي

لمحاسنون ومجازون والمعنى ان ذلك القرين كان يقول هذه الكلمات على سبيل الاستنكار ثم ان ذلك الرجل الذى هو من اهل الجنة يقول جلسائه يدعوهن الى كمال السرور بالاطلاع الى البار لمشاهدة ذلك القرين ومخاطبته هل انتم مطلعون فاطلعوا والا قرب انه تكلف امرا اطلع معه لانه لو كان مطلعاً لا تكلف لم يكن الى اطلاعه حاجة فلذلك قال بعضهم انه ذهب الى بعض اطراف الجنة فاطلع عندها الى البار فرآه في سواء الحجيم اى في وسط الحجيم قال له موبخاً تالله ان كدت لتردين اى تهلكنى بدعائك اياى الى انكار البعث والقيامة ولولا نعمة ربي بالارشاد الى الحق والعصمة عن الباطل لكنت من المحضرين فى النار منك ولما تم ذلك الكلام مع الرجل الذى كان فى الدنيا قريباً له وهو الآن من اهل البار عاد الى مخاطبة جلسائه الذين هم من اهل الجنة فقال أما نحن بمبين وفيه قولان (الاول) ان اهل الجنة لا يعلمون فى اول دخولهم فى الجنة انهم لا يموتون فادابجى بالموت على صورة كبش الملح وذبح فصد ذلك يعلمون انهم لا يموتون فلعل هذا الكلام حصل قبل ذبح الموت (والثانى) ان الذى يتكامل خيره وسعاده فاذا عظم تعجبه بها قد يقول أيوم هذا الى ابقى هذا الى وان كان على يقين من دوامه ثم عند فراغهم من هذه المباحث يقولون ان هذا هو الفوز العظيم واما قوله لمل هذا فليعمل العاملون فقيل انه من بقية كلامهم وقبل انه ابتداء كلام من الله تعالى اى لطلب مل هذه السعادات يجب أن يعمل العاملون (المسئلة الثانية) قال بعضهم المراد من هذا القائل ومن قريبه ما ذكره الله تعالى فى سورة الكهف فى قوله واضرب لهم مثلا رجلين الى آخر الآيات وروى ان رجلين كانا شريكين فحصل لهما مائة آلاف دينار فقال احدهما للآخر أقاسمك قاسمى واشترى داراً ألف دينار فأراها صاحبه وقال كيف ترى حسنها فقال ما احسنها فخرج وقال اللهم ان صاحبى هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار وانى أسألك داراً من دور الجنة فتصدق بألف دينارم ان صاحبه تزوج بامرأة حسناء بألف دينار فتصدق هذا بألف دينار لاجل ان يزوجه الله من الحور العين ثم ان صاحبه اشترى سائتين بألف دينار فتصدق هذا بألف دينارم ان الله اعطاه فى الجنة ما طلب فعند هذا قال انه كان لى قرين فاطلع فرآه فى سواء الحجيم (المسئلة الثالثة) قوله أنتك لمن المصدقين أنذا متنا وكنا تراباً وعظماً أننا لمدنيون اختلفت القراء فى هذه الاستفهامات الثلاث قرأنا فى الاولى ولما يه بالاستفهام بهمة غير ممدودة والثانية كسر الالف من غير استفهام ووافق السامى الا انه يستههم باله بمرتتين وقرأ ابن عامر الاولى والثالثة بالاستفهام بمرتتين والثانية كسر الالف من غير استفهام وقرأ الباكون بالاستفهام فى جميعها م اخافوا من كبير يستههم بهمة واحدة غير مطولة وبعدها ياء ساكنة خفيفة واوعرو دونه وعاصم وجره بمرتتين واما قوله ان كدت لتردين قرأنا فى برواية رش لتردينى بابات ياء فى الوصل ولبقون بحذفها (المسئلة الرابعة) احتج اصحابنا على ان الهدى

(والضلال)

[illegible]



رَأْدَكَ خَيْرَ رَأْيٍ أَمْ سَجَرَةُ الرُّومِ ( ١٤٥ ) أَصْلُ النَّزْلِ الْفَضْلُ وَالرَّيْعُ فَاسْتَعْبِرَ لِلْحَاصِلِ مِنَ السَّيِّئِ فَاتَّصَبَهِ عَلَى الْخِيَذِ أَيْ ذَلِكَ لَرَقِ

المعلوم الذي حاصله الله  
والسرور خير زلا أم سجرة  
الزقوم التي حاصلها الألم والمعنى  
ويقال النزل لما يقام ويهيم من  
الطعام الحاضر للدارل فاصحابه  
على الخالصة والمعنى ان الرزق  
المعلوم نزل اهل الجنة واهل  
النار لهم شجرة الزقوم فأهلها  
حيرى كونه زلا أم الزقوم اسم  
شجرة صغيرة الورق دهرة مرة  
كرهية الرائحة تكون في تهامة  
سميت به السجرة الموصوفة (أما  
جعلها فتنه للظالمين المحنة وعدايا  
لهم في الآخرة وأبلاء في الدنيا  
فإنهم لم يسمعوا أنها في النار فلو  
كيف يمكن ذلك والنار تحرق  
السجور ولم يعلموا ان من قدر على  
خلق حوام يعيش في النار  
ويتلذذ بها أفدّر على خلق السجور  
في النار وحطه من الاحراق (أما  
سجرة تخرج في أصل السجيم)  
منتهى في فقرهم واعصاها  
ترفع إلى دركاتها وقرى ياتدق  
أصل السجيم (طلعها) أي حياها  
الذي يخرج منها مستعار من طلع  
الخصب المشار كنهه في الشكل  
والطلوغ من الشجر فالوا أول  
المر طلع ثم حلال ثم بلح ثم سر  
ثم رطب ثم تمر (كأنه رؤس  
السياطين) في تهاى الفخ والاهول  
وهو تشبيه التحليل كتشبيه العائق  
في الحسن بالمان وقيل الشياطين  
حيات الهائلة القبيحة المطر لها  
أعراف وقيل ان سجرها يعال له  
الاستنق حششا منتبأ مرا مسكر  
الصورة لسمى عمره رؤس  
لشياطين (فإنهم لا يسمون بها)  
أي من أجرة ومن طاعها بالثابت  
تسبب من لمصا له (تأنون  
بالبطون) ألبه الموع أو لا تقهر  
على أكلها أو كرها هوها ليكون

والضلال من الله تعالى بقوله تعالى ولولا نعمتي ربى لكنت من المحضرين وقالوا مذهب  
الخصم ان كل ما فعله الله تعالى من وجوه الانعام في حق المؤمن فقد فعله في حق الكافر  
واذا كان ذلك الانعام مشتركا فيه امتنع ان يكون سببا لحصول الهداية للمؤمن وان يكون  
سببا لخلاصه من الكفر والردى فوجب ان تكون تلك النعمة المخصوصة امرا زائدا  
على تلك الانعامات التي حصل الاشتراك فيها وما ذلك الا بقوة الداعي الى الايمان  
وتكميل الصارف عن الكفر (المسئلة الخامسة) احتج نفاة عذاب القبر بقول الرجل  
الذى من اهل الجنة أأنا نحن ببيتين الاموتنا الاولى فهذا يدل على ان الانسان لا يموت الا  
مرة واحدة ولو حصلت الحياة في القبر لكان الموت حاصلًا مرتين (والجواب) ان قوله الا  
موتنا الاولى المراد منه كل ما وقع في الدنيا والله اعلم \* قوله تعالى (اذلك خير زلا أم شجرة  
الزقوم انا جعلناها فتنه للظالمين انها سجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كأنه رؤس  
الشياطين فإنهم لا يكون منها فالتون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من جحيم ثم ان  
مرجعهم الى الجحيم انهم القوا آباءهم ضالين فهم على انارهم يهرعون ولقد فضل قبلهم  
اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المذنبين الا عباد الله  
المخلصين (اعلم انه تعالى لما قال بعد ذكر اهل الجنة ووصفها لمل هذا فليعمل العاملون  
اتبه بقوله اذلك خير زلا أم شجرة الزقوم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يورد  
ذلك على كفار قومه ليصير ذلك زاجرا لهم عن الكفر وكما وصف من قبل ما كل اهل الجنة  
ومشاربهم وصف أيضا في هذه الآية ما كل اهل النار ومشاربهم \* اما قوله اذلك خير زلا  
أم شجرة الزقوم فالمعنى ان الرزق المعلوم المذكور لاهل الجنة خير زلا أى خير حاصلًا أم  
شجرة الزقوم واصل النزل الفصل الواسع في الطعام يقال طعام كبير النزل فاستعبر للحاصل  
من السى ويقال أرسل الأمير الى فلان زلا وهو السى الذى يصلح حال من ينزل بسببه اذا  
عرفت هذا فقوله حاصل الرزق المعلوم لاهل الجنة اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم  
الألم والمعنى معلوم انه لائسنة لاحدهما الى الآخر في الخيرة الا انه جاء هذا الكلام اما  
على سبيل السخرية بهم اولاجل ان المؤمنين لما اختاروا ما وصلهم الى الرزق الكريم  
والكافرين اختاروا ما وصلهم الى العذاب الاليم فقبل لهم ذلك توبخا لهم على سوء  
اختيارهم واما الزقوم فقال الواحدى رحمه الله لم يذكر المفسرون للزقوم تفسيرًا الا  
الكافى فانه روى انه لما نزلت هذه الآية قال ابن الزبيرى اكنز الله في بيوتكم الزقوم  
فان اهل البين يسمون الثمر والزبد بالزقوم فقال ابو جهل لجاريته زقينًا فأتته بزبد وتمر  
وقال ترقوا ثم قال الواحدى ومعلوم ان الله تعالى لم يرد بالزقوم ههنا الزبد والتمر قال ابن  
دريد لم يكن للزقوم استقاق من الترق وهو الافراط من اكل السى حتى يكره ذلك يقال  
مات فلان يترقم وظاهر لفظ القرآن يدل على انها شجرة كرهية الطعم منتنة الرائحة شديدة  
الخسوبة موصوفة بصفات كل من تناولها عظم من تناولها ثم انه تعالى يكره اهل النار على

ذلك فانهم المذاب (ثم ان لهم عليها) على السجرة التي ملأها منها (١٩) (را) (سا) لظونهم اعدا مسبوعا منها وعلمهم الطمس وطال استقافهم

كأني عند كلمتهم يجوز أن يكون لما في شرايهم من مزيا الكراهة والبشاعة ( ١٤٦ ) ( لسوا من حرم الزنا من غسافي أو - ايد ١٠٠ )

بما حرم يقطع امعاءهم ونرى بالضم وهو اسم لما يشاب به والاول مصدر سمي به ( فإني مرجعهم ) أي مصيرهم وقد قرئ كذلك ( إلى الجحيم ) لآل دركاتها أو إلى نفسها فإن لزوم والجحيم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقبل الجحيم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي تكذب بها الجحيمون يطوفون فيها وبن جحيم أن يذهب بهم عن مقامهم ومنازلهم في الجحيم إلى شجرة لزوم فيأكلون منها إلى أن يملؤا ثم يسقون من الجحيم ثم يردون إلى الجحيم ويؤيده أنه قرئ ثم إن منقلبهم ( فهم لقوا آباءهم ضالين ) لتعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فتن العذاب بتقليد الآباء في الدين من غير أن يكون لهم ولا لا بأمر شيء ينسك به أصلا أي وجدوهم ضالين في نفس الأمر ليس لهم ما يصلح شبهة فتلاعن صاحب الدليل ( فهم على آثامهم يهرعون ) من غير أن يتدبروا أنهم على الحق أولا مع ظهور كونهم على الباطل بأدنى تأمل والاهراع الأسراع الشديد كأنهم يزعمون ويحتنون حشا على الأسراع على آثامهم وقيل هو اسراع فيه شبه رعدة ( ولقد ضل قبلهم ) أي قبل قومك قرئش ( أكثر الأولين ) من الأمم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى ( ولقد أرسلنا نوحا ومنذرين ) أي أنبياء أولى عدد كثير وذو شأن خطير ينبو اليهم بطلان ما هم عليه وأنذروهم عاقبه الوصية وتكرير القسم لإبراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل من الجنين ( فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ) من الهول والفتنة لما يلتفتوا إلى الأنداد ولم رفعوها لرأسوا الخطاب

أما الرسول الله صلى الله عليه وسلم لكل احد من يمكن من مشاهدة آثامهم وحيث ( الاول )

كان المعنى انهم اهلكوا اهلا كاطليما استثنى منهم المخلصون ( ١٤٧ ) بقوله تعالى (الاعباد الله المخلصين) اي الذين اخلصهم الله تعالى

بتوفيقهم الايمان والعمل بوجوب  
الانذار وقرئ المخلصين بكسر  
اللام اي الذين اخلصوا دينهم  
لله تعالى ( ولقد نادانا نوح  
نوع تفصيل الاجل في اقبل بيان  
احوال بعض المرسلين وحسن  
عائيتهم مفتي ايمان سوء عائنة  
بعض المنذرين حسيا بشر اليه  
بقوله تعالى فانظر كيف كان عائنة  
المنذرين كنوم نوح رآل فرعون  
وقوم لوط ونوح يابن لبيان  
حسن عائيتهم لذن الخادمهم  
لقد تعدى ورويتهم اذ كان شاد  
البر لا يستحق كقوله ونس عائنة  
السلام ووجدت قلبه تسعة نوح الى  
سائر المنص عن بيان والام  
جواب تسعهم معروف وكذا ما  
قوله تعالى (فلهم المبيون) اي  
وبالله اتقوا نوح حين يأس من  
عائيتهم فومه بعدما دناهم اليه  
احقا يود هورا فابندهم دناهم  
الافراد ونور فاجابه حسن  
الاجابة فوالله لم يبيون نحن  
فنه ما حذرسه لا راد كره  
عليه والجم دامل ائمة واليكبر  
ونبيته واليه من اسكرب  
الغضام ) من الفرق وقل من  
ان يد قومه ( وحنانا ذرهم  
الذين ) فحسب حبيب اهلكنا  
الذين في وجب نظام رب الانذر  
على الارض من الكافرين دبارا  
وقد روى انه مات كل من كان معه  
في السفينة غير ابيه وازواجهم  
اوهم الذين بقوا مناسين لحيوم  
القيامة قال فله الناس كاهم  
من ذرة نوح عليه السلام وكان  
له ثلاثة اولاد سام وحام ويافت  
فسم ابوالعرب وفارس والروم  
وحام السود ان من المشرق الى  
المغرب ويافت ابوالترك وباجوج  
وامأجوج ( وتركنا عابه في الآخري ) من لام ( سلام على نوح ) اي هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت

( الاول ) انهم اكلوا منها الشدة الجوع فان قيل وكيف يكونها مع نهاية خشوتها وانتها  
ومرارة طعمها قلنا ان الواقع في الضرر العظيم ربما استروح منه الى ما يقاربه في الضرر  
فاذا جوعهم الله الجوع الشديد فرعوا في ازالة ذلك الجوع الى تناول هذا السوء وان  
كان بالصفة التي ذكرتموها ( الوجه الثاني ) ان يقال الزبانية يكرهونهم على الاكل من  
تلك الشجرة تكميلا لعذابهم \* واعلم انهم اذا شبعوا فحينئذ يشدد عطشهم ويحتاجون الى  
الشراب فعند هذا وصف الله شرابهم فقال ثم ان لهم عليها الشوبا من جيم قال الزجاج  
الشوب اسم عام في كل ما خلط بغيره والحليم الماء الحار المتناهي في الحرارة والمعنى انه اذا  
غلبهم ذلك العطش الشديد سقوا من ذلك الحليم فحينئذ يشوب الزقوم بالحليم وهو ذبال الله منهما  
واعلم ان الله وصف شرابهم في القرآن بأشياء منها كونه غساقا ومنها قوله وسقوا ماء حجيما  
فقطع امعاءهم ومنها ما ذكره في هذه الآية ( فان قيل ) ما الفائدة في كذا ثم في قوله ثم ان لهم  
عليها الشوبا من جيم قلنا فيه وجهان ( الاول ) انهم يملئون بطونهم من شجرة الزقوم وهو  
حار يحرق بطونهم فيعظم عطشهم ثم انهم لا يستقون الا بعد مدة مديدة والغرض تكميل  
التعذيب ( والثاني ) انه تعالى ذكر الطعام بتلك البشاعة والكرهية ثم وصف الشراب  
بما هو اشد منه فكان المقصود من تلك ثم بيان ان حال المتروك في البشاعة اعظم من  
حال الماء كونه ثم قال تعالى ثم ان مرجعهم لالى الحليم قال مقاتل اي بعد اكل الزقوم  
وشرب الحليم وهذا يدل على انهم عند شرب الحليم لم يكونوا في الحليم وذلك بان يكون الحليم  
من موضع خارج عن الجعيم فهم يوردون الحليم لاجل التبريد كما تورد الابل الى الماء ثم  
يوردون الى الجعيم فهذا قول مقاتل واخرج على صحته بقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها  
المجرمون يطوفون بينهما وبين جيم ان وذلك يدل على صحته ما ذكرناه ثم انه تعالى لما وصف  
عذابهم في كلهم وشربهم قال انهم افوا آباءهم ضالين فهم على امارهم يهرعون قال  
الفراء الاهراع الاسراع يقال هرع واهرع اذا استحث والمعنى انهم يتبعون آباءهم  
اتباعا في سرعة كأنهم يزعمون الى اتباع آباءهم والمقصود من الآية انه تعالى علل  
استحقاقهم للوقوع في تلك الشدة كما يتقليد الآباء في الدين وترك اتباع الدليل ولولم  
يوجد في القرآن آية غير هذه الآية في ذم التقليد لكفى . سماته تعالى ذكر لرسوله ما وجب  
التسليم له في كفرهم ونكذبيهم فقال ولقد ضل قبلهم اكثر لاوين ولقد ارسلنا فيهم  
منذرين فبين تعالى ان رساله للرسول قد تقدم والتعذيب لهم قد سلف ويجب ان يكون له  
صلى الله عليه وسلم أسوة بهم حتى يصبر كما عبروا ويستمر على الدعاء الى الله وان تمردوا فليس  
عليه الابلاغ ثم قال تعالى فانظر كيف كان عاقبة الذين وهذا وان كان في الظاهر  
خطابا مع ان رسول صلى الله عليه وسلم ان المقصود منه خطاب الكفار لانهم سمعوا  
بالاخبار جمع ما جرى من انواع العذاب على قوم نوح وعلى عاد وثمود وغيرهم فان لم  
يعملوا ذلك فلا أقل من ظن وخوف يصح ان يكون زاجرا لهم عن كفرهم \* وقوله تعالى  
وامأجوج ( وتركنا عابه في الآخري ) من لام ( سلام على نوح ) اي هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت

سورة ازلناها والمعنى يسألون عليه لئلا يدعوا له على الدوام ( ١٤٨ ) امذ بعدامة وقيل به قول مقدر اى فعلنا وقبل ممن تركنا معنى

قلنا وقوله تعالى ( فى العالمين ) متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بفساد هذه الخبيثة واستمرارها ابدًا فى العالمين من الملائكة والتقليد جميعا وقوله تعالى ( انا كذلك نجزي المحسنين ) تعليل لما فعل به عليه الصلاة والسلام من التكرمة السنية من اجابة دعائه احسن اجابة وابقاء ذريته وتبعية ذكره الجليل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروذين بالاحسان لراستخفين فيه وان ذلك من قبيل مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك اشارة الى ما ذكر من الكرامات السنية التى وقعت جزاء له عليه الصلاة والسلام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للابذان يعاوى رتبته وبعد منزلته فى الفضل والشرف والكاف متعلقة بما بعدهما من مثل ذلك الجزاء الكامل نجزي الكاملين فى الاحسان لاجزاء ادى منه وقوله تعالى ( انه من عبادنا المؤمنين ) تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما لا يخفى ( ثم اعرفنا الآخرين ) اى المغابرين لنوح واهله وهم كفار قومهم اجمعين ( وان من شيعته ) اى من شايعه فى اصول الدين ( لابراهيم ) وان اخافت فروع شراعتهم ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق كلئ او اكثرى وعن ابن عباس رضى الله عنهما من اهل دينه وعلى سنته او ممن شايعه على التصلب فى دين الله ومصاربة المكذبين وما كان بينهما الانبياء هود وصالح عليهم السلام وكان بن نوح وابراهيم الفان وستائة واربعون سنة ( اذ جار به ) منصوب باذكر او متعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة ( بقلب ) قيل

سورة ازلناها والمعنى يسألون عليه لئلا يدعوا له على الدوام ( ١٤٨ ) امذ بعدامة وقيل به قول مقدر اى فعلنا وقبل ممن تركنا معنى

سليم اى من اقلت الملوب او من العلائق ( ١٤٩ ) الشاغلة من التبتل الى الله عز وجل ومعنى النبىء به ربه اخلاصه ، كانه جاء به  
 مقصدا يراه بطريق التبتل ( ان قال لايه وقومه ماد اتبعون ) بدل  
 من الاول ، ونظر في جوابه اوله  
 اى اى شئ تعبدون ( انك الله  
 دون الله تريدون ) اى تريدون  
 آلهة من دون الله ، فكما اى لافك  
 فقدم المنعول على الفعل للزيادة  
 المنعول له على المنعول به لان  
 الاله متكافئهم بأنهم على افك  
 وباطل في شركهم ويجوز ان  
 يكون افكا متعولا به بمعنى  
 تريدون افكا ثم بقدر الافك  
 بقوله آلهة من دون الله دلالة  
 على انها ف في نفسها لاله الفه  
 او راد بها عبارة بحذف المسافة  
 ويجوز ان يكون حاله معنى افكين  
 ( فظنكم رب العالمين ) اى بمن  
 هو حقيق بالعبادة لكونه ربا  
 للعالمين حتى تركتم عبادته خاصة  
 وانركتم به احسن مخلوقاته واما  
 شككم به اى شئ هو من الاشياء  
 حتى جعلتم الاصنام له اندادا واما  
 فظنكم به مادا يفعل بكم وكيف  
 يعابكم بعد ما عاتم ما عاتم من  
 الاشياء به فظنوا نذرة في  
 اليوم ) قيل كانت له سايه  
 الصلاة والسلام حتى لها نوبة  
 معينة في بعض ساعات الليل  
 فظنوا يعرف هل هي تلك  
 اساعة دهي فاحترت ( فقال  
 في سقيم ) وكان صادقا في ذلك  
 فجعله عذرا في تخلفه عن عبيدهم  
 وغيل اراد ان سقيم القلب كفرهم  
 وقيل نظروا في عالمها اوفى كتبها  
 اوفى احكامها ولا منع من ذلك  
 حيث كان قصده عليه الصلاة  
 والسلام ايهاهم حين ارادوا  
 ان يخبر جوابه عاه الصلاة  
 والسلام الى معيدهم لبركوه  
 فان القوم كانوا نجاه بن فاهوهم  
 انه قد استبدل بأماره

قيل فاما معنى قوله في العالمين قلنا معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا اى لا يخلو  
 احد منهم منها كانه قيل اتبت الله التسليم على نوح وادامه في الملائكة والقلين فيسلبون  
 عليه بكليتهم ثم انه تعالى لما شرح تفاصيل انعامه عليه قال انا كذلك نجزي المحسنين  
 والمعنى انا انما خصصنا نوحا عليه السلام بتلك التشريفات الرفيعة من جعل الدنيا مملوءة  
 من ذريته ومن تبقية ذكره الحسن في السنة جميع العالمين لاجل انه كان محسنا ثم علل  
 كونه محسنا بأنه كان عبدا لله مؤمنا والمقصود منه بيان ان اعظم الدرجات واشرف  
 المقامات الايمان بالله والانقياد لطاعته ( القصة الثانية ) قصة ابراهيم عليه السلام قوله  
 تعالى ( وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لايه وقومه ماد اتبعون  
 انك الله دون الله تريدون فاطنهم رب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال انى سقيم  
 فتولوا عنه مدبرين فرغ الى الهتهم فقال الانا كلون مالكم لا تطلقون فراغ عليهم ضربا  
 باليمين فاقبلوا اليه يرفعون ) في الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) الضمير في قوله من شيعته الى  
 ماذا يعود فيه قولان ( الاول ) وهو الاظهر انه عائد الى نوح عليه السلام اى من شيعته نوح  
 اى من اهل بيته وعلى دينه ومناجده لابراهيم قالوا وما كان بين نوح وابراهيم الانبياء  
 هود وصالح وروى صاحب الكشاف انه كان بين نوح وابراهيم الفان وثمانمائة واربعون  
 سنة ( الثانى ) قال الكلبي المراد من شيعته شيعته لابراهيم بمعنى انه كان على دينه ومناجده فهو  
 من شيعته وان كان سابقا له الاول اظهر لانه تقدم ذكر نوح عليه السلام ولم يتقدم ذكر  
 النبى صلى الله عليه وسلم فعود الضمير الى نوح اولى ( المسئلة الثانية ) العادل في اذما دل  
 عليه قوله وان من شيعته من معنى المشايعة يعنى وان من شايعة على دينه وتقواه حين جاء  
 ربه بقلب سليم لابراهيم اما قوله اذ جاء ربه بقلب سليم فقيه مسائل ( المسئلة الاولى ) في قوله  
 بقلب سليم قولان ( الاول ) قال مقاتل والكلبي يعنى خالص من اشرك وانعنى انه سلم من  
 الشرك فلم يشرك بالله ( والثانى ) قال الاصوليون المراد انه عاش ومات على طهارة القلب  
 من كل دنس من المعاصي فيدخل فيه كونه سليما عن الشرك وعن الشك وعن الغل والغش  
 والحقد والحسد عن ابن عباس انه كان يحب للناس ما يحب لنفسه وسلم جميع الناس من  
 غشه وظلمه واسلم الله تعالى فلم يعد له احدوا واحتج الذاهبون الى القول الاول بانه تعالى  
 ذكر بعد هذه الكلمة انكاره على قومه الشرك بالله وهو قوله اذ قال لايه وقومه ماذا  
 تعبدون واحتج الذاهبون الى القول الثانى بان اللفظ مطابق لا يقيده بصفة دون صفة  
 ويتأكد بانه تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل وكتبنا عاين مع انه تعالى قال الله  
 اعلم حيث يجعل رسالته وقال وكنت ترى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون  
 من المؤمنين فان قيل ما معنى الحمى بقلبه ربه قلنا معناه انما اخلص الله قلبه فكأنه اتخف  
 حضرة الله بذلك القلب ورأيت في التوراة ان الله قال لموسى اجب الهك بكل قلبك واعلم  
 انه تعالى لما ذكر ان ابراهيم جاء ربه بقلب سليم ذكر ان من جملة آمار تلك السلامة ان دعا

في علم النجوم على انه سقيم اى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب ( ١٥٠ ) الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا منها  
فهر بواصنه الى معيدهم وتركوه  
في بيت الاصنام وذلك قوله  
تعالى ( فتولوا عنه مدبرين ) اى  
هاربين خافة العدوى ( فراغ الى  
آلهتهم ) اى ذهب اليها في خفية  
واصله الميل بحيلة ( فقال )  
الاصنام استهزاء ( ألا تأكلون )  
اى من الطعام الذى كانوا  
يضعونه عندها لتبرك عليه  
( ما لكم لاتنطقون ) اى بحوائى  
( فراغ عليهم ) قال مستعلما  
عليهم وقوله تعالى ( ضربا بالبين )  
مصدر مؤكدا لراغ عليهم  
فانه بمعنى ضربهم او لعل مضمر  
هو حال من فاعله اى فراغ عليهم  
يضربهم ضربا وهو الحال منه  
على انه مصدر بمعنى الفاعل اى  
فراغ عليهم ضاربا بالبين اى  
ضربا شديدا قويا وذلك لان  
البين اقوى الحارحتين واشدهما  
وقولا لا تلتفتى قوة الفعل  
وشدته وقيل بالقوة والمثانة كما  
في قوله  
اذا مارية رفعت لمجد  
تلها عرابة بالبين  
اى بالقوة وعلى ذلك مدار تسمية  
الحلف بالبين لانه يفوى الكلام  
ويؤكد وقيل بسبب الحلف  
وهو قوله تعالى وتالله لا أكيد  
اصنامكم ( فأقبلوا البسه ) اى  
المأمورون باحضاره عليه الصلاة  
والسلام بعد ما رجعوا من  
عيدهم الى بيت الاصنام  
فوجدوها مكسورة فسألوا عن  
الفاعل فظنوا انه عليه الصلاة  
والسلام فغله فقيل فأتوا به  
( يرفون ) حال من وادقباوا  
اى يسرعون من زيف النعام  
وقري يزفون من اذف اذا دخل  
في الزيف او من اذفه اى حله  
على الزيف اى يزف بعضهم  
بعضا ويزفون



علم النجوم والاستدلال بمقايستها حرام لان من اعتقد ان الله تعالى خص كل واحد من هذه النجوم بقبولها وبخاصية لاجلها يظهر منه ان مخصوص فهذا العلم على هذا الوجه ليس باطل واما الكذب فقير لازم لانه ذكر قوله اني سقيم على سبيل التعريض بمعنى ان الانسان لا يفتك في اكثر احواله عن حصول حالة متكررة اما في بدنه واما في قلبه وكل ذلك سقم (الوجه السابع) قال بعضهم ذلك القول عن ابراهيم عليه السلام كذبة ورووا فيه حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما كذب ابراهيم الا ثلاث كذبات قلت لبعضهم هذا الحديث لا ينبغي ان يقبل لان نسبة الكذب الى ابراهيم لا تجوز فقال ذلك الرجل فكيف يحكم بكذب الرواة العدول قلت لما وقع التعارض بين نسبة الكذب الى الراوى وبين نسبته الى الخليل عليه السلام كان من المعلوم بالضرورة ان نسبته الى الراوى اولى ثم نقول لم لا يجوز ان يكون المراد بكونه كذبا خبرا شبيها بالكذب (الوجه الثامن) ان المراد من قوله فظفر نظرة في النجوم اي نظره في نجوم كلامهم ومتفرقات اقوالهم فان الاشياء التي تحدث قطعة قطعة يقال انها منجممة اي متفرقة ومنه نجوم الكتابة والمعنى انه لما سمع كلماتهم المتفرقة نظر فيها حتى يستخرج منها حيلة يقدر بها على اقامة عذر لنفسه في الخلف عنهم فلم يجد عدرا احسن من قوله اني سقيم والمراد انه لا بد من ان اصير سقيما كما تقول لمن رأيته على اوقات السفر انك مسافر واعلم ان ابراهيم عليه السلام لما قال اني سقيم تولوا عنه مريضين فتركوه وعذروه في ان لا يخرج اليوم فكان ذلك مراده فراغ الى آلهتهم يقال راغ اليه اذا مال اليه في السر على سبيل الخفية ومنه روغان الثعلب وقوله الانا كاون يعني الطعام الذي كان بين ايديهم وانما قال ذلك استهزاء بها وكذا قوله ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا فاقبل عليهم مستخفيا كما انه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم في معنى ضربهم او فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا وفي قوله باليمين قولان (الاول) معناه بالقوة والشدة لان اليمين اقوى الجارحتين (والثاني) انه اني بذلك الفعل بسبب الحلف وهو قوله تعالى عنه وتالله لا أكيدن اصنامكم ثم قال فاقبلوا اليه يزفون قرأ حجة يزفون بضم الياء والباقون بفتحها وهما لغتان قال ابن عرفة من قرأ بالنصب فهو من زف يزف ومن قرأ بالضم فهو من ازف يزف قال الزجاج يزفون يسرعون واصله من زفيف العامة وهو ابتداء عدوها وقرأ حجة يزفون اي يحملون غيرهم على الزفيف قال الاصمعي يقال ازففت الابل اذا جلستها على ان تزف قال وهو سرعة الخطوة ومقاربة المتى والمفعول محذوف على قراءته كأنهم حملوا دوابهم على الاسراع في المتى فان قيل مقتضى هذه الآية ان ابراهيم عليه السلام لما كسرها سدوا اليه واخذوه وقال في سورة اخرى في عين هذه السورة ترا من سدنا بابها ثم من الذين انزلناهم في بطنهم فذكرهم فقال له ابراهيم وهذا يقتضى انهم في اول الامر مدعوون فينزلون في بطنهم فتنزلون فتنزلون بعد ان يقال ان جنة عرفوه فدعوا اليه مسرعين ولا كثر من ماعرفوه فدفعوا ان ذلك

على البناء للمفعول اي يمسكون على الزفيف يزفون من وزف يزف اذا اسرع يزفون من زفاه اذا حسده كأل بعضهم يرفو بعضا لتسارعهم اليه عليه الصلاة والسلام (قال) اي بعد ما تولى عليه الصلاة والسلام وجرى بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم من المحاورات ما نطق به قوله تعالى فالوا انك ضلت هذا باقية ابراهيم الى مولد تسال لفد غلت ما هؤلاء ينطقون (تعبدون ما تقتون) ما تخشونه من الاصنام وقوله تعالى والله خلقكم وما تعملون (حال من فاعل تعبدون مؤكدة للاستحسان والتوضيح اي والحال انه تعالى خلقكم وخلق ما تعملونه فان حواهر اصنامهم وما تدبوا بخله تعالى وسكانها وان كان بفعلهم لكنه باقداره تعالى اياهم عليه وحده ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والامدود الاسباب وما تعملون لما عايناه من الاصنام فوضعه موضع ضمير ما تقتون الذين بان محذوفها الله عز وجل ليس من حيب نعمهم لها ففطبل من حيث سائر اعمالهم ايضا من التصوير والعمليّة والتزيين ونحوها واما على عومه فينظم الاصنام انتظاما اوليا مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان ان جسد ما يعملونه كأشياء ما كان مخلوقا سبحانه وفيل ما مصدرية اي علمكم على انه بمعنى المفعول وقبل بعينه فان زاهم اذا كان بخافي الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك (فالوا بانوا) يعنيانا فالقوة في الجمع (اي في الامار لشدة الاتعاد من السجدة



وهي شدة التاج واللام عوض من المضاف اليه اي جميع ذلك البيان ( ١٥٢ ) يردد ذكر كفيه بآيهم له في سورة الانبياء ( فارادوا به كرا

الكاسر من هو والله اعلم \* قوله تعالى ( قال أتعدون ما تحتون والله خلفكم وما تعملون قالوا ابناؤه بنينا قالقوه في الجحيم فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين وقال اني ذاهب الى ربى سيهدين رب هبلى من الصالحين فبشرناه بعلام حلیم ) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان القوم لما عاتبوا ابراهيم على كسر الاصنام فهو ايضا ذكر لهم الدليل الدال على فساد المصير الى عبادتها فقال اتعيدون ما تحتون والله خلقكم وما تعملون ووجه الاستدلال ظاهر وهو ان الخشب والججر قبل النحت والاصلاح ما كان معبودا للانسان البتة فاذا نحتته وشكله على الوجه المخصوص لم يحدث فيه الا آثار تصرفه فلو صار معبودا عند ذلك لكان معناه ان النسي الذي ما كان معبودا لما حصات آثار تصرفاته فيه صار معبودا عند ذلك وفساد ذلك معلوم ببديهة العقل (المسئلة الثانية) احتج جمهور الاصحاب بقوله والله خلقكم وما تعملون على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى فقالوا النخبون اتفقوا على ان لفظ مامع مابعد في تقدير المصدر فقوله وما تعملون معناه وعلمكم وعلى هذا التقدير صار معنى الآية والله خلقكم وخلق علمكم فان قيل هذه الآية حجة عليكم من وجوه (الاول) انه تعالى قال اتعيدون ما تحتون اضاف العباداة والنحت اليهم اضافة الفعل الى الفاعل ولو كان ذلك واقعا بتخليق الله لاستحال كونه فعلا لعدم (الثاني) انه تعالى انما ذكر هذه الآية توبيخا لهم على عباداة الاصنام لانه تعالى بين انه خالقهم وخالق لتلك الاصنام والخالق هو المستحق للعبادة دون المخلوق فذتركوا عبادته سبحانه وهو خالقهم وعبدوا الاصنام لاجرم انه سبحانه وتعالى وبخهم على هذا الخطأ العظيم فقال اتعيدون ما تحتون والله خلقكم وما تعملون ولولم يكونوا فاعلين لافعالهم لما جاز توبيخهم عليها سلما ان هذه الآية ليست حجة عليكم لكن لانسل منها حجة لكم قوله لفظة مامع مابعدا في تقدير المصدر قلنا هذا ممنوع وبيانه ان سيويه والاخفش اختلفا في انه هل يجوز ان يقال اعجنى ماقت اي قيامك فجوزه سيويه ومنعه الاخفش وزعم ان هذا لا يجوز الا في الفعل المتعدى وذلك يدل على ان مامع مابعدا في تقدير المفعول عند الاخفش سلما ان ذلك قديكون بمعنى المصدر لكنه ايضا قديكون بمعنى المفعول ويدل عليه وجوه (الاول) قوله اتعيدون ما تحتون والمراد بقوله ما تحتون المنحوت لان النحت لانهم ما عبدوا النحت وانما عبدوا المنحوت فوجب ان يكون المراد بقوله ما تعملون المعمل لا العمل حتى يكون كل واحد من هذين اللفظين على وفق الآخر ( الثاني ) انه تعالى قال فاذا هي نلقف مايا فكون وليس المراد انما تلقف نفس الافك بل اراد العصي والحبال التي هي متعلقات ذلك الافك فكذا ههنا (الثالث) ان العرب تسمى محل العمل عملا يقال في الباب والخاتم هذا عمل فلان والمراد محل عملهم بهذه الوجوه الثلاثة ان لفظة مامع مابعدا كما تجيء بمعنى المصدر فقد تجيء ايضا بمعنى المفعول فكان جله ههنا على المفعول اولى لان المقصود في هذه الآية تزييف مذهبهم في

فانه عليه الصلاة والسلام لما قهرهم بالحجة والقهم الججر قصدوا ما قصدوا لثلا يظهر للعامه عجزهم ( فجعلناهم الاسفلين ) الادلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه عليه الصلاة والسلام يجعل النار عليه بردا وسلاما ( وقال اني ذاهب الى ربى ) اي مهاجر الى حيث امرني ربى كما قال اني مهاجر الى ربى وهو الشام اولى حيث اتجرده فيه لعبادته تعالى (سيهدين) اي الى ما فيه صلاح ديبى اولى مقصدي وت القول بذلك لسبق الوعد او لمرط توكلوا والبناء على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربى ان يني سوا السبل ولذلك ان يصيعة التوفع (رب هبلى من الصالحين) اي بعض الصالحين يني على الدعوة والطاعة ويؤنس في العربية يعنى الولد لال لفظ الهبة على الاطلاق حاصبه وان كان قدورد مقيدا بالاخوة في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا وقلوله تعالى (فايدبر نادى بلام حلیم) نادى صريح في ان المشرية عين ماستوهم عليه الصاذه والسلام واندفع فيه بشارات حدث بشارة انه علام وانه يلاح أو اوال الملم وانه يكون حليما وامى حل بعدل حله عليه الصلاة والسلام حين عرض عليه ابوه الذبح فقال يا انت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين وتيل ما نعت الله لانياء عليهم الالة السلام بأفعل مما نعتهم بالملعة وودع غير ابراهيم وابنه نعتا على نعتيهما وحالهما السكية بعد عدل الله بدك والقاه في قوله تعالى

عبادة الاصنام لا بيان انهم لا يوجدون افعال أنفسهم لان الذي جرى ذكره في اول الآية الى هذا الموضع هو مسألة عبادة الاصنام لاخلق الاعمال واعلم ان هذه السؤالات قوية وفي دلائلنا كثيرة فالاولى ترك الاستدلال بهذه الآية والله اعلم واعلم ان ابراهيم عليه السلام لما اورد عليهم هذه الحجّة القوية ولم يقدرُوا على الجواب عدلوا الى طريق الايذاء فقالوا ابنوا له بيوتا واعلم ان كيفية ذلك البناء لا يدل عليها لفظ القرآن قال ابن عباس بنوا حائطاً من حجر طوله في السماء ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وملؤه ناراً فطرحوه فيها وذلك هو قوله تعالى فألقوه في الجحيم وهي النار العظيمة قال ائرجاج كل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم والالف واللام في الجحيم بدل على النهاية والمعنى في جميعه اى في جميع ذلك البنين ثم قال تعالى فارادوا به كيداً فجعلناهم الاسفلين والمعنى ان في وقت الحاجة حصلت الغلبة له وعندما ألقوه في النار صرف الله عنه ضرر النار فصار هو الغالب عليهم واعلم انه لما انقضت هذه الواقعة قال ابراهيم اتي ذاهب الى ربى سيهدين ونظير هذه الآية قوله تعالى وقال اتي مهاجر الى ربى وفيه مسائل (المسئلة الاولى) دلت هذه الآية على ان الموضع الذى تكثر فيه الاعداء تجب مهاجرته وذلك لان ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه مع ان الله سبحانه خصه بأعظم انواع النصرة لما احسن منه بالعداوة الشديدة هاجر من تلك الديار فلان يجب ذلك على الغير كان اولى (المسئلة الثانية) في قوله اتي ذاهب الى ربى قولان (الاول) المراد منه مفارقة تلك الديار والمعنى اتي ذاهب الى مواضع دين ربى (والقول الثانى) قال الكلبي ذاهب بعبادتي الى ربى فعلى القول الاول المراد بالذهاب الى الرب هو الهجرة من الديار وبه اقتدى موسى حيث قال كلا ان معى ربى سيهدين وعلى القول الثانى المراد رعاية احوال القلوب وهو ان لا يأتى بنى من الاعمال الا لله تعالى كما قال وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض قبل ان القول الاول اولى لان المقصود من هذه الآية بيان مهاجرته الى ارض الشام وايضا بعد حمله على الهداية في الدين لانه كان على الدين في ذلك الوقت الا ان يحمل ذلك على الثبات عليه أو يحمل ذلك على الاهتداء الى الدرجات العالية والراتب الرفيعة في امر الدين (المسئلة الثالثة) قوله سيهدين يدل على ان الهداية لا تحصل الا من الله تعالى كما يقول اصحابنا ولا يمكن حل هذه الهداية على وضع الادلة وازاحة الاعذار لان كل ذلك قد حصل في الزمان الماضى وقوله سيهدين يدل على اختصاص تلك الهداية بالمستقبل فوجب حل الهداية في هذه الآية على تحصيل العلم والمعرفة في قلبه فان قيل ان ابراهيم عليه السلام جزم في هذه الآية بأنه تعالى سيهديه وان موسى عليه السلام لم يجزم به بل قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل فما الفرق قلنا العباد اذا تجلى له مقامات رحمة الله فقد يجزم بحصول المقصود واذا تجلى له مقامات كونه غنيا عن العالمين فحينئذ يستحق نفسه فلا يجزم بل لا يظهر الا الرجاء والطمع (المسئلة الرابعة) قوله تعالى اتي ذاهب الى ربى يدل على فساد تمسك

( فلما بلغ معه السعى )  
فصيحة معربة عن مقدر قد  
حذف تعويلا على شهادة الحال  
وايدنا بعدم الحاجة الى التصريح  
به لاستحالة التخلف والتأخر  
بعد البشارة كما مر في قوله  
تعالى فلما رأينه اكرهه وفي  
قوله تعالى فلما رأه مستقرا  
عده اى فوهبنا له فنشأ فلما  
بلغ رتبة ان يسرى معه في  
اشغاله وحوادثه ومعه متعلق  
بمخدوف يبنى عنه السعى  
لا بنفسه لان صلة المصدر  
لا تتقدم ولا يبلغ لان بلوغهما  
لم يكن معا كانه لما ذكر  
السعى قيل مع من فقيل معه  
وتخصيصه لان الاب اكل  
في الرفق والاستصلاح فلا  
يسنعه قبل أو انه اولانه  
استوهبه لذلك وكان له يومئذ  
ثلاث عشرة سنة ( قال ) اى  
ابراهيم عليه السلام (يا بنى اتي  
ارى في المنام اتي اديحك )  
اى ارى هذه الصورة بعينها  
او ما هذه عبارته وأوله وقيل  
انه رأى ليلة التروية كأن قائلا  
يقول له ان الله يأمرك بالبحر ايهك  
هذا فلما اصبح روى في ذلك  
من الصباح الى الرواح أمن الله  
هذا الحلم ام من الشيطان  
فن نمه سعى يوم التروية فلما  
امسى رأى مثل ذلك ففرق  
انه من الله تعالى فن نمه سعى  
يوم عرفة ثم

المشبه بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب لان كلمة الى موجودة في قوله اني ذاهب الى  
 ربي مع انه لم يلزم ان يكون الاله موجودا في ذلك المكان فكذلك ههنا واعلم انه صلوات  
 الله عليه لما هاجر الى الارض المقدسة اراد الولد فقال هب لي من الصالحين اي هب لي  
 بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب في الولد وان كان قد جاء في الاخ في قوله  
 تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب ووهبنا  
 له يحيى وقال علي بن ابي طالب لابن عباس رضي الله عنهم حين هياه بولده علي ابي الاملاك  
 شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله تعالى وبهبة  
 الوهاب وبموهوب ووهب واعلم ان هذا الدعاء اشتمل على ثلاثة اشياء على ان الولد  
 غلام ذكر وانه يبلغ الحلم وانه يكون حليما واي حلم يكون اعظم من ولد حين مرضى  
 عليه ابو الذئب قال سجدني ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وايضا فان ابراهيم  
 عليه السلام كان موصوفا بالحلم قال تعالى ان ابراهيم لاواه حليم ان ابراهيم حليم  
 اواه منيب فبين ان ولده موصوف بالحلم وانه قائم مقامه في صفات الترف والفضيلة  
 واعلم ان الصلاح افضل الصفات بدليل ان اخليل عليه السلام طلب الصلاح لنفسه  
 فقال رب هب لي حكما والحقني بالصالحين وطلبه للولد فقال هب لي من الصالحين وطلبه  
 سليمان عليه السلام بعد كمال درجته في الدين والدنيا فقال وادخلني برحمتك في عبادك  
 الصالحين وذلك يدل على ان الصلاح اشرف مقامات العباد \* قوله تعالى (فلما بلغ معه السعي  
 قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابيت افعل ما تأمر من سجدي  
 ان شاء الله من الصابرين فلما اسألوته للجبن ونادياته ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا  
 كذلك نجزي المحسنين ان هذا هو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركا عليه في الآخرين  
 سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من  
 الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ) اعلم انه  
 سبحانه وتعالى لما قال فبشرناه بقلام حليم اتبعه بما يدل على حصول ما بشر به وبلوغه فقال  
 فلما بلغ معه السعي ومعناه فلما ادرك وبلغ الحد الذي يقدر فيه على السعي وقوله معه  
 في موضع الحال والتقدير كما شامعه والقائدة في اعتبار هذا المعنى ان الاب ارفق الناس  
 بالوارد وغيره ربما عذبه في الاستسعاء فلا يحتمل لانه لم تستحكم قوته قال بعضهم كان في ذلك  
 الوقت ابن ثلاث عشرة سنة والمقصود من هذا الكلام ان الله تعالى لما وعده في الآية  
 الاولى يكون ذلك الغلام حليما بين في هذه الآية ما يدل على كمال حلمه وذلك لانه كان به من  
 كمال الحلم وقصيدة الصدر ما قواه على احتمال تلك البلية العنيفة والاتبان بذلك الجواب  
 الحسن اما قوله اني ارى في المنام اني اذبحك فقيهه سائل (المسئلة الاولى) في تفسير هذه  
 الاقطة وجهان (الاول) قال السدي كان ابراهيم حين بشر باسحق قبل ان يولد له قال  
 هو اذن لله ذبح فقبل لابراهيم قد نذرت نذرا فببذرك فلما اصبحت قال يا بني اني ارى في

رأى مثله في الليلة الثالثة فهم  
 بنحره فسمى اليوم يوم النحر  
 وقبل ان الملائكة حين بشرته  
 بسلام حليم قال اذن هو  
 ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد  
 السعي معه قيل له اوف بنذرك  
 \* والانه اشهر من المحاطب  
 اسمعيل عليه السلام اذ هو الذي  
 وهب ان المهاجرة ولان البشارة  
 باسحق تعد معطوف على البشارة  
 بهذا العلام ولقوله عليه الصلاة  
 والسلام انا ابن الذبيحين فأحد هما  
 جده اسمعيل عليه السلام والاخر  
 ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر  
 ان يذبح ولدا ان سهل الله تعالى له  
 حفرة بئر زمزم او باع بنوه عشرة  
 فلما حصل ذلك وخرج السهم على  
 عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك  
 سنت الدية مائة ولا ذلك كان  
 بمكة وكان قرنا الكبش معلقين  
 بالكعبة حتى احترقا في ايام ابن  
 الزبير ولم يكن اسحق معه ولان  
 لشارة اسحق كانت مقرونة بولادة  
 يعقوب فلا يناسبه الامر ببذبح  
 مراهما وما روى انه عليه الصلاة  
 والسلام سئل اي النسب اشرف  
 فقال يوسف صديق الله ابن  
 يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق  
 ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله  
 نال الصبح انه عليه الصلاة

المنام انى اذبحك وروى من طريق آخر انه رأى ليلة التروية فى منامه كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبى ابنك هذا فلما أصبح تروى فى ذلك من الصباح الى الرواح آمن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن سمى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله فسمى يوم عرفة ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره فعسى يوم النحر فهذا هو قول اهل التفسير وهو يدل على انه رأى فى المنام ما يوجب ان يذبى ابنه فى اليقظة وعلى هذا تقدير اللفظ انى ارى فى المنام ما يوجب ان اذبحك (والقول الثانى) انه رأى فى المنام انه يذبىه ورؤيا الانبياء عليهم السلام من باب الوحى وعلى هذا القول فالمرئى فى المنام ليس الا انه يذبى فان قيل اما ان يقال انه ثبت بالدليل عند الانبياء عليهم السلام ان كل مارآه فى المنام فهو حق حجة او لم يثبت ذلك بالدليل عندهم فان كان الاول فلم راجع الولد فى هذه الواقعة بل كان من الواجب عليه ان يشتغل بتحصيل ذلك المأمور وان لا يراجع الولد فيه وان لا يقول له فانظر ماذا ترى وان لا يوقف العمل على ان يقول له الولد افعلى ما تؤمر وايضا فقد قلتم انه بقى فى اليوم الاول متفكرا ولو ثبت عنده بالدليل ان كل مارآه فى النوم فهو حق لم يكن الى هذا التروى والتفكر حاجة وان كان الثانى وهو انه لم يثبت بالدليل عندهم ان ما يروونه فى المنام حق فكيف يجوز له ان يقدم على ذبح ذلك الطفل بمجرد رؤيا لم يدل الدليل على كونها حجة (والجواب) لا يبعد ان يقال انه كان عند الرؤيا مترددا فيه ثم تأكدت الرؤيا بالوحى الصريح والله اعلم (المسئلة الثانية) اختلفوا فى ان هذا الذبيح من هو فقيل انه اسحق وهذا قول عمر وعلى والعباس بن عبد المطلب وابن مسعود وكعب الاحبار وقتادة وسعيد بن جبيرة ومسروق وعكرمة والزهرى والسدى ومقاتل رضى الله عنهم وقيل انه اسمعيل وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي ومجاهدوا لكلى واحتج القائلون بأنه اسمعيل بوجوه (الاول) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين وقال له أعرابى يا ابن الذبيحين فبسم فسئل ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لأنسهل الله له امرها لينحكن احد ولده فخرج السهم على عبد الله ففداه اخواله وقالوا له اذابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والذبيح السانى اسمعيل (الجهة السانية) عن الاصمعى انه قال سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعى ابن عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذى بنى البيت مع ابيه والنحر بمكة (الجهة الثالثة) ان الله تعالى وصف اسمعيل بالصبر دون اسحق فى قوله واسمعيل والبسع وذالك كفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه ايضا بصدق الوعد فى قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد ابا من نفسه الصبر على الذبح فوفى به (الجهة الرابعة) قوله تعالى فبشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فنقول لو كان الذبيح اسحق لكان الامر بذبحه اما ان يقع قبل ظهور يعقوب منذ او بعد ذلك (فالاول) باطل لانه تعالى لما بشرها باسحق وبشره

والسلام قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوى وما روى من ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرئ انى يفتح الياء فيهما (فانظر ماذا ترى) من الراى وانما شاوره فيه وهو امر محتوم ليعلم ما عنده فيمنزل من بارأه الله تعالى فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهن ويكاسب المشوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله ونرى ماذا ترى بضم الماء وكسر الراء وبفتحها مينا المعول (قال يا أبت افعلى ما تؤمر) اى يؤمر به فحذف الجار او الاعلى القاعدة لم تطرده ثم حذف العائد الى الموصول بعد نقله منصوبا بايصاله الى الفعل اوحذف دفعه او فعل أمرك على اضافته المنسدر الى المنعول وتسمية المأسورة أمرا ومرى ما يؤمر به وصيغة المضارع للدلالة على ان الامر متعلق به متوجه اليه مستمر الى حين لا متمثل به (ستجيد ان شاء الله من الصابرين) على الذبح او على نضائه الله تعالى (فلما اسلم) اى استسما لامر الله تعالى ونفادا وخضعا له يقال سلم لامر الله واسلم

معه بأنه يحصل منه يعقوب قبل ظهور يعقوب منه لم يجز الامر بذبحه والاصل الخلف  
في قوله ومن وراء اسحق يعقوب (والثاني) باطل لان قوله فلما بلغ معه السعي قال يا بني  
اني ارى في المنام اني اذبحك يدل على ان ذلك الابن لما قدر على السعي ووصل الى حد  
القدرة على الفعل امر الله تعالى ابراهيم بذبحه وذلك في وقوع هذه القصة في زمان  
آخر ثبت انه لا يجوز ان يكون الذبيح هو اسحق (الحجة الخامسة) حكى الله تعالى عنه انه  
قال اني ذاهب الى ربي سيهدين ثم طلب من الله تعالى ولدا يستأنس به في غربته فقال رب  
هب لي من الصالحين وهذا السؤال انما يحسن قبل ان يحصل له الولد لانه لو حصل له  
ولد واحد لما طلب الولد الواحد لان طلب الحاصل محال وقوله هب لي من الصالحين  
لا يفيد الا طلب الولد الواحد وكلمة من التبعض وأقل درجات البعضية الواحد فكان  
قوله من الصالحين لا يفيد الا طلب الولد الواحد فثبت ان هذا السؤال لا يحسن الا عند عدم  
كل الاولاد فثبت ان هذا السؤال وقع حال طلب الولد الاول واجمع الناس على ان اسمعيل  
مقدم في الوجود على اسحق فثبت ان المطلوب بهذا الدعاء هو اسمعيل ثم ان الله تعالى ذكر  
عقبيه قصة الذبيح فوجب ان يكون الذبيح هو اسمعيل (الحجة السادسة) الاخبار الكثيرة  
في تعليق قرن الكباش بالكعبة فكان الذبيح بمكة ولو كان الذبيح اسحق لكان الذبيح  
بالشام واحتج من قال ان ذلك الذبيح هو اسحق بوجهين (الوجه الاول) ان اول الآية  
وآخرها يدل على ذلك اما اولها فانه تعالى حكى عن ابراهيم عليه السلام قبل هذه الآية انه  
قال اني ذاهب الى ربي سيهدين اجمعوا على ان المراد منه مهاجرة الى الشام ثم قال  
فبشرناه بغلام حلیم فوجب ان يكون هذا الغلام ليس الا اسحق ثم قال بعده فلما بلغ معه  
السعي وذلك يقتضي ان يكون المراد من هذا الغلام الذي بلغ معه السعي هو ذلك الغلام  
الذي حصل في الشام فثبت ان مقدمة هذه الآية تدل على ان الذبيح هو اسحق واما آخر  
الآية فهو ايضا يدل على ذلك لانه تعالى لما تم قصة الذبيح قال بعده وبشرناه باسحق نبيا  
من الصالحين ومعناه انه بشره بكونه نبيا من الصالحين وذكر هذه البشارة عقيب حكاية تلك  
القصة يدل على انه تعالى انما بشره بهذه النبوة لاجل انه تحمل هذه الشدائد في قصة الذبيح  
فثبت بما ذكرنا ان اول الآية وآخرها يدل على ان الذبيح هو اسحق عليه السلام (الحجة  
الثانية) على صحة ذلك ما اشتهر من كتاب يعقوب الى يوسف عليه السلام من يعقوب اسرائيل  
نبي الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فهذا جملة الكلام في هذا الباب وكان  
الزجاج يقول الله اعلم ايها الذبيح والله اعلم واعلم انه يفرع على ما ذكرنا اختلافهم في  
موضع الذبيح فالذين قالوا الذبيح هو اسمعيل قالوا كان الذبيح بمعنى والذين قالوا انه  
اسحق قالوا هو بالشام وقيل بيت المقدس والله اعلم (المسئلة الثالثة) اختلف الناس في  
ان ابراهيم عليه السلام كان مأمورا بهذا بما رأى وهذا الاختلاف مفرع على مسئلة  
من مسائل اصول الفقه وهي انه هل يجوز نسخ الحكم قبل حضور مدة الامثال فقال  
اكثر اصحابنا انه يجوز وقال المعتزلة وكثير من فقهاء الشافعية والحنفية انه لا يجوز

واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن  
جميعا وأصلها من قولك سلم هذا  
لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من  
ان ينازع فيه وقولهم سلم لاسم الله  
وأسلم له متقولا من معناه  
اخلص نفسه لله وجعلها سائلة  
له وكذلك معنى استسلم استخلص  
نفسه له تعالى وعن قتادة رضي الله  
عنه في اسما أسلم ابراهيم ابنه  
واسماعيل نفسه (وتله للجبين)  
صرعه على شقه فوق جبينه على  
الارض وهو واحد جانبي الجبهة  
وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا  
يرى منه ما يورث رقة تحول بينه  
وبين أسمر الله تعالى وكان ذلك  
عند الضخرة من منى وقيل في  
الموضع المشرف على مسجد منى  
وقيل في النحر الذي ينصر اليوم  
فيه (ونادياه ان يا ابراهيم فد  
صدقت الرؤيا) بالعزم على الاتيان  
بالمأمور به وترتيب مقدماته  
وروي انه امر السكين بقوة على  
حلقه مرارا فلم يقطع ثم وضع  
السكين على قفاه فانقلب السكين  
فعد ذلك وقع النداء وجواب لما  
معدو ايذانا بعدم وفاء التعبير  
بتفاصيله كما انه قيل كان ما كان  
مما لا يحيط به نطاق البيان

فعلى القول الاول انه سبحانه وتعالى امره بالذبح ثم انه تعالى نسخ هذا التكليف قبل حضور وقته وعلى القول الثانى انه تعالى ما امره بالذبح وانما امره بمقدمات الذبح وهذه مسألة شريفة من مسائل باب النسخ واحتج اصحابنا على انه يجوز نسخ الامر قبل مجئ مدة الامتثال بأن الله تعالى أمر ابراهيم عليه السلام بالذبح ولده ثم انه تعالى نسخ هذه قبل اقدمه عليه وذلك يفيد المطلوب انما قلنا انه تعالى امره بالذبح الولد لوجهين (الاول) انه عليه السلام قال لولده اتى اذبحك فقال الولد افعل ما تؤمر وهذا يدل على انه عليه السلام كان مأمورا بمقدمات الذبح لا بنفس الذبح ثم انه اتى بمقدمات الذبح وادخلها فى الوجود فحينئذ يكون قد امر بشئ وقد اتى به وفى هذا الموضع لا يحتاج الى الفداء لكنه احتاج الى الفداء بدليل قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم فدل هذا على انه اتى بالمأمور به وقد ثبت انه اتى بكل مقدمات الذبح وهذا يدل على انه تعالى كان قد امره بنفس الذبح واذا ثبت هذا فنقول انه تعالى نسخ ذلك الحكم قبل اثباته وذلك يدل على المقصود وقالت المعتزلة لا نسلم ان الله امره بالذبح الولد بل نقول انه تعالى امره بمقدمات الذبح ويدل عليه وجوه (الاول) انه ما اتى بالذبح وانما اتى بمقدمات الذبح ثم ان الله تعالى اخبر عنه بأنه اتى بما امر به بدليل قوله تعالى وناديانه يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وذلك يدل على انه تعالى انما امره فى المنام بمقدمات الذبح لا بنفس الذبح وتلك المقدمات عبارة عن اضجاعه ووضع السكين على حلقه والعزم الصحيح على الاتيان بذلك الفعل ان ورد الامر (الثانى) الذبح عبارة عن قطع الحلقوم ففعل ابراهيم عليه السلام قطع الحلقوم الا انه كما قطع جزأ ما د الله التأليف اليه فلماذا السبب لم يحصل الموت (الوجه الثالث) وهو الذى عليه تعويل القوم انه تعالى لو امر شخصاً معيناً بايقاع فعل معين فى وقت معين فهذا يدل على ان ايقاع ذلك الفعل فى ذلك الوقت حسن فاذا نهاه عنه فذلك النهى يدل على ان ايقاع ذلك الفعل فى ذلك الوقت قبيح فلو حصل هذا النهى عقيب ذلك الامر لم يزد احد امرين لانه تعالى ان كان عالماً بحال ذلك الفعل لم يزد ان يقال انه امر بالقبيح وانهى عن الحسن وان لم يكن عالماً به لم يكن عالماً به لانه تعالى وانه محال فهذا تمام الكلام فى هذا الباب (والجواب عن الاول) اننا قد دللنا على انه تعالى انما امره بالذبح اما قوله تعالى قد صدقت الرؤيا فهذا يدل على انه اعترف بكون تلك الرؤيا واجب العمل بها ولا يدل على انه اتى بكل ما رآه فى ذلك المنام واما قوله نانيا كما قطع ابراهيم عليه السلام جزأ ما د الله تعالى التأليف اليه فنقول هذا باطل لان ابراهيم عليه السلام لو اتى بكل ما امر به لما احتاج الى الفداء وحيث احتاج اليه علمنا انه لم يأت بما امر به واما قوله ثالثاً انه يلزم اما الامر بالقبيح واما الجهل فنقول هذا بناء على ان الله تعالى لا يأمر الا بما يكون حسناً فى ذاته ولا ينهى الا عما يكون قبيحاً فى ذاته وذلك بناء على تحسين العقل وتقييده وهو باطل وايضا فبما اننا نسلم ذلك الا اننا نقول لم لا يجوز ان يقال ان الامر بالشئ

من استيشارهما وشكرهما الله تعالى على ما انعم به عليهما من رفع البلاء بعد حلوله والتوفيق للمم يوفق احداثه واطهار فضلهما بذلك على المسلمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك (انا كذلك نجزي المحسنين) لتفريع تلك الكربة باحسانها واجتنب به من جوز النسخ قبل وقوع المأمور به فانه عليه الصلاة والسلام كان مأمورا بالذبح لقوله تعالى افعل ما تؤمر ولم يحصل (ان هذا هو البلاء المبين) الابتلاء البين الذى يتميز فيه المخلص عن غيره والجنة البينة الصعوبة اذ لا شئ اصعب منها (وفديناه بذبح) بما يذبح بدله فتم به الفعل (عظيم) اى عظيم الجنة سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبى من نسله سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشاً من الجنة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه الكبش الذى قربها بيل فتقبل منه وكان يرمى فى الجنة حتى فدى به اسمعيل عليه السلام وقيل فدى بوعل اهبط عليه من ثبير وروى انه هرب من ابراهيم عليه السلام عند الجمره فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقى سنة فى الرمي وروى انه رمى الشيطان

تارة يحسن لكون المأمور به حسنا وتارة لاجل ان ذلك الامر يفيد صحة مصلحة من  
المصالح وان لم يكن المأمور به حسنا الا ترى ان السيد اذا اراد ان يروض عبده فانه يقول  
له اذا جاء يوم الجمعة فافعل الفعل الفلاني ويكون ذلك الفعل من الافعال الشاقدة ويكون  
مقصود السيد من ذلك الامر ليس ان يأتي ذلك العبد بذلك الفعل بل ان يوطن العبد  
نفسه على الانقياد والطاعة ثم ان السيد اذا علم منه انه وطن نفسه على الطاعة فقد ينزل  
عنه ذلك التكليف فكذا ههنا لما لم تقيموا الدلالة على فساد هذا الاحتمال لم يتم كلامكم  
(المسئلة الرابعة) احتج اصحابنا بهذه الآية على ان الله تعالى قديما امر بما لا يريد وقوعه  
والدليل عليه انه امر بالذبح وما اراد وقوعه امانه امر بالذبح فلما تقدم في المسئلة الاولى  
واما انه ما اراد وقوعه فلان عندنا ان كل ما اراد الله وقوعه فانه يقع وحيث لم يقع هذا  
الذبح علمنا انه تعالى ما اراد وقوعه وما عندنا لمعزلة فلان الله تعالى نهى عن ذلك الذبح  
والنهى عن الشيء يدل على ان الناهي لا يريد وقوعه فثبت انه تعالى امر بالذبح وثبت انه  
تعالى ما اراده وذلك يدل على ان الامر قد يوجد بدون الارادة وتتمام الكلام في ان الله تعالى  
امر بالذبح ما تقدم في المسئلة المتقدمة والله اعلم (المسئلة الخامسة) في بيان الحكمة في  
ورود هذا التكليف في النوم لافي اليقظة وبيانه من وجوه (الاول) ان هذا التكليف  
كان في نهاية المشقة على الذابح والمذبح فورد اولاً في النوم حتى يصير ذلك كالمنه لورود  
هذا التكليف الشاق نسيماً كد حال النوم باحوال اليقظة فحينئذ لا يهجم هذا التكليف  
دفعاً واحدة بل شيئاً فشيئاً (الثاني) ان الله تعالى جعل رؤيا الانبياء عليهم السلام  
حقاً قال تعالى في حق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن  
المسجد الحرام وقال عن يوسف عليه السلام اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر  
رايتهم لي ساجدين وقال في حق ابراهيم عليه السلام اني ارى في المنام اني اذبحك  
والمقصود من ذلك تقوية الدلالة على كونهم صادقين لان الحال اماحل يقظة واما حال  
منام فاذا نظا هرت الحالتان على الصدق كان ذلك هو النهاية في بيان كونهم محقين صادقين  
في كل الاحوال والله اعلم ثم نقول مقامات الانبياء عليهم السلام على ثلاثة اقسام منها  
ما يقع على وفق الروية كافي قوله تعالى في حق رسولنا صلى الله عليه وسلم لتدخلن المسجد  
الحرام ثم وقع ذلك الشيء بعينه ومنها ما يقع على الضد كما في حق ابراهيم عليه السلام فانه  
راى الذبح وكان الحاصل هو الفداء والنجاة ومنها ما يقع على ضرب من التأويل والماسبة  
كما في رؤيا يوسف عليه السلام فلهذا السبب اطبق اهل التعبير على ان المسامات واقعة  
على هذه الوجوه الثلاثة (المسئلة السادسة) قرأ حرة والكسائي ترى بضم التاء وكسر  
الراء اي ما ترى من نفسك من الصبر والتسليم وقيل ماتشير والباقون بفتح التاء ثم منهم من  
يميل ومنهم من لا يميل (المسئلة السابعة) الحكمة في مشاورة الابن في هذا الباب ان يطلع  
ابنه على هذه الواقعة ليظهر له صبره في طاعة الله فكأن فيه قرة عين لابراهيم حيث يراه قد

حين تعرض له بالوسوسة عند  
ذبح ولده وروى انه لما ذبحه قال  
جبريل عليه السلام الله اكبر  
الله اكبر فقال الذبح لا اله الا  
الله والله اكبر فقال ابراهيم الله  
اكبر والله الحمد فبقي سنة  
والفادى في الحقيقة هو ابراهيم  
وانما قيل وفدياه لانه تعالى  
هو المعطى له والامر به على التجوز  
في الفداء او الاسناد (وتركنا  
عليه في الآخرين سلام على  
ابراهيم) قد ساف بيانه في خاتمة  
قصة بوح عليه السلام (كذلك  
نحجز المحسنين) ذلك اشارة الى  
ابقاء ذكره الجليل فيما بين الامم  
لالى ما تشير اليه فيما سبق فلا  
تكرار وعدم تصدير الجملة بأما  
لاكتفاء بما مر آنفاً (انه من  
عبادنا المؤمنين) الراغبين في  
الايمان على وجه الايقان  
والاطمئنان (وبشرناه باسحق  
نبيا من الصالحين) اي مقصبا  
بذوته مقدرا كونه من الصالحين  
ولهذا الاعتبار وقعنا حالين ولا  
حاجة الى وجود المبشر به وقت  
البشارة فان وجود ذى الحال ليس  
بشروط وانما الشرط مقارنة تعاقي  
الفعل به لاعتبار معنى الحال فلا  
حاجة الى تقدير مضاف يجعل  
عاملا فيها مثل وبشرناه بوجود  
اسحق اي بأن يوجد اسحق



بلغ في الخلق الى هذا الحد العظيم وفي الصبر على اشد المكروه الى هذه الدرجة العالية ويحصل لابن النواب العظيم في الآخرة والثناء الحسن في الدنيا ثم انه تعالى حكى عن ولد ابراهيم عليه السلام انه قال افعل ما تؤمر ومعناه افعل ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ثم قال سجدتني ان شاء الله من الصابرين وانما علق ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك والتين وانه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ثم قال تعالى فلما اسما يقال سلم لآمر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بمن جميعا اذا اتقاه وخضع وأصلها من قولك سلم هذا فلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لآمر الله واسلمه منقولان عنه بالهمزة وحقيقة معناها اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة في اسما سلم هذا ابنه وهذا نفسه ثم قال تعالى وتله للجبين اى صرعه على شفة فوق احد جبينه على الارض والوجه جبينان والجهة بينهما قال ابن الاعرابي التليل والتلول المصروع والمثل الذي يتل به اى يصصرع فالعنى انه صرعه على جبينه وقال مقاتل كبه على جبهته وهذا خطأ لان الجبين غير الجهة بينهما قال ابن الاعرابي قد صدقت الرؤيا وفيه قولان (الاول) ان هذا جواب فلما عند الكوفيين والفرام والواو زائدة (والقول الثاني) ان عند البصريين لا يجوز ذلك والجواب مقدر والتقدير فلما فعل ذلك وناداه الله ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا سعد سعادة عظيمة وآناه الله نبوة ولده وأجر له الثواب قالوا وحذف الجواب ليس بغريب في القرآن والقائدة فيه انه اذا كان محذوفا كان اعظم وافخم قال المفسرون لما أضجعه للذبح نودى من الجبل يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا قال المحققون السبب في هذا التكليف كمال طاعة ابراهيم لتكليف الله تعالى فلما كلفه الله تعالى بهذا التكليف الشاق الشديد وظهر منه كمال الطاعة وظهر من ولده كمال الطاعة والانقياد لاجرم قال قد صدقت الرؤيا يعنى حصل المقصود من تلك الرؤيا وقوله انا كذلك نجزي المحسنين ابتداء اخبار من الله تعالى وليس يتصل بما تقدم من الكلام والمعنى ان ابراهيم وولده كانا محسنين في هذه الطاعة فكما جزينا هذين المحسنين فكذلك نجزي كل المحسنين ثم قال تعالى ان هذا لهو البلاء المبين اى الاختبار المبين الذى يميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة البينة الصعوبة التى لا محنة أصعب منها وقد بناه بذيخ عظيم الذبيح مصدر ذبح وت الذبيح ايضا ما يذبح وهو المراد في هذه الآية وههنا مباحث تتعلق بالحكايات (فالاول) حكى في قصة الذبيح ان ابراهيم عليه السلام لما اراد ذبحه قال يا بنى خذ الحبل والمدينة وانطلق بنا الى الشعب نختطب فلما توسط الشعب تير اخبره بما أمر به فقال يا بى اشد در باطى في كى لا اضرب واكفف عني ثيابك لا يتضح عليهما شئ من دمي فتراه أحمى قمحزن واستعد شفتك وأسرع امرارها على حلقى ليكون أهون فان الموت شديد واقرا على احمى سلاحي وان رأيت ان تردى قصى على احمى فافعل فانه عسى ان يكون اسهل

نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله تعالى فادخلوها الذين فان الداخلين كانوا مقدرين خلوهم وقت الدخول واسحق عليه السلام لم يكن مقدر نبوة نفسه وصالحها حين ما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته عليه الصلاة والسلام وفي ذكر لصالح بعد النبوة تعظيم اشائه وايماء الى انه العلية لها لتتمتها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاخلاق (وباركننا عليه) على ابراهيم في اولاده (وعلى اسحق) بأن اخرجنا من صلبه اتيهنا بنى اسرائيل وغيرهم كانوا وشعب عليهم السلام واؤفنا عليها ركات لدين والدنيا وقرى ويركا (ومن ذريتهم احسن) في عمله اول نفسه بالايمان والطاعة (وشام لنفسه) بالكفر والمعاصي (مبين) ظاهر ظله وفيه تنبيه على ان النسب لا يبرله في الهداية والضلال وان الظلم في عقابهما لا يعود الهما ببقية ولا عيب (ولندمنا على موسى وهرون) اى نعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية (ونجيناها وتومها) وهم بنو اسرائيل (من لكرب العظيم) هو ملكة آل فرعون وتسلطهم عليهم بأول اسم والذهب كما في قوله تعالى

لها فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون انت يا بني على امر الله ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما بيكان ثم وضع السكين على حلقه فقال كني على وجهي فانك اذا نظرت وجهي رجحتي وادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله سبحانه وتعالى ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت السكين ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا (البحث الثاني) اختلفوا في ذلك الكيش فقيل انه الكيش الذي تقرب به هابيل ابن آدم الى الله تعالى يقبله وكان في الجنة برعى حتى فدى الله تعالى به اسمعيل وقال آخرون ارسل الله كيشا من الجنة قدرعى اربعين خريفا وقال السدي نودي ابراهيم فالتفت فاذا هو بكيش الملح انحط من الجبل فقام عند ابراهيم فأخذه فذبحه وخلي عن ابنه ثم اعتنق ابنه وقال يا بني اليوم وهبت لي واما قوله عظيم فقيل سمي عظيما لعظمه وسميه وقال سعيد بن جبير حقه ان يكون عظيما قدرعى في الجنة اربعين خريفا وقيل سمي عظيما لعظم قدره حيث قبله الله تعالى فداء عن ولد ابراهيم ثم قال تعالى انه من عبادنا المؤمنين الضمير في قوله انه حائد الى ابراهيم ثم قال تعالى وبشرناه باسمحق نبيا من الصالحين فقوله نبيا حال مقدرة اي بشرناه بوجود اسمحق مقدرة نبوته ولمن يقول ان الذبيح هو اسمعيل ان يحتاج بهذه الآية وذلك لان قوله نبيا حال ولا يجوز ان يكون المعنى فبشرناه باسمحق حال كون اسمحق نبيا لان البشارة به متقدمة على صيرورته نبيا فوجب ان يكون المعنى وبشرناه باسمحق حال ما قدرناه نبيا وحال ما حكمنا عليه فصر واذا كان الامر كذلك فحينئذ كانت هذه البشارة بشارة بوجود اسمحق حاصلة بعد قصة الذبيح فوجب ان يكون الذبيح غير اسمحق اقصى ما في الباب ان يقال لا بعد ان يقال هذه الآية وان كانت متأخرة في التلاوة عن قصة الذبيح الا انها كانت متقدمة عليها في الوقوع والوجود الا اننا نقول الاصل رعاية الترتيب وعدم التغير في النظم والله اعلم بالصواب ثم قال تعالى وباركنا عليه وعلى اسمحق وفي تفسير هذه البركة وجهان (الاول) انه تعالى اخرج جميع انبياء بني اسرائيل من صلب اسمحق (والثاني) انه ابقى النشاء الحسن على ابراهيم واسحق الى قيام القيامة لان البركة عبارة عن الدوام والثبات ثم قال تعالى ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين وفي ذلك تنبيه على انه لا يلزم من كثرة فضائل الاب فضيلة الابن ثلاثا نصير هذه الشبهة سببا لمفاخرة اليهود ودخل تحت قوله محسن الانبياء والمؤمنون وتحت قوله ظالم الكافر والفاسق والله اعلم \* قوله تعالى (ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناها وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهما فكانوا هم الغالبين وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناها الصراط المستقيم وتركنا عليهما ٥ الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين) اعلم ان هذا هو القصة الثالثة من القصص المذكورة في هذه السورة واعلم ان وجوه الانعام وان كانت كثيرة الا انها محصورة في نوعين ابصال المنافع اليه ودفع المضار عنه والله تعالى ذكر القممين ههنا فقوله ولقد مننا على موسى وهرون اشارة الى ابصال

واذا انجيناكم من آل فرعون وقيل هو الفرق وهو بعيد لانه لم يكن عليهم كربا ومشقة (ونصرناهم) اي اياهما وقومهما على عدوهم (فكانوا) بسبب ذلك (هم الغالبين) عليهم غلبة لا تاية وراءها بعد ان كان قومه في اسرهم وقصرهم مقهورين تحت ايديهم العادية يسومونهم سوء العذاب وهذه النتيجة وان كانت بحسب الوجود مقارنة لما ذكر من النصوص الغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن الغلبة من المكروه بدئ بها ثم بالنصر الذي يتحقق مدلوله بمحض تجية النصوص من عدوه ومن غير تغليب عليه ثم بالغلبة لتوفية مقام الامتنان حقه باظهار ان كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث نعمة جليلة على حيالها (وآتيناهما) بعد ذلك (الكتاب المستبين) اي البليغ في البيان والتفصيل وهو التوراة (وهديناهما) بذلك (الصراط المستقيم) الموصل الى الحق والصواب بمافي من تفاصيل الشرائع وتقاريم الاحكام (وتركنا عليهما في الآخرين) سلام على موسى وهرون اي ابقينا فيما بين الامم الآخرين هذا الذكر الجليل والنشاء الجزيل (انا كذلك) الجزاء الكامل (نجزي المحسنين) الذين هما من جلتهم لاجزاء قاصرا عنه (انهما من عبادنا المؤمنين) سيق بيان

(وان الياس لمن المرسلين) هو الياس بن ياسين من سبط هرون اخي موسى عليه السلام بعث بعده وقبيل ادريس لانه قرى مكانه ادريس وادراس وقرى ايليس وقرى الياس (١٦١) بحذف الهمزة (اذ قال لقومه الاستغثون) اى عذاب الله تعالى (اتدعون بعلا)

المتعدون وطلبون الميراث وهو اسم صنم كان لا هلك من الشام وهو البلد المعروف اليوم بعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه فتوا به وعظموه حتى اخدموه اربعة امانه سادن وجعلوهم ابياء فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلونها للناس وقيل البعل الرب بلغة الجن اى تعبدون بعض البعول (وتدعون احسن الخالقين) اى وتتركون عبادته وقد اشير الى المقصود للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى (الله ربكم ورب ابائكم الاولين) بالنصب على البدلية من احسن الخالقين وقرى بالرفع على الاستدعاء والتعرض لذكر ربوبيته تعالى لا بائهم لنا كيد انكار ترك عبادته تعالى والاشعار بظلال آله آباؤهم ايمننا (فكذبوه فانهم) بسبب تكذيبهم ذلك (محضرون) اى العذاب والاطلاق لا كقوله بالقرآن على ان الاحضار المطابق مخصوص بالشر عرفا (الاعباد الله المخلصين) استثناء من ضمير محضرون (وتركنا عليه في الآخرين سلام على آل ياسين) هو لغة في الياس كسيناء في سيتين وقيل هو جمع له اريد به هو وتباعه كاملين والحيين وفيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه كالمثلين وقرى باضافة آل الى ياسين لانهما في المحقق مفعولان فيكون ياسين ابالياس (انا كذلك نجزي المحسنين انهم من عبادنا المؤمنين) مر تفسيره (وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه) اى اذكر وقت تجيننا اياه (واهلكه اجعين العجوزا في الغابرين)

المنافع اليهما وقوله ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم اشارة الى دفع المضار عنهما (واما القسم الاول) وهو ايصال المنافع فلا شك ان المنافع على قسمين منافع الدنيا ومنافع الدين اما منافع الدنيا فالوجود والحياة والعقل والتربية والصحة وتحصيل صفات الكمال في ذات كل واحد منهما واما منافع الدين فالعلم والطاعة وأعلى هذه الدرجات النبوة الرفيعة المتروكة بالمعجزات الباهرة القاهرة ولما ذكر الله تعالى هذه التفاصيل في سائر السور لا جرم اكتفى ههنا بهذا الرمز (واما القسم الثاني) وهو دفع الضرر فهو المراد من قوله ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم وفيه قولان قيل انه العرق اغرق الله فرعون وقومه ونجى الله بنى اسرائيل وقيل المراد انه تعالى نجاهم من ايداء فرعون حيث كان يذبح ابناءهم ويستحي نساءهم واعلم انه تعالى لما ذكر انه من على موسى وهرون فصل اقسام تلك المنفعة والهاء في قوله ونصرناهم اى نصرنا موسى وهرون وقومهما وكانوا هم الغالين في كل الاحوال بظهور الحجية وفي آخر الامر بالدولة والرفعة (وثانيهما) قوله تعالى وآتيناهما الكتاب المستبين والمراد منه التوراة وهو الكتاب المشتمل على جميع العلوم التي يحتاج اليها في مصالح الدين والدنيا كما قال انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور (وثالثها) قوله تعالى وهديناهما الصراط المستقيم اى دللناهما على طريق الحق عقلا وسمعا وامدناهما بالتوفيق والعصمة وتشبيه الدلائل الحقبة بالطريق المستقيم واضح (ورابعها) قوله تعالى وتركنا عليهما في الآخرين وفيه قولان (الاول) ان المراد وتركنا عليهما في الآخرين وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم قولهم سلام على موسى وهرون (والثاني) ان المراد وتركنا عليهما في الآخرين وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم الثناء الحسن والذكر الجليل وعلى هذا التقدير فقوله بعد ذلك سلام على موسى وهرون هو كلام الله تعالى ولما ذكر تعالى هذه الاقسام الاربعة من ابواب التعظيم والتفضيل قال انا كذلك نجزي المحسنين وقد سبق تفسيره ثم قال تعالى انهما من عبادنا المؤمنين والمقصود التنبيه على ان الفضيلة الحاصلة بسبب الايمان اشرف وأعلى واكمل من كل الفضائل ولولا ذلك لما حسن ختم فضائل موسى وهرون بكونهما من المؤمنين والله اعلم \* قوله تعالى (وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه ألا اتقون اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم محضرون الاعباد الله المخلصين وتركنا عليه في الآخرين سلام على آل ياسين انا كذلك نجزي المحسنين انهم من عبادنا المؤمنين) اعلم ان هذه القصة الرابعة من القصص المذكورة في هذه الصورة وفيه مسائل (السئلة الاولى) قرأ ابن عامر وان الياس بغير همزة على وصل الالف والباقون بالهمزة وقطع الالف قال أبو بكر بن مهران من ذكر عند الوصل الالف فقد اخطأ وكان اهل الشام ينكرونه ولا يعرفونه قال الواحدى وله وجهان (احدهما) انه حذف الهمزة من الياس حذفاً كما حذفها ابن كثير من قوله انها لاحدى الكبروك قول الشاعر

اي الباقيين في العذاب او لما ضين الهالكين (ثم دمرنا بالآخرين) (٢١) (را) (سا) فان في ذلك شواهد على جللة امره وكونه من جملة المرسلين (وانكم) يا اهل مكة (لتمرون عليهم) على منازلهم في متاجرهم الى الشام وتشاهدون آثار هلاكهم فان سذوم في طريق الشام

(مسيحين) داخلين في الصباح (وبالليل) أي ومساء وانهارا وليلا ولعلها وقعت بقرب منزل يربها المرتحل عنده صباحا والفاصله مساء (افلا تغفلون) أنتم اهدون ذلك فلا تغفلون حتى تعتبروا به وتخافوا (١٦٢) ان يصيبكم مثل ما صابهم (وان يرأس لمن المرسلين) وقرى

ونيلها في هواء الجوطالبة \* والآخرة جعل الهزرة التي تصحب اللام للتعريف كقوله واليسع (المسئلة النانية) في الياص قولان يروى عن ابن مسعود انه قرأ وان ادريس وقال ان الياص هو ادريس وهذا قول عكرمة واما اكثر المفسرين فهم متفقون على انه نبي من انبياء بني اسرائيل وهو الياص بن ياسين من ولد هرون اخي موسى عليهم السلام ثم قال تعالى اذ قال لقومه الاتقون والتقديرا ذكر يا محمد لقومك اذ قال لقومه الاتقون اي الاتخافون الله وقال الكلبي الاتخافون عبادة غير الله واعلم انه لما خوفهم اولاعلى سبيل الاجال ذكر ما هو السبب لذلك الخوف فقال اتدعون بعلا وتدعون احسن الخالقين وفيه اباحت الاول في بل قولان (احدهما) انه اسم علم لصنم كان لهم كناية وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة اوجه وفتوا به وعظموه حتى عيوا له أربع مائة سادن وجعلواهم انبياء وكان الشيطان يدخل في جوف بل ويتكلم بشريعة الضلالة والسندنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك واعلم ان قولهم بل اسم لصنم من اصنامهم لا بأس به واما قولهم ان الشيطان كان يدخل في جوف بعلبك ويتكلم بشريعة الضلالة فهذا مشكل لا بان جوزنا هذا كان ذلك قادحا في كثير من المعجزات لانه نقل في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم كلام الذئب معه وكلام الجمل معه وحينئذ الجذع ولوجوزنا ان يدخل الشيطان في جوف جسم ويتكلم فحينئذ يكون هذا الاحتمال قائما في الذئب والجمل والجذع وذلك يقدر في كون هذه الاشياء معجزات (القول الثاني) ان البعل هو الرب بلغة اللين يقال من يعل هذه الدار اي من ربها وسمى الزوج بعل لهذا المعنى قال تعالى وبعولتهن احق بردهن وقال تعالى وهذا بعل شيا فلي هذا التقدير المعنى اتعبدون بعض البعول وتزكون عبادة الله (البحث الثاني) المعتزلة احتجوا بهذه الآية على كون البعد خالقا لا فعالا نفسه فقالوا لو لم يكن غير الله خالقا لما جاز وصف الله بأنه احسن الخالقين والكلام فيه قد تقدم في قوله تعالى قبارك الله احسن الخالقين (البحث الثالث) كان الملقب بالرشيد الكاتب يقول لو قيل اتدعون بعلا وتدعون احسن الخالقين او هم انه احسن لانه كان قد تحصل فيه رعاية معنى التحسين وجوابه ان فصاحة القرآن ليست لاجل رعاية هذه التكليف بل لاجل قوة المعاني وجزالة الالفاظ واعلم انه لما علم على عبادة غير الله صرح بالتوحيد ونفى الشركاء فقال الله ربكم ورب آبائكم وفيه مباحث (الاول) انا ذكرنا في هذا الكتاب ان حدوث الاشخاص البشرية كيف يدل على وجود الصانع المختار وكيف يدل على وحدته وبرائه عن الاصداد والانداد فلا فائدة في الاعادة (البحث الثاني) قرأ حجة والكسائي وحفص عن عاصم الله ربكم ورب آبائكم كلها بالنصب على البدل من قوله احسن الخالقين والباقون بالرفع على الاستئناف والاول اختيار ابي حاتم وابي عبيد ونقل صاحب الكشاف ان حجة اذا وصل نصب واذا

بكسر النون (اذابقي) اي هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه (الى الفلاك المسحون) اي المملوء (قساهم) فقارعه اهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روى انه عليه الصلاة والسلام لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا فيها عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمي بنفسه في الماء (فانقعه الحوت) فابتلعه من التهمة (وهو ملجم) داخل في الملامة او آت بما يلام عليه او ملجم نفسه وقرئ ملجم بالفتح مبنيا من لم يكتف في مشوب (فلولا انه كان من المسحون) الساكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اي كنت من الظالمين وقيل من المصلين فانه عليه الصلاة والسلام كان كثير الصلاة في الرخاء (اللبث في بطنه الى يوم يبعثون) حيا وقيل ميتا وفيه حث على كثار الذكر وتعظيم شأنه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء (فنبذناه بالعراء) بأن جلسنا الحوت على لفظه بالمكان الحالي عما يغطيه من شجر او ثبت روى ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلوا وروى ان الحوت فذفه بساحل قرية من الموصل واختلف في مقدار لبنه فقيل اربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلاثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التئم فيه روى عطاء (وقف) انه حين ابتلعه اوحى الله تعالى الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنًا ولم اجعله لك لعنًا (وهو سقيم) مما ناله قبل صار بطنه كبطن

يومًا وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلاثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التئم فيه روى عطاء (وقف) انه حين ابتلعه اوحى الله تعالى الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنًا ولم اجعله لك لعنًا (وهو سقيم) مما ناله قبل صار بطنه كبطن

الطفل حين يولد (وابتنا عليه) أي فوقه مظلة عليه (شجرة من يقطين) وهو كل ما ينسبط على الأرض ولا يقوم على ساق كنجبر البطيخ والقضاء والمنظف وهو يفعل من قطن المكان (١٦٣) إذا قام به ولا أكثر على أنه الدباء غطته بأوراقها عن الذباب فإنه لا يرفع

عليه ويدل عليه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنك تحب القرع قال أجل هي ثمرة أخى يونس وقيل هي التين وقيل الموز تغطي بورفه واستظل بأغصانه وافطر على ثماره وقيل كان يستظل بالنجرة وكانت وعاءة تختلف إليه فيشرب من لبنها (وارسلناه إلى مائة ألف) هم قومه الذين هرب منهم وهم أهل نينوى والمراد به إرساله السابق أخير أو لأبائه من المرسلين على الإطلاق ثم أخبر بأنه قد أرسل إلى مئة جئة وكان توسط تذكير وقت هربه إلى الفلك وما بعده بينهما

لندكير سبيه وهو ما جرى بينه عليه الصلاة والسلام وبين قومه من إنذاره إياهم عذاب الله تعالى وتعينه لوقت حلوله وتعالاهم وتعليمهم لايمانهم بظهور أماراته كما تم قصيله في سورة يونس ليعلم أن إيمانهم الذي سيجي بعد يمكن عقيب لإرسال كما هو ابتداء من ترتيب الإيمان عليه بالقاء بل بعد النبيا والى وقيل هو إرسال آخر إليهم وقيل إلى غيرهم وليس بظاهر (أو يزيدون) أي في مرأى الناظر فإنه إذا نظر إليهم قال لهم مائة ألف أو يزيدون والمراد هو الوصف بالكثرة وقرئ بالواو (فأمنوا) أي بعد ما شاهدوا علام حلول العذاب إيماناً خالصاً (فصنعناهم) أي بالحياة الدنيا (إلى حين) قدره الله سبحانه لهم قيل ولعل عدم ختم هذه القصة وقصة لوط بما حتم به سائر القصص للفرقة بينهما وبين إرباب الشرائع وأولى العزم من الرسل أو اكتشاف التسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر

وقف رفع ولما حكى الله عنه أنه قرر مع قومه التوحيد قال فكذبوه فانهم لمحضرون أي لمحضرون النار غدا وقد ذكرنا الكلام فيه عند قوله لكننت من المحضرين ثم قال تعالى إلا عباد الله المخلصين وذلك لأن قوله ما كذبوه بكليتهم بل كان فيهم من قبل ذلك التوحيد فلماذا قال تعالى إلا عباد الله المخلصين يعني الذين اتوا بالتوحيد الخالص فانهم لا يحضرون ثم قال وتركنا عليه في الآخرين سلام على آل ياسين قرأ نافع وابن عامر ويعقوب آل ياسين على إضافة لفظ آل إلى لفظ ياسين والباقيون بكسر الالف وجزم اللام موصولة بياسين أما القراءة الأولى ففيها وجوه (الأول) وهو الأقرب أنا ذكرنا أنه الياس بن ياسين فكان الياس آل ياسين (الثاني) آل ياسين آل محمد صلى الله عليه وسلم (الثالث) أن ياسين اسم القرآن كما أنه قيل سلام الله على من آمن بكتاب الله الذي هو ياسين والوجه هو الأول لأنه يليق بسياق الكلام وأما القراءة الثانية ففيها وجوه (الأول) قال الزجاج يقال ميكل وميكلين فكذا ههنا الياس والياسين (والثاني) قال القراء هو جمع وإرادته الياس واتباعه من المؤمنين كقولهم المهلبون والسعدون قال

\*أنا ابن سعد أكرم السعدينا\* ثم قال تعالى أنا كذلك نجزي المحسنين أنه من عبادنا المؤمنين وقد سبق تفسيره والله أعلم بقوله تعالى (وإن لو طامن المرسلين إذ نجيناها وأهله أجمعين إلا نجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وأنكم لترون عليهم مصحين وبالليل أقلا تعقلون) هذا هو القصة الخامسة وأنه تعالى إنما ذكر هذه القصة ليعتبر بها مشركو العرب فإن الذين كفروا من قومه هلكوا والذين آمنوا نجوا وقد تقدم شرح هذه القصة وقد نبههم بقوله تعالى وأنكم لترون عليهم مصحين وبالليل وذلك لأن القوم كانوا يسافرون إلى الشام والمسافر في أكثر الأمر إنما يمشي في الليل وفي أول النهار فلماذا السبب عين تعالى هذين الوقتين ثم قال تعالى أفلا تعقلون يعني اليس فيكم عقول تعتبرون بها والله أعلم بقوله تعالى (وإن يونس لمن المرسلين إذ أبقى إلى الفلك المشحون فسأهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم قلولا أنه كان من المسبحين للبت في بطنه إلى يوم يعثون فبدناه بالعراء وهو سقيم وابتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فأمنوا ففنعناهم إلى حين) أعلم أن هذا هو القصة السادسة وهو آخر القصص المذكورة في هذه السورة وإنما صارت هذه القصة خاتمة للقصص لأجل أنه لما لم يصبر على أذى قومه وأبقى إلى الفلك وقع في تلك الشدة فيصير هذا سبباً لتصبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على أذى قومه ما قوله وإن يونس لمن المرسلين إذ أبقى إلى الفلك المشحون ففيه مسائل (المسئلة الأولى) قال صاحب الكشاف قرئ يونس بضم النون وكسرهما (المسئلة الثانية) دلت هذه الآية على أن هذه الواقعة إنما وقعت ليونس عليه السلام بعد أن صار رسولا لأن قوله وإن يونس لمن المرسلين إذ أبقى إلى الفلك معناه أنه كان من المرسلين حين ما أبقى إلى الفلك ويمكن أن يقال أنه جاء في كثير من الروايات أنه أرسله ملك زمانه إلى أولئك القوم ليدعوهم

السورة (فاستفهم) أمر الله عز وجل في صدر السورة الكريمة رسوله صلى الله عليه وسلم بتبكيك قريش وإبطال مذهبهم في إنكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة الناطقة بتفخه لاجتماعه وبين وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب واستثنى

منهم عباده المحصلين وفصل ما لهم من النعم القيم ثم ذكر انه قد فضل من قباهم اكثر الاولين وانه تعالى ارسل اليهم مندريين على وجه الاجال ثم اورد تخصص كل واحد منهم على وجه التخصيص بيننا في كل قصة ( ١٦٤ ) منها انهم من عباده تعالى واصفا لهم نارة بالاخلاص واخرى بالايمان ثم امره عليه الصلاة والسلام بها بتبكيهم بطريق الاستنفاء عن وجه امر منكر خارج عن العقول بالكابة وهي الفسقة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد الزائغ حيث كانوا يقولون كبعض اجناس العرب جبهينة وبني سلة وخراعة وبني ملح الملائكة بنات الله والذليل لربيب الامر على ما سبق من كون اولئك الرسل الذين هم اعلام الخلق عليهم الصلاة والسلام عباده تعالى فان ذلك مما يؤكده التبكيت ويظهر بطلان مذهبه الفاسد ثم تبكيهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة يجعلهم انا ثم ابطال اصل كفرهم المنطوق على هذين الكافرين وهو نسبة لولد اليه سبحانه وتعالى عن ذلك عاوا كبيرا ولم يظمه في سلك البكيب لمشاركهم التعاصي في ذلك اى فاستخبرهم (الربك البنات) اللاتي هن اوضاع الجناسين ( ولهم البعوث ) الذين هم رعيه ماغان ذلك مما لا يقول به من له ادنى شيء من العقل وتروا الى (ام خلقنا الملائكة انا) ان شراب واستل من التبكيت الاستنفاء السائق الى التبكيت في ذلك ما اشير اليه اى بل اخذت الملائكة الذين هم من اشرف الملائكة وابتدعهم من صفات الاجسام وراثة الطباع انا والا نؤنة من اخس صفات الحيوان وهوله تعالى ( وهم شاهدون ) استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله تعالى اشهدوا خلقهم وقوله تعالى ما اعلمتهم خلق السموات والارض ولا الخافق انفسهم فان افعال هذه الاله ولا تعلم الا بالمشاهدة اذ لا سبيل الى معرفتها بطريق العقل واتقاء النقل مما لا ريب فيه فلا بد ان يكون القائل بانوهم شاهدوا عند خلقهم واجله اما مال من اهل حلقناهم اى بل خلقناهم انا والاحال انهم حاضرون حينئذ اعطف على خلقنا اى بل اهل شاهدون



وقوله تعالى (الانهم من افكهم ليقولون ولد الله) (١٦٥) استئناف من جهته غير داخل تحت الامر بالاستعانة مسوق لابطال اصل

مذهبهم الفاسد ببيان انهم

ليس الا لافك السريح والافك

السبح من غير ان يكون لهم

دليل او شبهة قطعا وانهم

لنكاد يكونون اولئك كذا

ينالون به وقري' ولد لله

على انه خبر مبتدأ محذوف اي

الملائكة ولد له تعالى عن ذلك

علا كيرا فان الولد اهل بعث

ممدول يستوي فيه الواحد

والجمع والمذكر والمؤنث (اصطلى

الذات على لبين) بات لافكهم

وتقرير لكذبهم فيما قالوا بان

اسازمه لامر بين الاستحالة هي

اصطفاؤه تعالى لبسات على المنين

والاصطفاء اخذ صفوة السبي

لنفسه وقري' بكسر الهمزة على

حدث حري لاسفةهام بقصد

بدلالة القرائن عليه وجعله بدلا

من ولد لله سبحانه وتعالى يقول

ي لكاد يكونون قولهم اصطفى الخ

مصف بعيد (مالككم كيف تحكمون)

لهذا اسك الذي يضبط بطالنه

بينة العدل (افلا تدكرون)

بمسب سدى لشاين من

تذكرون وقري' تدكرون من

ذكر والعدل اللطيف على مدار

اي الا نلاحظون ذلك فضلا

تذكرون لظلاله منه مركوز

في عدل كل دكوشي (ام انكم

سلطان بين) اشرب ونفعل

من توبخهم وتكبرهم بما ذكر

بكبرهم بتكبرهم مالا يدخل

تحت الوجود اصلا بل انكم

حجة واضحة ذات عليكم من

الاسم ان الملائكة بانه سال

ضروده احكم بذلك لابطاله

من سدد حس اوسل وحيث

في كلاهما فلا بد من سند

نفي (عائوا بكتاكم الثاني) اسمه

دعوا (ان كنتم صادقين انما هو في

مثل هذا ناذار انما نفترق من خرج سهمه نفرقه فلائن يفرق واحد خير من غرق الكل

فخرج سهم يونس فقال التجار نحن اولى بالعصية من نبي الله ثم عادوا نانيا ونالنا يفرعون

فيخرج سهم يونس فقال يا هؤلاء انا العاصي وتلف في كساء ورحي بنفس فابتلعه السمكة

فاوحى الله تعالى الى الخوت لا تكسر منه عظما ولا تقطع له وصلا ثم ان السمكة اخرجته

الى نيل مصر ثم الى بحر فارس ثم الى بحر البطائح ثم دجلة فصعدت به ومرت بأرض نصيبين

بالعراء وهو كالفرخ المنتوف لاشعر والاحم فانبت الله عليه شجرة من يطين فكان يستظل

بها ويأكل من ثمرها حتى تشدد ثم ان الارضة اكلتها فخرت من اصلها فخرن يونس

لذلك حزنا شديدا فقال يارب كنت استظل تحت هذه الشجرة من الشمس والريح واهص

من ثمرها وقد سقطت فقبل له يا يونس تحزن على شجرة انبتت في ساعة واقتلعت في ساعة

ولا تحزن على مائة ألف او يزيدون تركنهم انطلق اليهم فانطلق اليهم والله اعلم بحقيقة

الواقعة ثم قال تعالى فاتقوه الخوت وهو ملهم يقال التقوه والنهه والكل بمعنى واحد

وقوله تعالى وهو ملهم يقال الام اذا اتى بما يلزم عليه فالملهم المستحق للوم الاتي بما يلزم

عليه ثم قال تعالى فلولا انه كان من المسبحين لابت في بطنه الى يوم يعنون وفي تفسير كونه

من المسبحين قولان (الاول) ان المراد منه ما حكى الله تعالى عنه في آية اخرى انه كان يقول

في تلك الثلثات لا اله الا انت سبحنك اني كنت من الظالمين (الثاني) انه لولا انه كان قبل

ان اتقه الخوت من المسبحين بمعنى المصلين وكان في اكثر الاوقات مواظبا على ذكر الله

وطاعته لابت في بطن ذلك الخوت وكان بطنه قبرا له الى يوم البعث قال بعضهم اذكروا الله

في الرخاخذ كركم في الشدة فان يونس عليه السلام كان عبدا صالحا ذاكرا لله تعالى فقاو قح

في بطن الخوت قال الله تعالى فلولا انه كان من المسبحين ثابت في بطنه الى يوم يعنون وان

فرعون كان عبدا طاغيا ناسيا فلما ذكره الفرق قائمت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو

اسرائيل قال الله تعالى آلا ن وقد عصيت قبل واخترت في انك لم تب في بطن الخوت ولغذا

القرآن لا يدل عليه قال الحسن لم يلبث الا قليلا وخرج من بطنه بعد الوقت الذي اتقه

وعن مقاتل بن حيان ثلاثة ايام وعن عطاء سبعة ايام وعن الضحاك عشرين يوما وقيل

شهرا ولا دري باي دليل عينوا هذه المقادير وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال سبح يونس في بطن الخوت فسميت الملائكة تسبيحه بقولوا ربنا ادرسمع صوتا

ضعيفا بأرض غريبة فقال ذاك عبد يونس عصاني فخبسته في بطن الخوت في البحر فقالوا

العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم ونبلة تحمل صرخة فانهم فشفعوا له فأمر

الخوت فتدبره في الساحل فذاك هو قوله فتبذناه بالعراء وفيه مباحث (المراد) السراء

المكان الخالي قال ابو عبيدة انما قبل له العراء لانه لا شجر فيه ولا شيء يغذيه (الثاني) انه

تعالى قال فتبذناه بالعراء فأضاف ذلك التبذ الى نفسه وانبت انما حصل بفعل الخوت

وهذا يدل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى وهو مقيم قيل المراد انه بلى لجه

هذه الايات من الانباء عن السخط العظيم والادكار المشيخ لافاويلهم والاسبعاد الشديدا لا باطياهم

وتفسير احلامهم وتركيب عتولهم

وتفسير احلامهم وتركيب عتولهم

وتفسير احلامهم وتركيب عتولهم

وتفسير احلامهم وتركيب عتولهم

وتفسير احلامهم وتركيب عتولهم

وتفسير احلامهم وتركيب عتولهم

وتفسير احلامهم وتركيب عتولهم

وتفسير احلامهم وتركيب عتولهم

وتفسير احلامهم وتركيب عتولهم

وتفسير احلامهم وتركيب عتولهم

وتفسير احلامهم وتركيب عتولهم

وتفسير احلامهم وتركيب عتولهم

وتفسير احلامهم وتركيب عتولهم



وافهامهم مع استهزائهم ونجيب من جهلهم (الابن ١٦٦) على من تأمل فيها وقوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) النفات

الى الجنة لا يذان باقتطاعهم  
عن الجواب وسقوطهم عن  
درجة الخطاب واقتضاء حالهم  
ان يعرض عنهم ونحكي جنائياتهم  
لا تخبرن والمراد بالجنة الملائكة  
قالوا الجنس واحد ولكن  
من حيث من الجن ومرد وكان  
ثمرا كله فهو شيطان ومن  
طهر منهم ونسك وكان خيرا  
كله فهو ملك وانما عبر عنهم  
بذلك الاسم وضعا منهم وتقصيرا  
بهم مع عظم شأنهم فيما بين الخلق  
ان يبلغوا منزلة المناسبة التي  
اضافوها اليهم فجعلهم هذا  
عبارة عن قولهم الملائكة بنات  
الله وانما اعيد ذكره تهييدا لما  
يعقبه من قوله تعالى (ولقد علمت  
الجنة انهم لمحضرون) اي وباللغة  
لقد علمت الجنة التي عظموها  
بان جعلوا بينها وبينه تعالى  
نسبا وهم الملائكة ان الكفرة  
لمحضرون النار معذبون بها  
لكذبهم وافترائهم في قولهم  
ذلك والمراد به المسالفة في  
التكذيب ببيان ان الذين يدعي  
هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون  
انهم اعلم منهم بحقيقة الحال  
يكذبونهم في ذلك ويحكمون بانهم  
معذبون لاجله حكما مؤكدا  
وقيل ان قوما من الزنادقة  
يقولون ان الله تعالى وابليس  
اخوان فالله هو الخير الكريم  
وابليس هو الشرير اللئيم وهو  
المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه  
وبين الجنة نسبا قال الامام  
الرازي وهذا القول عندى  
اقرب الاقاييل وهو مذهب  
الجوس القائلين بزدان واهرمين  
وقال مجاهد فالت قریش  
الملائكة بنات الله فقال ابو بكر  
الصدى رضى الله عنه فن  
امهاتهم تبكى لهم فقالوا  
سروات الجن وقيل معنى جعلوا

وصار ضعيفا كالطفل المولود كالفرخ المعط الذى ليس عليه ريش وقال مجاهد سقيم اى  
سليب ثم قال تعالى وانبتنا عليه شجرة من يقطين ظاهر اللفظ بدل على ان الخوت لما نبذه في  
العراء فالله تعالى انبت عليه شجرة من يقطين وذلك المجزله قال المبرد والزجاج كل شجر  
لا يقوم على ساق وانما يمتد على وجه الارض فهو يقطين نحو الدباء والحنظل والبطيخ قال  
الزجاج احسب اشتقاقا من قطن بالمكان اذا اقام به وهذا الشجر ورقه كله على وجه  
الارض فلذلك قيل له اليقطين روى الفراء انه قيل عند ابن عباس هو ورق القرع فقال  
ومن جعل القرع من بين الشجر يقطينا كل ورقة اتسعت وسرت فهي يقطين قال  
الواحدى رحمه الله والاية تقتضى شيئين لم يذكرهما المفسرون (احدهما) ان هذا  
اليقطين لم يكن قبل فأنشأه الله لاجله (والآخر) ان اليقطين كان معروشا ليحصل له ظل لانه  
لو كان منبسطا على الارض لم يمكن ان يستظل به ثم قال تعالى وارسلناه الى مائة ألف  
او يزيدون وفيه مباحث (الاول) يحتمل ان يكون المراد وارسلناه قبل ان يلتقمه الخوت  
وعلى هذا الارسال وان ذكر بعد الالتقام فالمراد به التقديم والواو معناها الجمع ويحتمل  
ان يكون المراد به الارسال بعد الالتقام عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كانت  
رسالة يونس عليه السلام بعد ما نبذه الخوت وعلى هذا التقدير يجوز ان يكون ارسل الى  
قوم آخرين سوى القوم الاول ويجوز ان يكون ارسل الى الاولين ثانيا بشريعة فآمنوا  
بها (البحث الثانى) ظاهر قوله او يزيدون يوجب الشك وذلك على الله تعالى محال ونظيره  
قوله تعالى عذرا او نذرا وقوله تعالى لعله يتذكر او يخشى وقوله تعالى لعلمهم يتقون  
او يحدث لهم ذكرا وقوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقوله تعالى  
فكان قاب قوسين او ادنى واجابوا عنه من وجوه كثيرة والاصح منها وجه واحد هو ان  
يكون المعنى او يزيدون في تقدير كم بمعنى انهم اذا رآهم الرائي قال هؤلاء مائة الف او يزيدون  
على المائة وهذا هو الجواب عن كل ما يشبه هذا ثم قال تعالى فآمنوا فآمنوا فآمنوا الى  
حين والمعنى ان اولئك الاقوام لما آمنوا ازال الله الخوف عنهم وآمنهم من العذاب  
ومتعهم الله الى حين اي الى الوقت الذى جعله الله اجلا لكل واحد منهم \* قوله تعالى  
(فاستفتهم اربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة انا انما هوهم شاهدون الا انهم من  
افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون  
افلا تدرون ام لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة  
نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحانه الله عما يصفون العباد الله المحضين) وفيه  
مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما ذكر اقا صيص الانبياء عليهم السلام ما د الى  
شرح مذاهب المشركين وبيان قبحها وسخافتها ومن جملة اقوالهم الباطلة انهم اثبتوا  
الاولاد لله سبحانه وتعالى ثم زعموا انها من جنس الاناث لا من جنس الذكور فقال  
فاستفتهم اربك البنات ولهم البنون وهذا معطوف على قوله في اول السورة فاستفتهم اهم

بينه وبين الجنة نسبا جعلوا بينهما مناسبة حيث اشركوا به تعالى الجن في اسحقاق العبادة فلى هذه الاقاويل يجوز ان (اشد)

يَكُونُ الضَّيِّيرُ فِيهِمْ لِحَضْرَتِ الْجَنَّةِ فَلَمَعْنِي لَقَدْ عَلِمْتُ ( ١٦٧ ) الشَّيَاطِينُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحْضَرُهُمُ النَّارُ وَيُعَذِّبُهُمْ بِهَا وَلَوْ كَانُوا مُنَاسِقِينَ لَهُ تَعَالَى أَوْ شُرَكَاءَ فِي اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ لَمَا عَذَّبَهُمْ وَالْوَجْهَ هُوَ الْأَوَّلُ فَإِنَّ قَوْلَهُ ( سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ) حَكَايَةٌ لِتَنْزِيهِ الْمَلَائِكَةِ إِيَّاهُ تَعَالَى عَمَّا وَصَفَهُ الْمُشْرِكُونَ بِهِ بِعَدْتِ كَذِبِهِمْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ بِتَقْدِيرِ قَوْلِ مَعْطُوفٍ عَلَى عِلْمَتِهِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى ( الْإِبْرَاهِيمُ الْخَالِصِينَ ) شَهَادَةٌ مِنْهُمْ بِإِبْرَاءَةِ الْمُخْلِصِينَ مِنْ أَنْ يَصْفَوْهُ تَعَالَى بِذَلِكَ مَنْصُفَةً لِتَبَرُّهِمْ مِنْهُ بِحُكْمِ إِنْدِرَاجِهِمْ فِي زُمرَةِ الْخَالِصِينَ عَلَى الْإِبْلَغِ وَجْهٌ وَأَكْثَرُهُ عَلَى أَنَّهُ اسْتِنَاءٌ مَنْقُطِعٌ مِنْ وَأَوْ يَصِفُونَ كَأَنَّهُ قِيلَ وَلَقَدْ عَلِمْتُ الْمَلَائِكَةَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَعَذَّبُونَ لِقَوْلِهِمْ ذَلِكَ وَقَالُوا سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَهُ بِهِ لَكِنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ الَّذِينَ نَحْنُ مِنْ جِهَتِهِمْ يَرَوْنَ مِنْ ذَلِكَ السَّوْءِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ( فَاتَّكُمُ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا تَكْفُرُونَ عَلَيْهِ ) تَعْلِيلٌ وَتَحْقِيقٌ لِإِبْرَاءَةِ الْمُخْلِصِينَ عَمَّا ذَكَرَ بَيَّانٌ يَعْزِزُهُمْ عَنْ أَغْوَاهُمْ وَأَضْلَالِهِمْ وَالْإِتِّفَاقُ إِلَى الْخُطَابِ لِأَهْلِيهِ كَالِ الْإِعْتِنَاءِ بِتَحْقِيقِ مَعْنَى الْكَلَامِ وَمَا تَعْبُدُونَ عِبَادَةَ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ أَغْوَوْهُمْ وَفِيهِ إِذْنٌ بِتَبَرُّهِمْ عَنْهُمْ وَعَنْ عِبَادَتِهِمْ كَقَوْلِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ وَمَا نَافِئَةً وَأَتَمَّ خُطَابَ لَهُمْ وَلِمَعْدُودِيهِمْ تَغْلِيْبًا وَعَلَى مُتَعَلِّقَةٍ بِفَاتْنَيْنِ يُقَالُ فَنَنْ فُلَانٍ عَلَى فُلَانٍ أَمْرُهُ أَيْ أَفْسَدَهَا عَلَيْهِ وَالْمَعْنَى فَاتْنُكُمْ وَمَعْبُودِيكُمْ إِيَّاهُمُ الْمُشْرِكُونَ لَسَمَّ بِفَاتْنَيْنِ عَلَيْهِ تَعَالَى بِأَفْسَادِ عِبَادِهِ وَأَضْلَالِهِمْ ( الْإِمَامُ الْخَالِصُ ) مِنْهُمْ أَيْ دَاخِلُهُمْ لَعَلَهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ يُصِيرُهُ عَلَى الْكُفْرِ بِسُوءِ اخْتِبَارِهِ وَيُصِيرُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَا مَحَالَةَ وَأَمَّا الْمُخْلِصُونَ مِنْهُمْ فَاتَّكُمُ بِمَعْرِفَةِ مَنْ أَفْسَدَهُمْ وَأَضْلَلَهُمْ فَهُمْ لَأَجْرٍ بِرَأْيِهِمْ أَنْ يَفْتَنُوا بِكُمْ وَيَسْلُكُوا مَسْلَكَكُمْ فِي وَصْفِهِ تَعَالَى بِمَا وَصَفْتُوهُ بِهِ وَقَرِئَ صَالٍ بِضَمِّ اللَّامِ عَلَى أَنَّهُ جَعَلَ مَحْجُولٌ عَلَى مَعْنَى مَنْ قَدْ

أَشَدَّ خُلُقًا مِنْ خُلُقِنَا وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى أَمْرُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاسْتِفْتَاءِ قُرَيْشٍ عَنْ وَجْهِ انْتِكَارِ الْبَعْثِ أَوْ لَأَتَمَّ سَائِيَ الْكَلَامِ مَوْصُولًا بِبَعْضِهِ بَعْضٌ إِلَى أَنَّ أَمْرَهُ بِأَنْ يَسْتَفْتِيَهُمْ فِي أَنْهَمُ لَمْ يَأْتِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْبَنَاتُ وَلَانْفُسَهُمُ الْبَنِينَ وَنَقَلَ الْوَاحِدِيُّ عَنْ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّهِمْ قَالُوا أَنَّ قُرَيْشًا وَاجْتِنَاسَ الْعَرَبِ جَهَنَّمَةُ وَبَنَى سَلْمَةَ وَخَزَاعَةَ وَبَنَى مَلِيحًا قَالُوا الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ يَشْتَمِلُ عَلَى أَمْرَيْنِ ( أَحَدُهُمَا ) اثْبَاتُ الْبَنَاتِ لِلَّهِ وَذَلِكَ بَاطِلٌ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا يَسْتَنْكِفُونَ مِنَ الْبَنَاتِ وَالثَّوْنِي الَّذِي يَسْتَنْكِفُ الْمَخْلُوقُ مِنْهُ كَيْفَ يُمْكِنُ اثْبَاتُهُ لِلْمَخْلُوقِ ( وَالثَّانِي ) اثْبَاتُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ إِنَاثٌ وَهَذَا أَيْضًا بَاطِلٌ لِأَنَّ طَرِيقَ الْعِلْمِ أَمَّا الْحَسُّ وَأَمَّا الْخَبَرُ وَأَمَّا النَّظَرُ أَمَّا الْحَسُّ فَفَقُودُهُنَّ لَأَنَّهُمْ مَا شَهِدُوا وَكَيْفِيَّةُ تَخْلِيْقِ اللَّهِ الْمَلَائِكَةَ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ أَمْ خُلِقْنَا الْمَلَائِكَةُ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ وَأَمَّا الْخَبَرُ فَفَقُودُهُ أَيْضًا لِأَنَّ الْخَبَرَ إِنَّمَا يُفِيدُ الْعِلْمَ إِذَا عَلِمَ كَوْنَهُ صَدَقًا قَطْعًا وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُخْبِرُونَ عَنْ هَذَا الْحُكْمِ كَذَابُونَ أَفَأَكُونُ لَمْ يَدِلَّ عَلَى صِدْقِهِمْ لِأَدَلَّةٍ وَلَا مَارَةٍ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ إِلَّا أَنَّهُمْ مِنْ أَفْكَهْمُ لِيَقُولُوا وَلَدَ اللَّهُ وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ \* وَأَمَّا النَّظَرُ فَفَقُودُهُ بَيَّانُهُ مِنْ وَجْهَيْنِ ( الْأَوَّلُ ) أَنَّ دَلِيلَ الْعَقْلِ يَقْتَضِي فُسَادَ هَذَا الْمَذْهَبِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَكْلَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْأَكْلَ لَا يَلِيْقُ بِهِ اصْطِفَاءُ الْإِنْسَانِ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ اصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ يَعْنِي اسْتِنَادَ الْإِفْضَلِ إِلَى الْإِفْضَلِ أَقْرَبُ عِنْدَ الْعَقْلِ مِنْ اسْتِنَادِ الْإِنْسَانِ إِلَى الْإِفْضَلِ فَإِنَّ كَانَ حُكْمُ الْعَقْلِ مَعْتَبَرًا فِي هَذَا الْبَابِ كَانَ قَوْلُكُمْ بَاطِلًا ( وَالْوَجْهَ الثَّانِي ) أَنَّ نَزْرَكَ الْإِسْتِدْلَالَ عَلَى فُسَادِ مَذْهَبِهِمْ بَلْ نَطَالِبُهُمْ بِإثْبَاتِ الدَّلِيلِ الدَّالِّ عَلَى صِحَّةِ مَذْهَبِهِمْ فَذَا لَمْ يَجِدُوا ذَلِكَ الدَّلِيلَ فَعِنْدَهُ يَظْهَرُ أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ مَا يَدِلُّ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِهِمْ وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مَبِينٌ فَأَتُوا بِكُتَابِكُمْ أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَثَبِتْ بِمَا ذَكَرْنَا أَنَّ الْقَوْلَ الَّذِي ذَهَبُوا إِلَيْهِ لَمْ يَدِلَّ عَلَى صِحَّتِهِ لَا الْحَسُّ وَلَا الْخَبَرُ وَلَا النَّظَرُ فَكَانَ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ بِأَبْلَاطُوعًا وَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لِمَا طَالِبُهُمْ بِمَا يَدِلُّ عَلَى صِحَّةِ مَذْهَبِهِمْ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ التَّقْلِيدَ بَاطِلٌ وَأَنَّ الدِّينَ لَا يَصْحَحُ إِلَّا بِالْأَدِلَّةِ ( السُّؤَالُ الثَّانِي ) قَوْلُهُ اصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ بِقَطْعِ الْهَمْزَةِ وَقَطْعُهَا مِنْ اصْطَفَى ثُمَّ يَحْذَفُ الْفَاءُ الْوَصْلُ وَهُوَ اسْتِفْهَامٌ تَوْبِيخٌ وَتَقْرِيعٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى أَمْ اتَّخَذَ مَا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَقَوْلُهُ تَعَالَى أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْإِنْثَى وَكَأَنَّ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ كُلَّهَا اسْتِفْهَامٌ فَكَذَلِكَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَقَدْ نَافَعٌ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ لَكَذِبُونَ اصْطَفَى مَوْصُولَةٌ بِغَيْرِ اسْتِفْهَامٍ وَإِذَا ابْتَدَأَ كَسَرَ الْهَمْزَةَ عَلَى وَجْهِ الْخَبَرِ وَالتَّقْدِيرِ اصْطَفَى الْبَنَاتِ فِي زَعْمِهِمْ كَقَوْلِهِ ذِيكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ فِي زَعْمِهِ وَاعْتِقَادِهِ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَاخْتَلَفُوا فِي الْمُرَادِ بِالْجَنَّةِ عَلَى وَجْهِهِ ( الْأَوَّلُ ) قَالَ مُقَاتِلٌ اثْبَتُوا نَسَبًا بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ الْمَلَائِكَةِ حِينَ زَعَمُوا أَنََّّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَالْجَنَّةُ هِيَ الْمَلَائِكَةُ سَمَوْا جَنَّا لاجْتِنَانِهِمْ عَنِ الْإِبْصَارِ أَوْ لِأَنَّهُمْ خَزَانُ الْجَنَّةِ وَأَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ عِنْدِي مُشْكِلٌ لِأَنَّهُ تَعَالَى أَبْطَلَ قَوْلَهُمُ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ



( ولقد سقت كلتنا لعبادنا المرسلين ) استئناف مقرر للوعيد وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه اي وباللهد قدسقى وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله تعالى ( انهم لهم ( ١٦٩ ) المنصورون وان جندنا ) وهم اتباع المرسلين ( لهم الغالبون ) على اعدائهم في الدنيا والاخرة ولا يقدح في ذلك

انهم في بعض المشاهد فان قاعدة امرهم واباسه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والحنة والحكم للغائب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الاخرة وقرئ على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وتسيتهما كمة مع انها كانت لا تنظما لها في معنى واحد وقرئ كلتنا ( فتقول عنهم ) فاعرض عنهم واصبر ( حتى حين ) الى المدة يسيرة وهى مدة الكف عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح ( وابصرهم ) على اسوأ حال واقطع نكال حل بهم من القتل والاسر والمراد بالامر بالبصائر الايدان بغاية قربه كأنه بين يديه ( فسوف يصرون ) ما يقع حينئذ من الامور وسوف لا يعيدون التبعية ( افعدنا يستجلبون ) روى انه لما نزل فسوف يصرون فالوا متى هذا فنزل ( فاذا نزل بساحتهم ) اي فاذا نزل العذاب الموعود بفنائهم كأنه جيس فدهجهم فأناف بفنائهم بفتة فشن عليهم الفارة وقطع دابرهم بالمرء وقيل المراد نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمحرور وقرئ نزل مبتيا للبعول من التنزيل اي نزل العذاب ( فساء صباح المنذرين ) فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش الميت لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم العارة في الصباح سموها صباحا وان وقعت ليلا روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى

فحمل هو على لفظة والصالون على معناه ( المسئلة الثانية ) احتج اصحابنا بهذه الآية على انه لا تأثير لاغواء الشيطان ووسوسته وانما المؤثر قضاء الله تعالى وتقديره لان قوله تعالى فانكم وما تعبدون ما اتم عليه بفاتين تصريح بأنه لا تأثير لقولهم ولا تأثير لاحوال معبودهم في وقوع الفتنة والضلال وقوله تعالى الامن هو صال الجحيم يعنى الامن كان كذلك في حكم الله وتقديره وذلك تصريح بأن مقتضى لوقوع هذه الحوادث حكم الله تعالى وكان عمر بن عبدالعزيز يحتج بهذه الآية في اثبات هذا المطلوب قال الجبائي المراد ان الذين عبدوا الملائكة يزعمون انهم بنات الله لا يكفرون احدا الامن ثبت في معلوم الله انه سيكفر فدل هذا على ان من ضل بدعاء الشيطان لم يكن ليؤمن بالله لومنع الله الشيطان من دعائه والا كان يمنع الشيطان فصيح بهذا ان كل من بعصى لم يكن ليصلح عنه شئ من الافعال والجواب حاصل هذا الكلام انه لا تأثير لاغواء شياطين الانس والجن وهذا النزاع فيه الا ان وجه الاستدلال انه تعالى بين انه لا تأثير لكلامهم في وقوع الفتنة ثم استثنى عنه ما في قوله تعالى الامن هو صال الجحيم فوجب ان يكون المراد من وقوع الفتنة هو كونه محكوما عليه بأنه صال الجحيم وذلك تصريح بأن حكم الله بالسعادة والشقاوة هو الذى يؤثر في حصول الشقاوة والسعادة واعلم ان اصحابنا قرروا هذه المسئلة بالحديث المشهور وهوانه حج آدم موسى قال القاضى هذا الحديث لم يقبله علماء التوحيد لانه يوجب ان لا يلام احد على شئ من الذنوب لانه ان كان آدم لا يجوز لموسى ان يلومه على عمل كتبه الله عليه قبل ان يخلقه فكذلك كل مذنب فان صحت هذه المسئلة لا دم عليه السلام فلماذا قال موسى عليه السلام في الوكرة هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ولماذا قال فلن اكون ظهيرا للمجرمين ولماذا لام فرعون وجوده على امر كتبه الله عليهم ومن عجيب امرهم انهم يكفرون القدرية وهذا الحديث يوجب ان آدم كان قدر يا فلزمهم ان يكفروه وكيف يجوز مع قول آدم وحواء عليهما السلام ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفرتنا وترحمتنا لكوننا من الخاسرين ان يحتج على موسى بأنه لا لوم عليه وقد كتب عليه ذلك قبل ان يخلفه هذا اجله كلام القاضى فيقال له هب انك لا تقبل ذلك الخبر فهل ترد هذه الآية ام لا فاننا بينا ان صريح هذه الآية يدل على انه لا تأثير لا وسوس في هذا الباب فان الكل يحصل بحكمة الله تعالى والذى يدل عليه وجوه ( الاول ) ان الكافر ان ضل بسبب وسوسة الشيطان فضلال الشيطان ان كان بسبب شيطان آخر لم تسلسل الشياطين وهو محال وان انتهى الى ضلال لم يحصل بسبب وسوسة متقدمة فهو المطلوب ( الثانى ) ان كل احديده ان يحصل لنفسه الاعتقاد الحق والدين الصدق فحصول ضده يدل على ان ذلك ليس منه ( الثالث ) ان الافعال موقوفة على الدواعي وحصول الدواعي بخلق الله فيكون الكل من الله تعالى ( الرابع ) انه تعالى لما اقتضت حكمته شيئا وعلم وقوعه فلو لم يقع ذلك الشئ لم يزل ذلك الحكم كذبا وانقلاب ذلك العلم جهلا

خبر وكانوا خارجين الى مرارهم ومعهم ( ٢٢ ) ( را ) ( سا ) المساحي فالوا محمد والخمس ورجعوا الى حصنهم فقال عاب الصلوة والسلام الله اكبر خربت خير انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ( وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف

يصرّون) تسليّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسليّة وتأكيد لوقوع الميعاد غيب تأكيد مع ما في اطلاق الفعلين عن المفعول من الايدان بان ما يصره عليه الصلاة والسلام حيثئذ من فنون المسار وما يصرّونه ( ١٧٠ ) من انواع المضار لا يبيّط به الوصف والبيان

وهو محال واما الآيات التي تمسك بها القاضى فهي معارضة بالآيات الدالة على ان الكل من الله والقرآن كالبحر المملوء من هذه الآيات فتبقى الدلائل العقلية التي ذكرناها سليمة والله اعلم ثم قال تعالى واما لنا الاله مقام معلوم فالجمهور على انهم الملائكة وصفوا انفسهم بالمبالغة في العبودية فانهم يصطفون للصلاة والتسبيح والغرض منه التنبيه على فساد قول من يقول انهم اولاد الله وذلك لان مبالغتهم في العبودية تدل على اعترافهم بالعبودية واعلم ان هذه الآية تدل على ثلاثة انواع من صفات الملائكة (قاولها) قوله تعالى واما لنا الاله مقام معلوم وهذا يدل على ان لكل واحد منهم مرتبة لا يتجاوزها ودرجة لا يتعدى عنها وتلك الدرجات اشارة الى درجاتهم في التصرف في اجسام هذا العالم والى درجاتهم في معرفة الله تعالى امد درجاتهم في التصرفات والافعال فهي قوله وانا نحن الصافون والمراد كونهم صافين في اداء الطاعات ومنازل الخدمة والعبودية واما درجاتهم في المعارف فهي قوله تعالى وانا نحن المسبحون والتسبيح تنزيه الله عما لا يليق به واعلم ان قوله وانا نحن الصافون وانا نحن المسبحون يفيد الحصر ومعناه انهم هم الصافون في مواقف العبودية لا غيرهم وانهم هم المسبحون لا غيرهم وذلك يدل على ان طاعات البشر ومعارفهم بالنسبة الى طاعات الملائكة والى معارفهم كاحدم حتى يصح هذا الحصر وبالجملة فهذه الالفاظ الثلاثة تدل على اسرار عجبية من صفات الملائكة فكيف يجوز مع هذا الحصر ان يقال البشر تقرب درجته من الملك فضلا عن ان يقال هل هو افضل منه ام لا واما قوله وانا كنا يقولون لو ان عندنا ذكر من الاولين لكن اعباد الله المخلصين فاللعنى ان مشركى قريش وغيرهم كانوا يقولون لو ان عندنا ذكر اى كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل لا نخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ثم جاءهم الذكر الذى هو سيد الاذكار والكتاب الميمى على كل الكتب وهو القرآن فكفروا به ونظير هذه الآية قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا ثم قال تعالى فسوف يعلمون اى فسوف يعلمون عاقبة هذا الكفر والتكذيب ﴿ قوله تعالى (ولقد سبقت كلتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون قول عنهم حتى حين وابصرهم فسوف يصرّون افعدا بنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يصرّون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ) اعلم انه تعالى لما هدد الكفار بقوله تعالى فسوف يعلمون عاقبة كفرهم اردف بما يقوى قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال ولقد سبقت كلتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فبين ان وعده بنصرته قد تقدم والدليل عليه قوله تعالى ﴿ كتب الله لا غلبان انا ورسلى وايضاً ان الخير مقضى بالذات والشر مقضى بالعرض وما بالذات اقوى مما بالعرض واما النصره والغلبة فقد تكون بقوة المحجوف وقد تكون بالدولة والاستيلاء وقد تكون بالدوام والثبات

وقيل اريد بالاول عذاب الدنيا وبالثانى عذاب الآخرة (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) تنزيه لله سبحانه عن كل ما يصفه المشركون به مما لا يليق بمجانب كبريائه وجبروته مما ذكر في السورة لكرامة ومالم يذكر من الامور التي من اجلها ترك انجاز الموعود على موجب كلمته السابقة لاسيما في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بينى عنه التعرض لعنوان الربوبية العربية عن الترية والتكبير والمالكية التكلية مع الاضافة الى خيبره عليه الصلاة والسلام ولا الى العزة ثانياً كما أنه قيل سبحان من هو مريبك ومملكك ومالك العزة والغلبة على الاطلاق عما يصفه المشركون به من الاشياء التي منها ترك نصرتك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب وقوله تعالى (وسلام على المرسلين) تشرىف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتوحيه بشأنهم وايدان بأفهم سالمون عن كل المكارة فانزول جميع المآرب وقوله تعالى (والحمد لله رب العالمين) اشارة الى وصفه عز وجل بصفاته الكريمة النبوية بعد التنبيه على انصافه تعالى بجميع صفاته السلبية وايدان باستنباعها للافعال الجليّة التي من اجلها افاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدينية والدينية واسباغهم عليهم وعلى من تبعهم من صنوف النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحدّه تعالى والشعار بان ما وعده عليه الصلاة والسلام من النصره والغلبة قد تحققت والمراد تنبيه

المؤمنين على كفية تسليحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسائط بينهم وبينه عز وجل فيضيان الكمالات الدينية (فالؤمن) والدينية عليهم ولعل توسط التسليم على المرسلين بين تسليحه تعالى وتحميده لحتم السورة الكريمة بحمده تعالى مع ما فيه من الاشعار

بان توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جلة نعمه الموجبة للحسد \* عن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحانه ربك ( ١٧١ ) رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين \*

\* وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصفات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جن وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين (سورة ص مكية وآيات) (اوتمان ونمانون آية)

«(بسم الله الرحمن الرحيم)»

( ص ) بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر أو اقرأ لافعل كما مر في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لانها علم للسورة وقد صرفها من قرأ صادق النورين على انه اسم الكتاب او التنزيل وقيل هو في قراءة الكسر امر من المصاداة وهي المعارضة والمقابلة ومنها الصدى الذي يعكس من الاجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل يا واهمه واتته عن نواهيته وتخلق بأخلاقه ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على منهج التعدي او الرمز الى الكلام مثل صدق الله او صدق محمد كما نقل عن اكابر السلف او اسما للسورة خبرا مبتدأ محذوف او نصبا على اضمار اذكر او اقرأ او امرا من المصاداة قالوا وفي قوله تعالى (والقرآن ذى الذكر) للقسم وان جعل مقصدا به في اللفظ عليه فان اريد بالقرآن كله فالمراد بينهما حقيقة وان

فالمؤمن وان صار مغلوبا في بعض الاوقات بسبب ضعف احوال الدنيا فهو الغالب ولا يلزم على هذه الآية ان يقال فقد قتل بعض الانبياء وقد هزم كثير من المؤمنين ثم قال نعم لى رسوله وقد اخبره بما تقدم فتول عنهم حتى حين والمراد ترك مقاتلتهم والثقة بما وعدناهم الى حين يتبعون ثم تحمل بهم الحسرة والندامة واختلف المفسرون فقيل المراد الى يوم بدر وقيل الى فتح مكة وقيل الى يوم القيامة ثم قال وأبصرهم فسوف يبصرون والمعنى فأبصرهم وما يقضى عليهم من القتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة فسوف يبصرونك مع ما قدر لك من النصر والتأييد في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة والمراد من الامر بأبصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة على انها كانت واقعة لا محالة وان يكونتها قريبة كما انها قدام ناظريك وقوله فسوف يبصرون للتهديد والوعيد ثم قال افبعذابنا يستجملون والمعنى ان الرسول عليه السلام كان يهددهم بالعذاب وما رواه شيئا فكانوا يستجملون نزول ذلك العذاب على سبيل الاستهزاء فينبى تعالى ان ذلك الاستجمال جهل لان لكل شئ من افعال الله تعالى وقتا معين لا يتقدم ولا يتأخر فكان طلب حدوثه قبل مجئ ذلك الوقت جهلا ثم قال تعالى في صفة العذاب الذى يستجملونه فاذا نزل بساحتهم اى هذا العذاب فساء صباح المنذرين واتما وقع هذا التعبير عن هذه المعاني لانهم كانوا يقدمون على العادة في وقت الصباح فجعل ذكر ذلك الوقت كناية عن ذلك العمل ثم اعاد قوله تعالى فتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون فقيل المراد من هذه الكلمة فيما تقدم احوال الدنيا وفي هذه الكلمة احوال القيامة وعلى هذا التقدير فالتكرير زائل وقيل ان المراد من التكرير المبالغة في التهديد والتهويل ثم انه تعالى ختم السورة بخاتمة شريفة جامعة لكل المطالب العالية وذلك لان اهم المهمات للعاقل معرفة احوال ثلاث ( فأولها ) معرفة الله العالم بقدر الطاقة البشرية واقصى ما يمكن عرفانه من صفات الله تعالى ثلاثة انواع ( احدها ) تنزيهه وتقديسه عن كل ما يليق بصفات الالهية وهو لفظة سبحانه ( وثانيها ) وصفه بكل ما يليق بصفات الالهية وهو قوله رب العزة فان الربوبية اشارة الى الترتيب وهى دالة على كمال الحكمة والرحمة والعزة اشارة الى كمال القدرة ( وثالثها ) كونه منزها في الالهية عن الشريك والنظير وقوله رب العزة يدل على انه القادر على جميع الحوادث لان الالف واللام في قوله العزة تفيد الاستغراق واذا كان الكل ملكاله لم يبق لغيره شئ فثبت ان قوله سبحانه ربك رب العزة عما يصفون كلمة محتوية على اقصى الدرجات واكمل النهايات في معرفة الله العالم ( والمهم الثاني ) من مهمات العاقل ان يعرف انه كيف ينبغي ان يعامل نفسه ويعامل الخلق في هذه الحياة الدنيوية واعلم ان اكثر الخلق ناقصون ولا بد لهم من مكمل يكملهم ومرشد يرشدهم وهادي يهديهم وما ذاك الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبديهة الفطرة شاهدة بأنه يجب على الناقص الاقتداء بالكامل فنبه على هذا الحرف بقوله وسلام على المرسلين لان هذا اللفظ يدل على انهم في

اريد عين السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة وايا ما كان في التكرير مزيد تأكيد لمضمون الجملة القسم عليها والذكر الشرف والنباهة كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك والذكرى والموعظة اودى كرم يحتاج اليه في امر



الدين من الشرائع والاحكام وغيرها من اقايص الانبياء عليهم الصلاة والسلام واخبار الامم الدارجة والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الاول والرابع والخامس محذوف هو ما ينبي ( ١٧٢ ) عنه التحدى والامر والاقسام به من كون التحدى به معبزا

وكون المأموريه واجبا وكرن المقسم به حقيقا بالاغظام اى اقسام بالقرآن اوبصاد وبه انه لميجز أولواجب العمل به او لحقيق بالاغظام واما على الوجهين الباقين فهو الكلام المرموز اليه ونفس الجملة المذكورة قبل القسم فان النسيمة تنويه بشأن السعى وتنبيه على عظم خطره اى انه لصادق والقرآن ذى الذكرا وهذه السورة عظيمة الشأن والقرآن الخ على طريقة قولهم هذا حام والله ولما كان كل واحد من هذه الاجوبة منبئا عن انتفاء الريب عن مضمونه بالكلية انباء بينا كان قوله تعالى ( بل الذين كفروا في عزة وشقاق ) اضرابا عن ذلك كما انه قيل لاربيب فيه قطعنا وليس عدم اذعان الكفرة له لشأنه ريب ما فيه بل هم في استكبار وجبة شديدة وشقاق بعيدة تعالى ولرسوله ولذلك لا يدعون له وقيل الجواب ما دل عليه الجملة الاضريبية اى ما كفر به من كفر ظلال وجده فيه بل الذين كفروا الخ وقرئ في غرة اى في عقله عما يجب عليهم التنبيه له من مبادئ الايمان ودواعيه ( كم اهلكنا من قبلهم من قرن ) وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما اصاب من قبلهم من المستكبرين وكم مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز والمعنى وقرنا كثيرا اهلكنا من القرون الخالية ( فادوا ) عند نزول بأسنا وحلول نفقتنا استغاثة وتوبة لينجوا من ذلك وقوله تعالى ( ولات حين مناص ) حال من ضمير نادوا اى نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال ان ليس الحين حين مناص اى فوت ونجاة من ناصه اى فاته

( سورة ص نمانون وبمان آيات مكية )  
( بسم الله الرحمن الرحيم )

( ص والقرآن ذى الذكرا بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص ) وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) الكلام المستقصى في امثال هذه القوافي المذكورة في اول سورة البقرة ولا بأس باعادة بعض الوجوه فالاول انه مفتاح اسماء الله تعالى التي اولها صاد كقولنا صادق الوعد صانع المصنوعات صمد ( الثاني ) معناه صدق محمد في كل ما اخبر به عن الله ( الثالث ) معناه صد الكفار عن قبول هذا الدين كما قال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ( الرابع ) معناه ان القرآن مركب من هذه الحروف وأنتم قادرون عليها ولستم قادرين على معارضة القرآن فدل ذلك على ان القرآن مجز ( الخامس ) ان يكون صاد بكسر الدال من المصاداة وهى المعارضة ومنها الصدى وهو ما يعارض صوتك فى الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره واته عن نواهيه ( السادس ) انه اسم السورة والتقدير هذه صادة فان قيل ههنا اشكالان ( احدهما ) ان قوله والقرآن ذى الذكرا قسم وابن المقسم عليه ( والثاني ) ان كلمة بل تقتضى رفع حكم ثبت قبلها واثبات حكم بعدها يناقض الحكم السابق فأين هذا المعنى ههنا والجواب عن الاول من وجوه ( الاول ) ان يكون معنى صاد بمعنى صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيكون صاد هو المقسم عليه وقوله والقرآن ذى الذكرا هو القسم ( الثاني ) ان يكون المقسم عليه محذوفا والتقدير سورة ص والقرآن ذى الذكرا نه لكلام مجز لا نايينا ان قوله صاد تنبيه على التحدى ( والثالث ) ان يكون صاد اسما للسورة ويكون التقدير هذه صاد والقرآن ذى الذكرا ولما كان المشهور ان محمدا

لامن ناص بمعنى تأخر ولاهى المشبهة بليس زيدت عليها ناء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وم وخصت بنى الاحيان ( عليه ) ولم يبرز الاحاد معموليها والاكثر حذف اسمها وقبله النافية للجنس زيدت عليها ناء وخصت بنى الاحيان وحين مناص منصوب



على انه اسمها اى ولاحين مناص لهم اوبعل مضر اى ولارى حين مناص وقرئ بالرفع فهو على الاول اسمها والخبر محذوف اى وليس حين مناص حاصلهم وعلى الثانى مبتدأ ( ١٧٣ ) محذوف الخبر اى ولاحين مناص كائن لهم وقرئ بالكسر كما فى قوله

طلبوا صلحنا ولات اوان

فاجبنا ان لات حين بقاء

اما لان لات تجر الاحيان كان

لولا تجر الضمائر فى محو قوله

لولاك هذا العالم احبب

اولان اوان شبه بأدى قوله

نيتك عن طلائك ام عمرو

بغافية وانت اذ صحيح

فى انه زمان قطع منه المضائق اليه

وعوض التنوين لان اصله اوان

صلحتم جل عليه حين مناص نزيلا

لقطع المضائق اليه من مناص اذ

أصله حين مناصهم منزلة قطعه

من حين لما بين الضائفين من

الاتحاح - ثم بنى الحين لاضافته

الى غير متمكن وقرئ لات

بالكسر كغير وبغ الكوفيين

عليها بالهاء كالاسماء والبصريون

بالتاء كالافعال وما قبل من ان

التاء سريرة على حين لاتصالها

به فى الامام مما لا وجد له فان خط

الصحف خارج عن القياس

( ويجبوا ان جاءهم منذر منهم )

حكاية لا باطل لهم المبرعة على

ما حنى من استكبارهم وشقاقهم

اى عجبوا من ان جاءهم رسول

من جنسهم بل ادون منهم فى

الرياسة الدنياوية والمال على

معنى انهم عدوا ذلك امر اعجيبا

خارجا عن احتمال الوفوع

وانكروا اشد الانكار لانهم

اعتقدوا وفوعه وتعبوا منه

( وقال الكافرون ) وضع فيه

الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم

وايذا بأنه لا يتجاسر على مثل

ما يصولونه الا المتوغلون فى

الكفر والفسوق ( هذا ساحر )

فيما يظهره من الحوارق ( كذاب )

فيما يستند الى الله تعالى من الارسل

عليه السلام يدعى فى هذه السورة كونها مجزة كان قوله هذه ص جاريا مجرى قوله هذه هى السورة المجزة ونظيره قولك هذا حاتم والله اى هذا هو المشهور بالسحاه ( والجواب )  
عن السؤال الثانى ان الحكم المذكور قبل كلمة بل كون محمد صادقا فى تبليغ الرسالة او كون القرآن او هذه السورة مجزة والحكم المذكور بعد كلمة بل ههنا هو المنازعة والمشاقة فى كونه كذلك فحصل المطلوب والله اعلم ( المسئلة الثانية ) قرأ الحسن صاد بكسر الدال لاجل التقاء الساكنين وقرأ عيسى بن عمر بنصب صادونون وبمحذف حرف القسم وايصال فعله كقوله الله لا فعلن واكثر القراء على الجزم لان الاسماء العارية عن العوامل تذ كر موقوفة الا و اخر ( المسئلة الثالثة ) فى قوله ذى الذكر وجهان ( الاول ) المراد ذى الشرف قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقال تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم ومجاز هذان قولهم لفلان ذكر فى الناس كما يقولون له صيت ( الثانى ) ذى البيانين اى فيه قصص الاولين والآخرين وفيه بيان العلوم الاصلية والفرعية ومجازه من قوله ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ( المسئلة الرابعة ) قالت المعتزلة القرآن ذى الذكر والذكر محدث ( بيان الاول ) قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وهذا ذكر مبارك والقرآن ذى الذكر ان هو الا ذكر وقرآن مبين ( بيان الثانى ) ما يأتىهم من ذكر من ربهم محدث ما يأتىهم من ذكر من الرحمن محدث ( والجواب ) اننا نصرف دليلكم الى الحروف والاصوات وهى محدثة اما قوله بل الذين كفروا فالمراد منه الكفار من رؤساء قريش الذين يحوز على مثلهم الاجاع على الحسد والتكبر عن الانقياد الى الحق والعزة ههنا التعظيم وما يعتقده الانسان فى نفسه من الاحوال التى تمنعه من متابعة الغير لقوله تعالى واذا قبله اتق الله اخذته العزة بالانم والشقاق هو اظهار المخالفة على جهة المساواة للمخالف او على جهة الفضيلة عليه وهو مأخوذ من الشق كانه يرتفع عن ان يلزمه الانقياد له بل يجعل نفسه فى شق وخصمه فى شق فيريد ان يكون فى شق نفسه ولا يجرى عليه حكم خصمه ومثله المعاداة وهو ان يكون احدهما فى عدوة والاخر فى عدوة وهى جانب الوادى وكذلك المحادة ان يكون هذا فى حد غير حد الاخر ويقال انحرف فلان عن فلان وجانب فلان فلانا اى صار منه على حرف وفى جانب غير جانبه والله اعلم ثم انه تعالى لما وصفهم بالعزة والشقاق خوفهم فقال كم اهلكما قبلهم من قرن فنادوا والمعنى انهم نادوا عند نزول العذاب فى الدنيا ولم يذكرا بى شئ نادوا وفيه وجوه ( الاول ) وهو الاظهار انهم نادوا بالاستغاثة لان نداء من نزل به العذاب ليس الا بالاستغاثة ( الثانى ) نادوا بالايمان والتوبة عند معاناة العذاب ( الثالث ) نادوا اى رفقوا اصواتهم يقال فلان اندى صوتا من فلان اى ارفع صوتا ثم قال ولات حين مناص يعنى ولم يكن ذلك الوقت وقت فرار من العذاب وهو كقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا وقال حتى اذا اخذنا من فيهم بالعذاب اذا هم يحارون والجوار رفع الصوت بالتضرع والاستغاثة وكقوله آلا كن وقد عصيت قبل وقوله فلم يك ينفعهم

والانزال ( اجعل الآلهة الها واحدا ) بأن نفي الالهة عنهم وقصرنا على واحد ( ان هذا لشي عجاب ) بليغ فى العجب وذلك لانه خلاف ما ألفوا عليه آباءه الذين اجمعوا على الوهيتهم وواظبوا على عبادهم كابرا عن كابر فان مدار كل ما باتون وما يندرون من امور دينهم هو

التقليد والاعتقاد فيعدون ما يخالف ما عبادوه فحسبابل محالا واما جعل مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالاشياء الكثيرة فلا وجه لهما انهم لا يدعون ان لا الهتهم علما وقدره ومدخلا ( ١٧٤ ) في حدوث شئ من الاشياء حتى يلزم من نفى الوهيتهم بقا الازمان

بلا مؤثر وقرئ عجب بالتشديد وهو ابلغ ككرام وكرام روى انه لما سلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاجتمع نخسة وعشرون من صناديدهم فأتوا اباطال فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد غلبت ما فعل هؤلاء السفهاء وقد جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستخضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم أرايت ان اعطينكم ما سألتكم معطى اتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشر ا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك ( وانطلق الملائكة ) اي وانطلق الاشراف من قريش عن مجلس ابى طالب بعد ما بكتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد وشاهدوا فصله عليه الصلاة والسلام في الدين وعزيمته على ان يظهره على الدين كله ويسوا بما كانوا يرجونه بتوسط ابى طالب من المصالحة على الوجه المذكور ( ان امشوا ) اي قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا ( واصبروا على آلهتكم ) اي وابتنوا على عبادتها متصليين لما تسعونه في حقها من القدح وان هي المغيرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشيت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل اي

ايمانهم لما رأوا بأسنا بقي ههنا ابحاث ( البحث الاول ) في تحقيق الكلام في لفظلات زعم الخليل وسيدويه ان لات هي لا المشبهة بليس زيدت عليها التانيث كما زيدت على رب وثم للتأكيد وبسبب هذه الزيادة حدثت لها احكام جديدة منها انها لا تدخل الاعلى الاحيان ومنها ان لا يبرز الاحاد جزئيا اما الاسم واما الخبر ومنتع بروزهما جميعا وقال الاخفش انها لا نافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفى الاحيان وحين مناص منصوب بها كائلك قلت ولات حين مناص لهم ويرتفع بالابتداء اي ولات حين مناص كائن لهم ( البحث الثاني ) الجمهور يقفون على التاء من قوله ولات والكسائي يقف عليها بالتاء كما يقف على الاسماء المؤنثة قال صاحب الكشف واما قول ابى عبيدة التاء داخلة على الحين فلا وجه له واستشهاده بأن التاء ملترقة بحين في مصحف عثمان فضعيف فكف وقعت في المصحف اشياء خارجة عن قياس الخط ( البحث الثالث ) المناص المنجوا والغوث يقال ناصه ينوصه اذا أغاثه واستناص طلب المناص والله اعلم \* قوله تعالى ( وعجبوا ان جاءهم منذر منهم ) وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشي عجب وانطلق الملائكة منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشي يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الاختلاق ) اعلم انه تعالى لما حكى عن الكفار كونهم في عزة وشقاق اردفه بشرح كلماتهم الفاسدة فقال وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وفي قوله منهم وجهان ( الاول ) انهم قالوا ان محمدا مساو لنا في الخلقة الظاهرة والاختلاق الباطنة والنسب والشكل والصورة فكيف يعقل ان يختص من بيننا بهذا المنصب العالي والدرجات الرفيعة ( والثاني ) ان الغرض من هذه الكلمة التنبيه على كمال جهالتهم وذلك لانه جاءهم رجل يدعوهم الى التوحيد وتعظيم الملائكة والترقيب في الآخرة والتنفير عن الدنيا ثم ان هذا الرجل من اقاربهم يعلمون انه كان بعيدا من الكذب والتهمة وكل ذلك مما يوجب الاعتراف بتصديقه ثم ان هؤلاء الاقوام لحماقتهم يتعجبون من قوله ونظيره قوله لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون فقال وعجبوا ان جاءهم منذر منهم ومعناه ان محمدا كان من رهطهم وعشيرتهم وكان مساويا لهم في الاسباب الدنيوية فاستنكفوا من الدخول تحت طاعته ومن الاقياد لتكاليفه وعجبوا ان يختص هو من بينهم برسالة الله وان يميز عنهم بهذه الخاصية الشريفة وبالجملة فاكان لهذا التعجب سبب الا الحسد سم قال تعالى وقال الكافرون هذا ساحر كذاب وانما لم يقل وقالوا بل قال وقال الكافرون اظهارا للتعجب ودلالة على ان هذا القول لا يصدر الا عن الكفر التام فان الساحر هو الذي يمنع من طاعة الله ويدعو الى طاعة الشيطان وهو عندكم بالعكس من ذلك والكذاب هو الذي يخبر عن الشئ لا على ما هو عليه وهو يخبر عن وجود الصانع القديم الحكيم العليم وعن الحشر والنشر وسائر الاشياء التي تثبت بدلائل العقول صحتها فكيف يكون كذابا ثم انه تعالى حكى جميع ما عولوا عليه في اثبات كونه كاذبا وهي ثلاثة اشياء

اجتمعوا واكثروا وقرئ امشوا بغير ان على اضمار القول وقرئ يمشون ان اصبروا ( ان هذا لشي يراد ) تعليل للامر ( احدها ) بالصبر اول وجوب الامتنال به اي هذا الذي شاهدناه من محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد ونفى آلهتنا وابطال امرها لشي يراد

من جهته عليه الصلاة والسلام امصاؤه وتفضيده لامحالة من غير صارف ياويه ولا عالف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان او امر ربي فيه المساعدة بشفاة او امنان فاقطعوا اطماعكم عن استزاله ( ١٧٥ ) من رأيه بوساطة ابي طالب وشفاة وحسبكم ان لاتمتعوا

(احدها) ما يتعلق بالالهيات (وثانيها) ما يتعلق بالنبوات ( وثالثها ) ما يتعلق بالمعاد اما الشبهة المتعلقة بالالهيات فهي قولهم اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب روى انه لما سلم عمر فرح به المسلمون فرحاشديدا وشق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى ابي طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء بعنون المسلمين فجنناك لتقضى بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر ابو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارضى ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم ارايت ان اعطيكم ماسألتهم فاعطوني انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم العجم قالوا نعم قال تقولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب اى بليغ في التعجب واقول منشا التعجب من وجهين ( الاول ) هو ان القوم ما كانوا من اصحاب النظر والاستدلال بل كانت اوهامهم تابعة للمحسوسات فلما وجدوا في الشاهد ان الفاعل الواحد لا تفي قدرته وعمله بحفظ الخلق العظيم فاسوا الغائب على الشاهد فقالوا لا بد في حفظ هذا العالم الكثير من آلهة كثيرة يتكفل كل واحد منهم بحفظ نوع آخر ( والوجه الثاني ) ان اسلافهم لكثرتهم وقوة عقولهم كانوا مطبقين على الشرك فقالوا من العجب العجيب ان يكون اولئك الاقوام على كثرتهم وقوة عقولهم كانوا جاهلين مبطلين وهذا الانسان الواحد يكون محقا صادقا واقول لعمرى لو سلمنا اجراء حكم الشاهد على الغائب من غير دليل وجهة لكانت الشبهة الاولى لازمة ولما توافقنا على فسادها علمنا ان اجراء حكم الشاهد على الغائب فاسد قطعاً واذا بدلت هذه القاعدة فقد بطل اصل كلام المشبهة في الذات وكلام المشبهة في الافعال اما المشبهة في الذات فهو انهم يقولون لما كان كل موجود في الشاهد يجب ان يكون جسيما ومختصا بجزء وجب في الغائب ان يكون كذلك واما المشبهة في الافعال فهم المعتزلة الذين يقولون ان الامر الفلاني قبيح منا فوجب ان يكون قبيحا من الله فثبت بما ذكرنا انه ان صح كلام هؤلاء المشبهة في الذات وفي الافعال لزم القطع بصحة شبهة هؤلاء المشركين وحيث توافقنا على فسادها علمنا ان عدة كلام المجسمة وكلام المعتزلة باطل فاسد واما الشبهة الثانية فللعمرى لو كان التقليد حقا لكانت هذه الشبهة لازمة وحيث كانت فاسدة علمنا ان التقليد باطل بقي ههنا اباحت ( البحث الاول ) ان العجاب هو العجيب الا انه ابلغ من العجيب كقولهم طويل وطوال وعريض وعراض وكبير وكبار وقد يشدد للبالغة كقوله تعالى ومكروا مكرا كبيرا (الثاني) قال صاحب الكشف قرئ عجاب بالتخفيف والتشديد فقال والتشديد ابلغ من التخفيف كقوله تعالى مكرا كبيرا ثم قال تعالى وانطلق الملائمة ان امشوا واصبروا على آلهتكم قد ذكرنا ان الملائمة عبارة عن القوم الذين اذا حضروا في المجلس فانه تمتلئ القلوب والعيون من مهابتهم

اي من القرآن والوحي ايلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر في الادلة المؤيدة الى العلم بحقيقته وليس في عقبتهم ما يتنون به فهم مذبذبون

بعض الاوهام ينسبونه تارة الى السحر واخرى الى الاختلاق (بل لما يذوقوا عذاب) اى بل لما يذوقوا بعد عذابى فاذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفى ما دلالة على ان ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى انه ( ١٧٦ ) لا يصدقون به حتى يمسه العذاب وقيل لما يذوقوا عذابى الموعود فى

القرآن ولذلك شكوا فيه ( ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ) بل أعندهم خزائن رحمة تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاؤون حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عن شاؤوا ويحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيخبروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله عز وجل يفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لا مانع له فانه العزيز اى الغالب الذى لا يغالب الوهاب الذى له ان يهب كل ما يشاء لكل من يشاء وفى اضافة اسم الرب المنى عن الترية والتبليغ الى الكمال الى خميره عليه الصلاة والسلام من تشرفه والطف به ما لا يحفى وقوله تعالى (ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما ) ترشحا سبق اى بل لهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتحكموا فى الامور الربانية ويحكموا فى التدابير الالهية التى يستأثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى ( فليرتقوا فى الاسباب ) جواب شرط محذوف اى ان كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا فى المعارج والمناهج التى يتوصل بها العرش حتى يستولوا عليه ويدبروا امر العالم وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهم بهم ما لا غاية وراءه والسبب فى الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية وقيل ابو ايها ( جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب ) اى هم جند ما من الكفار المحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلابال بما يقولون ولا تكثرت بما يهدون وما مزيدة

وعظمتهم وقوله منهم اى من قريش انطلقوا عن مجلس ابنى طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض ان امشوا واصبروا على آلهنكم وفيه مباحث ( البحث الاول ) القراءة المشهورة ان امشوا وقرأ ابن ابي عبلة امشوا بحذف ان قال صاحب الكشف ان معنى اى لان المنطلقين عن مجلس التقاؤ لا بد لهم من ان يتكلموا ويتفادوا فيما يجرى فى المجلس المتقدم فكان انطلقهم مضنا معنى القول وعن ابن عباس وانطلق الملائكة منهم يمشون ( البحث الثانى ) معنى ان امشوا انه قال بعضهم لبعض امشوا واصبروا فلاحيلة لكم فى دفع امر محمدان هذا لشيء يراى وفيه ثلاثة اوجه ( احدها ) ظهور دين محمد صلى الله عليه وسلم ليس له سبب ظاهر فثبت ان تزايد ظهوره ليس الا لان الله يريد وما اراد الله كونه فلا دفع له ( وثانيها ) ان الامر كثر من نوائب الدهر فلا انفكاك لنامته ( وثالثها ) ان دينكم لشيء يراى اى يطلب ليؤخذ منكم قال القفال هذه كلمة تذكر التهديد والتخويف وكان معناها انه ليس غرض محمد من هذا القول تقرير الدين واما غرضه ان يستولى علينا فيحكم فى اموالنا واولادنا بما يريد ثم قال ماسمعا بهذا فى الملة الآخرة والملة الآخرة هى ملة النصارى فقالوا ان هذا التوحيد الذى اتى به محمد صلى الله عليه وسلم ماسمعا فى دين النصارى او يكون المراد بالملة الآخرة ملة قريش التى ادركوا آباءهم عليها ثم قالوا ما هذا الاختلاق اى افعال وكذب وحاصل الكلام من هذا الوجه انهم قالوا نحن ماسمعا عن اسلافنا القول بالتوحيد فوجب ان يكون باطلا ولو كان القول بالتقليد حقا لكان كلام هؤلاء المشركين حقا وحيث كان باطلا علمنا ان القول بالتقليد باطل \* قوله تعالى ( أنزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا فى الاسباب جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب ) اعلم ان هذا هو الشبهة الثالثة لا وثلك الكفار وهى الشبهة المتعلقة بالنبوات وهى قولهم ان محمدا لما كان مساويا لغيره فى الذات والصفات والخلقة الفاهرة والاخلاق الباطنة فكيف يعقل ان يختص هو بهذه الدرجة العالية والمنزلة الشريفة وهو المراد من قولهم أنزل عليه الذكر من بيننا فانه استفهام على سبيل الانكار وحكى الله تعالى عن قوم صالح انهم قالوا مثل هذا القول فقالوا ألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب اشر وحكى الله تعالى عن قوم محمد صلى الله عليه وسلم ايضا انهم قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وتسام الكلام فى تقرير هذه الشبهة ان قالوا النبوة اشراف المراتب فوجب ان لا تحصل الا لاشرف الناس ومحمد ليس اشراف الناس فوجب ان لا تحصل له النبوة والمقدمان الاوليان حقيقتان لكن الثالثة كاذبة وسبب رواج هذا التغليب عليهم انهم ظنوا ان النصف لا يحصل الا بالمال والاعوان وذلك باطل فان مراتب السعادة ثلاثة اعلاها هى النفسانية واسطها هى البدنية وادونها هى الخارجية

للتقليل والتحقير نحو قولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهز و ههنا لك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم ( وهى )

وقوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوالاوتاد) الح استئناف مقرر لمخبرون ما قبله ببيان احوال العناية الطغاة الذين هؤلاء جنسنا من جنودهم مما فعلوا ( ١٧٧ ) من التكذيب وفعل بهم من العقاب وذوالاوتاد معناه ذوالملك الثابت اصله من ثبات البيت

المنطب بأوتاده فاستعير لثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة

الامر قال الاسودين يعفر

ولقد عنوا فيها بانهم هيشة

في ظل ملك ثابت الاوتاد

او ذوالجوع الكبيرة سمو بذلك

لان بعضهم يشد بعضا كالونديشد

البناء وقيل نصب اربع سوار

وكان يمدى العذب ورجليه

اليها ويضرب عليها اوتادا

ويترك حتى يموت وقيل كان يمد

بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل

عليه العقارب والحيات وقيل

كانت له اوتاد وحبال يلعب بها

بين يديه ( وجمود وقوم لوط

واصحاب الايكة ) اصحاب الغيضة

من قوم شعيب عليه السلام وقوله

تعالى ( أولئك الاحزاب ) امابدل

من الطوائف المذكورة كما ان

ذلك الكتاب يدل من الم على

احد الوجوه وفيه فضل تأكيد

وتنبه على انهم الذين جعل الجنود

المهزوم منهم وقوله تعالى ( ان

كل الاكذب الرسل ) استئناف

يجيء به تقريراً لتكذيبهم وبياناً

لكيفيته وتمهيداً لما يقبه اي

ماكل احد من آحاد أولئك

الاحزاب او ماكل حزب منهم

الاكذب الرسل لان تكذيب

واحد منهم تكذيب لهم جميعا

لاتفاق الكل على الحق وقيل

ماكل حزب الاكذب رسوله

على نهج مقابلة الجمع بالجمع واباما

كال فالاستثناء مفرغ من اعم

العام في خبر المبتدأ اي ماكل

احد منهم محكوما عليه بحكم

الاحكام عليه بانه كذب الرسل

وقيل ماكل واحد منهم بخبر

عنه بخبر الاخير عنه بانه كذب

الرسل وفي اسناد التكذيب

الى الطوائف المذكورة على

وهي المال والجاه فالقوم عكسوا القضية وظنوا باخس المراتب اشرفها فلما وجدوا المال والجاه عند غيره اكثر ظنوا ان غيره اشرف منه فحينئذ انعقد هذا القياس الفاسد في افكارهم ثم انه تعالى اجاب عن هذه الشبهة من وجوه ( الاول ) قوله تعالى بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب وفيه وجهان ( احدهما ) ان قوله بل هم في شك من ذكرى اي من الدلائل التي لو نظروا فيها لزال هذا الشك عنهم وذلك لان كل ماذكروه من الشبهات فهي كلمات ضعيفة واما الدلائل التي تدل بنفسها على صحة نبوته فهي دلائل قاطعة فلو تأملوا حق التأمل في الكلام لوقفوا على ضعف الشبهات التي تمسكوا بها في ابطال النبوة ولعرفوا صحة الدلائل الدالة على صحة نبوته فحينئذ لم يعرفوا ذلك كان لاجل انهم تركوا النظر والاستدلال لانهم اذقهم عذابي ولو ذاقوه لم يقع منهم الا الاقبال على اداء المأمورات والانتفاء عن المنهيات ( وثانيها ) ان يكون المراد من قوله بل هم في شك من ذكرى هو ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم من عذاب الله لو اصرروا على الكفر ثم انهم اصرروا على الكفر ولم ينزل عليهم العذاب فصار ذلك سببا لشكهم في صدقه وقالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فقال بل هم في شك من ذكرى معناه ما ذكرناه وقوله تعالى بل لما يذوقوا عذاب معناه ان ذلك الشك انما حصل بسبب عدم نزول العذاب ( والوجه الثاني ) من الوجوه التي ذكرها الله تعالى في الجواب من تلك الشبهة قوله تعالى ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب وتقدير هذا الجواب ان منصب النبوة منصب عظيم ودرجة عالية والقادر على هبتها يجب ان يكون عزيزا اي كامل القدرة ووهابا اي عظيم الجود وذلك هو الله سبحانه وتعالى واذا كان هو تعالى كامل القدرة وكامل الجود لم يتوقف كونه واهبا لهذه النعمة على كون الموهوب منه غنيا او فقيرا ولم يختلف ذلك ايضا بسبب ان اعداءه يحبونه او يبكرهونه ( والوجه الثالث ) في الجواب عن هذه الشبهة قوله تعالى ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب واعلم انه يجب ان يكون المراد من هذا الكلام مغايرا للمراد من قوله ام عندهم خزائن رحمة ربك والفرق ان خزائن الله تعالى غير متناهية كما قال وان من شيء الا عندنا خزائنه ومن جملة تلك الخزائن هو هذه السموات والارض فلما ذكر الخزائن اولا على عمومها اردفها بذكر ملك السموات والارض وما بينهما يعني ان هذه الاشياء احد انواع خزائن الله فاذا كنتم عاجزين عن هذا القسم فبان تكونوا عاجزين عن كل خزائن الله كان اولى فهذا ما أمكنني ذكره في الفرق بين الكلامين اما قوله تعالى فليرتقوا في الاسباب فالمعنى انهم ان ادعوا ان لهم ملك السموات والارض فعند هذا يقال لهم ارتقوا في الاسباب واصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى يرتقوا عليه ويدبروا امر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي

وجه الابهام والاولا الايدان بأن كلامهم حزب على ( ٢٣ ) ( را ) ( سا ) حياله تحزب على رسوله ثانيا وتبين كيفية تكذيبهم بالجملة الاستثنائية ثالثا فنون من المبالغة مسجلة عليهم باستحقاق اشد العذاب وافظه ولذلك رتب عليه قوله تعالى ( فحق عقاب ) اي ثبت

ووقع على كل منهم عقابي الذي كانت توجيه جنائيتهم من اصناف العقوبات المفصلة في مواقعها وامامبتداً وقوله تعالى ان كل الاكذب  
الرسول خبره بحذف العائد اى كل منهم الخ والجملة استثنافى مقرر لما قبله مؤكد ( ١٧٨ ) لضمونه مع ما فيه من بيان كفية تكذيبهم

على من يختارون واعلم ان حكماء الاسلام استدلوا بقوله فليرتقوا في الاسباب على ان  
الاجرام الفلكية وما اودع الله فيها من القوى والخواص اسباب لحوادث العالم السفلى  
لان الله تعالى سمي الفلكيات اسباباً وذلك يدل على ما قلناه والله اعلم اما قوله تعالى جند  
ما هنالك مهزوم من الاحزاب فقيه مقامان من البحث ( احدهما ) في تفسير هذه الالفاظ  
( والثاني ) في كيفية تعلقها بما قبلها ( اما المقام الاول ) فقوله جند مبتداً وماللا بهام  
كقوله جئت لامر ما وعندى طعام ما ومن الاحزاب صفة لجند ومهزوم خبر المبني او اما  
قوله هنالك فيجوز ان يكون صفة لجند اى جند ثابت هنالك ويجوز ان يكون متعلقاً بمهزوم  
معناه ان الجند من الاحزاب مهزوم هنالك اى في ذلك الموضع الذي كانوا يذكرون فيه  
هذه الكلمات الطاعنة في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ( واما المقام الثاني ) فهو انه تعالى لما  
قال ان كانوا يملكون السموات والارض فليرتقوا في الاسباب ذكر عقبيه انهم جند من  
الاحزاب منهزمون ضعيفون فكيف يكونون مالكي السموات والارض وما بهما قال  
قادة هنالك اشارة الى يوم بدر فأخبر الله تعالى بمكة انه سيهزم جند المتسركين فجاء تأويلها  
يوم بدر وقيل يوم الخندق والاصوب عندى حله على يوم فتح مكة وذلك لان المعنى انهم جند  
سيصرون منهزمين في الموضع الذي ذكر وافية هذه الكلمات وذلك الموضع هو مكة فوجب  
ان يكون المراد انهم سيصرون منهزمين في مكة وما ذاك الا يوم الفتح والله اعلم \* قوله تعالى  
( كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوا الاوتاد ) ثم دوقوم لوط واصحاب الايكة اولئك

الاحزاب ان كل الاكذب الرسول فحق عقاب وما ينظر هؤلاء الاصيحة واحدة ما لها من  
فوق اعلم انه تعالى لما ذكر في الجواب عن شبهة القوم انهم اتقاوا وتكاسلوا في النظر  
والاستدلال لا جل انهم لم ينزل بهم العذاب بين تعالى في هذه الآية ان اقوام سائر الانبياء  
هكذا كانوا ثم بالآخرة نزل ذلك العقاب والمقصود منه تخويف اولئك الكفار الذين  
كانوا يكذبون الرسول في اخباره عن نزول العقاب عليهم فذكر الله ستة اصناف منهم  
اولهم قوم نوح عليه السلام ولما كذبوا نوحاً اهلكهم الله بالغرق والطوفان ( والثاني )  
عاد قوم هود لما كذبوه اهلكهم الله بالريح ( والثالث ) فرعون لما كذب موسى اهلكه الله  
مع قومه بالغرق ( والرابع ) ثمود قوم صالح لما كذبوه فأهلكوا بالصيحة ( والخامس ) قوم  
لوط كذبوه فأهلكوا بالخسف ( والسادس ) اصحاب الايكة وهم قوم شعيب كذبوه  
فأهلكوا بعذاب يوم الظلة قالوا وانما وصف الله فرعون بكونه ذا الاوتاد لوجوه ( الاول )  
ان اصل هذه الكلمة من ثبات البيت المطنب باوتاده ثم استعير لاثبات العز والملك قال  
الشاعر  
ولقد غنوا فيها بانهم عيشة \* في ظل ملك ثابت الاوتاد

قال القاضي جل الكلام على هذا الوجه اولى لانه لما وصف بتكذيب الرسل فيجب فيما  
وصف به ان يكون تفخيماً لامر ملكه ليكون الزجر بما ورد من قبل الله تعالى عليه من  
الهلاك مع قوة امره ابلغ ( والثاني ) انه كان ينصب الخشب في الهواء وكان يمد يدي

والتنبيه على انهم الذين جعل  
الجند المهزوم منهم كما ذكر  
وقيل هو مبتداً وخبر والمعنى  
ان الاحزاب الذين جعل الجند  
المهزوم منهم هم وهم وانهم الذين  
وجد منهم التكذيب فتدبروا وما  
ما قبل من انه خبر والمبتداً قوله  
تعالى وعاد الخ او قوله وقوم  
لوط الخ فما يجب نزيه ساحة  
التنزيل عن امثاله ( وما ينظر  
هؤلاء ) شروع في بيان عقاب  
كفار مكة اثر بيان عقاب  
اشرارهم من الاحزاب الذين  
اخذوا فيما سبق بانهم جند حفيظ  
منهم مهزوم عن قريب فان ذلك  
ما يوجب انتظار السامع وترقبه  
الى بيانه قطعاً في الاشارة اليهم  
بهؤلاء تحقير لشأنهم وتبوير  
لامرهم واما جعله اشارة الى  
الاحزاب باعتبار حضورهم  
بحسب الذكر او حضورهم في  
علم الله عز وجل فليس في حيز  
الاحتمال اصلاً كيف لا والانتظار  
سواء كان حقيقة او استهزاء اما  
يتصور في حق من لم يرتب على  
اعماله نتائجها بعد وبعد ما بين  
عقاب الاحزاب واستئصالهم  
بالمرء لم يبق مما اريد بيانه من  
صفواتهم امر منتظر وانما الذين  
في مرصد الانتظار كفار مكة  
حيث ارتكبوا من عظام الجرائم  
وكبائر الجرائم الموجبة لاشد  
العقوبات مثل ما اربك  
الاحزاب او اشد منه ولما يلاقوا  
بعد شيئاً من عوائلها اى وما  
ينظر هؤلاء الكفرة الذين هم  
امثال اولئك الطوائف المهلكة  
في الكفر والتكذيب ( الاصيحة  
واحدة ) هي النسخة الثانية لاي معنى  
ان عقابهم نفسها بما فيها من الشدة  
والهول فانها داهية يمحولها  
جميع الامر بها وافر هائل بمعنى  
انه ليس بينهم وبين حلول ما عدلهم

من العقاب الفظيع الالهى حيث اخرت عقوبتهم الى الآخرة لما ان تعذبهم بالاستئصال حسبما يستحقونه والنبي عليه ( العذب )  
الصلاة والسلام بين ان انهم خارج عن السنة الالهية المبنية على الحكم الباهرة كما نطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم



واما ما قيل من انها النفخة الاولى فيها لا وجه له اصلا لما انه لا يشاهد هولها ولا يصعق بها الا من كان حيا عند وقوعها وليس عقابهم الموعود واقما عقيبها ولا العذاب المطلق مؤخرا اليها بل يحمل ( ١٧٩ ) بهم من حين موتهم (مالها من فواق) اى من توقف مقدار فواق

وهو ما بين الحلبتين وقرئ بضم الصاء وهما لغتان وقوله تعالى ( وقالوا ربنا جعل لنا فطنا قبل يوم الحساب ) حكاية لما قالوه عند سماعهم بتأخير عقابهم الى الآخرة اى قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية يجعل لنا فطنا من العذاب الذى توعدنا به ولا تؤخره الى يوم الحساب الذى مبدؤه الصيحة المذكورة والقط القطعة من الشيء من قطعه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة فط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اى يجعل لنا صحيفة اعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعده الله تعالى المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزؤ به يجعل لنا نصيبا منها وتصدير دعائهم بالبداء المذكور للامعان في الاستهزاء كما أنهم يدعون ذلك بكمال الرعدة والابتهاال (اصير على ما يقولون ) من امثال هذه المقالات الباطلة ( وادكر ) ليم ( عبدنا داود ) اى فصته تحويلا لامر المعصية في عينهم وتنبهاتهم على كمال فهم ما احترؤا عليه من المعاصي فانه عليه الصلاة والسلام مع علوشاته واختصاصه بظلمات النعم والكرامات لما ألم بصغيرة نزل عن منزلته ووجته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تظن فاستغفر ربه واناب ووجد منه ما يحكى من بكانه الدائب وغمه الواصب وندمه الدائم فالظن بهؤلاء الكفرة الاذلين من كل ذليل لا كبر الكسائر المصرين على المعاصي او تذكر فصته عليه الصلاة والسلام ووصن نفسك ان تزل فيا كاهت من مصابرتهم وتحمل اذيتهم كي لا يلقاك مارقيه من المعاصية ( ذا الايد ) اى ذا القوة يقال فلان

المعذب ورجليه الى تلك الخشب الرابع ويضرب على كل واحد من هذه الاعضاء وتدا ويتركه معلقا في الهواء الى ان يموت ( والثالث ) انه كان يمد المعذب بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات ( والرابع ) قال قتادة كانت اوتادا وارسانا وملاعب يلعب بها عنده ( والخامس ) ان عساكره كانوا كثيرين وكانوا كثيرى الالهية عظيمى النعم وكانوا يكثرون من الاوتاد لاجل الخيام فعرف بها ( والسادس ) ذوا الاوتاد والجموع الكثيرة وسميت الجموع اوتادا لانهم يقررون امره ويشدون مملكته كما يقوى الوتد البناء واما الايكة فهي الغيضة المتفة تم قال تعالى اولئك الاحزاب وفيه اقوال ( الاول ) ان هؤلاء الذين ذكرناهم من الامم هم الذين تحزبوا على انبيائهم فاهلكناهم فكذلك نعمل بقومك لانه تعالى بين بقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب ان قوم محمد صلى الله عليه وسلم جند من الاحزاب اى من جنس الاحزاب المتقدمين فلما ذكر انه عامل الاحزاب المتقدمين بالهلاك كان ذلك تحويفا شديدا لقوم محمد صلى الله عليه وسلم ( الثانى ) ان معنى قوله اولئك الاحزاب مبالغة لوصفهم بالقوة والكثرة كما يقال فلان هو الرجل والمعنى ان حال اولئك الاحزاب مع كمال قوتهم لما كان هو الهلاك والبوار فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين واعلم ان هؤلاء الاقوام ان صدقوا بهذه الاخبار فهو تحذير وان لم يصدقوا بها فهو تحذير ايضا لان آثار هذه الوقائع باقية وهو فيسد الظن القوى فيحذرون ولان ذكر ذلك على سبيل التكرير يوجب الحذر ايضا كما قال ان كل الكذب الرسل فحق عقاب اى كل هذه الطوائف لما كذبوا انبياءهم في الترغيب والترهيب لاجرم نزل العقاب عليهم وان كان ذلك بعد حين والمقصود منه زجر السامعين بدينهم تعالى ان هؤلاء المكذبين وان تأخر هلاكهم فكأنه واقع بهم فقال وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق وفي تفسير هذه الصيحة قولان ( الاول ) ان يكون المراد عذابا يفتجأهم ويحييهم دفعة واحدة كما يقال صاح الزمان بهم اذاهلكوا قال الشاعر

صاح الزمان بآل برمك صيحة \* خروا لشدها على الاذقان

ويشبه ان يكون اصل ذلك من الفارة اذا ما فصت القوم ف وقعت الصيحة فيهم ونظيره قوله تعالى فهل ينظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم الآية ( والقول الثانى ) ان هذه الصيحة هي صيحة النفخة الاولى في الصور كما قال تعالى في سورة يس ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون والمعنى انهم وان لم يذوقوا عذابى في الدنيا فهو معدلهم يوم القيامة فكأنهم بذلك العذاب وقد جاءهم فجعلهم منتظرين لها على معنى قربها منهم كارجل الذى ينتظر الشيء فهو ما دال الطرف اليه يطمع كل ساعة في حضوره نعماته سبحانه وصف هذه الصيحة فقال مالها من فواق قرأ حزة والكسائى فواق بضم الفاء والباقون بفتحها قال الكسائى والفراء وابو عبيدة والاحفش هما لغتان من فواق الناقة وهو ما بين حلبتي الناقة واصله من الرجوع يقال افاق من مرضه اى رجع الى الصحة فازمان

ايد وذوايد وآدمعنى وايد كل شيء ما يتقوى به ( انه اواب ) رجاع الى مرضاة الله تعالى وهو تعليل لكونه ذا الايد ودليل على ان المراد به القوة في الدين فانه عليه الصلاة والسلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل ( انا سخرنا الجبال معه ) استثناف مسوق



لتلليل قوته في الدين واوايته الى مرضاته تعالى ومع متعلقة بالخير واينارها على اللام لما اشير اليه في سورة الانبياء من ان نعيم الجبال له عليه الصلاة والسلام لم يكن بطريق تقويض التصرف ( ١٨٠ ) السكلى فيها اليه عليه الصلاة والسلام كسغير الريح

الحاصل بين الحلبيين لعود الالبين الى الضرع يسمى فواقا بالفتح وبالضم كقولك قصاص الشعر وقصاصه قال الواحدى والفواق والفواق اسمان من الافاقة والافاقة معناهما الرجوع والسكون كافاقة المريض الآن الفواق بالفتح يجوز ان يقام مقام المصدر والفواق بالضم اسم لذلك الزمان الذى يعود فيه الالبين الى الضرع وروى الواحدى في البسيط عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في هذه الآية يأمر الله اسرافيل فينفخ نفخة الفزع قال فيمدها ويطولها وهى التى يقول مالها من فواق ثم قال الواحدى وهذا يحتمل معنيين ( احدهما ) مالها سكون ( والثانى ) مالها رجوع والمعنى ماتسكن تلك الصبيحة ولا ترجع الى السكون ويقال لكل من بقى على حالة واحدة انه لا يفيق منه ولا يستفيق والله اعلم \* قوله تعالى ( وقالوا ربنا جعل لنا فطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الایداه اواب ) اعلم انا ذكرنا في تفسير قوله وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ان القوم انما تعجبوا الشبهات ثلاث ( اولها ) تتعلق بالالهييات وهو قوله اجعل الآلهة الها واحدا ( والثانية ) تتعلق بالنبوات وهو قوله انزل عليه الذكر من بيننا ( والثالثة ) تتعلق بالمعاد وهو قوله تعالى وقالوا ربنا جعل لنا فطنا قبل يوم الحساب وذلك لان القوم كانوا في نهاية الانكار للقول بالخير والنشر فكانوا يستدلون بفساد القول بالخير والشر على فساد نبوته والقط القطعة من الشيء لانه قطع منه من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد المؤمنين بالجنة قالوا على سبيل الاستهزاء يجعل لنا نصيبنا من الجنة أو يجعل لنا صحيفة اعمالنا حتى ننظر فيها واعلم ان الكفار لما بالقوا في السفاهة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قالوا انه ساحر كذاب وقالوا له على سبيل الاستهزاء يجعل لنا فطنا امر الله بالصبر على سفاهتهم فقال اصبر على ما يقولون فان قيل أى تعلق بين قوله اصبر على ما يقولون وبين قوله واذكر عبدنا داود قلنا ببيان هذا التعلق من وجوه ( الاول ) كانه قيل ان كنت قد شاهدت من هؤلاء الجهال جرائعهم على الله وانكارهم الخير والنشر فاذا ذكر قصة داود حتى تعرف شدة خوفه من الله تعالى ومن يوم الخشوع ان بقدر ما يزداد احد الضدين شرفا يزداد الضد الآخر نقصانا ( والثاني ) كانه قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم لا يضيق صدرك بسبب انكارهم لقولك ودينك فانهم اذا خالفوك فالأكابر من الانبياء وافقوك ( والثالث ) ان لباسا في قصة داود قولين منهم من قال انها تدل على ذنبه ومنهم من قال انها لا تدل عليه ( فغن قال بالاول ) كان وجه المناسبة فيه كانه قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم ان حزنك ليس الا لان الكفار يكذبونك واما حزن داود فكان بسبب وقوعه في ذلك الذنب ولا شك ان حزنه اشد فتأمل في قصة داود وما كان فيه من الحزن العظيم حتى يخف عليك ما انت فيه من الحزن ( ومن قال بالثاني ) قال الخصمان اللذان دخلا على داود كانا من البشر واتماد دخلا عليه لقصده قتله فخاف منهما داود ومع

وغيرها لسليمان عليه السلام بل بطريق التهيئة له عليه الصلاة والسلام والالتداه به في عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعدها وهو اقرب بالنسبة الى ما في سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ( يسجن ) أى يقدر من الله عز وجل بصوت يتكلم به او يغلق الله تعالى فيها الكلام او يلسن الحال وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال وضع موضع مسجعات للدلالة على تجديد التسبيح حالا بعد حال او استئناف مبنى لكيفية التسبيح ( بالمشى والاشراق ) أى ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس أى تضيئ ويصفو شعاعها وهو وقت الضضى واماشروفا فطولوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعنام هاتى رضى الله عنها انه عليه الصلاة والسلام صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس رضى الله عنها ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية ( والطير ) عطف على الجبال ( محشورة ) حال من الطير والعامل سفرناى وسفرنا الطير حال كونها محشورة عن ابن عباس رضى الله عنها كان اذا سمع جأوته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسجت وذلك حشرها وقرى والطير محشورة بالرفع على الابتداء والتجوية ( كل له اواب ) استئناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه اجمالا من تسبيح الطير أى كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاء الى التسبيح ووضع الاواب موضع المسبح املاتها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاء لانه يرجع الى فعله رجوما بعد رجوع واما لان الاواب هو التواب الكثير الرجوع الى الله تعالى ومن دأبه

اكثار الذكر وادامة التسبيح والتقديس وقيل الضحى لله عز وجل أى كل من داود والجبال والطير لله اواب أى مسبح ( ذلك ) مرجع للتسبيح ( وشددنا ملكه ) قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للبالغة قيل كان يبيت حول محرابه اربعون

الف مستلّم وقيل ادهى رجل على آخر بقرة وهجر عن اقامة البينة فاوحى الله تعالى اليه في المنام ان يقتل المدهى عليه فتأخر فاعيا ،  
الوحى في القطة فاعله الرجل فقال ان الله تعالى لم يأخذنى ( ١٨١ ) بهذا الذنب ولكن بأنى قتلت ابا هذا غيلة فقال الناس ان اذنب

احد ذنبا اظهره الله تعالى عليه  
قتله فيها به وعظمت هيئته  
في العلوب ( وآتيناه الحكمة )  
النبوة وكال العلم واتعان العمل  
وقبل الزبور وعلم الشرائع وقيل  
كل كلام وافق الحق فهو حكمة  
( وفصل الخطاب ) اى فصل  
الحصم ببيان الحق عن الباطل  
او الكلام المختص الذى ينه  
المخاطب على المرام من غير  
الناس لما قد روى فيه مقلان  
الفصل والوصل والعطف  
والاستثناء والاظهار والاختصار  
والحذف والتكرار وانما سمي به  
امابعد لانه يفصل المقصود عما  
سبق تهيئته كالحمد والصلاة  
وقيل هو الخطاب الفصل الذى  
ليس فيه ايجاز غل ولا طنب  
مثل كجاء في نعت كلام النبوة  
فصل لا تزر ولا هذر ( وهل  
اتاك نأ الحصم ) استفهام معناه  
التعجب والتشويق الى استماع  
ما في حيزه لا يذانه بانه من الانبياء  
البديعة التى حقها ان تشيع فيها  
بين كل حاضر وبادو الحصم فى  
الاصل مصدر ولدك يطلق على  
الواحد وما فوقة كالضيف ومعنى  
حصان فرقان ( اذ تسوروا  
الحراب ) اذ تصعدوا سورة  
ونزلوا اليه ولسور الحائط  
المرتفع ونظيره تسنه اذ اعلا سنامه  
وتدرا اذ اعلا ذروته واذمعلقة  
بمحذوف اى نسا نحاكم الحصم  
اذ تسوروا او بالباء على ان المراد  
به الواقع فى عهد داود عليه  
السلام وان اسناد الاثبات اليه  
على حذف مضى اى قصة نيا  
الحصم او بالضم لما فيه من معنى  
الخصومة لا بأى لان آياته الرسول  
صلى الله عليه وسلم لم يكن حينئذ  
وقوله تعالى ( اذ دخلوا على داود )  
بدل مما قبله او ظرف لتسوروا  
( ففرع منهم ) روى انه تعالى بعث

ذلك فلم يتعرض لا يذانهما ولادما عليهما بسوء بل استغفر لهما على ما سيجئ تقرير هذه  
الطريقة فلا جرم أمر الله تعالى محمدا عليه السلام بان يقتدى به فى حسن الخلق  
( والخامس ) ان قريش انما كذبوا محمدا عليه السلام واستخفوا به لقولهم فى اكرام امر  
انه يقيم فقير ثم انه تعالى قص على محمد كمال مملكة داود ثم بين انه مع ذلك ماسلم من الاحزان  
والغموم ليعلم ان الخلاص عن الحزن لا سبيل اليه فى الدنيا ( والسادس ) ان قوله تعالى  
اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود وغير مقتصر على داود فقط بل ذكر عقيب قصة داود  
قصص سائر الانبياء فكأنه قال فاصبر على ما يقولون واعتبر بحال سائر الانبياء ليعلم ان  
كل واحد منهم كان مشغولا بهم خاص وحزن خاص فحينئذ يعلم ان الدنيا لا تنفك عن  
الهموم والاحزان وان استحقاق الدرجات العالية عند الله لا يحصل الا بتحمل المشاق  
والمناصب فى الدنيا وهذه وجوه ذكرناها فى هذا المقام وههنا وجه آخر اقوى واحسن  
من كل ما تقدم وسيجيئ ذكره ان شاء الله تعالى عند الانتهاء الى تفسير قوله كتاب اتر لنا اليك  
مبارك ليدير آياته واعلم انه تعالى ذكر بعد ذلك حال تسعة من الانبياء فذكر حال ثلاثة  
منهم على التفصيل وحال ستة آخرين على الاجمال ( فالقصة الاولى ) قصة داود واعلم ان  
مجموع ما ذكره الله تعالى فى هذه القصة ثلاثة أنواع من الكلام ( فالاول ) تفصيل ما آتى  
الله داود من الصفات التى توجب سعادة الآخرة والدنيا ( والثانى ) شرح تلك الواقعة  
التي وقعت له من امر الحصين ( والثالث ) استخلاف الله تعالى اياه بعد وقوع تلك الواقعة  
( اما النوع الاول ) وهو شرح الصفات التى آتاها الله داود من الصفات الموجبة لكمال  
السعادة فهى عشرة ( الاول ) قوله لمحمد صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون واذكر  
عبدنا داود فامر محمد صلى الله عليه وسلم على جلالة قدره بان يقتدى فى الصبر على طاعة  
الله بذاود وذلك تشريف عظيم واكرام تام لداود حيث امر الله افضل الخلق بمحمد صلى  
الله عليه وسلم بان يقتدى به فى مكارم الاخلاق ( والثانى ) انه قال فى حق عبدنا داود  
فوصفه بكونه عبدا له وعبر عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على نهاية التعظيم وذلك غاية  
التشريف ألا ترى انه سبحانه وتعالى لما أراد ان يشرف محمدا عليه السلام ليلة المعراج  
قال سبحان الذى اسرى بعبده فهنا يدل على ذلك التشريف لداود فكان ذلك دليلا على  
علم درجته ايضا فان وصف الله تعالى الانبياء بعبوديته مشعر بانهم قد حققوا معنى  
العبودية بسبب الاجتهاد فى الطاعة ( والثالث ) قوله ذا اليدأى ذا القوة على اداء  
الطاعة والاحتراز عن المعاصى وذلك لانه تعالى لما مدحه بالقوة وجب ان يكون تلك  
القوة موجبة للمدح والقوة التى توجب المدح العظيم ليست الا بالقوة على فعل ما امر به  
وترك ما نهى عنه واليد المذكور ههنا كالقوة المذكورة فى قوله يا محبي خذ الكتاب بقوة  
وقوله تعالى وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة وتقيلا لكل شئ فخذا بقوة أى  
باجتهاد فى اداء الامانة وتشدد فى القيام بالدعوة وترك اظهار الوهن والضعف والايدي

اليه ملكين فى صورة انسانين قبل هما جبريل وميكائيل عليهما السلام فطلبا ان يدخله عليه فوجداه فى يوم عبادته فنهما الحرس  
فتسورا عليه المحراب بمن معهما من الملائكة فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسا فنزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة

والحرس حوله في غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس رضي الله عنهما ان داود عليه السلام جزأ زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخاصة نفسه ويوما للوخط ( ١٨٢ ) والتذكير ( قالوا ) استثناف وقع جوابا عن سؤال نساء من حكاية

والقوة سواء ومنه قوله تعالى هو الذي أبدل بنصره وقوله تعالى وأيدناه بروح القدس وقال السماء بناها بأيد وعن قتادة أعطى قوة في العبادة وفقها في الدين وكان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر ( الرابع ) قوله انه أبواب اي ان داود كان رجاء في اموره كلها الى طاعتي والابواب فعال من آب اذا رجع كما قال تعالى ان الينا اياهم وفعال بناء المبالغة كما يقال قتال وضراب فانه أبلغ من قاتل وضارب ( الخامس ) قوله تعالى اناسخرا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ونظير هذه الآية قوله تعالى يا جبال أوبي معه والطير وفيه مباحث ( البحث الاول ) فيه وجوه ( الاول ) ان الله سبحانه خلق في جسم الجبل حياة وعقلا وقدرة ومنطقا وحيث صار الجبل مسجدا لله تعالى ونظيره قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل فان معناه انه تعالى خلق في الجبل عقلا وفهما ثم خلق فيه رؤية الله تعالى فكذا ههنا ( الثاني ) في التأويل مارواه الفقهاء في تفسيره انه يجوز ان يقال ان داود عليه السلام قد أوتي من شدة الصوت وحسنه ما كان له في الجبال دوى حسن وما يصغى الطير اليه لحسنه فيكون دوى الجبال وتصويت الطير معه واصفاؤها اليه تسبيحا وذكر حمد بن اسحق ان الله تعالى لم يعط احدا من خلقه مثل صوت داود حتى انه كان اذا قرأ الزبور دنت منه الوحوش حتى يأخذوا بعناقها ( الثالث ) ان الله سبحانه سخر الجبال حتى انها كانت تسير الى حيث يريد داود وجعل ذلك السير تسبيحا لانه كان يدل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته ( البحث الثاني ) قال صاحب الكشاف يسبحن في معنى مسبحت فان قالوا هل من فرق بين يسبحن ومسبحت قلنا نعم فان صيغة الفعل تدل على الحدوث والتجدد وصيغة الاسم على الدوام على ما بينه عبد القاهر النحوي في كتاب دلائل الإعجاز اذا ثبت هذا فنقول قوله يسبحن يدل على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال وكان السامع محاضرتك الجبال يسميها تسبح ( البحث الثالث ) قال الزجاج يقال شرقت الشمس اذا طلعت وشرقت اذا اضامت وقيل هما بمعنى الاول اكثر تقول العرب شرقت الشمس والماء بشرق ( البحث الرابع ) احتجوا على شرعية صلاة الضحى بهذه الآية عن ام هاني قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال يا ام هاني هذه صلاة الاشراق وعن طاووس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وقال كان يصليها داود عليه السلام وقال لم يزل في نفسي شيء من صلاة الضحى حتى وجدت في قوله يسبحن بالعشي والاشراق ( الصفة السادسة ) من صفات داود عليه السلام قوله تعالى والطير محشورة كل له أبواب وفيه مباحث ( البحث الاول ) قوله والطير معطوفة على الجبال والتقدير وسخرنا الطير محشورة قال ابن عباس رضي الله عنهما كان داود اذا سجع جاوبته الجبال واجتمعت اليه الطير فسبحت معه واجتماعها اليه هو حشرها فيكون على هذا التقدير حاشرها هو الله ( فان قيل ) كيف يصدر تسبيح الله عن الطير مع

فزع عليه الصلاة والسلام كانه قيل لما ذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفزعه فقيل قالوا ازالة لفزعه ( لا تخف خصمان ) اي نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما ( بغي بعضنا على بعض ) هو على الفرض وقصد التعريض فلا كذب فيه ( فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ) اي لا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط اي لا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق ( واهدنا الى سواء الصراط ) الى وسط طريق الحق يجر الباطني عما سلكه من طريق الجور وارشاده الى منهج العدل ( ان هذا الخ ) استثناف لبيان ما فيه الحسومة اي اخي في الدين اوفى المحبة والتعرض لذلك تهديد لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه ( له تسع وتسعون نجمة ) ولي نجمة واحدة هي الاثني من الضأن وقد بكتي بها عن المرأة والكناية والتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونجمة بكسر النون وقرئ ولي نجمة يسكن الياء ( فقال اكفنيها ) اي ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل مانت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي ( وعزني في الخطاب ) اي غابني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بمحاج لي اقدر على رده اوفى مقالته اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبتها هو مخاطبتي خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجهادوني وقرئ وعازني اي غابني وعزني بخفض الزاي طلبا للفضة وهو تخفيف غريب كانه قيس على ظلت ومست

( قال لقد ظلمك بسؤال نجمتك الى ناعجه ) جواب قسم محذوف قصد به عليه الصلاة والسلام المبالغة في انكار فعل ( انه ) صاحبه وتبين طمعه في نجمة من ليس لدغيرها مع ان له قطيعا منها وامله عليه الصلاة والسلام قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما اذاع

عليه اوبناء على تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة والضم  
(وان كثيرا من الخطاء) اى الشركاء الذين خلطوا اموالهم (١٨٣) (ليبنى) ليتعدى وقرى بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة

وحذفها وبهدف الياء اكتفاه  
انه لا عقل لها قلنا لا يبعد ان يقال ان الله تعالى كان يخلق لها عقلا حتى تعرف الله فتسبحه  
حينئذ وكل ذلك كان معجزة لداود عليه السلام (البحث الثانى) قال صاحب الكشف  
قوله محشورة فى مقابلة يسبحن الا انه ليس فى الحشر مثل ما كان فى التسبيح من ارادة  
الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيئا فلا جرم حتى به اسما لا فعلوا ذلك انه لو قيل وسخرنا الطير  
محشورة يسبحن على تقدير ان الحشر وجد من حاشرها بجلة واحدة دل على القدر  
المذكور والله اعلم (البحث الثالث) قرىء والطير محشورة بالرفع (الصفة السابعة) من  
صفات داود عليه السلام قوله تعالى كل له اواب ومعناه كل واحد من الجبال والطير اواب  
اى رجع اى كلما رجع داود الى التسبيح جاوبته فهذه الاشياء ايضا كانت ترجع الى  
تسبيحاتها والفرق بين هذه الصفه وبين ما قبلها ان فيما سبق علمنا ان الجبال والطير سبحت  
مع تسبيح داود عليه السلام وبهذا اللفظ فهمنا داودام تلك الموافقة وقيل الضمير فى قوله كل  
له اواب الله تعالى اى كل من داود والجبال والطير لله اواب اى مسبح مرجع للتسبيح  
(الصفة الثامنة) قوله تعالى وشدد ناملكه اى قويناه وقال تعالى سنشد عضدك بأخيك  
وقيل شددنا على المبالغة واما الاسباب الموجبة لحصول هذا الشد فكثيرة وهى اما  
الاسباب الدنيوية اولدنيوية اما الاول فذكروا فيه وجهين (الاول) روى الواحدى  
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان يحرسه كل ليلة ستة وثلاثون ألف  
رجل فاذا اصبح قيل ارجعوا فقد رضى عنكم نبي الله وزاد آخرون فذكروا اربعين ألفا  
قالوا وكان اشد ملوك الارض سلطانا وعن عكرمة عن ابن عباس ان رجلا ادعى عند  
داود على رجل اخذ منه بقرة فانكر المدعى عليه فقال داود للمدعى اقم البينة فلم يقمها  
فراى داود فى منامه ان الله يأمره ان يقتل المدعى عليه فثبت داود وقال هو منام فأتاه  
الوحي بعد ذلك بان تقتله فاحضره واعلم ان الله امره بقتله فقال المدعى عليه صدق الله  
انى كنت قتلنا اباهذا الرجل غيلة فقتله داود فهذه الواقعة شددت ملكه واما الاسباب  
الدنيوية الموجبة لهذا الشد فهى الصبر والتأمل التام والاحتياط الكامل (الصفة  
التاسعة) قوله وآتيناه الحكمة واعلم انه تعالى قال ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا  
كثيرا واعلم ان الفضائل على ثلاثة اقسام النفسانية والبدنية والخارجية والفضائل  
النفسانية محصورة فى قسمين العلم والعمل اما العلم فهو ان تصير النفس بالتصورات  
الحقيقية والتصديقات النفسانية بمقتضى الطاقة البشرية واما العمل فهو ان يكون  
الانسان آتيا بالعمل الاصلح الاصول بمصالح الدنيا والآخرة فهذه هى الحكمة وانما  
سمى هذا بالحكمة لان اشتقاق الحكمة من احكام الامور وتقويتها وتبعيدها عن اسباب  
الرخاوة والضعف والاعتقادات الصائبة الصحيحة لا تقبل النسخ والمقص فكانت فى غاية  
الاحكام واما الاعمال المطابقة لمصالح الدنيا والآخرة فانها واجبة الرعاية ولا تقبل النقص  
والنسخ فلهذا السبب سمينا تلك المعارف وهذه الاعمال بالحكمة (الصفة العاشرة)

الاعطاء والمنع فورد القصر فى الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي فيه والاثبات فيما يتعلق به فالغنى وعلم داود عليه السلام انما فعلنا به  
الفطنة لا غير قبل ابتليناه بامرأة اوريا وقيل امتناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها لما قصد منها واثار طريق التثليل لانه ابلغ فى التوبيخ

فان التأمل فيه اذا أداه الى الشعور بما هو الغرض كان وقع في نفسه واعظم تأثيرا في قلبه وادعى الى التنبه للخطأ مع ما فيه من مراعاة حرمة عليه الصلاة والسلام بتلك الجاهرة والاشعار ( ١٨٤ ) بأنه امر يستحق من التصريح به وتصويره بصورة التحاكم لجلاله

قوله وفصل الخطاب واعلم ان اجسام هذا العالم على ثلاثة اقسام (احدها) ماتكون خالية عن الادراك والشعور وهي الجمادات والنباتات (وثانيها) التي يحصل لها ادراك وشعور ولكنها لا تقدر على تعريف غيرها الاحوال التي عرفوها في الاثر وهذا القسم هو جملة الحيوانات سوى الانسان (وثالثها) الذي يحصل لها ادراك وشعور ويحصل عنده قدرة على تعريف غيره الاحوال المعلومه وذلك هو الانسان وقد رتبته على تعريف الغير الاحوال المعلومه عنده بالنطق والخطاب ثم ان الناس مختلفون في مراتب القدرة على التعبير عما في الضمير ففهم من يتعذر عليه ايراد الكلام المرتب المنتظم بل يكون مختلط الكلام مضطرب القول ومنهم من يتعذر عليه الترتيب من بعض الوجوه ومنهم من يكون قادرا على ضبط المعنى والتعبير عنه الى اقصى الغايات وكل من كانت هذه القدرة في حقه اكل كانت الآثار الصادرة عن النفس النطقية في حقه اكل وكل من كانت تلك القدرة في حقه اقل كانت تلك الآثار اضعف ولما بين الله تعالى كمال حال جوهر النفس النطقية التي لداود بقوله وآتيناه الحكمة اردفه ببيان كمال حاله في النطق واللفظ والعبارة فقال وفصل الخطاب وهذا الترتيب في غاية الجلالة ومن المفسرين من فسر ذلك بأن داود اول من قال في كلامه اما بعد واقول حقان الذين يتبعون امثال هذه الكلمات فقد حرموا الوقوف على معاني كلام الله تعالى حرمانا عظيما والله اعلم وقول من قال المراد معرفة الامور التي بها يفصل بين الخصوم وهو طلب البيئة واليمين فبعد ايضا لان فصل الخطاب عبارة عن كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال ويحضر في الخيال بحيث لا يختلط شيء بشيء وبحيث يفصل كل مقام عن مقام وهذا معنى عام يتناول جميع الاقسام والله اعلم وههنا آخر الكلام في الصفات العشرة التي ذكرها الله تعالى في مدح داود عليه السلام \* قوله تعالى ( وهل اتاك نبال الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا نخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا نشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا اخي له تسع وتسعون نجمة ولي نجمة واحدة فقال اكفليتها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وانا ب وافتنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ) اعلم ان الله تعالى لما مدحه واثى عليه من الوجوه العشرة اردفه بذكر قصة ليبين بها ان الاحوال الواقعة في هذه القصة لا يبين شيء منها كونه عليه السلام مستحقا للثناء والمدح والتعظيم اما قوله تعالى وهل اتاك نبال الخصم فهو نظير قوله تعالى هل اتاك حديث موسى وفائدة هذا الاستفهام التنبيه على جلالة القصة المستفهم عنها ليكون داعيا الى الاصغاء لها والاعتبار بها واقول للناس في هذه القصة ثلاثة اقوال ( احدها ) ذكر هذه القصة على وجه يدل على صدور الكبيرة عنه ( وثانيها ) دلالتها على

عليه الصلاة والسلام الى التصريح بنسبة نفسه الى الطم وتنبيهه عليه الصلاة والسلام على ان اوريا بصدد الخصام ( فاستغفر ربه ) اثر ما علم ان ما صدر عنه ذنب ( وخر راكعا ) اي ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه اواخر السجود راكعا اي مصليا كما انه احرم بركعتي الاستسقاء ( واثاب ) اي رجع الى الله تعالى بالتوبة \* واصل القصة ان داود عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له اوريا قال قلبه اليها فساءله ان يطلقها فاستحي ان يرد ففعل فتزوجها وهي ام سليمان عليه السلام وكان ذلك جائزا في شريعته معتادا فيما بين امته غير محل بالروء حيث كان يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا عجبته وقد كان الانصار في صدر الاسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير تكبر خلافا عليه الصلاة والسلام لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شأنه نبه بالتمثيل على انه لم يكن ينبغي له ان يتعاطى ما يتعاطاه آحاد امته ويسأل وجلا ليس له الا امرأة واحدة ان ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه ان يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما تمنع به وقيل لم يكن اوريا تزوجها بل كان خطبها ثم خطبها داود عليه السلام فأثره عليه السلام اهله فكان ذنبه عليه الصلاة والسلام ان خطب على خطبة اخيه السلم هذا واما ما ذكر من انه عليه الصلاة والسلام دخل ذات يوم محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فيبتهاهو كذلك اذ جاء الشيطان في صورة حمامة من ذهب

فدبده ليأخذها لابن صغير له فطاروت فامتد اليها فطاروت فوقعت في كوة فتبعها فأبصر امرأة جميلة قد تقصت شعرها ( الصغيرة ) ففطى بدنها وهي امرأة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على

الصغيرة (والتأني) بحيث لا تدل على الكبيرة ولا على الصغيرة فأما القول الاول فحاصل كلامهم فيها ان داود عشق امرأة أوريا فاحتال بالوجوه الكثيرة حتى قتل زوجها ثم تزوج بها فأرسل الله اليه ملكين في صورة المخاضمين في واقعة شبيهة بواقعة وعرضاتك الواقعة عليه فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنباً ثم تلبه لذلك فاشتغل بالتوبة والذي أدين به واذهب اليه ان ذلك باطل ويدل عليه وجوه (الاول) ان هذه الحكاية لو نسبت الى أفسق الناس واشدهم فجوراً لاستنكف منها وارجل الحشوى الخبيث الذي يقرر تلك القصة لو نسب الى مثل هذا العمل لبالغ في تنزيه نفسه وربما لعن من ينسب اليها واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصوم اليه (الثاني) ان حاصل القصة يرجع الى أمرين الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع في زوجته (اما الاول) فامر منكر قال صلى الله عليه وسلم من سعى في دم مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله (واما الثاني) فمكر عظيم قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وان أوريا لم يسلم من داود لافي روحه ولا في منكوحه (والثالث) ان الله تعالى وصف داود عليه السلام قبل ذكر هذه القصة بالصفات العشرة المذكورة ووصفه ايضا بصفات كثيرة بعد ذكر هذه القصة وكل هذه الصفات تنافي كونه عليه السلام موصوفاً بهذا الفعل المنكرو والعمل القبيح ولا بأس باعادة هذه الصفات لاجل المبالغة في البيان فنقول (اما الصفة الاولى) فهي انه تعالى أمر محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يقتدى بداود في المصابرة مع المكابدة ولو قلنا ان داود لم يصبر على مخالفة النفس بل سعى في اراقة دم امرئ مسلم لغرض شهوته فكيف يابق بأحكام الحاكمين ان يأمر محمداً افضل الرسل بأن يقتدى بداود في الصبر على طاعة الله (اما الصفة الثانية) فهي انه وصفه بكونه عبداً له وقديماً ان المقصود من هذا الوصف بيان كون ذلك الموصوف كاملاً في موقف العبودية تاماً في القيام باداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات ولو قلنا ان داود عليه السلام اشتغل بتلك الاعمال الباطلة فحينئذ ما كان داود كاملاً في عبوديته لله تعالى بل كان كاملاً في طاعة الهوى والشهوة (الصفة الثالثة) هو قوله اذا ايدى ايدى القوة ولا نسك ان المراد منه القوة في الدين لان القوة في غير الدين كانت موجودة في ملوك الكفار ولا معنى للقوة في الدين الا القوة الكاملة على أداء الواجبات والاجتناب عن المحظورات واي قوة لمن لم يملك نفسه عن القتل والرغبة في زوجه المسلم (الصفة الرابعة) كرساً ابا كزير الرجوع الى الله تعالى ركن يلبس هذا بن يكون قلبه مشغولاً بالقتل الفجور (الصفة الخامسة) قوله تعالى انما نضربنا الجبال مع ان ترى قد سخرت اياماً ليأخذ وسيلة الى القتل والفجور (الصفة السادسة) قوله والظير محشورة وقيل انه كان محرماً عليه صيد شيء من الظير وكيف يحتمل ان يكون الظير آمناً ولا ينجونه الرجل المسلم على روحه ومنكوحه (الصفة السابعة) قوله تعالى وستدنا ملكه ومحمل ان يكون

لثبوت وكان من يتقدم على الثبوت لا يحمل له ان يرجع حتى يتبع الله على يديه او يستشهد ففتح الله تعالى على يده وسلم فأمر برده مرة اخرى والثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فاك مبتدع مكروه ومكر مخنوع بئس ما مكروه تمجد الاسماع وتنفر عنه الطباع وبلى لمن يتبعه واشاعه وتبائن اخترعه واذا عه ولذلك هل على رضى الله عنه من حدث بمحدث داود عليه السلام على ما يرويه النحاص جلدته سائة وستين وذلك حد الفريضة على الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم هذا وقد قيل ان هوداً ان يقتلوه عليه الصلاة والسلام قسروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده افواماً فتصنعوا بهذا التحاكم فعمل عليه الصلاة والسلام غرضهم فهم بأن يتقم منهم فظن ان ذاك



المراد انه تعالى شد ملكه باسباب الدنيا بل المراد انه تعالى شد ملكه بما يقوى الدين  
واسباب سعادة الآخرة والمراد تشديد ملكه في الدين والدنيا ومن لا يملك نفسه عن  
القتل والفجور كيف يليق به ذلك (الصفة الثامنة) قوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل  
الخطاب والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي علما وعملا فكيف يجوز ان يقول الله تعالى  
انا آتيناه الحكمة وفصل الخطاب مع اصراره على ما يستكشف عنه الخبيث الشيطان  
من مزاحجة اخلص اصحابه في الروح والمنكوح فهذه الصفات المذكورة قبل شرح  
تلك القصة دالة على براءة ساحته عن تلك الاكاذيب \* واما الصفات المذكورة بعد ذكر  
القصة فهي عشرة (الاول) قوله وان له عندنا لزلنى وحسن ما بذكر هذا الكلام انما  
يناسب لودلت القصة المتقدمة على قوته في طاعة الله امالو كانت القصة المتقدمة دالة  
على سعيه في القتل والفجور لم يكن قوله وان له عندنا لزلنى لا ثباه (الثاني) قوله تعالى  
ياداو انا جعلناك خليفة في الارض وهذا يدل على كذب تلك القصة من وجوه (احدها)  
ان الملك الكبير اذا حكي عن بعض عبيده انه قصد دماء الناس واموالهم وازواجهم  
فبعد فراغه من شرح تلك القصة على ملائمن الناس يقبح منه ان يقول عقيه ايها العبد  
اني فوضت اليك خلافتي ونيابتي وذلك لان ذكر تلك القبائح والافعال المنكرة يناسب  
الزجر والجر فاما جعله نائبا وخليفة لنفسه فذلك البتة بما لا يليق (وثانيها) انه ثبت في  
اصول الفقه ان ذكر الحكم عقيب الوصف يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف  
فلما حكي الله تعالى عنه تلك الواقعة القبيحة ثم قال بعده انا جعلناك خليفة في الارض  
أشعر هذا بان الموجب لتفويض هذه الخلافة هو آتيانه بتلك الافعال المنكرة ومعلوم ان  
هذا فاسد امالو ذكر تلك القصة على وجوه تدل على براءة ساحته عن المعاصي والذنوب  
وعلى شدة مصابرتة على طاعة الله تعالى فحينئذ يناسب ان يذكر عقيه انا جعلناك خليفة  
في الارض فثبت ان هذا الذي نختاره اولى (والثالث) وهو انه لما كانت مقدمة الآية  
دالة على مدح داود عليه السلام وتعظيمه ومؤخرتها ايضا دالة على ذلك فلو كانت الوساطة  
دالة على القبائح والمعائب لجرى مجرى ان يقال فلان عظيم الدرجة على المرتبة في طاعة  
الله يقتل ويؤذي ويسرق وقد جعله خليفة في ارضه وصوب احكامه وكان هذا الكلام مما  
لا يليق بالعاقل فكذا ههنا ومن المعلوم ان ذكر العشق والسعي في القتل من أعظم ابواب  
العيوب (الرابع) وهو ان القائلين بهذا القول ذكروا في هذه الرواية ان داود عليه  
السلام تمنى ان يحصل له في الدين كما حصل للانبياء المتقدمين من المنازل العالية مثل  
ما حصل للخليل من الالتقاء في النار وحصل للذبيح من الذبح وحصل ليعقوب من الشدائد  
الموجبة لكثرة الثواب فأوحى الله اليه انهم انما وجدوا تلك الدرجات لانهم لما ابتلوا  
صبروا فعند ذلك سأل داود عليه السلام الابتلاء فأوحى الله اليه انك ستبلى في يوم كذا  
فبالغ في الاحتراز ثم وقعت الواقعة فنقول اول حكايتهم يدل على ان الله تعالى يبتليه بالبلاء

قوله الصفة الثامنة الخ الموافق لما ذكره في اول القصة ان يجعل قوله وآتيناه الحكمة هي التاسعة وقوله وفصل الخطاب هي العاشرة ويكون اسقط السابع وهو قوله كل له ابواب وقوله بعد ذلك واما الصفات المذكورة بعد ذكر القصة فهي عشرة لا ينبغي ما فيه فتأمل

ابتلاء له من الله عز وجل فاستغفر ربه عما هم به واثاب (ففقرنا له ذلك) اي ما استغفر منه وروى انه عليه الصلاة والسلام بقي ساجدا اربعين يوما ولبلة لا يرفع رأسه الا للصلاة مكتوبة او لما لا بد منه ولا يرقأ دمه حتى ثبت منه العشب الى رأسه ولم يشرب ماء الا لثلاثاء دمع وجهه نفسه راغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشاعلى ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه اهل الزينغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربهم فهمز (وان له عندنا لزلنى) لقر بة وكرامة بعد المغفرة (وحسن ما ب) حسن مرجع في الجنة (ياداو انا جعلناك خليفة في الارض) اما حكاية ما خطب به عليه الصلاة والسلام مبينة لزلناه عنده عز وجل واما مقول قول مقدر هو معطوف على



الذي يزيد في منقبته ويكمل مراتب اخلاصه فالسعي في قتل النفس بغير الحق والافراط في العشق كيف يليق بهذه الحالة ويثبت ان الحكاية التي ذكروها يناقض اولها آخرها (الخامس) ان داود عليه السلام قال وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا استثنى الذين آمنوا عن البغي فلو قلنا انه كان موصوفاً بالبغي لزم أن يقال انه حكم بعدم الايمان على نفسه وذلك باطل (السادس) حضرت في بعض المجالس وحضر فيه بعض أكابر الملوك وكان يريد ان يعصب لتقرير ذلك القول الفاسد والقصة الخبيثة لسبب اقتضى ذلك فقلت له لاشك ان داود عليه السلام كان من اكابر الانبياء والرسول ولقد قال الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته ومن مدحه الله تعالى بمنزل هذا المدح العظيم لم يحزلنا ان نبالغ في الطعن فيه وايضا بتقدير انه ما كان نبيا فلا شك انه كان مسلما ولقد قال صلى الله عليه وسلم لا تدكروا موتاكم الانخير ثم على تقدير اننا لنتلفت الى شيء من هذه الدلائل الا اننا نقول ان من المعلوم بالضرورة ان بتقدير ان تكون القصة التي ذكرتموها حقيقة صحيحة فان روايتها وذكرها لا يوجب شيئا من الثواب لان اشاعة الفاحشة ان لم توجب العقاب فلا اقل من ان لا توجب الثواب واما بتقدير ان تكون هذه القصة باطلة فاسدة فان ذكرها يستحق اعظم العقاب والواقعة التي هذا شأنها وصفتها ان صريح العقل يوجب السكوت عنها فثبت ان الحق ما ذهبنا اليه وان شرح تلك القصة محرم محذور فلما سمع ذلك الملك هذا الكلام سكنت ولم يذكر شيئا (السابع) ان ذكر هذه القصة وذكر قصة يوسف عليه السلام يقتضي اشاعة الفاحشة فوجب ان يكون محرما لتو له تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا (الثامن) لو سعى داود في قتل ذلك الرجل لدخل تحت قوله من سعى في دم مسلم ولو بشرط كلة جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رجة الله وايضا لو فعل ذلك لكان ظلما فكان يدخل تحت قوله ألعنة الله على الظالمين (التاسع) عن سعيد بن المسيب ان علي بن ابي طالب عليه السلام قال من حدثكم بحديث داود على ما روي به القصاص جلده مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وما يقوى هذا انهم لما قالوا ان المغيرة بن شعبه زنى وشهد ثلاثة من عدول الصحابة بذلك واما الرابع فانه لم يقل بأني رأيت ذلك العمل بعيني فان عمر بن الخطاب كذب او تلك الثلاثة وجلد كل واحد منهم ثمانين جلدة لاجل انهم قد قذقوا واذا كان الحال في واحد من آحاد الصحابة كذلك فكيف الحال مع داود عليه السلام مع انه من اكابر الانبياء عليهم السلام (العاشر) روى ان بعضهم ذكر هذه القصة على ما في كتاب الله تعالى فقال لا ينبغي ان يزداد عليها وان كانت الواقعة على ما ذكرت ثم انه تعالى لم يذكرها لاجل ان يستتر تلك الواقعة على داود عليه السلام فلا يجوز للعاقل ان يسعى في هتك ذلك الستر بعد الف سنة او اقل واكثر فقال عمر سماعي هذا الكلام احب الى مما طلعت عليه الشمس فثبت بهذه الوجوه التي ذكرناها ان القصة التي ذكروها باطلة فان قال قائل

غفرنا او حال من فاعله اي وقلنا له  
او فائتين له يا داود الخ اي  
استخلفناك على ملك فيها واحكم  
فيما بين اهلها او جعلناك خليفة  
ممن كان قبلك من الانبياء القاطنين  
بالحق وفيه دليل بين على ان حاله  
عليه الصلاة والسلام بعد التوبة  
كما كانت قبلها لم تتغير قط (فاحكم  
بين الناس بالحق) بحكم الله تعالى  
فان الخلافة بسلامته مقتضية  
له حتما (ولا تتبع الهوى) اي  
هوى النفس في الحكومات  
وغيرها من امور الدين والدنيا  
(فيضلك عن سبيل الله) بالنصب  
على انه جواب النهي وقيل هو  
مجزوم بالعطف على النهي مفتوح  
لالتقاء الساكنين اي فيكون  
الهوى او اتباعه سببا لضلالك  
عن دلائله التي نصبها على الحق  
نكوتنا وتشريعا وقوله تعالى  
(ان الذين يضلون عن سبيل الله)  
تعليلا لما قبله ببيان غائلته واظهار

ان كثيرا من اكابر المحدثين والمفسرين ذكروا هذه القصة فكيف الحال فيها فالجواب الحقيقى انه لما وقع التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر واحد من اخبار الآحاد كان الرجوع الى الدلائل القاطعة اولى وايضا فالاصل براءة الذمة وايضا فلما تعارض دليل التحريم والتحليل كان جانب التحريم اولى وايضا طريقة الاحتياط توجب ترجيح قولنا وايضا فتحن نعلم بالضرورة ان بتقدير وقوع هذه الواقعة لا يقول الله لنا يوم القيامة لم لم تسعوا في تشهير هذه الواقعة واما بتقدير كونها باطلة فان علينا في ذكرها اعظم العقاب وايضا فقال عليه السلام اذا علمت مثل الشمس فاشهد وههنا لم يحصل العلم ولا الظن في صحة هذه الحكاية بل الدلائل القاهرة التى ذكرناها قائمة فوجب ان لا تجوز الشهادة بها وايضا كل المفسرين لم يتفقوا على هذا القول بل الاكثرون المحققون والمحققون منهم يردونه ويحكمون عليه بالكذب والفساد وايضا اذا تعارضت اقوال المفسرين والمحدثين فيه تساقطت وبقي الرجوع الى الدلائل التى ذكرناها فهذا تمام الكلام في هذه القصة ( اما الاحتمال الثانى ) وهو ان تحمل هذه القصة على وجهه بوجوب حصول الصغيرة ولا يوجب حصول الكبيرة فنقول في كيفية هذه القصة على هذا التقدير وجوه ( الاول ) ان هذه المرأة خطبها اوريا فأجابوه ثم خطبها داود فأمره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نساءه ( الثانى ) قالوا انه وقع بصره عليها فقال قلبه اليها وليس له في هذا ذنب البتة اما وقوع بصره عليها من غير قصد فذلك ليس بذنب واما حصول الميل عقيب النظر فليس ايضا ذنبا لان هذا الميل ليس في وسعه فلا يكون مكلفا به بل لما اتفق ان قتل زوجها لم يتأذيا عظيميا بسبب قتله لاجل انه طمع ان يتزوج تلك المرأة فحصلت الزلة بسبب هذا المعنى وهو انه لم يشق عليه قتل ذلك الرجل ( الثالث ) انه كان اهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا ان يطلق امرأته حتى يتزوجها وكانت عاداتهم في هذا المعنى ما لوفقة معروفة روي ان الانصار كانوا يواسون المهاجرين بهذا المعنى فاتفق ان عين داود عليه السلام وقعت على تلك المرأة فأحبها فسأله النزول عنها فاستحيا ان يرده ففعل وهى ام سليمان فقيل له هذا وان كان جائزا في ظاهر الشريعة الا انه لا يليق بك فان حسنات الابرار سيئات المقربين فهذه وجوه ثلاثة لو حملنا هذه القصة على واحد منها لم يلزم في حق داود عليه السلام الا ترك الافضل والاولى ( واما الاحتمال الثالث ) وهو ان هذه القصة على وجهه لا يلزم الحاق الكبيرة والصغيرة بداود عليه السلام بل بوجوب الحاق اعظم انواع المدح والثناء به وهو ان نقول روى ان جماعة من الاعداء طمعوا في ان يقتلوا نبي الله داود عليه السلام وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويستغل بطاعة ربه فانهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوروا المحراب فلما دخلوا عليه وجدوا عنده اقواما يمنعونهم فخافوا فوضعوا كدبا فقالوا خصمان بغى بعضنا على بعض الى آخر القصة وليس في لفظ القرآن ما يمكن ان يتحجج به في الحاق الذنب

سبيل الله في موقع الاضرار زيادة التقرير والايذان بكمال شناعة الضلال عنه ( لهم عذاب شديد ) جلة من خبره ومبتدأ وقت خبره لان الطرف خبر لان وعذاب مرتفع على الفاعلية بما فيه من معنى الاستقرار ( يأنسوا ) بسبب نسيانهم وقوله تعالى ( يوم الحساب ) اما مفعول أنسوا فيكون تعليلا صريحا لبوت العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد الاشعار بعليية ما يستنبع ويستلزمه اهتئ الضلال عن سبيل الله تعالى فانه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرّة بل هذا فرد من افراد اوظرف لقوله تعالى لهم اى لهم عذاب شديد يوم القيامة بسبب نسيانهم الذى هو عبارة عن ضلالهم ومن ضرورته ان يكون مفعوله سبيل الله فيكون التعليل المصرح به حينئذ عين التعليل المشعر به بالذات غيره

بدأوا الالفاظ أربعة (احدها) قوله وظن داود انما قتناه (وثانيها) قوله تعالى فاستغفر ربه (وثالثها) قوله واناب (ورابعها) قوله فغفرنا له ذلك ثم نقول وهذه الالفاظ لا يدل شيء منها على ما ذكره وتقريره من وجوه (الاول) انهم لما دخلوا عليه لطلب قتله بهذا الطريق وعلم داود عليه السلام ذلك دعاه الغضب الى ان يشتغل بالانتقام منهم الا انه مال الى الصلح والتجاوز عنهم طلبا لرضا الله قال وكانت هذه الواقعة هي الفتنة لانها جارية بجري الابتلاء والامتحان ثم انه استغفر ربه بمساهم به من الانتقام منهم وتاب عن ذلك الهم واناب فغفر له ذلك القدر من الهم والعزم (الثاني) انه وان غلب على ظنه انهم دخلوا عليه ليقتلوه الا انه ندب على ذلك الظن وقال لما لم تقم دلالة ولا اشارة على ان الامر كذلك فبشما علمت بهم حيث ظننت بهم هذا الظن الردي فكأن هذا هو المراد من قوله وظن داود انما قتناه فاستغفر ربه وخررا كما واناب منه فغفر الله له ذلك (الثالث) ان دخولهم عليه كان فتنة لداود عليه السلام الا انه عليه السلام استغفر لذلك الداخل العازم على قتله كما قال في حق محمد صلى الله عليه وسلم واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فداود عليه السلام استغفر لهم واناب اى رجع الى الله تعالى في طلب مغفرة ذلك الداخل القاصد للقتل وقوله فغفرنا له ذلك اى غفرنا له ذلك الذنب لاجل احترام داود وتعظيمه كما قال بعض المفسرين في قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك ان معناه ان الله تعالى يغفر لك ولا جلت ما تقدم من ذنبك (الرابع) هب انه تاب داود عليه السلام عن زلة صدرت منه لكن لانسلم ان تلك الزلة وقعت بسبب المرأة فلم لا يجوز ان يقال ان تلك الزلة انما حصلت لانه قضى لاحد الخصمين قبل ان يسمع كلام الخصم الثاني فانه لما قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فحكم عليه بكونه ظالما بمجرد دعوى الخصم بغير بينة لكون هذا الحكم مخالفا للصواب فعندهذا اشتغل بالاستغفار والتوبة الا ان هذا من باب ترك الافضل والاولى فثبت بهذه البيانات اننا اذا جلنا هذه الآيات على هذا الوجه فانه لا يلزم اسناد شيء من الذنوب الى داود عليه السلام بل ذلك يوجب اسناد اعظم الطامات اليه ثم نقول وحل الآية عليه أولى لوجوه (الاول) ان الاصل في حال المسلم البعد عن المداهى لاسيما وهو رجل من اكابر الانبياء والرسل (والثاني) انه احوط (والثالث) انه تعالى قال في اول الآية لمحمد صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون واذا ذكر عبدنا داود فان قوم محمد عليه السلام لما ظهروا السفاهة حيث قالوا انه ساحر كذاب واستهزؤا به حيث قالوا ربنا عمل لنا قناتيل يوم الحساب فقل تعالى في اول الآية اصبر يا محمد على سفاهتهم وتحمل وتحمل ولا تظهر الغضب واذا ذكر عبدنا داود فهذا الذكر انما يحسن اذا كان داود عليه السلام قد صبر على ايذائهم وتحمل سفاهتهم وحمل ولم يظهر الطيش والغضب وهذا المعنى انما يحصل اذا جلنا الآية على ما ذكرناه اما اذا جلناها على ما ذكره صار الكلام متناقضا فاسدا (والرابع) ان تلك الرواية انما تمتتى

بالعنوان ومن لم يتقبل لهذا السر السرى قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى فتدبر (وما خالفنا السماء والارض وما بينهما باطلا) كاذم مستأنف مقرر لما قبله من امر البعث والحساب والجراى وما خلقناهما وما بينهما من الخلوفاة على هذا النظام البديع الذى نحارفى فهمه العقول خلقا باذاد اى خاليسا عن العاية الجلية والحكمة الباهرة بل منطوبا على احق المبين والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا نفوسا ودعناها العقل والخيال بين الحق والباطل والنافع والضار ومكنها من النصرفات العلية واهمليتها فى استجلاب منافعها واستدفاع مضارها ونصينا للحق دلائل آفاقية وانفسية ومخناها التدرية على الاستشهاد بهام لم تقتصر على

اذا قلنا الخصمان كانا ملكين ولما كانا من الملائكة وما كان بينهما محاسبة وما ينبغي  
احدهما على الآخر كان قولهما خصمان بغى بعضنا على بعض كذبا فهذه الرواية  
لا تتم الا بشيئين (احدهما) اسناد الكذب الى الملائكة (والثاني) ان يتوصل باسناد  
الكذب الى الملائكة الى اسناد الخش القبائح الى رجل كبير من اكابر الانبياء فأما اذا  
جلنا الآية على ما ذكرنا استغنيا عن اسناد الكذب الى الملائكة وعن اسناد القبيح  
الى الانبياء فكان قولنا اولي فهذا ما عندنا في هذا الباب والله اعلم باسرار كلامه ونرجع  
الآن الى تفسير الآيات اما قوله وهل أأنك نبأ الخصم قال الواحدى الخصم مصدر  
خصمته اخصمه خصما ثم يسمى به الانسان والجمع ولا يثنى ولا يجمع يقال هما خصم وهم  
خصم كما يقال هما عدل وهم عدل والمعنى ذوا خصم وذوو خصم وأريد بالخصم ههنا  
الشخصان اللذان دخلا على داود عليه السلام وقوله تعالى اذ تسوروا المحراب يقال  
تسورت السور تسورا اذا علوته ومعنى تسوروا المحراب اى اتوه من سوروه وهو اعلاه  
يقال تسور فلان الدار اذا أتاه من قبل سورها واما المحراب فالمراد منه البيت الذى كان  
داود يدخل فيه ويشغل بطاعته وسمى ذلك البيت بالمحراب لاشتماله على المحراب كما  
يسمى الشئ باسمرف اجزائه وههنا مسئلة من علم اصول الفقه وهى ان اقل الجمع اثنان  
عند بعض الناس وهؤلاء تمسكوا بهذه الآية لانه تعالى ذكر صيغة الجمع فى هذه الآيات  
فى اربعة مواضع (احدها) قوله تعالى اذ تسوروا المحراب (وثانيها) قوله اذ دخلوا  
(وثالثها) قوله منهم (ورابعها) قوله قالوا لا تخف فهذه الالفاظ الاربعة كلها صيغ الجمع  
وهم كانوا اثنين بدليل انهم قالوا خصمان قالوا فهذه الآية تدل على ان اقل الجمع اثنان  
(والجواب) لا يمتنع ان يكون كل واحد من الخصمين جمعا كثيرين لاننا بيننا ان الخصم  
اذا جعل اسمافانه لا يثنى ولا يجمع ثم قال تعالى اذ دخلوا على داود والفائدة فيه انهم  
ربما تسوروا المحراب وما دخلوا عليه فلما قال اذ دخلوا عليه دل على انهم بعد التسور  
دخلوا عليه قال الفراء وقديحاء باذمرتين ويكون معناهما كالواحد كقولك ضربتك اذ  
دخلت على اذا جترأت معانه يكون وقت الدخول ووقت الاجترأ واحدا ثم قال تعالى  
ففرع منهم والسبب ان داود عليه السلام لما رآهما قد دخلوا عليه لامن الطريق المعتاد  
علم انهم اثمادخلوا عليه للشرف فلا جرم فرع منهم ثم قال تعالى قالوا لا تخف خصمان بغى  
بعضنا على بعض وفيه مسائل (المسئلة الاولى) خصمان خبر مبتدأ محذوف اى نحن  
خصمان (المسئلة الثانية) ههنا قولان (الاول) انهما كانا ملكين نزلا من السماء واراذا  
تنبيه داود عليه السلام على قبح العمل الذى اقدم عليه (والثاني) انهما كانا انسانين  
دخلا عليه للشرو القتل فظنا انهما يجدهانه خاليا فلما رآيا عنده جساعة من الخدم اختلقا  
ذلك الكذب لدفع الشر واما المنكرون لكونهما ملكين فقد احتجوا عليه بأنهما لو كانا  
ملكين لكانا كاذبين فى قولهما خصمان فانه ليس بين الملائكة خصومة ولكانا كاذبين

ذلك المقدار من اللطاف بل  
ارسلنا اليها رسلا وانزلنا عليها  
كتبا بينا فيها كل دقيق وجليل  
وازحنا عليها بالكلية وعرضناها  
بالتكليف للمنافع العظيمة واعددنا  
لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالها  
(ذلك) اشارة مانفى من خلق  
ما ذكر باطلا (ظن الذين كفروا)  
اى مظنونهم فان جحودهم بأمر  
البعث والجزاء الذى عليه يدور  
فلك تكوين العالم قول منهم  
ببطلان خلق ما ذكر وخلوه  
من الحكمة سبحانه وتعالى عما  
يقولون علوا كبيرا (فويل  
للذين كفروا) مبتدأ وخبر  
والفاء لافادة ترنب ثبوت  
الويل لهم على ظنهم الباطل  
كما ان وضع الموصول موضع  
ضميرهم للاشعار بما فى حيز الصلة  
بعلية كفرهم له ولاتنافى بينهما  
لان ظنهم من باب كفرهم ومن  
فى قوله تعالى (من النار) تعليلية  
كما فى قوله تعالى

في قولهما بغي بعضنا على بعض ولكنا كاذبين في قولهما ان هذا اخي له تسع وتسعون  
 نجمة ثبت انهما لو كانا ملكين لكانا كاذبين والكذب على الملك غير جائز لقوله تعالى  
 لا يسبقونه بالقول ولم يفعلوا ما يؤمرون اجاب الذاهبون الى القول الاول عن هذا  
 الكلام بأن قالوا ان الملكين انما ذكر هذا الكلام على سبيل ضرب المثل لاعلى سبيل  
 التحقيق فلم يلزم الكذب واجيب عن هذا الجواب بأن ما ذكرتم يقتضى العدول عن  
 ظاهر اللفظ ومعلوم انه على خلاف الاصل اما اذا حللنا الكلام على ان الخصمين كانا  
 رجلين دخلا عليه لغرض التبرم وضعا هذا الحديث الباطل فيثبت ان اسناد الكذب  
 الى شخصين فاسقين فكان هذا اولى من القول الاول والله اعلم واما القائلون بكونهما  
 ملكين فقد احتجوا بوجوه (الاول) اتفاق اكثر المفسرين عليه (الثاني) انه ارفع منزلة  
 من ان يتصور عليه آحاد الرعية في حال تبعده فيجب ان يكون ذلك من الملائكة (الثالث)  
 ان قوله تعالى قالوا لا تخف كالدلالة على كونهما ملكين لان من هو من رعيته لا يكاد يقول  
 له مثل ذلك مع رفعة منزلته (الرابع) ان قولهما ولا تشطط كالدلالة على كونهما  
 ملكين لان احدا من رعيته لا يتجاسر ان يقول له لا تظلم ولا تتجاوز عن الحق واعلم ان  
 ضعف هذه الدلائل ظاهر ولا حاجة الى الجواب والله اعلم (المسئلة الثالثة) بغي بعضنا على  
 بعض اى تعدى وخرج عن الحد يقال بغي الجرح اذا افراط وجعه وانتهى الى الغاية  
 ويقال بغت المرأة اذا زنت لان الزنا كبيرة منكرة قال تعالى ولا تكرر هوا قبائحكم على  
 البغاء ثم قال فاحكم بيننا بالحق معنى الحكم احكام الامر في امضاء تكليف الله عليهما  
 في الواقعة ومنه حكمة الدابة لانهما تمتنع من الجماع ومنه بناء محكم اذا كان قويا وقوله  
 بالحق أى بالحكم الحق وهو الذى حكم الله به ولا تشطط يقال شط الرجل اذا بعد ومنه  
 قوله شطت الدار اذا بعدت قال تعالى لقد قلنا اذا شطط اى تولا بعبدا عن الحق فتقوله  
 ولا تشطط أى لا تبعد في هذا الحكم عن الحق ثم قال واهدنا الى سواء الصراط وسواء  
 الصراط هو وسطه قال تعالى فاطلع فرآه في سواء الجحيم ووسط النسيء افضل له واعدله قال  
 تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا واول انهم عبروا عن المقصود الواحد ببلاب عبارات  
 (اولها) قولهم فاحكم بالحق (وثانيها) قولهم ولا تشطط وهى نهى عن الباطل (وثالثها)  
 قولهم واهدنا الى سواء الصراط يعنى يجب ان يكون سعيك في إيجاد هذا الحق وفي  
 الاحتراز عن هذا الباطل ان تردنا من الطريق الباطل الى الطريق الحق وهذا مبالغة  
 تامة في تقرير المطلوب واعلم انهم لما أخبروا عن وقوع الخصومة على سبيل الاجال  
 اردفوه ببيان سبب تلك الخصومة على سبيل التفصيل فقال ان هذا اخي له تسع وتسعون  
 نجمة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشاف اخي بدل من هذا أو خبر  
 لقوله ان والمراد اخوة الدين واخوة الصداقة والالفة واخوة الشركة والخلطة لقوله  
 تعالى وان كنتم من الخلقاء وكل واحدة من هذه الاخوات توجب الامتناع من الظلم

فويل لهم مما كتبت ايديهم  
 ونظائرهم معيده لعلة النار لثبوت  
 الويل لهم صريحا بعد الاشعار  
 لعلة ما يؤدي اليها من ظنهم  
 وكفرهم اى فويل لهم بسبب  
 النار المترتبة على ظنهم وكفرهم  
 (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا  
 الصالحات كالمفسدين في الارض)  
 أم منقطعة وما فيها من بل  
 لا شراب الا تسالى عن تقرير  
 امر البعث والحساب والجزاء  
 بما مر من نفي خلق العالم  
 خاليا عن الحكم والمصالح الى  
 تقريره وتحقيقه بما في التمهيد من  
 انكار السوية بين الفريقين  
 ونفيها على ابلغ وجه وادكه اى  
 بل ان تجعل المؤمنين الصالحين  
 كالكفرة المفسدين في اقطار  
 الارض كما يقتضيه عدم البعث  
 وما يترب عليه من الخراء لاسواء  
 الفريقين في التمتع بالحياة الدنيا  
 بل الكفرة او فر حظا منها  
 من المؤمنين لكن ذلك الجمل  
 محال فتعين البعث والجزاء  
 لرفع الاولين الى اعلى عليين  
 ورد الآخرين الى اسفل سافلين  
 وقوله تعالى (أم نجعل المتقين  
 كالفسخ) اضراب

والاعتداء ( المسئلة الثانية ) قال صاحب الكشف قرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونجعة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو ذطع ونطع وقوة ولقوة وهي الاثنى من العقبان ( المسئلة الثالثة ) قال الليث النجعة الاتى من الضأن والبقرة الوحشية والشاة الجبلية والجمع النجمات والعرب جرت مادتهم يجعل النجعة والظبية كناية عن المرأة ( المسئلة الرابعة ) قرأ عبد الله تسع وتسعون نجعة اثنى وهذا يكون لاجل التأكيذ كونه تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو هو اله واحد ثم قال اكفليها وعزنى فى الخطاب قال صاحب الكشف اكفليها حقيقة اجعلنى اكفلهما كما اكفل ما تحت يدي وعزنى غلبنى يقال عزه يعزه والمعنى جاءنى بحجاج لم اقدر ان اورد عليه ما ارد به وقرئ وعازنى من المعازة وهى المغالبة واعلم ان الذين قالوا ان هذين الخصمين كانا من الملائكة زعموا ان المقصود من ذكر النعاج التمثيل لان دوا كان تحت تسع وتسعون امرأة ولم يكن لاوريا الامراة واحدة فذكرت الملائكة تلك الواقعة على سبيل الرمز والتمثيل ثم قال تعالى قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه اى سؤال اضافة نعجتك الى نعاجه وروى انه قال له ان رمت ذلك ضرب بنا منك هذا وهذا و اشار الى الانثى والجهة فقال ياد اودانت احق ان تضرب منك هذا وهذا وانت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير احدا فعرف الحال فان قيل كيف جازل داود ان يحكم على احد الخصمين بمجرد قول خصمه قلنا ذكروا فيه وجوها ( الاول ) قال محمد بن اسحق لما فرغ الخصم الاول من كلامه نظر داود الى الخصم الذى لم يتكلم وقال لئن صدق لقد ظلمته والحاصل ان هذا الحكم كان مشروطا بشرط كونه صادقا فى دعواه ( والثانى ) قال ابن الانبارى لما دعى احدا لخصمين اعترف الثانى فحكم داود عليه السلام ولم يذكر الله تعالى ذكر الاعتراف لدلالة ظاهر الكلام عليه كما تقول امرتك بالتجارة فكسبت تريد اتجرت فكسبت قال تعالى ان اضرب بمصاك البحر فاقطع اى فاضرب فاقطع والثالث ان يكون التقدير ان الخصم الذى هذا شأنه يكون قد ظلمك ثم قال وان كثيرا من الخلفاء ليغنى بعضهم على بعض قال الليث خليف الرجل محالطه وقال الزجاج الخلفاء الشركاء فان قيل لم خص داود الخلفاء بغنى بعضهم على بعض مع ان غير الخلفاء قد يفعلون ذلك والجواب لاشك ان المخالطة توجب كثرة المنازعة والمخاصمة وذلك لانهما اذا اختلطا اطلع كل واحد منهما على احوال الآخر فكل ما يملكه من الاشياء النفيسة اذا اطلع عليه عظمت رغبته فيه فيفضى ذلك الى زيادة المخاصمة والمنازعة فلهذا السبب خص داود عايله السلام الخلفاء بزيادة البغى والعدوان فما استثنى عن هذا الحكم الذين آمنوا وعملوا الصالحات لان مخالطة هؤلاء لا تكون الا لاجل الدين والدنيا لا لاجل احوال الدنيا فلهذا لم يجرم مخالطتهم لا توجب المنازعة واما الذين تكون مخالطتهم لاجل حب الدنيا لا بد وارتد مير مخالطتهم سببا لمزيد البغى والعدوان واعلم ان هذا الاستثناء يدل على ان الذين آمنوا

واستغفار عن اثبات ما ذكر بلزوم المحال الذى هو التسوية بين الفريقين المذكورين على الاطلاق الى اثباته بلزوم ما هو اظهر منه استحالة وهو التسوية بين اتقياه المؤمنين واشقياء الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤمنين مما لا يساعد الفجار ويحوز ان يراد بهذين الفريقين هين الاولين ويكون الذكرير باعتبار وصفين آخرين هما ادخل فى الدكار التسوية من الوصفين الاولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى فى الآخرة من الخير ما تعطون فانزلت (كتاب) خبر مبتدأ محذوف هو عبارة عن القرآن او السورة وقوله تعالى (انزلناه اليك) صفته وقوله تعالى (مبارك) خبر ثان للمبتدأ اوصفة لكتاب عند من يحوز تأخير الوصف الصريح عن غير الصريح وقرئ مبارك على انه حال من مفعول انزلنا ومعنى المبارك الكثير المنافع الدينية والدنيوية وقوله تعالى (ليدبروا آياته) متعلق بانزلناه اى انزلناه ليفتكمروا فى

وعملوا الصالحات لا يبغي بعضهم على بعض فلو كان داود عليه السلام قد بغي وتعدى على ذلك الرجل لزم بحكم فتوى داود ان لا يكون هو من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومعلوم ان ذلك باطل فثبت ان قول من يقول المراد من واقعة النجدة قصة داود قول باطل ثم قال تعالى وقليل ما هم واعلم ان الحكم بقلة اهل الخير كثير في القرآن قال تعالى وقليل من عبادى الشكور وقال داود عليه السلام فى هذا الموضع وقليل ما هم وحكى تعالى عن ابليس انه قال ولا تجدوا كثرة سالكين وسبب القلة ان الدواعى الى الدنيا كثيرة وهى الحواس الباطنة والظاهرة وهى عترة والشهوة والغضب والقوى الطبيعية السبعة فالجوع تسعة عشر وافقون على باب جهنم البدن وكلها تدعو الى الخلق والدنيا والذلة الحسية واما الداعى الى الحق والدين فايسر العقل واستيلاء القوة الحسية والطبيعية على الخلق اكثر من القوة العقلية فيهم فلهذا السبب وقعت القلة فى جانب اهل الخير والكثرة فى جانب اهل الشر قال صاحب الكشاف وما فى قوله وقابل ما هم للابهام وفيه تعجب من قلتهم قال واذا أردت ان تتحقق فاندتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس وحديث ما على قصره وانظر هل بقي له معنى قط ثم قال تعالى وذن داود انما قتله قالوا معاه وعلم داود انما قتله اى امتحاه قالوا والسبب الذى اوجب حل لفظ الظن على العلم ههنا ان داود عليه السلام لما قضى بينهما نظر احدهما الى صاحبه فضحك ثم صعدا الى السماء قبل وجهه فعلم داود ان الله ابتلاه بذلك وبنت ان داود علم ذلك وانما جاز حل لفظ الظن على العلم لان العلم الاستدلالى يشبه الظن مشابهة عظيمة والمثابرة علة لجواز المجاز واقول هذا الكلام انما يلزم اذا قلنا الحصان كانا منكم انما اذا لم نقل ذلك لا يلزمنا حل الظن على العلم بل لقائل ان يقول انه لما غلب على ظنه حصول الابتلاء من الله تعالى اشتغل بالاستغفار والالتوبة اما قوله فاستغفر ربه اى سأل الغفران من ربه ثم ههنا وجهان ان قلنا بأنه قد صدرت زلة منه جلنا هذا الاستغفار عليها وان لم نقل به قلنا فيه وجوه (الاول) ان القوم لما دخلوا عليه قاصدين قتله وانه كان سلطانا شديدا القهر عظيم القوة ثم انه مع القدرة الشديدة على الانتقام ومع حصول الفرع فى قلبه عفا عنهم ولم يقل لهم شيئا قرب الامر من ان يدخل فى قلبه شيء من العجب فاستغفر به عن تلك الخلة واناب الى الله واعترف بأن اقترانه على ذلك الخير ما كان الا بتوفيق الله فغفر الله له وتجاوز عنه بسبب طرياق ذلك الخاطر (الثاني) لعله هم بايذاء القوم ثم قال انه لم يبدل دليل قاطع على ان هؤلاء قصدوا الشر فعفا عنهم ثم استغفر عن ذلك الهم (الثالث) لعل القوم تابوا الى الله وطلبوا منه ان يستغفر الله لهم لاجل ان يقبل توبتهم فاستغفروا وتضرع الى الله فغفر الله ذنوبهم بسبب سفاعته ودنائه وكل هذه الوجوه محتملة ظاهرة والقرآن مملوء من امثال هذه الوجوه وذا كان الامر محتملا مادكرناه ولم يضم دليل قطعى ولا ظنى على التزام المكرات اننى يذكرونها لما الذى يحملها على التزامها

آياته التى من جللتها هذه الآيات العربية عن اسرار التكوّن والنشريع فيعرفوا ما يدور ظاهرها من المعاني الفاسقة والسأويلات اللائقة وقرئ ليدبروا على لاصل ولتدبروا على لطبات اى انت وعلاء امت بخذت احدى النساء (ا) وليذكر اولواالباب (اى) وليعظ به ذوو العقول السليمة ان يستحضروا ما هو كالمركوز فى عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية مينة لما لا يعرف الا اسرع مرشدة الى ما لا يسئل العقل السليم وداود سليمان ثم اعبد وقرئ ثم العبدى سليمان كما ينهى عنه تأخير عن داود مع كونه مفعولا صريحا لو هبنا وان قوله تعالى (انه اواب) اى رجاع الى الله تعالى بالتوبة او الى السامع مرجع له لتعليل ليدرس وهو من حاله لان السخير المحرو في قوله تعالى (اذ عرض



القول بها والذي يؤكد ان الذي ذكرناه اقرب واقوى ان يقال ختم الله هذه القصة بقوله وان له عندنا لفي وحسن ما ب ومثل هذه الخاتمة انما تحسن في حق من صدر منه عمل كثير في الخدمة والطاعة وتحمل أنواعا من الشدائد في الموافقة والانقياد اما اذا كان المذكور السابق هو الاقدام على الجرم والذنب فان مثل هذه الخاتمة لا تليق به قال مالك بن دينار اذا كان يوم القيامة أتى بمنبر رفيع وبوضع في الجنة ويقال يا داود مجدي بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمنجني به في الدنيا والله أعلم بقي ههنا مباحث ( فالاول ) قرئ فتاه وقتاه على ان الالف ضمير الملكين ( الثاني ) المنهور ان الاستغفار انما كان بسبب قصة النجعة والعاج وقبل ايضا انما كان بسبب انه حكم لاحد الخصمين قبل ان يسمع كلام الثاني وذلك غير جائز ( الثالث ) قوله خررا كما واثاب يدل على حصول الركوع واما السجود فقد ثبت بالاحبار وكذلك البكاء الشديد في مدة أربعين يوما ثبت بالاحبار ( الرابع ) ان مذهب الشافعي رضي الله عنه ان هذا الموضع ليس فيه سجدة التلاوة قال لانه توبة نبي فلا توجب سجدة التلاوة ( الخامس ) استشهد أبو حنيفة رضي الله عنه بهذه الآية في سجود التلاوة على ان الركوع يقوم مقام السجود \* قوله تعالى ( يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وما خلقت السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ان يجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالفاسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار كتاب اترناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولواالباب ) اعلم انه تعالى لما تم الكلام في شرح القصة اردفها ببيان انه تعالى فوض الى داود خلافة الارض وهذا من اقوى الدلائل على فساد القول المشهور في تلك القصة لان من البعيد جدا ان يوصف الرجل بكونه ساعيا في سفك دماء المسلمين راغبا في انتزاع ازواجهم منهم ثم يذكر عقبيه ان الله تعالى فوض خلافة الارض اليه نعم نقول في تفسير كونه خليفة وجهان ( الاول ) جعلناك تخلف من تقدمك من الانبياء في الدعاء الى الله تعالى وفي سياسة الناس لان خليفة الرجل من يخلفه وذلك انما يعقل في حق من يصح عليه النيابة وذلك على الله محال ( الثاني ) انا جعلناك مالكا للناس ونافذ الحكم فيهم فهذا التأويل يسمى خليفة ومنه يقال خلفاء الله في ارضه وحاصله ان خليفة الرجل يكون نافذ الحكم في رعيته وحقيقة الخلافة متممة في حق الله فلما امتنعت الحقيقة جعلت اللفظة مفيدة لزوم في تلك الحقيقة وهو نفاذ الحكم نعم قال تعالى فاحكم بين الناس بالحق واعلم ان الانسان خلق مدنيا بالطبع لان الانسان الواحد لا ينظم مصالحه الا عند وجود مدينة تامة حتى ان هذا يحترس وذلك يطحن وذلك يخبر وذلك ينسج وهذا يخطط وبالجملة كون كل واحد منهم مشغولا بهم وينظم من اعمال الجميع مصالح الجميع فثبت ان الانسان مدني بالطبع

عليه) راجع اليه عليه الصلاة والسلام قطعوا دمنصوب باذكر اي اذكر ماصدر عنه اذ عرض عليه ( بالعتي ) هو من الظهر الى آخر النهار ( الصافات ) فانه يشهد بانه اواب وقيل ظرف لاواب وقيل لثم وتأخير الصافات عن الظرفين لمرار من الشويق الى المؤخر والصافين من الحيل الذي يقوم على طرف سنك يد او رجل وهو من الصفات الحمودة في الحيل لا يكاد يتفق الا في العرب الخلع وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما واما الذي يقف على سنكفه فهو التحيم ( الحداد ) جمع جواد وحود وهو الذي يسرع في حربه وقيل الذي يحود عند الركض وقيل وصفت بالصهون والحدود لبيان جمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية اي اذا وقعت كانت ساكنة مطمئنة في موافقها واد اجرت كانت سراعا خفاها في جريها وقيل هو جمع جيد

وعند اجتماعهم في الموضع الواحد يحصل بينهم مازعات ومخاصمات ولا بد من افسان  
 قادر قاهر يقطع تلك الخصومات ويفصل تلك الحكومات وذلك هو السلطان الذي ينفذ  
 حكمه على الكل فثبت انه لا ينظم مصالح الخلق الا بسلطان قاهر سائس ثم ان ذلك  
 السلطان القاهر السائس ان كان حكمه على وفق هواه وطلب مصالح دنياه عظم ضرره  
 على الخلق فانه يجعل الرعية فداء لنفسه ويتوسل بهم الى تحصيل مقاصد نفسه وذلك  
 يفضي الى تخريب العالم ووقوع الهرج والمرج في الخلق وذلك يفضي بالآخرة الى هلاك  
 ذلك الملك اما اذا كانت احكام ذلك الملك مطابقة للشريعة الحقة الالهية انتظمت  
 مصالح العالم واتسعت أبواب الخيرات على احسن الوجوه فهذا هو المراد من قولهم  
 فاحكم بين الناس بالحق يعني لابد من حاكم بين الناس بالحق فكن أنت ذلك الحاكم ثم قال  
 ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله الآية وتفسيره ان متابعة الهوى توجب الضلال  
 عن سبيل الله والضلال عن سبيل الله يوجب سوء العذاب فينتج ان متابعة الهوى توجب  
 سوء العذاب ( اما المقام الاول ) وهو ان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله  
 فقريره ان الهوى يدعو الى الاستغراق في اللذات الجسمانيات والاستغراق فيها يمنع  
 من الاشتغال بطلب السعادات الروحية التي هي الباقيات الصالحات لانهما حالتان  
 متضادتان فقدر ما زداد أحدهما ينقص الآخر ( اما المقام الثاني ) وهو ان الضلال عن  
 سبيل الله يوجب سوء العذاب فالامر فيه ظاهر لان الانسان اذا عظم الفقه بهذه  
 الجسمانيات ونسى بالكلية احواله الروحانيات فاذا مات فقد غارق المحبوب والمعشوق  
 ودخل ديارا ليس له باعل تلك الديار الف وليس له عند قوة مطالعة انوار تلك الديار فكأنه  
 غارق المحبوب ووصل الى المكروه فكان لا محالة في اعظم العناء والبلاء فثبت ان متابعة  
 الهوى توجب الضلال عن سبيل الله وثبت ان الضلال عن سبيل الله يوجب العذاب  
 وهذا بيان في غاية الكمال ثم قال تعالى بمانسوا يوم الحساب يعني ان السبب الاول  
 لحصول ذلك الضلال هو نسيان يوم الحساب لانه لو كان متذكرا اليوم الحساب لما عرض  
 عن اعداد اذاد ليوم المعاد ولما صار مستغرقا في هذه اللذات الفاسدة \* روى عن بعض  
 خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز هل سمعت ما بلغنا ان الخليفة لا يجري عليه  
 القلم ولا يكتب عليه معصية فقال بأمر المؤمنين الخلفاء افضل ام الانبياء ثم تلا هذه الآية  
 ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بمانسوا يوم الحساب \* ثم قال تعالى  
 وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا  
 من النار ونظيره قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقا عذاب النار وقوله تعالى  
 وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) احتج  
 الجبائي بهذه الآية على انه تعالى لا يجوز ان يكون خالقا لاعمال العباد قال لانها مشتملة  
 على الكفر والفسق وكلها اما طيل فلما بين تعالى انه ما خلق السموات والارض وما بينهما

روى انه عليه الصلاة والسلام  
 عرا اهل دمشق ونصبيين  
 وأصاب الف فرس وقيل اصابها  
 ابوه من العمات فورها منه  
 وقيل خرجت من البحر لها جنحة  
 فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على  
 كرسيه فاستعرضها فلم تزل  
 تعرض عليه حتى غربت الشمس  
 وعقل عن العصر او عن ورد  
 كاله من الذكر وقتئذ وتبوه  
 فلم يعطوه فاعتم لما فاتها فاستردها  
 فقهرها تقربا لله تعالى وبقي مائة  
 هافي ايدي الناس من الجياد فن  
 نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله  
 حيرا منها وهي الريح تجري بأمره  
 ( فقال اني احببت حب الخير  
 عن ذكر ربى ) فانه عليه الصلاة  
 والسلام عدد عروب الشمس  
 بعثوا بما صدر عنه من الاشتغال  
 بهما عن الصلاة ودماعا عليه وتمهيدا  
 لما يعقبه من الاسر بردها وعقرها  
 والتعقيب باعتبار اخر العرض  
 المستمر دون ابتداءه والتأكيد  
 للدلالة على ان اعترافه وندمه  
 عن صميم القلب لا تحقيق مضمون  
 الخبر واصل احببت ان

بطلادل هذا على انه تعالى لم يخلق اعمال العباد ومثله قوله تعالى وما خلقنا السموات  
والارض وما بينهما الا بالحق وعند المجرة انه خلق الكافر لاجل ان يكفر والكافر باطل  
وقد خلق الباطل مما أكد تعالى ذلك بأن قال ذلك ظن الذين كفروا الى كل من قال هذا  
القول فهو كافر فهذا تصريح بان مذهب المجرة عين الكفر واحتج اصحابنا رحمهم الله  
بأن هذه الآية تدل على كونه تعالى خالقا لاعمال العباد فقالوا هذه الآية تدل على كونه  
تعالى خالقا لكل ما بين السموات والارض واعمال العباد حاصلة بين السماء والارض  
فوجب ان يكون الله تعالى خالقا لها (المسئلة الثانية) هذه الآية دالة على صحة القول  
بالحشر والنسر والقيامة وذلك لانه تعالى خلق الخلق في هذا العالم فاما ان يقال انه خلقهم  
للاضرار او للانقاذ او لا للانقاذ ولا للاضرار او الاول باطل لان ذلك لا يليق بالرحيم  
الكريم والمالك ايضا باطل لان هذه الحالة حاصلة حين كانوا معدومين فلم يبق الا ان يقال  
انه خلقهم للانقاذ فقول وذلك الانقاذ اما ان يكون في حياة الدنيا او في حياة الآخرة  
والاول باطل لان ما فاع الدنيا قليلة ومضرها كثيرة وتحمل المضار الكبيرة لله ففة  
القليلة لا يليق بالحكمة ولما بطل هذا القسم بنت القول بوحود حياة أخرى بعد هذه  
الحياة النبوية وذلك هو القول بالحشر والنسر والقيامة واعلم ان هذا الدليل يمكن  
تقريره من وجوه كثيرة وقد خلصناها في اول سورة يونس بالاستقصاء فلا سبيل الى التكرير  
فثبت بما ذكرنا انه تعالى ما خلق السماء والارض وما بينهما باطلا وادالم يكن خلقهما  
باطلا كان القول بالحشر والنسر لازما وان كل من انكر القول بالحشر والنسر كان شاكاً  
في حكمة الله في خالق السماء والارض وهذا هو المراد من قوله ذلك ظن الذين كفروا  
فويل للذين كفروا من النار ولما بين الله تعالى على سبيل الاجال ان انكار الحشر والنسر  
يوجب الشك في حكمة الله تعالى بين ذلك على سبيل التفصيل فقال ام نجعل الذين آمنوا  
وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار وتقريره ان ترى  
في الدنيا من اطاع الله واحترز عن معصيته في الفقر والمانعة وانواع البلاء ونرى الكفرة  
والفساق في الراحة والعبطة فلم ولم يكن حشر ونسر ومعاد فيمنئذ يكون حال المطيع  
أدب من حال العصي وذلك لا يليق بحكمة الحكيم الرحيم وادان كان ذلك قادحا  
في الحكمة بنت ان انكار الحشر والنسر يوجب انكار حكمة الله ، ثم قال تعالى كتاب  
انزلنا اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب وبه مسائل (المسئلة الاولى)  
قالت المعتزلة دلت الآية على انه تعالى انما انزل هذا القرآن لاجل الخير والرحمة  
والهداية وهذا يفيد امرين (احدهما) ان افعال الله معللة برعاية المصالح (والثاني) انه  
تعالى اراد الايمان والخير والطاعة من الكل بخلاف قول من يقول انه اراد الكفر  
من الكافر (المسئلة الثانية) في تقرير نظام هذه الآيات فقول لسائل ان يسأل فيقول انه  
تعالى حكى في اول السورة عن المستهثرين من الكفار انهم بالعوا في انكار البعث

يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت  
لكن لما انيب مناب أثبت عدى  
تعديته وحبالخير مفعوله كأنه  
فيل أثبت حب الخير عن ذكر ربي  
ووضعه موضع الخير والمال  
الكثير والمراد به الخيل التي شاءه  
عليه الصلاة والسلام ويحمل  
انه سماها خيرا لتعلق الخير بها  
قال عليه الصلاة والسلام الخير  
معمود بنواصى الخيل الى يوم  
القيامة وقرئ اتي (حتى توارت  
بالحجاب) متعلق بقوله احبت  
باعتبار استمرار المحبة ودوامها  
حسب استمرار العرض اى أثبت  
حب الخير عن ذكر ربي واستمر  
ذلك حتى توارت اى عرت  
الشمس تشبه الفرو بهاى معربها  
بتوارى الحماة بحماها واضمارها  
من غير ذكر لدلالة العنى عليها  
وقيل الضمير للاضافات اى حتى  
توارت بحجاب الليل اى بظلامه  
(ردوها على) من تمام مقالة  
سليمان عليه السلام

والقيامة وقالوا ربنا عجل لنا قسطا قبل يوم الحساب، ولما حكى الله تعالى عنهم ذلك لم يذكر الجواب بل قال اصبر على ما يقولون واذا ذكر عبدنا داود ومعلوم انه لا تعلق ان ذكر داود عليه السلام بان القول بالقيامة حق ثم انه تعالى اطلب في شرح قصة داود ثم اتبعه بقوله وما خلقنا السماء والارض ومعلوم انه لا تعلق لمسئلة اباب حكمة الله بقصة داود ثم لما ذكر اثبات حكمة الله وفرع عليه اباب ان القول بالخسر والنسر حق ذكر بعده ان القرآن كتاب شريف فاضل كبير الفع والخير ولا تعلق لهذا الفصل بالكلمات المتقدمة واذا كان كذلك كانت هذه الفصول فصولا متبانية لا تعلق للبعض منها ببعض فكيف يليق بهذا الموضع وصف القرآن بكونه كتابا شريفا فضلا هذا تمام السؤال (والجواب) ان نقول ان العقلاء قالوا من ابتلى بخضم جاهل مصر متعصب ورآه قد خاض في ذلك التعصب والاصرار وجب عليه ان يقطع الكلام معه في تلك المسئلة لانه كلما كان خوضه في تقريره اكثر كانت تفرته عن القبول اشد فالطريق حينئذ ان يقطع الكلام معه في تلك المسئلة وان يخوض في كلام آخر اجنبى عن المسئلة الاولى بالكلمة ويطلب في ذلك الكلام الاجنبى بحيث يأنس ذلك التعصب تلك المسئلة الاولى فاذا اشتغل خاطره بهذا الكلام الاجنبى ونسى المسئلة الاولى فحينئذ يدرج في اناء الكلام في هذا الفصل الاجنبى مقدمة مناسبة لذلك المطلوب الاول فان ذلك التعصب يسلم هذه المقدمة فاذا سلمها فحينئذ يتسك بها في اباب المطلوب الاول وحينئذ يصير ذلك الخصم المصر المتعصب مقطعا مفحما اذا عرفت هذا فقول ان الكفار بلغوا في انكار الحس والنسر والقيامة الى حيث قالوا على سبيل الاستهزاء ربنا عجل لنا قسطا قبل يوم الحساب فقال يا محمد قطع الكلام معهم في هذه المسئلة واضرع في كلام آخر اجنبى بالكلمة عن هذه المسئلة وهى قصة داود عليه السلام فان من المعلوم انه لا تعلق لهذه القصة بمسئلة الحس والنسر ثم انه تعالى اطلب في شرح تلك القصة ثم قال في آخر القصة يا داود اجعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وكل من سمع هذا قال نعم فافعل حبيب امره بالحق بالحق ثم كانه تعالى قال وأنا لا أمرك بالحق فقط بل انا مع اتى رب العالمين لا اقبل الا بالحق ولا اقضى بالباطل فمهما الخصم يقول نعم فافعل حيث لم يقض الا بالحق فعد هذا يقال لمسمت ان حكم الله يجب ان يكون بالحق لا بالباطل لزمك ان تسلم صحة القول بالحس والنسر لانه لو لم يحصل ذلك لزم ان يكون الكافر ارجح على المسلم في ايصال الخيرات اليه وذلك صراحة الحكمة وعين الباطل فهذا الطريق اللطيف اورده الله تعالى الا ان الزام الفاطم على مكربى الحس والنسر ايراد لا يمكنهم الخلاص عند فصار ذلك الخصم الذى بلغ في انكار المعاد الى حد الاستهزاء مفحما ملزما بهذا الطريق ولما ذكر الله تعالى هذه الطريقة الرقيقة في الاثام في اقرآن لاجرم وصف القرآن بالكمال والفضل فقال كتاب انزاله اليك مبارك ليذكر آياته ويتذكر اولوالالباب فان لم

ومضى غرضه من تقديم ما قدمه ومن لم يتنبه له مع ظهوره توهم انه متصل بمضمون هو جواب لمضمون آخر كاش سائلا فان هذا قال سليمان عليه السلام قليل ذل رودها فتأمل والعاء في قوله تعالى (فطقق سمحا) فسيحة معصية عن جلة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايدانها لية سرعة الامسال بالامر أى فردوها عليه فأخذ يمسح السيف سمحا (بالسوق والاعناق) أى نسوها واعتافها يقطعها من قولهم مسح علاته أى ضرب عنقه وقيل جعل يمسح يده اعاقها وسوقها حباليها وتعجبا بها وليس يدك وقرى بالسوق على همر الوالوتننمها كما في أدور وقرى بالسوق مزبلا لصحة السين منزلة ضمة الواو وقرى بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس (ولقد فسا سليمان والقيامة على كرسية جسدا ثم اناب) اظهر ما قيل في فتنته عليه الصلاة والسلام ماروى مرفوعا انه قال لا طوفن

يتدبر ولم يتأمل ولم يساعده التوفيق الإلهي لم يقف على هذه الأسرار الجميلة المذكورة في هذا القرآن العظيم حيث يراه في ظاهر الحال مقرونا بسوء الترتيب وهو في الحقيقة مشتغل على اكل جهات الترتيب فهذا ما حضرنا في تفسير هذه الآيات والله التوفيق \* قوله تعالى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعنق الصافات الجياد

فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ردوها على فطعق ممحما بالسوق والاعناق) واعلم ان هذا هو القصة الثانية وقوله نعم العبد فيه مباحث (الاول) نقول المخصوص بالمدح في نعم العبد مخدوف فقيل هو سليمان وقيل داود والاول اولى لانه اقرب المذكورين ولانه قال بعده انه اواب ولا يجوز ان يكون المراد هو داود لان وصفه بهذا المعنى قد تقدم في الآية المتقدمة حيث قال واذكر عبدنا داود ذا الابدان اواب فلو قلنا لفظ الاواب ههنا ايضا صفة داود لزم التكرار ولو قلنا انه صفة لسليمان لزم كون الابن شيها لابه في صفات الكمال في الفضيلة فكان هذا اولى (البحث الثاني) انه قال اولا نعم العبد ثم قال بعده انه اواب وهذه الكلمة للتعليل فهذا يدل على انه انما كان نعم العبد لانه كان او ابا فيلزم ان كل من كان كثير الرجوع الى الله تعالى في اكثر الاوقات وفي اكثر المهمات كان موصوفا بأنه نعم العبد وهذا هو الحق الذي لا شبهة فيه لان كمال الانسان في ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به ورأس المعارف ورئيسها معرفة الله تعالى ورأس الطاعات ورئيسها الاعتراف بأنه لا يتم شيء من الخيرات الا باعانة الله تعالى ومن كان كذلك كان كثير الرجوع الى الله تعالى فكان او ابا فبنت ان كل من كان او ابا وجب ان يكون نعم العبد اما قوله اذ عرض عليه فقيه وجوه (الاول) التقدير نعم العبد هو اذا كان من اعماله انه فعل كذا (الثاني) انه ابتداء كلام والتقدير اذ كرى بحمد اذ عرض عليه كذا وكذا والعشى هو من حين العصر الى آخر النهار عرض الخيل عليه لينظر اليها ويقف على كيفية احوالها والصفات الجياد الخيل وصفت بوصفين (اولهما) الصافنات قال صاحب الصحاح الصافن الذي يصفن قدميه وفي الحديث كنادا اصلينا خلفه فرفع رأسه من الركوع فناصرفونا اي قناصرفين اقدامنا واقول على كلا التقديرين فالصفون صفة دالة على فضيلة الفرس (والصفة الثانية) للخيل في هذه الآية الجياد قال المبرد والجياد جمع جواد وهو الشديد الجرى كما ان الجواد من الناس هو السريع البذل فالقصور وصفها بالفضيلة والكمال حالتي وقوفها وحركتها اما حال وقوفها فوصفها بالصفون واما حال حركتها فوصفها بالجودة يعني انها اوقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقعها على احسن الاشكال فاذا جرت كانت سراما في جريها فاذا طلبت لحقت واذا طلبت لم تلحق نعم قال تعالى قال اني احببت حب الخير عن ذكر ربى وفي تفسير هذه اللفظة وجوه (الاول) ان يضمن احببت معنى فعل يتعدى بعن كانه قبل ان يبت حب الخير عن ذكر ربى (والثاني) ان احببت بمعنى الزمت والمعنى اني الزمت حب الخير

الليلة على سبعين امرأة نأفى كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى ولم يقل ان شاء الله تعالى فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجعوا وقيل ولده ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فلم ذلك فكان يفتدوه في السحاب فاشعر به الان اتقى على كرسيه ميتا فتنبه لحطته حيث لم يتوكل على الله عز وجل وقيل انه غزا صيدون من الحزائر قتل ملكها واصاب بئسالة تسمى جرادة من احسن الناس فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان لا يرقاد معها حزرا على ايها فأمر الشياطين فقتلوا صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائها يسجدن لها كما دنت في ملكه فأخبره آصف بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج

عن ذكر ربي ابي عن كتاب ربي وهو التوراة لان ارتباط الخليل كما انه في القرآن ممدوح  
فكذلك في التوراة ممدوح (و الثالث) ان الانسان قد يحب شيئا لكنه يحب ان لا يحب  
كالريض الذي يشتهي ما يزيد في مرضه والاب الذي يحب ولده الرديء وامام من احب  
شيئا واحب ان يحبه كان ذلك غاية المحبة فقوله احببت حب الخير بمعنى احببت حتى لهذه  
الخليل نعم قال عن ذكر ربي بمعنى ان هذه المحبة الشديدة انما حصلت عن ذكر الله وامره  
لا عن الشهوة والهوى وهذا الوجه اظهر الوجوه ثم قال تعالى حتى توارت اقول الضمير  
في قوله حتى توارت وفي قوله ردوها يحتمل ان يكون كل واحد منهما عائدا الى الشمس لانه  
جرى ذكر ماله تعلق بها وهو العشي ويحتمل ان يكون كل واحد منهما عائدا الى الصافات  
ويحتمل ان يكون الاول متعلقا بالشمس والثاني بالصافات ويحتمل ان يكون بالعكس من  
ذلك فهذه احتمالات اربعة لامزيد عليها (فالاول) ان يعود الضمير ان معا الى الصافات  
كأنه قال حتى توارت الصافات بالحجاب ردوا الشمس بالشمس بالحجاب ردوا الشمس  
الضمير ان معا عائدين الى الشمس كأنه قال حتى توارت الشمس بالحجاب ردوا الشمس  
وروي انه صلى الله عليه وسلم لما اشتغل بالخليل فاته صلاة العصر فسأل الله ان يرد الشمس  
فقوله ردوها على اشارة الى طلب رد الشمس وهذا الاحتمال عندى بعيد والذي يدل عليه  
وجوه (الاول) ان الصافات مذكورة تصرحاً والشمس غير مذكورة وعود الضمير الى  
المذكور اولى من عوده الى المقدر (الثاني) انه قال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي  
حتى توارت بالحجاب وظاهر هذا اللفظ يدل على ان سليمان عليه السلام كان يقول اني  
احببت حب الخير عن ذكر ربي وكان بعيد هذه الكلمات الى ان توارت بالحجاب فلو قلنا  
المراد حتى توارت الصافات بالحجاب كان معناه انه حين وقع بصره عليها حال جريها كان  
يقول هذه الكلمة الى ان غابت عن عينه وذلك مناسب ولو قلنا المراد حتى توارت الشمس  
بالحجاب كان معناه انه كان بعيد عن هذه الكلمة من وقت العصر الى وقت المغرب وهذا في  
غاية البعد (الثالث) انالو حكما يعود الضمير في قوله حتى توارت الى الشمس وجلنا اللفظ  
على انه ترك صلاة العصر كان هذا منافيا لقوله احببت حب الخير عن ذكر ربي فان تلك  
المحبة لو كانت عن ذكر الله لما نسي الصلاة ولما ترك ذكر الله (الرابع) انه بتقدير انه عليه  
السلام بقي مشغولا بتلك الخليل حتى غربت الشمس وفانت صلاة العصر فكان ذلك ذنباً  
عظيماً وجرمًا قوياً فالأبقى بهذه الحالة التضرع والبكاء والمبالغة في اظهار التوبة فاما  
ان يقول على سبيل التهور والعظمة لاله العالم ورب العالمين ردوها على بمنل هذه  
الكلمة العارية عن كل جهات الادب عقيب ذلك الجرم العظيم فهذا لا يصدر عن ابعد  
الناس عن الخير فكيف يجوز اسناده الى الرسول المطهر المكرم (الخامس) ان القادر  
على تحريك الافلاك والكواكب هو الله تعالى فكان يجب ان يقول ردوها على ولا يقول  
ردوها على فان قالوا انما ذكر صيغة الجميع للتنبيه على تعظيم المخاطب فقول ردوها

وحده الى فلاة وفريش له الرماح  
فجلس عليه تائباً الى الله تعالى با كيا  
متضرعاً وكانت له ام ولد يقال لها  
امينة اذا دخل لاطهارة او لاصابة  
امرأة يعطيها خاتمه وكان ملكه  
فيه فأعطاهما يوم افتتلت لها بصورته  
شيطان اسمه صخر واخذ الحسام  
فقتله وجلس على كرسيه فاجتمع  
عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء  
الافق نساءه وغير سليمان عن هيئته  
فأتى امينة لطلب الحاتم فأكرته  
وطرده فعرف ان الخطيئة قد  
ادركته فكان يدور على السيوت  
يتكفف واذا قال انا سليمان  
حشوا عليه التراب وسبوه ثم عمد  
الى السماكين يتقل لهم السمك  
فمطونه كل يوم سمكتين فكث  
على ذلك اربعين صباحاً عدم اعبد  
الوزن في بيته فأكر آصف وعظما  
بنى اسرائيل حكم الشيطان ثم طار  
العين وقد ف الحاتم في البحر

لفظ مشعر بأعظم انواع الاهانة فآين يليق بهذا اللفظ رعاية التعظيم ( السادس )  
ان الشمس لو رجعت بعد الغروب لكان ذلك مشاهدا لكل اهل الدنيا ولو كان الامر  
كذلك لنوفرت الدوايحى على نقله واظهاره وحيث لم يقل احد ذلك علما فساد  
( السابع ) انه تعالى قال اذ عرض عليه بالعشى الصافات الجياد م قال حتى توارت  
بالحجاب وعود الضمير الى اقرب المذكورين اولى واقرب المذكورين هو الصافات  
الجياد واما العنى فابعدهما فكان عود ذلك الضمير الى الصافات اولى فثبت بما ذكرنا  
ان حل قوله حتى توارت بالحجاب على توارى الشمس وان حل قوله ردوها على على ان  
المراد منه طلب ان يرد الله الشمس بعد غروبها كلام فى غاية البعد عن النظم م قال تعالى  
فطفق مسحاً بالسوق والاعناق اى فجعل سليمان عليه السلام بمسح سوقها واعناقها  
قال الاكثرون معناه انه مسح السيف بسوقها واعناقها اى قطعها قالوا انه عليه السلام  
لمقاتته صلاة العصر بسبب اشتغاله بالظر الى تلك الخيل استردها وعقر سوقها واعناقها  
تقربا الى الله تعالى وعندى ان هذا ايضا بعيد ويدل عليه وجوه ( الاول ) انه لو كان معنى  
مسح السوق والاعناق قطعها لكان معنى قوله وامسحوا برؤسكم وارجلكم قطعها وهذا  
مما لا يقوله عاقل بل لوقيل مسح رأسه بالسيف فربما فهم منه ضرب العنق اما اذ لم يذكر  
لفظ السيف لم يفهم البتة من المسح العنق والذبح ( الثانى ) ان هؤلاء بهذا القول جمعوا  
على سليمان عليه السلام انواعا من الافعال المذمومة ( فأولها ) ترك الصلاة ( وثانيها ) انه  
استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا الى حيث نسي الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم حب  
الدنيا رأس كل خطيئة ( وثالثها ) انه بعد الاتيان بهذا الذنب العظيم لم يشغل بالتوبة  
والانابة البتة ( ورابعها ) انه خاطب رب العالمين بقوله ردوها على وهذه كلمة لا يذكرها  
الرجل الحصيف الامع الخادم الخسيس ( وخامسها ) انه اتبع المعاصى بعقر الخيل فى  
سوقها واعناقها وروى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه نهى عن ذبح الحيوان الا ما كاله  
فهذه انواع من الكبائر نسبوا الى سليمان عليه السلام مع ان لفظ القرآن لم يدل على  
شئ منها ( وسادسها ) ان هذه القصص انما ذكرها الله تعالى عقيب قوله وقالوا ربنا  
اجعل لنا قنطا قبل يوم الحساب وان الكفار لما بلغوا فى السفاهة الى هذا الحد قال الله  
تعالى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم اصبر يا محمد على سفاهتهم واذكر عبدنا داود وذكر قصة  
داود م ذكر عقيبها قصة سليمان وكان التقدير انه تعالى قال لمحمد عليه السلام اصبر يا محمد على  
ما يقولون واذكر عبدنا سليمان وهذا الكلام انما يكون لاثنا لوقلنا ان سليمان عليه  
السلام اتى فى هذه القصة بالاعمال الفاضلة والاخلاق الحميدة وصبر على طاعة الله  
واعرض عن الشهوات والذات فاما لو كان المقصود من قصة سليمان عليه السلام فى  
هذا الموضع انه اقدم على الكبائر العظيمة والذنوب الجسيمة لم يكن ذكر هذه القصة لاثنا  
بهذا الموضع فثبت ان كتاب الله تعالى ينادى على هذه الاقوال الفاسدة بالرد والافساد

فابتلعته سمكة فوقعت فى يد سليمان  
فبقرطنها فاذا هو بالحاتم فقتل  
به وخر ساجدا وعاد اليه ملكه  
وجاب صخرة لصخر فيجعله فيها  
وسد عليه بأخرى م اوئيهما  
بالحديد والرصاص وقد فقه فى  
البحر وعلى هذا الجسد عبارة  
عن صخر سمى به وهو جسم  
لارواح فيه لانه تمثل بما لم يكن  
كذلك والخطيئة تغافل عليه الصلاة  
والسلام عن حال اهله لان اتحاد  
التماثيل لم يكن محظورا جئت  
وسجود الصورة بغير علم منه  
لا يضره ( قال ) بدل من اناب  
وتفسيره ( رب اعفرلى ) اى ما  
صدر عني من الزلة ( وهب لى  
ملك لا يابغى لاحد من عدى )  
لا يتسهل له ولا يكون ليكون  
مجرة لى مناسبة لخالق فانه عليه  
الصلاة والسلام لما نشأ فى بيت  
الملك والنبوته وورثها معا  
استدعى من ربه مجزة جامعة  
لحكمهما اولاً لا يبنى لاحد ان  
يسلبه متى بعد هذه



والابطال بل التفسير المطابق للحق لالفاظ القرآن والصواب ان نقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما انه كذلك في دين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ان سليمان عليه السلام احتاج الى الغزو فجلس وامر باحضار الخيل وامر باجرائها وذكر اني لا احبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما احبها لامر الله وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله عن ذكر ربي ثم انه عليه السلام امر باعدائها وتسييرها حتى توارت بالحجاب اى غابت عن بصره ثم امر الرائيين بأن يردوا تلك الخيل اليه فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها والغرض من ذلك المسح امور (الاول) تسييرها وابانة لعزتها لكونها من اعظم الاعوان في دفع العدو (الثاني) انه اراد ان يظهر انه في ضبط السياسة والملك يتضع الى حيث يباشر اكثر الامور بنفسه (الثالث) انه كان اعلم بأحوال الخيل وامراضها وعيوبها فكان يمتحنها ويمسح سوقها واعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن انطباقا مطابقا موافقا ولا يلزمنا نسبة شيء من تلك المنكرات والتحذورات واقول انا شديد التعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه الضعيفة مع ان العقل والقليل يردّها وليس لهم في انبائها شبهة فضلا عن حجة فان قيل فالجمهور فسروا الآية بذلك الوجه فما قولك فيه فنقول لنا ههنا مقامان (المقام الاول) ان ندعي ان لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي يذكرونها وقد ظهروا الحمد لله ان الامر كما ذكرناه وظهوره لا يرتاب العاقل فيه (المقام الثاني) ان يقال هب ان لفظ الآية لا يدل عليه الا انه كلام ذكره الناس فما قولك فيه وجوابنا ان الدلائل الكثيرة قامت على عصمة الانبياء عليهم السلام ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات ورواية الآحاد لا تصلح معارضة للدلائل القوية فكيف الحكايات عن اقوام لا يبالي بهم ولا يلتفت الى اقوالهم والله اعلم \* قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان وسليمان والقيصا على كرسيه جسدا ثم اناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وان له عندنا لزني وحسن مأتب) اعلم ان هذه الآية شرح واقعة ثانية لسليمان عليه السلام واختلفوا في المراد من قوله ولقد فتنا سليمان ولاهل الحشو والرواية فيه قول ولاهل العلم والتحقيق قول آخر اما قول اهل الحشو فذكروا فيه حكايات (الاولى) قالوا ان سليمان بلغه خبر مدينة في البحر فخرج اليها بجنوده فحمله الريح فأخذها وقتل ملكها واخذ بناتها اسمها جرادة من احسن الناس وجها فاصطفاه لنفسه واسلمت فأحبها وكانت تبكي ابدا على ابيها فأمر سليمان الشيطان فقتل لها صورة ابيها فكسيتها مثل كسوته وكانت تذهب الى تلك الصورة بكرة وعشيا مع جوارحها يسجدن لها فأخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش الرماذج جلس عليه ثابا الى الله تعالى وكانت له ام ولد

السلبه اولا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ماليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لأن لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله له لي وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمن يدا هتامة بأمر الدين جري على سنن الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين وكون ذلك ادخل في الاجابة وقرئ لي بفتح الباء (انك انت الوهاب) تعليل للدعاء بالمغفرة والهبه معا لا بالاخيرة فقط فان المغفرة ايضا من احكام وصف الوهابية قطعاً (فسخرنا له الريح) أي فدللناها لطاعته الجابة لدعوته فعاد امره عليه الصلاة والسلام الى ما كان عليه قبل الفتنة وقرئ الرياح (تجري بأمره) ببيان لتسخيرها له (رخاء) اى لينة من الرخاوة طيبة لا تزغزع وقيل طيبة لا تمتنع عليه كالأموال المتقادة

يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما فاتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وقال يا امينة خاتمي قمتم به وجلس على كرسي سليمان فأتى عليه الطير والجن والانس وتغيرت هيئة سليمان فأتى امينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم اخذ يخدم السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فحكى على هذه الحالة اربعين يوما عددا مع عبد الوثن في بيته فانكر آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان قتلن ما يدع امرأة منا في دمها ولا يقتل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء الا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فانلعه سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم قمتم به ووقع ساجدا لله ورجع اليه ملكه واخذ ذلك الشيطان وادخله في صخرة والقاها في البحر (والرواية الثانية للحشوية) ان تلك المرأة لما اقدمت على عبادة تلك الصورة افتن سليمان وكان يسقط الخاتم من يده ولا يتاسك فيها فقال له آصف انتك لمفتون بذنبك فنب الى الله (والرواية الثالثة لهم) قالوا ان سليمان قال لبعض الشياطين كيف تقتنون الناس فقال ارني خاتمك اخبرك فلما اعطاه اياه نبذه في البحر فذهب ملكه وقعد هذا الشيطان على كرسيه ثم ذكر الحكاية الى آخرها اذا عرفت هذه الروايات فهؤلاء قالوا المراد من قوله ولقد فتنا سليمان ان الله تعالى ابتلاه وقوله والقينا على كرسيه جسدها وجلس ذلك الشيطان على كرسيه (والرواية الرابعة) انه كان سبب فتنه احتجابه عن الناس ثلاثة ايام فسلب ملكه والقي على سريره شيطان عقوبة له واعلم ان اهل التحقيق استبعدوا هذا الكلام من وجوه (الاول) ان الشيطان لو قدر على ان يتشبه بالصورة والخلقة بالانبياء لخيرنا لا يبق اعتماد على شيء من الشرائع ففعل هؤلاء الذين رأوهم الناس في صورة محمد وعيسى وموسى عليهم السلام ما كانوا اولئك بل كانوا شياطين تشبوا بهم في الصورة لاجل الاغواء والاضلال ومعلوم ان ذلك يبطل الدين بالكيفية (الثاني) ان الشيطان لو قدر على ان يعامل نبي الله سليمان بمثل هذه المعاملة لوجب ان يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد وحينئذ وجب ان يقتلهم وان يمزق تصانيفهم وان يخرب ديارهم ولما بطل ذلك في حق آحاد العلماء فلائ يبطل مثله في حق اكابر الانبياء اولي (الثالث) كيف يليق بحكمة الله واحسانه ان يسلط الشيطان على ازواج سليمان ولا شك انه قبيح (الرابع) لو قلنا ان سليمان اذن لتلك المرأة في عبادة تلك الصورة فهذا كفر منه وان لم يأذن فيه البتة فالذنب على تلك المرأة فكيف يؤخذ الله سليمان بفعله لم يصدر عنه فاما الوجوه التي ذكرها اهل التحقيق في هذا الباب فاشياء (الاول) ان فتنة سليمان انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش صار مسلطا علينا مثل ابيه فسيئنا ان نقله فعلم سليمان ذلك فكان يريبه في السحاب فيئنا هو مشتغل بمهماته اذا لقي ذلك الولد

(حيث اصاب) اي حيث قصد واراد حكي الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاختط الجواب (والشياطين) عطف على الريح (كل بناء وغواص) بدل من الشياطين (واخرين مقرنين في الاصفاد) عطف على كل بناء داخل في حكم البدل كانه عليه الصلاة والسلام فصل الشياطين الى عمله استعملهم في الاعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك والى مرده قرن بعضهم مع بعض في السلاسل لكفهم عن الشر والفساد ولعل اجسامهم شفافة فلا ترى صلبة فيمكن تقييدها ويقدررون على الاعمال الصعبة وقد جوز ان يكون الاقران في الاصفاد عبارة عن كفهم عن الشرور بطريق التمثيل والصفد القيد وسمى به العطاء لانه يرتبط بالنعيم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده وأصفده اعطاه على عكس وعد واوعد وقوله تعالى (هذا) الخ اما حكاية لما خوطب به سليمان عليه السلام

ميتا على كرسيه فثبته على خطئه في انه لم يتوكل فيه على الله فاستغفر له واثاب ( الثاني )  
 روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال سليمان لا طوفن الليلة على سبعين امرأة  
 كل واحدة تأتى بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل  
 الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجئ به على كرسيه فوضع في حجره فوالذي نفسي بيده  
 لو قال ان شاء الله لجاهدوا كلهم في سبيل الله فرسانا اجعون فذلك قوله ولقد قننا سليمان  
 ( الثالث ) قوله ولقد قننا سليمان بسبب مرض شديد ألقاه الله عليه والقينا على كرسيه منه  
 جسدا وذلك لشدة المرض والعرب تقول في الضعيف انه لجم على وضم وجسم بلاروح ثم  
 أناب اى رجع الى حال الصحة فاللفظ تحتل لهذه الوجوه ولا حاجة البتة الى حمله على تلك  
 الوجوه الرليكة ( الرابع ) اقول لا يبعد ايضا ان يقال انه ابتلاه الله تعالى بتسليط خوف  
 او توقع بلاء من بعض الجهات عليه وصار بسبب قوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف الملقى  
 على ذلك الكرسي ثم انه أزال الله عنه ذلك الخوف واعاده الى ما كان عليه من القوة  
 وطيب القلب اما قوله تعالى قال رب اغفر لي فاعلم ان الذين حملوا الكلام المتقدم على  
 صدور الزلة منه تمسكوا بهذه الآية فانه لو لا تقدم الذنب لما طلب المغفرة ويمكن ان يجاب  
 عنه بان الانسان لا ينفك البتة عن ترك الافضل والاولى وحينئذ يحتاج الى طلب المغفرة  
 لان حسنات الأبرار سيئات المقربين ولانهم أبدا في مقام هضم النفس واطهار الذلة  
 والخضوع كما قال صلى الله عليه وسلم وانى لأستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة ولا يبعد  
 ان يكون المراد من هذه الكلمة هذا المعنى والله اعلم ثم قال تعالى وهب لى ملكا لا ينبغي  
 لاحد من بعدى دلت هذه الآية على انه يجب تقديم مهم الدين على مهم الدنيا لان سليمان  
 طلب المغفرة اولا ثم بعده طلب المملكة وايضا الآية تدل على ان طلب المغفرة من الله  
 تعالى سبب لانفتاح ابواب الخيرات في الدنيا لان سليمان طلب المغفرة اولا ثم توسل به الى  
 طلب المملكة ونوح عليه السلام هكذا فعل ايضا لانه تعالى حكى عنه انه قال فقلت  
 استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين وقال  
 لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمرأهالك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك  
 فان قيل قوله عليه السلام ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى مشعر بالحسد والجواب عنه  
 ان القائلين بان الشيطان استولى على ملكته قالوا معنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدى وهو  
 ان يعطيه الله ملكا لا تقدر الشياطين ان يقوموا مقامه البتة فاما المنكرون لذلك فقد  
 اجابوا عنه من وجوه ( الاول ) ان الملك هو القدرة فكان المراد اقدرنى على اشياء لا يقدر  
 عليها غيرى البتة ليصير اقتدارى عليها معجزة تدل على صحة نبوتى ورسالتى والدليل على صحة  
 هذا الكلام انه تعالى قال عقيب فسخنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث اصاب فكون  
 الريح جارية بأمره قدرة عجيبه وملك عجيب ولا شك انه معجزة دالة على نبوته فكان قوله  
 هب لى ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى هو هذا المعنى لان شرط المعجزة ان لا يقدر غيره على

مبينة لعظم شأن ما اوتى من الملك  
 وانه مفوض اليه تقويضا كلياً  
 واما مقول لقول مقدر هو  
 معطوف على سخرنا اوحال من  
 فاعله كإمر في خاتمة قصة داود  
 عليه السلام اى وقتلناه او قائلين له  
 هذا الأمر الذى اعطيناكم  
 من الملك العظيم والبسطة والتسلط  
 على ما لم يسلط عليه غيرك  
 ( عطاؤنا ) الخاص بك ( فاعن  
 او امسك ) فاعط من شئت  
 وامنع من شئت ( بغير حساب )  
 حال من المستكن في الأمر اى  
 غير محاسب على منه وامسكه  
 لتفويض التصرف فيه اليك على  
 الإطلاق او من العطاء اى هذا  
 عطاؤنا ملتبسا بغير حساب لعاية  
 كثرته او صلة له وما بينهما  
 اعتراض على التقديرين وقيل  
 الإشارة الى تسخير الشياطين  
 والمراد بالبن والامساك الإطلاق  
 والتقيد ( وان له عندنا الزلنى )  
 في الآخرة مع ماله من الملك  
 العظيم في الدنيا ( وحسن ما ب )  
 هو الجنة قيل فن سليمان عليه  
 السلام بعد ممالك عشرين سنة  
 وملك بعد

معارضتها فقولها لا ينبغي لاحد من بعدى يعنى لا يقدر أحد على معارضته ( والوجه الثانى ) فى الجواب انه عليه السلام لم يمرض ثم عاد الى الصحة عرف ان خيرات الدنيا صائرة الى الغير بارث اوسبب آخر فسأل ربه ملكا لا يمكن ان ينقل منه الى غيره وذلك الذى سأله بقوله ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى اى ملكا لا يمكن ان ينقل عنى الى غيرى ( والوجه الثالث ) فى الجواب ان الاحتراز عن طيبات الدنيا مع القدرة عليها اشق من الاحتراز عنها حال عدم القدرة عليها فكأنه قال يا الهى اعطنى مملكة فائقة على ممالك البشر بالكلية حتى احتراز عنها مع القدرة عليها ليصير ثوابى اكل وأفضل ( الوجه الرابع ) من الناس من يقول ان الاحتراز عن لذات الدنيا عسر صعب لان هذه اللذات حاضرة وسعادة الآخرة نسيئة والقدر يصعب بعه بالنسيئة فقال سليمان اعطنى يارب مملكة تكون اعظم الممالك الممكنة للبشر حتى ابقى مع تلك القدرة الكاملة فى غاية الاحتراز عنها ليظهر للخلق ان حصول الدنيا لا يمنع من خدمة المولى ( الوجه الخامس ) ان من لم يقدر على الدنيا يبقى ملتفت القلب اليها فيظن ان فيها سعادات عظيمة وخيرات نافعة فقال سليمان يارب العزة اعطنى اعظم الممالك حتى يقف الناس على كمال حالها فيحتذ بظهور العقل انه ليس فيها فائدة وحينئذ يعرض القلب عنها ولا يلتفت اليها واشتغل بالعبودية ساكن النفس غير مشغول القلب بعلائق الدنيا ثم قال فحزناله الريح تجرى بأمره رخاء حيث اصاب رخاء اى رخوة لينة وهى من الرخاوة والريح اذا كانت لينة لاتزعزع ولا تمنع عليه كانت طيبة فان قيل أليس انه تعالى قال فى آية اخرى وسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره قلنا الجواب وجهين ( الاول ) لامنافة بين الآيتين فان المراد ان تلك الريح كانت فى قوة الرياح العاصفة الا انها لما جرت بأمره كانت لذينة طيبة فكانت رخاء ( والوجه الثانى ) من الجواب ان تلك الريح كانت لينة مرة وعاصفة اخرى ولامنافة بين الامرين وقوله تعالى حيث اصاب اى قصدوا أراد وحكى الاصمعى عن العرب انهم يقولون اصاب الصواب فاخطأ الجواب وعن رؤية ان رجلين من اهل اللغة قصدا ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال ابن تصيان فقالان هذا مطلق بنا وبالجملة فالقصود انه تعالى جعل الريح مسخرة له حتى صارت تجرى بأمره على وفق ارادته ثم قال والشياطين كل بناء وغواص قال صاحب الكشف الشياطين عطف على الريح وكل بناء بدل من الشياطين وآخرين عطف على قوله كل بناء وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له ماشاء من الابنية ويفوصون له فليستخرجون اللؤلؤ وقوله مقرنين يقال قرنهم فى الحبال والتشديد للكثرة والاصفاد الاغلال واحدها صدف والصفد العطية ايضا قال اللبابة \* ولم اعرض ابنت العن بالصفد \* فعلى هذا الصفد القيد فكل من شدته شدا ويقا فقد صفدته وكل من أعطيته عطاء جزيل فقد أصفدته وههنا بحث وهو ان هذه الآيات دالة على

الفتنة عشرين سنة وذكر الفقيه ابو حنيفة احمد بن داود الدينورى فى تاريخه ان سليمان عليه السلام ورث ملك ابيه فى عصر كينسرو ابن سياوش وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كينسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار سليمان عليه السلام الى مرو ثم الى بلاد الترك فوعل فيها ثم جاز بلاد الصين ثم عطف الى ان وافى بلاد فارس فزلها اياما ثم عاد الى الشام ثم امر ببناء بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة م الى صنعاء وكان من حديثه مع صاحبها ما ذكره الله تعالى وغرا بلاد المغرب الاندلس وطنجة وغيرها والله تعالى اعلم

ان الشياطين لها قوة عظيمة وبسبب تلك القوة قدروا على بناء الابنية القوية التي لا يقدر عليها البشر وقدروا على الغوص في البحار واحتاج سليمان عليه السلام الى قيدهم ولقائل ان يقول ان هذه الشياطين امان تكون أجسادهم كثيفة اوليفة فان كان الاول وجب ان يراهم من كان صحيح الحاسة اذ لو جاز ان لا تراهم مع كثافة اجسادهم فليجز ان تكون بحضرتنا جبال عالية واصوات هائلة ولا تراها ولا نسمعها وذلك دخول في السفسطة وان كان الثاني وهو ان اجسادهم ليست كثيفة بل لطيفة رقيقة فخل هذا يتمتع ان يكون موصوفاً بالقوة الشديدة وايضاً ان تنفرد اجسادهم وان تترق بسبب الرياح القوية وان يموتوا في الحال وذلك يمنع من وصفهم ببناء الابنية القوية وايضاً الجن والشياطين ان كانوا موصوفين بهذه القوة والشدة فلم لا يقتلون العلماء والزهاد في زماننا ولم لا يخربون ديار الناس مع ان المسلمين مبالغون في اظهار لعنهم وعداوتهم وحيث لم يحس شيء من ذلك علماً ان القول بابيات الجن والشياطين ضعيف واعلم ان اصحابنا يجوزون ان تكون اجسامهم كثيفة مع ان لا تراها وايضاً لا يبعد ان يقال اجسامهم لطيفة بمعنى عدم اللون ولكنها صلبة بمعنى انها لا تقبل التفريق والترق واما الجبائي فقد سلم انها كانت كثيفة الاجسام وزعم ان الناس كانوا يشاهدونهم في زمن سليمان ثم انه لما توفي سليمان عليه السلام امات الله اولئك الجن والشياطين وخلق نوعاً آخر من الجن والاشياطين تكون اجسامهم في غاية الرقة ولا يكون لهم شيء من القوة والموجود في زماننا من الجن والشياطين ليس الامن هذا الجنس سم قال تعالى هذا عطاؤنا فامنوا واسمك بغير حساب وفيه قولان ( الاول ) قال ابن عباس رضي الله عنهما اعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب اي ليس عليك حرج فيما اعطيت وفيما امسكت ( الثاني ) ان هذا في امر الشياطين خاصة والمعنى هؤلاء الشياطين المسخرون عطاؤنا فامنوا على من شئت من الشياطين فخل عنه واحبس من شئت منهم في العمل بغير حساب ولما ذكر الله تعالى ما انعم به على سليمان في الدنيا اردفه بانعامه عليه في الآخرة فقال وان له عندنا لوزني وحسن ما ب وقد سبق تفسيره \* قوله تعالى ( واذكر عبدنا

( واذكر عبدنا ايوب ) عطف على اذكر عبدنا داود وعدم نصديده قصة سليمان بهذا العنوان اكتمال الاتصال بينهما وبين داود عليهما السلام وايوب هو ابن عيسى بن اسحق عليه السلام ( اذنادى ربه ) بدل اشتغال من عبدنا وايوب عطف بيان له ( اي ) باني ( مسنى ) لشيطان ( بفتح ياء مسنى وقرئ ) باسكانها واسقاطها ( بنصب ) اي تعب وقرئ بفتح النون وبفتح النون ونصبتين للتثنية ( وعذاب ) اي المروصوب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فتون الشدايد وهو المراد بالضر في قوله اني مسنى الضر وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به لعبارته والالتفات الى مسه الخ والاسناد الى الشيطان امانه لعلى مسه بذلك لما فعل يوسف وسوته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او اسعاه مظلوم فلم يعنه او كانت مواشيه في ناحية ملاك كافر فداهنه ولم يعره او امتحان صبره فيكون اعترافاً بالذنب او مراعاة للادب اولانه وسوس الى اتباعه حتى رفضه واخرجه من ديارهم اطلاق المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسف وسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من تعظيم ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة وبغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق لدفعه وردده بالصبر الجليل وليس هذا تمام

وان العاقل لا بدله من الصبر على المكروه وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب  
الكشاف ايوب عطف بيان واذبدل اشمال منه اتي مسنى اى بائى مسنى حكاية  
لكلامه الذى ناداه بسبيه ولولم يحك لقال بأنه مسه لانه غائب وقرى بنصب بضم النون  
وقتها مع سكون الصاد وقتهما وضمها فالنصب والنصب كالرشد والرشد والعدم  
والعدم والسقم والسقم على اصل المصدر والنصب ثقيل نصب والمعنى  
واحد وهو التعب والمشقة والعذاب والاثم واعلم انه كان قد حصل عنده نوعان من  
المكروه الغم الشديد بسبب زوال الخيرات وحصول المكروهات والاثم الشديد في الجسم  
ولما حصل هذان النوعان لاجرم ذكر الله تعالى لفظين وهما النصب والعذاب (المسئلة  
لثانية) لاس في هذا الموضع قولان (الاول) ان الآلام والاسقام الحاصلة في جسمه  
انما حصلت بفعل الشيطان (الثاني) انها انما حصلت بفعل الله والعذاب المضاف  
في هذه الآية الى الشيطان هو عذاب الوسوسة والقاء الخواطر الفاسدة (واما القول  
الاول) فقريره ماروى ان ابليس سأل ربه فقال هل في عبيدك من لوسلطني عليه  
يتمتع مني فقال الله نعم عبيد ايوب فجعل يأتيه بوساوسه وهو يرى ابليس عيانا ولا يلتفت  
اليه فقال يارب انه قد استمتع على فسلطني على ماله وكان يحبسه ويقول له هلك من ماله  
كذا وكذا فيقول الله اعطى والله اخذ ثم يحمده الله فقال يارب ان ايوب لا يبالي بماله  
فسلطني على ولده فجاء وزلزل الدار فهلك اولاده بالكفة فجاءه واخبره به فلما بلغت اليه  
فقال يارب لا يبالي بماله وولده فسلطني على جسده فأذن فيه فنفخ في جلد ايوب وحدثت  
اسقام عظيمة وآلام شديدة فيه فكث في ذلك البلاء سنين حتى صار بحيث استقذر اهله  
بلده فخرج الى الصحراء وما كان يقرب منه احد فجاء الشيطان الى امرأته وقال لو ان  
زوجك استعان بي لخلصته من هذا البلاء فذكرت المرأة ذلك لزوجها فحلف بالله لن اعافه  
الله ليجلد نهامائة جلدة وعند هذه الواقعة قال اتي مسنى الشيطان بنصب وعذاب  
فأجاب الله دعاءه واوحى اليه ان اركض برجلك فأظهر الله من تحت رجله عينا باردة  
طيبة فأغسل منها فأذهب الله عنه كل داء في ظاهره وباطنه ورد عليه اهله وماله (والقول  
الثاني) ان الشيطان لا قدرة له البتة على ايقاع اللبس في الامراض والآلام والدليل  
عليه وجوه (الاول) انما يجوزنا حصول الموت والحياة والصحة والمرض من الشيطان  
فلعل الواحد منا انما وجد الحياة بفعل الشيطان ولعل كل ما حصل عندنا من الخيرات  
والسعادات فقد حصل بفعل الشيطان وحينئذ لا يكون لنا سبيل الى ان نعرف ان معطى  
الحياة والموت والصحة والسقم هو الله تعالى (الثاني) ان الشيطان لو قدر على ذلك فلم  
لا يسعي في قتل الانبياء والا ولياء ولم لا يخرب دورهم ولم لا يقتل اولادهم (الثالث) انه  
نمالي حكي عن الشيطان انه قال ما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم  
لي فصرح بأنه لا قدرة له في حق البشر الاعلى القاء الوسوس والخواطر الفاسدة وذلك

دعاه عليه الصلاة والسلام بل من  
بجلته قوله وانت ارحم الراحمين  
فاكتفى ههنا عن ذكره بما في سورة  
الانبياء كما ترك هناك ذكر  
الشيطان ثم عاذا كرهنا وقوله  
تعالى (اركض برجلك) الخ اما  
حكاية لما قيل له او مقول لقول  
مقدر معطوف على نادى اى قلنا  
له اركض برجلك اى اضرب بها  
الارض وكذا قوله تعالى (هذا  
معسل بارد وشرب) فانه ايضا  
اما حكاية لما قيل له بعد امتناله  
بالامر ونوع الماء ومقول لقول  
مقدر معطوف على مقدر ينساق  
اليه الكلام كأنه قيل فصر بها  
فنبعت عين فقلنا هذا معسل  
تغتسل به وتشرب منه فيبرأ  
ظاهرك وباطلك وقيل نبعت  
عينان حارة للاعسال وباردة  
لشرب ويأباه ظاهرا والنظم  
الكرام وقوله تعالى (ووهبنا له  
اهله) معطوف على مقدر  
مرتب على مقدر آخر يقتضيه  
القول المقدر آسا كأنه قيل  
فاغسل وشرب فكشفنا بذلك  
ما به من ضر كما في سورة الانبياء

يدل على قول من يقول ان الشيطان هو الذى القاه في تلك الامراض والآفات فان  
قال قائل لم لا يجوز ان يقال ان الفاعل لهذه الاحوال هو الله تعالى لكن على وفق التماس  
الشيطان قلنا فاداك كان لابد من الاعتراف بأن خالق تلك الآلام والاستقام هو الله  
تعالى فأى فائدة في جعل الشيطان واسطة في ذلك بل الحق ان المراد من قوله انى مسنى  
الشيطان بصب وعذاب انه بسبب لقاء الوسوس الفاسدة والخواطر الباطنة كان  
يلقيه في انواع العذاب والعناء ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في ان تلك الوسوس  
كيف كانت وذكروا فيه وجوها (الاول) ان علمته كانت شديدة الالم ثم طالت مدة تلك  
العلة واستقذره الناس ونفروا عن مجاورته ولم يبق له شئ من الاموال البتة وامرأته  
كانت تخدم الناس وتحصل له قدر القوت ثم بلغت نفرة الناس عنه الى ان منعوا امرأته  
من الدخول عليهم ومن الاشتغال بخدمتهم والشيطان كان يذكره النعم التي كانت  
والآفات التي حصلت وكان يحتال في دفع تلك الوسوس فلما قويت تلك الوسوس في  
قلبه خاف وتضرع الى الله وقال انى مسنى الشيطان بصب وعذاب لانه كلما كانت  
تلك الخواطر اكثر كان الم قلبه منها اشد (الساني) انها لما طالت مدة المرض جاءه  
الشيطان وكان يقنطه من ربه ويزين له ان يحزر فخاف من تأكد خاطر القنوط في قلبه  
فتضرع الى الله تعالى وقال انى مسنى الشيطان (الثالث) قيل ان الشيطان لما قال لامرأته  
لو اطاعنى زوجك ازلت عنه هذه الآفات فذكرت المرأة ذلك فغلب على ظنه ان الشيطان  
طمع في دينه فشق ذلك عليه فتضرع الى الله تعالى وقال انى مسنى الشيطان بصب وعذاب  
(الرابع) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه بقى أيوب في البلاء ثمان عشرة سنة حتى  
رفضه القريب والبعيد الارجلين ثم قال احدهما لصاحبه لقد أدنب أيوب ذنبا ما اتى  
به احد من العالمين ولولاه ما وقع في مثل هذا البلاء فذكروا ذلك لا يوب عليه السلام  
فقال لا ادري ما تقولان غير ان الله يعلم انى كنت امر على الرجلين يتنازعا فيذكر ان الله  
تعالى فارجع الى بيتي فانظر عنهما كراهية ان يذكر الله تعالى الا في الحق (الخامس) قيل  
ان امرأته كانت تخدم الناس فتأخذ منهم قدر القوت وتجي به الى ايوب فاتفق انهم  
ما استخدموها البتة وطلب بعض النساء منها قطع احدى دوابتيها على ان تعطيهما قدر  
القوت ففعلت ثم في اليوم الساني ففعلت مثل ذلك فلم يبق له ذؤابة وكان ايوب عليه  
السلام اذا اراد ان يتحرك على فراشه تعلق تلك الذؤابة فلما لم يجد الذؤابة وقعت الخواطر  
المؤذية في قلبه واشتد غمه فعند ذلك قال انى مسنى الشيطان بصب وعذاب (السادس)  
قال في بعض الايام يارب لقد علمت ما اجتمع على امر ان الآآزت طاعتك ولما اعطيتني  
المال كنت للارامل قيما ولابن السبيل معينا واليتامى أبافنودى من غمامة يا ايوب من  
كان ذلك التوفيق فأخذ ايوب التراب ووضع على رأسه وقال منك ياربم حاف  
من الحاطر الاول فقال مسنى الشيطان بصب وعذاب وقد ذكروا أقوالا اخرى والله

وهيئاله اهله اما باحباهم بعد  
هلاكمهم وهو المروى عن الحسن  
او جمعهم بعد تفرقهم كما قيل  
( ومنهم معهم ) عطف على اهله  
فكان له من الاولاد ضعفا ما كان  
له قبل ( رجة منا ) أى رجة عظيمة  
عليه من قبلنا ( وذكرى لأولى  
لالباب ) ولتذكرهم بذلك  
ليصبروا على الشدائد كما صبر  
ولجؤا الى الله عروحل فيايجب  
بهم كالجأ لمعمل بهم ما فعل به من  
حسن العاقبة ( وخذ بيدك ثغنا )  
معطوف على ركض او على  
وهنا تقدير قلنا أى وبنا خذ  
بيدك الح والاول اقرب لفظا  
وهذا انسب معنى فان الحاجة  
الى هذا الامر لا تمس الا بعد الصحة  
فان امرأته رجة مات اقربا بن  
يوسف وقيل ليا بنت يعقوب  
وقيل ماصر بنت ميسان بسف  
عليه السلام ذهب الحاجة فأبطلت  
خلف اررى ليضربنها مائة  
ضربة فأمره الله تعالى بأخذ  
الغصن والضعف الحزمة الصعيرة  
من الحشيش ونحوه وعن ابن  
عباس رضى الله عنهم ما قبضه من  
الشجر وقال ( فاضرب به ) أى بذلك



اعلم بحقيقة الحال وسمعت بعض اليهود يقول ان لموسى بن عمران عليه السلام كتابا مفردا في واقعة ايوب وحاصل ذلك الكتاب ان ايوب كان رجلا كثيرا لطاعة الله تعالى مواظبا على العبادة مبالغا في التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله ثم انه وقع في البلاء الشديد والعناء العظيم فهل كان ذلك لحكمة ام لا فان كان ذلك لحكمة فن المعلوم انه ما أتى بجرم في الزمان السابق حتى يجعل ذلك العذاب في مقابلة ذلك الجرم وان كان ذلك لكثرة الثواب فالاله الحكيم الرحيم قادر على ابصال كل خير ومنفعة اليه من غير توسط تلك الآلام الطويلة والاسقام الكريهة وحينئذ لا يبقى في تلك الامراض والآفات فائدة وهذه كلمات ظاهرة جليلة وهي دالة على ان افعال ذي الجلال منزهة عن التعليل بالمسالح والمفاسد والحق الصريح انه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون (المسئلة الثالثة) لفظ الآية يدل على ان ذلك الصب والعذاب انما حصل من الشيطان ثم ذلك العذاب على القول الاول عبارة عما حصل في بدنه من الامراض وعلى القول الثاني عبارة عن الاحزان الحاصلة في قلبه بسبب لقاء الوسواس وعلى التقديرين فيلزم اثبات الفعل للشيطان واجاب اصحابنا رحمه الله باننا لانكر اثبات الفعل للشيطان لكننا نقول فعل العبد مخلوق لله تعالى على التفصيل المعلوم اما قوله تعالى اركض برجلك فالمعنى انه لما شك من الشيطان فكأنه سأل ربه ان يزيل عنه تلك البلية فأجابه الله اليه بأن قال له اركض برجلك والركض هو الدفع القوي بالرجل ومنه ركضك الفرس والتقدير قلناله اركض برجلك قبل انه ضرب برجله تلك الارض فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشرب اى هذا ماء تغتسل به فيبرأ بطنك وظاهر اللفظ يدل على انه نبعت له عين واحدة من الماء اغتسل فيه وشرب منه والمفسرون قالوا نبعت له عينان فاغتسل من احدهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره ومن باطنه باذن الله وقبل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم اليسرى فنبعت عين باردة فشرب منها ثم قال تعالى ووهبنا له اهله فقد قيل فيه هم عين اهله وزيادة مثلهم وقيل غيرهم مثلهم والاول اولى لانه هو الظاهر فلا يجوز العدول عنه من غير ضرورة ثم اختلفوا فقال بعضهم معناه ازلنا عنهم السقم فعادوا اصحاء وقال بعضهم بل حضروا عنده بعد ان غابوا عنه واجتمعوا بعد ان تفرقوا وقال بعضهم بل تمكن منهم وتمكنوا منه فيما يتصل بال عشرة وبالخدمة اما قوله ومثلهم معهم فالاقرب انه تعالى متعه بحمته وبماله وقواه حتى كثر نسله وصار اهله ضعف ما كان واضعاف ذلك وقال الحسن رحمه الله المراد بهية الاهل انه تعالى احياهم بعد ان هلكوا ثم قال رجة منا اى انما فعلنا كل هذه الافعال على سبيل الفضل والرجة لاعلى سبيل الزوم ثم قال وذكرى لاولى الالباب يعنى سلطنا البلاء عليه اولا فصبر ثم ازلنا عنه البلاء واوصلناه الى الآلاء والنعماء تنبيها لاولى الالباب على ان من صبر ظفر والمقصود منه التنبيه على ما وقع ابتداء الكلام به وهو قوله لمحمد اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود

الضعف (ولا تخف) في عينك فان البر يتحقق به ولقد شرع الله سبحانه هذه الرخصة رحمة عليه وعليها الحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهي باقية ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما بأطرافها فائمة او بأعراضها مبسوطة على هيئة الضرب (انا وجدنا مصابرا) فيما اصابه في النفس والاهل والمال وليس في شكواه الى الله تعالى اخلال بذلك فانه لا يسمى جرعا كتبني العافية وطلب الشفاء على انه قال ذلك خيفة الفتنة في السدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه بأنه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به واردة القوة على الطاعة فقد بلغ اموره الى ان لم يبق منه الا للقلب واللسان وروى انه عليه الصلاة والسلام قال في مناجاته الهى قد علمت انه لم يخالف لساني قلى ولم يتبع قلبي بصرى ولم يهني ماملكت يميني ولم آكل الاومى بآيم ولم ابت شعبان ولا كاسيا ومعنى جائع او عريان فكشف الله تعالى عنه (نعم العبد) اى يا ايوب (انه اواب) تعليل لمدحه اى رجاء الى الله تعالى

(واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) ( ٢٠٩ ) عطف بيان لعبادنا وقرئ عبدنا اما على ان ابراهيم وحده لم يذكر فيه عطف بيان وقيل

بدل وقيل نصب باختيار اعني والباقيان عطف على عبدنا واما على ان عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع ( اولى الايدي والانسار ) اولى القوة في الطاعة والبصيرة في الدين واولى الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فغير بالايدي عن الاعمال لان اكثرها تبشيرها وبالبصائر عن المعارف لانها اقوى مبادئها وفيه تعريض بالهمة البطالين انهم كالزمني والعمامة وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع تمكنهم منها وقرئ اولى الايدي بطرح الياء والاكتفاء بالكسر وقرئ اولى الايدي على جمع الجمع ( انا اخلصناهم بخالصة ) تليد لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة في العلم والعمل اي جعلناهم خالصين لنا بخالصة خالصة عظيمة الشأن كما ينبغي عنه التكبير والتفخيم وقوله تعالى ( ذكرى الدار ) بيان الخالصة بعد اتمامها للتفخيم اي تذكر للدار الآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسبب تذكرهم لها وذلك لان مطمح انظارهم ومطرح افكارهم في كل ما يأتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز ببقائه ولا يتسنى ذلك الا في الآخرة وثيل اخلصناهم بتوفيقهم لها واللفظ بهم في اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم واطلاق لدار للاشعار بأنها الدار في الحقيقة واما الدنيا فمجرد قرئ باضافة خالصة الى ذكرى اي بما خاص من ذكرى الدار على معنى انهم لا يشوبون ذكر ابراهيم آخر اصلا او تدكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وترهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ( ٢٧ ) ( را ) ( سا ) ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم ( وانهم عندنا لن

وقالت المعتزلة قوله تعالى رجة منا وذكرى لا ولى الالباب يعنى انما فعلناه لهذه الاغراض والمقاصد وذلك يدل على ان افعال الله واحكامه معللة بالاغراض والمصالح والكلام في هذا الباب قد مر غير مرة اما قوله تعالى وخذ بيدك ضغنا فهو معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش اوريجان او غير ذلك واعلم ان هذا الكلام يدل على تقدم يمين منه وفي الخبر انه حلف على اهله ثم اختلفوا في السبب الذي لاجله حلف عليها وبعد ما قيل انها رذيلة في طاعة الشيطان ويعد ايضا ما روى انها قطعت الذنائب عن رأسه لان المضطر الى الطعام يباح له ذلك بل الاقرب انها خلفته في بعض المهمات وذلك انها ذهبت في بعض المهمات فابطأت فحلف في مرضه ليضرب بها مائة اذا برئ ولما كانت حسنة الخدمة له لاجرم حلل الله يمينه بأهون شئ عليه وعليها وهذه الرخصة باقية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه أتى بمجذم خبث بأمة فقال خذوا عثك لافيه مائة شراخ فاضربوه به ضربة ثم قال تعالى انا وجدنا صابرا فان قيل كيف وجدناه صابرا وقد شكى اليه والجواب من وجوه ( الاول ) انه شكى من الشيطان اليه وما شكى منه الى احد ( الثاني ) ان الائم حين كان على الجسد لم يذ كر شيئا فلما عظمت الوسوس خاف على القلب والدين فتضرع ( الثالث ) ان الشيطان عدو والشكاية من العدو الى الحبيب لا تقدر في الصبر ثم قال نعم العبد انه اواب وهذا يدل على ان تشريف نعم العبد انما حصل لكونه اوابا وسمعت بعضهم قال لما نزل قوله تعالى نعم العبد في حق سليمان عليه السلام تارة وفي حق ايوب عليه السلام اخرى عظم الغم في قلوب أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا ان قوله تعالى نعم العبد في حق سليمان تشريف عظيم فان احتجنا الى اتفاق مملكة مثل مملكة سليمان حتى نجد هذا التشريف لم نقدر عليه وان احتجنا الى تحمل بلاء مثل ايوس لم نقدر عليه فكيف السبيل الى تحصيله فانزل الله تعالى قوله نعم المولى ونعم النصير والمراد انك ان لم تكن نعم العبد فانعم المولى وان كان ملك الفضول ففى الفضل وان كان منك التقصير ففى الرحمة والتيسير \* قوله تعالى ( واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولى الايدي والبصائر انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وادكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار ) في الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) قرأ ابن كثير عبدنا على الواحد وهى قراءة ابن عباس ويقولون ان قوله عبدنا تشريف عظيم فوجب ان يكون هذا التشريف مخصوصا بأعظم الناس المذكورين في هذه الآية وهو ابراهيم وقرأ الباكون عبادنا قالوا لان غير ابراهيم من الانبياء قد اجري عليه هذا الوصف فجاء في عيسى ان هو الاعبد أفعمنا عليه وفي ايوب نعم العبد وفي نوح انه كان عبدا شكورا فقرأ عبدنا جعل ابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا وهى اسحق ويعقوب ومن قرأ عبادنا جعل ابراهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا ( المسئلة الثانية ) تقدير الآية كما انه تعالى قال فاصبر على ما يقولون واذا ذكر عبدنا

الصلاة والسلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ( ٢٧ ) ( را ) ( سا ) ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم ( وانهم عندنا لن

المصطفين الاخيار) لمن اختار من امثالهم المصطفين عليهم في الخير والاخيار جمع ( ٢١٠ ) خير كثر واشرار وقيل جمع خير اوخير

محقق منه كما موات في جمع ميت وميت (واذكر اسمعيل) فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه للاشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير (واليسع) هو ابن اخطوب بن الجهموز استغلقه لباس على بني اسرائيل ثم استنجد واللام فيه حرف تعريف دخل على يسم كما في قول من قال

\*رأيت الوليد بن يزيد مبارك\*

وقرى واليسع كأن اصله ليسع فيعمل من السمع دخل عليه حرف التعريف وقيل هو على القرامين علم اعجمي دخل عليه اللام وقيل هو يوشع (وذا الكفل) هو ابن عم يسم او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فراليه مائة نبي من بني اسرائيل من القتل فاواهم وكفلهم وقيل كفل يعمل رجل صالح كان يصلى كل يوم مائة صلاة (وكل) اي وكلهم (من الاخيار) المشهورين بالخيرية (هذا) اشارة الى ما تقدم من الايات الناطقة بمحاسنهم (ذكر) اي شرف لهم وذكر كرجيل يذكرون به ابا النوع من الذكر الذي هو القرآن باب منه مشتق على انباء الانبياء عليهم السلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذا ذكر من مضى من الانبياء وقوله تعالى (وان للفقين حسن ما تب) شروع في بيان اجرهم الجزيل في الاجل بعد بيان ذكرهم الجليل في العاجل وهو باب آخر من ابواب التنزيل والمراد بالفقين اما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا واما من المذكورين عبر عنهم بذلك مدحاهم بالتقوى التي هي الغاية القاصية من الكمال (جنات عدن) عطف بيان لحسن ما تب عند من يجوز تخالفهما تعريفات كثيرة فان عدنا ( هذا )

داود الى ان قال واذا كر عبدنا ابراهيم اي واذا كرى يا محمد صبرا ابراهيم حين ألقى في النار وصبر اسحق للذبح وصبر يعقوب حين فقد ولده وذهب بصره ثم قال اولى الايدي والابصار واعلم ان اليد آلة لاكثر الاعمال والبصر آلة لا قوى الادراكات فحسن التعبير عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر اذا عرفت هذا فنقول النفس الناطقة الانسانية لها قوتان عاملة وعالمة اما القوة العاملة فاشرف ما يصدر عنها طاعة الله واما القوة العاملة فأشرف ما يصدر عنها معرفة الله وماسوى هذين القسمين من الاعمال والمعارف فكالعبث والباطل فقله اولى الايدي والابصار اشارة الى هاتين الحالتين ثم قال تعالى انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قوله بخالصة قرى بالتونين والاضافة فمن نون كان التقدير أخلصناهم اي جعلناهم خالصين لنا بسبب خصلة خالصة لاشوب فيها وهي ذكرى الدار ومن قرأ بالاضافة فالمعنى بما خالص من ذكرى الدار يعنى ان ذكر الدار قد تكون لله وقد تكون لغير الله فالمعنى انا أخلصناهم بسبب ما خالص من هذا الذكر ( المسئلة الثانية ) في ذكرى الدار وجوه ( الاول ) المراد انهم استغرقوا في ذكرى الدار الآخرة وبلغوا في هذا الذكر الى حيث نسوا الدنيا ( الثاني ) المراد حصول الذكرا لجليل الرفع لهم في الدار الآخرة ( الثالث ) المراد انه تعالى ابقى لهم الذكر الجميل في الدنيا وقبل دعاهم في قوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين ثم قال تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار اي المختارين من ابناء جنسهم والاخيار جمع خير اوخير على التخفيف كما موات في جمع ميت او ميت واخرج العلماء بهذه الآية في اثبات عصمة الانبياء قالوا لانه تعالى حكم عليهم بكونهم اخبارا على الاطلاق وهذا يتم حصول الخيرية في جميع الافعال والصفات بدليل صحة الاستثناء وبدليل دفع الاجال ثم قال واذا كرى اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار وهم قوم آخرون من الانبياء تحملوا الشدائد في دين الله وقد ذكرنا الكلام في شرح هذه الاسماء وفي صفات هؤلاء الانبياء في سورة الانبياء وفي سورة الانعام فلا فائدة في الامادة وههنا آخر الكلام في قصص الانبياء في هذه السورة \* قوله تعالى ( هذا ذكروا للمتقين لحسن ما تب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هذا الرزقا ماله من نفاد ) اعلم ان في قوله ذكر وجهين ( الاول ) انه تعالى انما شرح ذكر احوال هؤلاء الانبياء عليهم السلام لاجل ان يصبر محمد عليه السلام على تحمل سفاهة قومه فلانتم بيان هذا الطريق وأراد ان يذكر عقبيه طريقا آخر يوجب الصبر على سفاهة الجهال وأراد ان يميز احدا بالابين عن الآخر لاجرم قال هذا ذكر ثم شرع في تقرير الباب الثاني فقال وان للفقين كما ان المصنف اذا تم كلا ما قال هذا باب ثم شرع في باب آخر واذا فرغ الكاتب من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر قال هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه انه لما تم ذكر اهل الجنة وأراد ان يردفه بذكر اهل النار قال

معرفه لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن ( ٢١١ ) عباده اوبدل منه اوئصب على المدح وقوله تعالى (مفتحة لهم الابواب) حال من

جنات عدن والعامل فيها ما في  
للمتقين من معنى الفعل والابواب  
مرتفعة باسم المفعول والرابط  
بين الحال وصاحبها اما ضمير  
مقدر كما هو رأى البصر بين اى  
الابواب منها او الالف واللام  
القائمة مقامه كما هو رأى الكوفيين  
اذا اصل ابوابها وقرئ امر فوعين  
على الابتداء والجر او على انهما  
خبران لمحذوف اى هى جنات  
عدن هى مفتحة (متكئين فيها)  
حال من ضمير لهم والعامل فيها  
مفتحة وقوله تعالى ( يدعون  
فيها بقا كفة كثيرة وشراب )  
استئناف لبيان حالهم فيها وقيل  
هو ايضا حال مما ذكر او من  
ضمير متكئين والاقتصار على دماء  
الفاكهة فلا يذان بأن مطاعهم  
لخص التفكه والتلذذ دون  
التغذى فانه لتحصيل بدل التحلل  
وللتحمل (ع) وعندهم قاصرات  
الطرف ( اى على ازواجهن  
لا ينظرون الى غيرهم ) (آتواب)  
لغات لهم فان العصاب بين  
الاقربان ارسخ او بعضهم لبعض  
لا يحجز بينهما ولاسية واشتقاقه  
من التراب فانه يمسهم في وقت  
واحد ( هذا ما توعدون ليوم  
الحساب ) اى لاجله فان الحساب  
علته للوصول الى الجزاء وفريء  
بالياء ليوافق ما قبله والالتفات  
الى مقام الامتنان والتكريم  
( ان هذا ) اى ما ذكر من الوان  
النم والكرامات ( لرزتنا )  
اعطيناكموه ( ماله من نفاذ )  
انقطاع ابدا ( هذا ) اى الامر  
هذا او هذا كما ذكر او هذا ذكر  
وقوله تعالى ( وان للطاغين لشر  
مآب ) شروع في بيان اضداد  
الفريق السابق ( جهنم ) اعرابه

هذا وان للطاغين ( الوجه الثاني ) في التأويل ان المراد هذا شرف وذكر جليل لهؤلاء  
الانبياء عليهم السلام يذكرون به ابدا والاول هو الصحيح اما قوله وان للمتقين لحسن مآب  
فاعلم انه تعالى لما حكى عن كفار قریش سفاهتهم على النبي صلى الله عليه وسلم بان وصفوه  
بأنه ساحر كذاب وقالوا له على سبيل الاستهزاء ربنا يجعل لنا قنطرة فنعد هذا امر محمد بالصبر  
على تلك السفاهة وبين ان ذلك الصبر لازم من وجهين ( الاول ) انه تعالى لما بين ان الانبياء  
المتقدمين صبروا على المكابر والشدائد فيجب عليك ان تقتدى بهم في هذا المعنى ( الثاني )  
انه تعالى بين في هذه الآية ان من اطاع الله كان له من الثواب كذا وكذا ومن خالفه  
كان له من العقاب كذا وكذا وكل ذلك يوجب الصبر على تكليف الله تعالى وهذا نظم  
حسن وترتيب لطيف اما قوله تعالى وان للمتقين لحسن مآب المآب المرجع والجمع واحتمل  
القائلون بقدم الارواح بهذه الآية وبكل آية تشتمل على لفظ الرجوع ووجه الاستدلال  
ان لفظ الرجوع انما يصدق لو كانت هذه الارواح موجودة قبل الاجساد وكانت  
في حضرة جلال الله ثم تعلقت بالابدان فعند انفصالها عن الابدان يسمى ذلك رجوعا  
وجوابه ان هذا ان دل قائم يدل على ان الارواح كانت موجودة قبل الابدان ولا يدل  
على قدم الارواح ثم قال تعالى جنات عدن وهو بدل من قوله لحسن مآب ثم قال مفتحة  
لهم الابواب وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) ذكر وافي تأويل هذا اللفظ وجوها ( الاول )  
قال الفراء معناه مفتحة لهم ابوابها والعرب تجعل الالف واللام خلفا من الاضافة تقول  
العرب مررت برجل حسن الوجه فالالف واللام في الوجه بدل من الاضافة ( الثاني )  
قال الزجاج المعنى مفتحة لهم الابواب منها ( الثالث ) قال صاحب الكشاف الابواب بدل  
من الضمير وتقديره مفتحة هى الابواب كقولك ضرب زيد باليد والرجل وهو من بدل  
الاشتمال ( المسئلة الثانية ) قرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على تقدير ان يكون قوله جنات  
عدن مبتداً ومفتحة خبره وكلاهما خبر مبتداً محذوف اى هو جنات عدن مفتحة لهم  
( المسئلة الثالثة ) اعلم انه تعالى وصف من احوال اهل الجنة في هذه الآية أشياء ( الاول )  
احوال مساكنهم فقوله جنات عدن يدل على امرين ( احدهما ) كوفها جنات وبساتين  
( والثاني ) كونها دائمة آمنة من الانقضاء وفي قوله مفتحة لهم الابواب وجوه ( الاول )  
ان يكون المعنى ان الملائكة الموكلين بالجنان اذ ارادوا صاحب الجنة فتحوا له ابوابها  
وحبوه بالسلام فيدخل كذلك محفوفاً بالملائكة على اعز حال واجل هينة قال تعالى حتى  
اذ جاؤوها وقمحت ابوابها وقال لهم خزنهن اسلام عليكم طمأنينة فادخلوها خالدين ( الثاني ) ان  
تلك الابواب كلما ارادوا افتتاحها انفتحت لهم وكلما ارادوا اغلاقها انغلقَتْ لهم  
( الثالث ) المراد من هذا الفتح وصف تلك المساكن بالسعة ومسافة العيون فيها  
ومشاهدة الاحوال اللذيذة الطيبة ثم قال تعالى متكئين فيها يدعون فيها وفيه مباحث  
( الاول ) انه تعالى ذكر في هذه الآية كونهم متكئين في الجنة وذكر في سائر الآيات

كما سلف ( يصلونها ) اى يدخلونها حال من جهنم ( فبئس المهاد ) وهو المهد والمقرش مستعار من فراش النائم والخصوص

بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد (هذا فليذوقوه) (٢١٢) اى ليذوقوا هذا فليذوقوه كفوله تعالى واياى فارهبون

او العذاب هذا فليذوقوه او هذا مبتدأ خبره (جيم وعساق) وما بينهما اعتراض وهو على الاولين خبر مبتدأ محذوف اى هو جيم والفساق ما يفسق من صديد اهل النار من عسقت العين ادا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والفساق يحرق ببرده وقيل لو فطرت منه قطرة في المشرق لنتنت اهل المغرب ولو فطرت قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وقيل الفساق عذاب لا يعمله الا الله تعالى وقرئ بتخفيف السين (واخر من شكله) اى ومذوق آخر او عذاب آخر من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة والفظاعة وقرئ واخرى ومذوقات اخرى او انواع عذاب اخرى وتوحيد ضمير شكله بأويل ما ذكر او الشراب الشامل للحميم والفساق اى راجع الى الفساق (ازواج) اى اجناس وهو خبر لاخر لانه يجوز ان يكون ضروبا اوصفة له او الثلاثة او مرتفع بالجار والمجرر محذوف مثل لهم (هذا فوج مقمهم معكم) حكاية ما يقال من جهة الحزنة رؤساء الطاعين اذا دخلوا النار واتبعها بهم فوج كانوا يتبعونهم في الكرم والضلالة والافتقار الدخول في الشئ شدة فالرابع الافتقار توسط شدة تخييم وقوله تعالى (لامرجبا بهم) من اتمام كلام الحزنة لطريق الدعاء على الفوج اوصفة للفوج احوال منه اى مقول او مقولا في حقهم لامرجبا بهم اى لا اتوا مرجبا اولا رحبت بهم الدار مرجبا (انهم صالوا النار) تعليل من جهة الحزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم او وصفهم بما ذكر وقيل لامرجبا بهم الى هنا كادهم الرؤساء في حق اتباعهم عند خطاب الحزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم (وهو)

وسفرا من مصاحبتهم وقيل كل ذلك كلام الرؤساء بعينهم ( ٢١٣ ) مع بعض في حق الاتباع ( قالوا ) اى الاتباع عند سماعهم ذلك

في حقهم ووجه خط بهم الار

في قولهم ( بل اتم لاسرحباكم )

الح على الوحيين الاخيرين

داهر واما على الوجه الاول

فلما هم اءاحاطوهم مع ان الطاهر

ان قولوا لطريق الاعتدال

الى الحرمة بل هم لاسرحباكم

الح قصدا منهم الى اظه

صدقهم بالمخاصمة مع الرؤساء

واتهامهم الى الحرمة طعنا في

قضايتهم بتخفيف عذابهم او

تضعيف عذاب خصيتهم اى بل

اتم احق عا قيل لنا واثم وقوله

تعالى ( اتم قد مقوه لنا ) نعليل

لا حقيتهم بذلك اى اتم قدمتم

العذاب الراصل لنا واثم وقوله

فيه بتقديم ما يؤدى اليه من

القائد الزائفة والاعمال السيئة

وتزيدها في اعيننا واثم وقوله

لا انا بدوناها من تلقاء أنفسنا

( فيس القرار ) اى فيس الامر

حتم قصدوا دمه وتعليق حنا

الرؤساء عليهم ( دلوا ) اى الابع

اينوا وتوسط بين كلامهم باينها

من البيان البين داتا وسطا اى

قالوا معرضين عن حصولهم

مضرعين الى الله تعالى اربا

من قدم انما هذ فرده عذابنا

في النار ) كقولهم ربا هؤلاء

أخذوا ما اتهم عذابا ضعفا من

النار اى عذابا مصاعنا اى ذا

ضعف وذلك لأن يزيد عليه مثله

ونكون ضعفين كقولهم ربا

ضعفين من العذاب وقيل المراد

بالضعف الحيات ولاعى

( واناوا ) اى الضاعون اى مالنا

لارى رجالا كما نعددهم من

الاشرار اى من قتر الملائكة

الدين ككبرا يستردونهم

وسفروا منهم ( اتخذناهم

سفرا ) لهمرة استنهام سقطت

لاجلها همرة الوصل والجهة استنهام لاجل لها من لاعرب فالوه اكارا على أديسهم وأبدا لها في الاستنهام منهم ( أم زاخت

وهو كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه الله ماتحتهم من النار بالمهاد الذى

بفرسه السائم قال تعالى هذا فليذوقوه جيم وغساق وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) فيه

وجهان ( الاول ) انه على التقديم والتأخير والتقدير هذا جيم وغساق فليذوقوه ( الثانى )

ان يكون التقدير جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه ثم يبتدىء فيقول جيم وغساق

( المسئلة الثانية ) الغساق بالتخفيف والتشديد فيه وجوه ( الاول ) انه الذى يغسق من

صديد اهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وقال ابن عره هو القيم الذى يسيل

منهم يجتمع فيسقونه ( الثانى ) قيل الجيم يحرق بحره والغساق يحرق برده وذكر الازهرى

ان الغاسق البارد ولهذا قيل ليل غاسق لانه ابرد من النهار ( الثالث ) ان الغساق الذى

حكى الزجاج لو قطرت منه قطرة في المشرق لانتنت اهل المغرب ولو قطرت منه قطرة في

المغرب لانتنت اهل المشرق ( الرابع ) قال كعب الغساق عين في جهنم يسيل اليها سم كل

ذات حية من عقرب وحبة ( المسئلة الثالثة ) قرأ حجة والكساق وحفص عن عاصم غساق

بأشديد السين حيث كان والباقون بالتخفيف قال ابو على الفارسي الاختيار التخفيف

لانه اذا شدد لم يخل من ان يكون اسما أو صفة فان كان اسما فالاسماء لم تجيء على هذا

الوزن الا قليلا وان كان صفة فقد اقيم مقام الموصوف والاصل ان لا يجوز ذلك ثم قال

تعالى وآخر من شكله أزواج وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قرأ ابو عمرو اخر بضم الالف

على جمع اخرى اى اصناف اخر من العذاب وهو قراءة مجاهد والباقون آخر على الواحد

اى عذاب آخر اما على القراءة الاولى فقوله واخر اى ومذوقات اخر من شكل هذا المذوق

اى من مله في الشدة والفظاعة ازواج اى اجناس واما على القراءة الثانية فالتقدير

وعذاب او مذوق آخر وازواج صفة لاخر لانه يجوز ان يكون ضروبا اوصفة للملاة

وهى جيم وغساق وآخر من شكله قال صاحب الكشاف وقرئ من شكله بالكسر وهى

لغة واما الغنج بالكسر لا غير واعلم انه تعالى لما وصف مسكن الطاغين ومأكولهم حكى

احوالهم مع الذين كانوا احياء لهم في الدنيا اولانهم مع الذين كانوا اعداء لهم في الدنيا ثانيا

( اما الاول ) فهو قوله هذا فوج مقتحم معكم واعلم ان هذا حكاية كلام رؤساء اهل النار

يقوله بعضهم لبعض بدليل ان ما حكى بعده هذا من اقوال الاتباع وهو قوله قاتوا بل اتم

لامرحبا بكم انتم قد تمتمولنا وقيل ان قوله هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة رؤساء

الكفرة في اتباعهم وقوله لامرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقوله هذا فوج

مقتحم معكم اى هذا جمع كيف قد اقتحم معكم النار كما كانوا قد اقتحموا معكم في الجهل

والضلال ومعنى اقتحم معكم النار اى دخل النار في صحبتكم والافتحام ركوب الشدة

والدخول فيها والقحمة الشدة وقوله تعالى لامرحبا بهم دعاء منهم على اتباعهم يقول

الرجل لن يدعوله مرحبا اى ائتت رحبا في البلاد لاضيقا اورحبت بلادك رحبا سيدخل

عليه كلمة في دعاء الدعاء وقوله بهم بيان للمدعو عليهم انهم صالوا النار لتليل لاستيحا بهم

لاجلها همرة الوصل والجهة استنهام لاجل لها من لاعرب فالوه اكارا على أديسهم وأبدا لها في الاستنهام منهم ( أم زاخت



عنهم الا بصار متصل ماخذاهم على ان أم متصلة والمعنى ( ٢١٤ ) اي الاسرين فعلناهم الاستخار منهم ام الازدراء بهم وتحقيرهم وان

الدعاء عليهم ونظير هذه الآية قوله تعالى كلما دخلت أمة لعنت اختها قالوا اي الاتباع بل أنتم لأمم حباكم يريدون ان الدعاء الذي دعوتهم به علينا أيها الرؤساء انتم احق به وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا والصمير للعذاب أو لصليهم فان قيل مامعنى تقديم العذاب لهم قلنا الذي اوجب التقديم هو عمل السوء قال تعالى وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم الان الرؤساء لما كانوا هم السبب فيه باغوانهم وكان العذاب جرأهم عليه قيل انتم قدمتموه لنا فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم والصمير في قوله قدمتموه كناية عن الطغيان الذي دل عليه قوله وان للطاغين لشر مآب وقوله فبئس القرار اي بئس المستقر والمسكن جهنم ثم قالت الاتباع ربنا من قدم لنا هذا فرده عذابا ضعفاي مضاعفا ومعناه داضعف ونظيره قوله تعالى ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا وكذلك قوله تعالى ربنا اننا اطعنا سادتنا وكرهنا فاضلونا السيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب فان قيل كل مقدار يمرض من العذاب فان كان بقدر الاستحقاق لم يكن مضاعفا وان كان زائدا عليه كان ظلما والله لا يجوز قلنا المراد منه قوله عليه السلام ومن سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة والمعنى انه يكون احد القسمين عذاب الضلال والساقط عذاب الاضلال والله اعلم وبهنا آخر شرح احوال الكفار مع الذين كانوا احبا اليهم في الدنيا واما شرح احوالهم مع الذين كانوا اعداء لهم في الدنيا فهو قوله وقالوا ما لنا لا ترى رجلا لا كنا نعدهم من الاشرار يعني ان الكفار اذا نظروا الى جواب جهنم فحينئذ يقولون ما لنا لا ترى رجلا لا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه بهم وسموهم من الاشرار اما بمعنى الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى اولانهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم اشرارا ثم قالوا اتخذناهم سخريا وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قرأ ابو عمرو وحجة والكسائي من الاشرار اتخذناهم بوصف الف اتخذناهم والباقون بفتحها على الاستفهام قال ابو عبيد وبالوصل يقرأ لان الاستفهام متقدم في قوله ما لنا لا ترى رجلا ولان المترين لا يشكون في اتخاذهم المؤمنين في الدنيا سخريا لانه تعالى قد اخبر عنهم بذلك في قوله فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكرى فكيف يحسن ان يستفهموا عن شيء علوه اجاب القراء عنه بان قال هذا من الاستفهام الذي معناه التعجب والتوبيخ ومثل هذا الاستفهام جائز عن الشيء المعلوم اما وجه قول من الحق الهمة للاستفهام انه لابد من المصير اليه ليعادل قوله اتخذناهم تأم في قوله ام راغت عنهم فان قيل ما الحجة المعادلة لقوله ام راغت على القراءة الاولى قلنا انها محذوفة والمعنى المقصودون هم ام راغت عنهم الابصار ( المسئلة الثانية ) قرأ نافع سخريا بضم السين والباقون بكسرها وقيل هما بمعنى واحد وقيل بالكسر هو الهرؤ وبالضم هو التدليل والتسخير ( المسئلة الثالثة ) اختلفوا في نظم الآية على قولين باء على القراءتين المذكورتين اما القراءة على سبيل الاخبار فالتقدير ما لنا لا نراهم

اخذناهم ككائنات تزيح عنهم وتقمهم على مع انكار كل واحد من ايمان على انفسهم توبيخا لها او على انها مقطعة والمعنى اتخذناهم سخريا بل اراعت عنهم اصدارا كقولك اريد بذلك اعدائهم وعرو على معنى توبيخ انفسهم على الاستخار من الاشرار والاحمال منه الى التوبيخ على لادراء والتقصير ويرى اخذهم امهم همة على انه صفة اخرى لرحالة قوله تعالى ام زاعت من حل بوله ما لنا لا ترى والمعنى ما لنا لا نراه في السار أليسوا بها عدل لا نراه اراعت عنهم انصارهم وفيها وقد حوز ان يكون الهمة مقدر على هذه القراءة قرأ بسم الله الرحمن الرحيم ( ان ادب ) ان الذي حكى من احوالهم ( سق ) لا بد من وقوعه البتة وهو قوله تعالى ( نخصم اهل النار ) اخر مسددا محذوف والجملة بيان لذلك وفي الانهايم اولاً والتدوين بانه سريد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من حق او صدى بيان له وقرئ نالغ من بدل من ذلك وما قيل من له قد قيل عليه ان اسم الاسارة لا يوصف الا بالمرء انهم يبال هذا الرجل ولا بيان لهذا علام الرجل ( ب ) مر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول للمسلمين ( ما ندر ) من جهة ( ما ندر ) وما من الله في الوجود ( لا لله الواحد ) الله لا يخل سركه والكتابة اصدا ( ا ) كل شيء سواء ( رب الارباب ) الارض وما فيها ( ما ندر ) ما ندر فكيف يوجد ان يسر له ذلك

هنا اراعي لا غلب في أمر من اموره ( العصار ) المبالغ في المعرفة يعقر ما يشاء لمن يشاء وفي هذه العوت من تقرير ( حاضرين )



المعصية لئلا يفسد الله امره  
 حقاً (ال) رز لا مرا لا يدان  
 بأل اقرا - يال شاططين  
 لاند من الله - مره انما  
 (هو) ي - به من انى  
 مدر من - به على  
 و - لندر - نصف  
 عا كرس - است  
 والاطهر به - وما ذكر  
 داخل فيه - ولا ايا كاشيد  
 به آخر السوء - وهو  
 حول ان عماس - مادة  
 (بها - عيم) ر - به تعالى  
 وقول تعالى ( - عرسون)  
 ميا - الا - ر - مدره  
 المبل - ر - مع  
 عسبته وكونه - الا ببال  
 لكاه عليه - حس لمبول  
 وقيل - امر - سا و له  
 قال ( - ر - لم فاما  
 الا ) - ر - اصيق  
 ا - ر - على  
 - ر - بل  
 من - ر - ثرة  
 - ر - لا  
 حة يده - ر - ذلك  
 طوى لرى - ر - على  
 وارسا - ر - لك  
 والملا - ر - كة  
 آدم عايم اسم - امى عليه  
 للمعقول - ر - ( - ع )  
 معاق عنده - ر - تم  
 والمراد فى - ر - لاة  
 والسلام - ر - وتم  
 - ر - لما  
 - ر - - ر -  
 - ر - سدير  
 - ر - ي  
 - ر - ساذه  
 السلام - ر - على

ماحرى بينهم من الاقوال فقط بل عام لها وللأفعال ايضا من سجود الملائكة واستكبار ايليس وكف

بد من اعتبار العموم في نفيه  
ايضا لا محالة وقوله تعالى ( ان  
يؤتى الى الانبياء انذار من  
اعراض وسط بين اجمال  
اختصاصهم وتفصيله تقريراً  
لنبوت علمه عليه الصلاة والسلام  
وتعييناً لسببه الا ان بيان استغائه  
فيما سبق لما كان منبأ عن ثبوته  
الآن ومن البين عدم ملابسته  
عليه الصلاة والسلام بشئ من  
مبادئ اليهودية تعين انه ليس  
الابطريق الوحي حتماً فجعل ذلك  
امراً مسلم الثبوت غنياً عن  
الاخباريه قصد اوجع مصب  
السائدة والمقصود اخبار ما هو  
داع الى الوحي ومصحح له تحقيقاً  
لقوله تعالى انما انذار في ضمن  
تحقيق علمه عليه الصلاة والسلام  
بقصة الملاء الأعلى فاقام مقام  
الماعل ليؤحي ما ضمير عائد الى  
الحال المقدر او ما يعمه وغيره  
فالغنى ما يؤحي الى حال الملاء  
الأعلى او ما يؤحي الى ما يؤحي من  
الامور الغيبية التي من جعلتها  
حالمهم الا لانما انذار مبين من  
جهته تعالى فان كونه عليه الصلاة  
والسلام كذلك من دواعي الوحي  
اليه ومن موجباته حتماً وامان  
القائم مقام الفاعل هو الحمار  
والمجرور او هو انما انذار مبين  
بلا تقدير الجار وان المعنى ما يؤحي  
الى الانذار او ما يؤحي الى الا  
انذار واباغ ولا فطر في ذلك  
كما قيل فمع ما فيه من الاضطراب  
الى السكف في توجيهه قصر الوحي  
على كونه للانذار في الاول  
وقصره على الانذار في الثاني  
فلا يساعده سباق النظم الكريم  
وسياقه كيف لا والاعراض  
حيث لا يكون اجنباً عما  
توسط بينهما من اجمال الاختصاص  
وتفصيله فتأمل والله المرشد  
وقرئ انما بالسكسر على الحكاية

منهما بالآخر وحيث لا يكون قادراً قاهراً بل كان عاجزاً ضعيفاً والعاجز لا يصلح للالهية  
فقوله الا الله الواحد القهار اشارة الى ان كونه قهاراً يدل على كونه واحداً (واما الثاني)  
وهو ان يقال ان الذي جعل شريكاً له لا يقدر على شئ البتة مثل هذه الاوان فهذا ايضا  
فسد لان صريح العقل يحكم بأن عبادة الاله القادر القاهر اولى من عبادة الجماد الذي  
لا يسمع ولا يبصر ولا يعنى عنك شيئاً فقوله وما من اله الا الله الواحد القهار يدل على هذه  
الدلائل واعلم ان كونه سبحانه قهاراً مشعر بالترهيب والتخويف فلما ذكر ذلك أردفه بما  
يدل على الرجاء والترغيب فقال رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار فكونه رباً  
مشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه غفراً مشعر بالترغيب وهذا الموجود  
هو الذي يجب عبادة له لانه هو الذي يخشى عقابه ويرجى فضله ونوابه ونذكر طريقة اخرى  
في تفسير هذه الآيات فنقول انه تعالى ذكر من صفاته في هذا الموضع خمسة الواحد  
والقهار والرب والعزير والغفار اما كونه واحداً فهو الذي وقع الخلاف فيه بين اهل  
الحق وبين المشركين واستدل تعالى على كونه واحداً بكونه قهاراً وقدينا وجه هذه  
الدلالة الا ان كونه قهاراً وان دل على اثبات الوحداية الا انه يوجب الخوف الشديد  
فأردفه تعالى بذكر صفات ثلاثة دالة على الرحمة والفضل والكرم (اولها) كونه رباً  
للسموات والارض وما بينهما وهذا انما تتم معرفته بالنظر في آثار حكمته الله تعالى في خلق  
السموات والارض والعناصر الاربعة والموايد الثلاثة وذلك بحمل اساحله فاذا تأملت  
في آثار حكمته ورجته في خلق هذه الاشياء عرفت حيث تزيته للكل وذلك يفيد الرجاء  
العظيم (وثانيها) كونه عزيزاً والفائدة في ذكره ان لقائل ان يقول هب انه رب ومرتب وكريم  
الا انه غير قادر على كل المقدورات فاجاب عنه بانه عزيز اي قادر على كل الممكنات فهو يغلب  
الكل ولا يغلبه شئ (وثالثها) كونه غفراً والفائدة في ذكره ان لقائل ان يقول هب انه رب  
ومحسن ولكنه يكون كذلك في حق المطيعين المخلصين في العبادة فاجاب عنه بأن من بقي على  
الكفر سبعين سنة ثم تاب فاقبيل اسمه عن ديوان المذنبين واستر عليه بفضل ورحم جميع  
ذنوبه واوصله الى درجات الابرار واعلم انه تعالى لما بين ذلك قال قل هو نبأ عظيم انتم عنه  
معرضون وهذا النبأ العظيم محتمل وجوها فيمكن ان يكون المراد ان القول بان الاله واحد  
نبأ عظيم ويمكن ان يقال المراد ان القول بالنبوة نبأ عظيم ويمكن ان يقال المراد ان القول  
بانبات الختم والنتم والقيامه نبأ عظيم وذلك لان هذه المطالب الثلاثة كانت مذكورة  
في اول السورة ولاجلها انجر الكلام الى كل ما سبق ذكره ويمكن ايضا ان يكون المراد كون  
القرآن معجزاً لان هذا ايضا قد تقدم ذكره في قوله كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته  
وهؤلاء الاقوام اعرضوا عنه على ما قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون واعلم ان قوله  
انتم عنه معرضون ترغيب في النظر والاستدلال ومنع من التقليد لان هذه المطالب مطالب  
شريفة عالية فان تقدير ان يكون الانسان فيها على الحق يفوز بأعظم ابواب السعادة



للملائكة اني خالق بشر من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين  
 فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس  
 ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين قال اخير منه خلقتني  
 من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال  
 رب فأنظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك  
 لا غوينهم اجمعين الاعداء منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول لا املان جهنم منك  
 ومن تبعك منهم اجمعين اعلم ان المقصود من ذكر هذه القصة المنع من الحسد والكبر وذلك  
 لان ابليس انما وقع فيما وقع فيه بسبب الحسد والكبر والكفار انما نازعوا محمدا عليه  
 السلام بسبب الحسد والكبر فالله تعالى ذكر هذه القصة ههنا ليصير سماعها اجرا لهم عن  
 هاتين الخصلتين المذمومتين والحاصل انه تعالى رغب المكلفين في النظر والاستدلال  
 ومنهم عن الاصرار والتقليد وذكر في تقريره امورا أربعة (اولها) انه نبأ عظيم فيجب  
 الاحتياط فيه (الثاني) ان قصة سؤال الملائكة عن الحكمة في تخليق البشر يدل على  
 ان الحكمة الاصلية في تخليق آدم هو المعرفة والطاعة لا الجهل والتكبر (الثالث) ان  
 ابليس انما خصم آدم عليه السلام لاجل الحسد والكبر فيجب على العاقل ان يحترز عنهما  
 فهذا هو وجه النظم في هذه الآيات واعلم ان هذه القصة قد تقدم شرحها في سور كثيرة فلا  
 فائدة في الاعادة الا ما لا بد منه وفيها مسائل (المسئلة الاولى) في قوله اني خالق بشر من طين  
 سؤالات (الاول) ان هذا النظم انما يصح لو امكن خلق البشر لا من الطين كما اذا قيل انا  
 متخذ سوارا من ذهب فهذا انما يستقيم لو امكن اتخاذه من الفضة (الثاني) ذكر ههنا انه  
 خلق البشر من طين وفي سائر الآيات ذكر انه خلقه من سائر الاشياء كقوله تعالى في آدم  
 انه خلقه من تراب وكقوله من حأ مسنون وكقوله خلق الانسان من عجل (الثالث) ان هذه الآية تدل على انه تعالى لما اخبر الملائكة بأنه خلق بشر من طين  
 لم يقولوا شيئا وفي الآية الاخرى وهي التي قال اني جاعل في الارض خليفة بين انهم  
 اوردوا السؤال والجواب فينهما تناقض والجواب عن الاول ان التقدير كأنه سبحانه  
 وصف لهم اولا ان البشر شخص جامع للقوة البهيمية والسبعية والشيطانية والملكية فلما  
 قال اني خالق بشر من طين فكأنه قال ذلك الشخص المستجمع لتلك الصفات انما خلقه  
 من الطين والجواب عن الثاني ان المادة البعيدة هو التراب واقرب منه الطين واقرب منه  
 الحمأ المسنون واقرب منه الصلصال فثبت انه لا منافاة بين الكل والجواب عن الثالث انه  
 في الآية المذكورة في سورة البقرة بين لهم انه يخلق في الارض خليفة وبآية المذكورة  
 ههنا بين ان ذلك الخليفة بشر مخلوق من الطين (المسئلة الثانية) قال فاذا سويته ونفخت  
 فيه من روحي وهذا يدل على أن تخليق البشر لا يتم الا بأمرين التسوية اولاً ونفخ الروح  
 ثانياً وهذا حق لان الانسان مركب من جسد ونفس أما الجسد فأنه انما يتولد من المني

وانما عبر عنه بهذا الاسم عند  
 الحكاية (من طين) لم يتعرض  
 لاوصافه من التغيير والاسوداد  
 والمسنوية اكتفاء بما ذكر في  
 موافع آخر (فاذا سويته) اي  
 صورته بالصورة الانسانية  
 والخلق البشرية اوسوت اجراء  
 بدنه بتعديل طباعته (ونفخت  
 فيه من روحي) النفخ اجراء  
 الريح الى تجويف جسم صالح  
 لاسكانها والامتلاء بها وليس  
 نعمة نفخ ولا منقوخ وانما هو  
 تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل  
 على المادة القابلة لها اي فاذا كملت  
 استعدادها وافضت عليه ما يحيي به  
 من الروح التي هي من امرى  
 (فقعوا له) امر من وقع وفيه دليل  
 على ان المأمور به ليس مجرد  
 الانحناء كاقبل اي اسقطوا له  
 (ساجدين) تحية له وبكرما  
 (فسجد الملائكة) اي فخلقه  
 فسواه فنفع فيه الروح فسجد له  
 الملائكة (كلهم) بحيث لم يبق منهم  
 احد الا سجد (اجمعون) اي  
 بطريق المعية بحيث لم يتأخر في  
 ذلك احد منهم عن احد ولا  
 اختصاص لا فائدة هذا المعنى  
 بالحالية بل يقبده التاكيد ايضا  
 وقيل اكد بتأكيدين بالغة في  
 التعظيم هذا واما ان سجودهم  
 هذا هل ترتب على ما حكى من  
 الامر التعليق كما تقتضيه هذه  
 الآية الكريمة

والمنى انما يتولد من دم الطمث وهو انما يتولد من الاخلاط الاربعة وهى انما تتولد من الاركان الاربعة ولا بد في حصول هذه التسوية من رعاية مقدار مخصوص لكل واحد منها ومن رعاية كيفية امثالاتها وتركباتها ومن رعاية المدة التى فى مثلها حصل ذلك المزاج الذى لاجله يحصل الاستعداد لقبول النفس الناطقة واما النفس فاليها الاشارة بقوله ونفخت فيه من روحي ولما اضاف الروح الى نفسه دل على انه جوهر شريف علوى قدسى وذهبت الحلولية الى ان كلمة من تدل على التبعض وهذا يوهم ان الروح جزء من اجزاء الله تعالى وهذا فى غاية الفساد لان كل ماله جزء وكل فهو مركب ويمكن الوجود لذاته ومحدث واما كيفية نفخ الروح فاعلم ان الاقرب ان جوهر النفس عبارة عن اجسام شفافة نورانية علوية العنصر قدسية الجوهر وهى تسمى فى البدن سرى ان الضوء فى الهواء وسريان النار فى الفحم فهذا القدر معلوم اما كيفية ذلك النفخ فما لا يعلمه الا الله تعالى (المسئلة الثالثة) الفاء فى قوله ففعله ساجدين تدل على انه كاتم نفخ الروح فى الجسد توجه امر الله عليهم بالسجود واما ان المأمور بذلك السجود ملائكة الارض او دخل فيه ملائكة السموات مثل جبريل وميكائيل والروح الاعظم المذكور فى قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا فقيه مباحث عميقة وقال بعض الصوفية الملائكة الذين امروا بالسجود لآدم هم القوى النباتية والحيوانية الحسية والحركية فانها فى بدن الانسان خوادم النفس الناطقة وابليس الذى لم يسجد هو القوة الوهمية التى هى المنازعة لجوهر العقل والكلام فيه طويل واما بقية المسائل وهى كيفية سجد الملائكة لآدم وان ذلك هل يدل على كونه افضل من الملائكة ام لا وان ابليس هل كان من الملائكة ام لا وانه هل كان كافرا اصليا ام لا فكل ذلك تقدم فى سورة البقرة وغيرها (المسئلة الرابعة) اخرج من اثبت الاعضاء والجوارح لله تعالى بقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي فى اثبات يدى الله تعالى بأن قالوا ظاهر الآية يدل عليه فوجب المصير اليه والآيات الكثيرة وارادة على وفق هذه الآية فوجب القطع به واعلم ان الدلائل الدالة على نفي كونه تعالى جسما مركبا من الاجزاء والاعضاء قد سبقتنا الا نأذكر ههنا نكتا جارية مجرى الارامات الظاهرة (فالاول) ان من قال انه مركب من الاعضاء والاجزاء فاما ان يثبت الاعضاء التى ورد ذكرها فى القرآن ولا يزيد عليها واما ان يزيد عليها فان كان الاول لزمه اثبات صورة لا يمكن ان يزداد عليها فى القبح لانه يلزمه اثبات وجه بحيث لا يوجد منه الا مجرد رفعة الوجه لقوله كل شئ هالك الا وجهه ويلزمه ان يثبت فى تلك الرقعة عيونا كثيرة لقوله تجري بأعيننا وان يثبت جنبا واحدا لقوله تعالى يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وان يثبت على ذلك الجنب ايدى كثيرة لقوله تعالى مما عملت ايدينا وبتقدير ان يكون له يدان فانه يجب ان يكون كلاهما على جانب واحد لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم الحجر الاسود بين الله فى الارض وان يثبت له ساقا واحدا لقوله تعالى يوم يكشف عن ساق

والتي فى سورة الحجر فان تظاهرها يستدعى ترتبه عليه من غير ان يتوسط بينهما شئ غير ما تفصح عند الفاء الفصحىة من الخلق والتسوية ونفخ الروح او على الامر التمييزى كما يقتضيه ما فى سورة البقرة وما فى سورة بنى اسرائيل وما فى سورة الكهف وما فى سورة طه من الايات الكريمة قد قدم تحقيقه بتوفيق الله عز وجل فى سورة البقرة وسورة الاعراف (الا ابليس) استثناء متصل لما انه كان جنبا مفردا مغمورا بالوهم من الملائكة موصوفا بصفتهم فقلبوا عليه ثم استثنى استثناء واحد منهم اولان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم او منتطح وقوله تعالى (استنكر) على الاول استثناء مبين لكيفية ترك السجود المفهوم من الاستثناء فان تركه يشتمل ان يكون للسائل والتروى وبه يتحقق اندللاء والاستكبار وعلى الثانى يحوز اتصاله بما قبله اى لكن ابليس استنكر (وكان من الكافرين) اى وصار منهم بمخالفته للامر واستكباره عن الطاعة او كان منهم فى علم الله عز وجل (فالابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي) اى خلقه بالذات من غير توسط اب وأم والثانية لابرز كمال الاعتناء

فيكون الحاصل من هذه الصورة مجرد رقعة الوجه ويكون عليها عيون كثيرة وجنب واحد ويكون عليه يد كثيرة وساق واحد ومعلوم ان هذه الصورة اقبح الصور ولو كان هذا عبدا لم يرغب احد في شراؤه فكيف يقول العاقل ان رب العالمين موصوف بهذه الصورة ( واما القسم الثاني ) وهو ان لا يقتصر على الاعضاء المذكورة في القرآن بل يزيد وينقص على وفق التأويلات فحينئذ يطل مذهبه في الحمل على مجرد الظواهر ولا بدله من قبول دلائل العقل ( الحجة الثانية ) في ابطال قولهم انهم اذا ثبتوا الاعضاء لله تعالى فان اثبتوا له عضو الرجل فهو رجل وان ثبتوا له عضو النساء فهو انثى وان نفوا هما فهو خصى او عنين وتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ( الحجة الثالثة ) انه في ذاته سبحانه وتعالى اما ان يكون جسميا صلبا لا ينغمز البتة فيكون حجرا صلبا واما ان يكون قابلا للانغماز فيكون لينا قابلا للتفرق والتزق وتعالى الله عن ذلك ( الحجة الرابعة ) انه ان كان بحيث لا يمكنه ان يتحرك عن مكانه كان كالزمن المقعد العاجز وان كان بحيث يمكنه ان يتحرك عن مكانه كان محلا للتغيرات فدخل تحت قوله لا أحب الاقلين ( الحجة الخامسة ) ان كان لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يتحرك كان كالبيت وان كان يفعل هذه الاشياء كان انسانا كثير النهمة محتاجا الى الاكل والشرب والوقاع وذلك باطل ( الحجة السادسة ) انهم يقولون انه ينزل كل ليلة من العرش الى السماء الدنيا فنقول لهم حين نزوله هل يبقى مدبرا للعرش ويبقى مدبرا للسماء الدنيا حين كان على العرش وحينئذ لا يبقى في النزول فائدة وان لم يبقى مدبرا للعرش فعند نزوله يصير معزولا عن الهية العرش والسعوات ( الحجة السابعة ) انهم يقولون انه تعالى اعظم من العرش وان العرش لانسبة لعظمته الى عظمة الكرسي وعلى هذا الترتيب حتى ينتهي الى السماء الدنيا فاذا كان كذلك كان السماء الدنيا بالنسبة الى عظمة الله كالذرة بالنسبة الى البحر فاذا نزل فاما ان يقال ان الاله يصير صغيرا بحيث تسعه السماء الدنيا واما ان يقال ان السماء الدنيا تصير اعظم من العرش وكل ذلك باطل ( الحجة الثامنة ) ثبت ان العالم كرة فان كان فوق بالنسبة الى قوم كان تحت بالنسبة الى قوم آخرين وذلك باطل وان كان فوق بالنسبة الى الكل فحينئذ يكون جسما محيطا بهذا العالم من كل الجوانب فيكون الله العالم على هذا القول فلنكمن الافلاك ( الحجة التاسعة ) لما كانت الارض كرة وكانت السموات كرات فكل ساعة تقرض من الساعات فانها تكون ثلث الليل في حق اقوام معينين من سكان كرة العوارض فلو نزل من العرش في ثلث الليل وجب ان يبقى ابدا نازلا عن العرش وان لا يرجع الى العرش البتة ( الحجة العاشرة ) انا انما زينا الهية الشمس والقمر لثلاثة انواع من العيوب ( اولها ) كونه مؤلفا من الاجزاء والابعض ( وثانيها ) كونه محدودا متناهيا ( وثالثها ) كونه موصوفا بالحركة والسكون والطلوع والغروب فاذا كان الله المشبهة مؤلفا من الاعضاء والاجزاء كان مركبا فاذا كان على العرش كان محدودا متناهيا وان كان ينزل من العرش

بخلق عليه الصلاة والسلام المستدعي لاجلاله واعظامه ففسدا الى تأكيد الانكار وتشديد التوبيخ ( استكبرت ) بهمة الانكار وطرح همة الوصول الى استكبرت من غير استحقاق ( أم كنت من العالين ) المستحقين للتفوق وقيل استكبرت الان أم لم نزل منذ كنت من المستكبرين وقرئ بحذف همزة الاستفهام نعمة بدلالة أم عليها وقوله تعالى ( قال انا خير منه ) ادعاء منه لشيء مستلزم لمعنه من السجود على راعيه واشعار بأنه لا يليق ان يسجد الفاضل للفضول كما يعرب عنه قوله لما كن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من جام سنون وقوله تعالى ( خلقتني من نار وخلقته من طين ) لتعليل ما ادعاه من فضله عليه عليه الصلاة والسلام ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بامان جهة المادة والعنصر وزل عنه مامن جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تعالى لما خلقت بيدي ومامن جهة الصورة كما نبه عليه قوله تعالى ونفخت فيه من روحي ومامن جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده عليهم السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره ( قال فاخرج منها ) الفاء

ويرجع اليه كان موصوفا بالحركة والسكون فهذه الصفات الثلاث ان كانت منافية  
للالهية وجب تنزيه الاله عنها بأسرها وذلك يبطل قول المشبهة وان لم تكن منافية للالهية  
فحينئذ لا يقدر احد على الطعن في الهية الشمس والقمر (الجمعة الحادية عشرة) قوله تعالى  
قل هو الله احد ولفظ الاحد مبالغة في الوحدة وذلك ينافي كونه مركبا من الاجزاء  
والابعض (الجمعة الثانية عشرة) قوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء ولو كان مركبا من  
الاجزاء والابعض لكان محتاجا اليها وذلك يمنع من كونه غنيا على الاطلاق فثبت بهذه  
الوجوه ان القول باثبات الاعضاء والاجزاء لله محال ولما ثبت بالدلائل اليقينية وجوب  
تنزيه الله تعالى عن هذه الاعضاء فنقول ذكر العلماء في لفظ اليد وجوها (الاول) ان اليد  
عبارة عن القدرة تقول العرب مالي بهذا الامر من يد أي من قوة وطاقته قال تعالى  
او يعفو الذي بيده عقدة النكاح (الثاني) اليد عبارة عن النعمة يقال أيا دى فلان في حق  
فلان ظاهرة والمراد النعم والمراد باليد النعم الظاهرة والباطنة او نعم الدين والدنيا  
(الثالث) ان لفظ اليد قديرا للتأكيد كقول القائل لمن جنى باللسان هذا ما كسبت  
يداك وكقوله تعالى نشرا بين يدي رحته ولقائل ان يقول حل اليد على القدرة ههنا غير  
جائز ويدل عليه وجوه (الاول) ان ظاهر الآية يقتضي اثبات اليد فلو كانت اليد  
عبارة عن القدرة لزم اثبات قدرتين لله وهو باطل (والثاني) ان الآية تقتضي ان يكون  
آدم مخلوقا بالدين يوجب فضيلته وكونه مسجودا للملائكة فلو كانت اليد عبارة عن  
القدرة لكان آدم مخلوقا بالقدرة لكن جميع الاشياء مخلوقة بقدرة الله تعالى فكما ان آدم  
عليه السلام مخلوق بيد الله تعالى فكذلك ابليس مخلوق بيد الله تعالى وعلى تقدير ان  
تكون اليد عبارة عن القدرة لم تكن هذه العلة علة لكون آدم مسجودا لابليس اولى  
من ان يكون ابليس مسجودا لآدم وحينئذ يختل نظم الآية ويبطل (الثالث) انه جاء  
في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال كلنا يدية معنى ومعلوم ان هذا الوصف لا يليق بالقدرة  
(واما التأويل الثاني) وهو حل الدين على النعمتين فهو أيضا باطل لوجوه (الاول) ان  
نعم الله تعالى كثيرة كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وظاهر الآية يدل على ان اليد  
لا تزيد على الاثنين (الثاني) لو كانت اليد عبارة عن النعمة فنقول النعمة مخلوقة لله فحينئذ  
لا يكون آدم مخلوقا لله تعالى بل يكون مخلوقا لبعض المخلوقات وذلك بأن يكون سببا لزيد  
النقصان اولى من ان يكون سببا لزيد الكمال (الثالث) لو كانت اليد عبارة عن النعمة  
لكان قوله تبارك الذي بيده الملك معناه تبارك الذي بنعمته الملك ولكان قوله يدك  
اخير معناه بنعمتك اخير ولكان قوله يدها ميسوطان معناه نعمته ميسوطان ومعلوم  
ان كل ذلك فاسد (واما التأويل الثالث) وهو قوله ان لفظ اليد قديرا زيادة لاجل  
التأكيد فنقول لفظ اليد قديسعمل في حق من يكون هذا العضو حاصلا له وفي حق  
من لا يكون هذا العضو حاصلا في حقه (اما الاول) فكقولهم في حق من جنى بلسانه هذا

لترتيب الامر على ما ظهر من العين  
من الحالفة للامر الجليل وتعليقها  
بالباطل اي فاخرج من الجنة  
او من زمرة الملائكة وهو المراد  
بالامر بالهبوط لالهبوط من  
السما كقيل فان وسوسه لا دم  
عليه السلام كانت بعد هذا الطرد  
وقد بين كيفية وسوسه في سورة  
البقرة وقيل اخرج من الحلقة التي  
كنت فيها والنسخ منها فانه كان  
يفتخر بخلقته ففقر الله خلقته  
فاسود بعدما كان أبيض وقيح بعد  
ما كان حسنا وان لم بعد ما كان  
نورا وبقوله تعالى (فالت رجيم)  
تعليق للامر بالخروج اي مطرود  
من كل خير وكرامة فان من يطرد  
يرجم بالحجارة او شيطان يرمي  
بالشهب (وان عليك لعنتي) اي  
ابعادي عن الرحمة وتقبيدها  
بالاضافة مع اطلاقها في قوله  
تعالى وان عليك اللعنة لان لعنة  
اللاعنين من الملائكة والنقلين  
ايضا من جهته تعالى وانهم يدعون  
عليه بلعنة الله تعالى وابعاده من  
الرحمة (الي يوم الدين) اي يوم  
الجزاء والعقوبة وفيه ايدان بأن  
اللعنة مع كمال قطعها ليست  
جزاء لجنايته بل هي اعوذ لما  
سيلقاه مستورا الى ذلك اليوم  
لكن لاعلى انها تنقطع يومئذ كما  
يؤهم ظاهر التوقيت بل على انه  
سليق يومئذ من الوان العذاب  
وافانين العقاب ما ينسى عنده اللعنة  
وتصير كالزائل الا يرى الى قوله  
تعالى فاذا مؤذن بينهم ان لعنة الله  
على



ما كسبت يدك والسبب في هذا ان محل القدرة هو اليد فاطلق اسم اليد على القدرة وعلى هذا التقدير فيصير المراد من لفظ اليد القدرة وقد تقدم ابطال هذا الوجه (واما الثاني) فكقوله بين يدي عذاب شديد وقوله بين يدي الساعة الا انا نقول هذا المجاز بهذا اللفظ مذكور والمجاز لا يقاس عليه ولا يكون مطردا فلا جرم لا يجوز ان يقال ان هذا المعنى انما حصل بيد العذاب وبيد الساعة ونحن نسلم ان قوله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قد يجوز ان يراد به التأكيذ والصلة اما المذكور في هذه الآية ليس هذا اللفظ بل قوله تعالى خلقت يدي وان كان القياس في المجازات باطلا فقد سقط كلامكم بالكيفية فهذا منتهى البحث في هذا الباب والذي تلخص عندي في هذا الباب ان السلطان العظيم لا يقدر على عمل شيء بيده الا اذا كانت غاية عنايته مصروفة الى ذلك العمل فاذا كانت العناية الشديدة من لوازم العمل باليد أمكن جعله مجازا عنه عند قيام الدلائل القاهرة فهذا ما لخصناه في هذا الباب والله اعلم اما قوله تعالى أستكبرت ام كنت من العالمين فالمعنى أستكبرت الآن ام كنت ابدا من المتكبرين العالمين فأجاب ابليس بقوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فالمعنى اني لو كنت مساويا له في الشرف لكان يقبح امرى بسجودى له فكيف وانا خير منه بين كونه خيرا منه بأن اصله من النار والنار اشرف من الطين فصح ان اصله خير من اصل آدم ومن كان اصله خيرا من اصله فهو خير منه فهذه مقدمات تلاءم (المقدمة الاولى) ان ابليس مخلوق من النار يدل عليه قوله تعالى حكاية عنه خلقتني من نار وخلقته من طين وقوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم (المقدمة الثانية) ان النار افضل من الطين ويدل عليه وجوه (الاول) ان الاجرام الفلكية اشرف من الاجرام العنصرية والنار اقرب العناصر من الفلك والارض ابعدها عنه فوجب كون النار افضل من الارض (الثاني) ان النار خليفة الشمس والقمر في اضاءة هذا العالم عند غيبتها والشمس والقمر اشرف من الارض فخلفتها في الاضاءة افضل من الارض (الثالث) ان الكيفية الفاعلة الاصلية اما الحرارة او البرودة والحرارة افضل من البرودة لان الحرارة تناسب الحياة والبرودة تناسب الموت (الرابع) الارض كثيفة والنار لطيفة والطفافة اشرف من الكثافة (الخامس) النار مشرقة والارض مظلمة والور خير من الظلمة (السادس) النار خفيفة تشبه الروح والارض ثقيلة تشبه الجسد والروح افضل من الجسد فالنار افضل من الارض ولذلك فان اطباء طبخوا على ان العناصر النيران القيلين اعون على تركيب الاجساد وان العناصر الخفيفين اعون على توليد الارواح (السابع) النار صاعدة والارض هابطة والصاعدة افضل من الهابطة (الثامن) ان اول بروج الفلك هو الحمل لانه هو الذي يبدأ من نقطة الاستواء الشمالي ثم ان الحمل على طبيعة النار واشرف اعضاء الحيوان القلب والروح وهما على طبيعة النار واخس اعضاء الحيوان هو العظم وهو بارد يابس ارضي (التاسع) ان الاجسام الارضية كلما كانت

الطالين وقوله تعالى ويلعن بعضهم بعضا (قال رب فانظرني) اي امهني واخبرني والغاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اذا جعلتني رجيا فامهني ولا تمتني (اليوم يبعثون) اي آدم وذريته للبراء بعد فناءهم واداء بذلك ان يجد فحة لا غواهم وبأخذهم نارهم وينجو من الموت بالكيفية اذ لا موت بعد يوم البعث (قال فانك من المظرين) ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأل لا تخبرني على وجه يشعر بكون السائل تعالىهم في ذلك دليل واضح على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازالة الاشياء لانظار خاص به قد وقع اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه هم لالتأخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم الى الدين اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ارا حسبا فتضيه حكمة التكوين (اليوم الوقت المعلوم) الذي قدره الله وعينه لعناء الخلائق وهو وقت النسخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسؤول فالعلاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل الربط الاخبار المذكور به كافي قول من قال \* فان ترجم فانت لذلك اهل \* فانه لا امكان لجعل الغاء فيه لربط ماله تعالى من الاهلية القديمة للرجة بوقوع الرجة للحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية

استنورانية ومشابهة بالنار كانت اشرف وكلما كانت اكثر غبرة وكثافة وكدورة ومشابهة  
 بالارض كانت اخس مثاله الاجسام الشبيهة بالنار الذهب والياقوت والاحجار الصفية  
 النورانية ومثاله ايضا من الثياب الابرسم وما يتخذ منه واما ان كل ما كان اكثر ارضية  
 وغبرة فهو اخس فالامر ظاهر (العاشر) ان القوة الباصرة قوة في غاية الشرف والجلالة  
 ولا يتم عملها الا بالشعاع وهو جسم شبيه بالنار (الحادي عشر) ان اشرف اجسام العالم  
 الجسماني هو الشمس ولا شئ انه شبيه بالنار في صورته وطبيعته واثره (الثاني عشر) ان  
 النضج والهضم والحياة لاتتم الا بالحرارة ولولا قوة الحرارة لما تم المزاج وتولد المركبات  
 (الثالث عشر) ان اقوى العناصر الاربعة في قوة الفعل هو النار واكلها في قوة  
 الانفعال هو الارض والفعل افضل من الانفعال فالنار افضل من الارض اما القائلون  
 بتفضيل الارض على النار فذكروا ايضا وجوها (الاول) ان الارض امين مصلح فاذا  
 اودعت حاجبة ردتها اليك شجرة مثمرة والنار خائنة تفسد كل ما اسلمته اليها (الثاني) ان  
 الحس البصري اثني على النار فليستع ما يقوله الحس اللمسي (الثالث) ان الارض  
 مستوية على النار فانها تغطي النار واما النار فانها لاتؤثر في الارض الخاصة (واما  
 المقدمة الثالثة) فهي ان من كان اصله خيرا من اصله فهو خيرا منه فاعلم ان هذه المقدمة  
 كاذبة جدا وذلك لان اصل الرماد النار واصل البساتين الزهرة والاشجار المثمرة هو الطين  
 ومعلوم بالضرورة ان الاشجار المثمرة خيرا من الرماد وايضا فهم ان اعتبار هذه الجهة  
 بوجوب الفضيلة الا ان هذا يمكن ان يصير معارضا بجهة اخرى توجب الرجحان مثل انسان  
 نسيب عار عن كل الفضائل فان نسبته بوجوب رجحانه الا ان الذي لا يكون نسيبا فيكون  
 كثير العلم وازهد فيكون هو افضل من ذلك النسيب بدرجات لاحد لها فالمقدمة الكاذبة  
 في القياس الذي ذكره ابليس هو هذه المقدمة فان قال قائل هب ان ابليس اخطأ في هذا  
 القياس لكن كيف لزمه الكفر من تلك المخالفة وبيان هذا السؤال من وجوه (الاول)  
 ان قوله اسجدوا امر والامر لا يقتضي الوجوب بل الندب ومخالفة الندب لا توجب  
 العصيان فضلا عن الكفر وايضا فالذين يقولون ان الامر للوجوب فهم لا ينكرون كونه  
 محتملا للندب احتمالا ظاهرا ومع قيام هذا الاحتمال الظاهر كيف يلزم العصيان فضلا عن  
 الكفر (الثاني) هب انه للوجوب الا ان ابليس ما كان من الملائكة فأمر الملائكة  
 بسجود آدم لا يدخل فيه ابليس (الثالث) هب انه يتاوله الا ان تخصيص العام بالقياس  
 جائز فخص نفسه عن عموم ذلك الامر بالقياس (الرابع) هب انه لم يسجد مع علمه بأنه  
 كان مأمورا به الا ان هذا القدر يوجب العصيان ولا يوجب الكفر فكيف لزمه الكفر  
 (والجواب) هب ان صيغة الامر لاتدل على الوجوب ولكن يجوز ان ينضم اليها من  
 القرائن ما يدل على انوجوب وهي هنا حصلت تلك القرائن وهي قوله تعالى استكبرت ام  
 كنت من العالين فلما أتى ابليس بقياسه الفاسد دل ذلك على انه انما ذكر ذلك القياس

للرحمة بوقوعها هذا وقد ترك  
 التوقيت في سورة الاعراف كما  
 ترك النداء والقائه في الانظار  
 والانظار تعويلا على ما ذكره هنا  
 وفي سورة الحجر وان خفي بيالك  
 ان كل روحه من وجوه النظم  
 الكريم لا بد ان يكون له مقام  
 يقتضيه مفسر لمقام غيره وان  
 ما حكى من العين انما صدر عنه  
 مرة وكذا جوابه لم يقع الادفعة  
 بتمام الاستنطار والانظار ان  
 اقتضى احد الوجوه المحكية  
 فذلك الوجه هو الماطن لقتضى  
 الحال والبالغ الى رتبة البلاغة  
 ودرجة الاعجاز واما ما عده  
 من الوجوه فهو بمنزلة من بلوغ  
 طبقة البلاغة فضلا عن العروج  
 الى معارج الاعجاز فقد سلف  
 تحقيقه في سورة الاعراف بفضل  
 الله تعالى وترقيقه (قال فبعضك)  
 الباء القسم والفاء لترتيب مضمون  
 الجملة على الانظار ولا ينافيه قوله  
 تعالى فيما اعوتني وقوله رب  
 بما اعوتني فان اغواه تعالى اياه  
 ار من آثار قدرته تعالى وعرفته  
 وحكم من احكام قهره وسلطته  
 فآل الاقسام بهما واحدا ولعل  
 العين أقسم بهما جميعا فخفي  
 نارة قسمه بأحدهما واخرى  
 بالآخر اى فأقسم بعرك  
 (لاعوينهم اجمعين) اى ذرية  
 آدم بتزيين المعاصي ايم (الا  
 عبادك منهم المخلصين) وهم الذين  
 احصاهم الله تعالى لطاعته وعصمهم  
 من العوابة وقرئ المخلصين على  
 صيغة الفاعل اى الذين اخلصوا  
 قلوبهم واعمالهم لله

تعالى ( قال ) اى الله عز وجل ( فالحق والحق اقول ) برفع الاول ( ٢٢٤ ) على انه مبتدأ محذوف لبرا وخبر محذوف والمبتدأ ونصب الثانى على

انه مفعول لما بعده قدم عليه  
للتقصير لاقول الاحق والفاء  
لترتيب ما بعده على ما قبلها اى  
فالحق قسمي ( لاملان جهنم )  
على ان الحق اما اسمه تعالى او  
تقيض الباطل عظمه الله تعالى  
باقسامه به او فانا الحق او نقول  
الحق وقوله تعالى لاملان جهنم  
الح حيثئذ جواب لقسم محذوف  
اى والله لاملان الح وقوله  
تعالى والحق اقول على كل  
تقدير اعتراض مقرر على الوجهين  
الاولين لضمون الجملة الفحشية  
وعلى الوجه الثالث لضمون  
الجملة المتقدمة اعني نقول الحق  
وقرنا منصوبين على ان الاول  
مقسم به كقولك الله لافعلن  
وجوابه لاملان وما بينهما  
اعتراض وقرنا مجرورين على ان  
الاول مقسم به فذا ضم حرف  
قسمه كقولك الله لافعلن والحق  
اقول على حكاية لفظ المقسم به  
على تقدير كونه تقيض الباطل  
ومعناه لتأكيد التشديد وقرئ  
بجر الاول على ضمائر حرف  
القسم ونصب الثانى على المفعولية  
( منك ) اى من جنسك من  
الشياطين ( ومن تبعك ) فى الغواية  
والضلال ( منهم ) من ذرية آدم  
( اجمعين ) تأكيديا لكاف وما عطف  
عليه اى لاملان هما من المتبعين  
والاتباع اجمعين كقوله تعالى ان  
تبعك منهم لاملان جهنم منكم  
اجمعين وهذا القول هو المراد  
بقوله تعالى ولكن حق القول  
منى لاملان جهنم من الجنة  
والناس اجمعين وحيث كان مناط  
الحكم ههنا اتباع الشيطان انضح  
ان مدار عدم المشيئة فى قوله  
تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس  
هداها اتباع الكفرة للشيطان  
بسوء اختيارهم لا تحقق القول  
فليس فى ذلك شأبة الجبر فتدبر

ر قل ما أسألكم عليه ) على القرآن اوعلى تبليغ ما يوحى الى ( ٢٢٥ ) ( من اجر ) ذنوبى ( وما أنا من المتكلمين ) اى المتصنعين بما ليسوا

من اهله حتى أتصل النبوة  
واتقول القرآن ( ان هو )

اى داهو ( الاذكر ) من الله

عز وجل ( للعالمين ) اى للتخلين

كافة ( ولتعلن نبأ ) اى ما نابأه

من لوعده والوعيد وغيرهما

او صحته خبره وانه الحق والصدق

( بعد حين ) بعد المات اويوم

القيامة او عند ظهور الاسلام

وقشره وقبل من بقى علم ذلك اذا

ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد

الموت وفيه من التهديد لا يخفى

عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم من قرأ سورة ص كان له

بوزن كل جبل سحره الله لداود

عشر حسنات وعصم ان يصير

على ذنب صغير او كبير وقال

ابو امامة عصمه الله تعالى من كل

ذنب صغير او كبير والله اعلم

( سورة لزم مكية الاقوله )

( قل لعبادى الآية وآيها )

( خمس وسبعون او ثمان )

( وسبعون )

«(بسم الله الرحمن الرحيم)»

( تنزيل الكتاب ) خبر مبسدا

محذوف هو اسم اشارة اشير به

الى السورة تنزيلا لها منزلة

الحاضر المسار اليه لكونها على

شرف الذكر والحضور كما مر سارا

وقد قيل هو ضمير عائلى الذكر فى

قوله تعالى ان هو الاذكر للعالمين

وقوله تعالى ( من الله العزيز

الحكيم ) صلة للتنزيل او خبر بيان

احوال من التنزيل عالمها معنى

الاشارة او من الكتاب الذى هو

مذهول معنى عامها المصاف وقيل

هو خبر للتنزيل الكتاب والوجه

الاول اوفى بمقتضى المقام الذى

هو بيان ان لسورة او القرآن

تنزيل لكتاب من الله تعالى لبيان

ان تنزيل الكتاب منه تعالى لامن غيره كما يفيد الوجه الاخير

الايتين ان ابليس ما اغوى يوسف عليه السلام وذلك يدل على كذب الحشوية فيما  
ينسبون الى يوسف عليه السلام من القبايح واعلم ان ابليس لما ذكر هذا الكلام قال الله  
تعالى فالحق والحق اقول لا ملأن جهنم منك ومن تبعك منهم اجمعين وفيه مسائل  
( المسئلة الاولى ) قرأ عاصم وحزة فالحق بالرفع والحق بالنصب والباقون بالنصب فيهما  
اما الرفع فتقديره فالحق قسمى واما النصب فعلى القسم اى فالحق كقولك والله لا فعلن  
واما قوله والحق اقول انصب قوله والحق بقوله اقول ( المسئلة الثانية ) قوله منك اى من  
جنسك وهم الشياطين ومن تبعك منهم من ذرية آدم فان قيل قوله اجمعين تأكيد لماذا قلنا  
يحمل ان يؤكد به الضمير فى منهم او الكاف فى منك مع من تبعك ومعناه لا ملأن  
جهنم من المتبوعين والتابعين لا اترك منهم احدا ( المسئلة الثالثة ) احتج اصحابنا بهذه  
الآية فى مسئلة ان الكل بقضاء الله من وجوه ( الاول ) انه تعالى قال فى حق ابليس  
اخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتى الى يوم الدين فهذا اخبار من الله تعالى بأنه  
لا يؤمن فلو آمن لانقلب خبر الله الصدق كذبا وهو محال فكان صدور الايمان منه محالا  
مع انه امر به ( الثانى ) انه قال فبعزتك لا غوينهم اجمعين فالله تعالى علم منداه بغوينهم  
وسمع منه هذه الدعوى وكان قادرا على منعه عن ذلك والقادر على المنع اذالم يمنع كان  
راضيا به فان قالوا لعل ذلك المنع مفسد قلنا هذا قول فاسد لآن ذلك المنع يخلص ابليس  
عن الاضلال ويخلص بنى آدم عن الضلال وهذا عين المصلحة ( الثالث ) انه تعالى اخبر  
انه يملأ جهنم من الكفرة فلو لم يكفروا لزم الكذب والجمل فى حق الله تعالى ( الرابع )  
انه لو اراد ان لا يكفر الكافر لوجب ان يبقى الانبياء والصالحين وان يميت ابليس  
والشياطين وحيث قلب الامر علمنا انه فاسد ( الخامس ) ان تكليف اولئك الكفار  
بالايمان يقتضى تكليفهم بالايمان بهذه الآيات التى هى دالة على انهم لا يؤمنون البتة  
وحينئذ يلزم ان يصيروا مكلفين بأن يؤمنوا بأنهم لا يؤمنون البتة وذلك تكليف  
بما لا يطاق والله اعلم \* قوله تعالى ( قل ما أسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلمين  
ان هو الاذكر للعالمين وتعلن نبأ بعد حين ) اعلم ان الله تعالى ختم هذه السورة بهذه  
الخاتمة الشريفة وذلك لانه تعالى ذكر طرقا كثيرة دالة على وجوب الاحتياط فى طلب  
الدين ثم قال عند الختم هذا الذى ادعوا الناس اليه يجب ان ينظر فى حال الداعى وفى حال  
الدعوة ليظهر انه حق او باطل اما الداعى وهو انا فانا لا أسألكم على هذه الدعوة  
اجرا وما لاول من الظاهر ان الكذاب لا يقطع طمعه عن طلب المال البتة وكان من الظاهر انه  
صلى الله عليه وسلم كان بعيدا عن الدنيا عديم الرغبة فيها واما كيفية الدعوة فقل  
وما أنا من المتكلمين والمفسرون ذكر وافي وجوها والذى يغلب على الظن ان المراد ان  
هذا الذى ادعوكم اليه دين ليس يحتاج فى معرفته صحته الى التكلفات الكثيرة بل هو  
دين يشهد صريح العقل بصحته فأنى ادعوكم الى الاقرار بوجود الله ولا ثم ادعوكم فانيا

ان تنزيل الكتاب منه تعالى لامن غيره كما يفيد الوجه الاخير ( ٢٩ ) ( سا ) ( را ) وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأوا الزم

والنعرض لوصفي العروة والحكمة للابدان نظهور اثر يهما في الكتاب ( ٢٢٦ ) بحريان احكامه ونفاذوا امره ونواهيته من غير مدافع ولا

الى تزييه وتقديسه عن كل ما يلبق به يقوى ذلك قوله ليس كسله شئ واثاله ثم ادعوك  
نادا الى الاقرار بكونه موصوفاً بكمال العلم والقدرة والحكمة والرحمة ثم ادعوك رابعا  
الى الاقرار بكونه منزها عن السركاء والاصداد ثم ادعوك خامسا الى الامتناع عن عبادة  
هذه الالوان التي هي جادات خسية ولا منفعة في عبادتها ولا مضرة في الاعراض  
عنها ثم ادعوك سادسا الى تعظيم الارواح الطاهرة المقدسة وهم الملائكة والانبيا  
ثم ادعوك سابعا الى الاقرار بالبعث والقيامة ليجري الدين اساوفاً بما عملوا ويجزى الدين  
احسنوا بالحسنى ثم ادعوك ثامنا الى الاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة فهذه  
الاصول الثمانية هي الاصول القوية المعتبرة في دين الله تعالى ودين محمد صلى الله عليه  
وسلم وبدائفة القول وأوائل الافكار شاهدة بصحة هذه الاصول الثمانية فثبت اني لست  
من المتكلمين في السريعة التي ادعوا لخلق اليها بل كل عقل سليم وطبع مستقيم فانه  
يشهد بصحتها وجلالتها وبعدها عن الساطل والفساد وهو المراد من قوله ان هو الاذكر  
للعالمين ولما بين هذه المقدمات قال وتعلن نبأ بعد حين والمعنى انكم ان اصرتم على  
الجهل والتقليد وايتم قبول هذه البيانات التي ذكرناها فستعلمون بعد حين انكم كنتم  
مصيبين في هذا الاعراض او محطئين وذكر مثل هذه الكلمة بعد تلك البيانات  
المتقدمة مما لا يريد عليه في التخويف والترهيب والله اعلم \* قال المصنف رحمة الله  
عليه ثم تصير هذه السورة يوم الخميس في آخر الالاء الثاني من شهر ذي القعدة سنة ثلاث  
وسمائة والحمد لله على آله ونعمائه \* والصلاة على المطهرين من عباده في ارضه وسمائه  
والمدح والثناء كإليق بصمائه واسمائه \* والتعظيم التام لانيائه واوليائه \* وسلم تسليما  
كثيرا الى يوم الدين

( سورة الزمر سهون وخمس آيات مكية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

تريل الكتاب من الله العزيز الحكيم اما انزلنا اليك الكتاب فالحق قاعد الله محمدا  
له الدين ألا الله الدين الخالص والدين اتخدوا من دونه اولياء مانعدهم الا ليقرنونا الى الله  
رلني ان الله يحكمهم بينهم فيما هم فيه يخلعون ان الله لا يهدي من هو كاذب كمار  
لو اراد الله ان يخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار اعلم ان  
في الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) ذكر الفراء والراجاج في رفع تنزيل وحيم ( احدهما )  
ان يكون قوله تنزيل مستداً وقوله من الله العزيز الحكيم خبر ( والثاني ) ان يكون  
التقدير هذا تنزيل الكتاب فيضمر المستداً كقوله سورة انزلها اي هذه سورة قال بعضهم  
الوجه الاول اولى لوجوه ( الاول ) ان الاضمار خلاف الاصل ولا بصار اليه الا لضرورة  
ولا ضرورة هما ( الثاني ) انا اذا قلنا تنزيل الكتاب من الله جملة تامة من المستداً والحر

ممانع وبإساءة جمع مامنه على  
اساس الحكم الباهر وقوله  
تعالى ( اما زلنا اليك الكتاب  
خالق ) شروع في بيان شأن المنزل  
اليه وما يجب عليه اثر بيان شأن  
المنزل وكونه من عند الله تعالى  
والمراد بالكتاب هو القرآن  
واظهاره على تقدير كونه هو المراد  
بالاول ايضاً لتعظيمه ومزيد  
الاعتماد شأنه ولباءه المعلقة  
بالارال اي سبب الحق واسمائه  
واظهاره او مداعيه الحق واقتضائه  
للارال واما محذوف هو حال  
من هو العظمة او من الكتاب  
اي انزلنا اليك محمين في ذلك  
او انزلنا ملتبساً بالحق والصواب  
اي كل ما فيه حق لا ريب فيه  
موجب للعمل به حما والفاء في  
قوله تعالى ( فاعبد الله محمداً  
الدين ) ترتيب الامر بالعبادة  
سلي ازال الكتاب اليه عليه  
الصلاة والسلام فالحق ان عابده  
تعالى محمداً الدين من شوائب  
الشرك والرياء حسماً بين في  
تصايف ما ارل اليك وقرئ  
رفع لدين على انه مبتدأ حرة  
الظرف المفعول عليه لتأكيد  
الاحتصاص المسعاد من اللام  
ولجدة استنباط وقع تعليل الامر  
باحلاص العباد وقوله تعالى  
( ألا الله الدين الخالص ) اسماء  
مقرر لما قبله من الامر باحلاص  
الدين له تعالى ووجوب الامتناع  
به وعلى الفرقة الاخرى مؤكدة  
لاحصاص لدينه الى اي الاء  
هو الذي يجب ان يخص بالحرص  
الط عقله لانه المتفرد بصفات  
الالوهية التي من جملة الاطلاع  
على السرر والخصائر وقوله  
تعالى ( والدين اتخدوا من  
دونه اولياء ) بمحقق لحقيقة

مادكر من احلاص الدين لدى هو عبارة عن التوحيد يبين لطلان الشرك الذي هو عبارة عن ترك احلاصه والموصول ( افاد )

عبارة عن المشركين ومجمله الرفع على الابتداء ( ٢٢٢ ) خبره ماسياتى من الجملة المصدرية مان والاولياء عن الملائكة وعيسى عليهم السلام

والاصنام وقوله تعالى (ما يعبدهم الا البقر وما الى الله رلقى) حال شتى من القول من واواخذوا مبيدة لكيمة اشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من اعم العلل ورلقى مصدر مؤكد على غير لفظ المصدر ملاق له في المعنى اى والذين لم يخدعوا العباد الله تعالى بل شاؤوا العبادة غيره فائتوا ما نعبدهم لشيء من الاشياء لانهم روى الى الله تعالى تقريرا (ان الله يحكم بينهم) اى وبين حجتهم الذين هم اهل الحق للدين وقد حذف لدلال الحال عليه كما في قوله تعالى لا تفرق بين احد من رسله على احد لوحين اى بين احد منهم وبين غيره وعليه قول السابعة ما كان بين الخير لوجه سالما

ابو حنيفة الاليل قلائل اى بين الخير وبينى وقيل ضمير بينهم للمرتين جميعا (فما هم فيه يخلعون) من الدين الذى احتلوه فيه باوحيده لا شريك وارى كل فريق منهم صفة ما له وحكمه تعالى في ذلك ادخال الوحدانية والمركب البار بالصير للبرهان هدا هو الذى يستدعى مساق الطم للكرام واما حوز ان يكون الموصول عبارة عن المعبودين على حذف العائد اليه وصاروا شركاء من غير ذكر تعويلا على دلال المساق عليهم ويكون التقدير والذين اتحدوا شركاء اواباء فائتين ما يعبدون الا ليس روى الى قدام الله يحكم بينهم اى بين العبد والمعبودين فيما هم فيه يختصون حيث يرحو العبادة شفاعتهم وهم ملعونهم بعد الاعضاء

افاد فائدة شريفة وهى ان تنزيل الكتاب يكون من الله لامن غيره وهذا الحصر معنى معتبرا اما اذا اضمرنا المبتدأ لم تحصل هذه الفائدة (الثالث) انا اذا اضمرنا المبتدأ صار التقدير هذا تنزيل الكتاب من الله وحينئذ يلزمنا مجاز آخر لان هذا اشارة الى السورة والسورة ليست نفس التنزيل بل السورة منزلة فحينئذ يحتاج الى ان نقول المراد من المصدر المفعول وهو مجاز تحمله لالضرورة (المسئلة الثانية) القائلون بخلق القرآن احتجوا بأن قالوا انه تعالى وصف القرآن بكونه تنزيلا ومنزلا وهذا الوصف لا يليق الا بالحدث المخلوق والجواب انا نحمل هذه اللفظة على الصيغ والحروف (المسئلة الثالثة) الآيات الكثيره تدل على وصف القرآن بكونه تنزيلا وآيات اخر تدل على كونه منزلا (اما الاول) فقوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين وقال تنزيل من حكيم حميد وقال حم تنزيل من الرحمن الرحيم (واما الثانى) فقوله انا نحن نزلنا الذكر وقال وما خلقنا لهما وبالحق نزل واذت تعلم ان كونه منزلا اقرب الى الحقيقة من كونه تنزيلا فكونه منزلا مجاز ايضا لانه ان كان المراد من القرآن الصفة القائمة بذات الله فهو لا يقبل الانفصال والنزول وان كان المراد منه الحروف والاصوات فهى أعراض لا تقبل الانتقال والنزول بل المراد من النزول نزول الملك الذى بلغها الى الرسول صلى الله عليه وسلم (المسئلة الرابعة) قالت المعتزلة العزيز هو القادر الذى لا يغلب فهدا اللفظ يدل على كونه تعالى قادرا على المانهاية له والحكيم هو الذى يفعل لداعية الحكمة للداعية الشهوة وهذا انما يتم اذا ثبت انه تعالى عالم بجميع المعلومات وانه غنى عن جميع الحاجات اذا ثبت هذا فقول كونه تعالى عزيزا حكيم يدل على هذه الصفات لئلا العلم بجميع المعلومات والقدرة على كل الممكنات والاستعانة عن كل الحاجات فى كل ذلك امتنع ان يفعل القبيح وان يحكم بالقبيح وادان كان كذلك فكل ما يفعله يكون حكمة وصوابا اذا ثبت هذا فقول الانتفاع بالقرآن يتوقف على اصلين (احدهما) ان يعلم ان القرآن كلام الله والدليل عليه انه ثبت بالجمز كون الرسول صادقا وثبت بالثواتر انه كان يقول القرآن كلام الله فيحصل من مجموع هاتين المقدمتين ان القرآن كلام الله (والاصل الثانى) ان الله اراد بهذه الالفاظ المعانى التى هى موضوعة لها اما بحسب اللغة او بحسب القرية العرفية او الشرعية لانه لو لم يرد بها ذلك لكان ذلك تليسا وذلك لا يليق بالحكيم فثبت بما ذكرنا ان الانتفاع بالقرآن لا يحصل الا بعد تسليم هذين الاصلين وثبت انه لا سبيل الى اثبات هذين الاصلين الا باثبات كونه تعالى حكيم وثبت انه لا سبيل الى اثبات كونه حكيم الا بالنسبة الى كونه تعالى عزيزا فلهذا السبب قال تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم اما قوله تعالى انا نزلنا اليك الكتاب بالحق فيه سؤالان (السؤال الاول) لفظ التنزيل يشعر بأنه تعالى أنزله عليه نجما نجما على سبيل التدريج ولفظ الانزال يشعر بأنه تعالى أنزله عليه دفعة واحدة فكيف الجمع بينهما والجواب ان صح الفرق بين التنزيل

عما يسه من التعسفات عمول من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفعة واللعن مادة مختلفة فيها الفريقان احتلافا

هو جأ الى الحكم والفصل واتخاذ ما بين فريق الموحدين والشرعيين في الدنيا ( ٢٢٨ ) من الاختلاف في الدين الباقي الى يوم القيامة

وقرى قالوا ما نعبدهم فهو يدل من الصلة لا خبر للوصول كما قيل اذ ليس في الاخبار بذلك مزيد مزية وقرئ ما نعبدهم الا لقربونا حكاية لما خاطبوا به آلههم وقرئ نعبدهم اتباعا للباء ( ان الله لا يهدي ) اى لا يوفق للاهتداء الى الحق الذى هو طريق النجاة عن المكروه والقوز بالمطلوب ( من هو كاذب كمار ) اى راسخ في الكذب مبالغ في الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب وكذوب فانهما فاقدان البصيرة غير مبالين للاهتداء لتغييرهما العطرة الاصلية بالتمر في الضلالة والتمادى في الغي والجهالة لتعليل ما ذكر من حكمته تعالى ( لو اراد الله ان يتخذ ولدا ) الخ استشف مسوق لتحقيق الحق وبطلان القول بان الملائكة بنات الله وعيسى ابنه تعالى عن ذلك علوا كبيرا بيان استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى على الاطلاق ليندرج فيه استحالة ما قيل اندراجا اولياى لو اراد الله ان يتخذ ولدا ( لاصطفى ) اى لا يتخذ ( مما يخلق ) اى من جملة ما يخلقه او من جنس ما يخلقه ( ما يشاء ) ان يتخذ اد لا موجود سواء الا وهو مخلوق له تعالى لا متنازع تعدد الواجب ووجوب اسناد جميع ما عده اليه ومن البين ان اتخاذ الولد وط بالمخالفة بين اتخاذ والتخذ وان المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولدا فإرضاء اتخاذ ولد لم يكن اتخاذا ولد بل اصطفا عبد واليه اشترحت وضع الاصطفاء موضع اتخاذ الذى تقتضيه السرية تنبيهه على استحالة مقدمها لاستلزام فرض وقوعه

وبين الانزال من الوجه الذى ذكرتم فطريق الجمع ان يقال المعنى انا حكمنا حكما كلياً اجزما بأن يوصل اليك هذا الكتاب وهذا هو الانزال ثم اوصلناه نجما نجما اليك على وفق المصالح وهذا هو التنزيل ( السؤال الثانى ) ما المراد من قوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق والجواب فيه وجهان ( الاول ) المراد انزلنا الكتاب اليك ملتبسا بالحق والصدق والصواب على معنى كل ما اودعناه فيه من اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وانواع التكليف فهو حق وصدق يجب العمل به والمصير اليه ( الثانى ) ان يكون المراد انا انزلنا اليك الكتاب بناء على دليل حق دل على ان الكتاب نازل من عند الله وذلك الدليل هو ان الفحشاء عجزوا عن معارضته ولو لم يكن معجزا لما عجزوا عن معارضته ثم قال فاعبد الله مخلصا له الدين وفيه مسائل ( المسئلة الاول ) انه تعالى لما بين في قوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ان هذا الكتاب مشتمل على الحق والصدق والصواب اردف هنا بعض ما فيه من الحق والصدق وهو ان يشغل الانسان بعبادة الله تعالى على سبيل الاخلاص ويتبرأ عن عبادة غير الله تعالى بالكيفية فاما اشتغاله بعبادة الله تعالى على سبيل الاخلاص فهو المراد من قوله تعالى فاعبد الله مخلصا واما براءته من عبادة غير الله تعالى فهو المراد بقوله لا اله الا الله الدين الخالص لان قوله لا اله الا الله يفيد الحصر ومعنى الحصر ان يتبث الحكم في المذكور وينتفى عن غير المذكور واعلم ان العبادة مع الاخلاص لا تعرف حقيقة الا اذا عرفنا ان العبادة ماهى وان الاخلاص ماهو وان الوجوه المنافية للاخلاص ماهى فهذه امور ثلاثة لا بد من البحث عنها ( اما العبادة ) فهى فعل او قول او ترك فعل او ترك قول يؤتى به لمجرد اعتقاد ان الامر به عظيم يجب قبوله ( واما الاخلاص ) فهو ان يكون الداعى له الى الاتيان بذلك الفعل او الترك مجرد هذا الانقياد والامتثال فان حصل منه داع آخر فاما ان يكون جانب الداعى الى الطاعة راجعا على الجانب الآخر او معاد لاه او مرجوحا واجمعا على ان المعادل والمرجوح ساقط واما اذا كان الداعى الى طاعة الله راجعا على الجانب الآخر فقد اختلفوا في انه هل يفيد ام لا وقد ذكرنا هذه المسئلة مرارا ولفظ القرآن يدل على وجوب الاتيان به على سبيل الخلوص لان قوله فاعبد الله مخلصا صريح في انه يجب الاتيان بالعبادة على سبيل الخلوص وتأكد هذا بقوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين واما بيان الوجوه المنافية للاخلاص فهى الوجوه الداعية للشريك وهى اقسام ( احدها ) ان يكون الرياء والسمة فيه مدخل ( وثانيها ) ان يكون مقصوده من الاتيان بالطاعة الفوز بالجنة والخلاص من النار ( وثالثها ) ان يأتى بها ويعتقد أن لها تأثيرا في ايجاب الثواب او دفع العقاب ( ورابعها ) وهو ان يخلص تلك الطاعات عن الكبار حتى تصير مقبولة وهذا القول انما يعتبر على قول المعتزلة ( المسئلة الثانية ) من الناس من قال فاعبد الله مخلصا له الدين المراد منه شهادة ان لا اله الا الله واحببوا بما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا اله الا الله حصنى ومن دخل

بل فرض ارادة وقوعه انتفاء اى لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا لفعل شيئا ليس هو من اتخاذ الولد في شئ اصطفا انما ( حصنى )



هو اصطفا عبد ولا ريب في ان ما يستلزم فرض وقوعه ( ٢٢٩ ) انتفاء فهو ممتنع قطعاً فكأنه قيل لو أراد الله ان يتخذ ولدًا لامتنع ولم

يصح لكن لا على ان لامتنع منوط بتحقق الارادة بل على انه متحقق عند عدمها بطريق الاولوية على منوال لولم يخف الله لم يعصه وقوله تعالى (سبحانه) تقرير لما ذكر من استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى وبأكيده بيان تنزهه تعالى عنه اي تنزهه بالذات عن ذلك تنزهه الخاص به على ان السبحان مصدر من سبح اذا بعد او سبجه تسبيحاً لا تبايه على انه علم للتسبيح مقول على ألسنة العباد ووسعه تسبيحاً حقيقياً بشأنه وقوله تعالى (هو الله الواحد القهار) استثنائاً من تنزهه تعالى بحسب الصفات اثر بيان تنزهه تعالى عنه بحسب الذات فان صفة الألوهية المستبعدة لسائر صفات الكمال النافية لسمات القصان والوحدة الداتة الموجبة لامتناع المماناة والمشاركة بينه تعالى وبين غيره على الاطلاق مما يقضي بتنزهه تعالى عما فالوا قضاء متقنا وكذا وصف القهارية لما ان اتخاذ الولد شأن من يكون تحت ملكوت الغير عرضة للقضاء ليقوم ولده مقامه عند فناءه ومن هو مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات كيف يتصور ان يتخذ من الاشياء القايمة ما يقوم مقامه وقوله تعالى (خلق السموات والارض بالحق) تفصيل لبعض افعاله تعالى الدالة على تفرده بما ذكر من الصفات الجليلة اي خلقهما وما بينهما من الموحودات ملبسة بالحق والاصواب مستترة على الحكم والمصالح وقوله تعالى (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) بيان لكيفية تصرفه تعالى فيهما بعد بيان خلقهما فان حدوث الليل والنهار في الارض منوط بتصرف السموات اي بفتن كل واحد منهما الآخر كأنه

حصني أمن من عذابي وهذا قول من يقول لا تضر المعصية مع الايمان كما لا تنفع الطاعة مع الكفر واما الاكثرون فقالوا الآية متسائلة لكل ما كلف الله به من الاوامر والنواهي وهذا هو الاولى لان قوله فاعبد الله عام وروى ان امرأة الفرزدق لما قرب وفاتها وصت ان يصلي الحسن البصري عليها فلما صلى عليها ودفنت قال للفرزدق يا ابا فراس ما الذي اعددت لهذا الامر قال شهادة ان لا اله الا الله فقال الحسن رضى الله عنه هذا العمود فآين الطنب فين بهذا اللفظ الوجيز ان عمود الخيمة لا ينفع به الامع الطنب حتى يمكن الانتفاع بالخيمة قال القاضي فأما ما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ وابي الدراء وان زني وان سرق على رغم انف ابي الدرداء فان صح فانه يجب ان يحمل عليه بشرط التوبة والام يحز قبول هذا الخبر لانه مخالف للقرآن ولانه يوجب ان لا يكون الانسان مزجورا عن الزنا والسرقة وان لا يكون متعديا بفعلهما لانه مع شدة شهوته للقبیح يعلم انه يضرمه مع تمسكه بالشهادتين فكان ذلك اغراء بالقبيح والكل يساقى حكمة الله تعالى ولا يلزم ان يقال ذلك فالقول بأنه يزول ضرره بالتوبة يوجب ايضا اغراء بالقبيح لانا نقول ان من اعتقد ان ضرره يزول بالتوبة فقد اعتقد ان فعل القبيح مضرة الا انه يزول ذلك الضرر بفعل التوبة بخلاف قول من يقول ان فعل القبيح لا يضر مع التمسك بالشهادتين هذا تمام كلام القاضي فيقال له اما قولك ان القول بالمغفرة مخالف للقرآن فليس كذلك بل القرآن يدل عليه قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي حال ظلمهم كما يقال رايت الامير على اكله وشربه اي حال كونه آكلًا وشاربًا وقال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا واما قوله ان ذلك يوجب اغراء بالقبيح فيقال له ان كان الامر كذلك وجب ان يقبح غفرانه عقلا وهذا مذهب البغداديين من المعتزلة وانت لا تقول به لان مذهب البصريين ان عذاب المذنب جائز عقلا وايضا يلزم عليه ان لا يحصل الغفران بالتوبة لانه اذا علم انه اذا اذنب نمتاب غفر الله له لم ينزجروا ما الفرق الذي ذكره القاضي فبعد لانه اذا عزم على ان يتوب عنه في الحال علم انه لا يضره ذلك الذنب البتة ثم نقول مذهبنا انا نقطع بحصول العفو عن الكبائر في الجملة فأما في حق كل واحد من الناس فذلك مشكوك فيه لانه تعالى قال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقطع بحصول المغفرة في الجملة الا انه سبحانه وتعالى لم يقطع بحصول هذا الغفران في حق كل احد بل في حق من شاء واذا كان الامر كذلك كان الخوف حاصلًا فلا يكون الاغراء حاصلًا والله اعلم (المسئلة الثالثة) قال صاحب الكشف قريء الدين بالرفع ثم قال وحق من رفعه ان يقرأ تخلصا بفتح اللام لقوله تعالى واخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله ألا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا انه وصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي كقولهم شعر شاعر واعلم انه تعالى لما بين ان رأس العبادات ورؤسها الاخلاص

فيهما بعد بيان خلقهما فان حدوث الليل والنهار في الارض منوط بتصرف السموات اي بفتن كل واحد منهما الآخر كأنه

بقفه عليه لقب الباس على اللابس اوفيه به كما يفيب الملقوف بالقفاة ( ٢٣٠ ) او يجعله كارا عليه كرورا متتابعاً شابع اكوار العمامة

في التوحيد اردفه بدم طريقة المشركين فقال والذين اتخذوا من دونه اولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وتقدير الكلام والذين اتخذوا من دونه اولياء يقولون مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وعلى هذا التقدير فخير والذين محذوف وهو قوله يقولون واعلم ان الضمير في قوله مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى عائذ على الاشياء التي عبت من دون الله وهى قسمان العقلاء وغير العقلاء اما العقلاء فهو ان قوما عبدوا المسيح وعزبروا والملائكة وكثير من الناس يعبدون الشمس والقمر والنجوم ويعتقدون فيها انها احياء عاقلة ناطقة واما الاشياء التي عبت مع انها ليست موصوفة بالحياة والعقل فهى الاصنام اذا عرفت هذا فنقول الكلام الذى ذكره الكفار لائق بالعقلاء اما بغير العقلاء فلا يليق وبانه من وجهين (الاول) ان الضمير في قوله مانعبدهم ضمير للعقلاء فلا يليق بالاصنام (الثانى) انه لا يبعد ان يعتقد أولئك الكفار في المسيح والعزير والملائكة ان يشفعوا لهم عند الله اما يبعد من العاقل ان يعتقد في الاصنام والجمادات انها تقربه الى الله وعلى هذا التقدير فرادهم ان عبادتهم لها تقربهم الى الله ويمكن ان يقال ان العاقل لا يبعد الصنم من حيث انه خشب او حجر وانما يبعدونه لاعتقادهم انها تماثيل الكواكب او تماثيل الارواح السماوية او تماثيل الانبياء والصالحين الذين مضوا ويكون مقصودهم من عبادتها توجيه تلك العبادات الى تلك الاشياء التي جعلوا هذه التماثيل صوراً لها وحاصل الكلام لعباد الاصنام ان قالوا ان الاله الاعظم اجل من ان يعبد له البشر لكن اللائق بالبشر ان يشتغلوا بعبادة الاكابر من عباد الله مثل الكواكب ومثل الارواح السماوية ثم انها تشتغل بعبادة الاله الاكبر فهذا هو المراد من قولهم مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى واعلم ان الله تعالى لما حكى مذاهبهم اجاب عنها من وجوه (الاول) انه اقتصر في الجواب على مجرد التهديد فقال ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون واعلم ان الرجل المطل اذا ذكر مذهباً باطلاً وكان مصرّاً عليه فالطريق في علاجه ان يمتحن بحيلة توجب زوال ذلك الاصرار عن قلبه فاذا زال الاصرار عن قلبه فبعد ذلك يسمعه الدليل الدال على بطلانه فيكون هذا الطريق افضى الى المقصود والاطباء يقولون لابد من تقديم المضج على سقى المسهل فان يتناول المضج تصيرا للمواد العاسدة رخوة قابلة للزوال فاداسقيته المسهل بعد ذلك حصل المقاء التام فكذلك ههنا اسماع التهديد والخوف اولاً يجرى سقى المضج اولاً واسماع الدليل ثانياً يجرى سقى المسهل ثانياً فهذا هو الفائدة في تقديم هذا التهديد ثم قال تعالى ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار والمراد ان من اصر على الكذب والكفر بقى محروماً عن الهداية والمراد بهذا الكذب وصفهم لهذه الاصنام بانها آلهة مستحقة للعبادة مع علمهم بأنها جادات خسيسة وهم نحتوها وتصرفوا فيها والعلم الضروري حاصل بأن وصف هذه الاشياء بالالهية كذب محض واما الكفر فيجتملى ان يكون المراد منه الكفر بالراجع الى

وصيغة المضارع للدلالة على التجدد (وسخر النمس والعمر) جعلهما منقادين لامر الله تعالى وقوله تعالى (كل يجرى لاجل محمى) بيان الكيفية لتضخيمهما اى كل منهما يجرى لمتمى دورته او منقطع حركته وقد مر تفصيله ههنا (ألا هو العزيز) لهالب القادر على كل شئ من الاشياء التي من جعلها عقاب المصاة (العصار) المبالغ في المعرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصانع البديعة من آثار الرحمة وتصدير الجملة بحرف التنبيه لظاهر كمال الاعتناء بضمومها (حلقكم من نفس واحدة) بيان لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر وترك عطشه على حاق السموات للابدان باستقلاله في الدلالة ولتعلقه بالعالم السفلى والبداءة بخلق الانسان لرعايته في الدلالة لما فيه من تعجب آثار القدرة واسرار الحكمة واصالته في المعرفة فان الانسان بحال نفسه اعرف والمراد بالنفس نفس آدم عليه السلام وقوله (ثم جعل منها زوجاً) عطف على محذوف هو صفه لنفس اى من نفس خلقها جعل منها زوجها او على معنى واحدة اى من نفس وحدت ثم جعل منها زوجاً وشتمها او على حلقكم لتفاوت ما بينهما في الدلالة فانهما وان كانتا اثنين دالتين على ماد كراكن الأولى لاستمرارها صارت معتادة واما الثانية فحيث لم تكن معتادة واما خارجه عن قياس الأولى كما يشمر به التعبير عما بالجل دون الحلق كانت ادخل في كونها آية واجلب للتعجب من السامع فطست على الأولى ثم دلالة على مبايعتها لها فضلاً ومزناً وتراخها عنها فيما (الاعتقاد)

يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمهلة ( ٢٣٩ ) وقيل اخرج ذوية آدم من ظهره كالذرثم خلق منه حواء فقيه ثلاث

الاعتقاد والامر هنا كذلك فان وصفهم لها بالالهية كذب واعتقادهم فيها بالالهية جهل وكفر ويحتمل ان يكون المراد كفران النعمة والسبب فيه ان العبادة نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لتليق الابن بصدر عنه غاية الانعام وذلك النعم هو الله سبحانه وتعالى وهذه الاولان لا مدخل لها في ذلك الانعام فالاشتغال بعبادة هذه الاولان يوجب كفران نعمة المسم الخق ثم قال تعالى لو اراد الله ان يتخذولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار والمراد من هذا الكلام اقامة الدلائل القاهرة على كونه منزها عن الولد وبيان من وجوه ( الاول ) انه لو اتخذولدا لما رضى الابا كل الاولاد وهو الابن فكيف نسبتم اليه البنات ( الثاني ) انه سبحانه واحد حقيقى والواحد الحقيقى يمتنع ان يكون له ولد امانه واحد حقيقى فلانه لو كان مركبا لاحتاج الى كل واحد من اجزائه وجزؤه غيره فكان يحتاج الى غيره واحتاج الى الغير ممكن لذاته والممكن لذاته لا يكون واجب الوجود لذاته واما ان الواحد لا يكون له ولد فلو جوه ( الاول ) ان الولد عبارة عن جزء من اجزاء الشيء ينصل عنه ثم يحصل له صورة مساوية لصورة والدو هذا انما يعقل في الشيء الذى ينصل منه جزء والفرد المطلق لا يقال ذلك فيه ( الثانى ) شرط الولد ان يكون مماثلا في تمام الماهية للد والد فتكون حقيقة ذلك الشيء حقيقة نوعية محمولة على شخصين وذلك محال لان تعيين كل واحد منهما ان كان من لوازم تلك الماهية لزم ان لا يحصل من تلك الماهية الا الشخص الواحد وان لم يكن ذلك التعيين من لوازم تلك الماهية كان ذلك التعيين معلوما بسبب مفصل فلا يكون لها واجب الوجود لذاته ثبت ان كونه الها واجب الوجود لذاته يوجب كونه واحدا في حقيقته وكونه واحدا في حقيقته يمنع من بوث الولد له ثبت ان كونه واحدا يمنع من بوث الولد ( الثالث ) ان الولد لا يحصل الا من الزوج والزوجة والزوجان لا بد وان يكونا من جنس واحد فلو كان له ولد لما كان واحدا بل كانت زوجته من جنسه واما ان كونه قهارا يمنع من نبوت الولد فلا ان المحتاج الى الولد هو الذى يموت فيحتاج الى ولد يقوم مقامه فالاحتاج الى الولد هو الذى يكون مقهورا بالموت اما الذى يكون قاهرا ولا يقهره غيره كان الولد في حقه محال فثبت ان قوله هو الله الواحد القهار الفاظ مشتملة على دلائل قاطعة في نفي الولد عن الله تعالى <sup>سبحانه</sup> قوله تعالى ( خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويدور النهار على الليل وسحر الشمس والقمر كل بحرى لاجل مسمى ألا هو العزيز العفا خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منازو حها وازل لكم من الانعام ثمانية أزواج

يخلقكم في بطون امهاتكم حلف من بعد خلق في ظلمات ثلاث دلتم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فاني تصرفون ان تكفروا فان الله عنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزروا زرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور ) اعلم ان الآية المتقدمة دلت على انه تعالى رب كونه منزها تعالى في العطية والكبرياء ومحل الرفع على الابتداء أى دلكم العظيم الشأن الذى عددت أفعاله ( الله ) وقوله تعالى ( ربكم )

خبر آخر اى مريكم فيما ذكر من الاطوار وفيما عدها وما لكم المستحق ( ٢٣٢ ) لتخصيص العبادة به ( له الملك ) على الاطلاق في الدنيا والآخره ليس لغيره شركه في ذلك بوجه من الوجوه والجله خبر آخر وكذا قوله تعالى ( لاله لاهور ) والفاء في قوله تعالى ( فانى تصرفون ) لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شأنه تعالى اى فكيف تصرفون عن عبادته تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها وتمام الصارى عنها بالكلية الى عبادة غيره من غير داع اليها مع كلفة الصوارى عنها ( ان تكفروا ) به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفته شأنه العظيمة الموجبة للايمان والشكر ( فان الله عني عنكم ) اى فاعلموا انه تعالى غنى عن ايمانكم وشكركم غير متأثر من انشائهما ( ولا يرضى لعباده الكفر ) اى عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم ودفع ضررتهم رجة عليهم لالتضرره تعالى به ( وان تكفروا يرضه لكم ) اى يرضى الشكر لاجلكم ومنفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لا تشايعه تعالى به وانما قيل لعباده لالكم لتعظيم الحسب وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرئ باسكان الهاء ( ولا تزوروا زورا ) اى زورا خيرا ( وان اعدم سراية كفر الكافر الى غيره اصلاى لا تحمل نفس حاصلة للوزر رجل نفس اخرى ) اى اى ربكم مرحكم بالبعث بعد الموت ( فنبشكم ) عند ذلك ( بما كنتم تعملون ) اى كنتم تعملونه في الدنيا من اعمال الكفر والايمان اى يجازيكم بذلك نوابا وعقابا ( انه علم بذات الصدور ) اى بمضمرة القلوب فكيف بالاعمال الظاهرة وهو تعليل التنبئة

عن الولد بكونه الها واحدا وقهارا غالبا اى كامل القدرة فلما بنى تلك المسئلة على هذه الاصول ذكر عقبيها ما يدل على كمال القدرة وعلى كمال الاستغناء وايضا فانه تعالى طعن في الهية الاصنام فذكر عقبيها الصفات التى باعتبارها تحصل الالهية واعلم اننا بنينا في مواضع من هذا الكتاب ان الدلائل التى ذكرها الله تعالى في اثبات الهيته اما ان تكون فلكية او عنصرية اما الفلكية فاقسام ( احدها ) خلق السموات والارض وهذا المعنى يدل على وجود الاله القادر من وجوه كثيرة شرحناها في تفسير قوله تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض ( والثاني ) اختلاف احوال الليل والنهار وهو المراد ههنا من قوله يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وذلك لان النور والظلمة عسكران مهيان عظيمان وفي كل يوم يغلب هذا ذلك تارة وذلك هذا اخرى وذلك يدل على ان كل واحد منهما مغلوب مقهور ولا بد من غالب قاهر لهما يكونان تحت تدبيره وقهره وهو الله سبحانه وتعالى والمراد من هذا التكوير انه يزيد في كل واحد منهما بقدر ما ينقص عن الآخر والمراد من تكوير الليل والنهار ما ورد في الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اى من الادبار بعد الاقبال واعلم انه سبحانه وتعالى عبر عن هذا المعنى بقوله يكور الليل على النهار وبقوله يغشى الليل النهار وبقوله يولج الليل في النهار وبقوله وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن اراد ان يذكر ( والثالث ) اعتبار احوال الكواكب لاسيما الشمس والقمر فان الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل واكثر مصالح هذا العالم مربوطه بهما وقوله كل يجرى لاجلسمى لاجلسمى يوم القيامة لانه لا يزول الا بجرى الى هذا اليوم فاذا كان يوم القيامة ذهبوا ونظيره قوله تعالى وجع الشمس والقمر والمراد من هذا التسخير ان هذه الافلاك تدور كدور المنجئون على حد واحد الى يوم القيامة وعنده تطوى السماء كطى السجل للكتاب ولما ذكر الله هذه الانواع الثلاث من الدلائل الفلكية قال اياهو العزيز الغفار والمعنى ان خلق هذه الاجرام العظيمة وان دل على كونه عزيزا اى كامل القدرة لانه غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان فانه لما كان الاخبار عن كونه عظيم القدرة يوجب الخوف والرهبة فكونه غفارا يوجب كثرة الرحمة وكثرة الرحمة توجب الرجاء والرغبة ثم انه تعالى اتبع ذكر الدلائل الفلكية بذكر الدلائل المأخوذة من هذا العالم الاسفل فبدأ بذكر الانسان فقال خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ودلالة تكون الانسان على الاله المختار قد سبق بيانها مرارا كثيرة فان قيل كيف جازان يقول خالقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وازوج مخلوق قبل خلقهم اجابوا عنه من وجوه ( الاول ) ان كلمة ثم كاتجى بيان كون احدى الواقعتين متأخرة عن الثانية فكذلك تجى بيان تأخر احد الكلايين عن الآخر كقول لقائل بلغنى ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس انجب ويقول ايضا قد اعطيتك اليوم شيئا ثم الذى اعطيتك امس أكثر ( الثانى ) ان يكون التقدير خلقكم من نفس خلقت وحدها ثم جعل منها

زوجها ( الثالث ) أخرج الله تعالى ذرية آدم من ظهره كالذرثم خلق بعد ذلك حواما واعلم انه تعالى لما ذكر الاستدلال بخلق الانسان على وجود الصانع ذكر عقبيه الاستدلال بوجود الحيوان عليه فقال وانزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وهي الابل والبقر والضأن والمعز وقد بينا كيفية دلالة هذه الحيوانات على وجود الصانع في قوله والانعام خلقها لكم فيهادف، وفي تفسير قوله تعالى وانزل لكم وجوه ( الاول ) ان قضاء الله وتقديره وحكمه موصوف بالزول من السماء لاجل انه كتب في اللوح المحفوظ كل كائن يكون ( الثاني ) ان شيئا من الحيوان لا يعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء والتراب والماء ينزل من السماء فصار التقدير كأنه انزلها ( الثالث ) انه تعالى خلقها في الجنة ثم انزلها الى الارض وقوله ثمانية أزواج اي ذكر وانثى من الابل والبقر والضأن والمعز والزوج اسم لكل واحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد منه قال تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ثم قال تعالى يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق وفيه ابحاث ( الاول ) قرأ جزء بكسر الالف والميم والكسائي بكسر الهزة وقح الميم والباقون امهاتكم بضم الالف وقح الميم ( الثاني ) انه تعالى لما ذكر تخليق الناس من شخص واحد وهو آدم عليه السلام اردفه بتخليق الانعام وانما خصها بالذكر لانها اشرف الحيوانات بعد الانسان ثم ذكر عقيب ذكرهما حالة مشتركة بين الانسان وبين الانعام وهي كونها مخلوقة في بطون امهاتهم وقوله خلقا من بعد خلق المراد منه ما ذكره الله تعالى في قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين وقوله في ظلمات ثلاث قيل الظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن ووجه الاستدلال بهذه الحالات قد ذكرناه في قوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء واعلم انه تعالى لما شرح هذه الدلائل ووصفها قال ذلكم الله ربكم اي ذلكم الشيء الذي عرقت عجائب افعاله هو الله ربكم وفي هذه الآية دلالة على كونه سبحانه وتعالى منزها عن الاجزاء والاعضاء وعلى كونه منزها عن الجسمية والمكانية وذلك انه تعالى عندما اراد ان يعرف عباده ذاته المخصوصة لم يذكر الا كونه فاعلا لهذه الاشياء ولو كان جسما مركبا من الاعضاء لكان تعريفه بتلك الاجزاء والاعضاء تعريفا لشيء بأجزاء حقيقته واما تعريفه بأحواله وافعاله وآماره فذلك تعريف له بأمر خارجة عن ذاته والتعريف الاول اكمل من الثاني ولو كان ذلك القسم ممكنا لكان الاكتفاء بهذا القسم الثاني نقصيرا ونقصانا وذلك غير جائز فلعنا ان الاكتفاء بهذا القسم انما حسن لان القسم الاول محال متمتع الوجود وذلك يدل على كونه سبحانه وتعالى متعاليا عن الجسمية والاعضاء والاجزاء ثم قال تعالى له الملك وهذا يفيد الحصر أي له الملك لا لغيره ولما ثبت انه لا ملك الا له وجب القول بانه لا اله الا هو لانه لو ثبت اله آخر فذلك اله اما ان يكون له الملك او لا يكون

( واذا مس الانسان ضر ) من سرحت وغيره ( دعاء به منيبا اليه ) راجعا اليه بما كان يدعو في حالة الرخاء لعله بأنه يعزل من القدرة على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض افراده كقوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار ( ثم اذا خوله نعمته ) اي اعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التحول وهو التعمد اي جعله خائل مال من قولهم فلان خائل مال اذا كان متعمدا له حسن القيام به او من الخول وهو الافتقار اي جعله يخول اي يفتقر ( نسي ما كان يدعو اليه ) اي نسي الضر الذي كان يدعو الله تعالى فيما سبق الى كشفه ( من قبل ) اي من قبل التفويل او نسي ربه الذي كان يدعو ويتضرع اليه ما بناء على ان ما معنى من كما في قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وقوله تعالى ولا اتم عابدون ما عبدو اما اذا بان نسيانه بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلا عن ان يعرفه من هو كما مر في قوله تعالى عما ارضعت ( وجعل الله اندادا ) شركاء في العبادة ( ليضل ) الناس بذلك ( عن سبيله ) الذي هو التوحيد وقرئ ليضل بفتح الياء اي يزداد ضلالا او ثبت عليه والافضل الضلال غير متاخر عن الجمل المذكور واللام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا

له الملك فان كان له الملك خفيئديكون كل واحد منهما مالكا قادرا ويجرى بينهما التماضع كما ثبت في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وذلك محال وان لم يكن للناسي شيء من القدرة والملك فيكون ناقصا ولا يصلح للالهية فثبت انه لماد الدليل على انه لا ملك الا الله وجب ان يقال لا اله الا الله ولا معبود الا هو الخلق اجمعين الا الله الاحد الحق الصمد اعلم انه سبحانه لما بين بهذا لدلائل كمال قدرة الله سبحانه وحكمته ورحمته ورتب عليه تزييف طريقة المشركين والضالين من وجوه (الاول) قوله فأتى تصرفون يحجج به اصحابنا ويحجج به المعتزلة اما اصحابنا فوجه الاستدلال لهم بهذه الآية انها صريحة في انهم لم ينصرفوا بأنفسهم عن هذه البيانات بل صرفها عنهم غيرهم وما ذاك الغير الا الله وايضا فذليل العقل يتقوى ذلك لان كل واحد يدلفه تحصيل الحق والصواب فلما لم يحصل ذلك وانما حصل الجهل والضلال علمانه من غيره لانه واما المعتزلة فوجه الاستدلال لهم ان قوله فأتى تصرفون تعجب من هذا الانصراف ولو كان الفاعل لذلك الصرف هو الله تعالى لم يبق لهذا التعجب معنى ثم قال تعالى ان تكفروا فان الله غني عنكم والمعنى ان الله تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه منفعة او ليدفع عن نفسه مضرة وذلك لانه تعالى غني على الاطلاق ويتمتع في حقه جبر المنفعة ودفع المضرة واما قلنا انه غني لوجوه (الاول) انه واجب الوجود لذاته وواجب الوجود في جميع صفاته ومن كان كذلك كان غنيا على الاطلاق (الثاني) انه لو كان محتاجا لكانت تلك الحاجة اما قديمة واما حادثة (والاول) باطل والالزام ان يخلق في الازل ما كان محتاجا اليه وذلك محال لان الخلق والازلي متناقض (الثاني) باطل لان الحاجة نقصان والحكيم لا يدعوه الداعي الى تحصيل النقصان لنفسه (الثالث) هبانه بقي الشك في انه هل تصح الشهوة والفرة والحاجة عليه ام لا اما من المعلوم بالضرورة ان الله القادر على خلق السموات والارض والشمس والقمر والنجوم والعرش والكرسى والعناصر الاربعة والمواليد الثلاثة يتمتع ان ينتفع بصلاة زيد وصيام عمرو وان يستنصر بعدم صلاة هذا وعدم صيام ذاك فثبت بما ذكرنا ان جميع العالمين لو كفروا واأصروا على الجهل فان الله غني عنهم ثم قال تعالى بعده ولا يرضى لعباده الكفر يعني انه وان كان لا ينتفع بايمان ولا بضرة كفران الا انه لا يرضى بالكفر واحتج الجبائي بهذه الآية من وجهين (الاول) ان المجبرة يقولون ان الله تعالى خلق كفر العباد وانه من جهة ما خلقه حق وصواب قال ولو كان الامر كذلك لكان قد رضى الكفر من الوجه الذي خلقه وذلك ضد الآية (الثاني) لو كان الكفر بقضاء الله تعالى لوجب علينا ان نرضى به لان الرضا بقضاء الله تعالى واجب وحيث اجتمعت الامة على ان الرضا بالكفر كفر ثبت انه ليس بقضاء الله وليس ايضا برضاء الله تعالى واجاب الاصحاب عن هذا الاستدلال من وجوه (الاول) ان عادة القرآن جارية بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين قال الله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقال عينا يشرب بها عباد الله وقال ان عبادي ليس لك عليهم

خلا ان هذا اقرب الى الحقيقة لان الجاعل ههنا قاصد بجمع له المذكور حقيقة الاضلال والضللال وان لم يعرف لجهله لهما اضلال وضلال واما آل فرعون فهم غير فاصدين بالتقاطهم العداوة (الاول) تهديد ذلك الضلال المضل وبنا حاله وما له (تتم بكمرك قليلا) اي تعلقا قليلا اوزمانا قليلا (انك من اصحاب النار) اي من ملازميها والمعتزلة فيها على الدوام وهو تعلق لثقة التمتع وفيه من الاقنات من النجاة ما لا ينفق كانه قبل اذ قد ايت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة من حقل ان تؤمر بركه لتذوق عقوبته (امن هو قانت آما الليل) الخ من تمام الكلام المأمورية واما متصلة قد حذف معادلها تقة بدلالة مساق الكلام عليه كانه قيل له تأكيد التهديد وتهكيبه آت احسن حالا وما لا ام من هو قائم بواجب الطاعات ودائم على اداء وظائف العبادات في ساعات الليل حالي السراء والضراء لا عند مساس الضرر فقط كذا بك حال كونه (ساحدا وقائما) اي جامع بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه اد حل في معنى العبادة وقرئ كلاهما بالرفع على انه خبر بعد خبر (يخبر بالآخرة) حال اخرى على الترادف والتداخل اواستئناف وقع جوابا عما نشأ



سلطان فعلى هذا التقدير قوله ولا يرضى لعباده الكفر اى ولا يرضى للمؤمنين الكفر وذلك لا يضرنا (الثاني) انا نقول الكفر بأرادة الله تعالى ولا نقول انه يرضى الله لان الرضا عبارة عن المدح عليه والثناء بفعله قال الله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اى مدحهم وبني عليهم (الثالث) كان الشيخ الوالد ضياء الدين عمر رحمه الله يقول الرضا عبارة عن ترك اللوم والاعتراض وليس عبارة عن الارادة والدليل عليه قول ابن دريد رضىت قسرا وعلى القسر رضا \* من كان ذا سخط على صرف القضا

اثبت الرضا مع القسر وذلك يدل على ما قلناه (والرابع) هب ان الرضا هو الارادة الا ان قوله ولا يرضى لعباده الكفر عام فتخصيصه بالآيات الدالة على انه تعالى يريد الكفر من الكافر كقوله تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله والله اعلم ثم قال تعالى وان تشكروا يرضه لكم والمراد انه لما بين انه لا يرضى الكافرين انه يرضى الشكر وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اختلف القراء في هاء يرضه على ثلاثة اوجه (احدها) قرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وعاصم وجريرة بضم الهاء مخشعة غير مشبعة (وثانيها) قرأ ابو عمرو وجريرة في بعض الروايات يرضه ساكنة الهاء التخفيف (وثالثها) قرأ نافع في بعض الروايات وابن كثير وابن عامر والكسائي مضومة الهاء مشبعة قال الواحدى رحمه الله من القراء من اشبع الهاء حتى الحق بها واوا لان ما قبل الهاء متحرك فصار بمنزلة ضربه وله فكهان هذا مشبع عند الجميع كذلك يرضه ومنهم من حرك الهاء ولم يلحق الواو لان الاصل يرضاه والالف المحذوفة للجرم ليس يلزم حذفها فكانت كالباقية ومع بقاء الالف لا يجوز ابات الواو فكذا ههنا (المسئلة الثانية) الشكر حالة مركبة من قول واعتقاد وعمل (اما القول) فهو الاقرار بمحصول النعمة (واما الاعتقاد) فهو اعتقاد صدور النعمة من ذلك الممع ثم قال تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى قال الجبائى هذا يدل على انه تعالى لا يعذب احدا على فعل غيره فلو فعل الله كفرهم لما جاز ان يعذبهم عليه وايضا لا يجوز ان يعذب الاولاد بذنوب الآباء بخلاف ما يقول القوم واحتج ايضا من انكروا جوب ضرب الدية على العاقلة بهذه الآية ثم قال تعالى ثم الى ربكم مرجعكم واعلم انا ذكرنا كثيرا ان اهم المطالب للانسان ان يعرف خالقه بقدر الامكان وان يعرف ما يضره وما ينفعه في هذه الحياة الدنيوية وان يعرف احواله بعد الموت ففي هذه الآية ذكر الدلائل الكثيرة من العالم الاعلى والعالم الاسفل على كمال قدرة الصانع وعلمه وحكمته ثم اتبعه بان امره بالشكر ونهاه عن الكفر ثم بين احواله بعد الموت بقوله ثم الى ربكم مرجعكم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) المشبه تمسكوا بلفظ الى على ان اله العالم في جهة وقد احبنا عند مرارا (المسئلة الثانية) زعم القوم ان هذه ارواح كانت موجودة قبل الاجساد وتمسكوا بلفظ الرجوع الموحد في هذه الآية وفي سائر الآيات (المسئلة الثالثة) دلت هذه الآية على ابات البعث والقيامة ثم قال فينثكم بما كنتم تعملون وهذا تهديد للعاصي وبشارة

من حكاية حاله من القنوت والسجود والقيام كما نهى عن القيل ماله يعمل ذلك فليل يعذر عذاب الآخرة (ويروى رجة ربه) فيجوز ذلك مما يحذر ويفوز بما يرجوه كما ينبغي عنه التعرض لعنوان الرتبة المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضمير الراى لانه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط واما مقطعة وما فيها من الاضرار للانتقال من التهديد الى التوبيخ بتكليف الجواب الملبى الى الاعتراف بما بينهما من التباين بين كانه قبل بل آمن هو كانت الح افضل ام من هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف (قل) بيان للحق وتنبها على شرف العلم والعمل (هل يستوى الذين يعلمون) حقائق الاحوال فيعملون بموجب علمهم كالقالت المذكور (والذين لا يعلمون) اى ما ذكر اوشيا فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدأبك والاستفهام للتنبيه على ان كون الاولين في اعلى معارج الخير وكون الآخرين في اقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احدهم منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه اى كما لا يستوى العالمون والمجاهلون لا يستوون القانتون والعاصون وقوله تعالى (انما يذكر أولو اللباب) كلام مستقل غير داخل



للمطيع وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور كالعلة لما سبق يعنى انه انما يمكنه ان ينبتكم  
بأعمالكم لانه عالم بجميع المعلومات فيعلم ما فى قلوبكم من الدواعى والصوارف وقال  
صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى افعالكم ولكن ينظر الى قلوبكم  
وأعمالكم \* قوله تعالى ( واذمنا الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمته منه  
نسى ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل الله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك  
من اصحاب النار أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه  
قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولو الالباب ) واعلم ان الله  
تعالى لما بين فساد القول بالشرك وبين ان الله تعالى هو الذى يجب أن يعبد بين هذه  
الآية ان طريقة هؤلاء الكفار الذين يعبدون الاصنام متناقضة وذلك لانهم اذا سبهم  
نوع من انواع الضر لم يرجعوا فى طلب دفعه الا الى الله واذ ازال ذلك الضر عنهم رجعوا  
الى عبادة الاصنام ومعلوم انهم انما رجعوا الى الله تعالى عند حصول الضر لانه هو القادر  
على اىصال الخير ودفع الضر واذ عرفوا ان الامر كذلك فى بعض الاحوال كان الواجب  
عليهم ان يعترفوا به فى كل الاحوال فثبت ان طريقهم فى هذا الباب متناقضة اما قوله  
تعالى واذمنا الانسان فليل المراد بالانسان اقوام معينون مثل عتبة بن ربيعة وغيره  
وقيل المراد به الكافر الذى تقدم ذكره لان الكلام يخرج على معهود تقدم واما قوله ضر  
فيدخل فيه جميع المكروه سواء كان فى جسمه او فى ماله أو أهله او ولده لان اللفظ مطلق فلا  
معنى للتقييد ودعا ربه اى استجار بربه وناداه ولم يؤمل فى كشف الضر سواء فلذلك قال  
منيبا اليه اى راجعا اليه وحده فى ازالة ذلك الضر لان الانابة هى الرجوع ثم اذا خوله  
نعمته منه اى اعطاه قال صاحب الكشاف وفى حقيقته وجهان ( احدهما ) جعله خائل  
مال من قولهم هو خائل مال وخال مال اذا كان متعهده حسن القيامه ومنه ما روى عن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يخول اصحابه بالموعظة ( والثانى ) جعله يخول من  
خال يخول اذا اختال واقتحى وفى المعنى قالت العرب \* ان الغنى طويل الذيل مياس \*  
ثم قال تعالى نسي ما كان يدعوا اليه من قبل اى نسي ربه الذى كان يتضرع اليه ويبتل اليه  
وما معنى من كقوله تعالى وما خلق الذكرو الانثى وقوله تعالى ولا اتم عابدون ما عبدوا قوله  
تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقيل نسي الضر الذى كان يدعوا الله الى كشفه  
والمراد من قوله نسي اى ترك دعاءه كما انه لم يفرغ الى ربه ولو اراد به النسيان الحقيقي لما ذمه  
عليه ويحتمل ان يكون المراد انه نسي ان لا يفرغ وان لا اله سواه فعاد الى اتخاذ الشركاء  
مع الله ثم قال تعالى وجعل الله اندادا ليضل عن سبيله وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قرأ  
ابن كثير وابو عمرو ليضل بفتح الياء والباقون ليضل بضم الياء على معنى ليضل غيره  
( المسئلة الثانية ) المراد انه تعالى يحب العقلاء من مناقضتهم عند هاتين الحالتين فعند  
الضر يعتقدون انه لا مفرغ الى ما سواه وعند النعمة يعودون الى اتخاذ آلهة معه

فهذا الكلام المأمور به وارد من  
جهته تعالى بعد الامر بما ذكر  
من القوارع الزاجرة عن الكفر  
والمعاصى لبيان عدم تأثيرها فى  
قلوب الكفرة لا اختلال عقولهم  
كما فى قول من قال  
عوجوا فحيمو النعمى دمنة الدار  
ماذا تحبون من نوى واحجار  
اى انما تعطى هذه البيانات الواضحة  
اصحاب العقول الخالصة عن  
شوائب الحلل وهؤلاء بمنزل  
من ذلك وقرئ انما يذكر بالادغام  
( قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا  
وبكم ) امر رسول الله صلى الله  
عليه وسلم بتذكير المؤمنين وحثهم  
على التقوى والطاعة اثر تخصيص  
التذكر بأولى الالباب اذا ما  
بانهم هم كما يصرح به اى قل لهم  
قولى هذا لعينته وفيه تشرىف لهم  
باضافتهم الى ضمير الجلالة ومن يد  
اعتنا بشأن المأمور به فان نقل  
عين امر الله ادخل فى ايجاب  
الامتثال به وقوله تعالى ( للذين  
احسنوا ) تعليل للاسرا ولو جوب  
الامتثال به وايراد الاحسان فى  
حيث الصلة دون التقوى للايدان  
بأنه من باب الاحسان وانهما  
متلازمان وكذا الصبر كما مر فى  
قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا  
والذين هم محسنون وفى قوله  
تعالى انه من تقى ويصبر فان الله  
لا يضيع اجر المحسنين وقوله  
تعالى ( فى هذه الدنيا ) منعلق  
بأحسنوا اى عملوا الاعمال  
الحسنة فى هذه الدنيا على

ومعلوم انه تعالى اذا كان انما يفرغ اليه في حال الضر لاجل انه هو القادر على الخبير  
والشر وهذا المعنى باق في حال الراحة والفراخ كان في تقرير حالهم في هذين الوقتين  
ما يوجب المناقضة وقلة العقل (المسئلة الثالثة) معنى قوله ليضل عن سبيله انه لا يقتصر  
في ذلك على ان يضل نفسه بل يدعوه غيره اما بفعله او قوله الى ان يشاركه في ذلك فيزداد انما  
على ائمه واللام في قوله ليضل لام العاقبة كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا  
وحزنا ولما ذكر الله تعالى عنهم هذا الفعل المتناقض هدهم فقال قل تمتع بكفرك قليلا  
وليس المراد منه الامر بل الزجر وأن يعرفه قلة تمتعه في الدنيا ثم يكون مصيره الى النار ولما  
شرح الله تعالى صفات المشركين والضالين ثم تمسكهم بغير الله تعالى أردفه بشرح احوال  
الحقنين الذين لا رجوع لهم الا الى الله ولا اعتماد لهم الا على فضل الله فقال أمن هو قانت  
آثما الليل ساجدا قائما وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ نافع وابن كثير وحزرة أمن محفظة  
الميم والباقون بالتشديد اما التخفيف فقيه وجهان (الاول) ان الالف الف الاستفهام  
داخلة على من والجواب محذوف على تقدير كن ليس كذلك وقيل كالذي جعل الله أندادا  
فاكتفى بما سبق ذكره (والثاني) ان يكون الفنداء كأنه قيل يا من هو قانت أنت من اهل  
الجنة واما التشديد فقال الفراء الاصل أم من فادغمت الميم في الميم وعلى هذا القول هي  
أم التي في قولك أزيد افضل أم عمرو (المسئلة الثانية) القانت القائم بما يجب عليه من  
الطاعة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة صلاة القنوت وهو القيام فيها ومنه  
القنوت في الصبح لانه يدعو قائما عن ابن عمر رضى الله عنه انه قال لا اعلم القنوت الا قراءة  
القرآن وطول القيام وتلا أمن هو قانت وعن ابن عباس القنوت طاعة الله لقوله كل له  
قانتون اى مطيعون وعن قتادة آثما الليل ساعات الليل اوله ووسطه وآخره وفي هذه  
اللفظة تنبيه على فضل قيام الليل وانه ارجح من قيام النهار ويؤكد وجوه (الاول) ان  
عبادة الليل استمر عن العيون فتكون ابعد عن الرياء (الثاني) ان الظلمة تمتنع من الابصار  
ونوم الخلق يمنع من السماع فاذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية عاد  
الى المطلوب الاصلى وهو معرفة الله وخدمته (الثالث) ان الليل وقت النوم فتزكك يكون  
اشق فيكون النواب أكثر (الرابع) قوله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قليلا  
وقوله ساجدا حال وقرى ساجدا قائما على انه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين واعلم  
ان هذه الآية دالة على اسرار عجبية فأولها انه بدأ فيها بذكر العمل وختم فيها بذكر العلم اما  
العمل فكونه قائما ساجدا قائما واما العلم فقوله هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون  
وهذا يدل على ان كمال الانسان محصور في هذين المقصودين فالعمل هو البداية والعلم  
والمكاشفة هو النهاية (الفائدة الثانية) انه تعالى نبه على ان الانتفاع بالعمل انما يحصل  
اذا كان الانسان مواظبا عليه فان القنوت عبارة عن كون الرجل قائما بما يجب عليه من  
الطاعات وذلك يدل على ان العمل انما يفيد اذا واطب عليه الانسان وقوله ساجدا قائما

وجه الاخلاص وهو الذى عبر  
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
حين سئل عن الاحسان بقوله عليه  
السلام ان تعبد الله كأنك تراه  
فان لم تكن تراه فانه يراك (حسنة)  
اى حسنة عظيمة لا يكتنه كتبها  
وهى الجنة وقيل هو متعلق بحسنة  
على انه بيان لمكانها او حال من  
ضميرها في الطرف فالمراد بها  
حينئذ الصحة والعافية (وارضى الله  
واسعة) فمن تعمس عليه التوفر  
على التقوى والاحسان في وطنه  
فلبها اجر الحى حيث يشكن فيه من  
ذلك كما هو سنة الانبياء والصالحين  
فانه لا عذر له في التفريط أصلا  
وقوله تعالى (انما يوفى الصابرون)  
الح ترغيب في التقوى للأمور بها  
واينار الصابرين على المتقين  
للايدان بأنهم حازون لفضية  
الصبر كحيازتهم لفضية الاحسان  
لما اشير اليه من استلزام التقوى  
لهمامع ما فيه من زيادة حن على  
المصابرة والمجاهدة في حمل مشاق  
المهاجرة ومتاعبها اى انما يوفى  
الذين صبروا على دينهم وحافظوا  
على حدوده ولم يفرطوا في مراعاة  
حقوقه لما اعتراهم في ذلك من  
فنون الآلام والبلايا التي من  
جلتها مهاجرة الاهل ومفارقة  
الايوان (أجرهم) بمقابلة  
ما كابدوا من الصبر (بغير حساب)  
اى بحيث لا يحصى ولا يحصى  
عن ابن عباس رضى الله عنهما  
لا يهتدى اليه حساب الحساب  
ولا يعرف

إشارة إلى أصناف الأعمال وقوله يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه إشارة إلى أن الإنسان عند المواظبة ينكشف له في الأول مقام القهر وهو قوله يحذر الآخرة ثم بعده مقام الرحمة وهو قوله ويرجو رحمة ربه ثم يحصل أنواع المكاشفات وهو المراد بقوله هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (الفائدة الثالثة) أنه قال في مقام الخوف يحذر الآخرة فإضاف الحذر إلى نفسه وفي مقام الرجاء أضافه إلى نفسه وهذا يدل على أن جانب الرجاء أكمل وألحق بحضرة الله تعالى (المسئلة الثالثة) قيل المراد من قوله آمن هو قانت آناء الليل عثمان لأنه كان يحى الليل في ركعة واحدة ويقرأ القرآن في ركعة واحدة والصحيح أن المراد منه كل من كان موصوفا بهذه الصفة فيدخل فيه عثمان وغيره لأن الآية غير مقصورة عليه (المسئلة الرابعة) لاشبهة في أن في الكلام حذفا والتقدير آمن هو قانت كغيره وإنما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه لأنه تعالى ذكر قبل هذه الآية الكافر وذكر بعدها قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وتقدير الآية قل هل يستوى الذين يعلمون وهم الذين صفتهم أنهم يقتنون آناء الليل سجدا وقياموا الذين لا يعلمون وهم الذين وصفهم عند البلاء والخوف يوحدون وعند الراحة والفراسة يشركون فاذا قدرنا هذا التقدير ظهر المراد وإنما وصف الله الكفار بأنهم لا يعلمون لأنهم وإن آتاهم الله آله العلم الأنهم أعرضوا عن تحصيل العلم فلهذا السبب جعلهم كأنهم ليسوا أولى الأبواب من حيث أنهم لم ينتفعوا بعقولهم وقلوبهم وأما قوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فهو تنبيه عظيم على فضيلة العلم وقد بالغنا في تقرير هذا المعنى في تفسير قوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها قال صاحب الكشف أراد بالذين يعلمون الذين سبق ذكرهم وهم القانتون وبالذين لا يعلمون الذين لا يتأتون بهذا العمل كأنه جعل القائتين هم العلماء وهو تنبيه على أن من لم يعمل فهو غير عالم ثم قال وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يفتنون ويتفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة ثم قال تعالى أنما يتذكر أولوا الأبواب يعني هذا التفاوت العظيم الحاصل بين العلماء والجهال لا يعرفه أيضا الأولوا الأبواب قيل لبعض العلماء انكم تقولون العلم أفضل من المال ثم نرى العلماء يحتجتم عند أبواب الملوك ولا نرى الملوك مجتمعين عند أبواب العلماء فأجاب العالم بأن هذا أيضا يدل على فضيلة العلم لأن العلماء علموا ما في المال من المنافع فطلبوه والجهال لم يعرفوا ما في العلم من المنافع فلا جرم تركوه \* قوله تعالى (قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة انما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل اني أخاف أن عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألائك هم الخاسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عبادا فائقون)

وفي الحديث أنه تنصب الموازين يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والنج فيؤتون بها أجورهم ولا تنصب لأهل البلاء بل يصب عليهم الأجر صباح حتى يتنهي أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض ما يذهب به أهل البلاء من الفضل (قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أي من كل ما ينافيه من الشرك والرياء وغير ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ما سر به نفسه من الإخلاص في عبادة الله الذي هو عبارة عما أمر به المؤمنون من التقوى مبالغة في حثهم على الاتيان بما كلفوه وتمهيدا لما يعقبه مما حوطلب به المشركون (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) أي وأمرت بذلك لأجل أن أكون مقدمهم في الدنيا والآخرة لأن إحراز نصب السبق في الدين بالإخلاص فيه والعطف لمعايرة الثاني الأول بتقيده بالعلة والاشعار بأن العبادة المذكورة كما تقتضي الأمر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز أن تجعل اللام مزيدة كما في أردت لأن أقوم بدليل قوله تعالى وأمرت أن أكون أول من أسلم فالعنى وأمرت أن أكون أول من أسلم من أهل زمانى ومن قومي أو أكون أول من دعا غيره إلى ما دعا إليه نفسه (قل اني أحاذن حصيت ربي) بترك الإخلاص والميل إلى ما ألتهم عليه من الشرك

(عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة

وصف بالعظمة لعظمة ما فيه من الدواهي والا هوال (قل الله أعبد) لا غيره لاستقلاله ولا اشتراكا (مخلصه ديني) من كل شوب أمر عليه الصلاة والسلام أولا ببيان كونه مأمورا بعبادة الله تعالى وإخلاص الدين له ثم بالإخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان ثم بالإخبار بمثاله بالأمر على البخل وحده وأكدته إظهارا لتصلبه في الدين وحسما لأطماعهم الفسارعة وتمهيدا لتهديدهم بقوله تعالى (فاعبدوا ما شئتم) ان تعبدوه (من دونه) تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى كأنهم لما ينتهوا عما نهوا عنه أمروا به كي يحل بهم العقاب (قل ان الحاسرين) أي الكاملين في الحسار الذي هو عبارة عن إضاعة ما يهيمه واتلاف ما لا بد منه (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم) باختبارهم الكفر لهما أي أضاعوهما وأنفقوهما (يوم القيامة) حين يدخلون النار حيث عرضوهما للعذاب السرمدى وأوقعوهما في هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا أنفسهم لانهم اكانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم دها بالايا ب بعده وفيه ان المحدور ذهاب مالوآب لا تنفع به الحاسر وذلك غير متصور في لشق الاخير وقيل خسروهم

اعلم انه تعالى لما بين في المساواة بين من يعلم وبين من لا يعلم اتبعه بأن أمر رسوله بأن يخاطب المؤمنين بأنواع من الكلام (الوع الاول) قوله قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم والمراد ان الله تعالى أمر المؤمنين بأن يضموا الى الايمان التقوى وهذا من ادل الدلائل على ان الايمان يبقى مع المعصية قال القاضي امرهم بالتقوى لكيلا يحبطوا ايمانهم لان عند الاتقاء من الكبرياء يسلم لهم الثواب وبالأقدام عليها يحبط فيقال له هذا بأن يدل على ضد قولك اولى لانه لما أمر المؤمنين بالتقوى دل ذلك على انه يبقى مؤمنا مع عدم التقوى وذلك يدل على ان الفسق لا يزيل الايمان واعلم انه تعالى لما أمر المؤمنين بالاتقاء بين لهم ما في هذا الاتقاء من الفوائد فقال تعالى للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة فقلوه في هذه الدنيا يحتمل ان يكون صلة لقلوه احسنوا والحسنة فعلى التقدير الاول معناه للذين احسنوا في هذه الدنيا كلهم حسنة في الآخرة وهى دخول الجنة والتشكير في قوله حسنة للتعظيم يعنى حسنة لا يصل العقل الى كنهه كما لها واما على التقدير الثانى فمعناه الذين احسنوا فلهم في هذه الدنيا حسنة والقائلون بهذا القول قالوا هذه الحسنة هى الصحة والعافية واقول الاولى ان تحمل على الثلاثة المذكورة في قوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ليس لنهايتها الامن والصحة والكفاية ومن الناس من قال القول الاول اولى ويدل عليه وجوه (الاول) ان التشكير في قوله حسنة يدل على النهاية والجلالة والرفعة وذلك لا يليق باحوال الدنيا فانها خسيسة ومنقطعة وانما يليق بأحوال الآخرة فانها شريفة وآمنة من الانقضاء والانقراض (والثانى) ان ثواب المحسن بالتوحيد والاعمال الصالحة انما يحصل في الآخرة قال تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وايضا فنعمة الدنيا من الصحة والامن والكفاية حاصلة للكفار وايضا فحصولها للكافر اكثر واتم من حصولها للمؤمن كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال تعالى جعلنا لمن يكفر بالرحن لبسوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهر (الثالث) ان قوله للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة يفيد الحصر بمعنى انه يفيد ان حسنة هذه الدنيا لا تحصل الا للذين احسنوا وهذا باطل اما لو جملنا هذه الحسنة على حسنة الآخرة صح هذا الحصر فكان حله على حسنة الآخرة اولى ثم قال الله تعالى وارضى الله واسعة وفيه قولان (الاول) المراد انه لا عذر البتة للقصرين في الاحسان حتى انهم ان اعتلوا بأوطانهم وبلادهم وانهم لا يتمكنون فيها من التوفرة على الاحسان وصرف الهمم اليه قل لهم فان ارض الله واسعة وبلاده كثيرة فتحولوا من هذه البلاد الى بلاد تقدر فيها على الاشتغال بالطاعات والعبادات واقتدوا بالانبياء والصالحين في مهاجرتهم الى غير بلادهم ليردادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم والمقصود منه الترضيب في الهجرة من مكة الى المدينة والصبر على مفارقة الوطن ونظيره قوله تعالى قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن ارض الله واسعة

لأنهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم أهل في الجنة وخسروا أهلهم الذين كانوا يتبعون بهم لو آمنوا وإيما كان فليس المراد مجرد تمر يف الحسرن في الحسرن بحد كريل بيان أنهم هم ما يجعل الموصول عبارة عنهم أو معاهم مندرجون فيه اندراجا أوليا وما في قوله تعالى (ألا ذلك هو الحسرن المبين) من استثناء الجنة وتصديرها بحرف التنبيه والاشارة بذلك الى بعد مثله المشار اليه في الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعر يف الحسرن ووصفه بالمبين من الدلالة على كمال هوله وفطاعته وانه لا خسرن وراءه ما لا يخفى وقوله تعالى (لهم من فوقهم ظلل من النار) الخ نوع بيان لخسرنهم بعد تحويله لطريق الايهام على ان لهم خبر لظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف قيل هو حال من ظلل والظاهر انه حال من الضمير في الطرف المقدم ومن النار صفة لظلل اي لهم كأنهم فوقعهم ظلل كثيرة متراكبة بعضها فوق بعض كأنهم من النار (ومن تحتهم) ايضا (ظلل) اي اطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلل لآخرين بل لهم ايضا عند ترويضهم في دركاتنا (ذلك) العذاب الفظيع هو الذي (تخوف الله به عباده) ويحذرهم اياه بآيات الوعيد ليبتعدوا ما يوقعهم فيه (يا عباده فاتقوا) ولا تعرضوا لما يوجب سخطي وهذه غطة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف والمرجة

قهاجروا فيها (والقول الثاني) قال ابو مسلم لا يمنع ان يكون المراد من الارض ارض الجنة وذلك لانه تعالى امر المؤمنين بالتقوى وهي خشية الله ثم بين ان من اتقى فله في الآخرة الحسنة وهي الخلود في الجنة ثم بين ان ارض الله اى جنته واسعة لقوله تعالى تنبأ من الجنة حيث نشاء وقوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين (والقول الاول) عندى اولى لان قوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب لا يليق الا بالاول وفي هذه الآية مسائل (المسئلة الاولى) اما تحقيق الكلام في ماهية الصبر فقد ذكرناه في سورة البقرة والمراد ههنا بالصابرين الذين صبروا على مفارقة اوطانهم وعشائرتهم وعلى تجرع الغصص واحتمال البلاء في طاعة الله تعالى (المسئلة الثانية) تسمية المسافع التي وعد الله بها على الصبر بالاجر توهم ان العمل على الثواب لان الاجر هو المستحق الا انه قامت الدلائل القاهرة على ان العمل ليس عليه الثواب فوجب حل لفظ الاجر على كونه اجرا بحسب الوعد لا بحسب الاستحقاق (المسئلة الثالثة) انه تعالى وصف ذلك الاجر بأنه بغير حساب وفيه وجوه (الاول) قال الجبائي المعنى انهم يعطون ما يستحقون ويزدادون تفضلا فهو بغير حساب ولولم يعطوا الا المستحق لكان ذلك حسابا قال القاضي هذا ليس بصحيح لان الله تعالى وصف الاجر بأنه بغير حساب ولولم يعطوا الا الاجر المستحق والاجر غير التفضل (الثاني) ان الثواب له صفات ثلاثة (احدها) انها تكون دائمة الاجر لهم وقوله بغير حساب معناه بغير نهاية لان كل شيء دخل تحت الحساب فهو متناه فالانهاية له كان خارجا عن الحساب (وثانيها) انها تكون منافع كاملة في انفسها وعقل المطيع ما كان يصل الى كنه ذلك الثواب قال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكل ما يشاهدونه من انواع الثواب وجدوه ازيد مما تصوره وتوقعوه وما لا يتوقعه الانسان فقد يقال انه ليس في حسابها فقوله بغير حساب محمول على هذا المعنى (الوجه الثالث) في التأويل ان ثواب اهل البلاء لا يقدر بالميزان والكيال روى صاحب الكشاف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصوب عليهم الاجر صبا قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب حتى يتنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض لما به اهل البلاء من الفضل (النوع الثاني) من البيانات التي امر الله رسوله ان يذكرها قوله تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين قال مقاتل ان كفار قريش قالوا لى صلى الله تعالى عليه وسلم ما يحملك دلى هذا الدين الذي آتينا به الانتظر الى ملة ابيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فأتزل الله قل يا محمد اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين واقول ان التكليف نوعان (احدهما) الامر بالاحتراز عما لا ينبغي (والثاني) الامر بتحصيل

ما ينبغي والمرتبة الاولى مقدمة على المرتبة الثانية بحسب الرتبة الواجبة اللازمة اذا ثبت هذا فنقول انه تعالى قدم الامر بازالة ما لا ينبغي فقال اتقوا ربكم لان التقوى هي الاحتراز عما لا ينبغي ثم ذكر عقبيه الامر بتحصيل ما ينبغي فقال انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وهذا يشتمل على قيدين ( احدهما ) الامر بعبادة الله ( والثاني ) كون تلك العبادة خالصة عن شوائب الشرك الجلى وشوائب الشرك الخفى وانما خص الله تعالى الرسول بهذا الامر لينبه على ان غيره بذلك احق فهو كالترغيب للغير وقوله تعالى وأمرت لان أكون اول المسلمين لاشبهه في ان المراد انى اول من تمسك بالعبادات التى ارسلت بها وفي هذه الآية قائدتان ( الفائدة الاولى ) كانه يقول انى لست من الملوك الجبارة الذين يأمرون الناس باشياء وهم لا يفعلون ذلك بل كل ما امرتكم به فأنا اول الناس شروما فيه واكثرهم مداومة عليه ( الفائدة الثانية ) انه قال انى امرت ان اعبد الله والعبادة لها ركنان عمل القلب وعمل الجوارح وعمل القلب اشرف من عمل الجوارح فقدم ذكر الجزء الاشرف وهو قوله مخلصا له الدين ثم ذكر عقبيه الادون وهو عمل الجوارح وهو الاسلام فان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الاسلام في خبر جبريل عليه السلام بالاعمال الظاهرة وهو المراد بقوله في هذه الآية وامرت لان اكون اول المسلمين وليس لقائل ان يقول ما الفائدة في تكرير لفظ امرت لاننا نقول ذكر لفظ امرت اولاً في عمل القلب وثانياً في عمل الجوارح ولا يكون هذا تكريراً ( الفائدة الثالثة ) في قوله وامرت لان اكون اول المسلمين التنبيه على كونه رسولا من عند الله واجب الطاعة لان اول المسلمين في شرائع الله لا يمكن ان يكون الرسول الله لان اول من يعرف تلك الشرائع والتكاليف هو الرسول المبلغ ولما بين الله تعالى امره بالاخلاص بالقلب وبالاعمال المخصوصة وكان الامر يحتمل الوجوب ويحتمل الدببين ان ذلك الامر للوجوب فقال قل انى اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وفيه فوائد ( الفائدة الاولى ) ان الله امر محمدا صلى الله عليه وسلم ان يجرى هذا الكلام على نفسه والمقصود منه المبالغة في زجر الغير عن المعاصي لانه مع جلالة قدره وشرف نبوته اذا وجب ان يكون خائفا حذرا عن المعاصي فغيره بذلك اولى ( الفائدة الثانية ) دلت الآية على ان المرتب على المعصية حصول العقاب بل الخوف من العقاب وهذا يطابق قولنا ان الله تعالى قد يعفو عن المذنب والكبيرة فيكون اللازم عند حصول المعصية هو الخوف من العقاب لانفس حصول العقاب ( الفائدة الثالثة ) دلت هذه الآية على ان ظاهر الامر للوجوب وذلك لانه قال في اول الآية انى امرت ان اعبد الله ثم قال بعده قل انى اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فيكون معنى هذا العصيان ترك الامر الذى تقدم ذكره وذلك يقتضى ان يكون تارك الامر ماصيا والمعاصي يترتب عليه الخوف من العقاب ولا معنى للوجوب الا ذلك ( النوع الثالث ) من الاشياء التى امر الله رسوله ان

وقرى يا عبادى (والذين اجتنبوا الطاعات) اى البالغ اقصى غاية الطغيان فعلت منه بتقديم اللام على العين بنى للمبالغة فى المصدر كالرجوت والعظمت ثم وصف به للمبالغة فى النعت والمراد به هو الشيطان (ان يعبدوها) بدل الاستئثار منه فان عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان اذ هو الامر بها والمزنى لها (وانابوا الى الله) وأقبلوا اليه معرضين عما سواه اقبالا كلياً ( لهم الشرى ) بالثواب على السنة

بذكرها قوله قل الله اعبد مخلصا له ديني فان قيل ما معنى التكرير في قوله قل اني امرت ان  
أعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله أعبد مخلصا له ديني قلنا هذا ليس بتكرير لان الاول  
اخبار بأنه مأمور من جهة الله بالآتيان بالعبادة والثاني اخبار بأنه امر بأن لا يعبد  
احدا غير الله وذلك لان قوله امرت ان أعبد الله لا يفيد الحصر وقوله تعالى قل الله  
اعبد يفيد الحصر يعنى الله أعبد ولا اعبد احدا سواه والدليل عليه انه لما قال بعده  
قل الله اعبد قال بعده فاعبدوا ما شئتم من دونه ولا شبهة في ان قوله فاعبدوا ما شئتم  
من دونه ليس امرا بل المراد منه ان اجركاؤه يقول لما بلغ البيان في وجوب رعاية التوحيد  
الى الغاية القصوى فبعد ذلك انتم اعرف بانفسكم ممن تعالى كمال ان اجرك بقوله قل ان  
الخاسرين الذين خسروا انفسهم لوقوعها في هلاك لا يعقل هلاك اعظم منه وخسروا  
اهلهم ايضا لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا  
من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده البتة وقال ابن عباس ان لكل  
رجل منزلا وأهلا وخداما في الجنة فان اطاع اعطى ذلك وان كان من اهل النار حرم  
ذلك فحسرت نفسه واهله ومنزله وورثه غيره من المسلمين والخاسر المغبون ولما شرح الله  
خسرانهم وصف ذلك الخسران بغاية الفظاعة فقال ألا ذلك هو الخسران المبين كان  
التكرير لاجل التأكيد (الثاني) انه تعالى ذكر في اول هذه الكلمة حرف ألا وهو  
للتنبيه وذكر التنبيه في هذا الموضع يدل على التعظيم كما انه قيل انه بلغ في العظمة الى  
حيث لا تصل عقولكم اليها فتنهوا لها (الثالث) ان كلمة هو في قوله هو الخسران المبين  
تفيد الحصر كما انه قيل كل خسران فانه يصير في مقابلته كلا خسران (الرابع) وصفه  
بكونه ميّنا يدل على التهويل واقول قدينا ان لفظ الآية يدل على كونه خسرانا ميّنا  
فلتبين بحسب المباحث العقلية كونه خسرانا ميّنا واقول نفتقر الى بيان امرين الى  
بيان كونه خسرانا ثم الى بيان كونه ميّنا (اما الاول) فتقريره انه تعالى اعطى هذه  
الحياة واعطى العقل واعطى المكنة وكل ذلك رأس المال اما هذه الحياة فالقصد منها  
ان يكتسب فيها الحياة الطيبة في الآخرة واما العقل فانه عبارة عن العلوم البديهيّة  
وهذه العلوم هي رأس المال والظن والفكر لا معنى له الا ترتيب علوم ليتوصل بذلك  
الترتيب الى تحصيل علوم كسبية فتلك العلوم البديهيّة المسماة بالعقل رأس المال وتركيبها  
على الوجوه المحصورة يشبه تصرف التاجر في رأس المال وتركيبها على الوجوه  
بالباع والسراء وحصول العلم بالنتيجة يشبه حصول الربح وايضا حصول القدرة  
على الاعمال يشبه رأس المال واستعمال تلك القوة في تحصيل اعمال البر والخير يشبه  
تصرف التاجر في رأس المال وحصول اعمال الخير والبر يشبه الربح اذا ثبت هذا فقول  
ان من اعطاه الله الحياة والعقل والتمكّن ثم انه لم يستفد منها لا معرفة الحق ولا عمل  
الخير البتة كان محروما عن الربح بالكلية واذا مات فقد ضاع رأس المال

الرسالة الملائكة عند حضور  
الموت وحين يمضون وبعد  
ذلك ( فيشر عبادى الدين  
يستمعون القول فيتبعون أحسنه )  
هم الموصوفون بالاجتناب  
والانابة باعينهم لكن وضع موضع  
ضميرهم الظاهر تشريعا لهم  
بالإضافة ودلالة على ان مدار  
اتصافهم بالوصفين الخليلين  
كونهم تقادى الدين يميزون الحق  
من الباطل ويؤثرون الافضل  
فالافضل (اولئك) اشارة لهم



بالكلية فكان ذلك خسرانا فهذا بيان كونه خسرانا (واما الثاني) وهو بيان كون ذلك الخسران مبينا فهو ان من لم يربح الزيادة ولكنه مع ذلك سلم من الآفات والمضار فهذا كالم يحصل له من ينفع لم يحصل له ايضا من يضرر اما هؤلاء الكفار فقد استعملوا عقولهم التي هي رأس مالهم في استخراج وجوه الشبهات وتقوية الجهالات والضلالات واستعملوا قواهم وقدرهم في افعال الشر والباطل والفساد فهم قد جعوا بين أمور في غاية الرذالة (اولها) انهم اتبعوا ابدانهم وعقولهم طلبا في تلك العقائد الباطلة والاعمال الفاسدة (وثانيها) انهم عند الموت يضيع عنهم رأس المال من غير فائدة (وثالثها) ان تلك المتاعب الشديدة التي كانت موجودة في الدنيا في نصرة تلك الضلالات تصير أسبابا للعقوبة الشديدة والبلاء العظيم بعد الموت وعند الوقوف على هذه المعاني يظهر انه لا يعقل خسران اقوى من خسرانهم ولا حرمان اعظم من حرمانهم ونعوذ بالله منه ولما شرح الله تعالى احوال حرمانهم عن الربح وبين كيفية خسرانهم بين انهم لم يقتصروا على الحرمان والخسران بل ضموا اليه استحقاق العذاب العظيم والعقاب الشديد فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل والمراد احاطة النار بهم من جميع الجوانب ونظيره في الاحوال النفسانية احاطة الجهل والحرمان والحرص وسائر الاخلاق الذميمة بالانسان فان قيل الظل ما على الانسان فكيف سمي ماتحته بالظل والجواب من وجوه (الاول) انه من باب اطلاق اسم احد الضدين على الآخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (الثاني) ان الذي يكون تحته يكون ظلة لانسان آخر تحته لان النار دركات كما ان الجنة درجات (الثالث) ان الظلة التحتانية اذا كانت مشابهة للظلة الفوقانية في الحرارة والاحراق والايذاء اطلق اسم أحدهما على الآخر لاجل المماثلة والمشاكلة قال الحسن هم بين طبقتين من النار لا يدرون ما فوقهم أكثر مما تحتهم ونظير هذه الآية قوله تعالى يوم ينشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ثم قال تعالى ذلك يخوف الله به عباده أي ذلك الذي تقدم ذكره من وصف العذاب فقوله ذلك مبتدأ وقوله يخوف الله به عباده خبر وفي قوله يخوف الله به عباده قولان (الاول) التقدير ذلك العذاب المعد للكفار هو الذي يخوف الله به عباده أي المؤمنين لا نبينا ان لفظ العباد في القرآن مختص بأهل الايمان وانما كان تخويفا للمؤمنين لاجل انهم اذا سمعوا ان حال الكفار ما تقدم خافوا فأخلصوا في التوحيد والطاعة (الوجه الثاني) ان هذا الكلام في تقدير جواب عن سؤال لانه يقال انه تعالى غنى عن العالمين منزّه عن الشهوة والانتقام وداعية الايذاء فكيف يليق به ان يعذب هؤلاء المساكين الى هذا الحد العظيم وأجيب عنه بأن المقصود منه تخويف الكفار والنهي عن الكفر والضلال فاذا كان التكليف لا يتم الا بالتخويف والتخويف لا يكمل الا بالنفع به الا باذخال ذلك الشيء في الوجود وجب ادخال

باعتبار اتصافهم بما ذكر من  
التعوت الحليّة وما فيه من معنى  
البعد للايدان معلوريتهم وبعد  
منزلتهم في الفضل ومحله الرفع  
على الايداء خبره ما بعده من  
الموصول أي اولئك المنعوتون  
بالحاسن الجميلة (الذين هداهم  
الله) للدين الحق (واولئك هم  
اولوا الالباب) أي هم اصحاب  
العقول السليمة عن معارضة الوهم  
ومنازعة الهوى المستحقون  
للهداية

ذلك النوع من العذاب في الوجود تحصيل لذلك المطلوب الذي هو التكليف والوجه الاول عندى اقرب والدليل عليه انه قال بعده يا عبادى فاتقون وقوله يا عباد الاظهر منه ان المراد منه المؤمنون فكأنه قبل المقصود من شرح عذاب الكفار للمؤمنين تخويف المؤمنين فبايها المؤمنون بالغوا في الخوف والحذر والتقوى \* قوله تعالى (والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانا بوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب أفنحق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ) اعلم ان الله تعالى لما ذكر وعيد عبدة الاصنام والاونان ذكر وعد من اجتنب عبادتها واحترز عن الشرك ليكون الوعد مقرونا بالوعيد ابدا فيحصل كمال الترغيب والترهيب وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشاف الطاغوت فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحوت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين وفي هذا اللفظ انواع من المبالغة (احدها) التسمية بالمصدر كان عين ذلك الشيء الطغيان (وبايها) ان البناء بناء المبالغة فان الرحوت الرحة الواسعة والملكوت الملك المبسوط (وبالثا) ما ذكرنا من تقديم اللام على العين ومثل هذا انما يصار اليه عند المبالغة (المسئلة الثانية) اختلفوا في أن المراد من الطاغوت ههنا الشيطان أم الاوثان فقيل انه الشيطان فان قيل انهم ماعبدوا الشيطان وانما عبدوا الصنم قلنا الداعي الى عبادة الصنم لما كان هو الشيطان كان الاقدام على عبادة الصنم عبادة للشيطان وقيل المراد بالطاغوت الصنم وسميت طواغيت على سبيل المجاز لانه لافعل لها والطغاة هم الذين يعبدونها الا انه لما حصل الطغيان عند مشاهدتها والقرب منها وصفت بهذه الصفة اطلاقا لاسم المسبب على السبب بحسب الظاهر وقيل كل ما يعبد ويطاع من دون الله فهو طاغوت ؛ ويقال في التواريخ ان الاصل في عبادة الاصنام ان القوم كانوا مشبهة اعتقدوا في الاله انه نور عظيم وفي الملائكة انها انوار مختلفة في الصغر والكبر فوضعوا تماثيل وصورا على وفق تلك الخيالات فكانوا يعبدون تلك التماثيل على اعتقاد انهم يعبدون الله والملائكة وأقول حاصل الكلام في قوله والذين اجتنبوا الطاغوت اى أعرضوا عن عبودية كل ماسوى الله قوله تعالى وانا بوا الى الله اى رجعوا بالكلية الى الله ورأيت في السفر الخامس من التوراة ان الله تعالى قال لموسى يا موسى أجب الهك بكل قلبك واقول مادام بقى في القلب التفات الى غير الله فهو ما أجب الهه بكل قلبه وانما تحصل الاجابة بكل القلب اذا عرض القلب عن كل ماسوى الله من باب الطاعات فكيف يعرض عما مع انه بالحس يشاهد الاسباب المفضية الى المسببات في هذا العالم قلنا ليس المراد من اعراض القلب عنها ان يقضى عليها بالعدم فان ذلك دخول في السفسطة وهو باطل بل المراد ان

لاغيرهم وفيه دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار) بيان لاحوال اصناد المذكورين على طريقة الاجال وتجييل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت ومتبعو خطواتها كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فان المراد بها قوله تعالى لا بليس لاملائن جهنم منك ومن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى لمن تبعك

يعرف ان واجب الوجود لذاته واحد وان كل ما سواه فانه ممكن الوجود لذاته وكل ما كان  
 ممكنا لذاته فانه لا يوجد الا بتكوين الواجب واجباده ثم انه سبحانه وتعالى جعل تكوينه  
 للاشياء على قسمين منها ما يكون بغير واسطة وهى عالم السموات والروحانيات ومنها ما يكون  
 بواسطة وهو عالم العناصر والعالم الاسفل فاذا عرفت الاشياء على هذا الوجه عرفت ان  
 الكل لله ومن الله وبالله وانه لا مدبر الا هو ولا مؤثر غيره وحينئذ ينقطع نظره عن هذه  
 الممكنات ويبقى مشغول القلب بالمؤثر الاول والموجد الاول فانه ان كان قد وضع الاسباب  
 الروحانية والجسمانية بحيث يتأدى الى هذا المطلوب فهذا الشئ يحصل وان كان قد وضع  
 بحيث لا يفضى الى حصول هذا الشئ لم يحصل وبهذا الطريق ينقطع نظره عن الكل  
 ولا يبقى في قلبه التفات الى شئ الا الى الوجود الاول وقد اتفق انى كنت انصح بعض  
 الصبيان في حفظ العرض والمال فعارضنى وقال لا يجوز الاعتماد على الجد والاجتهاد بل يجب  
 الاعتماد على قضاء الله وقدره فقلت هذه كلمة حقة سمعتها ولكنك ما عرفت معناها وذلك  
 لانه لا شبهة ان الكل من الله تعالى الا انه سبحانه دبر الاشياء على قسمين منها ما جعل حدوده  
 وحصوله معلقا باسباب معلومة ومنها ما يحدثه من غير واسطة هذه الاسباب (اما القسم  
 الاول) فهو حوادث هذا العالم الاسفل (واما القسم الثانى) فهو حوادث هذا العالم الاعلى  
 واذا ثبت هذا فقول من طلب حوادث هذا العالم الاسفل لامن الاسباب التى عينها  
 الله تعالى لها كان هذا الشخص منازما لله فى حكمته مخالفا فى تدبيره فان الله تعالى  
 حكم بحدوث هذه الاشياء بناء على تلك الاسباب المعينة المعلومة وانت تريد تحصيلها  
 لامن تلك الاسباب فهذا هو الكلام فى تحقيق الاعراض عن غير الله والاقبال  
 بالكلية على الله تعالى فقوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت اشارة الى الاعراض عن  
 غير الله وقوله تعالى واتابوا الى الله اشارة الى الاقبال بالكلية على عبادة الله ثم انه تعالى  
 وعد هؤلاء باشياء (احدها) قوله تعالى لهم البشرى واعلم ان هذه الكلمة تتعلق  
 بجهات (احدها) ان هذه البشارة متى تحصل فنقول انها تحصل عند القرب من الموت  
 وعند الوضع فى القبر وعند الخروج من القبر وعند الوقوف فى عرصة القيامة وعند  
 ما يصير فريق فى الجنة وفريق فى السعير وعند ما يدخل المؤمنون الجنة ففى كل موقف  
 من هذه المواقف تحصل البشارة بنوع من الخير والروح والراحة والريحان (وثانيها)  
 ان هذه البشارة فيما ذا تحصل فنقول ان هذه البشارة تحصل بزوال المكروهات  
 وبحصول المراتد اما زوال المكروهات فقوله تعالى ان لا تخافوا ولا تحزنوا واخوف  
 انما يكون من المستقبل والحزن انما يكون بسبب الاحوال الماضية فقوله ان لا تخافوا  
 يعنى لا تخافوا فيما تستقبلونه من احوال القيامة ولا تحزنوا بسبب ما فاتكم من خيرات  
 الدنيا ولما ازال الله عنهم هذه المكروهات بشرهم بحصول الخيرات والسعادات فقال  
 وابسروا بالجنة وقال ايضا فى آية اخرى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم

منهم لا ملأن جهنم منكم اجمعين  
 واصل الكلام امن حق عليه  
 كلمة العذاب فانت تنقذه على انها  
 شرطية دخل عليها الهمزة لانكار  
 مصونها ثم العاء لعطفها على جازية  
 مستتعة لها مقدرة بعد الهمزة  
 ليتعلق الانكار والنفي بضمونها  
 معاى أنت مالك امر الناس فمن  
 حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه  
 ثم كررت الهمزة فى الحركات تأكيد  
 الانكار وتذكيره لما طال الكلام  
 ثم وضع موضع الضمير من فى النار

بين ايديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار وقال ايضا وفيها  
ما تشتهي النفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون (والثالث) ان المبشر من هو فقول  
يحتمل ان يكون هم الملائكة اما عند الموت فقوله الذين تتوفاهم الملائكة طيبين  
يقولون سلام عليكم واما بعد دخول الجنة فقوله الملائكة يدخلون عليهم من كل  
باب سلام عليكم بما صبرتم فتم عقبي الدار ويحتمل ان يكون هو الله سبحانه كما قال نحيتم  
يوم يلقونه سلام واعلم ان قوله لهم البشرى فيه انواع من التأكيدات (احدها) انه  
يفيد الحصر فقوله لهم البشرى اى لهم لاغيرهم وهذا يفيدانه لابشارة لاحد الا اذا  
اجتنب عبادة غير الله تعالى واقبل بالكلية على الله تعالى (وثانيها) ان الالف واللام في لفظ  
البشرى مفيد للماهية فيفيد ان هذه الماهية بتمامها لهؤلاء ولم يبق منها نصيب لغيرهم  
(وثالثها) ان فرق بين الاخبار وبين البشارة بالبشارة هو الخبر الاول بحصول الخيرات  
اذا عرفت هذا فقول كل ما سمعوه في الدنيا من انواع الثواب والخير اذا سمعوه عند  
الموت او في القبر فذلك لا يكون الاخبارا فبت ان هذه البشارة لا تتحقق الا اذا حصل  
الاخبار بحصول انواع اخر من السعادات فوق ما عرفوها وسمعوها في الدنيا نسأل  
الله تعالى الفوز بها قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين (ورابعها) ان الخبر  
بقوله لهم البشرى هو الله تعالى وهو اعظم العظماء وأكمل الموجودات والشرط  
المعتبر في حصول هذه البشارة شرط عظيم وهو الاجتناب عما سوى الله تعالى والاقبال  
بالكلية على الله والسلطان العظيم اذا ذكر شرطا عظيما ثم قال لمن اتى بذلك الشرط  
العظيم ابشر فهذه البشارة الصادرة من السلطان العظيم المرتبة على حصول ذلك  
الشرط العظيم تدل على ان الذى وقعت البشارة به قد بلغ في الكمال والرفعة الى  
حيث لا يصل الى شرحها العقول والافكار فبت ان قوله لهم البشرى يدل على نهاية  
الكمال والسعادة من هذه الوجوه والله اعلم \* واعلم انه تعالى لما قال لهم البشرى  
وكان هذا كالجمل اردفه بكلام يجرى مجرى التفسير والشرح له فقال تعالى فبشر  
عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه واراد بعباده الذين يستمعون القول  
فيتبعون احسنه الذين اجتنبوا وانا بوا لاغيرهم وهذا يدل على ان رأس السعادات  
ومركز الخيرات ومعدن الكرامات هو الاعراض عن غير الله تعالى والاقبال  
بالكلية على طاعة الله والمقصود من هذا اللفظ التنبيه على ان الذين اجتنبوا الطاغوت  
وأنا بوا هم الموصوفون بأنهم هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فوضع  
الظاهر موضع المضمّر تبنيها على هذا الحرف ومنهم من قال انه تعالى لما بين ان الذين  
اجتنبوا وانا بوا لهم البشرى وكان ذلك درجة عالية لا يصل اليها الا الاولون وقصر  
السعادة عليهم يقتضى الحرمان للاكثرين وذلك لا يليق بالدرجة الثامنة لاجرم جعل  
الحكم اعم فقال كل من اختار الاحسن في كل باب كان في زمرة السعداء واعلم ان

لمريد تشديد الانكار والاستبعاد  
والتنبيه على ان المحكوم عليه  
بالعذاب بمنزلة الواقع في النار  
وان اجتهاده عليه الصلاة  
والسلام في دعائهم الى الايمان سعى في  
افادهم من النار ويحوز ان يكون  
الجراء محذوف وقوله تعالى اذ انت  
الحجالة مستقلة مسوقة لتقرير  
مضمون الجملة السابقة وتعيين  
ما حذف منها وتشديد الانكار  
بتنزيل من استحق العذاب منزلة  
من دخل النار وتصوير الاجتهاد

هذه الآية تدل على فوائد (الفائدة الاولى) وجوب النظر والاستدلال وذلك لانه تعالى بين ان الهداية والفلاح مرتبطان بما اذا سمع الانسان اشياء كثيرة فانه يختار منها ما هو الاحسن الاصوب ومن العلوم ان تمييز الاحسن الاصوب عما سواه لا يحصل بالسمع لان السماع صار قدرا مشتركا بين الكل لان قوله الذين يستمعون القول يدل على ان السماع قدر مشترك فيه فثبت ان تمييز الاحسن عما سواه لا يتأتى بالسمع وانما يتأتى بحجة العقل وهذا يدل على ان الموجب لاستحقاق المدح والثناء تابعة الى حجة العقل وبناء الامر على النظر والاستدلال (الفائدة الثانية) ان الطريق الى تصحيح المذاهب والاديان قسمان (احدهما) اقامة الحجّة والبيّنة على صحته على سبيل التحصيل وذلك امر لا يمكن تحصيله الا بالخوض في كل واحد من المسائل على التفصيل (والثاني) ان اقبل البحث عن الدلائل وتقريرها والشبهات وتزييفها نعرض تلك المذاهب واضدادها على عقولنا فكل ما حكم اول العقل بأنه افضل واكمل كان اولي بالقبول مثله ان صريح العقل شاهد بأن الاقرار بأن الله العالم حي عالم قادر حلیم حكيم رحيم اولي من انكار ذلك فكان ذلك المذهب اولي والاقرار بأن الله تعالى لا يجري في ملكه وسلطانه الا ما كان على وفق مشيئته اولي من القول بأن اكثر ما يجري في سلطان الله على خلاف ارادته وايضا الاقرار بأن الله فرد أحد صمد منزّه عن التركيب والاعضاء اولي من القول بكونه متبعضا مؤلفا وايضا القول باستغنائه عن الزمان والمكان اولي من القول باحتياجه اليهما وايضا القول بأن الله رحيم كريم قد يعفو عن العقاب اولي من القول بأنه لا يعفو عنه البتة وكل هذه الابواب تدخل تحت قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه فهذا ما يتعلق باختيار الاحسن في ابواب الاعتقادات وأما ما يتعلق بابواب التكليف فهو على قسمين منها ما يكون من ابواب العبادات ومنها ما يكون من ابواب المعاملات فاما العبادات فكل قولنا الصلاة التي يذكر في تحريمها الله اكبر وتكون النية فيها مقارنة للتكبير ويقرأ فيها سورة الفاتحة ويؤتى فيها بالطمأنينة في المواقف الخمسة ويقرأ فيها التشهد ويخرج منها بقوله السلام عليكم فلا شك انها احسن من الصلاة التي لا يراعى فيها شيء من هذه الاحوال توجب على العاقل أن يختار هذه الصلاة وان يترك ما سواها وكذلك القول في جميع ابواب العبادات وأما المعاملات فكذلك مثل انه تعالى شرع القصاص والدية والعفو ولكنه ندب الى العفو فقال وان تعفوا أقرب للتقوى وعن ابن عباس ان المراد منه الرجل يجلس مع القوم ويسمع الحديث فيه محاسن ومساوي فيحدث بأحسن ما سمع ويترك ما سواه واعلم انه تعالى حكم على الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه بان قال اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الباب وفي ذلك دليقة مجيبة وهي ان حصول الهداية في العقل والروح أمر حادث ولا بد له من فاعل وقابل أما

في دعائه الى الايمان بصورة الانقاذ من النار كأنه قيل اول الفتن حق عليه العذاب فأنت نخلصه منه ثم شدد التكبير فقيل أفأنت تسعد من في النار وفيه ملوح بأنه تعالى هو الذي يقدر على الانتقاد لا غيره وحيث كان المراد بمن في النار الذين قيل في حقهم لهم من فوقهم خلل من النار ومن تحتهم ظلل استدرك منهم بقوله تعالى (لكن الذين اتقوا ربهم لهم عرف من فوقها غرور) وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عباد فاتقون ووصفوا بما عدد من الصفات الفاضلة

الفاعل فهو الله سبحانه وهو المراد من قوله اولئك الذين هداهم الله واما القابل فاليه  
 الاشارة بقوله واولئك هم اولوالباب فان الانسان مالم يكن ماقلا كامل الفهم امتنع  
 حصول هذه المعارف الحقبة في قلبه وانما قلنا ان الفاعل لهذه الهداية هو الله وذلك لان  
 جوهر النفس مع ما فيها من نور العقل قابل للاعتقاد الحق والاعتقاد الباطل واذ كان  
 الشيء قابلا للضدين كانت نسبة ذلك القابل اليهما على السوية ومتى كان الامر كذلك  
 امتنع كون ذلك القابل سيار رجحان احد الطرفين الا ترى ان الجسم لما كان قابلا للحركة  
 والسكون على السوية امتنع ان نصير ذات الجسم سيار رجحان احد الطرفين على الآخر  
 فان قالوا لا نقول ان ذات النفس والعقل يوجب هذا الرجحان بل نقول انه يريد تخصيص  
 احد الطرفين فنصير تلك الارادة سببا لذلك الرجحان فنقول هذا باطل لان ذات النفس كما  
 انها قابلة لهذه الارادة فكذلك ذات العقل قابلة لارادة مضادة لتلك الارادة فيمنع  
 كون جوهر النفس سببا لتلك الارادة فثبت ان حصول الهداية لا بد لها من فاعل ومن  
 قابل ( اما الفاعل ) فيمنع ان يكون هو النفس بل الفاعل هو الله تعالى ( واما القابل )  
 فهو جوهر النفس فلهذا السبب قال اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوالباب  
 ثم قال افن حق عليه كلمة العذاب افأنت تقذف النار وفيه مسائل ( المسئلة الاولى )  
 في لفظ الآية سؤال وهو انه يقال انه قال افن حق عليه كلمة العذاب ولا يصح في الكلام  
 العربي ان يدخل حرف الاستفهام على الاسم وعلى الخبر معافلا يقال ازيد اتقلبه بل ههنا  
 شيء آخر وهو انه كما دخل حرف الاستفهام على الشرط وعلى الجراء فكذلك دخل حرف  
 الفاء عليها معا وهو قوله افن حق افأنت تقذف ولاجل هذا السؤال اختلف التحويون  
 وذكروا فيه وجوها ( الاول ) قال الكسائي الآية جلستان والتقدير افن حق عليه كلمة  
 العذاب افأنت تحميه افأنت تقذف من في النار ( الثاني ) قال صاحب الكشاف اصل  
 الكلام افن حق عليه كلمة العذاب افأنت تقذه وهي جملة شرطية دخل عليها همزة  
 الانكار والفاء جزء من دخلت الفاء التي في اولها للعطف على محذوف يدل عليه  
 الخطاب والتقدير أنت مالك أمرهم فن حق عليه كلمة العذاب افأنت تقذه والهمزة  
 النائية هي الاولى كررت لتوكيد معنى الانكار واستبعاده ووضع من في النار موضع  
 الضمير والآية على هذا جملة واحدة ( الثالث ) لا يعد ان يقال ان حرف الاستفهام  
 انما وردهما لافادة معنى الانكار ولما كان استنكاره هذا المعنى كاملا تاما لاجرم  
 ذكر هذا الحرف في الشرط واعاده في الجراء تنبيها على المبالغة التامة في ذلك الانكار  
 ( المسئلة الثانية ) احتج الاصحاب بهذه الآية في مسئلة الهدى والضلال وذلك لانه  
 تعالى قال افن حق عليه كلمة العذاب فاذا حققت كلمة العذاب عليه امتنع منه  
 فعل الايمان والطاعة والالزم انقلاب خبر الله الصدق كذبا وانقلاب علمه  
 جهلا وهو محال ( والوجه الثاني ) في الاستدلال بالآية انه تعالى حكم بأن

وهم المحاطون ايضا فيما سبق  
 بقوله تعالى يا عبادي الذين آمنوا  
 اتقوا ربكم الآية وبين ان لها  
 درجات عالية في جات النعيم  
 بمقابلة ما لا كفرة من دركات سائلة  
 في الجحيم اي لهم علائ بعضها  
 فوق بعض ( مبنية ) بناء المنازل  
 المبنية المؤسسة على الارض في  
 الرصانة والاحكام ( يجرى من  
 تحتها ) من تحت تلك العرف  
 ( الانهار ) من غير تفاوت بين  
 العلو والسفل ( وعد الله ) مصدر  
 مؤكدا لقوله تعالى لهم عرف الح  
 فانه وعدواي وعد ( لا يخلف الله  
 الميعاد ) لاستحالة عليه سبحانه

حقبة كلمة العذاب توجب الاستنكار التام من صدور الايمان والطاعة عند ولو كان ذلك ممكنا ولم تكن حقبة كلمة العذاب مائعة منه لم يبق لهذا الاستنكار والاستبعاد معنى (المسئلة الثالثة) احتج القاضى بهذه الآية على ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يشفع لاهل الكبرائر قال لانه حق عليهم العذاب فذلك الشفاعة تكون جارية مجرى انقاذهم من النار وان الله تعالى حكم عليهم بالانكار والاستبعاد فيقال له لانسلم ان اهل الكبرائر قد حق عليهم العذاب وكيف يحق العذاب عليهم مع ان الله تعالى قال ان الله لا يعفر ان يشرك به ويعفر ما دون ذلك لمن يشاء ومع قوله ان الله يعفر الذنوب جميعا والله اعلم (الوع المائى) من الاشياء التى وعد الله هؤلاء الذين اجتنبوا وانا بواقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية وهذا المقابل لما ذكر في وصف الكفار لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل فان قيل ما معنى قوله مبنية قلنا لان المنزل اذ انى على منزل آخر تحته كان الفوقانى اضعف بناء من التحتانى فقوله مبنية معناه انه وان كان فوق غيره لكس في القوة والشدة مساو للمنزل الاسفل والحاصل ان المنزل الفوقانى والتحتانى حصل في كل واحد منهما فضيلة ومنقصة اما الفوقانى ففضيلته العلو والارتفاع ونقصانه الرخاوة والسخافة واما التحتانى فبالضد منه اما منازل الجنة فانها تكون مستجمعة لكل الفضائل وهى عالية مرتفعة وتكون في غاية القوة والشدة وقال حكماء الاسلام هذه الغرف المبنية بعضها فوق البعض مثاله من الاحوال النفسانية العلوم الكسبية فان بعضها يكون مبنيا على البعض والنتائج الآخرة التى هى عبارة عن معرفة ذات الله وصفاته تكون في غاية القوة بل تكون في القوة والشدة كالعلوم الاصلية البدئية ثم قال تجرى من تحتها الانهار وذلك معلوم ثم ختم الكلام فقال وعد الله لا يخلف الله الميعاد فقوله وعد الله مصدر مؤكدا لان قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك وفى الآية دقة شريفة وهى انه تعالى في كثير من آيات الوعد صرح بأن هذا وعد الله انه لا يخلف وعده وما يذ كر في آيات الوعد البتة مثل هذا التأكيد والتقوية وذلك يدل على ان جانب الوعد ارجح من جانب الوعيد بخلاف ما يقوله المعتزلة فان قالوا اليس انه قال في جانب الوعيد ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد قلنا قوله ما يبدل القول لدى ليس تصريحاً بجانب الوعيد بل هو كلام عام يتناول القسمين اعنى الوعد والوعيد فثبت ان الترجيح الذى ذكرناه حق والله اعلم ﴿ قوله تعالى ﴾ (الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيىج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ثم ان في ذلك لذكرى لاولى الالباب) اعلم انه تعالى لما وصف الآخرة بصفات توجب الرغبة العظيمة لاولى الالباب فيها وصف الدنيا بصفة توجب استداد العرة عنها وذلك انه تعالى بين انه انزل من السماء ماء وهو المطر وقيل كل ما كان في الارض فهو من السماء ثم انه تعالى ينزله الى بعض المواعى ثم يقسمه فيسلكه ينابيع في الارض اى فيدخله ويظمه

(الم تر ان الله انزل من السماء ماء) استشفى واراد اما لتتميل الحياة الدنيا في سرعه الزوال وقرب الاضمحلال عاد كر من احوال الزرع ترعبا عن زخارفها وزينتها وتحدبرا من الاعتدال بزهرتها كافي بطائر قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا الآفة اوللاستشهاد على تحقق الموعود من الانهار الجارية من تحت العرف بما يشاهد من ازال الماء من السماء وما يربب عليه من اثار قدرته تعالى واحكام حكمته ورحمه والمراد بالماء المطر وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى بين البقاع (مسلكه) فأدخله ونظمه (ينابيع في الارض) اى عمونا وعجارى كالرؤق في الاحساد وقيل مياهها نابعة فيها فان اليدوع يطلق على المنبع والنابع فعصها على الحال وعلى الاول نزع المار اى في ينابيع (ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه) اصنافه من ر ودعير وغيرهما او كيميائه من الالوان والطعوم وغيرهما وكلة ثم للتراخي في الزينة او الزمان وصيغة المضارع لاستحضار الصورة (ثم يهيىج) اى يتم جفافه ويسرف على ان يتور من مباته (فتراه مصفرا) من بعد حمرته ونفسرته وقرى مصفرا (ثم يجعله حطاما) فتاتا متكسرة كاش لم نعن بالامس ولكون هذه



ينابيع في الارض عيوننا ومسالك ومجاري كالعروق في الاجسام ثم يخرج به زرعاً مختلفاً  
الوانه من خضرة ووجرة وصفرة وبياض وغير ذلك او مختلفاً اصافه من بر وشعر وسهم  
ثم يخرج وذلك لانه اذا تم جفافه جازله ان يفصل عن منابته وان لم تفرق اجزائه فذلك  
الاجزاء كأنها هاجت لان تفرق ثم يصير حطاماً يابساً ان في ذلك لذكرى يعنى ان من  
شاهد هذه الاحوال في النبات علم ان احوال الحيوان والانسان كذلك وانه وان طال  
عمره فلا بد له من الانتهاء الى ان يصير مصفر اللون منخطم الاعضاء والاجزاء ثم تكون  
ماقته الموت فاذا كانت مشاهدة هذه الاحوال في النبات تذكره حصول مثل هذه  
الاحوال في نفسه وفي حياته فحينئذ تعظم نفرة في الدنيا وطيباتها والحاصل انه تعالى  
في الآيات المتقدمة ذكر ما يقوى الرغبة في الآخرة وذكر في هذه الآية ما يقوى النفرة  
عن الدنيا فشرح صفات القيامة يقوى الرغبة في طاعة الله وشرح صفات الدنيا يقوى  
النفرة عن الدنيا وانما قدم الترغيب في الآخرة على التنفير عن الدنيا لان الترغيب في  
الآخرة مقصود بالذات والتنفير عن الدنيا مقصود بالعرض والمقصود بالذات مقدم  
على المقصود بالعرض فهذا تمام الكلام في تفسير الآية بقى ههنا ما يتعلق بالبحث عن  
الانفساط قال الواحدى والينا بيع جمع ينوع وهو يفعل من نبع ينبع يقال نبع  
الماء ينبع وينبع وينبع ثلاث لغات ذكرها الكسافى والقراء وقوله ينبع نصب  
بمحذوف الحافض لان التقدير فلسكه في ينبع ثم يخرج اى يخضر والحطام ما يحف ويشت  
ويكسر من البت \* قوله تعالى (افن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل  
للقاسبة قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين الله نزل احسن الحديث كتاباً مشأها  
منافى تشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى  
الله يهدى به من يشاء ومن يضل الله فإله من هاداً فنفى بوجهه سوء العذاب يوم  
القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسون كذب الذين من قبلهم فأنهم العذاب  
من حيث لا شعرون فأذا هم الله اخرى في الحياة الدنيا والعذاب الآخرة أكبر لو كانوا  
يعلمون ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مل لعلهم يذكرون قرأنا عربياً غير  
دى عوج لعلهم يتقون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما بالغ في تقرير  
البيانات الدالة على وجوب الاقبال على طاعة الله تعالى ووجوب الاعراض عن الدنيا  
بين بعد ذلك ان الانتفاع بهذه البيانات لا يكمل الا اذا شرح الله الصدور ونور القلوب  
فقال افن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه واعلم انا بالعا في سورة الانعام في  
تفسير قوله فن برد الله ان يهديه ينشرح صدره للاسلام في تفسير شرح الصدور وفي تفسير  
الهداية ولا بأس باعادة كلام قليل ههنا فقول انه تعالى خلق جواهر النفوس مختلفة  
بالماهية فبعضها خيرة نورانية شريفة مائلة الى الالهيات عظيمة الرغبة في الاتصال  
بالروحانيات وبعضها نذلة كدرة خسيصة مائلة الى الجسمانيات وهذا التفاوت امر

الحالة من الآثار القوية علق  
بجمل الله تعالى كالاخراج (ان في  
ذلك) اشارة الى ما ذكر تفصيلاً  
وما فيه من معنى البعد لا يذات  
بعد من رتبه في العراة والدلالة  
على ما قصد به (لذكرى) لتذكيراً  
عظيماً (لاولى الالباب) لاصحاب  
العقول الخالصة عن شوائب  
الحلل وتبذيرهم على حقيقه  
الحال يندكرون بذلك حال  
الحياة الدنيا في سرعة التفتى  
والانصرام كما يشاهدونه من  
حال الحطام كل عام فلا يفتررون  
بجهتها ولا يستنقون بفنتها او  
يجرمون نأ من قدر على ازال  
الماء من السماء واحرائه في يابيع  
الارض قادر على اجراء لآبار  
من تحت العرف هذا وما ما قيل  
ان في ذلك لتذكيراً وتبذيراً على  
انه لا بد من صانع حكيم وانه كائن  
عن تقدير وتدير لاص تعطيل  
واهمال فعمل من تفسير الآية  
الكريمة وانما يليق ذلك بما لودكر  
ما ذكر من الآثار الخبيثة  
والافعال الجبيلة من غير اسناد  
لها الى مؤثر غيث ذكرت مسندة  
الى الله عروحل تعين ان يكون  
متعلق التدكير والتنبه شأنه  
تعالى اوسؤ آثاره حسماً بين  
لا وجوده تعالى وقوله تعالى  
(افن شرح الله صدره للاسلام)  
الح اسشأ جار محرى التعليل لما  
قبله من تخصيص الذكرى بأولى

حاصل في جواهر النفوس البشرية والاستقراء يدل على ان الامر كذلك اذا عرفت هذا  
فقول المراد بشرح الصدور هو ذلك الاستعداد الشديد الموجود في فطرة النفس واذا  
كان ذلك الاستعداد الشديد حاصلًا كفي خروج تلك الحالة من القوة الى الفعل بأدنى  
سبب مثل الكبريت الذي يشتعل بأدنى نار اما اذا كانت النفس بعيدة عن قبول هذه  
الجلاليات القدسية والاحوال الروحانية بل كانت مستغرقة في طلب الجسمانيات قليلة التأثر  
عن الاحوال المناسبة للالهيات فكانت قاسية كدرة ظلمانية وكلما كان ايراد الدلائل  
اليقينية والبراهين الباهرة عليها اكثر كانت قسوتها وظلمتها قل اذا عرفت هذه القاعدة  
فقول اما شرح الصدور فهو ما ذكرناه واما اللور فهو عبارة عن الهداية والمعرفة وما لم  
يحصل شرح الصدور اولًا لم يحصل النور ثانيًا واذا كان الحاصل هو القوة الفسائية  
لم يحصل الانتفاع البتة بسماع الدلائل وربما صار سماع الدلائل سببًا لزيادة القسوة  
ولشددة الغفلة فهذه اصول يقينية يجب ان تكون معلومة عند الانسان حتى يمكنه  
الوقوف على معاني هذه الآيات اما استدلال اصحابنا في مسألة الجبر والقدر وكلام  
الخصوم عليه فقد تقدم هناك والله اعلم (المسئلة الثانية) من محذوف الخبر كما في قوله  
امن هو قانت والتقدير افن شرح الله صدره للاسلام فاهتدى كن طبع على قلبه فلم يهتد  
لقسوته والجواب متروك لان الكلام المذكور دل عليه وهو قوله تعالى فويل للقاسية  
قلوبهم من ذكر الله (المسئلة الثالثة) قوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله فيه سؤال  
وهو ان ذكر الله سبب لحصول النور والهداية وزيادة الاطمئنان كما قال الألب ذكر الله  
تطهر القلوب فكيف جعله في هذه الآية سببًا لحصول قسوة القلب والجواب ان نقول  
ان النفس اذا كانت خيبة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن مناسبة الروحانيات شديدة  
الميل الى الطبائع البهيمية والاخلاق الدميمة فان سماعها لذكر الله يزيد قسوة وكدورة  
وتقرير هذا الكلام بالامثلة فان الفاعل الواحد يختلف افعاله بحسب اختلاف القوابل  
كنور الشمس يسود وجه القصار ويبيض بوجه وحرارة الشمس تلين الشمع وتعتد الملح وقد  
نرى انسانا واحدا يذكرك كلاما واحدا في مجلس واحد فيستطيعه واحد ويستكرهه غيره  
وماداك الاما ذكرناه من اختلاف جواهر النفوس ومن اختلاف احوال تلك النفوس  
ولما نزل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين وكان قد حضر هناك عمر بن  
الخطاب وانسان آخر فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى ثم انشأناه  
خلقًا آخر قال كل واحد منهم قبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم اكتب فكذا انزلت فازداد عمر ايمانا على ايمان وازداد ذلك الانسان كفرا على كفر  
ادعرت هذا لم يبعد ايضا ان يكون ذكر الله يوجب النور والهداية والاطمئنان في  
النفوس الطاهرة الروحانية ويوجب القسوة والبعد عن الحق في النفوس الخبيثة  
الشیطانية ادعرت هذا فقول ان رأس الادوية التي تقيد الصحة الروحانية ورأسها

الالباب وشرح الصدر للاسلام  
عبارة عن تكميل الاستعداد له  
فانه مهل للقلب الذي هو منبع  
للروح التي تتعلق بها النفس  
القابلة للاسلام فاشراحه مستدع  
لاتساع القلب واستحضاره بنوره  
فانه روى انه عليه الصلاة  
والسلام قال اذا دخل النور  
القلب انشرح وانفسح قليلها  
علامة ذلك قال عليه الصلاة  
والسلام الابابة الى دار الخلود  
والتجاء عن دار العرور والتأهب  
للموت قبل نزوله والكلام في  
الهجرة والعاء كالذي مر في قوله  
تعالى افن حق عليه كلمة العذاب  
وخبر من محذوف لدلاله ما بعده  
عليه والتقدير اكل الناس سواء  
فن شرح الله صدره اى خلقه  
منع الصدر مسعدا للاسلام  
فبقى على العطرة الاصلية ولم  
يتغير بالاعوارض المكتسبة القاذرة  
فيها (فهو) بموجب ذلك مستقر  
(على نور) عظيم (من ربه) وهو  
اللطيف الالهى الفائق عليه عند  
مشاهدة الآيات التكوينية  
والتنزيلية والتوفيق للاهتداء  
بها الى الحق كن قساقله وحرر  
صدره لسبب تدبيل فطرة الله  
لسوء اختياره واستولى عليه  
طلعات الغي والضلالة فأعرض  
عن تلك الآيات بالكلية حتى  
لا يتذكرها ولا يعتنقها فويل  
للقاسية قلوبهم من ذكر الله اى  
من احل ذكره الذى حقه ان  
تشرح له الصدور

هو ذكر الله تعالى فاذا اتفق لبعض النفوس ان صار ذكر الله تعالى سبباً لزيادة مرضها كان مرض تلك النفس مرضاً لا يرجي زواله ولا يتوقع علاجه وكانت في نهاية الشر والرداءة فلهذا المعنى قال تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين وهذا كلام كامل محقق ولما بين تعالى ذلك اردفه بما يدل على ان القرآن سبب لحصول النور والشفاء والهداية وزيادة الاطمئنان والمقصود منه بيان ان القرآن لما كان موصوفاً بهذه الصفات نعمة في حق ذلك الانسان صار سبباً لزيادة القسوة دل ذلك على ان جوهر تلك النفس قد بلغ في الرداءة والخساسة الى اقصى الغايات فنقول انه تعالى وصف القرآن بأنواع من صفات الكمال (الصفة الاولى) قوله تعالى الله تزل احسن الحديث وفيه مسائل (المسئلة الاولى) القائلون بمحدث القرآن اخبجوا بهذه الآية من وجوه (الاول) انه تعالى وصفه بكونه حديثاً في هذه الآيات وفي آيات اخرى منها قوله تعالى فليأتوا بحديث مثله ومنها قوله تعالى أفبهذا الحديث انتم مدهنون والحديث لا بدوان يكون حادناً قالوا بل الحديث اقوى في الدلالة على الحدوث من الحادث لانه يصح ان يقال هذا حديث وليس بعتيق وهذا عتيق وليس بحديث ولا يصح ان يقال هذا عتيق وليس بحادث فثبت ان الحديث هو الذي يكون قريب العهد بالحدوث وسمى الحديث حديثاً لانه مؤلف من الحروف والكلمات وتلك الحروف والكلمات تحدث حالاً خلاً وساعة فساعة فهذا تمام تقرير هذا الوجه (اما الوجه الثاني) في بيان استدلال القوم ان قالوا انه تعالى وصفه بأنه نزل والمزول يكون في محل تصرف الغير وما يكون كذلك فهو محدث وحادث (واما الوجه الثالث) في بيان استدلال القوم ان قالوا ان قوله احسن الحديث يقتضي ان يكون هو من جنس سائر الاحاديث كما ان قوله زيد افضل الاخوة يقتضي ان يكون زيد مشاركاً لاولئك الاقوام في صفة الاخوة ويكون من جنسهم فثبت ان القرآن من جنس سائر الاحاديث ولما كان سائر الاحاديث حادثة وجب ايضاً ان يكون القرآن حادناً (اما الوجه الرابع) في الاستدلال ان قالوا انه تعالى وصفه بكونه كتاباً والكتاب مشتق من الكتبة وهي الاجتماع وهذا يدل على انه مجموع جامع ومحل تصرف متصرف وذلك يدل على كونه محدثاً (والجواب) ان نقول نحمل هذا الدليل على الكلام المؤلف من الحروف والاصوات والالفاظ والعبارات وذلك الكلام عندنا محدث مخلوق والله اعلم (المسئلة الثانية) كون القرآن احسن الحديث اما ان يكون احسن الحديث بحسب لفظه او بحسب معناه (القسم الاول) ان يكون احسن الحديث بحسب لفظه وذلك من وجهين (الاول) ان يكون ذلك احسن لاجل الفصاحة والجزالة (الثاني) ان يكون بحسب النظم في الاسلوب وذلك لان القرآن ليس من جنس الشعر ولا من جنس الخطب ولا من جنس الرسائل بل هو نوع بخالف الكل مع ان كل ذي طبع سليم يستطيعه ويستلذه (القسم الثاني) ان يكون كونه احسن الحديث لاجل المعنى وفيه وجوه (الاول) انه

وتطمئن به القلوب اي اذا ذكر الله تعالى عندهم او آياته اشتهزوا من اجله وازدادت قلوبهم قسوة كقوله تعالى فزادتهم رجساً وقد رى عن ذكر الله اي عن قبوله (اولئك) البعداء الموصوفون بما ذكر من قسوة القلوب (في ضلال) بعد عن الحق (مبين) ظاهر كونه ضلالاً لكل احد قيل نزلت الآية في حجة وعلى رضى الله عنهما واي لهب وولده وقيل في عمار بن ياسر رضى الله عنه واي جهل وذويه (الله تزل احسن الحديث) هو القرآن الكريم روى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوامة فقالوا له عليه الصلاة والسلام حدثنا حديثاً وعن ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما قالوا لو حدثتنا فقلنا والمعنى ان فيه مندوحة عن سائر الاحاديث وفي ايقاع الاسم الجليل مبتدأ وبنائه نزل عليه من تفخيم احسن الحديث ورفع محله والاستشهاد على حسنه وتأكيد استناده اليه تعالى وانه من عنده لا يمكن صدوره عن غيره والتنبية على انه وحى مجزى مالا يخفى (كتاباً) يدل من من احسن الحديث احوال منه سواء اكتسب من المضاف اليه تعريفاً ولا فان مساعجى الحال من النكرة المضافة اتساقاً ووقوعه حالاً مع كونه اسماً لا صفة اما لا تصافه بقوله تعالى (متشابهها) اول كونه في قوة مكتوباً

كتاب منزه عن التناقض كما قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ومثل هذا الكتاب اذا خلا عن التناقض كان ذلك من المجزئات (الوجه الثاني) اشتماله على الغيوب الكثيرة في الماضي والمستقبل (الوجه الثالث) ان العلوم الموجودة فيه كثيرة جدا وضبط هذه العلوم ان نقول العلوم النافعة هي ما ذكره الله في كتابه في قوله والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فهذا احسن ضبط يمكن ذكره للعلوم النافعة (اما القسم الاول) وهو الايمان بالله فاعلم انه يشتمل على خمسة اقسام معرفة الذات والصفات والافعال والاحكام والاسماء أما معرفة الذات فهي ان يعلم وجود الله وقدمه وبقائه وأما معرفة الصفات فهي نوعان (احدهما) ما يجب تنزيهه عنه وهو كونه جوهرًا ومركبًا من الاعضاء والاجزاء وكونه مختصًا بحيز وجهة ويجب ان يعلم ان اللفاظ الدالة على التنزيه اربعة ليس ولم وما ولا وهذه الاربعة المذكورة مذكورة في كتاب الله تعالى لبيان التنزيه اما كلمة ليس فقوله ليس كمنه شيء وأما كلمة لم فقوله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأما كلمة ما فقوله وما كان ربك نسيا ما كان الله ان يتخذ من ولد وما كلمة لا فقوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم وهو يطعم ولا يطم وهو يحير ولا يحار عليه وقوله في سبعة وثلاثين موضعا من القرآن لا اله الا الله (واما النوع الثاني) وهي الصفات التي يجب كونه موصوفا بها من القرآن (فأولها) العلم بالله والعلم بكونه محدثا خالقا قال تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض (وثانيها) العلم بكونه قادر قال تعالى في اول سورة القيامة بلى قادرين على ان نسوي بنانه وقال في آخر هذه السورة اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى (وثالثها) العلم بكونه تعالى عالما قال تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة (ورابعها) العلم بكونه عالما بكل المعلومات قال تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو وقوله تعالى الله يعلم ما تخمل كل انثى (وخامسها) العلم بكونه حيا قال تعالى هو الحي لا اله الا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين (وسادسها) العلم بكونه مريد قال الله تعالى فمن ير الله ان يهديه يشرح صدره للإسلام (وسابعها) كونه سميعا بصيرا قال تعالى وهو السميع البصير وقال تعالى انني معكم اسمع وأرى (وثامنها) كونه متكلم قال تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله (وتاسعها) كونه آمرا قال تعالى الله الامر من قبل ومن بعد (وعاشرها) كونه رجلا رجلا رحيم ملكا قال تعالى الرحمن الملك يوم الدين فهذا ما يتعلق بمعرفة الصفات التي يجب اتصافه بها (واما القسم الثالث) وهو الافعال فاعلم ان الافعال اما اوراح واما اجسام أما الارواح فلا سبيل للوقوف عليها الا للقليل كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو واما الاجسام فهي اما العالم الاعلى واما العالم الاسفل اما العالم الاعلى فالبحت فيه من وجوه (احدها) البحث عن احوال السموات (وثانيها) البحث عن احوال الشمس والقمر كما

ومعنى كونه مشابها تشابه معانيه في الصحة والاحكام والابتداء على الحق والصدق واستنباع منافع الخلق في المعاد والمعيش وتناسب الفاظه في الفصاحة وتجواب نظمه في الابعاز (مثنى) صفة اخرى لكتابنا احوال اخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مردود مكرر لما نثي من قصصه وانباه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيدوه ومواظبه وقيل لانه يثني في التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعول من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين اى كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتابنا باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات ويجوز ان ينتصب على التمييز من مشابها كما يقال رأيت رجلا حسنا شائلا اى شئما له والمعنى مشابهة مثنائية (تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم) قيل صفة لكتابنا او حال منه لخصصه بالصفة والظاهر انه استثناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة في سامعيه بعد بيان اوصافه في نفسه ولتقرير كونه احسن الحديث والافصح عبار التفهيم يقال اقشع الجلد اذا تقبض تقبضا سيديا وتكبيد من القشع وهو الاديم اليابس قد ضم اليه لراء ليكون رباعيا ودالا

قال تعالى ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش  
 يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره (ونالها) البحث  
 عن احوال الاضواء قال الله تعالى الله نور السموات والارض وقال تعالى هو الذى جعل  
 الشمس ضياء والقمر نورا (ورابعها) البحث عن احوال الظلال قال الله تعالى الم ترالى  
 ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ( وخامسها ) اختلاف الليل والنهار قال الله  
 تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل (وسادسها) منافع الكواكب قال  
 تعالى وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر (وسابعها) صفات  
 الجلة قال تعالى وجنة عرضها كعرض السماء والارض ( وثامنها ) صفات النار قال  
 تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم ( وتاسعها ) صفة العرش قال تعالى  
 الذين يحملون العرش ومن حوله ( وعاشرها ) صفة الكرسي قال تعالى وسع كرسيه  
 السموات والارض (وحادى عشرها) صفة اللوح والقلم اما اللوح فقوله تعالى بل هو قرآن  
 مجيد فى لوح محفوظ واما القلم فقوله تعالى ن والقلم وما يسطرون \* واما شرح احوال  
 العالم الاسفل (فأولها) الارض وقد وصفها بصفات كثيرة (احدها) كونه مهدا قال تعالى  
 الذى جعل لكم الارض مهدا ( وثانيها ) كونه مهدا قال تعالى الم نجعل الارض مهدا  
 ( وثالثها ) كونه كفاتا قال تعالى كفاتا احياء وامواتا ( ورابعها ) الذلول قال تعالى هو  
 الذى جعل لكم الارض دلو لا ( وخامسها ) كونه بساطا قال تعالى والله جعل لكم  
 الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا والكلام فيه طويل ( وثانيها ) البحر قال تعالى  
 وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا ( وثالثها ) الهواء والرياح قال تعالى وهو  
 الذى يرسل الرياح بشرائين يدى رجنه وقال تعالى وارسلنا الرياح لواقح (ورابعها) الار  
 العلوية كالرعد والبرق قال تعالى ويسج الرعد بحمده والملائكة من خيفته وقال تعالى  
 فترى الودق يخرج من خلاله ومن هذا الباب ذكر الصواعق والامطار وتراكم السحاب  
 ( وخامسها ) احوال الاشجار والثمار وانواعها واصنافها (وسادسها) احوال الحيوانات  
 قال تعالى وبث فيها من كل دابة وقال والانعام خلقها لكم ( وسابعها ) عجائب تكوين  
 الانسان فى اول الخلقة قال ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ( وثامنها ) العجائب  
 فى سمعه وبصره ولسانه وعقله وفهمه (وتاسعها) تواريخ الانبياء والملوك واهوال  
 الناس من اول خلق العالم الى آخر قيام القيامة (وعاشرها) ذكر احوال الناس عند  
 الموت وبعد الموت وكيفية العث والقيامة وشرح احوال السعداء والاشقياء فقد  
 اشرنا الى عشرة انواع من العلوم فى عالم السموات والى عشرة اخرى فى عالم العاصر  
 والقرآن مشتمل على شرح هذه الانواع من العلوم العالية الرفيعة ( واما القسم الرابع )  
 وهو شرح احكام الله تعالى وتكاليفه فنقول هذه التكاليف امان تحصل فى اعمال  
 القلوب او فى اعمال الجوارح (اما القسم الاول) فهو المسمى بعلم الاخلاق وبيان تمييز

على معنى رائد يقال اقشعر جلده  
 وقف شره اذ عرض له خوف  
 شديد من مكرهائل دهمه بعتة  
 والمراد اما بيان افراط خشيتهم  
 لطريق التمثيل والتصوير او بيان  
 حصول تلك الحالة وعروضها لهم  
 لطريق التحقيق والمعنى انهم اذا  
 سمعوا القرآن وقوارع آيات  
 وعنده أصابهم هيبه وخشية  
 تقشعر مياجلودهم وادادكروا  
 رجة الله تعالى تبدلت خشيتهم  
 رجاء ورجبتهم رعية وذلك قوله  
 تعالى (ثم تلى جلودهم وقلوبهم  
 الى ذكر الله) اى ساكنة مطمئنة الى  
 ذكر رجنه تعالى واما لم يصرح  
 بها ايداما نالها اول ما يخطر بالبال  
 عند ذكره تعالى (ذلك) اى الكتاب  
 الذى شرح احواله (هدى الله  
 يهدى به من يشاء) اب يهديه  
 نصرف مقدوره الى الاهتداء  
 بنامله فيما فى تضاعيفه من شواهد  
 الحقيقة ودلائل كونه من عند الله  
 تعالى (ومن يضل الله) اى يخلق  
 فيه الضلالة نصرف قدرته الى  
 مبادئها واعراضه عما يرشده الى  
 الحق بالكلية وعدم أثره بوعيده  
 ووعدته اصلا او من يتخذ (هاله  
 من هاد) مخلصه من ورطة الضلال  
 وقيل ذلك الذى ذكر من الحشية  
 والرجاء اثر هده تعالى يهدى بذلك

الاخلاق الفاضلة والاخلاق الفاسدة والقرآن يشتمل على كل ما لابد منه في هذا الباب قال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ( واما الثانى ) فهو التكليف الحاصلة فى اعمال الجوارح وهو المسمى بعلم الفقه والقرآن مشتمل على جملة أصول هذا العلم على اكل الوجوه ( واما القسم الخامس ) وهو معرفة اسماء الله تعالى فهو مذكور فى قوله تعالى والله الاسماء الحسنى فادعوه بها فهذا كله يتعلق بمعرفة الله ( واما القسم الثانى ) من الاصول المعتبرة فى الايمان الاقرار بالملائكة كما قال تعالى والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته والقرآن يشتمل على شرح صفاتهم تارة على سبيل الاجال واخرى على طريق التفصيل اما بالاجال فقوله وملائكته وأما بالتفصيل فقها ما يدل على كونهم رسل الله قال تعالى جاعل الملائكة رسلا ومنها انما مدبرات لهذا العالم قال تعالى فالتسميات أمرا فالمدبرات أمرا وقال تعالى والصفات صفوا ومنها جملة العرش قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ومنها الخافون حول العرش قال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش ومنها خزنة النار قال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد ومنها الكرام الكاتبون قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين ومنها المعقبات قال تعالى له مقصات من بين يديه ومن خلفه وقد يتصل بأحوال الملائكة احوال الجن والشياطين ( واما القسم الثالث ) من الاصول المعتبرة فى الايمان معرفة الكتب والقرآن يشتمل على شرح احوال كتاب آدم عليه السلام قال تعالى فلقني آدم من ربه كلمات ومنها احوال صحف ابراهيم عليه السلام قال تعالى واذا تبلى ابراهيم ربه بكلمات فأتهم ومنها احوال التوراة والانجيل والزبور ( واما القسم الرابع ) من الاصول المعتبرة فى الايمان معرفة الرسل والله تعالى قد شرح احوال البعض واجم احوال الباقيين قال تعالى منهم مقصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ( القسم الخامس ) ما يتعلق بأحوال المكلفين وهى على نوعين ( الاول ) ان يقولوا بوجوب هذه التكليف عليهم وهو المراد من قوله تعالى وقالوا اسمعنا واطعنا ( والثانى ) ان يعترفوا بصدور التقصير عنهم فى تلك الاعمال ثم طلبوا المغفرة وهو المراد من قوله تعالى غفرانك ربنا ثم لما كانت مقادير رؤية التقصير فى مواقف العبودية بحسب المكاشفات فى مطالعة عزة الربوبية اكثر كانت المكاشفات فى تقصير العبودية اكثر وكان قوله غفرانك ربنا اكثر ( القسم السادس ) معرفة المعاد والبعث والقيامة وهو المراد من قوله واليك المصير وهذا هو الاسارة الى معرفة المطالب المهمة فى طلب الدين والقرآن بحرا لانه يهله فى تقرير هذه المطالب وتعرينها وشرحها ولا ترى فى مشارق الارض ومعاربها كتابا يشتمل على جملة هذه العلوم كما يشتمل القرآن عليها ومن تأمل فى هذا التفسير علم ان لم يندكر من بحار فضائل القرآن الاقطرة ولما كان الامر على هذه الجملة لاجرم مدح الله عز وجل القرآن فقال تعالى الله نزل احسن الحديث

الاثر من يشاء من عباده ومن يضلل اى ومن لم يؤثرفيه لطفه لقسوة قلبه واصراة على فجوره بحاله من هاد من مؤثر فيه شى قط ( افن يشقى بوجهه ) الخ استشف جار مجرى التعليل لما قبله من تبيان حال المهدى والضال والكلام فى الهمة والعناء وحذف الحرك كالدى مر فى نظيره والتقدير اكل الناس سواء فى شأنه انه يبق نفسه بوجهه الذى هو اشرف اعضائه ( سوء العذاب ) اى العذاب السيئ الشديد ( يوم القسامة ) لكون يده التى لها كان يتقى المكاره والمحاف معلوله الى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج الى الالتقاء بوجه من الوجوه وقيل نزلت فى انى حمل ( وقيل للظالمين ) عطف على يبق اى ويقال لهم من جهة حرية النار وصيغة الماضى للدلالة على التحقنى والقرار وقيل هو حال من ضمير يتى بصمارة ووضع المظهر فى مقام المضمرة للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلامة الامر فى قوله تعالى ( دوفا ما كنتم تكسبون ) اى وبال ما كنتم تكسبون فى الدنيا على الدوام من الكرم والمعاصى ( كذب المدين من قبلهم ) استشف مسوق لبيان

والله اعلم (الصفة السابعة) من صفات القرآن قوله تعالى كتابا متشابها أما الكتاب فقد  
فسرناه في قوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه وأما كونه متشابها فاعلم ان هذه الآية  
تدل على ان القرآن كله متشابه وقوله هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن  
ام الكتاب وأخر متشابهات يدل على كون البعض متشابها دون البعض وأما كونه كله  
متشابها كما في هذه الآية فقال ابن عباس معناه انه يشبه بعضه بعضا وأقول هذا التشابه  
يحصل في أمور (أحدها) ان الكاتب البليغ اذا كتب كتابا طويلا فانه يكون بعض  
كلماته فصيحاً ويكون البعض غير فصيح والقرآن يخالف ذلك فانه فصيح كامل الفصاحة  
بجميع اجزائه (وثانيها) ان الفصيح اذا كتب كتابا في واقعة بألفاظ فصيحة فلو كتب  
كتابا آخر في غير تلك الواقعة كان الغالب ان كلامه في الكتاب الثاني غير كلامه  
في الكتاب الاول والله تعالى حكى قصة موسى عليه السلام في مواضع كثيرة من القرآن  
وكلامها متساوية متشابهة في الفصاحة (وثالثها) ان كل ما فيه من الآيات والبيانات فانه  
يقوى بعضها بعضا ويؤكد بعضها بعضا (ورابعها) ان هذه الانواع الكسيرة من العلوم  
التي عدناها متشابهة مشاركة في ان المقصود منها بأسرها الدعوى الى الدين وتقرير  
عظمة الله ولذلك فانك لا ترى قصة من القصص الا ويكون محصلها المقصود الذي ذكرناه  
فهذا هو المراد من كونه متشابها والله الهادي (الصفة الثامنة) من صفات القرآن كونه  
مثنائى وقد بالعنا في تفسير هذه اللفظة عند قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والجملة  
فأكثر الاشياء المذكورة وقعت زوجين زوجين مثل الامر والنهي والعام والخاص والمجمل  
والمفصل واحوال السموات والارض والجنة والنار والظلمة والضوء والروح والقلم  
والملائكة والشياطين والعرش والكرسى والوعود والوعيد والرجاء والخوف والمقصود  
منه بيان ان كل ما سوى الحق زوج ويدل على ان كل شئ مبني بضده ونقيضه وان الفرد  
الاحد الحق هو الله سبحانه (الصفة الرابعة) من صفات القرآن قوله تقشعر منه جلود الذين  
يخشون ربهم ثم تلتن جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وفيه مسائل (المسألة الاولى) معنى  
تقشعر جلودهم تأخذهم قشعريرة وهي تغير يحدث في جلد الانسان عند الوجع والخوف  
قال المفسرون والمعنى انهم عند سماع آيات الرحمة والاحسان يحصل لهم الفرح فتلتن  
قلوبهم الى ذكر الله واقول ان المحققين من العارفين قالوا السائر في مبدأ جلال الله ان  
نظروا الى عالم الجلال طاشوا وان لاح لهم ازمن عالم الجمال عاشوا ويجب علينا ان نذكر  
في هذا الباب مزيد شرح وتقرير فتقول الانسان اذا تأمل في الدلائل الدالة على انه يجب  
تنزيه الله عن التحيز والجهة فهنا يقشعر جلده لان انبات موجود لا داخل العالم ولا خارج  
ولا متصل بالعالم ولا منفصل عن العالم مما يصعب تصوره فهنا تقشعرا جلودا ما اذا تأمل  
في الدلائل الدالة على انه يجب ان يكون فردا احدا وبت ان كل متخير فهو مقسم فهما  
لين جلده وقلبه الى ذكر الله وايضا اذا اراد ان يحيط عقله بمعنى الازل فيتقدم في ذهنه

ما اصاب بعض الكفرة من  
العداب الديوى اتريبا  
ما يصيب الكل من العذاب  
الاخروي اى كذب الذين من  
قبلهم من الامم السالفة (فأتاهم  
العداب) المقدر بكل امة  
منهم (من حيث لا يشعرون)  
من الجهة التي لا يحسبون ولا  
يخطر ببالهم اتيان الشرمنا  
(فأتاهم الله المزمى) اى  
الذل والصغار (في الحياة  
الدنيا) كالسيف والحسف والقتل  
والسبي والاحلاء ونحو ذلك من  
فنون السكال (ولعداب  
الآخرة) المعد لهم (الكبر)  
لشدته وسرمديته (لو كانوا  
يعلمون) اى لو كان من شأنهم  
ان يعلموا شيئا لعلوا ذلك واعتبروا به  
(ولقد ضربا للناس في هذا  
القرآن من كل مثل) يحتاج  
اليه الناظر في امور دينه  
(لعلهم يتذكرون) كى  
تذكروا به ويتعظوا (قرآما  
عريا) حال مؤكدة من هذا على  
ان مدار التأکید هو الوصف  
كقولك جاءني زيد حالا صالحا  
او مدح له (غيردى عوج)  
لا احلاف فيه بوجه من الوجوه  
فهو المبلغ من المستقيم واخص  
بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك  
(لعلهم يتقون) علة أخرى  
مترسة على الاولى



(ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) ايراد لمثل من الامثال القرآنية بعد بيان ان الحكمة في ضربها هو التذكير والاتعاظ بها ونحصيل التقوى والمراد بضرب المثل ههنا تطبيق حالة عجيبة بأخرى مثلها وجعلها مثلها كما في سورة يس ومثلا مفعول ثان لضرب ورجلا مفعوله الاول اخر عن الثاني للتشويق اليه وليتصل به ما هو من نتمته التي هي العمدية في التمثيل وفيه ليس نصلة الشركاء كاقيل بل هو خبره وبيان انه في الاصل كذلك عما لا حاجة اليه والجملة في حين النصب على انه وصف لرجلا والوصف هو الجار والمجرور وشركاء مرتفع به على الفاعلية لاعتقاده على الموصوف فالعنى جعل الله تعالى مثلا للمشارك حسبا يقود اليه مذهبه من ادعاء كل من من معبوده عبوديته عبادة يشترك فيه جماعة يتجاوزونه ويتجاوزونه في مهماتهم المتبينة في تحييره وتوزيع قلبه (ورجلا) اى وحصل للموحد مثلا رجلا (سما) اى خالصا (لرجل) فرد ليس لغيره عليه سبيل اصلا وقرئ سلبا بفتح السين وكسرها مع سكون اللام والكل مصادر من سلمه كذا اى خلص نعت بهامالفة او حذف منها دوو قرئ سلبا وسالم اى وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن لما يجري عليه من الضر

بمقدار الف سنة ثم يتقدم ايضا بحسب كل لحظة من لحظات تلك المدة الف سنة ولا يزال يحتمل ويتقدم ويتخيل في الذهن فاذا بالغ وتوغل وظن انه استحضر معنى الازل قال العقل هذا ليس بشئ لان كل ما استحضرت في فهو متناه والازل هو الوجود المتقدم على هذه المدة المتناهية فهنا يتحير العقل ويقشعر الجلد واما اذا ترك هذا الاعتبار وقال ههنا موجود والموجود اما واجب واما ممكن فان كان واجبا فهو دائما منزه عن الاول والاخر وان كان ممكنا فهو محتاج الى الواجب فيكون ازليا ابديا فاذا اعتبر العقل فهم معنى الازلية فهنا يلين جلده وقلبه الى ذكر الله فثبت ان المقامين المذكورين في الآية لا يجب قصرهما على سماع آية العذاب وآية الرحمة بل ذاك اول تلك المراتب بعده مراتب لاحد لها ولا حصر في حصول تلك الحالتين المذكورتين (المسئلة الثانية) روى الواحدى في البسيط عن قتادة انه قال القرآن دل على ان اولياء الله موصوفون بأنهم عند المكاشفات والمشاهدات تارة تقشعر جلودهم واخرى تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وليس فيه ان عقولهم تزول وان اعضاءهم تضطرب فدل هذا على ان تلك الاحوال لو حصلت لكانت من الشيطان واقول ههنا بحث آخر وهو ان الشيخ اباحامد الغزالي اورد مسئلة في كتاب احياء علوم الدين وهى ان ترى كثير من الناس يظهر عليه الوجد الشديد التام عند سماع الايات المشتملة على شرح الوصل والهجر وعند سماع الايات لا يظهر عليه شئ من هذه الاحوال ثم انه سلم هذا المعنى وذكر العذرة من وجوه كثيرة وانا نقول انى خلقت محروما عن هذا المعنى فانى كلما تأملت في اسرار القرآن اقشعر جلدى ووقف على شعري وحصلت في قلبى دهشة وروعة وكما سمعت تلك الاشعار غلب الهزل على وما وجدت البتة في نفسى منها اثرا واظن ان المنهج القويم والصراط المستقيم هو هذا وبيانه من وجوه (الاول) ان تلك الاشعار كلمات مشتملة على وصل وهجر وبغض وحب وتليق بالخلق واثباته في حق الله تعالى كفر واما الانتقال من تلك الاحوال الى معان لاشقة بجلال الله فلا يصل اليها الا العلماء الراسخون في العلم واما المعانى التى يشتمل عليها القرآن فهى احوال لاشقة بجلال الله فمن وقف عليها عظم الواله في قلبه فان من كان عنده الايمان وجب ان يعظم اضطرابه عند سماع قوله وعنده مفتح الغيب لا يعلمها الا هو الى آخر الآية (والثاني) وهوانى سمعت بعض المشايخ قال كيان الكلام له اثر فكذلك صدور ذلك الكلام من القائل المعين له اثر لان قوة نفس القائل تعين على نفاذ الكلام في الروح والقائل في القرآن هنا هو الله بواسطة جبريل بتبليغ الرسول المعصوم والقائل هناك شاعر كذاب يملو من الشهوة وداعية الفجور (والثالث) ان مدار القرآن على الدعوة الى الحق قال تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض واما الشعر فمداره على الباطل قال تعالى والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر انهم فى كل واد يعجبون وانهم يقولون ما لا يفعلون فهذه الوجوه الثلاثة فروق ظاهرة واما ما يتعلق

بالوجدان من النفس فان كل احد انما يخبر عما يجده من نفسه والذي وجدته من النفس والعقل ما ذكرته والله اعلم (المسئلة الثالثة) في بيان ما بقى من المشكلات في هذه الآية وتذكرها في معرض السؤال والجواب (السؤال الاول) كيف تركيب لفظ القشعريرة الجواب قال صاحب الكشف تركب من حروف القشعر وهو الاديم اليابس مضموما اليها حرف رابع وهو الراء ليكون رابعا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وذلك مثل في شدة الخوف (السؤال الثاني) كيف قال تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وما الوجه في تعديده بحرف الى والجواب التقدير تلين جلودهم وقلوبهم حال وصولها الى حضرة الله وهو لا يحس بالادراك (السؤال الثالث) لم قال الى ذكر الله ولم يقل الى ذكر رجة الله والجواب ان من أحب الله لاجل رحته فهو ما أحب الله وانما أحب شيئا غيره وامان أحب الله لالشيء سواه فهذا هو المحب الحق وهو الدرجة العالية فهذا السبب لم يقل ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر رجة الله بل قال الى ذكر الله وقدين الله تعالى هذا المعنى في قوله تعالى فنير الله ان يهديه بشرح صدره للاسلام وفي قوله ألا بدكر الله نطمئن القلوب وايضا قال لامة موسى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وقال ايضا لامة محمد صلى الله عليه وسلم فاذكروني أذكركم (السؤال الرابع) لم قال في جانب الخوف قشعريرة الجلود فقط وفي جانب الرجاء تلين الجلود والقلوب معا والجواب لان المكاشفة في مقام الرجاء اكل منها في مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والشر مطلوب بالعرض ومحل المكاشفات هو القلوب والارواح والله اعلم \* ثم انه تعالى لما وصف القرآن بهذه الصفات قال ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضل الله فآله من هاد فقوله ذلك اشارة الى الكتاب وهو هدى الله يهدي به من يشاء من عباده وهو الذي شرح صدره اول لقبول هذه الهداية ومن يضل الله اى من جعل قلبه قاسيا مظلما لبليد الفهم منافيا لقبول هذه الهداية فآله من هاد واستدلال اصحابنا بهذه الآية وسؤالات المعتزلة وجوابات اصحابنا عين ما تقدم في قوله فنير الله ان يهديه بشرح صدره للاسلام اما قوله تعالى أفن يتق بوجهه سوء العذاب يوم القيامة فاعلم انه تعالى حكم على القاسية قلوبهم بحكم في الدنيا وبحكم في الآخرة اما حكمهم في الدنيا فهو الضلال التام كما قال ومن يضل الله فآله من هاد واما حكمهم في الآخرة فهو العذاب الشديد وهو المراد من قوله أفن يتق بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وتقديره ان اشرف الاعضاء هو الوجه لانه محل الحسن والصبوحة وهو ايضا صومعة الخواس وانما يتميز بعض الناس عن بعض بسبب الوجه واثر السعادة والشقاوة لا يظهر الا في الوجه قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها تارة اولئك هم الكفرة الفجرة ويقال لمقدم القوم يا وجه العرب ويقال للطريق الدال على كنه حال الشيء وجه كذا هو كذا فبنت بما ذكرنا ان اشرف الاعضاء هو الوجه فاذا وقع الانسان في

والنمى (هل يستويان مثلا) انكار واستبعاد لاستتواها ونفى له على المبلغ وجه آكد وايدان بأن ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر احد ان يتفوه باستتواها او يتلعم في الحكم بتباينها ضرورة ان احدهما في اعلى عليين والاخر في اسفل سافلين وهو السرق انهم الفاضل والمفصول واتصاف مثلا على التمييز اى هل يستوى حالهما وصفتهما والافتقار في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله تعالى اكثر اموالا واولادا للاشعار باختلاف نوع اولاد المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين لان التقدير مثل رجل فيه الخ ومثل رجل الخ وقوله تعالى (الحمد لله) تقرير لما قبله من نفي الاستواء بطريق الاعتراض وتبيين للموحد على ان ما لهم من المزية بتوفيق الله تعالى وانها انعمة جليلة موجبة عليهم ان يداوموا على حمده وعبادته او على ان يانه تعالى ضرب المثل ان لهم المثل الاعلى والمشركين مثل السوء صنع جبيل ولطف تام منه عروجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله تعالى (بل اكثرهم لا يعلمون) اشراق وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان ان اكثر الناس وهم

نوع من انواع العذاب فانه يجعل بده وقاية لوجهه وفداء له واذا عرفت هذا فقول اذا كان القادر على الاتقاء يجعل كل ماسوى الوجه فداء للوجه لاجرم حسن جعل الاتقاء بالوجه كناية عن العجز عن الاتقاء ونظيره قول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم \* بين فلول من قراع الكتائب

اى لا عيب فيهم الا هذا وهو ليس بعيب فلا عيب فيهم اذن بوجه من الوجوه فكذا هيها لا يقدر على الاتقاء بوجه من الوجوه الا بالوجه وهذا ليس باتقاء فلا قدرة لهم على الاتقاء البتة ويقال ايضا ان الذى يلقى فى النار يلقى مغلوله بده الى عنقه ولا يتهيأ له ان يتقى النار الا بوجهه اذ عرفت هذا فنقول جوابه محذوف وتقديره ان يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة كن هو آمن من العذاب فحذف الخبر كما حذف فى نظائره وسوء العذاب شدته ثم قال تعالى وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون ولما بين الله تعالى كيفية عذاب القاسية قلوبهم فى الآخرة بين ايضا كيفية وقوعهم فى العذاب فى الدنيا فقال كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وهذا تنبيه على حال هؤلاء لان الفاء فى قوله فأتاهم العذاب تدل على انهم اتاهم العذاب بسبب التكذيب فاذا كان التكذيب حاصلا ههنا لم حصول العذاب استدلالا بالعلة على المعلول وقوله من حيث لا يشعرون اى من الجهة التى لا يحسبون ولا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها بينما هم آمنون اذ أتاهم العذاب من الجهة التى توقعوا الا من منها ولما بين تعالى انه اتاهم العذاب فى الدنيا بين ايضا انه اتاهم الخرى وهو الذل والصغار والهوان والفائدة فى ذكر هذا القيد ان العذاب الثام اى يحصل فيه الالم مقرونا بالهوان والذل ثم قال ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون يعنى ان اولئك وان نزل عليهم العذاب والخرى كما تقدم ذكره فالعذاب المدخر لهم فى يوم القيامة اكبر واعظم من ذلك الذى وقع المقصود من كل ذلك التخويف والترهيب فلما ذكر الله تعالى هذه الفوائد المتكاثرة والفائس المتوافرة فى هذه المطالب بين تعالى انه بلغت هذه البيانات الى حد الكمال والتمام فقال ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون والمقصود ظاهر وقالت المعتزلة دلت الآية على ان افعال الله واحكامه معللة ودلت ايضا على انه يريد الايمان والمعرفة من الكل لان قوله ولقد ضربنا للناس مشعر بالتعليل وقوله فى آخر الآية لعلمهم يتذكرون مشعر بالتعليل ايضا ومشعر بأن المقصود من ضرب هذه الامثال ارادة حصول التذكرو العلم ولما كانت هذه البيانات النافعة والبيانات الباهرة موجودة فى القرآن لاجرم وصف القرآن بالمدح والثناء فقال قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلمهم يتقون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) احتج القائلون بحدوث القرآن بهذه الآية من وجوه (الاول) ان قوله ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون يدل على انه تعالى انما ذكر هذه الامثال ليحصل لهم التذكر والشئ الذى يؤتى به ليعرض آخر يكون محدثا فان القديم

المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيبقون فى ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى (انك ميت والهم ميتون) تهديد لما يعقبه من الاحتضام يوم القيامة وقرئ مائت ومائتون وقيل كانوا يرتضون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته اى انكم جميعا تصعد الموت (ثم انكم يوم القيامة همد ربكم) اى مالك اموركم (تختصمون) قصص أدت علمهم بأنك تلغتهم ما أرسلت به من الاحكام والمواظع التى من جلتها ما فى تضاعيف هذه الآيات واجتهدت فى الدعوة الى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجأوا الى المكابرة والعناد وقبل المراد به الاختصاص العام الحارى فى الدنيا بين الانام

هو الذى يكون موجودا فى الازل وهذا يمتنع ان يقال انه انما اتى به لغرض كذا وكذا  
 ( الثانى ) انه وصفه بكونه عربيا وانما كان عربيا لان هذه الالفاظ انما صارت دالة على  
 هذه المعانى بوضع العرب وباصطلاحهم وما كان حصوله بسبب اوضاع العرب  
 واصطلاحاتهم كان مخلوقا محدثا ( الثالث ) انه وصفه بكونه قرآنا والقرآن عبارة عن  
 القراءة والقراءة مصدر والمصدر هو المفعول المطلق فكان فعلا ومفعولا والجواب انا  
 نحمل كل هذه الوجوه على الحروف والاصوات وهى حادثة ومحدثة ( المسئلة الثانية ) قال  
 الزجاج قوله عربيا منصوب على الحال والمعنى ضربنا للناس فى هذه القرآن فى حال عربيته  
 وبيانه ويجوز ان ينتصب على المدح ( المسئلة الثالثة ) انه تعالى وصفه بصفات ثلاثة  
 ( اولها ) كونه قرآنا والمراد كونه متلوا فى المحارب الى قيام القيامة كما قال انا نحن نزلنا  
 الذكر وانا له لحافظون ( وثانيها ) كونه عربيا والمراد انه اعجز الفصحى والبلغاء عن  
 معارضته كما قال قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله  
 ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ( وثالثها ) كونه غير ذى عوج والمراد براءته عن التناقض  
 كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وأما قوله لعلمهم يتقون فالمعترلة  
 يتمسكون به فى تعليل احكام الله تعالى ( وفيه بحث آخر ) وهو انه تعالى قال فى الآية  
 الاولى لعلمهم يتذكرون وقال فى هذه الآية لعلمهم يتقون والسبب فيه ان التذكرا متقدم  
 على الاتقاء لانه اذا تذكره وعرفه ووقف على فوائده وأحاط بمعناه حصل الاتقاء والاحتراز  
 والله اعلم \* قوله تعالى ( ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل  
 يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة  
 عند ربكم تختصمون فن اعظم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه اليس فى جهنم  
 مثوى للكافرين ) اعلم انه تعالى لما بالغ فى شرح وعيد الكفار اردفه بذكر مثل ما يدل  
 على فساد مذهبهم وقبح طريقته فقال ضرب الله مثلا وفيه مسائل ( المسئلة الاولى )  
 المتشاكسون المختلفون العمرون يقال شكس يشكس شكوسا وشكسا اذا عسر وهو  
 رجل شكس اى عسر وتشاكس اذا تعاسر قال الليث التشاكس التنازع والاختلاف  
 ويقال الليل والنهار متشاكسان اى انهما متضادان اذا جاء احدهما ذهب الآخر وقوله  
 فيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه ( المسئلة الثانية ) قرأ ابن كثير وابو عمرو وسالما  
 بالالف وكسر اللام يقال سلم فهو سالم والباقون سلبا بفتح السين واللام بغير الف والالف  
 ايضا بفتح السين وكسرهما مع سكون العين اما من قرأ سالما فهو اسم الفاعل تقديره سلم فهو  
 سالم واما سائر القراءات فهى مصادر سلم والمعنى ذا سلامة وقوله لرجل اى داخلوص له من  
 الشركة من قولهم سلمت له الضيعة وقرى بالرفع على الابتداء اى وهنالك رجل سالم لرجل  
 ( المسئلة الثالثة ) تقدير الكلام اضرب لقومك مثلا وقل لهم ما يقولون فى رجل من  
 المهاليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعى انه عبده فهم

والاول هو الاظهر الانسب  
 بقوله تعالى ( فن اعظم ممن كذب  
 على الله ) فانه الى آخره مسوق  
 لبيان حال كل من طر فى الاختصاص  
 الجارى فى شأن الكفر والايمان  
 لاغير اى اعظم من كل ظالم من  
 اقترى على الله سبحانه وتعالى  
 بأن أضاف اليه الشريك والولد  
 ( وكذب بالصدق ) اى بالامر  
 الذى هو عين الحق ونفس  
 الصدق وهو ما جاء به النبي  
 صلى الله عليه وسلم ( اذ جاءه )  
 اى فى اول مجيئه من غير تدبر  
 فيه ولا تأمل ( اليس فى جهنم  
 مثوى للكافرين ) اى لهؤلاء  
 الذين اقترؤا على الله سبحانه  
 وسارعوا الى التكذيب بالصدق  
 من اول الامر والجمع باعتبار  
 معنى من كان الافراد فى الضمائر  
 السابقة باعتبار لفظها والجنس  
 الكفرة وهم داخلون فى الحكم  
 دخولا اوليا

تجاذبونه في حوائجهم وهو متخير في أمره فكلما ارضى احدهم غضب الباقون واذا احتاج في مهم اليهم فكل واحد منهم يرده الى الآخر فهو يبق متخييرا لا يعرف ايهم اولى بأن يطلب رضاه وايهم يعينه في حاجاته فهو بهذا السبب في عذاب دائم وتعب مقيم ورجل آخر له مخدوم واحد يتخدمه على سبيل الاخلاص وذلك المخدوم يعينه على مهماته فأى هذين العبدین احسن حالا واجد شأنا والمراد تمثيل حال من ثبتت آلهة شتى فان اولئك الآلهة تكون متنازعة متغالبه كما قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا وقال ولعلنا بعضهم على بعض فيبقى ذلك المشرك متخييرا ضالا لا يدري اى هؤلاء الآلهة يعبد وعلى ربوبية ايهم يعتمدون يطلب رزقه ومن يلمس رقبته فهمه شفاع قلبه اوزاع امان لم يثبت الا اله واحد فلهو قائم بما كلفه عارف بما رضاء وما استخطه فكان حال هذا أقرب الى الصلاح من حال الاول وهذا مثل ضرب في غاية الحسن في تقبيح الشرك وتحسين التوحيد فان قيل هذا المثال لا ينطبق على عبادة الاصنام لانها جادات فليس بينها منازعة ولا مشاكسة قلنا ان عبدة الاصنام مختلفون منهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الكواكب السبعة فهم في الحقيقة انما يعبدون الكواكب السبعة ثم ان القوم يثبتون بين هذه الكواكب منازعة ومشاكسة ألا ترى انهم يقولون زحل هو النفس الاعظم والمشتري هو السعد الاعظم ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الارواح الفلكية والقائلون بهذا القول زعموا ان كل نوع من انواع حوادث هذا العالم يتعلق بروح من الارواح السماوية وحينئذ يحصل بين تلك الارواح منازعة ومشاكسة وحينئذ يكون المثل مطابقا ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الاشخاص من العلماء وازهاد الذين مضوا فهم يعبدون هذه التماثيل لتصير اولئك الاشخاص من العلماء وازهاد شفعاء لهم عند الله والقائلون بهذا القول تزعم كل طائفة منهم ان الحق هو ذلك الرجل الذي هو على دينه وان من سواه مبطل وعلى هذا التقدير ايضا ينطبق المثال فثبت ان هذا المثال مطابق للقصد اما قوله تعالى هل يستويان مثلا فالتقدير هل يستويان صفة فقوله مثلا نصب على التمييز والمعنى هل تستوي صفتاهما وحالتاهما وانما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين ثم قال الحمد لله والمعنى انه لما بطل القول بانبات الشركاء والانداد وثبت انه لا اله الا هو الواحد الاحد الحق ثبت ان الحمد لله لا لغيره ثم قال بعده بل اكثرهم لا يعلمون اى لا يعلمون ان الحمد لله لا لغيره وان المستحق للعبادة هو الله لا غيره وقيل المراد انه لما سبقت هذه الدلائل الظاهرة والبيانات الباهرة قال الحمد لله على حصول هذه البيانات وظهور هذه البيانات وان كان اكثر الخلق لم يعرفوها ولم يقفوا عليها ولم يتم الله هذه البيانات قال انك ميت وانهم ميتون والمراد ان هؤلاء الاقوام وان لم يلتفتوا الى هذه الدلائل القاهرة بسبب استيلاء الحرص والحسد عليهم في الدنيا فلا تبال يا محمد بهذا فانك ستوت وهم ايضا سيموتون ثم تحشرون يوم القيامة وتختصمون عند الله تعالى والعاذل

(والذى جاء بالصدق وصدق به)  
الموصول عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه كما ان المراد في قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لعلمهم بهتدون هو عليه الصلاة والسلام وقومه وقيل عن الجنس المتناول للرسل والمؤمنين بهم ويؤيده قرآنهم مسعود رضى الله عنه والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج والفريق ( اولئك ) الموصوفون بما ذكر من الحمى بالصدق والتصديق به ( هم المتقون ) المتقون بالتقوى التى هي اجل الرغائب وقرئ وصدق به بالتخفيف اى صدق به الناس فأداه اليهم كما نزل عليه من غير تغيير وقيل وصار صادق به اى بسببه لان ما جاء به من القرآن مجزأة دالة على صدقه عليه الصلاة والسلام وقرئ صدق به على البناء للفعول ( لهم ما يشاؤون عند ربهم ) بيان للهم في الآخرة من حسن المآب بعد بيان ما لهم في الدنيا من محاسن الاعمال اى لهم كل ما يشاؤون من جلب المنافع ودفع المضار في الآخرة لائى الجنة فقط لما ان بعض ما يشاؤون من تكثير السميات والأمن من القزع الاكبر وسائر احوال القيامة انما يقع قبل دخول الجنة ( ذلك ) الذى ذكر من حصول كل ما يشاؤون ( جزاء المحسنين ) اى الذين

الحق يحكم بينكم فيوصل الى كل واحد ما هو حقه وحيثما يتبرأ الحق من المبطل والصدى  
من الزندق فهذا هو المقصود من الآية وقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون اى انك  
واياهم وان كنتم احياء فانك واياهم في اعداد الموتى لان كل ما هو آت ثم يمين تعالى نوما  
آخر من قبائح افعالهم وهوانهم يكذبون ويضمون اليه انهم يكذبون القائل الحق امانهم  
يكذبون فهو انهم اثبتوا الله ولدا وشركاء واما انهم مصررون على تكذيب الصادقين فلا نهم  
يكذبون محمدا صلى الله عليه وسلم بعد قيام الدلالة القاطعة على كونه صادقا في ادعاء النبوة  
ثم اردفه بالوعيد فقال أليس في جهنم مثوى للكافرين ومن الناس من تمسك بهذه الآية  
في تكفير المخالف من اهل القبلة وذلك لان المخالف في مسائل كلها القطعية يكون كاذبا  
في قوله ويكون مكذبا للمذهب الذى هو الحق فوجب دخوله تحت هذا الوعيد **قوله**  
**تعالى (والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء**  
**المحسنين ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا ويمجزهم اجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون**  
**أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فإله من هاد ومن يهد الله**  
**فإله من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام)** اعلم انه تعالى لما ذكر وعيد الكاذبين  
والمكذبين للصادقين ذكر عقبيه وعد الصادقين ووعد الصادقين ليكون الوعد مقرونا  
بالوعيد وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله والذى جاء بالصدق وصدق به تقديره والذى  
جاء بالصدق والذى صدق به وفيه قولان (الاول) ان المراد شخص واحد فالذى جاء  
بالصدق محمد والذى صدق به هو ابوبكر وهذا القول مروى عن علي بن ابي طالب عليه  
السلام وجاعة من المفسرين رضى الله عنهم (والثاني) ان المراد منه كل من جاء بالصدق  
فالذى جاء بالصدق الانبياء والذى صدق به الاتباع واحتج القائلون بهذا القول بأن الذى  
جاء بالصدق جاعة والامم يجران يقال اولئك هم المتقون (المسئلة الثانية) ان الرسالة لا تتم  
الا بأركان اربعة المرسل والمرسل والمرسل اليه والمقصود من الارسال اقام  
المرسل اليه على القبول والتصديق فأول شخص اتى بالتصديق هو الذى يتم به الارسال  
وسمعت بعض القاصين من الذى يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال دعوا ابا بكر  
فانه من تمة النبوة واعلم أنا سواء قلنا المراد بالذى صدق به شخص معين او قلنا المراد منه كل  
من كان موصوفا بهذه الصفة فان ابا بكر داخل فيه اما على التقدير الاول فدخول ابي بكر  
فيه ظاهر وذلك لان هذا يتناول اسبق الناس الى التصديق واجمعوا على ان الاسبق  
الافضل اما ابوبكر واما على وجه هذا اللفظ على ابي بكر اولى لان عليا عليه السلام كان  
وقت البعثة صغيرا فكان كالولد الصغير الذى يكون فى البيت ومعلوم ان اقامه على  
التصديق لا يفيد مزيد قوة وشوكة اما ابوبكر فانه كان رجلا كبيرا فى السن كبيرا فى  
المنصب فأقامه على التصديق يفيد مزيد قوة وشوكة فى الاسلام فكان جل هذا اللفظ  
على ابي بكر اولى (واما على التقدير الثاني) فهو ان يكون المراد كل من كان موصوفا بهذه

احسنوا اعمالهم وقد مر تفسير  
الاحسان غير مرة وقوله تعالى  
(ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا)  
الح متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاؤون  
لكن لا باعتبار منطوقه ضرورة  
ان التكفير المذكور لا يتصور  
كونه غاية لثبوت ما يشاؤون لهم  
فى الآخرة كيف لا وهو بعض  
ما سيثبت لهم فيها بل باعتبار  
نحوه فانه حيث لم يكن اخبارا  
بما ثبت لهم فيامضى بل بما سيثبت  
لهم فيما سياتى كان فى معنى الوعد  
به كما سرى فى قوله تعالى وعد الله  
فانه مصدر مؤكدا لقبله من قوله  
تعالى لهم عرف من فوفها عرف فانه  
فى معنى وعدهم الله غر فالتصيب  
به وعد الله كما نه قيل وعدهم الله  
جميع ما يشاؤون من زوال المضار  
وحصول المسار ليكفر عنهم  
بموجب ذلك الوعد اسوأ الذى  
عملوا دفعا لمضارهم (ومجزهم  
اجرهم بأحسن الذى كانوا  
يعملون) اعطاء لمنافعهم واظهار  
الاسم الجليل فى موقع الاضمار  
لا يراز كمال الاعتناء بضمون  
الكلام وازافة الاسوأ والاحسن  
الى ما بعدهما ليست من قبيل  
ازافة المفضل الى المفضل عليه  
بل من اضافة الشئ الى بعضه المقصد  
الى التحقيق والتوضيح من غير  
اعتبار تفصيله عليه واعماله  
فيهما مطلق الفضل والزيادة لا  
على المضاف اليه المعين بمخصوصه  
كافى قولهم الناقص والاشجع اعدلا  
بنى مروان

الصفة وعلى هذا التقدير يكون ابوبكر داخل فيه (المسئلة الثالثة) قال صاحب  
الكشاف قرئ وصدق بالخفيف اى صدق به الناس ولم يكذبهم يعنى أداء اليهم كما نزل عليه  
من غير تحريف وقيل وصار صادقا به اى بسببه لان القرآن معجزة والمعجزة تصديق من  
الحكيم الذى لا يفعل القبيح فبصير المدعى للرسالة صادقا بسبب تلك المعجزة وقرئ وصدق  
واعلم انه تعالى اثبت للذى جاء بالصدق وصدق به أحكاما كثيرة (فالحكم الاول) قوله  
أولئك هم المتقون وتقريره ان التوحيد والشرك ضد ان وكلما كان احدا الضدين اشرف  
واكمل كان الضد الثانى أخس وأرذل ولما كان التوحيد اشرف الاسماء كان الشرك  
أخس الاشياء والآتى بأحد الضدين يكون تاركا للضد الثانى فالآتى بالتوحيد الذى  
هو افضل الاشياء يكون تاركا للشرك الذى هو أخس الاشياء وارذلها ولهذا المعنى وصف  
المصدقين بكونهم متقين (الحكم الثانى) للمصدقين قوله تعالى لهم ما يشاؤون عند ربهم  
ذلك جزاء المحسنين وهذا الوعد يدخل فيه كل ما يرغب المكلف فيه فان قيل لاشك ان  
الكمال محبوب لذاته مرغوب فيه لذاته واهل الجنة لاشك انهم عقلاء فاذا شاهدوا  
الدرجات العالية التى هى للانبياء واكابر الاولياء عرفوا انها خيرات عالية ودرجات كاملة  
والعلم بالشيء من حيث انه كمال وخير يوجب الميل اليه والرغبة فيه واذا كان كذلك فهم  
بشاؤون حصول تلك الدرجات لانفسهم فوجب حصولها بحكم هذه الآية ايضا فان  
لم يحصل لهم ذلك المراد كانوا فى الغصة ووحشة القلب واجيب عنه بأن الله تعالى يزيل  
الحقد والحسد عن قلوب اهل الآخرة وذلك يقتضى ان احوالهم فى الآخرة بخلاف  
احوالهم فى الدنيا ومن الناس من تمسك بهذه الآية فى ان المؤمنين يرون الله تعالى يوم  
القيامة قالوا ان الذين يعتقدون انهم يرون الله تعالى لاشك انهم داخلون تحت قوله تعالى  
وصدق به لانهم صدقوا الانبياء عليهم السلام ثم ان ذلك الشخص يريد رؤية الله تعالى  
فوجب ان يحصل له ذلك لقوله تعالى لهم ما يشاؤون عند ربهم فان قالوا الانسلم ان اهل  
الجنة يشاؤون ذلك قلنا هذا باطل لان الرؤية اعظم وجوه التجلى وزوال الحجاب ولاشك انها  
حالة مطلوبة لكل احد نظر الى هذا الاعتبار بل لو ثبت بالدليل كون هذا المطلوب ممتنع  
الوجود لعينه فانه يترك طلبه لالاجل عدم المقتضى للطلب بل لقيام المانع وهو كونه  
ممتنعا فى نفسه فثبت ان هذه الشبهة قائمة والنص يقتضى حصول كل ما ارادوه وشاؤوه  
فوجب حصولها واعلم ان قوله عند ربهم لا يفيد العندية بمعنى الجهة والمكان بل بمعنى  
الصمدية والاخلاص كما فى قوله تعالى عند مليك مقتدر واعلم ان المعتزلة تمسكوا بقوله  
وذلك جزاء المحسنين على ان هذا الاجر مستحق لهم على احسانهم فى العبادات (الحكم  
الثالث) قوله تعالى ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا ويجزيهم اجرهم بأحسن الذى كانوا  
يعملون فقوله لهم ما يشاؤون عند ربهم يدل على حصول الثواب على اكل الوجوه وقوله  
ليكفر الله عنهم يدل على سقوط العقاب عنهم على اكل الوجوه فقبل المراد انهم اذا

خلان الزيادة المعتبرة فيهما  
ليست بطريق الحقيقة بل هى فى  
الاول زيادة بالنظر الى ما يليق بحالهم  
من استعظام سياهم وان قلت  
واستصغار حسناتهم وان جلت  
والثانى بالنظر الى لطف اكرم  
الاكرمين من استكثار الحسنة  
اليسيرة ومقابلتها بالثواب الكثيرة  
وحل الزيادة على الحقيقة وان  
امكن فى الاول بناء على ان  
تخصيص الاسوأ بالذكر لبيان  
تكفير مادونه بطريق الاولوية  
ضرورة استنزام تكفير الاسوأ  
لتكفير السيئ لكن لما لم يكن ذلك  
فى الاحسن كان الاحسن نظهما  
فى سلك واحد من الاعتبار  
والجمع بين صيغتي الماضى  
 والمستقبل فى صلة الموصول  
الثانى دون الاول للايدان  
 باستمرارهم على الاعمال الصالحة  
 بخلاف السيئة (ليس الله يكاف  
 عبده) انكارونفى لعدم كفايته  
 تعالى على ابلغ وجهه وآكده كان  
 الكفاية من التحقق والظهور  
 بحيث لا يقدر احد على ان  
 يتفوه بعدهما او يتلعم فى الجواب  
 بوجودها والمراد بالعباد اما رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم والجنس  
 المنظم له عليه السلام انتظاما واوليا  
 ويؤيده قراءة من قرأ عباده وفسر  
 بالانبياء عليهم الصلوة والسلام  
 وكذا قراءة من قرأ بكافى عباده  
 على الاضافة وبكافى عباده على  
 صيغة المغالبة اما من الكفاية  
 لا فائدة



صدقوا الانبياء عليهم السلام فيما اتوا فان الله يكفر عنهم اسوأ اعمالهم وهو الكفر السابق على ذلك الايمان ويوصل اليهم احسن انواع التواب وقال مقاتل يحجزهم بالحاسن من اعمالهم ولا يحجزهم بالمساوي واعلم ان مقاتلا كان شيخ الرحلة وهم الذين يقولون لا يضر شئ من المعاصي مع الايمان كما لا ينفع شئ من الطاعات مع الكفر واحتج بهذه الآية فقال انتهت على ان من صدق الانبياء والرسول فانه تعالى يكفر عنهم اسوأ الذي عملوا ولا يجوز حل هذا الاسوأ على الكفر السابق لان الظاهر من الآية يدل على أن التكفير انما حصل في حال ما وصفهم الله بالتقوى وهو التقوى من الشرك واذا كان كذلك وجب ان يكون المراد منه الكبائر التي يأتي بها بعد الايمان فتكون هذه الآية تنصصا على انه تعالى يكفر عنهم بعد ايمانهم اسوأ ما يأتون به وذلك هو الكبائر (الحكم الرابع) انه جرت العادة ان الباطلين يخوفون المحقين بالتخويفات الكثيرة فحسم الله مادة هذه الشبهة بقوله تعالى أليس الله بكاف عبده وذكره بلفظ الاستفهام والمراد تقرير ذلك في النفوس والامر كذلك لانه ثبت انه عالم بجميع المعلومات قادر على كل الممكنات غني عن كل الحاجات فهو تعالى عالم حاجات العباد وقادر على دفعها وابدالها بالخيرات والراحات وهو ليس بخيلا ولا محتاجا حتى يمتنع بخله وحاجته عن اعطاء ذلك المراد واذا ثبت هذا كان الظاهر انه سبحانه يدفع الآفات ويزيل البليات ويوصل اليه كل المرادات فلماذا قال أليس الله بكاف عبده ولماذا كرر الله المقدمة رتب عليها النتيجة المطلوبة فقال ويخوفونك بالذين من دونه يعني لما ثبت ان الله كاف عبده كان التخويف بغير الله عبثا وباطلا قرأ أكثر القراء عبده بلفظ الواحد وهو اختيار ابى عبيدة لانه قال له ويخوفونك روى ان قريشا قالت للنبى صلى الله عليه وسلم انا نخاف ان نخبك آلهتنا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقرأ جماعة عباده بلفظ الجمع قيل المراد بالعباد الانبياء فان نوحا كفاه الفرق و ابراهيم النار ويونس بالانجاء مما وقع له فهو تعالى كافيك يا محمد كما كفى هؤلاء الرسل قبلك وقيل ائمة الانبياء قصدوهم بالسوء لقوله تعالى وهمت كل امة برسولهم وكفاهم الله شر من عاداهم واعلم انه تعالى لما اطعن في شرح الوعيد والوعد والترهيب والترغيب ختم الكلام بخاتمة هي الفصل الحق فقال ومن يضل الله فانه من هاد ومن يهد الله فانه من مضل يعني هذا الفصل لا ينفع والنيات الا اذا خص الله العبد بالهداية والتوفيق وقوله أليس الله بعزير ذى انتقام تهديد للكفار واعلم ان اصحابنا يتسكون في مسئلة خلق الاعمال وارادة الكائنات بقوله ومن يضل الله فانه من هاد ومن يهد الله فانه من مضل والمباحث فيه من الجانبين معلومة والمعتزلة يتسكون على صحة مذهبه في هاتين المسئلتين بقوله أليس الله بعزير ذى انتقام ولو كان الخالق للكفر فيهم هو الله لكان الانتقام والتهديد غير لائق به ﴿ قوله تعالى ﴾ (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أرايتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل يكشفن عني ذلك لضر (او ارادني

المباغة فيها وامان المكافاة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما قالت له قريش انا نخاف ان نخبك آلهتنا ويصيبك ضررتها لعبك اياها وفي رواية قالوا التكفن عن شئ آلهتنا اولي صيبتك منهم خبل او جنون كما قال قوم هود ان تقول الاعتراف بعض آلهتنا بسوء وذلك قوله تعالى (ويخوفونك بالذين من دونه) اي لا واثان التي اتخذوها آلهة من دونه تعالى والجملة استثناف وقيل حال (ومن يضل الله) حتى عمل عن كمياته تعالى وعصيته له عليه الصلاة والسلام وخوفه بما لا ينفع ولا يضر اصلا (فاله من هاد) يهديه الى حيزه (ومن يهد الله فانه من مضل) يصرفه عن مقصده او يصيبه بسوء يخل بسلوكة اذ لا اراد لفعله ولا معارضا لارادته كما ينطبق بقوله تعالى (اليس الله بعزير) غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا يمازح (ذى انتقام) ينتقم من اعدائه لا يياه وواظهار الاسم الحليل في موقع الاضرار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهانة (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) لوضوح الدليل وسنوح السبيل (قل) تبيكتهم (افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره) اي بعد ما تحققت ان خالق العالم العلوى والسفلى هو الله عز وجل فاخبروني ان آلهتكم ان ارادني الله بضر هل يكشفن عني ذلك لضر (او ارادني

رجة) اى أو أرادلى بنفع(هل

هن ممسكات رجته) فينعبها عى  
وفرى كاشفات ضره وممسكات  
رجته بالتونين فيهما ونصب  
ضره ورجته وتعليق ارادة  
الضروالرجة بنفسه عليه الصلاة  
والسلام للرد فى نخورهم حيث  
كانوا خوفوه معرة الاوثان  
ولما فيه من الايدان باحاض  
النصيحة (فلحسى الله) اى فى  
جميع امورى من اصابة الخير  
ودفع الشر روى انه عليه الصلاة  
والسلام لما سألهم سكتوا  
فزل ذلك (عليه يتوكل  
التوكلون) لاعلى غيره اصلا  
لعلهم بان كل ماسواه تحت  
ملكوته تعالى (قل يا قوم اعلموا  
على مكانكم) على حالتكم التى  
اتم عليها من العداوة التى  
تمكتم فيها فان المكاة تستعار  
من العين للمعى كما تستعارها  
وحيث للزمان مع كونهما للمكان  
ومعى على مكانكم (اى  
عامل) اى على مكانى فحذف  
للاختصار والمبالغة فى الوعيد  
والاشعار بان حاله لا تزال  
تزداد قوة بنصر الله عز وجل  
وبأيده ولدك توعدهم بكونه  
منصورا عليهم فى الدارين بقوله  
تعالى (فسوف تعلمون من يأتيه  
عذاب يخزيه) فان خرى اعدائه  
دليل علته عليه الصلاة والسلام  
وقد عذبهم الله تعالى واخراهم  
يوم بدر (ويحل عليه عذاب  
مقيم) اى دائم هو عذاب النار  
(انا أرسلنا عليك الكتاب  
للناس) لاجلهم فاه مناط  
مصالحهم فى المعاس والمعاد  
(يا لحق) حال من فاعل أرسلنا  
او من مفعوله (ففى اعتدى) بان  
عمل بما فيه (فلفسه)

رجة هل هن ممسكات رجته قل حسى الله عليه يتوكل التوكلون قل يا قوم اعلموا على  
مكانكم انى عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم اعلم انه  
تعالى لما اطنب فى وعيد المشركين وفى وعد الموحدين عاد الى اقامة الدليل على تزييف  
طريقة عبدة الاصنام وبني هذا التزييف على اصلين (الاصل الاول) هو ان هؤلاء  
المشركين مقرون بوجود الاله القادر العالم الحكيم الرحيم وهو المراد بقوله ولئن سألتهم  
من خلق السموات والارض ليقولن الله واعلم ان من الناس من قال ان العلم بوجود الاله  
القادر الحكيم الرحيم متفق عليه بين جمهور الخلائق لاتراع بينهم فيه وفطرة العقل شاهدة  
بصحة هذا العلم فان من تأمل فى عجائب احوال السموات والارض وفى عجائب احوال  
النبات والحيوان خاصة وفى عجائب بدن الانسان وما فيه من انواع الحكم الغريبة  
والمصالح العجيبة علم انه لابد من الاعتراف بالاله القادر الحكيم الرحيم (والاصل الثانى)  
ان هذه الاصنام لاقدرة لها على الخير والشر وهو المراد من قوله قل افرايتم ما تدعون  
من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادنى بركة هل هن ممسكات  
رجته فثبت انه لابد من الاقرار بوجود الاله القادر الحكيم الرحيم وتب ان هذه الاصنام  
لاقدرة لها على الخير والشر واذا كان الامر كذلك كانت عبادة الله كافية  
وكان الاعتماد عليه كافيا وهو المراد من قوله قل حسى الله عليه يتوكل التوكلون فاذا  
ثبت هذا الاصل لم يلفت العاقل الى تخويف المشركين فكان المقصود من هذه الآية هو  
التنبيه على الجواب عما ذكر الله تعالى قبل هذه الآية وهو قوله تعالى ويخوفونك بالذين  
من دونه وقرئ كاشفات ضره وممسكات رجته بالتونين على الاصل وبالإضافة للتخفيف  
فان قيل كيف قوله كاشفات وممسكات على التأنيت بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه  
قلنا المقصود التنبيه على كمال ضعفها فان الانونة مظنة الضعف ولانهم كانوا يصفونها  
بالتأنيت ويقولون اللات والعزى ومناة ولما أورد الله عليهم هذه الحججة التى لا دافع لها قال  
بعده على وجه التهديد قل يا قوم اعلموا على مكانكم اى انتم تعتقدون فى انفسكم انكم  
فى نهاية القوة والشدة فاجتهدوا فى انواع مكرم وكيدكم فانى عامل ايضا فى تقرير دينى  
فسوف تعلمون ان العذاب والخزى يصيبني او يصيبكم والمقصود منه التخويف \* قوله  
تعالى (انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق من اهتدى فلفسه ومن ضل فانما يضل عليها  
وما انت عليهم بوكيل الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى  
قصى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون أم  
اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل الله الشفاعة جيعاله  
ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون) فى الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان  
النبي صلى الله عليه وسلم كان يعظم عليه اصرارهم على الكفر كما قال فلعلك باخع نفسك  
على آناهم ان لم يؤمنوا وقال لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين وقال تعالى فلا تدعب

اي انما نفع به نفسه (ومن ضل)  
 بان لم يعمل بموجبيه ( فانما  
 يصل عليها ) لما ان وبال ضلاله  
 مقصور عليها (وما أنت عليهم  
 بوكيل) لتجبرهم على الهدى وما  
 وظيفتك الا البلاغ وقد بلغت  
 اى بلاغ ( الله يتوفى الانفس  
 حين موتها والتي لم تمت في  
 منامها ) اى يقبضها من الابدان  
 بان يقطع تعلقها عنها  
 وتصرفها فيها اما ظاهرا او باطنا  
 كما عند الموت او ظاهرا فقط كما  
 عند النوم ( فيمسك التي قضى  
 عليها الموت ) ولا يردها الى  
 البدن وقرى قضى على البناء  
 المقبول ورفع الموت (ويرسل  
 الاخرى ) اى النائمة الى دنيا  
 عند اليقظة ( الى اجل مسمى )  
 هو الوقت المضروب لموتها وهو  
 غاية لجنس الارسال الواقع  
 بعد الامساك لا للمرد منه فان  
 ذلك مما لا امتداد فيه ولا كمية  
 وماروي عن ابن عباس رضى  
 الله عنها ان في ابن آدم نفسا  
 وروحانيتهما مثل شعاع الشمس  
 قال النفس هى التى بها العقل  
 والتمييز والروح هى التى بها  
 النفس والحرك متوفيان عند  
 الموت وتتوفى النفس وحدها  
 عند النوم قريب مما ذكر  
 ( ان فى ذلك ) اى فيما ذكر  
 من التوفى على الوجهين  
 والامساك فى احدهما والارسال  
 فى الآخر ( لايات ) غيبية  
 دالة على كمال قدرته تعالى  
 وحكمه وشمول رحته (قوم  
 يتفكرون ) فى كمية تعلقها  
 بالابدان وتوفى عنها تارة  
 بالكلية كما عند الموت وامساكها  
 باقية لا تقضى بفنائها وما يعتريها من  
 السعادة والسقاة وأخرى  
 عن ظواهرها فقط كما عند النوم  
 وارسالها حيا بعد حين الى  
 اعضاء آجالها

نفسك عليهم حسرات فلما اطنب الله تعالى فى هذه الآية فى فساد مذاهب المشركين تارة  
 بالدلائل والبيانات وتارة بضرب الامثال وتارة بذكر الوعيد اردفه بكلام يزيل  
 ذلك الخوف العظيم عن قلب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انا اترنا عليك هذا  
 الكتاب الكامل الشريف لنفع الناس ولا هتدائهم به وجعلنا انزاله مقرونا بالحق وهو المعجز  
 الذى يدل على انه من عند الله فن اهتدى فنفعه يعود اليه ومن ضل فضر ضلاله يعود اليه  
 وما أنت عليهم بوكيل والمعنى انك لست مأمورا بان تحملهم على الايمان على سبيل القهر  
 بل القبول وعدمه مفوض اليهم وذلك لتسليته الرسول فى اصرارهم على الكفر ثم بين  
 تعالى ان الهداية والضلال لا يحصلان الا من الله تعالى وذلك لان الهداية تشبه الحياة  
 واليقظة والضلال يشبه الموت والنوم وكما ان الحياة واليقظة وكذلك الموت والنوم  
 لا يحصلان الا بتخليق الله عز وجل وايحاده فكذلك الهداية والضلال لا يحصلان  
 الا من الله تعالى ومن عرف هذه الدقيقة فقد عرف سر الله تعالى فى القدر ومن عرف سر الله  
 فى القدر هانت عليه المصائب فصير التنبيه الى هذه الدقيقة سببا زال ذلك الحزن عن قلب  
 الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فهذا وجه النظم فى الآية وقيل نظم الآية انه تعالى ذكر  
 حجة اخرى فى اثبات انه الاله العالم ليدل على انه بالعبادة احق من هذه الاصنام ( المسئلة  
 الثانية ) المقصود من الآية انه تعالى يتوفى الانفس عند الموت وعند النوم الا انه يمسك  
 الانفس التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى وهى النائمة الى اجل مسمى اى الى وقت  
 ضربه لموتها فقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها يعنى انه تعالى يتوفى الانفس التى  
 نامت وما ماتت عند منامها وقوله تعالى فيمسك التى قضى عليها الموت يعنى ان النفس التى  
 يتوفاه عند الموت يمسكها ولا يردها الى البدن وقوله ويرسل الاخرى الى اجل مسمى يعنى  
 ان النفس التى يتوفاه عند النوم يردها الى البدن عند اليقظة وتبقى هذه الحالة الى اجل  
 مسمى وذلك الاجل هو وقت الموت فهذا تفسير لفظ الآية وهى مطابقة للحقيقة ولكن  
 لا بد فيه من مزيد بيان فقول النفس الانسانية عبارة عن جوهر مشرق روحانى اذا تعلق  
 بالبدن حصل ضوءه فى جميع الاعضاء وهو الحياة فنقول انه فى وقت الموت ينقطع تعلقه  
 عن ظاهر هذا البدن وعن باطنه وذلك هو الموت واما فى وقت النوم فانه ينقطع ضوءه عن  
 ظاهر البدن من بعض الوجوه ولا ينقطع ضوءه عن باطن البدن فثبت ان الموت والنوم  
 من جنس واحد الا ان الموت انقطاع تام كامل والنوم انقطاع ناقص من بعض الوجوه  
 واذا ثبت هذا ظهر ان القادر العالم الحكيم دبر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة  
 اوجه ( احدثها ) ان يقع ضوء النفس على جميع اجزاء البدن ظاهره وباطنه وذلك هو  
 اليقظة ( وثانيها ) ان يرتفع ضوء النفس عن ظاهر البدن من بعض الوجوه دون باطنه  
 وذلك هو النوم ( وثالثها ) ان يرتفع ضوء النفس عن البدن بالكلية وهو الموت فثبت ان  
 الموت والنوم يشتركان فى كون كل واحد منهما توفيا للنفس ثم يمتاز احدهما عن الآخر

(ام اتخذوا) اى بل اتخذ قريش  
(من دون الله) من دون اذنه  
تعالى (شفعاء) تشفع لهم عنده  
تعالى (قل أولو كانوا لا يملكون  
شيئاً ولا يعقلون) الهمة لا تكثر  
الواقع واستقبحه والتوبيخ  
عليه اى قل اتخذونهم شفعاء  
ولو كانوا لا يملكون شيئاً من  
الاشياء ولا يعقلونه فضلاً عن ان  
يملكو الشفاعة عند الله تعالى  
اوهى لا تكثر الوقوع وتقبه  
على ان المراد بيان ان ماضوا  
ليس من اتخاذ الشفعاء فى شئ  
لانه فرع كون الاوثان شفعاء  
وذلك اظهر المحالات فالقدر  
حيث لا غير ما قدر اولا  
وعلى اى تقدير كان فالواو  
للعطى على شرطية قد حذفت  
لدلالة المذكورة عليها اى  
أينفعون لو كانوا يملكون شيئاً  
ولو كانوا لا يملكون الخ وجوابه  
لوعذوف لدلالة المذكور عليه  
وعدم تحقيقه مراراً (قل) بعد  
تبيينه وتجهله بما كرت تحقيقاً  
للمحق (الله الشفاعة جميعاً) اى هو  
مالكها لا يستطيع احد شفاعة  
مالا ان يكون المستفوع له  
مرتضى والشفيع مآذونه  
وكلاهما مفقود ههنا وفوقه تعالى  
(له ملك السموات والارض)  
تقرير له ونأكد اى له ملكهما  
وما فيها من المحلوفات لا يملك  
احد ان يتكلم فى امر من اموره  
بدون اذنه ورضاه (ثم اليه  
ترجعون) يوم القيامة لالى  
احد سواء لا استقلالاً ولا اشتراكاً  
فيعمل يرمث ما يريد (واذا  
ذكر الله وحده) دون آلهتهم  
(اشمأزت طوب الذين  
لا يؤمنون بالآخرة) اى  
انقضت ونفرت كفى موله تعالى  
واذا ذكرت ربك فى القرآن

بخصوص معينة فى صفات معينة ومثل هذا التدبير العجيب لا يمكن صدوره الا عن القادر  
العليم الحكيم وهو المراد من قوله ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون ويحتمل ان يكون  
المراد بهذا ان الدليل يدل على ان الواجب على العاقل ان يعبد الهام موصوفاً بهذه القدرة  
وبهذه الحكمة وان لا يعبد الاوثان التى هى جادات لا شعور لها ولا ادراك واعلم ان  
الكفار اوردوا على هذا الكلام سؤالاً فقالوا نحن لانعبد هذه الاصنام لاعتقادنا  
آلهة تضر وتنفع وانما نعبدها لاجل انها تماثيل لاشخاص كانوا عند الله من المقربين  
فحين نعبدها لاجل ان يصير اولئك الاكابر شفعاء لنا عند الله فأجاب الله تعالى بأن قال  
ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون وتقرير الجواب  
ان هؤلاء الكفار اماناً يطعموا بتلك الشفاعة من هذه الاصنام او من اولئك العلماء  
وازهاده الذين جعلت هذه الاصنام تماثيل لها (والاول) باطل لان هذه الجمادات وهى  
الاصنام لا تملك شيئاً ولا تعقل شيئاً فكيف يعقل صدور الشفاعة عنها (والثاني) باطل لان  
فى يوم القيامة لا يملك احد شيئاً ولا يقدر احد على الشفاعة الا ماذن الله فيكون الشفيع  
فى الحقيقة هو الله الذى يأذن فى تلك الشفاعة فكان الاشتغال بعبادته اولى من  
الاشتغال بعبادة غيره وهذا هو المراد من قوله تعالى قل لله الشفاعة جميعاً بين انه لا يملك  
لاحد غير الله بقوله له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون ومنهم من تمسك فى نفى  
الشفاعة مطلقاً بقوله تعالى قل لله الشفاعة جميعاً وهذا ضعيف لاننا نسلم انه سبحانه مالم يأذن  
فى الشفاعة لم يقدر احد على الشفاعة فان قيل قوله الله يتوفى الانفس حين موتها فيه  
سؤال لان هذا يدل على ان المتوفى هو الله فقط وتأكيد هذا بقوله الذى خلق الموت والحياة  
وبقوله ربى الذى يحيى ويميت وبقوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتاً فأحياكم ثم ان  
الله تعالى قال فى آية اخرى قل يتوفاكم ملك الموت وقال فى آية ثالثة حتى اذا جاء أحدكم  
الموت توفته رسلنا وجوابه ان المتوفى فى الحقيقة هو الله الا انه تعالى فوض فى عالم الاسباب  
كل نوع من انواع الاعمال الى ملك من الملائكة ففوض قبض الارواح الى ملك الموت  
وهو رئيس وتحتة اتباع وخدم فأضيف التوفى فى هذه الآية الى الله تعالى بالاضافة  
الحقيقية وفى الآية الثانية الى ملك الموت لانه هو الرئيس فى هذا العمل والى سائر  
الملائكة لانهم هم الاتباع لملك الموت والله اعلم بقوله تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمأزت  
قلوب الدين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذاهم يسبحون قل اللهم  
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه  
يختلفون ولوان الذين ظلموا ما فى الارض جميعاً ومثله معه لا فندوا به من سوء العذاب يوم  
القيامة وبداهم من الله مالم يكونوا يحتسبون وبداهم سياآت ما كسبوا وحق بهم  
ما كانوا يستهزون) اعلم ان هذا نوع آخر من الاعمال القبيحة للمشركين وهوانك اذا  
ذكرت الله وحده تقول لا اله الا الله وحده لا شريك له ظهرت آثار الفرة من وجوههم

وحده ولو اعلی ادبارهم نفورا  
(واذا ذكر الذين من دونه )  
فرادی او مع ذکر الله تعالى (اذا هم  
يستبشرون ) لفرط افتنائهم بها  
ونسائم حق الله تعالى ولقد بولغ  
في بيان حالتهم القبيحتين حيث بين  
الغاية فيهما ان الاستبشار هو ان  
يشعلى القلب سرورا حتى ينسط له  
بشرة الوجه والاشمئزاز ان يتلى  
غيظا وغما يقبض منه اديم الوجه  
والعامل في اذا الاولى اشمازت  
وفي الثانية ما هو العامل في اذا  
المفاجأة قد يريه وقت ذكر الذين من  
دونه فاجزأ وقت الاستبشار قل  
الله فاطر السموات والارض عالم  
الغيب والشهادة ( اى التمجى اليه  
تعالى بالدعاء لما تحيرت في امر  
الدعوة وضجرت من شدة شكيتهم  
في المكابرة والعناد فانه القادر على  
الاشياء بجملة العالم بالاحوال  
برمتها ) انت تحكم بين عبادك فيما كانوا  
فيه يختلفون ( اى حكما يسلمه كل  
مكابرة معاند ويخضع له كل عاث  
مارد وهو العذاب الدنيوى او  
الاخروي و قوله تعالى (ولوان  
للذين ظلموا فى الاض جميعا) الخ  
كلام مستأنف مسوق لبيان آثار  
الحكم الذى استدعاه النبي صلى الله  
عليه وسلم وغايه شدته وفضاعته  
اى لو ان لهم جميع ما فى الدينامن  
الاموال والذخائر (ومثله معه  
لافتد وابه من سوء العذاب يوم  
القيامة) اى لجلعوا كل ذلك فدية  
لانفسهم من العذاب الشديد  
وهيبات ولات حين مناص  
وهذا كآثر وعيد شديد واقطاع  
كلى لهم من الخلاص (وبدالهم من  
الله ما لم يكونوا يحتسبون )  
ان ظهر لهم

وقلوبهم واذا ذكرت الاصنام والاولئان ظهرت آثار الفرح والبشارة في قلوبهم  
وصدورهم وذلك يدل على الجهل والحماسة لان ذكر الله رأس السعادات وعنوان الخيرات  
واما ذكر الاصنام التى هى الجمادات الخسيسة فهو رأس الجهالات والحماقات فنفرتهم  
عن ذكر الله وحده واستبشارهم بذكر هذه الاصنام من اقوى الدلائل على الجهل الغليظ  
والحق الشديد قال صاحب الكشف وقد يقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد  
منهما غاية في بابه لان الاستبشار ان يتلى قلبه سرورا حتى يظهر اثر ذلك السرور في بشرة  
وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان يعظم غمه وغيظه فيقبض الروح الى داخل القلب فيبقى  
في اديم الوجه اثر الغبرة والظلمة الارضية ولما حكى عنهم هذا الامر العجيب الذى تشهد  
فطرة العقل بفساده اردفه بامر ين (احدهما) انه ذكر الدعاء العظيم فوصفه اولا بالقدرة  
التامة وهى قوله قل اللهم فاطر السموات والارض وثانيا بالعلم الكامل وهو قوله تعالى  
عالم الغيب والشهادة واتما قدم ذكر القدرة على ذكر العلم لان العلم بكونه تعالى قادرا  
متقدم على العلم بكونه عالما ولما ذكر هذا الدعاء قال انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه  
يختلفون يعنى ان نفرتهم عن التوحيد وفرحهم عند سماع الشرك امر معلوم الفساد  
ببديهة العقل ومع ذلك القوم قد اصرروا عليه فلا يقدر احد على ازالته عن هذا  
الاعتقاد الفاسد والمذهب الباطل الا انت عن ابي سلمة قال سألت عائشة بم كان يفتح  
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته بالليل قالت كان يقول اللهم رب جبريل وميكائيل  
واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما  
كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك وانك لتهدى من تشاء الى صراط  
مستقيم واعلم انه تعالى لما حكى عنهم ذلك المذهب الباطل ذكر في وعيدهم اشياء (اولها)  
ان هؤلاء الكفار لو ملكوا كل ما فى الارض من الاموال وملكوا مثله معه لجلعوا  
الكل فدية لانفسهم من ذلك العذاب الشديد (وثانيها) قوله تعالى وبدا لهم من الله مالم  
يكونوا يحسبون اى ظهرت لهم انواع من العقاب لم تكن فى حسابهم وكما انه صلى الله  
عليه وسلم قال فى صفة الثواب فى الجنة فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب  
بشر فكذلك فى العقاب حصل مثله وهو قوله وبدالهم من الله مالم يكونوا يحسبون  
(وثالثها) قوله تعالى وبدالهم سيئات ما كسبوا ومعناه ظهرت لهم آثار تلك السيئات التى  
اكتسبوا اى ظهرت لهم انواع من العقاب آثار تلك السيئات التى اكتسبوا ثم قال  
وحاق بهم من كل الجوانب جزاء ما كانوا يستزؤون به فنبه تعالى بهذه الوجوه على عظيم  
عقابهم \* قوله تعالى (فاذا مس الانسان ضرر حاثا نام اذا حولناه نعمة منا قال انما اوتيناه  
على علم بل هى فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون قد قالها الذين من قبلهم فآخى عنهم ما كانوا  
يكسبون فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا  
وما هم بمجزيين اولم يعلموا ان الله يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لايات لقوم

من فنون العفو بات مالم يكن  
في حسابهم وهذه غاية من الوعيد  
لا غاية وراءها ونظيره في الوعد  
قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى  
لهم من قرة عين ( وبذلك  
سيأت ما كسبوا ) سيأت  
أعمالهم أو كسبهم حين تعرض عليهم  
صحائفهم ( وحق بهم ما كانوا  
به يسترون ) أى أحاط بهم  
جزاؤه ( فإذ أمس الانسان ضر  
دعانا ) اخبار عن الجنس بما يفعله  
غالب افراده والفاء لترتيب  
ما بعدهما من المناقضة والتعكيس  
على ما سر من حالتهم البقيتين  
وما بينهما اعتراض مؤكدا لتكثار  
عليهم أى انهم يشتمون عن  
ذكر الله تعالى وحده ويستبشرون  
بذكر الآلهة فإذ أمس ضر  
دعوا من أشماز واعن ذكره دون  
من استبشروا بذكره ( ثم اذا  
خولناه نعمة منا ) اعطيناه إياها  
تفضلا فان التحويل مختص به  
لا يطلق على ما عصى جزاءه ( قال  
انما اوتيته على علم ) أى على  
علم منى بوجوه كسبه أو بأى  
سأعطاه مالى من الاستحقاق أو  
على علم من الله تعالى بى وباستحقاقى  
والله لما أن جعلت موصولة  
والافلحة والتذكير لما أن  
المراد شئ من النعمة ( بل هى فتنة )  
أى محنة وإبتلاء له أينكر أم يكفر  
وهو رد لما قاله وتغير السك  
للبالغة فيه والإيدان بأن ذلك  
ليس من باب الإيتاء المنى عن  
الكرامة وانما هو امر مابين له  
بالكية وتأنيث الضمير باعتبار  
لفظ النعمة أو باعتبار الخبر  
وبرى بالتذكير ( ولكن  
أكرهم لا يعلمون ) ان الامر  
كذلك وفيه دلالة على ان  
المراد بالانسان هو الجنس  
( قد قالها الذين من قبلهم )  
الهاء لهو له

يؤمنون ) اعلم ان هذا حكاية طريقة اخرى من طرائقهم الفاسدة وذلك لانهم عند  
الوقوع في الضر الذى هو الفقر والمرض يفرعون الى الله تعالى ويرون ان دفع ذلك  
لا يكون الا منه ثم انه تعالى اذا خولهم النعمة وهى اما السعة فى المال او العافية فى  
النفس زعم انه انما حصل ذلك بكسبه وبسبب جهده وجده فان كان مالا قال انما حصل  
بكسبى وان كان صحة قال انما حصل ذلك بسبب العلاج الفلانى وهذا تناقض عظيم لانه  
كان فى حال العجز والحاجة اضاف الكل الى الله وفى حال السلامة والصحة قطعه عن  
الله واسنده الى كسب نفسه وهذا تناقض قبيح فين تعالى قبح طريقتهم فيما هم عليه  
عند الشدة والرخاء بلفظة وجيزة فصيحة فقال بل هى فتنة يعنى النعمة التى خولها هذا الكافر  
فتنة لان عند حصولها يجب الشكر وعند فواتها يجب الصبر ومن هذا حاله بوصف بأنه  
فتنة من حيث يختبر عنده حال من اوتى النعمة كما يقال فتنت الذهب بالنار اذا عرضته على  
النار لتعرف خلاصته ثم قال تعالى ولكن أكثرهم لا يعلمون والمعنى ما قدمنا ان هذا  
التحويل انما كان لاجل الاختبار \* وبقى فى الآية ابحاث نذكرها فى معرض السؤال  
والجواب ( السؤال الاول ) ما السبب فى عطف هذه الآية بالفاء ههنا وعطف مثلها فى  
اول السورة بالواو والجواب انه تعالى حكى عنهم قبل هذه الآية انهم يشتمون من  
سماع التوحيد ويستبشرون بسماع ذكر الشركاء ثم ذكر بقاء التعقيب انهم اذا وقعوا فى  
الضر والبلاء والتجأوا الى الله تعالى وحده كان الفعل الاول مناقضا للفعل الثانى فذكر  
فاء التعقيب ليدل على انهم واقعون فى المناقضة الصريحة فى الحال وانه ليس بين الاول  
والثانى فاصل مع ان كل واحد منهما مناقض للثانى فهذا هو القائدة فى ذكر فاء التعقيب  
ههنا فاما الآية الاولى فليس المقصود منها بيان وقوعهم فى التناقض فى الحال فلا جرم  
ذكره الله بحرف الواو لاجل الفاء ( السؤال الثانى ) ما معنى التحويل الجواب التحويل  
هو التفضل يعنى نحن نفضل عليه وهو يظن انه انما وجده بالاستحقاق ( السؤال الثالث )  
ما المراد من قوله قال انما اوتيته على علم الجواب يحتمل ان يكون المراد انما اوتيته على علم  
الله بكونى مستحقا لذلك ويحتمل ان يكون المراد انما اوتيته على علمى بكونى مستحقا له  
ويحتمل ان يكون المراد انما اوتيته على علم لاجل ذلك العلم قدرت على اكتسابه مثل ان  
يكون مريضا فيعالج نفسه فيقول انما وجدت الصحة لعلمى بكيفية العلاج وانما وجدت  
المسال لعلمى بكيفية الكسب ( السؤال الرابع ) النعمة مؤنثة والضمير فى قوله اوتيته  
عائده على النعمة فضمير التذكير كيف عاد الى المؤنث بل قال بعده بل هى فتنة فجعل الضمير  
مؤنثا فما السبب فيه والجواب ان التقدير حتى اذا خولناه شيئا من النعمة فلفظ النعمة  
مؤنث ومعناه مذكر فلا جرم جاز الامر ان ثم قال تعالى قد قالها الذين من قبلهم فما اغنى  
عنهم الضمير فى قالها راجع الى قوله انما اوتيته على علم عندى لانها كلمة اوجلة من المقول  
والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندى وقومه راضون به



انما اوتيته على علم لانها كلمة  
 لوجه وقرى بالتدكيروالموصول  
 عبارة عن دارون وقومه حيث  
 قال انما اوتيته على علم عندي وهم  
 راضون به ( هاغني عنهم ماكانوا  
 يكسبون ) من متاع الدنيا  
 ويجمعون منه ( فاصابهم سيئات  
 ماكسبو ) جزاء سيئات اعمالهم  
 او اجزية ماكسبو ونسيبتهم  
 سيئات لانها في مقابلة سيئاتهم  
 وجزاء سيئاته مثلها ( والذين  
 ظلموا من هؤلاء ) المشركين ومن  
 للبيان اول التبعيض اي افرطوا في  
 الظلم والعمو ( سيصيبهم سيئات  
 ماكسبو ) من الكفر والمعاصي  
 كما اصاب اولئك والسين  
 للتأكيد وقد اصابهم اي اصابة  
 حيث فحطوا سبع سنين ومثل  
 صناديدهم يوم بدر ( وماهم  
 بمحزون ) اي فائنين ( اولم يعلموا )  
 اي اطالوا ذلك ولم يعلموا او  
 اغفلوا ولم يعلموا ( ان الله  
 يبسط الرزق لمن يشاء ) ان يبسطه له  
 ( ويقدر ) لمن يشاء ان يقدره له  
 من غير ان يكون لاحد مدخل  
 ما في ذلك حيب جلس عنهم  
 الرزق سبعا ثم بسطه لهم سبعا  
 ( ان في ذلك ) الذي ذكر ( لايات )  
 دالة على ان الحوادث كافة  
 من الله عروج ( لقوم  
 يؤمنون ) ادهم المستدلون بها  
 على مدلولاتها ( قل يا عبادي  
 الذين اسرفوا على انفسهم )  
 اي افرطوا في الحناسة عليها  
 بالاسراف في المعاصي وازافة  
 العباد تخصصه بالمؤمنين على  
 ما هو عرف القرآن الكريم  
 ( لا تقنطوا من رحمة الله ) اي  
 لا تأسوا من مغفرتة او لا تقنطله  
 نائيا ( ان الله يعبر الدوب جميعا )  
 عفوا لمن ساء

فكأنهم قالوها ويجوز ايضا ان يكون في الامم الخالية قائلون مثلها ثم قال تعالى فما اغنى  
 عنهم ما كانوا يكسبون اي ما اغنى عنهم ذلك الاعتقاد الباطل والقول الفاسد الذي  
 اكتسبوه من عذاب الله شيئا بل اصابهم سيئات ماكسبوا ولما بين في اولئك المتقدمين  
 انهم اصابهم سيئات ماكسبوا اي عذاب عقائدهم الباطلة واقوالهم الفاسدة قال وما هم  
 بمحزون اي لا يهجزونني في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق  
 لمن يشاء ويقدر يعني اولم يعلموا ان الله تعالى هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء تارة  
 ويقبض تارة اخرى وقوله يقدر أي ويقتد ويضيق والدليل عليه ان ترى الناس مختلفين  
 في سعة الرزق وضيقه ولا بد له من سبب وذلك السبب ليس هو عقل الرجل وجهه لا تارة ترى  
 العاقل القادر في اشد الضيق وترى الجاهل المريض الضعيف في اعظم السعة وليس ذلك  
 ايضا لاجل الطبائع والانجم والافلاك لان في الساعة التي ولد فيها ذلك الملك الكبير  
 والسلطان القاهر قد ولد فيه ايضا عالم من الناس وعالم من الحيوانات غير الانسان ويولد  
 ايضا في تلك الساعة عالم من النبات فلما شاهدنا حدوث هذه الاشياء الكثيرة في تلك  
 الساعة الواحدة مع كونها مختلفة في السعادة والشقاوة علمنا انه ليس المؤثر في السعادة  
 والشقاوة هو الطالع ولما بطلت هذه الاقسام علمنا ان المؤثر فيه هو الله سبحانه وصح بهذا  
 البرهان العقلي القاطع صحة قوله تعالى اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر  
 قال الشاعر فلا السعد يقضي به المشتري \* ولا النحس يقضي علينا زحل  
 ولكنه حكم رب السما \* وقاضي القضاة تعالى وجل

❦ قوله تعالى ( قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر  
 الذنوب جميعا ) انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتكم العذاب  
 ثم لاتنصرون واتبعوا احسن ما نزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتكم العذاب بقتة  
 وانتم لاتشعرون ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن  
 الساخرين او تقول لو ان الله هداني لكانت من المتقين او تقول حين ترى العذاب لو ان لي  
 كرة فاكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين )  
 اعلم انه تعالى لما اطنب في الوعيد اردفه بشرح كمال رحته وفضله واحسانه في حق  
 العبيد وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) احجج اصحابنا بهذه الآية على انه تعالى يعفو  
 عن الكبائر فقالوا انا بينا في هذا الكتاب ان عرف القرآن جار بتخصيص اسم العباد  
 بالمؤمنين قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقال عينا يشرب بها عباد  
 الله ولان لفظ العباد مذكور في معرض التعظيم فوجب ان لا يقع الاعلى المؤمنين اذ انبت  
 هذا ظهر ان قوله يا عبادي مختص بالمؤمنين ولان المؤمن هو الذي يعترف بكونه عبد الله اما  
 المشركون فانهم يسمون انفسهم بعبد اللات والعزى وعبد المسيح قبت ان قوله يا عبادي  
 لا يليق الا بالمؤمنين اذ انبت هذا فقول انه تعالى قال الذين اسرفوا على انفسهم وهذا



ولو بعد حين بتعذيب في الجنة  
وبغيره حسبا لشاؤم تقييده بالوبة  
خلاف الظاهر كيف لا و قوله  
تعالى ان الله لا يفر ان ينكر به  
ويعفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر  
في الاطلاق فيعاده الشرك وما  
يدل عليه العليل بقوله تعالى (انه  
هو الغفور الرحيم) على المبالغة  
وافادة الحصر والوعد بالرجة  
بعد المعرة وتعديم ما يستدعي  
عموم المعفرة مما في عبادي من  
الدلالة على الدله والاختصاص  
المقتضين للترحم وتخصيص  
ضرر الاسراف بأنفسهم والنهي  
عن القنوط مطلقا عن الرجة فضلا  
عن المغفرة واطلافيها وتعليه بأن  
الله يعفر الذنوب ووضع الاسم  
الحليل موضع الضمير لئلا يله على  
انه المستغنى والمنعم على الاطلاق  
والتأكيد بالجمع وما روى من  
اسباب النزول الدالة على ورود  
الآية فين تاب لا يقتضي اختصاص  
الحكم بهم ووجوب جل المطلق  
على المقيد في كلام واحد مثل  
اكرم الفضلاء اكرم الكاملين  
غير مسلم فكيف فيما هو بمنزلة كلام  
واحد ولا يخل بذلك الامر  
بالتوبة والاحلاص في قوله تعالى  
(وانيبوا الى ربكم واسئلوهم من  
قبل ان يأتيكم العذاب ثم  
لاتنصرون) اذ ليس المدعى ان  
الآية تدل على حصول المغفرة لكل  
احد من غير توبة وسبق تعذيب  
لتغنى عن الامر بها وتنافي الوعيد  
بالعذاب (واتبعوا احسن ما انزل  
اليكم من ربكم) اي القرآن والمأمور  
به دون التهي عنه او العرائم  
دون الرخص او الناسخ دون  
المسوخ ولعله ما هو اتقى واسلم  
كالا بابه والموا اليه عبي الطاعة  
(من يبدل ان يأتيكم العذاب بعتة  
وانتم لاتنصرون) بمجيئه  
لتنادركوا وتائبوا له (أقول  
نفس) اي كراهة أن تقول  
والتشكيير للكثير كافي قوله  
تعالى علمت نفس

عام في حق جميع المفسرين ثم قال تعالى ان الله يعفر الذنوب جميعا وهذا يقتضي كونه  
غافرا لجميع الذنوب الصادرة عن المؤمنين وذلك هو المقصود فان قيل هذه الآية لا يمكن  
اجراؤها على ظاهرها والازم القطع بكون الذنوب مغفورة قطعا وانتم لاتقولون به فاهو  
مدلول هذه الآية لاتقولون به والذي تقولون به لاتدل عليه هذه الآية فسقط الاستدلال  
وايضا انه تعالى قال عقيب هذه الآية وانيبوا الى ربكم واسئلوهم من قبل ان يأتيكم  
العذاب ثم لاتنصرون الى قوله بعتة وانتم لاتنصرون ولو كان المراد من اول الآية انه  
تعالى غفر جميع الذنوب قطعا لما أمر عقيقه بالتوبة ولما خوفهم بنزول العذاب عليهم من  
حيث لا يشعرون وايضا قال ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ولو كانت  
الذنوب كلها مغفورة فأى حاجة به الى ان يقول يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وايضا  
فلو كان المراد ما يدل عليه ظاهر لفظ الآية لكان ذلك اخرء بالمعاصي واطلاقا في الاقدام  
عليها وذلك لا يليق بحكمة الله واذانبت هذا وجب ان يحمل على ان يقال المراد منه التنبيه  
على انه لا يجوز ان يظن المعاصي انه لا يخلص له من العذاب البتة فان من اعتقد ذلك فهو  
قائظ من رحمة الله اذ لا احد من العصاة المذنبين الا ومتى تاب زال عقابه وصار من اهل  
المغفرة والرحمة فعنى قوله ان الله يعفر الذنوب جميعا اى بالتوبة والانابة والجواب قوله  
الآية تقتضي كون كل الذنوب مغفورة قطعا وانتم لاتقولون به قلنا بل نحن نقول به  
ونذهب اليه وذلك لان صيغة يغفر صيغة المضارع وهى للاستقبال وعندنا ان الله تعالى  
يخرج من النار من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى هذا التقدير فصاحب الكبيرة  
مغفور له قطعا اما قبل الدخول في نار جهنم واما بعد الدخول فيها فثبت ان ما يدل عليه  
ظاهر الآية فهو عين مذهبا اما قوله لو صارت الذنوب باسرها مغفورة لما امر بالتوبة  
فالجواب ان عندنا التوبة واجبة وخوف العقاب قائم فانا لاتقطع بازالة العقاب بالكلية  
بل نقول لعله يعفو مطلقا ولعله يعذب بالنار مدة ثم يعفو بعد ذلك وبهذا الحرف يخرج  
الجواب عن بقية الاسئلة والله أعلم (المسئلة الثانية) اعلم ان هذه الآية تدل على رجاء  
الرحمة من وجوه (الاول) انه سمي المذنب بالعبد والعبودية مفسرة بالحاجة والدلة  
والمسكنة واللائق بالرحيم الكريم افاضة الخير والرحمة على المسكين المحتاج (الثاني) انه  
تعالى اضافهم الى نفسه بيا الاضافة فقال يا عبادي الذين أسرفوا وشرف الاضافة اليه  
يفيد الامن من العذاب (الثالث) انه تعالى قال أسرفوا على أنفسهم ومعناه ان ضررتك  
الذنوب ما عاد اليه بل هو عاد اليهم فكيفهم من تلك الذنوب عود مضارها اليهم ولا حاجة  
الى الحاق ضرر آخر بهم (الرابع) انه قال لاتقنطوا من رحمة الله فهاهم عن القنوط  
فيكون هذا امرا بالرجاء والكريم اذا أمر بالرجاء فلا يليق به الا الكرم (الخامس) انه  
تعالى قال أولا يا عبادي وكان الالبق ان يقول لاتقنطوا من رحمتي لكنه ترك هذا اللفظ  
وقال لاتقنطوا من رحمة الله لان قولنا الله أعظم اسماء الله واجلها فالرحمة المضافة اليه

ما أحضرت فانه مسالك ربما يسلك عند ارادة التكثير والتعميم وقد ( ٢٧٢ ) مرتحققه في مطلع سورة الحجر ( يا حسرتنا )

بالالف بدلا من ياء الاضافة وقرئ  
يا حسرتنا بهاء السكت وقرأ وقرئ  
يا حسرتناى بالجمع بين العوضين  
وفرى يا حسرتنى على الاصل اى  
احسرى فهذا أو ان حضورك  
(على ما فرطت) اى على تفريطى  
وتقصيرى (فى جنب الله) اى  
جانبه وفى حق وطاعته وعليه قول  
من قال

أما تبتن الله فى جنب وامق

له كبد حرى وعين ترقرق  
وهو كناية فيها مبالغة وقيل فى  
ذات الله على تقدير مضاف كالطاعة  
وقيل فى ترابه من قوله تعالى  
والصاحب بالجنب وقرئ فى ذكر  
الله (وان كنت لمن الساخرين) اى  
المستهزئين بدين الله تعالى واهله  
ومحل الجملة النصب على الحال اى  
فرطت واناساخر (او تقول لوان  
الله هدى) بالارتداد الى الحق  
( لكنت من المتين ) التبرك  
والمعاصى (او تقول حين ترى  
العذاب لوان الى كره) رجعة الى  
الدنيا (فأكون من المحسنين) فى  
العقيدة والعمل واولدلالة على  
تنهاى لا يخلو عن هذه الافعال تحسرا  
وتحيرا وتعللا بما لا طائل تحته  
وقوله تعالى (بلى قد جاءك آياتى  
فكذبت بها واستكبرت وكنت  
من الكافرين) رد من الله تعالى  
عليه لما ضلته قوله لوان الله  
هدانى من معنى النفي وفصله عن  
ان تقديره يقرى السرائر وتأخير  
المردود يدخل بالترتيب الوجودى  
لانه ينصير بالتفريط ثم تعالى بقند  
الهداية ثم بينى الرجعة وهو لا يمنع  
تأثير قدرة الله تعالى فى فعل العبد  
ولامانيه من استناد النعل اليه كما  
عرفت وتذكير اخطاب ختبار  
الغنى

يجب ان تكون اعظم انواع الرحمة والفضل (السادس) انه لما قال لا تقنطوا من رحمة الله  
كان الواجب ان يقول انه يغفر الذنوب جميعا ولكنه لم يقل ذلك بل اعاد اسم الله وقرن به  
لفظة ان المقيدة لاعظم وجوه التأكيد وكل ذلك يدل على المبالغة فى الوعد بالرحمة  
( السابع ) انه لو قال يغفر الذنوب لكان المقصود حاصل لكن اردفه باللفظ الدال على  
التأكيد فقال جميعا وهذا ايضا من المؤكدات (الثامن) انه وصف نفسه بكونه غفورا  
ولفظ الغفور يفيد المبالغة ( والتاسع ) انه وصف نفسه بكونه رحما والرحمة تفيد فائدة  
زائدة على المغفرة فكان قوله انه هو الغفور اشارة الى ازالة موجبات العقاب وقوله  
الرحيم اشارة الى تحصيل موجبات الرحمة والثواب (العاشر) ان قوله انه هو الغفور  
الرحيم يفيد الحصر ومعناه انه لا غفور ولا رحيم الا هو وذلك يفيد الكمال فى وصفه سبحانه  
بالغفران والرحمة فهذه الوجوه العشرة بمجموعة فى هذه الآية وهى باسرها دالة على كمال  
الرحمة والغفران ونسأل الله تعالى الفوز بها والنجاة من العقاب بفضل له ورحمته (المسئلة  
الثالثة) ذكر وافي سبب النزول وجوه اقبل انها نزلت فى اهل مكة فانهم قالوا بزعم محمدان  
من عبد الاوثان وقتل النفس لم يغفر له وقد عبدنا وقتلنا فكيف نسلم وقيل نزلت فى وحشى  
فأقل حجة لما اراد ان يسلم وخاف ان لا تقبل توبته فلما نزلت الآية اسلم فقبل لرسول الله صلى  
الله عليه وسلم هذه له خاصة للمسلمين عامة فقال بل للمسلمين عامة وقيل نزلت فى اناس  
اصابوا ذنوبا عظاما فى الجاهلية فلما جاء الاسلام اشفقوا ان لا يقبل الله توبتهم وقيل  
نزلت فى عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد وقر من المسلمين اسلموا ثم قنوا فافتنوا  
وكان المسلمون يقولون فيهم لا يقبل الله منهم توبتهم فنزلت هذه الآيات فكتبها عمرو بيعت  
بها اليهم فاسلموا وهاجروا واعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فنزل هذه  
الآيات فى هذه الوقائع لا يمنع من عمومها ( المسئلة الرابعة ) قرأ نافع وابن كثير وابن  
عامر وعاصم باعادي يفتح الباء والباقون وعاصم فى بعض الروايات بغير فتح وكلهم يفتون  
عليه باتباء الباء لانها نازلة فى المحفف الا فى بعض رواية أبى بكر عن عاصم انه يقف بغير ياء  
وقرأ ابو عمرو والكسائي تقنطوا بكسر النون والباقون بفتحها وهما لغتان قال صاحب  
الكشاف وفى قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء ثم قال تعالى  
وأنبؤ الى ربكم قال صاحب الكشاف اى وتوبوا اليه واسلموا له اى واخلصوا له العمل  
وانما ذكر الانابة على اثر المغفرة لثلا يطمع طامع فى حصولها بغير توبة وللدلالة على  
انها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه واقول هذا الكلام ضعيف جدا لان عندنا التوبة عن  
المعاصى واجبة فليزوم من ورود الامر بهطاعن فى الوعد بالمغفرة فان قالوا لو كان الوعد  
بالمغفرة حاصلا قطعنا لما احتج الى التوبة لان التوبة انما تراد لاسقاط العقاب فاذا سقط  
العقاب بعفو الله عنه فلا حاجة الى التوبة فنقول هذا ضعيف لان مذهبا انه تعالى  
وان كان يغفر الذنوب قطعوا بعفو عنها قطعها الا ان هذا العفو والغفران يقع على وجهين

تارة يقع ابتداء وتارة يعذب مدة في النار ثم يخرج منه النار ويعفو عنه ففائدة التوبة  
ازالة هذا العقاب فثبت ان الذي قاله صاحب الكشف ضعيف ولا فائدة فيه ثم قال  
واتبعوا احسن ما نزل اليكم من ربكم واعلم انه تعالى لما وعد بالمغفرة أمر بعده هذا الوعد  
بأشياء ( فالاول ) امر بالانابة وهو قوله تعالى وانيبوا الى ربكم ( والثاني ) أمر بمتابعة  
الاحسن وفي المراد بهذا الاحسن وجوه ( الاول ) انه القرآن ومعناه واتبعوا القرآن  
والدليل عليه قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا ( الثاني ) قال الحسن معناه  
والترمو طاعة الله واجتنبوا معصية الله فان الذي انزل على ثلاثة اوجه ذكر القبح  
ليجتنب عنه والادون لئلا يرغب فيه والاحسن ليتقوى به ويتبع ( الثالث ) المراد  
بالاحسن الناسخ دون المنسوخ لان الناسخ احسن من المنسوخ لقوله تعالى ما ننسخ  
من آية او ننسخها نأت بخير منها او مثلها ولان الله تعالى لما نسخ حكما واثبت حكما آخر كان  
اعتمادنا على الناسخ احسن لنا من اعتمادنا على المنسوخ ثم قال من قبل ان يأتيكم  
العذاب بغتة وانتم لاتشعرون والمراد منه التهديد والتخويف والمعنى انه يفجأ بالعذاب  
وانتم غافلون عنه واعلم انه تعالى لما خوفهم بالعذاب بين تعالى ان بتقدير نزول العذاب  
عليهم ماذا يقولون فحكي الله تعالى عنهم ثلاثة انواع من الكلمات ( فالاول ) قوله تعالى  
ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين وفيه مسائل  
( المسئلة الاولى ) قوله ان تقول مفعول له اى كراهة ان تقول يا حسرتا على ما فرطت  
في جنب الله واما تكبير لفظ النفس فقيه وجهان ( الاول ) يجوز ان تراد نفس متميزة عن  
سائر النفوس لاجل اختصاصها بمزيد اضرار بما لا ينفي رغبتها في المصاى ( والثاني )  
يجوز ان يراد به الكثرة وذلك لانه ثبت في علم اصول الفقه ان الحكم المذكور  
عقيب وصف يناسبه يفيد الظن بأن ذلك الحكم معلل بذلك الوصف فقوله يا حسرتا  
يدل على غاية الاسف ونهاية الحزن وانه مذكور عقيب قوله تعالى على ما فرطت في جنب  
الله والتفريط في طاعة الله تعالى يناسب شدة الحسرة وهذا يقتضى حصول تلك  
الحسرة عند حصول هذا التفريط وذلك يفيد العموم بهذا الطريق ( المسئلة الثانية )  
القاتلون بانبات الاحياء لله تعالى استدلووا على اثبات الجنب بهذه الآية واعلم ان  
دلائلنا على نفى الاعضاء فكثرت فلا فائدة في الاعادة ونقول بتقدير ان يكون المراد من  
هذا الجنب عضو مخصوص بالله تعالى فانه يمتنع وتوقع التفريط فيه فثبت انه لا بد من المصير  
الى التأويل وللمفسرين فيه عبارات قال ابن عباس يريد ضيعت من ثواب الله وقال  
بقاتل ضيعت من ذكر الله وقال مجاهد في امر الله وقال الحسن في طاعة الله وقال سعيد  
بن جبير في حق الله واعلم ان الاكثار من هذه العبارات لافيد شرح الصدور وشفاء  
لوازم الناس وتوابعه يكون كانه جند من جنوده وجانب من جنوده فلا حصلت هذه

وقرى بالتأنيث ( ويوم القيامة  
ترى الذين كذبوا على الله ) بأن  
وصفوه بما لا يليق بشأنه كاتخاذ  
الولد ( وجوههم مسودة ) بما  
ينالهم من الشدة او بما يتخيل  
عليها من ظنل الجهل والجملة حال  
قد اكتفى فيها بالنصير عن الواو  
على أن الرؤية بصرية او مفعول  
ثان لها على انها عرفانية ( أليس  
في جهنم مشوى ) اى مقام  
( للتكبرين ) عن الايمان والطاعة  
وهو تقرير لما قبله من رؤيتهم  
كذلك ( ونجى الله الذين اتقوا )  
الشرك والمعاصى اى من جهنم  
وقرى ينجى من الانجاء ( بمغازتهم )  
مصدر ميمي امامن فاز بالمطلوب  
اى ظفربه والباء متعلقة بمحذوف  
هو حال من الموصول مفيدة لمقارنة  
تصييرهم من العذاب لنيل الثواب  
اى ينجيهم الله تعالى من مشوى  
التكبرين ملتبسين بفوزهم  
بمطلوبهم الذى هو الجنة وقوله  
تعالى ( لا يمسهم سوء ولا هم  
يحرزون ) اما حال اخرى من

المشابهة بين الجنب الذي هو العضو وبين ما يكون لازماً للشيء وتابعاً له لاجرم حسن اطلاق لفظ الجنب على الحق والامر والطاعة قال الشاعر

أما تتقين الله في جنب واسق \* له كبد حرا عليك تقطع

(المسئلة الثالثة) قال صاحب الكشاف قرئ يا حسرتي على الاصل ويا حسرتاي على

الجمع بين العوض والمعوض عنه واما قوله تعالى وان كنت لمن الساخرين اى انه ما كان

مكتفياً بذلك التقصير بل كان من المستهزئين بالدين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله

حتى سخر من اهلها ومحل وان كنت نصب على الحال كما أنه قال فرطت في جنب الله وأنا

ساخر اى فرطت في حال سخرتي (النوع الثاني) من الكلمات التى حكها الله تعالى

عن اهل العذاب انهم يذكرون بعد نزول العذاب عليهم قوله أو تقول لو ان الله هداني

لكنت من المتقين (النوع الثالث) قوله او تقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة فأكون

من المحسنين وحاصل الكلام ان هذا المقصر اثنى بثلاثة أشياء (أولها) الحسرة على

التفريط في الطاعة (وثانيها) التعلل بفقد الهداية (وثالثها) يتنى الرجعة ثم اجاب الله

تعالى عن كلامهم بأن قال التعلل بفقد الهداية باطل لان الهداية كانت حاضرة

والاعذار زائلة وهو المراد بقوله بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من

الكافرين وههنا مسائل (المسئلة الاولى) قال الزجاج بلى جواب النفي وليس في الكلام

لفظ النفي الا أنه حصل فيه معنى النفي لان معنى قوله لو ان الله هداني انه ما هداني فلا

جرم حسن ذكر لفظة بلى بعده (المسئلة الثانية) قال الواحدى رحمه الله القراءة المشهورة

واقعة على التذكير في قوله بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت

من الكافرين لان النفس تقع على الذكرو والانثى فخطوب المذكور روى الربيع بن انس

عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ على التأنيث قال ابو عبيد لو صح هذا عن

النبي صلى الله عليه وسلم لكان حجة لا يجوز لاحد تركها ولكنه ليس بمسند لان الربيع

لم يدرك ام سلمة واما وجه التأنيث فهو انه ذكر النفس ولفظ النفس ورد في القرآن في اكثر

الامر على التأنيث بقوله سولت لى نفسي وان النفس لا مارة بالسوء ويايتها النفس

المطمئنة (المسئلة الثالثة) قال القاضى هذه الآيات دالة على صحة القول بالقدر

من وجود (الاول) انه لا يقال فلان اسرف على نفسه على وجه الذم الا لما يكون من

قبله وذلك يدل على ان افعال العباد تحصل من قبلهم لا من قبل الله تعالى (وثانيها) ان طلب

الغفران والرجاء في ذلك او اليأس لا يحسن الا اذا كان الفعل فعل العبد (وثالثها)

اضافة الانابة والاسلام اليه من قبل ان يأتيه العذاب وذلك لا يكون الا مع تمكنه من

محاولتهما قبل نزول العذاب ومذهبهم ان الكافر لم يتمكن قط من ذلك (ورابعها) قوله

تعالى واتبعوا احسن ما نزل اليكم من ربكم وذلك لا يتم الا بما هو المختار المتتابع

(وخامسها) ذمهم على انهم لا يشعرون بما يوجب العذاب وذلك لا يصح الا مع التمكن

الموصول او من ضمير مفاذتهم

مفيدة لكون نجاتهم او فوزهم

بالجنة غير مسبوقه بمساس

العذاب والحزن واما من فاز منه

اى نجا منه والباء للالابسة

وقوله تعالى لا يعلم الى آخره

تفسير ويان لمفاذتهم اى يخبرهم

الله تعالى ملتبسين بنجاتهم الخاصة

بهم اى بنى السوء والحزن عنهم

او للسببية اما على حذف المضاف

اى يخبرهم بسبب مفاذتهم التى

هى تقواهم كما يشعر به ايراده

في حيز الصلة واما على اطلاق

المفاذة على سببها الذى هو التقوى

وليس المراد نفي دوام الساس

والحزن بل دوام نفيهما كما مر

مراراً (الله خالق كل شىء) من خير

وشر وایمان وكفر لكن لا بالجبر

بل بمباشرة الكاسب لاسبابها

(وهو على كل شىء وكيل) يتولى

التصرف فيه كيفما يشاء (له

مقاليد السموات والارض) لا يملك

امرها ولا يتمكن من التصرف

فيها غيره وهو عبارة عن قدرته

من الفعل (وسادسها) قولهم يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ولا يتحسر المرء على أمر سبق منه الا وكان يصح منه ان يفعله (وسابعها) قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله ومن لا يقدر على الايمان كما يقول القوم ولا يكون الايمان من فعله لا يكون مفرطا (وثامنها) ذمه لهم بأنهم من الساعرين وذلك لا يتم الا ان تكون السخرية فعلهم وكان يصح منهم ان لا يفعلوه (وتاسعها) قوله لو ان الله هداي اى مكنتى لكنت من المتقين وعلى قولهم اذا لم يقدر على التقوى فكيف يصح ذلك منه (ومائسها) قوله لو ان لى كرة فأكون من المحسنين وعلى قولهم لورده الله أبدا كرة بعد كرة وليس فيه الاقدرة الكفر لم يصح ان يكون محسنا (والحادى عشر) قوله تعالى موبخا لهم بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين فين تعالى ان الحجة عليهم الله لان الحجة لهم على الله ولو ان الامر كما قالوا لكان لهم ان يقولوا قد جاءنا الآيات ولكنك خلقت فينا التكذيب بها ولم تقدرنا على التصديق بها (والثانى عشر) انه تعالى وصفهم بالتكذيب والاستكبار والكفر على جهة الذم ولولم تكن هذه الاشياء افعالا لهم لما صح هذا الكلام (والجواب) عنه ان هذه الوجوه معارضة بما ان القرآن مملوء من ان الله تعالى هو الذى يضل ويمنع ويصدر منه الابن والقسوة والاستدراج ولما كان هذا التفسير مملوا منه لم يكن الى الامادة حاجة \* قوله تعالى (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة

أليس في جهنم مثوى للمتكبرين وينجى الله الذين اتقوا بما زعمهم لا يسمهم السوء ولا هم يميزون) اعلم ان هذا نوع آخر من تقرير الوعد والوعد اما الوعيد فتوقله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وفيه بخان (احدها) ان هذا التكذيب كيف هو (والثاني) ان هذا السواد كيف هو اما الاول وهو البحت عن حقيقة هذا التكذيب فنقول المشهور ان الكذب هو الاخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه ومنهم من قال هذا القدر لا يكون كذبا بل الشرط في كونه كذبا ان يقصد الاتيان بخبر يخالف الخبر عنه اذا عرفت هذا الاصل فذكر أقوال الناس في هذه الآية قال الكعبي ويرد الجبر بان هذه الآية قد وردت في المجبرة ثم قال والدليل على ان الامر كذلك ان هذه الآية وردت عقيب قوله لو ان الله هداي يعنى انه ما هداي بل اضلني ثلما حكى الله هذا عن الكفار ثم ذكر عقيبه ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وحب ان يكون هذا عائدا الى ذلك الكلام المتقدم ثم روى عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما بال اقوام يصلون ويقرؤون القرآن يزعمون ان الله كتب الذنوب على العباد وهم كذبة على الله والله مسود وجوههم واعلم ان اصحابنا قالوا آخر الآية يدل على فساد هذا التأويل لانه تعالى قال في آخر الآية أليس في جهنم مثوى للمتكبرين وهذا يدل على ان اولئك الذين صارت وجوههم مسودة اقوام متكبرون والتكبر لا يلبق بمن يقول انا لا اقدر على الخلق والامادة والايحاد وانما القادر عليه هو الله سبحانه وتعالى اما الذين

تعالى وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لان الخرافات لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جع مقبلد او مقلد من قلده اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب كيد على الشذوذ كما اذا كبر وعن عثمان رضى الله عنه انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقلد فقال عليه الصلاة والسلام تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو الاول ولا آخر والطاهر والباطن سيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير والمعنى على هذا ان الله هذه الكلمات بوحد بها وعبد وهى مفاتيح خير السموات والارض من نكلم بها الصابه (والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون) متصل بما قبله والمعنى ان الله تعالى خالق لجميع الاشياء ومتصرف فيها كيف يشاء بالاحياء والامانة

يقولون ان الله يريد شيئا وانا اريد بضده فيحصل مرادى ولا يحصل مراد الله فالتكبر بهذا القائل أليق فبت ان هذا التأويل الذى ذكره فاسد ومن الناس من قال ان هذا الوعيد مخصص باليهود والنصارى ومنهم من قال انه مخصص بمتكرى العرب قال القاضى يجب حل الآية على الكل من المشبهة والمجبرة وكذلك كل من وصف الله بما لا يليق نفيا واثباتا فأضاف اليه ما يجب تزويه عنه أو تزفه عما يجب ان يضاف اليه فالكل منهم داخلون تحت هذه الآية لانهم كلهم كذبوا على الله فتخصيص الآية بالمجبرة والمشبهة أو اليهود والنصارى لا يجوز واعلم أن الواجربنا هذه الآية على عمومها كاذكره التاضى لزمه تكفير الامة لانك لا ترى فرقة من فرق الامة الا وقد حصل بينهم اختلاف شديد فى صفات الله تعالى ألا ترى أنه حصل الاختلاف بين ابى هاشم وأهل السنة فى مسائل كثيرة من صفات الله تعالى ويلزم على قانون قول القاضى تكفير احدهما فبت انه يجب أن يحمل الكذب المذكور فى الآية على ما اذا قصد الاخبار عن الشئ مع انه يعلم أنه كاذب فيما يقول ومسال هذا كفار قریش فانهم كانوا يصفون تلك الاصنام بالالهية مع انهم كانوا يعلمون بالضرورة كونها جادات وكانوا يقولون ان الله تعالى حرم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام مع انهم كانوا ينكرون القول بأن الله حرم كذا أو أباح كذا وكان قائله عالما بأنه كذب واذا كان كذلك فالحاق مل هذا الوعيد بهذا الجاهل الكذاب الضال المضل كان مناسبا امامن لم يقصد الحق والصدق لكنه اخطأ بعد الحاق هذا الوعيد به (البحث الثانى) الكلام فى كيفية السواد الحاصل فى وجوههم والا قرب انه سواد مخالف لسائر انواع السواد وهو سواد يدل على الجهل بالله والكذب على الله واقول ان الجهل ظلمة والظلمة تخيل كائنها سواد فساد قلوبهم اوجب سواد وجوههم وبت هذا الكلام اسرار عميقة من مباحث احوال القيامة فلما ذكر الله هذا الوعيد ارفده بالرد فقال وينبى الله الذين اتقوا بمفازتهم الآية قال اتقوا المارد به من اتقى كل الكبار لا يوصف بالاتقاء المطلق الامن كان هذا حاله فيقال له امرك عجيب جدا فانك قلت لما تقدم قوله تعالى لو ان الله هداني لكنت من المتقين وجب أن يحمل قوله ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة على الذين قالوا لو ان الله هداني فعلى هذا القانون لما تقدم قوله ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ثم قال تعالى بعده وينبى الله الذين اتقوا بمفازتهم وجب أن يكون المراد هم الذين اتقوا ذلك الكذب فهذا يقتضى ان كل من لم يصف بذلك الكذب أن يدخل تحت الوعد المذكور بسوله وينبى الله الذين اتقوا بمفازتهم وان يكون قولك الذين اتقوا المراد منه من اتقى كل الكبار فاسدا فبت ان انتعصب بحمل الرجل العاقل على الكلمات المتناقضة بل الحق أن قول المتق هو الاتقى بالاتقاء والاتقى بالاتقاء فى صورة واحدة آت بمعنى الاتقاء وبهذا الحرف قلنا الامر المطلق لا يفيد التكرار ثم ذلك الاتقاء

بيده مقاليد العالم العلوى والسفلى والذين كفروا ماآتاه النكوبية المنصوبة فى الآفاق الانفس والتنزيلية التى من جلها هاتيك الايات لاطقة بذلك هم الحاسرون خسرا نا لا خسار وراءه هذا وقيل هو متصل بقوله تعالى وينبى الله وما بينهما اعتراض فتدبر (قل أفسر الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون) أى أعدد مشاهدة هذه الايات غير الله عبدو تأمرونى اعتراض للدلالة على أنهم أمروهم عقب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بالله لك لمرط غباوتهم ويجوز أن يتصب غير بما يدل عليه تأمرونى أعبد لانه بمعنى تعدوني وتقولون لى أعبد على ان اصله تأمرونى ان أعبد هدى أن ورفع ما بعدها كان قوله «ألا أي هذا الزجرى احصر الوحى» وأن اشهد الذات هل أنت محلى ويؤيده قراءة أعبد بالنصب وقرئ تأمرونى باظهار السو بين على

غير مذكور بعينه في هذه اللفظة فوجب حله على الاتقاء عن الشيء الذي سبق ذكره وهذا هو الكذب على الله تعالى ثبت ان ظاهر الآية يقتضي ان من اتقى عن تلك الصفة وجب دخوله تحت هذا الوعد الكريم ثم قال تعالى بمفازتهم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ حجة والسكاسى وابوبكر عن ماصم بمفازاتهم على الجمع والباقون بمفازتهم على التوحيد وحكى الواحدى عن الفراء انه قال كلاهما صواب اذ يقال في الكلام قد تين امر القوم وامور القوم قال ابو على الفارسى الافراد للمصدر ووجه الجمع ان المصادر قد تجمع اذا اختلفت اجناسها كقوله تعالى وتظنون بالله الظنونا ولاشك ان لكل متق نوما آخر من المفاضة (المسئلة الثانية) المفاضة مفعلة من الفوز وهو السعادة فكان المعنى ان النجاة في القيامة حصلت بسبب فوزهم في الدنيا بالطاعات والخيرات فعبّر عن الفوز باوقاتهما ومواضعهما ثم قال لا يمسهن السوء ولا هم يحزنون والمراد انه كالتفسير لتلك النجاة كأنه قيل كيف ينجيهم فليل لا يمسهن السوء ولا هم يحزنون وهذه كلمة جامعة لانه اذا علم انه لا يمسه السوء كان فارغ البال بحسب الحال عما وقع في قلبه بسبب فوات الماضى فحينئذ يظهر انه سلم عن كل الآفات ونسأل الله الفوز بهذه الدرجات بمنه وكرمه (المسئلة الثالثة) دلت الآية على ان المؤمنين لا ينالهم الخوف والرعب في القيامة وتأكد هذا بقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر \* قوله تعالى (الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل له مقابليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون قل أفغير الله تأمرونى اعبدوا بها الجاهلون ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك ان اشركت ليحبطن عملك وتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) واعلم انه لما طال الكلام في شرك الوعد والوعيد عاد الى دلائل الالهية والتوحيد وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قد ذكرنا في سورة الانعام ان اصحابنا تمسكوا بقوله تعالى الله خالق كل شىء على ان اعمال العباد مخلوقة لله تعالى واطننا هناك في الاسئلة والاجوبة فلا فائدة ههنا في الامادة الا ان الكعبى ذكر ههنا كلمات فنذكرها ونجيب عنها فقال ان الله تعالى مدح نفسه بقوله الله خالق كل شىء وليس من المدح ان يخلق الكفر والتبائع فلا يصح ان يحتج المخالف به وايضا فيمكن في صدر هذه الامة خلاف في اعمال العباد بل كان الخلاف بينهم وبين المجوس والزنادقة في خلق الامراض والسباع والبهائم فأراد الله تعالى ان يبين انها جميع من خلقه وايضا لفظه كل قد لا توجب العموم لقوله تعالى وأوتيت من كل شىء تدمر كل شىء وايضا لو كانت اعمال العباد من خلق الله لما اضافها اليهم بقوله كفارا حسدا من عند انفسهم ولما صح قوله ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ولما صح قوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا فهذا جلة ما ذكره الكعبى في تفسيره وقال الجبائى الله خالق كل شىء سوى افعال خلقه التى صح فيها الامر والنهى واستحقوا بها البواب والعتاب ولو كانت

الاصل ويحذف الثانية (ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك) اى من الرسل عليهم السلام (لئن اشركت ليحبطن عملك وتكونن من الخاسرين) كلام وارد على طريقة الفرض تبيخ الرسل واتنات الكفرة والايديا لغاية شاعة الاشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن ان يباشره فكيف بمن عداه وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موثقة للقيم والاخرى للجواب واطلاق الاحاط يحتمل ان يكون من حصائصهم عند الاشراك منهم لان الانذار منهم اشد واقبح وان يكون عقيدا بالموت كما صرح به في قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت اعمالهم وعطف الحسرا على من عطف المسبب على السبب (بل الله فاعبد) ردلا أسرو به ولولا دلالة التقدم على القصر لم يكن كذلك (وكن من



(الشاكرين) الغامه عليك وفيه  
اشارة الى ما يوجب الاختصاص  
ويقتضيه (وما قدروا الله حق  
قدره) ما قدروا عظمته تعالى  
في أنفسهم حق عظمته حيث  
جعلوا له شريكا ووصفوه بما  
لا يليق بشئونه الحلية وقرئ  
بالتشديد (والارض جميعا)  
قبضته يوم القيامة والسحوات  
مطويات بينه) تنبيه على غاية  
عظمته وكال قدرته وحسارته  
الافعال العظام التي تصير فيها  
الاهوام بالنسبة الى قدرته  
تعالى ودلالة على ان تخريب  
العالم أهون شئ عليه على  
طريقة التمثيل والتخيل من غير  
اعتبار القبضه واليمين حقيقة  
ولا مجازا كقولهم ثابت لمة  
الليل والقبضة المرة من القبض  
أطلقت بمعنى القبضه وهي المقدار  
المقبوض بالكف تسجبة بالمصدر  
أو بتقدير دات قبضة وقرئ  
بالصب على الظرف تشبيها  
للموقت بالمبهم وبأكيد الارض  
بالجميع لان المراد بها الارضون

افعالهم خلق الله تعالى ما جاز ذاك فيه كما لا يجوز مثله في ألوانهم وصورهم وقال ابو مسلم  
الخلق هو التقدير لا الابدان فاذا أخبر الله عن عباده انهم يفعلون الفعل الفلاني فقد  
قدر ذلك الفعل فيصح ان يقال انه تعالى خلقه وان لم يكن موجد له واعلم أن الجواب  
عن هذه الوجوه قد ذكرناه بالاستقصاء في سورة الانعام فمن أراد الوقوف عليه فليطالع  
هذا الموضع من هذا الكتاب والله اعلم اما قوله تعالى وهو على كل شئ وكيل فالمعنى ان  
الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها وتديرها من غير منازع ولا مشارك  
وهذا أيضا يدل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لان فعل العبد لو وقع بتخليق العبد  
لكان ذلك الفعل غير موكول الى الله تعالى فلم يكن الله تعالى وكيل عليه وذلك ينافي  
عموم الآية ثم قال تعالى له مقاليد السموات والارض والمعنى انه سبحانه مالك امرها  
وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يده مقاليدها  
ومنه قولهم فلان القيت مقاليد الملك اليه وهي المفاتيح قال صاحب الكشف ولا واحد  
لها من لفظها وقبل مقلد ومقاليد ومقاليد مثل مفتاح ومفاتيح وقبل اقليد  
وأقاليد قال صاحب الكشف والكلمة اصلها فارسية الا ان القوم لم يعربوها صارت  
عربية واعلم ان الكلام في تفسير قوله له مقاليد السموات والارض قريب من الكلام  
في قوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب وقد سبق الاستقصاء هناك قيل سأل عثمان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سألتني  
عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر سبحانه الله وبحمده استغفر الله  
ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو  
على كل شئ قدير هكذا نقله صاحب الكشف ثم قال تعالى والذين كفروا بآيات الله  
اولئك هم الخاسرون وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) صريح الآية يقتضي انه لا خاسر  
الا كافر وهذا يدل على ان كل من لم يكن كافرا فانه لا بد وان يحصل له حظ من رجة الله  
(المسئلة الثانية) اورد صاحب الكشف سؤاله هو انه بم اتصل قوله والذين كفروا  
واجاب عنه بأنه اتصل بقوله تعالى وينجي الله الذين اتقوا اي ينجي الله المتقين بمفازتهم  
والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون واعترض ما بينهما انه خالق للاشياء كلها  
وان له مقاليد السموات والارض واقول هذا عندي ضعيف من وجهين (الاول) ان وقوع  
الفصل الكبير بين المعطوف والمعطوف عليه بعيد (الثاني) ان قوله وينجي الله الذين  
اتقوا بمفازتهم جملة فعلية وقوله والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون جملة اسمية  
وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية لا يجوز بل الاقرب عندي ان يقال انه لما وصف  
الله تعالى نفسه بالصفات الالهية والجلالية وهو كونه خالقا للاشياء كلها وكونه مالكا  
لمقاليد السموات والارض بأسرها قال بعده والذين كفروا بهذه الآيات الظاهرة الباهرة  
اولئك هم الخاسرون ثم قال تعالى قل أغير الله تأمروني اعبدوا الجاهلون وفيه مسائل

( المسئلة الاولى ) قرأ ابن عامر تأمروني بنونين ساكنة الباء وكذلك هي في مصاحف الشام قال الواحدى وهو الاصل وقرأ ابن كثير تأمروني بنون مشددة على اسكان الاولى وادغامها في الثانية وقرأ نافع تأمروني بنون واحدة خفيفة على حذف احدى النونين والباقون بنون واحدة مكسورة مشددة ( المسئلة الثانية ) أغير الله منصوب بأعبد وتأمروني اعتراض ومعناه أغير الله اعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا ونؤمن بالهك واقول نظير هذه الآية قوله تعالى قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض وقد ذكرنا في تلك الآية وجه الحكمة في تقديم الفعل ( المسئلة الثالثة ) انما وصفهم بالجهل لانه تقدم وصف الاله بكونه خالفا للاشياء وبكونه مالكا لمقاليذ السموات والارض وظاهر كون هذه الاصنام جادات انها لا تنضرو ولا تنفع ومن اعرض عن عبادة الاله الموصوف بتلك الصفات الشريفة المقدسة واشتغل بعبادة هذه الاجسام الخسيسة فقد بلغ في الجهل مبلغا لا مزيد عليه فلهذا السبب قال ايها الجاهلون ولا شك ان وصفهم بهذا الامر لائق بهذا الموضع ثم قال تعالى ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئلا تشرك لىحيطن عملك وتكونن من الخاسرين واعلم ان الكلام التام مع الدلائل القوية والجواب عن الشبهات في مسئلة الاحباط قد ذكرناه في سورة البقرة فلانعيده قال صاحب الكشف قرى لىحيطن عملك على البناء للمفعول وقرى بالياء والنون أى لىحيطن الله او الشرك وفي الآية سؤالات ( السؤال الاول ) كيف اوحى اليه والى من قبله حال شركه على التعيين والجواب تقدير الآية اوحى اليك لئلا تشرك لىحيطن عملك والى الذين من قبلك مله أو اوحى اليك والى كل واحد منهم لئلا تشرك كما تقول كسانا حلة اى كل واحد منا ( السؤال الثانى ) ما الفرق بين الامنين الجواب الاولى موثقة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب ( السؤال الثالث ) كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى ان رسله لا يذركون ولا تحبط أعمالهم والجواب ان قوله لئلا تشرك لىحيطن عملك قضية شرطية والقضية الشرطية لا يلزم من صدقها صدق جزأها ألا ترى ان قولك لو كانت الخمسة زوجا لكانت منقسمة بنسأوين قضية صادقة مع ان كل واحد من جزأها غير صادق قال الله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا ولم يلزم من هذا صدق القول بأن فيهما آلهة وبأنهما قد فسدنا ( السؤال الرابع ) ما معنى قوله وتكونن من الخاسرين والجواب كما ان طاعات الانبياء والرسل افضل من طاعات غيرهم فكذلك القبائح التى تصدر عنهم فانها بتقدير الصدور تكون أقيج لقوله تعالى اذا لاذ ذاك ضعف الحجة وضعف المات فكان المعنى ضعف الشر الحاصل منه وبتقدير حصوله منه يكون تأثيره فى جانب غضب الله اقوى واعظم واعلم انه تعالى لما قدم هذه المقدمات ذكر ما هو المقصود فقال بل انى فاعبدون من التكرين والتقصير منه رد ما امرؤ به من الاستسلام بعض آلهتهم كانه قال انكم تأمروني بأن لا نعبد غير الله

السبع او جميع ابعاضها البادية والعاثرة وقرى مطويات على انحال والسموات معطوفة على الارض منظومة فى حكمها ( سبحانه وتعالى عما يشركون ) ما بعد وما اعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او عما يشركونه من الشركاء ( ونفخ فى الصور ) هى النفخة الاولى ( ففسق من فى السموات ومن فى الارض ) اى خروا امواتا او معشيا عليهم ( الا من شاء الله ) قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل فانهم لا يموتون بعد وفيل حلة العرش ( م نفخ فيه اخرى ) نفخة اخرى هى النفخة الثانية واخرى يحمل الصب والرفع ( فاداهم قيام ) قائمون من قبورهم او متوقفون وقرى بالنصب على ان الخبر ( ينظرون ) وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون الصغارهم فى الحوانب كالمبهوتين او ينظرون ما يفعل بهم ( واشركت الارض نوررها ) بما افادها فيها

لان قوله قل أفغير الله تأمروني أعبد يفيد أنهم عبنوا عليه عبادة غير الله فقال الله أنهم  
بئسما قالوا ولكن انت على الضد مما قالوا فلا تعبد الا الله وذلك لان قوله بل الله فاعبد  
يفيد الحصر ثم قال وكن من الشاكرين على ما هداك الى انه لا يجوز الاعادة الاله القادر  
على الاطلاق العليم الحكيم وعلى ما أرشدك الى انه يجب الاعراض عن عبادة كل ماسوى  
الله ﴿ قوله تعالى ( وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات  
مطويات بينه سبحانه وتعالى عما يشركون ) ونفخ في الصور فصعق من في السموات  
ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واشترقت الارض  
بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون  
ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون ) واعلم انه تعالى لما حكى عن المشركين أنهم  
امروا الرسول بعبادة الاصنام ثم انه تعالى اقام الدلائل على فساد قولهم وامر الرسول  
بأن يعبد الله ولا يعبد شيئا آخر سواه بين أنهم لو عرفوا الله حق معرفته لما جعلوا هذه  
الاشياء الخسيسة مشاركة له في العبودية فقال وما قدروا الله حق قدره وفي الآية  
مسائل ( المسئلة الاولى ) احتج بعض الناس بهذه الآية على ان الخلق لا يعرفون حقيقة  
الله قالوا لان قوله وما قدروا الله حق قدره يفيد هذا المعنى الا اذا ذكرنا ان هذا صفة حال  
الكفار فلا يلزم من وصف الكفار بأنهم ما قدروا الله حق قدره وصف المؤمنين بذلك  
فسقط هذا الكلام ( المسئلة الثانية ) قوله وما قدروا الله حق قدره اى ما عظموه حق  
تعظيمه وهذه الآية مذكورة في سور ثلاث في سورة الانعام وفي سورة الحج وفي هذه  
السورة واعلم انه تعالى لما بين بانهم ما عظموه تعظيما لا شأبه اردفه بما يبدل على كمال  
عظمته ونهاية جلالته فقال والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه  
قال القفال وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة كقول القائل  
وما قدرتنى حق قدرى وانا الذى فعلت كذا وكذا اى ما عرفت ان حالى وصفتنى هذا الذى  
ذكرت فوجب ان لا تحطنى عن قدرى ومن لحنى ونظيره قوله تعالى كيف تكفرون بالله  
وكنتم امواتا فاحياكم اى كيف تكفرون بمن هذا وصفه وحال ملكه فكذا ههنا والمعنى  
وما قدروا الله حق قدره اذ عموما انه له شركاء وانه لا يقدر على احياء الموتى مع ان الارض  
والسموات فى قبضته وقدرته قال صاحب الكشف الغرض من هذا الكلام اذا  
اخذته كما هو يحملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب  
بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة اوجهة مجاز وكذلك ماروى ان يهوديا جاء الى رسول  
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القاسم ان الله بمسك السموات يوم القيامة على اصبع  
والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر  
الخلق على اصبع ثم بهزهن فيقول انا املك فضحت رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا  
مما قال قال صاحب الكشف وانما ضحك افضح العرب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه

من العدل استعير له النور لانه  
يزين البقاع ويظهر الحفوق كما  
يسمى الظلم ظلمات وفى الحديث الظلم  
ظلمات يوم القيامة ولذلك اضيف  
الاسم الجليل الى ضمير الارض  
او بنور خلقه فيها بلا توسط اجسام  
مضيئة ولذلك اضيف الى الاسم  
الجليل ( ووضع الكتاب ) الحساب  
والجزاء من وضع المحاسب كتاب  
الحاسبة بين يديه او صحائف  
الاعمال فى ايدي العمال واكتفى  
باسم الجنس عن الجمع وقيل الاوح  
المحفوظ يقابل به الصحائف ( وجيء  
بالنبيين والشهداء ) للامم وعليهم  
من الملائكة والمؤمنين وقيل  
المستشهدون ( وقضى بينهم ) وبين  
العباد بالحق وهم لا يظلمون )  
بتقص نواب اوزيادة عقاب على  
ما جرى به الوعد ( ووفيت كل  
نفس ما عملت ) اى جزاءه ( وهو  
اعلم بما يفعلون ) فلا يفوته  
شي من افعاله

علماء البيان من غير تصور امسالك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع  
اول كل شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وان الافعال  
العظام التي تخير فيها الاوهام ولا تكتنهنها الاذهان هينة عليه قال ولا ترى بابا في علم  
البيان ادق والطف من هذا الباب فيقارله هل تسلم ان الاصل في الكلام حله على  
الحقيقة وانه انما يعدل عن الحقيقة الى المجاز عند قيام الدلالة على ان حله على حقيقته  
يتمتع فحينئذ يجب حله على المجاز فان انكر هذا الاصل فحينئذ يخرج القرآن بالكناية عن  
ان يكون حجة فان لكل احد ان يقول المقصود من الآية الفلانية كذا وكذا فانا اجل  
الآية على ذلك المقصود ولا نفت الى الظواهر مثاله من تمسك بالآيات الواردة في  
نواب اهل الجنة وعقاب اهل النار قال المقصود بيان سعادات المطيعين وشقاوة المذنبين  
وانا اجل هذه الآيات على هذا المقصود ولا اثبت الاكل والتسرب ولا سائر الاحوال  
الجسمانية ومن تمسك بالآيات الواردة في انبات وجوب الصلاة فقال المقصود منه  
ايحاج تنوير القلب بذكر الله فانا اكتفى بهذا القدر ولا اوجب هذه الاعمال المخصوصة  
واذا عرفت الكلام في هذين المثالين فقس عليه سائر المسائل الاصولية والفروعية  
وحينئذ يخرج القرآن عن ان يكون حجة في المسائل الاصولية والفروعية وذلك باطل  
قطعا واما ان سلم ان الاصل في علم القرآن ان يعتقد ان الاصل في الكلام حله على حقيقته  
فان قام دليل منفصل على انه يتعذر حله على حقيقته فحينئذ يتعين صرفه الى مجازه فان  
حصلت هناك مجازات لم يتعين صرفه الى مجاز معين الا اذا كان الدليل يوجب ذلك  
التعيين فقول ههنا لفظ القبضة ولفظ البقي حقيقة في الجارحة المخصوصة ولا يمكنك  
ان تصرف ظاهر الكلام عن هذا المعنى الا اذا أتمت الدلالة على ان حل هذه الالفاظ  
على ظواهرها متمنع فحينئذ يجب حملها على المجازات ثم تبين بالدليل ان المعنى الفلاني يصح  
جعله مجازا عن تلك الحقيقة ثم تبين بالدليل ان هذا المجاز اولي من غيره واذا ثبتت هذه  
المقدمات وترتيبها على هذا الوجه فهذا هو الطريق الصحيح الذي عليه تعويل اهل  
التحقيق فأنت ما أثبت في هذا الباب بطريقة جديدة وكلام غريب بل هو عين ما ذكره  
اهل التحقيق فثبت ان الفرح الذي اظهره من انه اهتدى الى الطريق الذي لم يعرفه  
غيره طريق فاسد دال على قلة وقوفه على المعاني ولتراجع الى الطريق الحقيقي فقول  
لاشك ان لفظ القبضة واليمين مشعر بهذه الاعضاء والجوارح الا ان الدلائل العقلية  
قامت على امتناع ثبوت الاعضاء والجوارح لله تعالى فوجب حل هذه الاعضاء على وجوه  
المجاز فقول انه يقال فلان في قبضة فلان اذا كان تحت تدبيره وتسخيره قال تعالى الا  
على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم والمراد منه كونه مملوكا له ويقال هذه الدار في يد  
فلان وفلان صاحب اليد والمراد من الكل القدرة والفقهاء يقولون في الشرط وقبض  
فلان كذا وصار في قبضته ولا يريدون الاخلوص ملكه واذا ثبت تعذر حل هذه

وهو له تعالى وسبق الذنب كفر  
الى جهنم زمرا الخ تفصيل  
للتوفه وبيان لكيفيتها اي  
سيقوا اليها بالعنف والاهانة  
افواجا متفرقة بعضها في ار  
بعض مرتبة حسب ترتب  
طبقاتهم في الضلالة والشرارة  
والزمر جمع زمرة واستغافها  
من الزمر وهو الصوت اذ  
الجماعة لا تخلو عنه الحق اذا  
جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها  
وحق هي التي تحكي بعدها  
الجملة وفري بالسنديد ( وقال

الالفاظ على حقائقها وجب حملها على مجازاتها صونا لهذه النصوص عن التعطيل  
فهذا هو الكلام الحقيقي في هذا الباب ولنا كتاب مفرد في ابواب تنزيه الله تعالى  
عن الجسمية والمكان سميناه (بتأسيس التقديس) من اراد الاطناب في هذا الباب فليرجع  
اليه (المسئلة الثالثة) في تفسير الفاظ الآية قوله والارض المراد منه الارضون  
السبع ويدل عليه وجوه (الاول) قوله جميعا فان هذا التأكيد لا يحسن ادخاله الا على  
الجمع ونظيره قوله كل الطعام وقوله تعالى او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء  
وقوله تعالى والنخل باسقات وقوله تعالى ان الانسان لني خسر الا الذين آمنوا وعملوا  
الصالحات فان الالفاظ المحقة باللفظ المفرد تدل على ان المراد منه الجمع فكذا  
ههنا (الثاني) انه قال بعده والسموات مطويات فوجب ان يكون المراد بالارض  
الارضون (الثالث) ان الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهذا مقتضى المبالغة واما القبضة  
فهى المرة الواحدة من القبض قال تعالى فقبضت قبضة من اثر الرسول والقبضة بالضم  
المقدار المقبوض بالكف ويقال ايضا اعطى قبضة من كذا يريد معنى القبضة تسمية  
بالمصدر والمعنى والارضون جميعا قبضته اى ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة من  
قبضاته يعنى ان الارضين مع مالها من العظمة والبسطة لا يبلغن الا قبضة واحدة من  
قبضاته اما اذا اريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين يحملتهما مقدار ما يقبضه  
بكف واحدة فان قبل ماوجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب قلنا جعل القبضة ظرفا وقوله  
مطويات من الطوى الذى هو ضد النشر كما قال تعالى يوم تطوى السماء كطى السجل وعادة  
طاوى السجل ان يطويه بيمينه ثم قال صاحب الكشف وقيل قبضته ملكه ويمينه  
قدرته وقيل مطويات بيمينه اى مفنيات بقسمه لانه اقسام انية قبضتها ولما ذكر هذه الوجوه  
عاد الى القول الاول بأنها وجوه ركيكة وان حل هذا الكلام على محض التمثيل اولى  
وبالغ في تقرير هذا الكلام فأطنب واقول ان حال هذا الرجل في اقدمه على تحسين  
طريقته وتقبيح طريقة القدماء عجيب جدا فأنه ان كان مذهبه انه يجوز ترك ظاهر  
اللفظ والمصير الى المجاز من غير دليل فهذا طعن في القرآن واخراج له عن ان يكون  
حجة فى شئ وان كان مذهبه ان الاصل فى الكلام الحقيقة وانه لا يجوز العدول عنه  
الدليل منفصل فهذا هو الطريقة التى اطبق عليها جمهور المتقدمين فأين الكلام  
الذى يزعم انه علمه واين العلم الذى لم يعرفه غيره مع انه وقع فى التأويلات العسرة  
والكلمات الركيكة فان قالوا المراد انه لما دل الدليل على انه ليس المراد من لفظ القبضة  
واليمين هذه الاعضاء وجب علينا ان نكتفى بهذا القدر ولا نشغل بتعيين المراد بل  
نفوض علمه الى الله تعالى فنقول هذا هو طريق الموحدين الذين يقولون اننا علم انه ليس  
مراد الله من هذه الالفاظ هذه الاعضاء فاما تعيين المراد فانا نفوض ذلك العلم الى الله  
تعالى وهذا هو طريقة السلف المعرضين عن التأويلات فثبت ان هذه التأويلات التى

لهم خزنتها (تقريبا ونوعا) الم  
يا انكم رسل منكم (من جنسكم  
وقرى نذر منكم (يتلون عليكم  
آيات ربكم وينذروكم لقاء  
يومكم هذا) اى وتلكم هذا  
وهو وقت دخولهم النار  
وفيد دليل على انه لا تكلف  
مبل الشرع من حب انهم  
علاوا توبيخهم بآيات الرسل  
وتبليغ الكتب (فالوا بلى)  
قد اتواوا نذرونا (ولكن حقت  
كلمة العذاب على الكافرين)  
حيث قال الله تعالى

أتى بها هذا الرجل ليس تحتها شيء من الفائدة أصلاً والله أعلم واعلم أنه تعالى لما بين عظمته من الوجه الذي تقدم قال سبحانه وتعالى عما يشركون يعني أن هذا القادر القاهر العظيم الذي حارت العقول والالباب في وصف عظمته تنزهه وتقدس عن أن يجعل الأصنام شركاءه في العبودية فإن قيل السؤال على هذا الكلام من وجوه (الاول) أن العرش اعظم من السموات السبع والارضين السبع ثم انه قال في صفة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية واذا وصف الملائكة بكونهم حاملين العرش العظيم فكيف يجوز تقدير عظمة الله بكونه حاملاً للسموات والارض (السؤال الثاني) أن قوله والارض جميعاً قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه شرح حالة لا تحصل الا في يوم القيامة والقوم ماشهوا ذلك فان كان هذا الخطاب مع المصدقين للانبيا فهم يكونون معترفين بأنه لا يجوز القول بجعل الاصنام شركاء لله تعالى فلا فائدة في ايراد هذه اللمحة عليهم وان كان هذا الخطاب مع المكذبين بالنبوة وهم ينكرون قوله والارض جميعاً قبضته يوم القيامة فكيف يمكن الاستدلال به على ابطال القول بالشرك (السؤال الثالث) حاصل القول في القبضة واليمين هو القدرة الكاملة الوافية بحفظ هذه الاجسام العظيمة وكما ان حفظها وامساكها يوم القيامة ليس الا بقدرة الله فكذلك الآن لما الفائدة من تخصيص هذه الاحوال بيوم القيامة (والجواب عن الاول) ان مراتب التعظيم كثيرة فأولها تقرير عظمة الله بكونه قادراً على حفظ هذه الاجسام العظيمة ثم بعده تقرير عظمته بكونه قادراً على امساك اوائك الملائكة الذين يحملون العرش (والجواب عن السؤال الثاني) ان المقصود ان الحق سبحانه هو المتولى لبقاء السموات والارضين على وجوه العمارة في هذا الوقت وهو المتولى لتخريبها وافنائها في يوم القيامة فذلك يدل على حصول قدرة تامة على الابدان والاعدام وتنبه ايضا على كونه غنياً على الاطلاق فانه يدل على انه اذا حاول تخريب الارض فكأنه يقبض قبضة صغيرة ويريد افنائها وذلك يدل على كمال الاستغناء (والجواب عن السؤال الثالث) انه انما خصص تلك الحالة بيوم القيامة ليدل على انه كما ظهر كمال قدرته في الابدان عند عمارة الدنيا فكذلك ظهر كمال قدرته عند خراب الدنيا والله أعلم واعلم انه تعالى لما قرر كمال عظمته بما سبق ذكره اردفه بذكر طريقة اخرى تدل ايضا على كمال قدرته وعظمته وذلك شرح مقدمات يوم القيامة لان نفخ الصور يكون قبل ذلك اليوم فقال ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واختلفوا في الصعقة منهم من قال انها غير الموت بدليل قوله تعالى في موسى عليه السلام وخر موسى صعقا مع انه لم يمت فهذا هو النفخ الذي يورث الفزع الشديد وعلى هذا التقدير فالمراد من نفخ الصعقة ومن نفخ الفزع واحد وهو المذكور في سورة النمل في قوله ويوم نفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض وعلى هذا القول

لا بليس لاهل جهم منك ومن  
تبعك منهم اجمعين وقد كما بمن  
تبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله  
من شيء ان اتم الانكذبون  
(فيل ادخلوا ابواب جهم  
خالدين فيها) اي مقدرا  
حلوزكم فيها واهام القائل  
لتمويل القول (فبئس منوى  
لستم كافرين) السلام للبئس  
او المخصوص بالذم محذوف فقة  
بذكره آتفا اي فبئس مشواهم  
جهم ولا يقدح ما فيه من  
لا شعاع بأن كون مشواهم  
اجهم عن تبر الحق في ان

فنفخ الصور ليس الامرتين (والقول الثاني) ان الصعقة عبارة عن الموت والقائلون بهذا القول قالوا انهم يموتون من الفزع وشدة الصوت وعلى هذا التقدير فالنفخة تحصل ثلاث مرات (اولها) نفخة الفزع وهي المذكورة في سورة النمل (والثانية) نفخة الصعق (والثالثة) نفخة القيام وهما مذكورتان في هذه السورة واما قوله الامن شاء الله ففيه وجوه (الاول) قال ابن عباس رضي الله عنهما عند نفخة الصعق يموت من في السموات ومن في الارض الاجبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يميت الله ميكائيل واسرافيل ويبقى جبريل وملك الموت ثم يميت جبريل (القول الثاني) انهم هم الشهداء لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال هم الشهداء متقلدون اسيا فهم حول العرش (القول الثالث) قال جابر هذا المستثنى هو موسى عليه السلام لانه صعق مرة فلا يصعق ثانيا (القول الرابع) انهم الخور العين وسكان العرش والكبرى (القول الخامس) قال قتادة الله اعلم بأنهم من هم وليس في القرآن والاخبار ما يدل على انهم من هم ثم قال تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وفيه اباحت (الاول) لفظ القرآن دل على ان هذه النفخة متأخرة عن النفخة الاولى لان لفظ ثم يفيد التراخي قال الحسن رحمه الله القرآن دل على ان هذه النفخة متأخرة عن النفخة الاولى وروى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان بينهما اربعين ولا ادرى اربعون يوما او شهرا او اربعون سنة او اربعون الف سنة (البحث الثاني) قوله اخرى تقدير الكلام ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه نفخة اخرى واما حسن الحذف لدلالة اخرى عليها ولكونها معلومة (الثالث) قوله فاذا هم قيام يعني قيامهم من القبور يحصل عقيب هذه النفخة الاخيرة في الحال من غير تراخي لان الفاء في قوله فاذا هم تدل على التعقيب (الرابع) قوله ينظرون وفيه وجهان (الاول) ينظرون يقبلون ابصارهم في الجهات نظر المبهور اذا فاجأه خطب عظيم (والثاني) ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لاجل استيلاء الحيرة والدعشة عليهم ولما بين الله تعالى حال هاتين النفختين قال واشرقت الارض بنور ربها وفيه مسائل (المسئلة الاولى) هذه الارض المذكورة ليست هي هذه الارض التي يقعد عليها الآن بدليل قوله يوم تبدل الارض غير الارض وبدليل قوله تعالى وحملت الارض والجبال فذكرنا ذكة واحدة بل هي ارض اخرى يخلقها الله تعالى لمحفل يوم القيامة (المسئلة الثانية) قالت المجسمة ان الله تعالى نور محض فاذا حضر الله في تلك الارض لاجل القضاء بين عباده اشرقت تلك الارض بنور الله واكدوا هذا بقوله تعالى الله نور السموات والارض واعلم ان الجواب عن هذه الشبهة من وجوه (الاول) اننا بينا في تفسير قوله تعالى الله نور السموات والارض انه لا يجوز ان يكون الله سبحانه وتعالى نورا بمعنى كونه من جنس هذه الانوار المشاهدة وبيننا انه لما تعذر حل الكلام على الحقيقة وجب حل لفظ

دخولهم الدار لسبق كلمة العذاب عليهم فانها انما حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وفدسهم تحقيقه في سورة الم السجدة (وسبق الذين اتقوا ربهم الى الجنة) مساق اعزاز وتنزيه للاسراع بهم الى دار الكرامة وقبل سيق مراتبهم اذ لا يذهب بهم الاراكين (زمر) متفانين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة (حتى اذا جاؤاها وفتحت ابوابها) وفري بالتسديد



النور ههنا على العدل فمحتاج ههنا الى بيان ان لفظ النور قد يستعمل في هذا المعنى ثم الى بيان ان المراد من لفظ النور ههنا ليس الا هذا المعنى اما بيان الاستعمال فهو ان الناس يقولون للملك العادل اشرفت الآفاق بعد ذلك واضاءت الدنيا بقسطك كما يقولون اظلمت البلاد بجورك وقال صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة واما بيان ان المراد من النور ههنا العدل فقط انه قال وحي بالنبين والشهداء ومعلوم ان المجي بالشهداء ليس الا اظهار العدل وايضا قال في آخر الآية وهم لا يظلمون فدل هذا على ان المراد من ذلك النور ازالة ذلك الظلم فكأنه تعالى قطع هذه الآية باثبات العدل وختما بنفى الظلم (والوجه الثاني) في الجواب عن الشبهة المذكورة ان قوله تعالى واشرفت الارض بنور ربها يدل على انه يحصل هناك نور مضاف الى الله تعالى ولا يلزم كون ذلك صفة ذات الله تعالى لانه يكفي في صدق الاضافة ادنى سبب فلما كان ذلك النور من خلق الله وشرفه بان اضافته الى نفسه كان ذلك النور نور الله كقوله بيت الله وناقة الله وهذا الجواب اقوى من الاول لان في هذا الجواب لا يحتاج الى ترك الحقيقة والذهاب الى المجاز (والوجه الثالث) انه قد يقال فلان رب هذه الارض ورب هذه الدار ورب هذه الجارية ولا يبعد ان يكون رب تلك الارض ملكا من الملوك وعلى هذا التقدير فلا يمنع كونه نورا (المسئلة الثانية) انه تعالى ذكر في هذه الآية من احوال ذلك اليوم اشياء (اولها) قوله واشرفت الارض بنور ربها وقد سبق الكلام فيه (وثانيها) قوله ووضع الكتاب وفي المراد بالكتاب وجوه (الاول) انه الاوح المحفوظ الذي تحصل فيه شرح احوال عالم الدنيا الى وقت قيام القيامة (الثاني) المراد كتب الاعمال كما قال تعالى في سورة سبحان وكل انسان ازمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقال ايضا في آية أخرى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها (وثالثها) قوله وحي بالنبين والمراد ان يكونوا شهداء على الناس قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئناك على هؤلاء شهداء وقال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتكم (ورابعها) قوله والشهداء والمراد ما قاله في وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس او اراد بالشهداء المؤمنين وقال مقاتل يعني الحفظة ويدل عليه قوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وقيل اراد بالشهداء المستشهدين في سبيل الله ولما بين الله تعالى انه يحضر في محفل القيامة جميع ما يحتاج اليه في فصل الحكومات وقطع الخصومات بين تعالى انه يوصل الى كل احد حقه وعبر تعالى عن هذا المعنى باربعة عبارات (اولها) قوله تعالى وقضى بينهم بالحق (وثانيها) قوله وهم لا يظلمون (وثالثها) قوله ووفيت كل نفس جزاء ما عملت (ورابعها) قوله وهو اعلم بما يفعلون يعني انه تعالى اذا لم يكن عالما بكيفيات احوالهم فعمله لا يقضى بالحق لاجل عدم العلم اما اذا كان عالما بمقادير افعالهم وبكيفياتها امتنع

وجواب اذا محذوف للايدان بأن لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا يخدو به نطق العبارات كأنه قيل حتى اذا جاؤها ودفقت ابوابها وقال لهم خزنها سلام عليكم) من جميع المكروه والالام (طبتم) طهرتم مردنس المعاصي او طبتم نفسا بما أتم لكم من النعيم (فادخلوها خالدن) كان ما كان بما يصرف عنه البيان (ومالوا) المبدل الذي صدقوا وعده) بالبعث والتواب

دخول الخطأ في ذلك الحكم ثبت أنه تعالى عبر عن هذا المقصود بهذه العبارات المختلفة والمقصود المبالغة في تقرير أن كل مكلف فانه يصل الى حقه \* قوله تعالى (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤاها قمت ابوابها وقال لهم خزنتها الميأ تكلم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قبل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) اعلم انه تعالى لما شرح احوال اهل القيامة على سبيل الاجال فقال ووفيت كل نفس ما عملت بين بعده كيفية احوال اهل العقاب ثم كيفية احوال اهل الثواب وختم السورة اما شرح احوال اهل العقاب فهو المذكور في هذه الآية وهو قوله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا قال ابن زيد ان سوق الذين كفروا الى جهنم يكون بالعنف والدفع والدليل عليه قوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعاى يدفعون دفعا نظيره قوله تعالى فذلك الذى يدع اليتيم اى يدفعه ويدل عليه ايضا قوله تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا واما الزمر فهى الافواج المتفرقة بعض فى اثر بعض فبين الله تعالى انهم يساقون الى جهنم فاذا جاؤاها قمت ابوابها وهذا يدل على ان ابواب جهنم انما تفتح عند وصول اولئك اليها فاذا دخلوا جهنم قال لهم خزنته جهنم الميأ تكلم رسل منكم اى من جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا فان قيل فلم اضيف اليوم اليهم قلنا اراد لقاء وتكلم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة واستعمال لفظ اليوم والايام فى اوقات الشدة مستفيض فعند هذا نقول الكفار بلى قد اتونا وتلوا علينا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وفى هذه الآية مسئلتان (المسئلة الاولى) تقدير الكلام انه حقت علينا كلمة العذاب ومن حقت عليه كلمة العذاب فكيف يمكنه الخلاص من العذاب وهذا صريح فى ان السعيد لا يقلب شقيا والشقي لا يقلب سعيدا وكلمات المعزلة فى دفع هذا الكلام معلومة واجوبتنا عنها ايضا معلومة (المسئلة الثانية) دلت الآية على انه لا وجوب قبل مجئ الشرع لان الملائكة يبنوا له ما يلقى لهم علة ولا عذر بعد مجئ الانبياء عليهم السلام ولولم يكن مجئ الانبياء شرطا فى استحقاق العذاب لما بقى فى هذا الكلام فائدة ثم ان الملائكة اذا سمعوا منهم هذا الكلام قالوا لهم ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين قالت المعزلة لو كان دخولهم فى النار لاجل انه حقت عليهم كلمة العذاب لم يبق لقول الملائكة فبئس مثوى المتكبرين فائدة بل هذا الكلام انما يبق مفيدا اذا قلنا انهم انما دخلوا النار لانهم تكبروا على الانبياء ولم يقبلوا قولهم ولم يفتوا الى دلائلهم وذلك يدل على صحة قولنا والله اعلم بالصواب \* قوله تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤاها وقمت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده واورثنا الارض ننبأ من الجنة حيث نشاء فنعلم اجر العاملين وترى

(رأورثنا الارض) يريدون المكان الذى استقروا فيه على الاستعارة واورثنا تملكها مخلفه عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يريد (تنبأ من الجنة حيث نشاء) اى ينبأ كل واحد منا فى اى مكان اراده من جنته الواسعة على ان فيها مقامات معنوية لا يتنازع واورثوها (فنعلم اجر العاملين) الجنة (وترى الملائكة حافين) محققين (من حول العرش) اى حولوه ومن مزبده اول ابتداء الحفوف

الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ( اعلم انه تعالى لما شرح احوال أهل العقاب في الآية المقدمة شرح احوال أهل التواب في هذه الآية فقال وسبق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا فان قيل السوق في أهل النار للعذاب معقول لانهم لما أمروا بالذهاب الى موضع العذاب والشقاوة لابد وان يساقوا اليه واما أهل التواب فاذا أمروا بالذهاب الى موضع الكرامة والراحة والسعادة فأى حاجة فيه الى السوق والجواب من وجوه (الاول) ان المحبة والصدقة باقية بين المتقين يوم القيامة كما قال تعالى الا خلا يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فاذا قيل لواحد منهم اذهب الى الجنة فيقول لا أدخلها حتى يدخلها احبائي واصدقائي فيتأخرون لهذا السبب فيبتذ احتاجون الى ان يساقوا الى الجنة (والثاني) ان الذين اتقوا ربهم قد عبدوا الله تعالى للجنة وللجنة نصير شدة استغراقهم في مشاهدة مواقف الجلال والجمال مانعة لهم عن الرغبة في الجنة فلا جرم يحتاجون الى أن يساقوا الى الجنة (والثالث) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اكثر أهل الجنة البله وعليون للابرار فلهذا السبب يساقون الى الجنة (والرابع) ان أهل الجنة وأهل النار يساقون الا ان المراد بسوق أهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسير اذا سبق الى الحبس والقيد والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين والمراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يتصرف ويكرم من الوافدين على الملوك فستان ما بين السواقين ثم قال تعالى حتى اذا جاؤوها وقمحت ابوابها وقال لهم خزنتها الآية واعلم ان جملة هذا الكلام شرط واحد مركب من قيود (القيود الاول) هو مجيئهم الى الجنة (القيود الثاني) قوله تعالى وقمحت ابوابها فان قيل قال في أهل النار قمحت ابوابها بغير الواو وقال ههنا بالواو فالفرق قلنا الفرق ان ابواب جهنم لا تفتح الا عند دخول أهلها فيها فاما ابواب الجنة فتمفتحها يكون متقدما على وصولهم اليها بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو كانه قيل حتى اذا جاؤوها وقد قمحت ابوابها (القيود الثالث) قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين فيبين تعالى ان خزنة الجنة يدكرون لاهل التواب هذه الكلمات الثلاث (وأولها) قوله سلام عليكم وهذا يدل على انهم يبشرونهم بالسلامة من كل الآفات (وثانيها) قولهم طبتم والمعنى طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا ( وثالثها ) قولهم فادخلوها خالدين والفاء في قوله فادخلوها يدل على كون ذلك الدخول معللا بالطيب والطهارة قالت المعتزلة هذا يدل على ان احدا لا يدخلها الا اذا كان طاهرا عن كل المعاصي قلنا هذا ضعيف لانه تعالى يبدل سيئاتهم حسنات وحينئذ يصيرون طيبين طاهرين بفضل الله تعالى فان هذا الذي تقدم ذكره هو الشرط فان الجواب قلنا فيه وجهان (الاول) ان الجواب محذوف والمقصود من الحذف

(يسبحون بحمد ربهم) اي  
يذهبونه تعالى عما لابلقي به  
ملتبسين بحمده والجملة حال  
بانية أو مقيدة للاولى والمعنى  
ذا كرن له تعالى بوصفي جلالة  
واكرامه بلذذاه وفيه اشعار  
بأن اتصى درجات العليين  
واعلى لذائذهم هو الاستغراق  
في شؤنه عز وجل (وقضى بينهم  
بالحق) اي بين الخلق بادخال  
بعض النار وبعض الجن والأرواح  
الملائكة باقامتهم في منازلهم على  
حسب تعاضلهم (وقيل الحمد لله

ان يدل على انه بلغ في الكمال الى حيث لا يمكن ذكره (الثاني) ان الجواب هو قوله تعالى وقال لهم خزنها سلام عليكم والواو محذوف والصحيح هو الاول ثم اخبر الله تعالى بأن الملائكة اذا خاطبوا المتقين بهذه الكلمات قال المتقون عند ذلك الحمد لله الذي صدقنا وعده في قوله أن لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وأورثنا الارض والمراد بالارض ارض الجنة وانما عبر عنه بالارث لوجوه (الاول) ان الجنة كانت في اول الامر لا دم عليه السلام لانه تعالى قال فكلامنها رغدا حيث شئتما فلما عادت الجنة الى اولاد آدم كان ذلك سببا لتسميتها بالارث (الثاني) ان هذا اللفظ مأخوذ من قول القائل هذا أورث كذا وهذا العمل أورث كذا فلما كانت طاعتهم قد افادت لهم الجنة لاجرم قالوا واورثنا الارض والمعنى ان الله تعالى اورثنا الجنة بأن وقفنا للآيتين بأعمال اورثت الجنة (الثالث) ان الوارث يتصرف فيما يرثه كما يشاء من غير منازع ولا مدافع فكذلك المؤمنون المتقون يتصرفون في الجنة كيف شاؤوا وأرادوا لمشاغبة علة حسن المجاز فان قيل مامعنى قوله حيث نشاء وهل يتبوا احدهم مكان غيره قلنا يكون لكل احد جنة لا يحتاج معها الى جنة غيره قال حكماء الاسلام الجنات نوحان الجنات الجسمانية والجنات الروحانية فالجنات الجسمانية لا تحتل المشاركة فيها ما للروحانيات فحصلوا لواحد لا يمنع من حصولها للآخرين ولما بين الله تعالى صفة أهل الجنة قال فهم اجر العالمين قال مقاتل ليس هذا من كلام اهل الجنة بل من كلام الله تعالى لانه لما حكى ماجرى بين الملائكة وبين المتقين من صفة ثواب اهل الجنة قال بعده فهم اجر العالمين ولما قال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش ذكر عقبيه ثواب الملائكة فقال كما ان دار ثواب المتقين المؤمنين هي الجنة فكذلك دار ثواب الملائكة جوانب العرش واطرافه فلماذا قال وترى الملائكة حافين من حول العرش اى محققين بالعرش قال الليث يقال حف القوم بسيدهم يحفون حفاذا طافوا به اذا عرفت هذا فنقول بين تعالى ان دار ثوابهم هو جوانب العرش واطرافه ثم قال يسبحون بحمد ربهم وهذا مشعر بأن ثوابهم هو عين ذلك التحميد والتسبيح وحيث نرجع حاصل الكلام الى ان اعظم درجات النواب استغراق قلوب العباد في درجات التنزيه ومنازل التقديس ثم قال وقضى بينهم بالحق والمعنى انهم على درجات مختلفة ومراتب متفاوتة فلكل واحد منهم في درجات المعرفة والطاعة حد محدود لا يتجاوزه ولا يتعداه وهو المراد من قوله وقضى بينهم بالحق وقبل الحمد لله رب العالمين اى الملائكة لما قضى بينهم بالحق قالوا الحمد لله رب العالمين على قضائه بيننا بالحق وههنا دقة أعلى مما سبق وهى انه سبحانه لما قضى بينهم بالحق فهم ما حدوده لاجل ذلك القضاء بل حدوده بصفته الواجبة وهى كونه رب العالمين فان من جد المنع لاجل أن افعاله وصل اليه فهو في الحقيقة ما جدد المنع وانما جدد الانعام وأما من جدد المنع لانه وصل اليه النعمة فههنا قد وصل الى الجنة بحرا التوحيد هذا اذا قلنا ان قوله

رب العالمين ( اى على ما قضى بيننا بالحق وانزل كلامنا منزلته التى هى حقه والقائلون هم المؤمنون ممن قضى بينهم او الملائكة وطى ذكرهم لتعظيم وتعظيم \* عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر يقطع الله تعالى رجاءه يوم القيامة واعطاء ثواب العالمين وعن عائشة رضى الله عنها انه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر

(سورة المؤمن مكية وآياتها خمس)  
(أو ثمان وثمانون آية)

\* (بسم الله الرحمن الرحيم) \*

(حم) بنفخيم الالف وتسكين الميم  
وقرى بأمانة الالف وبأخراجها  
بين بين وبفتح الميم لالتقاء  
السكنتين أو نضيبها بأخراجها  
ونحوه ومنع الصرف للتعريف  
والسأيت أو التعريف وكونها  
على زنة قابل وهابل وبقية  
الكلام فيه وفي قوله تعالى  
(تنزيل الكتاب) كالذى سلف  
في الم السجدة وقوله تعالى (من  
الله العزيز العليم) كما في مطلع  
سورة الزمر في الوجه كلها  
ووجه التعرض لنعت العزة  
والعلم مذكر هناك (غافر الذنب  
وقابل التوب شديد العقاب ذى  
الطول) أما صفات آخر لتحقيق  
مافيهما من الترغيب والترهيب  
والحث على ما هو المقصود  
والإضافة فيها حقيقية على أنه لم  
يرد بها زمان مخصوص وأريد  
بشديد العقاب مشدده أو الشديد  
عقابه بحذف اللام للزدواج  
وأمن الالتباس أو ابدال وجعله  
وحده بدلاً كما فعله الزجاج  
مشوش للنظم وتوسيط الواو بين  
الاولين لإفادة الجمع بين محو  
الذنوب وقبول التوبة أو تغاير  
الوصفين اذ ربما بتوهم الاتحاد  
أو تغاير موقع الفعلين لأن

وترى الملائكة حافين من حول العرش شرح احوال الملائكة في النواب اما اذا قلنا  
انه من بقية شرح ثواب المؤمنين فتقريره ان يقال ان المتقين لما قالوا الحمد لله الذى صدقنا  
وعده واورثنا الارض نبوا من الجنة حيث نشاء فقد ظهر منهم انهم في الجنة اشتغلوا  
بحمد الله وبذكره بالمدح والشاء فيبين تعالى انه كان حرفة المتقين في الجنة الاشتغال بهذا  
التحميد والتسبيح فكذلك حرفة الملائكة الذين هم حافون حول العرش الاشتغال  
بالتحميد والتسبيح ثم ان جوانب العرش ملاصقة لجوانب الجنة وحينئذ يظهر منه ان  
المؤمنين المتقين وان الملائكة المقربين يصيرون متوافقين على الاستغراق في تحميد الله  
وتسبيحه فكان ذلك سبباً لزيد التذاذهم بذلك التسبيح والتحميد ثم قال وقضى بينهم الحق  
اى بين البشر ثم قال وقيل الحمد لله رب العالمين والمعنى انهم يقدمون التسبيح والمراد منه  
تنزيه الله عن كل ما يلبق بالالهيته واما قوله تعالى وقيل الحمد لله رب العالمين فالمراد وصفه  
بصفات الالهية فالتسبيح عبارة عن الاعتراف بتنزيهه عن كل ما يلبق به وغوص صفات  
الجلال وقوله وقيل الحمد لله رب العالمين عبارة عن الاقرار بكونه موصوفاً بصفات الالهية  
وهى صفات الاكرام ومجموعهما هو المذكور في قوله تبارك اسم ربك ذى الجلال  
والاكرام وهو الذى كانت الملائكة يذكرونه قبل خلق العالم وهو قولهم ونحن نسبح  
بحمده ونقدس لك وفي قوله وقيل الحمد لله رب العالمين دقيقة اخرى وهى انه لم يبين ان ذلك  
القائل من هو والمقصود من هذا الابهام التنبيه على ان خاتمة كلام العقلاء في الشاء على  
حضرة الجلال والكبرياء ليس الا ان يقولوا الحمد لله رب العالمين وتأكد هذا بقوله  
تعالى في صفة اهل الجنة وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين \* قال المصنف رحمه الله  
تعالى تم تفسير هذه السورة في ليلة الثلاثاء آخر ذى القعدة من سنة ثلاث وستمائة يقول  
مصنف هذا الكتاب الملائكة المقربون عجزوا عن احصاء شألك فنأنا والانبياء  
المرسلون اعترفوا بالعجز والقصور فنأنا وليس معي الا ان اقول انت انت وانا انا  
فكنا الرحمة والفضل والجود والاحسان ومنى العجز والذلة والخيبة والخسران يا رحمان  
يا ديان يا حنان يا منان افض على سجال الرحمة والغفران برحمتك يا ارحم الراحمين وصلى الله  
على سيدنا محمد النبي الامى وعلى آله واصحابه وازواجه امهات المؤمنين وسلي تسليمًا كثيرًا

\* (سورة المؤمن ثمانون وخمس آيات مكية) \*

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول  
لا اله الا هو اليه المصير ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغفر لك تقلدهم في البلاد  
كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل اممة برسولهم ليأخذوه وجادلوا  
بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقك ربك على  
الذين كفروا انهم اصحاب النار اعلم ان في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأ عاصم في

رواية أبي بكر وحزرة والكسائي حم بكسر الحاء والباقون بفتح الحاء ونافع في بعض الروايات وابن عامر بن الفتح والكسر وهو ان لا يفتحها فتحا شديدا قال صاحب الكشف قرئ بفتح الميم وتسكينها ووجه الفتح التحريك للالتقاء الساكنين واشار اخف الحركات نحو ابن وكيف او النصب باضمار اقرأ ومنع الصرف اما للتأنيث والتعريف من حيث انها اسم للسورة او لتعريف وانها على زنة اعجمي نحو قاتل وهابيل واما السكون فلا تأييدنا ان الاسماء المجردة تذكر موقوفة الا و آخر ( المسئلة الثانية ) الكلام المستقصى في هذه الفوائد مذكور في اول سورة البقرة والا قرب ههنا ان يقال حم اسم للسورة فقوله حم مبتدأ وقوله تنزيل الكتاب من الله خبره والتقدير ان هذه السورة المسماة بحم تنزيل الكتاب فقوله تنزيل مصدر لكن المراد منه المنزل واما قوله من الله فاعلم انه لما ذكر ان حم تنزيل الكتاب وجب بيان ان المنزل من هو فقال من الله ثم بين ان الله تعالى موصوف بصفات الجلال وسمات العظمة ليصير ذلك حاملا على التشهير عن ساق الجد عبد الاستماع وزجره عن التهاون والتواني فيه فبين ان المنزل هو الله العزيز العليم واعلم ان الناس اختلفوا في ان العلم بالله ماهو فقال جمع عظيم انه العلم بكونه قادرا وبعده العلم بكونه عالما اذ عرفت هذا فنقول العزيز له تفسيران ( احدهما ) الغالب فيكون معناه القادر الذي لا يساويه احد في القدرة ( والثاني ) الذي لا مثل له ولا يحوز ان يكون المراد بالعزيز ههنا القادر لان قوله تعالى الله يدل على كونه قادرا فوجب حمل العزيز على المعنى الثاني وهو الذي لا يوجد له مثل وما كان كذلك وجب ان لا يكون جسما والذي لا يكون جسما يكون منزها عن الشهوة والنفرة والذي يكون كذلك يكون منزها عن الحاجة واما العليم فهو مبالغة في العلم والمبالغة التامة انما تحقق عند كونه تعالى عالما بكل المعلومات فقوله من الله العزيز العليم يرجع معناه الى ان هذا الكتاب تنزيل من القادر المطلق الغني المطلق العالم المطلق ومن كان كذلك كان عالما بوجوده المصالح والمفاسد وكان عالما بكونه غنيا عن جبر المصالح ودفع المفاسد ومن كان كذلك كان رحيم اجوادا وكانت افعاله حكمة وصوابا منزهة عن القبيح والباطل فكانه سبحانه انما ذكر عقيب قوله تنزيل هذه الاسماء الثلاثة لكونها دالة على ان افعاله سبحانه حكمة وصواب ومتى كان الامر كذلك لزم ان يكون هذا التنزيل حقا وصوابا وقيل الفسادة في ذكر العزيز العليم امران ( أحدهما ) انه بقدرته وعلمه انزل القرآن على هذا الحد الذي يتضمن المصالح والعجايز ولولا كونه عزيزا عليهما لمصح ذلك ( والثاني ) انه تكفل بحفظه وبمهموم التكليف فيه وظهوره الى حين انقطاع التكليف وذلك لايتم الا بكونه عزيزا لا يعلب وبكونه عليما لا يخفى عليه شيء ثم وصف نفسه بما يجمع الوعد والوعيد والترهيب والترغيب فقال غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير فهذه ستة انواع من الصفات ( الصفة الاولى ) قوله غافر الذنب قال الجبائي معناه انه غافر الذنب اذا استحق غفرانه اما بتوبة

الفقر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالنوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سيقها ورحمتها ( لا اله الا هو ) فيجب الاقبال الكلي على طاعته في اوامره ونواهيه ( اليه المصير ) فحسب لاي غيره لاستقلاله ولا اشتراكا فيجازي كل من المطيع والعاصي ( ما يجادل في آيات الله ) اي بالظعن فيها واستعمال القدمات الباطلة لادحاض الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ( الا الذين كفروا ) بها واما الذين آمنوا فلا يخطرون بباليهم شائبة شبهة منها فضلا عن الطعن فيها واما الجدل فيها لعل مستكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية وتوضيح مناهج الحق في مضائق الافهام ومزالق الاقدام وابطال شبه الزيف والضللال فني اعظم الطاعات ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء في قوله تعالى ( فلا يفرونك ) قلبهم في البلاد ) لتزيب

قوله ان غفران الخ غرضه ان من  
تاب لعبد مباحي فقتضى التحسين  
العقل الذي هو مذهب المعتزلة  
يحب ان يسامحه وحيث فيكون  
لا فرق بين الله والعبيد

النهى او وجوب الانتهاء على  
ما قبله من السجيل عليهم بالكفر  
الذي لاشئ أمقت منه عند الله  
تعالى ولا أجلب لحسran الدنيا  
والآخرة فان من تحقق ذلك  
يكاد يغتر بماله من حظوظ الدنيا  
وزخارفها فأنهم مأخوذون عما  
لم يألوا من قبلهم من الامم حسبا  
ينطق به قوله تعالى (كذبت قبلهم  
قوم نوح والاحزاب من بعدهم)  
اي الذين تحزبوا على الرسل  
وناصبواهم بعد قوم نوح مثل عاد  
وثمود واضرائهم (وهتم كل  
امة) من تلك الامم العاسية  
(برسولهم) وقرئ برسولها  
(ليأخذوه) ليتكفروا منه  
فيصيبوا به ما أرادوا من تعذيب  
او قتل من الاخذ بمعنى الاسر  
(وجادوا بالباطل) الذي لا أصل  
ولا حقيقة له أصلا (ليدحضوا به  
الحق) الذي لا يحيد عنه كما فعل  
هؤلاء (فأخذتهم) بسبب ذلك  
اخذ عزيز مقتدر (وكيف كان  
عقاب) الذي عاقبه به فان آزار  
دمارهم عبرة للناظرين ولا تخذن  
هؤلاء ايضا لانهم ادموا في الطريقة  
واشتركهم في الجريمة كما ينبغي عنه  
قوله تعالى (وكذلك حققت  
ركب) اي كما وجب وثبت حكمه  
تعالى وقضاؤه بالتعذيب على  
أولئك الامم المكذبة

او طاعة اعظم منه و مراده ان فاعل المعصية اما ان يقال انه كان قد اتى قبل ذلك بطاعة  
كان نوابها اعظم من عقاب هذه المعصية او ما كان الامر كذلك فان كان الاول كانت  
هذه المعصية صغيرة فيحبط عقابها وان كان الثاني كانت هذه المعصية كبيرة فلا يزول  
عقابها الا بالتوبة ومذهب اصحابنا ان الله تعالى قد يعفو عن الكبائر بدون التوبة وهذه  
الآية تدل على ذلك ويانه من وجوه (الاول) ان غفران الكبيرة بعد التوبة وغفران  
الصغيرة من الامور الواجبة على العبد وجميع الانبياء والاولياء والصالحين من اوساط  
الناس مشتركون في فعل الواجبات فلو حملنا كونه تعالى غافر الذنب على هذا المعنى لم يبق  
بينه وبين اقل الناس من زمرة المطيعين فرق في المعنى الموجب لهذا المدح وذلك باطل  
فثبت انه يجب ان يكون المراد منه كونه غافر الكبائر قبل التوبة وهو المطلوب (الثاني)  
ان الغفران عبارة عن الستر ومعنى الستر انما يعقل في الشئ الذي يكون باقيا موجودا  
مستروا الصغيرة تحبط بسبب كثرة ثواب فاعلمنا معنى الغفر فيها غير معقول ولا يمكن حل قوله  
غافر الذنب على الكبيرة بعد التوبة لان معنى كونه قالا للتوب ليس الا ذلك فلو كان  
المراد بكونه غافر الذنب هذا المعنى لزم التكرار وانه باطل فثبت ان كونه غافر الذنب يفيد  
كونه غافرا للذنوب الكبائر قبل التوبة (الثالث) ان قوله غافر الذنب مذكور في معرض  
المدح لعظيم فوجب حمله على ما يفيد اعظم انواع المدح وذلك هو كونه غافرا للكبائر قبل  
التوبة وهو المطلوب (الصفة السابعة) قوله تعالى قابل التوب وفيه بحثان (الاول) في لفظة  
انتوب قولان الاول انه مصدر وهو قول ابى عبدة والثاني انه جاعة التوبة وهو قول  
الاخفش قال المبرد يجوز ان يكون مسدرا يقال تاب يتوب توبا وتوبة مثل قال يقول قولاً  
وقوله ويجوز ان يكون جمعا لتوبة فيكون توبة وتوب مثل تمر وتمران الا ان المصدر اقرب لان  
على هذا التقدير يكون تأويله انه يقبل هذا الفعل (البحث الثاني) مذهب اصحابنا ان  
قبول التوبة من المذنب يقع على سبيل التفضل وليس بواجب على الله وقالت المعتزلة انه  
واجب على الله واحتج اصحابنا بانه تعالى ذكر كونه قابلا للتوب على سبيل المدح والثناء ولو  
كان ذلك من الواجبات لم يبق فيه من معنى المدح الا القليل وهو القدر الذي يحصل للجمع  
الصالحين عند اداء الواجبات والاحتراز عن المحظورات (الصفة السابعة) قوله شديد  
العقاب وفيه مباحث (البحث الاول) في هذه الآية سؤال وهو ان قوله شديد العقاب يصلح  
ان يكون نعتا للكرة ولا يصلح ان يكون نعتا للمعرفة تقول مررت برجل شديد البطش ولا  
تقول مررت بعبد الله شديد البطش وقوله الله اسم علم فيكون معرفة فكيف يجوز وصفه  
بكونه شديد العقاب مع انه لا يصلح الا ان يجعل وصفا للكرة قالوا وهذا بخلاف قولنا غافر  
الذنب وقابل التوب لانه ليس المراد منهما حدوث هذين الفعلين وانه يغفر الذنب ويقبل  
التوبة الآن او غدا وانما اريد نبوت ذلك ودوامه فكان حكمها حكم اله الخلق ورب  
العرش واما شديد العقاب فمشكل لانه في تقدير شديد عقابه فيكون نكرة فلا يصح جعله



صفة للمعرفة هذا تقرير السؤال واجيب عنه بوجوه (الاول) ان هذه الصفة وان كانت نكرة الا انها لما ذكرت مع سائر الصفات التي هي معارف حسن ذكرها كما في قوله وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد (والثاني) قال الزجاج ان خفض شديد العقاب على البدل لان جعل النكرة بدلا من المعرفة وبالعكس امر جائز واعتزوا عليه بأن جملة وحده بدلا من الصفات فيه نبوة ظاهرة (الثالث) انه لا نزاع في ان قوله غافر الذنب وقابل التوب يحسن جعلهما صفة وانما كان كذلك لانهما مفيدان معنى الدوام والاستمرار فكذلك قوله شديد العقاب يفيد معنى الدوام والاستمرار لان صفات الله تعالى منزهة عن الحدوث والتجدد فكونه شديد العقاب معناه كونه بحيث يشتد عقابه وهذا المعنى حاصل ابدًا وغير موصوف بأنه حصل بعد ان لم يكن كذلك فهذا ما قيل في هذا الباب (البحث الثاني) هذه الآية مشعرة بترجيح جانب الرحمة والفضل لانه تعالى لما اراد ان يصف نفسه بأنه شديد العقاب ذكر قبله أمرين كل واحد منهما يقتضي زوال العقاب وهو كونه غافر الذنب وقابل التوب وذكر بعده ما يدل على حصول الرحمة العظيمة وهو قوله ذي الطول فكونه شديد العقاب لما كان مسبوقاً بتيك الصفتين ولمحوقاً بهذه الصفة دل ذلك على ان جانب الرحمة والكرم ارجح (البحث الثالث) لقائل ان يقول ذكر الواو في قوله غافر الذنب وقابل التوب ولم يذكرها في قوله شديد العقاب فالفرق قلنا انه لو لم يذكر الواو في قوله غافر الذنب وقابل التوب لاحتمال ان يقع في خاطر انسان انه لا معنى لكونه غافر الذنب الا كونه قابل التوب اما ذكر الواو زال هذا الاحتمال لان عطف الشي على نفسه محال اما كونه شديد العقاب فمعلوم انه مغاير لكونه غافر الذنب وقابل التوب فاستغنى به عن ذكر الواو (الصفة الرابعة) قوله ذي الطول اي ذي الفضل يقال طال علينا طولاً اي تفضل علينا تفضلاً ومن كلامهم طل على بفضلك ومنه قوله تعالى اولو الطول منهم ومضى تفسيره عند قوله ومن لم يستطع منكم طولاً واعلم انه لما وصف نفسه بكونه شديد العقاب لابد وان يكون المراد بكونه تعالى آتياً بالعقاب الشديد الذي لا يقبض منه آتيانه به بل لا يجوز وصفه تعالى بكونه تعالى آتياً بفعل القبيح واذا ثبت هذا فنقول ذكر بعده كونه ذا الطول وهو كونه ذا الفضل فيجب ان يكون معناه كونه ذا الفضل بسبب ان يترك العقاب الذي له ان يفعله لانه ذكر كونه ذا الطول ولم يبين انه ذو الطول فيما ذكر فوجب صرفه الى كونه ذا الطول في الامر الذي سبق ذكره وهو فعل العقاب الحسن دفعا للاجال وهذا يدل على انه تعالى قدير العقاب الذي يحسن منه تعالى فعله وذلك يدل على ان العفو عن اصحاب الكبار جاز وهو المطلوب (الصفة الخامسة) التوحيد المطلق وهو قوله لا اله الا هو والمعنى انه وصف نفسه بصفات الرحمة والفضل فلو كان معه اله آخر يشاركه ويساويه في صفة الرحمة والفضل لما كانت الحاجة الى عبوديته شديدة اما اذا كان واحداً وليس له شريك ولا شبه كانت الحاجة الى الافرار بعبوديته شديدة

التخزية على رسلهم المجادلة بالباطل لادخاض الحق به وجب ايضا (على الذين كفروا) اي كفروا بآبائكم وتحزنوا عليكم وهما عالم بالواو كآبائكم عنه اضافة اسم الرب الى ضميره عليه الصلاة والسلام فان ذلك الاشعار بأن وجوب كلمة العذاب عليهم من احكام تربيتهم التي من جلالت انصرته عليه الصلاة والسلام وتذنيب اعدائه وذلك انما يتحقق بكون الوصول عبارة عن كمارقومه لاعن الامم المهلكة وقوله تعالى (انهم اصحاب النار) في حيث انصب بحدف لام التعليل اي لانهم مستحقوا شد العقوبات وافظعها التي هي عذاب النار وما لا زموها ابدا لكونهم كفارا معاندين مضربين على الرسول عليه الصلاة والسلام كدأب من قبلهم من الامم المهلكة فهم لسائر فتن العقوبات اشد استحقاقا واحق استيصالا وقيل هو في محل الرفع على انه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من اصحاب النار اي كما وجب اهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الآخرة ومحل الكاف على التقديرين النصيب على

فكان الرغب والرهيب الكاملان يحصلان بسبب هذا التوحيد (الصفة السادسة)  
 قوله اليه المصير وهذه الصفة ايضا مما يقوى الرغبة في الاقرار بعبوديته لانه بتقدير أن  
 يكون موصوفاً بصفات الفضل والكرم وكان واحداً لا شريك له الا ان القول بالحشر  
 والنشر ان كان باطلا لم يكن الخوف الشديد حاصل من عصيانه أما لما كان القول بالحشر  
 والقيامة حاصل كان الخوف اشد والحذر أكمل فلهذا السبب ذكر الله تعالى هذه  
 الصفات واخبر اهل التشبيه بلفظه الى قالوا انها تنقيد انتهاء الغاية والجواب عنه مذكور  
 في مواضع كثيرة من هذا الكتاب واعلم انه تعالى لما قرأ القرآن كتاب انزله ليهدى به  
 في الدين ذكر احوال من يجادل لغرض ابطاله واخفاء امره فقال ما يجادل في آيات الله  
 الا الذين كفروا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ان الجدال نوعان جدال في تقرير الحق  
 وجدال في تقرير الباطل اما الجدال في تقرير الحق فهو حرفة الانبياء عليهم السلام قال  
 تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وجادلهم بالتي هي احسن وقال حكاية عن الكفار انهم قالوا  
 انوح عليه السلام يا نوح قد جادلنا فأكثر جدالنا واما الجدال في تقرير الباطل فهو  
 مذموم وهو المراد بهذه الآية حيث قال ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا وقال  
 ماضر بوه لك الاجدال بل هم قوم خصمون وقال وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقال  
 صلى الله تعالى عليه وسلم ان جدالا في القرآن كفر فقلوه ان جدالا على لفظ التنكير بدل على  
 التمييز بين جدال وجدال واعلم اللفظ ان الجدال في الشيء مشعر بالجدال الباطل ولفظ  
 الجدال عن الشيء مشعر بالجدال لاجل تقريره والذب عنه قال صلى الله تعالى عليه وسلم  
 ان جدالا في القرآن كفر وقال لا تماروا في القرآن فان المراء فيه كفر (المسئلة الثانية)  
 الجدال في آيات الله هو ان يقال مرة انه سحر ومرة انه شع ومرة انه قول الكهنة ومرة  
 اساطير الاولين ومرة انما يعلمه بشر واشباه هذا مما كانوا يقولونه من الشبهات الباطلة  
 فذكر تعالى انه لا يفعل هذا الا الذين كفروا واعرضوا عن الحق نعم قال تعالى فلا يفررك  
 قلوبهم في البلاد اى لا ينبغي ان تعترباتى امهلتهم واركهم سالين في ابدانهم واموالهم  
 يتقلبون في البلاد اى يتصرفون فيها للتجارات وطلب المعاش فاني وان امهلتهم فاني  
 سأخذهم وانتقم منهم كما فعلت باشكالهم من الائم الماضية وكانت قر يش كذلك  
 يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولهم الاموال الكثيرة يتجرون فيها ويربحون ثم كشف  
 عن هذا الاى فقال كذبت قلوبهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم فذكر من اولئك  
 المكذبين قوم نوح والاحزاب من بعدهم اى الائم المستمرة على الكفر كقوم عاد وثمود  
 وغيرهم كما قال في سورة ص كذبت قلوبهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوالاوتاد وثمود وقوم  
 لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب وقوله وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه اى وعزمت  
 كل امة من هؤلاء الاحزاب ان يأخذوا رسولهم ليقولوه ويعذبوه ويحبسوه وجادلوا  
 بالباطل اى هؤلاء جادلوا رسلم بالباطل اى بايراد الشبهات ليدحضوا به الحق اى ان

انه نعت لمصدر محذوف (الذين  
 يحملون العرش ومن حوله) وهم  
 اعلى طبقات الملائكة عليهم السلام  
 واولهم وجودا وجلهم اياه  
 وحفيظهم حوله مجاز عن حفظهم  
 وتديرهم له وكناية عن زلفاهم  
 من دى العرش جل جلاله  
 ومكانتهم عنده ومحل الوصول  
 الرفع على الانتداء خبره (يسبحون  
 بحمد ربهم) ولجله استئناف  
 مسوق لسلبية رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم ببيان اشرف الملائكة  
 عليهم السلام منابرون على ولاية  
 من معه من المؤمنين ونصرتهم  
 واستدعاء ما يسعدهم في الدارين  
 اى يزهونه تعالى عن كل مالا  
 يليق بشأه الجليل ملتسبين  
 بحمده على نعمائه التي لا تنهاى  
 (ويؤمنون به) بما نحقها محالهم  
 والنصر يح به مع العى عن ذكره  
 رأسا لاطهار فضيلة الايمان  
 وابرار شرف اهلله والاشاعرته  
 دعائم للمؤمنين حسما ينطق به  
 قوله تعالى (ويستعفرون للدين  
 آمنوا) فان المشاركة في الايمان  
 اقوى المناسبات واتمها وادعى  
 الدواى الى النصع والشفقة  
 وفي نظم استغفارهم لهم في سالك  
 وظائفهم المقروضة عليهم من  
 تسبيحهم وتحميدهم وايمانهم  
 ايدان كمال اعتنائهم به واشعار  
 بوقوعه

يزيلوا بسبب ايراد تلك الشبهات الحق والصدق فأخذتهم فكيف كان عقاب أى فأنزلت بهم من الهلاك ما هموا بانزاله بالرسول وارادوا ان يأخذوهم فأخذتهم أنا فكيف كان عقابي اياهم أليس كان مهلكا مستأصلا مهيبا في الذكر والسماع فانا افعل بقومك كما فعلت بهؤلاء ان اصروا على الكفر والجدال في آيات الله ثم كشف عن هذا المعنى فقال وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار اى ومثل الذى حق على اولئك الامم السالفة من العقاب حقت كلمتى ايضا على هؤلاء الذين كفروا من قومك فهم على شرف نزول العقاب بهم قال صاحب الكشف انهم اصحاب النار في محل الرفع بدل من قوله كلمة ربك أى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الآخرة اوفى محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل واحتج أصحابنا بهذه الآية على ان قضاء الله بالسعادة والشقاوة لازم لا يمكن تغييره فقالوا انه تعالى أخبرانه حقت كلمة العذاب عليهم وذلك يدل على انهم لا قدرة لهم على الايمان لانهم لو تمكنوا منه لتكنوا من ابطال هذه الكلمة الحققة ولتكنوا من ابطال علم الله وحكمه ضرورة ان المتكهن من الشئ يجب كونه متمكنا من كل ما هو من لوازمه ولا نهم لو آمنوا لوجب عليهم ان يؤمنوا بهذه الآية فيثبت ككنا قدامنا بأنهم لا يؤمنون أبدا وذلك تكليف مالا يطاق وقرأنا نافع وابن عامر حقت كلمات ربك على الجمع والباقيون على الواحد \* قوله تعالى ( الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم ووزرياتهم تلك انت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ) اعلم انه تعالى لما بين ان الكفار يبالغون في اظهار العداوة مع المؤمنين بين ان اشرف طبقات المخلوقات هم الملائكة الذين هم حجة العرش والحافون حول العرش يبالغون في اظهار المحبة والنصرة للمؤمنين كأنه تعالى يقول ان كان هؤلاء الاراذل يبالغون في العداوة فلا تبال بهم ولا تلتفت اليهم ولا تقم لهم وزنا فان حجة العرش معك والحافون من حول العرش معك ينصرونك وفي الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) انه تعالى حكى عن نوعين من فرق الملائكة هذه الحكاية ( احدهما ) الذين يحملون العرش وقد حكى تعالى ان الذين يحملون العرش يوم القيامة ثمانية فيمكن ان يقال الذين يحملون في هذا الوقت هم اولئك الثمانية الذين يحملونه يوم القيامة ولا شك ان حجة العرش اشرف الملائكة واكبرهم روى صاحب الكشف ان حجة العرش أرجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا تفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله تعالى من الملائكة فان خلقا من

عند الله تعالى في موقع القبول روى ان حجة العرش أرجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماء في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضائل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوضع وفي الحديث ان الله امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حجة العرش تفضيلا لهم على سائرهم وقبل خلق الله تعالى العرش من جوهره خضراء وبين الغائتين من قوائم خفقان الطير المرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهلين مكبرين ومن وراءهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا ايديهم على حواتمهم رافعين أصواتهم بالتلهيل والتكبير ومن وراءهم مائة ألف صف قد وضعوا أيماهم على التماثيل مامنهم أحد الا وهو يسبح بالاسم به الآخر ( ربنا ) على ارادة القول اى يقولون ربنا على انه اما بيان لاستغفارهم

الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقدم راسه من سبع سموات وانه ليتضام من عظمة الله حتى يصير كانه الوصف قيل انه طائر صغير وروى ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حلة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقبل خلق الله العرش من جوهرة خضراء ويين القائمين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقبل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهلين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتلهيل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشماثل مامنهم احد الاويسج بما لا يسج به الاخر هذه الآثار نقلت من الكشاف (واما القسم الثاني) من الملائكة الذين ذكرهم الله تعالى في هذه الآية فقوله تعالى ومن حوله والظاهر ان المراد منهم ما ذكره في قوله وتري الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وأقول العقل يدل على ان حلة العرش والحافين حول العرش يجب ان يكونوا افضل الملائكة وذلك لان نسبة الارواح الى الارواح كنسبة الاجساد الى الاجساد فلما كان العرش اشرف الموجودات الجسمانية كانت الارواح المتعلقة بتدبير العرش يجب ان تكون افضل من الارواح المدبرة للاجساد وايضا يشبه ان يكون هناك ارواح حاملة لجسم العرش ثم يتولد عن تلك الارواح القاهرة المستعيلة المدبرة لجسم العرش ارواح اخر من جنسها وهي متعاقبة باطراف العرش واليهم الاشارة بقوله وتري الملائكة حافين من حول العرش وبالجملة فقد ظهر بالبراهين اليقينية وبالكشافات الصادقة انه لانسبة لعالم الاجساد الى عالم الارواح فكل ما شاهدته بعين البصر في اختلاف مراتب عالم الاجساد فيجب ان نشاهده بعين بصيرتك في اختلاف مراتب عالم الارواح (المسئلة الثانية) دلت هذه الآية على انه سبحانه منزّه عن ان يكون في العرش وذلك لانه تعالى قال في هذه الآية الذين يحملون العرش وقال في آية أخرى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ولا شك ان حامل العرش يكون حاملا لكل من في العرش فلو كان الله العالم في العرش لكان هؤلاء الملائكة حاملين لاله العالم حينئذ يكونون حافظين لاله العالم والحافظ القادر اولى بالالهية والمحمول المحفوظ اولى بالعبودية فحينئذ يتقلب الاله عبدا والعبد الها وذلك فاسد فدل هذا على ان الله العرش والاجسام متعال عن العرش والاجسام واعلم انه تعالى حكى عن حلة العرش وعن الحافين بالعرش ثلاثة اشياء (اولها) قوله يسبحون بحمد ربهم ونظيره قوله حكاية عن الملائكة ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى وتري الملائكة حانين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم فالتسبيح عبارة عن تنزيه الله تعالى عما لا ينبغي والتحميد الاعتراف بأنه هو المنعم على الاطلاق فالتسبيح اشارة الى الجلال والتحميد اشارة الى الاكرام فقوله يسبحون بحمد ربهم قريب من قوله تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام (والنوع الثاني) ما حكى الله عن هؤلاء الملائكة هو قوله تعالى وبؤمنون به فان قيل فاي

او حال (وسعت كل شيء رجة وعلا) اي وسعت رحمتك وعلمك فأزيل عن اصله للاغراق في وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا والفاء في قوله تعالى (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) اي للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم (وقهم عذاب الحميم) واحفظهم عنده وهو تصریح بعد اشارة للتأكيد (ربنا وادخلهم) عطف على قهم وتوسط النداء بينهما للمبالغة في الجوار (جنات عدن التي وعدتهم) اي وعدتهم اياها وقرئ جنات عدن (ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم) اي صلاحا متصفا لدخول الجنة في الجملة وان كان دور صلاح اصولهم وهو عطف على الضمير الاول اي وادخلهم معهم هؤلاء ايتهم سرورهم ويتضاعف ابتهاجهم او على الثاني لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل اذ لا يبيح حينئذ للعطف وجهه لانه بناء على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى الحقنا بهم ذريتهم بأن يكونوا اعلى درجة من ذريتهم نال سعد ابن جبير يدخل المؤمن الجنة

فائدة في قوله ويؤمنون به فان الاشتغال بالتسبيح والتحميد لا يمكن الا وقد سبق الايمان بالله قلنا الفائدة فيه ما ذكره صاحب الكشاك وقد احسن فيه جدا فقال ان المتصود منه التنبية على ان الله تعالى لو كان حاضرا بالعرش لكان حله العرش والشافون حول العرش يشاهدونه ويعاينونه ولما كان ايمانهم بوجود الله موجبا للمدح والثناء لان الاقرار بوجود شيء حاضر مشاهد معين لا يوجب المدح والثناء الا ترى ان الاقرار بوجود الشمس وكونها مضيئة لا يوجب المدح والثناء فلما ذكر الله تعالى ايمانهم بالله على سبيل الثناء والمدح والتعظيم علم انهم آمنوا به بدليل انهم مشاهدوه حاضرا جالسا هناك ورحم الله صاحب الكشاف فلو لم يحصل في كتابه الا هذه النكتة لكفاه فخرا وشرفا (النوع الثالث) مما حكي الله عن هؤلاء الملائكة قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا واعلم انه قد ثبت ان كمال السعادة مربوط بأمرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ويجب ان يكون التعظيم لامر الله مقدما على الشفقة على خلق الله فتقوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به مشعر بالتعظيم لامر الله وقوله ويستغفرون للذين آمنوا مشعر بالشفقة على خلق الله ثم في الآية مسائل (المسئلة الاولى) احتج كثير من العلماء بهذه الآية في اثبات ان الملك افضل من البشر قالوا لان هذه الآية تدل على ان الملائكة لما فرغوا من ذكر الله بالثناء والقدس اشتغلوا بالاستغفار لغيرهم وهم المؤمنون وهذا يدل على انهم مستغفرون عن الاستغفار لانفسهم اذ لو كانوا محتاجين اليه لقدموا الاستغفار لانفسهم على الاستغفار لغيرهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك وايضا قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فأمر محمدا ان يذكر او لا الاستغفار لنفسه ثم بعده يذكر الاستغفار لغيره وحكى عن نوح عليه السلام انه قال رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين وللمؤمنات وهذا يدل على ان كل من كان محتاجا الى الاستغفار فانه يقدم الاستغفار لنفسه على الاستغفار لغيره فالملائكة لو كانوا محتاجين الى الاستغفار لكان اشتغالهم بالاستغفار لانفسهم مقدما على اشتغالهم بالاستغفار لغيرهم ولما لم يذكر الله تعالى عنهم استغفارهم لانفسهم علمنا ان ذلك انما كان لانهم ما كانوا محتاجين الى الاستغفار واما الانبياء عليهم السلام فقد كانوا محتاجين الى الاستغفار بدليل قوله تعالى لمحمد عليه السلام واستغفر لذنبك واذابت هذا فقد ظهر ان الملك افضل من البشر والله اعلم (المسئلة الثانية) احتج الكعبي بهذه الآية على ان تأثير الشفاعة في حصول زيادة الثواب للمؤمنين لا في اسقاط العقاب عن المذنبين قال وذلك لان الملائكة قالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك قال وليس المراد فاغفر للذين تابوا من الكفر سواء كان مصرا على الفسق او لم يكن كذلك لان من هذا حاله لا يوصف بكونه متبعا سبيل ربه ولا يطلق ذلك فيه وايضا ان الملائكة يقولون وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وهذا لا يليق بالفاسقين لان خصومنا لا يقطعون على

فيقول ابن ابي ابن ولدى ابن زويج فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت اعمل على واهم فيقال ادخلوهم الجنة وسبق الوعد بالادخال والالحاق لا يستدعي حصول الموعد بلا توسط شفاعة واستغفار وعليه مبنى قول من قال فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاول هو الاول لان الدماء بالادخال فيه صريح وفي الثاني ضمنى وقرئ صلح بالضم وذريتهم بالافراد (انك انت العزيز) اي الغالب الذي لا يمتنع عليه مقدور (الحكيم) اي الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الامور التي من جلتها انجاز الوعد فالجملية لتعليل لما قبلها (وقهم لسيئات) اي العقوبات لان جراء السيئة سيئة مثلها او جزاء السيئات على حد المضاى وهو تعميم بعد تخصيص ومخصوص بالاتباع او لمعاصي في الدنيا معي قوله تعالى (ومن تق السيئات يومئذ فقد رجته) ومن تقه المعاصي في الدنيا فقد رجته في الآخرة كأنهم طلبوا لهم السبب بعد ما سألو المسبب (وذلك) اشارة الى الرجاء المقهومة من رجته او اليها والى الوقاية وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشعار بعد درجة المشار اليه (هو الفوز العظيم) لذى لا مطمع وراءه لطامع

ان الله تعالى وعدهم الجنة وانما يجوزون ذلك ثبت ان شفاعة الملائكة لا تتناول  
 الا اهل الطاعة فوجب ان تكون شفاعة الانبياء كذلك ضرورة انه لا قائل بالفرق  
 والجواب ان نقول هذه الآية تدل على حصول الشفاعة من الملائكة للمذنبين فنيين  
 هذا ثم نحيب عما ذكره الكعبى اما بيان دلالة هذه الآية على ما قلناه من وجوه (الاول)  
 قوله ويستغفرون للذين آمنوا والاستغفار طلب المغفرة والمغفرة لا تذكر الا في اسقاط  
 العقاب اما طلب النفع الزائد فانه لا يسمى استغفارا (الثاني) قوله تعالى ويستغفرون  
 للذين آمنوا وهذا يدل على انهم يستغفرون لكل اهل الايمان فاذا دللنا على ان صاحب  
 الكبيرة مؤمن وجب دخوله تحت هذه الشفاعة (الثالث) قوله تعالى فاغفر للذين تابوا  
 طلب المغفرة للذين تابوا ولا يجوز ان يكون المراد اسقاط عقوبة الكبيرة بعد التوبة لان  
 ذلك واجب على الله عند الخصم وما كان فعله واجبا كان طلبه بالدعاء قبيحا ولا يجوز ايضا  
 ان يكون المراد اسقاط عقوبة الصغار لان ذلك ايضا واجب فلا يحسن طلبه بالدعاء  
 ولا يجوز ان يكون المراد طلب زيادة منفعة على الثواب لان ذلك لا يسمى مغفرة ثبت انه  
 لا يمكن حل قوله فاغفر للذين تابوا الا على اسقاط عقاب الكبيرة قبل التوبة واذ ثبت هذا  
 في حق الملائكة فكذلك في حق الانبياء لان عقاب الاجماع على انه لا فرق اما الذى يتمسك  
 به الكعبى وهو انهم طلبوا المغفرة للذين تابوا فنقول يجب ان يكون المراد منه الذين تابوا  
 عن الكفر واتبعوا سبيل الايمان وقوله ان الثائب عن الكفر المصر على الفسق لا يسمى  
 تابا ولا متبعا سبيل الله قلنا لانسلم قوله بل يقال انه ثائب عن الكفر وتابع سبيل الله في  
 الدين والشريعة واذا ثبت انه ثائب عن الكفر ثبت انه ثائب الا ترى انه يكفي في صدق  
 وصفه بكونه ضاربا وضاحكا صدور الضرب والضحك عنه مرة واحدة ولا يتوقف ذلك  
 على صدور كل انواع الضرب والضحك عنه فكذا ههنا (المسئلة الثالثة) قال اهل  
 التحقيق ان هذه الشفاعة الصادرة عن الملائكة في حق البشر تجري مجرى اعتذار عن  
 زلة سبقت وذلك لانهم قالوا في اول تخليق البشر اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء  
 فلما سبق منهم هذا الكلام تداركوا في آخر الامر بأن قالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا  
 سبيلك وقهم عذاب الجحيم وهذا كالتنبية على ان من اذى غيره فالاولى ان يجبر ذلك  
 الايذاء بايصال نفع اليه واعلم انه تعالى لما حكى عن الملائكة انهم يستغفرون للذين تابوا  
 بين كيفية ذلك الاستغفار فحكى عنهم انهم قالوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما وفيه  
 مسائل (المسئلة الاولى) ان الدعاء في اكثر الامر مذكور بلفظ ربنا ويدل عليه ان  
 الملائكة عند الدعاء قالوا ربنا بدليل هذه الآية وقال آدم عليه السلام ربنا ظننا انفسنا  
 وقال نوح عليه السلام رب انى اعوذ بك ان اسئلك ما ليس لي به علم وقال ايضار رب انى  
 دعوت قومي ليلا ونهارا وقال ايضار رب اغفر لي ولوالدي وقال عن ابراهيم عليه السلام  
 رب ارني كيف تحيي الموتى وقال رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب

(ان الذين كفروا) شروع في  
 بيان احوال الكفرة بعد دخولهم  
 النار بعد ما بين فيما سبق انهم  
 اصحاب النار (ينادون) اى من  
 مكان بعد وهم في النار وقد  
 مقتوا انفسهم الامارة بالسوء  
 التى وقعوا فيها وقعوا بالتباع  
 هواها او مقت بعضهم بعضا من  
 الاحباب كقوله تعالى يكفر  
 بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا  
 اى يفضسوها اشد البفس  
 وانكروها وبالغ الانكار واطهروا  
 ذلك على رؤس الاشهاد فيقال  
 لهم عند ذلك (لقت الله اكرم من  
 مقتكم انفسكم) اى لقت الله  
 انفسكم الامارة بالسوء او مقته  
 اياكم في الدنيا (اذ تدعون) من  
 جهة الانبياء (الى الايمان) فتأبون  
 قبوله (فكفرون) اتباعا لانفسكم  
 الامارة ومسارة الى هواها او  
 اقتداء بأخلائكم المضلين واستجابة  
 لارائهم اكبر من مقتكم انفسكم  
 الامارة او من مقت بعضهم بعضا  
 اليوم فاذا ظرف لقت الاول وان  
 توسط بينهما الجبر لما في الطروف  
 من الاتساع وقيل لمصدر آخر  
 مقدر اى مقته اياكم اذ تدعون  
 وقيل مفعول لاذكروا والاول  
 هو الوجه وقيل كلام المتقين  
 في الاخرة واذ تدعون لتعليل  
 لما بين الطرفين والسبب من علاقة  
 الزوم والمعنى لقت الله اياكم  
 الآن اكبر من

مفتكم انفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد بأنفسهم اضرايهم بما لاداعي اليه ( قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين ) صفتان لمصدرى الفعلين المذكورين اى امايتين واحيائيتين او موتيتين وحياتيتين على انهما مصدران لهما ايضا بحذف الزوائد اولفعلين يدل عليهما المذكور ان فان الامانة والاحياء ينشآن عن الموت والحياء حتما كأنه قبل امتنا موتيتين اثنتين واحييتنا غيبنا حيائين اثنتين على طريقة قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الاممعت او حلف اى لم تدع فلم يبق الاممعت الخ قيل ارادوا بالامانة الاولى خلقهم امواتا وبالثانية اماتهم عند اقتضاء آجالهم على أن الامانة جعل الشيء عادما الحياة اعم من ان يكون بالشأنه كذلك كما فى قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل او يجعله كذلك بعد الحياة وبالحياة من الاحياء الاول واحياء البعث وقيل ارادوا بالامانة الاولى ما بعد حياة الدنيا وبالثانية ما بعد حياة القبر وبالحياة من ما فى القبر وما عند البعث وهو الانسب بحالهم واما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقيق حياة الدنيا فذوق

وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقال عن يوسف رب قد آتيتنى من الملك وقال عن موسى عليه السلام رب ارنى انظر اليك وقال فى قصة الوكر رب انى ظلمت نفسى فاغفرلى فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما انعمت على فلان كون ظهير المجرمين وحكى تعالى عن داود انه استغفر ربه وخر راكعا واناب وعن سليمان انه قال رب هبلى ملكا وعن زكريا انه نادى ربه نداء خفيا وعن عيسى عليه السلام انه قال ربنا انزل علينا مائدة من السماء وعن محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال له وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وحكى عن المؤمنين انهم قالوا ربنا ما خلقت هذا باطلا وامادوا هذه اللفظة خمس مرات وحكى ايضا عنهم انهم قالوا اغفرنا ربنا واياك المصير الى آخر السورة ثبت بما ذكرنا ان من ارضى الدماء ان ينادى العبد ربه بقوله يارب وتام الاشكال فيه ان يقال لفظ الله اعظم من لفظ الرب فلم صار لفظ الرب مختصا بوقت الدماء والجواب كأن العبد يقول كنت فى كتم العدم المحض والنفى الصرف فأخرجنى الى الوجود وربيتنى فأجعل تربيتك لى شفيعا اليك فى ان لا تخلينى طرفه عين عن تربيتك واحسانك وفضلك ( المسئلة الثانية ) السنة فى الدماء ان يبدأ فيه بالثناء على الله تعالى ثم يذكر الدماء عقيقه والدليل عليه هذه الآية فان الملائكة لما عزموا على الدماء والاستغفار للمؤمنين بدؤا بالثناء فقالوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وايضا ان الخليل عليه السلام لما اراد ان يذكر الدماء ذكر الشا ولا فقال الذى خلقتى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقئنى واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى اطمع ان يغفرلى خطيئتي يوم الدين فكل هذا ثناء على الله تعالى ثم بعده ذكر الدماء فقال رب هبلى حكما والحقنى بالصالحين واعلم ان العقل يدل ايضا على رعاية هذا الترتيب وذلك لان ذكر الله بالثناء والتعظيم بالنسبة الى جوهر الروح كالا كسيرة الاعظم بالنسبة الى النحاس فكما ان ذرة من الاكسيرا اذا وقعت على عالم من النحاس انقلب الكل ذهب ابرزا فكذلك اذا وقعت ذرة من اكسيرة معرفة جلال الله تعالى على جوهر الروح النطقية انقلب من نحوسة النحاسة الى صفاء القدس وبقاء عالم الطهارة ثبت ان عند اشراق نور معرفة الله تعالى فى جوهر الروح بصير الروح اقوى صفاء واكمل اشراقا ومتى صار كذلك كانت قوته اقوى وتأثيره اكمل فكان حصول الشيء المطلوب بالدماء اقرب واكمل وهذا هو السبب فى تقديم الثناء على الله على الدماء ( المسئلة الثالثة ) اعلم ان الملائكة وصفوا الله تعالى بثلاثة انواع من الصفات الربوبية والرحمة والعلم اما الربوبية فهى اشارة الى الاتحاد والابداع وفيه لطيفة اخرى وهى ان قولهم ربنا اشارة الى الترتيب والترتبة عبارة عن ابقاء الشيء على اكل أحواله وأحسن صفاته وهذا يدل على ان هذه الممكنات كما انها محتاجة حال حدوثها الى احداث الحق سبحانه وتعالى وايجاده فكذلك انها محتاجة حال بقاءها الى ابقاء الله واما الرحمة فهى اشارة الى ان جانب الخير والرحمة والاحسان



راجع على جانب الضرر وأنه تعالى إنما خلق الخلق للرحمة والخير لا للضرر والشر فإن  
 قبل قوله ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فيه سؤال لأن العلم وسع كل شيء أما الرحمة  
 فما وصلت إلى كل شيء لأن المضر وحال وقوعه في الضرر لا يكون ذلك الضرر رحمة  
 وهذا السؤال ايضا مذكور في قوله ورحمتي وسعت كل شيء قلنا كل موجود قد نال من رحمة  
 الله تعالى نصيبا وذلك لأن الموجود اما واجب واما ممكن اما الواجب فليس الا الله سبحانه  
 وتعالى واما الممكن فوجوده من الله تعالى وبإيجاده وذلك رحمة فبئانه لا موجود غير  
 الله الا وقد وصل اليه نصيب ونصاب من رحمة الله. فلماذا قال ربنا وسعت كل شيء رحمة  
 وعلما وفي الآية دقيقة أخرى وهي ان الملائكة قدموا ذكر الرحمة على ذكر العلم فقالوا  
 وسعت كل شيء رحمة وعلما وذلك لأن المطلوب افعال الرحمة وان يتجاوز عما عمله منهم من  
 انواع الذنوب فالمطلوب بالذات هو الرحمة والمطلوب بالعرض ان يتجاوز عما عمله منهم  
 والمطلوب بالذات مقدم على المطلوب بالعرض الا ترى انه لما كان ابقاء الصحة مطلوبا  
 بالذات وازالة المرض مطلوبا بالعرض لاجرم لماذكروا حد الطب قدموا فيه حفظ  
 الصحة على ازالة المرض فقالوا الطب علم يعرف منه احوال بدن الانسان من جهة ما يصح  
 ويحول عن الصحة لتحفظ الصحة حاصله وتسترد زائله فكذا ههنا المطلوب بالذات هو الرحمة  
 واما التجاوز عما عمله منهم من انواع الذنوب فهو مطلوب بالعرض لاجل ان حصول الرحمة  
 على سبيل الكمال لا يحصل الا بالتجاوز عن الذنوب فلهذا السبب وقع ذكر الرحمة سابقا  
 على ذكر العلم (المسئلة الرابعة) دلت هذه الآية على ان المقصود بالقصة الاولى في الخلق  
 والتكوين انما هو الرحمة والفضل والجلود والكرم ودلت الدلائل القينية على ان كل  
 ما دخل في الوجود من انواع الخير والنسرة والسعادة والشقاوة فبقضاء الله وقدره والجمع  
 بين هذين الاسلين في غاية الصعوبة فعند هذا قالت الحكماء الخير مراد مرضى والشر مراد  
 مكروه والخير مقضى به بالذات والشر مقضى به بالعرض وفيه غور عظيم (المسئلة  
 الخامسة) قوله وسعت كل شيء رحمة وعلما يدل على كونه سبحانه عالما بجميع المعلومات  
 التي لانهاية لها من الكليات والجزئيات وايضا فلو لا ذلك لم يكن في الداء والتضرع فائدة  
 لانه اذا جاز ان يخرج عن علمه بعض الاشياء فعلى هذا التقدير لا يعرف هذا الداعي ان الله  
 سبحانه يعلم ويعلم دماؤه وعلى هذا التقدير لا يبقى في الداء فائدة البتة واعلم انه تعالى لما  
 حكى عنهم كيفية ثنائهم على الله تعالى حكى عنهم كيفية دعائهم وهوانهم قالوا اغفر  
 للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم واعلم ان الملائكة طلبوا بالدعاء من الله  
 تعالى اشياء كثيرة للمؤمنين فالمطلوب الاول الغفران وقد سبق تفسيره في قوله فاغفر للذين  
 تابوا واتبعوا سبيلك فان قيل لا معنى للغفران الا اسقاط العذاب وعلى هذا التقدير فلا فرق  
 بين قوله فاغفر لهم وبين قوله وقهم عذاب الجحيم قلنا دلالة لفظ المغفرة على اسقاط عذاب  
 الجحيم دلالة حاصلة على سبيل الرمز والاشارة فلماذا ذكروا هذا الدعاء على سبيل الرمز

لكن لا بما قيل من عدم اعتدادهم  
 بها لزوالها وانقضائها وانقطاع  
 آثارها واحكامها بأن مقصودهم  
 احداث الاعتراف بما كانوا  
 ينكرونه في الدنيا كما ينطق به  
 قولهم (فاعترفنا بذنوبنا) والتزام  
 العمل بموجب ذلك الاعتراف  
 ليتوسلوا بذلك الى ما علقوا به  
 اطماعهم الفارغة من الرجوع الى  
 الدنيا كما قد صرحوا به حيث  
 قالوا فارجعنا نعمل صالحا  
 موقنون وهو الذي ارادوه  
 بقولهم (فهل الى خروج من سبيل)  
 مع نوع استبعاده واستشعار بأس  
 منه لانهم قالوه بطريق القنوط  
 البعث كما قيل ولا ريب في ان الذي  
 كانوا ينكرونه ويفرعون عليه  
 فنون الكفر والمعاصي ليس الا  
 الاحياء بعد الموت واما الاحياء  
 الاول فلم يكونوا ينكرونه  
 لبنظموه في سلك ما عترفوا به  
 وزعوا ان الاعتراف بمجديهم  
 نفعا وانما ذكروا الموتة الاولى مع  
 كونهم معترفين بها في الدنيا لتوقف  
 حياة القبر عليها وكذا حال الموتة  
 في القبر فان مقصودهم الاصل هو  
 الاعتراف بالاحياء بن وانما  
 ذكروا الاماتين لترتيبهما عليهما  
 ذكر احسب ترتيبهما عليهما  
 وجودا وتشكيك سبيل للاهام اي  
 من سبيل ما كيفما كان وقوله  
 تعالى (ذلكم) الخ جواب لهم  
 باستحالة حصول ما يرجونه ببيان  
 ما يوجبها من

اعمالهم السيئة اى ذلكم الذى  
 أنتم فيه من العذاب مطلقا  
 لامقيدا بالخلود كاقيل (بأنه) اى  
 بسبب ان الشأن (اذا دعى الله)  
 فى لدنيا اى عبد (وحده) اى  
 منفردا (كفرتم) اى بتوحيده  
 (وان يشرك به تؤمنوا) اى  
 بالاشراك به وتسارعوا فيه وفى  
 ايراد اذا وصيغة الماضى فى  
 الشرطية الاولى وان وصيغة  
 المضارع فى الثانية مالا يخفى من  
 الدلالة على كمال سوماطهم وحيث  
 كان حالكم كذلك (فالحكم لله)  
 الذى لا يحكم الا بالحق ولا يقضى  
 الا بما تقتضيه الحكمة (على الكبير)  
 الذى ليس كمثله شئ فى ذاته  
 ولا فى صفاته ولا فى افعاله يفعل  
 ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب  
 لحكمه وقد حكم بأنه لا مفر  
 للشرك ولا نهاية لعقوبته كما  
 لانهاية لسناعته فلا سبيل لكم الى  
 الخروج ابدا (هو الذى يريكم  
 آياته) الدالة على شؤنه العظيمة  
 الموجبة لتفرد بالالوهية  
 لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا  
 بموجبها فتوحدوه تعالى  
 وتحصوه بالمعبادة (وينزل)  
 بالشديد وقرئ بالتخفيف من  
 الانزال (لكم من السما رزقا) اى  
 سبب رزق وهو المطر وافراده  
 بالذكر مع كونه من جملة الآيات  
 الدالة على كمال قدرته تعالى  
 لتفرد به بكونه من آتادرجته  
 وجلال نعمته الموجبة للشكر

والاشارة اردفوه بذكره على سبيل التصريح لاجل التأكيد والمبالغة واعلم انهم  
 لما طلبوا من الله ازالة العذاب عنهم اردفوه بأن طلبوا من الله ابصال الثواب اليهم  
 فقالوا ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم فان قيل انتم زعتم ان هذه الشفاعة انما  
 حصلت للمؤمنين وهذه الآية تبطل ذلك لانه تعالى ما وعد المؤمنين بأن يدخلهم فى جنات  
 عدن قلنا لانسلم انه ما وعدهم بذلك لاننا بينا ان الدلائل الكثيرة فى القرآن دلت على انه  
 تعالى لا يخلد اهل لاله الا الله محمد رسول الله فى النار واذا اخرجهم من النار وجب ان  
 يدخلهم الجنة فكان هذا وعدا من الله تعالى لهم بأن يدخلهم فى جنات عدن امان غير  
 دخول النار واما بعد ان يدخلهم النار قال تعالى ومن صلح من آبائهم وازواجهم  
 وذرياتهم يعنى وادخل معهم فى الجنة هؤلاء الطوائف الثلاثة وهم الصالحون من الآباء  
 والازواج والذريات وذلك لان الرجل اذا حضر معه فى موضع عيشه وسروره اهله  
 وعشيرته كان ابتهاجه اكل قال القراء والزجاج من نصب من مكانين فان شئت رددته  
 على الضمير فى قوله وادخلهم وان شئت فى وعدتهم والمراد من قوله ومن صلح اهل الايمان  
 ثم قالوا انك انت العزيز الحكيم وانما ذكرنا فى دعائهم هذين الوصفين لانه لو لم يكن عزيزا  
 بل كان بحيث يغلب ويمنع لما صح وقوع المطلوب منه ولو لم يكن حكيما لما حصل هذا  
 المطلوب على وفق الحكمة والمصلحة ثم قالوا بعد ذلك وقهم السيآت قال بعضهم المراد  
 وقهم عذاب السيآت فان قيل فعلى هذا التقدير لافرق بين قوله وقهم السيآت وبين  
 ما تقدم من قوله وقهم عذاب الجحيم وحينئذ يلزم التكرار الخالى عن الفائدة وانه لا يجوز  
 قلنا بل التفاوت حاصل من وجهين (الاول) ان يكون قوله وقهم عذاب الجحيم دعاء  
 مذكور للاصول وقوله وقهم السيآت دعاء مذكور للفروع (الثانى) ان يكون  
 قوله وقهم عذاب الجحيم مقصورا على ازالة الجحيم وقوله وقهم السيآت يتناول عذاب  
 الجحيم وعذاب موقف القيامة وعذاب الحساب والسؤال (والقول الثانى) فى تفسير قوله  
 وقهم السيآت هو ان الملائكة طلبوا ازالة عذاب النار بقولهم وقهم عذاب الجحيم  
 وطلبوا ابصال ثواب الجنة اليهم بقولهم وأدخلهم جنات عدن ثم طلبوا بعد ذلك أن  
 يصونهم الله تعالى فى الدنيا عن العقائد الفاسدة والاعمال الفاسدة وهو المراد بقولهم وقهم  
 السيآت ثم قالوا ومن تق السيآت يومئذ فقد رجته يعنى ومن تق السيآت فى الدنيا  
 فقد رجته فى يوم القيامة ثم قالوا وذلك هو الفوز العظيم حيث وجدوا بأعمال منقطعة  
 نعيم لا يتقطع وبأعمال حقيرة ملكا لاتصل العقول الى كنهه جلالتهم قوله تعالى (ان الذين  
 كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون  
 قالوا ربنا أمتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ذلكم بأنه  
 اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله على الكبير اعلم انه تعالى  
 لما عاد الى شرح احوال الكافرين المجادلين فى آيات الله وهم الذين ذكرهم الله فى قوله

ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا بين انهم في القيامة يعترفون بذنوبهم واستحقاقهم العذاب الذي ينزل بهم ويسألون الرجوع الى الدنيا ليتلافوا ما فرط منهم فقال ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم وفي الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) في الآية حذف وفيها ايضا تقديم وتأخير اما الحذف فتقديره لمقت الله اياكم واما التقديم والتأخير فهو ان التقدير ان يقال لمقت الله لكم حال ما تدعون الى الايمان فكفروا اكبر من مقتكم أنفسكم وفي تفسير مقتهم أنفسهم وجوه ( الاول ) انهم اذا شاهدوا القيامة والجنة والنار مقتوا أنفسهم على اصرارهم على التكذيب بهذه الاشياء في الدنيا ( الثاني ) ان الاتباع يشتد مقتهم للرؤساء الذين دعواهم الى الكفر في الدنيا والرؤساء ايضا يشتد مقتهم للاتباع فغير عن مقت بعضهم بعضا بأنهم مقتوا أنفسهم كما انه تعالى قال فاقتلوا أنفسكم والمراد قتل بعضهم بعضا ( الثالث ) قال محمد بن كعب اذا خطبهم ابليس وهم في النار بقوله وما كان لي عليكم من سلطان الى قوله ولوموا أنفسكم ففي هذه الحالة مقتوا أنفسهم واعلم انه لا نزاع ان مقتهم أنفسهم انما يحصل في القيامة اما مقت الله لهم ففيه وجهان ( الاول ) انه حاصل في الآخرة والمعنى لمقت الله لكم في هذا الوقت أشد من مقتكم أنفسكم في هذا الوقت ( والثاني ) وعليه الاكثرون ان التقدير لمقت الله لكم في الدنيا اذ تدعون الى الايمان فكفروا اكبر من مقتكم أنفسكم الآن ففي تفسير الالفاظ المذكورة في الآية اوجه ( الاول ) ان الذين ينادونهم ويذكرون لهم هذا الكلام هم خزنة جهنم ( الثاني ) المقت اشد بغض وذلك في حق الله تعالى بحال فالمراد منه ابلغ الانكار والجزر ( الثالث ) قال الفراء ينادون لمقت الله معناه انهم ينادون ان مقت الله اكبر يقال ناديت ان زيدا قائم وان زيدا لقاتم ( الرابع ) قوله اذ تدعون الى الايمان فيه حذف والتقدير لمقت الله لكم اذ تدعون الى الايمان فتأتون بالكفر اكبر من مقتكم الآن أنفسكم ثم انه تعالى بين ان الكفار اذا خوطبوا بهذا الخطاب قالوا ربنا ائمتنا اثنتين الى آخر الآية والمعنى انهم لما عرفوا ان الذي كانوا عليه في الدنيا كان فاسدا باطلا تمنوا الرجوع الى الدنيا لكي يشتغلوا عند الرجوع اليها بالاعمال الصالحة وفي الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) اخرج اكثر العلماء بهذه الآية في اثبات عذاب القبر وتقرير الدليل انهم أثبتوا لانفسهم موتين حيث قالوا ربنا ائمتنا اثنتين فأحد الموتين مشاهد في الدنيا فلا بد من اثبات حياة اخرى في القبر حتى يصير الموت الذي يحصل عقيبهامونا ثانيا وذلك يدل على حصول حياة في القبر فان قيل قال كثير من المفسرين الموت الاولى اشارة الى الحالة الحاصلة عند كون الانسان نطفة وعلقه والموت الثانية اشارة الى ما حصل في الدنيا فلم لا يجوز ان يكون الامر كذلك والذي يدل على ان الامر ما ذكرناه قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فأحياكم ثم يميتكم والمراد من قوله وكنتم امواتا الحالة الحاصلة عند كونه نطفة وعلقه وتحقيق الكلام ان الامانة تستعمل

وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على تجدد الازمنة والتزويل واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مرغبه مرة ( وما تذكر ) بتلك الايات الباهرة ولا يعمل بمقتضاها ( الا من ينيب ) الى الله تعالى ويتفكر فيما اودعه في تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته الكلمة ونعمته الشاملة الموجبة لتفصيل العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو معزل من التذكر والاتعاظ ( فادعوا الله مخلصين له الدين ) اي اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب فاعبدوه ايها المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب انايتكم اليه تعالى واما انكم به ( ولو كره الكافرون ) ذلك وغاظهم اخلاصكم ( رفيع الدرجات ) نحو بديع السموات على انه صفة مشبهة اضيفت الى فاعلها بعد النقل الى فعل بالضم كما هو المشهور وتفسيره بالرافع ليكون من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد في الاستعمال اي رفيع درجات ملائكته اي معارجهم ومساعدتهم الى العرش ( ذو العرش ) اي مالكه وهما خير ان آخران لقوله تعالى هو اخبر عنه هما اذنا بعلو شأنه تعالى وعظم سلطانه الموجبين لتفصيل العبادة به واخلاص الدين له اما بطريق الاستشهاد بهما عليهما

بمعنيين (احدهما) ايجاد الشيء ميتا (والثاني) نصير الشيء ميتا بعد ان كان حيا كقولك  
وسع الخياط ثوبي يحتمل انه خاطه واسعا ويحتمل انه صيره واسعا بعد ان كان ضيقا فلم  
لا يجوز في هذه الآية ان يكون المراد بالامانة خلقها ميتة ولا يكون المراد نصيرها ميتة  
بعد ان كانت حية (السؤال الثاني) ان هذا كلام الكفار فلا يكون حجة (السؤال  
الثالث) ان هذه الآية تدل على المنع من حصول الحياة في القبر وبيانه انه لو كان الامر  
كذلك لكان قد حصلت الحياة ثلاث مرات اولها في الدنيا وثانيها في القبر وثالثها في  
القيامة والمذكور في الآية ليس الاحيائين فقط فتكون احدهما الحياة في الدنيا  
والحياة الثانية في القيامة والموت الحاصل بينهما هو الموت المشاهد في الدنيا (السؤال  
الرابع) انه ان دلت هذه الآية على حصول الحياة في القبر فهنا ما يدل على عدمه وذلك  
بالمقول والمعقول اما المقول فن وجوده (الاول) قوله تعالى آمن هو فانت آناه الليل  
ساجدا وقائما يحذر الآخرة وبرجو رحمة ربه فلم يذكر في هذه الآية الا الحذر عن  
الآخرة ولو حصلت الحياة في القبر لكان الحذر عنها حاصل ولو كان الامر كذلك لذكره  
ولم يذكره علمنا انه غير حاصل (الثاني) انه تعالى حكى في سورة الصافات عن المؤمنين  
المحقين انهم يقولون بعد دخولهم في الجنة افانحن بميتين الاموتنا الاولى ولا شك ان  
كلام اهل الجنة حق وصدق ولو حصلت لهم حياة في القبر لكانوا قد ماتوا موتين وذلك  
على خلاف قوله افانحن بميتين الاموتنا الاولى قالوا والاستدلال بهذه الآية أقوى  
من الاستدلال بالآية التي تموها لان الآية التي تمسكنا بها حكاية قول المؤمنين الذين  
دخلوا الجنة والآية التي تمسكهم بها حكاية قول الكافرين الذين دخلوا النار واما  
المقول فن وجوده (الاول) وهو ان الذي افترسته السباع واكلته لو أعيد حيالكان  
اما ان يعاد حيا بمجموعه او بأحد اجزائه والاول باطل لان الحس يدل على انه لم يحصل  
له مجموع والثاني باطل لانه لما اكلته السباع فلرجعت تلك الاجزاء احياء لحصلت احياء  
في معدة السباع وفي امعائها وذلك في غاية الاستبعاد (الثاني) ان الذي مات لو تركناه  
ظاهرا بحيث يراه كل احد فانهم يرونه باقيا على موته فلو جوزنا مع هذه الحالة انه يقال انه  
صار حيا لكان هذا تشكيكا في المحسوسات وانه دخول في السفسطة (والجواب) قوله  
لم لا يجوز ان تكون الموتة الاولى هي الموتة التي كانت حاصلة حال ما كان نطفة وعلاقة  
فقول هذا لا يجوز وبيانه ان المذكور في الآية ان الله اماتهم ولفظ الامانة مشروط  
بسبق حصول الحياة اذ لو كان الموت حاصلا قبل هذه الحالة امتنع كون هذا امانة والا لزم  
تحصيل الحاصل وهو محال وهذا بخلاف قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا لان  
المذكور في هذه الآية انهم كانوا امواتا وليس فيها ان الله أماتهم بخلاف الآية التي  
نحن في تفسيرها لانها تدل على ان الله تعالى أماتهم مرتين وقد بينا ان لفظ الامانة لا بصدق  
الا عند سبق الحياة فظهر الفرق اما قوله ان هذا كلام الكفار فلا يكون حجة قلنا لما ذكرنا

فان ارتفاع معارج ملائكته الى  
العرش وكون العرش العظيم  
المحيط بأكناف العالم العلوي  
والسفلي تحت ملكوته وقبضته  
قدرته بما يقضى بكون علو شأنه  
وعظم سلطانه في غاية لا غاية  
وراءها واما جعلهما عبارة عنهما  
بطريق المجاز المتفرع على الكناية  
كالاتواء على العرش وتمهيدا  
لما يقبهما من قوله تعالى (يلقى  
الروح من امره) فانه خبر آخر لما  
ذكر من نبى عن ازال الرزق  
الروحاني الذي هو الوحي بعد  
بيان ازال الرزق الجسماني الذي  
هو المطر اى ينزل الوحي الجارى  
من القلوب مستزلة الروح من  
الاجساد وقوله تعالى من امره  
بيان لارواح الذين اراد به الوحي فانه  
امر بالخبر او حال منه اى حال كونه  
ناشئا ومبتدأ من امره او صفته  
على رأى من يجوز حذف  
الموصول مع بعض صلته اى  
الروح الكائن من امره او متعلق  
بيلقى ومن للسببية كالباء مثل  
ما في قوله تعالى مما خطيئاتهم  
اى يلقي الوحي بسبب امره (على  
من يشاء من عباده) وهو الذي  
اصطفاه لرسالته وتبليغ احكامه  
اليهم (ايئذ) اى الله تعالى او  
المتلقى عليه والروح وقرئ لتنذر  
على ان الفاعل هو الرسول عليه  
الصلاة والسلام او الروح لانها  
قد تؤنث (يوم التلاق) اما ظرف  
لتفعلول الثاني اى لينذر الناس

ذلك لم يكذبهم الله تعالى اذ لو كانوا كاذبين لا اظهر الله تكذيبهم الا ترى انهم لما كذبوا في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين كذبهم الله في ذلك فقال انظر كيف كذبوا واما قوله ظاهر الآية يمنع من اثبات حياة في القبر اذ لو حصلت هذه الحياة لكان عدد الحياة ثلاث مرات لامرتين فنقول الجواب عنه من وجوه (الاول) هو ان مقصودهم تعديد اوقات البلاء والمحنة وهي اربعة الموتة الاولى والحياة في القبر والموتة الثانية والحياة في القيامة فهذه الاربعة اوقات البلاء والمحنة فاما الحياة في الدنيا فليست من اقسام اوقات البلاء والمحنة فلهذا السبب لم يذكرها (الثاني) لعلمهم ذكروا الحياتين وهي الحياة في الدنيا والحياة في القيامة اما الحياة في القبر فاهملوا ذكرها لقلّة وجودها وقصر مدتها (الثالث) لعلمهم لما صاروا احياء في القبور لم يموتوا بل بقوا احياء اما في السعادة واما في الشقاوة واتصل بها حياة القيامة فكانوا من جملة من ارادهم الله بالاستثناء في قوله فصعق من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله (الرابع) لو لم تثبت الحياة في القبر لزم ان لا يحصل الموت الامرّة واحدة فكان اثبات الموت مرتين كذبا وهو على خلاف لفظ القرآن اما لو اثبتنا الحياة في القبر لزمنا اثبات الحياة ثلاث مرات والمذكور في القرآن مرتين اما المرة الثالثة فليس في اللفظ ما يدل على ثبوتها وعدمها فثبت ان نفي حياة القبر يقتضي ترك ما دل اللفظ عليه فاما اثبات حياة القبر فانه يقتضي اثبات شيء زائد على ما دل عليه اللفظ مع ان اللفظ لا اشعار فيه بثبوته ولا بعدمه فكان هذا اولي واما ما ذكره في المعارضة الاولى فنقول قوله يحذر الآخرة تدخل فيه الحياة الآخرة سواء كانت في القبر أو في القيامة واما المعارضة الثانية فجوابها ان اترجح قولنا بالاحاديث الصحيحة الواردة في عذاب القبر واما الوجهان العقليان فدفوعان لاننا اذا قلنا ان الانسان ليس عبارة من هذا الهيكل بل هو عبارة عن جسم نوراني سار في هذا البدن كانت الاشكالات التي ذكرتموها غير واردة في هذا الباب والله اعلم (المسئلة الثانية) اعلم انما اثبتنا حياة القبر فيكون الحاصل في حق بعضهم اربعة انواع من الحياة وثلاثة انواع من الموت والدليل عليه قوله تعالى في سورة البقرة الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم فهؤلاء اربع مراتب في الحياة حياتان في الدنيا وحياة في القبر وحياة رابعة في القيامة (المسئلة الثالثة) قوله اتنين نعت لمصدر محذوف والتقدير اما تين اثنتين ثم حكى الله عنهم انهم قالوا فاعترفنا بذنوبنا فان قيل الفاء في قوله فاعترفنا تقتضي ان تكون الامانة مرتين والاحياء مرتين سيال هذا الاعتراف فينبوا هذه السببية قلنا لانهم كانوا منكبين للبعث فلا شاهدوا الاحياء بعد الامانة مرتين لم يبق لهم عذر في الاقرار بالبعث فلا جرم وقع هذا الاقرار كالسبب عن تلك الاحياء والامانة ثم قال فهل الى خروج من سبيل اى هل الى نوع من الخروج سريع او بطيء من سبيل ام اليأس ووقع فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط واعلم

العذاب يوم التلاق وهو يوم القيامة لانه يتلاقى فيه الارواح والاجسام واهل السموات والارض او هو المفعول الثاني اتساعا او اصاله فانه من شدة هوله وقطاعته حقيق بالانذار اصاله وقرئ لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم (يومهم بارزون) بدل من يوم التلاق اى خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يستترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لكون الارض يومئذ قاعا صافيا ولا عليهم ثياب انعامهم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غوائى الابدان او اعمالهم وسرائرهم (لا يخفى على الله منهم شيء) استثناء لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمه المشركون من ان الدنيا من الاستتار توهمها باطلا واخبرنا ان وفيل حال من ضمير بارزون اى لا يخفى عليه تعالى شيء مامن اعيانهم واعمالهم واحوالهم الجليلة والخفية السابقة واللاحقة (من الملك اليوم لله الواحد القهار) حكاية لما يقع حيثئذ من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المستأنفة او مستأنف يقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور احوالهم كأنه قيل فاذا يكون حيثئذ فقيل يقال الخ اى ينادى

مناد لمن الملك اليوم فيمحيه اهل  
الحشر لله الواحد القهار وقيل  
المحيي هو المائل بعينه لما روى  
انه يجمع الله الخلائق يوم القيامة  
في صعيد واحد في ارض بيضاء  
كانها سبيكة فضة لم يصب الله فيها  
قط فأول ما يتكلم به ان ينادى  
مناد لمن الملك اليوم لله الواحد  
القهار وقيل حكاية لما ينطق به  
لسان الحال من قطع اسباب  
التصرفات المجازية واختصاص  
جميع الافاعيل لقبضة القدرة  
الالهية (اليوم تجزى كل نفس  
بما كسبت) الخ اما من تمة الجواب  
ليبان حكم اختصاص الملك به  
تعالى وتبجته التي هي الحكم  
السوى والقضاء الحق او حكاية  
لما سيقوله تعالى يومئذ عقيب  
السؤال والجواب اى تجزى  
كل نفس من النفوس السيرة  
والفاجرة بما كسبت من خير او  
شر (لا ظلم اليوم) بقصر ثواب  
او زيادة عذاب (ان الله سريع  
الحساب) اى سريع حسابه تماما  
اذلا يشغله تعالى شأن عن شأن  
فيحاسب الخلائق قاطبة في اقرب  
زمان كما نقل عن ابن عباس  
رضي الله عنهما انه تعالى اذا  
اخذ في حسابهم لم يقل اهل الجنة  
الا فيها ولا اهل النار الا فيها  
فيكون تعليلا لقوله تعالى اليوم  
تجزى الخ فان كون ذلك اليوم  
بعينه يوم التلاقى ويوم البروز  
ربما يوهم استبعاد وقوع الذكل  
فيه او سريع مجيئا فيكون تعليلا  
للانذار

ان الجواب للصريح عنه ان يقال لا او نعم وهو تعالى لم يفعل ذلك بل ذكر كلا ما يدل على انه  
لا سبيل لهم الى الخروج فقال ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا  
اى ذلكم الذى اتم فيه وهو ان لا سبيل لكم الى خروج قط انما وقع بسبب كفركم بتوحيد  
الله تعالى وايمانكم بالاشراك به فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعباد السرمدى وقوله  
على الكبير دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى ان عقابه لا يكون الا كذلك والمشبهة  
استدلوا بقوله تعالى على على العلوا على في الجهة وبقوله الكبير على كبر الجنة والذات  
وكل ذلك باطل لانا دللنا على ان الجسمية والمكان محالان في حق الله تعالى فوجب ان  
يكون المراد من على الكبير لعلو الكبرياء بحسب القدرة والالهية \* قوله تعالى (هو الذى  
يرىكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يذكركم الامن ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين  
ولو كره الكافرون) اعلم انه تعالى لما ذكر ما يوجب التهديد الشديد في حق المشركين اردفه  
بذكر ما يدل على كمال قدرته وحكمته لصبر ذلك دللا على انه لا يجوز جعل هذه الاجزاء  
المنعوتة والخشب المصورة شركا لله تعالى في العبودية فقال هو الذى يرىكم آياته واعلم ان  
اهم المهمات رعاية مصالح الاديان ومصالح الابدان فهو سبحانه وتعالى راعى مصالح اديان  
العباد باظهار البينات والآيات وراعى مصالح ابدانهم بازال الرزق من السماء فوقع  
الآيات من الاديان كوقع الارزاق من الابدان فالآيات حياة الاديان والارزاق حياة  
الابدان وعند حصولهما يحصل الانعام على اقوى الاعتبارات واكمل الجهات ثم قال  
وما يذكركم الامن ينيب والمعنى ان الوقوف على دلائل توحيد الله تعالى كالا مر المر كوزفى  
العقل الا ان القول بالشرك والاشتغال بعبادة غير الله يصيركم لمانع من تجلى تلك الانوار  
فاذا عرض العبد عنها واثاب الى الله تعالى زال الغطاء والوطاء فظهر الفوز التام ولما قرر  
هذا المعنى صرح بالمطلوب وهو الاعراض عن غير الله والاقبال بالكلية على الله تعالى  
فقال فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك ومن الالتفات الى غير الله ولو كره الكافرون  
قرأ ابن كثير ينزل خفيفة والباقون بالتشديد \* قوله تعالى (رفع الدرجات ذوالعرش  
يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده لينذريوم التلاقى يومهم بارزون لا يخفى على الله  
منهم شئ) لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان  
الله سريع الحساب) اعلم انه تعالى لما ذكر من صفات كبريائه واكرامه كونه مظهر الآيات  
منزلا للارزاق ذكر في هذه الآية ثلاثة اخرى من صفات الجلال والعظمة وهو قوله  
رفع الدرجات ذوالعرش يلقي الروح قال صاحب الكشف ثلاثة اخبار لقوله هو مرتبة  
على قوله الذى يرىكم او اخبار مبتدأ محذوف وهى مختلفة تعريفا وتنكيلا وقرئ رفع  
الدرجات بالنصب على المدح واقول لابد من تفسير هذه الصفات الثلاث (فالصفة  
الاولى) قوله رفع الدرجات واعلم ان الرفع يحتمل ان يكون المراد منه الرفع وان يكون  
المراد منه المرتفع اما اذا جلتاه على الاول فقيه وجوه (الوجه الاول) انه تعالى يرفع

درجات الانبياء والاولياء في الجنة ( والثاني ) رافع درجات الخلق في العلوم والاخلاق  
الفاضلة فهو سبحانه عين لكل احد من الملائكة درجة معينة كما قال وما منا الا له مقام  
معلوم وعين لكل واحد من العلماء درجة معينة فقال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين  
اتوا العلم درجات وعين لكل جسم درجة معينة فجعل بعضها سفلية عنصرية وبعضها  
فلكية كوكبية وبعضها من جواهر العرش والكرسى فجعل لبعضها درجة اعلى من  
درجة الثاني وايضا جعل لكل احد مرتبة معينة في الخلق والرزق والاجل فقال وهو الذي  
جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وجعل لكل احد من السعداء  
والاشقياء في الدنيا درجة معينة من موجبات السعادة وموجبات الشقاوة وفي الآخرة  
لظهور آثار تلك السعادة والشقاوة فادخلنا الرفيع على الرافع كان معناه ما ذكرناه واما  
اذا دخلناه على المرتفع فهو سبحانه ارفع الموجودات في جميع صفات الكمال والجلال اما  
في اصل الوجود فهو ارفع الموجودات لانه واجب الوجود لذاته ومساواه ممكن ومحتاج  
اليه واما في دوام الوجود فهو ارفع الموجودات لانه واجب الوجود لذاته وهو الازلي  
والابدي والسرمد الذي هو اول لكل مساواه وليس له اول وآخر لكل مساواه وليس له  
آخر أما في العلم فلانه هو العالم بجميع الذوات والصفات والكليات والجزئيات كما قال  
وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو واما في القدرة فهو اعلى القادرين وارفهم لانه في  
وجوده وجميع كالات وجوده غنى عن كل مساواه وكل مساواه فانه محتاج في وجوده وفي  
جميع كالات وجوده اليه واما في الوحدة فهو الواحد الذي يتمتع ان يحصل له ضدونه  
وشريك ونظير واقول الحق سبحانه له صفتان (احدهما) استغناؤه في وجوده وفي جميع  
صفات وجوده عن كل مساواه (والثاني) افتقار كل مساواه اليه في وجوده وفي صفات  
وجوده فالرفيع ان فسرناه بالمرتفع كان معناه انه ارفع الموجودات واعلاها في جميع  
صفات الجلال والاکرام وان فسرناه بالرافع كان معناه ان كل درجة وفضيلة ودرجة ومنقبة  
حصلت لشيء سواء فأنما حصلت بايجاده وتكوينه وفضله ورحمته (الصفة الثانية) قوله  
ذو العرش ومعناه انه مالك العرش ومديره وخالقه واحتج بعض الاغمار من المشبهة بقوله  
رفيع الدرجات ذو العرش وجلوه على ان المراد بالدرجات السموات وبقوله ذو العرش  
انه موجود في العرش فوق سبع سموات وقد اعظموا الفرية على الله تعالى فانا بيننا  
بالدلائل القاهرة العقلية والنقلية ان كونه تعالى جسما وفي جهة محال ايضا فظاهر  
اللفظ لا يدل على ما قالوه لان قوله ذو العرش لا يفيد الاضافته الى العرش ويكفي فيه  
اضافته اليه بكونه مالكا له ومخرجه من العدم الى الوجود فاي ضرورة تدعونا الى  
الذهاب الى القول الباطل والمذهب الفاسد والفائدة في تخصيص العرش بالذكر هو انه  
اعظم الاجسام والمقصود بيان كمال الهيته ونفاذ قدرته فكل ما كان محل التصرف  
والتدبير اعظم كانت دلالة على كمال القدرة أقوى (الصفة الثالثة) قوله يليق الروح من



امره على من يشاء من عباده وفيه مباحث (البحث الاول) اختلفوا في المراد بهذا الروح والصحيح ان المراد هو الوحي وقد اطنبنا في بيان انه لم يسم الوحي بالروح في اول سورة النحل في تفسير قوله ينزل الملائكة بالروح من امره وقال ايضا او من كان ميتا فأحييناه وحاصل الكلام فيه ان حياة الارواح بالمعارف الالهية والجلال القدسية فاذا كان الوحي سببا لحصول هذه الارواح سمي بالروح فان الروح سبب لحصول الحياة والوحي سبب لحصول هذه الحياة الروحانية واعلم ان هذه الآية مشتملة على اسرار عجيبة من علوم المكاشفات وذلك لان كمال كبرياء الله تعالى لا اتصل اليه العقول والافهام فالطريق الكامل في تعريفه بقدر الطاقة البشرية ان يذكر ذلك الكلام على الوجه الكلى العقلى ثم يذكر عقبيه شئ من المحسوسات المؤكدة لذلك المعنى العقلى ليصير الحصر بهذا الطريق معاضدا للعقل فهنا ايضا كذلك فقولاه رفيع الدرجات اما ان يكون بمعنى كونه رافعا للدرجات وهو اشارة الى تأثير قدرة الله تعالى في ايجاد الممكنات على اختلاف درجاتها وتباين منازلها وصفاتها او الى كونه تعالى مرتفعا في صفات الجلال ونعوت العزة عن كل الموجودات فهذا الكلام كلى عقلى برهاني ثم انه سبحانه بين هذا الكلام الكلى بمريد تقرير وذلك لان ما سوى الله تعالى اما جسمانيات واما ارواحانيات فبين في هذه الآية ان كلا القسمين مسخر تحت تسخير الحق سبحانه وتعالى اما الجسمانيات فأعظمها العرش فقولاه ذو العرش يدل على استيلائه على كلية عالم الاجسام ولما كان العرش من جنس المحسوسات كان هذا المحسوس مؤكدا لذلك المعقول اعنى قوله رفيع الدرجات واما الروحانيات فكلها مسخرة للحق سبحانه واليه الاشارة بقوله يلقى الروح من امره واعلم ان اشرف الاحوال الظاهرة في روحانيات هذا العالم ظهور آمار الوحي والوحي انما يتم باركان اربعة (فالولها) المرسل وهو الله سبحانه وتعالى فلهذا اضاف لقاء الوحي الى نفسه فقال يلقى الروح (والركن الثانى) الارسال والوحي هو الذى سماه بالروح (والركن الثالث) ان وصول الوحي من الله تعالى الى الانبياء لا يمكن ان يكون الا بواسطة الملائكة وهو المشار اليه في هذه الآية بقوله من امره فالركن الروحاني يسمى امرا قال تعالى وأوحى في كل سما امرها وقال الاله الخلق والامر (والركن الرابع) الانبياء الذين يلقى الله الوحي اليهم وهو المشار اليه بقوله على من يشاء من عباده (والركن الخامس) تعيين الغرض وانقصود الاصلى من لقاء هذا الوحي اليهم وذلك هو ان الانبياء عليهم السلام يصرفون الخلق من عالم الدنيا الى عالم الآخرة ويحملونهم على الاعراض عن هذه الجسمانيات والاقال على الروحانيات واليه الاشارة بقوله لينذريوم التلاق يومهم بازرون فهذا ترتيب عجيب يدل على هذه الاشارات العالية من علوم المكاشفات الالهية وبقي ههنا ان نبين انه ما السبب في تسمية يوم القيامة بيوم التلاق وكما الصفات التى ذكرها الله تعالى في هذه السورة ليوم التلاق اما السبب في تسمية يوم القيامة بيوم التلاق ففيه

وجوه (الاول) ان الارواح كانت متباينة عن الاجساد فاذا جاء يوم القيمة صارت  
الارواح ملاقية للاجساد فكان ذلك اليوم يوم التلاق (الثاني) ان الخلائق يتلاقون  
فيه فيقف بعضهم على حال البعض (الثالث) ان اهل السماء ينزلون على اهل الارض  
فيلتقي فيه اهل السماء واهل الارض قال تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة  
تنزيلا (الرابع) ان كل احد يصل الى جراه عمله في ذلك اليوم فكان ذلك من باب التلاق  
وهو مأخوذ من قولهم فلان لقي عمله (الخامس) يمكن ان يكون ذلك مأخوذا من قوله فمن  
كان يرجو لقاء ربه ومن قوله تحيتهم يوم يلقونه سلام (السادس) يوم يلتقي فيه العابدون  
والمعبودون (السابع) يوم يلتقي فيه آدم عليه السلام وآخرو لده (الثامن) قال ميمون بن  
مهران يوم يلتقي فيه الظالم والمظلوم فربما ظلم الرجل رجلا وانفصل عنه ولو اراد ان يجده  
لم يقدر عليه ولم يعرفه ففي يوم القيمة يحضران ويلقى بعضهم بعضا قرأ ابن كثير التلاق  
والتنادى بابات الياه في الوصل والوقف وهادى وواقى بالياه في الوقف وبالتنوين في  
الوصل واما بيان ان الله تعالى كم عدد من الصفات ووصف بها يوم القيمة في هذه الآية  
فقول (الصفة الاولى) كونه يوم التلاق وقد ذكرنا تفسيره (الصفة الثانية) قوله يوم هم  
بارزون وفي تفسير هذا البروز وجوه (الاول) انهم برزوا عن بواطن القبور (والثاني)  
بارزون أى ظاهرون لا يسترهم شئ من جبل او اكمة او بناء لان الارض بارزة قاع صاف  
وليس عليهم أيضا ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة  
عرا (الثالث) ان يجعل كونهم بارزين كناية عن ظهور اعمالهم وانكشاف اسرارهم  
كما قال تعالى يوم تبلى السرائر (الرابع) ان هذه النفوس الناطقة البشرية كما بها في  
الدنيا انغمست في ظلمات اعمال الابدان فاذا جاء يوم القيامة اعرضت عن الاشتغال  
بتدبير الجسمانيات وتوجهت بالكلية الى عالم القيامة وجميع الروحانيات فكانها برزت  
بعدان كانت كامنة في الجسمانيات مستترة بها (الصفة الثالثة) قوله لا يخفى على الله منهم  
شئ والمراد يوم لا يخفى على الله منهم شئ والمقصود منه الوعيد فانه تعالى بين انهم اذا برزوا  
من قبورهم واجتمعوا وتلاقوا فان الله تعالى يعلم ما فعله كل واحد منهم فيجازى كلا  
بحسبه ان خيرا فخير وان شرا وشرفهم وان لم يعلموا تفصيل ما فعلوه فالله تعالى عالم بذلك  
ونظيره قوله يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية وقال يوم تبلى السرائر وقال اذا بعثنا في  
القبور وحصل ما في الصدور وقال يومئذ تحدث أخبارها فان قيل الله تعالى لا يخفى عليه  
منهم شئ في جميع الايام فامعنى تقييد هذا المعنى بذلك اليوم قلنا انهم كانوا يتوهمون  
في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والجلب ان الله لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم فهم في ذلك  
اليوم صاترون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما يتوهمونه  
في الدنيا قال تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال يستخفون من الناس  
ولا يستخفون من الله وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار (الصفة الرابعة) قوله

تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والتقدير يوم ينادى فيه لمن الملك اليوم وهذا النداء في أى الاوقات يحصل فيه قولان ( الاول ) قال المفسرون اذا هلك كل من في السموات ومن في الارض فيقول الرب تعالى لمن الملك اليوم يعنى يوم القيمة فلا يجيبه احد فهو تعالى يجيب نفسه فيقول لله الواحد القهار قال اهل الاصول هذا القول ضعيف وبيانه من وجوه ( الاول ) انه تعالى بين ان هذا النداء انما يحصل يوم التلاق ويوم البروز ويوم تجزى كل نفس بما كسبت والناس في ذلك الوقت احياء فبطل قولهم ان الله تعالى انما ينادى بهذا النداء حين هلك كل من في السموات والارض ( والثانى ) ان الكلام لا بد فيه من فائدة لان الكلام اما ان يذكر حال حضور الغير او حال ما لا يحضر الغير والاول باطل ههنا لان القوم قالوا انه تعالى انما يذكر هذا الكلام عند فناء الكل والثانى أيضا باطل لان الرجل انما يحسن تكلمه حال كونه وحده اما لانه يحفظ به شيئاً كالذى يكرر على الدرس وذلك على الله محال اول اجل انه يحصل له سرور بما يقوله وذلك أيضا على الله محال اول اجل ان يعبد الله بذلك الذكر وذلك أيضا على الله محال فثبت ان قول من يقول ان الله تعالى يذكر هذا النداء حال هلاك جميع المخلوقات باطل لا اصل له ( والقول الثانى ) ان في يوم التلاق اذا حضر الاولون والآخرون وبرزوا لله نادى مناد لمن الملك اليوم فيقول كل الحاضرين في محفل القيمة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا بهذا الكلام حيث نالوا بهذا الذكر المنزلة الرفيعة والكفار يقولونه على الصغار والنذلة على وجه التحسر والندامة على ان فاتهم هذا الذكر في الدنيا وقال القائلون بهذا القول ان صح القول الاول عن ابن عباس وغيره لم يمنع ان يكون المراد ان هذا النداء يذكر بعد فناء البشر الا انه حضر هناك ملائكة يسمعون ذلك النداء وأقول ايضا على هذا القول لا يبعد ان يكون السائل والمجيب هو الله تعالى ولا يبعد ايضا ان يكون السائل جمعا من الملائكة والمجيب جمعا آخرين والكل ممكن وليس على التعيين دليل فان قيل وما الفائدة في تخصيص هذا اليوم بهذا النداء فقول الناس كانوا مغرورين في الدنيا بالاسباب الظاهرة وكان الشيخ الامام الوالد عمر رضى الله عنه يقول لولا الاسباب لما ارتاب مرتاب وفي يوم القيامة زالت الاسباب وانعزلت الارباب ولم يبق البتة غير حكم مسبب الاسباب فلماذا اختص النداء بيوم القيامة واعلم انه وان كان ظاهرا للفظ يدل على اختصاص ذلك النداء بذلك اليوم الا ان قوله لله الواحد القهار يفيد ان هذا النداء حاصل من جهة المعنى ابدأ وذلك لان قولنا الله اسم لواجب الوجود لذاته وواجب الوجود لذاته واحد وكل ما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته ومعنى الايجاد هو ترجيح جانب الوجود على جانب العدم وذلك الترجيح هو قهر الجانب المرجوح فثبت ان الاله القهار واحد ابدأ ونداء لمن الملك اليوم انما ظهر من كونه واحدا قهارا فاذا كان كونه قهارا باقيا من الازل الى الابد لا جرم كان نداء لمن الملك اليوم

باقيا في جانب المعنى من الازل الى الابد ( الصفة الخامسة ) من صفات ذلك اليوم قوله  
 اليوم تجزى كل نفس بما كسبت واعلم انه سبحانه لما شرح صفات القهر في ذلك اليوم  
 اردفه ببيان صفات العدل والفضل في ذلك اليوم فقال اليوم تجزى كل نفس بما كسبت  
 وفيه مسئلتان ( المسئلة الاولى ) هذا الكلام استل على امور ثلاثة ( اولها ) اثبات  
 الكسب للانسان ( والثاني ) ان كسبه يوجب الجزاء ( والثالث ) ان ذلك الجزاء انما  
 يستوفى في ذلك اليوم فهذه الكلمة على اختصارها مشتملة على هذه الاصول الثلاثة في  
 هذا الكتاب وهى اصول عظيمة الموقع في الدين وقد سبق تقرير هذه الاصول مرارا  
 ولا بأس بذكر بعض النكت في تقرير هذه الاصول اما الاول فهو اثبات الكسب للانسان  
 وهو عبارة عن كون اعضائه سليمة صالحة للفعل والترك فادام ببقى على هذا الاستواء  
 امتنع صدور الفعل والترك عنه فاذا انضاف اليه الداعى الى الفعل او الداعى الى الترك  
 وجب صدور ذلك الفعل او الترك عنه واما الثانى وهو بيان ترتيب الجزاء عليه فاعلم ان  
 الافعال على قسمين منها ما يكون الداعى اليه طلب الخيرات الجسمانية الحاصلة في عالم  
 الدنيا ومنها ما يكون الداعى اليه طلب الخيرات الروحانية التى لا يظهر كمالها الا في عالم  
 الآخرة وقد ثبت بالتجربة ان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات الراسخة فن غلب عليه  
 القسم الاول استحكمت رغبته في الدنيا وفي الجسمانيات فعند الموت يحصل الفراق بينه  
 وبين مطلوبه على اعظم الوجوه ويعظم عليه البلاء ومن غلب عليه القسم الثانى فعند  
 الموت يفارق المغوض ويتصل بالمحجوب فتعظم الآلاء والنعماء فهذا هو معنى الكسب  
 ومعنى كون ذلك الكسب موجبا للجزاء فظهر بهذا ان كمال الجزاء لا يحصل الا في يوم  
 القيامة فهذا قانون كل عقى والشريعة الحقمة أتت بما يقوى هذا القانون الكلى في  
 تفاصيل الاعمال والاقوال والله اعلم ( المسئلة الثانية ) هذه الآية أصل عظيم في اصول  
 الفقه وذلك لاننا نقول لو كان شئ من انواع الضرر مشروعا لكان اما ان يكون مشروعا  
 لكونه جزاء على شئ من الجنایات او لالكونه جزاء والقسمان باطلان فبطل القول بكونه  
 مشروعا اما بيان انه لا يجوز ان يكون مشروعا ليكون جزاء على شئ من الاعمال فلان  
 هذا النص يقتضى تأخير الاجزىة الى يوم القيامة فاثباته في الدنيا يكون على خلاف هذا  
 النص واما بيان انه لا يجوز ان يكون مشروعا للجزاء لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر  
 ولا يريد بكم العسر ولقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج ولقوله صلى الله عليه  
 وسلم لا ضرر ولا ضرار في الاسلام عدانا عن هذه العمومات فيما اذا كانت المضار اجزىة  
 وفيما ورد نص في الاذن فيه كذب الحيوانات فوجب ان يبقى على اصل الحرمة فيما عداها  
 فثبت بما ذكرنا ان الاصل في المضار والآلام التحريم فان وجدنا نصا خاصا يدل على  
 الشرعية قضينا به تقديم الخاص على العام والا فهو باق على اصل التحريم وهذا اصل  
 كل منفع به في الشريعة والله اعلم ( الصفة السادسة ) من صفات ذلك اليوم قوله لا ظلم

اليوم والمقصود انه لما قال اليوم تجزى كل نفس بما كسبت اردفه بما يدل على انه لا يقع في ذلك اليوم نوع من انواع الظلم قال المحققون وقوع الظلم في الجزاء يقع على اربعة اقسام (احدها) ان يستحق الرجل ثوابا فيمنع منه (وثانيها) ان يعطى بعض حقه ولكن لا يوصل اليه حقه بالتمام (وثالثها) ان يعذب من لا يستحق العذاب (ورابعها) ان يكون الرجل مستحقا للعذاب فيعذب ويزاد على قدر حقه فقوله تعالى لا ظلم اليوم يفيد في هذه الاقسام الاربعة قال القاضي هذه الآية قوية في ابطال قول المجرة لان على قولهم لا ظلم غائبا وشاهدا الا من الله ولانه تعالى اذا خلق فيه الكفر ثم عذبه عليه فهذا هو عين الظلم والجواب عنه معلوم ثم قال تعالى ان الله سريع الحساب وذكر هذا الكلام في هذا الموضع لاثق جدا لانه تعالى لما بين انه لا ظلم بين انه سريع الحساب وذلك يدل على انه يصل اليهم ما يستحقونه في الحال والله اعلم \* قوله تعالى (وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين مالا للظالمين من حيم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير اولم يسيرا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوى شديد العقاب اعلم ان المقصود من هذه الآية وصف يوم القيامة بأنواع اخرى من الصفات الهائلة الهيبة وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) ذكروا في تفسير يوم الآزفة وجوها (الاول) ان يوم الآزفة هو يوم القيامة والآزفة فاعلة من اذف الامر اذا دنا وحضر لقوله في صفة يوم القيامة اذف الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة وقال الشاعر

اذف الترحل غير ان ركابنا \* لما تزل برحالنا وكأئن قد

والمقصود منه التنبيه على ان يوم القيامة قريب ونظيره قوله تعالى اقتربت الساعة قال الزجاج انما قيل لها آزفة لانها قريبة وان استبعد الناس مداها وما هو كائن فهو قريب واعلم ان الآزفة نعت لمحدوف مؤنث على تقدير يوم القيامة الآزفة او يوم المجازاة الآزفة قال القفال واسماء القيامة تجرى على التأنيث كالطامة والحاقة ونحوها كائنها يرجع معناها الى الداهية (والقول الثاني) ان المراد بيوم الآزفة وقت الآزفة وهي مسارعتهم دخول النار فان عند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها من شدة الخوف (والقول الثالث) قال ابو مسلم يوم الآزفة يوم النية وحضور الاجل والذي يدل عليه انه تعالى وصف يوم القيامة بأنه يوم التلاق ويومهم بارزون ثم قال بعده وانذرهم يوم الآزفة فوجب ان يكون هذا اليوم غير ذلك اليوم وايضا هذه الصفة مخصوصة في سائر الآيات بيوم الموت قال تعالى فلولوا اذ ابليت الخلقوم وانتم حينئذ تنظرون وقال كلا اذ ابليت التراقي وايضا فوصف يوم الموت بالقرب اولى من وصف يوم القيامة بالقرب وايضا الصفات المذكورة بعد قوله يوم

(وانذرهم يوم الآزفة) اي القيامة سميت بها لازوفها وهو القرب غير ان فيه اشعارا بصيق الوقت وقيل الحطة الآزفة وهي مشاركة اهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كافي قوله تعالى فلولوا اذ ابليت الخلقوم وقوله كلا اذ ابليت التراقي وقوله تعالى (اذ القلوب لدى الحناجر) بدل من يوم الآزفة فانها ترتفع من اما كنهها فتلتصق بمحلو قههم فلا تعود فيستريحوا بالموت (كاظمين) على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم او من ضميرها في الطرف وجع السلامة باعتبار ان الكظم من احوال العقلاء كقوله تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن مفعول انذرهم على انها حال مقدرة اي انذرهم مقدرا كظمهم او مشارفين الكظم (مال الظالمين من حيم) اي قريب مشفق (ولا شفيع يطاع) اي لا شفيع مشفع على معنى نفى الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله

الآزفة لأتة يوم حضور الموت لان الرجل عند معاناة ملائكة العذاب يعظم خوفه فكان قلوبهم تبلغ حناجرهم من شدة الخوف وبقوا كاظمين ساكنين عن ذكر ما في قلوبهم من شدة الخوف ولا يكون لهم حليم ولا شفيع يدفع ما بهم من انواع الخوف والقلق (المسئلة الثانية) اختلفوا في ان المراد من قوله اذا للقلوب لدى الحناجر كاظمين كناية عن شدة الخوف او هو محمول على ظاهره قبل المراد وصف ذلك اليوم بشدة الخوف والفرع ونظيره قوله تعالى وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا وقال فلولوا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون وقيل بل هو محمول على ظاهره قال الحسن القلوب انتزعت من الصدور بسبب شدة الخوف وبلغت القلوب الحناجر فلا تخرج فيوتوا ولا ترجع الى مواضعها فينفسوا ويتروحووا ولكنها مقبوضة كالسجالات كما قال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقوله كاظمين اى مكرويين والكاظم الساكت حال امتلائه غما وغضا فان قيل بم انتصب كاظمين قلنا هو حال عن اصحاب القلوب على المعنى لان المراد اذ قلوبهم لدى الحناجر حال كونهم كاظمين ويجوز ايضا ان يكون حالا عن القلوب وان القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكاظمة جمع السلامة لانه وصفها بالكاظم الذى هو من افعال العقلاء كما قال رأيتهم لى ساجدين وقال فظلمت اعناقهم لها خاضعين وبعضه قراءة من قرأ كاظمون وبالجملة فالقصد من الآية تقريراً مرين (احدهما) الخوف الشديد وهو المراد من قوله اذا للقلوب لدى الحناجر (والثاني) العجز عن الكلام وهو المراد من قوله كاظمين فان الملهوف اذا قدر على الكلام حصلت له خفة وسكون اما اذا لم يقدر على الكلام وبث الشكوى عظم قلقه وقوى خوفه (المسئلة الثالثة) احتج اكثر المعتزلة فى نفي الشفاعة عن المذنبين بقوله تعالى مال الظالمين من حليم ولا شفيع يطاع قالوا نفي حصول شفيع لهم يطاع فوجب ان لا يحصل لهم هذا الشفيع اجاب اصحابنا عنه من وجوه (الاول) انه تعالى نفي ان يحصل لهم شفيع يطاع وهذا لا يدل على نفي الشفيع الا ترى انك اذا قلت ما عندى كتاب يباع فهذا يقتضى نفي كتاب يباع ولا يقتضى نفي الكتاب وقالت العرب \* ولا ترى الضب بها ينبحر \* ولفظ الطاعة يقتضى حصول المرتبة فهذا يدل على انه ليس لهم يوم القيامة شفيع يطيعه الله لانه ليس فى الوجود احد اعلى حالا من الله تعالى حتى يقال ان الله بطيعة (الوجه الثانى) فى الجواب ان المراد من الظالمين ههنا الكفار والدليل عليه ان هذه الآية وردت فى زجر الكفار الذين يجادلون فى آيات الله فوجب ان يكون مختصا بهم وعندنا انه لاشفاعة فى حق الكفار (الثالث) ان لفظ الظالمين اما ان يفيد الاستغراق واما ان لا يفيد فان افاد الاستغراق كان المراد من الظالمين مجموعهم وجعلتهم ويدخل فى مجموع هذا الكلام الكفار وعندنا انه ليس لهذا المجموع شفيع لان بعض هذا المجموع هم الكفار وليس لهم شفيع فحينئذ لا يكون لهذا المجموع شفيع وان لم يفد الاستغراق كان المراد من

\* على لاحب لايتهدى بهناره \*  
والضمائر ان عادت الى الكفار  
وهو الظاهر فوضع الظالمين  
موضع ضميرهم للتسجيل عليهم  
بالظلم وتعلييل الحكم به ( يعلم  
خاتمة الاعين ) النظرة الخائنة  
كالنظرة الثانية الى غير الحرم  
واستراق النظر اليه او خيانة  
الاعين على انها مصدر كالعافية  
( وما تخفى الصدور ) من الضمائر  
والاسرار والجملة خبر آخر مثل  
يلقى الروح للدلالة على انه مامن  
خفى الا وهو متعلق العلم والجزاء  
( والله يقضى بالحق ) لانه المالك  
الحاكم على الاطلاق فلا يقضى  
بشيء الا وهو حق وعدل (والذين  
يدعون) يعبدونهم (من دونه)  
تعالى ( لا يقضون بشيء ) تهكم  
بهم لان الجساد لا يقال فى حقه  
يقضى ولا يقضى وقرئ تدعون  
على الخطاب التفاتا او على ضمائر  
قل ( ان الله هو السميع البصير )  
تقرير لعلمه تعالى بخاتمة الاعين  
وقضائه بالحق ووعد لهم على  
ما يقولون ويفعلون وتعريض  
بحال ما يدعون من دونه ( اولم  
يسيروا فى الارض فينظروا

الظالمين بعض من كان موصوفاً بهذه الصفة وعندنا ان بعض الموصوفين بهذه الصفة ليس لهم شفيع وهم الكافرون أجاب المستدلون عن السؤال الاول فقالوا يجب حل كلام الله تعالى على محمل مفيد وكل احد يعلم انه ليس في الوجود شيء يطيعه الله لان المطيع ادون حالاً من المطاع وليس في الوجود شيء اعلى مرتبة من الله تعالى حتى يقال ان الله يطيعه واذا كان هذا المعنى معلوماً بالضرورة كان حل الآية عليه اخرجاً لها عن الفائدة فوجب حل الطاعة على الاجابة والذي يدل على ورود لفظ الطاعة بمعنى الاجابة قول الشاعر

رب من انضجت غيظاً صدره \* قد تمنى لى موتاً لم يطع

(واما السؤال الثاني) فقد اجابوا عنه بان لفظ الظالمين صيغة جمع دخل عليها حرف التعريف فيفيد العموم اقصى ما في الباب ان هذه الآية وردت لذك الكفار الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (واما السؤال الثالث) لجوابه ان قوله ما للظالمين من حليم يفيد ان كل واحد من الظالمين محكوم عليه بانه ليس له حليم ولا شفيع يطاع فهذا تمام كلام القوم في تقرير ذلك الاستدلال اجاب اصحابنا عن السؤال الاول فقالوا ان القوم كانوا يقولون في الاصنام انه شفعاؤنا عند الله وكانوا يقولون انها تشفع لنا عند الله من غير حاجة فيه الى اذن الله ولهذا السبب رد الله تعالى عليهم ذلك بقوله من ذا الذي يشفع عنده الا بادته فهذا يدل على ان القوم اعتقدوا انه يجب على الله اجابة الاصنام في تلك الشفاعة وهذا نوع طاعة فالله تعالى نفى تلك الطاعة بقوله ما للظالمين من حليم ولا شفيع يطاع واجابوا عن الكلام الثاني بأن قالوا الاصل في حرف التعريف ان ينصرف الى المعهود السابق فاذا دخل حرف التعريف على صيغة الجمع وكان هناك معهود سابق انصرف اليه وقد حصل في هذه الآية معهود سابق وهم الكفار الذين يجادلون في آيات الله فوجب ان ينصرف اليه واجابوا عن الكلام الثالث بأن قالوا قوله ما للظالمين من حليم ولا شفيع يطاع يحتمل عموم السلب ويحتمل سلب العموم اما الاول فعلى تقدير ان يكون المعنى ان كل واحد من الظالمين محكوم عليه بانه ليس له حليم ولا شفيع واما الثاني فعلى تقدير ان يكون المعنى ان مجموع الظالمين ليس لهم حليم ولا شفيع فلا يلزم من نفى الحكم عن المجموع نفيه عن كل واحد من آحاد ذلك المجموع والذي يؤكده ما ذكرناه قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم اأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون فقوله ان الذين كفروا لا يؤمنون ان جلتاه على ان كل واحد منهم محكوم عليه بانه لا يؤمن لزوم وقوع الخلف في كلام الله لان كثير من كفر فقد آمن بعد ذلك اما لو جلتاه على ان مجموع الذين كفروا لا يؤمنون سواء آمن بعضهم ام لم يؤمن صدق وتحلص عن الخلف فلا جرم جلتاه هذه الآية على سلب العموم ولم نحملها على عموم السلب فكذا قوله ما للظالمين من حليم ولا شفيع يجب حله على سلب العموم لا على عموم السلب وحيث يسقط استدلال المعتزلة بهذه الآية فهذا غاية الكلام في هذا الباب (المسئلة الرابعة) في بيان نظم الآية فنقول انه تعالى

كيف كان عاقبة الذين كانوا من  
بهم اي مال حال من قبلهم  
من الامم المكذبة لرسولهم كما  
وعود واضربهم (كانوا هم اش  
منهم قوة) قدرة وتمكن من  
التصرفات وانما هي بضمير الفصل  
مع ان حق التوسطين معرفتي  
لمضاهاة افضل من المعرفة في  
امتناع دخول اللام عليه وقرئ  
اشد منكم بالكاف (وآثارا في  
الارض) مثل القلاع الحصينة  
والمدائن المنينة وقيل المعنى واك  
آثار اقوله متعلداً سيفاً ورما  
(فأخذهم الله بذنوبهم) اخذ  
ويلا (وما كان لهم من الله من  
واق) اي من واق يقيم عذاب  
الله (ذلك) اي ما ذكر من الاحذ  
(بأنهم) بسبب انهم (كانت  
تأتيهم رسلهم بالبينات) اي  
بالمعجزات او بالاحكام الظاهرة  
(فكفروا) فأخذهم الله انه قوي  
متمكن مما يريد عاية التمكن  
(شديداً لعقاب) لا يؤبه عند  
عقابه بعقاب



ذكر في هذه الآية جميع الاسباب الموجبة للخوف ( فأولها ) انه سمي ذلك اليوم يوم الآزفة اي يوم القرب من عذابه لمن ابتلى بالذنوب العظيمة لانه اذا قرب زمان عقوبته كان في اقصى غايات الخوف حتى قيل ان تلك الغيوم والمهموم اعظم في الايحاش من عين تلك العقوبة ( والثانية ) قوله اذا القلوب لدى الحناجر والمعنى انه بلغ ذلك الخوف الى ان انقلع القلب من الصدر وارتفع الى الحجرة والنصق بها وصار مانعا من دخول النفس ( والثالثة ) قوله كاظمين والمعنى انه لا يمكنهم ان ينطقوا وان ينسرحوا ما عندهم من الحزن والخوف وذلك يوجب مزيد القلق والاضطراب ( والرابعة ) قوله لا يظلمون جيم ولا شفيع بطاع فيمن انه ليس لهم قريب ينفعهم ولا شفيع يطاع فيهم فتقبل شفاعته ( والخامسة ) قوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور والمعنى انه سبحانه عالم لا يرب عن علمه مقال ذرة في السموات ولا في الارض والحاكم اذا بلغ في العلم الى هذا الحد كان خوف المذنب منه شديدا جدا قال صاحب الكشاف الخائنة صفة النظرة أو مصدر بمعنى الخائنة كالعافية بمعنى العسافة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب والمراد بقوله وما تخفي الصدور مضمرات القلوب والحاصل ان الافعال قسمان افعال الجوارح وافعال القلوب اما افعال الجوارح فاخفاها خائنة الاعين والله اعلم بها فكيف الحال في سائر الاعمال واما افعال القلوب فهي معلومة لله تعالى لقوله وما تخفي الصدور فدل هذا على كونه تعالى عالما بجميع افعالهم ( السادسة ) قوله تعالى والله يقضي بالحق وهذا ايضا يوجب عظم الخوف لان الحاكم اذا كان عالما بجميع الاحوال وبات منه انه لا يقضي الا بالحق في كل مادي وجل كان خوف المذنب منه في العاية القصوى ( السابعة ) ان الكفار اما عولوا في دفع العقاب عن انفسهم على شفاعاة ذنوب الاصنام وقد بين الله تعالى انه لا فائدة فيها البتة فقال والذين يدعون من دونه لا يتقنون بني ( السابعة ) قوله ان الله هو السميع البصير اي يسمع من الكفار ثناءهم على الاصنام ولا يسمع منهم ثناءهم على الله ويبصر خضوعهم وسجودهم لهم ولا يبصر خضوعهم وتواضعهم لله فهذه الاحوال الثمانية اذا اجتمعت في حق المذنب الذي عظم ذنبه كان بالغاً في التخويف الى الحد الذي لا تعقل الزيادة عليه ثم انه تعالى لمبالغ في تخويف الكفار بعذاب الآخرة اردفه ببيان تخويفهم بأحوال الدنيا فقال أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم وامننى ان العاقل من اعتبر بغيره فان الذين مضوا من الكفار كانوا أشد قوة من هؤلاء الحاضرين من الكفار وأقوى آثارا في الارض منهم والمراد حصونهم وقصورهم وعساكرهم فلما كذبوا رسلهم أهلكهم الله بضروب الهلاك مجعلا حتى ان هؤلاء الحاضرين من الكفار يشاهدون تلك الآثار فحذرهم الله تعالى من مثل ذلك بهذا القول وبين بقوله وما كان لهم من الله من وفاق انه لما نزل العذاب بهم عند اخذه تعالى لهم لم يجدوا من يعينهم ويخلصهم ثم بين ان ذلك نزل بهم لاجل انهم كفروا وكذبوا الرسل فحذر قوم الرسول من مثله وختم الكلام بانه قوى شديد العقاب مبالغة

( ولقد ارسلنا موسى بأبانسا )  
وهي مجمراته ( وساطان مبین )  
اي وحشة فاهرة وهي اما عين  
الآيات والعطبات العارل العوانين  
واما بعض مشا هيرها كالعصا  
افردت بالذكر مع اندراجها تحت  
الآيات لانقتها افراد جبريل  
وميكل به مع دخولهما في  
اللائكة عليهم السلام ( الى  
فرعون وهامان وهارون فقالوا  
ساحر كذاب ) اي فيما اظهره من  
المجرات وفيما ادعاه من رسالة  
رب العالمين ( فلما جاءهم بالحق من  
عندنا ) وهو ما ظهر على يده من  
العجزات القاهرة ( فالواقتلوا  
ابناء الذين آمنوا معه واستحبوا  
نساءهم ) كما قال فرعون سنقتل  
ابناءهم وسنحبي نساءهم اي  
عيدوا عليهم ما كنتم تعاونوه  
ولا وكان فرعون قد كف عن قتل  
الولدان فيما عت عليه الصادة  
والسلام واحس بأنه قد وقع  
ما وقع ، عادة عايه عيظا وحسنا  
وزعما منه انه يصدهم بذلك عن  
مضايرته ظنا منهم انه المولود  
الذي حكم النجمون والكهنة  
بدهاب ملكهم على يده ( وما كيد  
الكافرين الا في ضلال ) اي في  
ضباغ وبطلان لا يعنى عنهم سدا  
ويتخذ عايهم لائمة لتقدر المتدور  
والفضاء الخوم والام المالعهد

في التحذير والتخويف والله اعلم وقرأ ابن عامر وحده كانوا هم اشد منكم بالكاف والباقون  
 بالهاء ( اما وجه ) قراءة ابن عامر فهو انصراف من الغيبة الى الخطاب كقوله اياك نعبد  
 واياك نستعين بعد قوله الحمد لله والوجه في حسن هذا الخطاب انه في شان اهل مكة فجعل  
 الخطاب على لفظ المخاطب الحاضر لحضورهم وهذه الآية في المعنى كقوله مكناهم في  
 الارض ما لم تمكن لكم وامراءة الباقيين على لفظ الغيبة فلاجل موافقة ما قبله من الفاظ  
 الغيبة ﴿ قوله تعالى ﴾ ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون  
 فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا  
 نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني  
 أخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد وقال موسى اني عدت بربي وربكم  
 من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ) واعلم انه تعالى لما سلى رسوله بذكر الكفار الذين كذبوا  
 الانبياء قبله وبمشاهدة آثارهم سلاهم أيضا بذكر قصة موسى عليه السلام وانه مع قوة  
 معجزاته بعثه الى فرعون وهامان وقارون فكذبوه وكابروه وقالوا هو ساحر كذاب واعلم  
 ان موسى عليه السلام لما جاءهم بتلك المعجزات الباهرة وبالنبوة وهى المراد بقوله فلما  
 جاءهم بالحق من عندنا حكى الله تعالى عنهم ما صدر عنهم من الجهالات ( فالاول ) انهم  
 وصفوه بكونه ساحرا كذابا وهذا في غاية البعد لان تلك المعجزات كانت قد بلغت في القوة  
 والظهور الى حيث يشهد كل ذى عقل سليم بانه ليس من السحر البتة ( الثانى ) انهم قالوا  
 اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم والصحيح ان هذا القتل غير القتل الذى  
 وقع في وقت ولادة موسى عليه السلام لان في ذلك الوقت اخبره النجمون بولادة عدوله  
 يظهر عليه فأمر بقتل الابناء في ذلك الوقت واما في هذا الوقت فوسى عليه السلام قد  
 جاءه وظهر المعجزات الظاهرة فعند هذا امر بقتل أبناء الذين آمنوا معه لئلا ينشؤا على  
 دين موسى فيقوى بهم وهذه العلة مختصة بالبنين دون البنات فلها السبب امر بقتل  
 الابناء ثم قال تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال ومعناه ان جميع ما يسعون فيه من  
 مكيدة موسى ومكيدة من آمن معه يبطل لان ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها  
 ( النوع الثالث ) من قبائح افعال اولئك الكفار مع موسى عليه السلام ما حكاها الله  
 تعالى وقال فرعون ذروني اقتل موسى وهذا الكلام كالدلالة على انهم كانوا يمنعونه من  
 قتله وفيه احتمالان ( الاول ) انهم منعوه عن قتله لوجوه ( الاول ) لعله كان فيهم من يعتقد  
 بقلبه كون موسى صادقا فيأتى بوجوه الخيل في منع فرعون من قتله ( الثانى ) قال الحسن  
 ان اصحابه قالوا له لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف ولا يمكنه ان يغلب سحرته وان قتله  
 ادخلت الشبهة على الناس وقالوا انه كان محقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه ( الثالث ) لعلمهم  
 كانوا يحتالون في منعه من قتله لاجل ان يبقى فرعون مشغول القلب بموسى فلا يفرغ  
 لتأديب اولئك الاقوام فان من شأن الامراء ان يشغلوا قلب ملكهم بخصم خارجي حتى

والاظهار في موقع الاضمار لذمهم  
 بالكفر والاشعار ببلية الحكم  
 او الجنس وهم داخلون فيه  
 دخولا اوليا والجملة اعتراض على  
 به في تضاعيف ما حكى عنهم من  
 الاباطيل لتسارعة الى بيان  
 بطلان ما ظهره من الابراق  
 والارعاد واضمحلاله بالمرءة ( وقال  
 فرعون ذروني اقتل موسى )  
 كان ملؤه اذاهم بقتله عليه  
 الصلاة والسلام كقوله بقتلهم  
 ليس هذا بلذى تخافه فانه اقل  
 من ذلك واضعف وما هو الا بعض  
 السحرة وبقتلهم اذا قتلتها ادخات  
 على الناس شبهة واعتقدوا انك  
 عجزت عن معارضته بالجملة  
 وعدلت الى المقارعة بالسيف  
 والظاهر من دهاء العين ونكارة  
 انه كان قد استيقن انه نبي  
 وان ما جاءه آيات باهرة وما هو  
 بسحر ولكن كان يخاف انهم  
 بقتله ان يعاجل بالهلاك وكان  
 قوله هذا تعويها على قومه وايها ما  
 انهم هم الكافون له من قتله  
 ولولا هم لقتله وما كان الذى  
 يكفه الا ما في نفسه عن الفرع  
 الهائل وقوله ( وايدع ربه ) تجلد  
 منه واطهار لعدم المبالاة بدعائه  
 ولكه اخوف ما يخافه ( اني اخاف )  
 ان لم اقتله ( ان يبدل دينكم ) ان  
 يغير ما اتم عليه من الدين الذى  
 هو عبارة عن

بصبر وا آمنين من شر ذلك الملك (والاحتمال الثاني) ان احدا مامنع فرعون من قتل موسى  
وانه كان يريد ان يقتله الا انه كان خائفا من انه لو حاول قتله لظهرت معجزات قاهرة تمنعه عن  
قتله فيفتضح الا انه لو قاتلته قال زروني اقتل موسى وغرضه منه انه يوهم انه انما امتنع عن  
قتله رعاية لقلوب اصحابه وغرضه منه اخفاء خوفه اما قوله وليد عرب فاما ذكره على سبيل  
الاستهزاء يعني اني اقتله فليقل لربه حتى يخلصه مني واما قوله اني اخاف ان يبدل دينكم  
اوان يظهر في الارض الفساد ففيه مسائل (المسئلة الاولى) قبح ابن كثير الباء من قوله  
ذروني وقبح نافع وابن كثير وابوعمر والياء من اني اخاف وايضا قرأ نافع وابوعمر وان يظهر  
بالواو بحذف او يعني انه يجمع بين تبديل الدين وبين اظهار الفاسد والذين قرؤا بصيغة  
او غناه انه لابد من وقوع احدا الامرين وقرئ يظهر بضم الباء وكسر الهاء الفساد  
بالنصب على التعدية وقرأ حزة والكسائي وابوبكر عن عاصم بلفظ او يظهر بفتح الياء  
والهاء الفساد بالرفع اما وجه القراءة الاولى فهو انه اسند الفعل الى موسى في قوله يبدل  
فكذلك في يظهر ليكون الكلام على نسق واحد واما وجه القراءة الثانية فهو انه اذا بدل  
الدين فقد ظهر الفساد الحاصل بسبب ذلك التبديل (المسئلة الثانية) المقصود من هذا  
الكلام بيان السبب الموجب لقتله وهوان وجوده يوجب اما فساد الدين او فساد الدنيا  
اما فساد الدين فلان القوم اعتقدوا ان الدين الصحيح هو الذي كانوا عليه فلما كان موسى  
ساعيا في افساده كان في اعتقادهم انه ساع في افساد الدين الحق واما فساد الدنيا فهو انه  
لابد وان يجتمع عليه قوم ويصير ذلك سببا لوقوع الخصومات واثارة الفتن ولما كان حب  
الناس لاديانهم فوق حبه لاموالهم لاجرم بدأ فرعون بذكر الدين فقال اني اخاف  
يبدل دينكم ثم اتبعه بذكر فساد الدنيا فقال اوان يظهر في الارض الفساد واعلم انه تعالى  
لما حكى عن فرعون هذا الكلام حكى بعده ما ذكره موسى عليه السلام فخفى عنه انه قال  
اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وفيه مسثلتان (المسئلة  
الاولى) قرأ نافع وابوبكر وحزة والكسائي عدت بادغام الذال في التاء والباقون بالظهار  
(المسئلة الثانية) المعنى انه لم يأت في دفع شره الا بان استعاذ بالله واعتمد على فضل الله فلا  
جرم صانه الله عن كل بلية واوصله الى كل امنية واعلم ان هذه الكلمات التي ذكرها موسى  
عليه السلام تشتمل على فوائد (الفائدة الاولى) ان لفتة اني تدل على التأكيد فهذا يدل  
على ان الطريق المؤكد المعترف في دفع الشرور والآفات عن النفس الاعتماد على الله  
والتوكل على عصمة الله تعالى (الفائدة الثانية) انه قال اني عذت بربي وربكم فكما ان  
عند القراءة يقول المسلم اعوذ بالله من الشيطان الرجيم قاله تعالى يصون دينه واخلاصه  
عن وساوس شياطين الجن فكذلك عند توجه الآفات والمخافات من شياطين الانس اذا  
قال المسلم اعوذ بالله قاله يصونه عن كل الآفات والمخافات (الفائدة الثالثة) قوله بربي  
وربكم والمعنى كأن العبد يقول ان الله سبحانه هو الذي رباني والى درجات الخيرات راقني

عبادته وعبادة الاصنام لتقر بهم  
اليه (اوان يظهر في الارض  
الفساد) ما يفسد دنياكم من  
التحارب والتهاجر ان لم يقدر على  
تبديل دينكم بالكلية وقرئ  
بالواو الجامعة وقرئ بفتح الياء  
والهاء ورفع الفساد وقرئ يظهر  
بتشديد الظاء والهاء من تظهر  
بمعنى تظاهر اى تتابع وتعاون  
(وقال موسى) اى لقومه حين  
سمع بماتقوله الاعين من حديث  
قتله عليه الصلاة والسلام (اني  
عذت بربي وربكم من كل متكبر  
لا يؤمن بيوم الحساب) صدر  
عليه الصلاة والسلام كلامه بأن  
تأكده واطهار المزيد الاعتناء  
بمضمونه وفرط الرغبة فيه وخص  
اسم الرب المنجي عن الحفظ والدرية  
لانها الذي يستدعيه وضافه  
اليه واليهم حثالهم على موافقته  
في العباد به تعالى والتوكل عليه  
فان في نظاهر النفوس تأثير اقويا  
في استجاب الاجابة ولم يسم  
فرعون بل ذكره بوصف يعمه  
وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة  
والاشعار بعلته القساوة والجرأة  
على الله تعالى وقرئ هدت  
بالادغام (وقال رجل مؤمن من  
آل فرعون) قيل كان قبطيا ابن  
عم لفرعون آمن بموسى سرا  
وقيل كان اسراييليا او غريبا  
موحدا

ومن الآفات وقائي واعطاني نعم لا احلها ولا حصر فيما كان المولى ليس الا الله وجب  
 ان لا يرجع العاقل في دفع كل الآفات الا الى حفظ الله تعالى (الفائدة الرابعة) ان قوله  
 وربكم فيه بعث لقوم موسى عليه السلام على ان يقتدوا به في الاستعاذة بالله والمعنى فيه  
 ان الارواح الطاهرة القوية اذا تطابقت على همة واحدة قوى ذلك التأثير جدا وذلك  
 هو السبب الاصل في اداء الصلوات في الجماعات (الفائدة الخامسة) انه لم يذكر فرعون في  
 هذا الدماء لانه كان قد سبق له حق تربية على موسى من بعض الوجوه فترك التعيين رعاية  
 لذلك الحق (الفائدة السادسة) ان فرعون وان كان قد اظهر ذلك الفعل الا انه لا فائدة في  
 الدماء على فرعون بعينه بل الاولى الاستعاذة بالله في دفع كل من كان موصوفاً بتلك الصفة  
 حتى يدخل فيه كل من كان عدوا سواء كان مظهر تلك العدواة او كان مخفيا لها (الفائدة  
 السابعة) ان الموجب للاقدام على ايداء الناس امران (احدهما) كون الانسان  
 متكبرا قاسي القلب (والثاني) كونه منكرا للبعث والقيامة وذلك لان المتكبر القاسي  
 قد يحمله طبعه على ايداء الناس الا انه اذا كان مقربا للبعث والحساب صار خوفه من  
 الحساب مانعاً له من الجرى على موجب تكبره فاذا لم يحصل عنده الايمان بالبعث والقيامة  
 كانت الطبيعة داعية له الى الايداء والمنازع وهو الخوف من السؤال والحساب  
 زائلا واذا كان الخوف من السؤال والحساب زائلا فلا جرم تحصل القسوة والايداء  
 (الفائدة الثامنة) ان فرعون لما قال ذروني اقتل موسى قال على سبيل الاستهزاء وليدع  
 ربه فقال موسى ان الذي ذكرته يا فرعون بطريق الاستهزاء هو الدين المبين والحق المنير  
 وانا ادعو ربي واطلب منه ان يدفع شرك عني وسترى ان ربي كيف يقهر لك وكيف يسلمطني  
 عليك واعلم ان من احاط عقله بهذه القوائد علم انه لا طريق اصلح ولا صوب في دفع كيد  
 الاعداء وابطال مكرهم الا الاستعاذة بالله والرجوع الى حفظ الله والله اعلم بقوله تعالى  
 (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم  
 بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم  
 ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) اعلم انه تعالى لما حكي عن موسى عليه السلام انه  
 ما زاد في دفع مكر فرعون وشره على الاستعاذة بالله بين انه تعالى قبض انسانا اجنيا غير  
 موسى حتى ذب عنه على احسن الوجوه بالغ في تسكين تلك الفتنة واجتهد في ازاله ذلك  
 التمر يقول مصنف هذا الكتاب رحمه الله ولقد جرت في احوال نفسي انه كما قد صدني  
 سرير بشر ولم تعرض له واكتفى بتقويض ذلك الاسرار الى الله فانه سبحانه يقبض اقواما  
 لا يعرفهم البتة يبالغون في دفع ذلك الشر وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اختلفوا في ذلك  
 الرجل الذي كان من آل فرعون فقيل انه كان ابن عم له وكان جاريا مجرى ولي العهد  
 ومجرى صاحب السرطة وقيل كان قبطي اس آل فرعون وما كان من اقاربه وقيل انه كان  
 من بني اسرائيل والقول الاول اقرب لان لفظ الآكل يقع على القرابة والعشيرة قال تعالى

(يكنم ايمانه) اي من فرعون  
 ومثله (تقتلون رجلا) اتقصدون  
 قتله (ان يقول) لانه يقول او  
 كراهة ان يقول (ربي الله) اي  
 وحده من غير روية وتأمل في  
 أمره (وقد جاءكم بالبينات) والحال  
 انه قد جاءكم بالمعجزات الطاهرة  
 التي شاهدتموها وعهدتموها  
 (من ربكم) اضافة اليهم بعد ذكر  
 البينات احتجاجا عليهم واستنزالا  
 لهم عن رتبة المكابرة ثم اخذهم  
 بالاحتجاج من باب الاحتياط  
 فقال (وان يك كاذبا فعليه كذبه)  
 لا لخطئه وبال كذبه فيحتاج في  
 دفعه الى قتله (وان يك صادقا  
 يصبكم بعض الذي يعدكم) اي  
 ان لم يصبكم كله فلا اقل من  
 اصابة بعضه لاسيما ان تعرضتم  
 له بسوء وهذا كلام صادر عن  
 غاية الانصاف وعدم التعصب  
 ولذلك قدم من شقي التزديد  
 كونه كاذبا او يصبكم ما يعدكم  
 من عذاب الدنيا وهو بعض  
 ما يعدهم كانه خوئهم بما هو  
 اظهر احتمالا عندهم وتفسير  
 البعض بالكل مستدلا بقول  
 لبيد

ترآك امكنة اذا لم ارضها  
 او يرتبط بعض النفوس جاءها  
 مردود لما ان مراده بالبعض نفسه  
 (ان الله لا يهدي من هو مسرف  
 كذاب) احتجاج آخر دو

الآل لوط نجيناهم بسحر روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصديقون ثلاثة حبيب النجار مؤمن آل ياسين ومؤمن آل فرعون الذى قال أقتلون رجلا أن يقول ربي الله والثالث علي بن ابي طالب وهو افضلهم وعن جعفر بن محمد انه قال كان ابو بكر خيرا من مؤمن آل فرعون لانه كان يكتم ايمانه وقال ابو بكر جهارا أقتلون رجلا أن يقول ربي الله فكان ذلك سرا وهذا كان جهارا (المسئلة الثانية) لفظ من في قوله من آل فرعون يجوز ان يكون متعلقا بقوله مؤمن أى كان ذلك المؤمن شخصا من آل فرعون ويجوز ان يكون متعلقا بقوله يكتم ايمانه والتقدير رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون وقيل ان هذا الاحتمال غير جائز لانه لا يقال كتمت من فلان كذا انما يقال كتمته كذا قال تعالى ولا يكتتمون الله حديثا ( المسئلة الثالثة ) رجل مؤمن الاكثرون قرؤا بضم الجيم وقرئ رجل بكسر الجيم كما يقال عضد في عضد ( المسئلة الرابعة ) قوله تعالى أقتلون رجلا أن يقول ربي الله استفهام على سبيل الانكار وقد ذكر في هذا الكلام ما يدل على حسن ذلك الاستنكار وذلك لانه ما زاد على ان قال ربي الله وجاء بالبينات وذلك لا يوجب القتل البتة وقوله وقد جاءكم بالبينات من ربكم يحتمل وجهين ( الاول ) ان قوله ربي اشارة الى التوحيد وقوله وقد جاءكم بالبينات اشارة الى تقرير النبوة باظهار المعجزة ( الثاني ) ان قوله ربي الله اشارة الى التوحيد وقوله وقد جاءكم بالبينات اشارة الى الدلائل الدالة على التوحيد وهو قوله في سورة طه ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقوله في سورة الشعراء رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين الى آخر الآيات ثم ذكر ذلك المؤمن حجة ثانية في ان الاقدام على قتله غير جائز وهى حجة مذكورة على طريقة التقسيم فقال ان كان هذا الرجل كاذبا كان وبال كذبه عائدا عليه فتركوه وان كان صادقا يصحبكم بعض الذى بعدكم فبنت ان على كلا التفسيرين كان الاولى ابقاءه حيا فان قيل السؤال على هذا الدليل من وجهين ( الاول ) ان قوله وان يك كاذبا فعليه كذبه معناه ان ضرر كذبه مقصور عليه ولا يتعداه وهذا الكلام فاسد لوجوه ( احدها ) اننا لانسلم ان بتقدير كونه كاذبا كان ضرر كذبه مقصورا عليه لانه يدعو الناس الى ذلك الدين الباطل فيغتر به جماعة منهم ويقعون في المذهب الباطل والاعتقاد الفاسد فيقع بينهم وبين غيرهم اخصومات كثيرة فبنت ان بتقدير كونه كاذبا لم يكن ضرر كذبه مقصورا عليه بل كان متعديا الى الكل ولهذا السبب فان العلماء اجعوا على ان الزنديق الذى يدعو الناس الى زندقته يجب قتله ( وثانيها ) انه ان كان هذا الكلام حجة له فلا كذاب الاويمكنه ان يتمسك بهذه الطريقة فوجب تمكن جميع الزنادقة والمبطلين من تقرير اديانهم الباطلة ( وثالثها ) ان الكفار الذين انكروا نبوة موسى عليه السلام وجب ان لا يجوز الانكار عليهم لانه يقال ان كان ذلك المنكر كاذبا في ذلك الانكار فعليه كذبه وان كان صادقا فانه متم بصدقه فبنت ان هذا الطريق يوجب تصويب ضده وما افضى نبوته الى عدمه كان باطلا

وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى الى البينات ولما ابداه بتلك المعجرات وثانيهما ان كان كذلك خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراهم المعنى الثانى وهو عاكف على المعنى الاول للذين شككتم وقد عرض له لفرعون بأنه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة ( يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين ) غالبين غالبين على بنى اسرائيل ( فى الارض ) اى ارض مصر لا يقاومكم احد فى هذا الوقت ( فمن ينصرونا من بأس الله ) من اخذوه وعذابه ( ان جاءنا ) اى فلا تقسدا امركم ولا تعرضوا لبأس الله يقتله فانه ان جاءنا لم بمعنا منه احد وانما نسب ما يصرهم من الملك والظهور فى الارض اليهم خاصة وانظم نفسه فى سلكهم فيما يسوءهم من بأس الله تعالى تطييبا لقلوبهم وايداءا بأنه مناصح لهم ساع فى تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرددهم سعيه فى حق نفسه ليتأروا بنصحه ( قال فرعون ) بعد ما سمع منه ( ما أرى ) اى ما اشرع عليكم ( الا اهدىكم ) بهذا الرأى ( لا سبيل لرئاد ) اى الصواب الا لا اعلمكم

(السؤال الثاني) انه كان من الواجب ان يقال وان يك صادقا بصيكم كل الذي يعدكم لان الذي يصيب في بعض ما يعد دون البعض هم اصحاب الكهانة والنجوم اما الرسول الصادق الذي لا يتكلم الا بالوحى فانه يجب ان يكون صادقا في كل ما يقول فكان قوله يصيبكم بعض الذي يعدكم غير لائق بهذا المقام (والجواب) عن الاسئلة الثلاثة بحرف واحد وهو ان تقدير الكلام ان يقال انه لا حاجة بكم في دفع شره الى قتله بل يكفيكم ان تمنعوه عن اظهار هذه المقالة ثم تركوا قتله فان كان كاذبا فينبذ لا يعود ضرره الا اليه وان كان صادقا انتفعتم به والحاصل ان المقصود من ذكر ذلك التقسيم بيان انه لا حاجة الى قتله بل يكفيكم ان تعرضوا عنه وان تمنعوه عن اظهار دينه فهذا الطريق الاسئلة الثلاثة مدفوعة (واما السؤال الثاني) وهو قوله كان الاولى ان يقال يصيبكم كل الذي يعدكم فالجواب عنه من وجوه (الاول) ان مدار هذا الاستدلال على اظهار الانصاف وترك اللجاج لان المقصود منه ان كان كاذبا كان ضرركه مقصورا عليه وان كان صادقا فلا اقل من ان يصل اليكم بعض ما يعدكم وان كان المقصود من هذا الكلام ما ذكر صح ونظيره قوله تعالى وانا اواباكم لعل هدى او في ضلال مبين (والوجه الثاني) انه عليه السلام كان يتوعدهم بعذاب الدنيا وبعذاب الآخرة فاذا وصل اليهم في الدنيا عذاب الدنيا فقد اصابهم بعض الذي يعدهم به (الوجه الثالث) حكى عن ابي عبيدة انه قال ورود لفظ البعض بمعنى الكل جائز واحتمل بقول لبيد

تركا امكنة اذالم ارضها \* او تربط بعض النفوس حجامها

والجمهور على ان هذا القول خطأ قالوا وأراد لبيد بعض النفوس نفسه والله اعلم ثم حكى تعالى عن هذا المؤمن حكاية ثالثة في انه لا يجوز ابداء موسى عليه السلام فقال ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب وتقرير هذا الدليل ان يقال ان الله تعالى هدى موسى الى الايمان بهذه المعجزات الباهرة ومن هداه الله الى الايمان بالمعجزات لا يكون مسرفا كاذبا فهذا يدل على ان موسى عليه السلام ليس من الكاذبين فكان قوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب اشارة الى علو شأن موسى عليه السلام على طريق الرمز والتعريض ويحتمل ايضا ان يكون المراد ان فرعون مسرف في عزه على قتل موسى كذاب في اقدامه على ادعاء الالهية والله لا يهدي من هذا شأنه وصفته بل يبطله ويهدم امره \* قوله تعالى (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمَن ينصرنا من باس الله ان جاءنا قال فرعون ما اريكم الاماري وما اهديكم الا سيل الرشاد وقال الذي آمن يا قوم اتى اخاف عليكم مثل يوم الاحراب مثل دأب قوم نوح وعاد ونمود الذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم اتى اخاف عليكم مثل يوم الاحراب مثل دأب قوم نوح وعاد ونمود الذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم اتى اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضل الله فانه من هاد) اعلم ان مؤمن آل فرعون لما قام انواع الدلائل على انه لا يجوز الاقدام على قتل موسى خوفا في ذلك بعذاب الله فقال يا قوم لكم الملك اليوم

الامام اعلم ولاسر عنكم خلاف ما اظهره ولقد كذب حيث كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه لما استشار احدا ابد او قرى بشديد الشين للباغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لامن ارشد كجبار من اجبر لانه مقصور على السماع واللقبة الى الرشد كواج وبتات غير منظور فيه الى فعل (وقال الذي آمن) مخاطبا لقومه (يا قوم اتى اخاف عليكم) في تكذيبه والتعرض له بالسوء (مثل يوم الاحزاب) مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم (مثل دأب قوم نوح وعاد ونمود) اي مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وانهاء الرسل (والذين من بعدهم) كف قوم لوط (وما الله يريد ظلما للعباد) فلا يعاقبهم بغير ريب ولا يخلى الظالم منهم بغير انتقام وهو بالغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد لما ان المنفى فيه ارادة ظلم ما في تنقي الظلم بطريق الاولويه (ويا قوم اتى اخاف عليكم يوم التناد) خوفهم بالعذاب الاخرى بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوى ويوم التناد يوم القيامة لانه ينادى فيه بعصم بعضا للاستعانة او يتصيحون بالويل والنبور او يتنادى اصحاب الجنة

ظاهرين في الارض يعني قد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تقسداوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا للبأس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به وانما قال ينصرونا وجاءنا لانه كان يظهر من نفسه انه منهم وان الذي ينصهم به هو مشارك لهم فيه ولما قال ذلك المؤمن هذا الكلام قال فرعون ما أريكم الا ما أرى اى لا أشير اليكم برأى سوى ما ذكرته انه يجب قتله حسما لمادة الفتنة وما هديكم بهذا الرأى الا سبيل الرشاد والصلاح ثم حكى تعالى ان ذلك المؤمن ردهذا الكلام على فرعون فقال انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب واعلم انه تعالى حكى عن ذلك المؤمن انه كان يكتم ايمانه والذي يكتم كيف يمكنه ان يذكر هذه الكلمات مع فرعون ولهذا السبب حصل ههنا قولان ( الاول ) ان فرعون لما قال ذرونى أقل موسى لم يصرح بذلك المؤمن بأنه على دين موسى بل أوهم انه مع فرعون وعلى دينه الا انه زعم ان المصلحة تقتضى ترك قتل موسى لانه لم يصدر عنه الا الدعوة الى الله والايان بالمعجزات القاهرة وهذا لا يوجب القتل والاقدام على قتله بوجوب الوقوع فى السنة الناس باقبح الكلمات بل الاولى ان يؤخر قتله وان يمنع من اظهار دينه لان على هذا التقدير ان كان كاذبا كان وبال كذبه عائدا اليه وان كان صادقا حصل الانتفاع به من بعض الوجوه ثم أكد ذلك بقوله ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب يعنى انه ان صدق فيما يدعيه من ايات الاله القادر الحكيم فهو لا يهدى المسرف الكذاب فأوهم فرعون انه أراد بقوله ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب انه يريد موسى وهو انما كان يقصد به فرعون لان المسرف الكذاب هو فرعون ( والقول الثانى ) ان مؤمن آل فرعون كان يكتم ايمانه أولا فلما قال فرعون ذرونى أقل موسى ازال الكتمان واظهر كونه على دين موسى وشافه فرعون بالحق واعلم انه تعالى حكى عن هذا المؤمن أنواعا من الكلمات ذكرها لفرعون ( فالاول ) قوله يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب والتقدير مثل أيام الاحزاب الا انه لما اضاف اليوم الى الاحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وتمود فحينئذ ظهر أن كل حزب كان له يوم معين فى البلاء فاقصر من الجمع على ذكر الواحد لعدم الالتباس ثم فسر قوله انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب بقوله مثل دأب قوم نوح وعاد وتمود دأب هؤلاء دونهم فى عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصى فيكون ذلك دأبا ودائما لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم والحاصل انه خوفهم بهلاكهم مجمل فى الدنيا ثم خوفهم ايضا بهلاك الآخرة وهو قوله ومن يضل الله فانه من هاد والمقصود منه التنبيه على عذاب الآخرة ( النوع الثانى ) من كلمات ذلك المؤمن قوله تعالى وما الله يريد ظلاما للعباد يعنى أن تدمير أولئك الاحزاب كان عدلا لانهم استوجبوه بسبب تكذيبهم للانبيا فلذلك العلة قائمة ههنا فوجب حصول الحكم ههنا قالت المعتزلة قوله وما الله يريد ظلاما للعباد يدل على انه لا يريد أن يظلم بعض العباد بعضا ويدل على أنه لا يريد ظلم احدا من العباد فلو خلق الكفر فيهم ثم يعذبهم على ذلك الكفر لكان ظالما واذا ثبت انه لا يريد الظلم البتة ثبت

واصحاب النار حسبا حكى فى سورة الاعراف وقرئ بتشديد الدال وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فيبتاهم يوج بعضهم فى بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب ( يوم تولون مدبرين ) بدل من يوم التصاد اى متصرفين عن الموقف الى النار او فارين منها حسبا نقل آتفا ( مالكم من الله من عاصم ) يعصمكم من عذبه والجملة حال اخرى من ضمير تولون ( ومن يضل الله فانه من هاد ) يعيده الى طريق النجاة ( ولقد جاءكم يوسف ) هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام على ان فرعونه فرعون موسى اوعلى نسبة احوال الالباء الى الاولاد وقيل سبطه يوسف بن فرائيم بن يوسف الصديق ( من قبل ) من قبل موسى ( بالبينات ) بالمعجزات الواضحة ( ما زلتم فى شك مما جاءكم به ) من الدين ( حتى اذاهلك ) بالموت ( ذلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ) ضما الى تكذيب رسالته بتكذيب رسالته من بعده او جرمانا لان يبعث بعده رسول مع الشك فى رسالته وقرئ أن يبعث الله على ان لبعضهم



انه غير خالق لافعال العباد لانه لو خلقها لارادها وثبت ايضا أنه قادر على الظلم اذ لو لم يقدر عليه لما حصل المدح بترك الظلم وهذا الاستدلال قد ذكرناه مرارا في هذا الكتاب مع الجواب فلا فائدة في الاعادة ( النوع الثالث ) من كلمات هذا المؤمن قوله ويا قوم ائى أخاف عليكم يوم التناد وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) التناد تفاعل من النداء يقال تنادى القوم اى نادى بعضهم بعضا والاصل الياء وحذف الياء حسن في الفواصل وذكرنا ذلك في يوم التلاق واجمع المفسرون على ان يوم التناد يوم القيامة وفي سبب تسمية ذلك اليوم بذلك الاسم وجوه ( الاول ) أن اهل النار ينادون اهل الجنة واهل الجنة ينادون اهل النار كما ذكر الله عنهم في سورة الاعراف ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ( الثانى ) قال الزجاج لا يبعد أن يكون السبب فيه قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بأمامهم ( الثالث ) انه ينادى بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور فيقولون يا ويلنا ( الرابع ) ينادون الى المحشر اى يدعون ( الخامس ) ينادى المؤمن هاؤم اقرؤا كتابه والكافر ياليتنى لم أوت كتابه ( السادس ) ينادى بالعنة على الظالمين ( السابع ) يحاء بالموت على صورة كبش أملح ثم يذبح وينادى يا اهل القيامة لاموت فيزداد اهل الجنة فرحا على فرحهم واهل النار حزنا على حزنهم ( الثامن ) قال ابو على الفارسي التنادى مشتق من التناد من قولهم ندفلان اذا هرب وهو قراءة ابن عباس وفسرها فقال يندون كما تند الابل ويدل على صحة هذه القراءة قوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه الآية وقوله تعالى بعد هذه الآية يوم تولون مدبرين لانهم اذا سمعوا زفير النار يندون هارين فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه ( المسئلة الثانية ) انتصب قوله يوم التناد لوجهين ( احدهما ) الظرف للخوف كانه خاف عليهم في ذلك اليوم لما يلحقهم من العذاب ان لم يؤمنوا ( والاخر ) أن يكون التقدير ائى اخاف عليكم عذاب يوم التناد واذا كان كذلك كان انتصاب يوم انتصاب المفعول به لا انتصاب الظرف لان اعرابه اعراب المضاف المحذوف ثم قال يوم تولون مدبرين وهو يدل من قوله يوم التناد عن قتادة منصرفين عن موقف يوم الحساب الى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين ثم أكد التهديد فقال مالكم من الله من عاصم ثم نبه على قوة ضلالتهم وشدة جهالتهم فقال ومن يضل الله فاله من هاد \* قوله تعالى ( ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فازلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أناهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا ) فيه ضرب من التجب والاستغلام وفي كبر ضمير يعود الى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال المستفاد من يجادلون ( كذلك ) اى مثل ذلك الطبع القطيع ( يطبع الله على ككل قلب متكبر جبار ) فيسدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف والارتياح والمخادلة بالباطل وقرئ تسوين تاب ووصفه بالتكبر والتعبر لانه منبعضها

بقرره بعضا بنى البعث ( كذلك ) مثل ذلك الاضلال القطيع ( يضل الله من هو مسرف ) في عصبانه ( مرتاب ) في دينه شاك فيما تشهد به البينات لعبة الوهم والانهك في التقايد ( الذين يجادلون في آيات الله ) يدل من الموصول الاول اوبيان له اوصفة باعتبار معناه كأنه قيل كل مسرف مرتاب او المسرفين المرتابين ( بغير سلطان ) متعلق بجادلون اى بغير حجة صالحة للتسك بهما في الجلبة ( اناهم ) صفة سلطان ( كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا ) فيه ضرب من التجب والاستغلام وفي كبر ضمير يعود الى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال المستفاد من يجادلون ( كذلك ) اى مثل ذلك الطبع القطيع ( يطبع الله على ككل قلب متكبر جبار ) فيسدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف والارتياح والمخادلة بالباطل وقرئ تسوين تاب ووصفه بالتكبر والتعبر لانه منبعضها

من هاد وفي الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) قيل ان يوسف هذا هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام ونقل صاحب الكشف انه يوسف بن افراهيم بن يوسف بن يعقوب اقام فيهم نيفا وعشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف بنى حيا الى زمانه وقيل فرعون آخر والمقصود من الكل شئ واحد وهوان يوسف جاء قومه بالبينات وفي المراد بها قولان ( الاول ) ان المراد بالبينات قوله أَر بَاب مَتَفَرِّقُونَ خَيْرَامَ اللَّهِ الْوَاحِد الْقَهَار ( والثاني ) المراد بها المعجزات وهذا اولى ثم انهم بقوا في نبوته شاكين مرتاين ولم ينتفعوا البتة بتلك البينات فلما مات قالوا انه لن يبعث الله من بعده رسولا وانما حكموا بهذا الحكم على سبيل التشبهى والتنى من غير حجة ولا برهان بل انما ذكروا ذلك ليكون ذلك اساسا لهم في تكذيب الانبياء الذين يأتون بعد ذلك وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا لاجل تصديق رسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وانما هو تكذيب رسالة من هو بعده مضموما الى تكذيب رسالته ثم قال كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب اى مثل هذا الضلال يضل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه قال الكعبى هذه الآية حجة لاهل القدر لانه تعالى بين كفرهم ثم بين انه تعالى انما اضلهم لكونهم مسرفين مرتاين فثبت ان العبد مالم يضل عن الدين فان الله تعالى لا يضلهم ثم بين تعالى ما لاجله بقوا في ذلك الشك والاسراف فقال الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اى بغير حجة بل ابناء على التقليد المجرد وامناء على شبهات خسية كبر مقتا عند الله والمقت هو ان يبلغ المرء في القوم مبلغا عظيما فيقته الله ويبغضه ويظهر خزيه وتعمسه وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) في ذمه لهم بأنهم يجادلون بغير سلطان دلالة على ان الجدل بالحنة حسن وحق وفيه ابطال للتقليد ( المسئلة الثانية ) قال القاضى مقت الله اياهم بدل على ان فعلهم ليس بخلق الله لان كونه فاعلا للفعل ومآثاله محال ( المسئلة الثالثة ) الآية تدل على انه يجوز وصف الله تعالى بأنه قديمقت بعض عباد الله لان ذلك صفة واجبة التأويل في حق الله كالغضب والحياء والتعجب والله اعلم ثم بين ان هذا المقت كما حصل عند الله فكذلك قد حصل عند الذين آمنوا ثم قال كذلك بطبع الله على كل قلب متكبر جبار وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قرأ ابن عامر وأبو عمرو وقتيبة عن الكسائي قلب منونا متكبر صفة للقلب والباقون بغير تنوين على اضافة القلب الى المتكبر قال ابو عبيد الاختيار الاضافة لوجوه ( الاول ) ان عبد الله قرأ على قلب كل متكبر وهو شاهد لهذه القراءة ( الثانى ) ان وصف الانسان بالتكبر والجبروت أولى من وصف القلب بهما واما الذين قرؤا بالتنوين فقالوا ان التكبر قد اضيف الى القلب في قوله ان في صدورهم الاكبر وقال تعالى فانه آمن قلبه وأيضا فيمكن ان يكون ذلك على حذف المضاف أى على كل ذى قلب تكبر وأيضا قال قوم الانسان الحقيقى هو القلب وهذا البحث طويل وقد ذكرناه في تفسير قوله نزل به الروح الامين على قلبك قالوا ومن اضاف فلا بد له من تقدير حذف

والتقدير يطبع الله على قلب كل متكبر (المسئلة الثانية) الكلام في الطبع والرين والقسوة والغشاوة قد سبق في هذا الكتاب بالاستقصاء واحسانا يقولون قوله كذلك يطبع الله يدل على ان الكل من الله والمعزلة يقولون ان قوله كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار يدل على ان هذا الطبع انما حصل من الله لانه كان في نفسه متكبرا جبارا وعند هذا تصير الآية حجة لكل واحد من هذين الفريقين من وجهه وعليه من وجه آخر والقول الذي يخرج عليه الوجهان مذهبنا اليه وهو انه تعالى يخلق دواعي الكبر والرياسة في القلب فتصير تلك الدواعي مانعة من حصول ما يدعوا الى الطاعة والانقياد لامر الله فيكون القول بالقضاء والقدر حقا ويكون تعليل الصدعن الدين بكونه متجبرا متكبرا باقيا فبت ان هذا المذهب الذي اخترناه في القضاء والقدر هو الذي ينطبق لفظ القرآن من اوله الى آخره عليه (المسئلة الثالثة) لابد من بيان الفرق بين المتكبر والجبار قال مقاتل متكبر عن قبول التوحيد جبار في غير حق واقول كمال السعادة في امرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فعلى قول مقاتل التكبر كالمضاد للتعظيم لامر الله والجبروت كالمضاد للشفقة على خلق الله والله اعلم \* قوله تعالى (وقال فرعون يا هامان

(وقال فرعون يا هامان ابنى صرحا) اى بناء مكشوما عاليا من صرح الشئ اذا ظهر (لعلى ابلغ الاسباب) اى الطرق (اسباب السموات) بيان لها وفي ابهامها ثم ايضا حجة تفخيم لشأنها وتشويق السامع الى معرفتها (فاطلع الى الله موسى) بالنصب على جواب الترتيب وقرئ بالرفع عطفا على ابلغ ولعله اراد ينى له رسدا في موضع حال ليرصد منه احوال الكواكب التي هى اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياه او ان يرى فساد قوله عليه الصلاة والسلام بأن اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وما ذاك الا لجهل الله سبحانه وكيفية استنباطه (وانى لاظنه كاذبا) فيما بدعيه من الرسالة (وكذلك) اى ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط (زين لفرعون سوء عمله) فانهمك فيه انهما كما لا يرعوى عنه بحال (وصدعن السيليل) اى سبيل الرشاد والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى ويؤيده قراءة زين بالفتح وبالتوسط لشيطان وقرئ وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بأمثال هذه التوجيهات والشبهات ويؤيده قوله تعالى (وما كيد فرعون الا في تباب) اى

ابنلى صرحا لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى الله موسى وانى لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصدعن السيليل وما كيد فرعون الا في تباب) اعلم انه تعالى لما وصف فرعون بكونه متكبرا جبارا بين انه بلغ في البلادة والحماقة الى ان قصد الصعود الى السموات وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) احتج الجمع الكثير من المشبهة بهذه الآية في انبات ان الله في السموات وقرر واذلك من وجوه (الاول) ان فرعون كان من المنكرين لوجود الله وكل ما يذكره في صفات الله تعالى فذلك انما يذكره لاجل انه سمع ان موسى يصف الله بذلك فهو ايضا يذكره كما سمعه فلو لانه سمع موسى يصف الله بأنه موجود في السماء والالماطلبه في السماء (الوجه الثاني) انه قال وانى لاظنه كاذبا ولم يبين انه كاذب فيما ذكروا المذكور السابق متعين لصرف الكلام اليه فكان التقدير فاطلع الى الاله الذي يزعم موسى انه موجود في السماء ثم قال وانى لاظنه كاذبا اى وانى لاظن موسى كاذبا في ادعائه ان الاله موجود في السماء وذلك يدل على ان دين موسى هو ان الاله موجود في السماء (الوجد الثالث) العلم بأنه لو وجد الاله لكان موجودا في السماء علم يسهى متقرر في كل العقول واذلك فان الصبيان اذا نضرعوا الى الله رفعوا وجوههم وأيديهم الى السماء وان فرعون مع نهاية كرهه لما طلب الاله فقد طلبه في السماء وهذا يدل على ان العلم بأن الاله موجود في السماء علم متقرر في عقل الصديق والزنديق والمحد والموحدو العالم والجاهل فهذا جملة استدلال المشبهة بهذه الآية والجواب ان هؤلاء الجهال يكفهم في كمال الخزي والضلال ان جعلوا قول فرعون العين حجة لهم على صحة دينهم واما موسى عليه السلام فانه لم يزد في تعريفه العالم على ذكر صفة الخلافة فقال في سورة طه ربنا الذي

اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقال في سورة الشعراء ربكم ورب آبائكم الاولين رب المشرق والمغرب وما بينهما فظهر ان تعريف ذات الله بكونه في السماء دين فرعون وتعرفه بالخلافة والمجودية دين موسى فمن قال بالاول كان على دين فرعون ومن قال بالثاني كان على دين موسى ثم نقول لانسلم ان كل ما يقوله فرعون في صفات الله تعالى فذلك قد سمعه من موسى عليه السلام بل لعله كان على دين المشبهة فكان يعتقد ان الاله لو كان موجودا لكان حاصلا في السماء فهو انما ذكر هذا الاعتقاد من قبل نفسه لاجل انه قد سمعه من موسى عليه السلام واما قوله واني لازنه كاذبا فنقول لعله لما سمع موسى عليه السلام قال رب السموات والارض ظن انه عني به انه رب السموات كما يقال للواحد منا انه رب الدار بمعنى كونه ساكنا فيه فلما غلب على ظنه ذلك حكى عنه وهذا ليس بمستبعد فان فرعون كان قد بلغ في الجهل والحماقة الى حيث لا يعد نسبة هذا الخيال اليه فان استبعد الخصم نسبة هذا الخيال اليه كان ذلك لا ثبائهم لانهم لما كانوا على دين فرعون وجب عليهم تعظيمه واما قوله ان فطرة فرعون شهدت بان الاله لو كان موجودا لكان في السماء قلنا نحن لانكر ان فطرة اكثر الناس تخيل اليهم صحة ذلك لاسيما من بلغ في الحماقة الى درجة فرعون فثبت ان هذا الكلام ساقط (المسئلة الثانية) اختلف الناس في ان فرعون هل قصد بناء الصرح ليصعد منه الى السماء ام لا اما الظاهريون من المفسرين فقد قطعوا بذلك وذكروا حكاية طويلة في كيفية بناء ذلك الصرح والذي عندي انه بعيد والدليل عليه ان يقال فرعون لا يخلو اما ان يقال انه كان من المجانين او كان من العقلاء فان قلنا انه كان من المجانين لم يحجز من الله تعالى ارسال الرسول اليه لان العقل شرط في التكليف ولم يحجز من الله ان يذكر حكاية كلام مجنون في القرآن واما ان قلنا انه كان من العقلاء فنقول ان كل ما قل يعلم ببديهة عقله انه يتعذر في قدرة البشر وضع بناء يكون ارفع من الجبل العالي ويعلم ايضا ببديهة عقله انه لا يتفاوت في البصر حال السماء بين ان ينظر اليه من اسفل الجبال وبين ان ينظر اليه من اعلى الجبال واذا كان هذان العلمان ببديهيتهما امتنع ان يفصد العاقل وضع بناء يصعد منه الى السماء واذا كان فساد هذا معلوما بالضرورة امتنع اسناده الى فرعون والذي عندي في تفسير هذه الآية ان فرعون كان من الدهرية وخرجه من ذكر هذا الكلام اراد شبهة في نفى الصانع وتقريره انه قال انا لا ترى شيئا نحكم عليه بأنه اله العالم فلم يجز اثبات هذا الاله امانه لانراه فلائه لو كان موجودا لكان في السماء ونحن لاسبيل لنا الى صعود السموات فكيف يمكننا ان نراه انما لاجل المبالغة في بيان انه لا يمكنه صعود السموات قال ياها ما ابن لي صرحا لعلني ابلغ الاسباب والمقصود انه لما عرف كل احد ان هذا الطريق ممتنع كان الوصول الى معرفة وجود الله بطريق الحس ممتنعا ونظيره قوله تعالى فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سما في السماء فتأتيتهم بآية وليس المراد منه ان محمدا صلى الله عليه وسلم طلب نفقا في الارض

خسار وهلاك او على انه من صد  
صدودا اى اعرض وقرئ بكسر  
الصاد على تقل حركة الدال اليه  
وقرئ وصد على انه عطف على  
سوء عمله وقرئ وصدوا اى هو  
وقومه

او وضع سماء الى السماء بل المعنى انه لما عرف ان هذا المعنى ممتنع فقد عرف انه لا سبيل لاك الى تحصيل ذلك المقصود فكذا ههنا غرض فرعون من قوله يا هامان ابن لي صرحا يعنى ان الاطلاع على اله موسى لما كان لا سبيل اليه الا بهذا الطريق وكان هذا الطريق ممتنعا فحينئذ يظهر منه انه لا سبيل الى معرفة الاله الذى ينبت موسى فقوله هذا ما حصلته فى هذا الباب واعلم ان هذه الشبهة فاسدة لان طرق العلم ثلاثة الحس والخبر والظن ولا يلزم من انتفاء طريق واحد وهو الحس انتفاء المطلوب وذلك لان موسى عليه السلام كان قد بين لفرعون ان الطريق فى معرفة الله تعالى انما هو الحجة والدليل كما قال ربكم ورب آبائكم الاولين رب المشرق والمغرب الا ان فرعون خبثه ومكره تغافل عن ذلك الدليل والى الى الجهال انه لما كان لا طريق الى الاحساس بهذا الاله وجب نفيه فهذا ما عندى فى هذا الباب وبالله التوفيق والعصمة (المسئلة الثالثة) ذهب قوم الى انه تعالى خلق جواهر الافلاك وحركاتها بحيث تكون هى الاسباب لحدوث الحوادث فى هذا العالم الاسفل واحتجوا بقوله تعالى لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات ومعلوم انها ليست اسبابا للحوادث هذا العالم قالوا ويؤكد هذا بقوله تعالى فى سورة ص فليرتقوا فى الاسباب اما المفسرون فقد ذكروا فى تفسير قوله تعالى لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات ان المراد بأسباب السموات طرقها وأبوابها وما يؤدى اليها وكل ما ادلك الى شئ فهو سبب كالرشاء ونحوه (المسئلة الرابعة) قالت اليهود اطبق الباحثون عن تواريخ بنى اسرائيل وفرعون ان هامان ما كان موجودا البتة فى زمان موسى وفرعون وانما جاء بعدهما بزمان مديد ودهر داهر فالقول بأن هامان كان موجودا فى زمان فرعون خطأ فى التاريخ وليس لقائل ان يقول ان وجود شخص يسمى بهامان بعد زمان فرعون لا يمنع من وجود شخص آخر يسمى بهذا الاسم فى زمانه قالوا لان هذا الشخص المسمى بهامان الذى كان موجودا فى زمان فرعون ما كان شخصا خسيسا فى حضرة فرعون بل كان كالوزير له ومثل هذا الشخص لا يكون مجهول الوصف والخلية فلو كان موجودا لعرف حاله وحيث اطبق الباحثون عن احوال فرعون وموسى ان الشخص المسمى بهامان ما كان موجودا فى زمان فرعون وانما جاء بعده بادوار علم انه غلط وقع فى التاريخ قالوا ونظير هذا اننا نعرف فى دين الاسلام ان ابا حنيفة انما جاء بعد محمد صلى الله عليه وسلم فلوان قائل ادعى ان ابا حنيفة كان موجودا فى زمان محمد عليه السلام وزعم انه شخص آخر سوى الاول وهو أيضا يسمى بأبى حنيفة فان اصحاب التاريخ يقطعون بخطئه فكذا ههنا والجواب ان تواريخ موسى وفرعون قد طال العهد بها واضطربت الاحوال والادوار فلم يبق على كلام اهل التاريخ اعتماد فى هذا الباب فكان الاخذ بقول الله اولى بخلاف حال رسولنا مع ابى حنيفة فان هذه التاريخ قريبة غير مضطربة بل هى مضبوطة فظهر الفرق بين البابين فهذا جلة ما يتعلق بالمباحث المعنوية فى هذه الآيات وبقى ما يتعلق

بالمباحث اللفظية قبل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وان بعد اشتقوه من صرح النسي اذا ظهر واسباب السموات طرفها فان قيل ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعل ابلغ اسباب السموات كان كافيا اجاب صاحب الكشف عنه فقال اذا اُبهم النسي ثم اوضح كان تفخيما لشأنه فلما اراد تفخيم اسباب السموات اُبهمها ثم اوضحها وقوله فأطلع الى اله موسى قرأ حفص عن عاصم فأطلع بفتح العين والباقون بالرفع قال المبرد من رفع فقد عطفه على قوله ابلغ والتقدير لعل ابلغ الاسباب ثم اطلع الا ان حرف ثم اشترط اخيا من الفاعل من نصب جعله جوابا والمعنى لعل ابلغ الاسباب فتى بلغتها اطلع والمعنى مختلف لان الاول لعل اطلع والثاني لعل ابلغ وانا ضمير اتي متى بلغت فلا بد وان اطلع واعلم انه تعالى لما حكى عن فرعون هذه القصة قال بعدها وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصدعن السبيل وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ عاصم وحزوة والكسائي وصد بضم الصاد قال ابو عبيدة وبه يقرأ لان ما قبله فعل مبنى للمفعول به فجعل ما عطف عليه مثله والباقون وصد بفتح الصاد على انه منع الناس عن الايمان قالوا ومن صدده قوله لا قطعن ايديكم وارجلاكم ويؤيد هذه القراءة قوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وقوله هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام (المسئلة الثانية) قوله تعالى زين لابده من المزين فقالت المعتزلة انه الشيطان فقيل لهم ان كان المزين لفرعون هو الشيطان فالزين للشيطان ان كان شيطانا آخر زم اثبات التسلسل في الشياطين أو الدور وهو محال ولما بطل ذلك وجب اتهام الاسباب والمسببات في درجات الحاجات الى واجب الوجود وايضا قوله زين يدل على ان النسي ان لم يكن في اعتقاد الفاعل موصوفا بأنه خير وزينة وحسن فانه لا يقدم عليه الا ان ذلك الاعتماد ان كان صوابا فهو العلم وان كان خطأ فهو الجهل ففاعل ذلك الجهل ليس هو ذلك الانسان لان العاقل لا يقصد تحصيل الجهل لنفسه ولانه اتما يقصد تحصيل الجهل لنفسه اذا عرف كونه جهلا ومتى عرف كونه جهلا امتنع بقاؤه جاهلا فثبت ان فاعل ذلك الجهل ليس هو ذلك الانسان ولا يجوز ان يكون فاعله هو الشيطان لان البحث الاول بعينه ما تدفيه فلم يبق الا ان يكون فاعله هو الله تعالى والله اعلم ويقوى ما قلناه ان صاحب الكشف نقل انه قرئ وزين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل ويدل عليه قوله الى اله موسى ثم قال تعالى وما كيد فرعون الا في تباب والتباب الهلاك والخسران ونظيره قوله تعالى وما زادوهم غير تسبب وقوله تعالى تنتيدا ابني لهب والله اعلم \* قوله تعالى (وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثله ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ويا قوم مالي ادعوك الى التوبة وتدعونني الى النار تدعونني لا كفرة بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوك الى العزيز الغفار لاحرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وان مردنا الى

(وقال الذي آمن) اي مؤمن آل فرعون وقيل موسى عليه السلام (يا قوم اتبعون) فيماد لتكم عليه (اهدكم سبيل الرشاد) اي سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بأن ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الغي والضلال (يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) اي تمتع يسير لسرعة روالها اجل لهم اولانهم فسرفا تمتع بدم الدنيا وتقصير شأنها لان الاخلاص اليها رأس كل شر ومنه تتشعب فنون ما يؤدي الى سخط الله تعالى ثم نبي بتعظيم الآخرة فقال (وان الآخرة هي دار القرار) لخلودها ودام ما فيها (من عمل) في الدنيا (سيئة فلا يجزى في الآخرة) (الا مثله) عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على ان الخبايا تغرم بأعمالها (ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فأولئك) الذين عملوا ذلك (يدخلون الجنة) يرزقون فيها بغير حساب اي بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعاف مضاعفة فضلا من الله عز وجل ورحمة وجعل العمل عمدة او الايمان حالا لا يزدان بأنه لاعبرة بالعمل بدونه وان توابه اعلى من ذلك (ويا قوم مالي ادعوك الى التوبة وتدعونني الى النار) كورنداهم باظهارهم عن سمة الغفلة واعتناء بالمداوى له ومبالغة في توبيخهم على ما بقاوا ونه نصحه ومدار التجب الذي يلوح

الله وان المسرفين هم اصحاب النار فستذكرون ما قول لكم وافوض امرى الى الله ان الله بصير بالعباد اعلم ان هذا من بقية كلام انذى آمن من آل فرعون وقد كان يدعوهم الى الايمان بموسى والتمسك بطريقته واعلم انه نادى في قومه ثلاث مرات في المرة الاولى دعاهم الى قبول ذلك الدين على سبيل الاجال وفي المرتين الباقيتين على سبيل التفصيل اما الاجال فهو قوله يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد وليس المراد بقوله اتبعون طريقة التقليد لانه قال بعده اهدكم سبيل الرشاد والهدى هو الدلالة ومن بين الادلة للغير بوصف بأنه هدهاء وسبيل الرشاد هو سبيل الثواب والخير وما يؤدى اليه لان الرشاد نقيض الغي وفيه تصريح بأن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي واما التفصيل فهو انه بين حقارة حال الدنيا وكمال حال الآخرة اما حقارة الدنيا فهي قوله يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع والمعنى انه يستمتع بهذه الحياة الدنيا في ايام قليلة ثم تقطع وتزول واما الآخر فهي دار القرار والبقاء والدوام وحاصل الكلام ان الآخرة باقية دائمة والدنيا منقضية منقرضة والدائم خير من المنقضى وقال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهابا فاني والآخر خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزفان والآخرة ذهب باق واعلم ان الآخرة كما ان النعيم فيها دائم فكذلك العذاب فيها دائم وان التزغيب في النعيم الدائم والتزغيب عن العذاب الدائم من اقوى وجوه التزغيب والتزغيب ثم بين كيف تحصل المجازاة في الآخرة و اشار فيه الى ان جانب الرحمة غالب على جانب العقاب فقال من عمل سيئة فلا يحجزى الامثلها والمراد بالمثل ما يقابلها في الاستحقاق فان قيل كيف يصح هذا الكلام مع ان كفر ساعة يوجب عقاب الابد قلنا ان الكافر يعتقد في كفره كونه طاعة واما فلماذا السبب يكون الكافر على عزم ان يبقى مصرا على ذلك الاعتقاد ابدًا فلا جرم كان عقابه مؤبدا بخلاف الفاسق فإنه يعتقد فيه كونه خيانة ومعصية فيكون على عزم ان لا يبقى مصرا عليه فلا جرم قلنا ان عقاب الفاسق منقطع اما الذي يقوله المعتزلة من ان عقابه مؤبد فهو باطل لان مدة تلك المعصية منقطعة والعزم على الاتيان بها ايضا ليس دائما بل منقطعا فقابلته بعقاب دائم يكون على خلاف قوله من عمل سيئة فلا يحجزى الامثلها واعلم ان هذه الآية اصل كبير في علوم الشريعة فيما يتعلق باحكام الجنايات فانها تقتضى ان يكون التل مشروعا وان يكون الزائد على التل غير مشروع ثم نقول ليس في الآية بيان ان تلك المماتلة معتبرة في اى الامور فلو حملناه على رعاية المماتلة في شئ معين مع ان ذلك المعين غير مذکور في الآية صارت الآية مجملة ولو حملناه على رعاية المماتلة في جميع الامور صارت الآية عاما مخصوصا وقد ثبت في اصول الفقه ان التعارض اذا وقع بين الاجال وبين التخصيص كان دفع الاجال اولى فوجب ان تحمل هذه الآية على رعاية المماتلة من كل الوجوه الا في مواضع التخصيص واذا ثبت هذا فالاحكام الكثيرة في باب الجنايات على النفوس وعلى الاعضاء وعلى الاموال يمكن تفرعها على هذه الآية ثم نقول

به الاستفهام دعوتهم اياه الى النار ودعوتهم اياه الى النجاة كما تدفيل اخبروني كيف هذه الحال ادعوك الى الخير وتدعوني الى الشر وقد جعله بعضهم من قبيل ما لى اراك حزينا اى مالك تكون حزينا وقوله تعالى ( تدعوني لا كفر بالله ) بدل اوبيان فيه تعليل والدعاء كالتهدية في التعبدية بالى واللام ( واشرك به ما ليس لى به ) بشر كنه له تعالى في العبودية وقيل بربوبيته ( علم ) والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها ( وانا ادعوك الى العزى الغفار ) الجامع لجميع صفات الالهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتفكير من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران ( لا جرم ) لارد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى ( ان ما تدعوني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة ) اى حق ووجوب عدم دعوة آلهتم الى عبادتها اصلا او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اى كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعونه بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما ان بد من لا بد فعل من التبديد اى التفريق والمعنى لا قطع لبطلان



انه تعالى لما بين ان جزاء السيئة مقصور على المتلبيين ان جزاء الحسنة غير مقصور على المتل بل هو خارج عن الحساب فقال ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واحتج اصحابنا بهذه الآية فقالوا قوله ومن عمل صالحا نكرة في معرض الشرط في جانب الاثبات فجرى مجرى ان يقال من ذكر كلمة او من خطا خطوة فله كذا فانه يدخل فيه كل من اتى بتلك الكلمة او بتلك الخطوة مرة واحدة فكذلك ههنا وجب ان يقال كل من عمل صالحا واحدا من الصالحات فانه يدخل الجنة ويرزق فيها بغير حساب والآتي بالايان والمواظب على التوحيد والتقديس مدة ثمانين سنة قد أتى بأعظم الصالحات وبأحسن الطاعات فوجب ان يدخل الجنة والخصم يقول انه يبقى مخلدا في النار ابد الآباد فكان ذلك على خلاف هذا النص الصريح قالت المعتزلة انه تعالى شرط فيه كونه مؤمنا وصاحب الكبيرة عندنا ليس بمؤمن فلا يدخل في هذا الوعد والجواب اننا بينا في اول سورة البقرة في تفسير قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ان صاحب الكبيرة مؤمن فسقط هذا الكلام واختلفوا في تفسير قوله يرزقون فيها بغير حساب فذهب بعضهم من قال لما كان لانهاية لذلك الثواب قيل بغير حساب وقال الآخرون لانه تعالى يعطيهم ثواب اعمالهم ويضم الى ذلك الثواب من اقسام التفضل ما يخرج عن الحساب وقوله بغير حساب واقع في مقابلة الامثله يعني ان جزاء السيئة له حساب وتقدير لثلا يزيد على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة واقول هذا يدل على ان جانب الرحمة والفضل راجح على جانب القهر والعقاب فاذا عارضنا عموما الوعد بمهمات الوعيد وجب ان يكون الترجيح بجانب عموما الوعد وذلك يهدم قواعد المعتزلة ثم استأنف ذلك المؤمن ونادى في المرة الثالثة وقال يا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار يعني أنا أدعوكم الى الايمان الذي يوجب النجاة وتدعونني الى الكفر الذي يوجب النار فان قيل لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني قلنا أمانته في النداء فقيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ من سنة الغفلة واطهار أن له بهذا المهم مزيد اهتمام وعلى أولئك الاقوام فرط شفقة واما المجيء بالواو العاطفة فلائ الثاني يقرب من أن يكون عين الاول لان الثاني بيان للاول والبيان عين المبين واما الثالث فلائ كلام مبين للاول والثاني فحسن ايراد الواو العاطفة فيه ولما ذكر هذا المؤمن انه يدعوهم الى النجاة وهم يدعونه الى النار فسر ذلك بانهم يدعونه الى الكفر بالله والى الشرك به اما الكفر بالله فلائ الاكثرين من قوم فرعون كانوا يشكرون وجود الاله ومنهم من كان يقرب بوجود الله الا انه كان يثبت عبادة الاصنام وقوله تعالى وأشرك به ما ليس له به علم المراد بنفي العلم بنفي المعلوم كأنه قال وأشرك به ما ليس بالله وما ليس به كيف يعقل جملة شركه كاللله ولما بين أنهم يدعونه الى الكفر والشرك بين انه يدعوهم الى الايمان بالعزير الغفار فقوله العزيز اشارة الى كونه

الوهية الاصنام اى لا ينقطع في وقت ما فيقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء وفعل وفعل اخوان كرسدور شد وان مردنا الى الله اى بالموت عطف على ان ما تدعونني داخل في حكمه وكذا قوله تعالى (وان المسرفين) اى في الضلال والطغيان كالاشراك وسفك الدماء (هم اصحاب النار) اى ملازموها (فستذكرون) وقرئ فستذكرون اى فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب (ما قول لكم) من النصائح (وافوض امرى الى الله) فانه لما انهم كانوا يدعووه (ان الله بصير بالعباد) فيعرض من يلوذ به من المكارة

كامل القدرة وفيه تنبيه على ان الاله هو الذي يكون كامل القدرة واما فرعون فهو في غاية العجز فكيف يكون الها واما الاصنام فانها ابحار منحوتة فكيف بعقل القول يكونها آلهة وقوله الغفار اشارة الى انه لا يجب ان يكونوا آيسين من رحمة الله بسبب اصرارهم على الكفر مدة مديدة فان اله العالم وان كان عزيزا لا يغلب قادرا لا يغالب لكه غفار يغفر كفر سبعين سنة بايمان ساعة واحدة ثم قال ذلك المؤمن لاجرم الكلام في تفسير لاجرم مرفى سورة هود في قوله لاجرم انهم في الآخرة هم الاخسرون وقد اعاده صاحب الكشاف ههنا فقال لاجرم مساقه على مذهب البصريين ان يجعل لاردا لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وانما مع ما في حيزه فاعله اى حق ووجب بطلان دعوته او بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمكم شنان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا اى كسب ذلك الدماء اليه بطلان دعوته بمعنى انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز ان يقال ان لاجرم نظيره لا بد فعل من الجرم وهو القاطع كما ان بد فعل من التبديد وهو التفريق وكما ان معنى لا بد انك تفعل كذا انه لا بد لك من فعله فكذلك لاجرم ان لهم النار اى لا قطع لذلك بمعنى انهم ابد يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام اى لا تزال باطلة لا يتقطع ذلك فينقلب حقا وروى عن بعض العرب لاجرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بدو فعل وفعل اخوان كرشد ورشد وكعدم وعدم هذا كله الفاظ صاحب الكشاف ثم قال انما تدعوننى اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة والمراد أن الاوثان التى تدعوننى الى عبادتها ليس لها دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وفي تفسير هذه الدعوة احتملان (الاول) ان المعنى ان ما تدعوننى الى عبادته ليس له دعوة الى نفسه لانها جادات والجمادات لا تدعو احدا الى عبادة نفسها وقوله في الآخرة يعنى انه تعالى اذا قلبها حيوانا في الآخرة فانها تتبرأ من هؤلاء العابدين (والاحتمال الثانى) ان يكون قوله ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة معناه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة فسميت استجابة الدعوة بالدعوة اطلاقا لاسم أحد المتضايفين على الآخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم قال وان مردنا الى الله فبين ان هذه الاصنام لا فائدة فيها البتة ومع ذلك فان مردنا الى الله العالم بكل المعلومات القادر على كل الممكنات الغنى عن كل الحاجات الذى لا يبدل القول لديه وما هو بظلام للعبيد فأى عاقل يجوز له عقله أن يشتغل بعبادة تلك الاشياء الباطلة وان يعرض عن عبادة هذا الاله الذى لا بد وان يكون مرده اليه وقوله وان المسرفين هم اصحاب النار قال قتادة يعنى المشركين وقال مجاهد السفاكين للدماء والصحيح انهم أسرفوا في معصية الله بالكمية والكيفية اما الكمية فالدوام واما الكيفية فبالعود والاصرار ولما بالغ مؤمن آل فرعون في هذه البيانات ختم كلامه بخاتمة لطيفة فقال فستذكرون ما اقول لكم وهذا كلام مبهم يوجب التعويل ويحتمل

(فوقاه الله سيئات ما مكروا)

شأنهم كرمهم وما هموا به من الخلق أنواع العذاب بمن خالفهم قيل لنجام موسى عليه السلام (وحاق بآل فرعون) أي بفرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة أنه أولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه لما نه فر إلى جبل ناتبة طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرحوا رعبا فقتلهم (سوء العذاب) العرق والقتل والنار (النار) يعرضون عليها غدوا وعشيا (جلة مستأنفة مسوقة لبيان كيفية سوء العذاب والنار) خبر مبتدأ محذوف كأن قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون استئناف للبيان أو بدل من سوء العذاب ويعرضون حال منهما أو من الآل ولا يشترط في الخلق أن يكون الخلق ذلك السوء بعينه حتى يرد أن آل فرعون لم يهملوا بتعذيبه بالنار لكون ابتلاؤهم بها من قبل رجوع ما هموا به عليهم بل يكفي في ذلك أن يكون مما يطلق عليه اسم السوء وقرئت منصوبة على الاختصاص أو باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يسلون فإن عرضهم على النار باحراقهم أي من قولهم عرض الأسارى على السيف إذا قتلوا به وذلك لأرواحهم كما روى ابن مسعود رضي الله عنه أن أرواحهم في أحوال طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا إلى يوم القيامة وذكر الوقتين أما للتخصيص وأما

ففي بينهما فالله

أن يكون المراد أن هذا الذكر يحصل في الدنيا وهو وقت الموت وأن يكون في القيامة وقت مشاهدة الأهل وبالجملة فهو تحذير شديد مقل وافوض امرى إلى الله وهذا كلام من هدد بأمر يخافه فكأنهم خوفوه بالقتل وهو أيضا خوفهم بقوله فستذكرون ما أقول لكم ثم عول في دفع تخويفهم وتأكيدهم ومكرهم على فضل الله تعالى فقال وافوض امرى إلى الله وهو إنما تعلم هذه الطريقة من موسى عليه السلام فإن فرعون لما خوفه بالقتل رجع موسى في دفع ذلك الشر إلى الله حيث قال إني عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب قبح نافع وأبو عمرو الباء من امرى والباقون بالاسكان ثم قال إن الله بصير بالعباد أي عالم بأحوالهم وبمقادير حاجاتهم وتمسك أصحابنا بقوله تعالى وافوض امرى إلى الله على أن الكل من الله وقائنا أن المعتزلة الذين قالوا أن الخير والشر يحصل بقدرتهم قد فوضوا أمر أنفسهم إليهم وما فوضوا إلى الله والمعتزلة تمسكوا بهذه الآية فقالوا إن قوله افوض اعتراف بكونه فاعلاما مستقلا بالفعل والمباحث المذكورة في قوله أعوذ بالله عائدة بتامها في هذا الموضع والله أعلم وههنا آخر كلام مؤمن آل فرعون والله الهادى ﴿ قوله تعالى (فوقاه الله سيئات ما مكروا) وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وأذيت حاجون في النار فيقول الضعفاء الذين استكبروا أنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا أنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أو لم تكن تأتكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا ومادعاء الكافرين (الافى صلال) أعلم أنه تعالى لما بين أن ذلك الرجل لم يقصر في تقرير الدين الحق وفي الذب عنه فالله تعالى رد عنه كيد الكافرين وقصد الفاصدين وقوله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا يدل على أنه لما صرح بتقرير الحق فقد قصدوه بنوع من أنواع السوء \* قال مقاتل لما ذكر هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم إلى الجبل فطلبوه فلم يقدروا عليه وقيل المراد بقوله فوقاه الله سيئات ما مكروا أنهم قصدوا إدخاله في الكفر وصرفه عن الإسلام فوقاه الله عن ذلك إلا أن الأول أولى لأن قوله بعد ذلك وحاق بآل فرعون سوء العذاب لا يليق إلا بالوجه الأول وقوله تعالى وحاق بآل فرعون أي احاط بهم سوء العذاب أي غرقوا في البحر وقيل بل المراد منه النار المذكورة في قوله النار يعرضون عليها قال الزجاج النار بدل من قوله سوء العذاب قال وجاز أيضا أن تكون مرتفعة على أضرار تفسير سوء العذاب كأن قائلا قال ما سوء العذاب فقيل النار يعرضون عليها قرأ حزة حاق بكسر الحاء وكذلك في كل القرآن والباقون بالفتح ما قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا فقيه مسائل (المسئلة الأولى) احتج أصحابنا بهذه الآية على أنبات عذاب القبر قالوا

(سا)

(را)

(٤٢)

تعالى اعلم بحالهم واما للتأنييد  
هذا مادامت الدنيا (ويوم تقوم  
الساعة) يقال للملائكة (ادخلوا  
آل فرعون اشد العذاب) اى  
عذاب جهنم فانه اشد عما كانوا  
فيه او اشد عذاب جهنم فان  
عذابها الوان بعضها اشد من  
بعض وقرئ ادخلوا من الدخول  
اى يقال لهم ادخلوا يا آل  
فرعون اشد العذاب (واذ  
يتحاجون في النار) اى واذ كر  
لقومك وقت تخصمهم فيها  
(فيقول الضعفاء) منهم (الذين  
استكبروا) وهم رؤساؤهم  
(انا كنا لكم تبعا) اتباعا كخدم  
في جمع خادم او ذوى تبع اى  
اتباع على اصنام المضاف اوتبعوا  
على الوصف بالمصدر مبالغة  
(فهل اتم مغنون عنا نصيبا  
من النار) بالرفع او بالحل ونصيبا  
منسوب بمضمر يدل عليه مغنون  
اى دافعون عنا نصيبا الخ او  
مغنون على تضمينه معنى الحل  
اى مغنون عنا حاملين نصيبا  
الخ او نصب على المصدرية كشيئا  
في قوله تعالى لن تعني عنهم اموالهم  
ولا اولادهم من الله شيئا فانه في  
موضع عناء فكذلك نصيبا (ال  
الذين استكبروا انا كل فيها)  
اى نحن وانتم فكيف نفني عنكم  
ولو قدرنا لا عنيانا عن انفسنا  
وقرئ كلا على التأكيذ لاسم  
ان بمعنى كلنا وتوينه عوض  
عن المضاف اليه ولا مساع لعله  
حالا من المستكن في الظرف فانه  
لا يعمل في الحال المتقدمة كما  
يعمل في الظرف المتقدم فانك  
تقول كل يوم لك ثوب ولا  
تقول جديدا لك ثوب (ان  
الله قد حكم بين العباد)

الآية تقضى عرض النار عليهم غدوا وعشيا وليس المراد منه يوم القيامة لانه قال  
ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وليس المراد منه ايضا الدنيا لان  
عرض النار عليهم غدوا وعشيا ما كان حاصله في الدنيا فثبت ان هذا العرض انما حصل  
بعد الموت وقبل يوم القيامة وذلك يدل على اثبات عذاب القبر في حق هؤلاء واذا ثبت  
في حقهم ثبت في حق غيرهم لانه لا فائل بالفرق فان قيل لم لا يجوز ان يكون المراد من  
عرض النار عليهم غدوا وعشيا عرض النصائح عليهم في الدنيا لان اهل الدين اذا ذكروا  
لهم الترغيب والترهيب وخوفوهم بعذاب الله فقد عرضوا عليهم النار ثم نقول في الآية  
ما يمنع من حله على عذاب القبر وبيلته من وجهين (الاول) ان ذلك العذاب يجب ان  
يكون دائما غير منقطع وقوله يعرضون عليها غدوا وعشيا يقتضى ان لا يحصل ذلك  
العذاب الا في هذين الوقتين فثبت ان هذا لا يمكن حله على عذاب القبر (الثاني) ان الغدوة  
والعشية انما يحصلان في الدنيا اما في القبر فلا وجود لهما فثبت بهذين الوجهين انه  
لا يمكن حل هذه الآية على عذاب القبر والجواب عن السؤال الاول ان في الدنيا يعرض  
عليهم كلمات تذكرهم امر النار لانه يعرض عليهم نفس النار فعلى قولهم يصير معنى  
الآية الكلمات المذكورة لامر النار كانت تعرض عليهم وذلك يفضى الى ترك ظاهر  
اللفظ والعدول الى المجاز اما قوله الآية تدل على حصول هذا العذاب في هذين الوقتين  
وذلك لا يجوز قلنا لم لا يجوز ان يكتفى في القبر بايصال العذاب اليه في هذين الوقتين ثم عند  
قيام القيامة يلقى في النار فيدوم عذابه بعد ذلك وايضا لا يمنع ان يكون ذكر الغدوة  
والعشية كناية عن الدوام كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا أما قوله انه ليس في القبر  
والقيامة غدوة وعشية قلنا لم لا يجوز ان يقال ان عند حصول هذين الوقتين لاهل الدنيا  
يعرض عليهم العذاب والله اعلم (المسئلة الثانية) قرأ نافع وحجة والكسائي وحفص  
عن عاصم ادخلوا آل فرعون اى يقال لخزنة جهنم ادخلوهم في اشد العذاب والباقون  
ادخلوا على معنى انه يقال لهؤلاء الكفار ادخلوا اشد العذاب والقراءة الاولى اختيار  
ابى عبيدة واخرج عليها بقوله تعالى يعرضون فهذا يفعل بهم فكذلك ادخلوا واما وجه  
اقرأة الثانية فقوله ادخلوا ابواب جهنم وههنا آخر الكلام في قصة مؤمن آل فرعون  
واعلم ان الكلام في تلك القصة لما انجر الى شرح احوال النار لاجرم ذكر الله عقبيها  
قصة المناظرات التى تجري بين الرؤساء والاتباع من اهل النار فقال واذ يتحاجون في  
النار والمعنى اذكر يا محمد لقومك اذ يتحاجون اى يحاجج بعضهم بعضا ثم شرح خصوصتهم  
وذلك ان الضعفاء يقولون للرؤساء انا كنا لكم تبعا في الدنيا قال صاحب الكشف تبعا  
كخدم في جمع خادم او ذوى تبع اى اتباع او وصفا بالمصدر فهل اتم مغنون عنا نصيبا  
من النار اى فهل تقدرون على أن تدفعوا اليها الرؤساء عنا نصيبا من العذاب واعلم ان  
اولئك الاتباع يعلمون ان اولئك الرؤساء لا قدرة لهم على ذلك التخفيف وانما مقصودهم

وفضى قضاء متفصلاً لمرده  
ولامعقب لحكمه ( وقال الذين  
في النار ) من الضعفاء والمستكبرين  
جميعاً لما ضاقت حيلهم وعيت لهم  
علاهم ( خزنة جهنم ) أى للقوام  
بتعذيب أهل النار ووضع جهنم  
موضع الضيق والتويل والتفطيع  
أولبيان محلهم فيها بأن تكون  
جهنم أبعد دركات النار وفيها  
أغنى الكفرة وأطفاهم ولكون  
الملائكة الموكلين بعذاب أهلها  
قدر على الشفاعة لمزيد قربهم  
من الله تعالى ( ادعوا ربكم يخفف  
عنا يوماً ) أى مقدار يوم وفى يوم  
مامن الأيام على أنه ظرف لامعيار  
شيئاً ( من العذاب ) واقتصارهم  
في الاستدعاء على ما ذكر من  
تخفيف قدر يسير من العذاب  
في مقدار قصير من الزمان دون  
رفعه رأساً وتخفيف قدر كثير  
منه في زمانه ديدلان ذلك عندهم  
بما ليس في حيز الامكان ولا يكاد  
يدخل تحت أمانهم ( قالوا ) أى  
الخرقة ( أولئك تأتيتكم رسلكم  
بالبينات ) أى الم تنبهوا على هذا  
ولم تك تأتيتكم رسلكم في الدنيا  
على الاستمرار بالمعجج الواضحة  
الدالة على سوء مغبة ما كنتم  
عليه من الكفر والمعاصي كما في  
قوله تعالى الم بأنكم رسل مكم  
يتلون عليكم آيات ربكم  
وينذروكم لقاء يومكم هذا  
أرادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم  
على اضاغة وقات الدعاء وتطويل  
اسباب الاجابة ( قالوا بلى ) أى  
أؤنا بهما كذبناهم كما نطق به قوله  
تعالى بلى فداءنا بذرة كذبنا  
وقلنا ما نزل الله من شيء ان  
انتم الا في ضلال كبير  
والفاء في قوله تعالى ( قالوا  
فادعوا ) فصحة كما في

من هذا الكلام المبالغ في تمجيد أولئك الرؤساء وإيلاء قلوبهم لانهم هم الذين سعوا  
في إيقاع هؤلاء الاتباع في انواع الضلالات فعندها يقول الرؤساء انا كل فيها يعني ان  
كلنا واقعون في هذا العذاب فلوقدرت على ازالة العذاب عنك لدفعته عن نفسي ثم  
يقولون ان الله قد حكم بين العباد يعني يوصل الى كل احد مقدار حقه من النعم او  
من العذاب ثم عند هذا يحصل اليأس للاتباع من المتبوعين فيرجعون الى خزنة جهنم  
ويقولون لهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب فان قيل لم لم يقل وقال الذين  
في النار لخزنتها بل قال وقال الذين في النار لخزنة جهنم قلنا فيه وجهان ( الاول )  
ان يكون المقصود من ذكر جهنم التهويل والتفطيع ( والثاني ) ان يكون جهنم اسماً  
لموضع هو ابعد النار قراً من قولهم برز جهنم أى بعيدة القعر وفيها اعظم اقسام  
الكفار عقوبة وخزنة ذلك الموضع تكون اعظم خزنة جهنم عند الله درجة فاذا عرف  
الكفار ان الامر كذلك استغاثوا بهم فأولئك الملائكة يقولون لهم اولم تك تأتيتكم  
رسلكم بالبينات والمقصود ان قبل ارسال الرسل كان للقوم ان يقولوا انه ما جاءنا من  
بشير ولا نذير اما بعد مجئ الرسل فليبق عذرو لالة كما قال تعالى وما كنا معذنين حتى نبعث  
رسولاً وهذه الآية تدل على ان الواجب لا يتحقق الا بعد مجئ الشرع ثم ان أولئك  
الملائكة يقولون للكفار ادعوا انتم فانا لا نجترئ على ذلك ولا نشفع الا بشرطين  
( احدهما ) كون المشفوع له مؤمناً ( والثاني ) حصول الاذن في الشفاعة ولم يوجد  
واحد من هذين الشرطين فاقدامنا على هذه الشفاعة ممنوع لكن ادعوا انتم وليس  
قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة فان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاءه  
فكيف يسمع دعاء الكفار ثم يصرحون لهم بأنه لا اثر لدعائهم فيقولون وما دعاء  
الكافرين الا في ضلال فان قيل ان الحاجة على الله محال واذا كان كذلك امتنع ان  
يقال انه تأذى من هؤلاء المجرمين بسبب جرمهم واذا كان التأذى محالاً عليه كانت  
شهوة الانتقام ممنوعة في حقه اذا ثبت هذا فنقول ايصال هذه المضار العظيمة الى أولئك  
الكفار اضرار لا منفعة فيه الى الله تعالى ولا لاحد من العبيد فهو اضرار خال عن جميع  
الجهات المنتفعة فكيف يلبق بالرحيم الكريم ان يبقى على ذلك الايلاء ابد الاباد ودهر  
الداهرين من غير ان يرجح حاجتهم ومن غير ان يسمع دعاءهم ومن غير ان يلتفت الى  
تضرعهم وانكسارهم ولوان اقصى الناس قلباً فعل مثل هذا التعذيب ببعض عبده  
لدعاه كرمه ورحمته الى العفو عنه مع ان هذا السبب في محل النفع والضرر والحاجة فآكرم  
الاكرمين كيف يليق به هذا الاضرار قلنا افعال الله لا تتعلل ولا يستل عما يفعل وهم  
يسئلون فلما جاء الحكم الحق به في الكتاب الحق وجب الاقرار به والله أعلم بالصواب  
\* له تعالى ( اناللتصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم  
لا ينفذ الظالمين معذرتهم ولهم العنة ولهم سوء الدار ولقد آتينا موسى الهدى واورثنا

بنى اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولى الالباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك  
وسبح بحمديك بالعشى والابكار ) اعلم ان في كيفية النظم وجوها ( الاول ) انه تعالى  
لما ذكر وقاية الله موسى صلوات الله عليه وذلك المؤمن من مكر فرعون بين في هذه الآية  
انه ينصر رسله والذين آمنوا معه ( الثاني ) لما بين من قبل ما يقع بين اهل النار من  
التخاصم وانهم عند الفزع الى خزنة جهنم يقولون الم تلك تأتيكم رسلكم بالبينات اتبع ذلك  
بذكر الرسل وانه ينصرهم في الدنيا والآخرة ( الثالث ) وهو الاقرب عندي ان الكلام  
في اول السورة انما وقع من قوله ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغركم تقلبهم  
في البلاد وامتداد الكلام في الرد على أولئك المجادلين وعلى ان المحقين ابدًا كانوا مشغولين  
بدفع كيد المبطلين وكل ذلك انما ذكره الله تعالى تسلياً للرسول صلى الله عليه وسلم  
وتصبر اليه على تحمل أذى قومه ولما بلغ الكلام في تقرير المطلوب الى الغاية القصوى  
وعد تعالى رسوله بأن ينصره على اعدائه في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقال انا اننصر  
رسلنا الآية اما في الدنيا فهو المراد بقوله في الحياة الدنيا واما في الآخرة فهو المراد بقوله  
ويوم يقوم الاشهاد فحاصل الكلام انه تعالى وعد بأنه ينصر الانبياء والرسل وينصر  
الذين ينصرونهم نصرة يظهر اثرها في الدنيا وفي الآخرة واعلم ان نصرة الله المحقين تحصل  
بوجوه ( احدها ) النصرة بالحجة وقد سمى الله بالحجة سلطاناً في غير موضع وهذه النصرة  
عامه للمحقين اجمع ونعم مسمى الله هذه النصرة سلطاناً لان السلطنة في الدنيا قد تبطل  
وقد تبدل بالفقر والذلة والحاجة والفقر اما السلطنة الحاصلة بالحجة فانها تبقى ابد  
الابد ويمتنع تطرق الخلل والفتور اليها ( وثانيها ) انهم منصورون بالمدح والتعظيم فان  
الظلمة وان قهروا شخصاً من المحقين الا انهم لا يقدررون على اسقاط مدحه عن السنة  
الناس ( وثالثها ) انهم منصورون بسبب ان بواطنهم مملوءة من انوار الحجة وقوة اليقين  
فانهم انما ينظرون الى الظلمة والجهال كما تنظر ملائكة السموات الى اخس الاشياء  
( ورابعها ) ان المبطلين وان كان يتفق لهم ان يحصل لهم استيلاء على المحقين ففي الغالب  
ان ذلك لا يدوم بل يكشف للناس ان ذلك كان امراً وقع على خلاف الواجب ونقيض  
الحق ( وخامسها ) ان المحق ان اتفق له ان وقع في نوع من انواع المحذور فذلك يكون  
سبباً لمزيد ثوابه وتعظيم درجاته ( وسادسها ) ان الظلمة والمبطلين كما يموتون تموت آثارهم  
ولا يبقى لهم في الدنيا اثر ولا خبر واما المحقون فان آثارهم باقية على وجه الدهر والناس  
بهم يقتدون في اعمال البر والخير ولحنهم يتركون فهذا كله انواع نصرة الله للمحقين  
في الدنيا ( وسابعها ) انه تعالى قد ينقم للانبياء والاولياء بمد موتهم كما ينصر يحيى بن زكريا  
فانه قتل قتل به سبعون الفا واما نصرة تعالى اياهم في الآخرة فذلك باعلاء درجاتهم  
في مراتب الثواب وكونهم مصاحبين لانبياء الله كما قال فأولئك مع الذين انعم الله عليهم  
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا واعلم ان في قوله انا

قول من قال : فقد جثسا  
خراسانا \* اي اذا كان الامر  
كذلك فادعوا اتم فان الدعاء  
لمن يفعل ذلك مما يستحيل  
صدوره عنا وتعليل امتناعهم عن  
الدعاء بعدم الاذن فيه مع عرائه  
عن بيان ان سببه من قبلهم كما  
تقصص عنه الفناء ربما يوهم ان  
الاذن في حيز الامكان وانهم لو اذن  
لهم فيه لفعلوا ولم يريدوا بأمرهم  
بالدعاء اطعاهم في الاجابة بل  
افسأطهم منها واطهار خبيثهم  
حسباً صرحوا به في قولهم ( وما  
دعاء الكافرين الا في ضلال ) اي  
ضبايع وبطلان وقوله تعالى  
( انا لننصر رسلنا والذين آمنوا )  
الح كلام مستأنف مسوق من  
جهة تعالى لبيان ان ما اصاب  
الكفرة من العذاب المسمى من  
فروع حكم كل مقتضيه الحكمة  
وهو ان شأنا المستقر اننا نصبر  
رسلنا واتباعهم ( في الحياة الدنيا )  
بالحجة والظفر والانتقام لهم من  
الكفرة بالاستئصال والقتل  
والسي وغير ذلك من العقوبات  
ولا يندح في ذلك ما قد يتفق لهم من  
صورة العابة امتحاناً اذ العبرة انما  
هي بالعواقب وغالب الامر ( ويوم  
يقوم الاشهاد ) اي يقوم القيامة عبر  
عنه بذلك للاشعار بكيفية النصرة  
وانها تكون عند جميع الاولين  
والاخرين بشهادة الاشهاد  
لرسل التبليغ وعلى الكفرة  
بالتكذيب ( يوم لا ينفع الظالمين  
معذرتهم ) يدل من الاول وعدم  
نفع المعذرة لانها باطلة وقرئ  
لا تنفع بالتاء ( ولهم اللعنة )  
اي البعد عن الرحمة ( ولهم  
سوء الدار ) اي جهنم ( ولقد آتينا

موسى الهدى) ما يهتدى به من

المجرات والصحف والشرائع  
(واورثنا بنى اسرائيل الكتاب)  
وتركنا عليهم من بعده التوراة  
(هدى وذكرى) هداية وتذكرة  
او هاديا ومذكرا (لاولى الالباب)  
لذوى العقول السلية العالمين  
بما فى تضاعيفه (فاصر) على ما  
نال من اذية المشركين (ان  
وعدا الله) اى وعده الذى ينطق  
به قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا  
لعبادنا المرسلين انهم لهم  
المصورون وان جندنا لهم  
الغالبون اوعده الخاص بك  
او جميع مواعيده التى من جملتها  
ذلك (حق) لا يحتمل الاخلاف  
اصلا واستشهد بحال موسى  
وفرعون (واستغفر لذنبك)  
تدار كالمافط منك من ترك  
الاولى فى بعض الاحايين فانه  
تعالى كافيك فى نصره دينك  
واظهاره على الدين كله (وسمى  
بمحمد ريك بالعشى والابكار)  
اى ودم على النسيج ملتبسا بمحمد  
تعالى وقيل صل لهذين الوقتين  
اذ كان الواجب بمكة تركعتين  
بكرة وركعتين عشيا وقيل صل  
شكرا لربك بالعشى والابكار  
وقيل هما صلاة العصر وصلاة  
الفجر (ان الذين يجادلون فى  
آيات الله) ويحمدون بها (بنير)  
سلطان اتاهم فى ذلك من جهته  
تعالى وتقيد المجادل بذلك مع  
استخالة اتبانه للايدان بأن  
التكلم فى امر الدين لا بد من  
استناده الى سلطان ميقن البتة  
وهذا عام لكل مجادل مبطل  
وانزل فى مشركى مكة وقوله  
تعالى (ان فى صدورهم الاكبر)  
خبير لان اى ما فى قلوبهم  
الا لا تكبر عن الحق وتعتظم عن

لننصر رسلنا الى قوله يوم يقوم  
بعض خواصه بالاكرام العظيم والتشريف الكامل عند حضور الجمع العظيم من اهل  
المشرق والمغرب كان ذلك ألدوا بهج فقوله ان النصر رسلنا الى يوم يقوم الاشهاد المقصود  
منه هذه الدققة واختلفوا فى المراد بالاشهاد والظاهر ان المراد كل من يشهد بعمل العباد  
يوم القيامة من ملك ونبي ومؤمن اما الملائكة فهم الكرام الكاتبون يشهدون بما  
شاهدوا واما الانبياء فقال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئناك على هؤلاء  
شهادا وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول  
عليكم شهيدا قال المبرد يجوز ان يكون واحد الاشهاد شاهدا كطيار وطار واصحاب  
وصاحب ويجوز ان يكون واحد الاشهاد شهيدا كاشراف وشريف وايتام ويتيم ثم  
قال تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار قرأ ابن كثير وابوعرو  
وابن عامر لا تنفع بالنساء لتأنيث المعذرة والباقون بالياء كانه اريد الاعتذار واعلم ان  
المقصود ايضا من هذا شرح تعظيم ثواب اهل الثواب وذلك لانه تعالى بين انه ينصرهم  
فى يوم يجتمع فيه الاولون والآخرين فخالهم فى علو الدرجات فى ذلك اليوم ما ذكرناه واما  
حال اعدادهم فهو انه حصلت لهم امور ثلاثة (احدها) انه لا ينفعهم شئ من المعاذير البتة  
(وثانيها) ان لهم اللعنة وهذا يفيد الحصر يعنى اللعنة مقصورة عليهم وهى الاهانة  
والاذلال (وثالثها) سوء الدار وهو العقاب الشديد فهذا اليوم اذا كان الاعداء واقعين  
فى هذه المراتب الثلاثة من الوحشة والبلى ثم انه خص الانبياء والاولياء بأنواع  
التشريفات الواقعة فى الجمع الاعظم فهنا يظهر ان سرور المؤمن كم يكون وان غوم  
الكافرين الى اين تبلغ فان قيل قوله يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم يدل على انهم يذكرون  
الاعتذار الا ان تلك الاعتذار لا تنفعهم فكيف الجمع بين هذا وبين قوله ولا يؤذن لهم  
فيعتذرون قلنا قوله لا تنفع الظالمين معذرتهم لا يدل على انهم ذكروا الاعتذار بل ليس فيه  
الا انه ليس عندهم عذر مقبول نافع وهذا القدر لا يدل على انهم ذكروه أم لا وايضا فيقال  
يوم القيامة يوم طويل فيعتذرون فى وقت ولا يعتذرون فى وقت آخر ولما بين الله تعالى  
انه ينصر الانبياء والمؤمنين فى الدنيا والآخرة ذكر نوعا من انواع تلك النصرة فى الدنيا  
فقال ولقد آتينا موسى الهدى ويجوز ان يكون المراد من الهدى ما آتاه الله من العلوم  
الكثيرة النافعة فى الدنيا والآخرة ويجوز ان يكون المراد تلك الدلائل القاهرة التى  
أوردها على فرعون واتباعه وكادهم بها ويجوز ان يكون المراد هو النبوة التى هى اعظم  
المناصب الانسانية ويجوز ان يكون المراد انزال التوراة عليه ثم قال تعالى وأورثنا بنى  
اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولى الالباب يجوز ان يكون المراد منه انه تعالى لما  
أنزل التوراة على موسى بقى ذلك العلم فيهم وتوارثوه خلفا عن سلف ويجوز ان يكون المراد  
سائر الكتب التى انزلها الله عليهم وهى كتب انبياء بنى اسرائيل التوراة والزبور



والأنجيل والفرق بين الهدى والذى ان الهدى ما يكون دليلا على الشيء وليس من شرطه ان يذكر شيئا آخر كان معلوما صارا منسيا واما الذى كرى فهو الذى يكون كذلك فكتب انبياء الله مشتملة على هذين القسمين بعضها دلائل في انفسها وبعضها مذكرات لما ورد في الكتب الالهية المتقدمة ولما بين ان الله تعالى ينصر رسله وينصر المؤمنين في الدنيا والآخرة وضرب المثال في ذلك بحال موسى وخاطب بعد ذلك محمدا صلى الله عليه وسلم فقال فاصبر ان وعد الله حق قاله ناصرك كما نصرهم ومنجز وعده في حقك كما كان كذلك في حقهم ثم امره بأن يقبل على طاعة الله النافعة في الدنيا والآخرة فان من كان لله كان الله له واعلم ان مجاميع الطاعات محصورة في قسمين التوبة عما لا ينبغي والاشتغال بما ينبغي والاول مقدم على الثاني بحسب الرتبة الذاتية فوجب ان يكون مقدما عليه في الذكرا اما التوبة عما لا ينبغي فهو قوله واستغفر لذنبك والطاعونون في عصمة الانبياء عليهم السلام يتسكون به ونحن نحمله على التوبة عن ترك الاولى والافضل او على ما كان قد صدر عنهم قبل النبوة وقيل ايضا المقصود منه محض التعبد كما في قوله ربنا وآتانا وعدتنا على رسلك فان اتاه ذلك الشيء واجب ثم انه امرنا بطلبه وكقوله رب احكم بالحق مع اننا نعلم انه لا يحكم الا بالحق وقيل اضافة المصدر الى الفاعل والمفعول فقوله واستغفر لذنبك من باب اضافة المصدر الى المفعول اى واستغفر لذنب امتك في حقك واما الاشتغال بما ينبغي فهو قوله وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار والتسبيح عبارة عن تنزيه الله عن كل ما لا يليق به والعشى والابكار قيل صلاة العصر وصلاة الفجر وقيل الابكار عبارة عن اول النهار الى النصف والعشى عبارة عن النصف الى آخر النهار فيدخل فيه كل الاوقات وقيل المراد طرفي النهار كما قال واقم الصلاة طرفي النهار وبالجمله فالمراد منه الامر بالمواظبة على ذكر الله وان لا يفتر اللسان عنه وان لا يغفل القلب عنه حتى يصير الانسان بهذا السبب داخلا في زمرة الملائكة كما قال في وصفهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون والله اعلم \* قوله تعالى ( ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم ان صدورهم الاكبر ما هم بالعبه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلا ما تذكرون ان الساعة لا تية لاريب فيها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ) اعلم اننا بينا ان الكلام في اول هذه السورة انما ابتدئ ردا على الذين يجادلون في آيات الله واتصل البعض ببعض وامتد على الترتيب الذى لخصناه والنسق الذى كشفنا عنه الى هذا الموضع ثم انه تعالى فيه في هذه الآية على الداعية التى تحمل اولئك الكفار على تلك المجادلة فقال ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان انما يحملهم على هذا الجدل الباطل كبر في صدورهم فذلك الكبر هو الذى يحملهم على هذا الجدل الباطل وذلك الكبر هو انهم لو سلخوا نبوتك لزمهم ان يكونوا

تسكروا وتعلموا او الا ارادة الرئاسة والتقدم على الاطلاق او الا ارادة ان تكون النبوة لهم دونك حسدا وبغيا حسبا قالوا لولا نزل هذا القرآن على راحل من القرينتين عظيم وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولذلك يجادلون فيها لا ان فيها موقع جدال ما او ان شيئا يتوهم ان يصلح مدارا لمجادلتهم في الجملة وقوله تعالى ( ما هم ببالغيه ) صفة لكبر فال محاهد ما هم ببالغى مقتضى ذلك الكبر وهو ما ارادوه من الرئاسة او النبوة وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست صاحبنا المذكور في التوراة بل هو المسيح ابن داود يريدون الدجال يخرج في آخر الزمان ويبلغ ساطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله تعالى فيرجع اليها الملك فسمى الله تعالى تمتهم ذلك كبر او نفي ان يبلغوا امتحانهم ( فاستعذ بالله ) اى فالتجئ الىه من كيد من يحسدك ويغيب سلك وفيه رمز الى انه من همرات الشياطين ( انه هو السميع البصير ) لا قوالكم وفعالكم وقوله تعالى ( لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ) تحقيق للحق وتبيين لانه ما يجادلون فيه من امر البعث على منهاج قوله تعالى وليس الذى خلق السموات والارض

تحت يدك وامرك ونبيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة وفي صدورهم كبر لا يرضون ان يكونوا في خدمتك فهذا هو الذي يحملهم على هذه المجادلات الباطلة والمخاصمات الفاسدة ثم قال تعالى ما هم بالقيع يعني انهم يريدون ان لا يكونوا تحت يدك ولا يصلون الى هذا المراد بل لابد وان يصيروا تحت امرك ونبيك ثم قال فاستعذ بالله اى فالتجى اليه من كيد من يجادلك انه هو السميع بما يقولون او تقول البصير بما تعمل ويعلمون فهو يجعلك نافذ الحكم عليهم ويصونك عن مكرهم وكيدهم واعلم انه تعالى لما وصف جداهم في آيات الله بأنه بغير سلطان ولا حجة ذكر لهذامننا لافقال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس والقادر على الاكبر قادر على الاصغر لا محالة وتقرير هذا الكلام ان الاستدلال بالشئ على غيره على ثلاثة اقسام ( احدها ) ان يقال لما قدر على الاضعف وجب ان يقدر على الاقوى وهذا فاسد ( وانيها ) ان يقال لما قدر على الشئ قدر على مثله فهذا استدلال حق لما ثبت في العقول ان حكم الشئ حكم مثله ( واثالثها ) ان يقال لما قدر على الاقوى الاكل فبأن يقدر على الاقل الارذل كان اولي وهذا الاستدلال في غاية الصحة والقوة ولا يرتاب فيه عاقل البتة ثم ان هؤلاء القوم يسلمون ان خلق السموات والارض هو الله سبحانه وتعالى ويعلمون بالضرورة ان خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وكان من حقهم ان يقولوا بأن القادر على خلق السموات والارض يكون قادرا على اعادة الانسان الذي خلقه ولا فهذا برهان جلي في افادة هذا المطلوب ثم ان هذا البرهان على قوته صار بحيث لا يعرفه اكثر الناس والمراد منهم الذين يتكرون الحشر والتشرف فظهر بهذا المثال ان هؤلاء الكفار يجادلون في آيات الله بغير سلطان ولا حجة بل بمجرد الحسد والجهل والكبر والتعصب ولما بين الله تعالى ان الجدال المقرون بالكبر والحسد والجهل كيف يكون وان الجدال المقرون بالجهل والبرهان كيف يكون به تعالى على الفرق بين البابين بذكر المثال فقال وما يستوى الاعمى والبصير يعني وما يستوى المستدل والجاهل المقلد ثم قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء فالمراد بالاول التفاوتين العالم والجاهل والمراد بالثاني التفاوت بين الآتى بالاعمال الصالحة وبين الآتى بالاعمال الفاسدة الباطلة ثم قال قليلا ما يتذكرون يعني انهم وان كانوا يعلمون ان العلم خير من الجهل وان العمل الصالح خير من العمل الفاسد الا انه قليلا ما يتذكرون في النوع المعين من الاعتقاد انه علم اوجهل والنوع المعين من العمل انه عمل صالح او فاسد فان الحسد يعمى قلوبهم فيعتقدون في الجهل والتقليد انه محض المعرفة وفي الحسد والحق ذو الكبر انه محض الطاعة فهذا هو المراد من قوله قليلا ما يتذكرون قرأ صام وحزة والكسائي تنذكرون بالتاء على الخطأ اى قل لهم قليلا ما يتذكرون والباقيون بالياء على الغيبة ولما قرر الدليل الدال على امكان وجود يوم القيامة اردفه بأن اخبر عن وقوعها ودخولها في الوجود فقال ان الساعة لا تية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون

بقادر على ان يخلق مثلهم ( ولكن اكثر الناس لا يعلمون ) لتصورهم في النظر والتأمل لفرط غفلتهم وتباعدهم لا هوانهم ( وما يستوى الاعمى والبصير ) اى الغافل والمستبصر ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء ) اى والحسن والمسيء فلا بد ان يكون لهم حال اخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهى فيما بعد البعث وزيادة لافى المسىء لتأكيد النفي لطول الكلام بالصلة ولان المقصود نفي مساواته للحسن فيما نه من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتجمل ( قليلا ما يتذكرون ) على الخطأ بطريق الالتفات اى تذكر قليلا تتذكرون ورمى على الغيبة والضمير للناس او الكفار ( ان الساعة لا تية لا ريب فيها ) اى في عيئها الوضوح شواهدا واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ( ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ) لا يصدقون بهالقصور انظارهم على خواهر ما يحسون به ( وقال ربكم ادعوني ) اى اعبدوني ( استجب لكم ) اى استجب لقوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اى صاعرين ادلاء وان فسر الدعاء بالسؤال كان الامر الصارف عنه

والمراد بأكثر الناس الكفار الذين يتكبرون البعث والقيامة ﴿ قوله تعالى ( وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لدوفضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لاله الا هو فاني تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يمجحدون ) اعلم انه تعالى لما بين أن القول بالقيامة حق وصدق وكان من المعلوم بالضرورة ان الانسان لا يتنفع في يوم القيامة الابطاعة الله تعالى لاجرم كان الاشتغال بالطاعة من اهم المهمات ولما كان اشرف انواع الطاعات الدعاء والتضرع لاجرم امر الله تعالى به في هذه الآية فقال وقال ربكم ادعوني استجب لكم واختلف الناس في المراد بقوله ادعوني فقيل انه الامر بالدعاء وقيل انه الامر بالعبادة بدليل انه قال بعده ان الذين يستكبرون عن عبادتي ولولان الامر بالدعاء امر بمطلق العبادة لما بقي لقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي معنى وايضا الدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن كقوله ان يدعون من دونه الا انا و اوجب عنه بأن الدعاء هو اعتراف بالعبودية والذلة والمسكنة فكانه قيل ان تارك الدعاء انما تركه لاجل ان يستكبر عن اظهار العبودية وأوجب عن قوله ان الدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن بأن ترك الظاهر لا يصار اليه الا بدليل منفصل فان قيل كيف قال ادعوني استجب لكم وقديدي كيرا فلا يستجاب أجاب الكعبى عنه بان قال الدعاء انما يصح على شرط ومن دما كذلك استجب له وذلك الشرط هو ان يكون المطلوب بالدعاء مصلحة وحكمة ثم سأل نفسه فقال فاهو اصلح يفعله بلادعاء فالفائدة في الدعاء واجاب عنه من وجهين ( الاول ) ان فيه الفزع والانقطاع الى الله ( والثاني ) ان هذا ايضا وارد على الكل لانه ان علم انه يفعله فلا بد وان يفعله فالفائدة في الدعاء وان علم انه لا يفعله فانه البتة لا يفعله فالفائدة في الدعاء وكل ما يقولونه ههنا فهو جوابا لهذا تمام ما ذكره وعندى فيه وجه آخرو هو انه قال ادعوني استجب لكم فكل من دعا الله وفي قلبه درجة من الاعتماد على ماله وجهه واقاربه واصدقائه وجدده واجتهاده فهو في الحقيقة ماداء الله الابالسان اما بالقلب فانه معول في تحصيل ذلك المطلوب على غير الله فهذا الانسان مادما ربه في وقت اما اذا دعا في وقت لا يبقى في القلب التفات الى غير الله فالظاهر انه تحصل الاستجابة اذا عرفت هذا ففيه بشارة كاملة وهى ان انقطاع القلب الى الكلية اسوى الله لا يحصل الا عند القرب من الموت فان الانسان قاطع في ذلك الوقت بأنه لا ينفعه شيء سوى فضل الله تعالى فعلى القانون الذي ذكرناه وجبان يكون الدعاء في ذلك الوقت مقبولا عند الله ونرجو من فضل الله واحسانه ان يوفقا للدعاء المقرون بالاخلاص والتضرع في ذلك الوقت واعلم ان الكلام المستقصى في الدعاء قد سبق ذكره في سورة البقرة ثم قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اى صاغرين وهذا احسان عظيم من الله تعالى حيث ذكر الوعيد الشديد على ترك الدعاء فان

مزلما زله الاستكبار عن العبادة بمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من افضل ابوابها وقرى سيدخلون على صيغة المنفعل من الادخال ( الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ) فالحق ما ردا مطما ليؤدى الى صعب المحركات وهذا الخواس لتسبح بحمده فيه وتقديم الممار والحرور على المعول قد مر سره مرارا ( والهمار مبصرا ) اى مبصر فيه او به ( ان الله لدوفضل ) عظيم لا يوازيه ولا يداهيه فضل ( على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ) لحملهم بالمع والاعمالهم مواضع المم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ( ذلكم ) المنفرد بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية ( الله ربكم خالق كل شيء لاله الا هو ) اجبار مترادفة تخصص اللاهقة منها السابقة وتقرر هو قرى خالق ما انصب على الاختصاص فيكون لاله الا هو سنا فاما هو كالتيحة الاوصاف المذكورة ( فاني تؤفكون ) فكيف ومن اى وحده تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة غيره ( كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يمجحدون ) اى مثل ذلك الافك العيب الذى لا وجه له ولا يصح اصلا يؤفك كل من جحد باياته تعالى اى آية كانه لا يهك اخرله وجهه ومصحح

(الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء) بيان لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان وقوله تعالى (وصوركم فأحسن صوركم) بيان لفضله المتعلق بأنفسهم والفاء في فأحسن تفسيرية فان الاحسان عين التصوير اى صوركم احسن تصوير حيث خلقكم منتصي القامة ادى البشرة متناسي الاعضاء والخططات متميئين لمراولة الصنائع واكتساب الكمالات (ورزقكم من الطيبات) اى اللذائذ (لكم) لدى نعمت بما ذكر من النعمت الخلية (الله ربكم) احسان لذكركم (فتبارك الله) اى تعالى بذاته (رب العالمين) اى ما لكم ومريهم والكل تحت ملكوته مفتقر اليه في ذاته ووحدوه وسائر احواله جميعا بحيث لو انقطع فيضه عنه آنا لانعدم بالكلية (هو الحى) التفرد بالحياة الداتية الحقيقية (لا اله الا هو) اذ لا موجود يدانيه في ذاته وصفاته وافعاله (فادعوه) فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجهه تعالى (مخلصين له الدين) اى الطاعة من الشرك الجلى والحقى (الحمد لله رب العالمين) اى قائلين ذلك \* عن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين (قل ائني نيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لماسا فى البيئات من رى) من الحجج والآيات او من الآيات لكونها مؤيدة لادلة العقل منبهة عليها فان الآيات التنزيلية مفسرات للآيات التكوينية الاتقية والا نفسية (وامرأتان اسلما رب

قيل روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حكاية عن رب العزرائه قال من شغله ذكرى عن مسئلتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين فهذا الخبر يقتضى ان ترك الدعاء افضل وهذه الآية تدل على ان ترك الدعاء بوجوب الوعيد الشديد فكيف الجمع بينهما قلنا لاشك ان العقل اذا كان مستغرقا في الشاء كان ذلك افضل من الدعاء لان الدعاء طلب للحظ والاستعراق في معرفة جلال الله افضل من طلب الحظ اما اذا لم يحصل ذلك الاستعراق كان الاشتغال بالدعاء اولى لان الدعاء يشتمل على معرفة عزة الربوبية وذلة العبودية ثم قال تعالى الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه واعلم ان تعلقه بمقابله من وجهين (الاول) كانه تعالى قال ائني انعمت عليك قبل طلبك لهذه النعم الخلية العظيمة ومن انعم قبل السؤال بهذه النعم العالبة فكيف لا ينعم بالاشياء القليلة بعد السؤال (والثاني) انه تعالى لما امر بالدعاء فكا أنه قل الاشتغال بالدعاء لا بد وان يكون مسوقا بمحصل المعرفة بها الدليل على وجود الاله القادر وقد ذكر الله تعالى هذه الدلائل العشرة على وجوده وقدرته وحكمته واعلم انا بينا ان دلائل وجود الله وقدرته اما فلكية واما عنصرية واما الفلكيات فاقسام كثيرة (احدها) تعاقب الليل والنهار وكان اكثر مصالح العالم مربوطا بهما فذكرهما الله تعالى في هذا المقام وبين ان الحكمة في خلق الليل حصول الراحة بسبب النوم والسكون والحكمة في خلق النهار ابصار الاشياء ليحصل مكنة لتصرف فيها على الوجه الانفع اما ان السكون في وقت النوم سبب للراحة فيبانه من وجهين (الاول) ان الحركات توجب الاعياء من حيث ان الحركة توجب السخونة والجفاف وذلك يوجب التألم (والثاني) ان الاحساس بالاشياء انما يمكن بايصال الارواح الجسمانية الى ظاهرها الحس ثم ان تلك الارواح تحلل بسبب كثرة الحركات فتضعف الحواس والاحساسات واذ انما الانسان عادت الارواح الحساسة في باطن البدن وركرت وقويت وتخلصت عن الاعياء وايضا الليل بارد رطب فبرودته ورطوبته يتداركان ما حصل في النهار من الحر والجفاف بسبب ما حدث من كثرة الحركات فهذه هى المنافع المعلومة من قوله تعالى الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه واما قوله والنهار مبصرا فاعلم ان الانسان مدنى بالطبع ومعناه انه مالم يحصل مدينة تامة لم تنظم مهمات الانسان في مأ كوله ومشروبه وملبسه ومنكحه وتلك المهمات لا تحصل الا باعمال كثيرة وتلك الاعمال تصرفات في أمور وهذه التصرفات لا تكمل الا بالضوء والنور حتى يمر الانسان بسبب ذلك النورين ما يوافق وبين ما لا يوافق فهذا هو الحكمة في قوله والنهار مبصرا فان قيل كان الواجب بحسب رعاية النظم ان يقال هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار لتبصروا فيه او جعل لكم الليل ساكنا ولكنه لم يقل كذلك بل قال في الليل لتسكنوا فيه وقال في النهار مبصرا فالقائمة فيه وايضا فالحكمة في تقديم ذكر الليل على ذكر النهار مع ان النهار اشرف من الليل قلنا اما الجواب عن الاول فهو ان الليل والنوم في

العالمين) اي بان انقادله واخص له ديبى (هو الذى حلتكم من تراب) اي فى ضمن خلق آدم عليه الصلاه والسلام من حسبا من تصفقه مرارا (م من نطفة) اي ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة اي مى (ثم من سلقه ثم يخرجكم طفلا) اي اطفالا والافراد لارادة الخفس والارادة كل واحد من افراد (م لتبلغوا اشدكم) علة اخبركم معطونه على علة اخرى له مناسبة له كانه قيل ثم يخرجكم طعلا لتكبروا شيئا فشيئا ثم اتبلعوا كلكم فى القوة والعقل وكذا الكلام فى قوله تعالى (ثم لتكونوا شيوخا) ويجوز عطفه على اتبلعوا وقرى نفعكم بقوله تعالى طعلا (ومكم من يتوفى من قبل) اي من قبل السجوخة بعد بلوع لاشدا وقيله ايضا (ولتبلعوا) متعلق بفعل مقدر بعده اي ولتبلعوا (اجلاسمى) هو وقت الموت او يوم القيامة يفعل ذلك (ولعلكم تعقلون) ولكى تعقلوا ما فى ذلك من فنون الحكم والعبر (هو الذى يحيى الاموات) ويعت (الاحياء او الذى يفعل الاحياء والامانة) فادقنى امرا (اي اراد امرا من الامور) فانما يقول له كن فيكون (من غير ترفق على شي من الاسماء اصلا وهذا تميل لتأثير قدرته تعالى فى المدورات عند تعلق ارادته بها وتصوير لسرعة تنب المكونات على تكوينه من غير ان يكون هناك أمر ومأمور والهاء الاولى لادالة على ان ما بعده من نتائج ما قبلها من اخصاص الاحياء والامانة

الحقيقة طبيعة عدمية فهو غير مقصود اما اليقظة فأور وجودية وهى مقصودة بالذات وقد بين الشيخ عبدالقاهر النحوى فى (دلائل الإعجاز) ان دلالة صيغة الاسم على التمام والكمال اقوى من دلالة صيغة الفعل عليها فهذا هو السبب فى هذا الفرق والله اعلم واما الجواب عن الثانى فهو ان الطلقة طبيعة عدمية والور طبيعة وجودية والعدم فى المحدثات مقدم على الوجود ولهذا السبب قال فى اول سورة الانعام وجعل الظلمات والنور واعلم انه تعالى لما ذكر ما فى الليل والنهار من المصالح والحكم البالغة قال ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون والمراد ان فضل الله على الخلق كبير جدا ولكمهم لا يشكرون واعلم ان ترك الشكر لوجوه (احدها) ان يعتقد الرجل ان هذه النعمة ليست من الله تعالى مثل ان يعتقد ان هذه الافلاك واجبة الوجود لذواتها وواجبة الدوران لذواتها فحينئذ هذا الرجل لا يعتقد ان هذه النعم من الله (وانيتها) ان الرجل وان اعتقد ان كل هذا العالم حصل بتخليق الله وتكوينه الا ان هذه النعم عظيمة اعنى نعمة تعاقب الليل والنهار لمادامت واستمرت نسما الانسان فاذا ابتلى الانسان بفقد ان تسمى منها عرف قدرها مثل ان يتفق لبعض الناس والعباد بالله ان يحبس بعض الظلمة فى آبار عميقة مظلمة مديدة فحينئذ يعرف ذلك الانسان قدر نعمة الهواء الصافي وقدر نعمة الضوء ورأيت بعض الملوك كان يعذب بعض خدمه بأن امر أقواما حتى يمعونه عن الاستناد الى الجدار وعن النوم فعظم وقع هذا التعذيب (ونالتها) ان الرجل وان كان عارفا بمواقع هذه النعم الا انه يكون حريصا على الدنيا محبا للمال والجاه فاذا قاته المال الكثير والجاه العريض وقع فى كفران هذه النعم العظيمة ولما كان اكثر الخلق هالكين فى احد هذه الاودية الثلاثة التى ذكرناها لاجرم قال تعالى ولكن اكثر الناس لا يشكرون ونظيره قوله تعالى وقل ابلّيس ولا تجدا كثركم ساكرين ولما بين الله تعالى تلك الدلائل المذكورة وجود الاله القادر الرحيم الحكيم قال ذلكم الله ربكم خالق كل شئ لاله الا هو قال صاحب الكشاف ذلكم المعلوم المميز بالافعال الخاصة التى لا يشاركه فيها احد هو الله ربكم خالق كل شئ لاله الا هو اخبار مترادفة اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شئ وانه لا نافي له فأتى تؤفكون والمراد فأتى تصرفون ولم تعدلون عن هذه الدلائل وتكذبون بهام قال تعالى كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يحجدون يعنى ان كل من جحد بآيات الله ولم يأملها ولم يكن فيه همة الطلب الحق وخوف العقاب اهلك كما افكوا \* قوله تعالى الله الذى حمل لكم الارض قرارا والسماء بناء صوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم قبارك الله رب العالمين هو الحى لاله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وامرت ان اسلم لرب العالمين هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من

به سبحانه ( ألم تر الى الذين  
يحجادلون في آيات الله انى  
يصرفون ) تعجب من احوالهم  
الشنيعة وآرائهم الركيكة وتجهيد  
لما يقبه من بيان نكذبيهم بكل  
القرآن وسائر الكتب والنثرع  
وترتيب الوعيد على ذلك كما  
ما سبق من قوله تعالى ان الذين  
يحجادلون في آيات الله الخ بيان  
لابتلاء حدالهم على مبنى فاسد  
لا يكاد يدخل تحت الوجود هو  
الانسية للعارة فلا كبر فيه اى  
انظر الى هؤلاء المكابرين  
الحادلين في آياته تعالى الواضحة  
الموحية لليمان بها الزجرة عن  
الحدل فيها كيف يصرفون عنها  
مع تعاضد الدواعى الى الاقبال  
عليها واتقاء الصوارف عنها  
بالكلية وقوله تعالى ( الذين  
كذبوا بالكتاب ) اى بكل القرآن  
او بحسن الكذب السماوية فان  
كذبيهم نكذبيها في محل الجر  
على انه بدل من الموصول الاول  
وى حيز الصب او لرفع على الذم  
وانما وصل الموصول الثانى  
نالكذب بدون الجادة لان العباد  
وقوع المجادلة في بعض المواد لافى  
الكل وصيغة الماضى للدلالة  
على التحقق كما ان صيغة المضارع  
في الصلة الاولى للدلالة على تجديد  
المجادلة وتكررها ( وبما رسلنا به  
رسالا ) من سائر الكتب او مطلق  
الوحى والبرائع ( فسوف يعلمون )  
كدهما معلوم من الجدال والتكذيب  
عند مهادتهم لعقوبته ( اد  
الانادل في اعتنائهم ) غاف  
ليعلمون ادالمى على الاستقبال  
ولفظا اخر لثيقته ( والسلاسل )  
عطف على الاغلال والجار في نية  
التأخير وقيل مبتدأ حديث

علقتهم يخرجكم طفلا لم تبلغوا اشدكم لم تكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من  
قبل ولم تبلغوا اجلاسمى ولعلكم تعقلون ) اعلم اننا بيننا دلائل وجود الله وقدرته اما  
ان تكون من باب دلائل الآفاق او من باب دلائل الانفس اما دلائل الآفاق فالمراد كل  
ما هو غير الانسان من كل هذا العالم وهى اقسام كثيرة والمذكور منها فى هذه الآية  
اقسام منها احوال الليل والنهار وقد سبق ذكره ( وانيها ) الارض والسماء وهو المراد من  
قوله الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء قال ابن عباس فى قوله قرارا اى منزلا  
فى حال الحياة وبعد الموت والسماء بناء كالقبة المضروبة على الارض وقيل مسك الارض  
بلا عمد حتى امكن التصرف عليها والسماء بناء اى قائما باتباء الاول وقعت علينا واما دلائل  
الانفس فالمراد منها دلالة احوال بدن الانسان دلالة احوال نفسه على وجود الصانع  
القادر الحكيم والمذكور منها فى هذه الآية قسمان ( احدهما ) ما هو حاصل شاهد حال  
كالحاله والثانى ما كان حاصله فى ابتداء خلقته وتكوينه ( اما القسم الاول ) فأنواع  
كثيرة والمذكور منها فى هذه الآية انواع ثلاثة ( اولها ) حدوث صورته وهو المراد من  
قوله وصوركم ( وانيها ) حسن صورته وهو المراد من قوله فأحسن صوركم ( وثالثها )  
انه رزقه من الطيبات وهو المراد من قوله ورزقكم من الطيبات وقد اطنبنا فى تفسير هذه  
الاشياء فى هذا الكتاب مرارا لاسيما فى تفسير قوله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم ولما ذكر  
الله تعالى هذه الدلائل الخمسة اسنن من دلائل الآفاق وثلاثة من دلائل الانفس قال  
ذلكم الله ربكم فبارك الله رب العالمين وتفسير تبارك اما الدوام والبات واما كثرة  
الخيرات ثم قال هو الحى لاله الا هو وهذا يفيد الحصر وان لاجى الا هو فوجب ان يحمل  
ذلك على الحى الذى يتمتع ان يموت امتناعا ذاتيا وحيث لا لاجى الا هو مكافئه اخرى النشئ  
الذى يجوز زواله مجرى المعدوم واعلم ان الحى عبارة عن الدراك الفعال والدراك  
اشارة الى العلم التام والفعال اشارة الى القدرة الكاملة ولما نبه على هاتين الصفتين  
من صفات الجلال نبه على الصفة الثالثة وهى الوحدة بقوله لاله الا هو ولما وصفه بهذه  
الصفات امر العباد بشيئين ( احدهما ) بالدعاء ( والثانى ) بالاختصاص فيه فقال فادعوه  
مخلصين له الدين ثم قال الحمد لله رب العالمين فيجوز ان يكون المراد قول الحمد لله رب العالمين  
ويجوز ان يكون المراد انه لما كان موصوفا بصفات الجلال والعزة استحق لذاته ان يقال  
له الحمد لله رب العالمين ولما بين صفات الجلال والعظمة قال قل انى نهيت ان اعبد الذين  
تدعون من دون الله فأورد ذلك على المشركين بألين قول ليصرفهم عن عبادة الاوثان  
وبين ان وجه النهى فى ذلك ما جاءه من البيئات وتلك البيئات ان اله العالم قد ثبت كونه  
موصوفا بصفات الجلال والعظمة على ما تقدم ذكره وصريح العقل يشهد بأن  
العبادة لا تليق باله وان جعل الاجار المنخوة والخشب المصورة شركاء له فى العبودية  
مستكر فى بدنية العقل ولما بين انه نهى عن عبادة غير الله بين انه امر بعبادة الله تعالى

خبره لدلالة خبر الاول عليه وقيل  
قوله تعالى (يسحبون) بحذف  
المائد اى يسحبون بها وهو على  
الاولين حال من المستكن في  
الطرف وقيل استئناف وقع جوابا  
عن سؤال نشأ من حكاية حالهم  
كانه قيل فاذا يكون حالهم بعد  
ذلك قليل يسحبون (في الحميم)  
وقرىء والسلاسل يسحبون  
بالنصب وفتح الياء على تقديم  
المفعول وعطف الفعلية على  
الاسمية والسلاسل بالجر جلا على  
المعنى لان قوله تعالى اذا اغلغل  
في اعناقهم في معنى اعنقهم في  
الاعلال او اخمار البلاء ويدل عليه  
القرائة (ثم في النار يسجرون)  
اى يحرقون من سيجر التنوير اذا  
ملا بالوقود ومنه السجيرة لاصديق  
كانه يسجر بالحطب اى الى والمراد  
بيان انهم يعذبون بأنواع العذاب  
ويقولون من باب الى باب  
(ثم قيل لهم اين ما كنتم تنسركون  
من دون الله فاولواضلوا عنا) اى  
يقال لهم ويقولون وصيغة الماضى  
للدلالة على التحقق ومعنى ضلوا  
عنا غاوا عنا وذلك قبل ان يفرن  
بهم آلهتهم اوضاعوا عنا فلم نجد  
ما كنا نتوقع منهم (بل لم تكن  
ندعوا من قبل شيئا) اى بل تبين  
لنا انما لم تكن نعبد شيئا لعبادتهم  
ظهر لنا اليوم انهم لم يكونوا شيئا  
يعتد به كقولك حسبه شيئا فلم يكن  
(كذلك) اى مثل ذلك الضلال  
القطيع (يضل الله الكافرين)  
حيث لا يهتدون الى شئ يتفهم  
في الآخرة او كما ضل عنهم آلهتهم  
حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا  
(ذلكم) الاضلال (بما كنتم  
تفرون في الارض)

فقال وامرت ان اسلم لرب العالمين وانما ذكر هذه الاحكام في حق نفسه لانهم كانوا  
يعتقدون فيه انه في غاية العقل وكمال الجوهر ومن المعلوم بالضرورة ان كل احد فانه  
لا يريد لنفسه الا الفضل الاكل فاذا ذكر ان مصلحته لا تتم الا بالاعراض عن غير الله  
والاقبال بالكلية على طاعة الله ظهر به ان هذا الطريق اكمل من كل ماسواه ثم قال هو  
الذى خلقكم من تراب واعلم انا قد ذكرنا ان الدلائل على قسمين دلائل الآفاق والانفس  
امادلائل الآفاق فكثيرة والمذكور منها في هذه الآية اربعة الليل والنهار والارض  
والسماء وامادلائل الانفس فقد ذكرنا انها على قسمين (احدهما) الاحوال الحاضرة  
حال كمال الصحة وهى اقسام كثيرة والمذكور ههنا منها ثلاثة انواع الصورة وحسن  
الصورة ورزق الطيبات (واما القسم الثانى) وهو كيفية تكون هذا البدن من ابتداء  
كونه نقطة وجنينا الى آخر الشيخوخة والموت فهو المذكور في هذه الآية فقال هو  
الذى خلقكم من تراب نعم من نقطة قليل المراد آدم وعندى لاحاجة اليه لان كل  
انسان فهو مخلوق من المني ومن دم الطمث والمني مخلوق من الدم فالانسان مخلوق من  
الدم والدم انما يتولد من الاغذية والاعذية اما حيوانية واما نباتية والحال في تكون ذلك  
الحيوان كالحال في تكون الانسان فالاعذية بأسرها منتبهة الى النباتية والنبات انما  
يكون من التراب والمساء فبت ان كل انسان فهو متكون من التراب نعم ان ذلك التراب  
يصير نقطة ثم علقه ثم بعد كونه علقه مراتب كثيرة الى ان يفصل من بطن الام فالله تعالى  
ترك ذكرها ههنا لاجل انه تعالى ذكرها في سائر الآيات واعلم انه تعالى رتب عمر الانسان  
على ثلاث مراتب اولها كونه طفلا وثانيها ان يبلغ اشده وثالثها الشيخوخة وهذا ترتيب  
صحيح مطابق للعقل وذلك لان الانسان في اول عمره يكون في التزايد والنشوء والنماء وهو  
المسمى بالطفولية والمرتبة الثانية ان يبلغ الى كمال النشوء والى اشد السن من غير ان يكون  
قد حصل فيه نوع من انواع الضعف وهذه المرتبة هى المراد من قوله لتبلغوا  
اشدكم والمرتبة الثالثة ان يتراجع ويظهر فيه اثر من آثار الضعف والنقص وهذه المرتبة  
هى المراد من قوله نعم لتكونوا شيوخا واذا عرفت هذا التقسيم عرفت ان مراتب العمر  
بحسب هذا التقسيم لا تزيد على هذه الثلاثة قال صاحب الكشاف قوله لتبلغوا اشدكم  
متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبيحكم لتبلغوا ثم قال ومنكم من يتوفى من قبل اى من قبل  
الشيخوخة او من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطانم قال ولتبلغوا أجلا مسمى ومعناه  
يفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيامة ثم قال ولعلكم تعفلون  
ما في هذه الاحوال العجيبة من انواع العر والاقسام الدلائل \* قوله تعالى (هو الذى يحيى  
ويميت فاذا قضى امر اقامنا يقول له كن فيكون) اعلم انه تعالى لما ذكر انتقال الانسان  
من كونه ترابا الى كونه نقطة ثم الى كونه علقه ثم الى كونه طفلا نعم الى بلوغ الاشد ثم الى  
الشيخوخة واستدل بهذه التغيرات على وجود دالاله القادر قال بعده هو الذى يحيى ويميت



اي بطرون وتكبرون (بغير الحق) وهو الشرك والطفيان (وبما كنتم تمرحون) تتوسعون في البطر والاشتر والالتفات للمبالغة في التوبيخ (ادخلوا ابواب جهنم) اي ابوابها السبعة المقسومة لكم (خالدين فيها) مقدر اخلودكم فيها (فبئس مثوى المتكبرين) اي عن الحق جهنم والتعبر عن مدخلهم بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود (فأصبر) الى ان يلاقوا ما عدلهم من العذاب (ان وعد الله) بتذبيهم (حق) كائن لاحالة (فأما زينك) اي فان ترك وما من يدة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا نلحقه مع ان وحدها (بعض الذي نعدهم) وهو القتل والاسر (او توفيتك) قبل ذلك (فاليانا يرجعون) يوم القيامة فيجازيهم بأعمالهم وهو جواب توفيتك وجواب زينك محذوف مثل فذلك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعدهم في حياتك اولم نعدهم فانا نعدهم في الآخرة اشد العذاب وافظعه كما ينشأ عنه الاختصار على تكرار الرجوع في هذا المعرض (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من نقصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) اذ قيل عدد الانبياء عليهم السلام مائة واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم افراد معدودة وقيل اربعة آلاف من بني اسرائيل واربعة آلاف من سائر الناس (وما كان لرسول) اي وما صبح وما استعالم لرسول منهم (ان يأتي بآية الا باذن الله) فان المعجزات على تشبه فنونها عطايا من الله قسمها بينهم حسب اقتضته

يعني كما ان الانتقال من صفة الى صفة اخرى من الصفات التي تقدم ذكرها يدل على الاله القادر فكذلك الانتقال من الحياة الى الموت وبالعكس يدل على الاله القادر وقوله فاذا قضى امر اقامتا يقول له كن فيكون فيه وجوه (الاول) معناه انه لما نقل هذه الاجسام من بعض هذه الصفات الى صفة اخرى لم يتعب في ذلك التصرف ولم يحتاج الى آلة واداة فغير عن نفاذ قدرته في الكائنات والمحدثات من غير معارض ولا مدافع بما اذا قال كن فيكون (الوجه الثاني) انه عبر عن الاحياء والاماتة بقوله كن فيكون فكأنه قيل الانتقال من كونه ترابا الى كونه نطفة ثم الى كونه علقة انتقالات تحصل على التدريج قليلا قليلا واما صيرورة الحياة فهي انما تحصل لتعلق جوهر الروح النطقية به وذلك يحدث دفعة واحدة فلهمذا السبب وقع التعبير عنه بقوله كن فيكون (الوجه الثالث) ان من الناس من يقول ان تكون الانسان انما يتقدم من المني والدم في الرحم في مدة معينة وبحسب انتقالاته من حالات الى حالات فكأنه قيل انه يتمتع ان يكون كل انسان عن انسان آخر لان التسلسل محال ووقوع الحادث في الازل محال فلا بد من الاعتراف بانسان هو اول الناس فيحدث ذلك الانسان لا بواسطة المني والدم بل بايجاد الله تعالى ابتداء فغير الله تعالى عن هذا المعنى بقوله كن فيكون ﴿ قوله تعالى (الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله اني بصرفون الذين الذين كذبوا بالكتاب وما ارسلنا به رسلا فسوف يعلمون اذا الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم انما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) اعلم انه تعالى عاد الى ذم الذين يجادلون في آيات الله فقال الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله اني بصرفون الذين الذين كذبوا بالكتاب وما ارسلنا به رسلا فسوف يعلمون اذا الاغلال في اعناقهم مثل قولك سوف أصوم أمس قلنا المراد من قوله اذ هو اذا لان الامور المستقبلية لما كانت في اخبار الله تعالى متينة مقطوعا بما عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال هذا لفظ صاحب الكشاف ثم انه تعالى وصف كيفية عقابهم فقال اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم والمعنى انه يكون في اعناقهم الاغلال والسلاسل ثم يسحبون بتلك السلاسل في الحميم اي في الماء المسخن بنار جهنم ثم في النار يسجرون والمجر في اللغة الايقاد في التنوير ومعناه انهم في النار فهي محيط بهم ويقرب منه قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الاقئدة ثم قيل لهم انما كنتم تشركون من دون الله فيقولون ضلوا

مشتبته المبينة على الحكم الباطل  
كسائر القسم ليس لهم اختيار  
في اثار بعضها والاستبداد  
بأيا من القروح منها (فادجاء  
امر الله) العذاب في الدنيا  
والآخرة (قضى بالحق) باجاء  
الحق وانابته واهلاك المبتل  
وتعذيبه (وخسر هنالك) اى  
وقت مجئ امر الله اسم مكان  
استعير للزمان (المبتلون) اى  
المتسكون بالباطل على الاطلاق  
فيدخل فيهم المعاندون  
القرحون دخولاً اولياً (الله  
الذى حمل لكم الانعام) قبل  
هى الابل خاصة اى خلقها  
لاجلكم ومصحتكم وقوله تعالى  
(لركبوا منها ومنها ما يكون)  
تفصيل للمدل عليه اللام اجالا  
ومن لا يتدبر العاية ومعناها اداء  
الركوب والاكل منها اى  
تعلقها بها وقيل للتبعيض اى  
لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها  
لاعلى ان كل من الركوب والاكل  
مختص ببعض معين منها بحيث  
لايجوز تعلقه بما تعلق به الآخر  
بل على أن كل بعض منها صالح  
لكل منها وتغيير النظم الكريم  
في الجملة البانية لمراعاة العواصم  
مع الاعتناء بأصالة الركوب (ولكم  
فيها منافع) اخر غير الركوب  
والاكل كالألبان واوارها  
وجلودها (واتبعوا عليها  
حاجة في صدوركم) بحسب  
اقتالكم من مالدى (المد) وعليها  
وعلى الفلاك تحملون (لعل  
المراد جل النساء والوندان عايتها  
بالمهودج وهو السرى ففصله عن  
الركوب والجمع بينهما من المناسبة  
السامة حتى سميت سمائن البر  
وقيل هى الأزواج الجانية يعنى  
الركوب الاكل منها تعلقهما  
بالاكل لكن لا على ان كلامهما  
يجوز تعلقه بكل سها

عماى غابوا عن عيوسا فلانراهم ولا تستشع بهم سم قالوا بل لم تكن ندعوا من قبل شيئاً اى  
تبين لنا ذنبهم ايم يكونوا شيئاً وما كنا نعد بعادتهم شيئاً كما تقول حسبك ان فلاناشئ فاذاهو  
ليس بشئ ادا جربته فلم تجد عنده خيراً ويجوز انما ان يقال انهم كذبوا وانكروا انهم  
عدوا غير الله كما اخبر الله تعالى عنهم في سورة الانعام انهم قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ثم  
قال تعالى كذلك يضل الله الكافرين قال القاضى معادناه يضلهم عن طريق الجنة اذلا  
يجوز ان يقال يضلهم عن الحجاة اذ قد هداهم في الدنيا اليها وقال صاحب الكشف كذلك  
يضل الله الكافرين مثل ضلال آلهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى انهم اربابوا الآلهة  
او طلبتهم الآلهة لم يجد احدهما الاخر ثم قال ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض اى  
ذلكم الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة  
الاصنام ادخلوا ابواب جهنم السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة ابواب لكل  
باب منهم جزء مقسوم خالدون فيها فبئس منوى التكبرين والمراد منه ما قال في الآية  
المقدمة في صفة هؤلاء المجادلين ان في صدورهم الاكبرية قوله تعالى (فاصبر ان وعد الله  
حق فاما ترينك بعض الذى نعدهم او توفينك فاليان يرجعون ولقد ارسلنا رسالاً من قبلك  
منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان يأتي بأية الا باذن الله  
فاذ جاء امر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبتلون) اعلم انه تعالى لما تكلم من اول السورة  
الى هذا الموضع في تزييف طريقة المجادلين في آيات الله امر في هذه الآية رسوله بأن يصبر  
على ايذائهم وايحاشهم تلك المجادلات ثم قال ان وعد الله حق وعنى به ما وعده الرسول من  
نصرته ومن ازال العذاب على اعدائه ثم قال فاما ترينك بعض الذى نعدهم يعنى اولئك  
الكفار من انواع العذاب مثل القتل يوم بدر فذلك هو المطلوب او توفينك قبل ازال  
العذاب عليهم فاليان يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم اشد الانتقام ونظيره قوله تعالى فاما  
نذهبن بك فانا منهم منتقمون او ترينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون ثم قال تعالى  
ولقد ارسلنا رسالاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك والمعنى انه قال  
لحمود صلى الله عليه وسلم انت كارسل من قبلك وقد ذكرنا حال بعضهم لك واما نذكر حال الباقين  
وليس فيهم احدا اعطاه الله آيات ومعجزات الا وقد جادله قومه فيها وكذبوه فيها وجرى  
عليهم من الهم ما يقارب ما جرى عليك فصبروا وكانوا ابدان قتر حون على الانبياء اظهار  
المعجزات الزائدة على قدر الحاجة على سبيل العناد والتعنت ثم ان الله تعالى لما علم ان الصلاح في  
اظهار ما أظهره والام يظهره ولم يكن ذلك قادحاً في نبوتهم فكذلك الحال في اقتراح قومك  
عليك المعجزات الزائدة لا يمكن اظهارها صلاحاً لاجرم ما ظهرناها وهذا هو المراد من قوله  
وما كان لرسول ان يأتي بأية الا باذن الله ثم قال فاذ جاء امر الله قضى بالحق وهذا وعيد  
ودعقيب اقتراح الآيات وامر الله القيامة والمبتلون هم المعاندون الذين يجادلون في  
آيات الله ويقترحون المعجزات الزائدة على قدر الحاجة على سبيل التعنت \* قوله تعالى (الله

ولا على ان كلا منهما مخصص

بعض معين منها بحيث لا يحوز  
تعلقه بمسألة تتعلق به الآخر بل  
على ان بعضها يتعلق به الآخر  
فقط كالعلم وبعضها يتعلق به  
كلاهما كاللؤلؤ والبقرة والمنافع ثم  
الكل وبلوغ الحاحه عليها يم  
البحر ( ويرى آياته ) دلالة  
الدالة على كمال قدرته وفوق  
رحنه ( فأى آيات الله ) اى  
أى آية من تلك الآيات الباهرة  
( تنكرون ) فان كلا منها  
من الظهور بحيث لا يكاد يجترأ  
على انكارها من له عقل في الجملة  
وهو ناسب لاي واضافة  
الايات الى الاسم الملائم لربية  
المهابة وتهويل انكارها وتهويل  
اى هو السنان المستفيض ولأنه ثبت  
قبل لان التفرقة بين المذكور  
والمؤنث في الاسماء غير الصفات  
نحو جار وجارة عريب وهى  
في اى اعرب لانهما ( افلم  
يسيروا ) اى اقمدا وافلم يسيروا  
( في الارض فيطروا كيف كان  
عاقبة الذين من قبلهم ) من الامم  
المهلكة وقوله تعالى ( كانوا  
اكثر منهم واشد قوة ) الخ  
استثنائ مسوق لبس مبادئ  
احوالهم وعواقبها ( وآثار في  
الارض ) باقية بعدهم من الابنية  
والقصور والمصانع وقيل هى  
آثار انداءهم في الارض لعظم  
اجرامهم ( ما اعنى عنهم ما كانوا  
يكسبون ) ما لاولى نافعة  
او استعصاهب متصوبة بأعنى  
والناية موصولة او مصدرية  
سرفوعة اى لم يعن عنهم اوى شئ  
اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم ( فلما  
حانهم رسام بالبريات ) المجررات  
وبلايات الواحدة ( فرحوا بما  
عمد من اسم ) اى اظهروا  
الرح بذلك وهو سالمهم من  
العقائد الزائفة والشبه الداحضة  
وتسميت اعمالهم بهم او علم الطبايع

الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها وتكونوا على ما افعوا وتسلعوا عليها حاجة  
في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويرىكم آياته فأى آيات الله تنكرون ( اعلم انه تعالى  
لما طنب في تقرير الوعيد عاد الى ذكر ما يدل على وجود الاله الحكيم الرحيم والى ذكر  
ما يصلح ان يعد انعاما على العباد قال الزجاج الانعام الابل خاصة وقال القاضى هى  
الازواج الثمانية وفي الآية سؤالات ( السؤال الاول ) انه لم ادخل لام الغرض على قوله  
لتركبوا وعلى قوله لتبلغوا ولم يدخل على الوافى فالسبب فيه ( الجواب ) قال صاحب  
الكشاف الركوب في الحج والغزوا ما ان يكون واجبا او مندوبا فهمذان القسمان  
اغراض دينية فلا جرم ادخل عليهما حرف التعليل واما الاكل واصابة المصاعف من جنس  
المباحات فلا جرم ما ادخل عليها حرف التعليل نظيره قوله تعالى والخيل والبغال والحمير  
لتركبوها وزينة فادخل التعليل على الركوب ولم يدخله على الزينة ( السؤال الثانى ) قوله  
تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون معناه تحملون في البر والبحر اذا عرفت هذا فقول لم لم يزل  
وفي الفلك كما قال قلنا اجل فيها من كل زوجين اثنين والجواب ان كلمة على للاستعلاء  
فالتى الذى يوضع في الفلك كما يصح ان يقال وضع فيه يصح ان يقال وضع عليه ولا يصح  
الوجهان كانت لفظة على أولى حتى يتم المراد في قوله وعلى الفلك تحملون ولما ذكر  
الله هذه الدلائل الكثيرة قال ويرىكم آياته فأى آيات الله تنكرون يعنى ان هذه الآيات  
التي عددناها كلها ظاهرة فقوله فأى آيات الله تنكرون تنبيه على انه ليس في شئ من  
الدلائل التي تقدم ذكرها ما يمكن انكاره قال صاحب الكشاف قوله اى آيات الله جاء على  
اللفظ المستقبضة وقولك فأية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء  
غير الصفات نحو جار وجارة غريب وهى في اى اغرب لانهما والله اعلم بقوله تعالى  
( افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد  
قوة وآثار في الارض فما اعنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا  
بما عدهم من العلم وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده  
وكفرنا بما كنا به منكرين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ساسة الله التي قد خلت في عباده  
وخسر هنالك الكافرون ) اعلم انه تعالى راعى ترتيبا لطيفا في آخر هذه السورة وذلك  
انه ذكر فصلا في دلائل الالهية وكمال القدرة والرحمة والحكمة ثم اردته بفصل في التهديد  
والوعيد وهذا الفصل الذى وقع عليه ختم هذه السورة هو الفصل المشتمل على الوعيد  
والمقصود ان هؤلاء الكفار الذين يجادلون في آيات الله وحصل التكبر العظيم في صدورهم  
بهذا السبب في ذلك كله طلب الرياسة والتقدم على الغير في المال والجاه فن ترك الانقياد  
للحق لاجل طلب هذه الاشياء فقد باع الآخرة بالدنيا فيبين تعالى ان هذه الطريقة فاسدة لان  
الدنيا فانية ذاهبة واحتج عليه بقوله تعالى افلم يسيروا في الارض فبينوا كيف كان  
عاقبة الذين من قبلهم يعنى لو ساروا في اطراف الارض لعرفوا ان عاقبة المتكبرين

والتنظيم والصنائع ونحو ذلك اوهو علم لادباء لدى اظهروه رسلهم على ( ٣٤٤ ) ان معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به و يؤيده قوله

المتبردين ليست الا الهلاك والبوار مع انهم كانوا كثر عددا وملا وجاها من هؤلاء  
 المتأخرين فلما لم يستفيدوا من تلك المكنة العظيمة والدولة القاهرة الاخيلة والخسار  
 والحسرة والوار فكيف يكون حال هؤلاء الفقراء المساكين اما بيان انهم كانوا اكثر من  
 هؤلاء عددا فاما يعرف في الاخبار واما انهم كانوا اشد قوة وآارا في الارض فلانه قد  
 بقيت آثارهم بخصون عظيمة بعدهم مل الالهرا الم موجودة بمصر ومل هذه البلاد  
 العظيمة التي بناها الملوك المتقدمون ومل ماحكي الله عنهم من انهم كانوا ينحتون من  
 الجبال بيوتا ثم قال تعالى فأنغى عنهم ما كانوا يكسبون ما في قوله فأنغى عنهم نافية  
 او مضمضة معنى الاستفهام ومحلها الصب وما في قوله ما كانوا يكسبون موصولة  
 او مصدرية ومحلها الرفع يعنى اى شئ اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم ثم بين تعالى ان  
 أولئك الكهاملحاحاتهم رسلهم بالية وتالمجرات فرحوا بما عدهم من العلم واعلم ان  
 الضمير في قوله فرحوا يحتمل ان يكون عائدا الى الكفار وان يكون عائدا الى الرسل اما اذا  
 قلنا انه عائدا الى الكفار فذلك العلم الذى فرحوا به اى علم كان وفيه وجوه (الاول) ان  
 يكون المراد الاشياء التي كانوا يسمونها بالعلم وهى الشبهات التي حكاها الله عنهم في القرآن  
 كقولهم وما ملكت ابالدهر وقولهم لو شاء الله ما اشركنا ولا باؤنا وقولهم من يحى العظام  
 وهى رميم ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به  
 علوم الانبياء كما قال كل حزب بما لديهم فرحون (الثاني) يجوز ان يكون المراد علوم  
 الفلاسفة فانهم كانوا اذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علومهم وعن  
 سقراط انه سمع مجبى بعض الانبياء فقبل له لوهاجرت اليه فقال نحن قوم مهديون فلا حاجة  
 بنا الى من يهدينا (الثالث) يجوز ان يكون المراد علمهم بأمر الدنيا وعرفتهم بتدبيرها  
 كما قال تعالى يعلنون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبطلهم من العلم  
 فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهى معرفة الله تعالى ومعرفة المعاد وتطهير النفس  
 عن الرذائل لم يلتفتوا اليها واستهزؤا بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب بالعوائد من علمهم  
 وفرحوا به أما اذا قلنا الضمير عائدا الى الانبياء ففيه وجهان (الاول) ان يجعل الفرع للرسول  
 ومعناه ان الرسل لما رأوا من قومهم جهلا كاملا واعراضا عن الحق وعلوا سوء عاقبتهم  
 وما لحقهم من العقوبة على جهلهم واعراضهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه  
 وحق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (الثاني) ان يكون المراد فرحوا بما عند الرسل  
 من العلم فرح ضحكك منه واستهزاء به كأنه قال استهزؤا بالبيات وبما جاؤا به من علم الوحي  
 فرحين ويدل عليه قوله تعالى وحق بهم ما كانوا به يستهزئون ثم قال تعالى فلما رأوا بأسا  
 قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مسركين البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى  
 بعذاب بئس فان قيل اى فرق بين قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم وبين ما لو قيل فلم ينفعهم  
 ايمانهم قلنا هو مل كان في نحو قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم

تعالى ( وحق بهم ما كانوا به يستهزئون ) وقيل الفرح ايضا للرسول فانهم لما شاهدوا اتحادى جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم المؤدى الى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ( فلما رأوا بأسا ) شدة عذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئس ( قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مسركين ايعمون الاصابم ) فلم يك ينفعهم ايمانهم لما وأوا بأسا ) اى عند رؤية عدا لا متاع قبوله حينئذ ولد ذلك ولم يك يبعى لم يصح ولم يسقم والطه الاولى بيان مخافة كثرتهم ومدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك رغما منهم ان ذلك يعنى عنهم فلم يرب عليه الاعداء الاعاء بهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وان كان عكس العرض ويقضى المطلوب كائى قولك وعظمت فلم يتط وان شاء تفسير وتفصيل لما أنهم واجل من عدم الاعاء وقد كثر فى الكلام مسل هذه الصاء ومساها على لتفسير بعد لانها والمفصيل امد الاجال وثلاثة لجرد العقيب وحمل ما عدها تالسا لما قبلها واتصا عقيد لا مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الخ هوائهم كهر وافصار مخوع الكلام فذلك ان يقال وكفروا بما رأوا بأسا اموا والزمنة لالعطب على آموا كأنه قيل قامنوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان الاحتيارى ( سنة لله التي قد حلت فى عباده ) اى سن الله تعالى ذلك سنة ماضية فى لعباد وهو من المصادر المؤكدة ( وحسرها لكافرون ) اى وقت رؤيتهم البأس على انه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف

آناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنون لم يبق روحه بى ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن من الاصل عليه واستعمر له (ان)

( سورة السجدة مكية وآياتها ثلاث اواربع وجسور ( ٣٤٥ ) آية ) ١ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) - ( حم ) ان جعل السورة

فهو اما حملت بدأ محذوف وهو  
الاظهر لاسرره مرارا ومبتدأ  
حبره ( تنزيل ) وهو على الاول  
حبره محذوف وحملت بدأ محذوف  
ان جعل مسرودا على محط لعدد  
وقوله تعالى ( من الرحمن الرحيم )  
متعلق بمؤكد لما افاده التنوين  
من العظمة الذاتية بالصحة  
الاصابة او حبر آخر او ينزل  
متدا لخصه بالصحة حبر  
( كتاب ) وهو على الوحو  
الاول بدل منه او حبر اخر  
او حبر لحدود ونسبة لتنزيل  
الى الرحمن الرحيم لا يبدأ بأنه  
مدار للمصالح الدينية والديونية  
واقع مقتضى الرحمة ابرامية حسنا  
بنى عنه قوله تعالى وما ارسلناك  
الا رحمة للعالمين ( فصلت آياته )  
ومبرت بحسب السظم والمعنى  
وحات هاصيل في اساليب مختلفة  
وما معايرة من احكام وتخصص  
ومو ط وامل ووعود ووعيد  
وقرى فسلت اى مرفق بين  
الحق والباطل او فصل بعضها  
من امض باحتلاف الاساليب  
والعاني من قولك فصل من البلد  
فصولا ( قرآنا عربيا ) نصب على  
المدح والحالية من كتاب لخصه  
بالصفة او من آياته ( اقوم ) يملون  
اى معابه لكونه على لسانهم وقيل  
لاهل العلم والبطر لانهم المسمعون  
به واللام متعلته محذوف هو صفة  
اخرى لقرآناى كائنا لقوم الخ  
او تنزيل على ان من الرحمن الرحيم  
ايست نصفا او بصفت ( اميرا  
ونديرا ) صفتا ، احرى د ا  
ى شدا د ا ل الخاف وندرا  
ال ١١٠ او الا من كتاب  
ومن اياه وقرنا بالرفع على  
الصفة لكتاب او الحرية  
محذوف ( فأعرضا كثروهم )

ان ينفعهم ايمانهم فان قيل اذكروا صابطا في الوقت الذى لا يفع الاتيان بالايمان فيه قلنا  
انه الوقت الذى يعاين فيه نزول ملائكة الرحمة والعداب لان في ذلك الوقت يصير المرء  
ملجأ الى الايمان فذلك الايمان لا يفع انما يفع مع القدرة على حلافة حتى يكون المرء  
مختارا أما اذا طاسوا علامات الآخرة فلا م قال تعالى سعة الله التى قد خلت في عباده  
والمعنى ان عدم قول الايمان حال اليأس سعة الله مدبرة في كل الانم م قال وخسر  
هالك الكافرون فقوله هالك مستعار لارماى أى وحسروا وقت رؤية البأس والله  
المهادى للصواب ، تم تفسير هذه السورة يوم السبت اثنى من دى الحجة من سنة ثلاث  
وسمائة من الهجرة في باد هرة : يامس لا يبلغ ادنى ما سئرت به من جلالك وعرك  
اقصى نعوت الباعثين يامن تقاصرت عن الاحاطة بمبادى اسرار كبريائه افهام المتفكرين  
وانظار المتأملين لا تجعلنا بفصلك ورحمتك في زمرة الخاسرين المظلمين ولا تجعلنا  
يوم القيامة من المحرومين فانك اكرم الاكرمين وارحم الراحمين والحمد لله رب العالمين  
وصلوات الله على سيدنا محمد السى وآله وصحبه اجمعين

( سورة فصلت السجدة جسور وأربع آيات مكية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( حم ) تنزل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا  
فأعرضا كثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوا في أكمة لما تدعوا اليه وفي آدنا وقروم  
بينا وبينك حجاب فاعمل اناسا عاملون قل انما انا نذر ملكهم يوحي الى انما الحكم الله الواحد  
فاستقيموا اليه واستمعوه وويل للمسركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم مالا حرة هم  
كافرون ان الدين آموا وعلوا الصالحات لهم احر غيرهم ( اعلم ان في اول هذه السورة  
احتمالات ( احدها ) وهو الاقوى ان يقال حم اسم للسورة وهو في موضع المبتدأ وتنزيل  
خبره ( وانيها ) قال الاخفش تنزيل رفع بالابتداء وكتاب خبره ( وانيها ) قال الزجاج  
تنزيل رفع بالابتداء وخبره كتاب فصلت آياته ووجه ان قوله تنزيل تخصص بالصفة وهو  
قوله من الرحمن الرحيم مجاز وقوعه متدا \* واعلم انه تعالى حكم على السورة السمة بحم  
بأشياء ( اولها ) كونها تنزيلا والمراد المنزل والتعريض الم بالصدر محاز مسهور يقال هذا  
بأ الامرأى منبه وهذا الدرهم ضرب السلطان اى مصر ووه والمراد من كونها منزلا ان  
الله تعالى كتبها في اللوح المحفوظ وامر جبريل عليه السلام بأن يحفظ تلك الكلمات ثم  
يرسلها على محمد صلى الله عليه وسلم ويبلغها اليه فلما حصل تقسيم هذه الكلمات بواسطة  
نزول جبريل عليه السلام سمي لذلك تنزيلا ( وانيها ) كون ذلك التنزيل من الرحمن الرحيم  
وذلك يدل على كون ذلك التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى ان الله الم المرون الصفة ٧ د  
وان يون ماسسا لذلك الصفة مكرنه دال ر - نانا ميا - دال دالتان دال مال

عن تدبره مع كونه على اعينهم ( ٤٤ ) ( را ) ( ما ) ( فهم لا يسمعون ) سماع مكر ونا لحتى معمووا لاله قدره مؤموه ( وقالوا ) اى لرسول الله

صلى الله عليه وسلم عند دعونه اياهم الى الايمان فى القرآن ( ٣٤٦ ) ( فلوبنا فى اكنة ) اى اغطية منكافة ( مما تدعونا ليه وفى

الرحمة فالتزليل المضاف الى هاتين الصفتين لآبد وان يكون دالا على اعظم وجوه النعمة  
والامر فى نفسه كذلك لان الخلق فى هذا العالم كالمريض والزمى والمحتاجين والقرآن  
مشتمل على كل ما يحتاج اليه المريض من الادوية وعلى كل ما يحتاج اليه الاصحاء من الاغذية  
فكان اعظم النعم عند الله تعالى على اهل هذا العالم انزال القرآن عليهم ( وثالثها ) كونه  
كتابا وقدينا ان هذا الاسم مشتق من الجمع وانما سمي كتابا لانه جمع فيه علوم الاولين  
والآخرين ( ورابعها ) قوله فصلت آياته والمراد انه فرقت آياته وجعلت تفاصيل فى معان  
مختلفة فبعضها فى وصف ذات الله تعالى وشرح صفات التنزيه والتقديس وشرح كمال  
علمه وقدرته ورحمته وحكمته وعجائب احوال خلقه السموات والارض والكواكب  
وتعاقب الليل والنهار وعجائب احوال النبات والحيوان والانسان وبعضها فى احوال  
التكاليف المتوجهة نحو القلوب ونحو الجوارح وبعضها فى الوعد والوعيد والثواب  
والعقاب ودرجات اهل الجنة ودرجات اهل النار وبعضها فى المواعظ والنصائح وبعضها  
فى تهذيب الاخلاق ورياضة النفس وبعضها فى قصص الاولين وتواريخ الماضين وبالجملة  
فن انصف علم انه ليس فى يد الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة والمباحث المتباعدة  
مثل ما فى القرآن ( وخامسها ) قوله قرآنا والوجه فى تسميته قرآنا قد سبق وقوله تعالى  
قرآنا نصب على الاختصاص والمدح أى ارى بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كبت  
وكبت وقبل هو نصب على الحال ( وسادسها ) قوله عربيا والمعنى ان هذا القرآن انما نزل  
بلغزة العرب وتأكد هذا بقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ( وسابعها ) قوله  
تعالى لقوم يعلمون والمعنى انا جعلناه عربيا لاجل انا نزلناه على قوم عرب فجعلناه بلغزة  
العرب ليفهموا منه المراد فان قيل قوله لقوم يعلمون متعلق بماذا قلنا يجوز ان يتعلق بقوله  
تنزيل او بقوله فصلت اى تنزيل من الله لأجلهم او فصلت آياته لأجلهم والاجودان  
يكون صفة مثل ما قبله وما بعده اى قرآنا عربيا كأنا لقوم عرب لثلا يفرق بين الصلوات  
والصفات ( وثامنها وتاسعها ) قوله بشير او نذير اربعى بشير للمطيعين بالشواب ونذير  
للمعصين بالعقاب والحق ان القرآن بشارة ونذارة الا انه اطلق اسم الفاعل عليه للتنبيه  
على كونه كاملا فى هذه الصفة كما يقال شعر شاعر وكلام قائل ( الصفة العاشرة ) كونهم  
معرضين عنه لا يسمعون ولا يلتفتون اليه فهذه هى الصفات العشرة التى وصف الله القرآن  
بها وتفرع عليها مسائل ( المسئلة الاولى ) القائلون بخلق القرآن احتجوا بهذه الآية من  
وجوه ( الاول ) انه وصف القرآن بكونه تنزيلا ومنزلا والمنزل والتنزيل مشعر بالتصيير من  
حال الى حال فوجب ان يكون مخلوقا ( الثانى ) ان التنزيل مصدر والمصدر هو المفعول  
المطلق باتفاق الجوين ( الثالث ) المراد بالكتاب اما الكتاب وهو المصدر الذى هو  
المفعول المطلق او المكتوب الذى هو المفعول ( الرابع ) ان قوله فصلت يدل على ان متصرفا  
يتصرف فيه بالتفصيل والتمييز وذلك لا يليق بالقديم ( الخامس ) انه انما سمي قرآنا لانه قرن

آذاننا وقرى اى سمع واصله  
النقل وقرى بالكسر وقرى  
بفتح القاء ( ومن بيننا وبينك  
حساب ) علفظ بمنعنا عن  
التواصل ومن للدلالة على ان  
الحجاب مبتدأ من الجانبين بحيث  
استوعب ما بينهما من المسافة  
المتوسطة ولم يبق عفا فراغ اصلا  
وهذه تمثلات لتبوقلوقهم عن  
ادراك الحق وقبوله وجميع اسماءهم له  
كان بها صمما وامتناع مواصلتهم  
وموافقهم للرسول عليه الصلاة  
والسلام ( فاعمل ) على دينك  
وقيل فى ابطال امرنا ( انما علمون )  
اى على ديننا وقيل فى ابطال  
امرك والاول هو الاظهر فان  
قوله تعالى ( قل انما انا بشر  
مثلكم يوحي الى انما الحكم اله  
واحد ) نلقين للجواب عنه  
اى لست من جنس مغاير لكم  
حتى يكون بيني وبينكم حجاب  
وتساوى صحيح لتباين الاعمال  
والاديان كما بيني عنه قولكم  
فاعمل انما علمون بل انما انا بشر  
مثلكم مأمور بما امرتم به حيث  
اخبرنا جميعا بالتوحيد بخطاب  
جامع بيني وبينكم فان الخطاب  
فى الحكم محكى منتظم للكل لانه  
خطاب منه عليه الصلاة والسلام  
للكفرة كائى مثلكم وقيل المعنى  
لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم  
التلقى منه ولا ادعوك الى ما تنبؤ  
عنه العقول والاسماع وانما  
ادعوك الى التوحيد والاستقامة  
فى العمل وقد تدل عليهما دلائل  
العقل وتتواهد النقل وقيل  
المعنى لى لست بملك وانما انا بشر  
مثلكم وقد اوحى الى دونكم  
فصحت بالوحى الى وانا بشر نبوتى  
واذا صحت نبوتى وجب عليكم  
اتباعى فأمل والغناء فى قوله  
تعالى ( فاستمعوا له ) ليريب

دابعدها على ما قبلها من ايماء الوحداية فان ذلك موجب لاستقامتهم اليه تعالى بالتوحيد والاخلاص فى الاعمال ( واستفروه ) ( بعض )

مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى ( ٣٤٧ ) ( وويل للمشركين ) ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر ترغيبهم في التوحيد  
 ووصفهم بقوله تعالى ( الذين لا يؤتون الزكاة ) لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكاة حيث جعل من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل ( وهم بالآخرة هم كافرون ) وهو عطف على لا يؤتون داخل في حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لا ان عدم اتيانها متعدي والكفر امر مستمر ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما انه فسر لا يؤتون الزكاة بقوله لا يقولون لا اله الا الله فانه زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وهو مأخوذ من قوله تعالى ونفس وما سواها وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون في الطاعة ولا يعتمدون وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم ( ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون ) اي لا يمن به عليهم من المن واصله النقل ولا يقطع من منت الحبل قطعه وقيل نزلت في المرضى والهري اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كما صح ما كانوا يعملونه ( قل انكم لتكفرون ) انكار وتشنيع لكفرهم وان واللام اما لتأكيد الانكار وتقديم الهمزة لاعتنائها الصدارة للانكار التأكيد واما للاشعار بأن كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج الى التأكيد وانما علق كفرهم بالموصول حيث قيل ( بالذي خلق الارض في يومين ) لتفخيم شأنه تعالى واستظام كفرهم بهاي بالعظيم الشأن الذي قدر وجودها اي حكم بانها متوجد في مقدار يومين او في يومين على ان ما يوجد في كل نوبة يوجد بأسرع ما يكون والا فالايوم الحقيقي انما يتحقق بمد وجودها وتسوية السموات وابداع نيرانها وترتيب حركاتها ( وتعملون له اندادا ) عطف على تكفرون داخل في حكم

بعض اجزائه بالعوض وذلك يدل على كونه مفعول فاعل ومجعول جاعل ( السادس ) وصفه بكونه عربيا وانما صححت هذه النسبة لاجل ان هذه الالفاظ انما دخلت على هذه المعاني بحسب وضع العرب واصطلاحاتهم وما جعل يجعل جاعل وفعل فاعل فلا بد وان يكون محدثا ومخلوقا ( والجواب ) ان كل هذه الوجوه التي ذكرتموها عائدة الى اللغات والى الحروف والكلمات وهي عندنا محدثة مخلوقة انما الذي ندعى قدمه شيء آخر سوى هذه الالفاظ والله اعلم ( المسئلة الثانية ) ذهب اكثر المتكلمين الى انه يجب على المكلف تنزيل الفاظ القرآن على المعاني التي هي موضوعة لها بحسب اللغة العربية فاما جعلها على معان اخر لا بهذا الطريق فهذا باطل قطعاً وذلك مثل الوجوه التي يذكرها اهل الباطل مثل انهم تارة يحملون الحروف على حساب الجمل وتارة يحملون كل حرف على شيء آخر وللصوفية طرق كثيرة في هذا الباب ويسعونها علم المكاشفة والذي يدل على فساد تلك الوجوه بأسرها قوله تعالى قرآنا عربيا وانما سماء عربيا لكونه دالا على هذه المعاني المخصوصة بوضع العرب واصطلاحاتهم وذلك يدل على ان دلالة هذه الالفاظ لم تحصل الا على تلك المعاني المخصوصة وان ما سواه فهو باطل ( المسئلة الثالثة ) ذهب قوم الى انه حصل في القرآن من سائر اللغات كقوله استبرق وسجبل فانهما فارسيان وقوله مشكاة فانها من لغة الحبشة وقوله قسطاس فانه من لغة الروم والذي يدل على فساد هذا المذهب قوله قرآنا عربيا وقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ( المسئلة الرابعة ) قالت المعتزلة لفظ الايمان والكفر والصلاة والزكاة والصوم والحج الفاظ شرعية لانغوية والمعنى ان الشرع نقل هذه الالفاظ عن مسمياتها الانغوية الاصلية الى مسميات اخرى وعندنا ان هذا باطل وليس الشرع تصرف في هذه الالفاظ عن مسمياتها الامن وجه واحد وهو انه خصص هذه الاسماء بنوع واحد من انواع مسمياتها مثلا الايمان عبارة عن التصديق فخصصه الشرع بنوع معين من التصديق والصلاة عبارة عن الدعاء فخصصه الشرع بنوع معين من الدعاء وكذا القول في البواقي ودليلنا على صحة مذهبناقوله تعالى قرآنا عربيا وقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ( المسئلة الخامسة ) انما وصف الله القرآن بكونه عربيا في معرض المدح والتعظيم وهذا المطلوب لا يتم الا اذا ثبت ان لغة العرب افضل اللغات واعلم ان هذا المقصود انما يتم اذا ضبطنا اقسام فضائل اللغات بضابط معلوم ثم بينا ان تلك الاقسام حاصلة فيه لا في غير فنقول لاشك ان الكلام مركب من الكلمات المفردة وهي مركبة من الحروف فالكلمة لها مادة وهي الحروف ولها صورة وهي تلك الهيئة المعينة الحاصلة عند التركيب فهذه الفضيلة انما تحصل اما بحسب مادتها او بحسب صورتها اما التي بحسب مادتها فهي آحاد الحروف واعلم ان الحروف على قسمين بعضها بيئة المخارج ظاهرة المقاطع وبعضها خفية المخارج مشتبهة المقاطع وحروف العرب بأسرها ظاهرة المخارج بيئة المقاطع لا يشبهه شيء منها بالآخر واما الحروف المستعملة



الانكار والتوبيخ وجع الانداد لا يمكن ان يكون له ند واحد ( ذلك ) اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشار اليه للايدن بيعد منزله في العظمة وافراد التكاف لما مر مرارا من ان المراد ليس تعمين الخططين وهو مبتدأ خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشأن الذي فعل ما ذكر ( رب العالمين ) اي خالق جميع الموجودات وربه ادون الارض خاصة فكيف يتصور ان يكون اخس مخلوقاته نداله وقوله تعالى ( وجعل فيهما رواسي ) عطف على خلق داخل في حكم الصلة والجعل ابدى وحديث لزوم الفصل بينهما بجملة خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بأن الاولى مفعلة بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة الاعادته والناتية اعراضية مفررة لضمون الكلام بمنزلة التأكيد فالفصل لهما كلا فصل على ان فيه فائدة التنبيه على ان مجرد المظوف عليه كاف في تحقق ربوبيته للعالمين واستحالة ان يجعل له ند فكيف اذا انضم اليه المظوفات وقيل هو عطف على مقدر اي خلقه او جعل الخ وقيل هو كلام مستأنف وايا ما كان فالمراد تقدير الجعل لا لجعل بالفعل وقوله تعالى ( من فوقها ) متعلق بجعل او بضمير هو صفة لرؤسى اي كاشته من فوقها مرتفعة عليها لتكون منا فعها معرضة لاهلها ويظهر للنظار ما فيها من مراد الاعتبار ومطراح الافكار ( وبارك فيها ) اي قدر ان يكثر خيرها بان يخلق انواع الحيوانات التي من جلتها الانسان واصناف البات التي منها معاشهم ( وقدر فيها اقواتها ) اي حكم بالفضل بان يوجد فيها سائى لاهلها من الانواع المختلفة اقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة ( فقد )

( فقد )

وفرى وقسم فيها اقواتها (في اربعة ايام) متعلق ( ٣٤٩ ) بمحصل الامور المذكورة لابتغديرهاى قدر حصولها في يومين وانما قيل

في اربعة ايام اى تمة اربعة تصريحا بالفضل لكونه (سواء) مصدر مؤكد لخضر هو صفة لا يام اى استوت سوامى استواء كما ينبغي عن القراءة بالحر وتيل هو حال من الضير في اقواتها اوفى فيها وقرى بالرفع اى هى سواء (للسائلين) متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او يقدر اى قدر فيها اقواتها لاجل السائلين اى الطالبين لها المحتاجين اليها من المتدبرين وقوله تعالى (ثم استوى الى السماء) شروع في بيان كيفية التكوين امر بسان كيفية التقدير واعل تخصيص اليبال بما يتعلق بالارض واهلها لما ان بيان اعتنائهم تعالى بأمر مخاطبين وترتيب مبادئ معاشهم قبل خلقهم بما يحصلهم على الايمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان اى ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلبى على غيره (وهى دخاء) اى اسرطمانى عبره عن مادتها وعن الاجزاء المتصغرة التى ركبت هى منها ودخل مرتفع من الماء كما سيأتى وانما خص الاستواء بالسما مع انحطاط المرتب عليه متوجه اليهما معا حسبما طلق به قوله تعالى (فقال لها وللارض) اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كما نفيل فقال لها وللارض التى قدر وجودها ووجود ما فيها (اثباتا) اى كونوا واحدا على وجه معين وفي وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التميز لامتدادهما من غير ان يكون هناك امر ومأمور كما في قوله تعالى كن وقوله تعالى (اربعاء كرها) تمثيل لثمن تأخير الحال اى طائعتين او كارهتين

فقد امر ضوا عنه ولم يلتفتوا اليه وتذوه وراء ظهورهم وذلك يدل على انه لا مهادى الامن هدا الله ولا ضال الامن اضله الله واعلم انه تعالى لما وصف القرآن بأنهم امرضوا عنه ولا يسمعون به بين انهم صرحوا بهذه النفرة والمباعدة وذكروا ثلاثة اشياء (احدها) انهم قالوا اقلوبنا فى اكنة مما تدعوننا اليه واكلت جيع كنان كأعطية جمع غطاء والكسان هو الذى يجعل فيه السهام (وثانيها) قولهم وفى آذاننا وقر أى صمم وثقل يمنع من استماع قولك (وثالثها) قولهم ومن بيننا وبينك حجاب والحجاب هو الذى يمنع من الرؤية والفائدة فى كلمة من فى قوله ومن بيننا انه لوقيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حصل وسط الجهتين اما زيادة لفظ من كان المعنى ان الحجاب ابتداء منا وابتداء منك فالمسافة الحاصلة بيننا وبينك مستوعبة بالحجاب وما بقى جزء منها فارغا عن هذا الحجاب فكانت هذه اللفظة دالة على قوة هذا الحجاب هكذا ذكره صاحب الكشف وهو فى غاية الحسن واعلم انه انما وقع الاقتصار على هذه الاعضاء الثلاثة وذلك لان القلب محل المعرفة وسلطان البدن والسمع والبصر هما الاكثان المعينتان لتحصيل المعارف فتبين ان هذه الثلاثة محجوبة كان ذلك اقصى ما يمكن فى هذا الباب واعلم انه اذا تأكدت النفرة عن الشئ صارت تلك النفرة فى القلب فاذا سمع منه كلام لم يفهم معناه كما ينبغي واذا رآه لم تنصر تلك الرؤية سببا للوقوف على دقائق احوال ذلك المرنى وذلك لان المدرك والشاعر هو النفس وشدة نفرة النفس عن الشئ تمنعها من التدبر والوقوف على دقائق ذلك الشئ فاذا كان الامر كذلك كان قولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعوننا اليه وفى آذاننا وقرو من بيننا وبينك حجاب استعارات كاملة فى افادة المعنى المراد فان قيل انه تعالى حكى هذا المعنى عن الكفار فى معرض الذم وذكر ايضا ما يقرب منه فى معرض الذم فقال وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم ثم انه تعالى ذكر هذه الاشياء الثلاثة بعينها فى معرض التقرير والاثبات فى سورة الانعام فقال وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا فكيف الجمع بينهما قلنا انه لم يقل ههنا انهم كذبوا فى ذلك انما الذى ذمهم عليه انهم قالوا انا اذا كنا كذلك لم يجوز تكليفنا وتوجيه الامر والهى علينا وهذا الثانى باطل اما الاول فلانه ليس فى الآية ما يدل على انهم كذبوا فيه واعلم انهم لما وصفوا انفسهم بهذه الصفات الثلاثة قالوا فاعمل انا عاملون والمراد فاعمل على دينك انا عاملون على ديننا ويجوز ان يكون المراد فاعمل فى ابطال امرنا انا عاملون فى ابطال امرك والحاصل عندنا ان القوم ما كذبوا فى قولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعوننا اليه وفى آذاننا وقرو من بيننا وبينك حجاب بل انما اتوا بالكفر والكلام اللاطل فى قولهم فاعمل انا عاملون ولما حكى الله عنهم هذه الشبهة امر محمد صلى الله عليه وسلم ان يجيب عن هذه الشبهة بقوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى وبيان هذا الجواب كما انه يقول انى لا اقدر على ان احللكم على الايمان جبرا وقهرا فانى بشر مثلكم ولا امتياز بينى وبينكم الا بمجرد ان الله عز وجل اوحى الى وما اوحى اليكم فانما ابلغ هذا الوحي اليكم ثم قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لاثبات الطوع والكراهية لهما وهما مصدران وقما موقع

وقوله تعالى (قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) أي متقدين تمثيل لكمال نأثرهما بالذات عن القدرة ( ٣٥٠ ) الربانية وحصولهما كما امرتاهما وتصوير

بعدم ذلك ان شرفكم الله بالتوحيد والتوفيق قبلتموه وان خذلكم بالحرمان رددتموه وذلك لا يتعلق بذوقى ورسالتى ثم يمين ان خلاصة ذلك الوحي ترجع الى امرين العلم والعمل اما العلم فالرأس والرئيس فيه معرفة التوحيد وذلك لان الحق هو الله واحد وهو المراد من قوله انما الحكم انه واحد واذا كان الحق في نفس الامر ذلك وجب علينا ان نعترف به وهو المراد من قوله فاستقيموا اليه ونظيره قوله اهدنا الصراط المستقيم وقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وفي قوله تعالى فاستقيموا اليه وجهان ( الاول ) فاستقيموا متوجهين اليه ( الثانى ) ان يكون قوله فاستقيموا اليه معناه فاستقيموا له لان حروف الجر يقام بعضها مقام البعض واعلم ان التكليف له ركنان ( احدهما ) الاعتقاد والرأس والرئيس فيه اعتقاد التوحيد فلما امر بذلك انتقل الى وظيفة العمل والرأس والرئيس فيه الاستغفار فلهذا السبب قال واستغفروه فان قيل المقصود من الاستغفار والتوبة ازالة ما لا ينبغي وذلك مقدم على فعل ما ينبغي فلم عكس هذا الترتيب ههنا وقد فعل ما ينبغي على ازالة ما لا ينبغي قلنا ليس المراد من هذا الاستغفار الاستغفار عن الكفر بل المراد منه ان يعمل ثم يستغفر بعده لاجل الخوف من وقوع التقصير في العمل الذى اتى به كما قال صلى الله عليه وسلم وانه ليغان على قلبي واتى لاستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة ولما رغب الله تعالى في الخير والطاعة امر بالتحذير عما لا ينبغي فقال وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون وفي هذه الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) وجه النظم في هذه الآية من وجوه الاول ان العقول والشرائع ناطقة بأن خلاصة السعادات مربوطة بأمرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وذلك لان الموجودات اما الخالق واما الخلق فاما الخالق فكمال السعادة في المعاملة معه ان يقر بكونه موصوفاً بصفات الجلال والعظمة ثم يأتى بأفعال دالة على كونه في نهاية العظمة في اعتقادنا وهذا هو المراد من التعظيم لامر الله واما الخلق فكمال السعادة في المعاملة معهم ان يسعى في دفع الشر عنهم وفي ايصال الخير اليهم وذلك هو المراد من الشفقة على خلق الله فثبت ان اعظم الطامات التعظيم لامر الله وافضل ابواب التعظيم لامر الله والاقرار بكونه واحداً واذا كان التوحيد اعلى المراتب واشرفها كان ضده وهو الشرك اخس المراتب وارذلها ولما كان افضل انواع المعاملة مع الخلق هو اظهار الشفقة عليهم كان الامتناع من الزكاة اخس الاعمال لانه ضد الشفقة على خلق الله اذا عرفت هذا فقوله انه تعالى انبت الويل لمن كان موصوفاً بصفات ثلاثة ( اولها ) ان يكون مشركاً وهو ضد التوحيد واليه الاشارة بقوله وويل للمشركين ( وثانيها ) كونه ممنوعاً من الزكاة وهو ضد الشفقة على خلق الله واليه الاشارة بقوله الذين لا يؤتون الزكاة ( وثالثها ) كونه منكراً للقيامه مستغرقاً في طلب الدنيا ولذاتها واليه الاشارة بقوله وهم بالآخرة هم كافرون وتام الكلام في انه لازمة على هذه المراتب

لكون وجودهما كما هما عليه جارياً على مقتضى الحكمة البالغة من الطور مني عن ذلك والكراهة من جهة - واما قيل طائعين باعتبار كونهما في معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى (فقتضاهن سبع سموات) تفسير وتفصيل لتكوين السماء الجمل المبرع عنه بالامر وجوابه لانه فعل مترتب على نكويتها اي خالقهن خلقاً ابداعياً واتقن امرهن حسباً فتقتضى الحكمة والصير اما السماء على المعنى اومبهم وسبع سموات حال على الاول تمييز على الثاني ( في يومين ) في وقت مقدر بيومين وقد بين مقدار زمان خلق الارض وخلق ما فيها عند بيان تقديرهما فكان خلق الكل في ستة ايام حسبما نص عليه في مواضع من التثنية ( واوحى في كل سماء امرها ) عطف على قضاها اي خلق في كل منها ما فيها من الملائكة والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى كما قاله قتادة والسدى فالوحي عبارة عن التكوين كالامر مفيد بما قيده العطف عليه من الوقت واوحى الى اهل كل منها او امره وكلهم ما يليق بهم من التكليف فهو بمعناه ومطلق عن القيد المذكور واياً كان فعلى ما قرر من التفصيل لادلاله في الآية الكريمة على الترتيب بين ايجاد الارض وايجاد السماء وانما الترتيب بين التقدير والايجاد واما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الانفس الثلاثة على معانيها الظاهرة فهي وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً مستوي الى

اسماء. فهاهنا سبع سموات تدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر ( الثلاثة )

اهل النفسير وقد روى ان العرش لعظيم كان قبل خلق ( ٣٥١ ) السموات والارض على الماء ثم انه تعالى حدث في الماء اضطرابا فازبد

فارتفع منه دخان فاما لزبد فبقي على وجه الماء فخلق فيه البيوسه فجعلها ارضا واحده ثم فتحها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وسلا فخلق منه السموات وروى انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد يوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيها يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وقبل ان خلق جرم الارض مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روى عن الحسن رحمه الله من انه تعالى خلق الارض في موضع بيت المقدس كهية القهر عليه دخان ملتق بها ماصد الدخان وخلق منه السموات وامسك القهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رقعا ففققناهما الآية وليس المراد بنظمها مع السماء في سلك الامر بالاتيان انشاءها واحدا بل انشاء دحوها وحملها على وجه خاص يابق بها من شكل معين ووصف مخصوص كأنه قيل انما على ما ينبغي ان تأتيا عليه اثني ارض مدحوة غرارا ومهادا لاهلاك اثني اسماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول على ذلك الوجه كما تبي عنه قراءة آتيا وآتينا من المراتاة وهي الموافقة وانت حيويان المذكور قبل الامر بالاتيان ليس مجرد خلق جرم الارض حتى يتأني مادكر بل خلق ما فيها ايضا من الادهور المتأخر عن دحوها قطعا فالأظهر ان يسلك مسلك

الثلاثة ان الانسان له ثلاثة ايام الامس واليوم والغدا ما معرفة انه كين كانت احوال الامس في الازل فهو بمعرفة الله تعالى الازل الخالق لهذا العالم واما معرفة انه كيف ينبغي وقوع الاحوال في اليوم الحاضر فهو بالاخصان الى اهل العالم بقدر الطاقة واما معرفة الاحوال في اليوم المستقبل فهو بالاقرار بالبعث والقيامة واذا كان الانسان على ضد الحق في هذه المراتب الثلاثة كان في نهاية الجهل والضلال فلهذا حكم الله عليه بالويل فقال وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون وهذا ترتيب في غاية الحسن والله اعلم ( الوجه الثاني ) في تقرير كيفية النظم ان يقال المراد بقوله لا يؤتون الزكاة اي لا يزكون انفسهم من لوث الشرك بقولهم لا اله الا الله وهو مأخوذ من قوله تعالى ونفس وما سواها ( الثالث ) قال الفراء ان قريشا كانت تطعم الحاج فخرموا ذلك على من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ( المسئلة الثانية ) احتج اصحابنا في اثبات ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام بهذه الآية فقالوا انه تعالى الحق الوعيد الشديد بناء على امرين ( احدهما ) كونه مشركا ( والثاني ) انه لا يؤتي الزكاة فوجب ان يكون لكل واحد من هذين الامرين تأثير في حصول ذلك الوعيد وذلك يدل على ان لعدم اتياء الزكاة من المشرك تأثير اعظما في زيادة الوعيد وذلك هو المطلوب ( المسئلة الثالثة ) احتج بعضهم على ان الامتناع من اتياء الزكاة يوجب الكفر فقال انه تعالى لما ذكر هذه الصفة ذكر قبلها ما يوجب الكفر وهو قوله وويل للمشركين وذكر ايضا بعدها ما يوجب الكفر وهو قوله وهم بالآخرة هم كافرون فلولا يمكن عدم اتياء الزكاة كفرا لكان ذكره فيما بين الصفتين الموجبتين للكفر قبيحا لان الكلام انما يكون فصيحيا اذا كانت المناسبة مرعية بين اجزائه فما كدوا ذلك بأن أبابكر الصديق رضي الله عنه حكم بكفر مانعي الزكاة والجواب لما ثبت بالدليل ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار بالسان وهما حاصلان عند عدم اتياء الزكاة فلم يلزم حصول الكفر بسبب عدم اتياء الزكاة والله اعلم ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار أردفه بوعيد المؤمنين فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون اي غير مقطوع من قولك مننت الحبل اي قطعته ومنه قولهم قدمته السفر اي قطعه وقبل لا يمن عليهم لانه تعالى لما سماه أجرا فاذا الاجر لا يوجب المنة وقيل نزلت في المرضى والزمنى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاحسن ما كانوا يعملون \* قوله تعالى ( قل انكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء فقال لها وللارض انيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ) اعلم انه تعالى لما امر محمد صلى الله عليه وسلم في الآية الاولى ان يقول انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه

الاولين ويحمل الامر بالاتيان على تكونهما متوافقتين على الوجه المذكور وليس من ضرورته ان يكون دحوها مترتبا على

ذلك التكوين وانما اللزوم ترب حصول التوافق عليه ولا ريب في ان يكون ( ٣٥٢ ) السماء على الوجه الاثني بها كاف في حصوله

ولا يتدح في ذلك تكوين الارض  
على لوحه المذكور قبل ذلك  
وان يعمل الارض في قوله تعالى  
و لا ريب من ذلك دحاها منصوبا  
بمسيرة حذب على شرطية  
التفسير ويجعل ذلك اشارة الى ذكر  
ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها  
وتسويتها وغيرها لا الى انفسها  
وتحمل العبدية ما على انفاص  
عن الاول في دلالة على القدرة  
الفاخرة كما يل وما على انه ادخل  
في الالتزام لما للمنافع المتوقعة  
على الارض اكثر وتعلق مصالح  
الناس بذلك اظهر واحاطتهم  
بتفاصيلها اكل وليس ماري  
عن الحسن رضي الله عنه نصا  
في تأخير دحو الارض عن خلق  
السماء نسط لارض معطوف  
على صعد الدخا وخلق السماء  
والو فلا دلالة في ذلك على  
الترتيب قطعا وقد قل لامام  
الواحدى عن مقابل ان خلق  
السماء مقدم على ايجاد الارض  
فضلا عن دحوها فلان من  
حل الامر ناتى انهما حينئذ  
ايضا على ما ذكر من التوافق  
والمواته ولا يمدح في ذلك تقدم  
خلق السماء على خلق الارض كالم  
يقدم في تقدم خلق لارض على  
خلق السماء هذا كله على تقدير  
كون كلمة للراخى الزمانى واما  
على تقدير كونه للراخى لرى  
كما حسم له الاكثر فلا دلالة  
في الآية الكريمة على الترتيب كما  
في الوجه الاول وعلى ذلك نبى  
الكلام في تفسير قوله تعالى  
هو الذى خلق لكم ما فى الارض  
جميعا الآية واما لم يجعل الخلق  
هنا على معنى التفسير كما حل  
على ان الترتيب مقام الامتنان  
حق ( رزى السماء الدنيا بما فيها )  
من الكواكب فانها كلها ترى

متلاثة عليها كائنها فيهما والانتها الى نون العظمة لابرار مزيد العناية بالامر وقوله تعالى ( وحفظا ) مصدر مؤكدا لفعل معطوف ( والظاهر )

والظاهر انهم كانوا قد سمعوا من اهل الكتاب هذه المعاني واعتقدوا في كونها حقة واذا كان الامر كذلك فينبغي ان يقال لهم ان الاله الموصوف بالقدرة على خلق هذه الاشياء العظيمة في هذه المدة الصغيرة كيف يليق بالعقل جعل الخشب المنجور والجر المنحوت شريكاه في العبودية والالهية فظهر بما قررنا ان هذا الاستدلال قوى حسن واما قوله تعالى ذلك رب العالمين اى ذلك الموجود الذى علمت من صفته وقدرته انه خلق الارض في يومين هو رب العالمين وخالقهم ومبدعهم فكيف اثبت له اندادا من الخشب والجر ثم انه تعالى لما اخبر عن كونه خالقا للارض في يومين اخبر انه اتي بثلاثة انواع من الصنع العجيب والفعل البديع بعد ذلك ( فالاول ) قوله وجعل فيها رواسي من فوقها والمراد منها الجبال وقد تقدم تفسير كونها رواسي في سورة النحل فان قيل ما الفائدة في قوله من فوقها ولم يقتصر على قوله وجعل فيها رواسي كقوله تعالى وجعل فيها رواسي شامخات وجعلنا في الارض رواسي قلنا لانه تعالى لو جعل فيها رواسي من تحتها لا وهم ذلك ان تلك الاساطين التخانية هي التي امسكت هذه الارض الثقيلة عن النزول ولكنه تعالى قال خلقت هذه الجبال الثقيل فوق الارض ليرى الانسان بعينه ان الارض والجبال اثقال على اثقال وكلها مفتقرة الى ممسك وحافظ وما ذاك الحافظ المدبر الاله سبحانه وتعالى ( والنوع الثاني ) مما اخبر الله تعالى في هذه الآية قوله وبارك فيها والبركة كثرة الخير والخيرات الحاصلة من الارض اكثر مما يحيط به الشرح والبيان وقد ذكرناها بالاستقصاء في سورة البقرة قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد شق الانهار وخلق الجبال وخلق الاشجار والشمار وخلق اصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه من الخيرات ( والنوع الثالث ) قوله تعالى وقدر فيها اقواتها وفيه اقوال ( الاول ) ان المعنى وقدر فيها اقوات اهلها ومعاشهم وما يصلحهم قال مجاهد بن كعب قدر اقوات الابدان قبل ان يخلق الابدان ( والقول الثاني ) قال مجاهد وقدر فيها اقواتها من المطر وعلى هذا القول فالاقوات للارض للسكان والمعنى ان الله تعالى قدر لكل ارض حظها من المطر ( والقول الثالث ) ان المراد من اضافة الاقوات الى الارض كونها متولدة من تلك الارض وحادثة فيها لان النخوين قالوا يكفي في حسن الاضافة ادنى سبب فالشي قد يضاف الى فاعله تارة والى محله اخرى فقوله وقدر فيها اقواتها اى قدر الاقوات التي يختص حدوثها بذلك لانه تعالى جعل كل بلدة معدن النوع آخر من الاشياء المطلوبة حتى ان اهل هذه البلدة يحتاجون الى الاشياء المتولدة في تلك البلدة وبالعكس فصار هذا المعنى سببا لرغبة الناس في التجارات من اكتساب الاموال ورأيت من كان يقول صنعة الزراعة والحراثة اكثر الحرف والصنائع بركة لان الله تعالى وضع الارزاق والاقوات في الارض قال وقدر فيها اقواتها واذا كانت الاقوات موضوعة في الارض كان طلبها من الارض متعينا ولما ذكر الله سبحانه هذه الانواع الثلاثة من التدبير قال

على زيننا اى وحفظناها من  
الآفات او من المسترقة حفظا  
وقيل مفعول له على المعنى كانه  
قيل وخلقنا المصباح زينة وحفظا  
( ذلك ) الذى ذكره بتفاصيله ( تقدير  
العزير العليم ) البالغ في القدرة  
والعلم ( فان اعرضوا ) متصل  
بقوله تعالى قل انكم الح اى فان  
اعرضوا عن التدبر فيما ذكر من  
عظام الامور الداعية الى الايمان  
او عن الايمان بعد هذا البيان  
( قل لهم ) ( انذرتكم ) اى انذركم  
وصيغة الماضي للدلالة على تحقق  
الانذار المتى عن تحقق المنذره  
( صاعقة ) اى عذابا هائلا شديدا  
الوقع كانه صاعقة ( مثل صاعقة  
عاد وثمود ) وقرئ صعقة مثل  
صعقة عاد وثمود وهى المرة من  
الصعق او الصعق يقال صعقته  
الصاعقة صعقا فصعق صعقا

بعده في اربعة ايام سواء للسائلين وههنا سوالات ( السؤال الاول ) انه تعالى ذكر انه خلق الارض في يومين وذكر انه اصلح هذه الانواع الثلاثة في اربعة ايام اخر وذكر انه خلق السموات في يومين فيكون المجموع عمانية ايام لكنه ذكر في سائر الآيات انه خلق السموات والارض في ستة ايام فلزم التناقض واعلم ان العلماء اجابوا عنه بأن قالوا المراد من قوله وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام مع اليومين الاولين وهذا كقول القائل سرت من البصرة الى بغداد في عشرة ايام وسرت الى الكوفة في خمسة عشر يوما يريد كلا المسافتين ويقول الرجل للرجل اعطيتك الفافي شهر والوفافي شهرين فيدخل الالف في الالف والشهر في الشهرين ( السؤال الثاني ) انه لما ذكر انه خلق الارض في يومين فلو ذكر انه خلق هذه الانواع الثلاثة الباقية في يومين آخرين كان ابعده عن الشبهة وابعده عن الغلط فلم ترك هذا التصريح وذكر ذلك الكلام الجمل والجواب ان قوله في اربعة ايام سواء للسائلين فيه فائدة زائدة على ما اذا قال خلقت هذه الثلاثة في يومين وذلك لانه لو قال خلقت هذه الاشياء في يومين لم يفد هذا الكلام كون هذين اليومين مستغرقين بتلك الاعمال لانه قد يقال علمت هذا العمل في يومين مع ان اليومين ما كانا مستغرقين بذلك العمل اما لما ذكر خلق الارض وخلق هذه الاشياء ثم قال بعده في اربعة ايام سواء للسائلين دل ذلك على ان هذه الايام الاربعة صارت مستغرقة في تلك الاعمال من غير زيادة ولا نقصان ( السؤال الثالث ) كيف القرات في قوله سواء والجواب قال صاحب الكشف قرئ سواء بالحركات الثلاثة الجر على الوصف والنصب على المصدر استوت سواء اي استواء والرفع على هي سواء ( السؤال الرابع ) ما المراد من كون تلك الايام الاربعة سواء فنقول ان الايام قد تكون متساوية المقادير كالايام الموجودة في اماكن خط الاستواء وقد تكون مختلفة كالايام الموجودة في سائر الاماكن فبين تعالى ان تلك الايام الاربعة كانت متساوية غير مختلفة ( السؤال الخامس ) بم يتعلق قوله للسائلين الجواب فيه وجهان ( الاول ) ان الزجاج قال قوله في اربعة ايام اي في تمة اربعة ايام اذا عرفت هذا فالتقدير وقدر فيها اقواتها في تمة اربعة ايام لاجل السائلين اي الطالبين للاقوات المحتاجين اليها ( والناسي ) انه متعلق بمحذوف والتقدير كأنه قيل هذا الحصر والبيان لاجل من سأل في كم خلقت الارض وما فيها ولما شرح الله تعالى كيفية تخليق الارض وما فيها اتبعه بكيفية تخليق السموات فقال ثم استوى الى السماء وهي دخان وفيه مباحث ( البحث الاول ) قوله تعالى ثم استوى الى السماء من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجهها لا يلتفت معه الى عمل آخر وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونظيره قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف بصرفه عن ذلك ( البحث الثاني ) ذكر صاحب الار انه كان عرش الله على الماء قبل خلق

وهو من باب فعلته ففعل ( اذ جاءتهم الرسل ) حال من صاعقة ماد ولا سداد لجعله ظرفا لا تدرتكم اوصفة لصاعقة لفساد المعنى واما جعله صفة لصاعقة عاذي الكاشة اذ جاءتهم فففيه حذف الموصول مع بعض صلته ( من بين ايديهم ومن خلفهم ) متعلق بجاءتهم اي من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمان الماضي للانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون على تنزيل مجي كلمهم ودعوتهم الى الحق منزلة مجي انفسهم فان هودا وصالحا كانا داعيين لهم الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن



السموات والارض فأحدث الله في ذلك الماء سخونة فارتفع زبد ودخان اما الزبد بقي على وجه الماء فخلق الله منه اليوسة واحداث منه الارض واما الدخان فارتفع وعلا فخلق الله منه السموات واعلم ان هذه القصة غير موجودة في القرآن فان دل عليه دليل صحيح قبل والا فلا فهذه القصة مذكورة في اول الكتاب الذي يزعم اليهود انه التوراة وفيه انه تعالى خلق السماء من اجزاء مظلمة وهذا هو المعقول لانا قد لنا في المعقولات على ان الظلمة ليست كيفية وجودية بدليل انه لو جلس انسان في ضوء السراج وانسان آخر في الظلمة فان الذي جلس في الضوء لا يرى مكان الجالس في الظلمة ويرى ذلك الهواء مظلماً واما الذي جلس في الظلمة فانه يرى ذلك الذي كان جالساً في الضوء ويرى ذلك الهواء مضيئاً ولو كانت الظلمة صفة قائمة بالهواء لما اختلفت الاحوال بحسب اختلاف احوال الناظرين فثبت ان الظلمة عبارة عن عدم النور فالله سبحانه وتعالى لما خلق الاجزاء التي لا تجزأ فقبل ان خلق فيها كيفية الضوء كانت مظلمة عديمة النور ثم ركبها وجعلها سموات وكواكب وشمساً وقراً واحداث صفة الضوء فيها فحينئذ صارت مستيرة فثبت ان تلك الاجزاء حين قصد الله تعالى ان يخلق منها السموات والشمس والقمر كانت مظلمة فصيح تسميتها بالدخان لانه لا معنى للدخان الاجزاء منفردة غير متواصلة عديمة النور فهذا ما خطر بالبال في تفسير الدخان والله اعلم بحقيقة الحال ( البحث الثالث ) قوله ثم استوى الى السماء وهي دخان مشعر بأن تخلق السماء حصل بعد تخلق الارض وقوله تعالى والارض بعض ذلك دحاها مشعر بأن تخلق الارض حصل بعد تخلق السماء وذلك يوجب التناقض واختلف العلماء في هذه المسئلة والجواب المشهور ان يقال انه تعالى خلق الارض في يومين اولا ثم خلق بعدها السماء ثم بعد خلق السماء دحا الارض وبهذا الطريق يزول التناقض واعلم ان هذا الجواب مشكل عندي من وجوه ( الاول ) انه تعالى بين انه خلق الارض في يومين ثم في اليوم الثالث جعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها وهذه الاحوال لا يمكن ادخالها في الوجود الا بعد ان صارت الارض مدحوة لان خلق الجبال فيها لا يمكن الا بعد ان صارت الارض مدحوة منبسطة وقوله تعالى وبارك فيها مفسر بخلق الاشجار والنبات والحيوان فيها وذلك لا يمكن الا بعد صيرورتها منبسطة ثم انه تعالى قال بعد ذلك ثم استوى الى السماء فهذا يقتضي انه تعالى خلق السماء بعد خلق الارض وبعد ان جعلها مدحوة وحينئذ يعود السؤال المذكور ( الثاني ) انه قد دلت الدلائل الهندسية على ان الارض كرة فهي في اول حدوثها ان قلنا انها كانت كرة والآن بقيت كرة ايضا فهي منذ خلقت كانت مدحوة وان قلنا انها غير كرة ثم جعلت كرة فيلزم ان يقال انها كانت مدحوة قبل ذلك ثم ازيل عنها هذه الصفة وذلك باطل ( الثالث ) ان الارض جسم في غاية العظم والجسم الذي يكون كذلك فانه من اول دخوله في الوجود يكون مدحوا فبكون القول بأنها ما كانت مدحوة ثم صارت مدحوة فولا

جاء من بين ايديهم اى من قبلهم ومن يعنى من خلفهم اى من بعدهم فكان الرسل قد جاؤهم وخطبواهم بقوله تعالى ( ان لا تعبدوا الا الله ) اى بأن لا تعبدوا على ان ان مصدرية اوى لا تعبدوا على انها مفسرة ( قالوا لو شاء ربنا ) اى ارسال الرسل لانزال الملائكة كما قيل فانه عار عن افادته ما ارادوه من نفي رسالة البشر وقد مر فيما سلف ( لا ) نزل ملائكة اى لا رسلهم لكن لما كان ارسالهم بطريق الانزال قيل لانزل ( فانابما ارسلتم به ) اى على زعمكم وفيه ضرب تكلم بهم ( كافرين ) لما انكم بشرتمنا من غير فضل لكم علينا روى ان ابا جهل قال في ملائمة من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة

باطلا والذى جاء في كتب التواريخ ان الارض خلقت في موضع الصخرة بيت المقدس  
فهو كلام مشكل لانه ان كان المراد انها على عظمها خلقت في ذلك الموضع فهذا قول  
تداخل الاجسام الكثيفة وهو محال وان كان المراد منه انه خلق اولا اجزاء صغيرة  
في ذلك الموضع ثم خلق بقية اجزائها واضيفت الى تلك الاجزاء التي خلقت اولا فهذا  
يكون اعترافا بأن تخلق الارض وقع متأخرا عن تخلق السماء (الرابع) انه لما حصل  
تخلق ذات الارض في يومين وتخلق ساثر الاشياء الموجودة في الارض في يومين آخرين  
وتخلق السموات في يومين آخرين كان مجموع ذلك ستة ايام فاذا حصل دحو الارض  
من بعد ذلك فقد حصل هذا الدحو في زمان آخر بعد الايام الستة فحينئذ يقع تخلق  
السموات والارض في اكثر من ستة ايام وذلك باطل (الخامس) انه لا نزاع ان قوله تعالى  
بعده هذه الآية ثم استوى الى السماء فقال لها وللارض انيا طوعا او كرها كناية عن ايجاد  
السماء والارض فلو تقدم ايجاد السماء على ايجاد الارض لكان قوله انيا طوعا او كرها  
يقضى ايجاد الموجود وانه محال باطل فهذا تمام البحث عن هذا الجواب المنهور ونقل  
الواحدى في البسيط عن مقاتل انه قال خلق الله السموات قبل الارض وتأويل قوله ثم  
استوى الى السماء ثم كان قد استوى الى السماء وهى دخان وقال لها قبل ان يخلق  
الارض فأخبر فيه كان كما قال تعالى قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل معناه ان يكن  
سرق وقال تعالى وكن قرية اهلكتناها فجاءها بأسنا والمعنى فكان قد جاءها هذا ما نقله  
الواحدى وهو عندى ضعيف لان تقدير الكلام ثم كان قد استوى الى السماء وهذا جامع  
بين الضدين لان كلمة ثم تقتضى التأخير وكلمة كان تقتضى التقديم والجمع بينهما يفيد  
التناقض وذلك دليل على انه لا يمكن اجراؤه على ظاهره وقد بينا ان قوله انيا طوعا او كرها  
انما حصل قبل وجودهما واذا كان الامر كذلك امتنع حمل قوله انيا على الامر  
والتكليف فوجب حمله على ما ذكرناه ببقى على لفظ الآية سؤالات (السؤال الاول)  
ما الفائدة في قوله تعالى فقال لها وللارض انيا طوعا او كرها (الجواب) المقصود منه اظهار  
كمال القدرة والتقدير انيا شئنا ذلك او أيينا كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا  
شئت او لم تشأ وتفعلنه طوعا او كرها واتصبا بهما على الحال بمعنى طائعين او مكرهين فقالنا  
اينا على الطوع لاعلى الكره وقبل انه تعالى ذكر السماء والارض ثم ذكر الطوع والكره  
فوجب ان ينصرف الطوع الى السماء والكره الى الارض وتخصيص السماء بالطوع  
لوجوه (احدها) ان السماء في دوام حركتها على نهج واحد لا يختلف تشبه حيوانا مطيعا  
لله تعالى بخلاف الارض فانها مختلفة الاحوال تارة تكون في السكون واخرى  
في الحركات المضطربة (واماها) ان الموجود في السماء ليس بالطاعة قال تعالى يخافون  
ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون واما اهل الارض فليس الامر في حقهم كذلك  
(والثاني) السماء موصوفة بكمال الحال في جميع الامور قالوا انها افضل الالوان وهى

والسحر فكلهم ثم اتانا بنبيا  
من امره فقال عتبة بن ربيعة والله  
لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر  
وعلمت من ذلك علما ما يخفى على  
قاتاه فقال انت يا محمد خير ام  
هاشم انت خير ام عبد المطلب  
انت خير ام عبد الله فبم تشتم  
آلهتنا ونصلنا فان كنت تريد  
الرياسة عقدنا لك البواء فكنت  
رئيسا وان تك بك الباءة وزوجناك  
عشر نسوة تختارهن اى بنات  
قريش شئت وان كان بك المال  
جمعنا لك ما تستغنى ورسول الله  
صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ  
عتبة قال عليه الصلاة والسلام  
بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله  
تعالى مثل صاعقة عاد وثمود  
فامسك عتبة على فيه عليه الصلاة  
والسلام وناشده بالرحم ورجع  
الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما

المستترة واشكالها افضل الاشكال وهي المستديرة ومكانها افضل الامكنة وهو الجوف  
 العالى واجرامها افضل الاجرام وهي الكواكب الثلاثة بخلاف الارض فانها مكان  
 الظلمة والكثافة واختلاف الاحوال وتغير الذوات والصفات فلا جرم وقع التعبير عن  
 تكون السماء بالطوع وعن تكون الارض بالكراهة واذا كان مدار خلق الارض على  
 الكراهة كان اهلها موصوفين ابدا بما يوجب الكراهة والكرب والقهر والقسر (السؤال  
 الثانى) ما المراد من قوله اثبتا من قوله اثبتنا الجواب المراد اثبتا الى الوجود والحصول  
 وهو كقوله كن فيكون وقبل المعنى اثبتا على ما ينبغي ان تثبتا عليه من الشكل والوصف  
 أى بأرض مدحوة قرارا ومهادا واى بسماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاثبات الحصول  
 والوقوع على وفق المراد كما تقول اتى عمه مرضيا وجاء مقبولا ويجوز أيضا ان يكون  
 المعنى لثابتى كل واحدة منكما صاحبتهما الاثبات الذى تقتضيه الحكمة والتدبير من  
 كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض (السؤال الثالث) هلا قيل  
 طائعين على اللفظ او طائعات على المعنى لانهما سموات وارضون (الجواب) لما جعلنا  
 مخاطبات ومجيبات ووصفنا بالطوع والكراهة قيل طائعين فى موضع طائعات نحو قوله  
 ساجدين ومنهم من استدلل به على كون السموات احياء وقال الارض فى جوف  
 السموات اقل من الذرة الصغيرة فى جوف الجبل الكبير فلهذا السبب صارت اللفظة  
 الدالة على العقل والحياة غالبية الا ان هذا القول باطل لاجماع المتكلمين على فساده ثم قال  
 تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين وقضاء التنى انما هو اتمامه والفراغ منه والضمير فى  
 قوله فقضاهن يجوز ان يرجع الى السماء على المعنى كما قال طائعين ونحوه اعجاز نخل خاوية  
 ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصيبين ان احدهما  
 على الحال والثانى على التمييز \* ذكر اهل الاثر انه تعالى خلق الارض فى يوم الاحد  
 والاثنتين وخلق سائر ما فى الارض فى يوم الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات وما فيها فى يوم  
 الخميس والجمعة وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهى الساعة التى تقوم  
 فيها القيامة فان قيل اليوم عبارة عن النهار والليل وذلك انما يحصل بسبب طلوع الشمس  
 وغروبها وقبل حدوث السماوات والشمس والقمر كيف يعقل حصول اليوم قلنا معناه  
 انه مضى من المدة ما لو حصل هناك فلك وشمس لكان المقدار مقدرا بيوم ثم قال تعالى  
 واوحى فى كل سماء امرها قال مقاتل امر فى كل سماء بما اراد وقال قتادة خلق فيها  
 سمسها وقرها ونجومها وقال السدى خلق فى كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من  
 البحار وجبال البرد قال ولله فى كل سماء بيت يحج اليه ويطوف به الملائكة كل واحد  
 منها مقابل الكعبة ولو وقعت منه حصاة ما وقعت الاعلى الكعبة والا قرب ان يقال قد  
 ثبت فى علم النحوانه يكفى فى حسن الاضافة ادنى سبب والله تعالى على اهل كل سماء  
 تكليف خاص فن الملائكة من هو فى القيام من اول خلق العالم الى قيام القيامة ومنهم

حبس عنهم فالوا ما ترى عتبة  
 اقدصا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة  
 ما حبسك عنا الا انك قد صبات  
 ففضب ثم قال والله لقد كلمته  
 فاجابني نسي والله ما هو بشعر ولا  
 كهانة ولا سحر ولا مبلغ صاعقة عاد  
 وعود امسكت بفيه وناشدته  
 بالرحم ان يكف وقد علم ان محمدا  
 اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان  
 ينزل بكم العذاب (فأما عاد  
 فاسكبوا فى الارض) شروع  
 فى حكاية ما يخص بكل واحدة من  
 الطائفتين من الجنائى والعذاب  
 ار حكاية ما يميم الكل من الكفر  
 الملقى اى فتعظموها فيها على  
 اهلها واستعلوا فيها واستولوا  
 على اهلها (غير الحق) اى غير  
 استحقاق للتنظيم والولاية (وقالوا  
 مدلين لشدهم وقوتهم) (من اشد  
 مناقرة) حيث كانوا ذوى اجسام

ركوع لا يتصبون ومنهم سجود لا يرفعون وإذا كان ذلك الأمر مختصاً بأهل ذلك السماء كان ذلك الأمر مختصاً بتلك السماء وقوله تعالى وأوحى في كل سماء أمراًهاى وكان قد خص كل سماء بالأمر المضاف إليه كقوله وكمن قرية أهلكتناها فجاءها بأسنا والمعنى فكان قد جاءها هذا ما نقله الواحدى وهو عندى ضعيف لأن تقدير الكلام لمكان قد استوى إلى السماء وكان قد أوحى وهذا جمع بين الضدين لأن كلمة لم تقتضى التأخير وكلمة كان تقتضى التقديم فالجمع بينهما يفيد التناقض ونظيره قول القائل ضربت اليوم زيداً ثم ضربت عمراً بالأمس فكما أن هذا باطل فكذا ما ذكرتموه وأنما يجوز تأويل كلام الله بما لا يؤدى إلى وقوع التناقض والركاكة فيه والمختار عندى أن يقال خلق السموات مقدم على خلق الأرض بقى أن يقال كيف تأويل هذه الآية فنقول الخلق ليس عبارة عن التكوين والابحاد والدليل عليه قوله تعالى أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فلو كان الخلق عبارة عن الإيجاد والتكوين لكان تقدير الآية أوجده من تراب ثم قال له كن فيكون وهذا محال لأنه يلزم أنه تعالى قد قال للشيء الذى وجد كن ثم أنه يكون وهذا محال فثبت أن الخلق ليس عبارة عن التكوين والإيجاد بل هو عبارة عن التقدير والتقدير فى حق الله تعالى هو حكمه بأنه سيوجده وقضاؤه بذلك وإذا ثبت هذا فنقول قوله خلق الأرض فى يومين معناه أنه قضى بحدوثه فى يومين وقضاء الله بأنه سيحدث كذا فى مدة كذا لا يقتضى حدوث ذلك الشيء فى الحال فقضاء الله تعالى بحدوث الأرض فى يومين قد تقدم على أحداث السماء ولا يلزم منه تقدم أحداث الأرض على أحداث السماء وحينئذ يزول السؤال فهذا ما وصلت إليه فى هذا الموضع المشكل ثم قال تعالى فقال لها وللأرض ائبيا طوعاً أو كرها قلنا أئبنا طائعين وأعلم أن ظاهر هذا الكلام يقتضى أن الله تعالى أمر السماء والأرض بالائتيا فأطاعا وأمتلا وعند هذا حصل فى هذه الآية قولان (الاول) أن تجرى هذه الآية على ظاهرها فنقول أن الله تعالى أمرهما بالائتيا فأطاعا قال القائلون بهذا القول وهذا غير مستبعد الا ترى أنه تعالى أمر الجبال أن تنطق مع داود عليه السلام فقال يا جبال اوى معه والطير والله تعالى تجلى للجبل قال فلما تجلى ربه للجبل والله تعالى انطق الايدى والارجل قال يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وإذا كان كذلك فكيف يستبعد أن يخلق الله فى ذات السماء والأرض حياة وعقلاً وفهماً ثم يوجه الأمر والتكليف عليهما ويتأكد هذا الاحتمال بوجوه (الاول) أن الأصل جل اللفظ على ظاهره الا اذا منع منه مانع وههنا لا مانع فوجب اجراءه على ظاهره (الثاني) أنه تعالى أخبر عنهما فقال قلنا أئبنا طائعين وهذا الجمع جمع مابعل ويعل (والثالث) قوله تعالى أنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وهن أيدل على كونها عارفة بالله مخصوصة بتوجيه تكليف الله عليها والاشكال عليه أن يقال المراد

طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم أن الرجل كان يترع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده (أو لم يروا) أى اغفلوا أو لم ينظروا ولم يعلموا علماً جلياً شبيهاً بالمشاهدة والعيان (إن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) أى قدرة فانه تعالى قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوياً على ما لا يقدر عليه غير مفيض للقوى والقدر على كل قوى وقادر وأما ورود فى حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات والأرض لادعائهم الشدة فى القوة وفيه ضرب من التكميم بهم (وكانوا بآياتنا) المنزلة على الرسل (يخجدون) أى ينكرونها وهم يعرفون حقيقتها وهو عطف على ما سكبوا كقوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء (فارسلنا

من قوله أثبتا طوعا او كرها الايتان الى الوجود والحدوث والحصول وعلى هذا التقدير  
 فقال توجه هذا الامر كانت السموات والارض معدومة اذ لو كانت موجودة لصار حاصل  
 هذا الامر ان يقال ما وجوده كن موجودا وذلك لا يجوز فثبت انها حال توجه هذا الامر  
 عليها كانت معدومة واذا كانت معدومة لم تكن قاهرة ولا مرفة للخطاب فلم يحز توجيه  
 الامر عليها فان قال قائل روى مجاهد عن ابن عباس انه قال قال الله سبحانه للسموات  
 اطلعي شمسي وقرني ونجومك وقال للارض شقي انهارك واخرجي نمارك وكان الله تعالى  
 اودع فيهما هذه الاشياء ثم أمرهما بابرازها واظهارها فنقول فعلى هذا التقدير لا يكون  
 المراد من قوله أثبتا طاعتين حدوثهما في ذاتهما بل بصير المراد من هذا الامر أن يظهر ما  
 كان مودعا فيهما الا ان هذا الكلام باطل لانه تعالى قال فقضاهن سبع سموات في يومين  
 والفاء للتعقيب وذلك يدل على ان حدوث السموات انما حصل بعد قوله أثبتا طوعا  
 او كرها فهذا جملة ما يمكن ذكره في هذا البحث (القول الثاني) ان قوله تعالى قال لها  
 وللارض أثبتا طوعا او كرها ليس المراد منه توجيه الامر والتكليف على السموات  
 والارض بل المراد منه انه اراد تكوينهما فلم يمنعهما فلم يمتنع عليهما ووجدنا كما ارادهما وكان في  
 ذلك كالمأمور المطيع اذا ورد عليه أمر الامير المطاع ونظيره قول القائل قال الجدار للوثة  
 لم تشقني قال الوتد اسأل من يدقني فان الحجر الذي ورائي ما خلاني وراي واعلم ان هذا  
 عدول عن الظاهر واتماجاز العدول عن الظاهر اذا قام دليل على انه لا يمكن اجراؤه على  
 ظاهره وقد بينا ان قوله أثبتا طوعا او كرها انما حصل قبل وجودهما واذا كان الامر  
 كذلك امتنع حل قوله أثبتا طوعا او كرها على الامر والتكليف فوجب حله على ما ذكرنا  
 واعلم ان اثبات الامر والتكليف فيهما مشروط بحصول المأمور فيهما وهذا يدل على انه  
 تعالى اسكن هذه السموات الملائكة او انه تعالى أمرهم بأشياء ونهاهم عن اشياء وليس في  
 الآية ما يدل على انه انما خلق الملائكة من السموات او انه تعالى خلقهم قبل السموات ثم  
 انه تعالى اسكنهم فيها وايضا ليس في الآية بيان الشرائع التي امر الملائكة بها وهذه  
 الاسرار لا تليق بعقول البشر بل هي اعلى من مصاعد افهامهم ومرامى اوهاهم ثم قال  
 وزينا السماء الدنيا بمصابيح وهي النيرات التي خلقها في السموات وخص كل واحد بضوء  
 معين وسرمعين وطبيعة معينة لا يعرفها الا الله ثم قال وحفظا بعني وحفظناها حفظا بعني  
 من الشياطين الذين يسترقون السمع فأعد لكل شيطان نجما يرميه به ولا يخطئه فيها  
 ما يحرق ومنها ما يقتل ومنها ما يجعله مخبلا وعن ابن عباس ان اليهود سألوا الرسول صلى  
 الله عليه وسلم عن خلق السموات والارض فقال خلق الله تعالى الارض في يوم الاحد  
 والانيب وخلق الجبال والشجر في يومين وخلق في يوم الخميس السماء وخلق في يوم الجمعة  
 النجوم والشمس والقمر والملائكة ثم خلق آدم عليه السلام واسكنه الجنة ثم قالت اليهود  
 ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا نعم استراح فعضب رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليهم ريحا صرصرا (اي باردة  
 تهاك وتحرق بشدة بردها من  
 الصر وهو البرد الذي يصراي  
 يجمع ويقبض او عاصفة تصوت  
 في هبوبها من الصرير ( في ايام  
 نحسات ) جمع نحسة من نحس  
 نحسا تقيض سعد سعدا وقرى  
 بالسكون على التخفيف او على انه  
 نعت على فعل او وصف بمصدر  
 مبالغة قل كن آخر شوال من  
 الاربعاء الى الاربعاء وما عذب  
 قوم الا في يوم الاربعاء (لنذيقهم  
 عذاب الحرى في الحياة الدنيا)  
 وقرى اتديفهم على اسناد الادافة  
 الى الريح او الى الايام واضيف  
 العذاب الى الحرى الذي هو الذل  
 والاستكابة على انه وصف له كما  
 يعرب عنه قوله سبحانه (ولعذاب  
 الآخرة اخزى) وهو في الحقيقة  
 وصف للعذاب وقد وصف به

فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ وَعِلْمٌ أَنَّهُ تَعَالَى لِمَا ذَكَرْهُ هَذِهِ التَّفَاصِيلُ قَالَ ذَلِكَ تَقْدِيرُ  
 الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْعَزِيزُ إِشَارَةُ إِلَى كَمَالِ الْقُدْرَةِ وَالْعَلِيمُ إِشَارَةُ إِلَى كَمَالِ الْعِلْمِ وَمَا أَحْسَنَ هَذِهِ  
 الْخَاتَمَةَ لِأَنَّ تِلْكَ الْأَعْمَالَ لَا تَمُكِّنُ إِلَّا بِقُدْرَةٍ كَامِلَةٍ وَعِلْمٍ مُحِيطٍ \* قَوْلُهُ تَعَالَى (فَإِنْ أَعْرَضُوا  
 فَقُلْ أَذْذَرْتَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَنُوحٍ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرِّسَالُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمَنْ خَلْفَهُمْ  
 أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَأَمَّا بِمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَأَمَّا عَادُ  
 فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنْكَ قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ  
 أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَتٍ لَنَذِقَنَّهُمْ  
 عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ وَأَمَّا نُوحٌ  
 فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَجَبُوا أَلْعَمَى عَلَى الْهَدْيِ فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا  
 يَكْسِبُونَ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ) أَعْلَمُ أَنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا ابْتَدَى مِنْ قَوْلِهِ إِنَّمَا  
 الْهَيْكَمُ الْوَاحِدُ وَاجْتَنِبَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ  
 وَحَاصِلُهُ أَنَّ إِلَهَهُ الْمَوْصُوفَ بِهَذِهِ الْقُدْرَةِ الْقَاهِرَةِ كَيْفَ يَجُوزُ الْكُفْرُ بِهِ وَكَيْفَ يَجُوزُ جَعْلُ  
 هَذِهِ الْأَجْسَامِ الْخَسِيسَةِ شُرَكَاءَ لَهُ فِي الْإِلَهِيَّةِ وَلَمَّا تَمَّ تِلْكَ الْجُمْلَةُ قَالَ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ  
 أَذْذَرْتَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَنُوحٍ وَبَيَّنَ ذَلِكَ لِأَنَّ وَظِيفَةَ الْجُمْلَةِ قَدِّمَتْ عَلَى أَكْلِ  
 الْوُجُوهِ فَإِنْ بَقِيَ أَصْرَيْنِ عَلَى الْجَهْلِ لِمَ يَبْقَى حِينَئِذٍ عِلَاجٌ فِي حَقِّهِمُ الْإِنْزَالُ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ  
 فَلِهَذَا السَّبَبِ قَالَ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَذْذَرْتَكُمْ بِمَعْنَى أَنْ أَعْرَضُوا عَنْ قَبُولِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ  
 الْقَاهِرَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَأَصْرُوا عَلَى الْجَهْلِ وَالتَّقْلِيدِ فَقُلْ أَذْذَرْتَكُمْ وَالْإِنْذَارُ هُوَ التَّخْوِيفُ  
 قَالَ الْمُرَدُّ وَالصَّاعِقَةُ النَّارُ الْمُهْلِكَةُ لَا شَيْءَ كَانَ وَفَرَى صَعِقَةً مِثْلَ صَعِقَةِ عَادٍ وَنُوحٍ قَالَ  
 صَاحِبُ الْكَشَافِ وَهِيَ الْمَرَّةُ مِنَ الصَّعَقِ نَمَّ قَالَ أَذْذَرْتَهُمُ الرِّسَالُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمَنْ  
 خَلْفَهُمْ فِيهِ وَجْهَانِ (الْأَوَّلُ) الْمَعْنَى أَنَّ الرِّسَالَ الْمُبْعُوثِينَ إِلَيْهِمْ أَنُوهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ  
 وَاجْتَنَهُدُوا بِهِمْ وَأَتُوا بِجَمِيعِ وَحُوهِ الْحِيلِ فَلَمْ يَرَوْا مِنْهُمْ إِلَّا الْعَتَا وَالْأَعْرَاضَ كَمَا حَكَى اللَّهُ  
 تَعَالَى عَنِ الشَّيْطَانِ قَوْلَهُ لَمْ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ يَعْنِي لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ  
 وَلَا يَمْلِكُنَ فِيهِمْ كُلَّ حِيلَةٍ وَيَقُولُ الرَّجُلُ اسْتَدْرَجْتُ بِفُلَانٍ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَلَمْ تَوْزُرْ حِيلَتِي فِيهِ  
 (السُّؤَالُ الثَّانِي) الْمَعْنَى أَنَّ الرِّسَالَ جَاءَتْهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمِنْ بَعْدِهِمْ فَإِنَّ الرِّسَالَ الَّذِينَ جَاءُوا  
 مِنْ قَبْلِهِمْ وَمِنْ بَعْدِهِمْ كَيْفَ يُمْكِنُ وَصَفُهُمْ بِأَنَّهُمْ جَاءُوهُمْ قَلْبًا قَدْ جَاءَهُمْ هُودٌ وَصَالِحٌ  
 دَاعِيَيْنِ إِلَى الْإِيمَانِ بِمَا وَجَّهَ الرِّسَالَ وَبِهَذَا التَّقْدِيرِ فَكَانَ جَمِيعُ الرَّجُلِ قَدْ جَاءُوهُمْ نَمَّ قَالَ  
 لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ يَعْنِي أَنَّ الرِّسَالَ الَّذِينَ جَاءُوهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَمْرُهُمْ  
 بِالْتَّوْحِيدِ وَنَفْيُ الشِّرْكِ قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ أَنَّ فِي قَوْلِهِ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ بِمَعْنَى أَيْ  
 أَوْ خَفِيفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ أَصْلُهُ بَأَنَّهُ لَا تَعْبُدُوا أَيْ بِأَنَّ الشَّأْنَ وَالْحَدِيثَ قَوْلُنَا لَكُمْ لَا تَعْبُدُوا  
 إِلَّا اللَّهَ ثُمَّ حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أُولَئِكَ الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً يَعْنِي أَنَّهُمْ

العذاب للبالغة (وهم لا ينصرون)  
 يدفع العذاب عنهم بوجه من  
 الوجوه (وأمّا عود فهديناهم)  
 فدللتهم على الحق بنصب الآيات  
 التكوينية وإرسال الرسل وإنزال  
 الآيات التشريعية وإزها  
 عنهم بالكلية وقدم تحقيق  
 معنى الهدى في تفسير قوله تعالى  
 هدى للتقين وقرئ عود بالنصب  
 بفعل يفسره ما بعده ومنونا  
 في الحالين وضم الناء (فاستجبوا  
 العصى على الهدى) أي احتاروا  
 الضلالة على الهداية (فأخذتهم  
 صاعقة العذاب الهون) داهية  
 العذاب وقارعة العذاب والهون  
 الهوان وصف به العذاب مبالغة  
 أو إبدل منه (بما كانوا يكسبون)  
 من اختيار الضلالة (ونجينا  
 السدين آمنوا وكانوا يتقون)  
 من تلك الصاعقة

كذبوا اولئك الرسل وقالوا الدليل على كونكم كاذبين انه تعالى لو شاء ارسل الرسل الى البشر لجعل رسله من زمرة الملائكة لان ارسل الملائكة الى الخلق افضى الى المقصود من البعثة والرسالة ولما ذكرنا هذه الشبهة قالوا فانا بما ارسلتم به كافرون معناه فاذا انتم بشروا لستم بملائكة فأنتم لستم برسل واذا لم تكونوا من الرسل لم يلزمنا قبول قولكم وهو المراد من قوله فانا بما ارسلتم به كافرون واعلم انا بالغنا في الجواب عن هذه الشبهات في سورة الانعام وقوله ارسلتم به ليس باقرار منهم بكون اولئك الانبياء رسلا وانما ذكره حكاية لكلام الرسل او على سبيل الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون \* روى ان ابا جهل قال في ملا من قريش التبس علينا امر محمد فلو التستم لنا رجلا عالما بالشعر والحجر والكهانة فكلمه ثم انا يبيان عن امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والحجر والكهانة وعلمت من ذلك علما وما يخفى على فأتاه فقال يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله لم تشتم آلهتنا وتصلنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان تكن بك الباء زوجناك عشر نسوة تختارهن اى بنات من شئت من قريش وان كان المال مرادك جعلنا لك ما تستغنى به ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا الا ترى عتبة الا قد صبأ فأنطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبأت فغضب واقسم لا يتكلم محمدا أبدا ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشئ ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة ولم يبلغ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود امسكت فيه وناشده بالرحم ولقد علمت ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فحفت ان ينزل بكم العذاب واعلم انه تعالى لما بين كفر قوم عاد وثمود على الاجالين خاصية كل واحدة من هاتين الطائفتين فقال فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وهذا الاستكبار فيه وجهان (الاول) اظهار النخوة والكبر وعدم الالتفات الى الغير (والثاني) الاستعلاء على الغير واستخدامهم ثم ذكر تعالى سبب ذلك الاستكبار وهو انهم قالوا من اشد منا قوة وكانوا مخصوصين بكبر الاجسام وشددة القوة ثم انه تعالى ذكر ما يدل على انه لا يجوز لهم ان يغتروا بشدة قوتهم فقال اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة يعنى انهم وان كانوا اقوى من غيرهم فالله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة فان كانت الزيادة في القوة توجب كون الناقص في طاعة الكامل فهذه المعاملة توجب عليهم كونهم منقادين لله تعالى خاضعين لاوامره ونواهيه واخرج اصحابنا بهذه الآية على اثبات القدرة لله فقالوا القوة ههنا هي القدرة فقوله الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة يدل على اثبات القدرة لله تعالى ويتأكد هذا بقوله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فان قيل صيغة افعال التفضيل انما تجرى بين شيئين لاحدهما مع الآخر نسبة لكن قدرة العبد متناهية وقدرة الله

(ويوم يحشر اعداء الله) شروع في بيان عقوباتهم الاجلة او بيان عقوباتهم العاجلة والتعير عنهم بأعداء الله تعالى لدمهم والايدان بعبادة ما يحق لهم من الوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الاولين والآخرين ويرده ماسياتى من قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرئ يحشر على بناء الفاعل ونصب اعداء الله وبنون العظمة وضم الشين وكسر هاء الى النار) اى الى موقف الحساب اذ هناك تحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم الى النار والتعير عنه بالنار اما للايدان بأنها عاقبة حشرهم وانهم على شرف دخولها واما لان حسابهم يكون على شفيعها ويوم امامنصوب باذكر او ظرف لضمر مؤخر قد حذف ايها ما لقصور العبارة عن تفصيله كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالى (فهم يوزعون) اى يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون ويدفعون الى النار وقوله تعالى (حتى اذا ما جاؤوها) اى جميعا غاية ليحشر اوليوزعون اى حتى اذا حضروها وما من يد لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور



لانهاية لها والمتناهى لانسبة له الى غير المتناهى فامعنى قوله ان الله اشد منهم قوة قلنا هذا ورد على قاتون قولنا الله اكبر ثم قال وكانوا بآياتنا ينجدون والمعنى انهم كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحدون المودع الوديعه واعلم ان نظم الكلام ان يقال اما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وكانوا بآياتنا ينجدون وقوله وقالوا من اشد منا قوة ولم يروا ان الله الذى خلقكم هو اشد منكم قوة اعتراض وقع في البين لتقرير السبب الداعى لهم الى الاستكبار واعلم انا ذكرنا ان مجامع الخصال الحميدة الاحسان الى الخلق والتعظيم للخالق فقوله استكبروا في الارض بغير الحق مضاد للاحسان الى الخلق وقوله وكانوا بآياتنا ينجدون مضاد للتعظيم للخالق واذا كان الامر كذلك فهم قد بلغوا في الصفات المذمومة الموجبة للهلاك والابطال الى الغاية القصوى فلهذا المعنى سلط الله العذاب عليهم فقال فارسنا عليهم ربحا صرصر او في الصرصر قولان (احدهما) انها العاصفة التي تصرصر اى تصوت في هبوبها وفي علة هذه التسمية وجوه قيل ان الرياح عند اشتداد هبوبها يسمع منها صوت يشبه صوت الصرصر فسميت هذه الرياح بهذا الاسم وقيل هو من صرير الباب وقيل من الصرّة وهى الصيحة ومنه قوله تعالى فاقبلت امرأته في صرة (والقول الثانى) انها الباردة التي تحرق يردّها كما تحرق النار بحرّها واصليها من الصر وهو البرد قال تعالى كمثل ريح فيها صروروى عن رسول الله انه قال الرياح ثمان اربع منها عذاب العاصف والصرصر والعقيم والسوم وأربع منها رجة الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات وعن ابن عباس ان الله تعالى ما ارسل على عباده من الريح الا قدر خاتمي والمقصود انه مع قلته اهلك الكل وذلك يدل على كمال قدرته واما قوله في ايام نحسات فقيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأنا في ابن كثير وابو عمرو نحسات بسكون الحاء والباقون بكسر الحاء قال صاحب الكشف يقال نحس نحسا نقيص سعدا سعدا فهو نحس واما نحس فهو اضعف من نحس او وصف على فعل او وصف بمصدر (المسئلة الثانية) استدلل الاحكاميون من المنجمين بهذه الآية على ان بعض الايام قد يكون نحسا وبعضها قد يكون سعدا وقالوا هذه الآية صريحة في هذا المعنى اجاب المتكلمون بأن قالوا ايام نحسات اى ذوات غبار وتراب تأثر لا يكاد يصرفه وتصرفوا ايضا قالوا معنى كون هذه الايام نحسات ان الله اهلكهم فيها اجاب المستدل الاول بأن النحسات في وضع اللغة هى المشؤمات لان النحس يقابله السعد والكدر يقابله الصافي واجاب عن السؤال الثانى ان الله تعالى اخبر عن ايقاع ذلك العذاب في تلك الايام النحسات فوجب ان يكون كون تلك الايام نحسة مغايرا لذلك العذاب الذى وقع فيها ثم قال تعالى لنذيقهم عذاب اخرى في الحياة الدنيا اى عذاب الهوان والذل والسبب فيه انهم استكبروا فاقبال الله ذلك الاستكبار بايصال اخرى والهوان والذل اليهم ثم قال تعالى ولعذاب الآخرة اخرى اى اشدها نة وخزيها وهم لا ينصرون اى انهم يقعون في الخزي الشديد ومع ذلك فلا يكون

(شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) في الدنيا من فنون الكفر والمعاصى بأن ينطقها الله تعالى او يظهر عليها آيات ما افترقوا بها وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الانسب بتخصيص السؤال به في قوله تعالى (وقالوا جلودهم لم تشهدتم علينا) فان ما تشهد به من الزنا اعظم جناية وقبحا واجلب للخرى والعقوبة مما يشهده السمع والابصار من الجنايات المكتسبة بتوسطهما وقيل المراد بالجلود الجوارح اى سألوها سؤال توبيخ لما روى أنهم قالوا لها فمتكن كننا ضل وفي رواية بعد لكن وهما عنكن كنت اجادل وصيغة جمع المقابلة في خطاب المجلود وفي قوله تعالى (قالوا أنطقنا الله الذى انطق كل شئ) لوقوعها في موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء انطقنا الله الذى أنطق كل ناطق وأقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما علمتم به اسططنا من القبايح وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذى انطق كل شئ وليس بذلك لما فيه من ايهام الاضطراب في الاخبار وقبل سألوها سؤال تعجب فالمعنى

لهم ناصر يدفع ذلك الخزي عنهم ولما ذكر الله تعالى قصة ماذا تبعه بقصة ثمود فقال واما ثمود قال صاحب الكشف قرئ ثمود بالرفع والنصب منونا وغير منون والرفع افصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الناء فهديناهم اي دللناهم على طريق الخير والشر فاستحبوا العمى على الهدى اي اختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشدا واعلم ان صاحب الكشف ذكر في تفسير الهدى في قوله تعالى هدى للمتقين ان الهدى عبارة عن الدلالة الموصلة الى البنية وهذه الآية تبطل قوله لانها تدل على ان الهدى قد حصل مع ان الافضاء الى البغية لم يحصل فثبت ان قيد كونه مفضيا الى البغية غير معتبر في اسم الهدى وقد ثبت في هذه الآية سؤال يشعر بذلك الا انه لم يذكر جوابا شافيا فتركناه قالت المعتزلة هذه الآية دالة على ان الله تعالى قد ينصب الدلائل ويخرج الاعذار والعلل الا ان الايمان انما يحصل من العبد لان قوله واما ثمود فهديناهم يدل على انه تعالى قد نصب لهم الدلائل وقوله فاستحبوا العمى على الهدى يدل على انهم من عند انفسهم اتوا بذلك العمى فهذا يدل على ان الكفر والايمان يحصلان من العبد واقول بل هذه الآية من ادل الدلائل على انها انما يحصلان من الله لا من العبد وبيانه من وجهين (الاول) انهم انما صدر عنهم ذلك العمى لانهم احبوا تحصيله فلما وقع في قلوبهم هذه المحبة دون محبة ضده فان حصل ذلك الترجيح فالمرجح فهو باطل وان كان المرجح هو العبد اذ اطلب وان كان المرجح هو الله فقد حصل المطلوب (الثاني) انه تعالى قال فاستحبوا العمى على الهدى ومن المعلوم بالضرورة ان احدا لا يحب العمى والجهل مع العلم بكونه عمى وجهلا ما لم يظن في ذلك العمى والجهل كونه تبصرة وعلما لا يرغب فيه فاقدامه على اختيار ذلك الجهل لا بد وان يكون مسبوقا بجهل آخر فان كان ذلك الجهل الثاني باختياره ايضا لزم المسأل وهو محال فلا بد من انتهاء تلك الجهالات الى جهل يحصل فيه لا باختياره وهو المطلوب ولما وصف الله كفرهم قال فاحزنهم صاعقة العذاب الهون وصاعقة العذاب اي داهية العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدل منه بما كانوا يكسبون يريد من شركهم وتكذيبهم صالحا وعقرهم الناقة وشرع صاحب الكشف ههنا في سفاهة عظيمة والاولى ان لا يلفت اليه لانه وان كان قد سعى سعي احسنا فيما يتعلق بالالفاظ الا ان المسكين كان بعيدا من المعاني ولما ذكر الله الوعيد اذ دفعه بالوعد فقال ونجين الذين آمنوا وكانوا يتقون يعني وكانوا يتقون الاعمال التي كان يأتي بها قوم عاد وثمود فان قيل كيف يجوز للرسول صلى الله عليه وسلم ان ينذر قومه مثل صاعقة عاد وثمود مع العلم بأن ذلك لا يقع في امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد صرح الله تعالى بذلك في قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وجاء في الاحاديث الصحيحة ان الله تعالى رفع عن هذه الامة هذه الانواع من الآفات فلما عرفوا كونهم مشاركين لعاد وثمود في استحقاق مثل تلك الصاعقة جوزوا حدوث ما يكون من جنس ذلك وان كان اقل درجة منهم وهذا القدر يكفي في

حينئذ ليس لطقنا بحجب من قدرة الله الذي انطق كل حي (وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون) فان من قدر على خلقكم وانشاءكم اولا وعلى اعادتهم ورجعكم الى جرائه ثانيا لا يتجيب من انطاقة لجوارحكم ولعل صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما ان المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى الحياة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند الخطاب على تغليب المتوقع على الواقع على ان فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى (وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم) حكاية لما يقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقرير الجواب علود اي ما كنتم تستترون في الدنيا عند موتهم افوا حش مخافة ان تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة الاقتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجوارح اسأ (ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) من القبايح الخفية فلا يظهرها في الآخرة ولذلك اجتأتم على ما فعلتم وفيه ايدان بان شهادة الجوارح باعلامه تعالى حينئذ

التخويف \* قوله تعالى (ويوم نحشر اعداء الله الى النار فهم يزعونون حتى اذا ما جاؤا هاشد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار منوى لهم وان يستعبدوا فاهم من المعينين) واعلم انه تعالى لما بين كيفية عقوبة اولئك الكفار في الدنيا اردفه بكيفية عقوبتهم في الآخرة ليحصل منه تمام الاعتبار في الزجر والتحذير وقرأنا نفع نحشر بالنون اعداء بالنصب اضاف الحشر الى نفسه والتقدير يحشر الله عز وجل اعداء الكفار من الاولين والآخرين ووجته انه معطوف على قوله ونجينا فيحسن ان يكون على وقفه في اللفظ ويقويه قوله يوم نحشر المتقين وحشرناهم واما الباقيون فقرأوا على فعل مالم بسم فاعله لان قصة ثمود قدمت وقوله ويوم يحشر اعداء كلام آخر وايضا الحاشرون لهم هم المأمورون بقوله احشروا وهم الملائكة وايضا ان هذه القراءة موافقة لقوله فهم يزعونون وايضا فتقدير القراءة الاولى ان الله تعالى قال ويوم نحشر اعداء الله الى النار فكان الاولى على هذا التقدير ان يقال ويوم نحشروا اعداءنا الى النار واعلم انه تعالى لما ذكر ان اعداء الله يحشرون الى النار قال فهم يزعونون اي يحبس اولهم على آخرهم اي يوقف سوابقهم حتى يصل اليهم تواليهم والمقصود بيان انهم اذا اجتمعوا استلوا عن اعمالهم ثم قال حتى اذا ما جاؤا هاشد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) التقدير حتى اذا جاؤا هاشد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم وعلى هذا التقدير فكلمة ماصلة وقبل فيها فائدة زائدة وهي تأكيد ان عند مجيئهم لابد وان تحصل هذه الشهادة كقوله أثم اذا ما وقع أمنتهم اي لابد لوقت وقوعه من ان يكون وقت ايمانهم به (المسئلة الثانية) روى ان العبد يقول يوم القيامة يارب العزة الست قد وعدتني ان لا تنظني فيقول الله تعالى فان لك ذلك فيقول العبد اتني لا اقبل على نفسي شاهدا الامن نفسي فيختم الله على فيه وينطق اعضاءه بالاعمال التي صدرت منه فذلك قوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم واختلف الناس في كيفية الشهادة وفيه ثلاثة اقوال (احدها) انه تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه (والثاني) انه تعالى يخلق في تلك الاعضاء الاصوات والحروف الدالة على تلك المعاني كما خلق الكلام في الشجرة (والثالث) ان يظهر في تلك الاعضاء احوالا تدل على صدور تلك الاعمال من ذلك الانسان وتلك الامارات تسمى شهادات كما يقال يشهد هذا العالم بغيرات احواله على حدونه واعلم ان هذه المسئلة صعبة على المعتزلة اما القول الاول فهو صعب على مذهبهم لان البنية عندهم شرط لحصول العقل والقدرة فالنسان مع كونه لسانا يمنع ان يكون محلا للعلم والعقل فان غير الله تعالى تلك البنية

لانها كانت عامة بما شهدت به عند صدوره عنهم \* عن ابن مسعود رضى الله عنه كنت مستترا بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ففقيان وقرشي او قرشيان وبقى فقال احدهم أترون ان الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان أخفينا فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وما كنتم تسترون الآية فالحكم المحكي حينئذ يكون خاصا بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل الانسب ان يراد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما يجري مجراه من الاعمال المنبئة عنه كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده ليم ما حكي من الحال جميع اصناف الكفرة فتدبر (وذاكم) اشارة الى ما ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للايدان بغاية بعد منزلته في السر والسوء وهو مبتدأ وقوله تعالى (ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم) خبر ان له ويحوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا فأصبحتم بسبب ذلك الظن السوء الذي اهلككم (من الخاسرين) اذ صار ما تفضلوا به سببا لسوء النشأين (فان يصبروا فالنار مشوى لهم) اي يحل واء واطامة

والصورة خرج عن كونه لسانا وجلدا وظاهر الآية يدل على اضافة تلك الشهادة الى السمع والبصر والجلود فان قلنا ان الله تعالى ما غير بنية هذه الاعضاء فيثبت يتمتع عليها كونها عاقلة ناطقة فاهمة واما القول الثاني وهو ان يقال ان الله تعالى خلق هذه الاصوات والحروف في هذه الاعضاء وهذا ايضا باطل على اصول المعتزلة لان مذهبهم ان المتكلم هو الذي فعل الكلام لا ما كان موصوفا بالكلام فانهم يقولون ان الله تعالى خلق الكلام في الشجرة وكان المتكلم بذلك الكلام هو الله تعالى لا الشجرة فهنا لوقلنا ان الله خلق الاصوات والحروف في تلك الاعضاء لم ان يكون الشاهد هو الله تعالى لا تلك الاعضاء ولم ان يكون المتكلم بذلك الكلام هو الله لا تلك الاعضاء وظاهر القرآن يدل على ان تلك الشهادة شهادة صدرت من تلك الاعضاء لا من الله تعالى لانه تعالى قال شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم وايضا انهم قالوا تلك الاعضاء لم تشهدتم علينا فقالت الاعضاء انطقنا الله الذي انطق كل شيء وكل هذه الآيات دالة على ان المتكلم تلك الكلمات تلك الاعضاء وان تلك الكلمات ليست كلام الله تعالى فهذا توجيه الاشكال على هذين القولين واما القول الثالث وهو تفسير هذه الشهادة بظهور امارات مخصوصة على هذه الاعضاء دالة على صدور تلك الاعمال منهم فهذا عدول عن الحقيقة الى المجاز والاصل عدمه فهذا انتهى الكلام في هذا البحث اما على مذهب اصحابنا فمفسرنا الاشكال غير لازم لان عندنا البنية ليست شرطا للحياة ولا للعلم ولا للقدرة فالله تعالى قادر على خلق العقل والقدرة والنطق في كل جزء من اجزاء هذه الاعضاء وعلى هذا التقدير فالاشكال زائل وهذه الآية يحسن التسك بها في بيان ان البنية ليست شرطا للحياة ولا لشيء من الصفات المشروطة بالحياة والله اعلم (المسئلة الثالثة) ما رأيت للمفسرين في تخصيص هذه الاعضاء الثلاثة بالذكور سببا وفائدة واقول لاشك ان الحواس خمسة السمع والبصر والشم والذوق واللمس ولاشك ان آلة اللمس هي الجلد فالله تعالى ذكر ههنا ثلاثة انواع من الحواس وهي السمع والبصر والشم واهمل ذكر نوعين وهما الذوق والشم لان الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه لان ادراك الذوق انما يتأتى بأن تصير جلدة اللسان والحنك مماسة لجرم الطعام فكان هذا دخلا فيه فحق حس الشم وهو حس ضعيف في الانسان وليس لله فيه تكليف ولا أمر ولا نهى اذا عرفت هذا فقول نقل عن ابن عباس انه قال المراد من شهادة الجلود شهادة الفروج قال وهذا من باب الكنايةات كما قال ولكن لاتواعدن من سر او اراد النكاح وقال اوجاء أحدكم من الغائط والمراد قضاء الحاجة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول ما يتكلم من الآدمي فحنده وكفه وعلى هذا التقدير فتكون هذه الآية وعيد اشديدا في الاتيان بالزنا لان مقدمة الزنا انما تحصل بالكف ونهاية الامر فيها انما تحصل بالفخذ نعم حكى الله تعالى عنهم انهم يقولون لتلك الاعضاء لم تشهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون ومعناه

قوله وقرئ وان يستعبدوا اي  
بصفة المفعول والمعتبين بصفة  
الفاعل اه

ابدية لهم بحيث لا يبرح لهم منها  
والالتفات الى الغيبة للايدان  
باعتضاء حالهم ان يعرض عنهم  
ويحكي سوء حالهم لغيرهم او  
للاشعار بابعادهم عن حيز الخطاب  
والقيام في غاية دركات النار  
(وان يستعبدوا) اي يسألوا  
العبي وهو الرجوع الى ما يحبونه  
جزعناهم فيهم (فاهم من المعتبين)  
الحاجين اليها ونظيره قوله تعالى  
سواء عليا الجزعنا ام صبرنا مالنا  
من محيص وقرئ وان يستعبدوا  
فاهم من المعتبين اي ان يسألوا  
ان يرضوا ربهم فاهم فاعلمون  
لغوات الممكنة (وقبضنا لهم) اي  
قدرنا وقرنا للكفرة في الدنيا  
(قرناء) جمع قرين اي اخذنا من  
الشياطين يستولون عليهم استيلاء  
القيض على البيض وهو القشر  
وقيل اصل القيص البدل ومنه  
المقايضة للمداوضة (فزينوا لهم  
ما بين ايديهم) من امور الدنيا  
واتباع الشهوات (وما خلفهم)  
من امور الآخرة حيث اروهم  
ان لا يمت ولا حساب ولا مكروه  
قطر (وحق عليهم القول) اي بت  
وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق  
موجبها ومصدقها وهو قوله  
تعالى

ان القادر على خلقكم وانطاقكم في المرة الاولى حال ما كنتم في الدنيا ثم على خلقكم وانطاقكم في المرة الثانية وهي حال القيامة والبعث كيف يستبعد منه انطاق الجوارح والاعضاء ثم قال تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم فالمنع انبأت انهم كانوا يستترون عند الاقدام على الاعمال القبيحة الا ان استنارهم ما كان لاجل خوفهم من ان تشهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم وذلك لانهم كانوا مكبرين للبعث والقيامة ولكن ذلك الاستنار لاجل انهم كانوا يظنون ان الله لا يعلم الاعمال التي يقدمون عليها على سبيل الخفية والاستنار \* عن ابن مسعود قال كنت مستقرا بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر على ثقيان وقرشي فقال احدهم اترون الله يسمع ما تقولون فقال الرجلان اذا سمعنا صوتنا سمع والالم يسمع فذكرت ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم فنزل وما كنتم تستترون ثم قال تعالى وذلكم ظنكم الذي ظنتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وهذا نص صريح في ان من ظن بالله تعالى انه يخرج شئ من المعلومات عن علمه فانه يكون من المهالكين الخاسرين قال اهل التحقيق الظن قسمان ظن حسن بالله تعالى وظن فاسد اما الظن الحسن فهو ان يظن به الرحمة والفضل قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله والظن القبيح فاسد وهو ان يظن بالله تعالى انه يعزب عن علمه بعض هذه الاحوال وقال قتادة الظن نوعان ظن منج وظن مرد فالمنجى قوله اني ظننت الى ملاق حسابه وقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم واما الظن المردى فهو قوله وذلكم ظنكم الذي ظنتم بربكم ارداكم قال صاحب الكشف وذلكم رفع بالابتداء وظنكم وارداكم خبران ويجوز ان يكون ظنكم بدلا من ذلكم وارداكم الخبر ثم قال فان بصبروا فالنار مشوى لهم يعني ان امسكوا عن الاستغاثة لفرج ينظرونه لم يجدوا ذلك وتكون النار منوى لهم اي مقاما لهم وان يستعبدوا فاهم من المعتين اي لم يعطوا العتي ولم يجابوا اليها ونظيره قوله تعالى اجز عنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعبدوا فاهم من المعتين اي ان يسئلوا ان يرضوا ربهم فاهم فاعلون اي لا سبيل لهم الى ذلك \* قوله تعالى ( وقبضنا لهم قرناء فزبنوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون ذلك جزاء اعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا ناسوتا يمجدون وقال الذين كفروا ربنا انا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين ) اعلم انه تعالى لما ذكر الوعيد الشديد في الدنيا والآخرة على كفر اولئك الكفار ارد دفع بذكر السبب الذي لاجله وقعوا في ذلك الكفر فقال وقبضنا لهم قرناء وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الصحاح يقال قابضت الرجل مقايضة

لا ليس تالقي والحق اقول لا ملائجهن منك ومن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم لا ملائجهن منكم اجمعين كما مر مرارا ( في امم ) حال من الضمير الخرواى كاشين في جهة ام وقيل في معنى مع وهذا كما ترى صريح في ان المراد باعداء الله تعالى فيما سبق المهودون من عاد وثمود لا الكفار من الاولين والآخرين كاقيل ( قد خلت ) صفة لأم اي مضت ( من قبلهم من الجن والانس ) على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء ( انهم كانوا خاسرين ) تعليل لاستحقاقهم العذاب والخير للاولين والآخرين ( وقال الذين كفروا ) من رؤساء المشركين لاعتقائهم او قال بعضهم لبعض ( لا تسمعوا لهذا القرآن ) اي لا تنصتوا له ( والغوا فيه ) وعادضوه بالخرافات من الرجز والشمر والتصدية والمكاء او ارفعوا اصواتكم بهالشوشوه على الفسارى وقرئ بضم العين وانعني واحد يقال لعي يلعي كلفي يلعي ولما يلعب اذا هذى ( لعلكم تغلبون ) اي تغلبونه على قراءته ( فلنذيقن الذين كفروا ) اي فوالله لنذيقن هؤلاء القائلين واللاعين اوجع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا اوليا ( عذابا شديدا ) لا يعادر قدره ( ولنجزينهم )

أى عاوضته بمناع وهما قيصان كما يقال يعان وقيص الله فلانا فلان أى جاء به وأتى به له  
ومنه قوله تعالى وقيصنا لهم قرناه (المسئلة الثانية) احتج اصحابنا بهذه الآية على انه تعالى  
يريد الكفر من الكافر فقالوا انه تعالى ذكر انه قيص لهم اولئك القرناء وكان عالما بأنه متى  
قيص لهم أولئك القرناء فانهم يزنون الباطل لهم وكل من فعل فعلا وعلم ان ذلك الفعل  
يفضى الى اثر لا محالة فان فاعل ذلك الفعل لابد وان يكون مريدا لذلك الا تر فبت انه  
تعالى لما قيص لهم قرناء فقد اراد منهم ذلك الكفر اجاب الجبائي عنه بأن قال لو اراد  
المعاصي لكانوا بفعلها مطيعين اذ الفاعل لما اراده منه غيره يجب ان يكون مطيعا له وبأن  
قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون يدل على انه لم يرد منهم الا العباداة فثبت بهذا انه  
تعالى لم يرد منهم المعاصي واما هذه الآية فنقول انه تعالى لم يقل وقيصنا لهم قرناء ليزنوا  
لهم وانما قال فزينوا لهم فهو تعالى قيص القرناء لهم بمعنى انه تعالى أخرج كل احد الى  
آخر من جنسه فقيص احد الزوجين للآخر والغنى للفقير والفقير للغنى ثم بين تعالى ان  
بعضهم زين المعاصي للبعض واعلم ان وجه استدلال اصحابنا ما ذكرناه وهو ان من فعل  
فعلا وعلم قطعا ان ذلك الفعل يفضى الى اثر فان فاعل ذلك الفعل يكون مريدا لذلك الاثر  
فهنا الله تعالى قيص أولئك القرناء لهم وعلم انه متى قيص أولئك القرناء لهم فانهم يقعون  
في ذلك الكفر والضلال وما ذكره الجبائي لا يدفع ذلك وقوله ولو اراد الله منهم المعاصي  
لكانوا بفعلها مطيعين لله قلنا لو كان من فعل ما اراده غيره مطيعا له لوجب ان يكون الله  
مطيعا للعبادة اذا فعل ما ارادوه ومعلوم انه باطل وايضا فهذا الزام لفظي لانه يقال ان  
اردت بالطاعة انه فعل ما اراد فهذا الزام للشيء على نفسه وان اردت غيره فلا بد من بيانه  
حتى ينظر فيه انه هل يصح ام لا (المسئلة الثالثة) اختلفوا في المراد بقوله فزينوا لهم ما بين  
ايديهم وما خلفهم وذكر الزجاج فيه وجهين (الاول) زينوا لهم ما بين ايديهم من امر  
الآخرة انه لا يبعث ولا الجنة ولا النار وما خلفهم من امر الدنيا فزينوا ان الدنيا قديمة وانه  
لا فاعل ولا صانع الا الطبائع والافلاك (الثاني) زينوا لهم اعمالهم التي يعملونها  
ويشاهدونها وما خلفهم وما يزعمون انهم يعملونه وعبر ابن زيد عنه فقال زينوا لهم  
ما مضى من اعمالهم الخبيثة وما بقى من اعمالهم الخسيسة ثم قال تعالى وحق عليهم القول  
في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين فقوله في امم في محل النصب  
على الحال من الضمير في عليهم والتقدير حق عليهم القول حال كونهم كاثنين في جملة امم من  
المتقدمين انهم كانوا خاسرين واحتج اصحابنا ايضا بانه تعالى اخبر بأن هؤلاء حق عليهم  
القول فلو لم يكونوا كفارا لا تقلب هذا القول الحق باطلا وهذا العلم جهلا وهذا الخبر  
الصدق كذبا وكل ذلك محال ومستلزم المحال محال فثبت ان صدور الايمان منهم مستحيل  
صدور الكفر عنهم محال واعلم ان الكلام في اول السورة ابتدئ من قوله وفاءوا فاعلموا  
اكنة مما تدعوننا اليه الى قوله فاعمل اننا عاملون فأجاب الله تعالى عن تلك الشبهة بوجوه

أسوأ الذي كانوا يعملون) ان  
جزاء سيئات اعمالهم التي هي في  
انفسها اسوأ وقيل انه لا يحازيهم  
بحسن اعمالهم كإفائة الملهوفين  
وصلة الارحام وقرى الاضياف  
لانهما محبطة بالكفر وعن ابن  
عباس رضى الله عنهما عذابا  
شديدا يوم يدروا سوا الذي كانوا  
يعملون في الآخرة (ذلك مبتدأ  
وقوله تعالى (جره اعداء الله)  
خبره اى ما ذكر من الجزاء جراه  
معدلا عدائه تعالى وقوله تعالى  
(النار) عطف بيان للجزاء وذلك  
خير مبتدأ محذوف اى الامر ذلك  
على انه عبارة عن مضمون الجملة  
لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة  
مبينة لما قبلها وقوله تعالى (لهم  
فيها در الخلد) جملة مستقلة  
مقررة لما قبلها او البار بمبدأ هي  
خبره اى هي يعينها دار اقامتهم على  
ان في للتجريد ودون يتزع من  
امر ذي صفة امر آخر له مبالغة  
لكماله فيها كما يقال في البضعة  
عشرون مناحديد وتيل هي على  
معناها والمراد انهم في اسار  
المستقلة على الدركات ارا  
مخصوصة هم فيها خالدون  
(جره اعداء الله) مبتدأ محذوف

منصوب

من الاجوبة واتصل الكلام بعضه ببعض الى هذا الموضع ثم انه تعالى حكى عنهم شبهة اخرى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون قال صاحب الكشف قرئ والغوا فيه بفتح الغين وضما يقال لغى ولغا يلغوا ولغو والغوا الساقط من الكلام الذى لا طائل تحته واعلم ان القوم علموا ان القرآن كلام كامل فى المعنى وفى اللفظ وان كل من سمعه وقف على جزالة الفاظه واحاط عقله بمعانيه وقصى عقله بأنه كلام حق واجب القبول فدبروا تدبيرا فى منع الناس عن استماعه فقال بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القرآن اذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات والاشعار الفاسدة والكلمات الباطلة حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته كانت قريش يوصى بذلك بعضهم بعضا والمراد افعلو عند تلاوة القرآن ما يكون لغوا وباطلا لتخرجوا قراءة القرآن عن ان تصير مفهومة للناس فهذا الطريق تغلبون محمدا صلى الله عليه وسلم وهذا جهل منهم لانهم فى الحال اقروا بأنهم مشتغلون بالغو والباطل من العمل والله تعالى بنصر محمدا بفضله ولما ذكر الله تعالى ذلك هددهم بالعذاب الشديد فقال فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا لان لفظ الذوق اعماذ كفى القدر القليل الذى يؤتى به لاجل التجربة ثم انه تعالى ذكر ان ذلك الذوق عذاب شديد فاذا كان القليل منه عذابا شديدا فكيف يكون حال الكثير منه ثم قال ولنجزينهم اسوأ الذى كانوا يعملون واختلفوا فيه فقال الاكثرون المراد جزاء سوء اعمالهم وقال الحسن بل المراد انه لا يحازبهم على محاسن اعمالهم لانهم احبطوها بالكفر فضاعت تلك الاعمال الحسنة عنهم ولم يبق معهم الا الاعمال القبيحة الباطلة فلا جرم لم يتحصلا الا على جزاء السيئات ثم قال تعالى ذلك جزاء اعداء الله النار والمعنى انه تعالى لما قال فى الآية المتقدمة ولنجزينهم اسوأ الذى كانوا يعملون بين ان ذلك الاسوأ الذى جعل جزاء اعداء الله هو النار ثم قال تعالى لهم فيها دار الخلد اى لهم فى جلة النار دار السيئات معينة وهى دار العذاب الخلد لهم جزاء بما كانوا باياتنا يمجدون اى جزاء بما كانوا يلغون فى القراءة وانما سماه جحودا لانهم علموا ان القرآن بالغ الى حد الاجحاز خافوا من انه لو سمعه الناس لآمنوا به فاستخرجوا تلك الطريقة الفاسدة وذلك يدل على انهم علموا كونه معجزا الا انهم جحدوا للحمى وعلم انه تعالى لما بين ان الذى جعلهم على الكفر الموجب للعقاب الشديد بمجاسة قراءه السوء بين ان الكفار عند الوقوع فى العذاب الشديد يقولون ربنا ارنالذين اضلانا من الجن والانس والسبب فى ذكر هذين القسمين ان الشيطان على ضربين جنى وانسى قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقايل لان الكفر سنة ابليس والقتل بغير حق سنة قايل وقري ارنابسكون الراء لنقل الكسرة كما قالوا فى فخذ فخذ وقيل معناه اعطنا الذين اضلانا وحكوا عن الخليل انك اذا قلت ارنى ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا قلته بالسكون فهو

بفعل مقدراى يجرى ون جزاء او بالمصدر السابق فان المصدر ينتصب بمثله كما فى قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة بجزاء والثانية بيجحدون قدمت عليه لمراعاته الفواصل اى بسبب ما كانوا يجحدون باياتنا الحق او يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو (وقال الذين كفروا) وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب (ربنا ارنالذين اضلانا من الجن والانس) يعنون فريق شياطين النوعين المقيضين لهم الخاملين لهم على على الكفر والمعاصى بالتسويل والتزليل وقيل هما ابليس وقايل فانهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقري اونا تخفيفا كفخذ فى فخذ وقيل معناه اعطناهما وقري باختلاس كسرة الراء (نجعلهما نعت اقدامنا) اى ندمهما انتقاما منهما وقيل يجعلهما فى الدرك الاسفل (ليكونا من الاسفلين) اى ذلا ومهانة ومكانا



استمعاء معناه اعطى ثوبك ثم قال تعالى نجعلهما تحت اقدامنا قال مقاتل يكونان اسفل منا في النار ليكونا من الاسفلين قال الزجاج ليكونا في الدرك الاسفل من النار وكان بعض تلامذتي ممن يميل الى الحكمة يقول المراد بالذين يضلان الشهوة والغضب واليهما الاشارة في قصة الملائكة بقوله اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ثم قال والمراد بقوله نجعلهما تحت اقدامنا يعني باربنا اعنا حتى نجعل الشهوة والغضب تحت اقدام جوهر النفس القدسية والمراد بكونهما تحت اقدامه كونهما مسخرين للنفس القدسية مطيعين لها وان لا يكونا مستولين عليها قاهرين لها \* قوله تعالى ( ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى انفسكم ولكم فيها ما تدعون تزل من غفور رحيم ) اعلم انه تعالى لما طنب في الوعيد اردفه بهذا الوعد الشريف وهذا ترتيب لطيف مدار كل القرآن عليه وقد ذكرنا مراراً الكمالات على ثلاثة اقسام النفسانية والبدنية والخارجية واشرف المراتب النفسانية واسطها البدنية وادونها الخارجية وذكرنا ان الكمالات النفسانية محصورة في نوعين العلم اليقيني والعمل الصالح فان اهل التحقيق قالوا كمال الانسان في ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به ورأس المعارف اليقينية ورئيسها معرفة الله واليه الاشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا الله ورأس الاعمال الصالحة ورئيسها ان يكون الانسان مستقيماً في الوسط غير مائل الى طرفي الافراط والتفريط كما قال وكذلك جعلناكم امة وسطاً وقال ايضاً اهدنا الصراط المستقيم واليه الاشارة في هذه الآية بقوله ثم استقاموا وسمعت ان القارئ قرأ في مجلس العبادى هذه الآية فقال العبادى والقيامة في القيامة بقدر الاستقامة اذا عرفت هذا فقول قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ليس المراد منه القول باللسان فقط لان ذلك لا يفيد الاستقامة فلماذا كره عقيب ذلك القول الاستقامة علنا ان ذلك القول كان مقروناً باليقين التام والمعرفة الحقيقية اذا عرفت هذا فنقول في الاستقامة قولان ( احدهما ) ان المراد منه الاستقامة في الدين والتوحيد والمعرفة ( والثاني ) ان المراد منه الاستقامة في الاعمال الصالحة اما على القول الاول ففيه عبارات قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه ثم استقاموا اى لم يلتفتوا الى اله غيره قال ابن عباس في بعض الروايات هذه الآية نزلت في ابى بكر الصديق رضى الله عنه وذلك ان ابابكر الصديق رضى الله عنه وقع في انواع شديدة من البلاء والحمة ولم يغير البتة عن دينه فكان هو الذى قال ربنا الله وبقي مستقيماً عليه لم يتغير بسبب من الاسباب واقول يمكن فيه وجوه اخرى وذلك ان من اقرباً لهذا العالم الها بقيته مقامات اخرى ( قالوها ) ان لا يتوغل في جانب النفي الى حيث ينتهى الى التعليل ولا يتوغل في جانب اثبات الى حيث ينتهى الى التشبيه بل يبقى على الخط المستقيم الفاصل بين التشبيه والتعطيل وايضاً يجب ان يبقى على الخط المستقيم الفاصل

( ان الذين قالوا ربنا الله ) شروع في بيان حسن احوال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما اى تالوا عترافاً بربوبيته تعالى واقرار ابو حذافته ( ثم استقاموا ) اى ثبتوا على الاقرار ومقتضياته على انهم للراخى في الزمان اوفى لرتبة فان الاستقامة لها الشأن كله وما روى عن خلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم في معناها من الثبات على الايمان والخلص العمل واداء الفرائض بيان لمن ثباته ( تنزل عليهم الملائكة ) من جهته تعالى يمدونهم فيما بين لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الالهام كما ان الكفرة يعويهم ما قيش لهم من فناء السوء بزين القبائح وقيل تنزل عند الموت بالسرى وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البئرى في مواطن ثلاثة عند الموت وفي القبر وعند البعث والظاهر هو العموم والاطلاق كما استعرفه ( ان لا تخافوا ) ما تقدمون عليه فان الحق غم ولحق لتوقع المكروه ( ولا تحزنوا ) على ما خلفتم فانه غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الإطلاق والمعنى ان الله تعالى

بين الجبر والقدر وكذا في الرجاء والقنوط يجب ان يكون على الخط المستقيم فهذا هو المراد من قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا واما على القول الثاني وهو ان تحمل الاستقامة على الايمان بالاعمال الصالحة فهذا قول بجاعة كثيرة من الصحابة والتابعين قالوا وهذا اولى حتى يكون قوله ان الذين قالوا ربنا الله متنا ولا للقول والاعتقاد ويكون قوله ثم استقاموا متنا ولا للاعمال الصالحة ثم قال تنزل عليهم الملائكة قيل عند الموت وقيل في مواقف ثلاثة عند الموت وفي القبر وعند البعث الى القيامة ان لا تخافوا ان بمعنى اى او مخففة من الثقيلة واصله بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن واعلم ان الغاية القصوى في رعاية المصالح دفع المضار وجلب المنافع ومعلوم ان دفع المضرة اولى بالرعاية من جلب المصلحة والمضرة اما ان يكون حاصلة في المستقبل او في الحال او في الماضي وههنا دقيقة عقلية وهى ان المستقبل مقدم على الحاضر والحاضر مقدم على الماضي فان الشيء الذى لم يوجد ويتوقع حدوثه يكون مستقبلا فاذا وجد بصير حاضرا فاذا عدم وفى بعد ذلك يصير ماضيا وايضا المستقبل فى كل ساعة يصير اقرب حصولا والماضى فى كل حالة ابعد حصولا ولهذا قال الشاعر

فلا زال ما تمواه اقرب من غد + ولا زال ما تخشاه أبعد من امس

واذا ثبت هذا فالمضار التى يتوقع حصولها فى المستقبل اولى بالدفع من المضار الماضية وايضا الخوف عبارة عن تألم القلب بسبب توقع حصول مضرة فى المستقبل والغم عبارة عن تألم القلب بسبب قوة نفع كان موجودا فى الماضي واذا كان كذلك فدفع الخوف اولى من دفع الحزن الحاصل بسبب الغم اذا عرفت هذا فنقول انه تعالى اخبر عن الملائكة انهم فى اول الامر يخبرون بأنه لا خوف عليكم ما تستقبلونه من احوال القيامة ثم يخبرون بانه لا حزن عليكم بسبب ما فاتكم من احوال الدنيا وعند حصول هذين الامرين فقد زالت المضار والمتاعب بالكربة ثم بعد الفراغ منه يبشرون بحصول المنافع وهو قوله تعالى وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون فان قبل البشارة عبارة من الخبر الاول بحصول المنافع فلما اذا اخبر الرجل بحصول منفعة ثم اخبر ثانيا بحصولها كان الاخبار الثانى اخبارا ولا يكون بشارة والمؤمن قد يسمع بشارات الخير فاذا سمع المؤمن هذا الخبر من الملائكة وجب ان يكون هذا اخبارا ولا يكون بشارة فاما السبب فى تسمية هذا الخبر بالبشارة قلنا المؤمن يسمع ان كان مؤمنا قريبا كان له الجنة اما من لم يسمع البشارة من اهل الجنة فاذا سمع هذا الكلام من الملائكة كان هذا اخبارا بنفع عظيم مع انه هو الخبر الاول بذلك فكان ذلك بشارة واعلم ان هذا الكلام يدل على ان المؤمن عند الموت وفى القبر وعند البعث لا يكون فازا من الاهوال ومن الفزع الشديد بل يكون آمن القلب ساكن الصدر لان قوله ان لا تخافوا ولا تهنطوا يفيد نفي الخوف والحزن على الاطلاق ثم انه تعالى اخبر عن الملائكة انهم قالوا للمؤمنين نحن اولياؤكم فى الحياة الدنيا والآخرة

كنتبلكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وان مافسرة او مخففة من الثقيلة والاصل بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وقرئ لا تخافوا اى يقولون لا تخافوا على انه حال من الملائكة واستثنى (وابشروا) اى سروا (بالجنة التى كنتم توعدون) فى الدنيا على انفسه الرسل هذا من اشاراتهم فى احد المواضع الثلاثة وقوله تعالى (نحن) اولياؤكم فى الحياة الدنيا) الح من بشارتهم فى الدنيا اى اعوانكم فى اموركم نلهمكم الحق ونرشدهم الى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستقرين على الطاعات من ان ذلك بتوفيق الله تعالى ونأيده لهم بواسطة الملائكة عليهم السلام (وفى الآخرة) نمدكم بالشفاعة وتتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادى والحصام (ولكم فيها) اى فى الآخرة (ما تشتهى انفسكم) من فنون الطبييات (ولكم فيها ما تدعون) ما تمنون افتعال من الدعاء بمعنى الطلب اى تدعون لانفسكم وهو اعلم من الاول ولكم فى الموضوعين خبر وما مبتدأ وفيها حال من ضميره فى الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على تشتهى للاشباع فى البشارة والايدان باستقلال كل

وهذا في مقابلة ما ذكره في وعيد الكفار حيث قال وقبضنا لهم قرونا ومعنى كونهم اولياء المؤمنين ان الملائكة تأثيرات في الارواح البشرية بالالهامات والمكاشفات اليقينية والمقامات الحقيقية كما ان للشياطين تأثيرات في الارواح بالقاء الوسوس فيها وتخيل الاباطيل اليها وبالجملة فكون الملائكة اولياء للارواح الطيبة الطاهرة حاصل من جهات كثيرة معلومة لارباب المكاشفات والمشاهدات فهم يقولون كما ان تلك الولاية كانت حاصلة في الدنيا فهي تكون باقية في الآخرة فان تلك العلائق ذاتية لازمة غير قابلة للزوال بل كأنها تصير بعد الموت اقوى وابقى وذلك لان جوهر النفس من جنس الملائكة وهي كالشعلة بالنسبة الى الشمس والقطرة بالنسبة الى البحر والتعلقات الجسمانية هي التي تحول بيننا وبين الملائكة كما قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لظروا الى ملكوت السموات فاذا زالت العلائق الجسمانية والتدبيرات البدنية فقد زال الغطاء والوطاء فيحصل الاثر بالموثر والقطرة بالبحر والشعلة بالشمس فهذا هو المراد من قوله نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم قال ولكم فيها ما تشتمى انفسكم ولكم فيها ما تدعون قال ابن عباس قوله ولكم فيها ما تدعون اي ما تمنون كقوله تعالى لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون فان قيل فعلى هذا التفسير لا يبق فرق بين قوله ولكم فيها ما تشتمى انفسكم وبين قوله ولكم فيها ما تدعون قلنا الا قرب عندي ان قوله ولكم فيها ما تشتمى انفسكم اشارة الى الجنة الجسمانية وقوله ولكم فيها ما تدعون اشارة الى الجنة الروحانية المذكورة في قوله دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ثم قال تزلنا من غفور رحيم والزلزل رزق الزيل وهو الضيف وانصابه على الحال قال العارفون دلت هذه الآية على ان كل هذه الاشياء المذكورة جارية مجرى النزل والكرام اذا اعطى النزل فلا بد وان يبعث الخلع النفيسة بعدها وتلك الخلع النفيسة ليست الا السعادات الحاصلة عند الرؤية والتجلى والكشف التام نسأل الله تعالى ان يجعلنا لها اهلا بفضله وكرمه انه قريب مجيب \* قوله

تعالى (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم

وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما يزغلك من الشيطان ترغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم) اعلم ان في الآية مسائل (المسئلة الاولى) انا ذكرنا ان الكلام من اول هذه السورة انما ابتدئ حيث قالوا للرسول قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ومرادهم ان لا تقبل قولك ولا تلتفت الى دليلك ثم ذكرنا وطريقة اخرى في السفاهة فقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وانه سبحانه ذكر الاجوبة الشافية والبيانات الكافية في دفع هذه الشبهات وازاله هذه الضلالات ثم انه سبحانه وتعالى بين ان القوم وان اتوا بهذه الكلمات الفاسدة الا انه يجب عليك اتباع المواظبة على اتباع

منهما (تزلنا من غفور رحيم) حال ما تدعون مفيدة لكون ما تمنونه بالنسبة الى ما يعطون من عظام الاجور كالنزل للضيف (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله) اي الى توحيدة تعالى وطاعته \* عن ابن عباس رضى الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام وعنه انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المؤمنين والحق ان حكمها عام لكل من جمع ما فيها من الحاصل الحيدة وان نزلت فين ذكر (وعمل صالحا) فياينه وبين ربه (وقال انني من المسلمين) ابتهاجا بانه منهم واتخاذ الاسلام ديننا ونحلة من قولهم هذا قول فلان اي مذهبه لانه تكلم بذلك وقرئ افي بنون واحدة (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) جلة مستأغفة سبقت لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثريان محاسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا للرسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر على اذية المشركين ومقابلة اسمائهم بالاحسان اي لا تستوى الخصلة الحسنة والسيئة في الآثار والاحكام ولا الثانية مزيدة لنا كيد النفي وقوله تعالى (ادفع بالتي هي احسن) الخ استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة اي ادفع السيئة حيث اعترضتك

والدعوة فان الدعوة الى الدين الحق اكل الطاعات ورأس العبادات وعبر عن هذا المعنى فقال ومن احسن قولاً بمن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال اننى من المسلمين فبهذا وجه شريف حسن في نظم آيات هذه السورة وفيه وجه آخر وهو ان مراتب السعادات اثنان التام وفوق التام اما التام فهو ان يكتسب من الصفات الفاضلة ما لا تجلبها بصير كما لا في ذاته فاذا فرغ من هذه الدرجة اشتغل بعدها بتكميل الناقصين وهو التام اذا عرفت هذا فنقول ان قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اشارة الى المرتبة الاولى وهى اكتساب الاحوال التى تفيد كمال النفس في جوهرها فاذا حصل الفراغ من هذه المرتبة وجب الانتقال الى المرتبة الثانية وهى الاشتغال بتكميل الناقص وذلك انما يكون بدعوة الخلق الى الدين وهو المراد من قوله ومن احسن قولاً بمن دعا الى الله فهذا ايضا وجه حسن في نظم هذه الآيات واعلم ان من آتاه الله قريحة قوية ونصاها وافيها من العلوم الالهية الكشفية عرف انه لا ترتيب احسن ولا اكل من ترتيب آيات القرآن (المسئلة الثانية) من الناس من قال المراد من قوله ومن احسن قولاً بمن دعا الى الله هو الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال هم المؤذنون ولكن الحق المقطوع به ان كل من دعا الى الله بطريق من الطرق فهو داخل فيه والدعوة الى الله مراتب ( فالمرتبة الاولى ) دعوة الانبياء عليهم السلام ودعوتهم راجعة على دعوة غيرهم من جوه ( احدها ) انهم جمعوا بين الدعوة بالجملة او لا ثم الدعوة بالسيف ثانياً وقلما اتفق لغيرهم الجمع بين هذين الطريقين ( وثانيها ) انهم هم المبتدئون بهذه الدعوة واما العلماء فانهم يبنون دعوتهم على دعوة الانبياء والشارع في احداث الامر الشريف على طريق الابتداء ( وثالثها ) ان نفوسهم اقوى قوة وارواحهم اصنى جوهر افكانت تأثيراتها في احياء القلوب الميتة واشراق الارواح الكدرة اكل فكانت دعوتهم افضل ( ورابعها ) ان النفوس على ثلاثة اقسام ناقصة وكاملة لا تقوى على تكميل الناقصين وكاملة تقوى على تكميل الناقصين ( فالقسم الاول ) العوام ( والقسم الثانى ) هم الاولياء ( والقسم الثالث ) هم الانبياء ولهذا السبب قال صلى الله عليه وسلم علماء امتى كانوا بنى اسرائيل واذا عرفت هذا فنقول ان نفوس الانبياء حصلت لها مرتتان الكمال فى الذات والتكميل للغير فكانت قوتهم على الدعوة اقوى وكانت درجاتهم افضل واكمل اذا عرفت هذا فنقول الانبياء عليهم السلام لهم صفتان العلم والقدرة اما العلماء فهم ثواب الانبياء فى العلم واما الملوك فهم ثواب الانبياء فى القدرة والعلم يوجب الاستيلاء على الارواح والقدرة توجب الاستيلاء على الاجساد فالعلماء خلفاء الانبياء فى عالم الارواح والملوك خلفاء الانبياء فى عالم الاجساد واذا عرفت هذا ظهر ان اكل الدرجات فى الدعوة الى الله بعد الانبياء درجة العلماء ثم العلماء على ثلاثة اقسام العلماء بالله والعلماء بصفات الله والعلماء بأحكام الله اما العلماء بالله فهم الحكماء الذين قال الله تعالى فى حقهم يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت

من بعض اعاديك بالتي هى احسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالا حسان الى من اساء فانه احسن من العفو واخرجه مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة وقوله تعالى ( فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ) بيان لنجحة الدفع المأمور به اى فاذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق ( وما يلحقها ) اى يلقى هذه الحصلة والسجية التى هى مقابلة الاساءة بالاحسان ( الا الذين صبروا ) اى شأنهم الصبر ( وما يلحقها الاذو حظ عظيم ) من الخير وكال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الذواب قيل نزلت فى ابي سفيان بن حرب وكان مؤذيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار وليا مضافيا ( واما يترغك من الشيطان نزع ) النزع والنسغ بمعنى وهو شبه النفس شبه به وسوسة الشيطان لانها بحث على الشر وجملة نازغ على طريقة جد جده او اريدوا ما يترغك نازغ وصف للشيطان بالمصدراى وان صرفك الشيطان وصيت به من الدفع بالتي هى احسن ( فاستمد بالله ) من شره ولا تطعه ( انه هو السميع ) باستعاذتك ( العليم ) بنيةك او بصلاحك وفي جعل ترك

الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا واما العلماء بصفات الله تعالى فهم اصحاب الاصول واما العلماء باحكام الله فهم الفقهاء ولكل واحد من هذه المقامات ثلاث درجات لانهاية لها فلم هذا السبب كان الدعوة الى الله درجات لانهاية لها واما الملوك فهم ايضا يدعون الى دين الله بالسيف وذلك بوجهم اما بتحصيله عند عدمه مثل المحاربة مع الكفار واما بابقائه عند وجوده وذلك مثل قولنا المرتدي قتل واما المؤمنون فهم يدخلون في هذا الباب دخولا ضعيفا اما دخولهم فيه فلا نذكر كلمات الاذان دعوة الى الصلاة فكان ذلك داخلا تحت الدعاء الى الله واما كون هذه المرتبة ضعيفة فلان الظاهر من حال المؤمن انه لا يحيط بمعاني تلك الكلمات وتقدير ان يكون محيطا بها الا انه لا يريد بذكرها تلك المعاني الشريفة فهذا هو الكلام في مراتب الدعوة الى الله (المسئلة الثالثة) قوله ومن احسن قولاً من دعا الى الله يدل على ان الدعوة الى الله احسن من كل ما سواها اذا عرفت هذا اقول كل ما كان احسن الاعمال وجب ان يكون واجبا لان كل ما لا يكون واجبا فالواجب احسن منه فثبت ان كل ما كان احسن الاعمال فهو واجب اذا عرفت هذا فنقول الدعوة الى الله احسن الاعمال بمقتضى هذه الآية وكل ما كان احسن الاعمال فهو واجب فينتج ان الدعوة الى الله واجبة ثم نقول الاذان دعوة الى الله والدعوة اليه واجبة فينتج الاذان واجب واعلم ان الاكثرين من الفقهاء زعموا ان الاذان غير واجب وزعموا ان الاذان غير داخل في هذه الآية والدليل القاطع عليه ان الدعوة المرادة بهذه الآية يجب ان تكون احسن الاقوال وثبت ان الاذان ليس احسن الاقوال لان الدعوة الى دين الله سبحانه وتعالى بالدلائل اليقينية احسن من الاذان ينتج من الشكل الثاني ان الداخل تحت هذه الآية ليس هو الاذان (المسئلة الرابعة) اختلف الناس في ان الاولى ان يقول الرجل انا مسلم او الاولى ان يقول انا مسلم ان شاء الله فالفائلون بالقول الاول احتجوا على صحة قولهم بهذه الآية فان التقدير ومن احسن قولاً من قال اني من المسلمين فحكم بان هذا القول احسن الاقوال ولو كان قولنا ان شاء الله فالفائلون بالقول احسن الاقوال لبطل ما دل عليه ظاهر هذه الآية (المسئلة الخامسة) الآية تدل على ان احسن الاقوال قول من جمع بين خصال ثلاثة (اولها) الدعوة الى الله (وثانيها) العمل الصالح (وثالثها) ان يكون من المسلمين اما الدعوة الى الله فقد شرحنها وهي عبارة عن الدعوة الى الله باقامة الدلائل اليقينية والبراهين القطعية واما قوله وعمل صالحا فاعلم ان العمل الصالح اما ان يكون عمل القلب وهو المعرفة او عمل الجوارح وهو سائر الطاعات واما قوله وقال انني من المسلمين فهو ان ينضم الى عمل القلب وعمل الجوارح الاقرار باللسان فيكون هذا الرجل موصوفاً بمصال اربعة (احدها) الاقرار باللسان (والثاني) الاعمال الصالحة بالجوارح (والثالث) الاعتقاد الحق بالقلب (والرابع) الاشتغال باقامة الحجج على دين الله ولا شك ان الموصوف

بهذه الخصال الاربعة اشرف الناس وافضلهم وكمال الدرجة في هذه المراتب الاربعة ليس الا لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال تعالى ولا تستوى الحسنة ولا السيئة واعلم انا بينا ان الكلام من اول السورة ابتدئ من ان الله حكى عنهم انهم قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه فأظهروا من انفسهم الاصرار الشديد على اديانهم القديمة وعدم التأثر بدلائل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انه تعالى اطنب في الجواب عنه وذكر الوجوه الكثيرة واراد فيها بالوعد والوعيد ثم حكى عنهم شبهة اخرى وهى قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه واجاب عنها ايضا بالوجوه الكثيرة ثم انه تعالى بعد الاطناب في الجواب عن تلك الشبهات رغب محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم في ان لا يترك الدعوة الى الله فأبتدأ اولاً بأن قال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلمهم الثواب العظيم ثم ترقى من تلك الدرجة الى درجة اخرى وهى ان الدعوة الى الله من اعظم الدرجات فصار الكلام من اول السورة الى هذا الموضع واقعا على احسن وجوه الترتيب نعم كأن سائلا سأل فقال ان الدعوة الى الله وان كانت طاعة عظيمة الا ان الصبر على سفاهة هؤلاء الكفار شديد لاطاقة لبا به فعند هذا ذكر الله ما يصلح لان يكون دافعا لهذا الاشكال فقال ولا تستوى الحسنة ولا السيئة والمراد بالحسنة دعوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الى الدين الحق والصبر على جهالة الكفار وترك الانتقام وترك الالتفات اليهم والمراد بالسيئة ما ظهره من الجلافة في قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وما ذكره في قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فكأنه قال يا محمد فعملك حسنة وفعلهم سيئة ولا تستوى الحسنة ولا السيئة بمعنى انك اذا أتيت بهذه الحسنة تكون مستوجبا للتعظيم في الدنيا والثواب في الآخرة وهم بالضد من ذلك فلا ينبغي ان يكون اقدامهم على تلك السيئة مانعا لك من الاشتغال بهذه الحسنة ثم قال ادفع بالتي هي احسن يعنى ادفع سفاهتهم وجهالتهم بالطريق الذى هو احسن الطرق فانك اذا صبرت على سوء اخلاقهم مرة بعد اخرى ولم تقابل سفاهتهم بالغضب ولا اضرارهم بالايذاء والايحاش استحيوا من تلك الاخلاق المذومة وتركوا تلك الافعال القبيحة ثم قال فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم يعنى اذا قابلت اساءتهم بالاحسان وافعالهم القبيحة بالافعال الحسنة تركوا افعالهم القبيحة وانقلبوا من العداوة الى المحبة ومن البغضة الى المودة ولما ارشد الله تعالى الى هذا الطريق النافع في الدين والدنيا والآخرة عظمه فقال وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم قال الزجاج أى وما يلقى هذه الفعلة الا الذين صبروا على تحمل المكاره وتجبرع الشدائد وكظم العيظ وترك الانتقام ثم قال وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الفضائل النفسانية والدرجة العالية في القوة الروحانية فان الاشتغال بالانتقام والدفع لا يحصل الا بعد تأثر النفس وتأثر النفس من الواردات الخارجية لا يحصل الا عند ضعف النفس فاما اذا كانت النفس قوية الجوهر لم تتأثر من الواردات الخارجية واذا لم تتأثر منها

لم تصعب ولم تأذ ولم تشتغل بالانتقام فثبت ان هذه السيرة لتي شر حناها لا يلقاها الا ذو حظ  
عظيم من قوة النفس وصفاء الجوهر وطهارة الذات ويحتمل ان يكون المراد وما يلقاها  
الا ذو حظ عظيم من ثواب الآخرة فعلى هذا الوجه قوله وما يلقاها الا الذين صبروا وامدح له  
بفعل الصبر وقوله وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وعد بأعظم الحظ من الثواب ولما ذكر هذا  
الطريق الحسن الكامل في دفع الغضب والانتقام وفي ترك الخصومة ذكر عقبيه طريقا  
آخر عظيم النفع ايضا في هذا الباب فقال وما يميز غنك من الشيطان نزغ فاستعد بالله انه هو  
السميع العليم وهذه الآية مع ما فيها من الفوائد الجليلة مفسرة في آخر سورة الاعراف  
على الاستقصاء قال صاحب الكشف النزغ والنسغ بمعنى واحد وهو شبه النفس  
والشيطان ينزغ الانسان كما انه ينحسه بعنه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازعا كما قيل جد  
جده أو اريد وما يميز غنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر وبالجملة فالنفس صود من الآية وان  
صرفك الشيطان عما شرعت من الدفع بالتى هي احسن فاستعد بالله من شره وامض على  
شأنك ولا تطعه والله أعلم \* قوله تعالى (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا  
للمشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا فالذين  
عند ربك يسجدون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ومن آياته وانك ترى الارض خاشعة فاذا  
انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى احيها لحى الموتى انه على كل شى قدير ) اعلم انه  
تعالى لما بين في الآية المتقدمة ان احسن الاعمال والاقوال هو الدعوة الى الله تعالى  
اردفه بذكر الدلائل الدالة على وجود الله وقدرته وحكمته تنبيهها على ان الدعوة الى الله  
تعالى عبارة عن تقرير الدلائل الدالة على ذات الله وصفاته فهذه تنبيهات شريفة مستفادة  
من تناسق هذه الآيات فكان العلم بهذه الطائفة احسن علوم القرآن وقد عرفت ان  
الدلائل الدالة على هذه المطالب العالية هي العالم بجميع ما فيه من الاجزاء والابعاض  
فبدأ ههنا بذكر الفلكيات وهي الليل والنهار وانما قدم ذكر الليل على ذكر النهار تنبيهها على  
ان الظلمة عدم والنور وجود والعدم سابق على الوجود فهذا كالتنبيه على حدوث هذه  
الاشياء وامادلالة الشمس والقمر والافلاك وسائر الكواكب على وجود الصانع فقد  
شرحناها في هذا الكتاب مرارا لاسيما في تفسير قوله الحمد لله رب العالمين وفي تفسير قوله  
الحمد لله الذى خلق السموات والارض ولما بين ان الشمس والقمر محدثان وهما دليلان  
على وجود الاله القادر قال لا تسجدوا للشمس ولا للقمر يعنى انهما عبدان دليلان على  
وجود الاله والسجدة عبارة عن نهاية التعظيم فهى لا تليق الا بمن كان اشرف الموجودات  
فقال لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما عبدان مخلوقان واسجدوا لله الخالق القادر  
الحكيم والضمير في قوله خلقهن لليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يقل  
حكم الانثى او الاناث يقال للاقلام بريتها وبريتها ولما قال ومن آياته كن في هوى الاناث  
فقال خلقهن وانما قال ان كنتم اياه تعبدون لان ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر

الدفع بالاحسن من آثار نزغات  
الشيطان مزيد تحذير وتتميز عنه  
(ومن آياته) الدالة على شؤنه  
العظيمة (الليل والنهار والشمس  
والقمر) كل منها مخلوق من  
مخلوقاته مسخر لامره (لا تسجدوا  
للشمس ولا للقمر) لانهما من جملة  
مخلوقاته المسخرة لا وامره مثلكم  
(واسجدوا لله الذى خلقهن)  
الضمير للاربعة لان حكم جماعة  
ما لا يقل حكم الانثى او الاناث  
اولا نهى عبارة عن لايات  
وتعليق الفعل بالكل مع كفاية  
بيان مخلوقية الشمس والقمر  
للايذان بكمال سقوطهما عن  
رتبة المعبودية بظهورها  
في المخلوقية في سلك لامراض التي  
لا قيام لها بداتها وهو السر في نظم  
الكل في سلك آياته تعالى (ان كنتم اياه  
تعبدون) فالسجود اقصى  
مراتب العبادة فلا بد من تخصيصه  
به سبحانه وهو موضع لسجود  
عند الشافعي رحمه الله وعدنا  
آحر الآية الاخرى لانه تمام  
المعنى (فان استكبروا) عن  
الامثال (فالذين عند ربك) من  
الملائكة (يسجدون له بالليل  
والنهار) اى دائما (وهم  
لا يسأمون) لا يفترون ولا يملون  
وقرى لا يسأمون بكسر ايماء  
(ومن آياته انك ترى الارض  
خاشعة) ياسة متطامنة مستعار  
من الخشوع بمعنى التذلل (فاذا  
انزلنا عليها الماء) ي لطر (اهتزت



كالصائين في عبادتهم الكواكب يزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله  
فهو اعن هذه الواسطة وامروا ان لا يسجدوا للاله الذي خلق هذه الاشياء فان قيل اذا  
كان لابد في الصلاة من قبة معينة فلو جعلنا الشمس قبة معينة عند السجود كان ذلك  
اولى قلنا الشمس جوهر مشرق عظيم الرفعة عالى الدرجة فلو اذن الشرع في جعلها مقبلة في  
الصلوات فعند اعتياد السجود الى جانب الشمس ربما غلب الاوهام على ان ذاك السجود  
للشمس لاله فلاجل الخوف من هذا المحذور نهى الشارع الحكيم عن جعل الشمس  
قبة للسجود بخلاف الحجر المعين فانه ليس فيه ما يوهم الالهية فكان المقصود من القبلة  
حاصلا والمحذور المذكور زائلا فكان هذا أولى واعلم ان مذهب الشافعي رضي الله عنه  
ان موضع السجود هو قوله تعبدون لاجل ان قوله واسجدوا لله متصل به وعند أبي حنيفة  
هو قوله وهم لا يسأمون لان الكلام انما يتم عنده ثم انه تعالى لما أمر بالسجود قال بعده  
فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون وفيه سؤالات  
(السؤال الاول) ان الذين يسجدون للشمس والقمر يقولون نحن اقل واذل من ان  
يحصل لنا أهلية عبودية لله تعالى ولكننا عبيد للشمس والقمر وهما عبدان لله واذا كان  
قول هؤلاء هكذا فكيف يليق ان يقال انهم استكبروا عن السجود لله (والجواب) ليس  
المراد من لفظ الاستكبار ما ذكرتم بل المراد فان استكبروا عن قبول قولك يا محمد في النهي  
عن السجود للشمس والقمر (السؤال الثاني) ان المشبهة تمسكوا بقوله فالذين عند ربك في  
انبات المكان والجهة لله تعالى والجواب انه يقال عند الملك من الجند كذا وكذا ولا يراد  
به قرب المكان فكذا ههنا ويدل عليه قوله انا عند ظن عبدي بي وانا عند المنكسرة  
قلوبهم لا تجلي في مقعد صدق عند مليك مقتدر ويقال عند الشافعي رضي الله عنه ان  
المسلم لا يقتل بالذمي (السؤال الثالث) هل يدل هذه الآية على ان الملك افضل من البشر  
الجواب نعم لانه انما يستدل بحال الاعلى على حال الادون فيقال هؤلاء الاقوام ان  
استكبروا عن طاعة فلان فلا كابر يخدمونه ويعترفون بتقدمه فثبت أن هذا النوع  
من الاستدلال انما يحسن بحال الاعلى على حال الادون (السؤال الرابع) قال ههنا في  
صفة الملائكة يسبحون له بالليل والنهار فهذا يدل على انهم مواظبون على التسبيح  
لا ينفكون عنه لحظة واحدة واشتغالهم بهذا العمل على سبيل الدوام يمنهم من  
الاشتغال بسائر الاعمال ككونهم ينزلون الى الارض كما قال نزل به الروح الامين على  
قلبك وقالون انهم عن ضيف ابراهيم وقال تعالى عليهم ملائكة غلاظ شداد (والجواب) ان  
الذين ذكرهم الله تعالى ههنا بكونهم مواظبين على التسبيح اقوام معينون من الملائكة  
وهم الاشراف الاكابر منهم لانه تعالى وصفهم بكونهم عنده والمراد من هذه العندية كمال  
الشرف والمقبة وهذا لا ينافي كون طائفة اخرى من الملائكة مشغولين بسائر الاعمال  
فان قالوا هب ان الامر كذلك لانهم لابد وان يتنفسوا فاشتغالهم بذلك التنفس

وربت ( اى محركت بالنبات  
وانتفخت لاس النبات اذ ادنا ان  
يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت  
ثم تصدعت عن النبات وقيل  
ترخرفت بالنبات وقرئ  
ربأت اى ارتفعت (ان الذى  
احياها) بما ذكر بعد موتها (لحي  
الموتى) بالبعث ( انه على كل  
شئ ) من الاشياء التى من جلها  
الاحياء ( قدير ) مبالغ في القدرة

(ان الذين يلحدون) يميلون عن الاستقامة وقرئ ( ٣٧٧ ) يلحدون (في آياتنا) بالطعن فيها وتصرفها عما عليها على الحمل الباطلة ( لا يخفون

عليها ) فيجازيهم بالحادهم وقوله تعالى ( انهم يلقى في النار خير من بئس آياتنا يوم القيامة ) تنبيه على كسبية الجزاء ( اعلموا ما شئتم ) من الاعمال المؤدية الى ما ذكر من الالتقاء في النار والالتيان آمنوا فيه تهديد شديد ( انه بما تعملون بصير ) فيجازيكم بحسب اعمالكم وقوله تعالى ( ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم ) يدل من قوله تعالى ان الذين يلحدون الخ وخبر ان هو الخبر السابق وقيل مستأنف وخبرها محذوف وقال الكسائي سدمسته الخبر السابق والذكر القرآن وقوله تعالى ( وانه لكتاب عزيز ) اي كثير المنافع عديم النظر او منيع لاتأني معارضته جولة حالية مفيدة لغاية شناعة الكفر به وقوله تعالى ( لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ) اي لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات صفة اخرى لكتاب وقوله تعالى ( تنزيل من حكيم حميد ) خبر لمبتدأ محذوف اوصفة اخرى لكتاب مفيدة لغضامته الاضافية كما ان الصفتين السابقتين مفيدتان لغضامته الذاتية وقوله تعالى لا يأتيه الخ اعراض عند من لا يجوز تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح كل ذلك لتأكيد بطلان الكفر بالقرآن وقوله تعالى ( ما يقال لك ) الخ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما يصيبه من اذية الكفار اي ما يقال في شأنك وشأن ما أنزل اليك من القرآن من جهة كفار قومك ( الا ما قد قيل للرسول من قبلك ) اي الا مثل ما قد قيل في حقهم مما لا خير فيه ( ان ربك لذو مغفرة ) لانبيائه ( وذو عقاب اليم ) لاعدائهم وقد نصر من قبلك من لرسول واتقم ( ٤٨ ) ( را ) ( سا ) من اعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وباعدائك ايضا ( ولو

يصدهم عن تلك الحالة من التسليم قلنا كما ان النفس سبب لصلاح حال الحياة بالنسبة الى البشر فذكر الله تعالى سبب لصلاح حالهم في حياتهم ولا يجب على العاقل المنصف ان يقيس احوال الملائكة في صفاء جوهرها واشراق ذواتها واستغراقها في معارج معارف الله بأحوال البشر فان بين الحالتين بعد المشرقين ثم قال تعالى ومن آياته انك ترى الارض خاشعة واعلم انه تعالى لما ذكر الآيات الاربع الفلكية وهى الليل والنهار والشمس والقمر اتبعها بذكر آية ارضية فقال ومن آياته انك ترى الارض خاشعة والخشوع التذلل والتضاغر واستعير هذا اللفظ لحال الارض حال خلوها عن المطر والنبات فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت اي تحركت بالنبات وربت انتفخت لان النبات اذا قرب ان يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات ثم قال ان الذى احياها لمحبي الموتى يعنى ان القادر على احياء الارض بعد موتها هو القادر على احياء هذه الاجساد بعد موتها وقد ذكرنا تقرير هذا الدليل مرارا لاحصر لها ثم قال انه على كل شئ قدير وهذا هو الدليل الاصلى وتقريره ان عودة التأليف والتركيب الى تلك الاجزاء المنفردة ممكن لذاته وعود الحياة والعقل والقدرة الى تلك الاجزاء بعد اجتماعها ايضا امر ممكن لذاته والله تعالى قادر على الممكنات فوجب ان يكون قادر على اعادة التركيب والتأليف والحياة والقدرة والعقل والفهم الى تلك الاجزاء وهذا يدل دلاله واضحة على ان حشر الاجساد ممكن لا امتناع فيه البتة والله اعلم \* قوله تعالى ( ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ) أفن يلقى في النار خير أم يأتي آمنًا يوم القيامة اعلموا ما شئتم انه بما تعملون بصير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ) اعلم انه تعالى لما بين ان الدعوة الى دين الله تعالى اعظم المناصب واشرف المراتب ثم بين ان الدعوة الى دين الله تعالى انما تحصل بذكر دلائل التوحيد والعدل وصحة البعث والقيامة عاد الى تهديد من يازع في تلك الآيات ويحاول القاء الشبهات فيها فقال ان الذين يلحدون في آياتنا يقال الحد الحافرو ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فالمحد هو المنحرف ثم يحكم العرف اختص بالمنحرف عن الحق الى الباطل وقوله لا يخفون علينا تهديد كما اذا قال الملك المهيبة ان الذين ينازعوننى في ملكي اعرفهم فانه يكون ذلك تهديدا ثم قال أفن يلقى في النار خير أم يأتي آمنًا يوم القيامة وهذا استفهام بمعنى التقرير والغرض التنبيه على ان الذين يلحدون في آياتنا يلقون في النار والذين يؤمنون بآياتنا يأتون آمنين يوم القيامة ثم قال اعلموا ما شئتم انه بما تعملون بصير وهذا ايضا تهديد ثالث ونظيره ما يقوله الملك المهيبة عند الغضب الشديد اذا أخذ يعاتب بعض عبده ثم يقول لهم اعلموا ما شئتم فان هذا ما يدل على الوعيد الشديد ثم قال تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وهذا ايضا تهديد وفي جوابه وجهان ( احدهما ) انه محذوف كسائر الاجوبة المحذوفة في القرآن على تقرير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم يجازون

( وذو عقاب اليم ) لاعدائهم وقد نصر من قبلك من لرسول واتقم ( ٤٨ ) ( را ) ( سا ) من اعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وباعدائك ايضا ( ولو

جعلناه قرآنا أعجميا ) جواب لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر ( نفالوا ) ( ٣٧٨ ) لولا فصلت آياته أي بينت بلسان فقهاء

وقوله تعالى ( أَعْجَمِي وَعَرَبِي )  
انكار مقرر للخصم والاعجمي  
يقال لكلام لا يفهم والمتكلم به  
واليا بلغة في الوصف كآخرى  
والمتى أكلام اعجمي ورسول  
او مرسل اليه عربي على ان  
الافراد مع كون المرسل  
اليهم أمة جمة لما ان المراد بيان  
التنافي والتنافر بين الكلام وبين  
المخاطب به لا بيان كون المخاطب  
واحدا او جمعا وقرئ اعجمي اي  
اكلام منسوب الى أمة العجم  
وقرئ اعجمي على الاخبار بأن  
القرآن اعجمي والمتكلم والمخاطب  
عربي ويجوز ان يراد هلا فصلت  
آياته فجعل بعضها اعجميا لا يفهم  
العجم وبعضها عربيا لا يفهم  
العرب واياها كان المقصود بيان  
ان آيات الله تعالى على اي وجه  
جاءتهم وجدوا فيها متعنتا  
يتعللون به ( قل هو للذين  
آمنوا هدى ) يهديهم الى الحق  
( وشفاء ) لما في الصدور من شك  
وشبهة ( والذين لا يؤمنون )  
مبتدأ خبره ( في آذانهم وقر )  
على ان التقدير هو اى القرآن  
في آذانهم وقر على ان وقر خبر  
للتخبر المقدر وفي آذانهم متعلق  
بمحذوف وقع حال من وقر وهو  
او قى لقوله تعالى ( وهو عليهم  
عمى ) وقيل خبر الموصول  
في آذانهم وقر فاعل الطرف  
وقيل وقر مبتدأ والطرف خبره  
والجمله خبر الموصول وقيل  
التقدير والذين لا يؤمنون في  
آذانهم وقر ومن حوز العطف على  
عامين عطف الموصول على  
الموصول الاول أي هو الاولين  
هدى وشفاء وللآخرين وقر  
في آذانهم ( اولئك ) اشارة الى  
الموصول الثاني باخبار انصافه  
بما في حيز صلته وملاحظة

بكفرهم أو ما شبه ذلك ( والثاني ) ان جوابه قوله اولئك ينادون من مكان بعيد والاول  
اصوب ولما بالغ في تهديد الذين يلحدون في آيات القرآن اتبعه ببيان تعظيم القرآن فقال  
وانه لكتاب عزيز والعزلة معنيان ( احدهما ) الغالب القاهر ( والثاني ) الذي لا يوجد  
نظيره اما كون القرآن عزيزا بمعنى كونه غاليا فالامر كذلك لانه بقوة حجته غلب على كل  
ماسواه واما كونه عزيزا بمعنى عديم النظير فالامر كذلك لان الاولين والآخرين يحزوا  
عن معارضة ثم قال لا يأتى الباطل من بين يديه ولا من خلفه وفيه وجوه ( الاول ) لا تكذبه  
الكتب المتقدمة عليه كالتوراة والانجيل والزبور ولا يحجى كتاب من بعده يكذبه ( الثاني )  
ما حكم القرآن بكونه حقا لا يصير باطلا وما حكم بكونه باطلا لا يصير حقا ( الثالث ) معناه  
انه محفوظ من ان ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه او يزداد فيه فيأتيه الباطل من  
خلفه والدليل عليه قوله وانه لحافظون فعلى هذا الباطل هو الزيادة والنقصان ( الرابع )  
يحتمل ان يكون المراد انه لا يوجد في المستقبل كتاب يمكن جعله معارضا له ولم يوجد فيما  
تقدم كتاب يصلح جعله معارضا له ( الخامس ) قال صاحب الكشف هذا تمثيل والمقصود  
ان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجذبه شيلا من جهة من الجهات حتى يتصل اليه واعلم ان  
لابي مسلم الاصفهاني ان يحتج بهذه الآية على انه لم يوجد النسخ فيه لان النسخ ابطال فلو  
دخل النسخ فيه لكان قد أتاه الباطل من خلفه وانه على خلاف هذه الآية ثم قال تعالى  
تنزيل من حكيم حكيم في جميع احواله وأفعاله حميد الى جميع خلقه بسبب كثرة  
نعمه ولهذا السبب جعل الحمد لله رب العالمين فاتحة كلامه واخبر ان خاتمة كلام اهل  
الجنة هو قوله الحمد لله رب العالمين \* قوله تعالى ( ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان  
ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي  
وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى  
اولئك ينادون من مكان بعيد ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من  
ربك لقضى بينهم وانهم لفي شك منه مريب من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك  
بظلام للعبيد ) واعلم انه تعالى لما هدد المحدين في آيات الله ثم بين شرف آيات الله وعلو  
درجة كتاب الله رجع الى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يصبر على اذى قومه وان  
لا يضيق قلبه بسبب ما حكمه عنهم في اول السورة من انهم قالوا قلوبنا في اكنة مما ندعونا  
اليه الى قوله فاعمل اننا عاملون فقال ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وفيه وجهان  
( الاول ) وهو الاقرب ان المراد ما تقول لك كفار قومك الامثل ما قد قال للرسل كفار  
قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة ان ربك لذو مغفرة للمحقين  
وذو عقاب أليم للمبطلين فقوض هذا الامر الى الله واشتغل بما امرت به وهو التبليغ  
والدعوة الى الله تعالى ( الثاني ) ان يكون المراد ما قال الله لك الامثل ما قال لسائر الرسل  
وهو انه تعالى وامرك وامر كل الانبياء بالصبر على سفاهة الاقوام فن حقه ان يرجوه اهل

ما ثبت له ومانيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشار اليه لا يذان ببعده مثله في المرمع ما فيه من كمال المناسبة للنداء من بعيد ( طاعته )

اي اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من النصام عن الحق ( ٣٧٩ ) الذي يسمعونهُ والتعاضد عن الآيات

الظاهرة التي يشاهدونها ( ينادون من كان بعيد ) تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادي من مسافة تأني لا يكاد يسمع من مثلها الاصوات ( ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ) كلام مستأنف مسوق لبيان ان الاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة للام غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قبل للرسول من قبلك اي وبالله لقد آتينا التوراة فاختلف فيها من مصدق لها ومكذب وهكذا حال قومك في شأن ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر ( ولولا كلمة سبقت من ربك ) في حق امتك المكذبة وهي العدة بتأخير عذابهم وفعل ما بينهم وبين المؤمنين من الحصومة الى يوم القيامة بخوفه تعالى بل الساعة موعدهم وقوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى ( لقضى بينهم ) باستئصال المكذبين كما فعل بمكذبي الامم السالفة ( وانهم ) اي كمار قومك ( لفي شك منه مررب ) اي من القرآن وجعل الضعيف الاول لليهود والثاني للتوراة مما لا وجه له ( من عمل صالحا ) بأن آمن بالكتب وعمل بموجبها ( فلنفسه ) اي لنفسه يعملها او فتنفسه لنفسه لا لغيره ( ومن اساء فعليها ) ضرره لا على غيره ( وما ربك بظلام للعبيد ) اعتراض تدبيلي مقرر لمضمون ما قبله مبنى على تنزييل ترك اناية الحسن بعمله او اناية الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير اساءة او باساءة غيره منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر ما في المقام من التحقيق والتفصيل في سورة آل عمران وسورة الانفال ( اليه يرجع الساعة ) اي اذا

طاعته ويخافه اهل معصيته وقد ظهر من كلامنا في تفسير هذه السورة ان المقصود من هذه السورة هو ذكر الاجوبة عن قولهم وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعلم اننا عاملون فتارة ينه على فساد هذه الطريقة وتارة يذكر الوعد والوعيد لمن يؤمن بهذا القرآن ولمن يعرض عنه وامتد الكلام الى هذا الموضع من اول السورة على الترتيب الحسن والنظم الكامل ثم انه تعالى ذكر جوابا آخر عن قولهم وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر فقال ولوجعلناه قرآنا أعجيبا لقالوا لولا فصلت آياته أعجبي وعربي وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قرأ حزة والكسائي وابوبكر عن عاصم أعجبي بهمزتين على الاستفهام والباقون بهمزة واحدة ومدة على اصلهم في امثاله كقوله أنذرهم ونحوها على الاستفهام وروى عن ابن عباس بهمزة واحدة على الخبر واما القراءة بهمزتين فالهمزة الاولى همزة انكار والمراد انكروا وقالوا قرآن أعجبي ورسول عربي او مرسل اليه عربي واما القراءة بغير همزة الاستفهام فالمراد الاخبار بأن القرآن أعجبي والمرسل اليه عربي ( المسئلة الثانية ) نقلوا في سبب نزول هذه الآية ان الكفار لاجل التعت قالوا لو نزل القرآن بلغة العجم فنزلت هذه الآية وعندى ان امثال هذه الكلمات فيها حيف عظيم على القرآن لانه يقتضى ورود آيات لاتعلق ببعض فيها ببعض وانه يوجب اعظم انواع الطعن فكيف يتم مع التزام مثل هذا الطعن ادعاء كونه كتابا منتظما فضلا عن ادعاء كونه معجزا بل الحق عندى ان هذه السورة من اولها الى آخرها كلام واحد على ما حكى الله تعالى عنهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر هذا الكلام ايضا متعلق به وحوال له والتقدير انا لو ائزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم ان يقولوا كيف ارسلت الكلام العجبي الى القوم العرب ويصح لهم ان يقولوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه اي من هذا الكلام وفي آذاننا وقر منه لانا لا نفهمه ولا نخطب بمعناه اما لما ائزلنا هذا الكتاب بلغة العرب وبالفاظهم وانتم من اهل هذه اللغة فكيف يمكنكم ادعاء ان قلوبكم في اكنة منها وفي آذانكم وقر منها فظهر انا اذا جعلنا هذا الكلام جوابا عن ذلك الكلام بقيت السورة من اولها الى آخرها على احسن وجوه النظم اما على الوجه الذي يذكره الناس فهو عجيب جدا ثم قال تعالى قل هو الذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى اولئك ينادون من مكان بعيد واعلم ان هذا متعلق بقولهم وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه الى آخر الآية كانه تعالى يقول ان هذا الكلام ارسلته اليكم بلغتكم لا بلغة اجنبية عنكم فلا يمكنكم ان تقولوا ان قلوبنا في اكنة منه بسبب جهلنا بهذه اللغة فبقى ان يقال ان كل من آتاه الله طبعاً مائلا الى الحق وقلبا مائلا الى الصدق وهمة تدعوه الى بذل الجهد في طلب الدين فان هذا القرآن يكون في حقه هدى وشفاء اما كونه هدى فلا ثة دليل على الخيرات ويرشد الى كل السعادات واما كونه شفاء فانه اذا امكنه

سئل عنها يقال الله يعلم اولها ليعلمها الا الله تعالى ( وما تخرج من مراتب اكامها ) اي من اوعيتها جهم بالكره ووعا البقرة بحيف الطلعة وقرى

من ثمرة على ارادة الجنس والجمع  
لاختلاف الانواع وقد قرئ ( ٣٨٠ ) بجمع الصمير ايضا مانافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق واحتمال

الاهتداء فقد حصل الهدى فذلك الهدى شفاء له من مرض الكفر والجهل وامان كان  
غرقا في بحر الخذلان وتائها في مفاوز الحرمان ومشغوبا بتابعة الشيطان كان هذا القرآن  
في آذانه وقرأ كما قال وفي آذنا وقر وكان القرآن عليهم عى كما قال ومن بيننا وبينك حجاب  
فأولئك ينادون من مكان بعيد بسبب ذلك الحجاب الذى حال بين الانتفاع ببيان القرآن  
وكل من انصف ولم يتعسف علم انا اذا فسرنا هذه الآية على الوجه الذى ذكرناه صارت  
هذه السورة من اولها الى آخرها كلاما واحدا منتظما مسوقا نحو غرض واحد فيكون  
هذا التفسير اولى بما ذكره وقرأ الجمهور وهو عليهم عى على المصدر وقرأ ابن عباس عم  
على النعت قال ابو عبيد والاول هو الوجه كقوله هدى وشفاء وكذلك عى هو مصدر مثلها  
ولو كان المذكور انه هاد وشاف لكان الكسر فى عى اجود فيكون نعمتا مثلهما وقوله تعالى  
اولئك ينادون من مكان بعيد قال ابن عباس يريد مثل البهيمة التى لاتفهم الادعاء ونداء  
وقيل من دعى من مكان بعيد لم يسمع وان سمع لم يفهم فكذا حال هؤلاء ثم قال تعالى ولقد  
آتيناه موسى الكتاب فاختلف فيه واقول ايضا ان هذا متعلق بما قبله كانه قبل ان لما  
آتيناه موسى الكتاب اختلفوا فيه قبله بعضهم ورده الآخرون فكذلك آتيناه هذا  
الكتاب قبله بعضهم وهم اصحابك ورده آخرون وهم الذين يقولون قلوبنا فى اكنة  
مما تدعوننا اليه ثم قال تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لكانت فى تأخير العذاب عنهم الى اجل  
مسمى وهو يوم القيامة كما قال بل الساعة موعدهم لقضى بينهم عى المصدق والمكذب  
بالعذاب الواقع من كذب وانهم لفي شك من صدق وكتابك مرىب فلا ينبغي ان تستعظم  
استيحاشك من قولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعوننا اليه ثم قال من عمل صالحا فلنفسه ومن  
أساء فعليها عى خفف على نفسك اعراضهم فانهم ان آمنوا ففع ايمانهم يعود عليهم وان  
كفروا فضرر كفرهم يعود اليهم والله سبحانه يوصل الى كل احد ما يليق بعمله من الجزاء  
ومارك بظلام للعبد \* قوله تعالى ( اليه رجع الساعة وما يخرج من ثمرة من اكامها  
وما يحمل من اثنى ولا تنزع الا بعلمه ويوم يناديهم ابن شركاى قالوا اذنالك ما من شهود  
وصل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص لا يسأم الانسان من دعاء الخير  
وان مسه الترفؤس قنوط واث اذقاء رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا الى  
وما ظن الساعة قائمة ولش رجعت الى ربى انى عنده للحسنى فلنبتن الذين كفروا به  
عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا أنعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانه وادامسه  
الشر فدعاه عريض قل أرايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى  
شقاق بعيد سزيرهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يبين لهم انه الحق اولم يكف بربك  
انه على كل شى شهيد الا انهم فى مربة من لقاء ربهم الا انه بكل شى محيط ) اعلم انه تعالى لما  
هدد الكفار فى الآية المتقدمة بقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ومعناه ان  
جزاء كل احد يصل اليه فى يوم القيامة وكان سائلا قال ومتى يكون ذلك اليوم فقال تعالى انه

ان تكون ماموصولة معطوفة  
على الساعة ومن مينة بعيد  
( ونحمل من اثنى ولا تنزع ) اى  
جلها وقوله تعالى ( الا بعلمه )  
استثناء مفرغ من اعم الاحوال  
اى وما يحدث شى من خروج  
ثمرة ولاجل حامل ولا وضع  
واضع ملابس شى من الاشياء  
الاملابسا بعلمه المحيط ( ويوم  
يناديهم ابن شركاى ) اى يزعمكم  
كأنفس عليه فى قوله تعالى ابن  
شركاى الذين زعمتم وفيه تبكيم  
بهم وتقرير لهم ويوم منصوب  
بذكر او ظرف للضمير مؤخر  
قد ترك ايدنا بقصور البيان عنه  
كما سرق قوله تعالى يوم يجمع الله  
الرسل ( فالوا اذالك ) اى  
اخبارناك ( ما من شهود ) من  
احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا  
منهم لما عاينا الحال وما من احد  
الا هو موحد لك او ما من احد  
يصادهم لانهم ضلوا عنهم  
حينئذ وقيل قول الشركاء اى  
ما من شهود يشهد لهم بأنهم كانوا  
محققين وقولهم اذنالك اما لان  
هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ  
آخر مجاب بهذا الجواب اولان  
معنا انك علت من قلوبنا وعقائدنا  
الا اننا لانشهد تلك الشهادة  
الباطلة لانه اذا علمه من تقوسم  
فكانهم اعلموه اولان معناه  
الانشاء لا الاخبار بايدان قد  
كان قبل ذلك ( وضل عنهم ما كانوا  
يدعون ) اى يعبدون ( من قبل )  
اى غابوا عنهم او ظهر عدم  
نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم  
( وظنوا ) اى ايقنوا ( ما لهم من  
محيص ) مهرب والظن معلق عنه  
بحرف النفي ( لا يسأم الانسان ) اى  
لا يمل ولا يفتقر ( من دعاء الخير )  
من طلب النعمة فى النعمة واسباب  
المعيشة وقرئ من دعاء بالخير

( وان مسه الشر ) اى العسر والضربة ( فيؤس قنوط ) فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرار ومن جهة ان القنوط عبارة عن بأس مفرط ( لا سبيل )

لا سبيل للخلق الى معرفة ذلك اليوم ولا يعلمه الا الله فقال اليه يرد علم الساعة وهذه الكلمة تفيد الحصر اى لا يعلم وقت الساعة بعينه الا الله وكذا ان هذا العلم ليس الا عند الله فكذلك العلم بحدوث الاحداث المستقبلية فى اوقاتها المعينة ليس الا عند الله سبحانه وتعالى ثم ذكر من امثلة هذا الباب مثالين ( احدهما ) قوله وما تخرج من ثمرة من اكامها ( والثانى ) قوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه قال ابو عبيدة اكامها اوعيتها وهى ما كانت فيه الثمرة واحدها كم وكمة قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم من ثمرات بالالف على الجمع والباقون من ثمرة بغير الف على الواحد واعلم ان نظير هذه الآية قوله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الى آخر الآية فان قيل أليس ان المجبيين قد يعرفون من طالع سنة العالم احوالا كثيرة من احوال العالم وكذلك قد يعرفون من طالع الناس اشياء من احوالهم وههنا شئ آخر يسمى علم الرمل وهو كثير الاصابة وايضا علم التعبير بالاتفاق قد يدل على احوال المغيثات فكيف الجمع بين هذه العلوم المشاهدة وبين هذه الآية قلنا ان اصحاب هذه العلوم لا يمكنهم القطع والجزم فى شئ من المطالب البتة وانما الغاية القصوى ادعاء ظن ضعيف والمذكور فى هذه الآية ان علمها ليس الا عند الله والعلم هو الجزم واليقين وبهذا الطريق زالت المناقاة والمعاداة والله اعلم ثم انه تعالى لما ذكر القيامة اردفه بشئ من احوال يوم القيامة وهذا الذى ذكره ههنا شديد التعلق ايضا بما وقع الابتداء به فى اول السورة وذلك لان اول السورة يدل على ان شدة نفورهم عن استماع القرآن انما حصلت من اجل ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى التوحيد والى البراءة عن الاصنام والاوثان بدليل انه قال فى اول السورة قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الحكم الواحد فذكر فى خامسة السورة وعيد القائلين بالشركاء والانداد فقال ويوم يناديهم فيقول اين شركائى اى بحسب زعمكم واعتقادكم قالوا آذناك قال ابن عباس اسمعناك كقوله تعالى واذنت لربها وحقت بمعنى سمعت وقال الكلبي اعلمناك وهذا بعيد لان اهل القيامة يعنون الله ويعلمون انه يعلم الاشياء علما واجبا فالاعلام فى حقه محال ثم قال مامننا من شهيد وفيه وجوه ( الاول ) ليس احدهمنا يشهد بأنك شريكا فالقصود انهم فى ذلك اليوم يترؤن من اثبات الشريك لله تعالى ( الثانى ) مامننا من احدهم يشاهدنا لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها فى ساعة التوبىخ ( الثالث ) ان قوله مامننا من شهيد كلام الاصنام فان الله يحيبها ثم انها تقول مامننا من احد يشهد بصحة ما اضافوا اليامن الشراكة وعلى هذا التقدير فعنى ضلالهم عنهم انها لا تنفعهم فكأنهم ضلوا عنهم ثم قال وظنوا ما لهم من محيص وهذا ابتداء كلام من الله تعالى يقول ان الكفار ظنوا ولا ثم ياقنوا انه لا محيص لهم عن النار والعذاب ومنهم من قال انهم ظنوا اولانه لا محيص لهم عن النار ثم ياقنوا ذلك بعده وهذا بعيد لان اهل النار يعلمون ان عقابهم دائم ولما بين الله تعالى من حال هؤلاء الكفار انهم بعد ان كانوا مصرين على

يظهر اثره فى الشخص فيتضاد وينكسر اى مبالغ فى قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورجته وهذا وصف للجبن بوصف غالب افراد لما ان اليأس من رجته تعالى لا يأتى الا من الكافر وبصريح به ( ولئن اذقناه رحمة منامن بعد ضرامسته ) بتفريجها عنه ( ليقولن هذالى ) اى حق استحققه لى من الفضل والعمل اولى لا لغيرى فلا يزول عني ابدا ( وما أظن الساعة قاتمة ) اى تقوم فيما سأتى ( ولئن رجعت الى ربي ) على تقدير قيامها ( انى عنده للحسنى ) اى للعالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا لا يستحقاقه وان نعم الآخرة كذلك ( فلنمبين الذين كفروا بما عملوا ) اى لنعلنهم بحقيقة اعمالهم حين اظهرناها بصورها الحقيقية وقد مر تحقيقه فى سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفى قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم من سورة يونس ( ولنديقنهم من عذاب غليظ ) لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه ( واذا النعنا على الانسان اعرض ) اى عن الشكر ( ونأى بجانبه ) اى ذهب بنفسه وتواعد بكبيته تكبرا ونقطما والجانب مجاز عن النفس كما فى قوله تعالى فى جنب الله ويجوز ان يراد به عطفه ويكون عبادة عن الانحراف

والازورار كانوا ثنى عطفه وتولى بركته (واذامسه الشر فذو دعاء عريض) اى كثير مستعار بماله عرض متسع للاشعار بكثرة واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذا الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فافلك بطوله ولعل هذا شأن بعض غير البعض الذى حكي عنه اليأس والقنوط او شأن الكل فى بعض الاوقات ( قل أرأيتم) أى أخبروني (نكان) اى القرآن (من عند الله ثم كفرتم به) مع تعاضد موجبات الايمان به (من أضل ممن هو فى شقاق بعيد) اى من أضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شر حالهم وتعليل لمزيد ضلالهم (سريهم آياتنا) الدالة على حقيقته وكونه من عند الله (فى الآفاق) هو ما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم من الحوادث لا تبية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له ولخلقائه من الفتوح والظهور على آفاق الدنيا والاسدياء على بلاد المشارق والمغرب على وجه خارق للعادة (وفى أنفسهم) هو ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى الآفاق اى منازل الامم الحسالية وآثارهم وفى أنفسهم يوم يدوروا لمجاهد الحسن والسدى فى الآفاق

القول باثبات الشركاء والاضداد الله فى الدنيا تبرؤا عن تلك الشركاء فى الآخرة بين ان الانسان فى جميع الاوقات متبدل الاحوال متغير المنهج فان احس بخير وقدرة انتفخ وتعظم وان احس ببلاء ومحنة ذبل كما قيل فى المثل ان هذا كالقمل ان خيرا تدلى وان رأى شرا تولى فقال لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشرفيؤس قنوط يعنى انه فى حال الاقبال ومحى المرادات لا ينهى قط الى درجة الاو بطلب الزيادة عليها ويطمع بالقوز بها وفى حال الادبار والحرمان يصير آيسا قانطا فلا تنتقل من ذلك الرجا الذى لا آخر له الى هذا اليأس الكلى يدل على كونه متبدل الصفة متغير الحال وفى قوله يؤس قنوط مبالغة من وجهين (احدهما) من طريق بناء فعول (والثانى) من طريق التكرير واليأس من صفة القلب والقنوط ان يظهر آثار اليأس فى الوجه والاحوال الظاهرة ثم بين تعالى ان هذا الذى صار آيسا قانطا لو عاودته النعمة والدولة وهو المراد من قوله ولئن اذقناه رجعة منا من بعد ضراء مسته فان هذا الرجل يأتي بثلاثة انواع من الاقويل الفاسدة والمذاهب الباطلة الموحبة للكفر والبعد عن الله تعالى (فأولها) انه لا بد وان يقول هذا وفى وجهان (الاول) معناه ان هذا حق وصل الى لاني استوجبه بما حصل عندي من انواع الفضائل واعمال البر والقربة من الله ولا يعلم المسكين ان احدا لا يستحق على الله شيئا وذلك لانه ان كان ذلك الشخص عاريا عن الفضائل فهذا الكلام ظاهر الفساد وان كان موصوفا بشئ من الفضائل والصفات الحميدة فهى بأسرها انما حصلت له بفضل الله واحسانه واذا تفضل الله بشئ على بعض عبده امتنع ان يصير تفضله عليه بتلك العطية سبباً لان يستحق على الله شيئا آخر فثبت بهذا فساد قوله انما حصلت هذه الخيرات بسبب استحقاقى (والوجه الثانى) ان هذا لى اى لا يزول عنى ويبقى على وعلى اولادى وذريتى (والنوع الثانى) من كلماتهم الفاسدة ان يقول وما ظن الساعة قائمة يعنى انه يكون شديد الرغبة فى الدنيا عظيم النفرة عن الآخرة فاذا آل الامر الى احوال الدنيا يقول انها لى واذا آل الامر الى الآخرة يقول وما ظن الساعة قائمة (والنوع الثالث) من كلماتهم الفاسدة ان يقول ولئن رجعت الى ربي انى عنده للحسنى يعنى ان الغالب على الظن ان القول بالبعث والقيامة باطل وبقدير ان يكون حقا فانلى عنده للحسنى وهذه الكلمة تدل على جزمهم بوصولهم الى الثواب من وجوه (الاول) ان كلمة ان تفيد التأكيد (النائى) ان تقديم كلمة لى تدل على هذا التأكيد (الثالث) قوله عنده يدل على ان تلك الخيرات حاضرة مهيئة عنده كما تقول لى عند فلان كذا من الدنانير فان هذا يفيد كونها حاضرة عنده فلو قلت ان لى على فلان كذا من الدنانير لا يفيد ذلك (الرابع) اللام فى قوله للحسنى تفيد التأكيد (الخامس) للحسنى يفيد الكمال فى الحسنى ولما حكى الله تعالى عنهم هذه الاقوال الثلاثة الفاسدة قال فلننبئن الذين كفروا بما عملوا لى نظهر لهم ان الامر على ضدهما اعتقدوه وعلى عكس ما تصوروه كما قال تعالى وقد منا لى ما عملوا من عمل فجعلناه



هياه منشورا ولنذ يقنهم من عذاب غليظ في مقابلة قولهم الى عنده للحسنى ولما حكى الله تعالى اقوال الذى انعم عليه بعد وقوعه في الآفات حكى افعاله ايضا فقال واذا العنسا على الانسان اعرض عن التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ونأى بجانبه اى ذهب بنفسه وتكبر وتعظم ثم مسه الضر والفقر اقبل على دوام الدماء واخذنى في الانبهاى والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدماء ودوامه وهو من صفات الاجرام ويستعار له الطول ايضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب واعلم انه تعالى لما ذكر الوعيد العظيم على الشرك وبين ان المشركين يرجعون عن القول بالشرك في يوم القيامة ويظهرون من انفسهم الذلة والخضوع بسبب استيلاء الخوف عليهم وبين ان الانسان جبل على التبدل فان وجد لنفسه قوة بالغ في التكبر والتعظيم وان احسن بالفقر والضعف بالغ في اظهار الذلة والمسكنة ذكر عقبيه كلاما آخر يوجب على هؤلاء الكفار لا يبالغوا في اظهار النفرة من قبول التوحيد وان لا يفرطوا في اظهار العداوة مع الرسول صلى الله عليه وسلم فقال قل أرايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد وتقرير هذا الكلام انكم كلما سمعتم هذا القرآن اعرضتم عنه وماتأملت فيه وبالغنم في الفرة عنه حتى قلتم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقرنم من المعلوم بالضرورة انه ليس العلم بكون القرآن باطلا علما بدبها وليس العلم بفساد القول بالتوحيد والنبوة علما بدبها فقبل الدليل يحتمل ان يكون صحيحا وان يكون فاسدا فتقدير ان يكون صحيحا كان اصراركم على دفعه من اعظم موجبات العقاب فهذا الطريق يوجب عليكم ان تزكوا هذه النفرة وان ترجعوا الى النظر والاستدلال فان دل الدليل على صحته قبلتموه وان دل على فساده تركتموه فأما قبل الدليل فالاصرار على الدفع والاعراض بعيد عن العقل وقوله ممن هو في شقاق بعيد موضوع منكم بيانا لحالهم وصفاتهم ولما ذكر هذه الوجوه الكثيرة في تقرير التوحيد والنبوة واجاب عن شبهات المشركين وتمويهات الضالين قال سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق قال الواحدى واحد الآفاق افق وهو الناحية من نواح الارض وكذلك آفاق السماء نواحيها واطرافها وفي تفسير قوله سنريهم آياتنا في الآفات وفي انفسهم قولان ( الاول ) ان المراد بآيات الآفاق والآيات الفلكية والكوكبية وآيات الليل والنهار وآيات الاضواء والاضلال والظلمات وآيات عالم العناصر الاربعة وآيات المواليد الثلاثة وقد اكثر الله منها في القرآن وقوله وفي انفسهم المراد منها الدلائل المأخوذة من كيفية تكون الاجنة في ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كما قال تعالى وفي انفسكم أفلاتبصرون يعنى تريهم من هذه الدلائل مرة بعد اخرى الى ان تزول المشبهات عن قلوبهم ويحصل فيها الجزم والنطع بوجود الاله القادر الحكيم العليم المنزه عن المثل والضد فان قيل هذا الوجه ضعيف لان قوله تعالى سنريهم يقتضى انه تعالى ما اطلعهم على تلك الآيات الى

ما يفتح الله من القرى عليه  
 الصلاة والسلام والمسلمين وفي  
 انفسهم فتح مكة وقيل في الآفاق  
 اى في اقطار السموات والارض  
 من الشمس والقمر والنجوم وما  
 يترتب عليها من الليل والنهار  
 والاضواء والاضلال والظلمات  
 ومن النبات والاشجار والانهار  
 وفي انفسهم من لطيف الصنعة  
 وبديع الحكمة في تكوين الاجنة  
 في ظلمات الارحام وحدوث  
 الاعضاء العجيبة والتركيبات  
 الغريبة كقوله تعالى وفي انفسكم  
 أفلاتبصرون واعتذر بأن معنى  
 السين مع ان اراءة تلك الآيات  
 قد حصلت قبل ذلك انه تعالى  
 سيطلعهم على تلك الآيات  
 زمانا فرماتا ويزيدهم وقوفا  
 على حقائقها يوما فيوما ( حتى  
 يتبين لهم ) بذلك ( انه الحق ) اى  
 القرآن او الاسلام والتوحيد  
 ( أو لم يكف بربك ) استثناء واد  
 لتوبيخهم على تردددهم في شأن  
 القرآن وعنادهم المحوج الى  
 اراءة الآيات وعدم اكتفائهم  
 باخباره تعالى والمهمزة للانكار  
 والواو للعطف على مقدر يقتضيه  
 المقام اى الم يغن ولم يكف بربك  
 والباء مزيدة للتأكيد ولا كاد تزداد  
 الامع كفى وقوله تعالى ( انه على كل  
 شئ شهيد ) بدل منه اى الم افهم  
 عن اراءة الآيات الموعودة المينة  
 لحققة القرآن ولم يكفهم في

الآن وسيطلعهم عليها بعد ذلك والآيات الموجوة في العالم الاعلى والاسفل قد كان الله اطلعهم عليها قبل ذلك ثبت انه تعذر حل هذا اللفظ على هذا الوجه قلنا ان القوم وان كانوا قد رأوا هذه الاشياء الا ان العجائب التي اودعها الله تعالى في هذه الاشياء مما لانهاية لها فهو تعالى يطلعهم على تلك العجائب زمانا فزمانا ومثاله كل احد رأى بعينه بنية الانسان وشاهدها الا ان العجائب التي ابدعها الله في تركيب هذا البدن كثيرة واكثر الناس لا يعرفونها والذي وقف على شيء منها فكلما ازداد تفكرا ازداد وقوفا على تلك العجائب والغرائب فصح بهذا الطريق قوله سنزيم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم (والقول الثاني) ان المراد بآيات الآفاق قبح البلاد المحيطة بمكة وبآيات انفسهم قبح مكة والقائلون بهذا القول رجحوا على القول الاول لاجل ان قوله سنزيم يليق بهذا الوجه ولا يليق بالاول الا انا اجنبنا عنه بأن قوله سنزيم لائق بالوجه الاول كما قررناه فان قيل حل الآية على هذا الوجه بعيد لان اقصى ما في الباب ان محمدا صلى الله عليه وسلم استولى على بعض البلاد المحيطة بمكة ثم استولى على مكة الا ان الاستيلاء بعض البلاد لا يدل على كون المستولى محقا فانزى ان الكفار قد يحصل لهم استيلاء على بلاد الاسلام وعلى ملوكهم وذلك لا يدل على كونهم محقين قلنا ولهذا السبب قلنا نحل الآية على الوجه الاول اولي ثم نقول ان اردنا تصحيح هذا الوجه قلنا لا نستدل بمجرد استيلاء محمد صلى الله عليه وسلم على تلك البلاد على كونه محقا في ادعاء النبوة بل نستدل به من حيث انه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر عن مكة انه يستولى عليها ويقهر اهلها وتصير اصحابه قاهرين للاعداء فهذا اخبار عن الغيب وقد وقع مخبره مطابقا لخبره فيكون هذا اخبارا صدقا عن الغيب والاخبار عن الغيب معجزة فهذا الطريق يستدل بحصول هذا الاستيلاء على كون هذا الدين حقا ثم قال أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقوله بربك في موضع الرفع على انه فاعل يكف وانه على كل شيء شهيد بدل منه وتقديره أولم يكفهم ان ربك على كل شيء شهيد ومعنى كونه تعالى شهيدا على الاشياء خلق الدلائل عليها وقد استقصينا ذلك في تفسير قوله قل اي شيء أكبر شهادة قل الله والمعنى الم تكفهم هذه الدلائل الكثيرة التي اوضحها الله تعالى وقررها في هذه السورة وفي كل سور القرآن الدالة على التوحيد والتنزيه والعدل والنبوة والمعاد ثم ختم السورة بقوله ألا انهم في مرية من لقاء ربهم اي ان القوم في شك عظيم وشبهة شديدة من البعث والقيامة وقرئ في مرية بالضم ثم قال ألا انه بكل شيء محيط اي عالم بجميع المعلومات التي لانهاية لها فيعلم بواطن هؤلاء الكفار وظواهرهم ويجازي كل احد على فعله بحسب ما يليق به ان خيرا فخير وان شرا نشرقا فقل قوله ألا انه بكل شيء محيط يقتضى ان تكون علومه متناهية قلنا قوله بكل شيء محيط يقتضى ان يكون علمه محيطا بكل شيء من الاشياء فهذا يقتضى كون كل واحد منهم متناهيها لا كون مجموعها متناهيها والله اعلم بالصواب ثم تم تفسير هذه السورة وقت ظهر الرابع من ذي

ذلك انه تعالى شهيد على جميع الاشياء وقد اخبر بانه من عنده وقيل معناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله في الآفاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه فينبئون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد اي مطلع يستوى عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولولم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة فتأمل وامام قيل من ان المعنى أولم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة فمع اشعاره بما لا يليق بحالة منصبه عليه السلام من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود يرد قوله تعالى (ألا انهم في مرية من لقاء ربهم) اي في شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فانه صريح في ان عدم الكفاية معتبر بالنسبة اليهم وقرئ مرية بالضم وهو لغة فيها (ألا انه بكل شيء محيط) عالم بجميع الاشياء جلها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لاجل حاله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات والله اعلم

( سورة حم عسق وتسمى )  
( الشورى مكية وهى ثلاث )  
( وخسون آية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( حم عسق ) اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل اسم واحد والفصل ليناسب سائر الحواميم وقرئ حم سق فعلى الاول هما خبران لمبتدأ محذوف وقبل حم مبتدأ وعسق خبره وعلى الثانى الكل خبر واحد وقوله تعالى ( كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ) كلام مستأنف وارد لتخفيف ان معنيون السورة موافق لما فى تصانيف سائر الكتب المأثلة على الرسل المتقدمة فى الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق اوان اسماءها مثل ايمانها بعد تنويعها بذكر اسمها وتنبيه على ضخامة شأنها والكاف فى حيز النصب على انه مفعول ليوحى على الاول وعلى انه نعت لمنسدر مؤكداً على الثانى وذلك على الاول اشارة الى ما فيها وعلى الثانى الى ايمانها وما فيه من معنى البعد لازيدان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل اى مثل ما فى هذه السورة من المعاني اوحى اليك فى سائر السور والى من قبلك من الرسل فى كتبهم على ان مناط المماثلة ما اشير اليه من الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق وما فيه صلاح العباد فى المعاش والمعاد او مثل ايمانها اوحى اليك عند اسماء سائر السور والى سائر الرسل عند اسماء كتبهم اليهم لا اسماء مغايرة له كما فى قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا

الجنة سنة ثلاث وستمائة والحمد لله رب العالمين وصلاته على خاتم النبيين محمد وآله وصحبه وسلم  
\*( سورة شورى خسون وثلاث آيات مكية )\*

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( حم عسق كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل ) اعلم ان الكلام فى امثال هذه الفوائد معلوم الان فى هذا الموضع سؤالان زائدان ( الاول ) ان يقال ان هذه السور السبعة مصدرية بقوله حم فالسبب فى اختصاص هذه السورة بمزيد عسق ( الثانى ) انهم اجمعوا على انه لا يفصل بين كهيعص وههنا يفصل بين حم وبين عسق فما السبب فيه واعلم ان الكلام فى امثال هذه الفوائد يضيق وفتح باب المجازفات مما لا سيل الى فالاولى ان يفوض علمها الى الله وقرأ ابن عباس وابن مسعود حم سق اما قوله تعالى كذلك يوحى اليك فالكاف معناه المثل وذا لشارة الى شئ سبق ذكره فيكون المعنى مثل حم عسق يوحى اليك والى الذين من قبلك وعند هذا حصل قولان ( الاول ) نقل عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال لاني صاحب كتاب الاوقدا ووحى اليه حم عسق وهذا عندى بعيد ( والثانى ) ان يكون المعنى مثل الكتاب المسمى بحم عسى يوحى اليك والى الذين من قبلك وهذه المماثلة المراد منها المماثلة فى الدعوة الى التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وتبصيح احوال الدنيا والترغيب فى التوجه الى الآخرة والذى يؤكد هذا انابينا فى تفسير سورة سبح اسم ربك الاعلى ان اولها فى تقرير التوحيد واوسطها فى تقرير النبوة وآخرها فى تقرير المعاد ولما تم الكلام فى تقرير هذه المطالب الثلاثة قال ان هذا لى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى يعنى ان المقصود من ازال جميع الكتب الالهية ليس الا هذه المطالب الثلاثة فكذلك ههنا يعنى مثل الكتاب المسمى بحم عسق يوحى اليك والى كل من قبلك من الانبياء والمراد بهذه المماثلة الدعوة الى هذه المطالب العالية والمباحث المقدسة الالهية قال صاحب الكشف ولم يقل اوحى اليك ولكن قال يوحى اليك على لفظ المضارع ليدل على ان ايماء مثله عاده وقرأ ابن كثير كذلك يوحى بفتح الحاء على ما لم يسم فاعله وهى احدى الروايتين عن ابى عمرو وعن بعضهم نوحى بالنون وقرأ الباقون يوحى اليك والى الذين من قبلك بكسر الحاء فان قيل فعلى القراءة الاولى ما رافع اسم الله تعالى قلنا ما دل عليه يوحى كأن قالنا قال من الموحى فقيل الله ونظيره قراءة السلى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركائهم فان قيل فما رافعه فين قرأ نوحى بالنون قلنا يرتفع بالابتداء والعزيز وما بعده اخبار

الى نوح الآية على ان مدار  
المثلية كونه بواسطة الملك و  
صيغة المضارع على حكاية الحال  
الماضية للابدان باستمرار الوحي  
وان ايعا مثله عافته وفي جعل  
مضمون السورة او ايمانها  
مشيها به من تفهيمها مالا يخفى  
وكذا في وصفه تعالى بوصفي  
العزة والحكمة وتأخير الفاعل  
لمراعاة القواصل مع ما فيه من  
التشويق وقرئ يوحى على  
البناء للمفعول على ان كذلك  
متبداً ويوحى خبره المسند الى  
ضميره او مصدر ويوحى مسند  
الى اليك والله مرتفع بمادل  
عليه يوحى كانه قبل من يوحى  
قتيل الله والعزير الحكيم صفتان  
له او مبتداً كما في قراءة نوحى  
والعزير وما بعده خبران له  
او العزيز الحكيم صفتان له و  
قوله تعالى (له ما في السموات  
وما في الارض وهو العلى العظيم)  
خبران له وعلى الوجوه السابقة  
استثناف مقرر لعزته وحكمته  
(تكاد السموات) وقرئ بالياء  
(يتفطرن) يتشققن من عظمة  
الله تعالى وقيل من دعاء الولد  
له كما في سورة مريم وقرئ  
يفطرون والاول ابلغ لانه  
مطاول فطر وهذا مطاوع  
فطر وقرئ تفطرون بالياء  
لتأكيد التأنيث وهونادر  
(من فوقهن) اى يتبدأ التنظر  
من جهتين الفوقانية وتخصيصها  
على الاول لما اعظم الآيات  
وادلها على العظمة والجلال من  
تلك الجهة وعلى الثانى للدلالة  
على التفطر من تحتين بالطريق  
الاولى لان تلك الكلمة الشعاء  
الواقعة فى الارض حيث ارت  
فى جهة الفوق فلا تـؤثر

او العزيز الحكيم صفتان والظرف خبره ولما ذكر ان هذا الكتاب حصل بالوحى بين  
ان الموحى من هو فقال انه هو العزيز الحكيم وقد بينا في اول سورة حم المؤمن ان كونه  
عزيراً يدل على كونه قادراً على ما لانهاية له وكونه حكماً يدل على كونه عالماً بجميع  
المعلومات غنياً عن جميع الحاجات فيحصل لنا من كونه عزيراً حكماً كونه قادراً على جميع  
المقدورات عالماً بجميع المعلومات غنياً عن جميع الحاجات ومن كان كذلك كانت  
افعاله واقواله حكمة وصواباً وكانت مبرأة عن العيب والعبث قال مصنف الكتاب  
قلت في قصيدة

الحمد لله ذى الآلاء والنعم \* والفضل والجود والاحسان والكرم

منزه الفعل عن عيب وعن عبث \* مقدس الملك عن عزل وعن عدم

(الصفة الثالثة) قوله له ما في السموات وما في الارض وهذا يدل على مطلوبين فى غاية  
الجلال (احدهما) كونه موصوفاً بقدره كاملة نافذة فى جميع اجزاء السموات  
والارض على عظمتها وسعتها بالايجاد والاعدام والتكوين والابطال (والثانى) انه لما  
بين بقوله له ما في السموات وما في الارض ان كل ما في السموات وما في الارض فهو ملكه  
وملكه وجب ان يكون منزهاً عن كونه حاصل فى السموات وفى الارض والازم كونه  
ملكاً لنفسه واذا ثبت انه ليس فى شئ من السموات امتنع كونه ايضاً فى العرش لان كل  
ما سماك فهو سماء فاذا كان العرش موجوداً فوق السموات كان فى الحقيقة سماء  
فوجب ان يكون كل ما كان حاصل فى العرش ملكاً لله وملكاً له فوجب ان يكون منزهاً  
عن كونه حاصل فى العرش وان قالوا انه تعالى قال له ما في السموات وكلمة ما لا تتناول من  
يعقل قلنا هذا مدفوع من وجهين (الاول) ان لفظة ما واردة فى حق الله تعالى قال تعالى  
والسماء وما بناها والارض وما طحاها وقال لا عبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما عبد  
(والثانى) ان صيغة من وردت فى مثل هذه السورة قال تعالى ان كل من فى السموات  
والارض الا اتى الرحمن عبداً وكلمة من لاشك انها واردة فى حق الله تعالى فدلّت هذه  
الآية على ان كل من فى السموات والارض فهو عبد لله فلو كان الله موجوداً فى  
السموات والارض وفى العرش لكان هو من جملة من فى السموات فوجب ان يكون  
عبد الله ولما ثبت بهذه الآية ان كل من كان موجوداً فى السموات والعرش فهو عبد الله  
وجب فمىن تعدست كبرياؤه عن تهمة العبودية ان يكون منزهاً عن الكون فى المكان  
والجهة والعرش والكرسى (الصفة الرابعة والخامسة) قوله تعالى وهو العلى العظيم  
ولا يجوز ان يكون المراد بكونه علواً فى الجهة والمكان لما ثبتت الدلالة على فساده  
ولا يجوز ان يكون المراد من العظيم العظمة بالجنّة وكبر الجسم لان ذلك يقتضى كونه  
مؤلّفاً من الاجزاء والابعاض وذلك ضد قوله الله احد فوجب ان يكون المراد من العلى  
المتعالى عن مشابهة الممكنات ومناسبة المحدثات ومن العظيم العظمة بالقدرة والقهر

في جهة تحت اولى وقيل الضمير  
للارض فانها في معنى الارضين  
(والملائكة يسبحون بحمدهم)  
يترهونه تعالى عما لا يليق به  
ملتبسين بحمده (ويستغفرون لمن  
في الارض) بالسعي فيما يستدعي  
مغفرتهم من الشفاعة والالهام  
وترتيب الاسباب المقربة الى  
الطاعة واستدعاء تأخير العقوبة  
طمعاً في ايمان الكافر وتوبة الفاسق  
وهذا يعم المؤمن والكافر بل  
لوفر الاستغفار بالسعي في ابدن  
الحلل المتوقع عم الحيوان بل  
الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما  
في قوله تعالى ويستغفرون للذين  
آمنوا فالمراد به الشفاعة (الا ان  
الله هو الغفور الرحيم) اذ ما من  
خلق الا وله حظ عظيم من رحمة  
تعالى والاية على الاول زيادة  
تقرير لفظه تعالى وعلى الثاني  
بيان لكمال تقدسه عما نسب اليه  
وان ترك معاجلتهم بالعقاب على  
ذلك الكلمة الشعاء بسبب استغفار  
الملائكة وفرط غفرانه ورحمته  
فقطاً رمز الى انه تعالى يقبل  
استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه  
من المغفرة رجة (والذين اتخذوا  
من دونه اولياء شركاء وانادوا  
(الله حفيظ عليهم) رقيب على  
احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها  
(وما انت عليهم بوكيل) بموكل بهم  
او بموكل اليك امرهم وانما  
وظيفة الانذار (وكذلك اوحينا  
اليك قرآنا عربيا) ذلك اشارة الى  
مصدر اوحينا ومحل الكاف  
النصب على المصدرية وقرآنا  
عربيا مفعول لا اوحينا اي ومثل  
ذلك الانحاء البديع البين  
الفهم اوحينا اليك قرآنا عربيا  
لالبس

بالاستعلاء وكمال الالهية ثم قال تكاد السموات ينفطرن من فوقهن وفيه مسائل  
(المسئلة الاولى) قرأ ابو عمرو وعاصم في رواية ابي بكر تكاد بالتاء ينفطرن بالياء والنون  
وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم وحزة تكاد بالتاء ينفطرن بالياء والتاء وقرأ  
نافع والكسائي يكاد بالياء ينفطرن ايضا بالياء قال صاحب الكشاف وروى يونس عن ابي  
عمرو قراءة غريبة تفتطرن بالتائين مع النون ونظيرها حرف نادر روى في نوادر  
ابن الاعرابي الابل تتشمسن (المسئلة الثانية) في فائدة قوله من فوقهن وجوه (الاول)  
روى عكرمة عن ابن عباس انه قال تكاد السموات ينفطرن من فوقهن قال والمعنى انها  
تكاد تفتطر من ثقل الله عليها واعلم ان هذا القول سخيّف ويجب القطع براءة ابن  
عباس عنه ويدل على فساده وجوه (الاول) ان قوله من فوقهن لا يفهم منه بمن فوقهن  
(وثانيها) هب انه يحمل على ذلك لكن لم قلتم ان هذه الحالة انما حصلت من ثقل الله عليها  
ولم لا يجوز ان يقال ان هذه الحالة انما حصلت من ثقل الملائكة عليها كما جاء في الحديث  
انه صلى الله عليه وسلم قال اطأت السماء وحق لها ان تسط ما فيها موضع شبر الا وفيه ملك  
قائم اورا كع اوساجد (وثالثها) لم لا يجوز ان يكون المراد تكاد السموات تنشق  
وتفتطر من هبة من هو فوقها فوقية بالالهية والقهر والقدرة ثبت بهذه الوجوه  
ان القول الذي ذكره في غايه الفساد والركاكة (الوجه الثاني) في تأويل الآية ما ذكره  
صاحب الكشاف وهو ان كلمة الكفر اتماجات من الذين تحت السموات وكان القياس  
ان يقال ينفطرن من تحتهن من الجهة التي جاءت منها الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فقلب  
بجعلت مؤثرة في جهة الفوق كأنه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن ودع الجهة  
التي تحتهن ونظيره في المبالغة قوله تعالى يصب من فوق رؤسهم الجسيم يصبره ما في بطونهم  
والجلود فجعل مؤثرا في اجزائهم الباطنة (الوجه الثالث) في تأويل الآية ان يقال من  
فوقهن اي من فوق الارضين لانه تعالى قال قبل هذه الآية له ما في السموات وما في  
الارض ثم قال تكاد السموات ينفطرن من فوقهن اي من فوق الارضين (الوجه  
الرابع) في التأويل ان يقال معنى من فوقهن اي من الجهة التي حصلت هذه السموات  
فيها وتلك الجهة هي فوق فقوله من فوقهن اي من الجهة الفوقانية التي هن فيها (المسئلة  
الثالثة) اختلفوا في ان هذه الهيئة لم حصلت وفيه قولان (الاول) انه تعالى لما بين  
ان الموحى لهذا الكتاب هو الله العزيز الحكيم بين وصف جلاله وكبريائه فقال تكاد السموات  
ينفطرن من فوقهن اي من هيئته وجلالاته (والقول الثاني) ان السبب فيه انبأهم الولد  
لله لقوله تكاد السموات ينفطرن منه وههنا السبب فيه انبأهم الشركاء لله لقوله بعده هذه  
الآية والذين اتخذوا من دونه اولياء والصحيح هو الاول ثم قال والملائكة يسبحون بحمد  
ربهم ويستغفرون لمن في الارض واعلم ان مخلوقات الله تعالى نوعان عالم الجسمانيات  
واعظمها السموات وعالم الروحانيات واعظمها الملائكة والله تعالى يقرر كمال عظمتها

فيه عليك ولا على قومك وقيل  
اشارة الى معنى الآية المتقدمة  
انه تعالى هو الحفيظ عليهم وانما  
انت نذير فحسب لكاف مفعول  
به لا وحنيا وقرأنا عربيا حال من  
المفعول به اى او حنياه اليك وهو  
قرآن عربى بين (لتنذر أمة القرى)  
أى اهلها وهى مكة (ومن حولها)  
من العرب (وتنذر يوم الجمع) اى  
يوم القيامة لانه يجمع فيه الخلائق  
قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع  
وقيل تجمع فيه الارواح  
والاشباح وقيل الاعمال والعمال  
والانذار يمدى الى مفعولين وقد  
يستعمل بانها بانباء وقد حذف  
ههنا نانى مفعولى الاول واول  
مفعولى الثانى للتحويل وايهام  
التمجيم وقرئ لينذر بالياء على ان  
فاعله ضمير القرآن (لاريب فيه)  
اعراض مقرر لما قبله ( فربى فى  
الجنة وفريق فى السعير ) اى بعد  
جمعهم فى الموقف فانهم يجمعون  
فيه اولام يفرقون بعد الحساب  
والقدر منهم فريق والضير  
للمجموعين لدلالة الجمع عليه  
وقرأنا مصوبين على الحالية منهم  
اى وتنذر يوم جمعهم مفترقين  
اى مشارفين للفرق او متفرقين  
فى دارى الثواب والعقاب (ولو  
شاء الله لحملهم) اى فى الدنيا (أمة)  
واحدة قبل مهدين أو ضالين  
وهو تفصيل لما قبله ابن عباس  
رضى الله عنهما فى قوله على دين  
واحد فعنى قوله تعالى ( ولكن  
يدخل من يشاء فى رحمة ) أنه  
تعالى يدخل فى رحمة من يشاء أن  
يدخله فيها ويدخل فى عذابه من  
يشاء أن يدخله فيه ولا ريب فى ان  
مشيئته

لاجل نفاذ قدرته وهيبته فى الجسمانيات ثم يردفه بنفاذ قدرته واستيلاء هيبته على  
الروحانيات والدليل عليه انه تعالى قال فى سورة هم يتساءلون لما أريد تقرير العظمة  
والكبرياء بدأ بذكر الجسمانيات فقال رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون  
منه خطا بما ثم انتقل الى ذكر عالم الروحانيات فقال يوم يقوم الروح والملائكة صفا  
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا فكذلك القول فى هذه الآية بين كمال عظمته  
باستيلاء هيبته على الجسمانيات فقال تكاد السموات ينفطرن من فوقهن ثم انتقل الى ذكر  
الروحانيات فقال والملائكة يسبحون بحمد ربهم فهذا ترتيب شريف وبيان باهر واعلم  
ان الموجودات على ثلاثة اقسام مؤثر لا يقبل الاثر وهو الله سبحانه وتعالى وهو اشرف  
الاقسام ومتأثر لا يؤثر وهو القابل وهو الجسم وهو اخس الاقسام وموجود يقبل الاثر  
من القسم الاول ويؤثر فى القسم الثانى وهو الجوهر الروحانيات المقدسة وهو المرتبة  
المتوسطة اذا عرفت هذا فقول الجوهر الروحانية لها تعاقبان تعلق بعالم الجلال والكبرياء  
وهو تعلق القبول فان الجلايا القدسية والاضواء الصمدانية اذا اشرفت على الجوهر  
الروحانية اذ تضاءت جواهرها واشرفت ماهياتها ثم ان الجوهر الروحانية اذا استفادت  
تلك القوى الروحانية قويت بها على الاستيلاء على عوالم الجسمانيات واذا كان كذلك  
فلها وجهان وجه الى جانب الكبرياء وحضرة الجلال ووجه الى عالم الاجسام والوجه  
الاول اشرف من الثانى اذا عرفت هذا فقول قوله تعالى يسبحون بحمد ربهم اشارة الى  
الوجه الذى لهم الى عالم الجلال والكبرياء وقوله ويستغفرون لمن فى الارض اشارة الى  
الوجه الذى لهم الى عالم الاجسام فاحسن هذه اللطائف وما اشرفها وما شد تأثيرها  
فى جذب الارواح من حضيض الخلق الى اوج معرفة الحق اذا عرفت هذا فقول اما  
الجهة الاولى وهى الجهة العلوية المقدسة فقد اشتملت على امرين احدهما التسبيح  
وانبيها التمجيد لان قوله يسبحون بحمد ربهم يفيد هذين الامرين والتسبيح مقدم على  
التمجيد لان التسبيح عبارة عن تنزيه الله تعالى عما لا ينبغى والتمجيد عبارة عن وصفه  
بكونه فيضا لكل الخيرات وكونه منزها فى ذاته عما لا ينبغى مقدم بالرتبة على كونه فيضا  
للخيرات والسعادات لان وجود الشئ مقدم على ايجاد غيره وحصوله فى نفسه مقدم  
على تأثيره فى حصول غيره فلهذا السبب كان التسبيح مقدما على التمجيد ولهذا قال يسبحون  
بحمد ربهم واما الجهة الثانية وهى الجهة التى لتلك الارواح الى عالم الجسمانيات  
فالاشارة اليها بقوله ويستغفرون لمن فى الارض والمراد منه تأثيراتها فى نظم احوال هذا  
العالم وحصول الطريق الاصول الاصلح فيها فهذه ملاح من المباحث العالية الالهية  
مدرجة فى هذه الآيات المقدسة ولزجع الى ما يلىق بعلم التفسير فان قيل كيف يصح ان  
يستغفروا لمن فى الارض وفيهم الكفار وقد قال تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملائكة  
فكيف يكونون لاعنين ومستغفرين لهم قلنا الجواب عنه من وجوه (الاول) ان قوله لمن

تعالى لكل من الداخلين تابعة  
لاستحقاق كل من الفريقين  
لدخول مدخله ومن ضرورة  
اختلاف الرحمة والعذاب باختلاف  
حال الداخلين فيها طعنا فليشأ  
جعل الكل امة واحدة بل  
جعلهم فريقين وانما قيل  
( والظالمون ماله من ولى ولا  
نصير ) للايدان بأن الادخال  
في العذاب من جهة الداخلين  
بموجب سوء اختيارهم لا من  
جهته تعالى كما في الادخال في  
الرحمة لانا قيل من المبالغة في  
الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو  
ماقاله مقاتل على دين الاسلام  
كافي قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم  
على الهدى وقوله تعالى ولو شاءنا  
لاتيناكل نفس هداها والمعنى  
ولو شاء الله مشيئة قدرة لا قسره  
على الايمان ولكنه شاء مشيئة  
حكمة وكلفهم وبني امرهم على  
مايختارون ليدخل المؤمنين في  
رحمته وهم المرادون بقوله تعالى  
يدخل من يشاء وترك الظالمين يغير  
ولى ولا نصير وانت خبير بأن  
فرض جعل الكل مؤمنين بأياه  
تصدير الاستدراك بادخال بعضهم  
في رحمة اذ الكل حينئذ داخلون  
فيها فكان المناسب حينئذ تصديره  
باخراج بعضهم من بينهم وادخالهم  
في عذابه فالذى يقتضيه سياق  
الظم الكريم وسباقه ان يراد  
الاتحاد في الكفر كافي قوله تعالى  
كان الناس امة واحدة فبعث الله  
النبين الاية على احد الوجوهين  
بأن يرأسهم الذين هم في فترة  
ادريس او في فترة نوح عليهما  
السلام فالمعنى ولو شاء الله لحملهم  
امة واحدة متفقة على الكفر  
بأن لا يرسل اليهم رسولا  
لينذرهم

في الارض لايفيد العموم لانه يصح ان يقال انهم استغفروا لكل من في الارض وان  
يقال انهم استغفروا لبعض من في الارض دون البعض ولو كان قوله لمن في الارض  
صريحا في العموم لماصح ذلك التقسيم (الثاني) هب ان هذا النص يفيد العموم الا انه  
تعالى حكى عن الملائكة في سورة حم المؤمن فقال ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت  
كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك (الثالث) يجوز ان يكون المراد من  
الاستغفار ان لا يعاجلهم بالعقاب كما في قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان  
ترولا الى ان قال انه كان حليما غفورا (الرابع) يجوز ان يقال انهم يستغفرون لكل من  
في الارض اما في حق الكفار فبواسطة طلب الايمان لهم واما في حق المؤمنين فبالتجاوز  
عن سبائهم فاننا نقول اللهم اهد الكفار وزين قلوبهم بنور الايمان وازل عن  
خواطيرهم وحشة الكفر وهذا في الحقيقة استغفار واعلم ان قوله ويستغفرون لمن في  
الارض يدل على انهم لا يستغفرون لانفسهم ولو كانوا مصرين على العصية لكان  
استغفارهم لانفسهم قبل استغفارهم لمن في الارض وحيث لم يذكر الله عنهم استغفارهم  
لانفسهم علمنا انهم مبرؤن عن كل الذنوب والانباء عليهم السلام لهم ذنوب والذى لا ذنب  
له البتة افضل ممن له ذنب وايضا فقوله ويستغفرون لمن في الارض يدل على انهم  
يستغفرون للانباء لان الانبياء من جملة من في الارض واذا كانوا مستغفرين للانباء  
عليهم السلام كان الظاهر انهم افضل منهم ولما حكى الله تعالى عن الملائكة التسبيح  
والحميد والاستغفار قل الا ان الله هو الغفور الرحيم والمقصود التنبيه على ان الملائكة  
وان كانوا يستغفرون للبشر الا ان الله المطلق والرحمة المطلقة للحق سبحانه وتعالى  
وبيانه من وجوه (الاول) ان اقدام الملائكة على طلب المغفرة للبشر من الله تعالى انما  
كان لان الله تعالى خلق في قلوبهم داعية لطلب تلك المغفرة ولولا ان الله تعالى خلق في  
قلوبهم تلك الدواعي والالما قدموا على ذلك الطلب واذا كان كذلك كان الغفور المطلق  
والرحيم المطلق هو الله سبحانه وتعالى (الثاني) ان الملائكة قالوا في اول الامر اتجعل  
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ثم في آخر الامر صاروا  
يستغفرون لمن في الارض واما رحمة الحق واحسانه فقد كان موجودا في الاول  
والآخر فثبت ان الغفور المطلق والرحيم المطلق هو الله تعالى (الثالث) انه تعالى حكى  
عنهم انهم يستغفرون لمن في الارض ولم يحك عنهم انهم يطلبون الرحمة لمن في الارض فقال  
الا ان الله هو الغفور الرحيم يعنى انه يعطى المغفرة التى طلبوها ويضم اليها الرحمة  
الكاملة التامة ثم قال تعالى والذين اتخذوا من دونه اوبياء اى جعلوا له شركاء وانادوا  
الله حقيقظ عليهم اى رقيب على احوالهم واعمالهم لا يفوته منها شيء وهو محاسبهم عليها  
لارقيب عليهم الا هو وحده وما انت يا محمد بمفوض اليك امرهم ولا قسره هم على الايمان  
انما انت منذر فحسب \* قوله تعالى (و كذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لئنذر ام القرى



ما ذكر من يوم الجمع وما فيه  
من الوان الاهوال فيقوا على  
ماهم عليه من الكفر ولكن  
يدخل من يشاء في رجنه اى شأنه  
ذلك فيرسل الى الكلى من ينذرهم  
ما ذكر فيتأثر بعضهم بالانذار  
فيصرفون اختيارهم الى الحق  
فيوقهم الله للايمان والطاعة  
ويدخلهم في رجنه ولايتأثر به  
الاخرون ويتأدون في غيهم  
وهم الظالمون فيبقون في الدنيا  
على ماهم عليه من الكفر  
ويصيرون في الآخرة الى السعير  
من غير ولى يلى امرهم ولا نصير  
يخلصهم من العذاب (أم اتخذوا  
من دونه اولياء) جلة مستأنفة  
مقررة لما قبلها من انتفاء ان  
يكون للظالمين ولى او نصيروا  
مةقطعة وما فيها من بل للانتقال  
من بيان ما قبلها الى بيان ما بعدها  
والجمزة لانكار الوقوع ونفيه  
على البلى وجهه وآنكده لالانكار  
الواقع واستقباحه كما قيل اذ  
المراد بيان ارفاعوا ليس من  
اتخاذ الاولياء فى شئ لان ذلك  
فرع كون الاصنام اولياء وهو  
اظهر المستنعات اى بل اتخذوا  
متجاوزين الله اولياء من الاصنام  
وغيرها هيهات وقوله تعالى  
(فالله هو الولي) جواب شرط  
محذوف كأنه قيل بعد ابطال  
ولاية ما اتخذوه اولياء ان ارادوا  
وليا فى الحقيقة فالله هو الولي  
لاولى سواء (وهو يحيى الموتى)  
اى ومن شأنه ذلك (وهو على  
كل شئ قدير) فهو الحقيق بان  
يتخذ وليا ليعصوه بالاتخاذ دون  
من لا يقدر على شئ (وما احتلتم  
فيه من شئ) حكاية اقوال

ومن حولها وتندريوم الجمع لاريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير ولو شاء الله لجمعهم  
امة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رجنه والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير ام اتخذوا  
من دونه اولياء فالله هو الولي وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير وما اختلفتم فيه  
من شئ فحكمه الى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه انيب فاطر السموات والارض  
جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذكروكم فيه ليس كمثل شئ وهو السميع  
البصير له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شئ عليم اعلم  
ان كلمة ذلك للاشارة الى شئ سبق ذكره فقوله وكذلك او حينئذ ان قرآنه عرييا يقتضى  
تشبيهه وحى الله بالقرآن بشئ ههنا قد سبق ذكره وليس ههنا شئ سبق ذكره يمكن تشبيهه وحى  
القرآن به الاقوله والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل  
يعنى كما او حينئذ اليك انك لست حفيظا عليهم ولست بوكيلا عليهم فكذلك او حينئذ اليك  
قرآنا عربيا لتكون نذيرا لهم وقوله تعالى لتندري ام القرى اى لتندري اهل ام القرى لان  
البلد لا تعقل وهو كقوله واسئل القرية وام القرى اصل القرى وهى مكة وسميت بهذا  
الاسم اجلالا لاهل الان فيها البيت ومقام ابراهيم والعرب تسمى اصل كل شئ امه حتى يقال  
هذه القصيدة من امهات قصائد فلان ومن حولها من اهل البدو والحضر واهل المدر  
والانذار التخويف فان قيل فظاهر اللفظ يقتضى ان الله تعالى انما اوحى اليه لينذر اهل  
مكة واهل القرى المحيطة بمكة وهذا يقتضى ان يكون رسولا اليهم فقط وان لا يكون  
رسولا الى كل العالمين (والجواب) ان التخصيص بالذكر لا يدل على نفى الحكم عما سواه  
فهذه الآية تدل على كونه رسولا الى هؤلاء خاصة وقوله وما ارسلناك الا كافة للناس  
يدل على كونه رسولا الى كل العالمين وايضا لما ثبت كونه رسولا الى اهل مكة وجب كونه  
صادقا ثم انه نقل الينا بالتواتر انه كان يدعى انه رسول الى كل العالمين والصادق اذا اخبر  
عن شئ وجب تصديقه فيه فثبت انه رسول الى كل العالمين ثم قال تعالى وتندريوم الجمع  
الاصل ان يقال اندرت فلانا بكذا فكان الواجب ان يقال لتندري ام القرى يوم الجمع  
وايضا فيه اضممار والتقدير لتندري اهل ام القرى بعذاب يوم الجمع وفى تسميته بيوم الجمع  
وجوه (الاول) ان الخلائق يجمعون فيه قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع فيجتمع فيه  
اهل السموات مع اهل الارض (الثاني) انه يجمع بين الارواح والاجساد (الثالث)  
يجمع بين كل عامل وعمله (الرابع) يجمع بين الظالم والمظلوم وقوله لاريب فيه صفة ليوم  
الجمع اى يوم الجمع الذى لاريب فيه وقوله فريق فى الجنة وفريق فى السعير تقديره ليوم  
الجمع الذى من صفته يكون القوم فيه فريقين فريق فى الجنة وفريق فى السعير فان قيل  
قوله يوم الجمع يقتضى كون القوم مجتمعين وقوله فريق فى الجنة وفريق فى السعير يقتضى  
كونهم متفرقين والجمع بين الصفتين محال قلنا انهم مجتمعون اولاً ثم يصيرون فريقين



الاعداء وفي طلب كل خير واليه انيب اي وانيه ارجع في كل المهمات وقوله عليه توكلت  
 يفيد الحصر اي لا اتوكل الا عليه وهو اشارة الى تزييف طريقة من اتخذ غير الله وليانم  
 قال فاطر السموات والارض قرى بالرفع والجر فالرفع على انه خبر ذلكم او خبر مبتدأ  
 محذوف والجر على تقدير ان يكون الكلام هكذا وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله  
 فاطر السموات والارض وقوله ذلكم الله ربي اعتراض وقع بين الصفة والموصوف جعل  
 لكم من انفسكم من جنسكم من الناس ازواجاً ومن الانعام ازواجاً اي خلق من الانعام  
 ازواجاً ومعناه وخلق ايضا للانعام من انفسها ازواجاً يذروكم كم يكثر كما يقال ذرأ الله الخلق  
 اي كثروهم وقوله فيه اي في هذا التدبير وهو التزويج وهو ان جعل الناس والانعام  
 ازواجاً حتى كان بين ذكورهم وانثاهم التوالد والتناسل والضمير في يذروكم يرجع الى  
 المخاطبين الا انه غلب فيه جانب الناس من وجهين (الاول) انه غلب فيه جانب العقلاء  
 على غير العقلاء (والثاني) انه غلب فيه جانب المخاطبين على الغائبين فان قيل ما معنى  
 يذروكم في هذا التدبير ولم يقل يذروكم به قلنا جعل هذا التدبير كالمنع والمعدن لهذا  
 التكثير الا ترى انه يقال للحيوان في خلق الازواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص  
 حياة ثم قال تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وهذه الآية فيها مسائل (المسئلة  
 الاولى) احتج علماء التوحيد قديماً وحديثاً بهذه الآية في نفي كونه تعالى جسماً مركباً  
 من الاعضاء والاجزاء وحاصلاً في المكان والجهة وقالوا لو كان جسماً لكان مثلاً لسائر  
 الاجسام فيلزم حصول الامثال والاشباه له وذلك باطل بصرح قوله تعالى ليس كمثله شيء  
 ويمكن ايراد هذه الحجة على وجه آخر فيقال اما ان يكون المراد ليس كمثله شيء في ماهيات  
 الذات او ان يكون المراد ليس كمثله في الصفات شيء والثاني باطل لان العباد يوصفون  
 بكونهم عالمين قاندين كما ان الله تعالى يوصف بذلك وكذلك يوصفون بكونهم معلومين  
 مذكورين مع ان الله تعالى يوصف بذلك فثبت ان المراد بالممانلة المساواة في حقيقة  
 الذات فيكون المعنى ان شيئاً من الذوات لا يساوي الله تعالى في الذاتية فلو كان الله تعالى  
 جسماً لكان كونه جسماً ذاتاً لا صفة فاذا كان سائر الاجسام مساوية له في الجسمية اعني  
 في كونه متغيراً طويلاً عريضة عميقة فحينئذ تكون سائر الاجسام ماثلة لذات الله  
 تعالى في كونه ذاتاً والنص ينفي ذلك فوجب ان لا يكون جسماً واعلم ان محمد بن اسحق بن  
 حزيمة اورد استدلال اصحابنا بهذه الآية في الكتاب الذي سماه بالتوحيد وهو في  
 الحقيقة كتاب الشرك واعترض عليها وانا ذكر حاصل كلامه بعد حذف التطويلات  
 لانه كان رجلاً مضطرب الكلام قابل النعم ناقص العقل فقال نحن نبت لله وجهاً  
 ونقول ان لوجه ربنا من النور والضياء والبهائم ما لو كشف حجابها لا احرقت سبحات وجهه  
 كل شيء ادركه بصره ووجه ربنا مني عنه الهلاك والفناء ونقول ان لبني آدم وجوها  
 كتب الله عليها الهلاك والفناء ونفي عنها الجلال والاکرام غير موصوفة بالنور والضياء

(ازواجاً) نساء وتقديم الجار  
 والجورور على المفعول الصريح  
 قد مر سره عبرة (ومن الانعام)  
 اي وجعل للانعام من جنسها  
 (ازواجاً) او خلق لكم من  
 الانعام اصنافاً او ذكورا واناثاً  
 (يذروكم) يكثر كم من الذر وهو  
 البث وفي معناه الذر والذر  
 (فيه) اي فهاذا كرم من التدبير  
 فان جعل الناس والانعام  
 ازواجاً يكون بينهم توالد كما مع  
 للبث والتكثير (ليس كمثله شيء)  
 اي ليس مثله شيء في شأن من  
 الشؤون التي من جلتها هذا  
 التدبير البديع والمراد من مثله  
 ذاته كافي قواهم لذلك لا يفعل  
 كذا على قصد المبالغة في نفيه  
 عنه فانه اذا نفي عن يناسبه كان  
 نفيه عنه اولى مما سلكت هذه  
 الطريقة في شأن من لا مثل له  
 وقيل مثله صفته اي ليس كصفته  
 صفة (وهو السميع البصير)  
 المبالغ في العلم بكل ما يسمع ويبصر  
 (له مقاليد السموات والارض)  
 اي خزانتهما (يسطر الرزق ان  
 يشاء ويقدر) يوسع ويضيق  
 حسباً تقتضيه مشيئته المؤسسة  
 على الحكم البالغة (انه لكل شيء  
 هليم) مبالغ في الاحاطة فيفعل  
 كل ما يفعله على ما ينبغي ان  
 يفعل عليه والجهة تمليل لما  
 قبدها وتهميد لما بعدها من  
 نوله تعالى

والبهاء ولو كان مجرد اثبات الوجه لله يقتضى التشبيه لكان من قال ان لبنى آدم وجوهها  
والخنازير والقردة والكلاب وجوه<sup>١</sup> تشبه وجوه بنى آدم بوجوه الخنازير  
والقردة والكلاب ثم قال ولا شك انه<sup>٢</sup> الجهمية لانه لو قيل له وجهك يشبه وجه  
الخنازير والقردة لغضب ولشافه بال<sup>٣</sup> مما انه لا يلزم من اثبات الوجه واليد لله  
اثبات التشبيه بين الله وبين خلقه وذكرني<sup>٤</sup> دل آخر من هذا الكتاب ان القرآن دل على  
وقوع التسوية بين ذات الله تعالى وبين خلقه في صفات كثيرة ولم يلزم منها ان يكون القائل  
بها مشبها فكذا ههنا ونحن نعد الصور التي ذكرها على الاستقصاء (فالاول) انه تعالى قال  
في هذه الآية وهو السميع البصير وقال في حق الانسان فجعلناه سميعا بصيرا (الثاني) قال  
وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله وقال في حق المخلوقين أولم يروا الى الطير مسخرات  
في جوار السماء (الثالث) قال واصنع الفلك بأعيننا واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وقال  
في حق المخلوقين ترى اعينهم تقيض من<sup>٥</sup> الامع (الرابع) قال لا بليس مامنك ان تسجد  
لما خلقت يدي وقال بل يدها مبسوطتان وقال في حق المخلوقين ذلك بما قدمت ايديكم  
ذلك بما قدمت يداك ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يدا الله فوق ايديهم (الخامس)  
قال تعالى الرحمن على العرش استوى وقال في الذين يركبون الدواب لتستووا على ظهوره  
وقال في سفينة نوح واستوت على الجودي (السادس) سمي نفسه عزيزا فقال العزيز  
الجبار ثم ذكر هذا الاسم في حق المخلوقين بقوله يا أيها العزيز ان له اباشيخا كبيرا يا أيها  
العزيز مسناوا هلنا الضر (السابع) سمي نفسه بالملك وسمى بعض عبيده ايضا بالملك فقال  
وقال الملك اشؤني به وسمى نفسه بالعظيم ثم ارفع هذا الاسم على المخلوق فقال رب العرش  
العظيم وسمى نفسه بالجبار المتكبر ووقع هذا الاسم على المخلوق فقال كذلك يطبع الله  
على كل قلب متكبر جبار ثم طول في ضرب الامثلة من هذا الجنس وقال ومن وقف على  
الامثلة التي ذكرناها امكنة الاكثر منها فكذا ما اوردته هذا الرجل في هذا الكتاب  
واقول هذا المسكين الجاهل انما وقع في احوال هذه الخرافات لانه لم يعرف حقيقة المثلين  
وعلماء التوحيد حققوا الكلام في المثلين ثم فرعوا عليه الاستدلال بهذه الآية فنقول  
المثلان هما اللذان يقوم كل واحد منهما مقام الآخر في حقيقته وماهيته وتحقيق  
الكلام فيه مسبوق بمقدمة أخرى فنقول المتعبر في كل شيء امامتاه ماهيته واما جزء من  
اجزاء ماهيته واما امر خارج عن ماهيته ولكنه يكون من لوازم تلك الماهية واما امر  
خارج عن ماهيته ولكنه ليس من لوازم تلك الماهية وهذا التقسيم مبنى على الفرق بين  
ذات الشيء وبين الصفات القائمة به وذلك معلوم بالبدية فان ترى الحبة من الحصرم كانت  
في غاية الخضرة والجووضة ثم صارت في غاية السواد والحلاوة فالذات باقية والصفات  
مختلفة والذات الباقية مغايرة للصفات المختلفة وايضا ترى الشعر قد كان في غاية السواد  
ثم صار في غاية البياض فالذات باقية والصفات متبدلة والباقي غير المتبدل فظهر بما ذكرنا

ان الذوات مغايرة للصفات اذا عرفت هذا فنقول اختلاف الصفات لا يوجب اختلاف الذوات البتة لاننا نرى الجسم الواحد كان ساكننا ثم يصير متحركا ثم يسكن بعد ذلك فالذوات باقية في الاحوال كلها على نهج واحد ونسق واحد والصفات متعاقبة متزايلة فثبت بهذا ان اختلاف الصفات والاعراض لا يوجب اختلاف الذوات اذا عرفت هذا فنقول الاجسام التي منها تألف وجه الكلب والقرد مساوية للاجسام التي تألف منها وجه الانسان والفرس وانما حصل الاختلاف بسبب الاعراض القائمة وهي الالوان والاشكال والخشونة والملاسة وحصول الشعور فيه وعدم حصولها فالاختلاف انما وقع بسبب الاختلاف في الصفات والاعراض فاما ذوات الاجسام فهي متماثلة الا ان العوام لا يعرفون الفرق بين الذوات وبين الصفات فلا جرم يقولون ان وجه الانسان يخالف لوجه الجمار ولقد صدقوا فانه حصلت تلك المخالفة بسبب الشكل واللون وسائر الصفات فاما الاجسام من حيث انها اجسام فهي متماثلة متساوية فثبت ان الكلام الذي اورده انما ذكره لاجل انه كان من العوام وما كان يعرف ان المعبر في التماثل والاختلاف حقائق الاشياء وما هياتها لا الاعراض والصفات القائمة بها بقی ههنا ان يقال فالدليل على ان الاجسام كلها متماثلة فنقول لنا ههنا مقامان (المقام الاول) ان نقول هذه المقدمة اما ان تكون مسلمة او لا تكون مسلمة فان كانت مسلمة فقد حصل المقصود وان كانت ممنوعة فنقول فلم لا يجوز ان يقال الله العالم هو الشمس والقمر والفلک والعرش او الكرسي ويكون ذلك الجسم مخالفا لماهية سائر الاجسام فكان هو قديما ازليا واجب الوجود وسائر الاجسام محدثة مخلوقة ولوان الاولين والآخرين اجتمعوا على ان يسقطوا هذا الالتزام عن المجسمة لا يقدر ان عليه فان قالوا هذا باطل لان القرآن دل على ان الشمس والقمر والافلاك كلها محدثة مخلوقة فيقال هذا من باب الحماقة المفرطة لان صحة القرآن وصحة نبوة الانبياء مفرعة على معرفة الاله فاثبات معرفة الاله بالقرآن وقول النبي لا يقوله عاقل يفهم ما يتكلم به (والمقام الثاني) ان علماء الاصول اقاموا البرهان القاطع على تماثل الاجسام في الذوات والحقيقة واثبت هذا ظهوره لو كان الله العالم جسما لكانت ذاته مساوية لذوات الاجسام الا ان هذا باطل بالعقل والنقل اما العقل فلان ذاته اذا كانت مساوية لذوات سائر الاجسام وجب ان يصح عليه ما يصح على سائر الاجسام فيلزم كونه محدثا مخلوقا قابلا للعدم والفناء قابلا للفرق والتمزق واما النقل فقولته تعالى ليس كمثل شيء فهذا تمام الكلام في تقرير هذا الدليل وعند هذا يظهر اننا لانقول بأنه متى حصل الاستواء في الصفة لزم حصول الاستواء في تمام الحقيقة الا اننا نقول لما ثبت ان الاجسام متماثلة في تمام الماهية فلو كانت ذاته جسما لكان ذلك الجسم مساويا لسائر الاجسام متماثلة في تمام الماهية وحيث ان يلزم ان يكون كل جسم مثالا لما بينا ان المعبر في حصول المماثلة اعتبار الحقائق من حيث هي هي لا اعتبار الصفات القائمة بها

وقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم الله واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسجه اليه عليه الصلاة والسلام بالذي لزيادة تفخيم شأنه من تلك الحميمية واثار الابعاء على ما قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع في الآيات المذكورة وما في الابعاء من التصريح برسالته عليه الصلاة والسلام القامع لانكار الكفرة والالتفات الى نون العظمة لظهار كمال الاعتناء بابعائه وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية نوح عليه السلام للمسارة الى بيان كون المشروع لهم دين قديما وتوجيه الخطاب اليه عليه الصلاة والسلام بطريق التلويح للتشريف والتتبيه على انه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه الصلاة والسلام (ان اقيموا الدين) اي دين الاسلام الذي هو توحيد الله تعالى وطاعته والايان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد باقامته تعديل اركانه وحفظه من ان يقع فيه زيغ او المواظبة عليه والتشمر له ومحل ان اقيموا ما انصب على انه بدل من مفعول شرع والمطوفين عليه او الرفع على انه جواب عن سؤال نشأ من ايهام المشروع كانه قيل وما ذاك فقيل هو اقامة الدين وقيل بدل من ضميره وليس بذلك الا انه مع

فظهر بالتقرير الذى ذكرناه ان حجة اهل التوحيد فى غاية القوة وان هذه الكلمات التى اوردها هذا الانسان انما اوردها لانه كان بعيدا عن معرفة الحقائق فخرى على منج كلمات العوام فاغتربت تلك الكلمات التى ذكرها ونسأل الله تعالى حسن الخاتمة ( المسئلة الثانية) فى ظاهر هذه الآية اشكال فانه يقال المقصود منها نفى المثل عن الله تعالى وظهرها يوجب اثبات المثل لله فانه يقتضى نفى المثل عن مثله لاعنه وذلك يوجب اثبات المثل لله تعالى واجاب العلماء عنه بان قالوا ان العرب تقول مثلك لا يخل اى انت لا تبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عنه ويقول الرجل هذا الكلام لا يقال للمثل اى لا يقال لى قال الشاعر \* ومثلى كمثلى جذوع النخيل \* والمراد منه المبالغة فانه اذا كان ذلك الحكم منتفيا عن كان مشابها بسبب كونه مشابها له فلا ن يكون منتفيا عنه كان ذلك اولى ونظيره قولهم سلام على المجلس العالى والمقصود ان سلام الله اذا كان واقعا على مجلسه وموضعه فلا ن يكون واقعا عليه كان ذلك اولى فكذا ههنا قوله تعالى ليس كمثله شئ والمعنى ليس كهو شئ على سبيل المبالغة من الوجه الذى ذكرناه وعلى هذا التقدير فليكن هذا اللفظ ساقطاعديم الاثر بل كان مقبدا للمبالغة من الوجه الذى ذكرناه وزعم جهه ابن صفوان ان المقصود من هذه الآية بيان انه تعالى ليس مسمى باسم الشئ قال لان كل شئ فانه يكون مثالا لمثله فقول الله ليس كمثله شئ معناه ليس مثل مثله شئ وذلك يقتضى ان لا يكون هو مسمى باسم الشئ وعندى فيه طريقة اخرى وهى ان المقصود من ذكر الجمع بين حرفى التشبيه الدليل الدال على كونه منزها عن المثل وتقريره ان يقال لو كان له مثل لكان هو مثل نفسه وهذا محال فاثبات المثل له محال اما بيان انه لو كان له مثل لكان هو مثل نفسه فالامر فيه ظاهر واما بيان ان هذا محال فلانه لو كان مثل مثل نفسه لكان مساويا لمثله فى تلك الماهية ومباينا له فى نفسه وما به المشاركة غير ما به المباينة فتكون ذات كل واحد منهما مركبا وكل مركب ممكن فثبت انه لو حصل لواجب الوجود مثل لما كان هو فى نفسه واجب الوجود اذا عرفت هذا فقول الله ليس مثل مثله شئ اشارة الى انه لو صدق عليه انه مثل مثل نفسه لما كان هو شيئا بناء على ما بيناه لو حصل لواجب الوجود مثل لما كان واجب الوجود فهذا ما يحتمله اللفظ ( المسئلة الثالثة ) هذه الآية دالة على نفى المثل وقوله تعالى وله المثل الاعلى يقتضى اثبات المثل فلا بد من الفرق بينهما فقول المثل هو الذى يكون مساويا للشئ فى تمام الماهية والمثل هو الذى يكون مساويا له فى بعض الصفات الخارجة عن الماهية وان كان مخالفا فى تمام الماهية ( المسئلة الرابعة ) قوله وهو السميع البصير يدل على كونه تعالى سامعا للمسموعات مبصرا للمرئيات فان قيل يمتنع اجراء هذا اللفظ على ظاهره وذلك لانه اذا حصل قرع او قلع انقلب الهواء من بين ذينك الجسمين انقلابا بعنف فيتوجج الهواء بسبب ذلك ويتأدى ذلك التوجج الى سطح الصماخ فهذا هو السماع واما الابصار فهو عبارة عن تأثر الخدقة بصورة المرئى فثبت ان السمع

اقضائه الى خروجه عن حيز الایحاء الى النبى عليه الصلاة والسلام مستلزم لكون الخطاب فى قوله تعالى ( ولا تنفروا فيه ) للانبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام وتوجيه النهى الى اعمهم تمحل ظاهر مع ان الاظهر انه متوجه الى امته صلى الله عليه وسلم وانهم المتفرقون كما سخط به خبر اى لا تنفروا فى الدين الذى هو عبارة عما ذكر من الاصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الاعصار كما يطبق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاج وقوله تعالى ( كبر على المشركين ) شروع فى بيان احوال بعض من شرع لهم ما شرع من الدين القويم اى عظم وشق عليهم ( ماتدعوهم اليه ) من التوحيد ورفض عبادة الاصنام واستبدوه حيث قالوا اجعل الالهة الهاء واحدا ان هذا لشيء عجاب وقوله تعالى ( الله يجتبي اليه من يشاء ) استثناء واراد لتحقيق الحق وفيه اشعار بأن منهم من يحاب الى الدعوة اى الله يجلب الى ما تدعوهم اليه من يشاء ان يجتبيه اليه وهو من صرف اختياره الى ما دعى اليه كما نبئ عنه قوله تعالى ( ويهدى اليه من يشاء ) اى يقبل اليه حيث يمه بالتوفيق والالطاف وقوله تعالى ( وما تفرقوا ) شروع فى بيان احوال اهل الكتاب عقيب الاشارة

والبصر عبارة عن تأثر الحاسة وذلك على الله تعالى فقال تعالى ان اطلاق السمع والبصر على علمه تعالى بالسموات والمبصرات غير جائز (واجواب) الدليل على ان السماع مغاير لتأثر الحاسة انا اذا سمعنا الصوت علمنا انه من اى الجوانب جاء فعلمنا ان ادراكنا الصوت حيث وجد ذلك الصوت في نفسه وهذا يدل على ان ادراك الصوت حالة مغايرة لتأثر الصماخ عن تموج ذلك الهواء واما الرؤية فالدليل على انها حالة مغايرة لتأثر الحدقة فذلك لان نقطة الناظر جسم صغير فيستحيل الطباع الصورة العظيمة فيه فنقول الصورة المنطبعة صغيرة والصورة المرئية في نفس العالم عظيمة وهذا يدل على ان الرؤية حالة مغايرة لنفس ذلك الانطباع واذا ثبت هذا فنقول لا يلزم من امتناع التأثر في حق الله امتناع السمع والبصر في حقه فان قالوا هب ان السمع والبصر حالتان مغايرتان لتأثر الحاسة الا ان حصولهما مشروط بحصول ذلك التأثير فلو كان حصول ذلك التأثير في حق الله تعالى متممًا كان حصول السمع والبصر في حق الله متممًا فنقول ظاهر قوله وهو السمع البصر يدل على كونه سمعًا بصيرًا فلم يجوز لنا ان نعدل عن هذا الظاهر الا اذا قام الدليل على ان الحاسة المسماة بالسمع والبصر مشروطة بحصول التأثير والتأثر في حق الله تعالى متمم فلو كان حصول الحاسة المسماة بالسمع والبصر متممًا وانتم المدعون لهذا الاشتراط فعليكم الدلالة على حصوله وانما نحن متمم رن بظاهر اللفظ الى ان تذكروا ما يوجب العدول عنه فان قال قائل قوله وهو السمع يستلزم يفيد الحصر فاما معنى هذا الحصر مع ان العباد ايضا موصوفون بكونهم سمعيين بصيرين فنقول السمع والبصر لفظان مشعران بحصولها تين الصفتين على سبيل الكمال والكمال في كل الصفات ليس الله فهذه هو المراد من هذا الحصر اما قوله تعالى له مقابل السموات والارض فاعلم ان المراد من الآية انه تعالى فاطر السموات والارض والاصنام ليست كذلك وايضا فهو خالق انفسنا وازواجنا وخالق اولادنا منا ومن ازواجنا والاصنام ليست كذلك وايضا فله مقابل السموات والارض والاصنام ليست كذلك والمقصود من الكل بيان القادر المزمع الكريم الرحيم فكيف يجوز جعل الاصنام التي هي جادات مساوية له في العبودية فنقل قوله له مقابل السموات والارض يريد الله الرزق من السموات والارض فقيل السموات الامطار ومقابل الارض النبات وذكرنا تفسير المقاليد في سورة الزمر عند قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لان مفاتيح الارزاق بيده انه بكل شيء من البسط والتقدير عليم \* قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من يئيب وما تفرقوا الا من بعدما جاءهم العلم بقيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم وان الذين اورثوا الكتاب بعدهم) الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن اثبات كيفية كفر اهل الكتاب وقرئ وورثوا وورثوا اى وان المشركين الذين اورثوا القرآن من بعدما ورث اهل الكتاب كتابهم (لن يشك منه) من القرآن (مريب) موقع في القلب اوفى الرية ولذلك لا يؤمنون به لانهض البغي والمكابرة بعد

الاجالية الى احوال هل الشرك قال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود والنصارى لقوله تعالى وما تفرقوا الذين اتوا الكتاب الا من بعدما جاءتهم البينة اى ما تفرقوا في الدين الذى دعوا اليه ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم (الا من بعدما جاءهم العلم) بحقيقته بما شاهدوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن من دلائل الحقيقة حسبا وجدوه في كتابهم او العلم بعينه عليه الصلاة والسلام وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال او من اعم الاوقات اى وما تفرقوا في حال من الاحوال اوفى وقت من الاوقات الاحال مجئ العلم او الوقت مجئ العلم (بقيا بينهم) وجية وطلبا للرئاسة لالان لهم في ذلك شبهة (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى العدة بتأخير العقوبة (الى اجل مسمى) هو يوم القيامة (لقضى بينهم) لا وقع القضاء بينهم باستعمالهم لاستيجاب جنائياتهم لذلك قطعا وقوله تعالى (وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم) الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن اثبات كيفية كفر اهل الكتاب وقرئ وورثوا وورثوا اى وان المشركين الذين اورثوا القرآن من بعدما ورث اهل الكتاب كتابهم (لن يشك منه) من القرآن (مريب) موقع في القلب اوفى الرية ولذلك لا يؤمنون به لانهض البغي والمكابرة بعد



ما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم  
 لاجمة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير والذين يحاجون في الله من بعدما استجب له  
 حجتهم داخضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الله الذي أنزل الكتاب بالحق  
 والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعمل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا  
 مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا أن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد الله لطيف  
 بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز اعلم انه تعالى لما عظم وحبه الى محمد صلى الله  
 عليه وسلم بقوله كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ذكر في هذه  
 الآية تفصيل ذلك فقال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والمعنى شرع الله لكم  
 يا اصحاب محمد من الدين ما وصى به نوحا ومحمدا و ابراهيم وموسى وعيسى هذا هو المقصود  
 من لفظ الآية وانما خص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم اكابر الانبياء واصحاب  
 الشرائع العظيمة والاتباع الكثيرة الا انه بقي في لفظ الآية اشكالات (احدها) انه قال  
 في اول الآية ما وصى به نوحا وفي آخرها ما وصى به ابراهيم وفي الوسط والذي اوحينا  
 اليك فاما الفائدة في هذه التفاوت (وثانيها) انه ذكر نوحا عليه السلام على سبيل الغيبة  
 فقال ما وصى به نوحا واقسمين الباقيين على سبيل التكلم فقال والذي اوحينا اليك  
 وما وصى به ابراهيم (وثالثها) انه يصير تقدير الآية شرع الله لكم من الدين الذي اوحينا  
 اليك فقوله شرع لكم خطاب الغيبة وقوله والذي اوحينا اليك خطاب الحضور فهذا  
 يقتضى الجمع بين خطاب الغيبة وخطاب الحضور في الكلام الواحد بالاعتبار الواحد  
 وهو مشكل فهذه المضائق يجب البحث عنها والقوم ماداروا حولها وبالجملة فالمقصود  
 من الآية انه يقال شرع لكم من الدين دينا تطابقت الانبياء على صحته واقول يجب ان  
 يكون المراد من هذا الدين شيئا مغايرا للتكاليف والاحكام وذلك لانها مختلفة متفاوته  
 قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فيجب ان يكون المراد منه الامور التي  
 لا تختلف باختلاف الشرائع وهى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر  
 والايمان يوجب الاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة والسعى في مكارم الاخلاق  
 والاحتراز عن رذائل الاحوال ويجوز عندى ان يكون المراد من قوله ولا تفرقوا اى  
 لا تفرقوا بالالهة الكثيرة كما قال يوسف عليه السلام أرباب متفرقون خير ام الله  
 الواحد القهار وقال تعالى وما رسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا  
 فاعبدون واحتج بعضهم بقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا على ان النبي صلى الله  
 عليه وسلم في اول الامر كان مبعوثا بشرعية نوح عليه السلام والجواب ما ذكرناه انه  
 عطف عليه سائر الانبياء وذلك يدل على ان المراد هو الاخذ بالشرعية المتفق عليها بين الكل  
 ومحل ان اقيموا الدين امانصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه واما رفع على  
 الاستئناف كأنه قيل ماذا المشروع فقيل هو اقامة الدين كبر على المشركين عظم عليهم

ما علموا بحقيقته ككذب اهل  
 الكتابين هذا وامام اقبل من ان  
 ضمير تفرقوا لام الانبياء عليهم  
 الصلاة والسلام وان المراد تفرق  
 كل امة بعد نبيها مع علمهم بان  
 الفرقة ضلال وفساد و امر متوحد  
 عليه على السنة الانبياء عليهم  
 الصلاة والسلام فيردوه قوله تعالى  
 ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل  
 مسمى لقتل بينهم وكذا ما قيل  
 من ان الناس كانوا امة واحدة  
 مؤمنين بعدما اهلك الله تعالى  
 اهل الارض بالطوفان فلما مات  
 الالباء اختلف الابناء فيما بينهم  
 وذلك حين بعث الله تعالى النبيين  
 مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم  
 وانما اختلفوا البغي بينهم فان  
 مشاهير الامم المذكورة قد  
 اصابهم عذاب الاستئصال من  
 غير انظار واهمال على ان مساق  
 النظم الكريم لبيان احوال هذه  
 الامة وانما ذكر من ذكر من  
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام  
 لتحقيق ان ما شرع لهؤلاء دين  
 قديم اجمع عليه اولئك الاعلام  
 عليهم الصلاة والسلام تأكيد  
 لوجوب اقامته وتشديدا  
 للزجر عن التفرق والاختلاف  
 فيه فالتعرض لبيان تفرق اعمهم  
 عنه ربما يوهم الاختلال بذلك  
 المرام (فلذلك) اى فلاجل ما  
 ذكر من التفرق والشك المريب  
 او فلاجل انه شرع لهم الدين  
 القويم القديم الحقيقى بان يتنافس  
 فيه المتنافسون (فادع) اى الناس  
 كافة الى اقامة

وشق عليهم ما تدعوهم اليه من اقامة دين الله تعالى على سبيل الاتفاق والاجماع بدليل ان الكفار قالوا اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وهنما مسائل (المسئلة الاولى) احتج نفاة القياس بهذه الآية قالوا انه تعالى اخبر ان اكابر الانبياء اطبقوا على انه يجب اقامة الدين بحيث لا يفضى الى الاختلاف والتنازع والله تعالى ذكر في معرض المنة على عباده انه ارشدهم الى الدين الخالي عن التفرق والمخالفة ومعلوم ان فتح باب القياس يفضى الى اعظم انواع التفرق والمنازعة فان الحس شاهد بأن هؤلاء الذين بنوا دينهم على الاخذ بالقياس تفرقوا تفرقا لارضاء في حصول الاتفاق بينهم الى آخر القيامة فوجب ان يكون ذلك محرما ممنوما عنه (المسئلة الثانية) هذه الآية تدل على ان هذه الشرائع على قسمين منها ما يمنع دخول النسخ والتغير فيه بل يكون واجب البقاء في جميع الشرائع والاديان كالقول بحسن الصدق والعدل والاحسان والقول بقبح الكذب والظلم والايذاء ومنها ما يختلف باختلاف الشرائع والاديان ودلت هذه الآية على ان سعى الشرع في تقرير النوع الاول اقوى من سعيه في تقرير النوع الثاني لان المواظبة على القسم الاول مهمة في اكتساب الاحوال المفيدة لحصول السعادة في الدار الآخرة (المسئلة الثالثة) قوله تعالى ان اقيموا الدين ولا تفرقوا فيه مشعر بأن حصول الموافقة امر مطلوب في الشرع والعقل وبيان منفعة من وجوه (الاول) ان النفوس تأثرت واذا تطابقت النفوس وتوافقت على شيء واحد قوى التأثير (الثاني) انها اذا توافقت صار كل واحد منها معينا للآخر في ذلك المقصود المعين وكثرة الاعوان توجب حصول المقصود اما اذا تخالفت تنازعت ونجادت فضعفت فلا يحصل المقصود (الثالث) ان حصول التنازع ضد مصلحة العالم لان ذلك يفضى الى الهرج والمرج والقتل والنهب فلهذا السبب امر الله تعالى في هذه الآية باقامة الدين على وجه لا يفضى الى التفرق وقال في آية اخرى ولا تنازعوا ففشلوا ثم قال تعالى الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وفيه وجهان (الاول) انه تعالى لما ارشدا امة محمد صلى الله عليه وسلم الى التمسك بالدين المتفق عليه بين انه تعالى انما ارشدهم الى هذا الخير لانه اجتباهم واصطفاهم وخصهم بمزيد الرحمة والكرامة (الثاني) انه انما كبر عليهم هذا الدماء من الرسل لما فيه من الانقياد لهم تكبرا وانفة فين تعالى انه يخص من يشاء بالرسالة ويزم الانقياد لهم ولا يعتبر الحسب والنسب والغنى بل الكل سواء في انه يلزمهم اتباع الرسل الذين اجتباهم الله تعالى واشتقاق لفظ الاجتباء يدل على الضم والجمع فنه جبي الخراج واجتبا وجبي الماء في الخوض فقوله الله يجتبي اليه اي يضمه اليه ويقربه منه تقريبا الاكرام والرحمة وقوله من يشاء كقوله تعالى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء ثم قال ويهدي اليه من ينيب وهو كإروى في الخبر من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن أثنى يمشي آتية هرولة اي من اقبل الى بطاعته اقبلت اليه بهدايتي وارشادي بان اشرحه صدره واسهل امره

ذلك الدين والعمل بموجبه فان كلامن تفرقهم وكونهم في شك مرئب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب للدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه ما ذكر من التوصية والامر بالامامة والنهي عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار وقيل المشار اليه نفس الدين المشروع واللام معنى الى كما في قوله تعالى بان ربك اوحى لها اي فالى ذلك الدين فادع (واستم) عليه وعلى الدعوة اليه (كما امرت) واوحى اليك (ولا تتبع اهل اواءهم) الباطلة (وقل آمنتم بما انزل الله من كتاب) اي كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للعق وبيان لاتفاق الكتب في الاصول وتأليف لقلوب اهل الكتابين وتكريض بهم وقدم بيان كيفية الايمان بها في خاتمة سورة البقرة (وامرنا لاعدل بينكم) في تبليغ الشرائع والاحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقبل معناه لاسوى بيني وبينكم ولا امركم بما لا علمه ولا مخالفكم الى ما نهاكم عنه ولا افرق بين اكابركم واصاغركم واللام اما على حقيقتها والمأمورية محذو وى امرت بذلك لاعدل اوزاذه اي امرت ان اعدل والباء محذوفة (الله ربنا وربكم) (يخالنا

و اعلم انه تعالى لما بين انه امر كل الانبياء والامم بالاخذ بالدين المتفق عليه كان لقائل ان  
 يقول فلما ذا نجدهم متفرقين فأجاب الله تعالى عنهم بقوله وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم  
 العلم بغيا بينهم يعني أنهم ما تفرقوا الا من بعد ان علموا ان الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك  
 البغي وطلب الرياسة فحملتهم الحمية النفسانية والانفة الطبيعية على ان ذهب كل طائفة  
 الى مذهب ودعا الناس اليه وقبح ما سواه طلبا للذكر والرياسة فصار ذلك سببا لوقوع  
 الاختلاف ثم اخبر تعالى انهم استحقوا العذاب بسبب هذا الفعل الا انه تعالى اخر عنهم  
 ذلك العذاب لان لكل عذاب عنده اجلاسمى اى وقتا معلوما اما المحض المشيئة كما هو  
 قولنا اولانه علم ان الصلاح بتحقيقه به كما عند المعتزلة وهو معنى قوله ولولا كلمة سبقت من  
 ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم والاجل المسمى قديكون في الدنيا وقديكون في القيامة  
 واختلفوا في الذين اريدوا بهذه الصفة من هم فقال الاكثرون هم اليهود والنصارى  
 والدليل عليه قوله تعالى في آل عمران وما اختلف الذين اتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم  
 العلم بغيا بينهم وقال في سورة لم يكن وما تفرق الذين اتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم  
 البينة ولان قوله الا من بعد جاءهم العلم لائق باهل الكتاب وقال آخرون انهم هم العرب  
 وهذا باطل للوجود المذكورة لان قوله تعالى بعد هذه الآية وان الذين اوتوا الكتاب من  
 بعدهم لا يليق بالعرب لان الذين اوتوا الكتاب من بعدهم هم اهل الكتاب الذين كانوا في  
 عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لفي شك من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان ثم قال تعالى  
 فلذلك فادع واستقم كما امرت يعني فلاجل ذلك التفرق وللاجل ما حدث من الاختلافات  
 الكثيرة في الدين فادع الى الاتفاق على الملة الخفيفة واستقم عليها وعلى الدعوة اليها كما  
 امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب اى بأى  
 كتاب صحح ان الله انزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض  
 وكفروا ببعض ونظيره قوله نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله اولئك هم الكافرون ثم  
 قال وامرت لا تعدل بينكم اى في الحكم اذا تخاصمتم قحاكمتم الى قال القمالم معناه  
 ان ربي امرني ان لا افرق بين نفسى وانفسكم بأن آمركم بما لا اعلمه او اخالفكم الى  
 ما نهيتكم عنه لكننى اسوى بينكم وبين نفسى وكذلك اسوى بين اكابركم واصاغركم فيما  
 يتعلق بحكم الله ثم قال الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لاجئة بيننا وبينكم الله  
 يجمع بيننا واليه المصير والمعنى ان الله الكل واحد وكل واحد مخصوص بعمل نفسه  
 فوجب ان يشتغل كل واحد في الدنيا بنفسه فان الله يجمع بين الكل في يوم القيامة  
 ويجازيه على عمله والمقصود منه المتاركة واشتغال كل احدهم بنفسه فان قيل كيف  
 يليق بهذه التاركة ما فعل بهم من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والاجلاء فلنا هذه  
 التاركة كانت مشروطة بشرط ان يقلوا الدين المتفق على صحته بين كل الانبياء ودخل  
 فيه التوحيد وترك عادة الاصنام والاقرار بنبوة الانبياء وبصحة البعث والقيامة فلما لم

جميعا ومتولى امورا (لنا اعمالنا)  
 لا يخطئنا جزاؤها ثوبا كان  
 او عقابا (ولكم اعمالكم)  
 لا تجاؤكم آثارها لنستفيد  
 بحسنائكم وننضر ربسبائكم  
 (لا حجة بيننا وبينكم) اى لا حاجة  
 ولا خصومة لان الحق قد ظهر ولم  
 يبق للحاجة حاجة ولا للمخالفة  
 محل سوى المكابرة (الله يجمع  
 بيننا) يوم القيامة (واليه المصير)  
 فيظهر ههنا حالنا وحالكم وهذا  
 كما ترى مجازة في مواقف المجازية  
 لا متاركة في مواطن المحاربة حتى  
 يصار الى النسخ بآية القتال  
 (والذين يحاحون في الله) اى في  
 دينه (من بعدهم استجب لهم) من  
 بعدهم استجاب له الناس ودخلوا  
 فيه والتعبير عن ذلك بالاستجابة  
 باعتبار دعوتهم اليه اومن بعدهم  
 استجاب الله لرسوله عليه الصلاة  
 والسلام وايده بنصره اومن بعده  
 ما استجاب له اهل الكتاب بان  
 اقرؤا بنبوته عليه الصلاة والسلام  
 واستفتحوا به قبل مبعته عليه  
 الصلاة والسلام وذلك ان اليهود  
 والنصارى كانوا يقولون للؤمنين  
 كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل  
 نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق  
 (حجبتهم داخضة عند ربهم) زالة  
 زائلة باطلة بل لاجحة لهم اصلا  
 وانما عبر عن باطلهم بالجنة مجازة  
 معهم على زعمهم الباطل (وعليهم  
 غضب) عظيم لمكارتهم الحق بعد  
 ظهوره (ولهم عذاب شديد)  
 لا يقدر فدره (الله الذى انزل  
 الكتاب) اى جاس الكتاب  
 (بالحق) ملتبس به في احكامه  
 واخباره او بما يحق انزاله من  
 العقائد والاحكام (والميزان)  
 والشرع الذى يوزن به الحقوق

العدل بان ازل الامر به وآلة  
الوزن (وما يدريك) اى اى شئ  
يعلمك عالما (لعل الساعة) التى يخبر  
بعبثها الكتاب الناطق بالحق  
(قريب) اى شئ قريب وقريب  
مجيبا وقيل القريب بمعنى ذات  
قرب والساعة بمعنى البعث والمعنى  
انها على جناح الاثنيان فأتبع  
الكتاب واعلم به وواظب على  
العدل قبل ان يفاجئك اليوم  
الذى يوزن فيه الاعمال ويوفى  
جزاؤها (يستعمل بها الذين  
لا يؤمنون بها) استعمال انكار  
واسمه ان كانوا يقولون متى هى  
ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق هو  
الذى نحن عليه ام الذى عليه  
محمد واصحابه (والذين آمنوا  
مشفقون منها) خائفون منها  
اعتناء بها لتوقع الثواب (ويعلمون  
انها الحق) اى الكائن لا محالة  
(الا ان الذين يمارون فى الساعة)  
يجادلون فيها من المرية اومن  
مريت الناقة اذا مسحت ضرعها  
بشدة الحلب لان كلام المتجادلين  
يستخرج ماعند صاحبه بكلام فيه  
شدة (لنى ضلال بعيد) عن الحق  
فان البعث اشبه الغائبات  
ما خسوسات فن لم يهتد الى  
تجويزه فهو عن الاهتداء الى  
ما وراءه البعد والبعد (الله لطيف  
بعباده) اى يربليغ البريهم  
يفيض عليهم من فنون الطافه  
مالا يكاد يناله ايدى الافكار  
والطنون (يرزق من يشاء) اى  
يرزقه كيف يشاء فيخص كلا من  
عباده شئ من البر على ما تقتضيه  
مشيئته المنية على الحكم البالغة  
(وهو القوى) الباهر القدرة  
العالم على كل شئ (العزى)  
المنيع الذى لا يقلب

يقبلوا هذا الدين فحينئذ فالت الشرط فلا جرم فالت الشرط وواعلم انه ليس المراد من قوله  
لا حجة بيننا وبينكم تحريم ما جرى مجرى محاجتهم ويدل عليه وجوه (الاول) ان هذا  
الكلام مذكور فى معرض الحاجة فلو كان المقصود من هذه الآية تحريم المحاجة لزم  
كونها محرمة لنفسها وهو متناقض (الثانى) انه لولا الأدلة لما توجه التكليف (الثالث)  
ان الدليل يفيد العلم وذلك لا يمكن لتحريره بل المراد ان القوم عرفوا بالحجة صدق محمد صلى  
الله عليه وسلم وانما تركوا تصديقه بغيا وعنادا فين تعالى انه قد حصل الاستغناء عن  
محاجتهم لانهم عرفوا بالحجة صدقه فلاحاجة معهم الى المحاجة البتة وما يقوى قولنا انه  
لا يجوز تحريم المحاجة قوله وجادلهم بالتي هى احسن وقوله تعالى ادع الى سبيل ربك وقوله  
ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هى احسن وقوله ياتوح قد جادلنا فأكثر جدالنا  
وقوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ثم قال تعالى والذين يحاجون فى الله اى  
يخاصمون فى دينه من بعد ما استجيب له اى من بعدما استجاب الناس لذلك الدين حجتهم  
داحضة اى باطلة وتلك الخاصة هى ان اليهود قالوا ألسم تقولون ان الاخذ بالتلفق  
اولى من الاخذ بالتحلف فنبوة موسى وحقية التوراة معلومة بالاتفاق ونبوة محمد ليست  
متفقا عليها فاذا بنيتم كلامكم فى هذه الآية على ان الاخذ بالتلفق اولى وجب ان يكون  
الاخذ باليهودية اولى فين تعالى ان هذه الحجة داحضة اى باطلة فاسدة وذلك لان اليهود  
اطبقوا على انه انما وجب الايمان بموسى عليه السلام لاجل ظهور المعجزات على وفق  
قوله وهما نظهرت المعجزات على وفق قول محمد عليه السلام واليهود شاهدوا تلك المعجزات  
فان كان ظهور المعجزة يدل على الصدق فهنا يجب الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم  
وان كان لا يدل على الصدق وجب فى حق موسى ان لا يقروا بنبوته وأما الاقرار بنبوة  
موسى والاصرار على انكار نبوة محمد مع استوائهما فى ظهور المعجزة يكون متناقضا ولما  
قرر الله هذه الدلائل خوف المنكرين بعذاب القيامة فقال الله الذى ازل الكتاب بالحق  
والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب والمعنى انه تعالى ازل الكتاب المشتمل على انواع  
الدلائل والبيانات وازل الميزان وهو الفصل الذى هو القسطاس المستقيم وانهم لا يعلمون  
ان القيامة متى تقاجتهم ومتى كان الامر كذلك وجب على العاقل ان يجحد ويحتج فى النظر  
والاستدلال ويترك طريقة اهل الجهل والتقليد ولما كان الرسول يهددهم بنزول القيامة  
واكثر فى ذلك وانهم مارأوا منه اثرا قالوا على سبيل السخرية فى تقوم القيامة وليتها قامت  
حتى يظهر لنا ان الحق مانحن عليه او الذى عليه محمد واصحابه فلدفع هذه الشبهة قال تعالى  
يستعمل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها والمعنى ظاهر وانما يشفقون  
ويخافون لعلمهم ان عدها تمنع التوبة واما منكر البعث فلانه لا يحصل له هذا الخوف  
ثم قال الا ان الذين يمارون فى الساعة لنى ضلال بعيد والمارة الملاحة قال الزجاج الذين  
تدخلهم المرية والشك فى وقوع الساعة فيمارون فيها ويحجدون لنى ضلال بعيد لان

استيفاء حق المظلوم من الظالم واجب في العدل فلو لم تحصل القيامة لزم اسناد الظلم الى الله تعالى وهذا من أمحل المحالات فلا جرم كان انكار القيامة ضللا لا بعيدا ثم قال الله لطيف بعباده اى كثير الاحسان بهم وانما حسن ذكر هذا الكلام ههنا لانه انزل عليهم الكتاب المشتمل على هذه الدلائل الطيفة فكان ذلك من لطف الله بعباده وايضا المتفرقون استوجبوا العذاب الشديد ثم انه تعالى أخر عنهم ذلك العذاب فكان ذلك ايضا من لطف الله تعالى فلما سبق ذكر ايصال اعظم المنافع اليهم ودفع اعظم المضار عنهم لاجرم حسن ذكره ههنا ثم قال يرزق من يشاء يعنى ان اصل الاحسان والبرعام في حق كل العباد وذلك هو الاحسان بالحياة والعقل والفهم واعطاء ما لا بد منه من الرزق ودفع اكثر الآفات والبلبات عنهم فاما مراتب العطية والبهجة فتغا ونة مختلفة ثم قال وهو القوي اى القادر على كل ما يشاء العزيز الذى لا يغالب ولا يذفع \* قوله تعالى ( من كان يريد حرث الآخرة )  
 نزله في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولو لا كلمة الفصل لقضى بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم ترى الظالمين شقيين مما كسبوا وهو واقع بهم والدين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لأستلكنكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يترف حسنة نزله فيها حسنا ان الله غفور شكور ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ونحى الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليهم بذات الصدور وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات وينزله هم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ) اعلم انه تعالى لما بين كونه لطيفا بعباده كثير الاحسان اليهم بين انه لا بد لهم من ان يسعوا في طلب الخيرات وفي الاحتراز عن القبائح فقال من كان يريد حرث الآخرة نزله في حرثه قال صاحب الكشف انه تعالى سمي ما يعملها العامل مما يطلب به الفائدة حرثا على سبيل المجاز وفي الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) انه تعالى اظهر الفرق في هذه الآية بين من اراد الآخرة وبين من اراد الدنيا من وجوه ( الاول ) انه قدم مرید حرث الآخرة في الذكر على مرید حرث الدنيا وذلك يدل على التفضيل لانه وصفه بكونه آخرة ثم قدمه في الذكر تبسيها على قوله نحن الآخرون السابقون ( الثانى ) انه قال في مرید حرث الآخرة نزله في حرثه وقال في مرید حرث الدنيا نؤته منها وكلمة من التبسيح فالمعنى انه يعطيه بعض ما يطلبه ولا يؤتيه كله وقال في سورة بنى اسرائيل مجملنا له فيها ما نشاء لمن نريد واقول البرهان العقلى مساعد على البابين وذلك لان كل من عمل للآخرة وواظب على ذلك العمل فكثرة الاعمال سبب لحصول الملكات فكل من كانت مواظبته على تلك الاعمال اكثر كان ميل

(من كان يريد حرث الآخرة)  
 الحرث في الاصل القاء البذر في الارض يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل في غرات الاعمال وتناجها بطريق الاستعارة المبينة على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور المتضمن لشبيه الاعمال بالبذور اى من كان يريد بأعماله نواب الآخرة (نزله في حرثه) لنضاعفه ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها (ومن كان يريد) بأعماله (حرث الدنيا) وهو متاعها وطبائنها (نؤته منها) اى شيئا منها حسب قسمته لا ما يريد ويبتغيه (وماله في الآخرة من نصيب) اذا كانت همته مقفورة على الدنيا وقد مرتفصه في سورة الاسراء (أم لهم شركاء) اى بل لهم شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتفريع (شرعوا لهم) بالنسويل (من الدين ما لم يأذن به الله) كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقتل شركائهم اوتانهم واضاقها اليهم لانهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى واسناد الشرع

قلبه الى طلب الآخرة اكثر وكما كان الامر كذلك كان الابتهاج اعظم والسعادات اكثر وذلك هو المراد بقوله زلذه في حرثه واما طالب الدنيا فكلما كانت مواظبته على اعمال ذلك الطلب اكثر كانت رغبته في الفوز بالدنيا اكثر وميله اليها اشد واذا كان الميل ابدا في التزايد وكان حصول المطلوب باقيا على حالة واحدة كان الحرمان لازما لاحالة (الثالث) انه تعالى قال في طالب حرث الآخرة زلذه في حرثه ولم يذكر انه تعالى يعطيه الدنيا ام لا بل بقي الكلام ساكتا عنه نفيا واثباتا واما طالب حرث الدنيا فانه تعالى بين انه لا يعطيه شيئا من نصيب الآخرة على التنصيص وهذا يدل على التفاوت العظيم كأنه يقول الآخرة اصل والدنيا تبع فواجدا لاصل يكون واجدا لتبع بقدر الحاجة الا انه لم يذكر ذلك تنبيها على ان الدنيا اخس من ان يقرن ذكرها بذكر الآخرة (الرابع) انه تعالى بين ان طالب الآخرة يزاد في مطلوبه وبين ان طالب الدنيا يعطى بعض مطلوبه من الدنيا واما في الآخرة فانه لا يحصل له منها نصيب البتة فبين بالكلام الاول ان طالب الآخرة يكون حاله ابدا في الترفي والتزايد وبين بالكلام الثاني ان طالب الدنيا يكون حاله في المقام الاول في النقصان وفي المقام الثاني في البطلان التام (الخامس) ان الآخرة نسيئة والدنيا نقد والنسيئة مرجوحة بالنسبة الى التقديرات الناس يقولون النقد خير من النسيئة فبين تعالى ان هذه القضية انعكست بالنسبة الى احوال الآخرة والدنيا فالآخرة وان كانت نسيئة الا انها متوجهة للزيادة والدوام فكانت افضل واكمل والدنيا وان كانت نقدا الا انها متوجهة الى النقصان ثم الى البطلان فكانت اخس وارذل فهذا يدل على ان حال الآخرة لا يناسب حال الدنيا البتة وانه ليس في الدنيا من احوال الآخرة الا مجرد الاسم كما هو مروى عن ابن عباس (السادس) الآية دالة على ان منافع الآخرة والدنيا ليست حاضرة بل لابد في البابين من الحرث والحراث لا يتأتى الا بتحمل المشاق في البذر ثم التسقية والتنمية ثم الحصد ثم التنقية فلما سمي الله كلا القسمين حرثا علمنا ان كل واحد منهما لا يحصل الا بتحمل المتاعب والمشاق ثم بين تعالى ان مصير الآخرة الى الزيادة والكمال وان مصير الدنيا الى النقصان ثم الفناء فكأنه قيل اذا كان لابد في القسمين جميعا من تحمل متاعب الحراثة والتسقية والتنمية والحصد والتنقية فلان تصرف هذه المتاعب الى ما يكون في التزايد والبقاء اولى من صرفها الى ما يكون في النقصان والانقضاء والفناء (المسئلة الثانية) في تفسير قوله زلذه في حرثه قولان (الاول) المعنى انا زلذ في توفيقه واعانه وتسهيل سبل الخيرات والطاعات عليه وقال مقاتل زلذه في حرثه بتضعيف الثواب قال تعالى لبوفهم اجورهم ويزيدهم من فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اصبح وهمه الدنيا شئت الله تعالى عليه وهمه وجعل فقره بين عينيه ولم يأت من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله همهم وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة عن انفقها اولفظ يقرب من ان يكون هذا معناه

اليها لانها سبب ضلالتهم وافتنائهم كقوله تعالى انهن اضلن كثيرا او تمايل من سن الضلالة لهم (ولو لا كلمة الفصل) اي القضاء السابق بتأخير الجزاء والعدة بان الفصل يكون يوم القيامة (لقضى بينهم) اي بين الكافرين والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم (وان الظالمين لهم عذاب اليهم) وقرئ بالفصح عطف على كلمة الفصل اي ولو لا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضى بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم غالب في عذاب الآخرة (تري الظالمين) يوم القيامة والخطاب لكل احد ممن يصلح له للتصديق ان سوء حالهم غير مختص برؤية راء دون راء (مشفقين) خاشعين (عما كسبو من السيئات) وهو واقع بهم اي ووباله لا حق بهم لاحالة اشفقوا ولم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين او اعتراض (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات) مستقرون في اطيب بقاعها وانزهها (لهم ما يشاؤون)

(المسئلة الثالثة) ظاهر اللفظ يدل على ان من صلى لاجل طلب الثواب او لاجل دفع العقاب فانه تصح صلاته واجمعوا على انها لا تصح (والجواب) انه تعالى قال من كان يريد حرث الآخرة والحرث لا ينأى الا بالقاء البذر الصحيح في الارض والبذر الصحيح لجميع الخيرات والسعادات ليس الاعبودية الله تعالى (المسئلة الرابعة) قال اصحابنا اذا توشأ بغيرنية لم يصح قالوا لان هذا الانسان ما اراد حرث الآخرة لان الكلام فيما اذا كان غافلا عن ذكر الله وعن الآخرة فوجب ان لا يحصل له نصيب فيما يتعلق بالآخرة والخروج عن عهدة الصلاة من باب منافع الآخرة فوجب ان لا يحصل في الوضوء العارى عن النية واعلم ان الله تعالى لما بين القانون الاعظم والقسطاس الاقوم في اعمال الآخرة والدينا اردفه بالتنبيه على ما هو الاصل في باب الضلالة والشقاوة فقال ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ومعنى الهمزة في أم التقرير والتقريب وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل الدنيا لانهم لا يعلمون غير ما و قيل شركاؤهم او ثنائهم وانما اضيف اليهم لانهم هم الذين اتخذوها شركاء الله ولما كانت سبب الضلالتهم جعلت شارة لدين الضلالة كما قال ابراهيم صلى الله عليه وسلم رب انهم اضلن كثيرا من الناس وقوله شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله يعنى ان تلك الشرائع باسرها على ضد دين الله ثم قال ولولا كلمة الفصل اى القضاء السابق بتأخير الجزاء او يقال ولولا الوعد بأن الفصل يكون يوم القيامة لقضى بينهم اى بين الكافرين والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرأ بعضهم وان يفتح الهمزة في ان عطفا على كلمة الفصل يعنى ولولا كلمة الفصل وتقريره تعذيب الظالمين في الآخرة لقضى بينهم في الدنيا ثم انه تعالى ذكر احوال اهل العقاب واحوال اهل الثواب اما الاول فهو قوله ترى الظالمين مشفقين خائفين خوفا شديدا مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم يريد ان وباله واقع بهم سواء اشفقوا او لم يشفقوا واما الثانى فهو احوال اهل الثواب وهو قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لان روضة الجنة اطيب بقعة فيها وفي الآية تنبيه على ان الفساق من اهل الصلاة كلهم في الجنة الا انه خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بروضات الجنات وهى البقاع الشريفة من الجنة فالبقاع التى دون تلك الروضات لابد وان تكون مخصوصة بمن كان دون أولئك الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم قال لهم ما يشاؤون عند ربهم وهذا يدل على ان كل الاشياء حاضرة عندهم مهيأة ثم قال تعالى في تعظيم هذه الدرجة ذلك هو الفضل الكبير واصحابنا استدلوا بهذه الآية على ان الثواب غير واجب على الله وانما يحصل بطريق الفضل من الله تعالى لانه تعالى قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم فهذا يدل على ان روضات الجنات ووجدان كل ما يريدونه انما كان جزاء على الايمان والاعمال الصالحة ثم قال تعالى ذلك هو الفضل

عند ربهم ( اى ما يشاؤون من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم على ان عند ربهم ظرف للاستقرار العامل في لهم وقيل ظرف ليشاؤون ( ذلك ) اشارة الى ما ذكر من حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد لاني ان بعد منزلة المشار اليه ( هو الفضل الكبير ) الذى لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ( ذلك ) الفضل الكبير هو ( الذى يشاء الله عباده ) اى يشاءهم به فحذف الجارم العائد الى الموصول كما في قوله تعالى اهذه الذى بعث الله رسولا واذك التبشير الذى يشاء الله تعالى عباده ( الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) وقرئ يشر من ابشر ( قل لاسئلكم عليه ) روى انه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض آتروا ان محمد يسأل على ما تعطاهم اجر فزلت اى لا اطلب منكم على ما انا عليه من التبليغ والبيارة ( اجرا ) نفعا ( الامودة في القرى ) اى الا ان تودونى لقرابتى منكم او تودوا اهل قرابتى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى



الكبير وهذا تصريح بان الجزاء المرتب على العمل انما حصل بطريق الفضل لا بطريق الاستحقاق ثم قال ذلك الذي يابشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال صاحب الكشف قرئ يابشر من بשרه ويابشر من ابشره ويابشر من بשרه واعلم ان هذه الآيات دالة على تعظيم حال الثواب من وجوه (الاول) ان الله سبحانه رتب على الايمان وعمل الصالحات روضات الجنات والسلطان الذي هو اعظم الموجودات واكرمهم اذ رتب على اعمال شاقة جزاء دل ذلك على ان ذلك الجزاء قد بلغ الى حيث لا يعلم كنهه الا الله تعالى (الثاني) انه تعالى قال لهم ما يشاؤون عند ربهم وقوله لهم ما يشاؤون يدخل في باب غير المتناهي لانه لادرجة الاوال انسان يريد ما هو اعلى منها (الثالث) انه تعالى قال ذلك هو الفضل الكبير والذي يحكم بكبره من له الكبرياء والعظمة على الاطلاق كان في غاية الكبر (الرابع) انه تعالى اعاد البشارة على سبيل التعظيم فقال الذي يبشر الله عباده وذلك يدل ايضا على غاية العظمة نسأل الله الفوز بها والوصول اليها واعلم انه تعالى لما وحي الى محمد صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب الشريف العالي وادع فيه ثلاثة اقسام الدلائل واصناف التكليف ورتب على الطاعة الثواب وعلى المعصية العقاب بين اني لا اطلب منكم بسبب هذا التبليغ نفعا عاجلا ومطلوبا حاضرا لئلا يتخيل جاهل ان مقصود محمد صلى الله عليه وسلم من هذا التبليغ المال والجاه فقال قل لأستلکم عليه اجرا الامودة في القربى وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ذكر الناس في هذه الآية ثلاثة اقوال (الاول) قال الشعبي اكثر الناس علينا في هذه الآية فكتبنا الى ابن عباس نسأله عن ذلك فكتب ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان واسط النسب من قريش ليس بطن من بطونهم الا وقد ولده فقال الله قل لأستلکم على ما أدعوکم اليه اجرا الان تودونى لقرايتى منکم والمعنى انکم قومي وأحق من اجابني واطاعني فاذا قد أبیتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا على (القول الثاني) روى الكلبي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كانت تعرفه نوايب وحقوق وليس في يده سعة فقال الانصار ان هذا الرجل قد هداكم الله على يده وهو ابن أخنكم وجارکم في بلدکم فاجعوا له طائفة من اموالکم ففعلوا ثم اتوه به فرده عليهم فنزل قوله تعالى قل لأستلکم عليه اجرا اى على الايمان الان تودوا أقاربي فخثم على مودة أقاربه (القول الثالث) ما ذكره الحسن فقال الان تودوا الى الله فيما يقر بکم اليه من التودد اليه بالعمل الصالح فالقربى على القول الاول القرابة التي هي بمعنى الرحم وعلى الثاني القرابة التي هي بمعنى الاقارب وعلى الثالث هي فعلى من القرب والتقرب فان قيل الآية مشككة وذلك لان طلب الاجرة على تبليغ الوحي لا يجوز ويدل عليه وجوه (الاول) انه تعالى حكى عن اكثر الانبياء عليهم السلام انهم صرحوا بنفي طلب الاجرة فذكر في قصة نوح عليه السلام وما أسئلکم عليه من اجر ان اجرى الاعلى رب العالمين وكذا في

لأستلکم اجرا فطولكن أسألکم المودة وفي القربى حل منما اى الامودة ثابتة في القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة والقربى مصدر كالزنى بمعنى القرابة روى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال صلى الله عليه وسلم ابناءهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الخنة على من ظلم اهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعا الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فأما الجازية عليها غدا اذا لقيني يوم القيامة وقيل القربى التقرب الى الله اى الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة ولعمل الصالح وقرئ الامودة في القربى (ومن يقترب حسنة) اى يكنسب اى حسنة كانت فتتناول مودة ذى القربى تناولا او ايا وعن السدى انها المرادة وقيل نزلت في الصديق رضى الله عنه ومودته فيهم (نزدله فيها) اى في الحسنة (حسنا) بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اى يزد الله

قصة هود و صالح وفي قصة لوط وشعيب عليهم السلام ورسولنا افضل من سائر الانبياء عليهم السلام فكان بان لا يطلب الاجر على النبوة والرسالة اولى ( الثاني ) انه صلى الله عليه وسلم صرح بنفي طلب الاجر في سائر الآيات فقال ما سألتكم من اجر فهو لكم وقال قل ما أسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ( الثالث ) العقل يدل عليه وذلك لان ذلك التبليغ كان واجبا عليه قال تعالى بلغ ما نزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته وطلب الاجر على اداء الواجب لا يليق بأقل الناس فضلا عن اعلم العلماء ( الرابع ) ان النبوة افضل من الحكمة وقد قال تعالى في صفة الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقال في صفة الدنيا قل منافع الدنيا قليل فكيف يحسن في العقل مقابلة اشرف الاشياء باخس الاشياء ( الخامس ) ان طلب الاجر كان يوجب التهمة وذلك بنا في القاطع بصحة النبوة فثبت بهذه الوجوه انه لا يجوز من النبي صلى الله عليه وسلم ان يطلب اجرا للنبوة على التبليغ والرسالة وظاهر هذه الآية يقتضي انه طلب اجرا على التبليغ والرسالة وهو المودة في القربى هذا تقرير السؤال ( والجواب ) عنه انه لا نزاع في انه لا يجوز طلب الاجر على التبليغ والرسالة بقي قوله الا المودة في القربى نقول الجواب عنه من وجهين ( الاول ) ان هذا من باب قوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم \* بهامن قراع الدارين قلوا

يعني انا لا اطلب منكم الا هذا وهذا في الحقيقة ليس احرا لان حصول المودة بين المسلمين امر واجب قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وقال صلى الله عليه وسلم المؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضا والآيات والخبار في هذا الباب كثيرة واذا كان حصول المودة بين جمهور المسلمين واجبا فحصولها في حق اشرف المسلمين واكابرهم اولى وقوله تعالى قل لا أسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى تقديره والمودة في القربى ليست اجرا فرجع الحاصل الى انه لا اجر للنبوة ( والوجه الثاني ) في الجواب ان هذا استثناء منقطع وتم الكلام عند قوله قل لا أسئلكم عليه اجرا ثم قال الا المودة في القربى اي لكن اذكركم قرايتي منكم وكأني في اللفظ اجر وليس باجر ( المسئلة الثالثة ) نقل صاحب الكشاف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مات على حب آل محمد مات شهيدا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له الا ومن مات على حب آل محمد مات نائبا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها ألا ومن مات على حب آل محمد قتحله في قبره بابان الى الجنة ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا ألا ومن

وقرى حسنى ( ان الله غفور ) لمن اذنب ( شكور ) لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ( ام يقولون ) بل يقولون ( افترى ) محمد ( على الله كذبا ) بدعوى النبوة ونلاوة القرآن على ان الهمة للانكار التوبيخى كأنه قيل أيتالمكون ان ينسبوا مثله عليه السلام وهو هو الى الافتراء لاسيما الافتراء على الله الذى هو اعظم الفرى وافتحشها وقوله تعالى ( فان يشأ الله يختم على قلبك ) استشهدا على بطلان ما قالوا ببيان انه عليه السلام لو افترى على الله تعالى لمعه من ذلك قطعا وتحقيقه ان دعوى كون القرآن افتراء عليه تعالى قول منهم بأنه تعالى لا يشاء صدور عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بل يشاء عدم صدوره عنه ومن ضروره منعه عنه قطعا فكأنه قيل لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنه وان يشأ ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الامر كذلك بل تواتر الوحي حينما

مات على بعض آل محمد لم يتم رائحة الجنة هذا هو الذي رواه صاحب الكشاف وأنا  
اقول آل محمد صلى الله عليه وسلم هم الذين يؤل امرهم اليه فكل من كان امرهم اليه اشد  
واكل كانوا هم الآل ولا شك ان فاطمة وعليها والحسن والحسين كان التعلق  
بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد التعلقات وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر  
فوجب ان يكونوا هم الآل وايضا اختلف الناس في الآل فقبل هم الاقارب وقيل هم  
امته فان حملناه على القرابة فهم الآل وان حملناه على الامة الذين قبلوا دعوته فهم ايضا  
آل فثبت ان على جميع التقديرات هم الآل واما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل  
فمختلف فيه وروى صاحب الكشاف انه لما نزلت هذه الآية قيل يا رسول الله من قرابتك  
هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم فقال علي وفاطمة وابناهما فثبت ان هؤلاء الاربعة  
اقارب النبي صلى الله عليه وسلم واذ اثبت هذا وجب ان يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم  
ويدل عليه وجوه (الاول) قوله تعالى تعالى المودة في القربى ووجه الاستدلال به ما سبق  
(الثاني) ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب فاطمة عليها السلام قال صلى الله  
عليه وسلم فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها وثبت بالنقل المتواتر عن محمد صلى الله عليه  
وسلم انه كان يحب عليا والحسن والحسين واذ اثبت ذلك وجب على كل الامة مثله لقوله  
واتبعوه لعلكم تهتدون ولقوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ولقوله قل ان كنتم  
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولقوله سبحانه لقد كان لكم في رسول الله اسوة  
حسنة (الثالث) ان الدعاء للاك منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في  
الصلاة وهو قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمد وآل محمد وهذا التعظيم  
لم يوجد في حق غير الآل فكل ذلك يدل على ان حب آل محمد واجب وقال الشافعي  
رضي الله عنه

يارا كبا قف بالمحبص من منى \* واهتف بساكن خيفها والناهض

سحرا اذا فاض الحجيع الى منى \* فيضا كما نظم الفرات الفائض

ان كان رفاضا حب آل محمد \* فليشهد النعلان اني رافضي

(المسئلة الثالثة) قوله الا المودة في القربى فيه منصب عظيم للصحابة لانه تعالى قال  
والسابقون السابقون اولئك المقربون فكل من اطاع الله كان مقربا عند الله تعالى  
فدخل تحت قوله الا المودة في القربى والحاصل ان هذه الآية تدل على وجوب حب آل  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب اصحابه وهذا المنصب لا يسلم الا على قول اصحابنا  
اهل السنة والجماعة الذين جعوا بين حب العترة والصحابة وسمعت بعض المذكرين قال  
انه صلى الله عليه وسلم قال مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا وقال صلى الله  
عليه وسلم اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ونحن الآن في بحر التكليف وتضر بنا  
امواج الشهوات والشهوات وراكب البحر يحتاج الى امرين (احدهما) السفينة

لنجينا تبين انه من عند الله تعالى  
هذا وقيل المعنى ان يشأ يجعلك  
من المحتوم على قلوبهم فانه  
لا يجترى على الافتراء عليه تعالى  
الا من كان كذلك ومؤداه  
استبعاد الافتراء من مثله عليه  
السلام وانه في البعد مثل الشرك  
بالله والدخول في جهة المحتوم  
على قلوبهم وعن قتادة يحتم  
على قلبك ينسك القرآن ويقطع  
عنك الوحى يعنى لو افترى على  
الله الكذب لعل به ذلك وهذا  
معنى ما قيل لو كذب على الله  
لا نساء القرآن وقيل يحتم على  
قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا  
يشق عليك اذا هم (ويحتمو  
الله الباطل ويحق الحق بكلماته)  
استثناف مقرر لنفي الافتراء غير  
معطوف على يحتم كما يبنى عنه  
اظهار الاسم الجليل وسقوط  
الواو كما في بعض المصاحف لاتباع  
اللفظ كما في قوله تعالى ويدع  
الانسان بالسر اى ومن عادته  
تعالى انه يحتمو الباطل ويثبت الحق  
يوحيه او يقضاه كقوله تعالى بل  
نفدى بالحق على الباطل فيدمغه

الخالية عن العيوب والقب ( والثاني ) الكواكب الظاهرة الطالعة النيرة فإذا ركب تلك السفينة ووقع نظره على تلك الكواكب الظاهرة كان رجاء السلامة غالباً فكذلك ركب اصحابنا اهل السنة سفينة حب آل محمد ووضعوا ابصارهم على نجوم الصحابة فرجوا من الله تعالى ان يفوزوا بالسلامة والسعادة في الدنيا والاخرة ولنزجج الى التفسير اورد صاحب الكشف على نفسه سؤالاً فقال هلا قيل الامودة القربى او الامودة للقربى وما معنى قوله الامودة في القربى واجاب عنه بأن قال جعلوا مكانا للمودة ومقرها كقولك لى فى آل فلان مودة لى فيهم هوى وحب شديد تريد احبهم وهم مكان حبي ومحله ثم قال تعالى ومن يقترف حسنة نزدله فيها حسناً قيل نزلت هذه الآية فى ابى بكر رضى الله عنه والظاهر العموم فى اى حسنة كانت الا انها لما ذكرت عقيب ذكر المودة فى القربى دل ذلك على ان المقصود التأكيد فى تلك المودة ثم قال تعالى ان الله غفور شكور والشكور فى حق الله تعالى مجاز والمعنى انه تعالى يحسن الى المطيعين فى ائصال الثواب اليهم وفى ان يزيد عليه انوا ما كثيرة من الفضل وقال تعالى أم يقولون افترى على الله كذباً واعلم ان الكلام فى اول هذه السورة انما ابتدئ فى تقرير ان هذا الكتاب انما حصل بوحى الله وهو قوله تعالى كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم واتصل الكلام فى تقرير هذا المعنى وتعلق البعض ببعض حتى وصل الى ههنا ثم حكى ههنا شبه القوم وهى قولهم ان هذا ليس وحيان من الله تعالى فقال أم يقولون افترى على الله كذباً قال صاحب الكشف ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل ايقع فى قلوبهم ويجرى فى ألسنتهم ان ينسبوا مثله الى الافراء على الله الذى هو اقبح انواع الفرية وافحشها ثم اجاب عنه بأن قال فان يشأ الله يختم على قلبك وفيه وجوه ( الاول ) قال مجاهد يربط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يشق عليك قولهم انه مفرى كذاب ( الثانى ) يعنى بهذا الكلام انه ان يشأ الله يجعلك من الخثوم على قلوبهم حتى يفترى عليه الكذب فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الامن كان فى مثل هذه الحالة والمقصود من ذكر هذا الكلام المبالغة فى تقرير الاستبعاد ومثاله ان ينسب رجل بعض الامناء الى الخيانة فيقول الامين لعل الله خذلى لعل الله اعمى قلبى وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب لنفسه وانما يريد استبعاد صدور الخيانة عنه ثم قال تعالى ويح الله الباطل ويحق الحق اى ومن عادة الله ابطال الباطل وتقرير الحق فلو كان محمد مبطلا كذاباً فضحه الله ولكنكشف عن باطله ولما ايدته بالقوة والنصرة ولما لم يكن الامر كذلك علمنا انه ليس من الكاذبين المفترين على الله ويجوز ان يكون هذا وعدا من الله لرسوله بأنه يحو الباطل الذى هم عليه من البهت والفرية والتكذيب وبثبت الحق الذى كان محمد صلى الله عليه وسلم عليه ثم قال انه علم بذات الصدور اى ان الله علم بما فى صدورك وصدورهم فيجرى الامر على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك

فلو كان افتراء كاذباً وعوا الحق ودمغه  
أو وعدة لرسول الله صلى الله عليه  
وسلم بأنه تعالى يحو الباطل الذى  
هم عليه من البهت والتكذيب  
وبثبت الحق الذى هو عليه  
بالقرآن او بقضائه الذى لا مرد  
له بنصرته عليهم ( انه علم بذات  
الصدور ) فيجرى عليها احكامها  
اللائقة بها من المحو والابات  
( وهو الذى يقبل التوبة عن  
عباده ) التوبة هى الرجوع عن  
المعاصى بالندم عليها والعزم على  
ان لا يعاودها ابداً وروى جابر  
رضى الله عنه ان اعرابياً دخل  
مسجد رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وقال اللهم انى استغفرك  
واتوب اليك وكبر فلما فرغ من  
صلاته قال له على رضى الله عنه  
يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار  
توبة الكذابين وتوبتك هذه  
تحتاج الى التوبة فقال يا امير  
المؤمنين وما التوبة قال اسم  
يقع على ستة معان على الماضى  
من الذنوب الندامة ولتضييع  
الفرائض الاعادة ورد المظالم واذا به

القرآن ويقطع عنك الوحى بمعنى لو افترى على الله الكذب لفعل الله به ذلك واعلم انه تعالى لما قال ام يقولون افترى على الله كذبا نمرأ رسوله مما اضافوه اليه من هذا وكان من العلوم انهم قد استحقوا بهذه الفرية عقابا عظيما لاجرم نذبهم الله الى التوبة وعرفهم انه يقبلها من كل مسمى وان عظمت اساءته فقال وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات وفي هذه الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشف يقال قبلت منه الشئ وقبلته عنه فعنى قبلته منه اخذته منه وجعلته مبدأ قبول ومنشأه ومعنى قبلته عنه اخذته عنه وابنته عنه وقد سبق البحث المستقصى عن حقيقة التوبة في سورة البقرة واقل ما لابد منه الندم على الماضى والتزك في الحال والعزم على ان لا يعود اليه في المستقبل وروى جابر ان اعرابا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انى استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له على عليه السلام يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين فتوبتكم تحتاج الى توبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة فقال اسم يقع على ستة اشياء على الماضى من الذنوب الندامة وتنصيح الفرائض الاعادة ورد المظالم واذا بة النفس في الطاعة كإريتها في المعصية واذا بة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (المسئلة الثانية) قالت المعتزلة يجب على الله تعالى عقلا قبول التوبة وقال اصحابنا لا يجب على الله شئ وكل ما يفعله فاما يفعله بالكرم والفضل واحتجوا على صحة مذهبهم بهذه الآية فقالوا انه تعالى تمدح بقبول التوبة ولو كان ذلك القبول واجبا لما حصل التمدح العظيم ألا ترى ان من مدح نفسه بأن لا يضرب الناس ظلما ولا يقتلهم غضبا كان ذلك مدحا قليلا اما اذا قال انى احسن اليهم مع ان ذلك لا يجب على كان ذلك مدحا وثناء (المسئلة الثالثة) قوله تعالى ويعفو عن السيئات اما ان يكون المراد منه ان يعفو عن الكبائر بعد الايتان بالتوبة او المراد منه انه يعفو عن الصغائر أو المراد منه انه يعفو عن الكبائر قبل التوبة والاول باطل والالصار قوله ويعفو عن السيئات عين قوله وهو الذى يقبل التوبة والتكرار خلاف الاصل (والثاني) ايضا باطل لان ذلك واجب واداء الواجب لا يتمدح به فيبقى القسم الثالث فيكون المعنى انه تارة يعفو بواسطة قبول التوبة وتارة يعفو ابتداء من غير توبة ثم قال ويعلم ما تفعلون قرأ حزة والكسائي وحفص عن عاصم بالناء على مخاطبة والباقون بالياء على المغايبة والمعنى انه تعالى يعلمه فيثبته على حسناته ويعاقبه على سيئاته ثم قال ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيد هم من فضله وفيه قولان (احدهما) الذين آمنوا وعملوا الصالحات رفع على انه فاعل تقديره ويحبب المؤمنون الله في ادعاهم اليه (والثاني) محله نصب والفاعل مضر وهو الله وتقديره ويستجيب الله للمؤمنين الا انه حذف اللام كما حذف في قوله واذا كالوهم وهذا الثاني اولى لان الخبر فيما قبل وبعد عن الله لان ما قبل الآية قوله تعالى وهو الذى يقبل

النفس في الطاعة كإريتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (ويعفو عن السيئات) صغيرها وكبيرها لمن يشاء (ويعلم ما تفعلون) كانوا ما كان من حير وشر فيجازى ويتجاوز حسبا تقتضيه ميثته المبينة على الحكم والمصالح وقرئ ما تفعلون بالناء (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اى يستجيب الله لهم فحذف اللام كما في قوله تعالى واذا كالوهم اى كالوا لهم والمراد اجابة دعوتهم والامابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله عليه السلام افضل الدعاء الحمد لله اوستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابراهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاءكم ولم تجيبوه ثم قرأ والله يدعوا الى دار السلام (ويزيدهم من فضله) على ما سألوا واستغفوا بموجب الوعد (والكافرون لهم عذاب شديد) بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل المريد

التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات وما بعدها قوله ويزيدهم من فضله فيريد عطف على ويستجيب وعلى الاول ويحب العبد ويزيد الله من فضله اما من قال ان الفعل للذين آمنوا فقيده وجهان (احدهما) ويحب المؤمنون ربهم فيما دعاهم اليه (والثاني) يطيعونه فيما امرهم به والاستجابة الطاعة وامان قال ان الفعل لله فقد اختلفوا فقيل يجب الله دعاء المؤمنين ويزيدهم ما طلبوه من فضله فان قالوا تخصيص المؤمنين باجابة الدعاء هل يدل على انه تعالى لا يجب دعاء الكفار قلنا قال بعضهم لا يجوز لان اجابة الدعاء تعظيم وذلك لا يليق بالكفار وقيل يجوز على بعض الوجوه وقائدة التخصيص ان اجابة دعاء المؤمنين تكون على سبيل التذريف واجابة دعاء الكافرين تكون على سبيل الاستدراج ثم قال ويزيدهم من فضله اي يزيدهم على ما طلبوه بالدعاء والكافرون لهم عذاب شديد والمقصود التهديد \* قوله تعالى (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينثر رحمته وهو الولي الحميد ومن آياته خلق السموات والارض وما بينهما من دابة وهو على جمهم اذا يشاء قدير وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ربعموا عن كثير وما انتم بمحجزين في الارض وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما قال في الآية الاولى انه يحب دعاء المؤمنين ورد عليه سؤال وهو ان المؤمن قد يكون في شدة وبلية وفقير ثم يدعو فلا يشاكر الاجابة فكيف الحال فيه مع ما تقدم من قوله ويستجيب الذين آمنوا فاجاب تعالى عنه بقوله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولا فقهوا على المعاصي ولما كان ذلك محذورا وجب ان لا يعطيهم ما طلبوه قال الجبائي هذه الآية تدل على بطلان قول المجبرة من وجهين (الاول) ان حاصل الكلام انه تعالى لو بسط الرزق لعباده لبغوا في الارض والبغى في الارض غير مراد فارادة بسط الرزق غير حاصلة فهذا الكلام انما يتم اذا قلنا انه تعالى لا يريد البغى في الارض وذلك بوجوب فساد قول المجبرة (الثاني) انه تعالى بين انه انما لم يرد بسط الرزق لانه يفضي الى المفسدة فلما بين تعالى انه لا يريد ما يفضي الى المفسدة فبان لا يكون مريدا للمفسدة كان أولى اجاب اصحابنا بأن الميل الشديد الى البغى والقسوة والقهر صفة حدثت بعد ان لم تكن فلا بد لها من فاعل وفاعل هذه الاحوال اما العباد والله (والاول) باطل لانه انما يفعل هذه الاشياء لو مال طبعه اليها فيعود السؤال في انه من المحدث لذلك الميل الثاني ويلزم التسلسل وايضا قائل الشديد الى الظلم والقسوة عيوب ونقصانات والعاقل لا يرضى بتحصيل موجبات الاتعسان لنفسه ولما بطل هذا ثبت ان محدث هذا الميل والرغبة هو الله تعالى ثم اورد الجبائي في تفسيره على نفسه سؤال الا قال فان قيل أليس قد بسط الله الرزق لبعض عباده

(ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض) لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لعل بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجبلية البشرية واصصل البغى طلب تجاوز الاقتصاد فيما يخفى من حيث الكمية او الكيفية (ولكن ينزل بقدر) اي تقدير (ما يشاء) اي ينزله مما تقتضيه مشيئته (انه بعباده خبير بصير) محيط بخفايا امورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم في كل وقت من اوقاتهم ما يليق بشأنهم فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية ولواعناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا وروى ان اهل الصفة تمنوا الغنى فزلات وفيل نزلت في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا اتبعوا (وهو الذي ينزل الغيث) اي المطر الذي يغيثهم من الجذب ولذلك خص بالنافع منه وقرئ ينزل من الانزال (من بعد ما قنطوا) يسوأمته وتقيدهم تنزله بذلك مع تحقيقه بدونه ايضا لتذكر كمال النعمة وقرئ بكسر النون (وينثر رحمته) اي بركات الغيث ومنافعه في كل شئ من السهل والجبل والنبات والحيوان او رحمته

معناه بغي واجاب عنه بان الذي عنده الرزق ونفى كان المعلوم من حاله انه ينبغي على كل حال سواء اعطى ذلك الرزق اولم يعط واقول هذا الجواب فاسد ويدل عليه القرآن والعقل اما القرآن فقوله تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى حكيم مطلقا بأن حصول الغنى سبب لحصول الطغيان واما العقل فهو ان النفس اذا كانت مائلة الى النسر لكنها كانت قاقدة للآلات والادوات كان النسر اقل واذا كانت واجدة لها كان السرا كثر فثبت ان المال يوجب الطغيان (المسئلة الثانية) في بيان الوجه الذي لاجله كان التوسع موجبا للطغيان ذكروافيه وجوها (الاول) ان الله تعالى لو سوى في الرزق بين الكل لامتنع كون البعض خادما للبعض ولو صار الامر كذلك لخرب العالم وتعطلت المصالح (الثاني) ان هذه الآية مخصصة بالعرب فانه كلما اتسع رزقهم ووجدوا من ماء المطر ما يرويه ومن الكلا والعشب ما يشبعهم اقدموا على النهب والغارة (الثالث) ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة ما دالى مقتضى خلقته الاصلية وهو التكبر واذا وقع في شدة وبلية ومكروه انكسر فمادى الى الطاعة والتواضع (المسئلة الثالثة) قال حباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية وذلك اننا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيهاها وقيل نزلت في اهل الصفة فتوسع الرزق والغنى ثم قال تعالى ولكن ينزل بقدر ما يشاء قرأ ابن كثير وابوعرو بنزل خفيفة والباقون بالتشديد ثم نقول بقدر بتقدير يقال قدره قدر او قدرا انه بعباده خير بصير يعنى انه عالم بأحوال الناس وبطباعهم وبعواقب امورهم فيقدر ارزاقهم على وفق مصالحهم ولما بين تعالى انه لا يعطيهم ما زاد على قدر حاجتهم لاجل انه علم ان تلك الزيادة تضرهم في دينهم بين انهم اذا احتاجوا الى الرزق فانه لا يمنعه منه فقال وهو الذي ينزل الغيث من بعدما قنطوا قرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل مشددة والباقون مخففة قال صاحب الكشف قرئ قنطوا بفتح النون وكسرهما وازال الغيث بعد القنوط ادعى الى الشكر لان الفرج يحصل النعمة بعد البلية اتم فكان اقدام صاحبه على الشكر اكثر وينسر رحته اى بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وعن عمر رضى الله عنه انه قيل له اشتد القحط وقط الناس فقال اذن مطروا اراد هذه الآية ويجوز ان يريد رحته الواسعة في كل شئ كما انه قيل ينزل الرحة التي هي الغيث وينسر سائر انواع الرحة وهو الولي الحمد الولي الذي يتولى عباده باحسانه والحمد المحمود على ما يوصل الخلق من اقسام الرحة ثم ذكر آية أخرى تدل على الهيته فقال ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة فيقول اما دلالة خلق السموات والارض على وجود الاله الحكيم فقد ذكرناها وكذلك دلالة وجود الحيوانات على وجود الاله الحكيم فان قيل كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة قلنا فيه وجوه (الاول) انه قد بضاف الفعل الى جماعة وان كان فاعله واحد منهم يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله واحد منهم ومنه قوله تعالى يخرج مهمما

الواسعة المنتظمة لما ذكرنا نظاما اوليا (وهو الولي) الذي يتولى عباده بالاحسان ونشر الرحة (الحمد) المستحق للحمد على ذلك لا غيره (ومن آياته خلق السموات والارض) على ما هما عليه من تماجييب الصنائع فانها بذاتها وصفا تهانل على شؤنه العظيمة (وما بث فيهما) عطف على السموات او الخلق (من دابة) من شئ على اطلاق اسم المسبب على السبب او ما يبد على الارض فان ما يختص بأحد الشئين التجاورين يصح نسبته اليهما كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح وقد حوز ان يكون للملائكة عليهم السلام مشى مع الطيور ان فيوصفوا بالديب وان يخلق الله في السماء حيوانا يمشون فيها مسمى الاناسى على على الارض كما يبنى عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وتدرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فوق السماء السابعة بحر بين اسفله واعلاه كابين السماء والارض ثم فوق ذلك امانية اوعال بين ركبهن واظلافهن كابين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش العظيم (وهو على جمعهم) اى حشرهم بعد البعث المحاسبة وقوله تعالى (ادا



الأولئ و المرجان (الثاني) ان الدبيب هو الحركة والملائكة لهم حركة (الثالث) لا يبعد ان يقال انه تعالى خلق في السموات انواعا من الحيوانات يمشون منى الاناسى على الارض ثم قال تعالى وهو على جميعهم اذ يشاء قدير قال صاحب الكشف اذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضى قال تعالى والليل اذا يغشى ومنه اذ يشاء قدير والمقصود انه تعالى خلقها متفرقة لاليجز ولكن لمصلحة فلماذا قال وهو على جميعهم اذ يشاء قدير بمعنى الجمع المحسب والمحاسبة وانما قال على جميعهم ولم يقل على جمعها لاجل ان المقصود من هذا الجمع المحاسبة فكأنه تعالى قال وهو على جمع العقلاء اذ يشاء قدير واحتج الجبائى بقوله اذ يشاء قدير على ان مشيئته تعالى محدثة بأن قال ان كلمة اذا تفيد ظرف الزمان وكلمة يشاء صيغة المستقبل فلو كانت مشيئته تعالى قديمة لم يكن لتخصيصها بذلك الوقت المعين من المستقبل فائدة ولما دل قوله اذ يشاء قدير على هذا التخصيص علمنا ان مشيئته تعالى محدثة (والجواب) ان هاتين الكلمتين كما دخلتا على المشيئة اى مشيئة الله فقد دخلتا ايضا على لفظ القدير فزعم على هذا ان يكون كونه قادرا صفة محدثة ولما كان هذا باطلا فكذا القول فيما ذكرته والله اعلم نعم قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وفى الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأ نافع وابن عامر بما كسبت بغير فاء وكذلك هى فى مصاحف الشام والمدينة والباقيون بالفاء وكذلك هى فى مصاحفهم وتقدير الاول ان ما مبتدأ بمعنى الذى وبما كسبت خبره والمعنى والذى اصابكم وقع بما كسبت ايديكم وتقدير الثانى تضمين كلمة مامعنى الشرطية (المسئلة الثانية) المراد بهذه المصائب الاحوال المكروهة نحو الآلام والاسقام والقحط والغرق والصواعق واشباهها واختلوا فى نحو الآلام انها هل هى عقوبات على ذنوب سلفت ام لا منهم من انكر ذلك لوجوه (الاول) قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت بين تعالى ان الجزاء انما يحصل فى يوم القيامة وقال تعالى فى سورة الفاتحة مالك يوم الدين اى يوم الجزاء واطبقوا على ان المراد من يوم القيامة (والثاني) ان مصائب الدنيا يشترك فيها الزنديق والصدىق وما يكون كذلك امتنع جعله من باب العقوبة على الذنوب بل الاستقراء يدل على ان حصول هذه المصائب للاصالحين والمنتقين اكثر منه للذنين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامل فالامل (الثالث) ان الدنيا دار التكليف فلو جعل الجزاء فيها لكانت الدنيا دار التكليف ودار الجزاء معا وهو محال واما القائلون بأن هذه المصائب قد تكون اجزية على الذنوب المقدمة فقد تمسكوا ايضا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يصيب ابن آدم خدش عود ولا غيره الا بذنوب اول لفظ هذا معناه وتمسكوا ايضا بهذه الآية وتمسكوا ايضا بقوله تعالى فظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات و تمسكوا ايضا بقوله تعالى بعد هذه الآية او يوبقهن بما كسبوا وذاك تصريح بأن ذلك الاهلاك كان بسبب كسبهم وأجاب الاولون عن التمسك بهذه الآية فقالوا

يشاء) متعلق بما قبله لا بقوله تعالى (قدير) فان المقيد بالمشيئة جعله تعالى لا قدرته واداء عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل الماضى تدخل المضارع ( وما اصابكم من مصيبة ) اى مصيبة كانت (فما كسبت ايديكم ) اى ففى بسبب معاصيكم التى ا كسبتموها والفاء لان ما شرطية او متضمنة لمعنى الشرط وقرئ بدونها كقراءة بما فى الباء من معنى السببية ( ويغفوا عن كثير ) من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالجرمين فان ما اصاب غيرهم لاسباب احر منها تعرضه للثواب بالصبر عليه ( وما اتمم ) مجزئين فى الارض فائتين ما فضى عليكم من المصائب وان هربتم من اقطارها كل مهرب ( وما لكم من دوى الله من ولى ) محميمكم منها ( ولا نصير ) يدفعها عنكم ( ومن آياته الحوار ) السفن الجارية ( فى البحر ) وقرئ الجوارى ( كالاعلام ) اى كالجمال على الاطلاق لالتى عليها النار الاهتداء خاصة ) ان يشأ يسكن الريح ) التى تحريها وقرئ الرياح ( فظلموا ) رواه كدى ظهره ) فبى تين ثوابت على ظهر البحر اى غير جارية لا غير منحركات اصلا ) ان

ان حصول هذه المصائب يكون من باب الامتحان في التكليف لان باب العقوبة كما في سنن  
 لانباء والاولياء ويحمل قوله فيما كسبت ايديكم على ان الاصلح عندائناكم بذلك  
 الكسب ازال هذه المصائب عليكم وكذا الجواب عن بقية الدلائل والله اعلم (المسئلة  
 الثالثة) احتج اهل التناسخ بهذه الآية وكذلك الذين يقولون ان الاطفال والبهائم لا تتألم  
 فقالوا دلت الآية على ان حصول المصائب لا يكون الاساقفة الجرم ثم ان اهل التناسخ  
 قالوا لكن هذه المصائب حاصلة للاطفال والبهائم فوجب ان يكون قد حصل لها ذنوب  
 في الزمان السابق واما القائلون بأن الاطفال والبهائم ليس لها ألم قالوا قد ثبت ان هذه  
 الاطفال والبهائم ما كانت موجودة في بدن آخر لفساد القول بالتناسخ فوجب القطع  
 بأنها لا تتألم اذا لم تصيب (والجواب) ان قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت  
 ايديكم خطاب مع من يفهم ويعقل فلا يدخل فيه البهائم والاطفال ولم يقل تعالى ان جميع  
 ما يصيب الحيوان من المكروه فانه بسبب ذنب سابق والله اعلم (المسئلة الرابعة) قوله  
 فيما كسبت ايديكم يقتضي اضافة الكسب الى اليد قال والكسب لا يكون باليد بل بالقدرة  
 القائمة باليد واذا كان المراد من لفظ اليد ههنا القدرة وكان هذا المجاز مشهورا  
 مستعملا كان لفظ اليد الوارد في حق الله تعالى يجب حمله على القدرة تنزيها لله تعالى عن  
 الاعضاء والاجزاء والله اعلم ثم قال تعالى ويعفو عن كثير ومعناه انه تعالى قدير  
 الكثير من هذه التشديدات بفضله ورحمته وعن الحسن قال دخلنا على عمران بن حصين  
 في الوجع الشديد ف قيل له انا لنعم لك من بعض ما ترى فقال لاتفعلوا فوالله ان احبه  
 الى الله احبه الى قرأ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فهذا بما كسبت يداي  
 وسأيتني عفوري وقدروي ابو سحلة عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله  
 عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال ما عفا الله عنه فهو أعز واكرم من ان يعود اليه  
 في الآخرة وما عاقب عليه في الدنيا فالله اكرم من ان يعيد العذاب عليه في الآخرة رواه  
 الواحدى في البسيط وقال اذا كان كذلك فهذه ارجى آية في كتاب الله لان الله تعالى  
 جعل ذنوب المؤمنين صنفين صنف كفره عنهم بالمصائب في الدنيا وصنف عفا عنه في الدنيا  
 وهو كريم لا يرجع في عفوه وهذه سنة الله مع المؤمنين واما الكافر فلائنه لا يعجل عليه  
 عقوبة ذنبه حتى يوافي يوم القيامة ثم قال تعالى وما انتم بمعجزين في الارض يقول ما انتم  
 بامعشر المتكرين بمعجزين في الارض اى لا تعجزوننى حيث ما كنتم فلا تسبقوننى بسبب  
 هربكم في الارض ومالككم من دون الله من ولى ولا نصير والمراد بهم من يعبد الاصنام بين  
 انه لا فائدة فيها البتة والنصير هو الله تعالى فلا جرم هو الذى تحسن عبادته \* قوله تعالى  
 (ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللان روا كد على ظهره ان  
 في ذلك لايات لكل صبار شكور او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين  
 يجادلون في آياتنا مالهم من محيص فاوتيتهم من شئ فتنازع الحية الدنيا وما عند الله خير

في ذلك) الذى ذكر من السفن  
 اللاتى يجرين تارة ويركدن  
 أخرى على حسب مشيئته تعالى  
 (لايات) عظيمة في انفسها كثيرة  
 في العدد دالة على ما ذكر من  
 شؤنه تعالى (لكل صبار شكور)  
 لكل من حاس نفسه عن التوجه  
 الى ما لا ينبغي و لكل همته بالنظر  
 في آيات الله تعالى والتشكر في  
 آياته او لكل مؤمن كامل فان  
 الايمان نصفه صبر ونصفه شكر  
 (او يوبقهن بما كسبوا) عطف  
 على يسكن والمعنى ان يسأ يسكن  
 الريح فيركدن او يرسلها فيغرق  
 بعضها و ايقاع الايات عليهم  
 مع انه حال اهلهم للبالغ والتهويل  
 واجراء حكمه على العفو في  
 قوله تعالى (يعف عن كثير)  
 لما ان المعنى او يرسلها فيوبق  
 ناسا وينج آخرين بطريق العفو  
 عنهم وقرئ ويعفو على الاستئناف  
 (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا)  
 عطف على عتبه قدرة مثل لينتقم  
 منهم و اعلم الح كما في قوله تعالى  
 ولنجعل له آية للناس وتوله ولنعلم من  
 تأويل الاحاديث ونطائرهما  
 وقرئ بل رفع على الاستئناف  
 وبالجزم عطفا على يعف فيكون  
 المعنى وان يشأ يجمع بين اهلاك  
 قوم وانجاء قوم وتحذير قوم

وإدعى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يحتجبون بكابر الأثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم وما رزقناهم بفقون والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأ نافع وأبو عمرو الجوارى بياء في الوصل والوقف فثبتت البياء على الاصل وحذفها للتخفيف (المسئلة الثانية) الجوارى يعنى السفن الجوارى لحذف الموصوف لعدم الالتباس (المسئلة الثالثة) اعلم انه تعالى ذكر من آياته ايضا هذه السفن العظيمة التى تجرى على وجه البحر عندهبوب الرياح واعلم ان المقصود من ذكره امران (احدهما) ان يستدل به على وجود القادر الحكيم (والثانى) ان يعرف ما فيه من النعم العظيمة لله تعالى على العباد (اما الوجه الاول) فقد اتفقوا على ان المراد بالاعلام الجبال قالت الخنساء فى مرثية اخيها

وان صخر التاتم الهداة به ، كأنه علم فى رأسه نار

ونقل ان النبي صلى الله عليه وسلم استنشد قصيدتها هذه فلما وصل الراوى الى هذا البيت قال قاتلها الله ما رضيت بتشبيهاه بالجليل حتى جعلت على رأسه نارا اذا عرفت هذا فقول هذه السفن العظيمة التى تكون كالجبال تجرى على وجه البحر عند هبوب الرياح على اسرع الوجوه وعند سكون هذه الرياح تقف وقد بينا بالدليل فى سورة النحل ان محرك الرياح ومسكنها هو الله تعالى ان لا يقدر احد على تحريكها من البشر ولا على تسكينها وذلك يدل على وجود الاله القادر وايضا ان تلك السفينة تكون فى غاية النقل ثم انما مع نقلها بقيت على وجه الماء وهو ايضا دلالة اخرى (واما الوجه الثانى) وهو معرفة ما فيها من المنافع فهوانه تعالى خص كل جانب من جوانب الارض بنوع آخر من الامتعة واذا نقل متاع هذا الجانب الى ذلك الجانب فى السفن وبالعكس حصلت المنافع العظيمة فى التجارة فلهذه الاسباب ذكر الله تعالى حال هذه السفينة ثم قال تعالى ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره قرأ أبو عمرو والجمهور بهزمة ان يشأ لان يسكن الهزمة علامة للجزم وعن ورش عن نافع بلاهزمة وقرأ نافع وحده يسكن الرياح على الجمع والباقون الريح على الواحد قال صاحب الكشاف قرئ يظللان بفتح اللام وكسرهما من ظل بظلمة ويظل وقوله تعالى رواكد أى رواكب أى لا تجرى على ظهره أى على ظهر البحر ان فى ذلك لايات لكل صبار على بلاء الله شكور لنعمائه والمقصود التنبيه على ان المؤمن يجب ان لا يكون غافلا عن دلائل معرفة الله البتة لانه لا بد وان يكون اما فى البلاء واما فى الآلاء فان كان فى البلاء كان من الصابرين وان كان فى النعماء كان من الشاكرين وعلى هذا التقدير فانه لا يكون البتة من الغافلين ثم قال تعالى او يوقهين بما كسبوا يعنى او يهلككن يقال او بته أى اهلكه ويقال للمجرم او بته ذنوبه أى اهلكته والمعنى انه تعالى ان شاء ابتلى المسافرين فى البحر باحدى بايتين اما ان يسكن الريح فترك

(مالهم من محيص) أى من مهرب من العذاب والجملة معاقب عنها الفعل (فا او تقيم من شئ) مما ترعون وتنافسون فيه (فتناع الحياة الدنيا) أى فهو متاعها يتمتعون به مدة حياتكم (وما عند الله) من نواب الآخرة (خير) ذاتا لخلوص نفعه (وابقى) زمانا حيث لا يزول ولا يفنى (لذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لا على غيره أصلا والموصول الاول لما كان متضمنا لمعنى الشرط من حيث ان ايتا ما او تواسبب للتمتع بها فى الحياة الدنيا دخلت جوارها الفاء بخلاف الثانى وعن على رضى الله عنه انه تصدق ابوبكر رضى الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت وقوله تعالى (والذين يمتنعون بكابر الام) أى الكسب كابر من هذا الجنس (ولفواحش) وإذا ما غضبوا هم يغفرون (مع ما بعده عطف على الذين آمنوا او مدح بالنسب او الرغب وثناء يغفرون على الضمير خبره للدلالة على انهم الاخضاء بالمعنى حال الغضب لعزة منالها وقرئ كبير الامم وعن ابن عباس رضى الله عنهما كبير الامم الشرك (والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة) زل فى الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له

( وامرهم شورى بينهم ) اى  
 ذو شورى لا ينفردون برأى حتى  
 يتشاوروا ويختصروا عليه وكانوا  
 قبل الهجرة وبعد هذا حاربهم  
 امرؤ اجتماعي وتشاوروا ( وما  
 رزقناهم ينفقون ) اى فى سبيل  
 الخير وما لى فصله عن قرينه بذكر  
 المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم  
 للصاوات ( والذين اذا اصابهم  
 البغي هم ينتقمون ) اى ينتقمون  
 ممن بغى عليهم على ما جعله الله تعالى  
 لهم كراهة التذلل وهو وصف  
 لهم بالنجاعة بعد وصفهم بسائر  
 مهيات الفضائل وهذا لينا فى  
 وصفهم بالفرمان فان كلامهما  
 فضيلة محمود فى موقع نفسه  
 ورذيلة مذمومة فى موقع صاحبه  
 فان الحلم عن العاصر وعوراء  
 الكرام محمود وعن المتقلب ولغواء  
 الثام مذموم فانه اعراض على البغي  
 وعليه نول من قال  
 اذا انت اكرمت الكريم ملكته  
 وان انت اكرمت اللئيم تمردا  
 فوضع الندى فى موضع السيف  
 بالعاذ - مضر كوضع السيف  
 فى موضع الندى \*  
 وقوله تعالى ( وجزاء سيئة  
 مثلها ) بيان لوجه كون الانتصار  
 من الحصول الحميدة مع كونه فى  
 نفسه اساءة الى الغير بالاشارة الى  
 ان البادئ هو الذى فعله لنفسه  
 فان لافعال مستنبعة لاجزيتها حتما

الجوارى على متن البحر وتقف واما ان يرسل الرياح عاصفة فيها فيهلكهم بسبب الاغراق  
 وعلى هذا التقدير فقوله او يوبقهن معطوف على قوله يسكن لان التقدير ان يشأ يسكن  
 الريح فيركدن او يعصفها فيفرقن بعصفا وقوله ويعفو عن كثيره ما ان دشأ يهلك ناسا  
 وينج ناسا على طريق العفو عنهم فان قيل فامعنى ادخال العفو فى حكم الايباق حيث  
 جمل مجزوما مثله قلنا معناه ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم واما من  
 قرأ ويعفو فقد استأنف الكلام ثم قال ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا مالهم من محيص  
 قرأ نافع وابن عامر يعلم بالرفع على الاستثاف وقرأ الباقون بالنصب فالقراءة بالرفع على  
 الاستثاف واما بالنصب فالعطف على تعليل محذوف تقديره لينقم منهم ويعلم الذين  
 يجادلون فى آياتنا والعطف على التعليل المحذوف غير عزيز فى القرآن ومنه قوله تعالى  
 ولنجعل لآية للناس وقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق وتجزى كل نفس بما كسبت  
 قال صاحب الكشاف ومن قرأ على جزم ويعلم فكأنه قال او ان يشأ يجمع بين ثلاثة  
 امور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين اذا عرفت هذا فقول معنى الآية وليعلم  
 الذين يجادلون اى ينازعون على وجه التكذيب ان لا يخلص لهم اذا وقفت السفن واذا  
 عصفت الرياح فيصير ذلك سببا لاعترافهم بأن الاله النافع الضار ليس الا الله واعلم انه تعالى  
 لما ذكر دلائل التوحيد اردفها بالنفي عن الدنيا وتحقير شأنها لان الذى يمنع من قبول  
 الدليل انما هو الرغبة فى الدنيا بسبب الرياسة وطلب الجاه فاذا صغرت الدنيا فى عين  
 الرجل لم يلفت اليها فحينئذ ينفع بذكر الدلائل فقال فاو تيت من شئ فناع الحياة الدنيا  
 وسما متاما تنبها على قلته وحقارته ولان الحس شاهد بأن كل ما يتعلق بالدنيا فانه يكون  
 سريع الانقراض والانقضاض ثم قال تعالى وما عند الله خير وابق والمعنى ان مطالب الدنيا  
 خسيسة منقرضة ونبه على خساستها بتسميتها بالمتاع ونبه على انقراضها بأن جعلها من  
 الدنيا واما الآخرة فانها خير وابق وصريح العقل يقتضى ترجيح الخير الباقى على  
 الخسيس الفانى ثم بين ان هذه الخيرية انما تحصل لمن كان موصوفا بصفات ( الصفة  
 الاولى ) ان يكون من المؤمنين بدليل قوله تعالى للذين آمنوا ( الصفة الثانية ) ان  
 يكون من المتوكلين على فضل الله بدليل قوله تعالى وعلى ربهم يتوكلون فأما من زعم ان  
 الطاعة توجب السواب فهو متكل على عمل نفسه لا على الله فلا يدخل تحت الآية ( الصفة  
 الثالثة ) ان يكونوا مجتنبين لكبرائى الامم والفواحش عن ابن عباس كبير الامم هو التمر  
 نقله صاحب الكشاف وهو عندى بعيد لان شرط الايمان مذكور اولا وهو بغنى عن  
 عدم التمر وقيل المراد بكبرائى الامم ما يتعلق بالبدع واستخراج الشبهات والفواحش  
 ما يتعلق بالقوة الشهوانية وبقوله واذا ما غضبوا هم يغفرون ما يتعلق بالقوة الغضبية  
 وانما خص الغضب بلفظ الغفران لان الغضب على طبع النار واستيلاؤه شديد ومقاومته  
 صعبة فلهذا السبب خصه بهذا اللفظ والله اعلم ( الصفة الرابعة ) قوله تعالى والذين

استجابوا لربهم والمراد من تمام الانتقاد فان قالوا اليس انه لما جعل الايمان شرطاً فيه فقد دخل في الايمان اجابة الله قلنا الاقرب عندى ان يحمل هذا على الرضا بقضاء الله من صميم القلب وان لا يكون في قلبه منازعة في امر من الامور ولما ذكر هذا الشرط قال واقاموا الصلاة والمراد منه اقامة الصلوات الواجبة لان هذا هو الشرط في حصول الثواب واما قوله تعالى وامرهم شورى بينهم فويل كان اذا وقعت بينهم واقعة اجتمعوا وتشاوروا فائنى الله عليهم اى لا ينفردون برأى بل مالم يجتمعوا عليه لا يقدمون عليه وعن الحسن ماتشاور قوم الاهدوا لأرشد امرهم والشورى مصدر كالتفتيا بمعنى التشاور ومعنى قوله وامرهم شورى بينهم اى ذو شورى (الصفة الخامسة) قوله تعالى والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون والمعنى ان يقتصروا في الانتصار على ما يجعله الله لهم ولا يتعدونه وعن النخعي انه كان اذا قرأها قال كانوا يكرهون ان يذابوا انفسهم فيجترئ عليهم السفهاء فان قيل هذه الآية مشكلة لوجهين (الاول) انه لما ذكر قبله واذا ما غضبوا هم يغفرون فكيف يليق ان يذكروا مع ما يجرى مجرى الضد له وهو قوله والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون (الثاني) وهو ان جميع الآيات دالة على ان العفو احسن قال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقال واذا مروا بالغو مروا كراما وقال خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال وان عاقبتهم فاعقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فهذه الآيات تناقض مدلول هذه الآية (والجواب) ان العفو على قسمين (احدهما) ان يصير العفو سبباً لتسكين الفتنة وجباية الجاني ورجوعه عن جنائته (والثاني) ان يصير العفو سبباً لمزيد جراءة الجاني ولقوة غيظه وغضبه والآيات في العفو محمولة على القسم الاول وهذه الآية محمولة على القسم الثاني وحيث يزول التناقض والله اعلم الا ترى ان العفو عن المصير يكون كالاعفاء له ولغيره فلو ان رجلاً وجد عبده فخر بجاريته وهو مصر فلو عفا عنه كان مذموماً وروى ان زينب اقبلت على عائشة فشتيتها فنهاها النبي صلى الله عليه وسلم عنها فلم تنته فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فانتصري وايضاً انه تعالى لم يرغب في الانتصار بل بين انه مشروع فقط ثم بين بعده ان شرعه متروك برعاية المصلحة ثم بين ان العفو أولى بقوله فن عفا واصلح فأجره على الله فزال السؤال والله اعلم \* قوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فأجره على الله انه لا يجب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب اليم ولن صبر وغفران ذلك لمن عزم الامور ومن يضل الله فانه من ول من يمهده وترى الظالمين لماروا بالعذاب يقولون هل الى مرد من جيل وتراهم يرضوا عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين

ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي واطلاق السيئة على الثانية لانها تسوء من نزلت به (فن عفا) على المسمى اليه (واصلح) بينه وبين من يعاديه بالعفو والاغضاء كما في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (فأجره على الله) عدة مبهمة منبهة عن عظم شأن الموعد وخروجه عن الحد المهود (انه لا يجب الظالمين) البادئين بالسيئة والمعتدين في الانتقام (ولمن انتصر بعد ظلمه) اى بعد ما ظلم وقد قرئ به (فأولئك) اشارة الى من باعتبار المعنى كان الضعيفين لها باعتبار اللفظ (ما عليهم من سبيل) بالمعاقبة او المعاقبة (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يتدبرونهم بالاحرار او يعتدرون في الانتقام (وبغون في الارض بغير الحق) اى يتكبرون فيها تجبروا وفسادا (أولئك) الموصوفون بمادكر من الظلم والبغي بغير الحق (لهم عذاب اليم) بسبب ظلمهم وبغهم (ولمن صبر) على الاذى (وعشر) لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض امره الى الله تعالى (ان ذلك) الذي ذكر من الصبر والمغفرة (لمن عزم الامور) اى ان ذلك منه فحذف فقه بغاية ظهوره كافي قواهم السمع منوان بدرهم وهذا في المواد التي لا يؤدي العمل الى الكمال

اله ( ومن يضل الله فانه من  
ولي من بعده ) من ناصر ينولاه  
من بعد خذلانه تعالى اياه ( وترى  
الظالمين لما رأوا العذاب ) اى  
حين يرونه وصيعة الماضى للدلالة  
على التحقق ( يقولون هل الى  
مرد ) اى الى رحمة الى الدنيا  
( من سائل ) حتى تؤمن ونعمل  
صالحا ( وتراهم يعرضون عليها )  
اى على النار المدلول عليها  
بالعذاب والحطاب في الموضعين  
لكل من يتأتى منه الرؤية  
( خاشعين من الدل ) متدلين  
متخائين ممداهاهم ( يطرون  
من طرف حفى ) اى يتندى  
نظرهم الى النار من تحريك  
لاشعابهم ضعيف كالمصور  
يظر الى السيف ( وقال الدين  
آمنوا ان الماسرين ) المصعبين  
بحقيقة الحسرات ( الدين خسروا  
انفسهم واهليهم ) بالتعريض  
للعذاب الخالد ( يوم القيامة )  
اما ظنوا خسروا فاقسول في  
الدنيا او قل بالقول يوم القيامة  
اى يقولون حين يروهم على  
ذلك حال وصعته الماضى للدلالة  
على تحققه وقوله تعالى ( ألان  
الظالمين في عذاب مقيم ) امان  
تمام كلامهم او تصديق من الله  
تعالى لهم ( وما كان لهم من اولياء  
ينصرونهم ) برفع العذاب عنهم  
( من دون الله ) حسب كانوا  
يرحون ذلك في الدنيا ( ومن  
يضلل الله فانه من سبل ) يؤدى  
ساوكة الى النجاة

خسروا انفسهم واهلهم يوم القيامة الا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من اولياء  
ينصرونهم من دون الله ومن يضل الله فانه من سبل ( اعلم انه تعالى لما قل والذين اذا  
اصابهم البغي هم ينتصرون اردفه بما يدل على ان ذلك الانتصار يجب ان يكون مقيدا  
بالمثل فان القصاص حيف والزيادة ظلم والتساوى هو العدل وبه قامت السموات  
والارض فلهذا السبب قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وفي الايد مسائل ( المسئلة الاولى )  
لقائل ان يقول جزاء السيئة مشروع مأدون فيه فكيف سمي بالسيئة اجاب صاحب  
الكشاف عنه كانتا الفعلتين الاولى سيئة وجزاؤها سيئة لانها تسوء من تنزل به قال تعالى  
وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوءهم من المصائب واللاياول اجاب غيره  
بأنه لما جعل احدهما في مقابلة الآخر اطلق اسم احدهما على الآخر على سبيل المجاز  
والحق ما ذكره صاحب الكشاف ( المسئلة الثانية ) هذه الآية اصل كبير في علم الفقه  
فان مقتضاها ان تقابل كل جناية بمثلها وذلك لان الاهدار يوجب قتح باب السر  
والعدوان لان في طمع كل احد الظلم والغنى والعدوان فاذا لم يزرع عنه اقدم عليه ولم  
يتركه واما الزيادة على قدر الذنب فهو ظلم والسرع منزه عنه فلم يبق الا ان يقابل بالمثل ثم  
نأ كدهذا النص بنصوص اخر كقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ر قوله  
تعالى من عمل سيئة فلا يخزى الا ملها وقوله عز وجل كتب عليكم القصاص في القتلى  
والقصاص عبارة عن المساواة والمماثلة وقوله تعالى والجروح قصاص وقوله تعالى  
ولكم في القصاص حياة فهذه النصوص بأسرها تقتضى مقابلة السي بمثلها ثم ههنا دقيقة  
وهي انه اذا لم يمكن استيفاء الحق بالاستيفاء الزيادة فههنا وقع التعارض بين الحاق زيادة  
الضرر بالجاني وبنزاع المجنى عليه من استيفاء حقه فأيهما أولى فههنا محل اجتهاد  
المجتهدين ويختلف ذلك باختلاف الصور وتفرع على هذا الاصل بعض المسائل تنبها  
على السابق ( المال الاول ) احتج الشافعى رضى الله عنه على ان المسلم لا يقتل بالدعى وان  
الحر لا يقتل بالعد بأن قال المماثلة شرط لجريان القصاص وهى مفقودة في هاتين  
المسئلتين فوجب ان لا يجرى القصاص بينهما اما بيان ان المماثلة شرط لجريان القصاص  
فهى النصوص المذكورة وكيفية الاستدلال بها ان نقول اما ان نحمل المماثلة  
المذكورة في هذه النصوص على المماثلة في كل الامور الا ما خصه الدليل او نحملها على  
المماثلة في امر معين والسابق مرجوح لان ذلك الامر المعين غير المذكور في الآية فلو  
جعلنا الآية عليها لزم الاجال ولو جعلنا الدص على القدم الاول لزم بحمل التخصيص  
ومعلوم ان دفع الاجال أولى من دفع التخصيص فبت ان الآية تقتضى رواية المماثلة  
في كل الامور الا ما خصه دليل العقل ودالم نعلي مفصل وادانت هذا فقول رحامة  
المماثلة ان تمل المسلم بالدعى وفي قتل الحر بالبند لا تمكن لان الاسلام اعتبره السرع في  
انجاء القتل لتخصيله عند عدمه كما في حق الكافر الاصل ولا بقاء له وجوده كما في حق

المرتد وايضا الحربة صفة اعتبرها الشرع في حق القضاء والامامة والشهادة فثبت ان الممانعة شرط لجريان القصاص وهي مفقودة ههنا فوجب المنع من القصاص (المال الثاني) احتج الشافعي رضي الله عنه في ان الايدي تقطع باليد الواحدة فقال لانك انه اذا صدر كل القطع او بعضه عن كل أولئك القاطعين او عن بعضهم فوجب ان يشرع في حق أولئك القاطعين مثله لهذه النصوص وكل من قال بشرع القطع اما كله او بعضه في حق كلهم او بعضهم قال بما يجابه على الكل بقي ان يقال فيلزم منه استيفاء الزيادة من الجاني وهو ممنوع منه الا ان نقول لما وقع التعارض بين جانب الجاني وبين جانب المجني عليه كان جانب المجني عليه بالرعاية أولى (المال الثالث) قال نيريك الاب شرع في حقه القصاص والدليل عليه انه صدر عنه الجرح فوجب ان يقابل بمثله لقوله تعالى والجروح قصاص واذا ثبت هذا ثبت تمام القصاص لانه لا قاتل بالفرق (المال الرابع) قال الشافعي رضي الله تعالى عنه من حرق حرقاه ومن غرق غرقاه والدليل عليه هذه النصوص الدالة على مقابلة كل شيء بمماثلة (المال الخامس) شهود القصاص اذا رجعوا وقالوا نعمدنا الكذب يلزمهم القصاص لانهم تلك الشهادة اهدروا دمه فوجب ان يصير دمهم مهذرا لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها (المال السادس) قال الشافعي رضي الله عنه المكروه يجب عليه القود لانه صدر عنه القتل ظلما فوجب ان يجب عليه مثله امانه صدر عنه القتل فالحس يدل عليه واما انه قتل ظلما فلان المسلمين اجعوا على انه مكلف من قبل الله تعالى بان لا يقتل واجعوا على انه يستحق به الامم العظيم والعقاب الشديد واذا ثبت هذا فوجب ان يقابل بمثله لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها (المال السابع) قال الشافعي رضي الله عنه القتل بالقتل يوجب القود والدليل عليه ان الجاني ابطال حياته فوجب ان يتمكن ولي المقتول من ابطال حياة القاتل لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها (المال الثامن) الحر لا يقتل بالعبد قصاصا ونحن ان ذكرنا هذه المسئلة في المال الاول الا اننا ذكرناها وجه آخر من البیان فقول ان القاتل اتلف على مالك العبد شيئا يساوي عشرة دنانير فلا فوجب عليه اداء عشرة دنانير لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها واذا وجب الضمان وجب ان لا يجب القصاص لانه لا قاتل بالفرق (المال التاسع) منافع القصب مضمونة عبد الشافعي رضي الله عنه والدليل عليه ان الغاصب فوت على المالك منافع تقابل في العرف بدنيار فوجب ان يفوت على الغاصب مثله من المال لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وكل من اوجب تفويت هذا القدر على الغاصب قال بانه يجب اداؤه الى المغصوب منه (المال العاشر) الحر لا يقتل بالعبد قصاصا لانه لو قتل بالعبد لكان هو مساويا للعبد في المعاني الموجبة للقصاص لقوله من عمل سيئة فلا يحزى الانلها ولسائر النصوص التي تلوناها من ان عبد غيره يتثل قصاصا يعبد نفسه فوجب ان يكون عبد غيره مساويا لعبد نفسه في المعاني الموجبة للقصاص لعين هذه النصوص التي ذكرناها

(استجيبوا الربكم) اذ دعاكم الى الايمان على لسان نبيه (من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله) اي لا يردده الله لعدم احكام به على ان من صلة مردا ومن قبل ان ياتي من الله يوم لا يمكن رده (مالك من مجأ يومئذ) اي مفتر لتجئون اليه (ومالك من ذكر) اي اذكركم لما اقر فتوه لانه مدون في صحائف اعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم (فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا) تلويح للكلام وصرفه عن خطاب الناس بعد امرهم بالاستجابة وتوجيهه الى الرسول عليه الصلاة والسلام اي فان لم يستجيبوا واعرضوا عما تدعوهم اليه فما ارسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم (ان عليك البلاغ) وقد فعلت (واذا اذنا الانسان منارحة) اي نعمة من الصحة والعيا والامن (فرح بها) اريد بالانسان



فهذا التفسير يكون عبد نفسه مساويا لعبد غيره في المعاني الموجبة للقصاص فكان  
عبد نفسه مثل لعل نفسه ومثل المثل مثل فوجب كون عبد نفسه مثلا لنفسه في المعاني  
الموجبة للقصاص ولو قتل الحر بعبد غيره لقتل به عبد نفسه بالبيان الذي ذكرناه ولا يقتل  
بعبد نفسه فوجب ان لا يقتل به عبد غيره فقد ذكرنا هذه الامثلة العشرة في التفريع على  
هذه الآية ومن أخذت الفطنة بيده سهل عليه تفريع كثير من مسائل الشريعة على هذا  
الاصل والله اعلم ثم ههنا بحث وهو ان باحقيقة رضى الله عنه قال في قطع الايدي لاشك  
انه صدر كل القطع او بعضه عن كلهم او عن بعضهم الا انه لا يمكن استيفاء ذلك الحق  
الاستيفاء الزيادة لان تقويت عشرة من الايدي ازيد من تقويت يد واحدة فوجب ان  
يبقى على اصل الحرمة فقال الشافعي رضى الله عنه لو كان تقويت عشرة من الايدي في  
مقابلة يد واحدة حراما لكان تقويت عشرة من النفوس في مقابلة نفس واحدة حراما  
لان تقويت النفس يشتمل على تقويت اليد فتقويت عشرة من النفوس في مقابلة النفس  
الواحدة يوجب تقويت عشرة من الايدي في مقابلة ايدي واحدة فلو كان تقويت عشرة  
من الايدي في مقابلة اليد الواحدة حراما لكان تقويت عشرة من النفوس لابل النفس  
الواحدة مستحلا على الحرام والمشتل على الحرام حرام فكان يجب ان يحرم قتل النفوس  
العشرة في مقابلة النفس الواحدة وحيث اجبنا على انه لا يحرم علنا ان ماذكرتم من  
استيفاء الزيادة غير ممنوع منه شرعا والله اعلم (المسئلة الثانية) قد بينا ان قوله وجزاء  
سيئة سيئة مثلها يقتضى وجوب رماية المائة مطلقا في كل الاحوال الا فيما خصه الدليل  
والفقهاء ادخلوا التخصيص فيه في صور كثيرة فثارة بناء على نص آخر اخص منه واخرى  
بناء على القياس ولا شك ان من ادعى التخصيص فعليه البيان والمكلف يكفيه ان يتسكك بهذا  
النص في جميع المطالب قال مجاهد والسدى اذا قال له اخزاء الله فليقل له اخزاء الله اما  
اذا فزفه فله فوجب الحد فليس له ذلك بل الحد الذي امر الله به ثم قال تعالى فمن عني  
واصلح بينه وبين خصمه باله ووالاغضاء كما قال تعالى فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه  
ولى حميم فأجره على الله وهو عليم ثم يهمل امره في التظيم ثم قال تعالى انه لا يسب  
الظالمين وفيه قولان (الاول) ان المتسود منه التنبية على ان الجنى ضايه لا يجوز له استبراء  
الزيادة من الظالم لان الظالم فيما وراء ظنه دمعوم والانتصار لا يتكاد يرهن فيه ثم وز  
التدويه والتعدي خصوصا في حال الحرب والتهاب اذ فريما صار القتال من هذه التماسا  
على استيفاء القصاص ظالما وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى  
مناد من كان له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فبالاهم ما يسركم على الله فيقولون نحن  
الذين عفوونا عن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله تعالى (الثاني) انه تعالى لما حث على  
العفو عن الظالم اخبرانه مع ذلك لا يحبه تابيها على انه اذا كان لا يحبه ومع ذلك فانه يندب  
الى عفو فالمؤمن الذى هو حبيب الله بسبب ايمانه أولى ان يعفو عنه ثم قال تعالى ولمن

الجنس لقوله تعالى (وان تصبهم  
سيئة) اى بلاء من مرض  
وقفر وخوف (بما قدمت  
ايديهم فان الانسان كفور)  
بلغ الكفر ينسى النعمة رأسا  
ويذكر البلية ويستغفها ولا  
يتأمل سببها بل يزعم انها اصابته  
بغير استحقاق لها واسناد هذه  
الحصلة الى الجنس مع كونها من  
خواص المجرمين لغلبهم فيما  
بين الافراد وتصدىر الشرطية  
الاولى باذامع اسناد الاذاقة الى  
نون العظيمة للتنبيه على ان اتصال  
النعمة بحقق الوجود كثير  
الوقوع وانه مقتضى الذات  
كما ان تصدير الثانية بأن واسناد  
الاصابة الى السببة وتعليلها  
بأعمالهم لا يبدان بندرة وقوعها  
وانها يعزل عن الانتظام في  
سلك الارادة بالذات ووضع  
الظاهر موضع الضمير للتسجيل  
على ان هذا الجنس موسوم  
بكفران الم (لله ملك السموات

اتنصر بعد ظلمه اى ظلم الظالم اياه وهذا من باب اضافة المصدر الى المفعول فأولئك يعنى المنتصرين ما عليهم من سبيل كعقوبة ومؤاخذه لانهم اتوا بما ابيح لهم من الانتصار واحتج الشافعى رضى الله تعالى عنه بهذه الآية فى بيان ان سرابة القود مهدرة فقال الذرع اما ان يقال انه اذن له فى القلع معاقبا او بتسوط ان لا يحصل منه السرطان وهذا الثانى باطل لان الاصل فى القطع الحرمة فاذا كان تجوز به معلقا بتسوط عدم السرطان وكان هذا الشرط مجهولا وجب أن يبقى ذلك القطع على اصل الحرمة لان الاصل فيها هو الحرمة والحل انما يحصل معلقا على شرط مجهول فوجب ان يبقى ذلك على اصل الحرمة وحيث لم يكن كذلك علمنا ان الذرع اذن له فى القطع كيف كان سواء سرى او لم يسر واذا كان كذلك وجب ان لا يكون ذلك السرطان مضمونا لانه قد اتنصر من بعد ظلمه فوجب ان لا يحصل لاحد عليه سبيل ثم قال انما السبيل على الذين يظلمون الناس اى يدون بالظلم ويبغون فى الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ثم قال تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور والمعنى ولمن صبريان لا يقتص وغفر وتجاوز فان ذلك الصبر والتجاوز من عزم الامور يعنى ان عزمه على ترك الانتصار لمن عزم الامور الجيدة وحذف الراجع لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى ان رجلا سب رجلا فى مجلس الحسن فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام وتلاه هذه الآية فقال الحسن صلها والله وفهمها الماضى بها الجاهلون ثم قال تعالى ومن يضلل الله فانه من ولى من بعده اى فليس له من ناصر يتولاه من بعده لانه اى من بعد اضلال الله اياه وهذا صريح فى جواز الاضلال من الله تعالى وفى ان البداية ليست فى تدوير احد سوى الله تعالى قال الفاضل المراد من يغفل الله عن الجنة فانه من ولى من بعده بصره (والجواب) ان تقيد الاضلال بهذه الصورة المعينة خلاف الدليل وايضا لا تسمى الاضلال عن الجنة على قولكم بل هو اضل نفسه عن الجنة ثم قال تعالى وترى الظالمين اماما والعذاب يقولون هل الى مرد من سبيل والمراد انهم يطلبون الرجوع الى الدنيا لعظم ما يشاهدون من العذاب ثم كرهنا ان نعرض النار عليهم فقال وراهم يعرضون عليها خاشعين من اذن الله اى حال كونه خاشعين من الله بسبب ما هم فيه ثم قال تعالى ينظرون من طرف خفي اى يتدبرون من مكرهم لاجتنابهم ضعيف يعنى بمسارقة كراتى الذى يتقن ان يقتل فانه ينظر الى السبيل كانه لا يندبر على ان يتبع اجتهاد عليه ويملا عينه منه كما يفعل فى نظره الى المحبوبات فان قيل ليس انه تعالى قال فى صفة الكفار انهم يحسرون عينا فكيف قال ههنا انهم ينظرون من طرف خفي قلنا لعلمهم يكونون فى الابتداء هكذا ثم جاءوا بغيرهم المؤمنين فقاموا وقال الذين آمنوا ان الخائرين الذين خسروا انفسهم واهلبيهم يوم القيامة قال صاحب الكشاف يوم القيامة اما ان يتعلق بخسروا او يكون

(والارض) فن فضيته اى اياك  
التصرف فيها وفى كل ما فيها  
كيفما يشاء ومن جلته ان يقسم  
النعمة والبلية حسبما يريد (مخلق  
ما يشاء) مما خلقه وما لا تعلمه (يهب  
لمن يشاء انا) من الاولاد (ويهب  
لمن يشاء الذكور) منهم من غير  
ان يكون فى ذلك مدخل لاحد  
(او يزوجهم) اى يقرن بين  
الصنفين فيهما جميعا (ذكرانا  
واناثا) قالوا معنى يزوجهم ان تلد  
غلاما ثم جارية او جارية ثم غلاما  
او تلد ذكر او انثى توأمين (ويجعل  
من يشاء عقيما) والمعنى يجعل  
احوال العباد فى حق الاياد  
مختلفة على ما تقتضيه المشيئة  
فيهن فيهب لبعض اما صفا واحدا  
من ذكر او انثى واما صنفين ويعقم  
آخرين ولعل تقديم الاناث لانهما  
اكثر لكثر النسل اولان مساقى  
الآية للدلالة على ان الواقع  
ما يتعلق به مشيئة تعالى لا ما يتعلق

قول المؤمنين واقعا في الدنيا واما ان يتعلق بقال اي يقولون يوم القيامة اذارأ وهم على تلك الصفة ثم قال الان الظالمين في عذاب مقيم اي دائم قال القاضي وهذا يدل على ان الكافرو الفاسق يدوم عذابهما (والجواب) ان لفظ الظالم المطلق في القرآن مخصوص بالكافر قال تعالى والكافرون هم الظالمون والذي يؤكد هذا انه تعالى قال بعده هذه الآية وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله والمعنى ان الاصنام التي كانوا يعبدونها لاجل ان تشفع لهم عند الله تعالى ما اتوا بتلك الشفاعة ومعلوم ان هذا لا يليق الا بالكفار ثم قال ومن يضل الله فانه من سبيل وذلك يدل على ان المضل والهادي هو الله تعالى على ما هو قولنا ومذهبنا والله اعلم ﴿ قوله تعالى (استجيبوا لربكم من قبل ان يأتى يوم لامرله من الله مالكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير فان اعرضوا فארسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا ادقنا الانسان منا رجة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء انا ويا انا لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا وانثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير ) اعلم انه تعالى لما طنب في الوعد والوعيد ذكر بعده ما هو المقصود فقال استجيبوا لربكم من قبل ان يأتى يوم لامرله من الله وقوله من الله يجوز ان يكون صلة لقوله لامرله يعني لا يردده الله بعدما حكم به ويجوز ان يكون صلة لقوله يأتى اي من قبل ان يأتى من الله يوم لا يقدر احد على رده واختلوا في المراد بذلك اليوم فقيل هو يوم ورود الموت وقيل يوم القيامة لانه وصف ذلك اليوم بانه لامرله وهذا الوصف موجود في كلا اليومين ويحتمل ان يكون معنى قوله لامرله انه لا يقبل التقديم والتأخير وان يكون معناه ان لامرله في حال التكليف حتى يحصل فيه التلا في ثم قال تعالى في وصف ذلك اليوم مالكم من ملجأ ينفع في التخلص من العذاب ومالككم من نكير ممن ينكر ذلك حتى يتغير حالكم بسبب ذلك المنكر ويجوز ان يكون المراد من النكير الانكار اي لا تقدرون ان تنكروا شيئا مما افترقتموه من الاعمال فان اعرضوا اي هؤلاء الذين امرتهم بالاستجابة ان لم يقبلوا هذا الامر فארسلناك عليهم حفيظا بان تحفظ اعمالهم وتحصيها ان عليك الا البلاغ وذلك تسلية من الله تعالى نعم انه تعالى بين السبب في اصرارهم على مذهبهم الباطلة وذلك انهم وجدوا في الدنيا سعادة وكرامة والفرح بطالب الدنيا فيد الفرور والفجور والتكبر وعدم الانقياد للحق فقال وانا اذا ادقنا الانسان منا رجة فرح بها ونعم الله في الدنيا وان كانت عظيمة الا انها بالنسبة الى السعادات المعدة في الآخرة كالقطرة بالنسبة الى البحر فلذلك سماها ذوقا فين تعالى ان الانسان اذا فاذا بهذا القدر الحقيق الذي حصل في الدنيا فانه يفرح بها ويعظم غروره بسببها ويقع في العجب والكبر ويظن انه فاز بكل المني ووصل الى اقاصي السعادات وهذه طريقة من يضعف اعتقاده في سعادات

به مشيئة الانسان والانات كذلك اولان الكلام في البلاء والعرب تعدهن اعظم البلايا اول تطيب قلوب آبايهم اول المحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور اول الجبرالكأخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسم المشترك بين القسمين ولا حاجة اليه في الرابع لافصاحه بانه قسم المشترك بين الاقسام المتقدمة وقيل المراد بيان آحوال الانبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوطا نانا ولابراهيم ذكورا ولنبي صلى الله عليه وسلم ذكورا وانا فاجعل يحي وعيسى عقيين ( انه عليم قدير ) مبالغ في العلم والقدرة فيفعل ما فيه حكمة ومصلحة (وما كان لبشر) اي وما صح لفرد من افراد البشر (ان يكلمه الله) بوجه من الوجوه (الواحي) اي الابان يوحى اليه ويلهمه ويقذف في قلبه كما وحي الى ام موسى والى

الآخرة وهذه الطريقة مخالفة لطريق المؤمن الذي لا يعد نعم الدنيا الا كالوصلة الى نعم الآخرة تمين انه متى اصابته سيئة اى شئ يسوهم في الحال كالمرض والفقر وغيرهما فانه يظهر منه الكفر وهو معنى قوله فان الانسان كفور والكفور الذى يكون مبالغا في الكفران ولم يقل فانه كفور ليبين ان طبيعة الانسان تقتضى هذه الحالة الا اذا أدبها الرجل بالآداب التى ارشد الله اليها ولما ذكر الله اذا فقه الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك بقوله لله ملك السموات والارض والمقصود منه ان لا يغتر الانسان بمملكته من المال والجاه بل اذا علم ان الكل ملك الله ومملكه وانه انما حصل ذلك القدر تحت يده لان الله انعم عليه به فحينئذ يصير ذلك حاملا له على مزيد الطاعة والخدمة واما اذا اعتقد ان تلك النعم انما تحصل بسبب عقله وجدده واجتهاده ببق مغرورا بنفسه معرضا عن طاعة الله تعالى ثم ذكر من اقسام تصرف الله في العالم انه يخص البعض بالاولاد الاناث والبعض بالذكور والبعض بهما والبعض بأن يجعله محروما من الكل وهو المراد من قوله ويجعل من يشاء عقيما واعلم ان اهل الطبائع يقولون السبب في حدوث الولد صلاح حال النطفة والرحم وسبب الذكورة استيلاء الحرارة وسبب الانوثة استيلاء البرودة وقد ذكرنا هذا الفصل بالاستقصاء التام في سورة النحل وابطلناه بالدلائل اليقينية وظهر ان ذلك من الله تعالى لانه من الطبائع والانجم والافلاك وفي الآية سؤالات (السؤال الاول) انه قدم الاناث في الذكر على الذكور فقال يهب لمن يشاء انانا ويهب لمن يشاء الذكور ثم في الآية الثانية قدم الذكور على الاناث فقال اوزوجهم ذكرانا وانانا فالسبب في هذا التقديم والتأخير (السؤال الثانى) انه ذكر الاناث على سبيل التنكير فقال يهب لمن يشاء انانا وذكر الذكور بلفظ التعريف فقال ويهب لمن يشاء الذكور فالسبب في هذا الفرق (السؤال الثالث) لم قال في اعطاء الاناث وحدهن وفي اعطاء الذكور وحدهم بلفظ الهبة فقال يهب لمن يشاء انانا ويهب لمن يشاء الذكور وقال في اعطاء الصنفين معا اوزوجهم ذكرانا وانانا (السؤال الرابع) لما كان حصول الولد هبة من الله فيكون في عدم حصوله ان لا يهب فأى حاجة في عدم حصوله الى ان يقول ويجعل من يشاء عقيما (السؤال الخامس) هل المراد من هذا الحكم جمع معينون او المراد الحكم على الانسان المطلق (والجواب) عن السؤال الاول من وجوه (الاول) ان الكريم يسعى في ان يفع الختم على الخير والراحة والسرور والبهجة فاذا وهب الولد الانثى او لانم اعطاء الذكر بعده فكأنه نقله من النعم الى الفرح وهذا غاية الكرم اما اذا اعطى الولد الذكر او لانم اعطى الانثى ثانيا فكأنه نقله من الفرح الى النعم فذكر تعالى هبة الولد الانثى اولا وثانيا هبة الولد الذكر حتى يكون قد نقله من النعم الى الفرح فيكون ذلك اليق بالكرم (الوجه الثانى) انه اذا اعطى الولد الانثى اولا علم انه لا اعتراض له على الله تعالى فيرضى بذلك فاذا اعطاء الولد الذكر بعد ذلك علم ان هذه الزيادة فضل من الله تعالى واحسان اليه فيزداد شكره وطاعته ويعلم ان ذلك انما حصل

ابراهيم عليهما السلام في ذبح ولده وقدرى عن مجاهد اوحى الله الى يورالى داود عليه السلام في صدره او بأن يسمعه كلامه الذى يخلفه في بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى (او من وراء حجاب) فانه تمثيل له بحال الملك المحتجب الذى يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة عليهم السلام او بأن يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى (او يرسل رسولا) اى ملكا (فيوحى) ذلك الرسول الى المرسل اليه الذى هو الرسول البشرى (باذنه) اى بأمره تعالى وتيسيره (ما يشاء) ان يوحى اليه وهذا هو الذى يجري بينه تعالى وبين الانبياء عليهم الصلاة والسلام في عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحيا

بمحض الفضل والكرم ( الوجه الثالث ) قال بعض المذكرين الانثى ضعيفة ناقصة عاجزة تقدم ذكرها تنبيها على انه كلما كان العجز والحاجة اتم كانت عناية الله به اكثر (الوجه الرابع) كانه يقال ايها المرأة الضعيفة العاجزة ان اباك وامك يكرها ان وجودك فان كانا قد كرها وجودك فانا قد متك في الذكر لتعلمي ان المحسن المكرم هو الله تعالى فاذا علمت المرأة ذلك زادت في الطاعة والخدمة والبعد عن موجبات الطعن والذم فهذه المعاني هي التي لاجلها وقع ذكر الاناث مقدما على ذكر الذكور وانما تقدم ذكر الذكور بعد ذلك على ذكر الاناث لان الذكر اكمل وافضل من الانثى والافضل الاكمل مقدم على الاخس الارذل والحاصل ان النظر الى كونه ذكرا او انثى يقتضي تقديم ذكر الذكر على ذكر الانثى اما العوارض الخارجية التي ذكرناها فقد اوجبت تقديم ذكر الانثى على ذكر الذكر فلما حصل مقتضى التقديم والتأخير في البابين لاجرم قدم هذا مرة وقدم ذلك مرة اخرى والله اعلم ( واما السؤال الثاني ) وهو قوله لم عبر عن الاناث بلفظ التنكير وعن الذكور بلفظ التعريف فجوابه ان المقصود منه التنبيه على كون الذكر افضل من الانثى ( واما السؤال الثالث ) وهو قوله لم قال تعالى في اعطاء الصنفين او يزوجهم ذكرانا وانا انما فجوابه ان كل شئتين يقرن احدهما بالآخر فهما زوجان وكل واحد منهما يقال له زوج والكنية في تزوجهم مائدة على الاناث والذكور التي في الآية الاولى والمعنى يقرن الاناث والذكور فيجعلهم ازواجا ( واما السؤال الرابع ) فجوابه ان العقيم هو الذي لا يولد له يقال رجل عقيم لا يلد وامرأة عقيم لاتلد واصل العقم القطع ومنه قيل الملك عقيم لانه يقطع فيه الارحام بالقتل والعقوق ( واما السؤال الخامس ) فجوابه قال ابن عباس يهب لمن يشاء انا ان يريد لوطا وشعبيا عليهما السلام لم يكن لهما الابنات ويهب لمن يشاء الذكور يريد ابراهيم عليه السلام لم يكن له الا الذكور او يزوجهم ذكرانا وانا انما يريد محمدنا صلى الله عليه وسلم كان له من البنين اربعة القاسم والطاهر وعبد الله و ابراهيم ومن البنات اربعة زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة ويجعل من يشاء عقيما يريد عيسى ويحيى وقال الاكثرون من المفسرين هذا الحكم عام في حق كل الناس لان المقصود بيان نفاذ قدرة الله في تكوين الاشياء كيف شاء وأراد فلم يكن للتخصيص معنى والله اعلم ثم ختم الآية بقوله انه علم قدير قال ابن عباس علم بما خلق قدير على ما يشاء ان يخلقه والله اعلم قوله تعالى ( وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فوحي باذنه ما يشاء انه على حكيم وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور ) اعلم انه تعالى لما بين كمال قدرته وعلمه وحكمته اتبعه ببيان انه كيف ينخص انبياءه بوحيه وكلامه وفي الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) وما كان لبشر وما صح لاحد من البشر

وقوله تعالى او يرسل مصدرا واقعا مواقع الحال وقوله تعالى او من وراء حجاب ظرف واقع موقعها والتقدير وما صح ان يكلم الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او رسلا وقرئ او يرسل بالرفع على ضمير مبتدأ وروى ان اليهود قالت للنبي عليه الصلاة والسلام الاتكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى وتظر اليه فان لن تؤمن حتى تفعل ذلك فقال عليه السلام لم ينظر موسى عليه السلام الى الله تعالى فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله القرية ثم قالت رضي الله عنها او لم تسمعوا ربكم يقول فقلت هذه الآية ( انه على متعال عن صفات المخلوقين لا يتأتى جريان المقاضاة بينه تعالى وبينهم الا باحد الوجوه المذكورة ( حكيم ) يجرى افعاله على سنن

ان يكلمه الله الا على احد ثلاثة اوجه اما على الوحي وهو الالهام والتدبير في القلب او  
النام كما وحي الله الى ام موسى وابراهيم عليه السلام في ذبح ولده وعن مجاهد وحي الله  
تعالى الزبور الى داود عليه السلام في صدره واما على ان يسمعه كلامه من غير واسطة مبلغ  
وهذا ايضا وحي بدليل انه تعالى اسمع موسى كلامه من غير واسطة مع انه سماه وحيًا قال  
تعالى فاستمع لما يوحى واما على ان يرسل اليه رسولا من الملائكة فيبلغ ذلك الملك ذلك  
الوحي الى الرسول البشرى فطريق الحصر ان يقال وصول الوحي من الله الى البشر اما  
ان يكون من غير واسطة مبلغ او يكون بواسطة مبلغ واذا كان الاول وهو ان يصل اليه  
وحي الله لا بواسطة شخص آخر فهنا اما ان يقال انه لم يسمع عين كلام الله او يسمعه اما  
الاول وهو انه وصل اليه الوحي لا بواسطة شخص آخر وما سمع عين كلام الله فهو المراد  
بقوله الا وحيًا واما الثاني وهو انه وصل اليه الوحي لا بواسطة شخص آخر ولكنه سمع عين  
كلام الله فهو المراد من قوله او من وراء حجاب واما الثالث وهو انه وصل اليه الوحي  
بواسطة شخص آخر فهو المراد بقوله او يرسل رسولا فيوحى بذاته ما يشاء واعلم ان كل  
واحد من هذه الاقسام الثلاثة وحي الا انه تعالى خصص القسم الاول باسم الوحي لان  
ما يقع في القلب على سبيل الالهام فهو يقع دفعة فكان تخصيص لفظ الوحي به اولى فهذا  
هو الكلام في تمييز هذه الاقسام بعضها عن بعض (المسئلة الثانية) القائلون بأن الله في  
مكان احتجوا بقوله او من وراء حجاب وذلك لان التقدير وما كان لبشر ان يكلمه الله  
الا على احد ثلاثة اوجه (احدها) ان يكون الله من وراء حجاب وانما يصح ذلك لو كان  
مختصا بمكان معين وجهة معينة (والجواب) ان ظاهر اللفظ وان اوهم ما ذكرتم الا انه دللت  
الدلائل العقلية والنقلية على انه تعالى يمنع حصوله في المكان والجهة فوجب حمل  
هذا اللفظ على التأويل والمعنى ان الرجل اذا سمع كلاما مع انه لا يرى ذلك المتكلم كان  
ذلك شبيها بما اذا تكلم من وراء حجاب والمشابهة سبب لجواز المجاز (المسئلة الثالثة) قالت  
المعتزلة هذه الآية تدل على انه تعالى لا يرى وذلك لانه تعالى حصر اقسام وحيه في هذه  
الثلاثة ولو صححت رؤية الله تعالى لصح من الله تعالى انه يتكلم مع العبد حال ما يراه العبد  
فحينئذ يكون ذلك قسما رابعا زائدا على هذه الاقسام الثلاثة والله تعالى ذى القسم الرابع  
بقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا على احد هذه الواجهة الثلاثة (والجواب) تزيد في اللفظ  
قيدا فيكون التقدير وما كان لبشر ان يكلمه الله في الدنيا الا على احد هذه الاقسام  
الثلاثة وحينئذ لا يلزم ما ذكرتموه وزيادة هذا القيد وان كانت على خلاف الظاهر ولكنه  
يجب المصير اليها للتوفيق بين هذه الآيات وبين الآيات الدالة على حصول الرؤية في يوم  
القيامة والله اعلم (المسئلة الرابعة) اجتمعت الامة على ان الله تعالى متكلم ومن سوى  
الاشعري واتباعه اطبقوا على ان كلام الله هو هذه الحروف المسموعة والاصوات المؤلفة  
واما الاشعري واتباعه فانهم زعموا ان كلام الله تعالى صفة قديمة يعبر عنها بهذه الحروف

الحكمة فيكم تارة بواسطة  
واخرى بدونها اما الهام واما  
خطابا (وكذلك) اي ومثل ذلك  
الاجزاء البديع (اوحيًا اليك  
روحًا من امرنا) هو القرآن الذي  
هو للقلوب بمنزلة الروح للابدان  
حيث يحيا حياة ابدية وقبل هو  
جبريل عليه السلام ومعنى  
ايحاه اليه عليهما السلام ارساله  
اليه بالوحي (ما كنت تدري) قبل  
الوحي (ما الكتاب) أي أي شيء هو  
(ولا الايمان) أي الايمان بتفاصيل  
ما في تضاعيف الكتاب من الامور  
التي لا تهتدى اليها العقول  
لا الايمان بما يستقل به العقل والنظر  
فان درايته عليه الصلاة والسلام له  
ما لا ريب فيه قطعا (ولكن  
جعلناه) أي الروح الذي اوحيناه  
اليك (نورا نهدي به من نشاء)  
هدايته (من عبادنا) وهو الذي  
يصرف اختياره نحو الاهتداء به  
وقوله تعالى (وانك لنهتدى) تقرير

والاصوات ( اما الفريق الاول ) وهم الذين قالوا كلام الله تعالى هو هذه الحروف والكلمات فهم فريقان ( احدهما ) الخبالة الذين قالوا بقدم هذه الحروف وهؤلاء اخس من ان يذكر في زمرة العقلاء واتفق اني قلت يوما لبعضهم لو تكلم الله بهذه الحروف اما ان يتكلم بها دفعة واحدة او على التعاقب والتوالي والاول باطل لان التكلم بجملة هذه الحروف دفعة واحدة لا يفيد هذا النظم المركب على هذا التعاقب والتوالي فوجب ان لا يكون هذا النظم المركب من هذه الحروف المتوالية كلام الله تعالى والثاني باطل لانه تعالى لو تكلم بها على التوالي والتعاقب كانت محدثة ولما سمع ذلك الرجل هذا الكلام قال الواجب علينا ان نقرو ونمرى نقر بأن القرآن قديم ونمر على هذا الكلام على وفق ماسمعناه فتعجب من سلامة قلب ذلك القائل واما العقلاء من الناس فقد اطبقوا على ان هذه الحروف والاصوات كأنة بعد ان لم تكن حاصلة بعد ان كانت معدومة ثم اختلف عباراتهم في انها هل هي مخلوقة او لا يقال ذلك بل يقال انها حادثه او يعبر عنها بعبارة اخرى واختلفوا ايضا في ان هذه الحروف هل هي قائمة بذات الله تعالى او يخلقها في جسم آخر فالاول هو قول الكرامية والثاني قول المعتزلة واما الاشعرية الذين زعموا ان كلام الله صفة قديمة تدل عليها هذه الالتفات والعبارات فقد اتفقوا على ان قوله او من وراء حجاب هو ان الملك والرسول يسمع ذلك الكلام المنزه عن الحرف والصوت من وراء حجاب قالوا وكلاهما لا يبعدان ترى ذات الله مع انه ليس بجسم ولا في حيز فأي بعد في ان يسمع كلام الله مع انه لا يكون حرفا ولا صوتا وزعم ابو منصور الماتريدي السمرقندي ان تلك الصفة القائمة بمنع كونها مسموعة وانما المسموع حروف واصوات يخلقها الله تعالى في الشجرة وهذا القول قريب من قول المعتزلة والله اعلم ( المسئلة الخامسة ) قال القاضي هذه الآية تدل على حدوث كلام الله تعالى من وجوه ( الاول ) ان قوله تعالى ان يكلمه الله يدل عليه لان كلمة ان مع المضارع تفيد الاستقبال ( الثاني ) انه وصف الكلام بانه وحي لان لفظ الوحي يفيد انه وقع على اسرع الوجوه ( الثالث ) ان قوله او يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء يقتضي ان يكون الكلام الذي يبلغه الملك الى الرسول البشري مثل الكلام الذي سمعه من الله والذي يبلغه الى الرسول البشري حادث فلما كان الكلام الذي سمعه من الله مما لا لهذا الذي بلغه الى الرسول البشري وهذا الذي باخه الى الرسول البشري حادث ومثل الحادث حادث وجب ان يقال ان الكلام الذي سمعه من الله حادث ( الرابع ) ان قوله او يرسل رسولا فيوحي يقتضي كون الوحي حاصل بعد الارسال وما كان حصوله متأخرا عن حصول غيره كان حادثا ( والجواب ) اننا نصرف جملة هذه الوجوه التي ذكرتها الى الحروف والاصوات ونزف بانها حادثه كأنة بعد ان لم تكن وبديهة العقل شاهدة بان الامر كذلك فاي حاجة الى انبات هذا المطلوب الذي علمت صحته ببديهة العقل وبظواهر القرآن والله اعلم ( المسئلة السادسة ) ثبت ان الوحي من الله تعالى

تهديته تعالى وبيان لكيفيةها ومفعول تهدي محذوف ثقة بفاية الظهور اي واثك لتهدي بذلك النور من انشاء هدايته ( الى صراط مستقيم ) هو الاسلام وسائر الشرائع والاحكام وقرئ تهدي اي ليهديك الله وقرئ لتدعو ( صراط الله ) يدل من الاول واصنافه الى الاسم الحليل ثم وصفه بقوله تعالى ( الذي له ما في السموات وما في الارض ) لتفخيم شأنه وتقدير استقامته وتأكيده وجوب سلوكه فان كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خاتما وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك اثم ايجاب ( الى الله تصير الامور ) اي امور ما فيهما فاطية لا الى غيره ففيه من الوعد المهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين منه ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة حم عسق كان ممن تصلى عليه عليه الملائكة ويستغفرون ويسترحون له



امان لا يكون بواسطة شخص آخر واما ان يكون بواسطة شخص آخر ويمتنع ان يكون كل وحى حاصل بواسطة شخص آخر والا لزم اما التسلسل واما الدور وهما محالان فلا بد من الاعتراف بحصول وحى يحصل بواسطة شخص آخر نعم ههنا بحاج ( البحث الاول ) ان الشخص الاول الذي سمع وحى الله لا بواسطة شخص آخر كيف يعرف ان الكلام الذي سمعه كلام الله فان قلنا انه سمع تلك الصفة القديمة المنزهة عن كونها حرفا وصوتا لم يبعد انه اذا سمعها علم بالضرورة كونها كلام الله تعالى ولم يبعد ان يقال انه يحتاج بعد ذلك الى دليل زائد اما ان قلنا ان المسموع هو الحرف والصوت امتنع ان يقطع بكونه كلاما لله تعالى الا اذا ظهرت دلالة على ان ذلك المسموع هو كلام الله تعالى ( البحث الثاني ) ان الرسول اذا سمعه من الملك كيف يعرف ان ذلك المبلغ ملك معصوم لا سيوطان مضل والحق انه لا يمكنه القطع بذلك الانباء على معجزة تدل على ان ذلك المبلغ ملك معصوم لا شيطان خبيث وعلى هذا التقدير فالوحى من الله تعالى لا يتم الا بثلاث مراتب في ظهور المعجزات ( المرتبة الاولى ) ان الملك اذا سمع ذلك الكلام من الله تعالى فلا بد له من معجزة تدل على ان ذلك الكلام كلام الله تعالى ( والمرتبة الثانية ) ان ذلك الملك اذا وصل الى الرسول لا بد له ايضا من معجزة ( والمرتبة الثالثة ) ان ذلك الرسول اذا وصل الى الامة فلا بد له ايضا من معجزة فثبت ان التكاليف لا توجد على الخلق الا بعد وقوع ثلاث مراتب في المعجزات ( البحث الثالث ) انه لا شك ان هلسا من الملائكة قد سمع الوحى من الله تعالى ابتداء من الملك هو جبريل وبقول لعل جبريل سمعه من ملك آخر فذلك محتمل ولو بالنظر الى سنة ولم يوجد ما يدل على القطع بواحد من هذه الوجوه ( البحث الرابع ) تدل في البند من سمع وحى الله تعالى من غير واسطة المشهور ان موسى عليه السلام سمع كذا من غير واسطة بدليل قوله تعالى فاستجب لما يوحى وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم سمع ايضا لقوله تعالى فأتوا وحى الى عبده ما لو وحى ( البحث الخامس ) ان الملائكة يقدرون على ان يطلعوا انفسهم على اشكال مخافة تفتقد على ان يراد الرسول صلى الله عليه وسلم في كل مرة وجب ان يحتاج الى اسيرة ليخبر ان هذا الذي رآه في هذه المرة عين ما رآه في المرة الاولى وان كان لا يرى شخصه كانت الحاجة الى المعجزة اقوى لاحتمال انه حصل الاشتداد في الصوت الا ان الاستكمال في انما المجتاه اظهر المعجزة في كل مرة لم يقل به احد ( المسئلة السادسة ) دلت المناظرات المذكورة في القرآن بين الله تعالى وبين ابليس على انه تعالى كان يتكلم مع ابليس من غير واسطة فلذلك هل يسمى وحيا من الله تعالى الى ابليس ام لا الاظهر منه ولا بد في هذا الموضع من بحث غامض كامل ( المسئلة الثامنة ) قرأتنا في او يرسل رسولا برف الام في وحى بسكون الياء ومحله رفع على تقدير اوحى يرسل في وحى والباقيون بالنسبة الى ايريل المصدر كما قيل ما كان ابليس ان يتكلم الله الارحيا او امتعاء لكرامه من در حجاب او يرسل لكن فيه اشكال لان قوله وحيا او سميا اسم يراد ايرسل ايرسل

(سورة الزخرف مكية وقيل)  
(الافوله واسأل من ارسانا)  
(وايها تسع وعنون)

(سم الله الرحمن الرحيم)

(ح) السلام فيه كادى مرقى  
فاتحة سورة يس حلال الطاهر  
على تقدير اسمية كونه اسم القرآن  
للا سورة كاتيل فان ذلك محل  
بحر الله الحليم الكريم (واك ا)  
الجر على انه مقسم به اما اناء  
او عطا على حى على تقدير كونه  
محرورا باضمار ما اقدم على ان  
هو العطف المعاره في العنوان  
ومناط تكرير التسمى بالمباعدة في  
أكد مشهور الجلية القيمة  
(المبين) اى الذين امنوا عليهم  
اكونه داتهم وعلى اسمهم او  
المبين لطريق الهدى من طريق  
الاضلال الموضح لكل ما يحتاج  
اله في ابواب البداية (انا جعنا  
فرا ما عربيا) حراب لانهم اكن  
لاعلى ان مرشح التأكد حمله  
كذلك كاتيل بل ما هو غاية الاتي  
يعرب عنها قوله تعالى (اعلمكم  
تقولون) فافهموا المتاح الى

وعطف انفعلى على الاسم قبيح فأحبيب عنه بان التقدير وما كان لبشر ان يكلمه الا ان  
يوحى اليه وحيا او يسمع اسما مما من وراء حجاب او يرسل رسولا (المسئلة التاسعة) الصحيح  
عند اهل الحق ان عندما يبلغ الملك الوحي الى الرسول لا يقدر الشيطان على انقاء الباطل  
فى انشاء ذلك الوحي وقال بعضهم يجوز ذلك لقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول  
ولا نرى الا اذا تمنى الى الشيطان فى امنيته وقالوا الشيطان الذى فى اساء سورة النجم تلك  
اغرائيق العلى منها الشفاعة ترتجى وكان صديقنا الملك سام بن محمد رحمه الله وكان  
افضل من لقيته من ارباب السلطنة يقول هذا الكلام بعد الدلائل القوية القاهرة بما مل  
من وجهين آخرين (الاول) ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من رأتى فى المنام فقد رأتى  
فان الشيطان لا يتنزل بصورنى فاذا لم يقدر الشيطان على ان يتنزل فى المنام بصورة الرسول  
فكيف قدر على التشبه بجبريل حال اشتغال تبليغ وحى الله تعالى (والثانى) ان النبى  
صلى الله عليه وسلم قال ما سلك عرجا الا وسلك الشيطان فجاء آخر فاذا لم يقدر الشيطان  
ان يحضر مع عمر فى فح واحد فكيف يقدر على ان يحضر مع جبريل فى موقف تبليغ وحى  
الله تعالى (المسئلة العاشرة) قوله تعالى فيوحى بادنه ما يشاء يعنى فى وحى ذلك الملك بادر  
الله ما يشاء الله وهذا يقتضى ان الحسن لا يحسن لوجه عائد عليه وان القبيح لا يقبح لوجه  
عائد اليه بل لله ان يأمر بما يشاء من غير تخصيص وان ينهى عما يشاء من غير تخصيص  
اذ لو لم يكن الامر كذلك لما صح قوله ما يشاء والله اعلم قال تعالى فى آخر الآية انه على  
حكيم يعنى انه على عن صفات المخلوقين حكيم يجرى افعاله على موجب الحكمة فيتكلم  
تارة بغير واسطة على سبيل الالهام وأخرى باسماع الكلام وبالا بتوسيط الملائكة  
الكرام ولما بين الله تعالى كيفية اقسام الوحي الى الانبياء عليهم السلام قال وكذلك  
او حينا اليك روحا من امرنا والمراد به القرآن وسماه روحا لانه يفيد الحياة من موت  
الجهل او الكفر سم قال تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان واختاف العلماء فى  
هذه الآية مع الاجماع على انه لا يجوز ان يقال الرسل كانوا قبل الوحي على الكفر وذكروا  
فى الجواب وجوها (الاول) ما كنت تدري ما الكتاب أى القرآن ولا الايمان أى الصلاة  
لقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم (الثانى) ان يحمل هذا على  
حذف المضاف أى ما كنت تدري ما الكتاب ومن اهل الايمان يعنى من الذى يؤمن ومن  
الذى لا يؤمن (الثالث) ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان حين كنت طفلا فى المهد  
(الرابع) الايمان عبارة عن الاقرار بجميع ما كاف الله تعالى به وانه قبل النبوة ما كان  
عارفا بجميع تكاليف الله تعالى بل انه كان عارفا بالله تعالى وذلك لا ينشأ فى ما ذكرناه  
(الخامس) صفات الله تعالى على قسمين منها ما يمكن معرفته بمحض دلائل العقل ومنها  
ما لا يمكن معرفته الا بالدلائل السمعية فهذا القسم الثانى لم تكن معرفته حاصلة قبل  
النبوة ثم قال تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا واختلفوا فى الضمير

التحقيق والتأكيد لكونها منبهة  
عن الاعتناء بأسرهم واتمسك  
النعمة عليهم وازاحة اعذارهم  
اى حملنا ذلك الكتاب قرآنا  
عربيا لى تفهموه وتحيطوا بما  
فيه من النظم الرائق والمعنى  
الفائق وتقفوا على ما تضمنه من  
الشواهد الناطقة بخروجه عن  
طوق البشر وتعرفوا حق النعمة  
فى ذلك وتقطع اعداركم بالكليد  
(وانه فى ام الكتاب) اى فى اللوح  
الحفوظ فانه اصل الكتب  
السموية وقرئ ام الكتاب  
بالكسر (لدينا) اى عندما (لعل)  
رفع القدر بين الكتب شريف  
(حكيم) ذو حكمة بالغة او محكم  
وهما خبران لان وما بينهما بيان  
لحل الحكم كما انه قيل بعد بيان  
اتصافه بما ذكر من الوصفين  
الحليين هذا فى ام الكتاب ولدينا  
والجسلة اما عطف على الجملة  
المقسم عليها داخلة فى حكمها  
ففى الاقسام بالقرآن على علو  
قدره عنده تعالى براعة دائمة  
وايدان نأته من علو الشأن بحيث

في قوله ولكن جعلناه منهم من قال انه راجع الى القرآن دون الايمان لانه هو الذى يعرف به الاحكام فلا جرم شبه بالنور الذى يهتدى به ومنهم من قال انه راجع اليهما معا وحسن ذلك لان معناه ما واحدك قوله تعالى واذا رآوا تجارة او لهوا انفضوا اليها ثم قال نهدي به من نشاء من عبادنا وهذا يدل على انه تعالى بعد ان جعل القرآن في نفسه هدى كما قال نهدي للمتقين فانه قد يهتدى به البعض دون البعض وهذه الهداية ليست عبارة عن الدعوة وابطاح الادلة لانه تعالى قال في صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانك لتهدى الى صراط مستقيم وهو يفيد العموم بالنسبة الى الكل وقوله نهدي به من نشاء من عبادنا يفيد الخصوص فبنت ان الهداية بمعنى الدعوة عامة والهداية في قوله نهدي به من نشاء من عبادنا خاصة والهداية الخاصة غير الهداية العامة فوجب ان يكون المراد من قوله نهدي به من نشاء من عبادنا امرا مغايرا لظاهر الدلائل ولازالة الاعذار ولا يجوز ايضا ان يكون عبارة عن الهداية الى طريق الجنة لانه تعالى قال ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا اى جعلنا القرآن نورا نهدي به من نشاء وهذا لا يليق بالهداية التى تحصل في الدنيا وايضا فالهداية الى الجنة عندكم في حق البعض واجب وفي حق الآخرين محذور وعلى التقديرين فلا يلقى لقوله من نشاء من عبادنا فائدة فبنت ان المراد انه تعالى يهتدى من يشاء ويضل من يشاء ولا اعتراض عليه فيه ثم قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وانك لتهدى الى صراط مستقيم فين تعالى انه كان القرآن يهتدى فكذلك الرسول يهتدى وبين انه يهتدى الى صراط مستقيم وبين ان ذلك الصراط هو صراط الله الذى له ما في السموات وما في الارض نبه بذلك على ان الذى تجوز عبادته هو الذى يملك السموات والارض والغرض منه ابطال قول من يعبد غير الله ثم قال الا الى الله تصير الامور وذلك كالوعيد والزجر فين ان امر من لا يقبل هذه التكاليف يرجع الى الله تعالى اى الى حيث لاحاكم سواء فيجازى كلاهم بما يستحقه من بواب او عقاب (قال رضى الله عنه) تم تفسير هذه السورة آخر يوم الجمعة الثامن من شهر ذى الحجة سنة ثلاث وستمائة \* يامدبر الامور و يامدهر الدهور وبامعطى كل خير وسرور و يادافع البلايا والنسور او صلوا الى منازل النور في ظلمات القور بفضلك ورحمتك يا ارحم الراحمين

(سورة الزخرف وهى تسع وعمانون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم والكتاب المس انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه في أم الكتاب لدينا لعلى حم امضرب عسكم الذكر صحفا ان كنتم قوما مسرفين وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتهم من نبي الا كانوا به يستهزئون فأهلكنا اشدهم بطشا ومضى مل الاولين) اعلم ان قوله حم والكتاب المبين يحتمل وجهين (الاول) ان يكون التقدير هذه حم والكتاب

لا يحتاج في بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام لغيره بل هو بذاته كاف في الشهادة على ذلك من حيث الاقسام به كما انه كاف فيها من حيث ايجازه ورمزه الى انه لا يخطر بالبال عند ذكره شئ آخر اولى منه بالاقسام به واما مستأنفة مقررة لعلو شأنه الذى انبأ عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض في قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وبعد ما بين علو شأن القرآن العظيم وحقق ان اراله على لعنهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك بانكار ان يكون الامر بخلافه قليل (امضرب عسكم الذكر) اى نضيه ونبعده عنكم حماز من قولهم ضرب العرائب عن الحوض وفيه اشعار باقتضاء الحكمة توحه الذكر اليهم وملازمة لهم كما انه يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام اى امملاكم فتنهى الذكر عنكم (صفحا) اى اعراضا عنكم على انه معمول له المذكور او مصدر

المبين فيكون القسم واقعا على ان هذه السورة هي سورة حم ويكون قوله انا جعلناه قرآنا عربيا ابتداء للكلام آخر (والثاني) ان يكون التقدير هذه حم نعم قال والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا فيكون القسم عليه هو قوله انا جعلناه قرآنا عربيا وفي المراد بالكتاب قولان (احدهما) ان المراد به القرآن وعلى هذا التقدير فقد أقسم بالقرآن انه جعله عربيا (الثاني) ان المراد بالكتاب الكتابة والخط أقسم بالكتابة لكثرة ما فيها من المنافع فان العلوم انما تكاملت بسبب الخط فان المتقدم اذا استنبط علما وابته في كتاب وجاء المتأخر ووقف عليه امكنه ان يزيد في استنباط الفوائد فهذا الطريق تكاثرت الفوائد انتهت الى الغايات العظيمة وفي وصف الكتاب بكونه مينا وجوه (الاول) انه المبين للذين انزل اليهم لانه بلغتهم ولسانهم (والثاني) المبين هو الذي ابان طريق الهدى من طريق الضلالة وابان كل باب عما سواه وجعلها مفصلة لمختصة واعلم ان وصفه بكونه مينا مجاز لان المبين هو الله تعالى وسمى القرآن بذلك توسعا من حيث انه حصل البيان عنده اما قوله انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ففيه مسائل (المسئلة الاولى) القائلون بحدوث القرآن احتجوا بهذه الآية من وجوه (الاول) ان الآية تدل على ان القرآن مجعول والمجعول هو المصنوع الخلق فان قالوا لم لا يجوز ان يكون المراد انه سماه عربيا قلنا هذه مدفوع من وجهين (الاول) انه لو كان المراد بالجعل هذا لوجب ان من سماه عجميا ان يصير عجميا وان كان بلغة العرب ومعلوم انه باطل (الثاني) انه لو صرف الجعل الى التسمية لزم كون التسمية مجعولة والتسمية ايضا كلام الله وذلك يوجب انه فعل بعض كلامه واذا صح ذلك في البعض صح في الكل (الثاني) انه وصفه بكونه قرآنا وهو انما يسمى قرآنا لانه جعل بعضه مقرونا ببعض وما كان كذلك كان مصنوعا معمولا (الثالث) انه وصفه بكونه عربيا وهو انما كان عربيا لان هذه الالفاظ انما اخذت بمسمياتها بوضع العرب واصطلاحاتهم وذلك يدل على كونه معمولا ومجعولا (الرابع) ان القسم بغير الله لا يجوز على ما هو معلوم فكان التقدير حم ورب الكتاب المبين وتؤكد هذا ايضا بما روي انه عليه السلام كان يقول يارب طه ويس يارب القرآن العظيم (والجواب) ان هذا الذي ذكرتموه في حق ذلك لانكم انما استدلتتم بهذه الوجوه على كون هذه الحروف المتوالية والكلمات المتعاقبة محدثة مخلوقة وذلك معلوم بالضرورة ومن الذي ينازعكم فيه بل كان كلامكم يرجع حاصله الى اقامة الدليل على ما عرف نبوته بالضرورة (المسئلة الثانية) كلمة لعل لتعني والترجي وهو لا يليق بمن كان عالما بعواقب الامور فكان المراد منها همما كي اى انزلناه قرآنا عربيا لكي تعقلوا معناه وتحيطوا بفحواه قالت المعتزلة فصار حاصل الكلام انا انزلناه قرآنا عربيا لاجل ان تحيطوا بمعناه وهذا يفيد امرين (احدهما) ان افعال الله تعالى معللة بالاعراض والدواعي (والثاني) انه تعالى انما انزل القرآن ليهتدى به الناس وذلك يدل على انه تعالى اراد من الكل

مؤكد لما دل هو عليه فان التسمية منبهة عن الصبح والاعراض فطعا كما انه قيل ان تصفح عنكم صفحا او بمعنى الجاب بين تصب على الطريقة اى افصح عنكم جانبيا (ان كنتم قوما مفسدين) اى لان كنتم منهمكين في الاسراف مصرين عليه على معنى ان حالكم وان اقتضى تخليتكم وشأنكم حتى تمتدوا على الكفر والضلالة وتبقوا في العذاب الخالد لكننا لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين واتزال الكتاب المبين وقرئ ان بالكر على ان الجمله شرطية مخرجة للحق مخرج المشكوك لاستصحابهم والجزاء محذوف نفع بدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى (وكنتم ارضا من نبي في الاوابين وما يأتينهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن) تفرير لما قبله ببيان ان اسراف الامم السالفة لم يمنعهم تعالى من ارسال الانبياء اليهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه

الهداية والمعرفة خلاف قول من يقول انه تعالى أراد من البعض الكفر والاعراض  
واعلم ان هذا النوع من استدلالات المعتزلة مشهور واجوبتنا عنه مشهورة فلا فائدة  
في الاعادة والله اعلم ( المسئلة الثالثة ) قوله لعلمكم تعقلون يدل على ان القرآن معلوم  
وليس فيه شيء مبهم مجهول خلافا لمن يقول القرآن بهضه معلوم وبعضه مجهول ثم قال  
تعالى وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قرأ حجة  
والكسائي ام الكتاب بكسر الالف والباقون بالضم ( المسئلة الثانية ) الضمير في قوله وانه  
عائد الى الكتاب الذي تقدم ذكره في ام الكتاب لدينا واختلفوا في المراد بام الكتاب  
على قولين ( فالقول الاول ) انه اللوح المحفوظ لقوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ واعلم  
ان على هذا التقدير فالصفات المذكورة ههنا كلها صفات اللوح المحفوظ ( فالصفة  
الاولى ) انه ام الكتاب والسبب فيه ان اصل كل شيء امد والقرآن منبت عند الله في اللوح  
المحفوظ ثم نقل الى سماء الدنيا ثم ازل حالا بعد حال بحسب المصلحة عن ابن عباس رضي  
الله عنه ان اول ما خلق الله القلم نأمره ان يكتب ما يريد ان يخلق فالتكتاب عنده فان  
قيل وما الحكمة في خلق هذا اللوح المحفوظ مع انه تعالى علام الغيوب ويستعمل عليه  
السهو والنسيان قلنا انه تعالى لما ثبت في ذلك احكام حوادث المخاوقات ثم ان الملائكة  
يشاهدون ان جميع الحوادث انما تحدث على موافقة ذلك المكتوب استدلوا بذلك  
على كمال حكمة الله وعلمه ( الصفة البانية ) من صفات اللوح المحفوظ قوله لدينا هكذا  
ذكره ابن عباس وانما خصه الله تعالى بهذا التبريز لكونه كتابا جامعا لاهوال جميع  
المحدثات فكأنه الكتاب المشتمل على جميع ما يقع في ملك الله وملاكوته فلا جرم حصل له  
هذا التبريز قال الواحدى ويحتمل ان يكون هذا صفة القرآن والتقدير وانه لدينا  
في ام الكتاب ( الصفة الثالثة ) كونه عليا والمعنى كونه عاليا عن وجوه الفساد والبطلان  
وقبل المراد كونه عاليا على جميع الكتب بسبب كونه مجزا باقيا على وجه الدهر ( الصفة  
الرابعة ) كونه حكما اى محكما في ابواب البلاغة والفصاحة وقيل حكيم اى ذو حكمة  
بالغة وقيل ان هذه الصفات كلها صفات القرآن على ما ذكرناه ( والقول الثانى ) في تفسير  
ام الكتاب انه الآيات المحكمة لقوله تعالى هو الذى ازل عليك الكتاب منه آيات محكمات  
هن ام الكتاب وبعده ان سورة حم وائنة في الآيات المحكمة التى هى الاصل والاء  
ثم قال تعالى أفضررب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين وفيه مسائل ( المسئلة  
الاولى ) قرأ نافع وحجرة والكسائي ان كنتم بكسر الالف تقديره ان كنتم مسرفين  
لانضرب عنكم الذكر صفحا وقيل ان بمعنى اذ كقوله تعالى وذروا ما بقى من الربان كنتم  
مؤمنين وبالجملة فالجاء مقدم على التمرط والباقون بفتح الالاب على التعليل اى لان  
كنتم مسرفين ( المسئلة البانية ) قال الفراء والزجاج يقال ضربت عنه واضربت عنه اى  
تركته واستكت عنه وقوله صفحا اى اعراضا والاصل فيه انك توليت بصفحة عنقت

وسلم عن استهزاء قوم به وقوله  
تعالى ( فأهلكنا اشد منهم بطشا )  
اى من هؤلاء القوم المسرفين عدة  
له عليه الصلاة والسلام ووعد لهم  
بمثل ما جرى على الاولين ووصفهم  
بشدية البطش لآيات حكمهم  
لهؤلاء بطريق الاولوية ( ومضى  
مثل الاولين ) سلف في القرآن  
غير مرة ذكر قصتهم التى حقها ان  
تسير مسير المثل ( ولئن سألتهم من  
خلق السموات والارض ليقولن  
خلقهن العزيز العليم ) اى  
ليستدن خلقها الى من هذا شأنه  
في الحقيقة وفى نفس الامر لانهم  
يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك  
هذه لطريقة للاشعار بأن تصافه  
تعالى بما سدر من جلائل الصفات  
والافعال وبما يستلزمه ذلك من  
البعث والحراء اسر بين لاريب  
فيه وان المحجة فاعمة عليهم شأوا  
أبوا وقد حوز ان يكون ذلك عين  
عبارتهم وقوله تعالى ( الذى جعل  
لكم الارض مهادا ) استثنائى  
من جهته تعالى اى بسطها لكم  
تستقرون فيها ( وجعل لكم فيها

وعلى هذا فقلوه أفنضرب عنكم الذكراً صفحا تقديره أفنضرب عنكم اضربا او تقديره  
أفنصف عنكم صفحا واختلفوا في معنى الذكر فقيل معناه أفنزد عنكم ذكر عذاب الله  
وقيل أفنزد عنكم النصائح والمواظ وقيل أفنزد عنكم القرآن وهذا استفهام على سبيل  
الانكار يعني انا لا نترك هذا الاعذار والانذار بسبب كونكم مسرفين قال قتادة لو ان  
هذا القرآن رفع حين رده اوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله برحمته كرره عليهم ودعاهم  
اليه عشرين سنة اذا عرفت هذا فقول هذا الكلام يحتمل وجهين (الاول) الرحمة  
يعني انا لا نترككم مع سوء اختياركم بل نذكركم ونعظكم الى ان ترجعوا الى الطريق  
الحق (الثاني) المبالغة في التغليظ يعني أنظفون ان تتركوا مع ما تريدون كلا بل نلزمكم  
العمل وندعوكم الى الدين وفؤاخذكم متى اخلتكم بالواجب واقدمتم على القبيح (المسئلة  
الثالثة) قال صاحب الكشاف الفاء في قوله أفنضرب لامطف على محذوف تقديره  
انهلكم فنضرب عنكم الذكراً كما قال تعالى وكما رسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم  
من نبي الا كانوا به يستهزئون والمعنى ان عادة الامم مع الانبياء الذين يدعونهم الى الدين  
الحق هو التكذيب والاستهزاء فلا ينبغي ان تأذى من قومك بسبب اقدامهم على التكذيب  
والاستهزاء لان المصيبة اذا عمت خفت كما قال تعالى فأهلكنا اشد منهم بطشا يعني  
ان اولئك المتقدمين الذين ارسل الله اليهم الرسل كانوا اشد بطشا من قريش يعني  
اكثر عددا وجلدا كما قال ومضى مثل الاولين والمعنى ان كفار مكة سلخوا في الكفر  
والتكذيب مسلك من كان قبلهم فيحذروا ان ينزل بهم من الخزي مثل ما نزل بهم فقد  
ضربناهم مثلهم كما قال وكلا ضربنا له الامثال وكقوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا  
انفسهم الى قوله وضربناكم الامثال والله اعلم \* قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق  
لسموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا وجعل  
لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون) والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشربناه بلدة ميتا كذلك  
نخرجون والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا  
على ظهوره ثم تذكروا نعمته ربهم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا  
وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمقلون) اعلم انه قد تقدم ذكر المسرفين وهم المشركون  
وقد تقدم ايضا ذكر الانبياء فقلوه ولئن سألتهم يحتمل ان يرجع الى الانبياء ويحتمل ان يرجع  
الى الكفار لان الاقرب رجوعه الى الكفار فين تعالى انهم مقررون بان خالق السموات  
والارض وما بينهما هو الله العزيز الحكيم والمقصود انهم مع كونهم مقررين بهذا المعنى  
يعدون معه غيره ويذكرون قدرته على اللعب وقد تقدم الاخبار عنهم مما نزلت على ابدا  
دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال الذي جعل لكم الارض مهدا ولو كان هذا من جملة  
كلام الكفار لوجب ان يقول الذي جعل لنا الارض مهدا لان قوله في انشاء الكلام

(سبلا) تسلكوها في اسفاركم  
(لعلكم تهتدون) اي لكي  
تهتدوا تسلكوها الى مقاصدكم  
او التفكير فيها الى التوحيد الذي  
هو المقصد الاصيل (والذي نزل  
من السماء ماء بقدر) بمقدار  
تضمينه مسيئته المبينة على الحكم  
والمصالح (فأنشربناه) اي احينا  
بذلك الماء بلدة ميتا خاليا عن  
الانماء والنبات بالكلية وقرئ ميتا  
بالشديد وتذكيره لان البلدة في  
معنى البلد والمكان والالفاظ  
الى نون العظمة لظهور كمال  
العامة بأمر الاحياء والانشاء  
لعمى حطوره (كذلك) اي مثل  
ذلك لحياء الذي هو في الحقيقة  
اخراج النبات من الارض  
(نخرجون) اي تبعثون من  
قبوركم احياء وفي التعبير عن  
اخراج النبات بالاشارة الى  
هو احياء الموتى وعن احيائهم  
بالاخراج فيحتمل لسأ الالباب  
وتهويل لا أمر البعب لتقوم  
سبب الاستدلال وتوضيح مهاج  
القياس (والذي خلق الازواج  
كلها) اي

فأنسرننا به بلدة ميتا لا يلبق الا بكلام الله ونظيره من كلام الناس ان يسمع الرجل رجلا يقول الذي بنى هذا المسجد فلان العالم فيقول السامع لهذا الكلام الراهد الكريم كان ذلك السامع يقول انا اعرفه بصفات جيدة فوق ما تعرفه فازيد في وصفه فيكون العنان جميعا من رجلين لرجل واحد اذا عرفت كيفية النظم في الآية فقول انها تدل على انواع من صفات الله تعالى (الصفة الاولى) كونه خالقا للسموات والارض والمتكلمون به وان اول العلم بالله العلم بكونه محمدا للعالم فاعلا له فلهذا السبب وقع الابتداء بذكر كونه خالقا وهذا انما يتم اذا فسرنا الخلق بالاحداث والابداع (الصفة الثانية) العزيز وهو الغالب وما لاجله يحصل المكنة من الغلبة هو القدرة فكان العزيز اشارة الى كمال القدرة (الصفة الثالثة) العليم وهو اشارة الى كمال العلم واعلم ان كمال العلم والقدرة اذا حصل كان الموصوف به قادرا على خلق جميع الممكنات فلهذا المعنى اثبت تعالى كونه موصوفا بهاتين الصفتين ثم فرغ عاياه سائر التفاصيل (الصفة الرابعة) قوله الذي جعل لكم الارض مهدا وقدرنا في هذا الكتاب ان كون الارض مهدا انما حصل لاجل كونها واقفة ساكنة ولاجل كونها موصوفة بصفات مخصوصة باعتبارها يمكن الانتفاع بها في الزراعة وبناء الابنية وفي كونها ساترة لعبوب الاحياء والاموات ولما كان المهد موضع الراحة للصبي جعل الارض مهدا لكثرة ما فيها من الراحة (الصفة الخامسة) قوله وجعل لكم فيها سبلا والمقصود ان انتفاع الناس انما يكمل اذا قدر كل احد ان يذهب من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم ولولا ان الله تعالى هيا تلك السبل ووضع عليها علامات مخصوصة والا لما حصل هذا الانتفاع ثم قال تعالى لعلكم تهتدون يعني المقصود من وضع السبل ان يحصل لكم المكنة من الاهتداء والسبيل الثاني المعنى لتهدوا الى الحق في الدين (الصفة السادسة) قوله تعالى والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنسرننا به بلدة ميتا وهما مباحث (احدها) ان ظاهر هذه الآية يقتضى ان الماء ينزل من السماء فهل الامر كذلك او يقال انه ينزل من السحاب وسمى نارلا من السماء لان كل ما سماك فهو سماء وهذا البحث قد مر ذكره بالاستقصاء (وثانيها) قوله بقدر اي انما ينزل من السماء بقدر ما يحتاج اليه اهل تلك البقعة من غير زيادة ولا نقصان لا كما نزل على قوم نوح بغير قدر حتى اغرقهم بل بقدر حتى يكون معاشا لهم ولا نعماءكم (وثالثها) قوله فأنسرننا به بلدة ميتا اي خالية من النبات فاحييناها وهو الانشار ثم قال كذلك تخرجون يعني ان هذا الدليل كما يدل على قدرة الله وحكمته فكذلك يدل على ربه على البعث والقيامة ووجه التشبيه انه يجعلهم احياء بعد الامانة كهذه الارض التي انسرت بعدما كانت ميتة وقال بعضهم بل وجه التشبيه ان يعيدهم ويخرجهم من الارض بماء كما نبتت الارض بماء المطر وهذا الوجه ضعيف لانه ليس في ظاهر اللفظ الابيات الامادة فقط دون هذه الزيادة (الصفة السابعة) قوله تعالى والذي

اصناف المحلوفات وعن ابن عباس رضي الله عنهما الا زواج الضروب والايوان كالخيل والحمض والايض والا سود والذكر والانثى وقيل كل ما سوى الله تعالى فهو روح كالقوى والتحت وليمين واليسار الى غير ذلك (وحمل لكم من الطلح والايام ما تركبون) اي ما تركبونه تعلبا للاعام على انكاف فان الركوب متعدده واستعمله في الطلح ونحوها بكلمة في الرمر الى مكانيتها وكون حركتها غير ارادة كما في سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها لتسوا وعلى ظهوره) اي لاستعوا على ظهور ما تركبونه من الطلح والايام والجميع باعتبار المعنى (ثم تدكروا بصدركم اذا استويتم عاليا) اي تدكروها بقلوبكم معتبرين بهامستعظمي لهما ثم تحمدوا عليها بالثناءكم (وتسولوا سجناء الذي سخر لنا هذا) متعجبين من ذلك كما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه



خلق الأزواج كلها قال ابن عباس الأزواج الضروب والانواع كالحلو والحامض  
والابيض والاسود والذكر والانثى وقال بعض الحنابلة كل ماسوى الله فهو زوج  
كالفوق والتحت واليمين واليسار والقدم والقدم والخلف والماضي والمستقبل والذوات والصفات  
والصيف والشتاء والربيع والخريف وكونها أزواج يدل على كونها بمكة الوحد في  
ذواتها محدثة مسوقة بالعدم فلما خلق سبحانه فهو الفرد المنزه عن الضد والدم والمقابل  
والمعا ضد فلماذا قال سبحانه والذي خلق الأزواج كلها أي كل ماعوز زوج فهو مخلوق فدل  
هذا على أن خلقها فرد مطلق منزوع عن الزوجية وأقول أيضا العلماء يعلم الحساب بانوان  
الفرد افضل من الزوج من وجوه (الاول) أن أقل الأزواج هو الانسان وهو لا يوجد  
الا عند حصول وحدتين فالزوج يحتاج الى الفرد والفرد هو الوحدة غنية عن الزوج  
والعنى افضل من المحتاج (الثاني) أن الزوج يقبل القسمة بقسمين متساويين والفرد هو  
الذي لا يقبل القسمة وقول القسمة انفعال وتأرو عدم قبولها قوة وشدة ومقاومة فكان  
الفرد افضل من الزوج (الثالث) أن العدد الفرد لا بد وان يكون احده قسمة زوجا والثاني  
فردا فالعدد الفرد حصل فيه الزوج والفرد معا واما العدد الزوج فلا بد وان يكون كل  
واحد من قسميه زوجا والمشتغل على القسمين افضل من الذي لا يكون كذلك (الرابع) أن  
الزوجية عبارة عن كون كل واحد من قسميه معادلا لقسم الآخر في الذات والصفات  
والمقدار واذا كان كل ما حصل له من الكمال فله حاصل لغيره لم يكن هو كاملا على الاطلاق  
اما الفرد فالفردية كاشنة له خاصة لا لغيره وللمثله فكان كماله حاصله لا لغيره فكان افضل  
(الخامس) أن الزوج لا بد وان يكون كل واحد من قسميه مشاركا للقسم الآخر في بعض  
الامور ومغايرا له في امور اخرى ومابه المشاركة غير مابه المخالفة فكل زوجين فهما بمكان  
الوجود لذاتيهما وكل ممكن فهو محتاج فثبت أن الزوجية منشأ الفقر والحاجة واما  
الفردانية فهي منشأ الاستغناء والاستقلال لان العدد محتاج الى كل واحد من تلك  
الوحدات واما كل واحد من تلك الوحدات فانه غنى عن ذلك العدد فثبت أن الأزواج  
ممكسات ومحدنات ومخلوقات وان الفرد هو القائم بذاته المستقل بنفسه الغنى عن كل  
ماسواه فلماذا قال سبحانه والذي خلق الأزواج كلها (الصنعة الثامنة) قوله وجعل لكم  
من الفلك والانعام ما تركبون وذلك لان السفر اما سفر البحر او سفر البر اما سفر البحر  
فالخامل هو السفينة واما سفر البر فالخامل هو الانعام وههنا سؤال (الاول) لم لم يتل  
على ظهورها اجابوا عنه من وجوه (الاول) قال ابو عبيدة التذكير لتمامه ما والتقدير  
ما تركبوه (الثاني) قال الفراء اضاف الظهور الى واحد فيه معنى الجمع بمنزلة الجيش  
والجند ولذلك ذكر وجع الظهور (الثالث) ان هذا التأنيث ليس تأنيثا حقيقيا فجازان  
يختلف اللفظ فيه كما يقال عندي من النساء من يوافقك (السؤال الثاني) يقال ركوا  
الانعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجلسين فكيف قال تركبون (والجواب) غلب

كان اذا وضع رجله في الركاب  
قال سم الله فادا استوى على  
الدابة هل الحمد لله على كل حال  
سبحان لذي - فخر لنا هذا الى  
قوله تعالى انتلبون وكبره لا  
وهل بلا (وما كداه مقربين)  
اي مطفين من اقرن النسي  
اذا اطاقه واصله وجده قريبته  
لان الصعب لا يكون قرينة  
للضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى  
واحد وهذا من تمام ذكر نعمته  
تعالى اذ بدون اعتراف النعم  
عليه بالعجز عن تحصيل النعمة  
لا يعرف قدرها ولا حق النعم  
بها (وانا الى ربنا لنقلبون)  
اي راحمون وفيه ايدان بأن  
حق الركاب ان يتأمل فيما يلاسه  
من المسير ويتذكر منه المسافرة  
العظمى التي هي الاقلاب الى  
الله تعالى فبلى اموره في مسيره  
دائم على تلك الملاحظة ولا يخطر  
بباله فشيء مما يأتي ويذرا سرا  
يأمرها ومن ضرورتها ان يكون  
ركوبه لا ممر مشروع

( وجعلوا له من عباده حراً )  
 مصل بقوله تعالى ولئن سألتهم لبح  
 اى وقد جعلوا له سبحانه بالستهم  
 واعقادهم بعد ذلك الاعتراف من  
 عباده ولدا وانما عبر عنه بالحز  
 لمريد استعماله في حق الواحد  
 الحق من جميع الجهات وقرئ  
 حزن اثنين (ان الانسان لكفور  
 ميين) طاهر الكفران مبالغ فيه  
 ولذلك يقولون ما يقولون سبحان  
 الله عما يصفون (ام اتخذ مما خلق  
 بنات) من قطعة وما فهم من معنى  
 بل للانتقال من بيان بطلان  
 جعلهم له تعالى ولدا على الاطلاق  
 الى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد  
 من اخس صفيه والهمزة لانكار  
 والتوبيخ والتعجب من شأنهم  
 وقوله تعالى (واصفاكم بالبينين)  
 اما عطف على اتخذ داخل في حكم  
 الانكار والسجيب احوال من  
 عمله باختياره - او يدونه على  
 الخلافا المشهور والاتفات الى  
 حطاهم ما كيدا للزام وشديد  
 التوبيخ اى بل اتخذ من خلقه  
 اخس الصنفين واختار لكم  
 افضلهما على معنى هبوا انكم  
 احراثم على اضافة اتخاذ حسن  
 الولد اليه سبحانه مع ظهور  
 استحالة وامتناعه اما كان لكم  
 شئ من العقل ونبذ من الحياء حتى  
 اجراثم على التفوه بالعظمة الحارقة  
 للعقول من ادعاء انه تعالى آثركم على  
 نفسه بخير الصنفين واعلاهما  
 وتركه شرهما اراداهما وتكبر  
 بنات وامريب

المتعدى بغير واسطة لقوته على المتعدى بواسطة سم قال تعالى ثم تذكروا نعمة ربكم  
 اذا استويتم عليه ومعنى ذكر نعمة الله ان يذكرها في قلوبهم وذلك الذكروه ان يعرف  
 ان الله تعالى خلق وجه البحر وخلق الرياح وخلق جرم السفينة على وجه يتمكن الانسان  
 من تصريف هذه السفينة الى اى جانب شاء وادفاد ان تذكروا ان خلق البحر وخلق الرياح  
 وخلق السفينة على هذه الوجوه القابلة لتصرفات الانسان ولتحريكاته ليس من ذلك  
 الانسان وانما هو من تدبير الحكيم العليم القدير عرف ان ذلك نعمة عظيمة من الله تعالى  
 فيحمله ذلك على الانقياد والطاعة له تعالى وعلى الاشتغال بالشكر لنعمة التي لانهاية لها ثم  
 قال تعالى وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كماله مقرنين واعلم انه تعالى عين ذكر  
 معينا لركوب السفينة وهو قوله بسم الله مجراها ومرساها وذكر آخر لركوب الانعام  
 وهو قوله سبحان الذى سخر لنا هذا وذكر عند دخول المنازل ذكر آخر وهو قوله رب  
 انزلى منزلا مباركا وانت خير المنزلين وتحقيق القول فيه ان الدابة التي ركبها الانسان  
 لابد وان تكون اكثر قوة من الانسان بكثير وليس لها عقل يهديها الى طاعة الانسان  
 ولكنه سبحانه خلق تلك البهيمة على وجوه مخصوصة في خلقها الظاهر وفي خفيها الباطن  
 يحصل منها هذا الانتفاع اما خلقها الظاهر فلائها تمشى على اربع قوائم فكان ظاهرها  
 كالوضع الذى يحسن استقرار الانسان عليه واما خلقها الباطن فلائها مع قوتها  
 الشديدة قد خلقها الله سبحانه بحيث تصير منقادة للانسان ومسخرة له فذا تأمل الانسان  
 في هذه العجائب وغاص بعقله في بحار هذه الاسرار عظم تعجبه من تلك القدرة لقاهرة  
 والحكمة الغير المتناهية فلا بد وان يقول سبحان الذى سخر لنا هذا وما كماله مقرنين قال ابو  
 عبيدة فلان مقرر فلان اى ضابط له قال الواحدى وكان اشتقاقه من قولك ضرب له قرنا  
 ومعنى انا قرن فلان اى مثله في الشدة فكان المعنى انه ليس عندنا من القوة والطاقات ان  
 نقرن هذه الدابة والفلك وان نضبطها فسبحان من سخرها لنا بعلمه وحكمته وبكل قدرته  
 روى صاحب الكشف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب  
 قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا  
 الى قوله لمقبلين وروى القاضى في تفسيره عن ابى محمد ان الحسن بن على عليهما السلام  
 رأى رجلا ركب دابة فقال سبحان الذى سخر لنا هذا فقال له ما بهذا امرت امرت ان  
 تقول الحمد لله الذى هدانا لاسلام الحمد لله الذى من علينا بحمد صلى الله عليه وسلم والحمد  
 لله الذى جعلنا من خيرة امة اخرجت للناس ثم تقول سبحان الذى سخر لنا هذا وروى ايضا  
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا سافر وركب راحلته كبر ثلاثا ثم يقول سبحان  
 الذى سخر لنا هذا ثم قال اللهم انى اسألك في سفرى هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى  
 اللهم هون علينا السفر واوطعنا بعد الارض اللهم انت صاحب السر والخلية على  
 الاهل اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في اهلنا وكان اذا رجع الى اهله يقول آيبن تأيبن

لربنا حامدون قال صاحب الكشف دلت هذه الآية على خلاف قول المجبرة من وجوه  
 (الاول) انه تعالى قال لتستووا على ظهورهم ثم تذكروا نعمة ربكم فذكره بلام كي وهذا يدل  
 على انه تعالى اراد منا هذا الفعل وهذا يدل على بطلان قولهم انه تعالى اراد الكفر منه  
 واراد الاصرار على الانكار (الثاني) ان قوله لتستووا يدل على ان فعله معلل بالاغراض  
 (الثالث) انه تعالى بين ان خلق هذه الحيوانات على هذه الطبائع انما كان لغرض ان  
 يصدر الشكر عن العبد فلو كان فعل العبد فعلا لله تعالى لكان معنى الآية اني خلقت  
 هذه الحيوانات لاجل ان اخلق سبحان الله في لسان العبد وهذا باطل لانه تعالى قادر على  
 ان يخلق هذا اللفظ في لسانه بدون هذه الوسائط واعلم ان الكلام على هذه الوجوه معلوم  
 فلا فائدة في الاعادة ثم قال تعالى واقالي ربنا للقلوب واعلم ان وجه اتصال هذا الكلام  
 بما قبله ان ركوب الفلك في خطر الهلاك فانه كثيرا ما تنكسر السفينة ويهلك الانسان  
 وراكب الدابة أيضا كذلك لان الدابة قد يتفق لها اتفاقات توجب هلاك الراكب واذا  
 كان كذلك فركوب الفلك والدابة يوجب تعريض النفس للهلاك فوجب على الراكب ان  
 يتذكر امر الموت وان يقطع انه هالك لاحالة وانه منقلب الى الله تعالى وغير منقلب من  
 قضائه وقدره حتى لو اتفق له ذلك المحذور كان وطن نفسه على الموت ﴿ قوله تعالى  
 (وجعلوا له من عاده جزأ) ان الانسان لكفور مبین أم اتخذ بما يخلق شات وأصفا كم بالبنيين  
 واذا بشرا احدهم بما ضرب الرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشأ في الحلية  
 وهو في الخصام غير مبین وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا شهدوا باخلقهم ستكتب  
 شهادتهم ويستلون ) اعلم انه تعالى لما قال ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن  
 الله بين انهم مع اقرارهم بذلك جعلوا له من عبادته جزأ والمقصود منه التنبيه على قلة  
 عقولهم وسخافة محصولهم وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأ عصم في رواية ابي بكر  
 جزأ يضم الزاي والهمزة في كل القرآن وهما لغتان واما حجة فاذا وقف عليه قال جزأ  
 بفتح الزاي بلاهمزة (المسئلة الثانية) في المراد من قوله وجعلوا له من عبادته جزأ قولان  
 (الاول) وهو المشهور ان المراد انهم اثبتوا له ولد او تقرير الكلام ان ولد الرجل جزء منه  
 قال عليه السلام فاطمة بضعة مني ولان المعقول من الوالد ان يفصل عنه جزء من اجزائه  
 ثم يترتب ذلك الجزء ويتولد منه شخص مثل ذلك الاصل واذا كان كذلك فولد الرجل جزء  
 منه وبعض منه فقوله وجعلوا له من عبادته جزأ معنى جعلوا حكموا واثبتوا وقالوا به  
 والمعنى انهم اثبتوا له جزأ وذلك الجزء هو عبد من عبادته واعلم انه لو قال وجعلوا لعباده  
 منه جزأ لا فاد ذلك انهم اثبتوا انه حصل جزء من اجزائه في بعض عبادته وذلك هو الولد  
 فكذا قوله وجعلوا له من عبادته جزأ معناه واثبتوا له جزأ وذلك الجزء هو عبد من عبادته  
 والحاصل انهم اثبتوا لله ولدا وذكروا في تقرير هذا القول وجوها آخر فقالوا الجزء هو  
 الانثى في لغة العرب واحتجوا في اثبات هذه اللغة بيتين فالاول قوله

البنيين لتربية ما اعتبر فيهما من  
 الحقايرة والخمامة ( واذا بشر  
 احدهم بما ضرب الرحمن مثلا ) الخ  
 استثناف مقرر لما قبله وقيل حال  
 على معنى انهم نسبوا اليه ما ذكر  
 ومن حالهم ان احدهم اذا بشر به  
 اعتم والالتفات للايدان باقتضاء  
 ذكر قبائحهم ان يعرض عنهم  
 وتحكي لغيرهم تهجيبا منها اى اذا  
 اخبر احدهم بولادة ما جعله مثاله  
 سبحانه اذ ولد لابن ادن بجائس  
 الودود وماله ( ظل وجهه مسودا )  
 اى صار اسود في الغاية من سوء  
 ما بشر به ( وهو كظيم ) مملو من  
 الكرب والكآبة والجملة حال  
 وقرئ مسود ومسود على ان في  
 ظل ضمير البشر ووجهه مسود  
 جملة وقت خبره ( او من ينشأ في  
 الحلية ) تكرير للاسكار وتنبية للتوبيخ  
 ومن منصوبة بضمير معطوف  
 على جعلوا اى او بصلوا من شأنه  
 ان يرعى في الزينة وهو عاجز عن  
 ان يتولى امره بنفسه فله همزة  
 لانكار الواقع واستقباحه وقد  
 يجوز ان تصابها بضمير معطوف على  
 اتخذ فالهمزة حينئذ لانكار  
 الوقوع واستبعاده واقحامها بين  
 المعطوفين لتذكير ما في ام المنقطعة  
 من الانكار وتأكيده والطف  
 للتغاير العنواى اى او اتخذ من  
 هذه الصفة الذميمة صفته ( وهو )  
 مع ما ذكر من القصور ( في  
 الخصام ) اى الجدال الذى لا يكاد  
 يخلو عنه

ان اجزأت حرة يوما فلا يحب \* قد تجزى الحرة المذكاة احبانا

وقوله زوجتها من بنات الاوس مجزئة \* للعوسج اللدن في ابياتها غزل

وزعم الزجاج والازهرى وصاحب الكشف ان هذه اللفظة فاسدة وان هذه الايات مصنوعة (والقول الثانى) في تفسير الآية ان المراد من قوله وجعلوا له من عباده جزأ اثبات الشركاء لله وذلك لانهم لما ثبتوا الشركاء لله تعالى فقد زعموا ان كل العباد ليس لله بل بعضها لله وبعضها لغير الله فهم ما جعلوا لله من عباده كلهم بل جعلوا له منهم بعضا وجزأ منهم قالوا والذي يدل على ان هذا القول اولى من الاول انا اذا جعلنا هذه الآية على انكار الشريك لله وجعلنا الآية التى بعدها على انكار الولد لله كانت الآية جامعة للرد على جميع المبطلين ثم قال تعالى ام اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين واعلم انه تعالى رتب هذه المناظرة على احسن الوجوه وذلك لانه تعالى بين ان اثبات الولد لله محال وبتقدير ان ثبت الولد فجعله بنتا ايضا محال اما بيان ان اثبات الولد لله محال فلان الولد لا بد وان يكون جزأ من الوالد وما كان له جزء كان مركبا وكل مركب ممكن وايضا ما كان كذلك فانه يقبل الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق وما كان كذلك فهو عبد محدث فلا يكون الها قديما ازليا (واما المقام الثانى) وهوان بتقدير ثبوت الولد فانه يمتنع كونه بنتا وذلك لان الابن افضل من البنت فلو قلنا انه اتخذ لنفسه البنات واعطى البنين لعباده لزم ان يكون حال العبد اكل وافضل من حال الله وذلك مدفوع في بديهة العقل يقال اصفيت فلانا بكذا اى آثرته به اثارا حصل له على سبيل الصفاء من غير ان يكون له فيه شريك وهو كقوله افا صفاكم ربكم بالبنين ثم بين نقصان البنات من وجوه (الاول) قوله واذا بشر احدكم بما ضرب للرجن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم والمعنى ان الذى بلغ حاله في النقص الى هذا الحد كيف يجوز للعافل اتيانه لله تعالى وعن بعض العرب ان امرأته وضعت انثى فهجرت البيت الذى فيه المرأة فقالت

مالا بى حزة لا يأتينا \* يظل في البيت الذى يلينا \* غضبان ان لاندل البينا

ليس لنا من امرنا ماشينا \* وانما نأخذ ما اعطينا

وقوله ظل اى صار كما يستعمل اكثر الافعال الناقصة قال صاحب الكشف قرئ مسود ومسود والتقدير وهو مسود فقنع هذه الجملة موقع الخبر (والثانى) قوله أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبین وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ جزءة والكسائى وحفص عن عاصم بضم الباء وفتح النون وتشديد الشين على ما لم يسم فاعله اى ربى والباقون ينشأ بضم الباء وسكون النون وفتح الشين قال صاحب الكشف قرئ ينشأ قال ونظير المناشاة بمعنى الانشاء المغالاة بمعنى الاغلاء (المسئلة الثانية) المراد من قوله أو من ينشأ فى الحلية التنبيه على نقصانها وهوان الذى ربى فى الحلية يكون ناقص الذات لانه لو لا نقصان فى ذاتها لما احتاحت تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بطريق آخر وهو قوله وهو

الانسان فى العادة (غير مبین)

غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه واضافة غير لامتنع عمل ما بعده فى الجار المتقدم لانه بمعنى النفى وقرئ ينشأ وينشأ من الافعال والمفاعلة والكل بمعنى واحد ونظيره غلاموا غلاما وغلاما (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اتانا) بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتقرير لهم بذلك وهو جعلهم اكل العباد وكرمهم على الله عز وجل انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد الرحمن وقرئ عند الرحمن على تمثيل لظاهم وقرئ اتانا وهو جمع الجمع (اشهدوا خلقهم) اى احضروا خلق الله تعالى اياهم فشاهدوهم اتانا حتى يحكموا بأنوثيتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تعجيل ايمهم وتكريمهم وقرئ أشهدوا بهمذين مفتوحة ومضمومة وآشهدوا بالفاء بينهما (ستكتب شهادتهم) هذه فى ديوان اعمالهم (ويستلون) عنها يوم القيامة وقرئ سيكتب وستكتب بالياء والنون وقرئ شهادتهم وهى قولهم ان الله جزأ وان له بنات وانها الملائكة وقرئ يساءلون من المسألة للمبالغة (وقالوا لوشاء الرحمن ما عبادناهم) بيان لئن آخر من كفرهم اى لو شاء عدم عبادة الملائكة مشيئة ارتضاء ما عبادناهم ارادوا بذلك بيان ان ما فعلوه حق مرضى عنده تعالى

في الخصاص غير مبين يعني انها اذا احتاجت المحاصصة والمنازعة عجزت وكانت غير مبين ودلت  
نضعف لسانها وقلة عقلها وبلادة طبعها ويقال قلنا تكلمت امرأة فأرادت ان تتكلم  
بمحبتها الا تكلمت بما كانت حجة عليها فهذه الوجوه دالة على كمال نقصها فكيف يجوز  
اضافتهم بالولدية اليه (المسئلة الثالثة) دلت الآية على ان التحلي مباح للنساء وانه حرام  
للرجال لانه تعالى جعل ذلك من المعاييب وموجبات القصاص واقدام الرجل عليه يكون  
القاء لنفسه في الذل وذلك حرام لقوله عليه السلام ليس للمؤمن ان يذل نفسه وانما زينة  
الرجل الصبر على طاعة الله والتزني زينة التقوى قال الشافعي

تدرعت يوما للقنوع حصينة \* اصون بها مرضى واجعلها ذخرا

ولم احذر الدهر ان خؤن وانما \* قصاراه ان يرمى في الموت والفقر

فاعدت للوت الاله وعفوه \* واعدت للفقر التجلد والصبرا

ثم قال تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن ائاما وفيه مسائل (المسئلة الاولى)  
المراد بقوله جعلوا اى حكموا به ثم قال شهدوا خلقهم وهذا استفهام على سبيل الانكار  
يعنى انهم لم يشهدوا خلقهم وهذا مما لا سبيل الى معرفته بالدلائل العقلية واما الدلائل  
القلبية فكلها مفرعة على اثبات النبوة وهؤلاء الكفار منكرون للنبوة فلا سبيل لهم الى  
اثبات هذا المطلوب بالدلائل القلبية فثبت انهم ذكروا هذه الدعوى من غير ان عرفوه  
لابضرورة ولا بدليل ثم انه تعالى هدهم فقال ستكتب شهادتهم ويسألون وهذا يدل على  
ان القول بغير دليل منكر وان التقليد يوجب الذم العظيم والعقاب الشديد قال اهل  
التحقيق هؤلاء الكفار كفروا في هذا القول من ثلاثة اوجه (اولها) اثبات الولد لله تعالى  
(وثانيها) ان ذلك الولد بنت (وثالثها) الحكم على الملائكة بالانوثة (المسئلة الثانية) قرأ  
نافع وابن كثير وابن عامر عند الرحمن بالنون وهو اختيار ابى حاتم واحتج عليه بوجوه  
(الاول) انه يوافق قوله ان الذين عند ربك وقوله ومن عبده (والثاني) ان كل الخلق عباده  
فلا مدح لهم فيه (والثالث) ان التقدير ان الملائكة يكونون عند الرحمن لا عند هؤلاء  
الكفار فكيف عرفوا كونهم انا واما الباقر فقرأ عباد جمع عبد وقيل جمع عابد  
كقائم وقيام وصائم وصيام ونائم ونيام وهى قراءة ابن عباس واختيار ابى عبيد قال لانه  
تعالى رد عليهم قولهم انهم بنات الله واخبر انهم عبيد ويؤيد هذه القراءة قوله بل عباد  
مكرمون (المسئلة الثالثة) قرأ نافع وحده اشهدوا بجملة ومدة بعدها خفيفة لينة وضمة  
اى احضروا خلقهم وعن نافع غير ممدود على ما لم يسم فاعله والباقر اشهدوا بفتح الالف  
من شهدوا اى احضروا (المسئلة الرابعة) احتج من قال بتفضيل الملائكة على البشر  
بهذه الآية فقال اما قراءة عند بالنون فهذه العندية لاشك انها عندية الفضل والقرب من  
الله تعالى بسبب الطاعة ولفظة هم توجب الحصر والمعنى انهم هم الموصوفون بهذه العندية  
لا غيرهم فوجب كونهم افضل من غيرهم رعاية للفظ الدال على الحصر اما من قرأ عباد

وانهم انما يفعلونه بمشيئته تعالى  
لا الاعتذار من ارتكاب  
ما ارتكبه بأنه بمشيئته تعالى اياه  
منهم مع اعترافهم بقصد حتى  
يتنص ذمهم به دليلا للمعتزلة  
ومبنى كلامهم الباطل على  
مقدمتين احدهما ان عبادتهم  
لهم بمشيئته تعالى والثانية ان ذلك  
مستلزم لكونها مرضية عنده تعالى  
لقد اخطوا في النابية حيث جهلوا  
ان المشيئة عبارة عن ترجيح بعض  
الممكنات على بعض كاشا ما كان من  
غير اعتبار الرضا والسخط فى شئ  
من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله  
تعالى (ما لهم بذلك) اى بما ارادوا  
بقولهم ذلك من كون ما فعلوه  
بمشيئة الارضاء لا بخلق المشيئة  
فالذي محقق ينطق به ما لا يحصى  
من الآيات الكريمة (من علم)  
يسمئذ الى سد ما (انهم الا  
يغرضون) يتحملون تحملا باطلا  
وقد جوز ان يشار بذلك الى  
اصل الدعوى كأنه لما اظهر  
وجوه فساده وحكى شبههم  
المريفة نفى ان يكون لهم بها  
علم من طريق العقل ثم اضرب  
عنه الى ابطال ان يكون لهم من  
جهة الثقل قليل (ام آتيناهم  
كتابا من قبله) من قبل القرآن او  
من قبل ادعائهم ينطق لصحة  
بإدعونه (فهم به) بذلك الكتاب  
(مستمسكون) وعليه معولون  
بل قالوا انا وجدنا آباءنا على  
مة واتا على آئارهم مهتدون  
ى لم يأتوا بحجة عقلية او تقليدية بل  
هتفوا بأن

جمع العبد فقد ذكرنا ان لفظ العباد مخصوص في القرآن بالمؤمنين فقولهم هم عباد الرحمن  
يفيد حصر العبودية فيهم فاذا كان اللفظ الدال على العبودية دالا على الفضل والشرف  
كان اللفظ الدال على حصر العبودية دالا على حصر الفضل والمقمة والشرف فيهم وذلك  
يوجب كونهم افضل من غيرهم والله اعلم **قوله تعالى** ( وقالوا لوشاء الرحمن ما عبدناهم  
مالهم بذلك من علم انهم الا يخبر صون انا تبناهم كتمان قبله فهم به مستسكون بل قالوا  
انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آمارهم مهتدون وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من  
نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آمارهم مقتدون قال اولو جئتكم  
بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انابا ارسلتم به كافرون فانظر كيف  
كان عاقبة المكذبين ) اعلم انه تعالى حكى نوعا آخر من كفرهم وشبهاتهم وهوانهم قالوا  
لوشاء الرحمن ما عبدناهم وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قالت المعتزلة هذه آية تدل على  
فساد قول المجبرة في ان كفر الكافر يقع بارادة الله من وجهين ( الاول ) انه تعالى حكى عنهم  
انهم قالوا لوشاء الرحمن ما عبدناهم وهذا صريح قول المجبرة ثم انه تعالى ابطله بقوله مالهم  
بذلك من علم انهم الا يخبر صون فثبت انه حكى مذهب المجبرة ثم اردفه بالابطال والافساد  
فثبت ان هذا المذهب باطل ونظيره قوله تعالى في سورة الانعام سيئول الذين اشركوا لوشاء  
الله ما اشركنا الى قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم  
الاتخرون ( والوجه الثاني ) انه تعالى حكى عنهم قبل هذه الآية انواع كفرهم ( فأولها )  
قوله وجلوا له من عباده جزأ ( وثانيها ) قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انا  
( وثالثها ) قوله تعالى وقالوا لوشاء الرحمن ما عبدناهم فلما حكى هذه الاقاويل الثلاث  
بعضها على اربعض ونبت ان القولين الاولين كفر محض فكذلك هذا القول الثالث  
يجب ان يكون كفرا واعلم ان الواحدى اجاب في البسيط عنه من وجهين ( الاول ) ما ذكره  
الزجاج وهو ان قوله تعالى مالهم بذلك من علم عائد الى قولهم الملائكة انا و الى قولهم  
الملائكة بنات الله ( والثاني ) انهم ارادوا بقولهم لوشاء الرحمن ما عبدناهم انه امرنا بذلك  
وانه رضى بذلك واقرنا عليه فانكر ذلك عليهم فهذا ما ذكره الواحدى في الجواب وعندي  
هذان الوجهان ضعيفان ( اما الاول ) فلائنه تعالى حكى عن التوم قواين باطلين وبين وجه  
بطلانها ثم حكى بعده مذهبنا بالافساد في مسئلة اجنبية عن المسئلتين الاوليين ثم حكم  
بالبطلان والوعيد فصرف هذا الابطال عن هذا الذى ذكره عقيبه الى كلام متقدم اجنبى  
عنه في غاية البعد ( واما الوجه الثاني ) فهو ايضا ضعيف لان قوله لوشاء الله ما عبدناهم ليس  
فيه بيان متعلق بتلك المشيئة والاجال خلاف الدليل فوجب ان يكون التقدير لوشاء الله  
ان لا نعبدهم ما عبدناهم وكلمة لتعبد انتفاء الشيء لانتهاء غيره فهذا يدل على انه لم توجد  
مشيئة الله لعدم عبادتهم وهذا عين مذهب المجبرة فالابطال والافساد يرجع الى هذا المعنى  
ومن الناس من اجاب عن هذا الاستدلال بأن قال انهم انا ما ذكرنا ذلك الكلام على

لا سبيل لهم سوى تقليد آباءهم الجهالة  
مثلهم والامة الدين والطريقة التي  
نام اى تفصد كالحل لا ير حل اليه  
وقرى مة بالسرو هي الحالة التي  
يكون عليها لا م اى القاصد وقوله  
تعالى على آمارهم مهتدون خبران  
والظرف صلة لمهتدون ( وكذلك )  
اى والامر كما ذكر من يحجرهم عن  
الحجة وتشبههم بذلك التقليد وقوله  
تعالى ( ما ارسلنا من قبلك في قرية  
من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا  
آباءنا على امة وانا على آمارهم  
مقتدون ) استثناء مبين لذلك دال  
على ان التقليد فيما بينهم ضلال قديم  
ليس لاسلافهم ايضا سند غيره  
وتفصيل المرفق بتلك المقالة  
للايدان بأن التمس وحب البطالة  
هو الذى صرفهم عن النظر الى  
التقليد ( قال ) حكاية لما جرى بين  
المندرين وبين اعمهم عند تعليمهم  
بتقليد آباءهم اى قال كل نذير  
من اولئك المندرين لانهم ( ولو  
حسبكم ) اى تعتقدون يا اباؤكم  
ولو جئتكم ( بأهدى ) بدين اهدى  
( مما وجدتم عليه آباءكم ) من الضلالة  
التي ليست من الهداية في شيء وانما  
عبر بها بذلك مجازة معهم على  
مسلك لانصاف وقرى قل على  
انه حكاية امرامض اوحى حينئذ  
الى كل نذير لاعلى انه خطاب  
للسرور صلى الله عليه وسلم كما قيل  
لقوله تعالى ( قالوا انابا ارسلتم به  
كافرون ) فانه حكاية عن الامم  
قطعا اى قال كل امة لنذيرها  
انابا ارسلت به الخ

سبيل الاستزاء والسخرية فلهذا السبب استوجوا الطعن والذم واجاب صاحب  
الكشاف عنه من وجهين ( الاول ) انه ليس في اللفظ ما يدل على انهم قالوا مستهزئين  
واذما ما لا دليل عليه باطل ( الثاني ) انه تعالى حكى عنهم ثلاثة اشياء وهى انهم جعلوا له من  
عباده جزأ وانهم جعلوا الملائكة اناثا وانهم قالوا الوشاء الرجن ما عبدناهم فلو قلنا بانه  
انما جاء الذم على القول الثالث لانهم ذكروه على طريق الهزؤ لا على طريق الجد وجب ان  
يكون الحال في حكاية القولين الاولين كذلك فزعم انهم لو نطقوا بتلك الاشياء على سبيل  
الجدان يكونوا محقين ومعلوم انه كفر واما القول بأن الطعن في القولين الاولين انما توجه  
على نفس ذلك القول وفي القول الثالث لا على نفسه بل على ايراده على سبيل الاستزاء  
فهذا يوجب تشويش الظن وانه لا يجوز في كلام الله واعلم ان الجواب الحق عندى عن  
هذا الكلام ما ذكرناه في سورة الانعام وهوان القوم انما ذكروا هذا الكلام لانهم  
استدلوا بمشيئة الله تعالى للكفر على انه لا يجوز ورود الامر بالايان فاعتقدوا ان الامر  
والارادة يجب كونهما متطابقين وعندنا ان هذا باطل فالقوم لم يستحقوا الذم بمجرد قولهم  
ان الله يريد الكفر من الكافر بل لاجل انهم قالوا لما اراد الكفر من الكافر وجب ان  
يقبح منه امر الكافر بالايان واذا صرفنا الذم والطعن الى هذا المقام سقط استدلال  
المعتزلة بهذه الآية وتام التقرير مذكور في سورة الانعام والله اعلم ( المسئلة الثانية ) انه  
تعالى لما حكى عنهم ذلك المذهب الباطل قال ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرسون  
وتقبره كأنه قيل ان القوم يقولون لما اراد الله الكفر من الكافر وخلق فيه ما اوجب  
ذلك الكفر وجب ان يقبح منه ان يأمره بالايان لان مثل هذا التكليف قبيح في الشاهد  
فيكون قبيحا في العائب فقال تعالى ما لهم بذلك من علم اى ما لهم بحجة هذا القياس من علم  
وذلك لان افعال الواحد منا واحكامه مبنية على رعاية المصالح والمفاسد لاجل ان كل  
ما سوى الله فانه ينفع بمحصول المصالح ويستضرر بمحصول المفاسد فلا جرم ان صريح  
طبعه وعمله يحمله على بناء احكامه وافعاله على رعاية المصالح اما سبحانه وتعالى فانه  
لا ينفعه شئ ولا يضره شئ فكيف يمكن القطع بأنه تعالى يبنى احكامه وافعاله على رعاية  
المصالح مع ظهور هذا الفارق العظيم فقوله تعالى ما لهم بذلك من علم اى ما لهم بحجة قياس  
العائب على الشاهد في هذا الباب علم نعم قال ان هم الا يخرسون اى كالم يثبت لهم صحة  
ذلك القياس فقد ثبت بالبرهان القاطع كونهم كذا بين خراسين في ذلك القياس لان قياس  
المنزه عن النفع والضرر من كل الوجوه على المحتاج المنتفع المتضرر قياس باطل في بديهته  
العقل ثم قال ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون يعنى القول الباطل الذى حكاها الله  
تعالى عنهم عرفوا صحته بالعقل والقل اما بآياته بالعقل فهو باطل لقوله ما لهم بذلك من  
علم ان هم الا يخرسون واما بآياته بالقل فهو ايضا باطل لقوله ام آتيناهم كتابا من قبله فهم  
به مستمسكون والضمير في قوله من قبله لا قرآن والرسول والمعنى انهم وجدوا ذلك الباطل

وقد اجل عند الحكاية للايجار كما  
مر في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا  
من الطيبات وجعل حكاية عن  
قومه عليه الصلاة والسلام يحمل  
صيغة الجمع على تعليقه على سائر  
المتدبرين عليهم السلام وتوجيه  
كفرهم الى ما ارسل به الكل  
من التوحيد لاجل اجتماعهم عليه كإى  
نظائر قوله تعالى كذبت عاد  
المرسلين تحمل بعيد برده بالسكية  
قوله تعالى ( فاتقوا الله ) اى  
بالاستئصال ( فانظر كيف كان  
عاقبة المكذبين ) من الامم  
المذكورين فلا كثرت بتكذيب  
قومك ( وادع ابراهيم ) اى واذكر  
لهم وقت قوله عليه الصلاة  
وسلام ( لا اله الا هو ) المكين  
على التقليد كيف برأى مما هم فيه  
بقوله ( انى يراء ما تعبدون ) وتمسك  
بالبرهان ليسلكوا مسلكه في  
الاستدلال اوليقلد واما ان يكن  
لهم بدمن التقليد فانه اشرف آياتهم  
وبرآء مصدرعت به مبالغة ولذلك  
يستوى فيه الواحد والمعدد  
والذكر والمؤث وقرئ برئ  
وبراء نضم الماء ككريم وكرام وما  
اما مصدرية او موصولة حذف  
حائدها اى اى رى من عبادكم  
او معبودكم ( الا الذى فطرنى )  
استثناء منقطع او متصل على ان ما  
تم اولى العلم وغيرهم وانهم كانوا  
يعبدون الله والاصنام او صفة على  
ان ما موصوفة اى انى برامس الهة  
تعبدونها غير الذى فطرنى ( فانه



في كتاب منزل قبل القرآن حتى جاز لهم ان يقولوا عليه وان يتسكوا به والمقصود منه ذكره في معرض الانكار ولما ثبت انه لم يدل عليه لادليل عقلي ولا دليل نقلي وجب ان يكون القول به باطلا ثم قال تعالى مل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آناهم مهتدون والمقصود انه تعالى لما بين انه لادليل لهم على صحة ذلك القول البتة بين انه ليس لهم حامل يحملهم عليه الاتقليد المحض ثم بين ان تمسك الجهال بطريقة التقليد امر كان حاصله من قديم الدهر فقال وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آناهم مقتدون وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشاف قرئ على امة بالكسر وكنهاها من الام وهو القصد فالامة الطريقة التي تؤم اى تقصد كالرحلة للمرحول اليه والامة الخاله التي يكون عليها الآم وهو القاصد (المسئلة الثانية) لولم يكن في كتاب الله الا هذه الآيات لدفعت في ابطال القول بالتقليد وذلك لانه تعالى بين ان هؤلاء الكفار لم يتسكوا في اثبات ماذهبوا اليه لا بطريق عقلي ولا بدليل نقلي ثم بين انهم اتماذهو اليه بمجرد تقليد الآباء والاسلاف واتماذ كر تعالى هذه المعاني في معرض الذم والتهجين وذلك يدل على ان القول بالتقليد باطل ومما يدل عليه ايضا من حيث العقل ان التقليد امر مشترك فيه بين المبطل وبين الحق وذلك لانه كما حصل لهذه الطائفة قوم من المقلدة فكذلك حصل لاضدادهم اقوام من المقلدة فلو كان التقليد طريقا الى الحق لوجب كون الشيء ونقيضه حقا ومعلوم ان ذلك باطل (المسئلة الثالثة) انه تعالى بين ان الداعي الى القول بالتقليد والحامل عليه اتماذ هو حب النعم في طبيات الدنيا وحب الكسل والبطالة وبغض تحمل مشاق الظر والاستدلال لقوله الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة والمترفون هم الذين اترفهم النعمة اى ابطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويبغضون تحمل المشاق في طلب الحق واذاعفت هذا علمت ان رأس جميع الآفات حب الدنيا والذات الجسمانية ورأس جميع الخيرات هو حب الله والدار الآخرة فلماذا قال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة ثم قال تعالى رسوله قل أولو جئتمكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم اى بدين اهدى من دين آباءكم فصد هذا حكى الله عنهم انهم قالوا انا انابتون على دين آباءنا لا نتفك عنه وان جئنا بما هو اهدى فانا بما رسلتم به كافرون وان كان اهدى مما كنا عليه فغند هذا لم يبق لهم عذر ولا علة فلماذا قال تعالى فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين والمراد منه تهديد الكفار والله اعلم ﴿ قوله تعالى (واذ قال ابراهيم لا يبعو قومى به وقومى انى براء مما تعبدون الا الذى فطرني فانه سبيدني وجعلها باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل تمتعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون ) اعلم انه تعالى لما بين في الآية المتقدمه انه ليس لا وتلك الكفار داع يدعوهم الى تلك الاقاويل الباطلة الانتقيد الآباء والاسلاف ثم بين انه طريق باطل ومنهج فاسد وان الرجوع الى الدليل اولى من

سهيدين) اى سبيدني على الهدايه اوسيهدين الى ما وراء الذى هداني اليه الى الآس والالوجه ان السين للأكبددون للسوييف وصيغة المنارع للدلالة على الاستمرار (وجعلها) اى جعل ابراهيم كلمة الموحد التي ما تكلم به عبارة عنها (كلمة باقية في عقبه) اى في ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى ووصى بها ابراهيم ويعتوب الآية فلا يرال فيهم من موحد الله تعالى ويدعو الى توحيدهم وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف (لعلهم يرجعون) علة للجعل اى جعلها باقية في عقبه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد (بل تمتعت هؤلاء) اضرب عن محذوف ينساق اليه الكلام كأنه قل جعلها باقية في عقبه بأن وصى بها بنيه رجاء ان يرجع اليها من شرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجاء بل تمتعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من اهل مكة (وآباءهم) بالمدى العمر والنعمه فاعتروا بالمهله وانهمكوا في الشهوات وشعلوا انها عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم) اى هؤلاء (الحق) اى القرآن (ورسول) اى رسول (مبين) ظاهر الرسالة واضحا بالهجرات الباهرة وامبين للتوحيد بالايات البينات والحجج وقرئ متعا ومتعت بالخطاب على الله تعالى اعترض به على ذاته في قوله

الاعتماد على التقليد ارفده بهذه الآية والمقصود منها ذكر وجه آخر يدل على فساد القول بالتقليد وتقريره من وجهين (الاول) انه تعالى حكى عن ابراهيم عليه السلام انه تبرا عن دين آباءه بناء على الدليل فقول امان يكون تقليد الآباء في الاديان محرما وواجزا فان كان محرما فقد بطل القول بالتقليد وان كان جائزا فعلوم ان اشرف آباء العرب هو ابراهيم عليه السلام وذلك لانه ليس لهم فخر ولا شرف الا بانهم من اولاده واذا كان كذلك فتقليد هذا الاب الذي هو اشرف الآباء أولى من تقليد سائر الآباء واذا ثبت ان تقليده أولى من تقليد غيره فقول انه ترك دين الآباء وحكم بان اتباع الدليل أولى من متابعة الآباء واذا كان كذلك وجب تقليده في ترك تقليد الآباء ووجب تقليده في ترجيح الدليل على التقليد واذا ثبت هذا فقول ظهر ان القول بوجود التقليد يوجب المنع من التقليد وما فاضى ثبوته الى نفيه كان باطلا فوجب ان يكون القول بالتقليد باطلا فهذا طريق دقيق في ابطال التقليد وهو المراد من هذه الآية (الوجه الثاني) في بيان ان ترك التقليد والرجوع الى متابعة الدليل أولى في الدنيا وفي الدين انه تعالى بين ان ابراهيم عليه السلام لما عدل عن طريقة ابيه الى متابعة الدليل لاجرم جعل الله دينه ومذهبه باقيا في عقبه الى يوم القيامة واما اديان آباءه فقد اندرست وبطلت فثبت ان الرجوع الى متابعة الدليل يبقى محمودا لا اثر الى قيام الساعة وان التقليد والاصرار ينقطع اثره ولا يبقى منه في الدنيا خبر ولا اثر فثبت من هذين الوجهين ان متابعة الدليل وترك التقليد أولى فهذا بيان المقصود الاصيل من هذه الآية ولنرجع الى تفسير الفاظ الآية اما قوله انني براء مما تعبدون فقال الكسائي والفراء والمبرد والزجاج براء مصدر لا يثنى ولا يجمع مثل عدل ورضا وتقول العرب انا البراء منك والبراء منك ونحن البراء منك والبراء ولا يقولون البراءن ولا البراؤون لان المعنى ذوا البراء وذو البراء فان قلت برى وخلي ثبتت وجمعت سم استثنى خالقه من البراءة فقال الا الذي فطرني والمعنى انا تبارأ مما تعبدون الا من الله عز وجل ويجوز ان يكون الابعنى لكن فيكون المعنى لكن الذي فطرني فانه سيهدين اى سيرشدني لدينه ويوفقني لطاعته واعلم انه تعالى حكى عن ابراهيم عليه السلام في آية أخرى انه قال الذي خلقني فهو يهدين وحكى عنه ههنا انه قال سيهدين فاجمع بينهما وقد ركانه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية في الحال والاستقبال وجعلها اى وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون جاريا مجرى لاله وقوله الا الذي فطرني جاريا مجرى قوله الا الله فكان مجموع قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني جاريا مجرى قوله لا اله الا الله سم بين تعالى ان ابراهيم جعل هذه الكلمة باقية في عقبه اى في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده لعلمهم يرجعون اى لعل من اشرك منهم يرجع بداء من وخدمتهم وقيل وجعلها الله وقرى كلمة على التخييف وفي عقبه ثم قال تعالى بل متعب هؤلاء يعنى اهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد في العمر

تعالى وجعلها كلمة باقية الى الابد  
في تمييزهم فان التمتع بزيادة النعم  
يوجب عليهم ان يجعلوه سببا  
لزيادة الشكر والثناء على  
التوحيد والاعمال فجعله سببا  
لزيادة الكفران اقصى مراتب  
الكفر والضلال (ولما جاءهم  
الحق) لينبهم عما هم فيه من العفالة  
ويرشدهم الى التوحيد اذ ادوا  
كفرا وعتوا وضمو الى كفرهم  
السابق معاندة الحق والاستهانة  
به حيث (فالواهدا سخروا  
به كافر و) فسحوا القرآن  
سخرا وكفروا به واستحققوا  
الرسول صلى الله عليه وسلم

(وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) (٤٤١) من اى احدى القريتين مكة والطائف على

نهي قوله تعالى يخرج منها اللؤلؤ والمرجان (عظيم) اى بالجواهر المال كالوليد بن المغيرة الخزومي وعروة بن مسعود الثقفي وقيل حبيب بن عرين عير الثقفي وعن مجاهد عبد بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة حسدا على نزوله الى الرسول صلى الله عليه وسلم دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بعرايته بل استدلا لاعلى عدما بمعنى انه لو كان قرآنا نزل الى احد هؤلاء بآء على ما زعموا من ان الرسالة منسوبة ليليق به الامن له جلاله من حيث المال والجاه ولم يدروا انه رتبة روحانية لا يرقى اليها الا هم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتحلين بالقضائل الانسية واما المتزحرفون بالزخارف الدنيوية المحتشون بالخطوط الدنية فهم من استحقاق تلك الرتبة بألف منزل وقوله تعالى (اهم يقسمون رجديك) اسكارفه تجبيل لهم ونصب من نخكمهم والمراد بالرجة النبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) اى اسباب معيشتهم (في الحياة الدنيا) سمحتقتضيا مسيئنا المبينة على الحكم والمصالح ولم نقوض امرها اليهم علما منا نخبرهم عن تدبيرها بالكلية (ورفعنا بعضهم فوق بعض) في الرزق وسائر مبادئ المعاش (درجات) متفاوتة بتجسس القرب والبعد حسما تقتضيه الحكمة فنضعف وقوى وقبض وغنى وخدام ومخدوم وحاكم ومحكوم (لتخضع لعلهم بعضا سحرنا) ليصرف بعضهم بعضا في مصالحهم

والنعمه فاغتروا بالمهله واستغلوا بالنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءهم الحق وهو القرآن ورسول مبين بين الرسالة واوضحها بمآله من الآيات والينات فكذبوا به وسعوه ساحرا وما جاء به كبرا وكفروا به ووجه النظم انهم لما عملوا على تقليد الآباء ولم يفكروا في الحجة اغتروا بطول الامهال وامتاع الله اياهم بنعيم الدنيا فاعرضوا عن الحق قال صاحب الكشف ان قيل ما وجه قراءة من قرأ الموت بفتح التاء قلنا كان الله سبحانه اعترض على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متهمهم بما متهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد وأراد بذلك المبالغة في تعييرهم لانه اذا متهمهم بزيادة النعم وجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد لان اشركوا به ويجعلوا له اندادا فخاله ان يشكو الرجل اساءة من احسن عليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك اليه وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسمى لا تقبج فعل نفسه \* قوله تعالى (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اهم يقسمون رجة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورجة ربك خير مما يجمعون) اعلم ان هذا هو النوع الرابع من كفرياتهم التي حكاها الله تعالى عنهم في هذه السورة وهؤلاء المساكين قالوا منصب رسالة الله منصب شريف فلا يليق الا برجل شريف وقد صدقوا في ذلك الا انهم ضموا اليه مقدمة فاسدة وهى ان الرجل الشريف هو الذى يكون كبير المال والجاه ومحمد ليس كذلك فلا يليق رسالة الله به وانما يليق هذا المنصب برجل عظيم الجاه كبير المال في احدى القريتين وهى مكة والطائف قال المفسرون والذى بمكة هو الوليد بن المغيرة والذى بالطائف هو عروة بن مسعود البقي ثم ابطال الله تعالى هذه الشبهة من وجهين (الاول) قوله اهم يقسمون رجة ربك وتقرير هذا الجواب من وجوه (احدها) انا وقعنا التفاوت في مناصب الدنيا ولم يقدر احد من الخلق على تغييره فالتفاوت الذى وقعنا في مناصب الدين والنبوة بأن لا يقدر او على التصرف فيه كان اولي (وانايتها) ان يكون المراد ان اختصاص ذلك الغنى بذلك المال الكبير انما كان لاجل حكمنا وفضلنا واحساننا اليه فكيف يليق بالعقل ان نجعل احساننا اليه بكثره المال حجة علينا فان نحسن اليه ايضا بالنبوة (وانالها) انا لما وقعنا التفاوت في الاحسان بمناصب الدنيا لالسبب سابق فلم لا يجوز ايضا ان نوقع التفاوت في الاحسان بمناصب الدين والنبوة لالسبب سابق فهذا تقرير الجواب ورجع الى تفسير الالفاظ فتقول المهزلة في قوله اهم يقسمون رجة ربك للانكار الدال على التجهيل والتجيب من اعراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة ثم ضرب لهذا مثلا فقال نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وفيه مسائل (السئلة الاولى) انا وقعنا

ويستخدموهم في مهنتهم ويسخروهم في اشغالهم حتى (٥٦) (را) (سا) يتعاضدوا ويتراشدوا ويصلوا الى مرافقهم لالكمال في الموضع

ولا لنقص في المقترولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا واهلكوا فاذا كانوا (٤٤٢) في تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم من ماع الدنيا

هذا التفاوت بين العباد في القوة والضعف والعلم والجهل والحذاقة والبلادة والشهرة والخلو وانما فعلنا ذلك لانا سويتا بينهم في كل هذه الاحوال لم نخدم احدا واحدا ولم يصير احدهم مسخر لغيره وحيث يفضى ذلك الى خراب العالم وفساد نظام الدنيا ثم ان احدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضائنا فان هجروا عن الاعراض عن حكمنا في احوال الدنيا مع قلتها وذنابها فكيف يمكنهم الاعتراض على حكمنا وقضائنا في تخصيص بعض العباد بمنصب النبوة والرسالة (المسئلة الثانية) قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا يقتضى ان تكون كل اقسام معاشهم انما تحصل بحكم الله وتقديره وهذا يقتضى ان يكون الرزق الحرام والحلال كله من الله تعالى (وانوجه الثاني) في الجواب ما هو المراد من قوله ورجة ربك خير مما يجمعون وتقديره ان الله تعالى اذا خص بعض عبده بنوع من انواع فضله ورجته في الدين فهذه الرجة خير من الاموال التي يجمعها لان الدنيا على شرف الانقضاء والانقراض وفضل الله ورجته تبقى ابد الاباد \* قوله تعالى (ولولان يكون الناس امة واحدة لجلعنا لمن يكفر بالرحن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبوتهم ابوابا وسرا عليها يتكون وزخرفا وان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للتيقن ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى اجاب عن الشبهة التي ذكروها بناء على تفضيل الغنى على الفقير بوجه ثالث وهو انه تعالى بين ان منافع الدنيا وطيباتها حقيرة خسيصة عند الله وبين حقاقتها بقوله ولولان يكون الناس امة واحدة والمعنى لولان يرغب الناس في الكفر اذا راوا الكفار في سعة من الخير والرزق لا عطيتهم اكثر الاسباب المفيدة للشم (احدها) ان يكون سقفهم من فضة (وثانيها) معارج ايضا من فضة عليها يظهرون (وثالثها) ان نجعل لبيوتهم ابوابا من فضة وسرا ايضا من فضة عليها يتكون ثم قال وزخرفا وله تفسيران (احدهما) انه الذهب (والثاني) انه الزينة بدليل قوله تعالى حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت فعلى التقدير الاول يكون المعنى ونجعل لهم مع ذلك ذهبا كثيرا وعلى الثاني انا نعطيهم زينة عظيمة في كل باب ثم بين تعالى ان كل ذلك متاع الحياة الدنيا وانما سماء متاما لان الانسان يستمتع به قليلا ثم ينقضى في الحال واما الاخرة فهي باقية دائمة وهي عند الله تعالى وفي حكمه للتيقن عن حب الدنيا المقبلين على حب المولى وحاصل الجواب ان اولئك الجهال ظنوا ان الرجل الغنى اولى بمنصب الرسالة من محمد بسبب فقره فبين تعالى ان المال والجاه حقيران عند الله وانهما على شرف الزوال

الدنيئة وهو في طرف التمام على هذه الحالة فاظمهم بأنفسهم في تدبير امر الدين وهو ابعد من مناط العيوق ومن اين لهم البحث عن امر النبوة والتحيز لها من يصلح لها ويعوم بأمرها (ورجة ربك) اى النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين (خير مما يجمعون) من حطام الدنيا الدنيئة الفانية وقوله تعالى (ولولان يكون الناس امة واحدة) استثناف مبين لحقارة متاع الدنيا وذنابة قدره عند الله عز وجل والمخفى ان حقارة شأنه بحيث لولا ان يرغب الناس لطمح الدنيا في الكفر اذا راوا اهلها في سعة وتم فجمعوا عليه لا عطيتهم بخلافه من هوش الحلائق واداناهم منزلة وذلك قوله تعالى (لجعلنا لمن يكفر بالرحن لبيوتهم سقفا من فضة) اى متحدة منها ولبوتهم بدل اشتغال من ان وجع الضيق باعتبار معنى من كما ان افراد المستكن في يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع سقف كرهن جع رهن وعن الفراء انه جمع سقيفة كسفن وسقيفة وقرى سقفا يسكون القاف تخفيفا وسقفا اكتفاء يجمع البيوت وسقفا كانه لمة في سقف وسقوفا (ومعارج) اى جعلنا لهم معارج من فضة اى مصاعدهم معارج وقرى معارج جمع معارج (عليها يظهرون) اى يعلون السطوح والعلالي (ولبيوتهم) اى وجعلنا لبيوتهم (ابوابا وسرا) من فضة (عليها) اى على السرد (يتكون) ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التعرير (وزخرفا) اى زينة عطف على سقفا او ذهابا عطف على محل من فضة (وان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا) اى وما كل ما ذكر من البيوت الموصوفة بالصفات القصيدة الاشئ يتبع (فصولهما)

به في الحياة الدنيا وفي معناه ما قرئ وما كل ذلك الامتاع ( ٤٣ ) الحياة الدنيا وقرئ بتخفيف ما على ان ان هي الخفيفة واللام هي الفارقة

وقرئ بكسر اللام على انها لام  
العمة وما موصولة قد حذف  
عائدها اي الذي هو متاع الخ  
كما في قوله تعالى تماما على الذي  
احسن ( والاشرة ) بما فيها من  
فنون النعم التي يقصر عنها البيان  
( عند ربك للمتقين ) اي عن الكفر  
والعاصي وهذا تبين ان العظيم  
هو العظيم في الاشرة لافي  
الدنيا ( ومن يعيش ) اي يتعام ( عن  
ذكر الرحمن ) وهو القرآن وازدادت  
الى اسم الرحمن للايدان بتروله  
رحمة للعالمين وقرئ يعيش بالفتح  
اي يم يقال عشي يعشي اذا كان  
في بصره آفة وعشا يعشوا اذا عشي  
بلا آفة كخرج وعرج وقرئ  
يعشو على ان من موصولة غير  
مضمنة معنى الشرط والمخى ومن  
يعرض عنه لفطر اشتغاله بزهرة  
الحياة الدنيا وانهما كفي في حظوظه  
القانية والسهوات ( فيض  
له شيطانافهوله قرين ) لا يفارقه  
ولا يزال يوسوسه ونغويه  
وقرئ يفيض بالياء على استناده  
الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو  
فحقه ان يرفع فيفيض ( واللهم اي  
الشياطين الذين فيض كل واحد  
منهم لكل واحد ممن يعشو  
( ليصدونهم ) اي قرناءهم فدارج  
الضميرين اعتبار معنى من كان  
مدار افراد الضمائر السابقة اعتبار  
لفظها ( عن السبيل ) المستبين  
الذي يدعو اليه القرآن  
( ويحسبون ) اي العاشون  
( انهم ) اي الشياطين ( مهتدون )  
اي الى السبيل المستقيم والاما  
اتبوهم او يحسبون ان انفسهم  
مهتدون لان اعتقاد كون  
الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد  
كونهم كذلك لان اتحاد مسلكهما  
والجملة حال من مفعول يصدون

فحصولهما لا يفيد حصول الشرف والله اعلم ( المسئلة الثانية ) قرأ ابن كثير ابو عمرو  
سقفا بفتح السين وسكون القاف على لفظ الواحد لارادة الجنس كما في قوله فخر عليهم  
السقف من فوقهم والباقون سقفا على الجمع واختلفوا فقبل هو جمع سقف كرهن ورهن  
قال ابو عبيد ولا ثالث لهما وقيل السقف جمع سقوف كرهن ورهن وزبر وزبور فهو  
جمع الجمع ( المسئلة الثالثة ) قوله لمن يكفر بالرحن لبيوتهم فقوله لبيوتهم بدل اشتمال من  
قوله لمن يكفر قال صاحب الكشف قرئ معارج ومعارج والمعارج جمع معارج او اسم  
جمع لمعارج وهي المصاعد الى المساكن العالية كالدرج والسلام عليها يظهر  
اي على تلك المعارج يظهر من وفي نصب قوله وزخرفا قولان قيل لجعلنا لبيوتهم سقفا  
من فضة وجعلنا لهم زخرفا وقيل من فضة وزخرف فلما حذف الخافض انتصب واما  
قوله وان كل ذلك لامتاع الحياة الدنيا قرأ حاصم وحزة لما بتشديد الميم والباقون  
بالتخفيف اما قراءة حزة بالتشديد فانه جعل لما في معنى الاوحى سيويه نشدتك بالله  
لما فعلت بمعنى الافعلت ويقوى هذه القراءة ان في حرف ابى وما ذلك الامتاع الحياة  
الدنيا وهذا يدل على ان لما بمعنى الاواما القراءة بالتخفيف فقال الواحدى لفظه مالفو  
والتقدير لمتاع الحياة الدنيا قال ابو الحسن الوجه التخفيف لان لما بمعنى الا لا تعرف  
وحكى عن الكسائي انه قال لا عرف وجه التثنية ( المسئلة الرابعة ) قالت المعتزلة دلت  
الآية على انه تعالى انما لم يعط الناس نعم الدنيا لاجل انه لو فعل بهم ذلك لداهم ذلك  
الى الكفر فهو تعالى لم يفعل بهم ذلك لاجل ان لا يدعوهم الى الكفر وهذا يدل على  
احكام ( احدها ) انه اذا لم يفعل بهم ما يدعوهم الى الكفر فلان لا يخلق فيهم الكفر اولى  
( وثانيها ) انه ثبت ان فعل اللطف قائم مقام ازالة العذر والعلة فلما بين تعالى انه لم يفعل  
ذلك ازالة العذر والعلة عنهم دل ذلك على انه يجب ان يفعل بهم كل ما كان لطفا داعيا  
لهم الى الايمان فصارت هذه الآية من هذا الوجه دالة على انه يجب على الله تعالى فعل  
اللطف ( وثالثها ) انه ثبت بهذه الآية ان الله تعالى انما يفعل ما يفعله ويترك ما يترك لاجل  
حكمة ومصلحة وذلك يدل على تعليل احكام الله تعالى وافعاله بالمصالح والعلل فان قيل  
لما بين تعالى انه لو فتح على الكافر ابواب النعم لصار ذلك سببا لاجتماع الناس على الكفر  
فلم يفعل ذلك بالمسلمين حتى يصير ذلك سببا لاجتماع الناس على الاسلام قلنا لان الناس  
على هذا التقدير كانوا يجتمعون على الاسلام لطلب الدنيا وهذا الايمان ايمان المنافقين  
فكان الاصوب ان يضيق الامر على المسلمين حتى ان كل من دخل الاسلام فاما يدخل  
فيه لمنابعة الدليل ولطلب رضوان الله تعالى فحينئذ يعظم ثوابه لهذا السبب ثم قال تعالى  
ومن يعيش عن ذكر الرحمن فيفيض له شيطانافهوله قرين والمراد منه التنبيه على آفات الدنيا  
وذلك ان من فاز بالمال والجاه صار كالاعشى عن ذكر الله ومن صار كذلك صار من جلساء  
الشياطين الضالين المضلين فهذا وجه تعلق هذا الكلام بمقابله قال صاحب الكشف

بتقدير المبتدأ ومن فاعله او منهما لاشتغالها على ضميرهما اي وانهم ليصدونهم عن الطريق الحق وهم

يحبسون انهم مهتدون اليه وصيغه المضارع في الافعال الاربعة للدلالة ( ٤٤٤ ) على الاستمرار الجددى لقوله تعالى ( حتى اذا جاءنا ) فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضى حتمًا تكون غاية لامر ممتد كما مر مرارًا وافراد الضمير في جاء وما بعده لما ان المراد حكاية مقالة كل واحد من العاشين لقرينه لتحويل الامر وتقطيع الحال والمعنى يستمر العاشون على ما ذكر من مقارنة الشياطين والحمد والحسبان الباطل حتى اذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيامة ( قال ) مخاطبته ( ياليت بنى وبينك ) في الدنيا ( بعد المشرقين ) اى بعد المشرق والمغرب اى تباعد كل منهما عن الآخر فغلب المشرق وثني واذيف البعد اليهما ( فيس القرن ) اى انت وقوله تعالى ( ولن ينفعكم ) الخ حكاية لما سيقال لهم حينئذ من جهة الله عز وجل توبيخا وتقريرا اى لن ينفعكم ( اليوم ) اى يوم القيامة تمهيد لمباعدتهم ( اذ ظلم ) اى لاجل ظلمكم انفسكم في الدنيا باتباعكم اياهم في الكفر والمعاصي وقيل اذ ظلمت بدل من اليوم اى اذ تبين عندكم وعند الناس جعلا انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا وعليه قول من قال \* اذا ما اتسبنا لم تلدنى لثيمة \* اى تبين اى لم تلدنى لثيمة بل كريمة وقوله تعالى ( انكم في العذاب مسترون ) تعليل لنفي النفع اى لان حقكم ان تشتروا اثم وفرناؤكم في العذاب كما كنتم مستركين في سببه في الدنيا ويجوز ان يسند الفعل اليه لكن لا بمعنى لن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في شدائد الدنيا اشتراكهم فيها لتعاونهم في تحمل اعبائها وتقسيم لعنائها لان لكل منهم ما لا تبلغه طاقته كما قيل لان الاتضاع بذلك الوجد ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد ( منسوخ )

قرئ \* ومن يعيش بضم الشين وقبحها والفرق بينهما انه اذا حصلت الآفة في بصره قيل عشى واذا نظر نظر العشى ولا آفة به قبل عشى ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الخطيب \* متى تأتته تعشو الى ضوء ناره \* اى تنظر اليها فطر العشى لما يضعف بصره من عظم الوقود واتساع الضوء وقرئ \* يعيش على ان من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ ان يرفع نقبض ومعنى القراءة بالفتح ومن يع من ذكر الرحمن وهو القرآن لقوله صم بكم عى واما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره اى يعرف انه الحق وهو يتجاهل ويتعامى كقوله تعالى \* وسجدوا بها واستبقنتها انفسهم نقبض له شيطاننا قال مقاتل انضم اليه شيطاننا فهو له قرين ثم قال وانهم ليصدونهم عن السبيل يعنى وان الشياطين ليصدنهم عن سبيل الهدى والحق وذكر الكناية عن الانسان والشياطين بلفظ الجمع لان قوله \* ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقبض له شيطاننا يفيد الجمع وان كان اللفظ على الواحد ويحبسون انهم مهتدون يعنى الشياطين يصدون الكفار عن السبيل والكفار يحسبون انهم مهتدون ثم عاد الى لفظ الواحد فقال حتى اذا جاءنا يعنى الكافر وقرئ \* جاآنا يعنى الكافر وشيطانه روى ان الكافر اذا بعث يوم القيامة من قبره اخذ شيطانه بيده فلم يفارقه حتى يصيرهما الله الى البار فذلك حيث يقول ياليت بنى وبينك بعد المشرقين والمراد ياليت حصل بنى وبينك بعد على اعظم الوجوه واختلفوا في تفسير قوله بعد المشرقين وذكر وافيته وجوها ( الاول ) قال الاكثرون والمراد بعد المشرق والمغرب ومن عادة العرب تسمية الشيتين المتقابلين باسم احدهما قال الفرزدق \* لناقراها والنجوم الطوالع \* يريد الشمس والقمر ويقولون للكوفة والبصرة البصرتان وللغداة والعصر العصران ولابى بكر وعمر العمران وللماء والثر الاسودان ( الثانى ) ان اهل النجوم يقولون الحركة التى تكون من المشرق الى المغرب هى حركة الفلك الاعظم والحركة التى من المغرب الى المشرق هى حركة الكواكب الثابتة وحركة الافلاك المثلة التى للسيارات سوى القمر واذا كان كذلك فالمشرق والمغرب كل واحد منهما مشرق بالنسبة الى شئ آخر فثبت ان اطلاق لفظ المشرق على كل واحد من الجهتين حقيقة ( الثالث ) قالوا يحمل ذلك على مشرق الصيف ومشرق الشتاء وبينهما بعد عظيم وهذا بعيد عندى لان المقصود من قوله ياليت بنى وبينك بعد المشرقين المبالغة في حصول البعد وهذه المبالغة انما تحصل عند ذكر بعد لا يمكن وجود بعد آخر ازيد منه والبعدين مشرق الصيف ومشرق الشتاء ليس كذلك فيبعد جل اللفظ عليه ( الرابع ) وهو ان الحس يدل على ان الحركة اليومية انما تحصل بطلوع الشمس من المشرق الى المغرب واما القمر فانه يظهر في اول الشهر في جانب المغرب ثم لا يزال يتقدم الى جانب المشرق وذلك يدل على ان مشرق حركة القمر هو المغرب واذا ثبت هذا فاجانب السمى بالمشرق هو مشرق الشمس ولكنه مغرب القمر واما الجانب السمى بالمغرب فانه



عليهم بنفيه بل يعني لن يحصل لكم النشفي بكون قرآنكم (٤٤٥) معذرين مثلكم حيث كنتم تدعون

مشرق القمر ولكنه مغرب الشمس وبهذا التقدير يصح تسمية المشرق والمغرب بالمشرقين ولعل هذا الوجه اقرب الى مطابقة اللفظ ورعاية المقصود من سائر الوجوه والله اعلم ثم قال تعالى فبئس القرين اى الكافر يقول لذلك الشيطان ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين انت فهذا ما يتعلق بتفسير الالفاظ والمقصود من هذا الكلام تحقير الدنيا وبيان ما فى المال والجاه من المضار العظيمة وذلك لان كثرة المال والجاه تجعل الانسان كالاعشى عن مطالعة ذكر الله تعالى ومن صار كذلك صار جليسا للشيطان ومن صار كذلك ضل عن سبيل الهدى والحق وبقى جليس الشيطان فى الدنيا وفى القيامة ومجالسة الشيطان حالة توجب الضرر الشديد فى القيامة بحيث يقول الكافر ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين انت فثبت بما ذكرنا ان كثرة المال والجاه توجب كمال القصان والحرمان فى الدين والدنيا واذا ظهر هذا فقد ظهر ان الذين قالوا لولا تزل هذا القرآن على رجل من القرنين عظيم قالوا كلاما فاسدا وشبهة باطلة ثم قال تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم فى العذاب مشتركون فقلوه انكم فى محل الرفع على الفاعلية يعنى ولن ينفعكم اليوم كونكم مشتركين فى العذاب والسبب فيه ان الناس يقولون المصيبة اذا عمت طابت وقالت الخنساء فى هذا المعنى

ولولا كثرة الباكين حولي \* على اخوانهم لقتلت نفسي  
ولا يكون مثل اخي ولكن \* اعزى النفس عنه بالتأسي

فبين تعالى ان حصول الشركة فى ذلك العذاب لا يفيد التخفيف كما كان يفيد فى الدنيا والسبب فيه وجوه (الاول) ان ذلك العذاب شديد فاشتغال كل واحد بنفسه يذهله عن حال الآخر فلا جرم الشركة لا تفيد الخفة (الثاني) ان قوما اذا اشتروا فى العذاب امان كل واحد منهم صاحبه بما قدر عليه فيحصل بسببه بعض التخفيف وهذا المعنى معذرة فى القيامة (الثالث) ان جلوس الانسان مع قريبه يفيد انواعا كثيرة من السلوة فبين تعالى ان الشيطان وان كان قريبه الا ان مجالسته فى القيامة لا توجب السلوة وخفة العقوبة وفى كتاب ابن مجاهد عن ابن عامر قرأ اذ ظلمتم انكم بكسرت الالف والباقون انكم بفتح الالف والله اعلم \* قوله تعالى (افانت تسمع الصم او تهدى العمى ومن كان

فى ضلال مبين فاما تذهبن بك فانا منهم منتقمون او ترينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذى اوحى اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجمعنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ) اعلم انه تعالى لما وصفهم فى الآية المقدمة بالعنى وصفهم فى هذه الآية بالصم والعمى وما احسن هذا الترتيب وذلك لان الانسان فى اول اشتغاله بطلب الدنيا يكون كمن حصل بعينه رمد ضعيف ثم كلما كان اشتغاله بتلك الاعمال اكثر كان ميله الى الجسمانيات اشد واعراضه عن الروحانيات اكمل لما ثبت فى علوم العقل ان كثرة

عليهم بقولكم ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقولكم فاتم عذابنا فاعلمنا انهم ونظائرهما لتشفوا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يبالغ فى المجاهدة فى دعاء قومهم ولا يبردون الاعيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتعاميا عما يسمعون من بنات القرآن فقول (افانت تسمع الصم او تهدى العمى ) وهو انكار بحجب من ان يكون هو الذى يفر على هدايتهم وهم قد تمروا فى الكفر واستغرقوا فى الضلال بحيث صار ما هم من العنى عمى مفرونا بالصم ( ومن كان فى ضلال مبين ) عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين ومدار الانكار هو التمكن والاستمرار فى الضلال المفرط بحيث لا ارعوا له منه لا توهم القصور من قبل الهادى فقيه رمر الى انه لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر والالجام فاما تذهبن بك اى فان قبضناك قبل ان نصرك عذابهم ونشفي بذلك صدورك وصدور المؤمنين فانا نعمهم منقمون ) لا محالة فى الدنيا والاخرة فامر بزيادة التأكيد بزيادة لام القسم فى انها لا تفارق النون المؤكدة (او ترينك الذى وعدناهم اى او اردنا ان نريك العذاب الذى وعدناهم ) فانا عليهم مقتدرون ) بحيث لا مناص لهم من تحت ملكتنا وفهمنا ولقد اراد عابه السلام ذلك يوم بدر (فاستمسك بلدى اوحى اليك) من الايات والسرائع سواء عجلنا لك الموعود او اخرناه الى يوم الاخرة وقرى اوحى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ( انك على صراط مستقيم ) تعليل للاستمسك اول الامر به ( واندذكر ) لشرف عظيم ( لب ولقومك ) وسوى تسألون ) يوم القيامة عنه وعن فيامكم



بمحقوقه (واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا) اى واسال امهم (٤٤٦) وعلاء دينهم كقوله تعالى فأسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك،

وفائدة هذا الحجاز التنبيه على ان المسؤول عنه عين ما نطقت به السنة الرسل لا ما يقوله امهم وعلماؤهم من تلقاء انفسهم قال القراءهم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الانبياء عليهم الصلاة والسلام (اجعلنا من دون الرحمة آلهة يعبدون) اى هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جات في ملة من ملهم والمراد به الاستشهاد باجتماع الانبياء على التوحيد والتنبيه على انه ليس بيدع ابتدعه حتى يكذب ويعادى ( ولقد ارسلنا موسى باياتنا ) ملتبساها (الى) فرعون وملتبه فقال انى رسول رب العالمين ) اريد باقتصاصه تسليية رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد ارما اشيد الى اجاع جميع الرسل عليهم السلام عليه ( فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون ) اى فاجؤا وقت ضحكهم منها اى استهزؤا بها اول مارأوها ولم يتأملوا فيها ( وما نزيهم من آية ) من الآيات ( الاهى اكبر من اختها ) الاوهى بالعة اقصى مراتب الاعجاز بحيث يحسب كل من ينظر اليها انها اكبر من كل ما يقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور في شئ منها والاوهى مختصة بضرب من الاعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها (واخذناهم بالعذاب) كالسنتين والطوفان والجراد وغيرها (لعلهم يرجعون) لكنى يرجعوا عما هم عليه من الكفر (وفالوا يا أيها الساحر ) نادوه بذلك مثل

الافعال توجب حصول الملكات الراسخة فينقل الانسان من الرمد الى أن يصير اعشى فاذا واظب على تلك الحالة اياما اخرى انتقل من كونه اعشى الى كونه اعمى فهذا ترتيب حسن موافق لما ثبت بالبراهين البقينية روى انه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا تصعبا على الكفر وتماديا في النفي فقال تعالى افأنت تسمع الصم او تهدى العمى يعنى انهم بلغوا في النفرة عنك وعن دينك الى حيث اذا سمعتم القرآن كانوا كالاصم واذا أريتهم المعجزات كانوا كالاعمى ثم بين تعالى ان صممهم وعماهم انما كان بسبب كونهم في ضلال مبين ولما بين تعالى ان دعوته لا تؤثر في قلوبهم قال فاما تذهبن بك يريده حصول الموت قبل زول النعمة بهم فانهم منتقمون بعدك او تزينك في حياتك ما وعدناهم من الذل والقتل فانما مقتدرون على ذلك واعلم ان هذا الكلام يفيد كمال التسليية للرسول عليه السلام لانه تعالى بين انهم لا تؤثر فيهم دعوته والياس احدى الراحتين ثم بين انه لا بد وان ينتقم لاجله منهم اما حال حياته او بعد وفاته وذلك ايضا يوجب التسليية فبعد هذا امره ان يتمسك بما امره الله تعالى به فقال فاستمسك بالذى اوحى اليك بأن تعتقدانه حق وبأن تعمل بموجبه فانه الصراط المستقيم الذى لا يميل عنه الاضال في الدين ولما بين تأثير التمسك بهذا الدين في منافع الدين بين ايضا تأثيره في منافع الدنيا فقال وانه لذكر ولقومك اى انه يوجب الشرف العظيم لك ولقومك حيث يقال ان هذا الكتاب العظيم انزله الله على رجل من قوم هؤلاء واعلم ان هذه الآية تدل على ان الانسان لا بد وان يكون عظيم الرغبة في الثناء الحسن والذكر الجميل ولولم يكن الذكر الجميل امرا مرغوبا فيه لما من الله به على محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال وانه لذكر لك ولقومك ولما طلبه ابراهيم عليه السلام حيث قال واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ولان الذكر الجميل قائم مقام الحياة الشريفة بل الذكر افضل من الحياة لان اثر الحياة لا يحصل الا فى مسكن ذلك الحى اما اثر الذكر الجميل فانه يحصل فى كل مكان وفى كل زمان ثم قال تعالى وسوف تسئلون وفيه وجوه ( الاول ) قال الكلبي تسألون هل اديتم شكر انعامنا عليكم بهذا الذكر الجميل ( الثانى ) قال مقاتل المراد ان من كذب به يسأل لم كذبه فيسأل سؤال توبيخ (الثالث) تسألون هل علمتم بما دل القرآن عليه من التكليف واعلم ان السبب الاقوى في انكار الكفار لرسل الله محمد صلى الله عليه وبلغضهم له انه كان ينكر عبادة الاصنام فين تعالى ان انكار عبادة الاصنام ليس من خواص دين محمد صلى الله عليه وسلم بل كل الانبياء والرسل كانوا مطبقين على انكاره فقال واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا أجمعنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وفيه اقوال ( الاول ) معناه واسأل مؤمنى اهل الكتاب اى اهل التوراة والانجيل فانهم سيخبرونك انه لم يرد فى دين احد من الانبياء عبادة الاصنام و اذا كان هذا الامر متفقاً عليه بين كل الانبياء والرسل وجب ان لا يجعلوه سببا لبغض محمد صلى الله

يا أيها الساحر ) نادوه بذلك مثل تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية جانتهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لا ستعظامهم علم (عليه)

السحر وفريء إليه الساحر بضم الهاء ( ادع لبارك ) ليكشف ( ٤٤٧ ) عنا العذاب ( بما عهد عندك ) يمهده عندك من النبوه او من استجابة

دعوتك او من كشف العذاب  
عن اهتدى او بما عهد عندك  
فوفيت به من الايمان والطاعة  
( اتنا لمهتدون ) اى لمؤمنون  
على تقدير كشف العذاب عنا  
بدعوتك كقولهم لئن كشفت  
عنا الرجز لنؤمنن لك ( فلما كشفتنا  
عنهم العذاب ) بدعوته اذاهم  
ينكثون ( فاجؤا وقت نكث  
عهدهم بالاهتداء وقد صر تفصيله  
في الاعراف ( ونادى فرعون )  
بنفسه او بناديه ( فى قومه ) فى  
مجمعهم وفيما بينهم بعد ان كشف  
العذاب عنهم مخافة ان يؤمنوا  
( قال ياتوم أليس لى ملك مصر  
وهذه الانهار ) انهار النيل  
ومعظمها اربعة انهر نهر الملك  
ونهر طولون ونهر دمياط ونهر  
تيس ( تجرى من تحتى ) اى من  
تحت نصرى او امرى وقيل  
من تحت سريرى لارتفاعه وقيل  
بين يدى فى جنات وبساتين  
والواو اما عطفه لهذه الانهار  
على ملك مصر فتجرى حال منها  
او للحال فهذه مبتدأ والانهار صفتها  
وتجرى خبر للمبتدأ ( أفلا  
تبصرون ) ذلك يريد به استعظام  
ملكه ( ام انا خير ) مع هذا الملكة  
والبسطة ( من هذا الذى هو  
مهم ) ضعيف حقير من المهانة  
وهى القلة ( ولا يكاديين ) اى  
الكلام قاله افتراء عليه عليه السلام  
وتتقصاه عليه السلام فى عين  
الناس باعتبار ما كان فى لسانه  
عليه السلام من نوع رتة وقد  
كانت ذهبت عنه لقوله تعالى  
قد اوتيت سؤلك وأم امام نقطة  
والهمزة للتقرير كأنه قال اترى

عليه وسلم ( والقول الثانى ) قال عطاء عن ابن عباس لما سرى به صلى الله عليه وسلم الى  
المسجد الأقصى بعث الله له آدم وجميع المرسلين من ولده فأذن جبريل ثم أقام فقال يا محمد  
تقدم فصل بهم فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة قاله جبريل عليه  
السلام واسأل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الآية فقال صلى الله عليه وسلم  
لأسأل لاني لست شاك فيه ( والقول الثالث ) ان ذكر السؤال فى موضع لا يمكن السؤال  
فيه يكون المراد منه النظر والاستدلال كقول من قال سل الارض من شق انهارك  
وغرس اشجارك وجنى ثمارك فانها ان لم تجبك جوابا اجابتك اعتبارا فهنا سؤال النبي  
صلى الله عليه وسلم عن الانبياء الذين كانوا قبله ممنوع فكان المراد منه انظر فى هذه المسئلة  
بعقلت وتدبر فيها ففهمك والله اعلم \* قوله تعالى ( ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون  
وملائه فقال اتى رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون و ما نريهم من  
آية الا هم اكبر من اخبتها واخذناهم بالعذاب لعلمهم يرجعون وقالوا يا أيها الساحر ادع  
لنا ربك بما عهد عندك اتنا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون ونادى  
فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتى افلا تبصرون  
أم انا خير من هذا الذى هو مهمين ولا يكاديين فلو لا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه  
الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فلما أسفونا انتقمنا  
منهم فأغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ) وفى الآية مسائل ( المسئلة  
الاولى ) اعلم ان المقصود من اعادة قصة موسى عليه السلام وفرعون فى هذا المقام تقرير  
الكلام الذى تقدم وذلك لان كفار قريش طعنوا فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب  
كونه فقيرا عديم المال والجاه فبين الله تعالى ان موسى عليه السلام بعد ان اورد  
المعجزات القاهرة الباهرة التى لا يشك فى صحتها عاقل اورد فرعون عليه هذه الشبهة  
التي ذكرها كفار قريش فقال اتى غنى كثير المال والجاه ألا ترون انه حصل لى ملك  
مصر وهذه الانهار تجري من تحتى واما موسى فانه فقير مهمين وليس له بيان ولسان  
والرجل الفقير كيف يكون رسولا من عند الله الى الملك الكبير الغنى فثبت ان هذه  
الشبهة التي ذكرها كفار مكة وهى قولهم لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين  
عظيم قد اورد بها بعينها فرعون على موسى ثم انا انتقمنا منهم فأغرقناهم والمقصود من  
ايراد هذه القصة تقرير امرين ( احدهما ) ان الكفار والجهال ابداء يحتجون على الانبياء  
بهذه الشبهة الركيكة فلا يبالى بها ولا يلتفت اليها ( والثانى ) ان فرعون على غاية كمال حاله  
فى الدنيا صار مقهورا باطلا فيكون الامر فى حق اعدائك هكذا فثبت انه ليس المقصود  
من اعادة هذه القصة عين هذه القصة بل المقصود تقرير الجواب عن الشبهة المذكورة  
وعلى هذا فلا يكون هذا تقريراً للقصة البتة وهذا من تفاسير الابحاث والله اعلم

ما عدد اسباب فضله ومبادئ خيرته أثبت عندكم واستقر لديكم اى انا خير وهذه حالى من هذا الخ واما متصلة فالعنى افلا

تبصرون أم تبصرون خلاصه وضع قوله أنا خير موضع ( ٤٤٨ ) تبصرون لانهم اذا مالوا له انت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل

السبب منزلة السبب ويحوز ان يجعل من تنزيل السبب منزلة السبب فان ابصارهم لما ذكر من اسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيرته ( فلولو التي عليه اسورة من ذهب ) اي فلولو التي اليه مقاليد الملك ان كان صادقا لما انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب واسورة جمع سوار وقرى اساور جمع اسورة وقرى اسورة جمع اساور بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساور وقد قرئ كذلك وقرئ التي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى ( اوجاء معه الملائكة مقترنين ) مقرونين يعينونه او يصدفونه من قرنته به فاترين او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن ( فاستخف قومه ) فاستغفرهم وطلب منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم ( فاطاعوه ) فيما امرهم به ( انهم كانوا قوما فاسقين ) فلذلك سارعوا الى طاعة ذلك الفاسق الغوى ( فلما اسفونا ) اي اغضبونا اشد الغضب منقول من اسف اذا اشتد غضبه ( انتقمنا منهم فاعرفناهم اجمعين ) في اليم ( فعلنائهم سلفا ) قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم في استيعاب مثل ما حل بهم من العذاب وهو اما مصدر نعت به اوجع سالف كخدم جمع خادم وقرى يضم السين واللام على انه جمع سليف اي فريق قد سلف كزعم او سالف كخبر او سلف كاشد وقرى سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلنة

( السئلة الثانية ) في تفسير الالفاظ ذكر تعالى انه ارسل موسى بآياته وهو المعجزات التي كانت مع موسى عليه السلام الى فرعون وملائه اي قومه فقال موسى انى رسول رب العالمين فلما جاءهم تلك الآيات اذاهم منها يضحكون قيل انه لما ألقى عصاه صار ثعبانا ثم اخذه فعاد عصا كما كان ضحكوا ولما عرض عليهم اليد البيضاء ثم عادت كما كانت ضحكوا فان قيل كيف جاز ان يحجب عن لما باذا الذى يفيد المفاجأة قلنا لان فعل المفاجأة معها مقدر كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجأوا وقت ضحكهم ثم قال وما نريهم من آية الاهى اكبر من أختها فان قيل ظاهر هذا اللفظ يقتضى كون كل واحد منها افضل من الثانى وذلك محال قلنا اذا أريد المبالغة فى كون كل واحد من تلك الاشياء بالغا الى اقصى الدرجات فى الفضيلة فقد ذكر هذا الكلام بمعنى انه لا يبعد فى أناس ينظرون اليها ان يقول هذا ان هذا أفضل من الثانى وان يقول الثانى لابل الثانى افضل وان يقول الثالث لابل الثالث أفضل وحينئذ يصير كل واحد من تلك الاشياء مقولا فيه انه افضل من غيره ثم قال تعالى واخذناهم بالعذاب لعلمهم يرجعون اي عن الكفر الى الايمان قالت المعتزلة هذا يدل على انه تعالى يزيد الايمان من الكل وانه انما ظهر تلك المعجزات القاهرة لارادة ان يرجعوا من الكفر الى الايمان قال المفسرون ومعنى قوله واخذناهم بالعذاب اي بالاشياء التي سلطها عليهم كالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس ثم قال تعالى وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بعامه عندك اتنا لمهتدون فان قيل كيف سموه بالساحر مع قولهم اتنا لمهتدون قلنا فيه وجوه ( الاول ) انهم كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لانهم كانوا يستمظنون السحر وكما يقال فى زماننا فى العامل العجيب الكامل انه آى بالسحر ( الثانى ) يا أيها الساحر فى زعم الناس ومتعارف قوم فرعون كقوله يا أيها الذى نزل عليه الذكراك ليجنون اي نزل عليه الذكرك فى اعتقاده وزعمه ( الثالث ) ان قولهم اتنا لمهتدون وقد كانوا حازمين على خلافه ألا ترى الى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون قسبحتم اياه بالساحر لا ينافى قولهم اتنا لمهتدون ثم بين تعالى انه لما كشف عنهم العذاب نكثوا ذلك العهد ولما حكي الله تعالى معاملة قوم فرعون مع موسى حكى ايضا معاملة فرعون معه فقال ونادى فرعون فى قومه والمعنى انه اظهر هذا القول فقال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي يعنى الانهار التي فصلوها من النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجري تحت قصره وحاصل الامر انه احتج بكثرة امواله وقوة جأه على فضيلة نفسه ثم قال أم انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاديين وعنى بكونه مهينا كونه فقيرا ضعيفا الحال وبقوله ولا يكاديين حبة كانت فى لسانه واختلفوا فى معنى أم ههنا فقال ابو عبيدة مجازها بل انا خير وعلى هذا فقد تم الكلام عند قوله أفلا تبصرون ثم ابتدأ فقال أم انا خير بمعنى بل انا خير وقال الباقون ام هذه متصلة لان المعنى

اي لمة قد سافت ( ومثلا الآخرين ) اي عظة لهم او قصة عجيبه تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ( أفلا )

(ولما ضرب ابن مريم مثلاً) أي شربه ابن الزبيري حين جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم حيث قال اهَذَا اَنَا ( ٤٤٩ ) ولا كهتنا اوجلبج الام فقال عليه الصلاة والسلام هوانكم ولا لهكم ولجلبج الام فقال الله بن خضعة ورب الكعبة

افلا تبصرون أم تبصرون الا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصراء وقال آخرون ان تمام الكلام غرضه قوله أم وقوله انا خير ابتداء السلام والتقدير افلا تبصرون أم تبصرون لكنه اكتفى فيه بذكر أم كما تقول لغيرك انا أكل أم انا كل فتقتصر على ذكر كلمة أم ائثاراً للاختصار فكذا ههنا فان قيل أليس ان موسى عليه السلام سأل الله تعالى ان يزيل الرتبة عن لسانه بقوله واحلل هقده من لساني يفقهوا قولي فأعطاه الله تعالى ذلك بقوله قد اوتيت سؤلوك يا موسى فكيف ما به فرعون تلك الرتبة (والجواب) عنه من وجهين (الاول) ان فرعون اراد بقوله ولا يكاديين حخته التي تدل على صدقه فيما يدعي ولم يردانه لا قدرته على الكلام (والثاني) انه ما به بما كان عليه اولا وذلك ان موسى كان عند فرعون زماناً طويلاً وفي لسانه حبة فنسبه فرعون الى ما عهده عليه من الرتبة لانه لم يعلم ان الله تعالى ازال ذلك العيب عنه ثم قال فلولا ألقى عليه اسورة من ذهب والمراد ان عادة القوم جرت بأنهم اذا جعلوا واحداً منهم رئيساً لهم سوره يسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب فطلب فرعون من موسى مثل هذه الحالة واختلف القراء في اسورة فبعضهم قرأ اسورة وآخرون اسورة فاسورة جمع سوار لادنى العدد كقولك حاروا حرة وغراب واغربة ومن قرأ اسورة فذلك لان اساور يرجع اسوار وهو السوار فاسورة تكون الهاء عوضاً عن الياء نحو بطريق وبطارقة وزنديق وزنادقة وفرزين وفرزينة فتكون اساور جمع اسوار وحاصل الكلام يرجع الى حرف واحد وهو ان فرعون كان يقول انا اكثر ما لوجها فوجب ان أكون افضل منه فيمنع كونه رسولاً من الله لان منصب النبوة يقتضي الخدومية والاخس لا يكون مخدوماً لا شرف ثم المقدمة الفاسدة هي قوله من كان اكثر ما لوجها فهو افضل وهي عين المقدمة التي تمسك بها كسفار قريش في قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ثم قال اوجاء معه الملائكة مقرنين يجوز ان يكون المراد مقرنين به من قولك قرنته به فقرن وان يكون من قولهم اقتنوا بمعنى تقارنوا قال الزجاج معناه يمشون معه فيدلون على صحة نبوته ثم قال تعالى فاستخف قومه فاطاعوه أي طلب منهم الخفة في الايمان بما كان يأمرهم به فاطاعوه انهم كانوا قوماً فاسقين حيث اطاعوا ذلك الجاهل الفاسق فلما أسفونا اغضبونا حتى ان ابن جريج غضب في شيء فقيل له ان غضب يا ابا خالد فقال قد غضب الذي خلق الاحلام ان الله يقول فلما أسفونا أي اغضبونا ثم قال تعالى انتقمنا منهم واعلم ان ذكر لفظ الاسف في حق الله تعالى محال وذكر لفظ الانتقام وكل واحد منهما من التشابهات التي يجب ان يصار فيها الى التأويل ومعنى الغضب في حق الله ارادة العتاب ومعنى الانتقام ارادة العقاب لجرم سابق ثم قال تعالى جفيلناهم ساقاً وهذا الساق كل شيء قدمته من عمل صالح او قرين فهو سلف والسلف أيضاً من تقدم من آبائك واقاربك واحدهم سالف ومنه قول طرفة بن زينة قوله

عن الخصوص والعموم عملاً بما ذكر من اختصاص كلمة ( ٥٧ ) (را) (سا) ما يثير العقلاء لان اخراج بعض المعبودين عنه عند الحاجة موهم للرخصة في عبادته في الجملة فعممه عليه السلام للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك في العبادة

من دون الله تعالى ثم بين عليه الصلاة والسلام بقوله بل هم عبداً للشياطين التي أمتهم بذلك ان الملائكة والمسبح يعمل من ان يكونوا معبوديهم كما نطق به قوله تعالى سبحانه انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ( ٤٥٠ ) الآية وقد مر تحقيق المقام عند قوله

تعالى ان الذين سبقتم لهم من الحسنى الآية بل انما كان ما اظهروه من الاحوال المنكرة لمعنى واحتمل وتهاكهم على المكابرة والعناد كما ينطق به قوله تعالى (ما ضربوه لك الا جدلاً) اي ما ضربوا لك ذلك المثل الا لاجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا له عند ظهوره ببيانات ( بل هم قوم خصمون ) اي لشداد الخصومة مجبولون على الشك والجدال وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان من ادخل بيوتهم آدم خلقه من تراب قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت فقولهم آلهتنا خيرا مما هو حنثت نقضيل لآلهتهم على عيسى عليه السلام لان المراد بهم الملائكة ومعنى ما ضربوه الخ ما اوالوا هذا القول الا لاجل الجدال والمثل ان مثل عيسى الآية فالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبد الله وانما يستأهل ان يعبدوا ان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضجر في ام هو لحسد عليه الصلاة والسلام وغرضهم بالموازنة بينه عليه السلام وبين آلهتهم الاستمراء به وقد جوز ان يكون مرادهم التنصل عما انكر عليهم من قولهم الملائكة بآلهتنا تعالى ومن عبادتهم لهم كما فهم قالوا ما قلنا بدعنا من قول ولا فعلنا منكرا من فعله من النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه فعين اشرف منهم قولا وفعلنا حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي قوله تعالى (ان هو لا اعتدائنا عليه)

مضوا سلفا قصدا للسبيل عليهم \* وصرف المنايا بالرجال تقلب

فعلى هذا قال الفراء والزجاج يقول جعلناهم متقدمين ليعظيهم الآخرون اي لجعلناهم سلفا لكفار امه محمد عليه السلام واكثر القراء قرؤا بالفتح وهو جمع سالف كما ذكرناه وقرأ جزء والكسائي سلفا بالضم وهو جمع سلف قال البيهقي سلف بضم اللام يسلف سلفوا فهو سلف اي متقدم وقوله ومثلا لا آخرين يريد عظة لمن بقي بعدهم وآية وعبرة قال ابو علي الفارسي المثل واحد براد به الجمع ومن ثم عطف على سلف والدليل على وقوعه على اكثر من واحد قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه فأدخل تحت المثل شيئين والله اعلم به قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون

وقالوا آلهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلاً بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلاً لى اسرائيل ولونشاء جعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وانه اعلم للساعة فلا تمترن بها وتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين) في الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) اعلم انه تعالى ذكرنا واما كثيرة من كفرياتهم في هذه السورة واجاب عنها بالوجوه الكثيرة ( فأولها ) قوله تعالى وجعلوا الله من عبادهم جزءا ( وثانيها ) قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انا ( وثالثها ) قوله وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ( ورابعها ) قوله وقالوا لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ( وخامسها ) هذه الآية التي نحن الآن في تفسيرها ولفظ الآية لا يدل الاعلى انه لما ضرب ابن مريم مثلا اخذ القوم يضجون ويرفعون اصواتهم فاما ان ذلك المثل كيف كان وفي اي شيء كان فاللفظ لا يدل عليه والمفسرون ذكروا فيه وجوها كلها محتمل ( فالاول ) ان الكفار لما سمعوا ان النصارى يعبدون عيسى قالوا اذا عبدوا عيسى قال لهنا خير من عيسى وانما قالوا ذلك لانهم كانوا يعبدون الملائكة ( الثاني ) روى انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال عبد الله بن الزبير هذا خاصة لنا ولا آلهتنا ام بجميع الامم فقال صلى الله عليه وسلم بل بجميع الامم فقال خصمتك ورب الكعبة أليست زعم ان عيسى بن مريم نبي وتلى عليه خيرا وعلى امه وقد علمت ان النصارى يعبدونها واليهود يعبدون عزرا والملائكة يعبدون فاذا كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وفرح القوم وصحبوا وضجوا فانزل الله تعالى ان الذين سبقتم لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية ايضا والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبير عيسى بن مريم مثلا وجدل رسول الله بعنادة النصارى اليه اذا قومك قريش منه اي من هذا المثل يصدون اي يرتفع لهم ضجيج وحلف فرحا وجدلا وضحكا بسبب ما رأوا من اسكات رسول الله فانه قد جرت العادة بان احدا حصين اذا انقطع اظهر الخصم الثاني الفرح والضجيج وقالوا آلهتنا خيرا مما هو يعنون ان آلهتنا عندك ليست خيرا من عيسى فاذا كان عيسى من حصب

اي بالنبوة ( وجعلناه مثلاً لى اسرائيل ) اي امرا عجيبا حقيقا بان يسير ذكره كالمثال السائرة على الوجه الاول استئناف مسوق ( جهنم ) لتبرئته عالياً ثم عن ان ينسب اليه ما ينسب الى الاصنام فطرق الرمز كما نطق به صريحا قوله تعالى ان الذين سبقتم لهم منا الحسنى

الآية وفيه تنبيه على بطلان رأى من رفعه عن رتبة العبودية وتعرىض بفساد رأى من يرى رأيهم في شأن الملائكة وعلى الثاني والرابع لبيان انه قياس باطل او باطل على زعمهم وماعيسى ( ٤٥١ ) الاعبد كسائر العبيد قصارى امره انه ممن انعمنا عليهم بالنبوة

وخصصناه ببعض الحواس

البديعة بأن خلقناه بوجه بديع

وقد خلقنا آدم بوجه ابداعه

فأين هو من رتبة الربوبية ومن

اين يتوهم صحة مذهب عبده

حتى يفخر عبدة الملائكة بكونهم

اهدى منهم او يعتقدوا بان

حالهم اشرف واخف من حالهم

واما على الوجه الثالث فهو لردهم

وتكذيبهم في افتراءهم على رسول

الله صلى الله عليه وسلم ببيان ان

عيسى في الحقيقة وفيما اوحى الى

الرسول عليهما الصلاة والسلام

ليس الا انه عبد من عباده كاذكر

فكيف يرضى عليه السلام

بعبوديته او كيف يتوهم الرضا

بعبودية نفسه وقوله تعالى

( ولولم نشاء الخ لتحقيق ان مثل

عيسى عليه السلام ليس بيدع

من قدرنا الله وانه تعالى قادر على

ابدع من ذلك وابرع مع التنبيه

على سقوط الملائكة ايضا من

درجة العبودية اى قدرتنا

ببحث لو نشاء ( لجلعنا ) اى

خلقنا بطريق التوالد ( منكم )

واتم رجال ليس من شأنكم

الولادة ( ملائكة ) كما خلقناهم

بطريق الابداع ( في الارض )

مستقرين فيها كما جعلناهم

مستقرين في السماء ( مخلوقون )

اى مخلوقونكم مثل اولادكم فيما

بأتون وماترون ويبايترون

الافاعيل المنوطة بمباشرتكم مع

ان شأنهم السابح والتقديس

في السماء من شأنهم بهذه المثابة

بالنسبة الى قدره الربانية كيف

يتوهم استحقاقهم للمعبودية

او اتساهم اليه تعالى عن ذاك

علوا كبيرا ( وانه ) وان عيسى

( لعلم الساعة ) اى انه يؤوله شرط

من اشراطها وتسميته علما لحصوله

جهنم كان أمر آلهتنا اهون ( الوجه الثالث ) في التأويل وهو ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما حكى ان الصارى عبدوا المسيح وجعلوه الها لا تفهم قال كفار مكة ان محمدا يريد ان يجعل لنا الها كما جعل النصارى المسيح الها لا تفهم ثم عند هذا قالوا آلهتنا خير ام هو بمعنى آلهتنا خير ام محمدا ذكروا ذلك لاجل انهم قالوا ان محمدا يدعو نالى عبادة نفسه واثباتنا زعموا انه يجب عبادة هذه الاصنام واذ كان لابد من احدهذين الامرين فعبادة هذه الاصنام اولى لان آباءنا واسلافنا كانوا متطابقين عليه واما محمدا فانه متم في امرنا بعبادته فكان الاشتغال بعبادة الاصنام اولى ثم انه تعالى بين انالم نقل ان الاشتغال بعبادة المسيح طريق حسن بل هو كلام باطل فان عيسى ليس العبدا انعمنا عليه فاذا كان الامر كذلك فقد زالت شبهتهم في قوله ان محمدا يريد ان يأمرنا بعبادة نفسه فهذه الوجوه الثلاثة بما يحتمل كل واحد منها لفظ الآية ( المسئلة الثانية ) قرأ نافع وابن عامر والكسائي واو بكر عن عاصم يصدون بضم الصاد وهو قراءة على بن ابي طالب عليه السلام والباقون بكسر الصاد وهى قراءة ابن عباس واختلفوا فقال الكسائي هما بمعنى نحو يعرشون وعرشون ويعكفون ويعكفون ومنهم من فرق اما القراءة بالضم فمن الصدوداى من اجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه واما بالكسر فمعناه يضحون ( المسئلة الثالثة ) قرأ عاصم وحزة والكسائي آلهتنا استفهما ما بهزتين الثانية مطولة والباقون استفهما ما بهزوة ومدة ثم قال تعالى ماضى بوه لك لا جدلاى ماضى بوا لك هذا المثل الا لاجل الجدل والعلبة في القول لا لطلب الفرق بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون مبالغون في الخصومة فذلك لان قوله انكم ماتعبدون من دون الله لا يتناول الملائكة وعيسى وبيانه من وجوه ( الاول ) ان كلمة ما لا تتناول العقلاء البتة ( الثانى ) ان كلمة ما ليست صريحة في الاستغراق بدليل انه يصح ادخال لفظتى الكل والبعض عليه فيقال انكم وكل ماتعبدون من دون الله انكم وبعض ماتعبدون من دون الله ( الثالث ) ان قوله انكم وكل ماتعبدون من دون الله او وبعض ماتعبدون خطاب مشافهة فلعلمه ما كان فيهم احد يعبد المسيح والملائكة ( الرابع ) ان قوله انكم ماتعبدون من دون الله هب انه عام الا ان النصوص الدالة على تعظيم الملائكة وعيسى اخص منه والخاص مقدم على العام ( المسئلة الرابعة ) القائلون بدم الجدل تمسكوا بهذه الآية الا انا قد ذكرنا في تفسير قوله تعالى ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا ان الآيات الكسيرة دالة على ان الجدل موجب لللدخ والنشاء وطريق التوفيق ان تصرف تلك الآيات الى الجدل الذى يفيد تقرير الحق وان تصرف هذه الآية الى الجدل الذى يوجب تقرير الباطل ثم قال تعالى ان هو الا عبد انعمنا عليه يعنى ماعيسى الاعبد كسائر العبيد انعمنا عليه حيث جعلناه آية بان خلقناه من غير اب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة لعجبية كالمثل السائر ولونشاء لجلعنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة مخلوقونكم في الارض كما يخلقكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى

به او مجدونه بغير اب او باحيائه الموتى دليل على صحة البعث الذى هو معظم ما ينكره الكفرة من الامور الواقعة في الساعة وقرئ لعلم اى علامة وقرئ للعلم وقرئ لذكر على تسمية ما ذكره ذكرنا كما سمعنا يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى عليه السلام ينزل على نبية



بالارض المقدسة يقال لها أفق وعليه مصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فينأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلى خلقه على سرية محمد ( ٤٥٢ ) صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكر الصليب ويحرف

الميخ والكنائس ويقتل  
 النصارى لامن آمن به وقيل  
 الضمير لقرآن لما ارفيه لاعلاء  
 بالساعة ( فلا تمدن بها ) فلا  
 تسكن في وقوعها ( واتبعوا )  
 اي واتبعوا هداى اوشري  
 او رسول وقيل هو قول  
 الرسول مأمورا من جهته تعالى  
 تعالى ( هذا ) اي الذى ادعوك  
 اليه او القرآن على ان تستمرو  
 انه ( صراط مستقيم ) موصل  
 الى الحق ولا يصدنكم الشيطان  
 عن تباي ( انه لكم عدو مبين  
 بين العدوه حيث اخرج آياته  
 من الجنة وعرضكم للبلية ( و  
 جاء عيسى بالبينات ) اي بالمعجزات  
 او بآيات الانجيل او بالشرائع  
 الواضحات ( دل ) ابني سريرا  
 ( قد جئتكم بالحكمة ) اي لانجيل  
 او الشريعة ( ولائين لكم  
 عطف على مفرد يافى عنه  
 الجبى بالحكمة كانه قيل قد  
 جئتكم بالحكمة لاعلمكم اباها  
 ولائين لكم ( بعض السدى  
 يختلفون فيه ) وهو ما يتعلق  
 بامور الدين واما ما يتعلق بامور  
 الدنيا فليس بيباه من وفائ  
 الانبياء عليهم السلام قال علي  
 السلام انتم اعلم بامور دينكم  
 ( فأتقوا الله ) في مخالفتي  
 ( واضعوا ) فيما ابلغه عنه تعالى  
 ( ان الله هوربى وربكم فاعبدوه )  
 بيان اسرهم بالطاعة فيه وهو  
 اعتقاد التوحيد وعدم لعبد لشرائع  
 ( هذا ) اي التوحيد واتبعوا  
 بالشرائع ( صراط مستقيم )  
 لا يضل سالكه وهو امان تة  
 كلامه عليه السلام او استئناف  
 من جهته تعالى مقرر لمقالة عيسى  
 عليه السلام ( فاختلف الاحزاب )  
 الفرق المخزبة ( من بينهم ) اي

والنصارى) فويل اذ ينظروا (من الخائفين) من عذاب يوم اليم) هو يوم القيامة (هل يظنون) اى ما ينتظر الناس (اللاساعة) (خالدون)  
الماتهم) اى الاثنان الساعده (بصة) اى خفاة لكن لا تعدد كونهم مغربين لها بل غافلين عنها مستغفلين باصور الدين: لم يكن لها وذلك قوله



تعالى ( وهم لا يشعرون الاخلاء ) المتحابون في الدنيا على الاطلاق وفي الامور الدنيوية ( يومئذ ) يوم اذ تأتيهم الساعة ( بعضهم لبعض عدو ) لانقطاع ما بينهم من علائق الخلة والحباب لظهور ( ٤٥٣ ) كونها اسبابا للعدا ( الا المتقين ) فان خلتهم في الدنيا لما كانت

في الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات ولاستثناء على الاول متصل وعلى الثاني منقطع ( يا عباد لا يخو عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ) حكاية لما ينادى به الملقون لتجاوزهم في الله يومئذ تشرى فاهلهم وتطيبها لقلوبهم ( الذين آمنوا بآياتنا ) صفة للمنادى او نصب على المدح ( وكانوا مسلمين ) اي مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو امنوا عن مقاتل اذ بعث الله الناس فزع كل احد فينادى متاد يا عبادي فيرفع الخلائق رؤسهم على الرجا ثم يبعثها الذين آمنوا الآية فينكس اهل الاديان الباطلة رؤسهم ( ادخلوا الجنة انتم وازواجكم ) نسأوكم المؤمنين ( تحبسون ) تسرون سرورا يضر حياره اي اثره على وجوهكم او تربسون من الحيرة وهو حسن الهيئة او كرموا كراما بلباس الحيرة المباحة فيما وصف بحمى ( يطاف عليهم ) بعد دخولهم الجنة حسابا مرواه ( بحساف من ذهب واكواب ) كذلك والصحاح جمع صحيفة قيل هي كاقصعة وقيل اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحيفة ثم المكينة والاكواب جمع كواب وهو كوز لاعروته ( وفيها ) اي في الجنة ( ما تشتهي الانفس ) من فنون الملاذ وفري ما تشتهي ( وتلد الاعين ) اي تستلذه وتقر بمشاهدته وفري واذ ( وانتم فيها خالدون ) اتمام للنعمه واكمال للسروور لكل نعم له زوال بالآخرة مقارن لحولته للاحالة والالتفات للشريف

خالدون وتلك الجنة التي اورثوها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها ( تاكون ) اعلم انه تعالى لما قال هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة ذكر عقبيه بعض ما يتعلق بأحوال القيامة ( فأولها ) قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين والمعنى الاخلاء في الدنيا يومئذ يعنى في الآخرة بعضهم لبعض عدو يعنى ان الخلة اذا كانت على المعصية والكفر صارت عداوة يوم القيامة الا المتقين يعنى الموحدين الذين يخال بعضهم بعضا على الايمان والتقوى فان خلتهم لانصير عداوة وللحكاه في تفسير هذه الآية طريق حسن قالوا ان المحبة امر لا يحصل الا عند حصول خير او دفع ضرر ففي حصل هذا الاعتقاد حصلت المحبة للاحالة ومتى حصل اعتقاد انه يوجب ضررا حصل البغض والنفرة اذ اعرفت هذا فنقول تلك الخيرات التي كان اعتقاد حصولها يوجب حصول المحبة امان تكون قابلة للتغير والتبدل اولاً تكون كذلك فان كان الواقع هو القسم الاول وجب ان تبدل تلك المحبة بالفرقة لان تلك المحبة انما حصلت لاعتقاد حصول الخير والراحة فاذا زال ذلك الاعتقاد وحصل عقبيه اعتقاد ان الحاصل هو الضرر والالم وجب ان تبدل تلك المحبة بالبغضة لان تبدل العلة يوجب تبدل العلول اما اذا كانت الخيرات الموجبة للمحبة خيرات باقية ابدية غير قابلة للتبدل والتغير كانت تلك المحبة ايضا محبة باقية آمنة من التغير اذ اعرفت هذا الاصل فنقول الذين حصلت بينهم محبة ومودة في الدنيا ان كانت تلك المحبة لاجل طلب الدنيا وطيباتها ولذاتها فهذه المطالب لا تبقى في القيامة بل يصير طلب الدنيا سببا لحصول الآلام والآفات في يوم القيامة فلا جرم تقلب هذه المحبة الدنيوية بغضة ونفرة في القيامة امان كان موجب لحصول المحبة في الدنيا الاشتراك في محبة الله وفي خدمته وطاعته فهذا السبب غير قابل للنسخ والتغير فلا جرم كانت هذه المحبة باقية في القيامة بل كأنها تصير اقوى واصفى واكمل وافضل مما كانت في الدنيا فهذا هو التفسير المطابق لقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ( الحكم الثاني ) من احكام يوم القيامة قوله تعالى يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون وقد ذكرنا مرارا ان عادة القرآن جارية بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين المطيعين المتقين فقوله يا عبادي كلام الله تعالى فكأن الحق يخاطبهم بنفسه ويقول لهم يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون وفيه انواع كثيرة مما يوجب الفرح ( اولها ) ان الحق سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة ( وثانيها ) انه تعالى وصفهم بالعبودية وهذا تشریف عظيم بدليل انه لما اراد ان يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج قال سبحانه الذي امرى بعبده ( وثالثها ) قوله لا خوف عليكم اليوم فازال عنهم الخوف في يوم القيامة بالكلية وهذا من اعظم النعم ( ورابعها ) قوله ولا انتم تحزنون فبقي عنهم الحزن بسبب فوت الدنيا الماضية ثم قال تعالى الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين قيل الذين آمنوا مبتدأ وخبره مضمرة والتقدير يقال لهم ادخلوا الجنة ويحتمل ان يكون المعنى اعني الذين آمنوا قال

( وتلك الجنة ) مبتدأ وخبر ( التي اورثوها ) وقرئ ( بما كنتم تعملون ) في الدنيا من الاعمال الصالحة شبه جزء العمل بالمرات لانه يخلفه لعمال عليه ونيل تلك الجنة مبتدأ وصفة والموصول مع صانته خبره وقيل هو حصة الجنة كالوجه الاول والخبر بما كنتم تعملون

فستلقى الباء بمجدوف لا بورنتوها كافي الاولين ( لكم فيها فاكهة كثيرة ) بحسب الانواع والاصناف لا بحسب الافراد فقط ( منها ما يكون )  
اي بعضها نأكلون في كل نوبة واما لباقي فعلى الانحجار على ( ٤٥٤ ) الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن عمرها لحظة

فهي مزينة بالثمار بدوثرهها  
وعن ابن حنبل رحمه الله وسلم لا  
يروع رحمة من عرء  
الاب مره كاهل من حرمين  
اي الراحمين في الاحرام وهم  
الكتابر حجابي عنه ايرادهم  
في مقابلة المؤمنين بالآيات في  
عذاب جهنم خالدون حيران  
او خالدون هو لحر وفي متعلقة  
به ( لا يفر عنهم ) اي لا ينجف  
العذاب عنهم من قولهم فرت  
عنه احمى اذا سكنت قليلا  
والتركيب للضعف ( وهم فيه )  
اي في لعذاب وقرئ فيها اي في  
النار ( مبلسون ) آيسون من الحياة  
( وما ظلمناهم ) بذلك ولكن كانوا  
هم الظالمين ليعرضهم انفسهم  
للعذاب الخالد ( نادوا ) حاذن  
النار ( يا مال ) وقرئ يا مال  
على السخرية بالضم والكسر  
وله رمز الى ضعفهم وعجزهم  
عن نادية اللط بتمامه ( ليقتض  
عليك ربك ) اي ليمتحنني نستريح  
من قضى عليه اذ اماته والمعنى سل  
ربك ان يقضى علينا وهذا الاناني  
ما ذكر من اناسهم لا مجوار  
وتنم لثوت لفرط الشدة ( قال  
اكنم ما كنون ) اي في لعذاب  
ابد لا حلاص لكم منه يموت  
ولا يعبره عن ابن عباس رضي الله  
عنهما انه لا يشبههم الا بعد الف  
سنة وابل بعد مائة وقيل بعد  
اربعين سنة الفدحشا بالحق  
في الدنيا نار سال لرسول رازل  
الكتب وهو خطاب نوح  
وتقرع من جهة الله تعالى مقرر  
لثواب ما كن ومبين اسبب مكنتهم  
وميل في قال صبر الله تعالى ( ولكن  
اكثرتم للفق ) اي حق كال  
( كارهون ) لا يقبلونه ويتعرون  
عنه واما الحق اليهود الذي

بقتل اذا وقع الخوف يوم القيامة نادى مناد يا عبادي لاحوف عليكم اليوم فاداسعوا  
النار رفع الخلاق رؤسهم فيقال الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فتنكس اهل الانيان  
الباطلة رؤسهم ( الحكم الثالث ) من وقائع القيامة انه تعالى اذا آمن المؤمنين من الخوف  
والحزن وجب ان يرحسهم على اسهل الوجوه وعلى احسنهم فيقال لهم ادخلوا الجنة  
انتم وازواجكم تجبرون والحيرة المبالغة في الاكرام فيما وصف بالجميل يعني بكرمون اكراما  
على سبيل المبالغة وهذا مما سبق تفسيره في سورة الروم ثم قال يطاف عليهم بحفاف من  
ذهب واكواب قال الفراء الكوب المستدير الرأس الذي لا ذن له فقوله يطاف عليهم  
بحفاف من ذهب اشارة الى المطعوم وقوله واكواب اشارة الى المشروب ثم انه تعالى ترك  
التفصيل وذكر بيانها كليا فقال وفيها ما تشبهه الانفس وتلد الاعين وانتم فيها خالدون  
ثم قال وتلك الجنة التي اورتوها بما كنتم تعملون وقد ذكرنا في ورائة الجنة وجهين في تفسير  
قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس ولما ذكر الطعام والشراب فيما تقدم  
ذكر ههنا حال الفاكهة فقال لكم فيها فاكهة كثيرة منها ما يكون واعلم انه تعالى بعث  
محمد صلى الله عليه وسلم الى العرب اولا ثم الى العالمين ثانيا والعرب كانوا في ضيق شديد  
بسبب الماء كونه والمشيروا فلهم السبب بفضل الله تعالى عليهم بهذه المعاني  
مرة بعد اخرى تكميل لارغباتهم وتقوية لدواعيهم \* قوله تعالى ( ان الجحيم في عذاب  
جهنم خالدون لا يفر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا  
يا مالك ليقتض علينا ربك قال انكم ما كنون لقد جئناكم بالحق ولكن اكثرتم للحق  
كارهون ام ابرموا امر اقا نبرمون ام يحسبون اننا لنسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا  
لديهم يكتبون ) اعلم انه تعالى لما ذكر الوعد اردفه بالوعيد على الترتيب المستمر في القرآن  
وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) اخبر القاضي على القطع بوعيد الفاسق بقوله ان الجحيم  
في عذاب جهنم خالدون لا يفر عنهم وهم فيه مبلسون ولفظ الجحيم يتناول الكافر والفاسق  
فوجب كون الكل في عذاب جهنم وقوله خالدون يدل على الخلود وقوله ايضا لا يفر عنهم  
يدل على الخلود والدوام ايضا ( والجواب ) ان ما قبل هذه الآية وما بعدها يدل على ان  
المراد من لفظ الجحيم ههنا الكفار اما ما قبل هذه الآية فلا انه قال يا عبادي لاحوف  
عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فهذا يدل على ان كل  
من آمن بآيات الله وكانوا مسلمين فانهم يدخلون تحت قوله يا عبادي لاحوف عليكم اليوم  
ولا انتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين والفاسق من اهل الصلاة آمن بالله تعالى  
وبآياته وامل فوجب ان يكون داخل تحت ذلك الوعد ووجب ان يكون خارجا عن هذا  
الوعيد واما ما بعد هذه الآية فهو قوله لقد جئناكم بالحق ولكن اكثرتم للحق كارهون  
والمراد بالحق ههنا اما الاسلام واما القرآن والرجل المسلم لا يكره الاسلام ولا القرآن  
فتثبت ان ما قبل هذه الآية وما بعدها يدل على ان المراد من الجحيم الكفار والله اعلم

هو التوحيد او القرآن فكاهم كارهون له مشحزون منه ( ام ابرموا امر ) كلام مبتدأ ناع على المشركين ما فعلوا من ( المسئلة )  
الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وام منقطعة وما فيها من معنى بل لا تقال من توبيخ اهل النار الى حكاية جناية هؤلاء والهجرة

للاذكار فان اريد بالابرار الاحكام حقيقة فهي لانكار الوقوع واستبعاده وان اريد الاحكام صورة فهي لانكار الواقع واستبقاها  
اي ابرم مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله ( ٤٥٥ ) صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) كيدنا حقيقة لاهم اوفانا

(المسئلة الثانية) انه تعالى وصف عذاب جهنم في حق المجرمين بصفات ثلاثة (احدها)

الخلود وقد ذكرنا في مواضع كثيرة انه عبارة عن طول المكث ولا يفيد الدوام (وثانيها)

قوله لا يفر عنهم اى لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكت ونقص

حرها (وثالثها) قوله وهم فيه مبلسون والمبلس الياثس الساكت سكوت يائس من فرج

عن الضحالك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يقفل عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى قال

صاحب الكشف وقرئ وهم فيها اى وهم في النار (المسئلة الثالثة) احتج القاضي بقوله

تعالى وما ظنناهم ولكن كانوا هم الظالمين فقال ان كان خلق فيهم الكفر ليدخلهم النار

فما الذى نفاء بقوله وما ظنناهم وما الذى نسب اليهم مما نفاء عن نفسه اوليس لو ابتناه ظلما

لهم كان لا يزيد على ما بقوله القوم فان قالوا ذلك الفعل لم يقع بقدرة الله عز وجل فقط بل

انما وقع بقدرة الله مع قدره العبد معاف لم يكن ذلك ظلما من الله قلنا عندكم ان القدرة على

الظلم موجبة للظلم وخالق تلك القدرة هو الله تعالى فكأنه تعالى لما فعل مع خلق الكفر

قدرة على الكفر خرج عن ان يكون ظلما لهم وذلك محال لان من يكون ظلما في فعل فاذا

فعل معه ما يوجب ذلك الفعل يكون بذلك احق فيقال للقاضي قدرة العبد هل هي صالحة

للطرفين او هي متعينة لاحد الطرفين فان كانت صالحة لكلا الطرفين فالتزجيج ان وقع

للمرجع لزم نفي الصانع وان افقر الى مرجع عاد التقسيم الاول فيه ولا بد وان ينتهى الى

داعيه مرجحة يخلقه الله في العبد وان كانت متعينة لاحد الطرفين فحينئذ يلزمك

ما اورده علينا واعلم انه ليس الرجل من يرى وجه الاستدلال فيذكره انما الرجل الذى

ينظر فيما قبل الكلام وفيما بعده فان رآه واردا على مذهبه بعينه لم يذكره والله اعلم

(المسئلة الرابعة) قرأ ابن مسعود يا مال بحذف الكاف للترخيم فقبل لابن عباس ان ابن

مسعود قرأ ونادوا يا مال فقال ما شغل اهل النار عن هذا الترخيم واجيب عنه بانه انما

حسن هذا الترخيم لانه يدل على انهم بلغوا في الضعف والخفاة الى حيث لا يمكنهم ان

يذكروا من الكلمة الابعضا (المسئلة الخامسة) اختلفوا في ان قولهم يا مالك ليقتض

علينا ربك على اى وجه طلوه فقال بعضهم على التثنية وقال آخرون على وجه الاستعانة

والافهم عالمون بانه لا خلاص لهم عن ذلك العقاب وقيل لا يبعد ان يقال انهم لشدة ما هم

فيه من العذاب نسوا تلك المسئلة فذكروه على وجه الطلب نعم انه تعالى بين ان مالكا يقول

لهم انكم ما كنون وايس في القرآن متى اجابهم هل اجابهم في الحال او بعد ذلك بمدة وان

كان بعد ذلك فهل حصل ذلك الجواب بعد ذلك السؤال بمدة قليلة او بمدة طويلة فلا

يتسع ان تؤخر الاجابة استخفافا بهم وزيادة في غمهم فعن عبد الله بن عمر بعد اربعين سنة

وعن غيره بعد مائة سنة وعن ابن عباس بعد الف سنة والله اعلم بذلك المقدار ثم بين تعالى ان

مالكا لما اجابهم بقوله انكم ما كنون ذكر بعده ما هو كالعلة لذلك الجواب فقال لقد

جشاكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون والمراد نفرتهم عن محمد وعن القرآن وشدة

مبرمون كيدا بهم حقيقة كما  
ابرموا كيدهم صورة كقولهم  
تعالى أم يريدون كيدا فالذين  
كفروا هم المكيدون وكانوا  
يتاجون في انديتهم ويتشاورون  
في اموره عليه الصلاة والسلام (أم  
يحسبون) اى هل يحسبون (انا  
لا نسبح سرهم) وهو ما حدثوا  
به أنفسهم او غيرهم في مكان  
خال (ونجواهم) اى ما تكلموا به  
في ايديهم بطريق التثنية (بلى) نحن  
نسمعها ونطلع عليها (ورسلنا)  
الذين يحفظون عليهم اعمالهم  
ويلازمونهم انما كانوا (لديهم)  
عندهم (يكتبون) اى يكتبونها  
او يكتبون كل ما صدر عنهم  
من الافعال والاقوال التي من  
جلها ما ذكر من سرهم ونجواهم  
والجمله اما عطف على ما يرجع  
عنه بلى احوال اى نسمعها  
والحال ان رسلنا يكتبون (قل)  
اى الكفرة بتحقيق الحق ونبيهها  
لهم على ان مخالفتك لهم بدم  
عبادتك لا يعيدونه من الملائكة  
عليهم السلام ليست لبعضك  
وعداوتك لهم وللعبدود بهم بل  
اتما هو لجرمك باستهانة ما نسبوا  
اليهم ويواسيهم عبادتهم من كونهم  
بنات الله تعالى (ان كان للرجن  
ولدنا اول العابدن) اى له  
وذلك لانه عليه الصلاة والسلام  
اعلم الناس بشؤنه تعالى وبما  
يجوز عليه وبما لا يجوز  
واولاهم بمرعاة حقوقه ومن  
موجب تعظيم الولد تعظيم  
ولده وفيه من الدلالة على  
استفاء كونهم كذلك على  
اباغ الوجوه واقواها وعلى  
كون رسول الله صلى الله  
عليه وسلم على قوة يقين  
وسبات قدم في باب التوحيد  
مالا يتخفى مع ما فيه من استئصال

الكفرة عن رتبة المكاره حسبا يعرب عنه ايراد ان مكان لوانبئة عن امتناع مقدم الشرطية وقيل ان كان للرجن ولد في  
زعيمكم فانا اول العابدن الموحدين لله تعالى وقيل فانا اول الاتقيين اى المستنكفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد

إذا اشتد أمه وقيل أن ناعية أي ما كان للرجل ولداناً أول من مال بذلك وتري ولد (سبحان رب السموات والأرض رب العرش العظيم) أي يصعبه من أن يكون ولد (٤٥٦) وفي أصناف اسم الرب إلى علم الأحرار وأقوالها تنسب على ألبانها

بعضهم لقول الذين الحق فإن قيل كنت قال وندرا يامالك دعه أو صمهم بالابلاس قلنا ذلك أزيمة متماوله واحقاب متممة فمختلف بهم الأحوال فيسكتون أو قاتل العالمة اليأس عليهم ويستغيثون أو قاتل لشدة ما بهم روي أنه يلقي على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكاً فيدعون يامالك ليقتض علينا ربك ولما ذكر الله تعالى كيفية عذابهم في الآخرة ذكر بعده كيفية مكربهم وفساد ما ظنهم في الدنيا فقال أم ارموا أمراً فأناب مبرمون والمعنى أم ارموا مشركو مكة أمراً من كيدهم ومكربهم رسول الله فأناب مبرمون كيدنا كما ارموا كيدهم كقوله تعالى أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون قال مقاتل نزلت في تدبيرهم في المكر به في دار الدوة وهو ما ذكره الله تعالى في قوله تعالى وإذ يكره لك الدين كفروا وقد ذكرنا القصة ثم قال أم يحسبون أنا لننجمع سرهم ونجواهم السر ما حدث به الرجل نفسه أو غيره في مكان حال والجوى ما تكلموا به فيما بينهم بل لنسمعها وننزع عابها ورسلا يريد الحفظة يكتبون عليهم تلك الأحوال وعن يحيى بن معاذ من ستر من الناس ديوه وابداهالدي لا يخفى عليه شيء في السموات فقد جعله أهون الناظرين إليه وهو من علامات العاقبة قوله تعالى (قل أن كان للرجل ولداناً أول العابدین سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون ودرهم يخوصوا ويلعوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو الذي في السماء اله وفي الأرض اله وهو الحكيم العليم وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه يرجعون ولا يملك الذي يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ولن أسألتهم من خلقهم ليقول الله فأنى يؤفكون وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفهم عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) وفيه مسائل (المسألة الأولى) قرأ جرة والكسائي ولد بصم الواو واسكان اللام والباقون يفتحهما فأناب أول العابدین قرأ نافع فأناب بفتح طويلة عنى اسون والباقون بلا تطويل (المسألة الثانية) أعلم أن الله س ظنوا أن قوله قل أن كان للرجل ولد فأناب أول العابدین لو أجرياه على ظاهره فانه يقتضى وقوع الشك في اثبات ولد لله تعالى وذلك محال فلا جرم افتقروا إلى تأويل الآية وعمدى أنه ليس الأمر كذلك وليس في ظاهر اللفظ ما يوجب العدول عن الظاهر وتقريره أن قوله أن كان للرجل ولد فأناب أول العابدین قضية شرطية والقضية الشرطية مركبة من قضيتين خريتين ادخل على أحدهما حرف الشرط وعلى الأخرى حرف الجراء فحصل بمجموعهما قضية واحدة ومثله هذه الآية فان قوله أن كان للرجل ولد فأناب أول العابدین قضية مركبة من قضيتين (أحدهما) قوله أن كان للرجل ولد (والثانية) قوله فأناب أول العابدین ثم ادخل حرف الشرط وهو لفظه أن على القضية الأولى وحرف الجراء وهو الفاء على القضية الثانية فحصل من مجموعهما قضية واحدة وهى القضية الشرطية اذ عرفت هذا فقولنا قضية الشرطية لا تقيد الا كون الشرط مستلزماً للجزاء وليس فيها اشعار بكون الدوم كالأهواء أو في بعض

فما من الموت حيث كانت تحت ملكوته ورده ينسب كيب يزعم أن يكون شيء مباحراً منه سبحانه وفي تكرار اسم الرب تعجيب لشأن العرش (فدرهم) حيث لم يندموا للحق بعدما سمعوا هذا البرهان الحلى (بخوضوا) في أوطالهم (ويلعوا) في دنياهم فان ما هم فيه من الأفعال والأقوال ليس إلا من باب الجهل واللبس والحرم في فعل الموت (حتى يلاقوا) يومهم الذي يوعدون (من يوم القيامة) يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يعمل بهم (وهو الذي في السماء اله وفي الأرض اله) الطرفان متعلقان بالحق الوصلى لدى بنى عنه لاسم الحليل من معنى المعبودية ناخى ساء على احتصاصه بالمعبود ما لم يكن كما في تفسير لسماء كما به قبل وهو الذى يستحق لأر بعد منهما وقد مر تحقيقه في سورة الأنعام وقرئ وهو الذى في السماء الله وفي الأرض لله ولراحم الى الموصول متداً من حيث طول الصلة متعلق الجروا مطب عليه ولا مساع لكول النار حسراً مشما ولستم مؤخر الروم عرء الحجة حمند عن لعائد أهم مرسوس يكون موصول وا حراً متداً محذوف على أن الجئة يان له وكونه في السماء على يال الألهة لا على سبيل الاستقرار روي في الآلهة السماء والأرضية وتخصيص لاستحقاق الآلهة تعالى ووله تعالى وهو الحكيم العليم (كذلك الدال على ما قبله) (وتسار) لدى ما في السموات والأرض وما بينهما (أما على الدوم كالأهواء أو في بعض

الذوات كالظير (وعنده علم الساعة) أي العلم بالساعة لني فيها تقوم القيامة (والبه ترجعون) للحرار والالتمات (السرط) تهديد وقرئ على أعيه وقرئ تحسرون بالله (ولا يملك الذين يدعون) أي يدعوهم وقرئ بالثناء وحفظه ومشدد (من دونه الشفاعة)

الشرط حقا او باطلا او يكون الجزاء حقا او باطلا بل بقول القضية الشرطية الحققة  
قد تكون مركبة من قضيتين حقيتين او من قضيتين باطلتين او من شرط باطل وجزاء حقا  
او من شرط حقا وجزاء باطل ( فأما القسم الرابع ) وهو ان تكون القضية الشرطية  
الحققة مركبة من شرط حقا وجزاء باطل فهذا محال ولئين امثلة هذه الاقسام الاربعة  
فاذا قلنا ان كان الانسان حيوانا فالانسان جسم فهذه شرطية حققة وهى مركبة من  
قضيتين حقيتين ( احدهما ) قولنا الانسان حيوان والثانية قولنا الانسان جسم واذا  
قلنا ان كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بمتساويين فهذه شرطية حققة لكنها مركبة  
من قولنا الخمسة زوج ومن قولنا الخمسة منقسمة بمتساويين وهما باطلان وكونهما  
باطلين لا يمنع من ان يكون استلزام احدهما للآخر حقا وقد ذكرنا ان القضية الشرطية  
لا تقيد الا بمجرد الاستلزام واذا قلنا ان كان الانسان حجرا فهو جسم فهذا ايضا حقا لكنها  
مركبة من شرط باطل وهو قولنا الانسان حجر ومن جزاء حقا وهو قولنا الانسان جسم  
واما جاز هذا لان الباطل قد يكون بحيث يلزم من فرض وقوعه وقوع حقا فانا لو فرضنا  
كون الانسان حجرا وجب كونه جسما فهذا شرط باطل يستلزم جزاء حقا ( واما القسم  
الرابع ) وهو تركيب قضية شرطية حققة من شرط حقا وجزاء باطل فهذا محال لان هذا  
التركيب يلزم منه كون الحق مستلزما للباطل وذلك محال بخلاف القسم الثالث فانه  
يلزم منه كون الباطل مستلزما للحق وذلك ليس بمحال اذا عرفت هذا الاصل فلنرجع الى  
الآية فنقول قوله ان كان للرجل ولد فانا اول العابدين قضية شرطية حققة من شرط  
باطل ومن جزاء باطل لان قولنا كان للرجل ولد باطل وقولنا انا اول العابدين لذلك الولد  
باطل ايضا الا اننا بينا ان كون كل واحد منهما باطلا لا يمنع من ان يكون استلزام احدهما  
للاخر حقا كما ضربنا من المال في قولنا ان كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بمتساويين  
ثبت ان هذا الكلام لا امتناع في اجرائه على ظاهره ويكون المراد منه انه ان كان للرجل  
ولدا فانا اول العابدين لذلك الولد فان السلطان اذا كان له ولد فكما يجب على عبده ان يخدمه  
فكذلك يجب عليه ان يخدم ولده وقدينا ان هذا التركيب لا يدل على الاعتراف بالبات ولد  
ام لا وما يقرب من هذا الباب قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فهذا الكلام قضية  
شرطية والشرط هو قولنا فيهما آلهة والجزاء هو قولنا فسدتا فالشرط في نفسه باطل  
والجزاء ايضا باطل لان الحق انه ليس فيهما آلهة وكلمة لتفيد انتفاء الشئ بانتفاء غيره  
لانهما ما فسدتا ثم مع كون الشرط باطلا وكون الجزاء باطلا كان استلزام ذلك الشرط  
لهذا الجزاء حقا فكذا ههنا فان قالوا الفرق ان ههنا ذكر الله تعالى هذه الشرطية بصيغة  
لوقال لو كان لو كان فيهما آلهة وكلمة لتفيد انتفاء الشئ بانتفاء غيره واما في الآية التي  
نحن في تفسيرها انما ذكر الله تعالى كلمة ان وهذه الكلمة لا تفيد انتفاء الشئ بانتفاء غيره  
بل هذه الكلمة تفيد الشك في انه هل حصل الشرط ام لا وحصول هذا الشك الرسول

كأربعون (الامن شهد الحق)  
الذى هو التوحيد (وهم يعلمون)  
ما يشهدون به عن بصيرة وإيقان  
واخلاص وجع الصير باعتبار  
معنى من كما ان الافراد اولا  
باعتبار لفظها والاستثناء اما  
متصل والموصول عام لكل ما يعبد  
من دون الله او منفصل على انه  
خاص بالاصنام (ولئن سألتهم من  
خلقهم) اى سألت العابدين  
والمعبدون (ليقولن الله) لتعذر  
الادكار لمساوية بطانته (فأنى  
يؤمنون) فكيف يصرفون  
عن عبادته الى عبادة غيره مع  
اعترافهم بكون الكل مخلوقا له  
تعالى (وقيله) بالجر اما على انه  
عطف على الساعة اى عنده علم  
الساعة وعلم قوله عليه الصلاة  
والسلام (يارب) الخ فان القول  
والقول والقال كلها مصادر  
او على ان الواو للقسم وقوله

غير ممكن قلنا الفرق الذي ذكرتم صحيح الا ان مقصودنا بيان انه لا يلزم من كون الشرطية صادقة كون جزأها صادقتين او كاذبتين على ما قررناه اما قوله ان لفظة ان تفيد حصول الشك في ان الشرط هل حصل ام لا قلنا هذا مسموع فان حرف ان حرف الشرط وحرف الشرط لا يفيد الا كون الشرط مستلزما للجزء واما بيان ان ذلك الشرط معلوم الوقوع او مشكوك الوقوع فاللفظ لادلالة فيه عليه البتة فظهر من المباحث التي لخصناها ان الكلام ههنا ممكن الاجراء على ظاهره من جميع الوجوه وانه لا حاجة فيه البتة الى التأويل والمعنى انه تعالى قال قل يا محمد ان كان للرحن ولد فانا أول العابدين لذلك الولد وانا أول الخادمين له والمقصود من هذا الكلام بيان اني لا انكر ولده لاجل العناد والمنازعة فان بتقدير ان يقوم الدليل على ثبوت هذا الولد كنت مقرا به معترفا بوجوب خدمته الا انه لم يوجد هذا الولد ولم يبق الدليل على ثبوته البتة فكيف أقول به بل الدليل القاطع قائم على عدمه فكيف أقول به وكيف اعترف بوجوده وهذا الكلام ظاهر كامل لا حاجة به البتة الى التأويل والعدول عن الظاهر فهذا ما عندي في هذا الموضع ونقل عن السدي من المفسرين انه كان يقول حل هذه الآية على ظاهرها ممكن ولا حاجة الى التأويل والتقرير الذي ذكرناه يدل على ان الذي قاله هو الحق اما القائلون بانه لا بد من التأويل فقد ذكروا فيه وجوها (الاول) قال الواحدى كثرت الوجوه في تفسير هذه الآية والاقوى ان يقال المعنى ان كان للرحن ولد في زعمكم فانا أول العابدين اى الموحدين لله المكذبين لقولكم باضافة الولد اليه ولقائل ان يقول اما ان يكون تقدير الكلام ان ثبت للرحن ولد في نفس الامر فانا أول المنكرين له او يكون التقدير ان ثبت لكم ادعاء ان للرحن ولدا فانا أول المنكرين له والاول باطل لان ثبوت الشيء في نفسه لا يقتضى كون الرسول منكرا له لان قوله ان كان الشيء ثابتا في نفسه فانا أول المنكرين يقتضى اصراره على الكذب والجهل وذلك لا يليق بالرسول (والثاني) ايضا باطل لانهم سواء اثبتوا لله ولدا او لم يثبتوه فالرسول منكر لذلك الولد فلم يكن لزعمهم تأثير في كون الرسول منكرا لذلك الولد فلم يصلح جعل زعمهم اثبات الولد مؤثرا في كون الرسول منكرا للولد (والوجه الثاني) قالوا معناه ان كان للرحن ولد فانا أول العابدين الآتفين من ان يكون له ولد من عبدي بعد اذا اشتدت انتفته فهو عبد وابد وقرأ بعضهم عبدين واعلم ان السؤال المذكور قائم ههنا لانه ان كان المراد ان كان للرحن ولد في نفس الامر فانا أول الآتفين من الاقرار به فهذا يقتضى الاصرار على الجهل والكذب وان كان المراد ان كان للرحن ولد في زعمكم واعتقادكم فانا أول الآتفين فهذا التعليق فاسد لان هذه الالفة حاصلة سواء حصل ذلك الزعم والاعتقاد او لم يحصلوا واذ كان الامر كذلك لم يكن هذا التعليق جائزا (والوجه الثالث) قال بعضهم ان كلمة ان ههنا هى النافية والتقدير ما كان للرحن ولد فانا أول الموحدين من اهل مكة ان لا ولده واعلم ان التزام

تعالى (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) جوابه وفي الاقسام به من دفع شأنه عليه الصلاة والسلام ونقيض دعائه والتجاء اليه تعالى ما لا يخفى وقرئ بالنصب بالمطف على سرهم او على عمل الساعة او باضمار فعله او بتقدير فعل القسم وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة (ما صفتح عنهم) فأعرض عن دصوتهم وانقطع عن ايمانهم (وقل سلام) اى امرى تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) حالهم البتة وان تأخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ تعلمون على انه داخل في حيث قل «عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عباد لا خوف

هذه الوجوه البعيد انما يكون للضرورة وقد بينا له لا ضرورة البتة فلم يجز المصير اليها والله اعلم ثم قال سبحانه وتعالى سبحانه رب السموات والارض رب العرش عما يصفون والمعنى ان الله العالم يجب ان يكون واجب الوجود لذاته وكل ما كان كذلك فهو فرد مطلق لا يقبل التجزى بوجه من الوجوه والولد عبارة عن ان يفصل عن الشيء جزء من اجزائه فيتولد عن ذلك الجزء شخص مثله وهذا انما يعقل فيما تكون ذاته قابلة للتجزى والتبعض واذا كان ذلك محالا في حق الله العالم امتنع اثبات الولد له ولما ذكر هذا البرهان القاطع قال فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون والمقصود منه التهديد يعني قد ذكرت الحجة القاطعة على فساد ماذكروا وهم لم يلتفتوا اليها لاجل كونهم مستغرقين في طلب المال والجاه والرياسة فأتركهم في ذلك الباطل واللعب حتى يصلوا الى ذلك اليوم الذي وعدوا فيه بما وعدوا والمقصود منه التهديد ثم قال تعالى وهو الذي في السماء اله في الارض اله وفيه بحثان (البحث الاول) قال ابو علي نظرت فيما يرتفع به اله فوجدت ارتفاعه يصح بأن يكون خبر مبتدأ محذوف والتقدير وهو الذي في السماء هو اله (والبحث الثاني) هذه الآية من أدل الدلائل على انه تعالى غير مستقر في السماء لانه تعالى ين بهذه الآية ان نسبتته الى السماء بالالهية كنسبته الى الارض فلما كان الها للارض مع انه غير مستقر فيها فكذلك يجب ان يكون الها للسماء مع انه لا يكون مستقرا فيها فان قيل واي تعلق لهذا الكلام بنبي الولد عن الله تعالى قلنا تعلقه به انه تعالى خلق عيسى بمحض كن فيكون من غير واسطة النطفة والاب فكانه قيل ان هذا القدر لا يوجب كون عيسى ولدا لله سبحانه لان هذا المعنى حاصل في تخليق السموات والارض وما بينهما مع انتفاء حصول الولادة هناك ثم قال تعالى وهو الحكيم العليم وقد ذكرنا في سورة الانعام ان كونه تعالى حكما عليا ينافي حصول الولد له ثم قال وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون واعلم ان قوله تبارك اما ان يكون مشتقا من الثبات والبقاء واما ان يكون مشتقا من كثرة الخير وعلى التقديرين فكل واحد من هذين الوجهين ينافي كون عيسى عليه السلام ولدا لله تعالى لانه ان كان المراد منه الثبات والبقاء فعيسى عليه السلام لم يكن واجب البقاء والدوام لانه حدث بعد ان لم يكن ثم عند النصارى انه قتل ومات ومن كان كذلك لم يكن بينه وبين الباقي الدائم الازلي مجانسة ومساوية فامتنع كونه ولداله وان كان المراد بالبركة كثرة الخيرات مثل كونه خالقا للسموات والارض وما بينهما فعيسى لم يكن كذلك بل كان محتاجا الى الطعام وعند النصارى انه كان خائفا من اليهود وبالأخرة اخذوه وقتلوه فالذي هذا صفته كيف يكون ولدا لمن كان خالقا للسموات والارض وما بينهما واما قوله وعنده علم الساعة فالمقصود منه انه لما شرح كمال قدرته فكذلك شرح كمال علمه والمقصود التنبيه على ان من كان كاملا في الذات والعلم والقدرة على الخلد الذي شرحناه امتنع ان يكون

عليكم اليوم ولا انتم تحزنون  
ادخلوا الجنة بغير حساب  
(سورة الدخان مكية الاقوله)  
(انا كاشفوا العذاب الاية)  
(وهي سبع اوتسع ونحسون)  
(آية)

\* (بسم الله الرحمن الرحيم) \*  
(حم والكتاب المبين) الكلام  
فيه كالذي سلف في السورة  
السابقة (انا انزلناه) اي الكتاب  
المبين الذي هو القرآن (في ليلة  
مباركة) هي ليلة القدر وقيل  
ليلة البراءة ابتدئ فيها ازاله او  
انزل فيها جهته الى السماء الدنيا  
من اللوح واملاه جبريل عليه  
السلام على السفارة ثم كان ينزله  
على النبي صلى الله عليه وسلم  
مجوما في ثلاث وعشرين سنة كما  
مر في سورة الفاتحة ووصفها  
بالبركة لما انزل القرآن مستمع  
للمنافع الدينية والدنيوية بأجمعها



ولده في العجز وعدم الوقوف على احوال العالم بالحد الذي وصفه النصارى ولما اطنب الله تعالى في نفي الولد اردفه ببيان نفي الشركاء فقال ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ذكر المفسرون في هذه الآية قولين (احدهما) ان الذين يدعون من دونه الملائكة وعيسى وعزير والمعنى ان الملائكة وعيسى وعزير لا يشفعون الا لمن شهد بالحق روى ان النضر بن الحرث وقرأ معه قالوا ان كان ما يقول محمد حقاً فحقن ننولى الملائكة فهم أحق بالشفاعة من محمد فأترل الله هذه الآية يقول لا يقدر هؤلاء ان يشفعوا لأحد ثم استثنى فقال الا من شهد بالحق والمعنى على هذا القول هؤلاء لا يشفعون الا لمن شهد بالحق فأضمر اللام او يقال التقدير الاشفاة من شهد بالحق فحذف المضاف وهذا على لغة من يعدى الشفاعة بغير لام فيقول شفعت فلانا بمعنى شفعت له كما تقول كلمته وكلمته ونصحت له ونصحت له (والقول الثاني) ان الذين يدعون من دونه كل معبود من دون الله وقوله الا من شهد بالحق الملائكة وعيسى وعزير والمعنى ان الاشياء التي عبدها هؤلاء الكفار لا يملكون الشفاعة الا من شهد بالحق وهم الملائكة وعيسى وعزير فان لهم شفاعة عند الله ومنزلة ومعنى من شهد بالحق من شهد انه لا اله الا الله ثم قال تعالى وهم يعلمون وهذا القيد يدل على ان الشهادة باللسان فقط لا تنفي البتة واحتج القائلون بأن ايمان المقلد لا ينفع البتة بهذه الآية فقالوا بين الله تعالى ان الشهادة لا تنفع الا اذا حصل معها العلم والعلم عبارة عن اليقين الذي لو شك صاحبه فيه لم يشكك وهذا لم يحصل الا عند الدليل فثبت ان ايمان المقلد لا ينفع البتة ثم قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأني يؤفكون وفيه مستلثان (المسئلة الاولى) عن قوم ان هذه الآية وامثالها في القرآن تدل على ان القوم مضطرون الى الاعتراف بوجود الاله للعالم قال الجبائي وهذا لا يصح لان قوم فرعون قالوا لا اله الا الله لغيره وقوم ابراهيم قالوا وانا لنفي شك مما تدعوننا اليه فيقال لهم لانسلم ان قوم فرعون كانوا مكربين لوجود الاله والدليل على قولنا قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلماً وقال موسى لفرعون لقد علمت ما اتزل هؤلاء الارب السموات والارض بصائر فالقراءة بفتح التاء في علمت تدل على ان فرعون كان عارفاً بالله واما قول ابراهيم حيث قالوا وانا لنفي شك مما تدعوننا اليه فهو مصروف الى اثبات القيامة واثبات التكليف واثبات النبوة (المسئلة الثانية) اعلم انه تعالى ذكر هذا الكلام في اول هذه السورة وفي آخرها والمقصود التنبيه على انهم لما اعتقدوا ان خالق العالم وخالق الحيوانات هو الله تعالى فكيف اقدموا مع هذا الاعتقاد على عبادة اجسام خسيسة واصنام خيثة لا تنضر ولا تنفع هي جادات محضة واما قوله فأني تؤفكون معناه لم تكذبون على الله فقولون ان الله امرنا بعبادة الاصنام وقد احتج بعض اصحابنا به على ان افكهم ليس منهم بل من غيرهم بقوله فأني تؤفكون وأجاب

أو لما فيها من تنزل الملائكة والرجة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية وفضيلة العبادة واعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل يزيد في هذه اليلة ما مزمزم زيادة ظاهرة (انا كما منذرين) استثناء مبين لما يقتضى الانزال كأنه قيل انا انزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب قيل جواب القسم وقوله تعالى انا انزلناه الخ اعتراض وقيل جواب ثان بغير عاطف (فيها يفرق كل امر حكيم) استثناء كما قبله فان كونها مفرقة الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة الموافقة لها يستدعي ان ينزل فيها القرآن الذي هو من عظمتها وقيل صفة اخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهذا يدل على انها ليلة القدر ومعنى

القاضي بان من يضل في فهم الكلام او في الطريق يقال له اين يذهب بك والمراد اين تذهب واجاب الاصحاب بأن قول القائل اين يذهب بك ظاهره يدل على ان ذاهبا آخر ذهب به فصرف الكلام عن حقيقته خلاف الاصل الظاهر وايضا فان الذي ذهب به هو الذي خلق تلك الداعية في قلبه وقد ثبت بالبرهان الباهر ان خالق تلك الداعية هو الله تعالى ثم قال تعالى وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون وفيه مباحث (الاول) قرأ الاكثرون وقيله بفتح اللام وقرأ حاصم وحزة بكسر اللام قال الواحدي وقرأ أناس من غير السبعة بالرفع اما الذين قرؤا بالصب فذكر الاخفش والقراء فيه قولين (احدهما) انه نصب على المصدر بتقدير وقال قبله وشكاشكواه الى ربه يعني النبي صلى الله عليه وسلم فان نصب قبله باضمار قال (والثاني) انه عطف على ما تقدم من قوله انا لاسمع سرهم ونجواهم وقيله وذكر الزجاج فيه وجهان لكنا فقال انه نصب على موضع الساعة لان قوله وعنده علم الساعة معناه انه علم الساعة والتقدير علم الساعة وقيله ونظيره قولك عجب من ضرب زيد وعمرا واما القراءة بالجر فقال الاخفش والقراء والزجاج انه معطوف على الساعة اي وعنده علم الساعة وعلم قبله يارب قال المبرد العطف على المنصوب حسن وان تباعد المعطوف من المعطوف عليه لانه يجوز ان يفصل بين المنصوب وعامله والجرور يجوز ذلك فيه على قبح واما القراءة بالرفع ففيها وجهان (الاول) ان يكون وقيله مبتدأ وخبره ما بعده (والثاني) ان يكون معطوفا على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قبله قال صاحب الكشف هذه الوجوه ليست قوية في المعنى لاسيما وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضه ثم ذكر وجه آخر وزعم انه اقوى مما سبق وهو ان يكون نصب والجر على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم آمين الله وامانة الله وامين الله ويكون قوله ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم كانه قيل واقسم بقبله يارب او بقبله يارب قسمي واقول هذا الذي ذكره صاحب الكشف متكلف ايضا وههنا اضمار امتلا القرآن منه وهو اضمارا ذكر والتقدير واذكر قبله يارب واما القراءة بالجر فتقدير واذكر وقت قبله يارب واذا وجب التزام الاضمار فلان يضم شيئا جرت العادة في القرآن بال التزام الاضماره اولى من غيره وعن ابن عباس انه قال في تفسير قوله وقيله يارب المراد وقيل يارب والهامة زيادة (البحث الثاني) القيل مصدر كالقول ومنه قوله النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قيل وقال قال الليث تقول العرب كثر فيه القيل والقال وروى شمر عن ابى زيد يقال ما احسن قيلك وقولك ومقالك وقالك ومقالتك خسة اوجه (البحث الثالث) الضمير في قبله لرسول الله صلى الله عليه وسلم (البحث الرابع) ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ضمير منهم وعرف اصرارهم اخبر عنهم انهم قوم لا يؤمنون وهو قريب مما حكى الله عن نوح انه قال رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الاخسار انما الله تعالى قال له فاصفح

يفرق انه يكتب ويفصل كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم من هذه الليلة الى الاخرى من السنة القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة ويقع الفراع في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذا الزلازل والحسب والصواعق ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملاك الموت عليهم السلام وقرئ يشرق بالتشديد وقرئ يشرق على البناء للفاعل اي يشرق الله تعالى كل امر حكيم وقرئ تفرق بنون العطة (امر من عندنا) نصب على الاختصاص اي اعني بهذا الامرا ما حاصلنا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان

عنهم فامرهم بان يصفح عنهم وفي ضمنه منعه من ان يدعو عليهم بالعذاب والصفح هو  
الاعراض ثم قال وقل سلام قال سيويه انما معناه المتاركة ونظيره قول ابراهيم لابيه  
سلام عليك سآ ستغفر لك ربى وكقوله سلام عليكم لا ينبغي الجاهلين ثم قال فسوف يعلمون  
المقصود منه التهديد وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأنا في ابن مامر تعلمون بالتاء على  
الخطاب والباقون بالياء كناية عن قوم لا يؤمنون (المسئلة الثانية) احتج قوم بهذه الآية  
على انه يجوز السلام على الكافر واقول ان صح هذا الاستدلال فهذا يوجب الاختصار  
على مجرد قوله سلام وان يقال للؤمن سلام عليكم والمقصود التنبيه على التحية التي  
تذكر للسلم والكافر (المسئلة الثالثة) قال ابن عباس قوله تعالى فاصفح عنهم وقل سلام  
منسوخ بأية السيف وعندى التزام النسخ في امثال هذه المواضع مشكل لان الامر  
لا يفيد الفعل الامرة واحدة فاذا اتى به مرة واحدة فقد سقطت دلالة اللفظ فأى حاجة  
فيه الى التزام النسخ وايضا فخله يمين الفور مشهورة عند الفقهاء وهى دالة على ان اللفظ  
المطلق قد يتقيد بحسب قرينة العرف واذا كان الامر كذلك فلا حاجة فيه الى  
التزام النسخ والله اعلم بالصواب (قال مولانا المؤلف عليه سحائب الرحمة والرضوان)  
تم تفسير هذه السورة يوم الاحد الحادى عشر من ذى الحجة سنة ثلاث وستمائة والحمد لله  
اولا وآخرا وباطنا وظاهرا والصلاة على ملائكته المقربين والانبياء والمرسلين خصوصا  
على محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه اجمعين ابد الآبدين ودهر الداهرين

(\*) سورة الدخان خمسون وتسع آيات مكية الأقوله انا كاشفوا العذاب (\*)

(\*) (بسم الله الرحمن الرحيم)

(جم والكتاب المين انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم  
امرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض  
وما بينهما ان كنتم موقنين لاله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين بل هم  
في شك يلعبون) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) في قوله جم والكتاب المين وجوه من  
الاحتمالات (اولها) ان يكون التقدير هذه جم والكتاب المين كقولك هذا زيد والله  
(وثانيها) ان يكون الكلام قد تم عند قوله جم ثم يقال والكتاب المين انا انزلناه  
(وثالثها) ان يكون التقدير وجم والكتاب المين انا انزلناه فيكون ذلك في التقدير قسمين  
على شئ واحد (المسئلة الثانية) قالوا هذا يدل على حدوث القرآن لوجوه (الاول)  
ان قوله جم تقديره هذه جم يعنى هذا شئ مؤلف من هذه الحروف والمؤلف من الحروف  
المتعاقبة محدث (الثاني) انه ثبت ان الحلف لا يصح بهذه الاشياء بل باله هذه الاشياء  
فيكون التقدير ورب جم ورب الكتاب المين وكل من كان مربوبا فهو محدث (الثالث)  
انه وصفه بكونه كتابا والكتاب مشتق من الجمع فعناه انه مجموع والمجموع محل تصرف

لفضامته الاضافية بعد بيان  
فضامته الذاتية ويجوز كونه حالا  
من كل امر لتخصصه بالوصف او  
من ضميره في حكم وقد جوز ان  
يراد به مقابل النهى ويجعل مصدرا  
مؤكدًا ليعرف لاتحاد الامر  
والفرقان في المعنى اولفعله المغفر  
لما ان الفرق به او حالا من احد  
ضميرى انزلناه اى امرين او  
مأمور به (انا كنا مرسلين) يدل  
من انا كنا منذرين وقيل جواب  
ثالث وقيل مستأنف وقوله تعالى  
(رحمة من ربك) غاية للارسل  
متأخرة عنه على ان المراد بها  
الرحمة الواصلة الى العباد  
وباعت مقدم عليه على ان المراد  
مبدؤها اى انا انزلنا القرآن لان  
من عادات ارسال الرسل بالكتب  
الى العباد لاجل فاضلة رحمتنا  
عليهم ولا اقتضاء رحمتنا لسابقة

الغير وما كان كذلك فهو محدث (الرابع) قوله انا انزلناه والمنزل محل تصرف الغير وما كان كذلك فهو محدث وقد كرنا مرارا ان جميع هذه الدلائل تدل على ان الشيء المركب من الحروف المتعاقبة والاصوات المتواليه محدث والعلم بذلك ضروري بديهي لا ينازع فيه الا من كان عديم العقل وكان غير عارف بمعنى القديم والمحدث واذا كان كذلك فكيف ينازع في صحة هذه الدلائل انما الذي ثبت قدمه شيء آخر سوى ما ترك من هذه الحروف والاصوات (المسئلة الثالثة) يحوز ان يكون المراد بالكتاب ههنا الكتب المتقدمة التي انزلها الله على انبيائه كما قال تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ويحوز ان يكون المراد اللوح المحفوظ كما قال بمحوا الله ما يشاء ونبت وعنده أم الكتاب وقال وانه في أم الكتاب لدينا ويحوز ان يكون المراد به القرآن وبهذا التقدير فقد اقسام القرآن على انه انزل القرآن في ليلة مباركة وهذا النوع من الكلام يدل على غاية تعظيم القرآن فقد يقول الرجل اذا اراد تعظيم رجل له حاجة اليه استشفع بك البك واقسم بحقك عليك (المسئلة الرابعة) المبين هو المشتل على بيان ما بالناس حاجة اليه في دينهم ودينهم فوصفه بكونه مبينا وان كانت حقيقة الامة لله تعالى لاجل ان الابانة حصلت به كما قال تعالى ان هذا القرآن يقصص على بني اسرائيل وقال في آية أخرى نحن نقص عليك احسن القصص وقال أم انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون فوصفه بالتكلم اذا كان غاية في الابانة فكانه ذو لسان ينطق والمعنى فيه المبالغة في وصفه بهذا المعنى (المسئلة الخامسة) اختلفوا في هذه الليلة المباركة فقال الاكثرون انها ليلة القدر وقال عكرمة وطائفة آخرون انها ليلة البراءة وهي ليلة النصف من شعبان (اما الاولون) فقد احتجوا على صحة قولهم بوجود (اولها) انه تعالى قال انا انزلناه في ليلة القدر وههنا قال انا انزلناه في ليلة مباركة فوجب ان تكون هذه الليلة المباركة هي تلك السماء بليلة القدر لئلا يلزم التناقض (وثانيها) انه تعالى قال شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن فين ان انزال القرآن انما وقع في شهر رمضان وقال ههنا انا انزلناه في ليلة مباركة فوجب ان تكون هذه الليلة المباركة واقعة في شهر رمضان وكل من قال ان هذه الليلة المباركة واقعة في شهر رمضان قال انها ليلة القدر فثبت انها ليلة القدر (وثالثها) انه تعالى قال في صفة ليلة القدر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام هي وقال ايضا ههنا فيها يفرق كل امر حكيم وهذا مناسب لقوله تنزل الملائكة والروح فيها وههنا قال امرا من عندنا وقال في تلك الآية باذن ربهم من كل امر وقال ههنا رجعة من ربك وقال في تلك الآية سلام هي واذا تقاربت الاوصاف وجب القول بأن احدى الليلتين هي الاخرى (ورابعها) نقل محمد ابن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة أنه قال نزلت صحف ابراهيم في اول ليلة من رمضان والتوراة لست ليال منه والزبور لثنتي عشرة مضت منه والانجيل لثمان عشرة مضت منه

ارسالهم ووضع الرب موضع الضمير للايدان بأن ذلك من احكام الربوبية ومقتضياتها واضافته الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه وتعليل ليفرق اول قوله تعالى امرا على ان قوله تعالى رجعة مفعول للارسال كما في قوله تعالى وما يسك فلا مرسل له اى يفرق فيها كل امرا ونصير الاوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رجتنا ولا ريب في ان كلامنا قسمة الارزاق وغيرها والاوامر الصادرة منه تعالى من باب الرحمة فان العاية لتكليف العباد تعريضهم للمنافع وقرئ رجعة بالرفع اى تلك رجعة وقوله تعالى (انه هو السميع العليم) تحقيق لربوبيته تعالى وانها لا تحقق الا في هذه نموته (رب السموات والارض وما بينهما) يدل من ربك اوبيان اولفت وقرئ بالرفع على انه خبر آخر واستثناف على اضمار مبتدأ (ان كنتم موقنين)

والقرآن لاربع وعشرين مضت من رمضان واليلة المباركة هي ليلة القدر (خامسها)  
 ان ليلة القدر انما سميت بهذا الاسم لان قدرها وشرفها عند الله عظيم ومعلوم انه ليس  
 قدرها وشرفها لسبب نفس ذلك الزمان لان الزمان شيء واحد في الذات والصفات فيمتنع  
 كون بعضه اشرف من بعض لذاته فثبت ان شرفه وقدره بسبب انه حصل فيه امور  
 شريفة عالية لها قدر عظيم ومرتبة رفيعة ومعلوم ان منصب الدين اعلى واعظم من  
 منصب الدنيا واعلى الاشياء واشرفها منصبا في الدين هو القرآن لاجل ان به نبئت نبوة  
 محمد صلى الله عليه وسلم وبه ظهر الفرق بين الحق والباطل في سائر كتب الله المنزل كما قال  
 في صفته ومهيما عليه وبه ظهرت درجات ارباب السعادات ودرجات ارباب الشقاوات  
 فعلى هذا الاشياء الاو القرآن اعظم قدرا واعلى ذكرا واعظم منصبانه فلو كان نزوله انما  
 وقع في ليلة أخرى سوى ليلة القدر لكانت ليلة القدر هي هذه الثانية لا الاولى وحيث  
 اطبقوا على ان ليلة القدر هي التي وقعت في رمضان علمنا ان القرآن انما انزل في تلك  
 اليلة واما القائلون بأن المراد من اليلة المباركة المذكورة في هذه الآية هي ليلة  
 النصف من شعبان فإرأيت لهم فيه دليلا يعول عليه وانما قنعوا فيه بأن نقولوه عن بعض  
 الناس فان صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه كلام فلا مزيد عليه والا فالحق هو  
 الاول نعم ان هؤلاء القائلين بهذا القول زعموا ان ليلة النصف من شعبان لها اربعة اسماء  
 اليلة المباركة ويلة البراءة ويلة الصك ويلة الرحة وقيل انما سميت بيلة البراءة ويلة  
 الصك لان البندار اذا استوفى الخراج من اهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل  
 يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه اليلة وقيل هذه اليلة مختصة بخمس خصال  
 (الاولى) تقريب كل امر حكيم فيها قال تعالى فيها يفرق كل امر حكيم (والثانية) فضيلة  
 العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه اليلة مائة ركعة أرسل الله  
 اليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون  
 عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكاييد الشيطان (الخصلة الثالثة) نزول الرحة قال  
 عليه السلام ان الله يرحم امتي في هذه اليلة بعدد شعر اعام بني كلب (والخصلة الرابعة)  
 حصول المغفرة قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك اليلة  
 الا لكاهن او مشاحن او مدمن خمر او عاق للوالدين او مصر على الزنا (والخصلة  
 الخامسة) انه تعالى اعطى رسوله في هذه اليلة تمام الشفاعة وذلك انه سأل ليلة الثالث  
 عشر من شعبان في امته فاعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فاعطى الثلث  
 سأل ليلة الخامس عشر فاعطى الجميع الا من شرد على الله شراد البعير (هذا الفصل نقلته  
 من الكشف) فان قيل لاشك ان الزمان عبارة عن المدة الممتدة التي تقديرها حركات  
 الافلاك والكواكب وانه في ذاته امر متناه الاجزاء فيمتنع كون بعضها افضل من بعض  
 والمكان ايضا عبارة عن الفضاء الممتد والخلاء الخالي فيمتنع كون بعض اجزائه اشرف

اي ان كنتم من اهل الايقان في  
 العلوم او ان كنتم موقنين في  
 اقراركم بأنه تعالى رب السموات  
 والارض وما بينهما اذا سلمتم من  
 خلقها فقام الله علم ان الامر كما  
 قلنا او ان كنتم مريدين اليقين  
 فاعلموا ذلك (لا اله الا هو) جاز  
 مستأنفة مقرر لما قبلها وقيل  
 خبر لقوله رب السموات الخ  
 وما بينهما اعتراض (يحيى ويميت)  
 مستأنفة كما قبلها وكذا قوله تعالى  
 (ربكم ورب آبائكم الاولين)  
 باضمار مبتدأ او يدل من رب  
 السموات على قراءة الرفع او بيان  
 او نعمته وقيل فاعل لييت  
 وفي يحيى ضمير راجع الى رب  
 السموات وقرئ بالجر يد لامن رب  
 السموات على قراءة الجر (بل هم  
 في شك) محاد كرم من شأنه تعالى  
 غير موقنين في اقرارهم (يلعبون)  
 لا يقولون ما يقولون عن جد  
 واذعان بل مغلوطا بهزؤ ولعب  
 والفاء في قوله تعالى

(فارتقب) لترتيب الارتقاب او

الامر به على ما قبلها فان كونهم في شك مما يوجب ذلك حتما اى فانتظر لهم ( يوم تأتى السماء بدخان مبين ) اى يوم شدة وبجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيمة الدخان اما الضعيف بصره او لان في عام القحط يظلم الهواء لثقله الاطمار وكثرة الغبار او لان العرب تسمى الشر العالِب دخانا وذلك ان فريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشد وطأتك على مضروا جعلها عليهم سنين كنى يوسف فأخذتهم سنة حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل ويسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله تعالى ( يفتى الناس ) اى يحيط بهم ( هذا عذاب اليم ) اى فأتين ذلك فتى اليه عليه الصلاة والسلام ابوسيفان ونقر معه وناشده الله تعالى والرحم وواعدوه ان دعاهم وكشف عنهم ان يؤمنوا وذلك قوله تعالى ( ربنا اكشف عنا العذاب انما مؤمنون ) وهذا قول ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم وبه اخذ مجاهد ومقاتل وهو اختبار الفراء والزجاج وقيل هو دخان يأتى من السماء قبل يوم القيامة فيدخل في اسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الخنيز ويعتري المؤمن منه كهيمة الزكام وتكون الارض كلها كبيت او قد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم

من البعض واذا كان كذلك كان تخصيص بعض اجزائه بمزيد الشرف دون الباقي ترجيحاً لاحد طرفي الممكن على الآخر لا لمرجح وانه محال قلنا القول باثبات حدوث العالم واثبات ان فاعله فاعل مختار بناء على هذا الحرف وهو انه لا يبعد من الفاعل المختار تخصيص وقت معين باحداث العالم فيه دون ما قبله وما بعده فان بطل هذا الاصل فقد بطل حدوث العالم وبطل الفاعل المختار وحيث لا يكون للنحوض في تفسير القرآن فائدة وان صح هذا الاصل فقد زال ما ذكرتم من السؤال فهذا هو الجواب المعتمد والناس قالوا لا يبعد ان يخص الله تعالى بعض الاوقات بمزيد تشريف حتى يصير ذلك داعياً للمكلف الى الاقدام على الطاعات في ذلك الوقت ولهذا السبب بين انه تعالى أخفاه في الاوقات وما عينه لانه اذا لم يكن معينا جاوز المكلف في كل وقت معين ان يكون هو ذلك الوقت الشريف فيصير ذلك حامله على المواظبة على الطاعات في كل الاوقات واذا وقفت على هذا الحرف ظهر عندك ان الزمان والمكان انما فازا بالتشريفات الرائدة تبعاً لشرف الانسان فهو الاصل وكل ما سواه فهو تبع له والله اعلم (المسئلة السادسة) روى ان عطية الحرورى سأل ابن عباس رضى الله عنهما عن قوله انا انزلناه في ليلة القدر وقوله انا انزلناه في ليلة مباركة كيف يصح ذلك مع ان الله تعالى انزل القرآن في جميع الشهور فقال ابن عباس رضى الله عنهما يا ابن الاسود لو هلكنا انا ووقع هذا في نفسك ولم تجد جوابه لهلكت نزل القرآن جملة من اللوح المحفوظ الى البيت المعمور وهو في السماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك في انواع الوقائع حالا فخالا والله اعلم (المسئلة السابعة) في بيان نظم هذه الآيات اعلم ان المقصود منها تعظيم القرآن من ثلاثة أوجه (احدها) بيان تعظيم القرآن بحسب ذاته (والثاني) بيان تعظيمه بسبب شرف الوقت الذي نزل فيه (والثالث) بيان تعظيمه بحسب شرف منزله اما بيان تعظيمه بحسب ذاته فن ثلاثة أوجه (احدها) انه تعالى أقسم به وذلك يدل على شرفه (وثانيها) انه تعالى أقسم به على كونه نازلاً في ليلة مباركة وقد ذكرنا ان القسم بالشئ على حالة من احوال نفسه يدل على كونه في غاية الشرف (وثالثها) انه تعالى وصفه بكونه مبيناً وذلك يدل ايضا على شرفه في ذاته (واما النوع الثاني) وهو بيان شرفه لاجل شرف الوقت الذي انزل فيه فهو قوله انا انزلناه في ليلة مباركة وهذا تنبيه على ان نزوله في ليلة مباركة يقتضى شرفه وجلالته ثم نقول ان قوله انا انزلناه في ليلة مباركة يقتضى امرين (احدهما) انه تعالى انزله (والثاني) كون تلك الليلة مباركة فذكر تعالى عقيب هذه الكلمة ما يجري مجرى البيان لكل واحد منهما اما بيان انه تعالى لم انزله فهو قوله انا كنا منذرين يعنى الحكمة في ازال هذه السورة انذار الخلق لا يتم الا به واما بيان ان هذه الليلة ليلة مباركة فهو امران (احدهما) انه تعالى يفرق فيها كل امر حكيم (والثاني) ان ذلك الامر الحكيم يكون مخصوصاً بشرف انه انما يظهر من عنده واليه الاشارة بقوله امرا من عندنا (واما النوع الثالث) فهو بيان شرف القرآن لشرف منزله وذلك هو قوله

انا كنا مرسلين فين ان ذلك الانذار والارسال انما حصل من الله تعالى ثم بين ان ذلك  
الارسال انما كان لاجل تكميل الرحمة وهو قوله رجة من ربك وكان الواجب ان يقال  
رجة من الله لانه وضع الظاهر موضع المضمرة اي انا بان الربوبية تقتضي الرحمة على الربوبية  
ثم بين ان تلك الرحمة وقعت على وفق حاجات المحتاجين لانه تعالى يسمع تضرعاتهم ويعلم  
انواع حاجاتهم فهذا قال انه هو السميع العليم فهذا ما خطر بالبال في كيفية تعلق بعض  
هذه الآيات ببعض ( المسئلة الثامنة ) في تفسير مفردات هذه الالفاظ اما قوله تعالى انا  
انزلناه في ليلة مباركة فقد قيل فيه انه تعالى انزل كلية القرآن من اللوح المحفوظ الى سماء  
الدنيا في هذه الليلة ثم انزل في كل وقت ما يحتاج اليه المكلف وقيل يبدأ في استنساخ ذلك  
من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى  
ميكائيل ونسخة الحروب الى جبرائيل وكذلك الازل والازل والصواعق والخسوف ونسخة  
الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت  
اما قوله تعالى فيها يفرق اي في تلك الليلة المباركة يفرق اي يفصل ويبين من قولهم فرقت  
الشيء افرقه فرقا وفرقا قال صاحب الكشف وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق على اسناد  
الفعل الى الفاعل ونصب كل والفارق هو الله عز وجل وقرأ زيد بن علي تفرق بالنون اما قوله  
كل امر حكيم فالحكيم معناه ذو الحكمة وذلك لان تخصيص الله تعالى كل واحد بحالة  
معينة من العمر والرزق والاجل والسعادة والشقاوة يدل على حكمة بالغة لله تعالى فلما  
كانت تلك الافعال والافضية دالة على حكمة فاعلمها وصفت بكونها حكمة وهذا من  
الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز ثم  
قال امر من عندنا وفي انتصاب قوله امر او وجهان ( الاول ) انه نصب على الاختصاص  
وذلك لانه تعالى بين شرف تلك الافضية والاحكام بسبب ان وصفها بكونها حكمة ثم زاد في  
بيان شرفها بأن قال اعني بهذا الامر امر احصا من عندنا كائن من لدنا وكما اقتضاه  
علمنا وتديرنا ( والثاني ) انه نصب على الحال وفيه وجهان ( الاول ) ان يكون حالا من  
احد الضميرين في انزلناه اما من ضمير الفاعل اي انا انزلناه امر من امر او من ضمير  
المفعول اي انا انزلناه في حال كونه امر من عندنا بما يجب ان يفعل ( والثاني ) ما حكاه  
ابو علي الفارسي عن ابي الحسن رحمه الله انه جعل قوله امر على الحال وذو الحال قوله  
كل امر حكيم وهو نكرة ثم قال انا كنا مرسلين يعني انا انما فعلنا ذلك الانذار لاجل انا كنا  
مرسلين يعني الانبياء ثم قال رجة من ربك اي للرجة فهي نصب على ان يكون مفعولا له ثم  
قال انه هو السميع العليم يعني ان تلك الرحمة كانت رجة في الحقيقة لان المحتاجين اما ان  
يذكروا بالستار حجابهم واما ان لا يذكروها فان ذكروها فهو تعالى يسمع كلامهم فيعرف  
حاجاتهم وان لم تذكرها فهو تعالى عالم بها فثبت ان كونه سميعا عليما يقتضي ان يقول  
رحمته عليهم ثم قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين وفيه مسائل

ونار تخرج من قمر عدن أبين  
تسوق الناس الى الحشر قال  
حذيفة يارسول الله وما الدخان  
قتلا الاية وقال علاء مابن المشرق  
والغرب يمكت اربعين يوما وليلة  
اما المؤمن فيصيبه كهشة الزكة  
واما الكافر فهو كالسكران يخرج  
من مغزيره واذنيه ودبره والاول  
هو الذي يستدعيه مساق النظم  
الكريم قطعاه ان قوله تعالى ( اي )  
لهم الذكرى الخ رد لكلامهم  
واستدعائهم الكشف وتكذيب  
لهم في الوعد بالايان التي عن  
التذكرو والاتعاظ بما اعتراهم من  
الدهاية اي كذب يتذكرون  
او من اين يتذكرون بذلك ويقون  
بما وعدوهم من الايمان عند كشف  
العذاب عنهم ( وقد جاءهم رسول  
مبين ) اي والحال انهم شاهدوا من  
دواعي التذكرو وموجبات الاتعاظ  
ما هو اعظم منه في ايجابها حيث  
جاءهم رسول عظيم الشأن وبين  
لهم مناسج الحق باظهار آيات  
ظاهرة ومجربات قاهرة تخبرها  
صم الجبال ( ثم تولوا عنه ) عن ذلك  
الرسول وهو هو رغبنا شاهدوا منه  
ما شاهدوا من العظام الموجبة  
للاقبال عليه ولم يقتنعوا بالتولي  
( وقالوا ) في حقه ( معلم مجنون ) اي  
قالوا تارة يعلمه غلام اعجمي لبعض  
تقيف واخرى محن او يصول  
بعضهم كذا وآخرون كذا فهل  
يتوقع من قوم هذه صلتهم ان  
يتأثروا بالعظة والتذكرو وما مثلهم  
الا كمثل الكلب اذا جاع سفاها اذا  
شبع طغى وقوله تعالى ( انا كاشفوا  
العذاب قليلا انكم عائدون )  
جواب من جهته تعالى عن قولهم  
ربنا اكشف عنا العذاب انا  
مؤمنون اضرب



الالفاظ لمزيد التوبيخ والتهديد

وما بينهما اعترض اي انا انكشف العذاب المهود عنكم كشفا قليلا وزمانا قليلا انكم تمودون ان ذلك الى ما كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسبون هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين للدلالة على تحققهما لاجالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدهاء النبي صلى الله عليه وسلم لما لبثوا ان عادوا الى ما كانوا عليه من العتو والعتاد ومن فسر الدخان بما هو من الاشرار قال اذا جاء الدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا انكشف عنا العذاب انا مؤمنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد اربعين يوما وربما يكشفه عنهم يرتدون ولا يتهملون (يوم نبطش البطشة الكبرى) يوم القيامة وقيل يوم يدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى (انا منتقمون لا منتقمون لان ان مانعة من ذلك اي يومئذ ننقم انا منتقمون وقيل هو بدل من يوم تأتي الح وقرى نبطش اي نعمل الملائكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى وهو التناول لعنف وصوله وانجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقرى نبطش بضم الطاء وهي لغة (ولقد قتنا قبلهم قوم فرعون اي امتعناهم بارسال موسى عليه السلام او اوقعتناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرى بالتشديد للبالغة والكثرة القوم (وجاءهم رسول كريم) على الله تعالى او على المؤمنين او في نفسه لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سرة قومه وكرامهم (ان ادوا الى عباد الله) اي بان ادوا الى بني اسرائيل

(المسئلة الاولى) قرأ عاصم وحزة والكسائي بكسر الباء من رب عطفا على قوله رجعة من ربك والباقون بالرفع عطفا على قوله هو السميع العليم (المسئلة الثانية) المقصود من هذه الآية ان المنزل اذا كان موصوفا بهذه الجلالة والكبرياء كان المنزل الذي هو القرآن في غاية الشرف والرفعة (المسئلة الثالثة) الفائدة في قوله ان كنتم موقنين من وجوه (الاول) قال ابو مسلم معناه ان كنتم تطلبون اليقين وتريدونه فاعرفوا ان الامر كما قلنا كقولهم فلان منجد منهم اي يريد نجد او تامة (الثاني) قال صاحب الكشف كانوا يقرون بأن للسموات والارض ربا وخالقا فقبل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رجعة من الرب سبحانه وتعالى ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذي انتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم ويقين كما تقول هذا انعام زيد الذي تسمع مع الناس بكرم ان بلغك حديثه وسمعت قصته ثم انه تعالى ردان يكونوا موقنين بقوله بل هم في شك يلعبون وان اقرارهم غير صادر عن علم ويقين ولا عن جسد وحقيقة بل قول مخلوط بهز ولعب والله اعلم قوله تعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم ربنا انكشف عنا العذاب انا مؤمنون ائى لهم الذكري وقدي جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون) اعلم ان المراد بقوله فارتقب انتظر ويقال ذلك في المكر وه والمعنى انتظر يا محمد عذابهم فخذف مفعول الارتقاب لدلالة ما ذكر بعده عليه وهو قوله هذا عذاب اليم ويجوز ايضا ان يكون يوم تأتي السماء مفعول الارتقاب وقوله بدخان فيه قولان (الاول) ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قومه بمكة لما كذبوه فقال اللهم اجعل سنهم كسنى يوسف فارتفع المطر واجدبت الارض واصابت قريشا شدة المجاعة حتى اكلوا العظام والكلاب والجيف فكان الرجل لما به من الجوع يرى بينه وبين السماء كالدخان وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما في بعض الروايات ومقاتل ومجاهد واختار الفراء والزجاج وهو قول ابن مسعود رضى الله عنه وكان ينكر ان يكون الدخان الا هذا الذى اصابهم من شدة الجوع كالظلمة في ابصارهم حتى كانوا كائهم يرون دخانا فالخاصل ان هذا الدخان هو الظلمة التى في ابصارهم من شدة الجوع وذكري ابن قتيبة في تفسير الدخان بهذه الحالة وجهين (الاول) ان في سنة الفصح يعظم بيس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار الكثير ويظلم الهواء وذلك يشبه الدخان ولهذا يقال لسنة المجاعة الغبراء (الثاني) ان العرب يسمون الشر الغالب بالدخان فيقولون كان بيننا امر ارتفع له دخان والسبب فيه ان الانسان اذا اشتد خوفه او ضعفه اظلمت عيناه فبرى الدنيا كالملوءة من الدخان (والقول الثاني) في الدخان انه دخان يظهر في العالم وهو احدى علامات القيامة قالوا فاذا حصلت هذه الحالة حصل لاهل الايمان منه حالة تشبه ان كان وحصل لاهل الكفر حالة يصير لاجلها رأسه كراس الحنيد وهذا القول هو المنقول عن

وارسلوهم معي اوبان ادوا الى ايعاد الله حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل ان مفسرة لان مجيئ الرسول لا يكون الا برسالة ودعوة وقيل عطفة من التسمية اي جاءهم بأن الشأن ادوا الى الخ وقوله تعالى (اي لكم رسول امين) تعليل للامر اولوجوب المأمور به اي رسول غير ظنين قد اتخذه الله تعالى على وحيه وصدقني بالمعجزات القاهرة (وان لا تعلموا على الله) اي لا تتكبروا عليه تعالى بالاستهانة بوحيه ورسوله وان كالتى سلفت وقوله تعالى (اي آتيكم) اي من جهته تعالى (يسلطان مدين) تعليل للنهي اي آتيكم بحجة واضحة لاسيلا الى انكارها وآتيكم على صيغة الفاعل والمضارع وفي ايراد الاداء مع الامين والسلطان مع العلامة الجزالة ما لا يخفى (واي) هذت برى وركم اي التجأت اليه وتوكلت عليه (ان ترجون) من ان ترجوني اي تؤذوني ضربا او شتما اولن تقتلوني قيل لما قال وان لا تعلموا على الله توعده بالقتل وقرى بادغام الذال في الهمزة (وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون) اي وان كبرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا لي فخلوني كفافا لا على ولا لى ولا تتعرضوا لى بشر ولا ذى فليس ذلك جزا من يدعوك الى ما فيه فلا حاكم وجهه على معنى فاقطعوا اسباب الوصلة عنى فلاموا الاله بئى وبين من لا يؤمن يا باه المقام (فدعاريه) بعد ما دعوا على تكذيبه عليه السلام (ان هؤلاء) اي بأن هؤلاء (قوم مجرمون) وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سمي

على بن ابي طالب عليه السلام وهو قول مشهور لابن عباس واحتج القائلون بهذا القول بوجوه (الاول) ان قوله يوم تأتي السماء بدخان يقتضي وجود دخان تأتي به السماء وما ذكرتموه من الظلمة الحاصلة في العين بسبب شدة الجوع فذاك ليس بدخان انت به السماء فكان حل لفظ الآية على هذا الوجه عدولا عن الظاهر للدليل منفصل وانه لا يجوز (الثاني) انه وصف ذلك الدخان بكونه مينا والحالة التي ذكرتموها ليست كذلك لانها عارضة تعرض لبعض الناس في ادمعهم ومثل هذا لا يوصف بكونها دخانا مينا (الثالث) انه وصف ذلك الدخان بأنه يغشى الناس وهذا انما يصدق اذا وصل ذلك الدخان اليهم واتصل بهم والحالة التي ذكرتموها لا توصف بأنها تغشى الناس الاعلى سبل المجاز وقد ذكرنا ان العدول من الحقيقة الى المجاز لا يجوز للدليل منفصل (الرابع) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول الآيات الدخان وتزل عيسى ابن مريم عليهما السلام ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يارسول الله وما الدخان قلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال دخان يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيه كهية الزكاة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منزله واذنيه ودبره رواء صاحب الكشاف وروى القاضي عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال باكروا بالاعمال سنا وذكر منها طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان والدابة اما القائلون بالقول الاول فلا شك ان ذلك يقتضي صرف اللفظ عن حقيقة المجاز وذلك لا يجوز الا عند قيام دليل يدل على ان حمله على حقيقة متمنع والقوم لم يذكروا ذلك الدليل فكان المصير الى ما ذكروه مشكلا جدا فان قالوا الدليل على ان المراد ما ذكرناه انه تعالى حكى عنهم انهم يقولون ربنا اكشف عنا العذاب انما مؤمنون وهذا اذا جلتنا على القمط الذي وقع بمكة استقام فانه نقل ان القمط لما شئت بمكة مشى اليه ابوسفيان وناشده بالله والرحم وواعده انه ان دعا لهم وازال الله عنهم تلك البلية ان يؤمنوا به فلما زال الله تعالى عنهم ذلك رجعوا الى شركهم اما اذا جلتنا على ان المراد منه ظهور علامة من علامات القيامة لم يصح ذلك لان عند ظهور علامات القيامة لا يمكنهم ان يقولوا ربنا اكشف عنا العذاب انما مؤمنون ولم يصح ايضا ان يقال لهم انا كاشفو العذاب قليلا انكم عائدون (والجواب) لم لا يجوز ان يكون ظهور هذه العلامة جارا مجرى ظهور سائر علامات القيامة في انه لا يوجب انقطاع التكليف فتحدث هذه الحالة ثم ان الناس يخافون جدا فيتضرعون فاذا زالت تلك الواقعة عادوا الى الكفر والفسق واذا كان هذا محتملا فقد سقط ما قالوه والله اعلم ولزجع الى التفسير فقول قوله تعالى يوم تأتي السماء بدخان ميين أى ظاهر الحال لا يشك احد في انه دخان يغشى الناس اي يشملهم وهو في محل الجر صفة لقوله بدخان وفي قوله هذا عذاب اليم قولان (الاول) انه منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال اي قائلين ذلك (الثاني) قال

دعاء وقرئ بالكسر على اضمار

القول قيل كان دعاؤه اللهم جعل  
لهم ما يستحقونه بأجرهم وقيل  
هو قوله ربنا لا تجعلنا فئة للقوم  
الظالمين ( فأسر بعبادى ليلا )  
باضمار القول اما بعد الفاء اى فقال  
ربه اسر بعبادى واما قبلها كأنه  
قيل قال ان كان الامر كما يقول  
فأسر بعبادى اى بينى اسرائيل  
قد قد دبر الله تعالى ان يتقدموا  
وقرئ بوصل الهمزة من سرى  
( انكم متبعون ) اى يتبعكم  
فرعون وجنوده بعد ما علموا  
بخر وجكم ( واترك البحر هوا )  
مفتوحا ذى فجوة واسعة واسكانا  
على هيئته بعد ما جاوزته ولا تصريه  
بعضاك لينطبق ولا تغيره عن  
حاله ليدخله القبط ( انهم جند  
مفرقون وقرئ اللهم بالفتح اى  
لانهم ( كم تركوا ) اى كثيرا  
تركوا بمصر ( من جنات وعيون  
وزرع ومقام كريم ) محافل  
حزينة ومنازل محسنة ( ونعمة )  
اى سم كانوا فيها فاكهين ( )  
متنعين وقرئ فكين ( كذلك )  
الكاف فى حيز النصب وذلك اشارة  
الى مصدر فعل يدل عليه تركوا  
اى مثل ذلك السلب سلبناهم اياها  
( واورثاها قوم اخرين ) وقيل  
مثل ذلك الاخراج اخر جنابهم  
منها وقيل فى حيز الرفع على الخبرية  
اى الامر كذلك فحينئذ يكون  
اورثاها معطوفا على تركوا وعلى  
الاولين على الله لى المقدر ( فا  
بكت عليهم السماء والارض ) محاز  
عن عدم الاكثارات بهلاكهم  
والاعتداد بوجودهم فيه تنهك بهم  
وبحالمه المنافية لحال من يعظم فقد  
فيقال له بكت عليه السماء والارض  
ومنهم ما روى ان المؤمن ليسى عليه  
مصلاه ومحل عبادته ومساعد

الجر جاتى صاحب النظم هذا اشارة اليه واخبار عن دنوه واقتراه كما يقال هذا العدو  
فاستقبله والغرض منه التنبيه على القرب ثم قال ربنا اكشف عنا العذاب فان قلنا التقدير  
يقولون هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب فالمعنى ظاهر وان لم يضر القول هناك  
اضمرناه وهنا والعذاب على القول الاول هو القحط الشديد وعلى القول الثانى الدخان  
المهلك انا مؤمنون اى بمحمد وبالقرآن والمراد منه الوعد بالايان ان كشف عنهم العذاب  
ثم قال تعالى ائى لهم الذكرى يعنى كيف يتذكرون وكيف يعظون بهذه الحالة وقد جاءهم  
ما هو اعظم وادخل فى وجوب الطاعة وهو ما ظهر على رسول الله من المعجزات القاهرة  
والبيئات الباهرة ثم تولوا عنه ولم يلتفتوا اليه وقالوا معلم مجنون وذلك لان كفار مكة  
كان لهم فى ظهور القرآن على محمد عليه الصلاة والسلام قولان منهم من كان يقول  
ان محمدا يعلم هذه الكلمات من بعض الناس لقوله انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه  
اجبى وكقوله تعالى وأمانه عليه قوم آخرون ومنهم من كان يقول انه مجنون والجن  
يلقون عليه هذه الكلمات حال ما يعرض له الفشى ثم قال تعالى انا كاشفو العذاب قليلا  
انكم عائدون اى كما يكشف العذاب عنكم تعودون فى الحال الى ما كنتم عليه من الشرك  
والمقصود التنبيه على انهم لا يوفون بعهدهم وانهم فى حال العجز يتضرعون الى الله تعالى  
فاذا زال الخوف عادوا الى الكفر والتقليد لمذاهب الاسلاف ثم قال تعالى يوم نبطش  
البطشة الكبرى انا منتقمون قال صاحب الكشاف وقرئ نبطش بضم الطاء وقرأ الحسن  
نبطش بضم النون كأنه تعالى يأمر الملائكة بأن يبطشوا بهم والبطش الاخذ بشدة  
واكثر ما يكون بوقع الضرب المتتابع ثم صار بحيث يستعمل فى ايصال الآلام المتتابعة  
وفى المراد بهذا اليوم قولان ( الاول ) انه يوم بدر وهو قول ابن مسعود وابن عباس  
ومجاهد ومقاتل وابى العالية رضى الله تعالى عنهم قالوا ان كفار مكة لما زال الله تعالى  
عنهم القحط والجوع عادوا الى التكذيب فانتقم الله منهم يوم بدر ( والقول الثانى ) انه يوم  
القيامة روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال قال ابن مسعود  
البطشة الكبرى يوم بدر وانا قول هو يوم القيامة وهذا القول اصح لان يوم بدر لا يبلغ  
هذا المبلغ الذى يوصف بهذا الوصف العظيم ولان الانتقام التام انما يحصل يوم القيامة  
لقوله تعالى اليوم نجزي كل نفس بما كسبت ولان هذه البطشة لما وصفت بكونها كبرى  
على الاطلاق وجب ان تكون اعظم انواع البطش وذلك ليس الا فى القيامة ولفظ الانتقام  
فى حق الله تعالى من التشابهات كالغضب والحياء والتعجب والمعنى معلوم والله اعلم  
\* قوله تعالى ( ولقد نتا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان ادوا الى عباد الله ائى  
لكم رسول امين وان لاتعلوا على الله ائى آتيكم بسلطان مبين واتى عذت بربى وربكم ان  
ترجون وان لم تؤمنوا الى فاعتزلون فدعاه ان هؤلاء قوم مجرمون فأسر بعبادى ليلا  
انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مفرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع

ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما آخرين فابكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين اعلم انه تعالى لما بين ان كفار مكة مصرعون على كفرهم بين ان كثيرا من المتقدمين ايضا كانوا كذلك فيحصل هذه الصفة في اكثر قوم فرعون قال صاحب الكشف قرئ ولقد قفنا بالتشديد للتأكيد قال ابن عباس ابتلينا قال الزجاج بلونا والمعنى ما ملناهم معاملة المختبر بعث الرسول اليهم وجاءهم رسول كريم وهو موسى واختلفوا في معنى الكريم ههنا فقال الكلبي كريم على ربه يعنى انه استحق على ربه انوا ما كثيرة من الاكرام وقال مقاتل حسن الخلق وقال الفراء يقال فلان كريم قومه لانه قل ما بعث رسول الا من اشرف قومه وكرامهم ثم قال ان ادوا الى عباد الله وفي ان قولان (الاول) انها المفسرة وذلك لان مجيئ الرسول الى من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذرا وداعيا الى الله (الثاني) انها المخففة من الثقلة ومعناه وجاءهم بأن الشأن والحديث ادوا وعباد الله مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول ادوهم الى وارسلوهم معي وهو كقوله فارسل معنا بنو اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز ايضا ان يكون نداهم والتقدير ادوا الى يا عباد الله ما هو واجب عليكم من الايمان وقبول دعوتي واتباع سبيلي وعلل ذلك بأنه رسول امين قد اتيناه الله تعالى على وحيه ورسالته وان لا تعلموا ان هذه مثل الاولى في وجهيها اى لا تكبروا على الله باهانة وحيه ورسوله اى آتيكم بسلطان مبين بحجة بينة يعترف بصحتها كل عاقل واني عذت بربي وربكم ان ترجون قبل المراد ان تقتلون وقيل ان ترجون بالقول فتقولوا انه ساحر كذاب وان لم تؤمنوا الى اى ان لم تصدقوني ولم تؤمنوا بالله لاجل ما آتيتكم به من الحجة فاللام في لى لاجل فاعتزلون اى خلوا سبيلي لالى ولا على قال مصنف الكتاب رجه الله تعالى ان المعتزلة يتصلفون ويقولون ان لفظ الاعتزال احتجاج في القرآن كان المراد منه الاعتزال عن الباطل لاعتزال الحق فاتفق حضورى معهم في بعض المحافل وذكر بعضهم هذا الكلام فأوردت عليه هذه الآية وقلت المراد من الاعتزال في هذه الآية الاعتزال عن دين موسى عليه السلام وطريقته وذلك لاشك انه اعتزال عن الحق فانقطع الرجل ثم قال تعالى فدما ربه الفاء في فدما تدل على انه متصل بمحذوف قبله والتأويل انهم كفروا ولم يؤمنوا فدما موسى ربه بأن هؤلاء قوم مجرمون فان قالوا الكفر اعظم حالا من الجرم فالسبب في ان جعل صفة الكفار كونهم مجرمين حال ما اراد المبالغة في ذمهم قلت لان الكافر قديكون عدلا في دينه وقديكون مجرما في دينه وقديكون فاسقا في دينه فيكون اخس الناس قال صاحب الكشف قرئ ان هؤلاء بالكسر على اضممار القول اى فدما ربه فقال ان هؤلاء فأسر بعبادى ليلا قرأ ابن كثير ونافع فأسر موصولة الالف والباقون مقطوعة الالف سرى واسرى لفتان اى اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى ليلا انكم متبعون اى يتبعكم فرعون وقومه ويصير ذلك سببا لهلاكهم وارك البجر رهوا وفي الره هو قولان (احدهما) انه الساكن يقال عيش

الارض وقيل تقديره اهل السماء والارض (وما كانوا) لما جاء وقت هلاكهم (منظرين) مبهلين الى وقت آخر اوالى الآخرة بل يجعلهم في الدنيا (ولقد نجينا بنى اسرائيل) بأن فعلنا فرعون وقومه ما فعلنا (من العذاب المهيمن) من استعباد فرعون اياهم وقتل ابنائهم واستخيل نسايم على الحسف والضيم (من فرعون) بدل من العذاب اما على جملة نفس العذاب لافراطه فيه واما على حذف المضاف اى عذاب فرعون احوال من المهيمن اى كاشا من فرعون وقرئ من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وتفرغه وفي اقسام امره اولاد تبينه بقوله تعالى (انه كان عالما من المسرفين) ثانيا من الافصاح غن كنه امره في الشر والفساد مالا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين اما خبر ثان لكان اى كان متكبرا مسرفا احوال من الضخيم في عاليا اى كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فآثاهم بليغا في الاسراف (ولقد اخترناهم) اى بنى اسرائيل (على علم) اى عالين بأنهم احقاء بالاختيار او عالين بأنهم يريعون في بعض الاوقات ويكفونهم الفراط (على العساكين) جميعا لكثرة الانبياء فيهم اوعلى عالى رماهم (وآتيناهم من الآيات) كطوف البجر وتطليل الغمام واتزال المن والسلوى وغيرها من عظام الآيات التي لم يهده مثلها في غيرها (ما فيه بلاء مبین) نعمة سلبا واخذار ذاهر لنظر كيف يعملون (ان هؤلاء) يعي كفار

راه اذا كان خافضا وادما وافعل ذلك سهوا رهوا اى ساكننا بغير تشدد اراد موسى عليه  
 السلام لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق كما كان فامر الله تعالى بان يتركه ساكنا  
 على هيئته فارا على حاله في اتفلاق الماء وبقاء الطريق يبساح حتى يدخله القبط فاذا حصلوا  
 فيه اطبقه الله عليهم (والثاني) ان الرهو هو الفرجة الواسعة والمعنى اذارهواى اذ افرجه  
 يعنى الطريق الذى اظهره الله فيما بين البحر انهم جند مفرقون يعنى اترك الطريق كما كان  
 حتى يدخلوا فيفرقوا وانما اخبره الله تعالى بذلك حتى يبقى فارغ القلب عن شرهم وايدائهم  
 نعم قال تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم دللت هذه الآية على انه تعالى  
 اغرقهم ثم قال بعد غرقهم هذا الكلام وبين تعالى انهم تركوا هذه الاشياء الخمسة وهى  
 الجنات والعيون والزروع والمقام الكريم والمراد بالمقام الكريم ما كان لهم من المجالس  
 والمنازل الحسنة وقيل المنابر التى كانوا يمدحون فرعون عليها ونعمة كانوا فيها فاكهين  
 قال علماء اللغة نعمة العيش بفتح النون حسنة ونضارته ونعمة الله احسانه وعطاؤه قال  
 صاحب الكشف النعمة بالفتح من التمتع وبالكسر من الانعام وقرئ فاكهين وفكهين  
 كذلك الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناها اوفى  
 موضع الرفع على تقدير ان الامر كذلك واورثناها قوما آخرين ليسوا منهم فى شئ من  
 قرابة ولادين ولاولاء وهم بنو اسرائيل كانوا مستعبدين فى ايديهم فاهلكهم الله على  
 ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم ثم قال تعالى فابكت عليهم السماء والارض وفيه وجوه  
 (الاول) قال الواحدى فى البسيط روى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال  
 ما من عبد الا وله فى السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله فاذا مات فقداه  
 وبكى عليه وتلا هذه الآية قال وذلك لانهم لم يكونوا يعملون على الارض عملا صالحا  
 فتبكى عليهم ولم يصعد لهم الى السماء كلام طيب ولا عمل صالح فتبكى عليهم وهذا قول اكثر  
 المفسرين (القول الثانى) التقدير فابكت عليهم اهل السماء واهل الارض فحذف  
 المضاف والمعنى ما بكت عليهم الملائكة ولا المؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين  
 (القول الثالث) ان عادة الناس جرت بان يقولوا فى هلاك الرجل العظيم الشأن انه اظلمت  
 له الدنيا وكسفت الشمس والقمر لاجله وبكت الريح والسماء والارض ويريدون المبالغة  
 فى تعظيم تلك المصيبة لانفس هذا الكذب ونقل صاحب الكشف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه  
 قال ما من مؤمن مات فى غربة فابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض  
 وقال جرير الشمس طالعة ليست بكاسفة \* تبكى عليك نجوم الليل والقمر  
 وفيه ما يشبه السخرية بهم يعنى انهم كانوا يستعظمون انفسهم وكانوا يعتقدون فى انفسهم  
 انهم اراموا بالبكت عليهم السماء والارض فاكثروا فى هذا الخلد بل كانوا دون ذلك وهذا  
 التمايز على سبيل التهكم نعم قال وما كانوا منظرين اى لما حو قتلهم لم ينظروا الى  
 وقت آخر لتوبة وتدارك تقصير \* قوله تعالى (ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهيمن  
 وبجراى

من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين ان هؤلاء ليقولون ان هي الاموتنا الاولى وما نحن بمنشرين فاتوا با باننا ان كنتم صادقين اهلهم خيرا قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون اعلم انه تعالى لما بين كيفية اهلاك فرعون وقومه بين كيفية احسانه الى موسى وقومه واعلم ان دفع الضرر مقدم على ايصال النفع فبدأ تعالى ببيان دفع الضرر عنهم فقال ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين يعنى قتل الابناء واستخدام النساء والاعتاب في الاعمال الشاقة ثم قال من فرعون وفيه وجهان (الاول) ان يكون التقدير من العذاب المهين الصادر من فرعون (الثاني) ان يكون فرعون بدلا من العذاب المهين كانه في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم قال صاحب الكشف وقرئ من عذاب المهين وعلى هذه القراءة فالهين هو فرعون لانه كان عظيم السعي في اهانة المحقين وفي قراءة ابن عباس من فرعون وهو بمعنى الاستفهام وقوله انه كان عاليا من المسرفين جوابه كانه التقدير ان يقال هل تعرفونه من هو في عتوه وشيظنته ثم عرف حاله بقوله انه كان عاليا من المسرفين اي كان على الدرجة في طبقة المسرفين ويجوز ان يكون المراد انه كان عاليا لقوله ان فرعون علا في الارض وكان ايضا مسرفا ومن اسرافه انه على حقارته وخسته ادعى الالهية ولما بين الله تعالى انه كيف دفع الضرر عن بنى اسرائيل بين انه كيف اوصل اليهم الخيرات فقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين وفيه بحثان (البحث الاول) ان قوله على علم في موضع الحال ثم فيه وجهان (احدهما) اي عالين بكونهم مستحقين لان يختاروا ويرجوا على غيرهم (والثاني) ان يكون المعنى مع علمنا بانهم قديرون على وبصدر عنهم الفرط في بعض الاحوال (البحث الثاني) ظاهر قوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين يقتضى كونهم افضل من كل العالمين فقيل المراد على عالمي زمانهم وقيل هذا عام دخله التخصيص كقوله كنتم خيرا اخرجت للناس ثم قال تعالى وآتيناهم من الآيات مثل فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغيرها من الآيات القاهرة التي ما اظهر الله مثلها على احد سواهم بلامبين اي نعمة ظاهرة لانه تعالى لما كان يبلو بالحنة فقد يبلو ايضا بالنعمة اختبارا ظاهرا ليعتبر الصديق عن الزنديق وهنا آخر الكلام في قصة موسى عليه السلام ثم رجع الى ذكر كفار مكة وذلك لان الكلام فيهم حيث قال بل هم في شك يلعبون اي بل هم في شك من البعث والقيامة ثم بين كيفية اصرارهم على كفرهم ثم بين ان قوم فرعون كانوا في الاصرار عن الكفر على هذه القصة ثم بين انه كيف اهلكهم وكيف انعم على بنى اسرائيل ثم رجع الى الحديث الاول وهو كون كفار مكة منكرين للبعث فقال ان هؤلاء ليقولون ان هي الاموتنا الاولى وما نحن بمنشرين

يصارا كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لاتسوا ببعافاته كان قد اسلم وعنه الصلاة والسلام ما درى ان كان تبع نبيا او غير نبى وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان نبيا وقيل للملك المين التابعة لانهم يتبعون كما يقال لهم الاقبال لانهم يتقبلون والذين من قبلهم عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود واضربهم من كل جبار عنيد اولى بأس شديد والاستفهام لتقرر ان اولئك اقوى من هؤلاء وقوله تعالى (اهلكناهم) استألف لبيان عاقبة أسرهم وقوله تعالى (انهم كانوا مجرمين) تعليل لاهلاكهم ليعلم ان اولئك حيث اهلكوا بسبب اجرامهم مع ما كانوا في غاية القوة والشدة فلان يهلك هؤلاء بوجه شركائهم في الاجرام اضعف منهم في الشدة والقوة اولى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما) اي ما بين الجنسين وقرئ وما بينهما (لاعين) لا هين من غير ان يكون في خلقهما غرض صحيح وغاية جيدة (ما خلقناهما) وما بينهما (الا بالحق) استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاسباب اي ما خلقناهما ملتبس بشئ من الاشياء الامتسبا بالحق او ما خلقناهما بسبب من الاسباب الاسباب الحق الذى هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان الامر كذلك فينكرون البعث والحراء



فان قيل القوم كانوا ينكرون الحياة الثانية فكان من حقهم ان يقولوا ان هي الاحياتنا الاولى ومانحن بمنشرين قلنا انه قيل لهم انكم تموتون مودة تعقبها حياة كما انكم حال كونكم نطفاكم امواتا وقد تعقبها حياة وذلك قوله وكنتم امواتا فأحياكم ثم يمتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الاموتنا الاولى يريدون ما المودة التي من شأنها ان تعقبها حياة الا المودة الاولى دون المودة الثانية وما هذه الصفة التي تصفون بها المودة من تعقيب الحياة لها الا المودة الاولى خاصة فلا فرق اذا بين هذا الكلام وبين قوله ان هي الاحياتنا الدنيا هذا ما ذكره صاحب الكشف ويمكن ان يذكر فيه وجه آخر فيقال قوله ان هي الاموتنا الاولى يعني انه لا ياتينا شيء من الاحوال الا المودة الاولى وهذا الكلام يدل على انهم لانأيتهم الحياة الثانية البتة ثم صرحوا بهذا الرموز فقالوا ومانحن بمنشرين فلا حاجة الى التكلف الذي ذكره صاحب الكشف ثم قال تعالى ومانحن بمنشرين يقال نشر الله الموتى وانشرهم اذا بعثهم ثم ان الكفار احتجوا على نفي الحشر والفتن بأن قالوا ان كان البعث والنشور ممكنا معقولا ففعلوا لنا احياء من مات من آبائنا بان تسألوا ربكم ذلك حتى يصير ذلك دليلا عندنا على صدق دعواكم في النبوة والبعث في القيامة قبل طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله حتى ينشر قصي بن كلاب ليشاوروه في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي صحة البعث ولما حكى الله عنهم ذلك قال أهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكتناهم انهم كانوا مجرمين والمعنى ان كفار مكة لم يذكروا في نفي الحشر والنشر شبهة حتى يحتاج الى الجواب عنها ولكنهم اصرروا على الجهل والتقليد في ذلك الانتكار فلهذا السبب اقتصر الله تعالى على الوعيد فقال ان سائر الكفار كانوا أقوى من هؤلاء ثم ان الله تعالى اهلكهم فكذلك يهلك هؤلاء فقوله تعالى أهم خير ام قوم تبع استفهام على سبيل الانتكار قال ابو عبدة ملوك اليمن كان كل واحد منهم يسمى تبعاً لان اهل الدنيا كانوا يتبعونه وموضع تبع في الجاهلية موضع الخليفة في الاسلام وهم الاعاظم من ملوك العرب قالت عائشة كان تبع رجلاً صالحاً وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه قال الكلبي هو ابو كرب اسعد وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسوا تبعاً فانه كان قد اسلم ما أدري أكان تبع نبيسا او غيرني فان قيل ما معنى قوله أهم خير ام قوم تبع مع انه لا خير في الفريقين قلنا معناه أهم خير في القوة والشوكة كقوله اكفاركم خير من أولئكم بعد ذكر آل فرعون ثم انه تعالى ذكر الدليل القاطع على صحة القول بالبعث والقيامة فقال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا عين ولولم يحصل البعث لكان هذا الخلق لعبا وعبثا وقد مر تقرير هذه الطريقة بالاستقصاء في اول سورة يونس وفي آخر سورة قدا فالح المؤمنون حيث قال أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وفي سورة ص حيث قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ثم قال ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون والمراد اهل مكة واما استدلال المعتزلة بهذه الآية على انه تعالى

(ان يوم الفصل) اي فصل الحق عن الباطل وتميز الحق من المبطل او فصل الرجل عن اقاربه واهبائه (مقاتم) وقت مودهم (اجعين) وفرى مقاتم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد حسابهم وجرائهم في يوم الفصل (يوم لا ينفي) بدل من يوم الفصل اوصفة لمقاتم او ظرف لما دل عليه الفصل لانفسه (مولى) من قرابة او غيرها (عن مولى) اي مولى كان (شيئا) اي شيئا من الاعناء (ولا هم ينصرون) الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام (الا من رحم الله) بالفوعة وقبول السفاعة في حقه ومجمله الرفع على البدل من الواو والنصب على الاستثناء (انه هو العزيز) الذي لا ينصر من اراد تعذيبه (الرحيم) لمن اراد ان يرجه (ان شجرت الزقوم) وقرى بكسر السين وقد مر معنى الزقوم في سورة الصافات (طعام الاثيم) اي الكثير الاثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه (كالهمل) وهو ما يميل في النار حتى يذوب وقيل هو دردى الزيت (يفلى في البطون) وقرى



لا يخلق الكفر والفسق ولا يربدهما فهو مع جوابه معلوم والله اعلم \* قوله تعالى (ان يوم  
 الفصل ميقاتهم اجمعين يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون الا من رحم الله انه  
 هو العزيز الرحيم ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كاللؤلؤ يغلى في البطون كغلي الحميم خذوه  
 فاعقلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انت العزيز الكريم  
 ان هذا ما كنتم به تمترون ) اعلم ان المقصود من قوله وما خلقنا السموات والارض  
 وما بينهما لاجين اثبات القول بالبعث والقيامة فلا جرم ذكر عقبيه قوله ان يوم الفصل  
 ميقاتهم اجمعين وفي تسمية يوم القيمة بيوم الفصل وجوه (الاول) قال الحسن بفصل الله  
 فيه بين اهل الجنة واهل النار (الثاني) يفصل في الحكم والقضاء بين عباده (الثالث)  
 أنه في حق المؤمنين يوم الفصل بمعنى انه يفصل بينه وبين كل ما يكرهه وفي حق الكفار  
 بمعنى انه يفصل بينه وبين كل ما يريده (الرابع) انه يظهر حال كل احدا كما هو فلا يبقى في حاله  
 رية ولا شبهة فتفصل الحيات والشبهات وتبقى الحقائق والبيّنات قال ابن عباس رضي  
 الله عنهما المعنى ان يوم يفصل الرحمن بين عباده ميقاتهم اجمعين البر والفاجر ثم وصف ذلك  
 اليوم فقال يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا يربد قريب عن قريب ولا هم ينصرون اي ليس  
 لهم ناصر والمعنى ان الذين يتوقع منه النصرة اما القريب في الدين او في النسب او المعتق  
 وكل هؤلاء يسمون بالمولى فلما لم تحصل النصرة منهم فبان لا تحصل بمن سواهم اولى وهذه  
 الآية شبيهة بقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا الى قوله ولا هم ينصرون  
 قال الواحدي والمراد بقوله مولى عن مولى الكفار ألا ترى انه ذكر المؤمن فقال الا من  
 رحم الله قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد المؤمن فانه تشفع له الانبياء والملائكة واعلم  
 انه تعالى لما اقام الدلالة على ان القول بالقيامة حق ثم اردفه بوصف ذلك اليوم ذكر  
 عقبيه وعيد الكفار ثم بعده وعد الابرار اما وعيد الكفار فهو قوله ان شجرة الزقوم  
 طعام الاثيم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشاف قرئ ان شجرة الزقوم  
 بكسر الشين ثم قال وفيها ثلاث لغات شجرة بفتح الشين وكسرها وشيرة بالياء وشيرة  
 بالباء (المسئلة الثانية) البحث عن اشتقاق لفظ الزقوم قد تقدم في سورة والصافات  
 فلا فائدة في الاعادة (المسئلة الثالثة) قالت المعتزلة الآية تدل على حصول هذا الوعيد  
 الشديد للاثيم والاثيم هو الذي صدر عنه الاثم فيكون هذا الوعيد حاصلا للفساق  
 (والجواب) اننا بينا في اصول الفقه ان اللفظ المفرد الذي دخل عليه حرف التعريف  
 الاصل فيه ان ينصرف الى المذكور السابق ولا يفيد العموم وههنا المذكور السابق  
 هو الكافر فينصرف اليه (المسئلة الرابعة) مذهب ابى حنيفة ان قراءة القرآن بالمعنى  
 جائز واحتج عليه بأنه نقل ان ابن مسعود كان يقرأ رجلا هذه الآية فكان يقول طعام  
 الاثم فقال قل طعام الفاجر وهذا الدليل في غاية الضعف على ما بيناه في اصول الفقه ثم قال  
 كاللؤلؤ قرئ بضم الميم وقحمها وسبق تفسيره في سورة الكهف وقد شبه الله تعالى هذا

بالتاء على استناد الفصل الى  
 الشجرة (كغلي الحميم) غليا ناكليه  
 (خذوه) على ارادة القول  
 والخطاب للزبانية (فاعقلوه) اي  
 جروه والعتل الاخذ بمجامع  
 الشئ وجرو به قهرو عنف وقرئ  
 بضم التاء وهى لغة فيه (الى سواء  
 الجحيم) اي وسطه (ثم صبوا فوق  
 رأسه من عذاب الحميم) كان  
 الاصل يصب من فوق رؤسهم  
 الحميم قليل يصب من فوق  
 رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة  
 ثم اضيف العذاب الى الحميم  
 للتخفيف وزيد من الدلالة على  
 ان المصوب بعض هذا النوع  
 (ذق انت العزيز الكريم)  
 اي وقولوا له ذلك استنابه  
 وقرعاله على ما كان يزعمه  
 روى ان اباجهل قال لرسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ما بين جبلها  
 اعز ولا اكرم منى فواته  
 ما تستطيع انت ولاربك ان  
 تفعلابى شيئا وقرئ بالفتح اي  
 لانك او عذابك (ان هذا)  
 اي العذاب (ما كنتم تمترون)  
 تشكون وتمارون فيه والجمع  
 باعتبار المعنى لان المراد جنس  
 الاثم (ان المتقين) اي عن الكفر  
 والمعاصي (في مقام) في موضع  
 قيام والمراد

الطعام بالمهل وهو دردى الزيت وعكر الفطران ومذاب النحاس وسائر الفلزات وتم الكلام ههنا ثم اخبر عن غلباته في بطون الكفار فقال يغلى في البطون وقرئ بالتاء غن قرأ بالتاء فلثأ نيت الشجرة ومن قرأ بالياء حمله على الطعام في قوله طعام الاثيم لان الطعام هو الشجرة في المعنى واختر ابو عبيد الباق لان الاسم المذكور يعنى المهل هو الذى يلى الفعل فصار التذكير به اولى واعلم انه لا يجوز ان يحمل الغلى على المهل لان المهل مشبه به وانما يغلى ما يشبه بالمهل كغلى الحميم والماء اذا اشتد غلباته فهو حميم ثم قال خذوه أى خذوا الاثيم فاعتلوه قرئ بكسر التاء قال البيهقي العتل ان تأخذ بمنكب الرجل فتعتله أى تنجره اليك وتذهب به الى حبس او محنة واخذ فلان بزماء الناقة يعتلها وذلك اذا قبض على اصل الزمام عند الرأس وقادها قودا عنيفا وقال ابن السكيت عتلته الى السجين وأعتلته اذا دفعته دفعا عنيفا هذا قول جميع اهل اللغة في العتل وذكروا في اللغتين ضم التاء وكسرها وهما صحيحان مثل يعكفون ويعكفون ويعرشون ويعرشون قوله تعالى الى سواء الجحيم أى الى وسط الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الجحيم وكان الاصل ان يقال ثم صبوا من فوق رأسه الجحيم يصب من فوق رؤسهم الجحيم الا ان هذه الاستعارة اكمل في المبالغة كما نه يقول صبوا عليه عذاب ذلك الجحيم ونظيره قوله تعالى ربنا افرغ علينا صبرا ثم قال ذق انك انت العزيز الكريم وذكروا فيه وجوها (الاول) انه يخاطب بذلك على سبيل الاستهزاء والمراد انك انت بالضد منه (والثاني) ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جليليها عز ولا أكرم مني فوالله ما نستطيع انت ولا ربك ان تغلبنى شيئا (والثالث) انك كنت تعز لا بالله فانظر ما وقعت فيه وقرئ انك بمعنى لانك ثم قال ان هذا ما كتب به يمترون أى ان هذا العذاب ما كتب به يمترون أى تشكون والمراد منه ما ذكره في اول السورة حيث قال بل هم في شك يلعبون \* قوله تعالى (ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم فاتما يسرناه بلسانك لعلهم يذكرون فارتقب انهم مرتقبون) اعلم انه تعالى لما ذكر الوعيد في الآيات المتقدمة ذكر الوعد في هذه الآيات فقال ان المتقين قال اصحابنا كل من اتى الشرك فقد صدق عليه اسم المتقي فوجب ان يدخل الفاسق في هذا الوعد واعلم انه تعالى ذكر من اسباب نعمهم اربعة اشياء (اولها) مساكنهم فقال في مقام امين واعلم ان المسكن انما يطيب بشرطين (احدهما) ان يكون آسنا من جميع ما يخاف ويحذر وهو المراد من قوله في مقام امين قرأ الجمهور في مقام بفتح الميم وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم قال صاحب الكشف المقام بفتح الميم هو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخالص الذي جعل مستعملا في المعنى العام بالضم هو موضع الاقامة والاثنين من قولك امن الرجل امانة

المكان على الاطلاق فانه من الخالص الذى شاع استعماله في معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو موضع اقامة (امين) يأمن صاحبه الآفات والانتقال عنه وهو من الاثمن الذى هو ضد الحيانة وصف به المكان بطريق الاستعارة كأن المكان الخفيف يخون صاحبه لما يلقي فيه من المكارة (في جنات وعيون) بدل من مقام بجى به دلالة على نزاهته واشتماله على طيبات الماسكلى والمشارب (يلبسون من سندس واستبرق) اما خبر ثان احوال من الضمير في الحاروا استثناف والسندس مارق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب (متقابلين) في المجالس ليستأنس بعضهم ببعض (كذلك) أى الامر كذلك او كذلك آتيناهم (وزوجناهم بحور عين) على الوصف وقرئ بالاضافة أى قرناهم بهن والحوار جمع الحوراموهى البيضاء والعين جمع العتاء وهى العظيمة العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها (يدعون فيها بكل فاكهة) أى يطلبون ويأمرسون باحضار ما يشتهونه من الفواكه لا يتخصص شيء منها

فهو أمين وهو ضد الخاش فوصف به المكان استعارة لان المكان الخفيف كأنه يخون صاحبه (والشرط الثاني) لطيب المكان ان يكون قد حصل فيه أسباب الزهفة وهي الجنات والعيون فلما ذكر تعالى هذين الشرطين في مساكن اهل الجنة فقد وصفها بما لا يقبل الزيادة (القسم الثاني) من نعماتهم الملبوسات فقال يلبسون من سندس واستبرق قيل السندس مارق من الدياج والاستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبرك فان قالوا كيف جاز ورود الاعمى في القرآن قلنا لما عرب فقد صار عربيا (القسم الثالث) وهو جلوسهم على صفة التقابل والغرض منه استئناس البعض ببعض فان قالوا الجلوس على هذا الوجه موحش لانه يكون كل واحد منهم مطلع على ما يفعله الآخر وايضا الذي يقل ثوابه اذا اطلع على حال من يكثر ثوابه ينقص عيشه قلنا احوال الآخرة بخلاف احوال الدنيا (القسم الرابع) ازواجهم فقال كذلك وزوجناهم بحور عين الكاف فيه وجهان ان تكون مرفوعة والتقدير الامر كذلك او منصوبة والتقدير آتيناهم مثل ذلك قال ابو عبدة جعلناهم ازواجا كما يزوج البعل بالبعل اي جعلناهم اثنين اثنين واختلفوا في ان هذا اللفظ هل يدل على حصول عقد التزويج ام لا قال بونس قوله وزوجناهم بحور عين أي قرناهم بمن فليس من عقد التزويج والعرب لا تقول تزوجت بها وانما تقول تزوجتها قال الواحدى رحمه الله والتزويل يدل على ما قال بونس وذلك قوله فلما قضى زيد منا وطرا زوجناكها ولو كان المراد تزوجت بها لقال زوجناك بها وايضا فقول القائل زوجته به معناه انه كان فردا فزوجته بآخر كما يقال شفعته بآخر واما الخور فقال الواحدى اصل الخور البياض والتحوير التبييض وقد كررنا ذلك في تفسير الخوارين وعين حوراء اذا اشتد بياض بياضها واشتد سواد سوادها ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون حور عينيها بياضا في لون الجسد والدليل على ان المراد بالخور في هذه الآية البياض قراءة ابن مسعود بعيس عين والعيس البياض واما العين فجمع عينا وهى التى تكون عظيمه العينين من النساء قال الجبائى رجل اعين اذا كان ضخم العين واسعها والانى عينا والجمع عين ثم اختلفوا في هؤلاء الخور العين فقال الحسن بن عمار ترك الدرد ينشئهن الله خلقا آخر وقال ابو هريرة انهن ليسوا من نساء الدنيا (النوع الخامس) من نعمات اهل الجنة الماء كقول فقال يدعون فيها بكل فاكهة آمنين قالوا انهم يأكلون جميع انواع الفاكهة لاجل انهم آمنون من النخم والامراض ولما وصف الله تعالى انواع ما هم فيه من الخيرات والراحات بين ان حياتهم دائمة فقال لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وفيه سؤالان (السؤال الاول) انهم ماذا قوا الموتة الاولى في الجنة فكيف حسن هذا الاستثناء واجيب عنه من وجوه (الاول) قال صاحب الكشف اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كأنه قيل ان كانت

بمكان ولا زمان (آمين) من كل ما يسوءهم (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) بل يستمرون على الحياة ابدًا والاستثناء منقطع او متصل على ان المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الاطلاق كأنه قيل لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى حينئذ (ووافهم عذاب المحجيم) وقرئ مسددا للمبالغة في الوفاية (فضلنا من ربك) اي اعطوا ذلك كله عطا وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع اي ذلك فضل (ذلك هو الفوز العظيم) الذي لا فوز وراءه ادهو خلاص عن جميع المكاه ونيل لكل المطالب وقوله تعالى (فانما يسرناه بلسانك لهم يذكرون) فذلكم للسورة الكريمة اي انما انزلنا الكتاب المبين بلسانك في فهمه قومك ويذكروا ويعملوا بموجبه واذا لم يعملوا ذلك (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم (انهم مرتقبون) ما يحل بك \* روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة اصبح مغفورا له \* (سورة الحائكة مكية وهى سبع اوست وثلاثون آية) \* \* (بسم الله الرحمن الرحيم) \*

الموتة الاولى يمكن ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها ( الثاني ) أن الابعى ولكن والتقدير لا يذوقون فيها الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها ( الثالث ) ان الجنة حقيقتها ابتهاج النفس وفرحها بمعرفة الله تعالى وبطاعته ومحبه واذا كان الامر كذلك فان الانسان الذي فاز بهذه السعادة فهو في الدنيا في الجنة وفي الآخرة ايضا في الجنة واذا كان الامر كذلك فقد وقعت الموتة الاولى حين كان الانسان في الجنة الحقيقية التي هي جنة المعرفة بالله والمحبة فذكر هذا الاستثناء كالتنبيه على قولنا ان الجنة الحقيقية هي حصول هذه الحالة لا الدار التي هي دار الاكل والشرب ولهذا السبب قال عليه السلام انبياء الله لا يموتون ولكن يقتلون من دار الى دار ( والرابع ) ان من جرب شيئا ووقف عليه صح أن يقال انه ذاقه واذا صح أن يسمى ذلك العلم بالذوق صح أن يسمى تذكرة ايضا بالذوق فقولهم لا يذوقون فيها الموت الاولى يعني الا الذوق الحاصل بسبب تذكرة الموتة الاولى ( السؤال الثاني ) أليس أن اهل النار ايضا لا يموتون فلم يشر اهل الجنة بهذا مع أن اهل النار يشاركونهم فيه ( والجواب ) ان البشارة ما وقعت بدوام الحياة بل بدوام الحياة مع سابقة حصول تلك الخيرات والسعادات فظهر الفرق ثم قال تعالى ووقاهم عذاب الحميم قرئ ووقاهم بالتشديد فان قالوا مقتضى الدليل أن يكون ذكر الوقاية عن عذاب الحميم متقدما على ذكر الفوز بالجنة لان الذي وفي عن عذاب الحميم قديفوز وقد لا يفوز فاذا ذكر بعده انه فاز بالجنة حصلت الفائدة اما الذي فاز بخيرات الجنة فقد تخلص عن عقاب الله لا محالة فلم يكن ذكر الفوز عن عذاب جهنم بعد ذكر الفوز نواب الجنة مفيدا قلنا التقدير كانه تعالى قال ووقاهم في اول الامر عن عذاب الحميم ثم قال فضلا من ربك يعني كل ما وصل اليه المتقون من الخلاص عن النار والفوز بالجنة فاما يحصل بفضل الله واحتج اصحابنا بهذه الآية على ان السواب يحصل تفضلا من الله تعالى لا بطريق الاستحقاق لانه تعالى لماعدد اقسام نواب المتقين لئلا يأسرها انما حصلت على سبيل الفضل والاحسان من الله تعالى قال القاضي اكثر هذه الاشياء وان كانوا قد استحقوه بعملهم فهو بفضل الله لانه تعالى تفضل بالتكليف وغرضه منه ان يصيرهم الى هذه المنزلة فهو مكن اعطى غيره ما لا يصل به الى ملك ضيعة فانه يقال في تلك الضيعة انها من فضله قلنا مذهبك ان هذا السواب حق لارم على الله وانه تعالى لو اخل به لصار سفيها وخرج به عن الالهية فكيف يمكن وصف مثل هذا السيء بأنه فضل من الله تعالى نعم قال تعالى ذلك هو الفوز العظيم واحتج اصحابنا بهذه الآية على ان التفضل اعلى درجة من النواب المستحق فانه تعالى وصفه بكونه فضلا من الله ثم وصف الفضل من الله بكونه فوزا عظيما ويدل عليه أيضا ان الملك العظيم اذا اعطى الاجير اجرته ثم خلع على انسان آخر فان تلك الخلعة اعلى حالا من اعطاء تلك الاجرة ولما بين الله تعالى الدلائل وشرح الوعد والوعيد قال فاما يسرناه بلسانك لعلمهم يتذكرون والمعنى انه تعالى وصف القرآن في اول هذه

( حم ) الكلام فيه كما مر في فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة فحمله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا مسمى بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها بدو فتعريف على سره مرارا وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلاحظ له من الاعراب وقوله تعالى ( تنزيل الكتاب ) على الاول جبريد خبر على انه مصدر اطلق على المقول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ مضمير يلوح به ما قبله اي المؤلف من حسن ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو حرلم اي المسمى به تنزيل الح وقد مر مرارا ان الذي يجعل عنوانا للموضع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الاتساب اليه وادلاعه بالسمية بعد فتحها الاجبار بها وما جعله حراله بتقدير المضاف وابناء التنزيل على اصله اي تنزيل حم تنزيل الكتاب فتح عرائه عن اعادة فائدة يعتديها تتحمل على تتحمل وقوله تعالى ( من الله العزيز الحكيم ) كما مر في صدر سورة الرمر على التفصيل وقيل حم مقسم به ونزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى ( ان في السموات والارض لايات للمؤمنين ) وهو على الوجوه

السورة بكونه كتابا مبينا اي كثير البيان والفائدة وذكر في خاتمتها ما يؤكد ذلك فقال ان ذلك الكتاب المبين الكثير الفائدة انما يسرناه بلسانك اي انما أنزلناه عربيا بلغتك لعلمهم يذكرون قال القاضي وهذا يدل على انه تعالى أراد من الكل الايمان والعرفه وانه ما أراد من احد الكفر واجاب اصحابنا ان الضمير في قوله لعلمهم يذكرون عائدا الى اقوام مخصوصين فحقن نحمل ذلك على المؤمنين ثم قال فارتقب اي فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك مرتبسون بك الدوائر والله اعلم \* قال المصنف رحمه الله تعالى تم تفسير هذه السورة ليلة الثلاثاء في نصف الليل الثاني عشر من ذى الحجة سنة ثلاث وستمئة يادأتم المعروف يا قديم الاحسان شهد لك اشراق العرش وضوء الكرسي ومعارج السموات واتوار الثوابت والسيارات على منابرها المتوخله في العلوا لاعلى ومعارجها المقدسة عن غبار عالم الكون والفساد بان الاول الحق الازلي لا يناسبه شيء من علائق العقول وشوائب الخواطر ومناسبات المحدثات فالقمر بسبب محوه مقرر بالنقصان والشمس بشهادة المعارج بتغيراتها معترفة بالحاجة الى تدير الرحمن والطبائع مهورة تحت القدرة القاهرة فآله في غيبات المعارج العالبة والمتغيرات شاهدة بعدم تغيره والمتعاقبات ناطقة بدوام سرمديته وكل ما توجه عليه انه مضى وسيأتي فهو خلقه واعلى منه فيجوده الوجود والابجاد وابعاده الفناء والفساد وكل ما سواه فهو تائه في جبروته نائر عند طلوع نور ملكوته وليس عند عقول الخلق الا انه بخلاف كل الخلق له العز والجلال والقدرة والكمال والجود والافضال ربنا ورب مبادينا اياك نروم ولك نصلي ونصوم وعليك المعول وانت المبدأ الاول سبحانه سبحانك

(سورة الجاثية ثلاثون وسبع آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لايات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واخلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فأحى به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون تلك آيات الله تلوهاعليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان في قوله حم تنزيل الكتاب وجوها (الاول) ان يكون حم مبتدأ وتنزيل الكتاب خبره وعلى هذا التقدير فلا بد من حذف مضاف والتقدير تنزيل حم تنزيل الكتاب ومن الله صلة للتنزيل (الثاني) ان يكون قوله حم في تقدير هذه حم ثم نقول تنزيل الكتاب واقع من الله العزيز الحكيم (الثالث) ان يكون حم قسما وتنزيل الكتاب نعتا له وجواب القسم ان في السموات والتقدير وحم الذي هو تنزيل الكتاب ان الامر كذا و هكذا (المسئلة الثانية) قوله العزيز الحكيم يجوز جعلها صفة الكتاب

المقدمة كلام مستأنف مسوق للتنبية على الآيات التكوينية الاتقاقية والانفسية وعمل الآيات اما نفس السموات والارض فانها منطويتان من فنون الآيات على ما يقصر عنه البيان واما خلقهما كما في قوله تعالى ان في خلق السموات والارض وهو الاوفق بقوله تعالى (وفي خلقكم) اي من نقطة ثم من علقه متقلبة في اطوار مختلفة الى تمام الخلق (وما يث من دابة) عطف على المضاف دون المضاف اليه اي وفيما ينشره ويفرقه من دابة (آيات) بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من الجملة المصدرية بان وقيل آيات عطف على ما قبلها من آيات باعتبار المحل عند من يحوزه وقرئ آية بالتوحيد وقرئ آيات بالنصب عطفا على ما قبلها من اسم ان والخبير هو الخبير كما نه قيل وان في خلقكم وما يبث من دابة آيات (لقوم يوقنون) اي من شأنهم ان يوقنوا بالاشياء على ما هي عليه (واختلاى الليل والنهار) بالجر على اخبار الجار المذكور في الايتين قبله وقد قرئ بذكره والمراد باختلافهما اما تعاقبهما وتفاوتهما طولا وقصرا

ويحوز جعلهما صفة لله تعالى الان هذا الثاني اولى ويدل عليه وجوه (الاول) انا اذا جعلناهما صفة لله تعالى كان ذلك حقيقة واذا جعلناهما صفة الكتاب كان ذلك مجازا والحقيقة اولى من المجاز (الثاني) ان زيادة القرب توجب الرجحان (الثالث) انا اذا جعلنا العزيز الحكيم صفة لله كان ذلك اشارة الى الدليل الدال على ان القرآن حق لان كونه عزيزا يدل على كونه قادرا على كل الممكنات وكونه حكيما يدل على كونه عالما بجميع المعلومات غنيا عن كل الحاجات ويحصل لنا من مجموع كونه تعالى عزيزا حكيما كونه قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات غنيا عن كل الحاجات وكل ما كان كذلك امتنع منه صدور العبث والباطل واذا كان كذلك كان ظهور المجز دليلا على الصدق فثبت انا اذا جعلنا كونه عزيزا حكيما صفتين لله تعالى يحصل منه هذه الفائدة واما اذا جعلناهما صفتين للكتاب لم يحصل منه هذه الفائدة فكان الاول اولى والله اعلم ثم قال تعالى ان في السموات والارض لايات للمؤمنين وفيه مباحث (الاول) ان قوله ان في السموات والارض لايات يحوز اجراؤه على ظاهره لانه حصل في ذوات السموات والارض احوال دالة على وجود الله تعالى مثل مقاديرها وكيفياتها وحركاتها وايضا الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار موجودة في السموات والارض وهي آيات ويحوز ان يكون المعنى ان في خلق السموات والارض كما صرح به في سورة البقرة في قوله ان في خلق السموات والارض وهو يدل على وجود القادر المختار وفي تفسير قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض (البحث الثاني) قد ذكرنا الوجوه الكثيرة في دلالة السموات والارض على وجود الاله القادر المختار في تفسير قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض ولا بأس باعادة بعضها فقول انها تدل على وجود الاله من وجوه (الاول) انها اجسام لا تخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث فهذه الاجسام حادثة وكل حادث فله محدث (الثاني) انها مركبة من الاجزاء وتلك الاجزاء مماثلة لما بينا ان الاجسام مماثلة وتلك الاجزاء وقع بعضها في العمق دون السطح وبعضها في السطح دون العمق فيكون وقوع كل جزء في الموضع الذي وقع فيه من الجاذبات وكل جاذب فلا بد له من مرجح ومخصص (الثالث) ان الافلاك والعناصر مع تماثلها في تمام الماهية الجسمية اختلفت كل واحد منها بصفة معينة كالحرارة والبرودة واللطافة والكثافة الفلكية والعنصرية فيكون ذلك امرا جازما ولا بد له من مرجح (الرابع) ان اجرام الكواكب مختلفة في الالوان مثل كودة زحل وبياض المشتري وحرة المريخ والضوء الباهر للشمس ودرية الزهرة وصفرة عطارد ومحو القمر وايضا بعضها سعدة وبعضها نحسة وبعضها نهارى ذكرنا بعضها ليلي انثى وقد بينا ان الاجسام في ذواتها مماثلة فوجب ان يكون اختلاف الصفات لاجل ان الاله القادر المختار خصص كل واحد منها بصفته المعينة (الخامس) ان كل فلك فانه مخصص بالحركة الى جهة

(وما نزل الله من السماء) عطف على اختلاف (من رزق) اي من مطر وهو سبب للرزق عبر عنه بذلك تنبيه على كونه آية من جهتي القدرة والرحمة (فأحيى به الارض) بأن اخرج منها اصناف الزروع والنباتات (بعد موتها) وعرائنها عن آثار الحياة وانتفاء قوة التسمية عنها وخلو اشجارها عن الثمار (وتصرف الرياح) من جهة الى اخرى ومن حال الى حال وقرئ بتوحيد الرب وتأخيرها عن ازال المطر مع تقدمه عليه في الوجود اما للايدان بانه آية مستقلة حيث لوروى الترتيب الوجودي لربما توهم ان مجموع تصرف الرياح وازال المطر آية واحدة واما لان كون التصريف آية ليس لمجرد كونه مبدءا لانشاء المطر بل له ولسائر المنافع التي من جلته اسوق السفن في البحار (آيات لقوم يعقلون) بالرفع على انه مبتدأ خبر ما تقدم من الجار والمحرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب

معينة ومختص بمقدار واحد من السرعة والبطء وكل ذلك ايضا من الجائزات فلا بد من  
 الفاعل المختار ( السادس ) ان كل ذلك مختص بشئ معين وكل ذلك ايضا من الجائزات  
 فلا بد من الفاعل المختار وتام الوجوه المذكورة في تفسير تلك الآيات ( البحث الثالث )  
 قوله لا آيات للمؤمنين يقتضى كون هذه الآيات مخصصة بالمؤمنين وقالت المعتزلة انها  
 آيات للمؤمن والكافر الا انه لما انتفع بها المؤمن دون الكافر اضيف كونها آيات الى  
 المؤمنين ونظيره قوله تعالى هدى للمؤمنين فانه هدى لكل الناس كما قال تعالى هدى للناس  
 الا انه لما انتفع بها المؤمن خاصة لاجرم قبل هدى للمؤمنين فكذا هما وقال الاصحاب  
 الدليل والآية هو الذى يترتب على معرفة حصول العلم وذلك العلم انما يحصل  
 بخلق الله تعالى لا بايجاب ذلك الدليل والله تعالى انما خلق ذلك العلم للمؤمن لا للكافر  
 فكان ذلك آية دليلا في حق المؤمن لا في حق الكافر والله اعلم ثم قال تعالى وفي خلقكم  
 وما يث من دابة آيات لقوم يوقنون وفيه مباحث ( البحث الاول ) قال صاحب  
 الكشاف قوله وما يث عطف على الخلق المضاف لاعلى الضمير المضاف اليه لان المضاف  
 ضمير متصل مجرور والعطف عليه مستقيم فلا يقال مررت بك وزيد ولهذا طعنوا في قراءة  
 حجة تساءلون به والارحام بالجر في قوله والارحام وكذلك ان الذين استجبوا هذا العطف  
 فلا يقولون مررت بك انت وزيد ( البحث الثانى ) قرأ حجة والكسائي آيات بكسر التاء  
 وكذلك الذى بعده وتصريف الرياح آيات والباقون بالرفع فيها اما الرفع فن وجهين  
 ذكرهما المبرد والزجاج وابو على ( احدهما ) العطف على موضع ان وما علمت فيه لان  
 موضعهما رفع بالابتداء فيحمل الرفع فيه على الموضع كما تقول ان زيدا منطلق وعمر وان  
 الله برئ من المشركين ورسوله لان معنى قوله ان الله برئ ان يقول الله برئ من  
 المشركين ورسوله ( والوجه الثانى ) ان يكون قوله وفي خلقكم مستأنفا ويكون الكلام  
 جملة معطوفة على جملة اخرى كما تقول ان زيدا منطلق وعمر وكتب جعلت قولك وعمر و  
 كاتب كلاما آخر كما تقول زيد في الدار واخرج غدا الى بلد كذا فامسأحدثت بمحدثين  
 ووصلت احدهما بالآخر بالواو وهذا الوجه هو اختيار ابى الحسن والقراء واما وجه  
 القراءة بالنصب فهو بالعطف على قوله ان في السموات على معنى وان في خلقكم لا آيات  
 ويقولون هذه القراءة انها في قراءة ابى وعبد الله لا آيات ودخول اللام يدل على ان  
 الكلام محمول على ان ( البحث الثالث ) قوله وفي خلقكم معناه خلق الانسان وقوله وما  
 يث من دابة اشارة الى خلق سائر الحيوانات ووجه دلائلها على وجود دالة القادر المختار  
 ان الاجسام متساوية فاخصاص كل واحد من الاعضاء بكونه المعين وصفته المعينة  
 وشكله المعين لابد وان يكون بخصيص القادر المختار ويدخل في هذا الباب انتقاله من  
 سن الى سن آخر ومن حال الى حال آخر والاستقصاء في هذا الباب قد تقدم ثم قال تعالى  
 واختلاف الليل والنهار وهذا الاختلاف يقع على وجوه ( احدها ) تبدل النهار بالليل

على الاختصاص وقيل على انها  
 اسم ان والمجرور المتقدم خبرها  
 بطريق العطف على معمولي  
 عاملين مختلفين هما ان وفي اقيمت  
 الواو مقامهما فعلمت الحرفى  
 اختلاف والعصب في آيات وتكثير  
 آيات في المواضع الثلاثة للتخيم  
 كما وكما واختلاف المواصل  
 لاختلاف مراتب الآيات في  
 الدعة والحلا ( بلا آيات الله )  
 مبتدأ وحروم له تعالى ( تلوها  
 عليك ) حال عاملها معى الاشارة  
 وقيل هو الخبر وآيات الله بدل  
 او عطف بيان ( بالحق ) حال من  
 فاعل تلو ومن معموله اى  
 تلوها محققين او ملتبسة بالحق  
 ( فبأى حديث ) من الاحاديث  
 ( بعد الله وآياته ) اى بعد آيات الله  
 وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها  
 كما في قولهم انجبنى ريد وكرمه  
 او بعد حبيب الله الذى هو  
 القرآن حسبا نطق بقوله تعالى  
 الله نزل احسن الحديث وهو  
 المراد بآياته ايضا ومناط العطف  
 التعابير العنواى ( يؤمسون )  
 بصيغة العمية وقرئ بالتاء



(وبل لكل افاك) كذاب (أنيم) كثير الاتهام (٤٨١) (يجمع آيات الله) صفة اخرى لافاك وقيل استئناف وقيل حال من السنيور في أنيم

(تتلى عليه) حال من آيات الله ولاساع لحله مفعول ثانيا ليلسمع لان شرطه ان يكون ما بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا يقرأ (ثم يصر) اي يقيم على كفره واصله من اصرار الحمار على العانة (مستكبرا) عن الايمان بما سمع من آيات الله الى والاذعان بالتسطق به من الحق مردريا لها معجبا بما عنده من الاباطيل وقيل نزلت في النضرين الحارث وكان يشتري من احاديث الاعاجم وينغل بها الناس عن استماع القرآن لكنها وردت لعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته ما هم فيه من الشر والساد وكلية ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع الآيات التي حقها ان تدعن لها القلوب وتضع لها الرقاب كما في قول من

وبالضد منه (ونانيها) انه تارة يزداد طول النهار على طول الليل وتارة بالعكس وبمقدار ما يزداد في النهار الصيفي يزداد في الليل الشتوي (ونالها) اختلاف مطالع الشمس في ايام السنة ثم قال تعالى وما اتزل الله من السماء من رزق فأحبي به الارض بعد موتها وهو يدل على القول بالفاعل المختار من وجوه (احدها) انشاء السحاب واتزال المطر منه (ونانيها) تولد النباتات من تلك الحبة الواقعة في الارض (ونالها) تولد الانواع المختلفة وهي ساق الشجرة واغصانها واوراقها واثمارها ثم تلك الثمرة منها ما يكون القشر محيطا باللب كالجوز واللوز ومنها ما يكون اللب محيطا بالقشر كالشمس والخور ومنها ما يكون خاليا عن القشر كالتين فتولد اقسام النبات على كثرة اصنافها وتبين اقسامها يدل على صحة القول بالفاعل المختار الحكيم الرحيم ثم قال وتصريف الرياح وهي تنقسم الى اقسام كثيرة بحسب تقسيمات مختلفة فمنها المشرقية والغربية والشمالية والجنوبية ومنها الحارة والباردة ومنها الرياح النافعة والرياح الضارة ولما ذكر الله تعالى هذه الانواع الكثيرة من الدلائل قال انها آيات لقوم يعقلون واعلم ان الله تعالى جمع هذه الدلائل في سورة البقرة فقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما اتزل الله من السماء من ماء فأحبي به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض آيات لقوم يعقلون فذكر الله تعالى هذه الاقسام الثمانية من الدلائل والتفاوت بين الموضعين من وجوه (الاول) انه تعالى قال في سورة البقرة ان في خلق السموات والارض وقال ههنا ان في السموات والصحيح عند اصحابنا ان الخلق عين المخلوق وقد ذكر لفظ الخلق في سورة البقرة ولم يذكره في هذه السورة تنبيه على انه لا تفاوت بين ان يقال السموات وبين ان يقال خلق السموات فيكون هذا دليلا على ان الخلق عين المخلوق (الثاني) انه ذكر هناك ثمانية انواع من الدلائل وذكر ههنا ستة انواع واهمل منها الفلك والسحاب والسبب أن مدار حركة الفلك والسحاب على الرياح المختلفة فذكر الرياح الذي هو كالسبب يغني عن ذكرهما (التفاوت الثالث) انه جمع الكل وذكر لها مقطعا واحدا وههنا رتبها على ثلاثة مقاطع والغرض التنبيه على انه لا بد من افراد كل واحد منها بنظر تام شاف (التفاوت الرابع) انه تعالى ذكر في هذا الموضع ثلاثة مقاطع (اولها) يؤمنون (ونانيها) يوقنون (وبالها) يعقلون واطن ان سبب هذا الترتيب انه قيل ان كنتم من المؤمنين فافهموا هذه الدلائل وان كنتم لستم من المؤمنين بل أنتم من طلاب الحق واليقين فافهموا هذه الدلائل وان كنتم لستم من المؤمنين ولا من الموقنين فلا قل من أن تكونوا من زمرة العاقلين فاجتهدوا في معرفة هذه الدلائل واعلم ان كثيرا من الفقهاء يقولون انه ليس في القرآن العلوم التي يبحث عنها المتكلمون بل ليس فيه الا ما يتعلق بالاحكام والفقه وذلك غفلة عظيمة لانه ليس في القرآن سورة طويلة منفردة بذكر الاحكام وفيه سور كثيرة خصصا للمكيات ليس فيها الا ذكر دلائل

قال  
\*بري غرات الموت ثم يزورها\*  
(كأن لم يسمعها) اي كأنه لم يسمعها فحنف وحذف ضمير الشأن والجملة حال من يصر اي يصر شيئا بغير السامع (فشره بعداذ اليم) على اصراره واستكباره (واذا علم من آياتنا شيئا) اي اذا بلغه من آياتنا شيء وعلم انه من آياتنا لانه علمه كاهو عليه فانه يعمل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيئا يمكن ان يتشبه به المعاند ويحذ له سجلا فاسدا يتوصل به الى الطعن والعمية (اتخذها) اي الآيات كلها (هنوا) اي مبرواها لا ماسعه فقط وقيل الضمير للنبي والتأنيث لانه في معنى الآية (ارلكت) اسارة الى كل افاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبايح والجمع باعتبار اصول لكل كما في قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كما

ان الافراد فيما سبق من الغمائر باعتبار كل واحد (٦١) (را) (سا) واحد (لهم) بسبب جنائياتهم المذكورة (عذابهمين) وصف العذاب

بالاهانة توفية لحي استكبارهم واستهزائهم بآيات الله سبحانه وتعالى ( ٤٨٢ ) ( من ورائهم جهنم ) اى من قدامهم لانهم متوجسون الى ما بعد التوحيد والنبوة والبعث والقيامة وكل ذلك من علوم الاصوليين ومن تأمل علم انه ليس في يد علماء الاصول الا تقصيل ما اشتمل القرآن عليه على سبيل الاجال ثم قال تعالى تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق والمراد من قوله بالحق هو ان صحتها معلومة بالدلائل العقلية وذلك لان العلم بانها حقيقة صحيحة اما ان يكون مستفادا من النقل او العقل والاول باطل لان صحة الدلائل العقلية موقوفة على سبق العلم بآيات الاله العالم القادر الحكيم وبآيات النبوة وكيفية دلالة المعجزات على صحتها فلو اثبتنا هذه الاصول بالدلائل العقلية لزم الدور وهو باطل ولما بطل هذا ثبت ان العلم بحقيقة هذه الدلائل لا يمكن تحصيله الا بمحض العقل واذا كان كذلك كان قوله تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق من اعظم الدلائل على الترغيب في علم الاصول وتقرير المباحث العقلية ثم قال تعالى فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون يعنى ان من لم ينفع بهذه الآيات فلا شئ بعده يجوز ان ينفع به وابطل بهذا قول من زعم ان التقليد كاف وبين انه يجب على المكلف التأمل في دلائل دين الله وقوله يؤمنون قرئ وراءهم من جهنم (عذاب عظيم) لا يقدر قدره (هذا) اى القرآن (هدى) في غاية الكمال من البداية كأنه نفسه (والذين كفروا) اى بالقرآن وانما وضع موضع ضميره قوله تعالى (بآيات ربهم) لزيادة تشنيع كفرهم به وتقطيع حالهم (لهم عذاب من رجز) اشد العذاب (اليم) بالرفع صفة عذاب وقرئ بالجزم على انه صفة رجز وتويز عذاب في المواقع الثلاثة للتخيم ورفعها اما على الاستثناء واما على الفاعلية (الله الذى سخر لكم البحر) بأن جعله امس السطح يطفو عليه ما يضل كالاشباب ولا يمنع العوص والحرق لمعانه (لتجرى العلك فيه بأسره) واتم راكبوها (ولتبتعوا من فضله) بالجارزة والعوص والصد وغيرها (ولعلكم تشكرون) ولكي تشكروا النعم المترتبة على ذلك (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض) من الموجودات بأن جعلها مدار المنافعكم (جميعا) اما حال من مافى السموات والارض ان توكدله (منه) متعلق بمحذوف هو صفة لجمعا او حال من اى جميعا كأننا منه تعالى او سخر لكم هذه الاشياء (شيئا)

كأنة منه مخلوقه تعالى او خبر المحذوف اى هى جيعا منه ( ٤٨٣ ) تعالى وقرئ منة على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد

الحجازى او خبر مبتدأ محذوف  
اى ذلك منه ( ان فى ذلك )  
اى فيما ذكر من الامور العظام  
( لايات ) عظيمة الشأن كثيرة  
العدد ( لقوم يذكرون ) فى بدائع  
صنع الله تعالى فانهم يقفون بذلك  
على جلائل نعمه تعالى ودقائقها  
ووقوفون لشكرها ( قل الذين  
آمنوا ) حذف المقول لدلالة  
( يغفروا ) عليه فانه جواب للامر  
باعتبار تعلقه به لا باعتباره نفسه  
فقط اى قل لهم اغفروا يغفروا  
( للذين لا يرجون ايام الله )  
اى يعقوا ويصفحوا عن الذين  
لا يتوقون وقائه تعالى باعدائه  
من قولهم ايام العرب لوقائهم  
وقيل لا يأملون الاوقات التى وقها  
الله تعالى لنواب المؤمنين ووعدهم  
الغفور فيها قيل نزلت قبل آية القتال  
ثم نعت بها وقيل نزلت فى عمر  
رضى الله عنه حين شتمه عمارى فهم  
ان يبسط به وقيل حين قال ابن ابي  
ما قال وذلك انهم نزلوا فى عروبة بنى  
المصطلق على بئر يقال لها المريسيع  
فارسل ابن ابي عامر يستقي فاطما  
عليه فلما اتاه قال له ما حبسك  
قال علام عرق قد عد على طرف البئر  
فأترك احدا يستقي حتى ملا قرب  
النبي صلى الله عليه وسلم وقرب  
ابى بكر فقال ابن ابي ما منلنا ومثل  
هؤلاء الاكابر من كذبك يا كاذب  
فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فاشتعل  
سيفه يريد التوجه اليه فانزلها  
الله تعالى ( ليجزى قوما بما كانوا  
يكسبون ) تعليل للامر بالمغفرة  
والمراد بالقوم المؤمنون والتذكير  
لادحهم والثناء عليهم اى اسروا  
بذلك ليجزى يوم القيامة قوما بما  
قوم لا قوما مخصوصين بما كسبوا  
فى الدنيا من الاعمال الحسنة

شيئا اتخذها هزوا وكان من حق الكلام ان يقال اتخذها هزوا اى اتخذ ذلك الشيء هزوا  
الا انه تعالى قال اتخذها للاشعار بان هذا الرجل اذا أحس بشئ من الكلام انه من جملة  
الآيات التى أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم خاض فى الاستهزاء بجميع  
الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بذلك الواحد ثم قال تعالى أولئك لهم عذاب مهين أولئك  
اشارة الى كل أفاك أثيم لشموله جميع الافاكين ثم وصف كيفية ذلك العذاب المهين فقال  
من ورائهم جهنم اى من قدامهم جهنم قال صاحب الكشاف الوراء اسم للجهة التى  
توارى بها الشخص من خلف او قدام ثم بين ان مملكوه فى الدنيا لا ينفعهم فقال ولا يغنى  
عنهم ما كسبوا شيئا ثم ان اصنامهم لا تنفعهم فقال ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ثم  
قال ولهم عذاب عظيم فان قالوا انه قال قبل هذه الآية لهم عذاب مهين فما الفائدة فى  
قوله بعده ولهم عذاب عظيم قلنا كون العذاب مهينا يدل على حصول الاهانة مع العذاب  
وكونه عظيما يدل على كونه بالغاً الى اقصى الغايات فى كونه ضررا ثم قال هذا هدى اى  
كامل فى كونه هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم والرجز اشد  
العذاب بدلالة قوله تعالى فأنزّلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء وقوله لئن كشفت عنا  
الرجز وقرئ أليم بالجر والرفع اما الجر فتقديره لهم عذاب من عذاب أليم واذا كان عذابهم  
من عذاب أليم كان عذابهم أليما ومن رفع كان المعنى لهم عذاب أليم ويكون المراد من  
الرجز الرجز الذى هو النجاسة ومعنى النجاسة فيه قوله ويسقى من ماء صديد وكان المعنى  
لهم عذاب من تجرع رجزا او شرب رجزا فتكون من تبينا للعذاب \* قوله تعالى  
( الله الذى سخر لكم البحر ليجرى الفلك فيه ماره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون )

وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون قل  
لذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا  
فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ) اعلم أنه تعالى ذكر الاستدلال بكيفية  
جريان الفلك على وجه البحر وذلك لا يحصل الا بسبب تسخير ثلاثة اشياء ( احدها ) الرياح  
التي تجرى على وفق المراد ( وثانيها ) خلق وجوه المياه على الملاسة تجرى عليها الفلك  
( وثالثها ) خلق الخشبة على وجهه تبق طافية على وجه الماء ولا تغوص فيه وهذه الاحوال  
الثلاثة لا يقدر عليها واحد من البشر فلا بد من موجد قادر عليها وهو الله سبحانه وتعالى  
وقوله ولتبتغوا من فضله معناه اما بسبب التجارة او بالغوص على اللؤلؤ والمرجان او لاجل  
استخراج اللحم الطرى ثم قال تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه  
والمعنى لوان الله تعالى اوقف اجرام السموات والارض فى مقارها واحيازها لما حصل  
الانتفاع لان بتقدير كون الارض هابطة او صاعدة لم يحصل الانتفاع بها بتقدير كون  
الارض من الذهب او الفضة او الحديد لم يحصل الانتفاع وكل ذلك قد بيناه فان قيل ما معنى  
منه فى قوله جميعا قلنا معناه انها واقعة موقع الحال والمعنى انه سخر هذه الاشياء كأنة

التي من جللتها الصبر على اذية الكفار والاعضاء عنهم بكظم العيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه اليسان من الثواب العظيم هذا

وقد جوز ان يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم ( ٤٨٤ ) التي من جلستها ما حكى من الكلمة الحبيبة والتكبير الخفيف وفيه

منه وحاصلة من عنده يعني انه تعالى مكوّنها وموجدتها بقدرته وحكمته ثم منحها  
خلقه قال صاحب الكشف قرأ سلة بن محارب منه على أن يكون منه فاعل سخر على  
الاسناد المجازي او على انه خبر مبتدأ محذوف اي ذلك منه او هو منه واعلم انه تعالى لما علم  
عباده دلائل التوحيد والقدرة والحكمة اتبع ذلك بتعليم الاخلاق الفاضلة والافعال  
الحميدة بقوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله والمراد بالذين لا يرجون ايام  
الله الكفار واختلفوا في سبب نزول الآية قال ابن عباس قل للذين آمنوا يعني عمر  
يغفروا للذين لا يرجون ايام الله يعني عبد الله بن أبي وذلك انهم نزلوا في غزوة بني المصطلق  
على بئر يقال لها المريسيع فأرسل عبد الله غلامه ليستقي الماء فأبطأ عليه فلما قال له  
ما حبسك قال غلام عمر فقد على طرف البئر فترك احدنا يستقي حتى ملا قرب النبي صلى  
الله عليه وسلم وقرب ابي بكر وملا مولاه فقال عبد الله ما ملنا وملا هؤلاء الا كافي سمن  
كذلك يا كلك فبلغ قوله عمر فاشتعل بسيفه يريد ان توجه اليه فانزل الله هذه الآية وقال  
مقاتل شتم رجل من كفار قريش عمر بمكة فهم أن يطاش به فامر الله بالعفو والتجاوز  
وانزل هذه الآية وروى ميمون بن مهران أن قحاص اليهودي لما نزل قوله من ذا الذي  
يقرض الله قرضا حسنا قال احتاج رب محمد فسمع بذلك عمر فاشتعل على سيفه وخرج في  
طلبه فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى رده وقوله للذين لا يرجون ايام الله قال  
ابن عباس لا يرجون نواب الله ولا يخافون عقابه ولا يخشون مل عقاب الامم الخالية  
وذكرنا تفسير ايام الله عند قوله وذكرهم بأيام الله واكثر المفسرين يقولون انه منسوخ  
وانما قالوا ذلك لانه يدخل تحت القرآن أن لا يقتلوا ولا يقاتلوا فلما امر الله بهذه المقاتلة  
كان نسخها والا قرب أن يقال انه محمول على ترك المنازعة في المحقرات وعلى التجاوز عما  
يصدر عنهم من الكلمات المؤذية والافعال الموحشة ثم قال تعالى ليحزى قوما بما كانوا  
يكسبون اي اى يحزى بالمغفرة قوما يعملون الخير فان قيل ما الفائدة في التكبير في قوله  
ليحزى قوما مع ان المراد بهم هم المؤمنون المذكورون في قوله قل للذين آمنوا قلنا التكبير  
يدل على تعظيم شأنهم كأنه قبل ليحزى قوما واي قوم من شأنهم الصفع عن السيئات  
والتجاوز عن المؤذيات وتحمل الوحشة وتجرح المكروه وقال آخرون معنى الآية قل  
للمؤمنين يتجاوزوا عن الكفار ليحزى الله الكفار بما كانوا يكسبون من الامم كأنه قبل  
لهم لا تكافؤهم انتم حتى نكاثمهم نحن ثم ذكر الحكم العام فقال من عمل صالحا فلنفسه  
وهو مثل ضربه الله للذين يغفرون ومن أساء فعليها مثل ضربه للكفار الذين كانوا  
يقدمون على ابداء الرسول والمؤمنين وعلى ما لا يحل فين تعالى ان العمل الصالح يعود  
بالنفع العظيم على فاعله والعمل الردي يعود بالضرر على فاعله وانه تعالى امر بهذا ونهى  
عن ذلك لحظ العبد للنفع يرجع اليه وهذا ترغيب منه في العمل الصالح وزجر عن العمل  
الباطل ❦ قوله تعالى ( ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من

ان مطلقا لئلا يصلح تعاليل للاسما  
بالمغفرة لتحقيقه على تقدير  
المغفرة وعدمها فلا بد من  
تخصيصه بالكل بان لا يتحقق  
بعض منه في الدنيا او بما يصدر عنه  
تعالى بالذات وفي ذلك من التكلف  
ما لا ينبغي وان يراد كلا الفريقين  
وهو اكثر تكلفا واشد تحملا  
وقرى ليحزى قوم وليحزى قوما  
اي ليحزى الحراء قوما وقرى  
ليحزى بنون العظمة (من عمل  
صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها)  
لا يكاد يسرى عمل الى غير عامله  
(ثم الى ربكم) مالك امورك  
(ترحمون) فيجازيكم على  
اعمالكم خيرا كان او شرا  
(ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب)  
اي التوراة (والحكم) اي  
الحكمة النظرية والعملية  
المنه في الدين وافضل الخصومات  
بين الناس اد كان الملك فيهم  
(والنبوة) حيث كثر فيهم الانبياء  
ما لم يكن في غيرهم (ورزقناهم من  
الطيبات) بما احل الله تعالى  
من اللذات كالن والسوى  
(فضلاهم على العالمين) حيث  
آتيناهم ما لم يؤت من عداهم من  
فلق البحر واضلال الغمام  
ونظائرهما وقيل على عالمي زمانهم  
(وآتيناهم بينات من الامر)  
دلائل طاهرة في امر الدين  
وهجرات القاهرة وقال ابن عباس  
رضي الله عهما هو العلم بمجمع  
النبي صلى الله عليه وسلم وما به  
لهم من امره وانه يهاجر من تامة  
الى ثرب ويكون انصارا هاهل  
يثر (ما خلقوا) في ذلك الامر  
(الامن بعد ما جاءهم العلم) بحقيقته  
وحقيقته فاجعلوا ما يوجب زوال  
الخلاف مودجا لرسوخه (نفيا  
بنهم) اي عداوة وحسد الاشكاكية (ان ربك يقضى بينهم يوم القامة) بالواخذة والحرا (فما كانوا فيه يختلفون) من امر الدين (مجعلناك (الطيبات)

على شريعة ( اى سنة وطريقة عظيمة الشأن ( ٤٨٥ ) ( من الامر ) اى امر الدين ( فاتبها ) باجراء احكامها في نفسك وفي غيرك من غير

اخلال بشئ منها ( ولا تتبع اهواء  
الذين لا يعلمون ) اى ازاما لجهالة  
واعتماداتهم الزائفة التابعة  
لشهووات وهم رؤساء قريش  
كانوا يقولون له عليه الصلاة  
والسلام ارجع الى دين آباءك  
( انهم لن يفتنوا عنك من الله شيئا )  
عما اراد بك ان اتبعنهم ( وان  
الظالمين بعضهم اولياء بعض )  
لا يواليهم ولا يتبع اهواءهم الا من  
كان ظالما مثلهم ( والله ولى  
المتقين ) الذين انت قدوتهم فدم  
على ما انت عليه من تولى خاصة  
والاعراض عماسواء بالكلية  
( هذا ) اى القرآن اوتباع  
الشريعة ( بصائر للناس ) فان  
ما فيه من معالم الدين وشعائر  
الشرائع بمنزلة البصائر في القلوب  
( وهدى ) من ورطة الضلالة  
( ورجة ) عظيمة ( تقوم بوقوفهم )  
من شأنهم الايقان بالامور ( ام  
حسب الذين اجتروا السيئات )  
استئناف مسوق لبيان تباين حال  
المسيئين والمحسنين اثريين تباين  
حالى الظالمين والمتقين وامم منقطعة  
وما فيها من معنى بل الانتقال من  
البيان الاول الى الثانى والهزمة  
لانكار الحساب لكن لا بطريق  
انكار لوقوع ونفيه كما في قوله  
تعالى ام نجعل الذين آمنوا وعملوا  
الصالحات كالمفسدين في الارض  
ام نجعل المتقين كالفجار بل بطريق  
انكار الواقع واستفحامه والتوبيخ  
عليه والاجترار الاكتساب ( ان  
نجعلهم ) اى نصيرهم في الحكم  
والاعتبار وهم على ما هم عليه من  
مساوى الاحوال ( كالذين آمنوا  
وعملوا الصالحات ) وهم فيما هم  
فيه من محاسن الاعمال ونعاملهم  
معاملتهم في الكرامة ورفع  
الدرجة وقوله تعالى ( سواء محياهم ومماتهم ) اى محيا العربتين جميعا ومماتهم حال من الضمير في انظر والموصول معال انقذاله

الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم  
العلم بغيا بينهم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على  
شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغفوا عنك من الله شيئا  
وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولى المتقين هذا بصائر للناس وهدى ورجة لقوم  
يوقنون أم حسب الذين اجتروا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات  
سواء محياهم ومماتهم سواء ما يحكمون ( اعلم انه تعالى بين انه انعم بعم كثيرة على بنى اسرائيل  
مع انه حصل بينهم الاختلاف على سبيل البغي والحسد والمقصود ان بين ان طريقة قومه  
كطريقة من تقدم واعلم ان النعم على قسمين نعم الدين ونعم الدنيا ونعم الدين افضل من نعم  
الدنيا فللهذا بدأ الله تعالى بذكر نعم الدين فقال ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم  
والنبوة والاقرب ان كل واحد من هذه الثلاثة يجب ان يكون مغايرا لصاحبه اما  
الكتاب فهو التوراة واما الحكم فبقية وجوه يجوز ان يكون المراد العلم والحكمة ويجوز  
ان يكون المراد العلم بفصل الحكومات ويجوز ان يكون المراد معرفة احكام الله تعالى  
وهو علم الفقه واما النبوة فعملومة واما نعم الدنيا فهي المراد من قوله تعالى ورزقناهم من  
الطيبات وذلك لانه تعالى وسع عليهم في الدنيا فاورثهم اموال قوم فرعون وديارهم ثم  
أنزل عليهم المن والسلوى ولما بين تعالى انه اعطاهم من نعم الدين ونعم الدنيا نصيبا وافرا  
قال وفضلناهم على العالمين يعنى انهم كانوا أكبر درجة وارفع منبة ممن سواهم في وقته  
فلهذا المعنى قال المفسرون المراد وفضلناهم على عالمي زمانهم ثم قال تعالى وآتيناهم  
بينات من الامر وفيه وجوه ( الاول ) انه آتاهم بينات من الامر اى أدلة على امور الدنيا  
( الثانى ) قال ابن عباس يعنى بين لهم من أمر النبي صلى الله عليه وسلم انه يهاجر من نهامة  
الى يثرب ويكون انصاره اهل يثرب ( الثالث ) المراد وآتيناهم بينات اى معجزات قاهرة  
على صحة نبوتهم والمراد معجزات موسى عليه السلام ثم قال تعالى فما اختلفوا الا من بعد  
ما جاءهم العلم بغيا بينهم وهذا مفسر في سورة حم عسق والمقصود من ذكر هذا الكلام  
التعجب من هذه الحالة لان حصول العلم يوجب ارتفاع الخلاف وههنا صار مجيئ العلم  
سببا لحصول الاختلاف وذلك لانهم لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم واما المقصود  
منه طلب الرئاسة والتقدم ثم ههنا احتمالات يريد انهم علموا نعم جاندوا ويجوز ان يريد العلم  
الدلالة التى توصل الى العلم والمعنى انه تعالى وضع الدلائل والبيانات التى لو تأملوا فيها  
لعرفوا الحق لكنهم على وجه الحسد والعناد اختلفوا واظهروا النزاع ثم قال تعالى ان  
ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون والمراد انه لا ينبغي ان يغتر المبطل  
بنعم الدنيا فانها وان ساوت نعم الحق اوزادت عليها فانه سبرى في الآخرة ما يسوءه وذلك  
كأجر لهم ولما بين تعالى انهم اعرضوا عن الحق لاجل البغي والحسد امر رسوله صلى الله  
عليه وسلم بان يعدل عن تلك الطريقة وان يتمسك بالحق وان لا يكون له غرض سوى اظهار

على ضيوعهم على ان السواء بمعنى المستوى ومحياتهم ومعلمهم مرتفعان به على الفاعلية ( ٤٨٦ ) والمعنى ان حسبوا ان يجعلهم كائنين مثلهم

الحق وتقرير الصدق فقال تعالى ثم جعلناك على شريعة من الامر اى على طريقة ومنهاج من امر الدين قاطع شريعتك الثابتة بالدلائل والبيانات ولا تتبع مالا يجده من اهواء الجهال وأديانهم المبنية على الاهواء والجهل قال الكلبي ان رؤساء قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ارجع الى ملة آبائك فهم كانوا افضل منك واسن فأترل الله تعالى هذه الآية ثم قال تعالى انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا اى لوملت الى اديانهم الباطلة فصرت مستحقا للعذاب فهم لا يقدررون على دفع عذاب الله عنك ثم بين تعالى ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا وفي الآخرة لاولى لهم ينفعهم في ايصال الثواب وازالة العقاب واما المتقون المتهتدون فالله وليهم وناصرهم وهم موالونهم وما بين الفرق بين الولاتين ولما بين الله تعالى هذه البيانات الباقية النافعة قال هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون وقد فسره في آخر سورة الاعراف والمعنى هذا القرآن بصائر للناس جعل ما فيه من البيانات الشافية والبيانات الكافية بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل في سائر الآيات روحا وحياة وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن آمن وأيقن ولما بين الله تعالى الفرق بين الظالمين وبين المتقين من الوجه الذى تقدم بين الفرق بينهما من وجه آخر فقال أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وفيه مباحث ( البحث الاول ) أم كلمة وضعت للاستفهام عن شئ حال كونه معطوفا على شئ آخر سواء كان ذلك المعطوف مذكورا او مضمرا والتقدير ههنا يفعل المشركون هذا أم يحسبون ان اتوا لهم كاتولى المتقين ( البحث الثانى ) الاجترار الاكتساب ومنه الجوارح وقلان جارحة اهلها اى كاسبهم قال تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار ( البحث الثالث ) قال الكلبي نزلت هذه الآية فى علي وحزرة وأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم وفى ثلاثة من المشركين عتبة وشيبة والوليد بن عتبة قالوا للمؤمنين والله ما أنتم على شئ ولو كان ما تقولون حقا لكان حالنا افضل من حالكم فى الآخرة كما انا افضل حالنا منكم فى الدنيا فانكر الله عليهم هذا الكلام وبين انه لا يمكن ان يكون حال المؤمن المطيع مساويا لحال الكافر العاصى فى درجات الثواب ومنازل السعادات واعلم ان لفظ حسب يستدعى مفعولين ( أحدهما ) الضمير المذكور فى قوله ان نجعلهم ( والثانى ) الكاف فى قوله كالذين آمنوا والمعنى احسب هؤلاء المجترحين ان نجعلهم امثال الذين آمنوا ونظيره قوله تعالى أفن كان مؤمنا مكن كان فاسقا لا يستوون وقوله انالانصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم العنة ولهم سوء الدار وقوله تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون وقوله أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار ثم قال تعالى سواء محياهم ومماتهم وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قرأ حزة والكسائى وحفص عن عاصم سواء بالنصب والباقون بالرفع واختيار أبى عبيد النصب اما وجه القراءة بالرفع فهو ان

حال كون الكل مستويا محياهم ومماتهم كلا لا يستوون فى شئ منها فان هؤلاء فى عز الايمان والطاعة وشرفهما فى الحيا وفى رجة الله تعالى ورضوانه فى الممات وأولئك فى ذل الكفر والمعاصى وهوانهما فى الحيا وفى لعنة الله والعذاب الخالد فى الممات شتان بينهما وقد قيل المراد افكار ان يستووا فى الممات كما استووا فى الحيا لان المسيئين والحسين مستو محياهم فى الرزق والصحة واما يفترون فى الممات وقرئ محياهم ومماتهم بالنصب على انها ظرفان كمقدم الحاج وسواء حال على حاله اى حال كونهم مستوين فى محياهم ومماتهم وقد ذكر فى الآية الكريمة وجوه اخر من الازهار والذى يليق بجملة التنزيل هو الاول فتدبر وقرئ سواء بالرفع على انه خبر ومحياهم مبتدأ ثقيل الجملة بدل من الكاف وقيل حال وايا ما كان فنبسة حسان التساوى اليهم فى ضمن الانكار التوبيخى مع انهم يعمرون منه جازمون بفضلهم على المؤمنين للبالغة فى الانكار والتشديد فى التوبيخ فان انكار حسان التساوى والتوبيخ عليه انكار لحسان الجزم بالفضل وتوبيخ عليه على ابلغ وجه واكد ( ساء ما يحكمون ) اى ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموه ذلك ( وخلق الله السموات والارض بالحق ) استئناف مقرر لما سبق من الحكم فان خلق الله تعالى لهما ولما فيهما بالحق يقتضى للعدل يستدعى لجملة تفضيل الحسن على السيئ فى الحيا والممات وانتصار الظالم من الظالم واذا لم يطر ذلك فى الحيا فهو بعد الممات حتما ( وتجري كل نفس بما كسبت ) عطف على بالحق لان فيه معنى التعليل ان معناه خلقها ( قوله )



مقرونة بالحكمة والصواب دون العبث والباطل فحاصله خلقها (٤٨٧) لاجل ذلك ولتجزى الخوا على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته اولى عدل ولتجزى (وهم) اى النفوس المدلول عليها بكل نفس (لا يظنون) بتقص ثواب او بزيادة عقاب وتسمية ذلك ظلاما مع انه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة اهل السنة لبيان غاية نزهة ساحة لطفه تعالى عما ذكر بتزيله منزلة الظلم الذى يستحيل صدوره عنه تعالى (افرايت من اتخذ الهه هواه) تعجب من حال من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه عبده اى انظرته فرأيت ان ذلك مما يقضى منه العجب وقرئ آلهته هواه لان احدهم كان يستحسن حبرا فيعبده فاذا رأى احسن منه رفضه اليه فكانه اتخذ آلهته شتى (واصله الله) وخذله (على علم) اى عابا بضلاله وتبدله لفطرة الله تعالى التى فطر الناس عليها (وختم على سمعه وقلبه) بحيث لا يتأثر بالمواعظ ولا يشكر فى الايات والنذر (وحمل على بصيرة غشاة) مانعة عن الاستبصار والاعتبار وقرئ بفتح العين وضمتها وقرئ غشوة (من يهديه من بعد الله) اى من بعد اضلاله تعالى اياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه فى الغي (افلا تدرون) اى الان لا تلاحظون فلا تدرون وقرئ تذكرون على الاصل (وقالوا) بيان لاحكام ضلالهم المحكى اى قالوا من غاية غيهم وضلالهم (ماهى) اى ما الحياة (الاحياء الدنيا) التى نحن فيها (نموت ونحيى) اى يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل نكون نطما وما قبلها وما بعدها ونحيى بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او نموت بعضنا ونحيى بعضنا وقد يجوز ان يردوا به التناضح فانه عقيدة اكثر عبدة الاوان وقرئ نحيى (وما يهلكنا الا الدهر) الامرور الزمان وهو فى الاصل مدة بقاء العالم من دهره

قوله سواء محياهم ومماتهم مبتدا والجملة فى حكم المفرد فى محل النصب على البدل من المفعول الثانى لقوله ام نجعل وهو الكاف فى قوله كالذين آمنوا ونظيره قوله ظننت زيدا اوه منطلق واما وجه القراءة بالنصب فقال صاحب الكشف أجرى سواء مجرى مستويا فارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كقدم الحاج وخفوق النجم اى سواء فى محياهم وفى مماتهم قال ابو على من نصب سواء جعل المحيا والممات بدلا من الضمير المنصوب فى نجعلهم فيصير التقدير ان نجعل محياهم ومماتهم سواء قال ويجوز ان يجعله حالا ويكون المفعول الثانى هو الكاف فى قوله كالذين (المسئلة الثانية) اختلفوا فى المراد بقوله محياهم ومماتهم قال مجاهد عن ابن عباس يعنى احسبوا ان حياتهم ومماتهم بحياة المؤمنين وموتهم كلا فانهم يعيشون كافرين ويموتون كافرين والمؤمنون يعيشون مؤمنين ويموتون مؤمنين وذلك لان المؤمن مادام يكون فى الدنيا فانه يكون وليه هو الله وانصاره المؤمنون وحجة الله معه والكافر بالضد منه كما ذكره فى قوله وان الظالمين بعضهم اولياء بعض وعند القرب الى الموت فان احوال المؤمن ما ذكره فى قوله تعالى الذين توفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة وحال الكافر ما ذكره فى قوله الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم واما فى القيامة فقال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها فترة فهذا هو الاشارة الى بيان وقوع التفاوت بين الحالتين (والوجه الثانى) فى تأويل الآية ان يكون المعنى انكار ان يستووا فى الممات كما استووا فى الحياة وذلك لان المؤمن والكافر قد يستوى محياهم فى الصحة والرزق والكفاية بل قد يكون الكافر ارجح حالا من المؤمن وانما يظهر الفرق بينهما فى الممات (والوجه الثالث) فى التأويل ان قوله سواء محياهم ومماتهم مستأنف على معنى ان محيا المسيئين ومماتهم سواء فكذلك محيا المحسنين ومماتهم اى كل يموت على حسب ما عاش عليه نعمانه تعالى صرح بانكار تلك التسوية فقال ساء ما يحكمون وهو ظاهر \* قال تعالى (وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظنون) افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاة فمن يهديه من بعد الله افلا تدرون وقالوا ماهى الاحياء الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم انهم لا يظنون واذا تلى عليهم آياتنا بينات ما كان جنهم الا ان قالوا اشوا با بأتنا ان كنتم صادقين قل الله يحيىكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون اعلم انه تعالى لما افتى بان المؤمن لا يساوى الكافر فى درجات السعادات أتبعه بالدلالة الظاهرة على صحة هذه الفتوى فقال وخلق السموات والارض بالحق ولولم يوجد البعث لما كان ذلك بالحق بل كان بالباطل لانه تعالى لما خلق الظالم وسلطه على المظلوم الضعيف لم يأنقم المظلوم من الظالم كان ظالما ولو كان ظالما لبطل انه خلق السموات



اي غلبه وقرى الادهر يمر وكانوا يزعمون ان المؤثر في هلاك الانفس هو مرور الايام والليالي ويسكرون مائة الموت وقبضه للارواح يا امر الله تعالى ويضيفون الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا ( ٤٨٨ ) الدهر فان الله هو الدهر اي فان الله هو الاكبر بالحوادث

لا الدهر (والمهم بذلك) اي بما ذكر من اقتصار الحياة على ما في الدنيا واستاد الحياة والموت الى الدهر (من علم) مامستند الى عقل او قل (ان هم الايظنون) ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يكون لهم شيء يوضح ان يشك به في الجمل هذا معتقد هم الفاسد في انفسهم (واداتني عليهم آياتنا) الناطقة بالحق الذي من جلته البعث (بيدات) واخاضت الدلالة على ما نطقت به او مبيئات له (ما كان حجتهم) بالنصب على انه خير كان اي ما كان متمسكاً لهم شيء من الاشياء (الا ان قالوا) اثرا ما ياثان كنتم صادقين (في ان انبعت بعد الموت اي الا هذا القول الباطل الذي يستحيل ان يكون من قبيل الحجة وتسميته حجة ما ساق الحجة اياه من ساق الحجة على سبيل التكميم هم اولاد من قبيل هيمية بينهم ضرب وجيع \* وقرى برفم حجتهم على انها اسم كان قاله ما كان حجتهم شيئاً من الاشياء الا هذا القول الباطل (قل الله حييكم) ابتداء (م بيتكم) عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من انكم تحبون وتعتون بحكم الدهر (ثم يحكمكم) بعد الموت (الي يوم القيامة) للبراء (لاريب فيه) اي في حكمكم فان من قدر على البعد قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للبراء لاجلها والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها وحقها والاشان باثانهم حيب كان مراعاة الحكمة الشرعية امتنع باقاعه (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) استدرانهم قوله تعالى لا رب فيه وهو اما من تمام الكلام المأموره

والارض بالحق وتمام تقرير هذه الدلائل مذكور في اول سورة يونس قال القاضي هذه الآية تدل على ان في مقدور الله ما لو حصل لكان ظلاماً وذلك لا يصح الاعلى مذهب المجبرة الذين يقولون لو فعل كل شيء اراده لم يكن ظلاماً وعلى قول من يقول انه لا يوصف بالقدرة على الظلم واجاب الاصحاب عنه بان المراد فعل ما لو فعله غيره لكان ظلاماً كما ان المراد من الابتلاء والاختبار فعل ما لو فعله غيره لكان ابتلاء واختباراً وقوله تعالى وتجزى فيه وجهان (الاول) انه معطوف على قوله بالحق فيكون التقدير وخلق الله السموات والارض لاجل اظهار الحق وتجزى كل نفس (الثاني) ان يكون العطف على محذوف والتقدير خلق الله السموات والارض بالحق ليدل بها على قدرته وتجزى كل نفس والمعنى ان المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا اذا حصل البعث والقيامة وحصل التفاوت في الدرجات والدرجات بين المحققين وبين المبطلين ثم عاد تعالى الى شرح احوال الكفار وقبائح طرائفهم فقال افرأيت من اتخذ الهه هواه يعني تركوا متابعة الهدى واقلبو على متابعة الهوى فكانوا يعبدون الهوى كما يعبد الرجل الهه وقرى آلهته هواه لانه كلما مال طبعه الى شيء اتبعه وذهب خلفه فكأنه اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها ثم قال تعالى واضله الله على علم يعني على علم بان جوهر روحه لا يقبل الصلاح ونظيره في جانب التعظيم قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته وتحقيق الكلام فيه ان جواهر الارواح البشرية مختلفة فيها مشرفة نورانية علوية الهيمنة ومنها كدرة ظلمانية سفلية عظيمة الميل الى الشهوات الجسمانية فهو تعالى يقابل كلامهم بحسب ما يليق بجوهره وماهيته وهو المراد من قوله واضله الله على علم في حق المردودين وبقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته في حق المقبولين ثم قال وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة وقوله واضله الله على علم هو المذكور في قوله ان الذين كفروا الى قوله لا يؤمنون وقوله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة هو المراد من قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة وكل ذلك قد مر تفسيره في سورة البقرة بالاستقصاء والتفاوت بين الآيتين انه في هذه الآية قدم ذكر السمع على القلب وفي سورة البقرة قدم القلب على السمع والفرق ان الانسان قد يسمع كلاماً فيقع في قلبه منه امر مثل ان جماعة من الكفار كانوا يلقون الى الناس ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شاعر وكاهن وانه يطلب الملك والرياسة فالسامعون اذا سمعوا ذلك ابغضوه ونفرت قلوبهم عنه واما كفار مكة فهم كانوا يغيضونه بقلوبهم بسبب الحسد الشديد فكانوا يستمعون اليه ولو سمعوا كلامه ما فهموا منه شيئاً ناهي في الصورة الاولى كان الار يبعد من البدن الى جوهر النفس وفي الصورة الثانية كان الار ينزل من جوهر النفس الى قرار البدن فلما اختلف القسمان لاجرم ارشد الله تعالى الى كلا هذين القسمين بهذين الترتيبين الذين نهنا عليهما ولما ذكر الله تعالى هذا الكلام قال فمن يهديه من بعد الله اي من بعد ان اضله الله افلاتدكرون ايها

او كلام مسوق من جهة تعالى لتحقيق الحق وتبيينها على ان اربابهم لجهلهم وقصورهم في النظر والتفكير لا لانه شائبة ريباً (الناس)

الناس قال الواحدى وليس يبقى للقدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة لان الله تعالى صرح بمنعه اياهم عن الهدى حين اخبر انه ختم على سمع هذا الكافر وقلبه وبصره وأقول هذه المناظرة قد سبقت بالاستقصاء في اول سورة البقرة واعلم انه تعالى حكى عنهم بعد ذلك شبهتهم في انكار القيامة وفي انكار الاله القادر اما شبهتهم في انكار القيامة فهى قوله تعالى وقالوا ما هى الاحيائنا الدنيا نموت ونحى فان قالوا الحياة مقدمة على الموت في الدنيا فمكروا للقيامة كان يجب ان يقولوا نحى ونموت فالحسب في تقديم ذكر الموت على الحياة قلنا فيه وجوه (الاول) المراد بقوله نموت حال كونهم نطفة في اصلاب الآباء وأرحام الامهات وبقوله نحى ما حصل بعد ذلك في الدنيا (الثانى) نموت ونحن ونحى بسبب بقاء اولادنا (الثالث) يموت بعض ويحى بعض (الرابع) وهو الذى خطر بالبال عند كتابة هذا الموضع انه تعالى قدم ذكر الحياة فقال ما هى الاحيائنا الدنيا ثم قال بعده نموت ونحى معنى تلك الحياة منها ما يطرأ عليها الموت وذلك في حق الذين ماتوا ومنها ما لم يطرأ الموت عليها وذلك في حق الاحياء الذين لم يموتوا بعدهما شبهتهم في انكار الاله الفاعل المختار فهو قولهم وما يهلكنا الا الدهر يعنى تولد الاشخاص انما كان بسبب حركات الافلاك الموجبة لامتزاجات الطبائع واذ وقعت تلك الامتزاجات على وجه خاص حصلت الحياة واذ وقعت على وجه آخر حصل الموت فالموجب للحياة والموت تأثيرات الطبائع وحركات الافلاك ولا حاجة في هذا الباب الى اثبات الفاعل المختار فهذه الطائفة جمعوا بين انكار الاله وبين انكار البعث والقيامة ثم قال تعالى ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون والمعنى ان قبل النظر ومعرفة الدليل الاحتمالات باسرها قائمة فالذى قالوه يحتمل وضد ما يحتمل وذلك هو ان يكون القول بالبعث والقيامة حقاً او ان يكون القول بوجود الاله الحكيم حقاً فانهم لم يذكروا شبهة ضعيفة ولا قوية في ان هذا الاحتمال الثانى باطل ولكنه خطر بالهم ذلك الاحتمال الاول فجزموا به وأصروا عليه من غير حجة ولا بينة فثبت انه ليس لهم علم ولا جزم ولا يقين في صحة القول الذى اختاروه بسبب الظن والحسبان وميل القلب اليه من غير موجب وهذه الآية من اقوى الدلائل على ان القول بغير حجة وبينة قول باطل فاسد وان متابعة الظن والحسبان منكروند الله تعالى ثم قال تعالى واذ اتلى عليهم آياتنا بينات ما كان جحتمهم الا أن قالوا اشوا باً باساً ان كنتم صادقين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرئ جحتمهم بالصب والرفع على تقديم خبر كان وتأخير (المسئلة الثانية) سمى قولهم حجة لوجوه (الاول) انه في زعمهم حجة (الثانى) ان يكون المراد من كان جحتمهم هذا فليس لهم البتة حجة كقوله + نحية باهم ضرب وجمع (الثالث) انهم ذكروها في معرض الاحتجاج بها (المسئلة الثالثة) ان جحتمهم على انكار البعث ان قالوا الوصح ذلك فاثروا باً باساً الذين ماتوا ليشهدوا لنا بالبعث والبعث واعلم ان هذه التشبهة ضعيفة جداً لانه ليس كل ما لا يحصل في الحال وجب ان يكون متمنع

(والله ملاك السموات والارض)  
بيان لاحتصاص الملاك المطلق  
والتصرف الكلى فيهما وفيما  
بينهما بالله عز وجل اثريسان  
تصرفه تعالى في الناس بالاحياء  
ولاماتة والبعث والجمع للمجازاة  
(ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر  
المبطلون) العامل في يوم يخسر  
ويومئذ بدل منه (وترى كل امة)  
من الامم المحبوعة (جائية) باركة  
على الركب مستوفزة وقرئ  
جادية اى جالسة على اطراف  
الاصابع والخذو اشد استيعاراً  
من الحمو وعن ابن عباس رضى الله  
عنه جاية محتمة وقيل جماعات  
من الجنوة وهى الجماعة (كل امة  
تدعى الى كتابها) الى صحيفة  
اعمالها وقرئ كل بالنصب على  
انه بدل من الاول وتدعى صفة  
او حال او مفعول ثان (اليوم  
يجرون ما كنتم تعملون) اى  
يعال لهم ذلك ووجه تعالى (هذا  
كتابنا) الخ من تمام ما يقال  
حيث وحسب كان كتاب كل  
امة مكتوباً بأمر الله تعالى اضعف  
الى نون العظمة بغضها لسانه  
وهو يلا لاسره فهذا مستند  
وكتنا ساخره وقوله تعالى (سطق  
عليكم) اى يشهد عليكم (بالحق)  
من غير زيادة ولا نقص حرراً وحرراً  
حال وبالحق حال من ناعل ينطق  
وقوله تعال (انا كما استسبح) الخ  
تعلي لطفه عليهم بأعمالهم من

الحصول فان حصول كل واحد منا كان معدوما من الأزل الى الوقت الذي حصلنا فيه ولو كان عدم الحصول في وقت معين يدل على امتناع الحصول لكان عدم حصولنا كذلك وذلك باطل بالاتفاق ثم قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة فان قيل هذا الكلام مذكور لاجل جواب من يقول ما هي الاحيائنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر فهذا القائل كان منكرا لوجود الاله ولوجود يوم القيامة فكيف يجوز ابطال كلامه بقوله قل الله يحييكم ثم يميتكم وهل هذا الاثبات للشيء بنفسه وهو باطل قلنا انه تعالى ذكر الاستدلال بحدوث الحيوان والانسان على وجود الفاعل الحكيم في القرآن مرارا واطوارا فقوله ههنا قل الله يحييكم اشارة الى تلك الدلائل التي بينها وأوضحها مرارا وليس المقصود من ذكر هذا الكلام اثبات الاله بقول الاله بل المقصود منه التنبيه على ما هو الدليل الحق القاطع في نفس الامر ولما ثبت ان الاحياء من الله تعالى وثبت ان الاعادة مثل الاحياء الاول وثبت ان القادر على الشيء قادر على مثله ثبت انه تعالى قادر على الاعادة ونبت ان الاعادة ممكنة في نفسها ونبت ان القادر الحكيم اخبر عن وقت وقوعها فوجب القطع بكونها حقة واما قوله تعالى ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه فهو اشارة الى ما تقدم ذكره في الآية المتقدمة وهو ان كونه تعالى عادلا خالقا بالحق منزها عن الجور والظلم يقتضى صحة البعث والقيامة ثم قال تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لكن اكثر الناس لا يعلمون دلالة حدوث الانسان والحيوان والنبات على وجود الاله القادر الحكيم ولا يعلمون ايضا انه تعالى لما كان قادرا على الابداء ابتداء وجب ان يكون قادرا على الاعادة فانيا \* قوله تعالى ( والله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل امة جانية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا ننسخ ما كنتم تعملون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قومًا مجرمين ) واعلم انه تعالى لما احتج بكونه قادرا على الاحياء في المرة الاولى وعلى كونه قادرا على الاحياء في المرة الثانية في الآيات المتقدمة عم الدليل فقال والله ملك السموات والارض اي لله القدرة على جميع الممكنات سواء كانت من السموات او من الارض واذا ثبت كونه تعالى قادرا على كل الممكنات ونبت ان حصول الحياة في هذه الذات ممكن اذ لو لم يكن ممكنا لما حصل في المرة الاولى فيلزم من هاتين المقدمتين كونه تعالى قادرا على الاحياء في المرة الثانية ولما بين تعالى امكان القول بالخشع والنشع بهذين الطريقتين ذكر تفاصيل احوال القيامة ( فأولها ) قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وفيه ابحاث ( البحث الاول ) عامل النصب في يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم

غير اخلال بشئ منها اي انا كما فيما قبل نستكتب الملائكة ( ما كنتم تعملون ) في الدنيا من الاعمال حسنة كانت او سيئة وقوله تعالى ( فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ) اي في جنة تفصيل لما يفعله بالامم بعد بيان ما خوطبوا به من الكلام المنطوق على الوعد والوعيد ( ذلك ) اي الذي ذكر من الادخال في رحمته تعالى ( هو الفوز المبين ) الظاهر كونه فوزا لا فوزا ( واما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم ) اي يقال لهم بطريق التوبيخ والتفريع الم يكن باتيكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فخذف المخطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه ( فاستكبرتم ) عن الايمان بها ( وكنتم قومًا مجرمين ) اي قومًا عاداتهم الاجرام ( واذا قيل ان وعد الله ) اي ما وعده من الامور الآتية او وعده بذلك ( حق ) اي واقع لا محالة او مطابق للواقع ( والساعة ) التي هي اشهر ما وعده ( لاريب فيها ) اي في وقوعها وقرئ ( والساعة ) بالنصب عطفا على اسم اروقراطية الرفع لعطف على محل ان واسمها ( قائم ) لعاية عتوكم ( ما ندرى ما الساعة ) اي اي شيء هي استغراها ( انظروا الاظنا ) اي ما تفصل الاظنا ودمر تحقيقه في

تقوم ( البحث الثاني ) قد ذكرنا في مواضع من هذا الكتاب ان الحياة والعقل والصحة كأنها رأس المال والتصرف فيها لطلب سعادة الآخرة يجرى مجرى تصرف التاجر في رأس المال لطلب الربح والكفار قد اتعبوا انفسهم في هذه التصرفات وما وجدوا منها الا الحرمان والخذلان فكان ذلك في الحقيقة نهاية الخسران ( ونانيها ) قوله تعالى وترى كل امة جانية قال الليث الجثو الجلوس على الركب كما يجثي بين يدي الحاكم قال الزجاج ومثله جذا يجذو قال صاحب الكشاف وقرى جاذية قال اهل اللغة والجذو أشد استيفازا من الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس على اطراف اصابعه وعن ابن عباس جاثية مجتمعة مرتقبة لما يعمل بها ثم قال تعالى كل امة تدعى الى كتابها على الابتداء وكل امة على الابدال من كل امة وقوله الى كتابها اي الى صحائف اعمالها فاكثني باسم الجنس كقوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه والظاهر انه يدخل فيه المؤمنون والكافرون لقوله تعالى بعد ذلك فأما الذين آمنوا ثم قال تعالى وأما الذين كفروا فان قيل الجثو على الركبة انما يليق بالخائف والمؤمنون لا خوف عليهم يوم القيامة قلنا ان الحق الآمن قد يشترك المبطل في مثل هذه الحالة الى ان يظهر كونه محقا ثم قال تعالى اليوم تحزون والتقدير يقال لهم اليوم تحزون فان قيل كيف اضيف الكتاب اليهم والى الله تعالى قلنا لا منافاة بين الامرين لانه كتابهم بمعنى انه الكتاب المشتمل على اعمالهم وكتاب الله بمعنى انه هو الذي امر الملائكة بكتبته ينطق عليكم اي يشهد عليكم بما عملتم من غير زيادة ولا نقصان انا كنا نستنسخ الملائكة ما كنتم تعملون اي نستكتبهم اعمالكم ثم بين احوال المطيعين فقال فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) ذكر بعد وصفهم بالايان كونهم عاملين للصالحات فوجب ان يكون عمل الصالحات مغايرا للايمان زائدا عليه ( المسئلة الثانية ) قالت المعتزلة خلق الدخول في رحمة الله على كونه آتيا بالايمان والاعمال الصالحة والمعلق على مجموع امرين يكون عدما عند عدم احدهما فعند عدم الاعمال الصالحة وجب ان لا يحصل الفوز بالجنة ( وجوابنا ) ان تعليق الحكم على الوصف لا يدل على عدم الحكم عند عدم الوصف ( المسئلة الثالثة ) سمي الثواب رحمة والرحمة انما تصح تعميها بهذا الاسم اذ لم تكن واجبة فوجب ان لا يكون الثواب واجبا على الله تعالى ثم قال تعالى وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) ذكر الله المؤمنين والكافرين ولم يذكر قسما ثالثا وهذا يدل على ان مذهب المعتزلة في ابواب المنزل بين المرتلين باطل ( المسئلة السابعة ) انه تعالى علل استحقاق العقوبة بان آياته تليت عليهم فاستكبروا عنه ولها وهذا يدل على ان استحقاق العقوبة لا يحصل الا بعد مجيء النزع وذلك يدل على ان الواجبات لا تنجب الا بالنشرع خلافا لما يقوله المعتزلة من ان بعض الواجبات قديم

قوله تعالى ان اتبع الامايوسى الى وقيل ما تعتقد الاطلا اي لاعلمنا وقيل مانحن الانظن ظنا وقيل ما تظن الاظنا ضعيفا ويرده قوله تعالى ( ومانحن مستيقنين ) اي لامكانه فان مقابل الاستيقان مطلق الظن لا الضعيف منه ولعل هو لا غير القائلين ماهى الاحياتا الدنيا ( وبذلك ) اي ظهر لهم حينئذ ( سياآت ما عملوا ) على ماهى عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعانوا وخامتا عافيتها او جزاها فان جزاء السيئة سيئة ( وحاق بهم ما كانوا يستهزون ) من الجزاء والعقاب ( وقيل اليوم نساكم ) تترككم في العذاب ترك المسمى ( كما نسيتكم ) في الدنيا ( لقاء يومكم هذا ) اي كما تركتم عدته ولم تبالوا به وازافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ( وما ااكم النار وما لكم من ناصرين ) اي ما لاحد منكم ناصر واحد مخلصكم منها ( دلكنم ) العذاب ( بأنكم ) بسبب انكم ( اتخذتم آيات الله هروا ) مهزوا بها ولم ترفعوا الهارأسا ( وغررتم الحياة الدنيا فحسبتم ان لاهية سواها ) فالיום لا يخرجون منها ( اي من النار ) وقرئ يخرجون من الخروج والانتفاذ الى العيبة للايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم او بنقلهم من

بالعقل ( المسئلة الثالثة ) جواب اما محذوف والتقدير واما الذين كفروا فيقال لهم  
 افلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم عن قبول الحق وكنتم قوما مجرمين فان قالوا كيف  
 يحسن وصف الكافر بكونه مجرماً في معرض الطعن فيه والذم له قلنا معناه انهم مع كونهم  
 كفارا ما كانوا عدولا في اديان انفسهم بل كانوا فسادا في ذلك الدين والله اعلم \* قوله  
 تعالى ( واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن  
 الاظنا ومانحن بمستيقنين وابدالهم سيئات ما عملوا وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل  
 اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وماؤاكم النار وما لكم من ناصرين دلكم بأنكم  
 اتخذتم آيات الله هزوا وغرركم الحياة الدنيا فالיום لا يخرجون منها ولا هم يستعقبون  
 قلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والارض وهو  
 العزيز الحكيم ) وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قرئ والساعة رفعاً ونصباً قال الزجاج  
 من نصب عطف على الوعد ومن رفع فعلى معنى وقبل الساعة لا ريب فيها قال الاخفش  
 ارفع اجود في المعنى واكثر في كلام العرب اذا جاء بعد خبر ان لانه كلام مستقل بنفسه  
 بعد مجيء الكلام الاول بتمامه ( المسئلة الثانية ) حكي الله تعالى عن الكفار انهم اذا قيل  
 ان وعد الله بالنواب والعقاب حق وان الساعة آتية لا ريب فيها قالوا ما ندري ما الساعة  
 ان نظن الاظنا ومانحن بمستيقنين اقول الاغلب على الظن ان القوم كانوا في هذه المسئلة  
 على قولين منهم من كان قاطعاً بنفي البعث والقيامة وهم الذين ذكرهم الله في الآية  
 المتقدمة بقوله وقالوا ما هي الاحيائنا الدنيا ومنهم من كان شاكاً متحيراً فيه لانهم لكثرة  
 ما سمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم وكثرة ما سمعوه من دلائل القول ببعثهم صاروا  
 شاكين فيه وهم الذين ارادهم الله بهذه الآية والذي يدل عليه انه تعالى حكي مذهب  
 اولئك القاطعين مما تبعه بحكاية قول هؤلاء فوجب كون هؤلاء مغايرين للفريق الاول  
 مما قال تعالى وابدالهم اي في الآخرة سيئات ما عملوا وقد كانوا من قبل يعدونها حسنات  
 فصار ذلك اول خسرتهم وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن وهذا كالدليل على ان هذه  
 الفرقة لما قالوا ان نظن الاظنا انماذكروا على سبيل الاستهزاء والسخرية وعلى هذا الوجه  
 فهذا الفريق اشرف من الفريق الاول لان الاولين كانوا مسكرين وما كانوا مستهزئين وهذا  
 الفريق ضمو الى الاصرار على الانكار الاستهزاء مما قال تعالى وقيل اليوم ننساكم  
 كما نسيتم لقاء يومكم هذا وفي تفسير هذا النسيان وجهاً ( الاول ) بترككم في العذاب  
 بما تركتم الساعات التي هي ازال يوم المعاد ( الثاني ) بنبأكم بمنزلة السوء الذي غير المبالي  
 به كالم تبالوا انتم بلقاء يومكم ولم تلتفتوا اليه بل جعلتموه كالشيء الذي يطرح نسياناً  
 فجمع الله تعالى عليهم من وجوه العذاب الشديد ثلاثة اشياء ( فأولها ) قطع رحمة الله  
 تعالى عنهم الكلية ( وثانيها ) انه يصير مأواهم النار ( وثالثها ) ان لا يحصل لهم اجر من الاعوان

مقام الخطاب الى عياية النار  
 ( ولا هم يستعقبون ) اي يطلب  
 منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه  
 لموات او انه ( قلله الحمد ) خاصة  
 ( رب السموات ورب الارض رب  
 العالمين ) فلا يستحق الحمد أحد  
 سواه وكرر الرب للتأكيد  
 والايدان بأمر ربوبته تعالى لكل  
 منها طريق لصاله وقرئ مرفع  
 الثلاثة على المدح باضمار هو ( وله  
 الكبرياء في السموات والارض )  
 لظهور آثارها واحكامها فيهما  
 واطهارهما في موقع الاضمار  
 لتعظيم شأن الكبرياء ( وهو العزيز )  
 الذي لا يطلب ( الحكيم ) في كل  
 ما قضى وقدر فاحدوه وكبروه  
 وأطيعوه \* عن النبي عليه الصلاة  
 والسلام من قرأ حم السجدة استر الله  
 تعالى عورته وسكن روعه يوم  
 الحساب  
 \* ( سورة الاحقاف مكية وآياتها )  
 ( اربع اوجس وثلاثون آية )  
 \* ( سم الله الرحمن الرحيم ) \*  
 ( حم ) ذيل الكتاب من الله العزيز  
 الحكيم ( الكلام ف ) كادى مرث  
 مطلع السورة السابقة ( ما حلقنا  
 السموات والارض ) عاميهما من  
 حيث ارضية منهما ومن حيث  
 الاستقرار فيهما ( وما بينهما ) من  
 المخلوقات ( الاباقي ) استثناء  
 مصرع من اعم المسائل اي  
 الاحقاف ملتصقا بالحق الذي  
 تقتضيه الحكمة الكونية  
 والشرعية

والانصار ثم بين تعالى انه يقال لهم انكم انما صرتم مستحقين لهذه الوجوه الثلاثة من العذاب الشديد لاجل انكم اتيتم بثلاثة انواع من الاعمال القبيحة (فأولها) الاصرار على انكار الدين الحق (وثانيها) الاستهزاء به والعنصرية منه وهذان الوجهان داخلان تحت قوله تعالى ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا (وثالثها) الاستغراق في حب الدنيا والاعراض بالكلية عن الآخرة وهو المراد من قوله تعالى وغرتكم الحياة الدنيا ثم قال تعالى قال يوم لا يخرجون منها فارجزة والكسافي يخرجون بفتح الياء والباقون بضمها ولا هم يستعتبون اي ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه ولما تم الكلام في هذه المباحث الشريفة الروحانية ختم السورة بتحميد الله تعالى فقال فله الجدرب السموات ورب الارض رب العالمين اي فاجدوا الله الذي هو خالق السموات والارض بل خالق كل العالمين من الاجسام والارواح والذوات والصفات فان هذه الربوبية توجب الحمد والثناء على كل احد من المخلوقين والمربوبين ثم قال تعالى وله الكبرياء في السموات والارض وهذا مشعر بامرين (احدهما) ان التكبير لابد وان يكون بعد التوحيد والاشارة الى ان الحامدين اذا جددوه وجب أن يعرفوا أنه أعلى واكبر من أن يكون الحمد الذي ذكروه لائقا بانعامه بل هو اكبر من جده الحامدين وابداه اعلى واجل من شكر الشاكرين (والثاني) ان هذا الكبرياء له لا لغيره لان واجب الوجود لذاته ليس الا هو ثم قال تعالى وهو العزيز الحكيم يعني انه لكمال قدرته بقدره على خلق اي شيء أراد ولكمال حكمته يخص كل نوع من مخلوقاته بأمر الحكمة والرحمة والفضل والكرم وقوله وهو العزيز الحكيم يعيد الحصر فهذا يفيد ان الكمال في القدرة وفي الحكمة وفي الرحمة ليس الا هو وذلك يدل على انه لا اله للخلق الا هو ولا محسن ولا متمفضل الا هو قال مولانا رضي الله عنه تم تفسير هذه السورة يوم الجمعة بعد الصلاة الخامسة عشر من ذى الحجة سنة ثلاث وستمائة والحمد لله جدا دائما طيبا مباركا مخلدا مؤبدا كما يليق بعلو شأنه وباهر برهانه وعظيم احسانه والصلاة على الارواح الطاهرة المقدسة من ساكني اعالي السموات وتقوم الارضين من الملائكة والانبياء والالياء والموحدين خصوصا على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه اجمعين

(سورة الاحقاف وهي ثلاثون وخمس آيات مكية وقيل اربع وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى والدين كفروا عما أندروا معرضون قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات أشئني أن تكذب قل هذا اوا مارة من علم ان كنتم صادقين) اعلم ان نظم اول هذه السورة كظم اول سورة

او من اعم الاحوال من فاعل خلقنا او من مفعوله اي ما خلقها في حال من الاحوال الاحال ملاستنا لخلق احوال ملاستناه وفيه من الدلالة على وجود الصانع تعالى وصفات كآله واثناء افعاله على حكم بالغة واستهانها الى غايات حليمة ما لا يخفى (واجل مسمى) عطف على الحق بتقدير مضاف اي وتقدير اجل مسمى ينتهي اليه امر الكل وهو يوم القيامة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ورزواته الواحد له فاروق قبل هو آخرمده البقاء المقدر لكل واحد ويأباه قوله تعالى (والدين كفروا عما أندروا معرضون) فان ما أندروه يوم القيامة وما فيه من الطامة التامة والاهوال العامة لا آخر عمارهم وتد حوز ككون ماصدريه والجنة حالية اي ما خلقنا الخلق الا بالحق وتقدير اجل الذي يخازون عنده والاسأل اهم غير مؤمنين به معرضون عنه وعن لاستعداد له (قل) توفينا لهم وتبكيثا (أرأيتم) احسروني وقرئ رأيتمكم (ماتدعون) ماتدعون (من دون الله) من الاصنام (أروني) ما كيد لأرأيتم (ماذا) حلتوا من الارض) بيان للايهام (ماذا) (أم لهم شرك) شركاء مع الله تعالى (في السموات) في ما خلقها او ملكها وتديرها

الجاثية وقد ذكرنا ما فيه وما قوله ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق فهذا يدل على اثبات الاله بهذا العالم ويدل على ان ذلك الاله يجب أن يكون عادلا رحما بعباده ناظر لهم محسنا اليهم ويدل على ان القيامة حق ( اما المطلوب الاول ) وهو اثبات الاله بهذا العالم وذلك لان الخلق عبارة عن التقدير وآثار التقدير ظاهرة في السموات والارض من الوجوه العشرة المذكورة في سورة الانعام وقد بينا ان جملة تلك الوجوه تدل على وجود الاله القادر المختار ( واما المطلوب الثاني ) وهو اثبات ان الله العالم عادل رحيم فدل عليه قوله تعالى الا بالحق لان قوله الا بالحق معناه الا لاجل الفضل والرحمة والاحسان وان الاله يجب أن يكون فضله زائدا وان يكون احسانه راجحا وان يكون وصول المنافع منه الى المحتاجين اكثر من وصول المضار اليهم قال الجاثي هذا يدل على ان كل ما بين السموات والارض من القبائح فهو ليس من خلقه بل هو من افعال عباده والازم أن يكون خالقا لكل باطل وذلك ينافي قوله ما خلقناهما الا بالحق اجاب اصحابنا وقالوا خلق الباطل غير والخلق بالبطل غير فحقن نقول انه هو الذي خلق الباطل الا انه خلق ذلك الباطل بالحق لان ذلك تصرف من الله تعالى في ملك نفسه وتصرف المالك في ملك نفسه يكون بالحق لا بالبطل قالوا والذي يقرر ما ذكرناه ان قوله تعالى ما خلقنا السموات والارض وما بينهما يدل على كونه تعالى خالقا لكل أعمال العباد لان أعمال العباد من جملة ما بين السموات والارض فوجب كونها مخلوقة لله تعالى ووقوع التعارض في الآية الواحدة محال فلم يبق الا أن يكون المراد ما ذكرناه فان قالوا افعال العباد اعراض والاعراض لا توصف بأنها حاصلة بين السموات والارض فنقول فعلى هذا التقدير سقط ما ذكرتموه من الاستبدال والله اعلم ( واما المطلوب الثالث ) فهو دلاله الآية على صحة القول بالبعث والقيامة وتقريره انه لو لم توجد القيامة لتعطل استيفاء حقوق المظلومين من الظالمين ولتعطل توفية الثواب على المطيعين وتوفية العقاب على الكافرين وذلك يمنع من القول بأنه تعالى خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق واما قوله تعالى واجل مسمى فالمراد انه ما خلق هذه الاشياء الا بالحق والا لاجل مسمى وهذا يدل على ان الله العالم ما خلق هذا العالم ايتي مخلدا سرمدابل انما خلقه ليكون دارا للعامل ثم انه سبحانه يفنيه ثم يعيده فيقع الجزاء في الدار الآخرة فعلى هذا الاجل المسمى هو الوقت الذي عينه الله تعالى لافناء الدنيا ثم قال تعالى والذين كفروا عما أنذروا معرضون والمراد ان مع نصب الله تعالى هذه الدلائل ومع ارسال الرسل واتزال الكتب ومع مواظبة الرسل على الترغيب والترهيب والاعذار والانداب بقي هؤلاء الكفار معرضين عن هذه الدلائل غير ملتفتين اليها وهذا يدل على وجوب الظن والاستدلال وعلى ان الاعراض عن الدليل مذموم في الدين والدنيا واعلم انه تعالى لما قرر هذا الاصل الدال على اثبات الاله وعلى اثبات كونه عادلا رحما وعلى اثبات البعث والقيامة بنى عليه

سقى يتوهم ان يكون لهم شأبة استحقاق للمعبودية فان المادخل له في وجود شئ من الاشياء بوجه من الوجوه فهو بمنزلة من ذلك الاستحقاق بالمرء وان كان من الاحياء العقلاء فانظروا بالجماد وقوله تعالى أثبتوني بكتاب الخ تكبكت لهم بتجهيزهم عن الاتيان بسند نقلي بعد تكبكتهم بالتجهيز عن الاتيان بسند عقلي اى أثبتوني بكتاب الهى كائن من قبل هذا الكتاب اى القرآن الناطق بالوحيد وباطال الشرك دال على صحة دينكم ( او اثاره من علم ) او بقرينة من علم بقيت عليكم من علوم الاولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة ( ان كنتم صادقين ) في دعواكم فانها لا تكاد تصح ما لم يقر عليها برهان عقلي او سلطان نقلي وحيث لم يقر عليها شئ منها ساقط فامت على خلافتها ادلة العقل والنقل تبين بطلانها وقرى اثاره بكسر الهمزة اى منازلة فلها تأثير المعاني وثمره اى شئ ادر تم به وخصصتم من علم مطوى من غيركم وارة بالحرركات الثلاث مع سكون التاء اما المكسورة فبمعنى الازمة واما المفتوحة فهي المرة من ان الحديث اى رواه واما المنصومة فانه ما يؤثر كالخطبة التى هى اسم ما يخطب به ( ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له ) اسكار ونفى لآن يكون احد



التفاريح (فالفرع الاول) ارد على عبدة الاصنام فقال قل ارايتم ماتدعون من دون الله وهى الاصنام ارونى اى اخبرونى ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات والمراد ان هذه الاصنام هل يعقل ان يضاف اليها خلق جزء من اجزاء هذا العالم فان لم يصح ذلك فهل يجوز ان يقال انها اعانت الله العالم فى خلق جزء من اجزاء هذا العالم ولما كان صريح العقل حاكما بأنه لا يجوز اسناد خلق جزء من اجزاء هذا العالم اليها وان كان ذلك الجزء اقل الاجزاء ولا يجوز ايضا اسناد الاعانة اليها فى اقل الافعال وأذلهما فيثبت صح ان الخالق الحقيقى لهذا العالم هو الله سبحانه وان النعم الحقيقى بجميع اقسام النعم هو الله سبحانه والعبادة عبارة عن الاتيان بأكل وجوه التعظيم وذلك لا يليق الا بمن صدر عنه اكل وجوه الانعام فلما كان الخالق الحق والنعم الحقيقى هو الله سبحانه وتعالى وجب ان لا يجوز الاتيان بالعبادة والعبودية الاله ولاجله بقى ان يقال اننا لانعبدها لانها تستحق هذه العبادة بل انما نعبدها لاجل ان الاله الخالق المنعم امرنا بعبادتها فعند هذا ذكر الله تعالى ما يجرى مجرى الجواب عن هذا السؤال فقال أثونى بكتاب من قبل هذا او اثاره من علم وتقرير هذا الجواب ان ورود هذا الامر لاسيلى الى معرفته الا بالوحى والرسالة فقول هذا الوحى الدال على الامر بعبادة هذه الالهة الا ان يكون على محمد او فى سائر الكتب الالهية المنزلة على سائر الانبياء وان لم يوجد ذلك فى الكتب الالهية لكنه من تقابل العلوم المنقولة عنهم والكل باطل اما اثبات ذلك بالوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم فهو معلوم البطلان واما اثباته بسبب اشتمال الكتب الالهية المنزلة على الانبياء المتقدمين عليه وهو ايضا باطل لانه علم بالتواتر الضرورى لطباق جميع الكتب الالهية على المنع من عبادة الاصنام وهذا هو المراد من قوله تعالى أثونى بكتاب من قبل هذا واما اثبات ذلك بالعلوم المنقولة عن الانبياء سوى ما جاء فى الكتب فهذا ايضا باطل لان العلم الضرورى حاصل بأن احدا من الانبياء مادعا الى عبادة الاصنام وهذا هو المراد من قوله او اثاره من علم ولما بطل الكل ثبت ان الاشتغال بعبادة الاصنام عمل باطل وقول فاسد وبقي فى قوله تعالى او اثاره من علم نوعان من البحث ( النوع الاول ) البحث اللغوى قال ابو عبيد والفراء والزجاج اثاره من علم اى بقية وقال المبرد اثاره ما يؤثر من علم اى بقية وقال المبرد اثاره تؤثر من علم كقولك هذا الحديث يؤثر عن فلان ومن هذا المعنى سميت الاخبار بالآثار يقال جاء فى الاثر كذا وكذا قال الواحدي وكلام اهل اللغة فى تفسير هذا الحرف يدور على ثلاثة اقوال ( الاول ) البقية واشتقاقها من اثرت الشئ اثيرة اثاره كأنها بقية تستخرج فتثار ( والثانى ) من الاثر الذى هو الرواية ( والثالث ) هو الاثر بمعنى العلامة قال صاحب الكشف وقرئ اثاره اى من شئ او اثرته وخصصتم من علم لاحاطة به لغيركم وقرئ اثاره بالحرركات الثلاث مع سكون الاء فالآخرة بالكسر بمعنى الاثر واما الآخرة فالمره من مصدر اثر الحديث اذا رواه واما الآخرة بالضم

يساوى المشركين فى الضلال وان كان سيك التركيب لنفى الاضل منهم من غير تعرض لنفى المساوى كما سرغبر مرة اى هم اضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المحيى الحبيب الى عبادة مصنوعهم العارى عن السمع والقدرة والاستجابة ( الى يوم القيامة ) غاية لنفى الاستجابة ( وهم عن دعائهم ) الصغبر الاول لمفعول يدعو والثانى لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من كان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها ( فاقولون ) لكوفهم جهادات وضمار العقلاء لاجرائهم اياها مجرى العقلاء ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبادتها كقوله تعالى ارادعوهم لا يسمعوا دعاءكم الآية ( واذا حشر الناس ) عند قيام القيامة ( كانوا هم اعداء وكانوا به اعدائهم كافرين ) اى مكذبين باسأل الحلال او المقسال على ما يروى انه تعالى يحى الاصنام فتنبأ عن عبادتهم وقد جوز ان يراد بهم كل من يعبد من دون الله من الملائكة والجن والاناس وغيرهم ويبنى ارجاع الضمائر واسناد العداوة والكفر اليهم على التعليب ويراد بذلك نبؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين ( واذا اتلى عليهم

فاسم ما يؤركان خطبة اسم لما يخطب به وهما قول آخر في تفسير قوله تعالى او اماره من علم وهو ماروى عن ابن عباس انه قال او اماره من علم هو علم الخط الذى يخط فى الرمل والعرب كانوا يخطونه وهو علم مشهور وعن السى صلى الله عليه وسلم انه قال كان نبي من الانبياء يخط فغن وافق خطه خطه علمه وعلى هذا الوجه فعنى الآية اثنى بعلم من قبل هذا الخط الذى تخطونه فى الرمل يدل على صحة مذهبكم فى عبادة الاصنام فان صح تفسير الآية بهذا الوجه كان ذلك من باب التهكم بهم وبأقوالهم ودلائلهم والله تعالى اعلم ﴿ قوله تعالى ( ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة ) وهم عن دعائهم غافلون واذ احشروا الناس كانوا لهم اعداء وكانوا لعبادتهم كافرين واذ اتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ام يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بنى وبسكم وهو الغفور الرحيم ) اعلم انه تعالى يبين فيما سبق ان القول بعبادة الاصنام قول باطل من حيث انها لا قدرة لها البتة على الخلق والفعل والايجاد والاعداد والمع والضر فاردفه بدليل آخر يدل على بطلان ذلك المذهب وهى انها جادات فلا تسمع دعاء الداعين ولا تعلم حاجات المحتاجين وبالجملة فالدليل الاول كان اشارة الى نفي العلم من كل الوجوه واذ اتقى العلم والقدرة من كل الوجوه لم يبق عبادة معلومة ببديهة العقل فقوله ومن اضل ممن يدعو من دون الله استفهام على سبيل الانكار والمعنى انه لا امرأ ابعد عن الحق واقرب الى الجهل ممن يدعو من دون الله الاصنام فيتخذها آلهة ويعبدها وهى اذا دعيت لاتسمع ولا تصح منها الاجابة لافى الحال ولا بعد ذلك اليوم الى يوم القيامة وانما جعل ذلك غاية لان يوم القيامة قد قيل انه تعالى يحياها وتقع بينها وبين من يعبدها مخاطبة فلذلك جعله تعالى حدا واذا قامت القيامة وحشر الناس فهذه الاصنام تعادى هؤلاء العابدين واختلفوا فيه قالوا كثرون على انه تعالى يحيى هذه الاصنام يوم القيامة وهى تظهر عداوة هؤلاء العابدين وتبرأ منهم وقال بعضهم بل المراد عبدة الملائكة وعيسى فانهم فى يوم القيامة يظهرون عداوة هؤلاء العابدين فان قيل ما المراد بقوله تعالى وهم عن دعائهم غافلون وكيف يعقل وصف الاصنام وهى جادات بالعلة واصما كيف جاز وصف الاصنام بما لا يليق الا بالعتلاء وهى لفظة من وقوله هم غافلون قد انهم لما عبدوها وتزلوها منزلة من يضرون يرفع صح ان يقال فيها انها بمنزلة الغافل الذى لا يسمع ولا يبين وهذا هو الجواب ايضا عن قوله ان لفظة من ولفظة هم كيب بايق بها وايضا يجوز ان يراد بكل معبود من دون الله من الملائكة وعيسى وعزير والاصنام الا انه غلب غير الاوان على الاوان واعلم انه تعالى لما تكلم فى تقرير التوحيد ونفى الاضداد والانداد تكلم فى النبوة وبين ان محمدا صلى

آياتنا بينات ) واضحات او بينات ( قال لذين كفروا للحق ) اى للاحول وشأنه وهو عبارة عن عن الآيات المتلوة وضع موضع ضميرها تصريحا على حقيقتها ووجوب الايمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلوة عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلالة ( لما جاءهم ) اى فى اول مجاءهم من غير تدبر وتأمل ( هذا سحر مبين ) اى ظاهر كونه سحرا ( ام يقولون افتراه ) اضراب وانتقال من حكاية شاعتهم السابقة الى حكاية ما هو اشنع منها وما قام من الهرم للادكار التوبيخى التضمن للتعجب اى بل ايسر لولوا افتري التران ( قل ان افريته ) على القرص ( فلا تملكون لى من الله شيئا ) ادلاريب فى انه تعالى يعاخذ حيل بالقدرة وكيف احترى على ان افري عليه تعالى كدما تعرضت للعقوبة الى الامتناع عنها ( هو اعلم بما تفيضون فيه ) اى تدفعون فيه من القدح فى وحى الله ولطعن فى آياته وسيمته سخرا تارة وحرية اخرى ( كفى به شهيدا بنى وبسكم ) حسب يشهد له ما قوامه وعلاكم بالكتب والودود وعيد بحراء فاضتهم وتولد على ( وهو العصور الرحيم ) وعد بالفرار والرجة لى تاب وآمن واشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم حرائرهم

(قل ما كنت بدعا من الرسل)

البدع بمعنى البديع كالخل بمعنى الحليل وهو المائل له وقرئ<sup>١</sup> بفتح الدال على انه صفة كقيم وزيم اوجع مقدر بمضاف اى دال بدع وقد جوز ذلك فى القراءة الاولى ايضا على انه مصدر كانوا يقترحون عليه عليه الصلاة والسلام آيات عجبية ويسألونه عن المغيبات عنادا ومكابرة فأمر عليه السلام بأن يقول لهم ما كنت بديعا من الرسل قادر على ما لم يقدر واعليه حتى آتيكم بكل ما ترحونه واخبركم بكل ما تسألون عنه من الغيوب فان قلى من الرسل عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يأتون الاباء آتاهم الله تعالى من الآيات ولا يخبرونهم الا بما اوحى اليهم (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) اى اى شئ يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من افعاله تعالى وماذا يقدر لنا من قضاءه وعن الحسن رضى الله عنه ما درى ما يصير اليه امرى واسرهم فى الدنيا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما يفعل بي ولاكم فى الآخرة وقال هو منسوخة بقوله تعالى ليخفرك الله ما تقدم من دنك وما تأخر وقيل يجوز ان يكون المنقضى هى الدراية المفصلة والظاهر الاوفق لما ذكر من سبب النزول ان ما عبارة عماليس علمه من وظائف النبوة من الحوادث والوقائع النبوية دون ما يقع فى الآخرة فان العلم بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحي الناطق بتعاصيل ما يفعل بالجانبين هذا وقد روى عن

الله عليه وسلم كلما عرض عليهم نوعا من انواع المعجزات زعموا انه سحر فقال وادنا تلى عليهم الآيات البينة وعرضت عليهم المعجزات الظاهرة سموها بالسحر ولما بين انهم يسعون المعجزة بالسحر بين انهم متى سمعوا القرآن قالوا ان محمدا افتراء واختلقه من عند نفسه ومعنى الهمة فى ام للانكار والتعجب كأنه قبل دع هذا واسمع القول المنكر العجيب ثم انه تعالى بين بطلان شبهتهم فقال ان افتريته على سبيل الفرض فان الله تعالى يعاجلنى بعقوبة بطلان ذلك فى الافتراء وانتم لاتقدرون على دفعه عن معاجلتى بالعقوبة فكيف اقدم على هذه الفرية واعرض نفسى لعقابه يقال فلان لا يملك نفسه اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله من يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد الله فتنته فلن يملك له من الله شيئا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا يملك لكم من الله شيئا ثم قال تعالى هو اعلم بما تفيضون فيه اى تدفعون فيه من القدح فى وحي الله تعالى والطعن فى آياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بينى وبينكم يشهدلى بالصدق ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد لهم على اقامتهم فى الطعن والشتم ثم قال وهو الغفور الرحيم بمن رجع عن الكفر وتاب واستعان بحكم الله عليهم مع عظم ما ارتكبوه قوله تعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادرى ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الى وما انا الا نذير مبين قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذلم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين) اعلم انه تعالى لما حكى عنهم انهم طبعوا فى كون القرآن معجزا بان قالوا انه يختلقه من عند نفسه م ينسبه الى انه كلام الله على سبيل الفرية حكى عنهم نوعا آخر من الشبهات وهو انهم كانوا يقترحون منه معجزات عجبية قاهرة ويطالبونه بأن يخبرهم عن المغيبات فأجاب الله تعالى عنه بان قال قل ما كنت بدعا من الرسل والبدع والبدع من كل شئ المبدأ والبدعة ما اخترع مما لم يكن موجودا قبله بحكم السنة وفيه وجوه (الاول) ما كنت بدعا من الرسل اى ما كنت اولهم فلا ينبغي أن تنكروا اخبارى باقى رسول الله اليكم ولا تنكروا دعائى لكم الى التوحيد ونهى عن عبادة الاصنام فان كل الرسل اتما بعنوا بهذا الطريق (الوجه الثانى) انهم طلبوا منه معجزات عظيمة واخبارا عن الغيوب فقال قل ما كنت بدعا من الرسل والمعنى ان الاتيان بهذه المعجزات القاهرة والاخبار عن هذه الغيوب ليس فى وسع البشر وانا من جنس الرسل واحده منهم لم يقدر على ما تريدونه فكيف اقدر عليه (الوجه الثالث) انهم كانوا يعيرونه بأنه يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وبأنه فقير وبأن أتباعه فقراء فقال قل ما كنت بدعا من الرسل وكاهم

الكلي ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له عليه السلام وقد سجنوا من اذية المشركين حتى متى تكون على هذا فقال ما ادرى ما يفعل بي ولا بكم اترك بركة ام اوسر بالخروج الى ارض ذات نخيل وشجر قد وقستل ورأيتها يعني في منامه وجوز ان تكون ماموصولة والاستفهامية اقضى لحق مقام النبوة عن الدراية وتكرير التذكير للنبي المنسحب اليه وتأكيد قرئ ما يفعل على اسناد الفعل الى ضميره تعالى (ان اتبع الامايوسي الى اى ما فعل الاتباع مايوسي الى على قصر افعاله عليه الصلاة والسلام اتباع الوحي لا قصر اتباعه على الوحي كما هو التسارع الى الافهام وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرئ يوسي على البناء للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما يروح اليه عليه السلام من القيوب وقيل عن استحمال المسلمين ان يغفلوا عن اذية المشركين والاول هو الاوفق لقوله تعالى ( وما انا الا نذير ) انذركم عقاب الله تعالى حسبا يوسي الى ( بين ) بين الانذار بالمهجرات الباهرة ( قل رأيتهم ان ) اى ما يوسي الى من القرآن ( من عند الله ) لاسحر ولا مفترى كما كما تزعمون وقوله تعالى ( وكفرتم به ) حال باضمار قد من الضمير في الجبر وسقط بين اجزاء الشرط مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر او عطف على كان كما في قوله تعالى قل رأيتهم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لكن لا على ان نظمه في

كانوا على هذه الصفة وبهذه المثابة فهذه الاشياء لا تقدر في نبوتى كما لا تقدر في نبوتهم ثم قال وما ادرى ما يفعل بي ولا بكم وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) في تفسير الآية وجهان ( احدهما ) ان يحمل ذلك على احوال الدنيا ( والثاني ) ان يحمل على احوال الآخرة ( اما الاول ) ففيه وجوه ( الاول ) لا ادرى ما يصير اليه امرى وامر كم ومن الغالب منا والمغلوب ( والثاني ) قال ابن عباس في رواية الكلي لما اشتد البلاء باصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة رأى في المنام انه يهاجر الى ارض ذات نخيل وشجر وماء فقصصها على اصحابه فاستبشروا بذلك ورأوا ان ذلك فرج مما هم فيه من اذى المشركين ثم انهم مكنوا برهة من الدهر لا يرون اتر ذلك فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذى قلت ومتى نهاجر الى الارض التى رأيتها في المنام فسكت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأترل الله تعالى ما ادرى ما يفعل بي ولا بكم وهو شئ رأيت في المنام وانا لا اتبع الاما وحاء الله الى ( والثالث ) قال الضحاك لا ادرى ما تؤمرون به ولا أمر به في باب التكليف والشرائع والجهاد ولا في الابتلاء والامتحان وانما انذركم بما اعلمنى الله به من احوال الآخرة في الثواب والعقاب ( والرابع ) المراد انه يقول لا ادرى ما يفعل بي في الدنيا أموت ام اقل كما قتل الانبياء قبلى ولا ادرى ما يفعل بكم ايها المكذبون اترمون بالحجارة من السماء ام ينحسف بكم ام يفعل بكم ما فعل بسائر الامم اما الذين حملوا هذه الآية على احوال الآخرة فروى عن ابن عباس انه قال لما نزلت هذه الآية فرح المشركون والمنافقون واليهود وقالوا كيف نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به وبنا فأترل الله تعالى انا فتحنا لك قمحا مينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك الى قوله وكان ذلك عند الله فوزا عظيما فينبى تعالى ما يفعل به وبمن واتبعد ونسخت هذه الآية وارغم الله أنف المنافقين والمشركين واكثر المحققين استبعدوا هذا القول واحتجوا عليه بوجوه ( الاول ) ان النبي صلى الله عليه وسلم لا بد وان يعلم من نفسه كونه نبيا ومتى علم كونه نبيا علم انه لا تصدر عنه الكبرياء وانه مغفور له واذا كان كذلك امتنع كونه شاكا في انه هل هو مغفور له أم لا ( الثاني ) لاشك ان الانبياء ارفع حالا من الاولياء فلما قال في هذا ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكيف يعقل ان يبقى الرسول الذى هو ربس الاتقياء وقدة الانبياء والاولياء شاكا في انه هل هو من المغفورين او من المعتدين ( الثالث ) انه تعالى قال الله اعلم حيث يجعل رسالته والمراد منه كمال حاله ونهاية قربه من حضرة الله تعالى ومن هذا حاله كيف يليق به ان يبقى شاكا في انه من المعدين او من المغفورين قبت أن هذا القول ضعيف ( المسئلة الثانية ) قال صاحب الكشاف قرئ ما يفعل بفتح الياء اى يفعل الله عز وجل فان قالوا ما يفعل متبب وغير منقى وكان وجه الكلام ان يقال ما يفعل بي وبكم قلنا التقدير ما ادرى ما يفعل بي وما ادرى ما يفعل بكم ثم قال تعالى ان اتبع الامايوسي الى يعنى انى لا اقول قولاً واعمل عملاً لا يعقضى الوحي واحتج نقاة القياس بهذه

هالك الشرط المتروك بين الوقوع  
وعنده عندهم باعتبار حاله في  
نفسه بل باعتبار حال المخطوف  
عليه عندهم فان كفرهم به امر  
محقق عندهم ايضا وانما ترددهم  
في ان ذلك كفر بما من عند الله  
تعالى ام لا وكذا الحال في قوله  
تعالى (وشهد شاهد من بني اسرائيل)  
وباعده من الفلين فان الكل  
امور محققة عندهم وانما ترددهم  
في انها شهادة وإيمان بما من عند  
الله تعالى واستكبار عنه اولا  
والمنع اخبروني ان كان ذلك في  
الحقيقة من عند الله وكفرتم به  
وشهد شاهد عظيم الشأن من  
بني اسرائيل الواقفين على شؤن  
الله تعالى واسرار الوحي بما أوتوا  
من التوراة (على مثله) أي مثل  
القرآن من المعاني المطلوبة في  
التوراة المطابقة لما في القرآن  
من التوحيد والوعد والوعيد  
وغير ذلك فانها عين ما فيه في  
الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى  
وانه لني زرا لاولين وقوله  
تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى  
والثانية باعتبار تأديتها بعبارات  
اخرا على مثل ما ذكر من كونه  
من عند الله تعالى والثانية لما ذكر  
وقيل المثل صلة والفاء في قوله  
تعالى (فأمن) للدلالة على انه  
سارع الى الايمان بالقرآن لما علم  
انه من جنس الوحي الناطق بالحق  
وهو عبدالله بن سلام لما سمع  
بمقدم رسول الله صلى الله عليه  
وسلم المدينة آتاه فظن الى وجهه  
الكرام ففعل انه ليس بوجه  
كذاب وتأمله فمحقق انه النبي  
المنتظر فقال له اتي سائلك عن  
ثلاث لا يعلمن الانبي ما اول  
اشراط الساعة وما اول طعام  
ياكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه

الآية فقالوا النبي صلى الله عليه وسلم ما قال قولا ولا عمل عملا الا بالنص الذي اوحاه الله  
اليه فوجب ان يكون حالنا كذلك (بيان الاول) قوله تعالى ان اتبع الامايوحى الى  
(بيان الثاني) قوله تعالى واتبعوه وقوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ثم قال تعالى  
وما انا الا نذير مبين كانوا يطالبونه بالمعجزات البجبية وبالاخبار عن الغيوب فقال قل  
وما انا الا نذير مبين والقادر على تلك الاعمال الخارجة عن قدرة البشر والعالم بتلك  
الغيوب ليس الا الله سبحانه \* ثم قال تعالى (قل أرايتم ان كان من عند الله وكفرتم به  
وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين)  
وفيه مسائل (المسئلة الاولى) جواب الشرط مخذوف والتقدير ان يقال ان كان  
هذا الكتاب من عند الله ثم كفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على صحته ثم استكبرتم  
لكنتم من الخاسرين ثم حذف هذا الجواب ونظيره قولك ان احسنت اليك وأسات  
الى واقبلت عليك واعرضت عني فقد ظلمتني فكذا ههنا التقدير اخبروني ان ثبت ان  
القرآن من عند الله بسبب معجز الخلق عن معارضته ثم كفرتم به وحصل ايضا شهادة اعلم  
بني اسرائيل بكونه معجزا من عند الله فلو استكبرتم وكفرتم الستم اضل الناس  
واظلمهم واعلم ان جواب الشرط قد يحذف في بعض الآيات وقد ذكر اما الحذف فكما  
في هذه الآية وكما في قوله تعالى ولوان قرأ ناسيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به  
الموتى واما المذكور فكما في قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل  
وقوله قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله  
يأتيكم بضياء (المسئلة الثانية) اختلفوا في المراد بقوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل  
على قولين (الاول) وهو الذي قال به الاكثر ان هذا الشاهد عبدالله بن سلام روى  
صاحب الكشاف انه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه ففعل انه  
ليس بوجه كذاب وتأمله وتحقق انه هو النبي صلى الله عليه وسلم المنتظر فقال له اتي  
سائلك عن ثلاث ما يعلمن الانبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة  
والولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط الساعة فنار  
تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت واما  
الولد فاذا سبق ماء الرجل نزع له وان سبق ماء المرأة نزع لها فقال اشهد انك رسول الله  
حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علوا باسلامي قبل ان تسألهم عن بهتوني  
عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبدالله فيكم فقالوا  
خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا فقال ارايتم ان اسلم عبدالله  
فقالوا اما هذه الله من ذلك فخرج عليهم عبدالله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا  
رسول الله فقالوا شربنا وابن شربنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله فقال  
سعد بن ابى وقاص ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد مشى على الارض

اولى امه فقال عليه الصلاة والسلام اما اول اشراط الساعة ففسار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبدهوت واما الولد فان سبق ماء الرجل نزعته وان سبق ماء المرأة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا فقام ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت فان علموا باسلامي قبل ان تسألهم عنى بهتوني عندك فجات اليهود فقال لهم النبي عليه الصلاة والسلام اى رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا واتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر قال سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشى على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الاية وقيل الشاهد موسى عليه السلام وشهادته بما فى التوراة من بعثة النبي عليهما الصلاة والسلام وبه قال الشعبي وقال مسروق والله ما نزلت في عبد الله بن سلام فان آل حم زلت بمكة وانما اسلم عبد الله بالمدينة واجاب الكلبي بان الاية مدنية وان كانت السورة مكية ( واستكتبتم ) طُف على شاهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى اخبروني ان كان من

انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله واعلم ان الشعبي ومسروقا وجاعة آخرين انكروا ان يكون الشاهد المذكور في هذه الاية هو عبد الله بن سلام قالوا لان اسلامه كان بالمدينة قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين وهذه السورة مكية فكيف يمكن جل هذه الاية المكية على واقعة حدثت في آخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة واجاب الكلبي بأن السورة مكية الا هذه الاية فانها مدنية وكانت الاية تنزل فيؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يضعها في سورة كذا فهذه الاية نزلت بالمدينة وان الله تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يضعها في هذه السورة المكية في هذا الموضع المعين ولقاتل ان يقول ان الحديث الذي رويتم عن عبد الله بن سلام مشكل وذلك لان ظاهر الحديث يوهم انه لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المسائل الثلاثة واجاب النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الجوابات آمن عبد الله بن سلام لاجل ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الجوابات وهذا بعيد جدا لوجهين ( الاول ) ان الاخبار عن اول اشراط الساعة وعن اول طعام يأكله اهل الجنة اخبار عن وقوع شئ من الممكنات وما هذا سيئه فانه لا يعرف كون ذلك الخبر صدقا الا اذا عرف اول كون الخبر صادقا فلو انما عرفنا صدق الخبر بكون ذلك الخبر صدقا لزم الدور وانه محال ( الثانى ) اننا نعلم بالضرورة ان الجوابات المذكورة عن هذه المسائل لا يبلغ العلم بها الى حد الإعجاز البتة بل نقول الجوابات القاهرة عن المسائل الصعبة لما لم تبلغ الى حد الإعجاز فامثال هذه الجوابات عن هذه السؤالات كيف يمكن ان يقال انها بلغت الى حد الإعجاز ( والجواب ) يحتمل انه جاء في بعض كتب الانبياء المتقدمين ان رسول آخر الزمان يسأل عن هذه المسائل وهو يجيب عنها بهذه الجوابات وكان عبد الله بن سلام عالم بهذا المعنى فلما سأل النبي صلى الله عليه وسلم واجاب بتلك الاجوبة عرف بهذا الطريق كونه رسولا حقاً من عند الله وعلى هذا الوجه فلا حاجة بنا الى ان نقول العلم بهذه الجوابات معجز والله اعلم ( القول الثانى ) في تفسير قوله تعالى وشهد شاهد من بنى اسرائيل انه ليس المراد منه شخصا معيناً بل المراد منه ان ذكر محمد صلى الله عليه وسلم موجود في التوراة والبشارة بمقدمه حاصلة فيها تقدير الكلام لو ان رجلا منصفاً عارفاً بالتوراة أقر بذلك واعترف به ثم انه آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وانكرتم الستم كنتم ظالمين لانفسكم ضالين عن الحق فهذا الكلام مقرر سواء كان المراد بذلك الشاهد شخصا معيناً ولم يكن كذلك لان المقصود الاصلى من هذا الكلام انه ثبت بالمعجزات القاهرة ان هذا الكتاب من عند الله وبت ان التوراة مشتملة على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم ومع هذين الامرين كيف يليق بالعاقل انكار نبوته ( المسئلة الثالثة ) قوله تعالى على مثله ذكر وافيها وجوها والاقر ان نقول انه صلى الله عليه وسلم قال لهم ارايتم ان كان هذا القرآن من عند الله كما اقول وشهد شاهد من بنى اسرائيل



هناك تعالى وشهد على ذلك اهل بني اسرائيل فآمن به ( ٥٠١ ) من غير تلغيم واستكبرتم عن الايمان به بعد هذه المرتبة من اهل منكم

على مثل ما قلت فآمن واستكبرتم أستم كنتم ظالمين انفسكم ثم قال تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) انه تهديد وهو قائم مقام الجواب المحذوف والتقدير قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونون مهتدين بل تكونون ضالين (المسئلة الثانية) قالت المعتزلة هذه الآية تدل على انه تعالى انما منعهم الهداية بناء على الفعل القبيح الذي صدر منهم او لا فان قوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين صريح في انه تعالى لا يهديهم لكونهم ظالمين انفسهم فوجب ان يعتقدوا في جميع الآيات الواردة في المنع من الايمان والهداية ان يكون الحال فيها كما هي والله اعلم ثم قال تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وفيه مسائل (المسئلة الاولى) هذه شبهة اخرى للقوم في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي سبب نزوله وجوه (الاول) ان هذا كلام كفار مكة قالوا ان عامة من يتبع محمدا الفقراء والاراذل مثل عمار وصهيب وابن مسعود ولو كان هذا الدين خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء (الثاني) قيل لما اسلمت جهينة ومريئة واسلم وغفار قالت بنوعامر وعطفان واسدوا شجع لو كان هذا خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم (الثالث) قيل ان أمة لعمر اسلمت وكان عمر يضربها حتى يقتل ويقول لو لاني فترت لزدتكم ضربا فكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعوا محمد اليه حقا ما سبقنا اليه فلانة (الرابع) قيل كان اليهود يقولون هذا الكلام عند اسلام عبدالله بن سلام (المسئلة الثانية) اللام في قوله تعالى للذين آمنوا ذكروا فيه وجهين (الاول) ان يكون المعنى وقال الذين كفروا للذين آمنوا على وجه الخطاب كما تقول قال زيد لمهروم ثم ترك الخطاب وتنقل الى الغيبة كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم (الثاني) قال صاحب الكشف للذين آمنوا لاجلهم يعني ان الكفار قالوا لاجل ايمان الذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وعندى فيه وجه ثالث وهو ان الكفار لما سمعوا ان جماعة آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبوا جماعة من المؤمنين الحاضرين وقالوا لهم لو كان هذا الدين خيرا ما سبقنا اليه اولئك الغائبون الذين اسلموا واعلم انه تعالى لما حكى عنهم هذا الكلام اجاب عنه بقوله واذلم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم والمعنى انهم لما يقفوا على وجه كونه معجزا فلا بد من عامل في النور في قوله واذلم يهتدوا به ومن متعلق لقوله فسيقولون وغير مستقيم ان يكون فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع دلالتى المضى والاستقبال فاوجه هذا الكلام واجاب عنه بان العامل في المحذوف لدلالة الكلام عليه والتقدير واذلم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا افك قديم ثم قال تعالى ومن قبله كتاب موسى اما ما ورثة كتاب موسى مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدا عليه وقوله اما ما نصب على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى والتقدير وآتينا الذى قبله النوراة ومعنى اما ما اى قدوة ورجة تؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام ورجة لمن آمن به (الافك قديم) كما قالوا أساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذاك (ومن قبله) اى من قبل القرآن وهو خبر لقوله تعالى كتاب



موسى) قبل والجملة حاله او مستأنفة واياما كان فهو لرد قولهم ( ٥٠٤ ) هذا افك فديم وابطاله فان كونه مصدقا لكتاب موسى

مقرر لحقيقته قطعا ( اما ماورجة )  
 حالان من كتاب موسى اى اماما  
 يقتدى به في دين الله تعالى  
 وشرائعه كما يقتدى بالامام ورجة  
 من الله تعالى لمن آمن به وعمل  
 بموجبه ( وهذا ) الذى يقولون  
 في حقه ما يقولون ( كتاب )  
 عظيم الشأن ( مصدق ) اى لكتاب  
 موسى الذى هو امام ورجة  
 اولما بين يديه من جميع الكتب  
 الالهية وقد قرئ كذلك ( لسانا  
 عربيا ) حال من ضمير الكتاب  
 في مصدق او من نفسه لتخصصه  
 بالصفة وعاملها معنى الاشارة  
 وعلى الاول مصدق وقيل مفعول  
 لمصدق اى يصدق ذالسان عربى  
 ( لينذر الذين ظلموا ) متعلق  
 بمصدق وقبه ضمير الكتاب والاله  
 او الرسول عليه الصلاة والسلام  
 ويؤيد الاخير القراءة بثناء الخطاب  
 ( وبشرى للمحسنين ) في حيز  
 النصب عطفا على عمل لينذر وقيل  
 في محل الرفع على انه خير مبتدأ  
 مضمر اى وهو بشرى وقيل على  
 انه عطوف على مصدق ( ان الذين  
 قالوا ربنا الله ثم استقاموا ) اى  
 جعوا بين التوحيد الذى هو  
 خلاصة العلم والاستقامة في امور  
 الدين الى هي منتهى العمل وتم  
 للدلالة على تراخى رتبة العمل  
 وتوقف الاعتماد به على التوحيد  
 ( فلاخوف عليهم ) من حقوق مكروه  
 ( ولاهم يحزنون ) من فوات  
 محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى  
 الشرط والمراد بيان دوام نفي  
 الحزن لا بيان نفي دوام الحزن كما  
 يوهمه كون الخبر مضارا وقد مر  
 بيانه مرارا ( اولئك ) الموصوفون  
 بما ذكر من الوصفين الجليلين )

احباب الجنة خالدين فيها ) حال من المستكن في احباب وقوله تعالى ( جزاء ) منصوب اما بعامل ( في )

وعمل بما فيه ووجه تعلق هذا الكلام بما قبله ان القوم طعنوا في صحة القرآن وقالوا لو  
 كان خيرا ماسبقنا اليه هؤلاء الصعاليك وكأنه تعالى قال الذى يدل على صحة القرآن انكم  
 لانتازعون في ان الله تعالى انزل التوراة على موسى عليه السلام وجعل هذا الكتاب  
 اماما يقتدى به ثم ان التوراة مشتملة على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم فاذا سلمتم  
 كون التوراة اماما يقتدى به فاقبلوا حكمه في كون محمد صلى الله عليه وسلم حقا من الله  
 ثم قال تعالى وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا اى وهذا القرآن مصدق لكتاب موسى في ان  
 محمدا رسول حق من عند الله وقوله تعالى لسانا عربيا نصب على الحال ثم قال لينذر الذين  
 ظلموا قال ابن عباس مشركى مكة وفي قوله لتنذر قراءتان التاء لكثرة ماورد من هذا المعنى  
 بالخطابة كقوله تعالى لتنذره وذكرى للمؤمنين والياء لتقدم ذكر الكتاب فأسند الانذار  
 الى الكتاب كما اسند الى الرسول في قوله تعالى الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب الى قوله  
 لينذر بأسا شديدا من لدنه ثم قال تعالى وبشرى للمحسنين قال الزجاج الاجود ان يكون  
 قوله وبشرى في موضع رفع والمعنى وهو بشرى للمحسنين قال ويجوز ان يكون في موضع  
 نصب على معنى لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين وحاصل الكلام ان المقصود من  
 ازال هذا الكتاب انذار المعرضين وبشارة المطيعين \* قوله تعالى ( ان الذين قالوا ربنا  
 الله ثم استقاموا فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون أولئك احباب الجنة خالدين فيها جزاء بما  
 كانوا يعملون ) وصينا الانسان بالديانة احسانا جلته امه كرها ووضعته كرها وحاله وفصاله  
 ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ اشدّه وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى  
 انعمت على وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لى في ذريتى انى تبنت اليك  
 واتى من المسلمين اولئك الذين تتقبل عنهم احسن ما عملوا وتجاوز عن سيئاتهم فى احباب  
 الجنة وعد الصديق الذى كانوا يوعدون ) اعلم انه تعالى لما قرر دلائل التوحيد والتبوة  
 وذكر شبهات المنكرين واجاب عنها ذكر بعد ذلك طريقة المحققين والمحققين فقال ان الذين  
 قالوا ربنا الله تم استقاموا وقد ذكرنا تفسير هذه الكلمة فى سورة السجدة والفرق بين  
 الموضعين ان فى سورة السجدة ذكر ان الملائكة ينزلون ويقولون ان لاتخافوا ولا تحزنوا  
 وهنارفع الواسطة من بين وذكر انه لاخوف عليهم ولاهم يحزنون فاذا جعنا بين  
 الآيتين حصل من مجموعهما ان الملائكة يبلغون اليهم هذه البشارة وان الحق سبحانه  
 يسمعهم هذه البشارة ايضا من غير واسطة واعلم ان هذه الآيات دالة على ان من آمن بالله  
 وعمل صالحا فانهم بعد الخشر لا ينالهم خوف ولا حزن ولهذا قال اهل التحقيق انهم يوم  
 القيامة آمنون من الاهوال وقال بعضهم خوف العقاب زائل عنهم اما خوف الجلال  
 والهيبة فلا يزول البتة عن العبد الا ترى ان الملائكة مع علو درجاتهم وكمال عصمتهم  
 لا يزول الخوف عنهم فقال تعالى يخافون ربهم من فوقهم وهذه المسئلة سبقت بالاستقصاء

مقدر اى يحزون جزاء او بمعنى ما تقدم فان قوله تعالى ( ٥٠٣ ) اولئك اصحاب الجنة فى معنى جازيتاهم ( بما كانوا يعملون ) من

الحسنات العلية والعملية  
( ووصينا الانسان ) بأن يحسن  
( بوالديه احسانا ) وقرئ  
حسنا اى بأن يفصل بهما  
حسنا اى فعلا ذاحسن او كما نه  
فى ذاته نفس الحسن لقرط  
حسنه وقرئ بضم السين ايضا  
وبفتحها اى بان يفعل بهما فعلا  
حسنا او وصيائه ايصاء حسنا  
( جلته أمه كرها ) ووضعت كرها  
اى دات كره او جلاذا كره وهو  
المشقة وقرئ بالفتح وهما لفتان  
كالفقرو الفقر وقيل الضموم اسم  
والمتفوح مصدر ( وحله وفصالة )  
اى مدة جلته وفصالة وهو القطام  
وقرئ وفصله والفصل والفصال  
كالقطم والغطام بناء ومعنى والمراد  
به الرضاع التام المنتهى به كما اراد  
بالامد المدة من فال

كل حى مستكمل مدة  
العمر ومود اذا انتهى امده  
( ثلاثون شهرا ) تضى عليها  
بعانة المشاق ومقاسة الشدائد  
لاجله وهذا دليل على ان اقل  
مدة الحمل ستة اشهر لما انه  
ادخله للفصال حول لان لقوله  
تعالى حولين كاملين لمن اراد ان  
يتم الرضاعة يبقى للحمل ذلك قيل  
ولعل تعيين اقل مدة الحمل واكثر  
مدة الرضاع لانهما متحققان  
ارتباط النسب والرضاع بهما  
( حتى اذا بلغ اشده ) اى اكتمل  
واستحكم قوته وعقله ( وبلغ  
اربعة سنين ) قيل لم يبعث نبي قبل  
اربعة وقرئ حتى اذا استوى  
او بلغ اشده ( قال رب اوزعنى )  
اى الهينى واصله اولعنى من  
اوزعته بكذا ( ان اشكر نعمتك  
التي انعمت على وعلى والدى )  
اى نعمة الدين او ما يعجزها

فى آيات كثيرة منها قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر ثم قال تعالى اولئك اصحاب الجنة  
خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون قالت المعتزلة هذه الآية تدل على مسائل ( اولها ) قوله  
تعالى اولئك اصحاب الجنة وهذا يقيد الحصر وهذا يدل على ان اصحاب الجنة ليسوا الا  
الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وهذا يدل على ان صاحب الكبيرة قبل التوبة لا يدخل  
الجنة ( وثانيها ) قوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون وهذا يدل على فساد قول من يقول  
الثواب فضل لاجزاء ( وثالثها ) ان قوله تعالى بما كانوا يعملون يدل على اثبات العمل للعبد  
( ورابعها ) ان هذا يدل على انه يجوز ان يحصل الاثر فى حال المؤثر او اى اثر كان موجودا  
قبل ذلك بدليل ان العمل المتقدم اوجب الثواب المتأخر ( وخامسها ) كون العبد  
مستحقا على الله تعالى واعظم انواع هذا النوع الاحسان الى الوالدين لاجرم اردفه  
بهذا المعنى فقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقد تقدم الكلام فى نظير  
هذه الآية فى سورة العنكبوت وفى سورة لقمان وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قرأ  
عاصم وحزرة والكسائى بوالديه احسانا والباقون حسنا واعلم ان الاحسان خلاف  
الاساءة والحسن خلاف القبح فنقرأ احسانا فحجته قوله تعالى فى سورة بنى اسرائيل  
وبالوالدين احسانا والمعنى امرناه بأن يوصل اليهما احسانا وبجدة القراءة الثانية قوله  
تعالى فى العنكبوت ووصينا الانسان بوالديه حسنا ولم يختلفوا فيه والمراد ايضا اننا  
امرناه بأن يوصل اليهما فعلا حسنا الا انه سمي ذلك الفعل الحسن بالحسن على سبيل المبالغة  
كما يقال هذا الرجل علموكم وواتصب حسنا على المصدر لان معنى ووصينا الانسان بوالديه  
امرناه ان يحسن اليهما احسانا ثم قال تعالى جلته امه كرها ووضعت كرها وفيه مسائل  
( المسئلة الاولى ) قرأ ابن عامر وعاصم وحزرة والكسائى كرها بضم الكاف والباقون  
بفتحها قيل هما لفتان مثل الضعف والضعف والفقر والفقر ومن غير المصادر الدف  
والدف والشهد والشهد قال الواحدى الكره مصدر من كرهت الشيء أكرهه والكره  
الاسم كما نه الشيء المكروه قال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم فهذا بالضم وقال  
ان ترثوا النساء كرها فهذا فى موضع الحال ولم يقرأ الثانية بغير الفتح فما كان مصدرا او فى  
موضع الحال فالفتح فيه احسن وما كان اسما نحو ذهبت به على كرهه كان الضم فيه احسن  
( المسئلة الثانية ) قال المفسرون جلته امه على مشقة ووضعت فى مشقة وليس يريد ابتداء  
الحمل فان ذلك لا يكون مشقة وقد قال تعالى فلما تعشاها حملت حلا خفيفا يريد ابتداء الحمل  
فان ذلك لا يكون مشقة فالحمل نطفة وعلقة ومضغة فاذا اثقلت فيحنئذ جلته كرها ووضعت  
كرها يريد شدة الطلق ( المسئلة الثالثة ) دلت الآية على ان حق الام اعظم لانه تعالى قال  
اولا ووصينا الانسان بوالديه حسنا فذكرهما معا ثم خص الام بالذكر فقال جلته أمه  
كرها ووضعت كرها وذلك يدل على ان حقها اعظم وان وصول المشاق اليها بسبب الولد  
اكثر والاخبار كثيرة مذكورة فى هذا الباب ثم قال تعالى وحله وفصالة ثلاثون شهرا

( وان اعل صالحا رضاه ) التنكير للتفخيم والتكثير ( واصلمحلى فى ذريتي ) اى واجعل الصلاح ساريا فى ذريتي راسخا فيهم كما فى

قال ابن عباس اجاب الله تعالى دعاء ابي بكر رضى الله عنهم فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعاصم بن فهيرة ولم يرد شيئا من الخير الا ان الله تعالى عليه ودعا ايضا فقال واصلي في ذريتي فأجابته الله عز وجل فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابيه واولاده جميعا فأدرك ابيه ابو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وابن عبد الرحمن ابوعتيق كلهم ادركوا السبي عليه الصلاة والسلام ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ( اني ثبت اليك ) عما لا تزنا او عما يعلني عن ذكرك (واني من المسلمين) الذين اخلصوا لك انفسهم ( اولئك ) اشار الى الانسان والجمع لان المراد به الجنس المتصف بالوصف المحسني عنه وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعدم مثله اى اولئك المعوتون بما ذكر من النعموت الحليّة ( الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ) من الطاعات فان المباح حسن ولا يثاب عليه ( وتجاوز عن سيئاتهم ) وقرئ القعلا بالاء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بناءهما للفعول ورفع احسن على انه قائم مقام الفاعل وكذا الحار والمحرور ( في اصحاب الجنة ) اى كاشين في عدادهم مستظلين في سلكهم ( وعد الصدق ) مصدر مؤكد لما ان قوله تعالى يتقبل ونجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز ( الذى كانوا يوعدون ) على السنة الرسلى

وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) هذا من باب حذف المضاف والتقدير ومدة حمله وفصالة ثلاثون شهرا والفصل القطام وهو فصله عن الابن فان قيل المراد بيان مدة الرضاعة لا القطام فكيف عبر عنه بالفصل قلنا لما كان الرضاع يليه الفصل ويلائمه لانه ينتهى ويتم به سعى فصلا ( المسئلة الثانية ) دلالت الآية على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه لما كان مجموع مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهرا قال والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين فاذا اسقطت الحولين الكاملين وهى اربعة وعشرون شهرا من الثلاثين بقى اقل مدة الحمل ستة اشهر روى عن عمران امرأة رفعت اليه وكانت قد ولدت لسته اشهر فامر برجمها فقال على لارجم عليها وذكرا نه عن عثمان انه هم بذلك فقرا ابن عباس عليه ذلك \* واعلم ان العقل والتجربة يدلان ايضا على ان الامر كذلك \* قال اصحاب التجارب ان لتكوين الجنين زمانا مقدرا فاذا تضاعف ذلك الزمان تحرك الجنين فاذا انضاف الى ذلك المجموع مثله انقص الجنين عن الام \* فلنفرض انه يتم خلقه في ثلاثين يوما فاذا تضاعف ذلك الزمان حتى صار ستين تحرك الجنين فاذا تضاعف الى هذا المجموع مثله وهو مائة وعشرون حتى صار المجمع مائة وثمانين وهو ستة اشهر فحينئذ يفصل الجنين \* ولنفرض انه يتم خلقه في خمسة وثلاثين يوما فيتحرك في سبعين يوما فاذا انضاف اليه مثله وهو مائة واربعون يوما صار المجمع مائتين وعشرة ايام وهو سبعة اشهر انقص الولد \* ولنفرض انه يتم خلقه في اربعين يوما فيتحرك في ثمانين يوما فيفصل عند مائتين واربعين يوما وهو ثمانية اشهر \* ولنفرض انه تمت الخلقة في خمسة واربعين يوما فيتحرك في تسعين يوما فيفصل عند مائتين وسبعين يوما وهو تسعة اشهر فهذا هو الضبط الذى ذكره اصحاب التجارب قال جالينوس انى كنت شديد التفحص عن مقادير ازمة الحمل فرأيت امرأة ولدت في المائة والاربع والثمانين ليلة وزعم ابو على بن سينا انه شاهد ذلك فقد صار اقل مدة الحمل بحسب نص القرآن وبحسب التجارب الطبية شيئا واحدا وهو ستة اشهر واما اكثر مدة الحمل فليس في القرآن ما يدل عليه \* قال ابو على بن سينا في الفصل السادس من المقالة التاسعة من عنوان الشفاء بلغنى من حيث وثقت به كل الثقة ان امرأة وضعت بعد الرابع من سنى الحمل ولدا قد ثبتت اسنانه وعاش \* وحكى عن ارسطاطليس انه قال ازمة الولادة وحمل الحيوان مضبوطة سوى الانسان فر بما وضعت الحلى لسبعة اشهر وربما وضعت في الثامن وقلا يعيش المولود في السامن الا فى بلاد معينة مثل مصر والغالب هو الولادة بعد التاسع قال اهل التجارب والذى قلناه من انه اذا تضاعف زمان التكوين تحرك الجنين واذا انضم الى المجموع مثله انقص الجنين انما قلناه بحسب التقريب لا بحسب التحديد فانه بما زاد ونقص بحسب الايام لانه لم يقم على هذا الضبط برهان انما هو تقريب ذكره بحسب التجربة والله اعلم بما قالوا المدة

التي فيها تم خلقة الجنين تنقسم الى اقسام (فالولها) ان الرحم اذا اشتملت على المنى ولم تقذف الى الخارج استدار المنى على نفسه منحصر الى ذاته وصار كالكرة ولما كان من شأن المنى ان يفسده الحركان لاجرم يخن في هذا الوقت وبالحرى ان خلق المنى من مادة تجف بالحر اذا كان الغرض منه تكون الحيوان واستحصال اجزائه يصير المنى زبدا في اليوم السادس (ومانيها) ظهور القط اللانة الدموية فيه (احداها) في الوسط وهو الموضع الذي اذا تمت خلقتة كان قلبا (والثاني) فوق وهو الدماغ (والثالث) على العين وهو الكبد يمان تلك القط تتباعد ويظهر فيما بينها خيوط حرو ذلك يحصل بعد ثلاثة ايام اخرى فيكون المجموع تسعة ايام (ومانيها) ان تغذ الدموية في الجميع فيصير علقة وذلك بعد ستة ايام اخرى حتى يصير المجموع خمسة عشر يوما (ورابعها) ان يصير لحما وقد تميزت الاعضاء الثلاثة وامتدت رطوبة الفخاع وذلك انما يتم باثني عشر يوما فيكون المجموع سبعة وعشرين يوما (وخامسها) ان يفصل الرأس عن المكين والاطراف عن الضلوع والطن يميز الحس في بعض ويختفي في بعض وذلك يتم في تسعة ايام اخرى فيكون المجموع ستة وثلاثين يوما (وسادسها) ان يتم انفصال هذه الاعضاء بعضها عن بعض ويصير بحيث يظهر ذلك الحس ظهورا ابنا وذلك يتم في اربعة ايام اخرى فيكون المجموع اربعين يوما وقد يتأخر الى خمسة واربعين يوما قال والاقل هو اللابون فصارت هذه التجارب الطبية مطابقة لما اخبر عنه الصادق المصدوق في قوله صلى الله عليه وسلم يجمع خلق احدكم في بطن امه اربعين يوما قال اصحاب التجارب ان السقط بعد الاربعين اذا شق عنه السلالة ووضع في الماء البارد ظهر شئ صغير متميز الاطراف (المسئلة الثالثة) هذه الآية دلت على اقل مدة الحمل وعلى اكثر مدة الرضاع اما انها تدل على اقل مدة الحمل فقد بيناه واما انها تدل على اكثر مدة الرضاع فلقوله تعالى والولادات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة والفقهاء ربطوا بهذين الضابطتين احكاما كثيرة في الفقه وايضا فاذا ثبت ان اقل مدة الحمل هو الاشهر الستة فتقدير ان تأتى بالولد في هذه الاشهر يبقى جانبها مصونا عن تهمة الزنا والفاحشة وتقدير ان يكون اكثر مدة الرضاع ما ذكرناه فاد حصل الرضاع بعد هذه المدة لا يترتب عليها احكام الرضاع تبقى المرأة مستورة عن الاجانب وعندها يظهر ان انقصر مدة تقدير اقل الحمل ستة اشهر وتقدير اكثر الرضاع حولين كاملين السعي في دفع المضار والفواحش وانواع التهمة عن المرأة فسبحان من له تحت كل كلمة من سدا الكتاب الكريم اسرار عجيبة ونفائس لطيفة تعجز العقول عن الاحاطة بكما لها وروى الواحد في البسيط عن عكرمة انه قال اذا حملت تسعة اشهر ارضعته احدا وعشرين شهرا وادا حملت ستة اشهر ارضعته اربعة وعشرين شهرا والصحيح مائة مائة مائة مائة حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمك التي انعمت علي وعلى

(والذي قال لوالديه) عند دعوتهما الى الايمان (افلكنما) هو صوت يصدر عن المرء عند تضجيره واللام لييل المؤقف له كما في هيت لك وقرئ اى بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحرركات الثلاث مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك اخبر عنه بالمجموع كما سبق قيل هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن

والدى وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اختلف المفسرون في تفسير الاشد قال ابن عباس في رواية عطاء يريد مائتي عشرة سنة والاكثرون من المفسرين على انه ثلاثة وثلاثون سنة واحتج الفراء عليه بأن قال ان الاربعين اقرب في النسق الى ثلاث وثلاثين منها الى ثمانية عشر ألا ترى انك تقول اخذت عامة المال أو كله فيكون احسن من قولك اخذت اقل المال أو كله ومثله قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فبعض هذه الاقسام قريب من بعض فكذا هنا وقال الزجاج الاولى حمله على ثلاث وثلاثين سنة لان هذا الوقت الذي يكمل فيه بدن الانسان واقول تحقيق الكلام في هذا الباب ان يقال ان مراتب سن الحيوان ثلاثة وذلك لان بدن الحيوان لا يتكون الا برطوبة غريزية وحرارة غريزية ولاشك ان الرطوبة الغريزية غالبية في اول العمر وناقصة في آخر العمر والانتقال من الزيادة الى النقصان لا يعقل حصوله الا اذا حصل الاستواء في وسط هاتين المديتين فبت ان مدة العمر منقسمة الى ثلاثة اقسام (اولها) ان تكون الرطوبة الغريزية زائدة على الحرارة الغريزية وحينئذ تكون الاعضاء قابلة للتجدد في ذواتها وللزيادة بحسب الطول والعرض والعمق وهذا هو سن النشو والنماء (والمرتبة الثانية) وهي المرتبة المتوسطة ان تكون الرطوبة الغريزية وافية بحفظ الحرارة الغريزية من غير زيادة ولا نقصان وهذا هو سن الوقوف وهو سن الشباب (والمرتبة الثالثة) وهي المرتبة الاخيرة ان تكون الرطوبة الغريزية ناقصة عن الوفاء بحفظ الحرارة الغريزية ثم هذا التقصان على قسمين (فالاول) هو النقصان الخفي وهو سن الكهولة (والثاني) هو النقصان الظاهر وهو سن الشيخوخة فهذا ضبط معلوم ثم ههنا مقدمة اخرى وهي ان دور القمر انما يكمل في مدة ثمانية وعشرين يوما وشئ فاذ قسمنا هذه المدة بأربعة اقسام كان كل قسم مناسبا فلهذا السبب قدروا الشهر بالاسباع الاربعة ولهذه الاسباع تأثيرات عظيمة في اختلاف احوال هذا العالم اذا عرفت هذا فقول ان المحققين من اصحاب التجارب قسموا مدة سن النماء والنشو الى اربعة اسابيع ويحصل للأدعي بحسب انتهاء كل سابع من هذه السوابع الاربعة نوع من التغير يؤدي الى كماله اما عند تمام السابع الاول من العمر فتصلب اعضاؤه بعض الصلابة وتقوى افعاله ايضا بعض القوة وتبدل اسنانه الضعيفة الواهية باسنان قوية وتكون قوة الشهوة في هذا السابع اقوى في الهضم مما كان قبل ذلك واما في نهاية السابع الثاني فتقوى الحرارة وتقل الرطوبات وتتسع المجارى وتقوى قوة الهضم وتقوى الاعضاء وتصلب قوة وصلابة كافية ويتولد فيه مادة الزرع وعند هذا يحكم الشرع عليه بالبلوغ على قول الشافعي رضي الله عنه وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه لان هذا الوقت لما قويت الحرارة الغريزية قلت الرطوبات واعتدل الدماغ فتكامل القوى النفسانية التي هي الفكر والذكرا فلا جرم يحكم عليه بكمال العقل فلا جرم حكمت

قتادة هونمت عبد سوء عاق  
لوالديه فاجر ليه وماروى من لها  
نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر  
رضي الله عنهما قبل اسلامه يرويه  
ماسأني من قوله تعالى اولئك  
الذين حق عليهم القول الآية فانه  
كان من افاضل المسلمين وسرواتهم  
وقد كذبت الصديقة رضي الله  
عنها من قال ذلك (تعداني ان  
اخرج) ابعت من القبر بعد الموت  
وقرى اخرج من الخروج (وقد  
خانت القرون من قبلى) ولم يمت

الشريعة بالبلوغ وتوجه التكليف الشرعية فاحسن قول من ضبط البلوغ الشرعي بخمس عشرة سنة واعلم انه يتفرع على حصول هذه الحالة احوال في ظاهر البدن (احدها) انفراق طرف الاربعة لان الرطوبة الغريزية التي هناك تنقص فيظهر الانفراق (وانتها) تنوء الخبيرة وغلظ الصوت لان الحرارة التي تنهض في ذلك الوقت توسع الخبيرة فتنتو ويغلظ الصوت (وثالثها) تغير ريح الابط وهي الفضة العفينة التي يدفعها القلب الى ذلك الموضع وذلك لان القلب لما قويت حرارته لاجرم قويت على انضاج المسادة ودفعها الى اللحم الغددى الرخو الذى فى الابط (ورابعها) نبات الشعر وحصول الاحتلام وكل ذلك لان الحرارة قويت فقد قدرت على توليد الابخرة المولدة للشعر وعلى توليد مادة الزرع وفي هذا الوقت تحرك الشهوة فى الصبايا وينهشهن وينزل حيضهن وكل ذلك بسبب ان الحرارة الغريزية التي فيهن قويت فى آخر هذا السابوع واما فى السابوع الثالث فيدخل فى حد الكمال وينبت للذكر اللحية ويزداد حسنه وكاله واما فى السابوع الرابع فلا تزال هذه الاحوال فيه متكاملة متزايدة وعند انتهاء السابوع الرابع نهاية ان لا يظهر الازداد امامدة سن الشباب وهى مدة الوقوف فسابوع واحد فيكون المجموع خمسة وثلاثين سنة ولما كانت هذه المدة اما قد تزداد واما قد تنقص بحسب الامزجة جعل الغاية فيه مدة أربعين سنة وهذا هو السن الذى يحصل فيه الكمال اللائق بالانسان شرعا وطبا فان هذا الوقت تسكن افعال القوى الطبيعية بعض السكون وتنتهى له افعال القوة الحيوانية غايتها وتبتدى افعال القوة النفسانية بالقوة والكمال واذا عرفت هذه المقدمة ظهر لك ان بلوغ الانسان وقت الاشد شي وبلوغه الى الاربعين شي آخر فان بلوغه الى وقت الاشد عبارة عن الوصول الى آخر سن النشو والنماء وان بلوغه الى الاربعين عبارة عن الوصول الى آخر مدة الشباب ومن ذلك الوقت تأخذ القوى الطبيعية والحيوانية فى الانتقاص وتأخذ القوة العقلية والنطقية فى الاستكمال وهذا احد ما يدل على ان النفس غير البدن فان البدن عند اربعين يأخذ فى الانتقاص والنفس من وقت اربعين تأخذ فى الاستكمال ولو كانت النفس عين البدن لحصل للشيء الواحد فى الوقت الواحد الكمال والنقصان وذلك محال وهذا الكلام الذى ذكرناه ولخصناه مذكور فى صريح لفظ القرآن لاننا ان عند الاربعين تنتهى الكمالات الحاصلة بسبب القوى الطبيعية والحيوانية واما الكمالات الحاصلة بحسب القوى العقلية والعقلية فانها تبتدى بالاستكمال والدليل عليه قوله تعالى حتى اذا بلغ اشدّه وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى فهذا يدل على ان توجه الانسان الى عالم العبودية والاشتغال بطاعة الله انما يحصل من هذا الوقت وهذا نصريح بان القوة النفسانية العقلية والنطقية انما تبتدى بالاستكمال من هذا الوقت فسبحان من اودع فى هذا الكتاب الكريم هذه الاسرار الشريفة

منهم احد (وهما يستغنيان الله)  
يسألانه ان يغيثه ويوقه للايمان  
(وياك) اى قائلين له وياك وهو  
فى الاصل دعاء عليه بالنبور اريد  
به الخ والخر يض على الايمان  
لاحقيقة الهلاك (آمن ان وعد  
الله حق) اى البعث اضافاه اليه  
تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على  
خطئه فى اسناد الوعد اليهما  
وقرى بأن وعد الله اى آمن بأن  
وعد الله حق (فيقول) مكذبا  
لهما

لمقدمة قال المفسرون لم يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة واقول هذا مشكل بعيسى عليه السلام فان الله جعله نبيا من اول عمره الا انه يجب ان يقال الاغلب انه ما جاءه الوحى الا بعد الاربعين وهكذا كان الامر فى حق رسولنا صلى الله عليه وسلم ويروى ان عمر بن عبدالعزيز لما بلغ اربعين سنة كان يقول اللهم اوزعنى ان اشكر نعمتك الى تمام الدماء وروى انه جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يؤمر الحافظان ان ارققا بعبدى من حدائى سنة حتى اذ بلغ الاربعين قيل احفظا وحققا فكان راوى هذا الحديث اذا ذكر هذا الحديث بكى حتى تبطل لحيته رواه القاضى فى التفسير (المسئلة الثانية) اعلم ان قوله تعالى حتى اذ بلغ اشده وبلغ اربعين سنة يدل على ان الانسان كالححتاج الى مراعاة الوالدين له الى قريب من هذه المدة وذلك لان العقل كالناقص فلا بد له من رعاية الابوين على رعاية المصالح ودفع الآفات وفيه تنبيه على ان نعم الوالدين على الولد بعد دخوله فى الوجود تمتد الى هذه المدة الطويلة وذلك يدل على ان نعم الوالدين كانه يخرج عن وسع الانسان مكافأتهما بالابداء والذكر الجميل (المسئلة الثالثة) حكى الواحدى عن ابن عباس وقوم كثير من متأخرى المفسرين ومتقدمهم ان هذه الآية نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه قالوا والدليل عليه ان الله تعالى قد وقت الحمل والفصال ههنا بمقدار يعلم انه قد ينقص وقد يزيد عنه بسبب اختلاف الناس فى هذه الاحوال فوجب ان يكون المقصود منه شخصا واحدا حتى يقال ان هذا التقدير اخبار عن حاله فيمكن ان يكون ابوبكر كان حله وفصاله هذا القدر ثم قال تعالى فى صفة ذلك الانسان حتى اذ بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى ومعلوم انه ليس كل انسان يقول هذا القول 'وجب ان يكون المراد من هذه الآية انسا نامينا قال هذا القول واما ابوبكر فقد قال هذا القول فى قريب من هذا السن لانه كان اقل سنا من النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين وشئ والنبي صلى الله عليه وسلم بعث عند الاربعين وكان ابوبكر قريبا من الاربعين وهو قد صدق النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به فثبت بما ذكرناه ان هذه الآيات صالحة لان يكون المراد منها ابوبكر واذا ثبت القول بهذه الصلاحية فنقول ندعى انه هو المراد من هذه الآية ويدل عليه انه تعالى قال فى آخر هذه الآية اولئك الذين تقبل عنهم احسن ما عملوا وتجاوز عن سيئاتهم فى اصحاب الجنة وهذا يدل على ان المراد من هذه الآية افضل الخلق لان الذى يغفل الله عنه احسن اعماله ويتجاوز عن كل سيئاته يجب ان يكون من افضل الخلق واكبرهم واجعت الامة على ان افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ابوبكر واما على ولا يجوز ان يكون المراد من هذه الآية على بن ابي طالب رضى الله عنه لان هذه الآية انما تليق بمن اتى بهذه الكلمة عند بلوغ الاشد وعند القرب من الاربعين وعلى بن ابي طالب ما كان كذلك لانه انما آمن فى زهوان الصبا او عند القرب من

(ما هذا) الذى تسميانه وعده الله (الاساطير الاولين) ابا طيلهم التى سطروها فى الكتب من غير ان يكون لها حقيقة (اولئك) القائلون هذه المقالات الباطلة (الذين حق عليهم القول) وهو قوله تعالى لا يلبس لاما لى جهنم منك ومن تبعك منهم اجمعين كما ينهى عنه قوله تعالى (فى امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس) وقد مر تفصيله فى سورة الم سجدة



الصبا قُتبت ان المراد من هذه الآية هو ابوبكر والله اعلم (المسئلة الرابعة) قوله تعالى  
اوزعنى قال ابن عباس معناه الهمنى قال صاحب الصحاح اوزعته بالشئ اغريته به فاوزع  
به فهو موزع به اى مغرى به واستوزعت الله شكره فاوزعنى اى استلهمته فاللهمنى  
(المسئلة الخامسة) اعلم انه تعالى حكى عن هذا الداعى انه طلب من الله تعالى ثلاثة اشياء  
(احدها) ان يوفقه الله لشكره على نعمه (والثانى) ان يوفقه للاتباع بالطاعة المرضية عند  
الله (والثالث) ان يصلح له فى ذريته وفى ترتيب هذه الاشياء الثلاثة على الوجه المذكور  
وجهان (الاول) ان يبين ان مراتب السعادات ثلاثة اكلها النفسانية واوسطها البدنية  
وادونها الخارجية والسعادات النفسانية هى اشتغال القلب بشكر آلاء الله ونعمائه  
والسعادات البدنية هى اشتغال البدن بالطاعة والخدمة والسعادات الخارجية هى  
سعادة الاهل والولد فلما كانت المراتب محصورة فى هذه الثلاثة لاجرم رتبها الله تعالى على  
هذا الوجه (والسبب الثانى) لرغاية هذا الترتيب انه تعالى قدم الشكر على العمل لان  
الشكر من اعمال القلوب والعمل من اعمال الجوارح وعلى القلب اشرف من عمل  
الجراحة وايضا المقصود من الاعمال الظاهرة احوال القلب قال تعالى وأقم الصلاة  
لذكرى من ان الصلاة مطلوبة لاجل انها تقيد الذكركتبت ان اعمال القلوب اشرف من  
اعمال الجوارح والاشرف يجب تقديمه فى الذكر وايضا الاشتغال بالشكر اشتغال بتضاء  
حقوق النعم الماضية والاشتغال بالطاعة الظاهرة اشتغال بطلب النعم المستقبلية وقضاء  
الحقوق الماضية يجرى مجرى قضاء الدين وطلب المنافع المستقبلية طلب للزوائد ومعلوم  
ان قضاء الدين مقدم على سائر المهمات فلهذا السبب قدم الشكر على سائر الطاعات  
وايضا انه قدم طلب التوفيق على الشكر وطلب التوفيق على الطاعة على طلب ان يصلح  
له ذريته وذلك لان المطلوبين الاولين اشتغال بالتعظيم لامر الله والمطلوب الثالث اشتغال  
بالشفقة على خلق الله ومعلوم ان التعظيم لامر الله يجب تقديمه على الشفقة على خلق الله  
(المسئلة السادسة) قال اصحابنا ان العبد طلب من الله تعالى ان يلهمه الشكر على نعم الله  
ودذا يدل على انه لا يتم شئ من الطاعات والاعمال الا باعانة الله تعالى ولو كان العبد  
مستقلا بافعاله لكان هذا الطلب عبثا وايضا المفسرون قالوا المراد من قوله اوزعنى  
ان اشكر نعمتك التى انعمت على هو الايمان او الايمان يكون داخلا فيه والدليل  
عليه قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم والاراد صراط الذين  
انعمت عليهم بنعمة الايمان واذا ثبت هذا فنقول العبد يشكر الله على نعمة الايمان فاو  
كان الايمان من العبد لامن الله لكان ذلك شكرا لله تعالى على فعله لاعلى فعل خيره  
وذلك قبيح لقوله تعالى ويحبون ان يحمدا بما لم يفعلوا فان قيل فهب ان يشكر الله  
على ما انعم به عليه فكيف يشكره على النعم التى انعم بها عليه والديه وانما يجب على  
الرجل ان يشكر ربه بما انصل اليه من النعم فلهذا كان ذكره من النعم تعالى

(انهم) جميعا (كانوا اخا سرين) فدا  
ضيعوا فطرتهم الاصلية الجارية  
محروى رؤس اموالهم باتباعهم  
الشیطان والجلالة لتعليل الحكم  
بطريق الاستئناف التحقيق  
(ولكل) من الفريقين المذكورين  
(درجات مما عملوا) مراتب من  
اجزية ما عملوا من الخير والشر  
والدرجات غالبية فى مراتب المثوبة  
وايرادها ههنا بطريق التغليب  
(وليوفيهن اعمالهم) اى

والديه فقد وصل منها أرائيه فلذلك وصاه الله تعالى على أن يشكر به على الأمرين  
(وأما المطلوب الثاني) من المطالب المذكورة في هذا الدماء فهو قوله وإن عمل صالحا  
ترضاه وأعلم أن الشيء الذي يعتقد الإنسان فيه كونه صالحا على قسمين (أحدهما) الذي  
يكون صالحا عنده ويكون صالحا أيضا عند الله تعالى (والثاني) الذي يظنه صالحا ولكنه  
لا يكون صالحا عند الله تعالى فلما قسم الصالح في ظنه إلى هذين القسمين طلب من الله  
أن يوفقه لأن يأتي بعمل صالح يكون صالحا عند الله ويكون مرضيا عند الله (والمطلوب  
الثالث) من المطالب المذكورة في هذه الآية قوله تعالى وأصلح لي في ذريتي لأن ذلك من  
اجل نعم الله على الوالد كما قال إبراهيم عليه السلام واجنبي وبني أن تعبدا لصنام فإن  
قبل ما معني في في قوله وأصلح لي في ذريتي قلنا تقدير الكلام هب لي الصلاح في ذريتي  
وأوقعه فيهم وأعلم أنه تعالى لما حكى عن ذلك الداعي أنه طلب هذه الأشياء الثلاثة قال  
بعد ذلك أتيتك إليك وأني من المسلمين والمراد أن الدماء لا يصح إلا مع التوبة والامع  
كونه من المسلمين قسرين أتني إنما أقدمت على هذا الدماء بعد أن تبنت إليك من الكفر  
ومن كل قبيل وبعد أن دخلت في الإسلام والانقياد لأمر الله تعالى ولقضائه وأعلم أن  
الذين قالوا أن هذه الآية نزلت في أبي بكر قالوا أن أبانكراسم والداه ولم يتفق لأحدهم  
الحكاية والمهاجرين إسلام الأبوين إلا أنه قابوه بوقافة عثمان بن عمرو وأهدام الخير بنت  
صخر بن عمرو وقوله وإن عمل صالحا ترضاه قال ابن عباس فاجابه الله إليه فاعتق تسعة من  
المؤمنين يعذبون في الله منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يترك شيئا من الخير إلا أعانه الله عليه  
وقوله تعالى وأصلح لي في ذريتي قال ابن عباس لم يبق لأبي بكر ولد من الذكور والإناث  
الا وقد آمنوا ولم يتفق لأحدهم الحكاية أن أسلم أبواه وجيع أولاده الذكور والإناث  
الا لأبي بكر ثم قال تعالى أولئك أي أهل هذا القول الذين تنقل عنهم قرئ بضم الياء  
على بناء الفعل للمفعول وقرئ بالنون المفتوحة وكذلك تتجاوز وكلاهما في المعنى واحد  
لأن الفعل وإن كان مديبا للمفعول فمعلوم أنه لله سبحانه فهو كقوله يغفر لهم ما قد سلف  
فبين تعالى بقوله أولئك الذين تنقل عنهم أحسن ما عملوا أن من تقدم ذكره ممن يدعو  
بهذا الدماء ويسلك هذه الطريقة التي تقدم ذكرها تنقل عنهم والتقبل من الله هو  
إيجاب النوازل على عمله فإن قيل ولم قال تعالى أحسن ما عملوا والله يتقبل الأحسن  
ومادونه فننا الجواب من وجوه (الأول) المراد بالأحسن الحسن كقوله تعالى وأتبعوا  
أحسن ما نزل إليكم من ربكم وكقولهم الناقص والأشجع أعدلا بنى مروان أي عادلا  
بنى مروان (الثاني) أن الحسن من الأعمال هو المباح الذي لا يتعلق به نوازل ولا عقاب  
والأحسن ما يغير ذلك وهو كل ما كان مديوبا أو واجبا ثم قال تعالى وتجاوز عن  
سيئاتهم والمعنى أنه تعالى يتقبل طاعاتهم ويتجاوز عن سيئاتهم ثم قال في أصحاب الجنة  
ال صاحب الكشاف ومعنى هذا الكلام مل قولك أكرمني الأمير في مائين من أصحابه

أحزنية أعمالهم وقرئ بنون  
العطية (وهم لا يطلون) يقص  
ثواب الأولين وزيادة عقاب  
الآخرين والجملة أما حال  
مؤكدة للتوفية واستثناء مقرر  
لها واللام متعلقة بمحذوف مؤخر  
كأنه قيل وليوفهم أعمالهم  
ولا يظلمهم حتى وفهم فعل ما فعل  
من تقدير الجارية على مقادير  
أعمالهم فجعل النوازل درجات  
والمقاب درجات (ويوم يعرض

يريدا كرمي في جلة من اكرم منهم وضئى في عددهم ومحل الصب على الحال على معنى  
 كاشين في اصحاب الجلة ومعدودين منهم وقوله وعد الصدق مصدر مؤكد لان قوله تنقل  
 وتجاوز وعدم الله لهم بالتقبل والتجاوز والمقصود بيان انه تعالى يعامل من صفته  
 ما قدمناه بهذا الجزاء وذلك وعد من الله تعالى فيمن انه صدق ولا شك فيه \* قوله  
 تعالى ( والذي قال لوالديه أف لكما اتعداني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما  
 يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا ساطير الاولين اولئك  
 الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين  
 ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا  
 على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون  
 بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ) اعلم انه تعالى لما وصف  
 الولد البار بوالديه في الآية المتقدمة وصف الولد العاق لوالديه في هذه الآية فقال والذي  
 قال لوالديه أف لكما وفي هذه الآية قولان ( الاول ) انها تزلت في عبدالرحمن بن ابي بكر  
 قالوا كان ابواه يدعونه الى الاسلام فيأبى وهو قوله أف لكما واحتج القائلون بهذا القول  
 على صحته بانه لما كتب معاوية الى مروان بن يبايع الناس ليزيد قال عبدالرحمن بن  
 ابي بكر لقد جئتم بها هرقلية اتابعون لابنائكم فقال مروان يا أيها الناس هو الذي قال  
 الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما ( والقول الثاني ) انه ليس المراد منه شخص معين  
 بل المراد منه كل من كان موصوفا بهذه الصفة وهو من دعاه ابواه الى الدين الحق فأباه  
 وانكره وهذا القول هو الصحيح عندنا ويدل عليه وجوه ( الاول ) انه تعالى وصف  
 هذا الذي قال لوالديه أف لكما اتعداني بقوله اولئك الذين حق عليهم القول في أمم  
 قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولا شك ان عبدالرحمن آمن وحسن  
 اسلامه وكان من سادات المسلمين فبطل حل الآية عليه فان قالوا روى انه لما دعاه  
 ابواه الى الاسلام واخبراه بالبعث بعد الموت قال اتعداني أن أخرج من القبر يعنى  
 ابعث بعد الموت وقد خلت القرون من قبلي يعنى الامم الخالية فلم أر أحدا منهم بمث فابن  
 عبد الله بن جدهمان وابن فلان وفلان اذا عرفت هذا فقول قوله اولئك الذين حق عليهم  
 القول المراد هؤلاء الذين ذكرهم عبدالرحمن من المسركين الذين ماتوا قبله وهم الذين حق  
 عليهم القول وبالجملة فهو عائذ الى المشار اليهم بقوله وقد خلت القرون من قبلي لالى  
 اشار اليه بقوله والذي قال لوالديه أف لكما هذا ما ذكره الكلبي في دفع ذلك الدليل وهو  
 حسن ( الوجه الثاني ) في ابطال ذلك القول ما روى ان مروان لما خاطب عبدالرحمن  
 ابن ابي بكر بذلك الكلام سمعت عائشة ذلك فغضبت وقالت والله ما هو به ولكن الله آمن  
 اباك وانت في صلبه ( الوجه الثالث ) وهو الاقوى ان يقال انه تعالى وصف الولد البار

الدين كمروا على النار ) اى  
 يعدون لها من ثوابهم عرض  
 الاسارى على لسياف اى قتلوا  
 وقيل يعرض لارعلهم بطريق  
 القلب مبالغة ( اذهبتم طيباتكم )  
 اى يقال لهم ذلك وهو الناصب  
 للظرف وقرئ اذهبتم بهمزين  
 ونأى بينهما على الاستفهام  
 التوبيخى اى اصاتم واخذتم  
 ما كتب لكم من حظوظ الدنيا  
 ولدنوها ( في حياتكم الدنيا



(واذكر) اي لكفراركة (اخاءاد) اي ( ٥١٣ ) هو ذا عليه السلام ( اذ انذر قومه ) بدل اشتمال منه اي وقت انذاره اياهم ( بالاحتفاء )

جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه اعتناء من احقوقف الشيء اذا عوج وكنت عادا صحاب عمديسكنون بين رمال مشرفة على البحر يارض يقال لها الشعر من بلاد اليمن وقيل بن عمان ومهره (وقد حلب النذر) اي الرسل جمع نذر يعنى المندر (من بين يديه) اي من قبله (ومن خلفه) اي من امده والجهة اعراض مقرر لما قبله مؤكدا لوجوب العمل بموجب الانذار وسط بين انذر قومه وبين قوله (ان لا تعبدوا الا الله) مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتأكيد وايداننا بالشرائح في العبارة المحكية والمعنى واد كر لقومك اذارهود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه قومه مثل ذلك فاذكركم واما جعلها حالا من فاعل انذر على معنى انه عليه الصلاة والسلام انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله (اي اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) وقد أعلمهم ان الرسل الذين نعموا قبله والذين سيعصون بعده كلهم منذرون نحو انذارهم فافهم من تكلف تقدير الاعلام لابد في نسبة الحلوى الى بعده من الرسل من تنزيل الآتى منزله الحالى (قالوا أحنثنا لتأفكنا) اي تصرفنا (عن آلهتنا) عن عبادتها (فأنتا بما نعدنا) من العذاب العظيم (ان كنت من الصادقين) في وعدك بآذوله با (قال انما لعلم) اي بوقت نزوله والعلم بجميع الاشياء التي من جلتها ذلك (عند الله) وحده لا علمي بوقت نزوله ولا مدخل في

يذهب علوا ودرج اهل النار ينزل هبوطا (الثالث) ان المراد بالدرجات المراتب المترتبة الان زيادات اهل الجنة في الخيرات والطاعات وزيادات اهل النار في المعاصي والسيئات ثم قال تعالى وليوفيهم وقرئ بالنون وهذا تعليل معلله مخدوف لدلالة الكلام عليه كأنه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاء هم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ولما بين الله تعالى انه يوصل حق كل احد اليه بين احوال اهل العقاب اولا فقال ويوم يعرض الذين كفروا على النار اقل يدخلون النار وقل تعرض عليها النار ليروا احوالها اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا قرأ ابن كثير اذهبتم استفهام بهمزة ومدة وابن عامر استفهام بهمزة بلا مد والباقيون اذهبتم بلفظ الخبر والمعنى ان كل ما قدر لكم من الطيبات والراحات فقد استوفيتوه في الدنيا وأخذتموه فليبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر لو شئت لكنت اطيبيكم طعاما واحسنكم لباسا ولكني استبقي طيباتي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل على اهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون لهارقا قال فقال انتم اليوم خير ام يوم يغدو احدكم في حلة ويروح في اخرى ويقدى عليه بجفنة ويراح عليه باخرى ويستريته كاستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل انتم اليوم خير رواه صاحب الكشاف قال الواحدى ان الصالحين يؤثرون التقشف والزهد في الدنيا رجاء ان يكون نوابهم في الآخرة اكمل الا ان هذه الآية لا تدل على المنع من التمتع لان هذه الآية وردت في حق الكافر وانما ينج الله الكافر لانه يتمتع بالدنيا ولم يؤدشكر المنع بطاعته والايان به واما المؤمن فانه يؤدي بايمانه شكر المنعم فلا يوجب تمتعه والدليل عليه قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق نعم لا ينكر ان الاحتراز عن التمتع اولى لان النفس اذا اعتادت التمتع صعب عليها الاحتراز والانتباض وحينئذ فر بما حله الميل الى تلك الطيبات على فعل مالا ينبغي وذلك مما يحجر بعضه الى بعض ويقع في البعد عن الله تعالى بسببه نعم قال تعالى فالיום تجزون عذاب الهون اي الهوان وقرئ عذاب الهوان بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون فعلى الله تعالى ذلك العذاب بأمرين (اولهما) الاستكبار والرفع وهو ذنب القلب (والثاني) الفسق وهو ذنب الجوارح وقدم الاول على الثاني لان احوال القلوب اعظم وقعا من اعمال الجوارح ويمكن ان يكون المراد من الاستكبار انهم يتكبرون عن قبول الدين الحق ويستكفون عن الايمان بحمد عليه الصلاة والسلام واما الفسق فهو المعاصي واحتج اصحابنا بهذه الآية على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع قالوا لانه تعالى علل عذابهم بأمرين (اولهما) الكفر (وثانيهما) الفسق وهذا الفسق لابد وان يكون مغايرا لذلك الكفر لان العطف يوجب المغايرة ثبت ان فسق الكفار يوجب العقاب في حقهم ولا معنى للفسق الا ترك المأمورات وفعل المهيئات

في آياته وحلوله وانما علله عند الله تعالى فيأتيكم به في وقته (٦٥) (را) (سا) المقدرة (وابلغكم ما رسلته)

بما لم يمتنعوا عن الشر من غير وقوف على وقت نزوله وقرئ عليكم ( ٥١٤ ) من الابلاغ (ولكني اراكم قوما تجهلون)

والله اعلم \* قوله تعالى ( واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا اجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به ولكني اراكم قوما تجهلون فلما رآوه عارضا مستقبلا اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استجلبتم به ريح فيها عذاب اليم يدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا واقدتفا اغنى عنهم سمعهم ولا بصارهم ولا اقتدتهم من شيء اذ كانوا يمحذون بآيات الله وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن ) اعلم انه تعالى لما اورد انواع الدلائل في اثبات التوحيد والنبوة وكان اهل مكة بسبب استغراقهم في لذات الدنيا واشتغالهم بطلبها عرضوا عنها ولم يلتفتوا اليها ولهذا السبب قال تعالى في حقهم وبوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا فلما كان الامر كذلك بين ان قوم عاد كانوا اكثر اموالا وقوة وجاها منهم ثم ان الله تعالى سلط العذاب عليهم بسبب شؤم كفرهم فذكر هذه القصة ههنا ليعتبر بها اهل مكة فيتركوا الاغترار بما وجدوه من الدنيا ويقبلوا على طلب الدين فلماذا المعنى ذكر الله تعالى هذه القصة في هذا الموضع وهو مناسب لما تقدم لان من اراد تقيج طريقة عند قوم كان الطريق فيه ضرب الامثال وتقريره ان من واظب على تلك الطريقة تزل به من البلاء كذا وكذا وقوله تعالى واذكر اخا عاد اذ اذكر يا محمد لقومك اهل مكة هو داعية السلام اذ انذر قومه اذ اذكرهم عذاب الله انهم يؤمنوا وقوله بالاحقاف قال ابو عبيدة الحقف الرمل المعوج ومنه قبل للمعوج محقوف وقال الفراء الاحقاف واحدها حقف وهو الكنيب المكسر غير العظيم وفيه اعوجاج قال ابن عباس الاحقاف وادين عمان ومهرة والنذر جمع نذير بمعنى المنذر من بين يديه من قبله ومن خلفه من بعده والمعنى ان هودا عليه السلام قد انذرهم وقال لهم ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم العذاب واعلم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره ثم حكي تعالى عن الكفار انهم قالوا اجئتنا لتأفكنا الافك الصريف يقال افكه عن رأيي اي صرفه وقيل بل المراد لتزينا بضرب من الكذب عن آلهتنا وعن عبادتها فأتنا بما تعدنا من معالجة العذاب على الشرك ان كنت من الصادقين في وعدك فعند هذا قال هود انما العلم عند الله وانما صلح هذا الكلام جوابا لقولهم فأتنا بما تعدنا لان قولهم فأتنا بما تعدنا استجبال منهم لذلك العذاب فقال لهم هود لا علم عندي بالوقت الذي يحصل فيه ذلك العذاب انما اعلم ذلك عند الله تعالى وابلغكم ما ارسلت به وهو التحذير عن العذاب واما العلم بوقته فاوحاه الله الى ولكني اراكم قوما تجهلون وهذا يحتمل وجوها ( الاول ) المراد انكم لا تعلمون ان الرسل

حيث تقتربون على ما ليس من وظائف الرسل من الاتيان بالعذاب وتعيين وقته والقاء في قوله تعالى ( فلما رآوه ) فصحة والضمير امامهم بوضعه قوله تعالى ( عارضا ) اما تميزا او حالا او راجع الى ما استجلبوه بقولهم فأتنا بما تعدنا اي فأتاهم فلما رآوه سحابا يعرض في افق السماء ( مستقبل اوديتهم ) اي متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية كافي قوله تعالى ( قالوا هذا عارض ممطرنا ) ولذلك وقعوا صفيين للنكرة ( بل هو ) اي قال هود وقد قرئ كذلك وقرئ قل وهو ردي عليهم اي ليس الامر كذلك بل هو ( ما استجلبتم به ) من العذاب ( ريح ) بدل من ما اؤخبر ليمتدأ محذوف ( فيها عذاب اليم ) صفة لريح وكذا قوله تعالى ( تدرس ) اي تهلك ( كل شيء ) من نفوسهم واموالهم ( بأمر ربها ) وقرئ يدمر كل شيء من دمدمارا اذا هلك فالعائد الى الموصوف محذوف او هو الهام في ربها ويجوز ان يكون استثناء واراد البيان ان لكل ممكن فناء مقضيا منوطا بأمر ربه وتكون الهاء لكل شيء لكونه بمعنى الاشياء وفي ذكر الامر والرب والاضافة الى الريح من الدلالة على عظمة شأنه عز وجل ما لا يخفى والفاء في قوله تعالى ( فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم ) فصحة اي فبما هم الريح فدمرتهم فأصبحوا بحيث لا يرى الا مساكنهم وقرئ ترى بالتاء ونصب مساكنهم خطابا لكل احديتأني منه الرؤية تنبيهها على ان حالهم بحيث لو حضر كل احد بلادهم لا يرى فيها الا مساكنهم ( كذلك ) اي مثل ذلك الجزء الفطيع ( نجزي القوم المجرمين ) وقدم تفصيل القصة في سورة الاعراف ( لم )

وقد روى ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظئعة فترفعها ( ٥١٥ ) في الجو حتى ترى كأنها جردة قيل اول من ابصر العذاب امرأة

منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروى ان اول ما عرفوا به انه عذاب مارأوا ما كان في الصحراء من رجالهم ومواسيهم تطير بها الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وعلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم فأمال الله تعالى الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لم ينم منهم فكشفت الريح عنهم فاحتلتهم فطرحتهم في البحر وروى ان هودا عليه السلام لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضى الله عنهما اعتزل هود ومن معه في خظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالطن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة (ولقد مكناهم) اى قرونا عاد او اقدرناهم وما في قوله تعالى ( فيما ان مكناكم فيه ) موصولة او موصوفة وان نافية اى فى الذى اوفى شئ ما مكناكم فيه من السعة والسطوة وطول الاعار وسائر مبادئ التصرفات كما فى قوله تعالى الم يرواكم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض ما لم تكن لكم ومما يحسن موقع ان ههنا التفصيص عن تكرار لفظة ما وهو الداهى الى قلب الفهاها فى مهما وجعلها شرطية او زائدة مما لا يلى بالمقام (وجعلناهم سمعا وابصارا واغفلة) ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفتهم فنون النعم ويستدلوا بها على شؤن منعمها عز وجل ويبدأ وموا على شكره (فما عني

لم يعشوا سائلين عن غير ما اذن لهم فيه وانما يشعوا مبلغيين ( الثانى ) اراكم قوما تجهلون من حيث انكم بقيتم مصرين على كفركم وجهلكم فيغلب على غنى انه قرب الوقت الذى ينزل عليكم العذاب بسبب هذا الجهل المفرط والوقاحة التامة ( الثالث ) انى اراكم قوما تجهلون حيث تصرون على طلب العذاب وهبانه لم يظهر لكم كوفى صادقا ولكن لم يظهر ايضا لكم كوفى كاذبا فالاقدام على الطلب الشديد لهذا العذاب جهل عظيم ثم قال تعالى فلما رأوه ذكر المبر فى الضمير فى رأوه قولين ( احدهما ) انه مائدالى غير مذكور وبينه قوله عارضا كما قال ماترك على ظهرها من دابة ولم يذكر الارض لكونها معلومة فكذا ههنا الضمير مائدالى السحاب كأنه قيل فلما رأوا السحاب عارضا وهذا اختيار الزجاج ويكون من باب الاضمار لاعلى شريطة التفسير ( والقول الثانى ) ان يكون الضمير مائدالى ما فى قوله فأنا بما تعدنا اى فلما رأوا ما يوعدون به عارضا قال ابو زيد العارض السحابة التى ترى فى ناحية السماء ثم تطبق وقوله مستقبل اوديتهم قال المفسرون كانت عاد قد حبس عنهم المطرا ياما فساق الله اليهم سحابة سوداء فخرجت عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوه مستقبل اوديتهم استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا والمعنى ممطرا يانا قبل كان هود قاعدا فى قومه فجاء سحاب مكثر فقالوا هذا عارض ممطرنا فقال بل هو ما استجلبتم به من العذاب ثم بين ماهيته فقال ريح فيها عذاب اليم ثم وصف تلك الريح فقال تدمر كل شئ اى تهلك كل شئ من الناس والحيوان والنبات بأمر ربها والمعنى ان هذا ليس من باب تأثيرات الكواكب والقمرات بل هو امر حدث ابتداء بقدره الله تعالى لاجل تعذيبكم فأصبحوا يعنى عادا لا ترى الامساكنهم وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) روى ان الريح كانت تحمل الفسطاط فترفعها فى الجوح حتى يرى كأنها جردة وقيل اول من ابصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروى ان اول ما عرفوا به انه عذاب اليم انهم رأوا ما كان فى الصحراء من رجالهم ومواسيهم يطير بها الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وعلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وأحال الله عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتلتهم فطرحتهم فى البحر وروى ان هودا لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع فكانت الريح التى تصيبهم ريحا لينة هادية طيبة والريح التى تصيب قوم عاد ترفعهم من الارض وتطيرهم الى السماء وتضربهم على الارض وار المعجزة انما ظهر فى تلك الريح من هذا الوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما امر الله خازن الرياح ان يرسل على عاد الا مثل مقدار الخاتم نعم ان ذلك القدر اهلكهم بكليتهم والمقصود من هذا الكلام اظهار كمال قدرة الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا رأى الريح فزع وقال اللهم انى اسألك خيرها وخير ما ارسلت به وأعوذ بك من شرها ومن شر ما ارسلت به ( المسئلة الثانية ) قرأ عاصم

عنهم سمعهم ) حيث لم يسعملوه فى استماع الوحى ومواظ الرسل ( ولا ابصارهم ) حيث لم يجتولوا بها الايات التكوينية المنصوبة



في صحائف العالم (ولا أفئدتهم) حيث لم يستعملوها في معرفة (٥١٦) الله تعالى (من شيء) اي شيئاً من الاغناء ومن مزينة للتأكيد وقوله

وحزة لا يرى بالياء وضمتها مساكنتهم بضم النون قال الكسائي معناه لا يرى شيء  
الامساكنهم وقرأ نافع وابن كثير وابوعمر و ابن عامر والكسائي لا ترى على الخطاب اي  
لا ترى انت ايها المخاطب وفي بعض الروايات عن عاصم لا ترى بالياء مساكنتهم بضم النون  
وهي قراءة الحسن والتأويل لا ترى من بقايا اعداء الامساكنهم وقال الجمهور هذه  
القراءة ليست بالقوية ثم قال تعالى كذلك نجزي القوم المجرمين والمقصود منه تخويف  
كفار مكة فان قيل لما قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فكيف بقي التخويف  
حاصلاً قلنا قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم انما نزل في آخر الامر فكان التخويف  
حاصلاً قبل نزوله ثم انه تعالى خوف كفار مكة وذكر فضل عاد بالقوة والجسم عليهم  
فقال ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه قال المبرد ما في قوله فيما بمنزلة الذي وان بمنزلة ما  
والتقدير ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه والمعنى انهم كانوا اقوى منكم قوة واكثر  
منكم اموالاً وقال ابن قتيبة كلمة ان زائدة والتقدير ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه وهذا  
غلط لوجوه (الاول) ان الحكم بأمر حرفاً من كتاب الله عبث لا يقول به عاقل (والثاني)  
ان المقصود من هذا الكلام انهم كانوا اقوى منكم قوة ثم انهم مع زيادة القوة مانجوا  
من عقاب الله فكيف يكون حالكم وهذا المقصود انما يتبع لودلت الآية على انهم كانوا  
اقوى قوة من قوم مكة (والثالث) ان سائر الآيات تفيد هذا المعنى قال تعالى هم احسن  
اثاثاً ورباً وقال كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض ثم قال تعالى وجعلنا  
لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة والمعنى انا قبحنا عليهم ابواب النعم واعطيناهم سمعاً فما  
استعملوه في سماع الدلائل واعطيناهم ابصاراً فما استعملوها في تأمل العبر واعطيناهم  
أفئدة فما استعملوها في طلب معرفة الله تعالى بل صرفوا كل هذه القوى الى طلب الدنيا  
ولذا تم فلا جرم ما غنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا أفئدتهم لاجل انهم كانوا يحبسون  
ثم بين تعالى انه انما لم يقنع عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا أفئدتهم لاجل انهم كانوا يحبسون  
بآيات الله وقوله اذ كانوا يحبسون بمنزلة التعليل ولفظ اذ قد يذكر لافادة التعليل تقول  
ضربته اذ اساء والمعنى ضربته لانه اساء وفي هذه الآية تخويف لاهل مكة فان قوم عاد  
لما غتروا بدينهم واعرضوا عن قبول الدليل والحجة نزل بهم عذاب الله ولم تغن عنهم قوتهم  
ولا كثرتهم فاهل مكة مع عجزهم وضعفهم اولى بأن يحذروا من عذاب الله تعالى ويخافوا  
ثم قال تعالى وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن يعني انهم كانوا يطلبون نزول العذاب  
وانما كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزاء والله اعلم وقوله تعالى (ولقد اهلكنا ما حولكم  
من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولاً نصرهم الذين اتخذوا من دون الله  
قرباناً آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفكرون) اعلم ان المراد ولقد اهلكنا  
ما حولكم يا كفار مكة من القرى وهي قرى عاد وثمود باليمن والشام وصرفنا الآيات  
بيناها لهم لعلهم اهل القرى يرجعون فالمراد بالتصريف الاحوال الهائلة التي

تعالى (اذ كانوا يحبسون)  
بآيات الله (متعلق بما غنى وهو  
ظرف جري مجرى التعليل من حيث  
ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه  
فان قولك اكرمه اذا كرمته في  
قوة قولك اكرمه لا كرامه لانك اذا  
اكرمته وقت اكرامه فاما اكرمه  
فيه لوجود اكرامه فيه وكذا  
الحال في حيث (وحق بهم ما كانوا  
به يستهزؤن) من العذاب الذي  
كانوا يستعملونه بطريق الاستهزاء  
ويقولون فأتنا بما عدنا ان كنت  
من الصادقين (ولقد اهلكنا  
ما حولكم) يا اهل مكة (من  
القرى) كبحر ثمود وقرى قوم  
لوط (وصرفنا الآيات) كررنا  
لهم (لعلهم يرجعون) لئلا  
يرجعوا عما هم فيه من الكفر  
والمعاصي (فلولا نصرهم الذين  
اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة)  
القربان ما يتقرب به الى الله تعالى  
واحد مفعول اتخذوا ضمير  
لموصول المحذوف والثاني آلهة  
وقرباناً حال والتقدير فهلا  
نصرهم وخلصهم من المذاب  
الذين اتخذوهم آلهة تحال كونها  
متقرباً الى الله تعالى حيث كانوا  
يقولون ما نصبهم الا ليقربونا الى  
الله زلفى وهؤلاء شفعائنا عند الله  
وفيه تنهكهم بهم ولا مسامحة لعل  
قرباناً مفعول لا ما ياء وآلهة تبدل لانه  
لفساد المعنى فان البدل وان كان  
هو المقصود لكنه لا بد في غير بدل  
العاط من صحة المعنى بدونه ولا  
رب في ان قولنا اتخذوهم من  
دون الله قرباناً اي متقرباً به  
عما لا يحسنه قطعاً لانه تعالى  
متقرب اليه لا متقرب به فلا  
يصح انهم اتخذوهم قرباناً  
تجاراً من الله في ذلك وقرى

تجاراً من الله في ذلك وقرى قرباناً بضم الراء (بل ضلوا عنهم) اي غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كأنهم انصرفوا عنهم لغيرتهم (وجدت)

اوضاعوا عنهم اى ظهر ضياعهم عنهم بالكيفية وقيل ( ٥١٧ ) امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن المصور ( وذلك ) اى ضياع آلهتهم

عنهم وامتناع نصرهم ( افكهم ) اى افكهم الذى هو اتخاذهم اياها الهة وتبيحة شرهم وقرئ افكهم وكلاهما مصدر كالخذر والخذر وقرئ افكهم على صيغة الماضى فذلك اشارة حينئذ الى الاتخاذ اى وذلك الاتخاذ الذى هذه ثمرة وعاقبته صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وافكهم من الافعال اى جعلهم آفكين وقرئ افكهم على صيغة اسم الفاعل مضافا الى ضميرهم اى قولهم الافك اى ذوالافك كما يقال قول كاذب ( وما كانوا يفترون ) عطف على افكهم اى وان افترأهم على الله تعالى أو أفر ما كانوا يفترون عليه تعالى وقرئ وذلك افك مما كانوا يفترون اى بعض ما كانوا يفترون من الافك ( واذا صرفنا اليك نفرا من الجن ) املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد للتكثير لانهم جماعة وهو السر في جمع الصير في قوله تعالى ( يستمعون القرآن ) وما بعده وهو حال مقدرة من نفر لخصمه بالصفة اوصفة اخرى له اى واذا كر لقومك وقت صرفنا اليك نفرا كانوا من الجن مقدرا استماعهم القرآن ( فلما حضروه ) اى القرآن عند تلاوته او الرسول عند تلاوته على اللغات والاول هو الانشور ( قالوا ) اى قال بعضهم لبعض ( انضوا ) اى اسكنوا لتسمعه ( فلما قضى ) اتم وفرغ عن تلاوته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا يؤيد دعوى ضمير حضروه اليه عليه الصلاة والسلام

وجدت قبل الاهلاك قال الجبائى قوله لعلمهم يرجعون معناه لى يرجعوا عن كفرهم دل بذلك على انه تعالى أراد رجوعهم ولم يرد اصرارهم ( والجواب ) انه فعل مالم يفعله غيره لكان ذلك لاجل الارادة المذكورة وانما ذهبنا الى هذا التأويل للدلائل الدالة على انه سبحانه مرید لجميع الكائنات ثم قال تعالى فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة القربان ما تقرب به الى الله تعالى اى اتخذوهم شفعا متقربا بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفى اعراب الآية وجوه ( الاول ) قال صاحب الكشف احد مفعولى اتخذ الرجوع الى الذين هو محذوف والثانى آلهة وقربانا حال وقيل عليه ان الفعل المتعدي الى مفعولين لا يتم الا بذكرهما لفظا والحال مشعر بتمام الكلام ولا شك ان اتيان الحال بين المفعولين على خلاف الاصل ( الثانى ) قال بعضهم قربانا مفعول ثان قدم على المفعول الاول وهو آلهة فقيل عليه انه يؤدى الى خلو الكلام عن الرجوع الى الذين ( الثالث ) قال بعض المحققين بضم احد مفعولى اتخذوا وهو الرجوع الى الذين ويجعل قربانا مفعولا ثانيا وآلهة عطف بيان اذا عرفت الكلام فى الاعراب فنقول المقصود ان يقال ان اولئك الذين اهلكتهم الله هلا نصرهم الذين عبدوهم وزعموا انهم متقربون بعبادتهم الى الله ليشفعوا لهم بل ضلوا عنهم اى غابوا عن نصرتهم وذلك اشارة الى ان كون آلهتهم ناصرين لهم امر ممتنع ثم قال تعالى وذلك افكهم اى ذلك الامتناع اى افكهم الذى هو اتخاذهم اياها آلهة وثمرة شركهم وافتراءهم على الله الكذب فى اثبات الشركاء له قال صاحب الكشف وقرئ افكهم والافك والافك كالخذر والخذر وقرئ وذلك افكهم بفتح الفاء والكاف اى ذلك الاتخاذ الذى هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ افكهم على التشديد للمبالغة وافكهم جعلهم آفكين وافكهم اى قولهم الافك اى ذوالافك كما تقول قول كاذب ثم قال وما كانوا يفترون وذلك افكهم وافتراءهم فى اثبات الشركاء لله تعالى والله اعلم \* قوله تعالى ( واذا صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا اناسمنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا داعى الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويخرجكم من عذاب اليم ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه اولياء اولئك فى ضلال مبين ) فى الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) اعلم انه تعالى لما بين ان فى الانس من آمن وفيهم من كفريين ايضا ان الجن فيهم من آمن وفيهم من كفروا ان مؤمنهم معرض للشواب وكافرهم معرض للعقاب وفى كيفية هذه الواقعة قولان ( الاول ) قال سعيد بن جبيرة كانت الجن تستمع فلما رجوا قالوا هذا الذى حدث فى السماء انما حدث لشيء فى الارض فذهبوا بطاؤون السبب ( ولوا الى قومهم منذرين ) مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم ، روى ان الجن كانت تسرق السمع فلما حرس السماء ورجوا

بالسبب قالوا ما هذا الا لتأخذ فتهمز سبعة نفر اوسمة ( ٥١٨ ) نفر من اشراف جن نصيبين واوينوى منهم زوبعة فضربوا حتى

وكان قد اتفق ان النبي صلى الله عليه وسلم لما آيس من اهل مكة ان يجيئوه خرج الى الطائف ليدعوهم الى الاسلام فلما انصرف الى مكة وكان بطن نخل قام يقرأ القرآن في صلاة الفجر ففر به نفر من اشراف جن نصيبين لان ابليس بعثهم ليعرفوا السبب الذي اوجب حراسة السماء بالرجم فسمعوا القرآن وعرفوا ان ذلك هو السبب ( والقول الثاني ) ان الله تعالى امر رسوله ان يندرجن ويدعوهم الى الله تعالى ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله اليه نقرأ من الجن ليستمعوا منه القرآن وينذروا قومهم ويتفرع على ما ذكرناه فروع ( الاول ) نقل عن القاضي في تفسير سورة الجن انه قال انهم كانوا يهود الان في الجن ملاكا في الانس من اليهود والنصارى والمجوس وعبداء الاصنام واطبق المحققون على ان الجن مكلفون ( مثل ابن عباس ) هل للجن ثواب فقال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب يلتقون في الجنة ويزدجون على ابوابها ( الفرع الثاني ) قال صاحب الكشف الفردون العشرة ويجمع على أنفأ ثم روى محمد بن جرير الطبري عن ابن عباس ان أولئك الجن كانوا سبعة نفر من اهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وعن زرين حيش كانوا تسعة احدثهم زوبعة وعن قتادة ذكر لنا انهم صرفوا اليه من ساوة ( الفرع الثالث ) اختلفوا في انه هل كان عبد الله بن مسعود مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن والروايات فيه مختلفة ومشهورة ( الفرع الرابع ) روى القاضي في تفسيره عن انس قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جبال مكة اذ اقبل شيخ متوكئ على عكازة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مشيت جنى ونعمته فقال اجل فقال من اى الجن انت فقال انا هامة بن هيم بن لاقيس بن ابليس فقال لا ارى بينك وبين ابليس الا بون فكلمنى عليك فقال اكلت عمار الدنيا الاقلها وكنت وقت قتل قابيل هابل امشيت بين الاكام وذكر كثيرا مما مر به وذكر في جلته ان قال لى عيسى بن مريم ان لقيت محمدا فاقربه منى السلام وقد بلغت سلامه وآمنت بك فقال عليه السلام وعلى عيسى السلام وعليك يا هامة ما حاجتك فقال ان موسى عليه السلام علمنى التوراة وعيسى علمنى الانجيل فعلمنى القرآن فعلمه عيسى رسول وقبض صلى الله عليه وسلم ولم ينعه قال عمر بن الخطاب ولا اراه الاحياء واعلم ان تمام الكلام في قصة الجن المذكور في سورة الجن ( المسئلة الثانية ) اختلفوا في تفسير قوله واذا صرفنا اليك نقرأ من الجن فقال بعضهم لما لم يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم قراءة القرآن عليهم فهو تعالى الذى في قلوبهم ميلا وداعية الى استماع القرآن فلهذا السبب قال واذا صرفنا اليك نقرأ من الجن ثم قال تعالى فلما حضروه الضمير للقرآن او لرسول الله قالوا لى قال بعضهم لبعض انصتوا اى اسكتوا مستمعين يقال انصت لكذا واستصتله فلما فرغ من القراءة ولوا الى قومهم منذرين ينذرونهم وذلك لا يكون الا بعد ايمانهم لانهم لا يدعون غيرهم الى استماع القرآن والتصديق به الا وقد آمنوا فعنده قالوا يا قومنا اننا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ووصفوه

بلغوا هامة ثم اندفعوا الى وادى فضلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلى او في صلاة الفجر فاستمعوا له امراته وذلك عند منصرفه من الطائف وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلاته فيروا به فوققوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فانبأ الله تعالى باستماعهم وقيل بل امره الله تعالى ان يندرجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نقرأ منهم جمعهم له فقال عليه الصلاة والسلام اى امرت ان اقرأ على الجن الليلة فن يبتغى فانها ثلاثا فاطرقوا الاحياء الله ابن مسعود رضى الله عنه قال فاطلقتنا حتى اذا كنا يا على مكة في شعب الجحوس حطلى خطا فقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لعطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعشيتة اسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ما سمع صوته عليه الصلاة والسلام ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت شيئا قلت نعم رجلا سوداء مستشعري ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اتبعى عشر السما والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك ( قالوا ) اى عند رجوعهم الى قومهم ( يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ) قيل قالوه لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام ( ما رآه لما بين يديه )

ارادوا بالتوراة ( يهذى الى الحق ) من العقائد الصحيحة ( والى طريق مستقيم ) موصل اليه وهو الشرائع ( بوصفين )

والاعمال الصالحة (يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به) (٥١٩) ارادوا به ماسعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة الى الله تعالى بعد ما وصفوه بالهداية الى الحق والصراط المستقيم لتلازمهما دعوهم الى ذلك بعد بيان حقيقته واستقامته ترغيبا لهم في الاجابة ثم اكدهم بقولهم (يعفركم من ذنوبكم) او بعض ذنوبكم وهو ما كان في خالص حق الله تعالى من حقوق العباد لانفر بالايمان (ويجركم من عذاب اليم) معد للكفرة واختلصوا فان لهم اجرا غير هذا اولا والاظهر انهم في حكم بني آدم ثوابا وعقابا وقوله تعالى (ومن لا ينسب داعي الله فليس بمنجى في الارض) يجاب للاجابة بطريق الرهيب اثر ايجاسها لطريق الرغيب وتحقيق لكونهم مندبرين واظهار داعي الله من غيرا كفاء بأحد الضميرين للبالغة في الايجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة وادخال الروعة وتقبيد الانجياز بكونه في الارض لتوسع لدائرة اى فليس بمنجى له تعالى بالهرب وان هرب كل مهرب من اقطارها وادخل في اعماقها وقوله تعالى (وليس لمن دونه اولياء) بيان لاستحالة نجاة بواسطة العيثار بيان استحالة نجاة بنفسه وجمع الاولياء باعتبار معنى من فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لا تقسام الا حاد الى الا حاد كما ان الجمع في قوله تعالى (اولئك) بذلك الاعتبار اى اولئك الموصوفون بعدم اجادة داعي الله (في ضلال مبين) اى ظاهرا كونه ضلالا بحيث لا يفتنى على احد حيث امرضوا عن اجابة من هدايتنا (اولم يروا) الهمة للكار والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام والرؤية

قلبية اى لم يتفكروا ولم يعلموا علما جارما متانجا للشاهدة والعيان (ان الله الذى خلق السموات والارض) ابداء من غير مثل

بوصفين (الاول) كونه مصدقا لما بين يديه اى مصدقا لكتب الانبياء والمعنى ان كتب سائر الانبياء كانت مشتبهة على الدعوة الى التوحيد والنبوة والمعاد والامر بتطهير الاخلاق فكذلك هذا الكتاب مشتمل على هذه المعاني (الناني) قوله يهدي الى الحق والى طريق مستقيم واعلم ان الوصف الاول يفيد ان هذا الكتاب يماثل سائر الكتب الالهية في الدعوة الى هذه المطالب العالية الشريفة والوصف الثاني يفيد ان هذه المطالب التي اشتمل القرآن عليها مطالب حقيقة صدق في انفسها يعلم كل احد بصريح عقله كونها كذلك سواء وردت الكتب الالهية قبل ذلك بها اولم ترد فان قالوا كيف قالوا من بعد موسى ولنا قد نقلنا عن الحسن انه قال انهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس ان الجن ماسمت امر عيسى فلذلك قالوا من بعد موسى ثم ان الجن لما وصفوا القرآن بهذه الصفات الفاضلة قالوا يا قومنا اجيبوا داعي الله واختلفوا في انه هل المراد بداعي الله الرسول او الواسطة التي تبلغ عنه والا قربانه هو الرسول لانه هو الذى يطلق عليه هذا الوصف واعلم ان قوله اجيبوا داعي الله فيه مسئلتان (المسئلة الاولى) هذه الآية تدل على انه صلى الله عليه وسلم كان معوثا الى الجن كما كان مبعوثا الى الانس قال مقاتل ولم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله (المسئلة الثانية) قوله اجيبوا داعي الله امر باجابه في كل ما أمر به فيدخل فيه الامر بالايمان الا انه اعاد ذكر الايمان على التعيين لاجل انه اهم الاقسام واشرفها وقد جرت عادة القرآن بانه يذكر اللفظ العام ثم يعطف عليه اشرف انواعه كقوله وملائكته وجبريل وقوله واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ولما أمر بالايمان به ذكر فائدة ذلك الايمان وهى قوله يعفركم من ذنوبكم وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قال بعضهم كلمة من ههنا زائدة والتقدير يعفركم ذنوبكم وقبل بل الفائدة فيه ان كلمة من ههنا لا ابتداء الغاية فكان المعنى انه يقع ابتداء الغفران بالذنوب ثم ينتهى الى غفران ما صدر عنكم من ترك الاولى والاكل (المسئلة الثانية) اختلفوا في ان الجن هل لهم ثواب ام لا فيقول لاوب لهم الاتجاة من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البها ثم واحببوا على صحة هذا المذهب بقوله تعالى ويجركم من عذاب اليم وهو قول ابى حنيفة والصحيح انهم في حكم بني آدم فيستحقون الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وهذا القول قول ابن ابي ليلى ومالك وجرت بينه وبين ابى حنيفة في هذا الباب مناظرة قال الضحاك يدخلون الجنة ويا كالون ويشربون والدليل على صحة هذا القول ان كل دليل دل على ان البشر يستحقون الثواب على الطاعة فهو بعينه قائم في حق الجن والفرق بين الباسين بعيد جدا واعلم ان ذلك الجنى لما أمر قومه باجابة الرسول والايمان به حذرهم من ترك تلك الاجابة فقال ومن لا يجب داعي الله فليس بمنجى في الارض اى لا ينجى منه مهرب ولا نسق نضائه سائق ونظيره قوله تعالى واتاظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا ولا نجده اىضا وليا

تخذ به ولا قانون ينتخبه (ولم يخلقهم) اى لم تعب ولم ينصب بذلك ( ٢٠ - ) لا اراهم يعجز عنده يقال عبدت الامرا اذ لم يعرفوه

ولا نصير اولادنا فمن دون الله ثم بن انهم في ضلال مبين ﴿ قوله تعالى ( اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي خلقهم بقادر على ان يحيى الموتى بلى انه على كل شيء قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ) وفي الآية مسائل ( المسئلة الاولى ) اعلم انه تعالى ذكر في اول السورة ما يدل على وجود الاله القادر الحكيم المختار ثم فرع عليه فرعين ( الاول ) ابطال قول عبدة الاصنام ( والثاني ) اثبات النبوة وذكر شبهاتهم في الطعن في النبوة واجاب عنها ولما كان اكثر اعراض كفار مكة عن قبول الدلائل بسبب اغترارهم بالدنيا واستغراقهم في استيفاء طيباتها وشهواتها وبسبب انه كان ينقل عليهم الانقياد لمحمد والاعتراف بتقدمه عليهم ضرب لذلك مثلا وهم قوم عاد فانهم كانوا اكل في منافع الدنيا من قوم محمد فلما اصرروا على الكفر ابادهم الله واهلكهم فكان ذلك تحويفا لاهل مكة باصرارهم على انكار نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ثم لما قرر نبوته على الانس اردفه بانبات نبوته في الجن والى ههنا قد تم الكلام في التوحيد وفي النبوة ثم ذكر عقبيهما تقرير مسئلة المعاد ومن تأمل في هذا البيان الذى ذكرناه علم ان المقصود من كل القرآن تقرير التوحيد والنبوة والمعاد واما القصص فالمراد من ذكرها ما يجرى مجرى ضرب الامثال في تقرير هذه الاصول ( المسئلة الثانية ) المقصود من هذه الآية اقامة الدلالة على كونه تعالى قادرا على البعث والدليل عليه انه تعالى اقام الدلائل في اول هذه السورة على انه هو الذى خلق السموات والارض ولا شك ان خلقها اعظم وافخم من اعادة هذا الشخص حيا بعد ان صار ميتا والقادر على الاقوى الاكل لا بد وان يكون قادرا على الاقل الاضعف ثم ختم الآية بقوله انه على كل شيء قدير والمقصود منه ان تعلق الروح بالجسد امر يمكن اذلولم يكن ممكننا في نفسه لما وقع اولا والله تعالى قادر على كل الممكنات فوجب كونه قادرا على تلك الاعادة وهذه الدلائل يقينية ظاهرة ( المسئلة الثالثة ) في قوله تعالى بقادر ادخال الباء على خبر ان وانما جاز ذلك لدخول حرف النفي على ان وما يتعلق بها فكاكته قيل اليس الله بقادر قال الزجاج لو قلت ما ظننت ان زيدا بقائم جاز ولا يجوز ظننت ان زيدا بقائم والله اعلم ( المسئلة الرابعة ) يقال عيت بالامر اذ لم تعرف وجهه ومنه اذ عينا بالخلق الاول واعلم انه تعالى لما اقام الدلالة على صحة القول بالحق والنشر ذكر بعض احوال الكفار فقال ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فقوله اليس هذا بالحق التقدير يقال لهم اليس هذا بالحق والمقصود التهمك بهم والتوبيخ على استهزائهم بوعده الله ووعده وقلهم وما نحن بمعدين ﴿ قوله تعالى ( فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستجمل لهم كما نهى يوم يرون ما وعدون لم يابشوا الاساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون ) واعلم

وقوله تعالى ( بقادر ) في حيز الرفع لانه خبر ان كائين منه الفراءة بغير باء ووجه دخولها في القراءة الاولى اشتغال النفي الوارد في صدر الآية على ان وما في حيزها كما نه قيل اوليس الله بقادر ( على ان يحيى الموتى ) ولذلك اجيب عنه بقوله تعالى ( بلى انه على كل شيء قدير ) تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود ( ويوم يعرض الذين كفروا على النار ) ظرف عام له قول مضمر مقوله ( اليس هذا بالحق ) على ان الاشارة الى ما يشاهدونه حيثئذ من حيث هو من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأييده اذ هو اللائق بهويبه وتقنيمه وقدمه في سورة الاحزاب وقيل هي الى العذاب وفيدتهك بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعده الله ووعده وقلهم وما نحن بمعدين ( قالوا بلى وربنا ) اكدوا جوابهم بالقسم كما هم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيقتها كما في الدنيا واتى لهم ذلك ( قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ) بها في الدنيا ومعنى الامر الا هانة لهم والتوبيخ لهم وانفاء في قوله تعالى ( فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ) جواب شرط محذوف أى اذا كان عابسة امر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر اولوا الثبات والحرم من الرسل فانك من جلتهم بل من عابيتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض والمراد باول العزم اصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاناة الطاعين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقيل هم

انه تعالى لما قرر المطالب الثلاثة وهى التوحيد والنبوة والمعاد واجاب عن الشبهات  
 اردفه بما جرى مجرى الوعظ وال نصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لان الكفار  
 كانوا يؤذونه ويوجسون صدره فقال تعالى فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل اى اولو الجلد  
 والصبر والثبات وفى الآية قولان (الاول) ان تكون كلمة من التبعض ويراد بأولو  
 العزم بعض الانبياء قبلهم نوح صبر على اذى قومه وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه  
 وابراهيم على النار وذبح الولد واسحق على الذبح ويعقوب على فقدان الولد وذهاب  
 البصر ويوسف على الحب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لندركون  
 قال كلان معى ربى سيهدين وداود بكى على زلته اربعين سنة وعيسى لم يضع لينة على لينة  
 وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها وقال الله تعالى فى آدم ولم نجعله عزما وفى يونس ولا  
 تكن كصاحب الحوت (والقول الثانى) ان كل الرسل اولو عزم ولم يبعث الله رسولا الا  
 كان ذا عزم وحزم ورأى وكال وعقل ولفظة من فى قوله من الرسل تبين لاتبعيض كما  
 يقال كسبته من الخز وكأنه قيل اصبر كما صبر الرسل من قبلك على اذى قومهم ووصفهم  
 بالعزم لصبرهم وثباتهم ثم قال ولا تستجمل لهم ومفعول الاستجمال محذوف والتقدير  
 لا تستجمل لهم بالعذاب قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم ضجر من قومه بعض الضجر واحب  
 ان ينزل الله العذاب بمن ابى من قومه فأمر بالصبر وترك الاستجمال ثم اخبر ان ذلك  
 العذاب منهم قريب وانه نازل بهم لامحالة وان تأخرو عند نزول ذلك العذاب بهم  
 يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار والمعنى انهم اذا عابوا  
 العذاب صار طول لبثهم فى الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من النهار او كأن لم يكن لهول  
 ما عابوا اولان الشئ اذا مضى صار كأنه لم يكن وان كان طويلا قال الشاعر  
 كأن شيئا لم يكن اذا مضى \* كأن شيئا لم يزل اذا أتى  
 واعلم انه تم الكلام ههنا ثم قال تعالى بلاغ اى هذا بلاغ ونظيره قوله تعالى هذا بلاغ  
 للناس اى هذا الذى وعظتم به فيه كفاية فى الموعظة او هذا تبليغ من الرسل فهل يهلك  
 الا الخارجون عن الاتعاض به والعمل بموجبه والله اعلم ( قال المصنف رحمه الله تعالى ) ثم  
 تفسير هذه السورة يوم الاربعاء العشرين من ذى الحجة سنة ثلاث وستمائة والحمد لله  
 رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد وآله واصحابه وازواجه والتابعين لهم باحسان الى  
 يوم الدين

( سورة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثون وتسع آيات مكية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم ) اول هذه السورة مناسب لآخر  
 السورة المتقدمة فان آخرها قوله تعالى فهل يهلك الا القوم الفاسقون فان قال قائل  
 كيف يهلك الفاسق وله اعمال صالحة كاطعام الطعام وصلة الارحام وغير ذلك مما

الصابرون على بلاء الله كنوح صبر  
 على اذية قومه كانوا يضربونه  
 حتى يغشى عليه وابراهيم صبر على  
 النار وعلى ذبح ولده والذبح على  
 الذبح ويعقوب على فقد الولد  
 والبصر ويوسف على الحب  
 والسجن وايوب على الضر وموسى  
 قال له قومه انا لندركون قال كلا  
 ان معى ربى سيهدين وداود بكى على  
 خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع  
 لينة على لينة صلوات الله تعالى  
 وسلامه عليهم اجمعين ( ولا تستجمل  
 لهم ) اى لكفار مكة بالعذاب فانه  
 على شرف النزول بهم ( كأنهم يوم  
 يرون ما يوعدون ) من العذاب  
 ( لم يلبثوا ) فى الدنيا ( الا ساعة )  
 يسيرة ( من نهار ) لما يشاهدون  
 من شدة العذاب وطول مدته  
 وقوله تعالى ( بلاغ ) خبر مبتدأ  
 محذوف اى هذا الذى وعظتم به  
 كفاية فى الموعظة او تبليغ  
 من الرسول

لا يخلو عنه الانسان في طول عمره فيكون في اهلاكه اهدار عمله وقد قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وقال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل اعمالهم اى لم يبق لهم عمل ولم يوجد فلم يمنع الاهلاك وسنين كيف ابطال الاعمال مع تحقيق القول فيه وتعالى الله عن الظلم وفي التفسير مسائل ( المسئلة الاولى ) من المراد بقوله الذين كفروا قلنا فيه وجوه (الاول) هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر منهم ابو جهل والحارث ابناه شام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم (الثاني) كفار قريش (الثالث) اهل الكتاب (الرابع) هو عام يدخل فيه كل كافر (المسئلة الثانية) في الصد وجها (احدهما) صدوا انفسهم معناه انهم صدوا انفسهم عن السبيل ومنعوا عقولهم من اتباع الدليل (وثانيهما) صدوا غيرهم ومنعواهم كما قال تعالى عن المستضعفين قال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكانا مؤمنين وعلى هذا فيه بحث وهو ان اضلال الاعمال مرتب على الكفر والصد والمستضعفون لم يصدوا فلا يضل اعمالهم فنقول التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ما عداه ولا سيما اذا كان المذكور اولى بالذكر من غيره وههنا الكافر الصاد ادخل في الفساد فصار هو اولى بالذكر او تقول كل من كفر صار صاددا لغيره اما المستكبر فظاهر واما المستضعف فلائنه بتابعته اثبت للمستكبر ما يمنعه من اتباع الرسول فانه بعد ما يكون متبوعا يشق عليه بأن يصير تابعا ولان كل من كفر صار صاددا لمن بعده لان مادة الكفار اتباع المتقدم كما قال عنهم انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آبارهم مهتدون او مقتدون فان قيل فعلى هذا كل كافر صادف الفأدة في ذكر الصد بعد الكفر فنقول هو من باب ذكر السبب وعطف السبب عليه تقول أكلت كثيرا وشبعت والكفر على هذا سبب الصد ثم اذا قلنا بأن المراد منه انهم صدوا انفسهم فقيه اشارة الى ان ما في الانفس من الفطرة كان داعيا الى الايمان والامتناع لما منع وهو الصد لنفسه ( المسئلة الثالثة ) في المصدود عنه وجوه (الاول) عن الاتفاق على محمد عليه السلام واصحابه (الثاني) عن الجهاد (الثالث) عن الايمان (الرابع) عن كل ما فيه طاعة الله تعالى وهو اتباع محمد عليه السلام وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم على الصراط المستقيم هاد اليه وهو صراط الله قال تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله فمن منع من اتباع محمد عليه السلام فقد صد عن سبيل الله ( المسئلة الرابعة ) في الاضلال وجوه (الاول) المراد منه الابطال ووجهه هو ان المراد انه اضله بحيث لا يجده فالطالب انما يطلبه في الوجود وما لا يوجد في الوجود فهو معدوم فان قيل كيف يبطل الله حسنة أوجدها فنقول ان الابطال على وجوه (احدها) يوازن بساكنهم الحسنات انى صدرت منهم ويسقطها بالموازنة ويبقى لهم سيئات محضة لان الكفر يزيد على غير الايمان من الحسنات والايمان يترجح على غير الكفر من السيئات (وثانيها) ابطالها لفقد شرط بواتها وابانها وهو الايمان لانه شرط قبول العمل قال تعالى من عمل صالحا من ذكر

ويؤيده انه قرئ \* بلغ وقرئ \* بلاغا اى باخوا بلاغا (فهو يهلك الا القوم الفاسقون) اى الخارجون عن الاعتنا به او عن الطاعة وقرئ \* بفتح الباء وكسر اللام ويفتحها من هلاك وهلاك وينون العظيمة من الاهلاك ونسب القوم ووصفه \* عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات لعدد كل رحمة في الدنيا \* سورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى سورة القتال وهى مدنية وقيل مكية وآياتها تسع او ثمان وثلاثون ) \*

\*(بسم الله الرحمن الرحيم)\*

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اى اعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد صدودا او منعوا الناس عن ذلك من صد صدوا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم اثنا عشر رجلا من اهل الشرك



اوانثى وهو مؤمن واذا لم يقبل الله العمل لا يكون له وجود لان العمل لا بقاء له في نفسه بل هو بعدم عقيب ما يوجد في الحقيقة غير ان الله تعالى يكتب عنده بفضلته ان فلانا عمل صالحا وعندى جزاؤه فيبقى حكما وهذا البقاء حكما خيرا من البقاء الذى للجسام التى هى محل الاعمال حقيقة فان الاجسام وان بقيت غير ان ماؤها الى الفناء والعمل الصالح من الباقيات عند الله ابدًا واذا ثبت هذا تبين ان الله بالقبول متفضل وقد اخبرناى لأقبل الامن مؤمن فمن عمل وتعب من غير سبق الايمان فهو المضيع تعب لاله تعالى (واللهما) لم يعمل الكافر عمله لوجه الله تعالى فلم يأت بخير فلا يرد علينا قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ويانه هو ان العمل لا يتميز الا بئنه العمل لا بالعمل ولا بنفس العمل وذلك لان من قام ليقول شخصا ولم يتفق قتله ثم قام ليكرمه ولم يتفق الاكرام ولا القتل وأخبره عن نفسه انه قام في اليوم القلاني لقتله وفي اليوم الآخر لاكرامه يتميز القيام لا بالنظر الى القيام فانه واحد ولا بالنظر الى القائم فانه حقيقة واحدة وانما يتميز بما كان لاجله القيام وكذلك من قام وقصد بقيامه اكرام الملك وقام وقصد بقيامه اكرام بعض العوام يتميز احدهما عن الآخر بمنزلة العمل لكن نسبة الله الكريم الى الاصنام فوق نسبة الملوك الى العوام فالعمل للاصنام ليس بخير ثم ان اتفق ان يقصد واحد بعمله وجه الله تعالى ومع ذلك يعبد الاوتان لا يكون عمله خيرا لان مثل ما أتى به لوجه الله اتى به للصنم النحوت فلا تعظيم (الوجه الثاني) الاضلال هو جعله مستهلكا وحقيقته هو انه اذا كفر وأتى للاججار والاشباح بالركوع والسجود فلم يبق لنفسه حرمة وفعله لا يبقى معتبرا بسبب كفره وهذا كمن يخدم عند الحارس والسايس اذا قام فالسلطان لا يعلم قيامه تعظيما لخسته كذلك الكافر واما المؤمن فبقدر ما يتكبر على غير الله بظهر تعظيمه لله كالملك الذى لا ينقاد لاحد اذا انقاد في وقت لملك من الملوك يتبين به عظمتة (الوجه الثالث) اضله اى اهمله وتركه كما يقال اضل بعيره اذا تركه مسيا فضاع ثم ان الله تعالى لما بين حال الكفار بين حال المؤمنين \* فقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قد ذكرنا مرارا ان الله تعالى كلما ذكر الايمان والعمل الصالح رتب عليهما المغفرة والاجر كما قال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم وقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم قلنا بأن المغفرة بواب الايمان والاجر على العمل الصالح واستوفينا البحث فيه في سورة العنكبوت فنقول ههنا جزء ذلك قوله كفر عنهم سيئاتهم اشارة الى ما يتب على الايمان وقوله اصلح بالهم اشارة الى ما ينبى على العمل الصالح (المسئلة الثانية) قالت المعزلة تكفير السيئات مرتب على الايمان والعمل الصالح فمن آمن ولم يعمل الصالحات يبقى في العذاب خالدا فنقول او كان كما ذكرتم لكان الاضلال مرتبا على الكفر والصد فمن يكفر لا ينبغي ان تنزل اعماله او نقول قد ذكرنا ان

كانوا يصدون الناس عن الاسلام  
وبأسروهم بالكفر وقيل اهل  
الكتاب الذين كفروا وصدوا  
من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل  
في الاسلام وقيل هو عام في كل من  
كفر وصد (اضل اعمالهم) اى  
أبطلها وأحبطها وجعلها ضائعة  
لا اثر لها اصلا لكن لا معنى انه  
أبطلها وأحبطها بعد ان لم تكن  
كذلك بل معنى انه حكم ببطلانها  
وضياعها فان ما كانوا يعملون من  
اعمال البر كصلة الارحام وقرى  
الاضياى وفك الاسارى وغيرها  
من المكارم ليس لها أثر من اصلها  
لعدم معارضةها للايمان او ابطال  
ما عملوه من الكبد لرسول الله صلى  
الله عليه وسلم والصد عن سبيله  
بضر رسوله واطهار دينه على  
الدين كله وهو الاوفق لما سيأتى  
من قوله تعالى فتعسالم واضل  
اعمالهم وقوله تعالى فاذا لقيتم

الله تعالى رتب امرين على امرين فمن آمن كفر سيئاته ومن عمل صالحا صلح باله وانقول  
اى مؤمن يتصور انه غيرأت بالصالحات بحيث لا يصدر عنه صلاة ولا صيام ولا صدقة  
ولا اطعام وعلى هذا فقوله وعملوا عطف المسبب على السبب كما قلنا فى قول القائل أكلت  
كثيرا وشبعت (المسئلة الثالثة) قوله وآمنوا بما نزل على محمد مع ان قوله آمنوا وعملوا  
الصالحات أفاد هذا المعنى فإ الحكمة فيه وكيف وجهه فقول اما وجهه فبيان من  
وجوه (الاول) قوله والذين آمنوا اى بالله ورسوله واليوم الآخر وقوله وآمنوا بما  
نزل اى بجميع الاشياء الواردة فى كلام الله ورسوله نعيم بعد امور خاصة وهو حسن  
تقول خلق الله السموات والارض وكل شىء اما على معنى وكل شىء غير ما ذكرنا واما على  
العموم بعد ذكر الخصوص (الثانى) ان يكون المعنى آمنوا وآمنوا من قبل بما نزل على  
محمد وهو الحق المجزى الفارق بين الكاذب والصادق يعنى آمنوا ولا بالمجزى وايقنوا بان  
القرآن لا يأتى به غير الله فآمنوا وعملوا الصالحات والواو للجمع المطلق ويجوز ان يكون  
التأخر ذكرا متقدما وقوما وهذا كقول القائل آمن به وكان الايمان به واجبا او يكون  
بينا لايمانهم كأنهم آمنوا وآمنوا بما نزل على محمد اى آمنوا وآمنوا بالحق كما يقول  
القائل خرجت وخرجت مصيبا اى وكان خروجى جيدا حيث نجوت من كذا وربحت  
كذا فكذلك لما قال آمنوا بين ان ايمانهم كان بما امر الله وانزل الله لا بما كان باطلا من  
عند غير الله (الثالث) ما قاله اهل المعرفة وهو ان العلم بالعمل والعلم بالعلم يحصل  
ليعمل به لما جاء اذا عمل العالم العمل الصالح علم ما لم يكن يعلم فيعلم الانسان مثلا قدرة الله  
بالدليل وعلمه وامره فيعمله الامر على الفعل ويبحثه عليه علمه فعلمه بحاله وقدرته على ثوابه  
وعقابه فاذا اتى بالعمل الصالح علم من انواع مقدورات الله ومعلومات الله تعالى ما لم يعلمه  
احدا لا باطلاع الله عليه وبكشفه ذلك له فيؤمن وهذا هو المعنى فى قوله هو الذى انزل  
السكينة فى قلوب المؤمنين ليردادوا ايمانا مع ايمانهم فاذا آمن المكلف بمحمد بالبرهان  
وبالمجزة وعمل صالحا حمله علمه على ان يؤمن بكل ما قاله محمد ولم يجد فى نفسه شكوا للمؤمن  
فى المرتبة الاولى احوال وفى المرتبة الاخيرة احوال اما فى الايمان بالله فى الاول يجعل  
الله معبودا وقد يقصد غيره فى حوائجه فيطلب الرزق من زيد وعمر ويجعل امرا سيبا  
لامر وفى الاخيرة يجعل الله مقصودا ولا يقصد غيره ولا يرى الا منه سره وجهه فلا ينيب  
الى شىء فى شىء فهذا هو الايمان الآخر بالله وذلك الايمان الاول واما فى النى صلى الله  
عليه وسلم فيقول اولا هو صادق فيما ينطق ويقول آخر لا نطق له الا بالله ولا كلام يسمع  
منه الا وهو من الله فهو فى الاول يقول بالصدق ووقوعه منه وفى الثانى يقول بعدم  
امكان الكذب منه لان حاكى كلام الغير لا ينسب اليه الكذب ولا يمكن الا فى نفس  
الحكاية وقد علم هو انه حاكى عنه كما قاله واما فى المرتبة الاولى فيجعل الحشر مستقبلا والحياة  
العاجلة حالا وفى المرتبة الاخيرة يجعل الحشر حالا والحياة الدنيا ماضيا فيقسم حياة نفسه

الح (والذين آمنوا وعملوا  
الصالحات) وقيل هم ناس من  
قريش وقيل من الانصار وقيل  
هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل  
عام لكل (وآمنوا بما نزل على  
محمد) خص بالذكر الايمان بذلك  
مع اندراجها فيما قبله تنويها بشأنه  
وتنبيهها على سمو مكانه من بين  
سائر ما يجب الايمان به وانه الاصل  
فى الكل ولذلك كد بقوله تعالى  
(وهو الحق من ربهم) بطريق  
حصر الحقية فيه وقيل حقيقته  
بكونه ناسخا غير منسوخ فالحق  
على هذا مقابل الزائل وعلى  
الاول مقابل الباطل وايا ما كان  
فقوله تعالى من ربهم حال من ضمير  
الحق وقرئ نزل على البناء  
للفاعل وانزل على البناء ونزل  
بالتحفيف (كفر عنهم سيئاتهم)  
اى سترها بالايمان والعمل  
الصالح (واصلح بهم) اى حالهم  
فى الدين والدنيا بالتأيد

في كل لحظة ويجعل الدنيا كما هادما لا يلتفت اليها ولا يقبل عليها ( المسئلة الرابعة ) قوله  
 وآمنوا بما نزل على محمد هو في مقابلة قوله في حق الكافر وصدوا لا نابينا في وجهه ان المراد  
 بهم صدوا عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وهذا حث على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم  
 فهم صدوا انفسهم عن سبيل الله وهو محمد عليه السلام وما ازل عليه وهؤلاء حنوا  
 انفسهم على اتباع سبيله لاجرم حصل لهؤلاء ضدا حصل لاولئك فأصل الله حسنات  
 أولئك وستر على سيئات هؤلاء ( المسئلة الخامسة ) قوله تعالى وهو الحق من ربهم هل يمكن  
 ان يكون من ربهم وصفا فارقا كما يقال رأيت رجلا من بغداد فيصير وصفا للرجل  
 فارقا بينه وبين من يكون من الموصل وغيره نقول لا لان كل ما كان من الله فهو الحق  
 فليس هذا هو الحق من ربهم بل قوله من ربهم خبر بعد خبر كأنه قال وهو الحق وهو من  
 ربهم وان كان وصفا فارقا فهو على معنى انه الحق البازل من ربهم لان الحق قد يكون  
 مشاهدا فان كون الشمس مضئية حق وهو ليس نازلا من الرب بل هو علم حاصل بطريق  
 يسره الله تعالى لنا ثم قال تعالى ( كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ) اي سترها وفيه اشارة الى  
 بشاره ما كانت تحصل بقوله اعدمها ومحاهها لان محو الشيء لا يثبت عن اثبات امر آخر مكانه  
 واما الستر فينبى عنه وذلك لان من يريد ستر ثوب بال او وسخ لا يستره بمثله وانما يستره بنوب  
 نفيس نظيف ولا سيما الملك الجواد اذا ستر على عبده من عبده ثوبه البالي امر باحضار ثوب  
 من الجنس العالي لا يحصل الا بالثمن العالي فيلبس هذا هو الستر بينه وبين المحبوبين  
 وكذلك المغفرة فان المغفرة والتكفير من باب واحد في المعنى وهذا هو المذكور في قوله  
 تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقوله وأصلح بالهم اشارة الى ما ذكرنا من انه  
 يبدلها حسنة فان قيل كيف تبدل السيئة حسنة نقول معناه انه يحجزه بعد سيئاته  
 ما يحجز المحسن على احسانه فان قال الاستكال باق وباد وما زال بل زاد فان الله تعالى  
 لو أناب على السيئة كما يثيب عن الحسنه لكان ذلك حثا على السيئة نقول ما قلنا انه يثيب  
 على السيئة وانما قلنا انه يثيب بعد السيئة بما يثيب على الحسنه وذلك حيث يأتي المؤمن  
 بسيئة ثم يثيبه ويندم ويقف بين يدي ربه معترفا بذنبه مستحقرا لنفسه فيصير اقرب الى  
 الرحمة من الذي لم يذنب ودخل على ربه مقتخرا في نفسه فصار الذنب شرطا للندم والثواب  
 ليس على السيئة وانما هو على الندم وكان الله تعالى قال عبدي اذنب ورجع الى ففعله  
 سيئ لكن ظنه بي حسن حيث لم يجد ملجأ غيري فاتكل على فضلي والظن عمل القلب  
 والفعل عمل البدن واعتبار عمل القلب اولى الا ترى ان النائم والمغمى عليه لا يلتفت الى  
 عمل بدنه والمفلوج الذي لا حركة له يعتبر بقصد قلبه ومثال الروح والبدن راكب دابة ركض  
 فرسه بين يدي ملك يدفع عنه العدو بسيفه وسانه والفرس يلطخ ثوب الملك بركضه في  
 استنائه فهل يلتفت الى فعل الدابة مع فعل الفارس بل لو كان الراكب فارغا والفرس  
 يؤذى بالتلويث يخاطب الفارس به فكذلك الروح راكب والبدن مراكوب فان كانت

والتوفيق ( ذلك ) اشارة الى ما مر  
 من اضلال الاعمال وتكفير  
 السيئات واصلاح البال وهو  
 مبتدأ خبره قوله تعالى ( بأن  
 الذين كفروا اتبعوا الباطل وان  
 الذين آمنوا اتبعوا الحق من  
 ربهم ) اي ذلك كائن بسبب ان  
 الاولين اتبعوا الشيطان كإفاله  
 جهاد ففعلوا ما فعلوا من الكفر  
 والصدقيان سبية اتباعه للاضلال  
 المذكور متضمن لبيان سبب حاله  
 لكونه اصلا مستتبعا لهما قطعا  
 وبسبب ان الآخرين اتبعوا  
 الحق الذي لا يحيد عنه كائنا من  
 ربهم ففعلوا ما فعلوا من الايمان  
 به وبكسبه ومن الاعمال الصالحة  
 فيبان سببية اتباعه لما ذكره من  
 التكفير والاصلاح بمد الاشعار  
 بسببية الايمان والعمل الصالح له  
 متضمن لبيان سببهما له لكونه  
 مبدأ ومنشأ لهم ماحقا فلا تدافع  
 بين الاشعار والنصريح في نحو

الروح مشغولة بعبادة الله وذكره ويصدر من البدن شيء لا يلتفت اليه بل يستحسن منه ذلك ويزاد في تربية الفرس الرأى وبهجرة الفرس الواقف وان كان غير مشغول فهو مؤاخذ بأفعال البدن \* ثم قال تعالى (ذلك بأن الدين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) أى ذلك الاضلال والابطال بسبب اتباعهم الباطل وفيه مسائل (المسئلة الاولى) فى الباطل وجوه (الاول) ما لا يجوز وجوده وذلك لانهم اتبعوا الها غير الله واله غير الله محال الوجود وهو الباطل وغاية الباطل لان الباطل هو المعدوم يقال بطل كذا أى عدم والمعدوم الذى لا يجوز وجوده لا يمكن ان يوجد ولا يجوز ان يصير حقا موجودا فهو فى غاية البطلان فعلى هذا فالخلق هو الذى لا يمكن عدمه وهو الله تعالى وذلك لان الحق هو الموجود يقال نحقق الامرأى وجد ونبت والموجود الذى لا يجوز عدمه هو فى غاية التثبت (الثانى) الباطل الشيطان بدليل قوله تعالى لا مثلاً لآلهم منك ومن تبعك منهم اجمعين فبين ان الشيطان متبوع واتباعه هم الكفار والفجار وعلى هذا فالخلق هو الله لانه تعالى جعل فى مقابلة حزب الشيطان حزب الله (الثالث) الباطل هو قول كبرائهم ودين آبائهم كما قال تعالى عنهم انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آذانهم مهتدون او مقتدون فعلى هذا الحق ما قاله النبى عليه السلام عن الله (الرابع) الباطل كل ما سوى الله تعالى لان الباطل والهالك بمعنى واحد وكل شيء هالك الا وجهه وعلى هذا فالخلق هو الله تعالى ايضا (المسئلة الثانية) لوقال قائل من ربهم لا يلائم الاوجهها واحدا من اربعة اوجه وهو قولنا المراد من الحق هو ما نزل الله وما قال النبى عليه السلام من الله فأما على قولنا الحق هو الله فكيف يصح قوله اتبعوا الحق من ربهم نقول على هذا من ربهم لا يكون متعلقا بالحق وانما يكون تعلقه بقوله تعالى اتبعوا اى اتبعوا امر ربهم اى من فضل الله او هداية ربهم اتبعوا الحق وهو الله سبحانه (المسئلة الثالثة) اذا كان الباطل هو المعدوم الذى لا يجوز وجوده فكيف يمكن اتباعه نقول لما كانوا يقولون انما يعملون للاصنام وهى آلهة وهى تؤجرهم بذلك كانوا متبعين فى زعمهم ولا متبع هناك (المسئلة الرابعة) قال فى حق المؤمنين اتبعوا الحق من ربهم وقال فى حق الكفار اتبعوا الباطل من آلهتهم او الشيطان نقول اما آلهتهم فلائهم لا كلام لهم ولا عقل وحيث نطقهم الله ينكرون فعلهم كما قال تعالى ويوم القيامة يكفرون بسرهم وقال تعالى وكانوا بعبادتهم كافرين والله تعالى رضى بفعلهم ونبههم عليه ويحتمل ان يقال قوله من ربهم عائدا الى الامر بن جميعا اى من ربهم اتبع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق اى من حكم ربهم ومن عند ربهم \* ثم قال تعالى (كذلك يضرب الله للناس امثالهم) وفيه ايضا مسائل (المسئلة الاولى) اى مل ضرره الله تعالى حتى يقول كذلك يضرب الله للناس امثالهم نقول فيه وجهان (احدهما) اضلال اعمال الكفار وتكفير سيئات الابرار (الثانى) كون الكافر متبعا للباطل وكون المؤمن متبعا للحق ويحتمل وجهين آخرين

من الموضعين ويجوز ان يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل الداهى الذى لا اصل له اصلا فالتمريض نسبة اتباعه لاضلال اعمالهم وانطالها البيان ان انطالها لبطلان مبناها وزواله واما حله على ما لا ينتمى به فليس كما ينبغي لما ان الكفر والصدأ حش منه فلا وجه للتمريض بسببته لما ذكر من اضلال اعمالهم لطريق الفسر بعد الاشعار بسببتهما له فتدبر ويجوز ان يراد بالباطل نفس الكفر والصدأ بالحق نفس الايمان والاعمال الصالحة فيكون النصيب على سببتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تصرحها بالسبب والشعر بها فى الموقعين (كذلك) اى مثل ذلك الضرب المديح (يضرب الله) اى يبين (للباس امثالهم) اى احوال الفريقين واوصافهما الجارية فى العرانة

(أحدهما) على قولنا من ربهم أي من عند ربهم اتبع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق نقول هذا مل يضرب عليه جميع الامثال فان الكل من عند الله الاضلال وغيره والاتباع وغيره (وثانيهما) هو ان الله تعالى لما بين ان الكافر يضل الله عمله والمؤمن بكفر الله سياكته وكان بين الكفر والايمان مبانة ظاهرة فانهما ضدان نبه على ان السبب كذا أي ليس الاضلال والتكفير بسبب المضادة والاختلاف بل بسبب اتباع الحق والباطل واذاعلم السبب فالفلان قد يتحذر صورة وحقيقة واحدهما يورث ابطال الاعمال والآخر يورث تكفير السياك بسبب ان احدهما يكون فيه اتباع الحق والآخر اتباع الباطل فان من يؤمن ظاهرا وقلبه مملوء من الكفر ومن يؤمن بقلبه وقلبه مملوء من الايمان اتحد فعلاهما في الظاهر وهما مختلفان بسبب اتباع الحق واتباع الباطل لا بدع من ذلك فان من يؤمن ظاهرا وهو يسر الكفر ومن يكفر ظاهرا بالاكرام وقلبه مطمئن بالايمان اختلف الفعلان في الظاهر وابطال الاعمال لمن اظهر الايمان بسبب ان اتباع الباطل من جانبه فكأنه تعالى قال الكفر والايمان متلازمان يثبت فيهما حكمان وعلم سببه وهو اتباع الحق والباطل فكذلك اعلما ان كل شيء اتبع فيه الحق كان مقبولا منا باعليه وكل امر اتبع فيه الباطل كان مردودا معاقبا عليه فصار هذا عاما في الامثال على ان نقول قوله كذلك لا يستدعي ان يكون هناك مل مضروب بل معناه انه تعالى لما بين حال الكافر واضلال اعماله وحال المؤمن وتكفير سياكته وبين السبب فيهما كان ذلك غاية الايضاح فقال كذلك أي مثل هذا البيان يضرب الله للناس أمثالهم وبين لهم احوالهم (المسئلة الثانية) الضمير في قوله امثالهم عائدا الى من فيه وجهان (أحدهما) الى الناس كافة قال تعالى يضرب الله للناس أمثالهم على انفسهم (وثانيهما) الى الفريقين السابقين في الذكر معناه يضرب الله للناس امثال الفريقين السابقين ثم قال تعالى (فاذا القيم الذين كفروا فاضرب الرقاب حتى اذا اخنتموهم) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الفاء في قوله فاذا لقيم يستدعي متعلقا يتعلق به ويترب عليه فاوجه التعلق بما قبله نقول هو من وجوه (الاول) لما بين ان الذين كفروا أضل الله اعمالهم واعتبار الانسان بالعمل ومن لم يكن له عمل فهو ههيج فان صار مع ذلك يؤذى حسن اعدامه فاذا القيم بعد ظهور ان لا حرمة لهم وبعد ابطال اعمالهم فاضربوا اعناقهم (الثاني) اذا بين تباين الفريقين وتساعد الفريقين وان احدهما يتبع الباطل وهو حزب الشيطان والاخر يتبع الحق وهو حزب الرحمن حق القتال عند الحزب فاذا القيموهم فاقتلوهم (الثالث) ان من الناس من يقول لضعف قلبه وقصور نظره ايلام الحيوان من الظلم والطغيان ولا سيما القتل الذي هو تخريب بنيان فيقال ردا عليهم لما كان اعتبار الاعمال باتباع الحق والباطل فمن يقتل في سبيل الله لتعظيم امر الله لهم من الاجر ما المصلي والصائم فاذا القيم الذين كفروا فاقتلوهم ولا تأخذكم بهما رأفة فان ذلك اتباع للحق والاعتبار به لا بصورة الفعل (المسئلة الثانية)

محرى الامثال وهي اتباع الاولين الباطل وخيبتهم وحسرتهم واتباع الآخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والقائه في قوله تعالى (فاذا القيم الذين كفروا) الترتيب ما في حيزها من الامر على ما قبلها فان ضلال اعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح احوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب ان يرب على كل من الحائنين ما يليق به من الاحكام اي فاذا كان الامر كما ذكر فاذا القيموهم في المحاربة (فضر الرقاب) اصله فاضربوا الرقاب ضربا فخذى الفعل وقدم المصدر واتيب منبه مضافا الى المفعول وفيه اخصار ووا كيد بليغ والتعبير به عن الفعل تصوير له بأسع صورة وتهويل لاسره وارشاد للعراة الى اليسر ما يكون

فضرب منصوب على المصدر أى فاضربوا ضرب الرقاب (المسئلة الثالثة) ما الحكمه في اختيار ضرب الرقبه على غيرها من الاعضاء نقول فيه لما بين ان المؤمن ليس يدافع انما هو دافع وذلك ان من يدفع الصائل لا ينبغي ان يقصد اولاً مقتله بل يتدرج ويضرب على غير المقتل فان اندفع فذاك ولا يترقى الى درجة الاهلاك فقال تعالى ليس المقصود الا دفعهم عن وجه الارض وتطهير الارض منهم وكيف لا والارض لكم مسجودا والمشركون نجس والمسجد يطهر عن النجاسة فاذن ينبغي ان يكون قصدكم اولاً الى قتلهم بخلاف دفع الصائل والرقبة اظهر المقاتل لان قطع الخلقوم والوداج مستلزم للموت لكن في الحرب لا تنهياً ذلك والرقبة ظاهرة في الحرب ففي ضربها حز العنق وهو مستلزم للموت بخلاف سائر المواضع ولا سيما في الحرب وفي قوله لقيتم ما ينبغي عن مخالفتهم الصائل لان قوله لقيتم يدل على ان القصد من جانبهم بخلاف قولنا لقيكم ولذلك قال في غير هذا الموضع فاقتلوهم حيث تفقتوهم (المسئلة الرابعة) قال ههنا ضرب الرقاب باظهار المصدر وترك الفعل وقال في الانتقال فاضربوا فوق الاعناق باظهار الفعل وترك المصدر فهل فيه فائدة نقول نعم ولتبيينها بتقديم مقدمة وهى ان المقصود اولاً في بعض السور قد يكون صدور الفعل من فاعل ويتبعه المصدر ضمناً اذ لا يمكن ان يفعل فاعل الا ويقع منه المصدر في الوجود وقد يكون المقصود اولاً المصدر ولكنه لا يوجد الامن فاعل فيطلب منه ان يفعل مثاله من قال انى حلفت ان اخرج من المدينة فيقال له فاخرج صار المقصود منه صدور الفعل منه والخروج في نفسه غير مقصود الانتفاء ولو امكن ان يخرج من غير تحقق الخروج منه لما كان عليه الا ان يخرج لكن من ضرورات الخروج ان يخرج فاذا قال قاتل ضاق بي المكان بسبب الاعداء فيقال له مثلاً الخروج يعنى الخروج فاخرج فان الخروج هو المطلوب حتى لو امكن الخروج من غير فاعل لحصل الغرض لكنه محال فيتبعه الفعل اذا عرفت هذا فقول في الانمال الحكاية عن الحرب الكائنة وهم كانوا فيها والملائكة انزلوا لصرة من حضر في صف القتال فصدور الفعل منه مطلوب وهما الامر وارد وليس في وقت القتال بدليل قوله تعالى فاذا لقيتم والمقصود بيان كون المصدر مطلوباً بالتقدم المأمور على الفعل قال فضرب الرقاب وفيما ذكرنا تبين فائدة اخرى وهى ان الله تعالى قال هناك واضربوا مهم كل بنان وذلك لان الوقت وقت القتال فأرسلهم الى المقتل وغيره ان لم يصيبوا المقتل وههنا ليس وقت القتال فينبى ان المقصود القتل وغرض المسلم ذلك (المسئلة الخامسة) حتى لبيان غاية الامر لالبيان غاية القتل أى حتى اذا انخسموهم لا يبقى الامر بالقتل ويبقى الجواز ولو كان لبيان القتل لما جاز القتل والقتل جائز اذا تحقق المخن بالشبح الهرم والمراد كما اذا قطعت يده ورجلاه فهى عن قتله \* ثم قال تعالى (فشذوا الوفاق) امر ارشاد \* ثم قال تعالى (فاما ما بعد واما فداء) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اما وانما المحصر وحالهم بعد الاسر غير منحصر

منه (حتى اذا انخسموهم) أى اكثرتم قتلهم واعظنوه من الشئ الثخين وهو الغليظ او انقثوهم بالقتل والجراح حتى ادهبتم عنهم الهوى (فشذوا الوفاق) فأسروهم واحفظوهم والوفاق اسم لما يوثق به وكذا الوفاق بالكسر وقد قرئ بذلك (فاما ما بعد واما فداء) أى فاما تمسوا من بعد ذلك او قدون فداء والمعنى التصييرين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذانابت عند الشافعى رجه الله تعالى وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل او الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء اتما هو الاسلام او ضرب العنق

في الامرين بل يجوز القتل والاسترقاق والمن والفداء نقول هذا ارشاد فذكر الامر العام الجائر في سائر الاجناس والاسترقاق غير جائز في اسرار العرب فان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم فلم يذكر الاسترقاق واما القتل فلان الظاهر في المنعن الا زمان ولان القتل ذكره بقوله فضرب الرقاب فلم يبق الا الامران (المسئلة الثانية) ما وفاء منصوبان لكونهما مصدرين تقديره فاما تمون وما واما تمدون فداء وتقديم المن على الفداء اساره الى ترجيح حرمة النفس على طلب المال والفداء يجوز ان يكون مالا وان يكون غيره من الاسرى او سرتا سرت عليهم او عليه وحده (المسئلة الثالثة) اذا قدرنا الفعل وهو تمون او تمدون على تقدير المفعول حتى نقول اما تمون عليهم منا او تمدونهم فداء نقول لا لان المقصود المن والفداء لاعليهم وبهم كما يقول الفائل فلا يعطى ويمنع ولا يقال يعطى زيدا ويمنع عمر الا ان غرضه ذكر كونه فاعلا لبيان المفعول وكذلك ههنا المقصود ارشاد المؤمنين الى الفضل \* ثم قال تعالى (حتى تضع الحرب اوزارها) وفي تعلق حتى وجهان (احدهما) تعلقها بالقتل اى اقبلوهم حتى تضع (وبانيهما) بالمن والفداء ويحتمل ان يقال متعلقة بشدوا الوثاق وتعلقها بالقتل اظهر وان كان ذكره ابعد وفي الاوزار وجهان (احدهما) السلاح (والثاني) الآثام وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ان كان المراد الام فكيف تضع الحرب الام والام على المحارب وكذلك السؤال في السلاح لكنه على الاول اسد توجهها فقول تضع الحرب الاوزار لان نفسها بل تضع الاوزار التي على المحاربين والسلاح الذي عليهم (المسئلة الثانية) هل هذا كقوله تعالى واسئل القرية حتى يكون كأنه قال حتى تضع امة الحرب او فرقة الحرب اوزارها نقول ذلك محتمل في النظر الاول لكن اذا امعيت في المعنى تجد بينهما فرقا وذلك لان المقصود من قوله حتى تضع الحرب اوزارها انقراض الحرب بالكيفية بحيث لا يبقى في الدنيا حرب من احزاب الكفر بحارب حزب من احزاب الاسلام ولو قلنا حتى تضع امة الحرب جار ان يصعوا الاسلحة ويتركوا الحرب وهى باقية مادتها كما تقول خصوصيتى ما انفصلت ولكنى تركتها في هذه الايام واذا اسدنا الوضع الى الحرب يكون معادها ان الحرب لم يبق (المسئلة الثالثة) لو قال حتى لا يبقى حرب او نفر من الحرب هل يحصل معنى قوله حتى تضع الحرب اوزارها نقول لا والتفاوت بين العبارتين مع قطع النظر عن السلم بل النثر الى نفس المعنى كالتفاوت بين قولك انقضت دولة بنى أمية وقولك لم يبق من دولتهم اى دولتنا ان الباقى ابلغ فكذلك ههنا قوله تعالى اوزارها معنا آبارها فان اوزار الحرب من آثارها (المسئلة الرابعة) وقت وضع اوزار الحرب متى هو نقول فيه اقوال حاصلها راجع الى ان ذلك الوقت هو الوقت الذي لا يبقى فيه حزب من احزاب الاسلام وحرب من احزاب الكفر وقيل ذلك عند قتال الدجال ونزول عيسى عليه السلام \* ثم قال تعالى (ذلك ولو يساء الله لا تنصروهم) في معنى ذلك وجهان (احدهما) الامر بذلك والمستأ محذوف ويحتمل ان يقال ذلك واجب او مقدم

وروى فدا كصا (حتى تضع الحرب اوزارها) اوزار الحرب آلتها وأعمالها التي لا تقوم الا بها من السلاح والكراع واسند وضعها اليها وهو لاهلها اسادا عماريا وحتى عايه عند الساقى لاحد الامور الاربعه او المجموع والمعنى اسم لا يرالون على ذلك اى الى ان لا يكون مع المشركين حرب بأن لا يبقى لهم شوكة وفعل يأبى يزل عسى عليه السلام وأما عند اى حقيقه رجه الله تعالى فان حل الحرب على حرب بدرهه عايه لمن والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها وان جلت على الحس فهى عاية للضرب والسد والمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع حس الحرب اوزارها بأن لا يبقى للمشركين شوكة وقيل اوزارها آماهما اى حتى يترك المشركون تركهم ومعاصيهم بأن اسلموا (ذلك) اى الامر بذلك وافعلوا ذلك (ولو يساء الله لا تنصروهم) لانهم مهم ببعض اسباب الهلكة والاستئصال (ولكن) لم يسأ ذلك (لبلو بعضكم



كما يقول القائل ان فعلت فذاك اي فذاك مقصود ومطلوب ثم بين ان قتالهم ليس طريقا متعينا بل الله لو اراد اهلكهم من غير جند \* قوله تعالى (ولكن ليلو بعضكم بعضا) اي ولكن ليكلفكم به فيحصل لكم شرف باختياره اياكم لهذا الامر فان قيل ما التحقيق في قولنا التكليف ابتلاء وامتحان والله يعلم السر وأخفى وماذا يفهم من قوله ولكن ليلو بعضكم بعضا نقول فيه وجوه (الاول) ان المراد منه يفعل ذلك فعل المبتلين اي كما يفعل المستلي المختبر ومنها ان الله تعالى يلو ليظهر الامر لغيره املاء الملائكة واما لباس والتحقيق هو ان الابتلاء والامتحان والاختبار فعل يظهر بسببه امر غير متعين عند العقلاء بالنسبة اليه قصدا الى ظهوره وقولنا فعل يظهر بسببه امر ظاهر الدخول في مفهوم الابتلاء لان ما لا يظهر بسببه شيء اصلا لا يسمى ابتلاء واما قولنا امر غير متعين عند العقلاء وذلك لان من يضرب بسيفه على القاء واختيار لا يقال انه يتمن لان الامر الذي يظهر منه متعين وهو القطع والقدر بقتل سبعة سباعا يقال يتمن سبعة لان الامر فيه غير متعين وقديقه وقد لا يقده واما قولنا ليظهر منه ذلك فلان من يضرب سباعا بسيفه ليدفعه عن نفسه يقال انه يتمن لان ضربه ليس لظهور امر متعين اذ اعلم هذا فقول الله تعالى اذا امرنا بفعل يظهر بسببه امر غير متعين وهو اما الطاعة او المعصية في العقول ليظهر ذلك يكون متمنا وان كان عالمه لكون عدم العلم مقارنا فينا لا ابتلاء فاذا ابتلينا وعدم العلم فينا مستمر امرنا وليس من ضرورات الابتلاء (فان قيل) الابتلاء فائدة حصول العلم عند المبتي فاذا كان الله تعالى عالما فأي فائدة فيه نقول ليس هذا سؤالا يختص بالابتلاء فان قول القائل لم ابتي كقول القائل لم اعاقب الكافر وهو مستغن ولم خلق النار محرقة وهو قادر على ان يخلقها بحيث تنفع ولا تضر (وجوابه) لا يسئل عما يفعل ونقول حينئذ ما قاله المتقدمون انه لظهور الامر المتعين لاله وبعد هذا فنقول المبتي لا حاجة له الى الامر الذي يظهر من الابتلاء فان المتمن للسيف فيما ذكرنا من الصورة لا حاجة له الى قطع ما يجرب السيف فيه حتى انه لو كان محتاجا كما ضربنا من مال دفع السع بالسيف لا يقال انه يتمن وقوله ليلو بعضكم بعضا إشارة الى عدم الحاجة تقرير قوله تعالى ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم \* ثم قال تعالى (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم) قرئ قتلوا وقاتلوا والكل مناسب لما تقدم وامان قرأ قتلوا فلانه لما قال فضر الرقاب ومعناه فاقتلوه بين المقاتل بقوله والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم رداعلى من زعم ان القتل فساد محرم اذ هو افاء من هو مكرم فقال عملهم ليس كحسنة الكافر يبطل بل هو فوق حسنات الكافر اضل الله اعمال الكفار ولن يضل القتالين فكيف يكون القتل سيئة واما من قرأ قاتلوا فهو اكرم فائدة واعم تناولا لانه يدخل فيه من سعى في القتل سواء قتل ولم يقتل وامان قرأ والذين قتلوا على البناء للمفعول فقول هي مناسبة لما تقدم من وجوه (احدها) هو انه تعالى لما قال فضر الرقاب اى اقتلوا والقتل لا يتأتى الا بالاقدام

بعض) فامرهم بالقتال وبلاكم بالكافرين ليجاهدوهم فستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم ليعالجهم على ايديكم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر (والذين قتلوا في سبيل الله) اي استشهدوا وقرئ قاتلوا اي جاهدوا وقتلوا وقتلوا (فلن يضل اعمالهم) اي فلن يضيعها وقرئ يضل اعمالهم على البناء للمفعول ويضل اعمالهم من ضل وعن قتادة انها زلت في يوم احد (سيديهم) في الدنيا الى ارشد الامور وفي الآخرة الى الثواب اوسيتبت هدايتهم (ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم) في الدنيا بذكر اوصافها بحيث اشتاقوا اليها وبينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدى اليه كما انه كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل ان الملاك الموكل بعمله في الدنيا يعني بين يديه فيعرفه كل شيء اعطاه الله تعالى اوطيئها لهم من العرف وهو طيب الرائحة واحدها لهم وأفرزها من عرف الدارحة كل منهم

وخوف ان يقتل المقدم يمنعه من الاقدام فقال لا تخافوا القتل فان من يقتل في سبيل الله له من الاجر والواب ما لا ينفع المقاتل من القتال بل يحثه عليه (وثانيها) هو انه تعالى لما قال ليلو بعضكم بعضا والمبتلى بالشيء له على كل وجه من وجوه الاثر الظاهر بالابتلاء حال من الاحوال فان السيف المحتمل تزيد قيمته على تقدير ان يقطع وتنقص على تقدير ان لا يقطع فحال المبتلين ماذا فقال ان قتل فلان لا يضل عمله ويهدى ويكرم ويدخل الجنة واما ان قتل فلا يخفى امره عاجلا وآجلا وترك بيانه على تقدير كونه قاتلا لظهوره وبين حاله على تقدير كونه مقتولا (ونالها) هو انه تعالى لما قال ليلوكم ولا يبتلى الشيء الفليس بما يخاف منه هلاكه فان السيف المهند العضب الكبير القيمة لا يجرب بالشيء الصلب الذي يخاف عليه منه الانكسار ولكن الاذى مكرم كرمه الله وشرفه وعظمه فلماذا ابتلاء بالقتال وهو يفضي الى القتل والهلاك افضاء غير نادر فكيف يحسن هذا الابتلاء فنقول القتل ليس باهلاك بالنسبة الى المؤمن فانه يورث الحياة الابدية فاذا ابتلاء بالقتال فهو على تقدير ان يقتل مكرم وعلى تقدير ان لا يقتل مكرم هذا ان قاتل وان لم يقاتل فالمرتبة لا بد منه وقد فوت على نفسه الاجر الكبير واما قوله تعالى فلن يضل اعمالهم قد علم معنى الاضلال بقى الفرق بين العبارتين في حق الكافر والضال قال اضل وقال في حق المؤمن الداعي لن يضل لان المقاتل داع الى الايمان لان قوله حق تضع الحرب اوزارها قد ذكر ان معناه حتى لم يبق اثم بسبب حرب وذلك حيث يسلم الكافر فالمقاتل يقول امان تسلم واما ان تقتل فهو داع والكافر صاد وبينهما تبان وتضاد فقال في حق الكافر اضل بصيغة الماضي ولم يقل يضل اشارة الى ان عمله حيث وجد عدمه وكأنه لم يوجد من اصله وقال في حق المؤمن فلن يضل ولم يقل ما اضل اشارة الى ان عمله كلما ثبت عليه انبت له فلن يضل للتأييد وبينهما غاية الخلاف كما ان بين الداعي والصاد غاية التباين والتضاد فان قيل ما معنى الفاء في قوله فلن يضل جوابه لان في قوله تعالى والذين قبلوا معنى النسرط \* وقوله تعالى (سيهديهم) ان قرئ قتلوا او قاتلوا فالهداية محمولة على الاجلة والعاجلة وان قرئ قتلوا فهو في الآخرة سيهديهم طريق الجنة من غير وقفة من قبورهم الى موضع حبورهم \* وقوله تعالى (ويصلح بالهم) قد تقدم تفسيره في قوله تعالى واصلح بالهم والماضي والمستقبل راجع الى ان هناك وعدهم ما وعدهم بسبب الايمان والعمل الصالح وذلك كان واقعا منهم فاخبر عن الجزاء بصيغة تدل على الوقوع وههنا وعدهم بسبب القتال والقتل فكان في اللفظ ما يدل على الاستقبال لان قوله تعالى فاذا القيم يدل على الاستقبال فقال ويصلح بالهم \* ثم قال تعالى (ويدخلهم الجنة) وكان الله تعالى عند حشرهم يهديهم الى طريق الجنة ويلبسهم في الطريق خلع الكرامة وهو اصلاح البال ويدخلهم الجنة فهو على ترتيب الوقوع \* واما قوله تعالى (عرفها لهم) فقيه وجوه (احداها) هو ان كل احد يعرف منزلته وما واه حتى ان اهل الجنة يكونون اعرف بمنزلهم فيما من اهل الجمعة يتسرون

معددة مفرزة والجمعة امام استأنفه احوال باخار قد اوبدونه (يا ايها الذين آمنوا ان تصروا لله اي دينه ورسوله) ينصركم على اعدائكم ويفتح لكم (ويثبت اعدائكم) في مواطن الحرب ومواقفها او على محبة الاسلام (والذين كفروا فتعسوا لهم) التمس الهلاك والعثار وال سقوط والشر والعدو والاضطراب ورجل تاغس وتغس واتصا به بفعله الواجب حذفه سمعا اي فقال تعسوا لهم او قضى تعسوا لهم وقوله تعالى (واضل اعمالهم) عطف عليه داخل معه في حيز الجزية للموصول (ذلك اي ما ذكر من التمس واضلال الاعمال) بأنهم بسبب انهم (كرهوا ما انزل الله) من القرآن لما فيه من التوحيد وسائر الاحكام المخالفة لما لوه واشتهته انفسهم الامارة بالسوء (فاحبط) لاجل ذلك (اعمالهم) التي لو كانوا عملوها مع الايمان لا ينيوا عليها (افل يسيروا في الارض) اي اعدوا في اماكنهم فلا يسيروا فيها (فينظروا كيف كان عاقبة الدين

في الارض كل احدياوى الى منزله ومنهم من قال الملك الموكل باعماله يهديه ( الوجه الثاني ) عرفها لهم اى طيبها يقال طعام معرف ( الوجه الثالث ) قال الزمخشري يحتمل ان يقال عرفها لهم حدددها من عرف الدار وارفعها اى حدددها وتحديدها في قوله وجنة عرضها السموات والارض ويحتمل ان يقال المراد هو قوله تعالى وتلك الجنة التي اورتقوها مشيرا اليها معرفا لهم بانها هي تلك وفي وجه آخر هو ان يقال معناه عرفها لهم قبل القتل فان الشهيد قبل وفاته تعرض عليه منزلته في الجنة فيشتاق اليه ( ووجه ثان ) معناه يدخلهم الجنة ولا حاجة الى وصفها فانه تعالى عرفها لهم مرارا ووصفها ( ووجه ثالث ) وهو من باب تعريف الضالة فان الله تعالى لما قال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فكأنه تعالى قال من يأخذ الجنة ويطلبها بماله او بنفسه فالذى قتل سمع التعريف وبذل ما طلب منه عليها فادخلها ثم انه تعالى لما عين ما على القتال من الثواب والاجر وعدهم بالنصر في الدنيا زيادة في الحث ليزداد منهم الاقدام \* فقال ( يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم ) وفي نصر الله تعالى وجوه ( الاول ) ان تنصروا دين الله وطريقه ( الثاني ) ان تنصروا حزب الله وفريقه ( الثالث ) المراد نصره الله حقيقة فنقول النصره تحقيق مطلوب احد المتعادين عند الاجتهاد والاختار في تحقيق علامته فالشيطان عدو الله يحتج في تحقيق الكفر وغلبة اهل الايمان والله يطلب تمع الكفر وهلاك اهل وافناء من اختار الاشراك به فحق نصره الله حيث حقق مطلوبه لا نقول حقق مراده فان الله لا يحققه غيره ومطلوبه عند اهل السنة غير مراده فانه طلب الايمان من الكافر ولم يرده والالوقع ثم قال ينصركم فان قيل فعلام قلت اذا نصر المؤمنين الله تعالى فقد حقق ما طلبه فكيف يحقق ما طلبه العبد وهو شئ واحد فنقول المؤمن ينصر الله بخروجه الى القتال واقدامه والله يتصره بتقويته وتثبيت اقدامه وارسال الملائكة الحافظين له من خلفه وقدامه \* ثم قال تعالى ( والذين كفروا فتعسا لهم ) هذا زيادة في تقوية قلوبهم لانه تعالى لما قال وينت اقدامكم جازان يتوهم ان الكافر ايضا يصبر وينت للقتال فيدوم القتال والحرب والطعان والضراب وفيه المشقة العظيمة فقال تعالى لكم الثبات ولهم الزوال والتغير والهلاك فلا يكون الثبات وسببه ظاهر لان الهتهم جادات لا قدرة لها ولا ثبات عندهم له قدرة فهي غير صالحة لدفع ما قدره الله تعالى عليهم من الدمار وعندها لا بد من زوال القدم والعار وقال في حق المؤمنين وينت بصغة الوعد لان الله تعالى لا يجب عليه شئ وقال في حقهم بصيغة الدعاء وهي ابلغ من صيغة الاخبار من الله لان عشارهم واجب لان عدم النصره من آلتهم واجب الوقوع اذ لا قدرة لها والتثبيت من الله ليس بواجب الوقوع لانه قادر مختار يفعل ما يشاء \* وقوله ( واصل اعمالهم ) اشارة الى بيان مخالفة موتاهم لقتلى المسلمين حيث قال في حق قتلاهم فلن يضل اعمالهم وقال في موتى الكافرين اضل اعمالهم ثم بين الله تعالى سبب

من قبلهم من الائم المكذبة فان آثار ديارهم تنبي عن اخبارهم وقوله تعالى ( دمر الله عليهم ) استئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله تعالى عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم يقال دمره اهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما يختص به ( وللكافرين ) اى وللهؤلاء الكافرين السائر بسيرتهم ( امثالها ) امثال عواقبهم او عقوباتهم لكن لا على ان للهؤلاء امثال ما أولئك واضعافه بل مثله وانما جع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد الائم المعذبة وقيل يجوز ان يكون عذابهم اشد من عذاب الاولين وقد قتلوا واسروا بأيدي من كانوا يستحقونهم ويستحقونهم والقتل بيد المثل اشد ألم من الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كأنه قيل دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة امثالها ( ذلك ) اشارة الى سبوت امثال عقوبة الائم السالفة للهؤلاء ( بأن الله مولى

ما اختلفوا فيه فقال تعالى (ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم) وفيه وجوه (الاول)  
 المراد ان قرآن ووجهه وان كيفية العمل الصالح لا تعلم بالعقل وانما تدرك بالشرع والشرع  
 بالقرآن فلما امر ضوالم يعرفوا العمل الصالح وكيفية الايمان به فأتوا بالباطل فأحبط اعمالهم  
 (الثاني) كرهوا ما انزل الله من بيان التوحيد كما قال الله تعالى عنهم أن التاركوا آلهتنا  
 وقال تعالى أجعل الآلهة لها واحدا الى ان قال ان هذا الاختلاق وقال تعالى واذا  
 ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ووجهه ان الشرك محبط للعمل قال  
 الله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وكيف لا والعمل من المشرك لا يقع لوجه الله فلا بقاء  
 له في نفسه ولا بقاء له بقاء من له العمل لان كل ماسوى وجهه الله تعالى هالك محبط (الثالث)  
 كرهوا ما انزل الله من بيان امر الآخرة فلم يعملوا بها والدنيا وما فيها وما كمالها باطل فأحبط  
 الله اعمالهم \* وقوله تعالى (افلم يسيرا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم)  
 فيه مناسبة للوجه الثالث يعني فينظروا الى حالهم ويعلموا ان الدنيا فانية \* وقوله تعالى (دمر  
 الله عليهم) اي اهلك عليهم متاع الدنيا من الاموال والاولاد والارواح والاجساد \* وقوله  
 تعالى (وللكافرين امثالها) يحتمل وجهين (احدهما) ان يكون المراد لهم امثالها في  
 الدنيا وحينئذ يكون المراد من الكافرين هم الكافرون بمحمد عليه الصلاة والسلام  
 (وثانيهما) ان يكون المراد لهم امثالها في الآخرة فيكون المراد من تقدم كأنه يقول  
 دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة امثالها وفي العائد اليه ضمير المؤنث في قوله امثالها  
 وجهان (احدهما) هو المذكور وهو العاقبة (وثانيهما) هو المفهوم وهو العقوبة لان  
 التدمير كان عقوبة لهم فان قيل على قولنا المراد للكافرين بمحمد عليه السلام امثال  
 ما كان لمن تقدمهم من العاقبة يرد سؤال وهو ان الاولين اهلكوا بوقائع شديدة كالزلازل  
 والنيران وغيرهما من الرياح والطوفان ولا كذلك قوم محمد صلى الله عليه وسلم فنقول جاز  
 ان يكون عذابهم اشد من عذاب الاولين لكون دين محمد اظهر بسبب تقدم الانبياء عليهم  
 السلام عليه واخبارهم عنه واندازهم به على انهم قتلوا واسروا بأيدي من كانوا  
 يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل اشد الممان الهلاك بسبب عام (وسؤال آخر) اذا  
 كان الضمير عائدا الى العاقبة فكيف يكون لها امثال قلنا يجوز ان يقال المراد العذاب  
 الذي هو مدلول العاقبة او الالم الذي كانت العاقبة عليه \* ثم قال تعالى (ذلك بأن الله مولى  
 الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم) ذلك يحتمل ان يكون اشارة الى النصر وهو  
 اختيار جماعة ذكره الواحد ويحتمل وجه آخر اغرب من حيث النقل واقر من حيث  
 العقل وهو انما بينا ان قوله تعالى (وللكافرين امثالها) اشارة الى ان قوم محمد عليه الصلاة  
 والسلام اهلكوا بأيدي امثالهم الذين كانوا لا يرضون بمجالستهم وهو آلم من الهلاك  
 بالسبب العام قال تعالى ذلك اي الاهلاك والهوان سبب ان الله تعالى ناصر المؤمنين  
 والكافرون اتخذوا آلهة لاترفع ولا تنصر وتركوها فلا ناصر لهم ولا شك ان من نصره

الذين آمنوا) اي ناصرهم على  
 اعدائهم وقرى ولى الذين (وان  
 الكافرين لا مولى لهم) في دفع  
 عنهم ما حل بهم من العقوبة  
 والعذاب ولا يخالف هذا قوله  
 تعالى ثم رددوا الى الله مولاهم الحق  
 فان المولى هناك بمعنى المالك (ان  
 الله يدخل الذين آمنوا وعملوا  
 الصالحات جنات تجري من تحتها  
 الانهار) بيان لحكم ولايته تعالى  
 لهم ونمرتها الاخرى (والذين  
 كفروا يتعذبون) اي يتعذبون في  
 الدنيا بما تمنعها (ويأكلون كما تأكل  
 الانعام) غافلين عن عواقبهم  
 (والنار مشوى لهم) اي منزل نواء  
 وافامة والجملة اما حال مقدرة  
 من واو يأكلون او استئناف  
 (وكاين) كلة مركبة من الكاف  
 واى بمعنى كى الخبرية ومحلها الرفع  
 بالابتداء وقوله تعالى (من قرية)  
 تميز لها وقوله تعالى (هى اشد قوة  
 من قرية) صفة لقرية كما ان قوله  
 تعالى (التي اخرجتك) صفة  
 لقرية وقد حذف عنهما المضاف  
 واجرى احكامه عليهما كما يفصح  
 عنه الخبر الذى هو قوله تعالى  
 (اهلكناهم) اي وكن من اهل قرية

الله تعالى يقدر على القتل والاسروان كان له الف ناصر فضلا عن ان يكون لاناصر لهم  
فان قيل كيف اجمع بين قوله تعالى لامولى لهم وبين قوله مولاهم الحق نقول المولى ورد  
بمعنى السيد والرب والناصر فحيث قال لامولى لهم أراد لاناصر لهم وحيث قال مولاهم  
الحق اى ربهم ومالكهم كما قال تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم وقال ربكم ورب آبائكم  
الاولين وفي الكلام تبين عظيم بين الكافر والمؤمن ينصره الله وهو خير الناصرين  
والكافر لامولى له بصيغة نافية للجنس فليس له ناصروا نه شر الناصرين \* ثم قال  
تعالى (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين  
كفروا يتبعون وياكلون كما تأكل الانعام والنار منوى لهم ) لما بين الله تعالى حال  
المؤمنين والكافرين في الدنيا بين حالهم في الآخرة وقال انه يدخل المؤمن الجنة والكافر  
النار وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) كثيرا ما يقتصر الله على ذكر الانهار في وصف الجنة  
لان الانهار يتبعها الاشجار والاشجار تتبعها الثمار ولانه سبب حياة العالم والنار سبب  
الاعداد والمؤمنين الماء ينظر اليه ويتفجع به والكافر النار يتقلب فيها ويتضرر بها  
( المسئلة الثانية ) ذكرنا مرارا ان من في قوله من تحتها الانهار يحتمل ان يكون صلة معناه  
تجري من تحتها الانهار ويحتمل ان يكون المراد ان ماءها منها لا يجري اليها من موضع آخر  
فيقال هذا النهر منبعه من اين يقال من عين كذا من تحت جبل كذا ( المسئلة الثالثة )  
قال والذين كفروا يتبعون خصهم بالذكر مع ان المؤمن ايضا له المتع بالدنيا وطيباتها تقول  
من يكون له ملك عظيم وملك سيثيا يسيرا ايضا لا يدكر بالملك العظيم لا يقال في حق الملك  
العظيم صاحب الضيعة القلالية ومن لا يملك الاشياء يسيرا فلا يدكر الابه فان من له ملك  
الجنة فتع الدنيا لا يلتفت اليه في حقه والكافر ليس له الا الدنيا ووجه آخر الدنيا المؤمن  
سجين كيف كان ومن يأكل في السجن لا يقال انه يتبع فان قيل كيف تكون الدنيا سجيننا  
مع ما فيها من الطيبات نقول للمؤمن في الآخرة طيبات معدة واخوان مكرمون نسبتها  
ونسبتهم الى الدنيا ومن فيها تين بمال وهوان من يكون له بستان فيه من كل الثمرات الطيبة  
في غاية الذلة وانهار جارية في غاية الصفاء ودور وغرف في غاية الرفعة واولاده فيها وهو قد  
غاب عنهم سنين ثم توجه اليهم وهم فيها فلما قرب منهم عوق في اجة فيها من بعض الثمار  
العفصة والمياه الكدرة وفيها سباع وحشرات كثيرة فهل يكون حاله فيها كحال مسجون  
في بئر مظلمة وفي بيت خراب ام لا وهل يجوز ان يقال له اترك ما هو لك وتعلل بهذه الثمار وهذه  
الانهار ام لا كذلك حال المؤمن واما الكافر فخاله كحال من يقدم الى القتل فيصبر عليه  
اياما في مثل تلك الاجرة التي ذكرناها يكون في جنة ونسبة الدنيا الى الجنة والنار دون  
ما ذكرنا من المثال لكنه ينبئ ذال بال عن حقيقة الحال وقوله تعالى كما تأكل الانعام يحتمل  
وجوها ( احدها ) ان الانعام يهملها الاكل لا غير والكافر كذلك والمؤمن يأكل ليعمل  
صالحا ويقوى عليه ( وثانيها ) الانعام لا تستدل بالمأكل على خالقها والكافر كذلك

هم اشد قوة من اهل قريش الذين  
كانوا سببا لخروجك من بينهم  
ووصف القرية الاولى بشدة  
القوة للايدان بأولوية الثانية منها  
بالاهلاك للضعف قوتها كما ان  
وصف الثانية بأخراجه عليه  
الصلاة والسلام للايدان  
بأولويتها به لقوة جنايتها به  
وعلى طريقتة قول النافعة  
كليب لعمرى كان اكثر ناصرا  
وايسر جرم منك ضرج بالدم  
وقوله تعالى ( فلا ناصر لهم ) بيان  
لعدم خلاصهم من العذاب  
بواسطة الاعوان والانصار او  
بيان عدم خلاصهم منه بانفسهم  
والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على  
ذكر ما بالذات وهو حكاية حال  
( المؤمن ) كان على بينة من ربه ( تقرير  
لتبائن حالى فريق المؤمنين  
والكافرين ويكون الاولين في اعلى  
عليين والاخرين في اسفل  
سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما  
من الحال والهمزة للتكثير والفاء  
للعطف على مقدور يقتضيه المقام  
وقد فرى بدونها ومن عبارة عن  
المؤمنين المنسكين بأدلة الدين  
وجعلها عبارة عن النبي عليه  
الصلاة والسلام اوعنه وعن  
المؤمنين لياساعده النظم الكريم  
على ان الموازنة بينه عليه الصلاة

(والتأثبات) الانعام تغلف تشتمن وهى غافلة عن الامر لاتعلم انها كلما كانت اسمن كانت اقرب الى الذبح والهلاك وكذلك الكافر ويناسب ذلك قوله تعالى والنار منوى لهم (المسئلة الرابعة) قال في حق المؤمن ان الله يدخل بصيغة الوعد وقال في حق الكافر والنار منوى لهم بصيغة تنبي عن الاستحقاق لما ذكرنا ان الاحسان لا يستدعى ان يكون عن استحقاق فالحسن الى من لم يوجد منه ما يوجب الاحسان كريم والمعذب من غير استحقاق ظالم \* قوله تعالى (وكأئن من قرية هى اشدقوة من قريتك التى اخرجتك اهلكناهم فلاناصر لهم) لما ضرب الله تعالى لهم مثلا بقوله افلم يسيروا فى الارض ولم ينفعها مع ما تقدم من الدلائل ضرب للنبي عليه السلام مثلا تسليية له فقال وكأئن من قرية هى اشدقوة من قريتك التى اخرجتك اهلكناهم وكانوا اشد من اهل مكة كذلك نفعل بهم فاصبر كما صبر رسالهم وقوله فلانا صرلهم قال انز مخشرى كيف قوله ناصرلهم مع ان الاهلاك ماض وقوله فلاناصر لهم للحال والاستقبال والجواب انه محمول على الحكاية والحكاية كالحال الحاضر ويحتمل ان يقال اهلكناهم فى الدنيا فلاناصرلهم ينصرهم ويختصم من العذاب الذى هم فيه ويحتمل ان يقال قوله فلانا صرلهم عائدا الى اهل قرية محمد عليه السلام كانه قال اهلكنا من تقدم اهل قريتك ولاناصر لاهل قريتك ينصرهم ويخلصهم مما جرى على الاولين \* ثم قال تعالى (افن كان على بينة من ربه كن زينا له سوء عمله واتبعوا هواهم) اعلم ان هذا اشارة الى الفرق بين النبي عليه السلام والكفار ليعلم ان اهلاك الكفار ونصرة النبي عليه السلام فى الدنيا محقق وان الحال يناسب تعذيب الكافر واباه المؤمن وقوله على بينة فرق فارق وقوله من ربه مكمل له وذلك ان البينة اذا كانت نظرية تكون كافية للفرق بين التمسك بها وبين القائل قول لا دليل عليه فاذا كانت البينة منزلة من الله تعالى تكون اقوى واظهر فتكون اعلى وابهر ويحتمل ان يقال قوله من ربه ليس المراد انزالها منه بل المراد كونها من الرب بمعنى قوله يهدى من يشاء وقولنا الهداية من الله وكذلك قوله تعالى كن زينا له سوء عمله فرق فارق وقوله واتبعوا هواهم تكملة وذلك ان من زين له سوء عمله وراجت الشبهة عليه فى مقابلة من يتبين له البرهان وقبله لكن من راجت الشبهة عليه قد يتفكر فى الامر ويرجع الى الحق فيكون اقرب الى من هو على البرهان وقد يتبع هواه ولا يتدبر فى البرهان ولا يتفكر فى البيان فيكون فى غاية البعد فاذن حصل النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمن مع الكافر فى طرفى التضاد وغاية التباعد حتى مدهم بالبينة والكافره الشبهة وهو مع الله وأولئك مع الهوى وعلى قولنا من ربه معناه الاضافة الى الله كقولنا الهداية من الله فقوله اتبعوا هواهم مع ذلك القول يفيد معنى قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وقوله كن زينا له سوء عمله بصيغة التوحيد محمول على لفظة من وقوله واتبعوا هواهم محمول على معناه فانها للجمع والعموم وذلك لان التزيين للكل على حد واحد فحمل على

والسلام وبينهم مما ياباه منصبه الجليل والتقدير ألبس الامر كما ذكر فن كان مستقرا على حجة ظاهرة وبرهان نير من ممالك امره ومربيه وهو الفران الكريم وسائر المجزات والحجج العقلية (كن زين له سوء عمله) من الشرك وسائر المعاصي مع كونه فى نفسه اجمع القبايح (واتبعوا) بسبب ذلك التزيين (اهواءهم) الزائفة وانهمكوا فى فنون الضلالات من غير ان يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا عن جهة تدل عليه وجع الضميرين الاخيرين باعتبار معنى من كما ان افراد الاولين باعتبار لفظها (مثل اللجنة التى وعد المتقون) استئناف مسوق لشرح محاسن الجسة الموعودة آنفا للمؤمنين وبيان كفة انهارها التى اشير الى حريلها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين ايدانا بأن الايمان والعمل الصالح من باب التقوى الذى هو عبارته عن فعل الواجبات بأسرها وترك السيئات عن آخرها وملها وصفها الحميب السآن وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره النضرين شميل مثل اللجنة ما تسمعون وقوله تعالى (فما انهار)

اللفظ لقربه منه في الحس والذكر وعند اتباع الهوى كل احد يتبع هوى نفسه فقلهر  
 التعدد فحمل على المعنى \* قوله تعالى ( مثل الجنة التي وعد المتقون ) لما بين الفرق بين  
 الفريقين في الاهتداء والضلال بين الفرق بينهما في مرجعهما ومآلهما وكما قدم من على  
 البينة في الذكر على من اتبع هو اقدم حاله في مآله على حال من هو بخلاف حاله وفي  
 التفسير مسائل ( المسئلة الاولى ) قوله تعالى مثل الجنة يستدعى امرا يمثل به فاهو نقول  
 فيه وجوه ( الاول ) قول سيبويه حيث قال المثل هو الوصف معناه وصف الجنة وذلك  
 لا يقتضى مثله وعلى هذا فقيه احتملان ( احدهما ) ان يكون الخبر محذوفا ويكون مثل  
 الجنة مبتدا تقديره فيما قصصناه مثل الجنة ثم يستأنف ويقول فيها انهار وكذلك القول  
 في سورة الرعد يكون قوله تعالى تجرى من تحتها الانهار ابتداء بيان ( والاحتمال الثاني )  
 ان يكون فيها انهار وقوله تجرى من تحتها خبرا كما يقال صفلى زيدا فيقول القائل زيدا جر  
 قصير والقول الثاني ان المثل زيادة والتقدير الجنة التي وعد المتقون فيها انهار ( الوجه  
 الثاني ) ههنا المثل به محذوف غير مذكور وهو يحتمل قولين ( احدهما ) قول الزجاج حيث  
 قال مثل الجنة تجرى فيها انهار كما يقال مثل زيد رجل طويل اسمر فيذ كر عين صفات  
 زيد في رجل منكر لا يكون هو في الحقيقة الا زيدا ( الثاني ) من القولين هو ان يقال معناه  
 مثل الجنة التي وعد المتقون مثل عجيب او شيء عظيم او مثل ذلك وعلى هذا يكون قوله فيها  
 انهار كلاما مستأنفا محققا لقولنا مثل عجيب ( الوجه الثاني ) المثل به مذكور وهو قول  
 الزمخشري حيث قال كن هو خالد في النار مشبه به على طريقة الانكار وحينئذ فهذا  
 كقول القائل حركات زيد او اخلاقه كعمرو على احداثا ويلين اما على تأويل حركات  
 عمرو او على تأويل زيد في حركاته كعمرو وكذلك ههنا كأنه تعالى قال مثل الجنة كن هو  
 خالد في النار وهذا اقصى ما يمكن ان يقرر به قول الزمخشري وعلى هذا فقولته تعالى فيها  
 انهار وما بعدها جل اعتراضية وقعت بين المبتدأ والخبر كما يقال نظير زيد فيه مروءة وعنده  
 علم وله اصل عمرو \* ثم قال تعالى ( فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه  
 وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ) اختار الانهار من الاجناس الاربعة  
 وذلك لان المشروب امان يشرب لظمه واما ان يشرب لامر غير عائد الى الطعم فان كان  
 الطعم فالطعموم تسعة المرو والمالح والحريف والحامض والعفص والقابض والثففة والحلو  
 والدسم الذها الحلو والدسم لكن احلى الاشياء العسل فذكر واما دسم الاشياء فالدهن  
 لكن الدسومة اذا تمحضت لا تطيب للاكل ولا للشرب فان الدهن لا يؤكل ولا يشرب كما هو  
 في الغالب واما اللبن فيه الدسم الكائن في غيره وهو طيب للاكل وبه تغذية الحيوان ولا  
 فذكره الله تعالى واما ما يشرب لالامر عائد الى الطعم فالماء والخمر فان الخمر فيها امر يشربها  
 الشارب لاجله وهى كريهة الطعم باتفاق من يشربها وحصول التواتر به ثم عرى كل واحد  
 من الاشياء الاربعة عن صفات النقص التى هى فيها وتغير بها في الدنيا فالماء يتغير يقال اسن

الخ مفسر له وقدره سيبويه فيما  
 يتلى عليكم مثل الجنة والاول هو  
 الانسب لصدر النظم الكريم  
 وقيل المثل زائدة كزيادة الاسم  
 في قول من قال  
 \* الى الحول م اسم السلام عليهما  
 والجنة مبتدا خبره فيها انهار  
 الخ ( من ماء غير آسن ) اى غير  
 متغير الطعم والراححة وقرى غير  
 آسن ( وانهار من لبن لم يتغير طعمه )  
 بأن صار فارصا ولا خازرا  
 كاللبن الدنيا ( وانهار من خمر  
 لذة للشاربين ) لذية ليس فيها  
 كراهة طمورع ولا غائلة سكر  
 ولا خمار وانما هى نلذذ محض  
 ولذة اما تأنيث لذيعى لذيد  
 او مصدر نعت به مبالغة وقرى  
 لذة بالرفع على انها صفة انهار  
 وبالنصب على العلة اى لاجل  
 لذة الشاربين ( وانهار من عسل  
 مصفى ) لا يخالطه الشحم وفضلات  
 النحل وغيرها وفي هذا تمثيل لما  
 يجرى بجرى الانربة في الجنة  
 بأنواع ما يستطاب منها ويستلذ  
 في الدنيا بالتحلية عما ينقصها  
 وينقصها والتحلية بما يوجب  
 غزارتها ودوامها



الماء يأسن على وزن آمن يأمن فهو آسن واسن اللبن اذا بقي زمانا تغير طعمه والحمر يكره  
 الشارب عند الشرب والعسل يشوبه اجزاء من الشمع ومن التحل يموت فيه كثيرا ثم ان  
 الله تعالى خلط الجنس فذ كرائمه الذي يشرب لالطعم وهو عام الشرب وقرن به اللبن  
 الذي يشرب لطعمه وهو عام الشرب اذا مامن احدا لا وكان شربه اللبن ثم ذكر الحمر الذي  
 يشرب لالطعم وهو قليل الشرب وقرن به العسل الذي يشرب للطعم وهو قليل الشرب  
 فان قيل العسل لا يشرب نقول شراب الجلاب لم يكن الامن العسل والسكر قريب الزمان  
 الا ترى ان السكجيين من سرکه وانكبين وهو الخلل والعسل بالفارسية كما ان استخراج  
 كان اولاً من الخلل والعسل ولم يعرف السكر الا في زمان متأخر ولا ان العسل اسم يطلق  
 على غير عسل التحل حتى يقال عسل النحل للتمييز والله اعلم (المسئلة الثانية) قال في الحمر لذة  
 للشاربين ولم يقل في اللبن لم تغير طعمه للطاعمين ولا قال في العسل مصفى للناظرين لان  
 اللذة تختلف باختلاف الاشخاص فرب طعام يلتذبه شخص ويعافه الآخر فقال لذة  
 للشاربين باسرههم ولا ان الحمر كريمة الطعم فقال لذة اى لا يكون في جر الآخرة كراهة  
 الطعم واما الطعم واللون فلا يختلفان باختلاف الناس فان الخلو والحامض وغيرهما  
 يدركه كل احد كذلك لكنه قديعافه بعض الناس ويلتذبه البعض مع اتفاقهم على ان له  
 طعما واحدا وكذلك اللون فلم يكن الى التصريح بالتعميم حاجة وقوله لذة يحتل وجهين  
 (احدهما) ان يكون تأنيث لذي قال طعام لذو لذينو اطعمة لذة ولذينة (وثانيهما) ان يكون  
 ذلك وصفا بنفس المعنى لا المشتق منه كما يقال للحليم هو حلم كله وللعاقل عقل كله ثم قال  
 تعالى ﴿ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم﴾ بعد ذكر المتشروب اشار الى المأكول  
 ولما كان في الجنة الاكل للذة لا الحاجة ذكر الثمار فانها تؤول كل للذة بخلاف الخبز واللحم وهذا  
 كقوله تعالى في سورة الرعد مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار اكها داثم  
 وظلها حيث اشار الى المأكول والمشروب وهما لطيفة وهى انه تعالى قال فيها وظلها  
 ولم يقل ههنا ذلك نقول قال ههنا ومغفرة والظل فيه معنى الستر والمغفرة كذلك ولا ان  
 المغفور تحت نظر من رجة الفافر يقال نحن تحت ظل الامير وظلها هو رجة الله ومغفرته  
 حيث لا يسهم حرولا برد (المسئلة الثالثة) المتقى لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف  
 يكون لهم فيها مغفرة فنقول (الجواب) عنه من وجهين (الاول) ليس بلازم ان يكون  
 المعنى لهم مغفرة من ربهم فيها بل يكون عطا على قوله لهم كما أنه تعالى قال لهم الثمرات  
 فيها ولهم المغفرة قبل دخولها (والثاني) هو ان يكون المعنى لهم فيها مغفرة اى رفع  
 التكليف عنهم فبا كلون من غير حساب بخلاف الدنيا فان الثمار فيها عليها حساب  
 او عقاب ووجه آخر هو ان الاكل في الدنيا لا يخلو عن استنجا قبيح او مكروه كرض  
 او حاجة الى برز فقال لهم فيها من كل الثمرات ومغفرة لا قبيح على الاكل بل هو مستور  
 القبايح مغفور وهذا استفدته من المعلمين في بلادنا فانهم يعودون الصبيان بان يقولوا

(ولهم فيها) مع ما ذكر من فنون  
 الاتجار (من كل الثمرات) اى  
 صنف من كل الثمرات (ومغفرة)  
 اى ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر  
 قدرها وقوله تعالى (من ربهم)  
 متعلق بمحذوف هو صفة لغفرة  
 مؤكدة لما افاده التنكير من  
 التفخامة الذاتية بالتفخامة الاضافية  
 اى كاشنة من ربهم وقوله تعالى  
 (كن هو خالد في النار) خبر لمبتدأ  
 محذوف تقديره امن هو خالد في  
 هذه الجنة حسبما جرى به الوعد  
 كن هو خالد في النار كما نطق به قوله  
 تعالى والنار منرى لهم وقيل هو  
 خبر لمثل الجنة على ان في الكلام  
 خذفا تقديره امثل الجنة كمثل  
 جزاء من هو خالد في النار وامثل  
 اهل الجنة كمثل من هو خالد في  
 النار فعرف عن حرف الانكار  
 وحذف ما حذف تصويرا للمكابرة  
 من يسوى بين المتشكك بالجنة  
 وبين التابع للهوى بمكابرة من  
 سوى بين الجنة الموصوفة بما  
 فصل من الصفات الجليلة وبين  
 النار (رسقوا ماء حمما) مكان  
 تلك الاشربة (فقطع اعاءهم) من  
 فرط الحرارة قيل اذا دنا منهم

وقت حاجتهم الى ارافقة البول وغيره يا معلم غفر الله لك فيهم المعلم انهم يطلبون الاذن في الخروج لقضاء الحاجة فيأذن لهم فقلت في نفسي معناه هو ان الله تعالى في الجنة غفر لمن اكل وامأ في الدنيا فلان لكل توابع ولوازم لابد منها فيهم من قولهم حاجتهم \* ثم قال تعالى (كن هو خالد في النار وسقوا ماء حميا فقطع امعاءهم) وفيه ايضا مسائل (المسئلة الاولى) على قول من قال مثل الجنة معناه وصف الجنة فقوله كن هو بماذا يتعلق نقول قوله لهم فيها من كل الثمرات يتضمن كونهم فيها فكأنه قال هو فيها كن هو خالد في النار فالمشبه يكون محذوفا مدولا عليه بماسبق ويحتمل ان يقال ما قيل في تقرير قول الزمخشري ان المراد هذه الجنة التي مثلها ما ذكرنا كقسام من هو خالد في النار (المسئلة الثانية) قال الزجاج قوله تعالى كن هو خالد في النار راجع الى ماتقدم كأنه تعالى قال أفن كان على بينة من ربه كن زينا له سوء عمله وهو خالد في النار فهل هو صحيح ام لا نقول لناظر الى اللفظ فيمكن تصحيحه بتعسف ونظر الى المعنى لا يصح الابان يعود الى ما ذكرناه اما التصحيح فيحذف كن في المرة الثانية او جعله بدلا عن المتقدم او باضمار عاطف يعطف كن هو خالد على كن زينا له سوء عمله او كن هو خالد في النار واما التعسف فبين نظر الى الحذف والى الاضمار مع الفاصل الطويل بين المشبه والمشبه به واما طريقة البدل ففاسدة والالكان الاعتماد على الثاني فيكون كأنه قال أفن كان على بينة كن هو خالد وهو سمح في التشبيه تعالى كلام الله عن ذلك والقول في اضمار العاطف كذلك لان المعطوف أيضا يصير مستقلا في التشبيه اللهم الا ان يقال يقابل المجموع بالمجموع كأنه يقول أفن كان على بينة من ربه وهو في الجنة التي وعد المتقون فيها انهار كن زينا له سوء عمله وهو خالد في النار وعلى هذا تقع المقابلة بين من هو على بينة من ربه وبين من زينا له سوء عمله وبين من في الجنة وبين من هو خالد في النار وقد ذكرناه فلا حاجة الى خلط الآية بالآية وكيف وعلى ما قاله تقع المقابلة بين من هو في النار وسقوا ماء حميا وبين من هو على بينة من ربه وأية مناسبة بينهما بخلاف ما ذكرناه من الوجوه الأخر فان المقابلة فيها بين الجنة التي فيها الانهار وبين النار التي فيها الماء الحميم وذلك تشبيه انكار مناسب (المسئلة الثالثة) قال كن هو خالد جلا على اللفظ الواحد وقال وسقوا ماء حميا على المعنى وهو جمع وكذلك قال من قبل كن زينا له سوء عمله على التوحيد والافراد واتبعوا أهواءهم على الجمع فمالوجه فيه نقول المسند الى من اذا كان متصلا فرعاية اللفظ أولى لانه هو المجموع واذا كان مع انفصال فالعود الى المعنى أولى لان اللفظ لا يبقى في السمع والمعنى يبقى في ذهن السامع فالعمل في الثاني على المعنى أولى وجل الاول على اللفظ أولا فان قيل كيف قال في سائر المواضع من آمن وعمل صالحا ومن تاب واصبح نقول اذا كان المعطوف مفردا أو شيها بالمعطوف عليه في المعنى فالأولى ان يختلفا كما ذكرت فانه عطف مفرد على مفرد وكذلك لو قال كن هو خالد في النار ومعذب فيها لان

شوى وجوههم وانما ترفوة رؤسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم (ومنهم من يستعج اليك) هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظ من كما ان جمعه فيما سبقت باعتبار معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تبارونا منهم (حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم) من الصحابة رضى الله عنهم (ما ذاقوا آتفا) اى ما لذى قال الساعة على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلاء وآتفان قولهم انف الشئ لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف الشئ وانف وهو ظرف معنى وقتا مؤتفا احوال من الضمير في قال وقرى آتفا (اولئك) الموصوفون بما ذكر (الذين طبع الله على قلوبهم) لعدم توجههم نحو الخير اصلا (واتبعوا أهواءهم) الباطنة فلذلك فعلوا ما فعلوا وما لا خير فيه (والذين اهتموا) الى طريق الحق (زادهم) اى الله تعالى (هدى) بالتوفيق والالهام

المشابهة تنافي المخالفة واما اذا لم يكن كذلك كما في هذا الموضع فان قوله سقوا ماء مجلة غير مشابهة لقوله هو خالد وقوله تعالى وسقوا ماء حجيمايان للمخالفة في سائر احوال اهل الجنة فلم يأنه من ماء غير آسن ولهم ماء حجييم فان قيل المشابهة الانكارية بالمخالفة على ما ثبت وقد ذكرت البعض وقلت بأن قوله على بينة في مقابلة زين له سوء عمله ومن ربه في مقابلة قوله واتبعوا اهواءهم والجنة في مقابلة النار في قوله خالد في النار والماء الحجييم في مقابلة الانهار فأين ما يقابل قوله ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة فقول تقطع الامعاء في مقابلة مغفرة لانا بيننا على احد الوجوه ان المغفرة التي في الجنة هي تعرية اكل الثمرات عما يلزمه من قضاء الحاجة والامراض وغيرها كما أنه قال للمؤمن اكل وشرب مطهر طاهر لا يجتمع في جوفهم فيؤذبه ويحوجهم الى قضاء حاجة وللكافر ماء حجييم في اول ما يصل الى جوفهم يقطع امعاءهم ويستتهون خروجه من جوفهم واما الثمار فلم يذكر مقابله لان في الجنة زيادة مذكورة فحققتها بذكر امر زائد (المسئلة الرابعة) الماء الحار يقطع امعاءهم لامر آخر غير الحرارة وهي الحدة التي تكون في السموم المدونة والافجرد الحرارة لا يقطع فان قيل قوله تعالى يقطع بالقاء يقتضى ان يكون القطع بما ذكر نقول نعم لكنه لا يقتضى ان يقال يقطع لانه ماء حجييم فحسب بل ماء حجييم مخصوص يقطع \* ثم قال تعالى (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا) لما بين الله تعالى حال الكافر ذكر حال المنافق بأنه من الكفار وقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا لما بين الله تعالى حال الكافر ذكر حال المنافق بأنه من الكفار وقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا لما بين الله تعالى حال الكافر ذكر حال المنافق بأنه من الكفار وقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا لما بين الله تعالى حال الكافر ذكر حال المنافق بأنه من الكفار

(وآثارهم تقواهم) اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها او بين لهم ما يتقون (فقبل ينظرون الا الساعة) اي القيامة وقوله تعالى (ان تأنيب بغتة) اي تباعثهم بغتة وهي المفاجأة بدل استئصال من الساعة والمعنى انهم لا يتذكرون بذكر احوال الامم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وما فيها من عظام الاحوال وما يتظنون للتذكر الا تيان نفس الساعة بغتة وقرئ بغتة بفتح العين وقوله تعالى (فقد جاء اشرافها) تعليل لها جاء تاليا لآياتها مطلقا على معنى انه لم يبق من الامور الموجبة للتذكر امر مرقب ينظر ونه سوى آتيان نفس الساعة اذ قد جاء اشرافها فلم يرفعوا لهارأسا ولم يعدوها من مبادئ آياتها ف يكون آياتها بطريق المفاجأة لا محالة والاشراط جمع شرط بالتحريك وهي العلامة والمراد بها معصية صلى الله عليه وسلم والنفاق القهر ونحوهما وقوله تعالى (فاني لهم اذاجاتهم ذكراهم) حكم بخطئهم وفساد رأيهم في تأخير التذكرا لآياتها

مستزى غير مستفيد ولا مستعيد واما كونهم لا يفهمون مع انهم يستمعون ويستعيدون ويناسب هذا الثانى قوله تعالى كذلك يطبع الله على قلوب المجرمين والاول يؤكده قوله تعالى وادخلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستزؤون (والثانى) يؤكده قوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وقوله آنفا قال بعض المفسرين معناه الساعة ومنه الاستشفاف وهو الابتداء فعلى هذا فالاولى ان يقال يقولون ماذا قال آنفا بمعنى انهم يستعيدون كلامه من الابتداء كما يقول المستعيد للعبدا عد كلامك من الابتداء حتى لا يفوتنى شئ منه \* ثم قال تعالى (اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) اى تركوا اتباع الحق اما بسبب عدم الفهم او بسبب عدم الاستماع للاستفادة واتبعوا ضده \* ثم قال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآثارهم تقواهم) لما بين الله تعالى ان المنافق يستمع ولا ينفع ويستعيد ولا يستفيد بين ان حال المؤمن المتهدى بخلافه فانه يستمع فيفهم ويعمل بما يعلم والمنافق يستعيد والمتهدى يفسر ويبعد وفيه فائدتان (احدهما) مادكرنا من بيان التباين بين الفريقين (وابيها) قطع عذر المنافق وابطاح كونه مذموم الطريقة فانه لو قال ما فهمته لغموضه وكونه معمى يرد عليه ويقول ليس كذلك فان المتهدى فهم واستنبط لوازمه وتوابعه فذلك لعلماء القلوب لالخفاء المطلوب وفيه مسائل

المسئلة الاولى) ما الفاعل للزيادة فى قوله زادهم نقول فيه وجوه (الاول) المسموع من النبى عليه الصلاة والسلام من كلام الله وكلام الرسول يدل عليه قوله ومنهم من يستمع اليك فانه يدل على مسموع والمقصود بيان التباين بين الفريقين فكأنه قال هم لم يفهموه وهؤلاء فهموه (والثانى) ان الله تعالى زادهم ويدل عليه قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وكانه تعالى طبع على قلوبهم فرادهم عى والمتهدى زاده هدى (والثالث) استهزاء المنافق زاد المتهدى هدى ووجهه هو انه تعالى لما قال واتبعوا أهواءهم قال والذين اهتدوا زادهم اتاعهم الهدى فانه استجبوا فعلهم فاجتنبوه (المسئلة الثانية) ما معنى قوله وآثارهم تقواهم نقول فيه وجوه مقولة ومستنبطة (اما المقولة) فنقول قيل فيه ان المراد آثامهم بواب تقواهم وقيل آثامهم نفس تقواهم من غير اضمحار يعنى بين لهم التقوى وقيل آثامهم توفيق العمل بما علموا (واما المستنبطة) فنقول يحتمل ان يكون المراد به بيان حال المستمعين للقرآن الفاهمين لمعانيه المفسرين له بيانا لغاية الخلاف بين المنافق فانه استمع ولم يفهمه واستعاد ولم يعلمه والمتهدى فانه علمه وبينه لغيره ويدل عليه قوله تعالى زادهم هدى ولم يقل اهتداء والهدى مصدر من هدى قال الله تعالى فبهداهم اقتده اى خذ بما هدوا واهد كما هدوا وعلى هذا فقوله تعالى وآثامهم تقواهم معناه جنبهم عن القول فى القرآن بغير برهان وحلهم على الاتقاء من التفسير بالرأى وعلى هذا فقوله زادهم هدى معناه كانوا مهتدين فرادهم على الاهتداء هدى حتى

يبين استحالة نفع التذكر حيثئذ كقوله تعالى يومئذ تذكرا لسان وائله الذكرى اى وكشف لهم ذكراهم ادا جاءهم على ان اى حبر مقدم ودكراهم مبتدأ وادا جاتهم اعراض وسط بينهما مرا الى عانة سرعة محبتها واطلاق الخى عن قيد العتد لما من مدار استحالة نفع الذكر كونه عند محبة مطلقا لا مفيدا لبيد البعثة وقرى ان تأتهم على انه شرط مستأنف جراؤه فان لهم الخ والمعنى ان تأتهم الساعة لعتة لانه قد طهر اماراتها فكيف لهم تذكرهم والاعظام ادا حادتهم (فاعلم انه لا اله الا الله) اى ادع الى الله مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط السقاوة هو الاشرار والعصيان فثبت على ما انت عليه من العلم بالواحدانية والعمل بموحه (واستغفر لربك) وهو الذى رعا صدره عليه الصلاة والسلام من ترك الاولى عبره بالذنب نظرا الى مصبه الجليل كفى لا وحسنات الارار سيئات المقربين وارشاد الله عليه الصلاة والسلام الى التواضع

ارتقوا من درجة المهتدين الى درجة الهادين يحتمل ان يقال قوله زادهم هدى اشارة الى العلم وآتاهم تقواهم اشارة الى الاخذ بالاحتياط فيما لم يعلموه وهو مستنبط من قوله تعالى فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقوله تعالى والراسخون فى العلم يقولون آمنا به (المعنى الثالث) يحتمل ان يكون المراد بيان ان المخلص على خطر فهو اخشى من غيره وتحقيقه هو انه لما قال زادهم هدى افاد انهم ازداد علمهم وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فقال آتاهم خشيتهم التى يعبدونها العلم (المعنى الرابع) تقواهم من يوم القيامة كما قال تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والدهن ولده ويدل عليه قوله تعالى فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيتهم بغتة كان ذكر الساعة عقيب التقوى يدل عليه (المعنى الخامس) آتاهم تقواهم التقوى التى تليق بالمؤمن وهى التقوى التى لا يخاف معها لومة لائم قال تعالى الذين يلعبون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكذلك قوله تعالى يا ايها النى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين وهذا الوجه مناسب لان الآية لبيان تباين الفريقين وهذا يحقق ذلك من حيث ان المنافق كان يخشى الناس وهم الفريقان المؤمنون والكافرون فكان يتردد بينهما ويرضى الفريقين ويسخط الله فقال الله تعالى المؤمن المهتدى بخلاف المنافق حيث علم ذلك ولم يعلم ذلك واتق الله لا غيره واتق ذلك غير الله ﷺ ثم قال تعالى (فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيتهم بغتة فقد جاء اشراطها) يعنى الكافرون والمنافقون لا ينظرون الا الساعة وذلك لان البراهين قد صحت والامور قد اتضحت وهم لم يؤمنوا فلا توقع منهم الايمان الا بعد قيام الساعة وهو من قبيل بدل الاشتغال على تقدير لا ينظرون الا الساعة اتيانها بغتة وقرئ فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيتهم على السطر وجزاؤه لا يفهمهم ذكر اكرمهم يدل عليه قوله تعالى فأتى لهم اذا جاءتهم ذكراهم وقد كرنا ان القيامة سميت بالساعة لسرعة الامور الواقعة فيها من البعث والحشر والحساب وقوله فقد جاء اشراطها يحتمل وجهين (احدهما) لبيان غاية عبادهم وتحقيقه هو ان الدلائل لما ظهرت ولم يؤمنوا لم يبق الايمان اليأس وهو عند قيام الساعة لكن اشراطها بانث فكان ينبغي ان يؤمنوا ولم يؤمنوا فهم فى لجة المساد وغاية العناد (ثانيهما) ان يكون لتسلياة قلوب المؤمنين كأنه تعالى لما قال فهل ينظرون فهم منه تعديبهم والساعة عند العوام مستبطة فكان نائلا قال متى تكون الساعة فقد جاء اشراطها كقوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر والاشراط العلامات قال المفسرون هى مل انشقاق القمر ورسالة محمد عليه السلام ويحتمل ان يقال معنى الاشراط النبىات الموصحة لجواز الحشر مل خلق الانسان ابتداء وخلق السموات والارض كما قال تعالى اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم والاول هو التفسير ﷺ ثم قال تعالى (فأتى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) معنى لا تفهمهم الذكرى اذ لا تقبل التوبة ولا يحسب

وهضم النفس واسفصار العمل  
(والمؤمنين والمؤمنات) اى  
لديهم بالذعابهم وترعيبهم فما  
يستدعى عمرانهم وفى اعادة صلة  
الاستعمار تبسبه على اختلاف  
متعلقه حسا وفى حذف المضاف  
وامامه المضاف اليه مقامه اسعار  
يعرفهم فى الدب وقرط افتقارهم  
الى الاستعمار (والله يعلم متقلبكم)  
فى الدنيا فانها مراحل لا دمن  
تقطعها الا بحالة (ومواكم) فى العصى  
فانها موطن افامكم فلا يأمركم الا  
بما هو حرككم فيها فبادروا الى  
الامتثال بما امركم به فانه المهم لكم  
فى المسارين وصل يعلم جمع احوالكه  
فلا يسي عليه رسا (ويقول  
الرس آمووا) حرصهم على  
الجهاد (لولا رب سوره) هلا  
ربل سورة تؤمر فيها بالجهاد (فاد  
اربل سورة محكمه ود كرفا  
القتال) اعريق الامر هى سورة  
ميه لاتساه ولا احتمال فيها  
لوحه آخر سوى وحب القتال

الايان والمراد فكيف لهم الحال اذا جاءتهم ذكراهم ومعنى ذلك يحتمل ان يكون هو قوله تعالى هذا يومكم الذى كنتم توعدون هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون فيذكرون به للتخسر وكذلك قوله تعالى الم يأتكم رسل منكم بتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴿١﴾ نعم قال تعالى (فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم) ولبیان المناسبة وجوه (الاول) هو انه تعالى لما قال قد جاء اشراطها قال فاعلم انه لا اله الا الله يأتى بالساعة كما قال تعالى أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة (وثانيها) قد جاء اشراطها وهي آية فكان قائلا قال متى هذا فقال فاعلم انه لا اله الا الله فلا تشتغل به واشتغل بما عليك من الاستغفار وكن في اى وقت مستعدا للقائها ويناسبه قوله تعالى واستغفر لذنبك (الثالث) فاعلم انه لا اله الا الله ينفعك فان قيل النبي عليه الصلاة والسلام كان عالما بذلك فامعنى الامر نقول الجواب عنه من وجهين (احدهما) فأثبت على مانت عليه من العلم كقول القائل لجالس يريد القيام اجلس اى لاتقم (ثانيها) الخطاب مع النبي عليه الصلاة والسلام والمراد قومه والضمير في انه للشان وتقدير هذا هو انه عليه السلام لما دعا القوم الى الايمان ولم يؤمنوا ولم يبق شئ يحمله على الايمان الا ظهور الامر بالبعث والنشور وكان ذلك مما يحزن النبي عليه الصلاة والسلام فسلى قلبه وقال انت كامل في نفسك مكمل لغيرك فان لم يكمل بك قوم لم يرد الله تعالى بهم خيرا فانت في نفسك كامل بعلمك وعلمك حيث تعلم ان الله واحد وتستغفر وانت بحمد الله مكمل تكمل المؤمنين والمؤمنات وانت تستغفر لهم فقد حصل لك الوصفان فأثبت على مانت عليه ولا يحزنك كفرهم وقوله تعالى واستغفر لذنبك يحتمل وجهين (احدهما) ان يكون الخطاب معه والمراد المؤمنون وهو بعيد لأفراد المؤمنين والمؤمنات بالذكر وقال بعض الناس لذنبك اى لذنب اهل بيتك وللمؤمنين والمؤمنات اى الذين ليسوا منك بأهل بيت (ثانيها) المراد هو النبي والذنب هو ترك الافضل الذى هو بالنسبة اليه ذنب وحاشاه من ذلك (وبالها) وجه حسن مستنبط وهو ان المراد توفيق العمل الحسن واجتناب العمل السيئ وجهه ان الاستغفار طلب الغفران والغفران هو الستر على القبيح ومن عصم فقد ستر عليه قبايح الهوى ومعنى طلب الغفران ان لا تقصصنا وذلك قد يكون بالعصمة منه فلا يقع فيه كما كان للنبي صلى الله عليه وسلم وقد يكون بالستر عليه بعد الوجود كما هو في حق المؤمنين والمؤمنات وفي هذه الآية لطيفة وهي ان النبي صلى الله عليه وسلم له احوال ثلاثة حال مع الله وحال مع نفسه وحال مع غيره فأما مع الله فوحده وأما مع نفسه فاستغفر لذنبك واطلب العصمة من الله وأما مع المؤمنين فاستغفر لهم واطلب الغفران لهم من الله والله يعلم متقلبكم ومثواكم يعنى حالكم في الدنيا وفي الآخرة وحالكم في الليل والنهار ﴿٢﴾ نعم قال تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا انزلت سورة فاذا انزلت سورة

عن فتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لم تنسخ وقرئ فاذا انزلت سورة وقرئ ودكر على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ونصب القتال (رأيت الذين في قلوبهم مرض) اى ضعف في الدين وقيل نفاق وهو الاظهر الاوفق لسياق النظم الكريم (ينظرون اليك نظر المعنى عليه من الموت) اى تشخص ابصارهم جبنوا وهلعوا كدأ من اصابته عسنية الموت (فأولى لهم) اى فويل لهم وهو افضل من الولى وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاة عليهم بأن يلهم المكروما و يؤل البداهمهم وقيل هو مستق من الويل واصله اويل نقلت العين الى ما بعد اللام فوزنه افلع (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف اى امرهم طاعة الخاو طاعة وقول معروف حيرلهم او حكاية لقولهم ويؤيده قراءة اى يقولون طاعة وقول معروف اى امرنا دأ (فادا عزم الامر) اسند العزم وهو الجدا الى الامر وهو لاصحابه محاربا كما في قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور وعامل

محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم ) لما بين الله حال المنافق والكافر والمهتدى المؤمن عند استماع الآيات العلية من التوحيد والخبر وغيرهما بقوله ومنهم من يستمع اليك وقوله والذين اهتدوا زادهم هدى بين حالهم في الآيات العملية فان المؤمن كان ينتظرو رودها ويطلب تنزيلها واذا تأخر عنه التكليف كان يقول هلامرت بشيء من العبادة خوفا من ان لا يؤهل لها والمنافق اذا نزلت السورة او الآية وفيها تكليف شق عليه يعلم تباين الفريقين في العلم والعمل حيث لا يفهم المنافق العلم ولا يريد العمل والمؤمن يعلم ويجب العمل وقولهم لولا نزلت سورة المراد منه سورة فيها تكليف يمحى المؤمن والمنافق مما انه تعالى انزل سورة فيها القتال فانه اشق تكليف وقوله سورة محكمة فيها وجوه (احدها) سورة لم تنسخ (ثانيها) سورة فيها الفاظ اردت حقائقها بخلاف قوله الرحمن على العرش استوى وقوله في جنب الله فان قوله تعالى فضرب الرقاب أراد القتل وهو ابلغ من قوله اقتلوهم وقوله واقتلوهم حيث ثقتموهم صريح وكذلك غير هذا من آيات القتال وعلى الوجهين فقوله محكمة فيها فائدة زائدة من حيث انهم لا يمكنهم ان يقولوا المراد غير ما يظهر منه او يقولوا هذه آية وقد نسخت فلان قتال وقوله رأيت الذين في قلوبهم مرض اى المنافقين ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت لان عند التكليف بالقتال لا يبقى لنفاقهم فائدة فانهم قبل القتال كانوا يترددون الى القسيلتين وعند الامر بالقتال لم يبق لهم امكان ذلك فأولى لهم دعاء كقول القائل فويل لهم ويحتمل ان يكون هو خبر لمبتدأ محذوف سبق ذكره وهو الموت كأن الله تعالى لما قال نظر المغشى عليه من الموت قال قالموت أولى لهم لان الحياة التي لا في طاعة الله ورسوله الموت خير منها وقال الواحدى يجوز ان يكون المعنى فأولى لهم طاعة اى الطاعة أولى لهم \* ثم قال تعالى (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف محذوف الخبر تقديره خير لهم اى احسن وامثل لا يقال طاعة نكرة لاتصلح للابتداء لانا نقول هى موصوفة يدل عليه قوله وقول معروف فانه موصوف فكانه تعالى قال طاعة مخلصه وقول معروف خير وقيل معناه قالوا طاعة وقول معروف اى قولهم امرنا طاعة وقول معروف ويدل عليه قراءة ابى يقولون طاعة وقول معروف \* وقوله تعالى (فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) جوابه محذوف تقديره فاذا عزم الامر خالفوا وتخلفوا وهو مناسب لمعنى قراءة ابى كأنه يقول فى اول الامر قالوا سمعنا وطاعة وعند آخر الامر خالفوا واخلفوا موعدهم ونسب العزم الى الامر والعزم لصاحب الامر معناه فاذا عزم صاحب الامر هذا قول الزمخشري ويحتمل ان يقال هو مجاز كقولنا جاء الامر وولى فان الامر فى الاول يتوقع ان لا يقع وعند اطلاله وعجز الكاره عن ابطاله فهو واقع فقال عزم والوجهان متقاربان وقوله تعالى فلو صدقوا فيه وجهان على قولنا المراد من قوله طاعة انهم قالوا طاعة فعناه لو صدقوا فى ذلك

الظرف محذوف اى خالفوا وتخلفوا وقيل ناقضوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله تعالى (فلو صدقوا الله) على طريقة قولك اذا حضرنى طعام فلو جئتنى لا طعمتك اى فلو صدقوه تعالى فيما قالوا من الكلام المنجى عن الحرص على الجهاد المجرى على موجب (لكان) اى الصديق (خير لهم) وفيد دلالة على استراك الكل فيما حكى عنهم من قوله تعالى لولا نزلت سورة وفيل فلو صدقوه فى الايمان وواطأت قلوبهم فى ذلك الستم واياها كان المراد بهم الذين فى قلوبهم مرض وهم المخاطبون بقوله تعالى (فهل عسى) الخ بطريق الالتماس اى كيد التوبيع وسنديد التقرير اى هل يتوبع منكم (ان نولتم) امور الناس وبأمرهم عليهم (ان تقسدا فى الارض وتقطعوا ارحامكم) تاحرا على الملاك وتبالكا على الدنيا فان من شاهد احوالهم الداله على الضعف فى الدين والحرص على الدنيا حين امرتم بالجهاد الذى هو عبارة عن احراز كل خير وصلاح ودفع كل



القول واطاعوا لكان خيرا لهم وعلى قولنا طاعة وقول معروف خيرا لهم واحسن فبعناه  
لو صدقوا في ايمانهم واتباعهم الرسول لكان خيرا لهم ﴿م قال تعالى﴾ (فهل عسيتم ان  
توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم) وهذه الآية فيها اشارة الى فساد  
قول قالوه وهوانهم كانوا يقولون كيف نقاتل والقتل افساد والعرب من ذوى ارحامنا  
وقبائلنا فقال تعالى ان توليتم لا يقع منكم الا الفساد في الارض فانكم تقتلون من  
تقدرون عليه وتنبهونه والقتال واقع بينكم اليس قتلکم النبات افسادا وقطعا للرحم  
فلا يصح تعللکم بذلك مع انه خلاف ما امر الله وهذا طاعة وفيه مسائل (المسئلة الاولى)  
في استعمال عسى ثلاثة مذاهب (احدها) الاتيان بها على صورة فعل ماضٍ معه فاعل  
تقول عسى زيد وعسينا وعسوا وعسيت وعسيتما وعسيتم وعست وعستنا (والثاني)  
ان يؤتى بها على صورة فعل معه مفعول تقول عساه وعساها وعساك وعساكا وعساي  
وعسانا (والثالث) الاتيان بهامن غير ان يقرن بهاشئ تقول عسى زيد يخرج وعسى انت  
تخرج وعسى انا اخرج والكل له وجه وما عليه كلام الله اوجه وذلك لان عسى من  
الافعال الجامدة واقران الفاعل بالفعل اولى من اقران المفعول لان الفاعل كالجزء  
من الفعل ولهذا لم يحذفه اربع متحركات في مثل قول القائل نصرت وجوز في مثل  
قولهم نصرك ولان كل فعل له فاعل سواء كان لازما او متعديا ولا كذلك المفعول به  
ففسيت وعساك كمصبت وعصاك في اقران الفاعل بالفعل والمفعول به واما قول من قال  
عسى انت تقوم وعسى ان اقوم فندون ما ذكرنا للتطويل الذي فيه (المسئلة الثانية)  
الاستفهام للتقرير المؤكد فانه لو قال على سبيل الاخبار عسيتم ان توليتم لكان للخطاب  
ان ينكره فاذا قال بصيغة الاستفهام كما نه يقول انا اسألك عن هذا وانت لاتقدر ان  
تجيب الابلاونم فهو مقرر عندك وعندى (المسئلة الثالثة) عسى للتوقع والله تعالى  
عالم بكل شئ فقول فيه ما قلنا في اعل وفي قوله لبسوا ان بعض الناس قال يفعل بكم فعل  
الترجي والمبتلى والمتوقع وقال آخرون كل من نظر اليهم يتوقع منهم ذلك ونحن قلنا  
هو محمول على الحقيقة وذلك لان الفعل اذا كان ممكنا في نفسه فالنظر اليه غير مستلزم لامر  
وانما الامر يجوز ان يحصل منه تارة ولا يحصل منه اخرى فيكون الفعل ادلك الامر  
المطلوب على سبيل الترجي سواء كان الفاعل يعلم حصول الامر منه وسواء ان لم يكن يعلم  
مساله من نصب شبكة لاصطياد الصبيد يقال هو متوقع لذلك فان حصل له العلم بوقوعه فيه  
باخبار صادق انه سيقع فيه او بطريق اخرى لا يخرج عن التوقع غاية ما في الباب ان في  
الشاهد لم يحصل لما العلم فيما توقعه فيظن ان عدم العلم لازم للمتوقع وليس كذلك بل  
المتوقع هو المنتظر لامر ليس بواجب الوقوع نظرا الى ذلك الامر فحسب سواء كان  
له به علم او لم يكن وقوله ان توليتم فيه وجهان (احدهما) انه من الولاية يعني ان اخذتم  
الولاية وصار الناس بأمركم أفسدتم وقطعتم الارحام (وانهينما) هو من التولى الذي

شر وفساد وانتم مأمورون  
شأنكم الطاعة والقول المعروف  
يتوقع منكم اذا اطلقت اعنكم  
وصرتم أمسين مادكر من الافساد  
وقطع الارحام وقيل ان اعرضتم  
عن الاسلام ان ترجعوا الى ما كنتم  
عليه في الجاهلية من الافساد في  
الارض بالعاور والتناهب  
وقطع الارحام بمقاتلة بعض  
الافارب بعضا واد البواب وفيه  
ان الواقع في حيز السرط في مثل  
هدا الملام لابد ان يكون محذوريته  
ناعتبار ما يستتبعه من الماسد  
لا باعتبار ذاته ولا ريب في ان  
الاعراض عن الاسلام رأس كل  
سر وفساد فحقه ان يجعل عمدة  
في التوبيع لاوسيلة للتوبيع بما  
دونه من الماسد وقرئ ولم  
على البناء للمفعول اى جعلتم  
ولاة وقرئ توليتم اى تولاكم  
ولاة حور حرجم معهم  
وساعدتموهم في الاساد وطمعة  
الرحم وقرئ وتقطعوا من التقطع  
بحذف احدى التاءين فاتصبا  
ارحامكم حينئذ على نزاع الحاراي في  
ارحامكم وقرئ وسقطوا  
من القطع والحاو الضمير لعسى  
لغة اهل الحجاز واما ننوعم  
فيقولون عسى ان تفعل وعسى  
ان تفعلوا

هو الاعراض وهذا مناسب لما ذكرنا في ان كنتم تتركون القتال وتقولون فيه الفساد  
وقطع الارحام لكون الكفار اقرارا فلا يقع منكم الا ذلك حيث تقاتلون على ادنى شيء  
كما كان عادة العرب (الاول) يؤكد قراءة من قرأ أوليتهم وقراءة على عليه السلام توليتهم  
اي ان تولواكم ولاية ظلمة جفاة غشمة ومشيتهم تحت لوائهم وفسدتم بافسادهم معهم وقطعتم  
ارحامكم والنبي عليه السلام لا يأمركم الا بالاصلاح وصلة الارحام فلم تقاعدون عن  
القتال وتباعدون في الضلال \* ثم قال تعالى ( أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم واعمى  
ابصارهم ) اشارة لمن سبق ذكرهم من المنافقين ابعدهم الله عنه او عن الخير فأصمهم  
فلا يسمعون الكلام المستبين واعماهم فلا يتبعون الصراط المستقيم وفيه ترتيب حسن  
وذلك من حيث انهم استمعوا الكلام العلمى ولم يفهموه فهم بالنسبة اليه صم اصمهم الله  
وعند الامر بالعمل تركوه وعللوا بكونه افسادا وقطعا للرحم وهم كانوا يتعاطونه عند  
الهي عنه فلم يروا حالهم وما هم عليه وتركوا اتباع النبي الذي يأمرهم بالاصلاح وصلة  
الارحام ولو دعاهم من يأمر بالافساد وقطيعة الرحم لاتبعوه فهم عمى اعماهم الله وفيه  
لطيفة وهى ان الله تعالى قال اصمهم ولم يقل اصم آذانهم وقال اعمى ابصارهم ولم يقل  
اعمى اذانهم وذلك لان العين آلة الرؤية ولو اصابها آفة لا يحصل الابصار والاذن لو اصابها  
آفة من قطع او قلع تسمع الكلام لان الاذن خلقت وخلق فيها تعاريج ليكثر فيها الهواء  
المتنوع ولا يقرع الصماخ بعنف فيؤذى كما يؤذى الصوت القوى فقال اصمهم من غير  
ذكر الاذن وقال اعمى ابصارهم مع ذكر العين لان البصر ههنا بمعنى العين ولهذا جمعه  
بالابصار ولو كان مصدرا لما جمع فلم يذكر الاذن اذ لا مدخل لها في الاصمام والعين لها  
مدخل في الرؤية بل هى الكل ويدل عليه ان الآفة في غير هذه المواضع لما اضافها الى  
الاذن سماها وقرأ كما قال تعالى وفي آذاننا ورق وقال كان في اذنيه وقرأ الوقر دون الصمم  
وكذلك الطرش \* ثم قال تعالى ( افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها ) ولذا ذكر  
تفسيرها في مسائل ( المسئلة الاولى ) لما قال الله تعالى فأصمهم واعمى ابصارهم كيف  
يمكنهم التدبر في القرآن قال تعالى افلا يتدبرون وهو كقول القائل للاعوى ابصرو ولاصم  
اسمع فقول (الجواب) عنه من ثلاثة اوجه مترتبة بعضها احسن من البعض (الاول)  
تكليفه ما لا يطاق جائز والله امر من علم انه لا يؤمن بأن يؤمن فكذلك جاز ان يعميهم  
ويذمهم على ترك التدبر (الساني) ان قوله افلا يتدبرون المراد منه الساس (الثالث) ان  
نقول هذه الآية توردت محققة لمعنى الآية المتقدمة فانه تعالى قال اولئك الذين لعنهم الله  
اي ابعدهم عنه او عن الصدق او عن الخير او غير ذلك من الامور الحسنة فأصمهم  
لا يسمعون حقيقة الكلام واعماهم لا يتبعون طريق الاسلام فاذنهم بين امرين  
املا يتدبرون القرآن فيبعدون منه لان الله تعالى لعنهم وابعدهم عن الخير والصدق  
والقرآن منهما الصنف الاعلى بل النوع الاشرف واما يتدبرون لكن لا تدخل معانيه في

( اولئك ) اشارة الى المخاطبين  
بطريق الالتفات اذا بنا ذكر  
هناهم اوجب اسقاطهم عن رتبة  
الخطاب وحكاية احوالهم  
القطعية لعيرهم وهو مبتدأ خبره  
( الذين لعنهم الله ) اي ابعدهم من  
رحته ( فأصمهم ) عن استماع الحق  
لتصامهم عنه بسوء اختيارهم  
( واعمى ابصارهم ) لتعميمهم عما  
يشاهدونه من الايات المنصوبة  
في الانفس والافاق ( افلا يتدبرون  
القرآن ) اي ألا يلاحظونه ولا  
يتصفحونه وما فيه من المواعظ  
والنواجز حتى لا يقعوا فيما وقعوا  
فيه من الموبقات ( ام على قلوب  
اقفالها ) فلا يكاد يصل اليها ذكر  
اصلا وام منقطعة وما فيها من  
معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم  
التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم  
مقفلة لا تقبل التدبر والتفكير  
والهمزة للتقريب وتسكير القلوب  
اما التحويل حالها وتقطيع شأنها  
بانها امرها في القساوة والجهالة  
كأنه قيل على قلوب منكرة  
لا يعرف حالها ولا يقاديرها  
في القساوة واما لان المراد بها  
قلوب بعض منهم وهم المنافقون  
واضافة الاقفال اليها للدلالة على  
انها افعال مخصوصة بها مناسبة  
لها غير محاسبة لسائر الاقفال  
المهودة وقرئ اقلها واقفالها  
على المصدر ( ان الذين ارتدوا على  
ادبارهم ) اي رجعوا الى ما كانوا

عليه من الكفر وهم المناقون الذين وصفوا فياسلف يعرض القلوب وغيره من قبائح الافعال والاحوال فانهم قد كفروا به عليه الصلاة والسلام (من بعد ما تبين لهم الهدى) بالدلائل الطاهرة والمجهرات القاهرة وقيل هم اليهود وقيل اهل الكتابين جميعا كفروا به عليه الصلاة والسلام بعد ما وجدوا نفعه في كتابهم وعرفوا انه المنعوت بذلك وقوله تعالى (الشیطان سول لهم) جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبر الان اي سهل ركوب العطاء من السول وهو الاسر خا وقيل من السول المخفف من السؤل لاستقرار القلب فحى سول له امرا حينئذ اوقعه في امينته فان السؤل الامنية وقرئ سول مبنيا للمفعول على حذف المضای ای كيد الشيطان (واملى لهم) ومدلهم في الاماني والآمال وقيل امهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرئ واملى لهم على صيغة المتكلم فالعنى ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم فالوال للحال اول الاستشفاف وقرئ املى لهم على البناء للمفعول ای امهلوا ومدنى عمرهم (ذلك) اشارة الى ما ذكر من ارتدادهم لالى الاملاء كما نقل عن الواحدى والالتسويل كما قيل لان شيئا منها ليس مسبعا عن القول الاتى وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بانهم) ای بسبب انهم

قلوبهم لكونها مقفلة تقديره افلا يتدبرون القرآن لكونهم ملعونين مبعودين أم على قلوب اقفال فيتدبرون ولا يفهمون وعلى هذا لا يحتاج ان نقول أم بمعنى بل هي على حقيقتها للاستفهام واقعة في وسط الكلام والهزة أخذت مكانها وهو الصدر وأم دخلت على القلوب التي في وسط الكلام (المسئلة البانية) قوله على قلوب على التكبير ما الفائدة فيه نقول قال الزمخشري يحتمل وجهين (احدهما) ان يكون للتنبيه على كونه موصوفا لان السكره بالوصف أولى من المعرفة فكأنه قال أم على قلوب قاسية او مظلمة (الثاني) ان يكون للتبعية كأنه قال أم على بعض القلوب لان السكره لا تعم نقول جاءنى رجال فيفهم البعض وجاءنى الرجال فيفهم الكل ونحن نقول التكبير للقلوب للتنبيه على الانكار الذى في القلوب وذلك لان القلب اذا كان عارفا كان معروفا لان القلب خلق للمعرفة فاذا لم تكن فيه المعرفة فكأنه لا يعرف وهذا كما يقول القائل في الانسان المؤذى هذا ليس بانسان هذا ساع ولذلك يقال هذا ليس بقلب هذا جرح اذا علم هذا فالتعريف اما بالالف واللام واما بالاضافة واللام لتعريف الجنس او للعهد ولم يمكن ارادة الجنس اذ ليس على كل قلب قفل ولا تعريف العهد لان ذلك القلب ليس ينبغي ان يقال له قلب واما بالاضافة بان نقول على قلوب اقفالها وهى لعدم عود فائدة اليهم كأنها ليست لهم فان قيل فقد قال ختم الله على قلوبهم وقال فويل للقاسية قلوبهم فنقول الاقفال ابلغ من الختم فترك الاضافة لعدم انتفاعهم رأسا (المسئلة الثالثة) في قوله اقفالها بالاضافة ولم يقل اقفال كما قال قلوب لان الاقفال كانت من شأنها فأضافها اليها كأنها ليست الالهة وفي الجملة لم يضاف القلوب اليهم لعدم نفعها اياهم واذاف الاقفال اليها لكونها مناسبة لها ونقول اراد به اقفالا مخصوصة هي اقفال الكفر والعناد ثم قال تعالى (ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم) اشارة الى اهل الكتاب الذين تبين لهم الحق في التوراة بنعت محمد صلى الله عليه وسلم وبعنه وارتدوا أو الى كل من ظهرت له الدلائل وسمعها ولم يؤمن وهم جماعة منعهم حب الرياسة عن اتباع محمد عليه السلام وكانوا يعلمون انه الحق الشيطان سول لهم سهل لهم واملى لهم يعني قالوا نعيش اياما ثم نؤمن به وقرئ واملى لهم فان قيل الاملاء والامهال وحد الال لا يكون الا من الله فكيف يصح قراءة من قرأ واملى لهم فان الملمى حينئذ يكون هو الشيطان نقول الجواب عنه من وجهين (احدهما) جاز ان يكون المراد واملى لهم الله فيقف على سول لهم (وثانيا) هو ان السول ايضا ليس هو الشيطان وانما اسند اليه من حيث ان الله قدر على يده ولسانه ذلك فذلك الشيطان يعلمهم ويقول لهم في آجالكم فسحة فتمتعوا برباستكم ثم في آخر الامر تؤمنون وقرئ واملى لهم بفتح الباء وضم الهزة على البناء للمفعول ثم قال تعالى (ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم اسرارهم) قال بعض المفسرين ذلك اشارة الى الاملاء اي ذلك الاملاء بسبب

(قالوا) يعني المنافقين المذكورين  
 لا اليهود لكافرين به عليه الصلاة  
 والسلام بعدما وجدوا نعتهم في  
 التوراة كما قيل فان كفرهم به ليس  
 بسبب هذا القول ولو فرض  
 صدوره عنهم سواء كان القول لهم  
 المنافقين او المشركين على رأى  
 القائل بل من حين بعثته عليه  
 الصلاة والسلام (للمؤمنين كرهوا  
 ما نزل الله) اي اليهود الكارهين  
 لنزول القرآن على رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم مع علمهم بانه من عند  
 الله تعالى حسدا وطعافى نزوله  
 عليهم للمشركين كما قيل فان قوله  
 تعالى (سنطيعكم في بعض الامر)  
 عبارة قطعا عما حكي عنهم بقوله  
 تعالى الم تر الى الذين ناقضوا بقرانهم  
 لاخوانهم الذين كفروا ومن اهل  
 الكتاب لئن اخرجتم لفرجتم  
 معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا  
 وان قولتم لنضربكم وهم بمو  
 هبة والضفير الذين كانوا  
 يوالونهم ويوادونهم وارادوا  
 بالبعض الذى اشاروا الى عدم  
 اطاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان  
 امرهم بالفعل قبل قتالهم  
 واخراجهم من ديارهم فانهم  
 كانوا يابون ذلك قبل مساس  
 الحاحة الضرورية الداعية  
 اليه لما كان لهم في اظهار الايمان  
 من المنافع الدنيوية وانما كانوا  
 يقولون لهم ما يقولون سرا كما  
 يعرب عنه قوله تعالى ( والله  
 يعلم اسرارهم ) اي اخفاءهم  
 لما يقولونه

انهم قالوا الذين كرهوا وهو اختيار الواحدى وقال بعضهم ذلك اشارة الى التسويل  
 ويحتمل ان يقال ذلك الارتداد بسبب انهم قالوا سنطيعكم وذلك لان اثنين ان قوله  
 سنطيعكم في بعض الامر هو انهم قالوا نوافقكم على ان محمد ليس برسل وانما هو كاذب  
 ولكن لانوافقكم في انكار الرسالة والحشر والاشراك بالله مع الاصنام ومن لم يؤمن  
 بمحمد عليه الصلاة والسلام فهو كافر وان آمن بغيره لابل من لم يؤمن بمحمد عليه السلام  
 لا يؤمن بالله ولا برسله ولا بالحشر لان الله كما اخبر عن الحشر وهو جاز اخبر عن نبوة محمد  
 عليه الصلاة والسلام وهى جائزة فاذا لم يصدق الله فى شئ لا ينفي الكذب بقول الله فى غيره  
 فلا يكون مصدقا موقفا بالحشر ولا برسالة احد من الانبياء لان طريق معرفتهم واحد  
 والمراد من الذين كرهوا ما نزل الله هم المشركون والمنافقون وقيل المراد اليهود فان اهل  
 مكة قالوا لهم نوافقكم في اخراج محمد وقتله وقتل اصحابه والاول اصح لان قوله كرهوا  
 ما نزل الله لو كان مسندا الى اهل الكتاب لكان مخصوصا ببعض ما نزل الله وان قلنا بانه  
 مسند الى المشركين يكون عاما لانهم كرهوا ما نزل الله وكذبوا الرسل باسمهم وانكروا  
 الرسالة رأسا وقوله سنطيعكم في بعض الامر. يعنى فيما يتعلق بمحمد من الايمان فلا تؤمن  
 والتكذيب به فكذبه كما تكذبونه والقتال معه واما الاشراك بالله واتخاذ الانداد له من  
 الاصنام وانكار الحشر والنبوة فلا وقوله والله يعلم اسرارهم قال اكثرهم المراد منه هو  
 انهم قالوا ذلك سرا فشاء الله واظهره لنبيه عليه السلام والاظهر ان يقال والله يعلم  
 اسرارهم وهو ما فى قلوبهم من العلم بصدق محمد عليه السلام فانهم كانوا مكابرين معاندين  
 وكانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يعرفون ابناءهم وقرى اسرارهم بكسر  
 الهمزة على المصدر وما ذكرنا من المعنى ظاهر على هذه القراءة فانهم كانوا يسرون نبوة محمد  
 عليه الصلاة والسلام وعلى قولنا المراد من الذين ارتدوا المنافقون فكانوا يقولون  
 للمجاهدين من الكفار سنطيعكم في بعض الامر وكانوا يسرون انهم ان غلبوا انقلبوا  
 كما قال الله تعالى ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كننا معكم وقال تعالى فاذا جاء الخوف  
 سلقوكم بالسنة حداد \* ثم قال تعالى ( فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم  
 وادبارهم ) اعلم انه لما قال الله تعالى والله يعلم اسرارهم قال فبهم انهم يسرون والله لا يظهره  
 اليوم فكيف يبقى مخفيا وقت وفاتهم او تقول كانه تعالى قال والله يعلم اسرارهم وهما انهم  
 يختارون القتال لما فيه من الضراب والطعان مع انه مفيد على الوجهين جميعا ان غلبوا  
 فالمال فى الحال والنواب فى المآل وان غلبوا فالشهادة والسعادة فكيف حالهم اذا  
 ضرب وجوههم وادبارهم وعلى هذا فيه لطيفة وهى ان القتال فى الحال ان اقدم المبارز  
 فربما يهزم الخصم ويسلم وجهه وقفاه وان لم يهرمه فالضرب على وجهه ان صبر ونبت  
 وان لم ينبت وان هزم فان مات القرن فقد سلم وجهه وقفاه وان لم يفته فالضرب على قفاه لا غير  
 ويوم الوفاة لانصره ولا مفروجه وظهره مضروب مطعون وكيف يحترز عن الاذى

ويختار العذاب الأكبر \* قوله تعالى (ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه) وفيه لطيفة وهي ان الله تعالى ذكر امرين ضرب الوجه وضرب الادبار وذكرا بعدهما امرين آخرين اتباع ما اسخط الله وكرهه رضوانه فكانه تعالى قابل الامرين فقال يضربون وجوههم حيث اقبلوا على سخط الله فان المتبع للشيء متوجه اليه ويضربون ادبارهم لانهم تولوا عما فيه رضا الله فان الكراهة للشيء يتولى عنه وما اسخط الله يحتمل وجوها (الاول) انكار الرسول عليه الصلاة والسلام ورضوانه الاقرار به والاسلام (الثاني) الكفر هو ما اسخط الله والايمان يرضيه يدل عليه قوله تعالى ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم وقال تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية الى ان قال رضى الله عنهم ورضوانه (الثالث) ما اسخط الله تسويل الشيطان ورضوان الله التعويل على البرهان والقرآن فان قيل هم ما كانوا يكرهون رضوان الله بل كانوا يقولون ان ما نحن عليه فيه رضوان الله ولا نطلب الارضا الله وكيف لا والمشركون باشرألهم كانوا يقولون انا نطلب رضا الله كما قالوا فيقربونا الى الله زلفى وقالوا ليشفعوا لنا فنقول معناه كرهوا ما فيه رضا الله تعالى (وفيه لطيفة) وهي ان الله تعالى قال ما اسخط الله ولم يقل ما رضى الله وذلك لان رحمة الله سابقة فله رحمة نابتة وهي منشأ الرضوان وغضب الله متأخر فهو يكون على ذنب فقال رضوانه لانه وصف ثابت لله سابق ولم يقل سخط الله بل ما اسخط الله اشارة الى ان السخط ليس بثبوت كسبوت الرضوان ولهذا المعنى قال في اللعان في حق المرأة والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فقال غضب الله مضافا لان لعانه قد سبق مظهر الزنا بقوله وأيمانه وقبله لم يكن لله غضب ورضوان الله امر يكون منه الفعل وغضب الله لم يكن من فعله ولم يضرب له مثلا الكريم الذي رسخ الكرم في نفسه يحمله الكرم على الافعال الحسنة فاذا كثر من السيئ الاساءة فغضبه لا لمرعود اليه بل بغضبه عليه يكون لاصلاح حاله وزجرا لامثاله عن مثل فعاله فيقال هو كان الكريم فكرمه لما فيه من الغريزة الحسنة لكن فلانا اغضبه وظهر منه الغضب فيجعل الغضب ظاهرا من الفعل والفعل الحسن ظاهرا من الكرم فالغضب في الكريم بعد فعل والفعل منه بعد كرم ومن هذا يعرف لطف قوله ما اسخط الله وكرهوا رضوانه \* ثم قال تعالى (فأحبط اعمالهم) حيث لم يطلبوا رضا الله وانما طلبوا رضا الشيطان والاصنام \* قوله تعالى (ام حسب الدين في قلوبهم مرض ان لن نخرج الله اضغاثهم) هذا اشارة الى المنافقين وام تستدعي جملة اخرى استفهامية اذا كانت للاستفهام لان كذا ام اذا كانت متصلة استفهامية تستدعي سبق جملة اخرى استفهامية يقال ازيد في الدار ام عمرو واذا كانت منقطعة لاستدعي ذلك يقال ان هذا زيد ام عمر كما يقال بل عمرو والمفسرون على انها منقطعة ويحتمل ان يقال انها استفهامية والسابق مفهوم من قوله تعالى والله يعلم اسرارهم فكانه تعالى قال

للهود وقرى اسرارهم لى جميع اسرارهم التي من جلتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله منضمين للافتشاء في الدنيا والتعذيب في الآخرة والفاء في قوله تعالى (فكيف اذا توفتهم الملائكة) لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل في الظور كأنه قيل يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم الملائكة وقيل مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف اى فكيف حالهم اوحيتهم اذا توفتهم الخ وفري توفاهم على انه اما ماض او مضارع قد حذف احدى تاءيه (يضربون وجوههم وادبارهم) حال من فاعل توفتهم او من مفعوله وهو تصوير لتوفيم على اهل الوجوه واقطعها وعن ابن عباس رضى الله عنها لا يتوفى احد على مصيبة الا يضرب الملائكة وجهه ودبره (ذلك) التوفى الهائل (بأنهم) اى بسبب انهم (اتبعوا ما اسخط الله) من الكفر والمعاصي (وكرهوا رضوانه) اى ما يرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود (فأحبط) لاجل ذلك (اعمالهم) التي علوها حال ايمانهم من الطاعات او بعد ذلك من اعمال البر التي لو علوها حال الايمان لا يتصفوا بها (ام حسب الذين في قلوبهم مرض)

أحسب الذين كفروا ان لن يعلم الله اسرارهم ام حسب المنافقون ان لن يظهرها والكل قاصر وانما يعلمها ويظهرها ويؤيد هذا ان المنقطعة لاتكاد تقع في صدر الكلام فلا يقال ابتداء بل جاء زيد ولا جاء عمرو والاخراج بمعنى الاظهار فانه ابرازوا الاضغان هي الخفود والامراض واحدها ضغن \* ثم قال تعالى ( ولو نشاء لآريناكم فلعرفتمهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم ) لما كان مفهوم قوله ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ان الله يظهر ضمائرهم ويرزسراثرهم كأن قائل قال فلم يظهر فقال اخرناه لحض المشيئة لانخوف منهم كالاتشى اسرار الاكابر خوفا منهم ولونشاء لآريناكم اي لامانع لنا والارادة بمعنى التعريف وقوله فلعرفتمهم زيادة فائدة وهي ان التعريف قد يطلق ولا يلزمه المعرفة يقال عرفته ولم يعرف وفهمته ولم يفهم فقال ههنا فلعرفتمهم يعني عرفناهم تعريفا تعرفهم به اشارة الى قوة التعريف واللام في قوله فلعرفتمهم هي التي تقع في جزاء لو كما في قوله لآريناكم ادخلت على المعرفة اشارة الى ان المعرفة كالمرتبة على المشيئة كائنه قال ولونشاء لعرفتمهم ليفهم ان المعرفة غير متأخرة عن التعريف فنفيد تأكيد التعريف اي لونشاء لعرفناك تعريفا معه المعرفة لابعدها واللام في قوله تعالى ولتعرفتمهم جواب لقسم محذوف كائنه قال ولتعرفتمهم والله وقوله في لحن القول فيه وجوه ( احدها ) في معنى القول وعلى هذا فيحتمل ان يكون المراد من القول قولهم اي لتعرفتمهم في معنى قولهم حيث يقولون مامعناه النفاق كقولهم حين بجى النصرانا كنا معكم وقولهم لئن رجعنا الى المدينة ليجرجن وقولهم ان بوتنا عورة وغير ذلك ويحتمل ان يكون المراد قول الله عز وجل اي لتعرفتمهم في معنى قول الله تعالى حيث قال ماتعل منه حال المناقين كقوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا وقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى غير ذلك ( وثانيها ) في ميل القول عن الصواب حيث قالوا ما لم يعتقدوا فامالوا كلامهم حيث قالوا نشهد انك رسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وقالوا ان بوتنا عورة وما هي بعورة ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار الى غير ذلك ( وثالثها ) في لحن القول اي في الوجه الخفي من القول الذي يفهمه النبي عليه السلام ولا يفهمه غيره وهذا يحتمل امرين ايضا والنبي عليه السلام كان يعرف المفاق ولم يكن يظهر امره الى ان اذن الله تعالى له في اظهار أمرهم ومنع من الصلاة على جنازتهم والقيام على قبورهم واما قوله بسيماهم فالظاهر ان المراد ان الله تعالى لو شاء لجعل على وجوههم علامة او يسميهم كما قال تعالى ولونشاء لسميكنهم وروى ان جماعة منهم أصبحوا وعلى جباههم مكتوب هذا منافق وقوله تعالى والله يعلم اعمالكم وعد للمؤمنين وبيان لكون حالهم على خلاف حال المفاق فان المفاق له قول بلا عمل والمؤمن كان له عمل ولا يقول به وانما قوله التسبيح ويدل عليه قوله تعالى ربنا لا تؤخذنا ان نسينا

هم المنافقون الذين فصلت احوالهم الشنيعة وصغوا بوصفهم السابق لكونه مدار المانع عليهم بقوله تعالى ( ان لن يخرج الله اضغانهم ) فأم منقطعة وان محققة من ان وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف ولنما في حيزها خبرها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد اي بل احسب الذين في قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين انه لن يخرج الله احقادهم ولن يرزها لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فنبقى امورهم مستورة والمعنى ان ذلك مما لا يتبادر يدخل تحت الاحتمال ( ولونشاء ) ارايتهم ( لآرياسكم ) لعرفناكم بدلائل تعرفهم بأعيانهم معرفة متناجزة للرؤية والاتفات الى نور العظمة لابرز العناية بالارادة ( فلعرفتمهم بسيماهم ) بعلامتهم التي لسميهم بها وعن انس رضي الله عنه ماخى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شئ من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزات وفيها تسعة من المنافقين يشكوه الناس فتناووا ذات ليلة واصبحوا على كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت في المعطوف للتأكيذ والالتزيم المعرفة على الارادة واما ما في قوله تعالى

( ولتعرفتهم في لحن القول )  
فلجواب قسم محذوف ولحن  
القول نحوه وأسلوبه أو أمانته  
إلى جهة تعريض وتورية ومنه  
قيل للخطي لحن لعدله  
بالكلام عن سمت الصواب ( والله  
يعلم أعمالكم ) فيجازيكم بحسب  
قصدكم وهذا وعد للمؤمنين  
وايدان بأن حالهم يختلف حال  
المتأقين ( ولنبلونكم ) بالامر  
بالجهاد ونحوه من التكليف  
الشاقة ( حتى نعلم المجاهدين منكم  
والصابرين ) على مشاق الجهاد  
علا فليأيتعلق به الجراء ( ونبلو  
أخباركم ) ما يخبر به عن أعمالكم  
فيظهر حسنهم وقبحهم وقرئ  
ويبلو بالياء وقرئ نبلو يسكون  
الواو على ونحن نبلو ( أن الذين  
كفروا وصدوا ) الناس ( عن  
سبيل الله وشاقوا الرسول )  
وعادوه ( من بعد ما تبين لهم  
الهدى ) بما شاهدوا نعتهم عليه  
الصلاة والسلام في التوراة وما  
ظهر على يديه من المعجزات  
وزل عليه من الآيات وهم  
قريظة والنضير أو المطعمون  
يوم بدر ( لن يضروا الله ) بكفرهم  
وصدهم ( شيئا ) من الأشياء أو شيئا  
من الضرر أو لن يضروا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بمشافته شيئا  
وقد حذف المضاعف لتنظيمه  
وتفطيم مشافته ( وسيحبط أعمالهم )  
أي مكايدهم التي نصبوها في  
إبطال دينه تعالى ومشاقه رسوله  
عليه

أو أخطأنا وقوله ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وكانوا يعملون الصالحات  
ويتكلمون في السيئات مستغفرين مشفقين والمنافق كان يتكلم في الصالحات كقوله  
إنهم معكم قالت الأعراب آمنوا من الناس من يقول آمنا ويعمل السيئ فقال تعالى الله يسمع  
أقوالهم الفارغة ويعلم أعمالكم الصالحة فلا يضيع ﴿ ثم قال تعالى ( ولنبلونكم حتى نعلم  
المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ) أي لنأمرنكم بما لا يكون متعبا للوقوع بل  
بما يحتمل الوقوع ويحتمل عدم الوقوع كما يفعل الخبير وقوله تعالى حتى نعلم المجاهدين أي  
نعمل المجاهدين من غير المجاهدين ويدخل في علم الشهادة فإنه تعالى قد علم علم الغيب وقد  
ذكرنا ما هو التحقيق في الابتلاء في قوله حتى نعلم وقوله المجاهدين أي المتقدمين على الجهاد  
والصابرين أي الثابتين الذين لا يولون الأدبار وقوله ونبلو أخباركم يحتمل وجوها ( أحدها )  
قوله آمنا لأن المنافق وجد منه هذا الخبر والمؤمن وجد منه ذلك أيضا وبالجهاد يعلم الصادق  
من الكاذب كما قال تعالى أولئك هم الصادقون ( وثانيها ) أخبارهم من عدم التولية في  
قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار إلى غير ذلك فالؤمن وفي بعدهم وقائل  
مع أصحابه في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص والمنافق كان كالهباء يزعج بأدنى صحة  
( وثالثها ) المؤمن كان له أخبار صادقة مسموعة من النبي عليه السلام كقوله تعالى لتدخلن  
المسجد الحرام لأعلنن أن أولي الأورسلى وإن جردنا لهم الغالبون وللمنافق أخباره أراجيف  
كما قال تعالى في حقهم والمرجعون في المدينة فعند تحقق الإبحاف يتبين الصدق من  
الأرجاف ﴿ ثم قال تعالى ( أن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد  
ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم ) وفيه وجهان ( أحدهما ) هم أهل  
الكتاب قريظة والنضير ( والثاني ) كفار قريش يدل على الأول قوله تعالى من بعد ما تبين  
لهم الهدى قبل أهل الكتاب تبين لهم صدق محمد عليه السلام وقوله لن يضروا الله شيئا  
تهديد معناه هم يظنون أن ذلك الشقاق مع الرسول وهم به يشاقونه وليس كذلك بل  
الشقاق مع الله فإن محمدا رسول الله ما عليه الإلباغ فإن ضروا يضروا المرسل لكن  
الله منزّه عن أن يتضرر بكفر كافر وفسق فاسق وقوله وسيحبط أعمالهم قد علم معناه فإن  
قيل قد تقدم في أول السورة أن الله تعالى أحبط أعمالهم فكيف يحبط في المستقبل  
فقول الجواب عنه من وجهين ( أحدهما ) أن المراد من قوله الذين كفروا وصدوا عن  
سبيل الله في أول السورة المشركون ومن أول الأمر كانوا مبطلين وأعمالهم كانت على  
غير شريعة والمراد من الذين كفروا ههنا أهل الكتاب وكانت لهم أعمال قبل الرسول  
فأحبطها الله تعالى بسبب تكذيبهم الرسول ولا يفتعهم إيمانهم بالخير والرسول  
والتوحيد والكافر المشرك أحبط عمله حيث لم يكن على شرع أصلا ولا كان معترفًا بالخير  
( الثاني ) هو أن المراد بالأعمال ههنا مكايدهم في القتال وذلك قد تحقق منهم والله سيبطله  
حيث يكون النصر للمؤمنين والمراد بالأعمال في أول السورة هو ما ظنوه حسنة ﴿ ثم قال



تعالى (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) العطف  
ههنا من باب عطف السبب على السبب يقال اجلس واسترح وقم وامش لان طاعة  
الله تحمل على طاعة الرسول وهذا اشارة الى العمل بعد حصول العلم كاشته تعالى قال  
يا أيها الذين آمنوا علم الحق فافعلوا الخير وقوله ولا تبطلوا أعمالكم يحتمل وجوها  
(احدها) دو موعلى ما انتم عليه ولا تشركوا فتبطل أعمالكم قال تعالى لئن اشركت  
ليحبطن عملك (الوجه الثاني) لا تبطلوا أعمالكم بتر طاعة الرسول كما يبطل اهل الكتاب  
أعمالهم بتكذيب الرسول وعصيانه ويؤيده قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفضوا  
اصواتكم الى ان قال ان تحبط أعمالكم وانتم لا تشعرون (الثالث) لا تبطلوا أعمالكم  
بالن والاذى كما قال تعالى يمينون عليك ان اسلوا قل لا تمنوا على اسلامكم وذلك ان من يمن  
بالطاعة على الرسول كانه يقول هذا فعلته لاجل قلبك ولولا رضائي به لما فعلت وهو  
مناف للاخلاص والله لا يقبل الا العمل الخالص \* ثم قال تعالى (ان الذين كفروا  
وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار قلن يغفر الله لهم) بين ان الله لا يغفر الشرك وما  
دون ذلك يغفره ان شاء حتى لا يظن ظان ان اعمالهم وان بطلت لكن فضل الله باق يغفر لهم  
بفضله وان لم يغفر لهم بعملهم \* ثم قال تعالى (فلاتهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون  
والله معكم ولئن يترك اعمالكم) لما بين ان عمل الكافر الذي له صورة الحسنات محبط وذنبه  
الذي هو اقبح السيئات غير مغفورين ان لاحرمته في الدنيا ولا في الآخرة وقدام الله  
تعالى بطاعة الرسول بقوله واطيعوا الرسول وامر بالقتال بقوله فلاتهنوا اى لاتضعفوا  
بعد ما وجد السبب في الجدل في الامر والاجتهاد في الجهاد فقال فلاتهنوا وتدعوا الى السلم  
وفي الآيات ترتيب في غاية الحسن وذلك لان قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول يقتضى  
السعى في القتال لان امر الله وامر الرسول ورد بالجهاد وقدموا بالطاعة فذلك يقتضى  
ان لا يضعف المكلف ولا يكسل ولا يهن ولا يتهاون ثم ان بعد مقتضى قد يتحقق مانع  
ولا يتحقق السبب والمانع من القتال اما اخروى واما دنيوى فذكر الاخروى وهو ان  
الكافر لاحرمته له في الدنيا والآخرة لانه لا عمل له في الدنيا ولا مغفرة له في الآخرة فاذا وجد  
السبب ولم يوجد المانع ينبغى ان يتحقق السبب ولم يقدم المانع الدنيوى على قوله فلاتهنوا  
اشارة الى ان الامور الدنيوية لا ينبغى ان تكون مانعة من الاتيان فلاتهنوا فان لكم  
النصر او عليكم بالعزيمة على تقدير الاعتراف للهزيمة ثم قال تعالى بعد ذلك المانع الدنيوى  
مع انه لا ينبغى ان يكون مانعا ليس بموجود ايضا حيث اتم الاعلون والاعلون  
والمصطفون في الجمع حالة الرفع معلوم الاصل ومعلوم ان الامر كيف آل الى هذه الصيغة  
في التصريف وذلك لان اصله في الجمع الموافق اعليون ومصطفون فسكنت الياء لكونها  
حرف علة فحرك ما قبلها والواو كانت ساكنة فالتقى ساكنان ولم يكن بد من حذف احدهما  
او تحريكه والتحريك كان يقع في المحذور الذي اجتنب منه فوجب الحذف والواو كانت

الصلاة والسلام فلا يصلون بها الى  
ما كانوا يبعثون من الفوائ  
ولا تتركهم الا لقتل والجلاد عن  
اوطانهم (يا أيها الذين آمنوا  
اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا  
تبطلوا أعمالكم) بما يبطل به هؤلاء  
أعمالهم من الكفر والنفاق  
والعجب والرياء والمن والاذى  
ونحوها وليس فيه دليل على  
احباط الطاعات بالكبائر ان  
الذين كفروا وصدوا عن سبيل  
الله ثم ماتوا وهم كفار قلن يغفر  
الله لهم (حكم يم كل من مات على  
الكفر وار صرح نزوله في اصحاب  
القلب (فلاتهنوا) اى لاتضعفوا  
(وتدعوا الى السلم) اى ولا تدعوا  
الكفار الى الصلح خورا فان  
ذلك اعطاء الدنية ويحوز ان  
يكون منصوبا بخاتم ان على  
حواب النهى وقرى ولا تدعوا  
من ادعى القوم بمعنى تدعوا  
محوارتهم الصيد وتراومه ومنه  
تراؤ الهلال فان صيغة لتفاعل  
قد راد بها صدور الفعل عن  
المتعدد من غير اعتبار وقوعه  
عليه ومنه قوله تعالى عم تساءرون  
على احد الوجهين والعامل ترتيب  
النهى على ما سبق من الامر  
بالطاعة وقوله تعالى (وانتم  
الاعلون) جملة حالية مقررة لعنى  
النهى مؤكدة لوجود الاتهام  
وكذا قوله تعالى (والله معكم)  
فان كونهم الاعلين وكونه

فيه معنى لا يستفاد الا منها وهو الجمع فأسقطت الباء وبقي اعلون وبهذا الدليل صار في الجر اعلين ومصطفين وقوله تعالى والله معكم هداية وارشاد يمنع المكلف من الاججاب بنفسه وذلك لانه تعالى لما قال انتم اعلون كان ذلك سبب الافتخار فقال والله معكم يعني ليس ذلك من انفسكم بل من الله او نقول لما قال وانتم اعلون فكان المؤمنون يرون ضعف انفسهم وقتهم مع كثرة الكفار وشوكتهم وكان يقع في نفس بعضهم انهم كيف يكون لهم الغلبة فقال ان الله معكم لا يبقى لكم شك ولا ريب في ان الغلبة لكم وهذا كقوله تعالى لا غلبنا انا ورسلي وقوله وان جندنا لهم الغالبون وقوله ولن يترك اعمالكم وعدا آخر وذلك لان الله لما قال ان الله معكم كان فيه ان النصر بالله لا بكم فكان القائل يقول لم يصدر مني عمل له اعتبار فلا استحق تعظيما فقال هو ينصركم ومع ذلك لا ينقص من اعمالكم شيئا ويجعل كما ان النصر جعلت بكم ومنكم فكانتكم مستقلون في ذلك ويعطيكم اجر المستبد والثرة النقص ومنه الموت كما انه نقص منه ما يشفعه ويقول عند القتال ان قتل من الكافرين احد قد تروا في اهلهم وعلمهم حيث نقص عددهم وضاع علمهم والمؤمن ان قتل قائما ينقص من عدده ولم ينقص من عمله وكيف ولم ينقص من عدده ايضا فانه حي مرزوق فرح بما هو اليه مسوق \* ثم قال تعالى (انما الحياة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتقوا يؤتكم اجروركم ولا يسألكم اموالكم) زيادة في التسلية يعني كيف تتمتع الدنيا من طلب الآخرة بالجهاد وهي لا تقوتك لكونك منصورا غالبوا وان فاتك فعملك غير موثر فكيف وما يفوتك فان فاتت ولم يعوض لا ينبغي لك ان تلنق اليها لكونها لعبا ولهوا وقد ذكرنا في اللعب واللهو مرارا ان اللعب ماشتغل به ولا يكون فيه ضرورة في الحال ولا منفعة في المال ثم ان استعماله الانسان ولم يشغله عن غيره ولم يشغله عن اشغاله المهمة فهو لعب وان شغله ودهشه عن مهماته فهو لهو ولهذا يقال ملاهى لآلات الملاهى لانها مشغلة عن الغير ويقال لمادونه لعب كاللعب بالشطرنج والجمام وقد ذكرنا ذلك غير مرة وقوله وان تؤمنوا وتقوا يؤتكم اجروركم اعاده للوعود الاضافة للتعريف اي الاجر الذي وعدكم بقوله اجر كريم واجر كبير واجر عظيم وقوله ولا يسئلكم اموالكم يحتمل وجوها (احدها) ان الجهاد لا بد له من اتفاق فلو قال قائل انا لا اتفق مالي فيقال له الله لا يسئلكم مالكم في الجهات المعينة من الزكاة والغنية واموال المصالح فيما يحتاجون اليه من المال لاترعون باخراجه (وثانيها) الاموال لله وهي في ايديكم عارية وقد طلب منكم او اجاز لكم في صرفها في جهة الجهاد فلا معنى لبحلكم بماله والى هذا اشار بقوله تعالى ومالككم ان لا تفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض اي الكل لله (وثالثها) لا يسألكم اموالكم كلها وانما يسألكم شيئا يسيرا منها وهو ربع العشر وهو قليل جدا لان العشر هو الجزء الاقل اذ ليس دونه جزء آخر وليس اسما مفردا واما الجزء من احد عشر ومن اثني عشر ومن مائة جزء للمال يمكن ملتفتا اليه لم يوضع له اسم مفرد ثم ان الله تعالى لم يوجب ذلك

عز وجل ناصرهم من اقوى موجبات الاجتناب عما يوجبهم الذل والضراعة وكذا توفيته تعالى لاجور الاعمال حسبا يعرب عنه قوله تعالى (ولن يترك اعمالكم) اي ولن يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ وجم فأفردته عنه من الوتر الذي هو الفرد وعبر عن ترك الآثابة في مقابلة الاعمال بالوتر الذي هو اضاءة شئ معتد به من النفس والاموال مع ان الاعمال غير موجبة للثواب على قاعدة اهل السنة ابرازا لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتزليل ترك الآثابة مثالة اضاغة اعظم الحقوق وانلافها وقدم في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم في لا اضيع عمل عامل منكم (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) لا يثبت لها ولا اعتداد بها (وان تؤمنوا وتقوا يؤتكم اجروركم) اي ثواب بما سأنكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التي يتنافس فيها المتنافسون (ولا يسألكم اموالكم) بمثل مجل اذاؤها بما سأنكم وانما اقتصر على نذر يسير منها هو ربع العشر تؤدونها الى فقرائكم

(ان يسألكموها) اى اموالكم  
( فيحكم ) اى يحكمكم بطلب  
الكل فان الاحياء والاخلاق  
المبالغة ببلوغ العاية يقال احفى  
شاربه اذا استأصله (بجلا) فلا  
تطعوا (ويخرج اضغانكم) اى  
احقادكم وضمير يخرج لله تعالى  
وبعضه القارة بنون العظمة او  
للجل لانه سبب الاضغان وفري  
يخرج من الخروج بالياء والثاء  
مسندا الى الاضغان ( هاتم  
هؤلاء ) اى اتم ايها المخاطبون  
هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى  
( تدعون لتنفقوا في سبيل الله )  
استثناف مقرر لذلك اوصدته  
لهؤلاء على انه بمعنى الذين اى  
هاتم الذين تدعون فقيه توبيع  
عظيم وتحقير من شأنهم والاتفاق  
في سبيل الله يم نفقة العرو والزكاة  
وغيرهما ( فحكم من بجعل ) اى  
ناس يحلون وهو في حيز الدليل  
على السرطية السابقة ( ومن  
يجعل فانما بجعل عن نفسه ) فان  
كلام نفع الاتفاق وضرر الجعل  
عائد اليه والجعل يستعمل بعن  
وعلى لتضمنه معنى الامساك  
والتعدي ( والله العلى ) دون من  
عداه ( واتم الفقراء ) فأيأمركم  
به فهو لاحتياجكم الى ما فيه من  
المنافع فان امتثلتم فلكم وان

في رأس المال بل أوجب ذلك في الربح الذي هو من فضل الله وعطائه وان كان رأس  
المال ايضا كذلك لكن هذا المعنى في الربح اظهر ولما كان المال منه ما ينفق للتجارة  
فيه ومنه ما لا ينفق وما اتفق منه للتجارة احد قسميه وهو يحتمل ان تكون التجارة فيه  
رابحة ويحتمل ان لا تكون رابحة فصار القسم الواحد قسمين فصار في التقدير كان الربح  
في ربعه فأوجب عشر الذي فيه الربح وهو عشر فهو ربع العشر وهو الواجب فعمل ان  
الله لا يسأل لكم اموالكم ولا الكثير منه \* ثم قال تعالى ( ان يسألكموها فيحكم بيجلوا  
ويخرج اضغانكم ) الفاء في قوله فيحكمكم للاشارة الى ان الاحياء يتبع السؤال بيانا  
لشرح الانفس وذلك لان العطف بالواو قد يكون للملين وبالفاء لا يكون الا للمتعاقبين او  
متعلقين احدهما بالآخر فكأنه تعالى بين ان الاحياء يقع عقيب السؤال لان الانسان  
بمجرد السؤال لا يعطى شيئا وقوله تجلوا وبجلا ويخرج اضغانكم معنى ما طلبها ولو طلبها والح  
عليكم في الطلب لبخلتم كيف وانتم تجلون باليسير فكيف لا تبخلون بالكثير وقوله ويخرج  
اضغانكم معنى بسبه فان الطالب وهو النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يطلبونكم وانتم  
لمحبة المال وشيخ الانفس تمنعون فيفضى الى القتال وتظهر به الضغائن \* ثم قال تعالى  
بيانا لما قاله ( هاتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فحكم من بجعل ) فانما  
بجعل عن نفسه والله الغنى وانتم الفقراء ) قد طلبت منكم اليسير فبخلتم فكيف لو طلبت  
منكم الكل وقوله هؤلاء يحتمل وجهين ( احدهما ) ان تكون موصولة كأنه قال انتم  
هؤلاء الذين تدعون لتنفقوا في سبيل الله ( وانيهما ) هؤلاء وحدها خبر انتم كما يقال انت  
هذا تحقيرا للشهرة والظهور اى ظهر اركم بحيث لا حاجة الى الاخبار عنكم بامر مغاير  
ثم يتبدى تدعون وقوله تدعون اى الى الاتفاق اما في سبيل الله تعالى بالجهاد واما في صرفه  
الى المستحقين من اخوانكم وبالجملة ففي الجتهين تخزيل الاعداء ونصرة الاولياء فحكم  
من بجعل ثم بين ان ذلك البخل ضرر مائد اليه فلا تظنوا انهم لا ينفقونه على غيرهم بل  
لا ينفقونه على انفسهم فان من يبخل باجرة الطيب وئمن الدواء وهو مريض فلا يبخل الا  
على نفسه ثم حقق ذلك بقوله والله الغنى غير محتاج الى مالكم وأتمه بقوله وانتم الفقراء  
حتى تقولوا انا ايضا اغنياء عن القتال ودفع حاجة الفقراء فانهم لا غنى لهم عن ذلك  
في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فلانه لولا القتال لقتلوا فان الكافر ان لم يغز يغز والحجاج  
ان لم يدفع حاجته يقصده لاسيما اباح الشارع للمضطر ذلك اما في الآخرة فظاهر فكيف  
لا يكون فقيرا وهو موقوف مسؤول يوم لا ينفع مال ولا بنون \* ثم قال تعالى ( وان تولوا  
يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ) بيان الترتيب من وجهين ( احدهما ) انه ذكره  
بيانا للاستعناء كما قال تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وقد ذكر ان هذا تقرير  
بعد التسليم كأنه تعالى يقول الله غنى عن العالم بأسره فلا حاجة له اليكم فان كان ذاهب

يذهب الى ان ملكه بالعالم وجبروته يظهره وطمته بعباده فقول هب ان هذا الباطل حق لكنكم غير متعينين له بل الله قادر على ان يخلق خلقا غيركم يفتخرون بعبادته وعالما غير هذا يشهد بعظمته وكبريائه (وانبيها) انه تعالى لما بين الامور واقام عليها البراهين واوضحها بالامثلة قال ان اطعم فلکم أجوركم وزيادة وان تولوا لم يبق لكم الا الاهلاك فان ما من نبي انذر قومه واصروا على تكذيبه الا وقد حق عليهم القول بالاهلاك وظهر الله الارض منهم واتى بقوم آخرين طاهرين وقوله ثم لا يكونوا امثالكم فيه مسألة نحوية يتبين منها فوائد عريضة وهى ان النجاة قالوا يجوز في المعطوف على جواب الشرط بالواو والفاء ونم الجزم والرفع جميعا قال الله تعالى ههنا وان تولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم بالجزم وقال في موضع آخر وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون بالرفع بابات الدون وهو مع الجواز فقهه تدقيق وهو ان ههنا لا يكون متعلقا بالتولى لانهم ان لم تولوا يكونون ممن يأتى بهم الله على الطاعة وان تولوا لا يكونون مثلهم لكونهم عاصين وكون من يأتى بهم مطيعين واما هناك سواء قاتلوا ولم يقاتلوا لا ينصرون فلم يكن للتعليق هناك وجه فرغ بالابتداء وههنا جزم للتعليق وقوله ثم لا يكونوا امثالكم يحتمل وجهين (احدهما) ان يكون المراد لا يكونوا امثالكم في الوصف ولا في الجنس وهو لا تائق (الوجه الثاني) وفيه وجوه (احدها) قوم من الجحيم (وانبيها) قوم من فارس روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن يستبدل بهم ان تولوا وسمان الى جنبه فقال هذا قوم من فارس وقيل النجوع وقيل الروم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حصا على الله عز وجل ان يسقيه من انهار الجنة اعجبين وسلم تسليما كثيرا آمين

### (سورة الفتح عشرون وتسع آيات مدنية) (بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا فتحنا لك فتحا مبينا ليعرفك الله ماتقدم من ذنبك وماتاخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا) وفيه مسائل (المسألة الاولى) في الفتح وجوه (احدها) فتح مكة وهو ظاهر (وانبيها) فتح الروم وغيرها (وثالثها) المراد من الفتح صلح الحديبية (ورابعها) فتح الاسلام بالجمعة والبرهان والسيف السنان (وخامسها) المراد منه الحكم كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقوله ثم يفتح بيننا بالحق والاختار من الكل وجوه (احدها) فتح مكة (والآخر) فتح الحديبية (والثالث) فتح الاسلام بالآية والبيان والجمعة والبرهان والاول مناسب لاخر ما قبلها من وجوه (احدها) انه تعالى لما قال ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله الى ان قال ومن ينجل فلانما ينجل عن نفسه بين تعالى انه فتح لهم مكة وغنموا ديارهم وحصل لهم اضعاف ما انفقوا ولو نجخوا لضاع عليهم ذلك فلا يكون بخلهم الا على انفسهم (نانبيها) لما قال والله معكم وقال وانتم

توليتم فعليكم وقوله تعالى (وان تتولوا) عطف على ان تؤمنوا اي وان تعرضوا عن الايمان والتقوى (يستبدل قوما غيركم) يخلف مكانكم قوما آخرين (ثم لا يكونوا امثالكم) في التولى عن الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل الملائكة وقيل اهل فارس لما روى انه عليه الصلوة والسلام سئل عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وفوه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل كدبة والنخ وقيل النجوع وقيل الروم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حصا على الله عز وجل ان يسقيه من انهار الجنة

\* (سورة الفتح مدنية زلت في مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وآيها تسع وعشرون)

\* (بسم الله الرحمن الرحيم)  
(انا فتحنا لك فتحا مبينا ليعرفك الله ماتقدم من ذنبك وماتاخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا) وفيه مسائل (المسألة الاولى) في الفتح وجوه (احدها) فتح مكة وهو ظاهر (وانبيها) فتح الروم وغيرها (وثالثها) المراد من الفتح صلح الحديبية (ورابعها) فتح الاسلام بالجمعة والبرهان والسيف السنان (وخامسها) المراد منه الحكم كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقوله ثم يفتح بيننا بالحق والاختار من الكل وجوه (احدها) فتح مكة (والآخر) فتح الحديبية (والثالث) فتح الاسلام بالآية والبيان والجمعة والبرهان والاول مناسب لاخر ما قبلها من وجوه (احدها) انه تعالى لما قال ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله الى ان قال ومن ينجل فلانما ينجل عن نفسه بين تعالى انه فتح لهم مكة وغنموا ديارهم وحصل لهم اضعاف ما انفقوا ولو نجخوا لضاع عليهم ذلك فلا يكون بخلهم الا على انفسهم (نانبيها) لما قال والله معكم وقال وانتم

الاعلون بين برهانه بفتح مكة فانهم كانوا هم الاعلون (ثالثها) لما قال تعالى فلا تنهوا  
وتدعوا الى السلم وكان معناه لا تسألوا الصلح من عندكم بل اصبروا فانهم يسألون الصلح  
ويجتهدون فيه كما كان يوم الحديبية وهو المراد بالفتح واحد الوجوه وكما كان فتح مكة  
حيث اتى صناديد قريش مستأمنين ومؤمنين ومسلمين فان قيل ان كان المراد فتح مكة  
فمكة لم تكن قد فتحت فكيف قال تعالى فتحتك فتحا مبينا بلفظ الماضي نقول الجواب  
عنه من وجهين (احدهما) فتحنا في حكمنا وتقديرنا (ثانيهما) ما قدره الله تعالى فهو  
كائن فأخبر بصيغة الماضي اشارة الى انه امر لا دافع له واقع لا رافع له (المسئلة الثانية)  
قوله ليغفرلك الله بنبي عن كون الفتح سببا للمغفرة والفتح لم يصلح سببا للمغفرة فالجواب  
عنه نقول الجواب عنه من وجوه (الاول) ما قيل ان الفتح لم يجعله سببا للمغفرة وحدها  
بل هو سبب لاجتماع الامور المذكورة وهي المغفرة واتمام النعمة والهداية والنصرة  
كأنه تعالى قال ليغفرلك الله ويتم نعمته ويهديك وينصرك ولا شك ان الاجتماع لم ينبت  
الا بالفتح فان النعمة به تمت والنصرة بعده قد تمت (الثاني) هو ان فتح مكة كان سببا  
لتطهير بيت الله تعالى من رجس الاوثان وتطهير بيته صار سببا لتطهير عبده (الثالث)  
هو ان بالفتح تحصل الحج ثم بالحج تحصل المغفرة الا ترى الى دعاء النبي عليه الصلاة والسلام  
حيث قال في الحج اللهم اجعله حجاجا مبرورا وسعيها مشكورا وذنبها مغفورا (الرابع) المراد  
منه التعريف تقديره انا فتحنا لك اعرف انك مغفور معصوم فان الناس كانوا علوا بعد  
عام الفيل ان مكة لا يأخذها عدو الله المسخوط عليه وانما يدخلها ويأخذها حبيب الله  
المغفور (المسئلة الثالثة) لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ذنب فاذا يغفرله قلنا الجواب  
عنه قد تقدم مرارا من وجوه (احدها) المراد ذنب المؤمنين (ثانيها) المراد ترك الافضل  
(ثالثها) الصغار فانها جائزة على الانبياء بالسهو والعمد وهو يصونهم عن العجب  
(رابعها) المراد العصمة وقد بينا وجهه في سورة القتال (المسئلة الرابعة) ما معنى قوله  
وماتا آخره نقول فيه وجوه (احدها) انه وعد النبي عليه السلام بأنه لا يذنب بعد النبوة  
(ثانيها) ما تقدم على الفتح واما آخره عن الفتح (ثالثها) العموم يقال اضرب من لقيت ومن  
لا تلقاه مع ان من لا يلقي لا يمكن ضربه اشارة الى العموم (رابعها) من قبل النبوة ومن  
بعدها وعلى هذا فاقبل النبوة بالعفو وما بعدها بالعصمة وفيه وجوه اخرى ساقطة منها قول  
بعضهم ما تقدم من امر مارية واما آخر من امر زينب وهو ابعد الوجوه واسقطها  
لعدم الثام الكلام وقوله تعالى ويتم نعمته عليك يحتمل وجوها (احدها) هو ان  
التكاليف عند الفتح تمت حيث وجب الحج وهو آخر التكاليف والتكاليف نعم (ثانيها)  
يتم نعمته عليك باخلاء الارض لك عن معانديك فان يوم الفتح لم يبق للنبي عليه الصلاة  
والسلام عدو ذو اعتبار فان بعضهم كانوا اهلكوا يوم بدر والباقي آمنوا واستأمنوا  
يوم الفتح (ثالثها) ويتم نعمته عليك في الدنيا باستجابة دعائك في طلب الفتح وفي الآخرة

لعباد اليد تعالى خلقا واما جادا  
والمراد به فتح مكة شرفها الله وهو  
المروى عن أنس رضي الله عنه  
بشره رسول الله صلى الله عليه  
وسلم عند انصرافه من الحديبية  
والتعبير عنه بصيغة الماضي  
على سنن سائر الاخبار الربانية  
للايدان بتحقيقه لا محالة تأكيذا  
للتبشير كما ان تصدير الكلام  
بحرف التحقيق لذلك وفيه من  
الفخامة المنبئة عن عظمة شأن  
الخبر جل جلاله وعن سلطانه ما  
لا يخفى وقيل هو ما أنجز له عليه  
السلام والسلام في تلك السنة  
من فتح خيبر وهو المروى عن  
مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فانه  
وان لم يكن فيه حراب شديد بل  
زام بين الفريقين بسهام وجحار  
لكن لما كان الظهور للمسلمين  
حيث سألهم المشركون الصلح  
كان تعالى لا ريب وروى عن  
ابن عباس رضي الله عنهما روا  
المشركين حتى ادخلوهم ديارهم  
وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى  
سألوا الصلح وقد روى انه عليه  
الصلاة والسلام حين بلعدان  
رجلا قال ما هذا بفتح لقد صدنا  
عن البيت وصدهدنا قال بل هو  
اعظم الفتوح وقد رضى المشركون  
ان يدفعوكم بالراح

بقبول شفاعتك في الذنوب ولو كانت في غاية القبح وقوله تعالى وبهديك صراطا مستقيما  
 يحتمل وجوها (أظهرها) بديك على الصراط المستقيم حتى لا يبق من يلتفت الى قوله من  
 المضلين او ممن يقدر على الإكراه على الكفر وهذا يوافق قوله تعالى ورضيت لكم  
 الاسلام دينا حيث اهدت المجادلين فيه وجلتهم على الايمان (وثانيها) ان يقال جعل  
 الفتح سببا للمهياة الى الصراط المستقيم لانه سهل على المؤمنين الجهاد لعلمهم بالفوائد  
 العاجلة بالفتح والآجلة بالوعد والجهاد سلوك سبيل الله ولهمذا يقال للغاى في سبيل  
 الله مجاهد (وثالثها) ما ذكرنا ان المراد التعريف اى ليعرف انك على صراط مستقيم من  
 حيث ان الفتح لا يكون الا على يد من يكون على صراط الله بدليل حكاية الفيل وقوله  
 وينصره الله نصرا عزيزا ظاهر لان بالفتح ظهرا لنصر واشهر الامر وفيه مسئلتان  
 (احدهما) لفظية (والاخرى) معنوية (اما اللفظية) فهي ان الله وصف النصر بكونه عزيزا  
 والعز من له النصر والجواب من وجهين (احدهما) ما قاله الزمخشري انه يحتمل وجوها  
 ثلاثة (الاول) معناه نصرا اذا عز كقوله في عيشة راضية اى ذات رضا (الثاني) وصف  
 النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا يقال له كلام صادق كما يقال له متكلم صادق  
 (الثالث) المراد نصرا عزيزا صاحبه (الوجه الثاني) من الجواب ان نقول انما يلزمنا  
 ما ذكره الزمخشري من التقديرات اذا قلنا العزة من الغلبة والعز من الغالب واما اذا  
 قلنا العزيز هو النفس القليل الظير او المحتاج اليه القليل الوجود يقال عز الشيء اذا قل  
 وجوده مع انه محتاج اليه فالنصر كان محتاجا اليه ومثله لم يوجد وهو اخذ ببيت الله من  
 الكفار المتكئين فيه من غير عدد (اما المسئلة المعنوية) وهى ان الله تعالى لما قال ليغفر  
 لك الله ماتقدم من ذنبك ابرز الفاعل وهو الله ثم عطف عليه بقوله ويتم وقوله وبهديك  
 ولم يذكر لفظ الله على الوجه الحسن في الكلام وهو ان الافعال الكثيرة اذا صدرت من  
 فاعل يظهر اسمه في الفعل الاول ولا يظهر فيما بعده تقول جاء زيد وتكلم وقام وراح ولا  
 تقول جاء زيد وقعد زيد اختصارا للكلام بالاختصار على الاول ههنا لم يقل وينصره  
 نصرا بل اعاد لفظ الله فنقول هذا ارشاد الى طريق النصر ولهذا قلنا ان الله النصرة  
 غير اضافة فقال تعالى بنصر الله ينصر ولم يقل بالنصر ينصر وقال هو الذى ايدك بنصره  
 ولم يقل ايدك بالنصر وقال اذا جاء نصر الله والفتح وقال نصر من الله وفتح قريب ولم يقل  
 نصر وفتح وقال وما النصر الا من عند الله وهذا ادل الآيات على مطلوبنا وتحقيقه هو  
 ان النصر بالصبر والصبر بالله قال تعالى واصبر وما صبرك الا بالله وذلك لان الصبر سكون  
 القلب واطمئنانه وذلك بذكر الله كما قال تعالى ألا بدكر الله تطمئن القلوب فلما قال ههنا  
 وينصره الله اظهر لفظ الله ذكر التعليم ان يذكر الله يحصل اطمئنان القلوب وبه يحصل  
 الصبر وبه يتحقق النصر وههنا مسئلة اخرى وهو ان الله تعالى قال اتأقننا ثم قال ليغفر  
 لك الله ولم يقل اتأقننا لنغفر لك تعظيما لامر الفتح وذلك لان المغفرة وان كانت عظيمة

ويسألوكم القضية ويرغبوا  
 اليكم في الامان وقدروا امانكم  
 ما يكرهون وعن السجى نزلت  
 بالحدبية واصاب رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة  
 ما لم يصب في غزوة حيث اصاب  
 ان يوبع بيعة الرضوان وغفر له  
 ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبلغ  
 الهدى محله واطعموا نخل خيبر  
 وظهرت الروم على فارس ففرح  
 به المسلمون وكان في فتح الحدبية  
 آية عظيمة هي انه نزح ماؤها حتى  
 لم يبق فيها قطرة فتعض رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم ثم جمعه فيها  
 فدرت بلما حتى شرب جميع من  
 كان معه وشبع وقيل فحاش  
 الماء حتى امتلأت ولم ينفد  
 ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح  
 له عليه الصلاة والسلام من  
 الفتوح وقيل هو ما فتح الله له  
 عليه الصلاة والسلام من  
 الاسلام والنبوة والدعوة بالحجة  
 والسيف ولا فتح ابراهيم منه واعظم  
 وهو رأس الفتوح كافة اذ لا فتح  
 من فتوح الاسلام الا وهو شعبه  
 من شعبه وفرع من فروعه وقيل  
 الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاح  
 للحكومة والمعنى قضينا لك على اهل  
 مكة ان تدخلها من قابل وهو  
 المروى عن قتادة رضى الله عنه

لكنها عامة لقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولئن قلنا بأن المراد من المغفرة في حق النبي عليه السلام العصمة فذلك لم يختص بنبينا بل غيره من الرسل كان معصوما واتمام النعمة كذلك قال الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي وقال يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وكذلك الهداية قال الله تعالى يهدي اليه من يشاء فعمم وكذلك النصره قال الله تعالى ولقد سبقنا لكم لجانا المرسلين انهم لهم المنصورون واما القبح فلم يكن لأحد غير النبي صلى الله عليه وسلم فعظمه بقوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا وفيه التعظيم من وجهين احدهما انا وانا نبيها لك اي لا جلت على وجه المنة ثم قال تعالى ( هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليا حكيم ) لما قال تعالى وينصر الله بين وجه النصر وذلك لان الله تعالى قد ينصر رسوله بصيحة يهلك بها اعداءهم اورجفة تحكم عليهم بالفناء او جنديرس له من السماء او نصر وقوة وثبات قلب يرزق المؤمنين به ليكون لهم بذلك الثواب الجزيل فقال هو الذي انزل السكينة اي تحقيقا للنصر وفي السكينة وجوه ( احدها ) هو السكون ( الثاني ) الوقار لله ولرسول الله وهو من السكون ( الثالث ) اليقين والكل من السكون وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) السكينة هنا غير السكينة في قوله تعالى ان آية ملكه ان يأتىكم التابوت فيه سكينة من ربكم في قول اكثر المفسرين ويحتل هي تلك لان المقصود منها على جميع الوجوه اليقين وثبات القلب ( المسئلة الثانية ) السكينة المنزلة عليهم هي سبب ذكرهم الله كما قال تعالى اذ يذكر الله تطمئن القلوب ( المسئلة الثالثة ) قال الله تعالى في حق الكافرين وقذف في قلوبهم بلفظ القذف المزعج وقال في حق المؤمنين وانزل السكينة بلفظ الانزال المنبت وفيه معنى حكيم وهو ان من علم شيئا من قبل وتذكره واستدام تذكره فاذا وقع لا يتغير ومن كان غافلا عن شيء فوقع دفعة برجف فؤاده ألا ترى ان من اخبر بوقوع صيحة وقيل له لا تنزعج منها فوقعت الصيحة لا يرجف ومن لم يخبر به او اخبر وغفل عنه يرتجف اذا وقعت فكذلك الكافر اناه الله تعالى من حيث لا يحتسب وقذف في قلبه فارتجف والمؤمن اناه من حيث كان يذكره فسكن وقوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فيه وجوه ( احدها ) امرهم بتكاليف شيئا يعدى فآمنوا بكل واحد منها مثلا امروا بالتوحيد فآمنوا واطاعوا ثم امروا بالقتال والحج فآمنوا واطاعوا فازدادوا ايمانا مع ايمانهم ( ثانيا ) انزل السكينة عليهم فصبروا فرأوا عين اليقين بما عملوا من النصر علم اليقين ايمانا بالغيب فازدادوا ايمانا مستفادا من الشهادة مع ايمانهم المستفاد من الغيب ( ثالثا ) ازدادوا بالقروع مع ايمانهم بالاصول فانهم آمنوا بأن محمدا رسول الله وان الله واحد والحشر كائن وآمنوا بان كل ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم صدق وكل ما يأمر الله تعالى به واجب ( رابعا ) ازدادوا ايمانا استدلاليا مع ايمانهم الفطري

وايمانا كان فحذف المفعول للقصد الى نفس الفعل والايذان بأن مناط النبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لخصوصية المفتوح ( فتحا مبينا ) بينا ظاهر الامر مكتوف الحال او فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى ( ليغفر لك الله ) غاية للفتح من حيث انتمرتب على سعيه عليه الصلاة والسلام في اعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة مشاق الحروب واتحام موارد الخطوب والالتفات الى اسم الذات المستنبح لجميع الصفات للاشعار بأن كل واحد مما انتظم في سلك الغاية من افعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيانية الاخر مرتبة على صفته من صفاته تعالى ( ما تقدم من دنبك وما تأخر ) اي جمع ما فرط منك من ترك الاولى ونسيته ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل ( ويتم نعمته عليك ) باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وغيرهما مما افاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية ( ويهديك صراطا مستقيما ) في تبليغ الرسالة وامة مراسم الرياسة واصل الاستقامة وان كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتصاح سبيل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن



وعلى هذا الوجه نين لطيفة وهى ان الله تعالى قال فى حق الكافرين انما تملى لهم ليزدادوا  
انما ولم يقل مع كفرهم لان كفرهم عنادى وليس فى الوجود كفر فطرى لينضم اليه  
الكفر العنادى بل الكفر ليس الاعناديا وكذلك الكفر بالفروع ولا يقال انضم الى  
الكفر بالاصول لان من ضرورة الكفر بالاصول الكفر بالفروع وليس من ضرورة  
الايان بالاصول الايمان بالفروع بمعنى الطاعة والالتقياد فقال ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم  
وقوله والله جنود السموات والارض فكان قادرا على اهلاك عدوه بجنوده بل بصيحة  
ولم يفعل بل انزل السكينة على المؤمنين ليكون اهلاك اعدائهم بأيديهم فيكون لهم الثواب  
وفى جنود السموات والارض وجوه (احدها) ملائكة السموات والارض (بانيها) من  
فى السموات من الملائكة ومن فى الارض من الحيوانات والجن (ثالثها) الاسباب  
السماوية والارضية حتى يكون سقوط كسف من السماء والخسف من جنوده وقوله  
تعالى وكان الله عليا حكيم لما قال والله جنود السموات والارض وعددهم غير محصور  
اثبت العلم اشارة الى انه لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وايضا لما ذكر  
امر القلوب بقوله هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين والايمان من عمل القلوب ذكر  
العلم اشارة الى انه يعلم السرواخى وقوله حكيم بعد قوله عليا اشارة الى انه يفعل على وفق  
العلم فان الحكيم من يعمل شيئا متقنا ويعلمه فان من يقع منه صنع عجيب اتصافا لا يقال له  
حكيم ومن يعلم ويعمل على خلاف العلم لا يقال له حكيم \* وقوله تعالى (ليدخل المؤمنين  
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك  
عند الله فوزا عظيما) يستدعى فعلا سابقا ليدخل فان من قال ابتداء لتكرمنى لا يصح مالم  
يقبل قبله جثثك او ما يقوم مقامه وفى ذلك الفعل وجوه وضبط الاحوال فيه بأن نقول  
ذلك الفعل اما ان يكون مذكورا بصريحه او لا يكون وحينئذ ينبغى ان يكون مفهوما  
فاما ان يكون مفهوما من لفظ يدل عليه اولا من لفظ يدل عليه بل فهم بقرينة حالية  
فان كان مذكورا فهو يحتمل وجوها (احدها) قوله ليزدادوا ايمانا كأنه تعالى انزل  
السكينة ليزدادوا ايمانا بسبب الانزال ليدخلهم بسبب الايمان جنات فان قيل فقوله  
يعذب عطف على قوله ليدخل واذا زاد ايمانهم لا يصلح سببا لتعذيبهم نقول بلى وذلك من  
وجهين (احدهما) ان التعذيب مذكور لكونه مقصودا للمؤمنين كأنه تعالى يقول  
بسبب ازديادكم فى الايمان يدخلكم فى الآخرة جنات ويعذب بأيديكم فى الدنيا الكفار  
والمناققين (الثانى) تقديره ويعذب بسبب مالكم من الازدياد يقال فعلته لا تجرب به  
العدو والصديق اى لا عرف بوجوده الصديق وبعده العدو فكذلك ليزداد المؤمن ايمانا  
فيدخله الجنة ويزداد الكافر كفرا فيعذبه به (ووجه آخر ثالث) وهو ان سبب زيادة  
ايمان المؤمنين بكثرة صبرهم وثباتهم فيعبي المناقق والكافر معه ويتعذب وهو قريب مما  
ذكرنا (الثانى) قوله وينصرك الله كأنه تعالى قال وينصرك الله بالمؤمنين ليدخل المؤمنين

حاصلا قبل (وينصرك الله)  
انهار الاسم الجليل لكونه خاتمة  
الغايات ولاظهار كمال العناية  
بشأن النصر كما عبر عنه تأكيد  
بقوله تعالى (نصرا عزيزا) اى  
نصرا فيه عزة ومنعة او تويأ  
منيعا على وصف المصدر بوصف  
صاحبه مجازا للمبالغة او عزيزا  
صاحبه (هو الذى انزل السكينة)  
بيان لما افاض عليهم من مبادئ  
الفتح من الثبات والطمأنينة اى  
انزلها (قلوب المؤمنين) بسبب  
الصلح والامن اظهرا لفضله  
تعالى عليهم بتيسير الاثن بعد  
الحواف (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم)  
اى يقينا متضمنا الى يقينهم وانزل  
فيها السكون الى ما جاء به عليه  
الصلاة والسلام من الشرائع  
ليزدادوا ايمانا بما مقرونا مع  
ايمانهم بالوحدانية واليوم  
الآخر عن ابن عباس رضى الله  
عنه ما اول ما اتاهم به النبي  
صلى الله عليه وسلم التوحيد ثم  
الصلاة والزكاة ثم الحج والجهاد  
فازدادوا ايمانا مع ايمانهم او  
انزل فيها الوفاء والعظمة لله  
تعالى ورسوله ليزدادوا باعتقاد  
ذلك ايمانا الى ايمانهم (والله جنود  
السموات والارض) يدبر امرها  
كيفما يريد يسلط بعضها على

جنات (الثالث) قوله تعالى ليغفرلك الله ما تقدم من ذنبك على قولنا المراد ذنب المؤمن  
 كأنه تعالى قال ليغفرلك ذنب المؤمنين ليدخل المؤمنين جنات واما ان قلناه هو مفهوم من  
 لفظ غير صريح فيجتمعل وجوها ايضا (احدها) قوله حكما يدل على ذلك كأنه تعالى قال الله  
 حكيم فعل ما فعل ليدخل المؤمنين جنات (وثانيها) قوله تعالى ويتم نعمته عليك في الدنيا  
 والآخرة فيستجيب دعاءك في الدنيا ويقبل شفاعتك في العقبى ليدخل المؤمنين جنات  
 (وثالثها) قوله انا فتحنا لك ووجهه هو انه روى ان المؤمنين قالوا النبي صلى الله عليه وسلم  
 هنيئلك ان الله غفرلك فاذا لنا فنزلت هذه الآية كأنه تعالى قال انا فتحنا لك فتحا مبينا  
 ليغفرلك وفتحنا للمؤمنين ليدخلهم جنات واما ان قلنا ان ذلك مفهوم من غير مقال بل  
 من قرينة الحال فقول هو الامر بالقتال لان من ذكر الفتح والنصر علم ان الحال حال  
 القتال فكأنه تعالى قال ان الله تعالى امر بالقتال ليدخل المؤمنين او نقول عرف من  
 قرينة الحال ان الله اختار المؤمنين فكأنه تعالى قال اختار المؤمنين ليدخلهم جنات  
 (المسئلة الرابعة) قال ههما وفي بعض المواضع المؤمنين والمؤمنات وفي بعض المواضع  
 اكتفى بذكر المؤمنين ودخلت المؤمنات فيهم كما في قوله تعالى وبشر المؤمنين وقوله تعالى  
 قد افلح المؤمنون فما الحكمة فيه نقول في المواضع التي فيها ما يوههم اختصاص المؤمنين  
 بالجزاء الموعود به مع كون المؤمنات يشتركن معهم ذكرهن الله صريحا وفي المواضع التي  
 ليس فيها ما يوههم ذلك اكتفى بدخولهم في المؤمنين فقوله وبشر المؤمنين مع انه علم من قوله  
 تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا وناذيرا العموم لا يوجب خروج المؤمنات عن  
 البشارة واما ههنا فلما كان قوله تعالى ليدخل المؤمنين لفعل سابق وهو اما الامر بالقتال  
 او الصبر فيه او النصر للمؤمنين او الفتح بأيديهم على ما كان يتوهم لان ادخال المؤمنين  
 كان للقتال والمرأة لا تقاوت فلا تدخل الجنة الموعود بها صرح الله بذكرهن وكذلك في  
 المناققات والمشركات والمنافقة والمشركة لم تقاوت فلا تعذب فصرح الله تعالى بذكرهن  
 وكذلك في قوله تعالى ان المسلمين والسلمات والمؤمنين والمؤمنات لان الموضع موضع ذكر  
 النساء واحوالهن لقوله ولا تبرجن وآقن وآقن وأطعن وقوله واذا كن ما تبلى في بيوتكن  
 فكان ذكر النساء هناك اصلا لكن الرجال لما كان لهم ما للنساء من الاجر العظيم ذكرهم  
 وذكرهن بلفظ مفرد من غير تبعية لما بينا ان الاصل ذكرهن في ذلك الموضع (المسئلة  
 الخامسة) قال الله تعالى ويكفر عنهم سيئاتهم بعد ذكر الادخال مع ان تكفير السيئات  
 قبل الادخال نقول الجواب عنه من وجوه (احدها) الو او لا تقتضي الترتيب (الثاني)  
 تكفير السيئات والمغفرة وغيرهما من توابع كون المكلف من اهل الجنة فقدم الادخال  
 في الذكر بمعنى انه من اهل الجنة (الثالث) وهو ان التكفير يكون بالبأس خلع الكرامة  
 وهي في الجنة وكان الانسان في الجنة تزال عنه قبائح البشرية الجرمية كالفضلات  
 والمعنوية كالغضب والشهوة وهو التكفير وتثبت فيه الصفات الملكية وهي اشرف

بعض تارة ويوقع بينهما لسم  
 اخرى حسبا تقتضيه مشيئته  
 المبينة على الحكم والمصالح  
 (وكان الله عليا) مبالغة في العلم  
 بجميع الامور (حلييا) في تقديره  
 وتدييره وقوله تعالى (ليدخل  
 المؤمنين والمؤمنات جنات  
 تجري من تحتها الانهار خالدين  
 فيها) تعلى بما يدل عليه ما ذكر  
 من كون جنود السموات  
 والارض له تعالى من معنى  
 التصرف والتدبير اى دبر ما دبر  
 من تسلط المؤمنين ليعرفوا  
 نعمة الله في ذلك ويشكروها  
 فيدخلهم الجنة (ويكفر عنهم  
 سيئاتهم) اى يغطيها ولا يظهرها  
 وتقديم الادخال في الذكر على  
 التكفير مع ان الترتيب في الوجود  
 على العكس للمسارعة الى ما هو  
 للطلب الاعلى (وكان ذال) اى  
 ما ذكر من الادخال والتكفير  
 (عند الله فوزا عظيما) لا يفادر  
 قدره لانه منتهى ما يعتد اليدهاق  
 الهمم من جلب نفع ودفع ضرر  
 وعند الله حالى من فوزا لانه صفه  
 في الاصل فلما قدم عليه صار حالا  
 اى كأننا عند الله اى في علمه تعالى  
 وتضائه والجملة اعتراض مقرر لما  
 قبله (ويعذب المنافقين  
 والمنافقات والمشركين والمشركات)  
 عطف على يدخل وفي تقديم  
 المنافقين على

لمشركين ما لا يخفى من الدلالة على انهم أحق منهم بالعذاب (الظالمين بالله ظن السوء) أي ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين (عليهم دأثره السوء) أي ما يظنون به ويرى لصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودأثر عليهم وقرئ دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره والكره حالا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد دمه من كل شيء واما المصوم فحار محرم السر (وعضب الله عليهم ولعسهم واعدلهم جهنم) عطف على ما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاحيرين مع ان حقهما العاء المعبدة لسببية ما قبلها للمعبدة للايدان باسقلال كل منهما في الوعد واصالته من غير اعتبار اسدياع بعضها لبعض (وساءت مسيرا) أي جهنم (ولله حود السموات والارض وكان الله ترميرا حكيمًا) اعاد فلما سبق قالوا فأنذرتا النسبه على ان الله تعالى جود الرحمة وحنود العذاب وان المراد ههنا حنود العذاب كما فني عنها التعرض لوصف العرة

انواع الخلع وقوله تعالى وكان ذلك عند الله فوزا عظيما وفيه وجهان (احدهما) مشهور وهو ان الادخال والتكفير في علم الله فوز عظيم يقال عندى هذا الامر على هذا الوجه اى في اعتقادي (وانانيهما) اغرب منه واقرب منه عقلا وهو ان يجعل عند الله كالوصف لذلك كأنه تعالى يقول ذلك عند الله اى بشرط ان يكون عند الله تعالى وبوصف ان يكون عند الله فوز عظيم حتى ان دخول الجنة لو لم يكن فيه قرب من الله بالعبدية لما كان فوزا \* ثم قال تعالى (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعدلهم جهنم وساءت مصيرا والله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيمًا) اعلم انه قدم المنافقين على المشركين في الذكر في كثير من المواضع لامور (احدها) انهم كانوا اشد على المؤمنين من الكافر المجاهر لان المؤمن كان يتوقى المشرك المجاهر وكان يحاطل المنافق لظنه بايمانه وهو كان يفشى اسراره والى هذا اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك والمنافق على صورة الشيطان فانه لا يأتي الانسان على اتي عدوك وانما يأتيه على اتي صديقك والمجاهر على خلاف الشيطان من وجهه ولان المنافق كان يظن ان يتخلص للمخادعة والكافر لا يقطع بأن المؤمن ان غلب يفديه فأول ما اخبر الله اخبر عن المنافق وقوله الظانين بالله ظن السوء هذا الظن يحتمل وجوها (احدها) هو الظن الذي ذكره الله في هذه السورة بقوله بل ظنتم ان لن ينقلب الرسول (ثانيها) ظن المشركين بالله في الاشارة كما قال تعالى ان هي الاسماء سميتوها انتم الى ان قال ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا (ثالثها) ظنهم ان الله لا يرى ولا يعلم كما قال ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون والاول اصح او نقول المراد جميع ظنونهم حتى يدخل فيه ظنهم الذي ظنوا ان الله لا يحصى الموتى وان العالم خلقه باطل كما قال تعالى ذلك ظن الذين كفروا ويؤيد هذا الوجه الالف واللام الذي في السوء وسند كره في قوله ظن السوء وفيه وجوه (احدها) ما اختاره المحققون من الادباء وهو ان السوء صار عبارة عن الفساد والصدق عبارة عن الصلاح يقال مررت برجل سوء اى فاسد وسئلت عن رجل صدق اى صالح فاذا كان مجموع قولنا رجل سوء يؤدي معنى قولنا فاسد فالسوء وحده يكون بمعنى الفاسد وهذا ما اتفق عليه الخليل والزجاج واختاره الزمخشري وتحقيق هذا ان السوء في المعاني كالفساد في الاجساد يقال ساء مزاجه وساء خلقه وساء ظنه كما يقال فسد اللحم وفسد الهواء بل كل ماساء فقد فسد وكل ما فسد فقد ساء غير ان احدهما كبير الاستعمال في المعاني والاخر في الاجرام قال الله تعالى ظهر الفساد في الرو والبحر وقال ساء ما كانوا يعملون هذا ما يظهر لي من تحقيق كلامهم ثم قال تعالى عليهم دائرة السوء اى دائرة الفساد وحق بهم الفساد بحيث لا خروج لهم منه ثم قال تعالى وغضب الله عليهم زيادة في الافادة لان من كان به بلاء فقد يكون مبتلى به على وجه الامتحان فيكون مصابا

لكي يصير مثابا وقديكون مصابا على وجه التعذيب فقوله وغضب الله عليهم اشارة الى ان الذي حاق بهم على وجه التعذيب وقوله ولعنهم زيادة افادة لان الغضوب عليه قد يكون بحيث يقنع الغاضب بالعتب والشم او الضرب ولا يفضي غضبه الى ابعاد الغضوب عليه من جنابه وطرده من بابه وقديكون بحيث يفضي الى الطرد والابعاد فقال ولعنهم لكون الغضب شديدا ثم لما بين حالهم في الدنيا بين ما لهم في العقبى قال وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا وقوله ساءت اشارة لمكان التأنيث في جهنم يقال هذه الدار نعم المكان وقوله تعالى والله جنود السموات والارض قد تقدم تفسيره وبقي فيه مسائل ( المسئلة الاولى ) ما الفائدة في الاعادة نقول لله جنود الرحة وجنود العذاب او جنود الله ائزاهم قديكون للرحة وقديكون للعذاب فذكرهم اولالبيان الرحة بالمؤمنين قال تعالى وكان بالمؤمنين رحيما وانيا لبيان ائزال العذاب على الكافرين ( المسئلة الثانية ) قال هناك وكان الله عليما حكيميا وهنا وكان الله عزيزا حكيميا لان قوله والله جنود السموات والارض قد بينا ان المقصود من ذكرهم الاشارة الى شدة العذاب فذكر العزة كما قال تعالى أليس الله بعزيز ذي انتقام وقال تعالى فأخذناهم اخذ عزيز مقتدر وقال تعالى العزيز الجبار ( المسئلة الثالثة ) ذكر جنود السموات والارض قبل ادخال المؤمنين الجنة وذكرهم ههنا بعد ذكر تعذيب الكفار واعداد جهنم نقول فيه ترتيب حسن لان الله تعالى ينزل جنود الرحة فيدخل المؤمنين مكرمين معظمين الجنة ثم يلبسهم خلع الكرامة بقوله ويكفر عنهم سيئاتهم كما بينا ثم تكون لهم القرية والزاني بقوله وكان ذلك عند الله فوزا عظيما وبعد حصول القرب والعندية لاتبقي واسطة الجود فالجنود في الرحة او لا ينزلون ويقربون آخرا واما في الكافر فيعضب عليه او لا فيبعد ويطرد الى البلاد النائية عن ناحية الرحة وهي جهنم ويسلط عليهم ملائكة العذاب وهم جنود الله كما قال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ولذلك ذكر جنود الرحة اولاً والقربة بقوله عند الله آخراً وقال ههنا غضب الله عليهم ولعنهم وهو الابعاد او لا وجنود السموات والارض آخرا ﴿ ثم قال تعالى ( انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا ) قال المفسرون شاهدا على امتك بما يفعلون كما قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا والاولى ان يقال ان الله تعالى قال انا أرسلناك شاهدا وعليه يشهد انه لا اله الا الله كما قال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم وهم الانبياء عليهم السلام الذين آتاهم الله علما من عنده وعلهم ما لم يكونوا يعلمون ولذلك قال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله اي فاشهد وقوله ومبشرا لمن قبل شهادته وعمل بها ويوافقه فيها ونذيرا لمن رد شهادته ويخالفه فيها مبين فائدة ارسال على الوجه الذي ذكره فقال لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا وهذا يحتمل وجهين ( احدهما ) ان تكون الاور الاربعة

( انا أرسلناك شاهدا ) اي على امتك اقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا ( ومبشرا ) على الطاعة ( ونذيرا ) على المعصية ( لتؤمنوا بالله ورسوله ) الخطاب لاني عليه الصلاة والسلام ولأمتي ( وتعزروه ) وتقووه بتقوية دينه ورسوله ( وتوقروه ) وتعظموه ( وتسبحوه ) ونزهوه واتصلوا به من السجدة ( بكرة وأصيلا ) عدوة وعشيا عن ابن عباس رضى الله عنهما صلاة العجزة وصلاة الطهر وصلاة العصر وقرئ الافعال الاربعة بالياء الختائية وقرئ ويعزروه لضم التاء وتخفيف الزاي المكسورة وقرئ يفتح التاء وضم الزاي وكسرها وتعزروه براءين ووقروه من اوقره بمعنى وقره ( ان الذين يبايعونك ) اي على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى ( انما يبايعون الله ) خير ان يعنى ان مبايعتك هي مبايعته الله عز وجل لان المقصود توثيق العهد بمراعاة اوامره ونواهيه وقوله تعالى ( يد الله فوق ايديهم ) حال واستئناف مؤكد

المذكورة مرتبة على الامور المذكورة من قبل قوله لنؤمنوا بالله ورسوله مرتب على قوله انا ارسلناك لان كونه مرسل من الله يقتضى ان يؤمن المكلف بالله والمرسل وقوله شاهدا يقتضى ان يعز الله ويقوى دينه لان قوله شاهدا على ما بينا معناه انه يشهد انه لا اله الا هو فدينه هو الحق واحق ان يتبع وقوله مبشرا يقتضى ان يوقر الله لان تعظيم الله عنده على شبه تعظيم الله اياه وقوله نذير يقتضى ان ينزه عن السوء والفحشاء مخافة عذابه الاليم وعقابه الشديد واصل الارسال مرتب على اصل الايمان ووصف الرسول يرتب عليه وصف المؤمن (ونانيهما) ان يكون كل واحد مقتضيا للامور الاربعة فكونه مرسل يقتضى ان يؤمن المكلف بالله ورسوله ويعزله ويوقره ويسبحه وكذلك كونه شاهدا بالوحدانية يقتضى الامور المذكورة وكذلك كونه مبشرا ونذيرا لا يقال ان اقتران اللام بالفعل يستدعى فعلا مقديا يتعلق به ولا يتعلق بالوصف وقوله لنؤمنوا يستدعى فعلا وهو قوله انا ارسلناك فكيف ترتب الامور على كونه شاهدا ومبشرا لاننا نقول يجوز الترتيب عليه معنى لافظا كما ان القائل اذا قال بعثت اليك عالما لتكرمه فاللفظ ينبي عن كون البعث سبب الاحرام وفي المعنى كونه عالما هو السبب للاكرام ولهذا قال بعثت اليك جاهلا لتكرمه كان حسنا واذا اردنا الجمع بين اللفظ والمعنى نقول الارسال الذي هو ارسال حال كونه شاهدا سبب كما نقول بعث العالم سبب جعله سبيلا لا مجرد البعث ولا مجرد العالم وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال في الاحزاب انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وههنا اقتصر على الثلاثة من الخمسة فالحكمة فيه نقول الجواب عنه من وجهين (احدهما) ان ذلك المقام كان مقام ذكره لان اكثر السورة في ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم واحواله وما تقدمه من الميابة والوعد والدخول ففصل هنالك ولم يفصل ههنا (ثانيهما) ان نقول الكلام مذكور ههنا لان قوله شاهدا بالم يقتضى ان يكون داعيا لجواز ان يقول مع نفسه اشهد ان لا اله الا الله ولا بدعو الناس قال هنالك وداعيا لذلك وههنا لم يكن كونه شاهدا منبئا عن كونه داعيا قال لنؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه وقوله تعالى وتعزروه وتوقروه وتسبحوه دليل على كونه سراجا لانه اتى بما يجب من التعظيم والاجتناب عما يحرم من السوء والفحشاء بالتنزيه وهو التسبيح (المسئلة الثانية) قد ذكرنا مرارا ان اختيار البكرة والاصيل يحتمل ان يكون اشارة الى المداومة ويحتمل ان يكون امرا بخلاف ما كان المتركون يعملونه فانهم كانوا يجتمعون على عبادة الاصنام في الكعبة بكرة وعشية فأمروا بالتسبيح في اوقات كانوا يذكرون فيها الفحشاء والمنكر (المسئلة الثالثة) الكنيات المذكورة في قوله تعالى وتعزروه وتوقروه وتسبحوه راجعة الى الله تعالى او الى الرسول عليه الصلاة والسلام والاصح هو الاول ثم قال تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فاما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد

له على طريقة التخييل والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول كعقد مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرئ انما يبايعون الله اى لاجله ولوجهه (فمن نكث فاما ينكث على نفسه) اى من نقض عهده فاما يعمود ضرر نكثه على نفسه وقرئ بكسر الكاى (ومن اوفى بما عاهد عليه الله بضم الهاء فانه ابقى بعد حذف الواو توسلا بذلك الى تعظيم لام الجلالة وقرئ بكسر الهاء اى ومن وفى بعهده (فسبؤتيه اجرا عظيما) هو الجنة وقرئ بما عهد وقرئ فسبؤتيه بنون العظمة (سيقول لك المحلقون من الاعراب) هم اعراب غفار ومزينة وحمينة واجتمع واسم والدليل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه عند ارادته السير الى مكة عام الحديبية معترا حذرا من قریش ان يتعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم عليه الصلاة

عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما) لما بين انه مرسل ذكر ان من بايعه فقد بايع الله وقوله تعالى يدالله فوق ايديهم يحتمل وجوها وذلك ان اليد في الموضعين اما ان تكون بمعنى واحد واما تكون بمعنىين فان قلنا انها بمعنى واحد ففيه وجهان (احدهما) يدالله بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم الى الله كما قال تعالى بل الله بمن عليكم ان هذا كم للايمان (وثانيها) يدالله فوق ايديهم اي نصرته اياهم اقوى واعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان اي الغلبة والنصرة والقهر واما ان قلنا انها بمعنىين فنقول في حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة واليد كناية عن الحفظ مأخوذ من حال المتبايعين اذا مد كل واحد منهما يده الى صاحبه في البيع والشراء وبينهما ثالث متوسط لا يريد ان يفسخا العقد من غير اتمام البيع فيضع يده على يديهما ويحفظ ايديهما الى ان يتم العقد ولا يترك احدهما بترك الآخر فوضع اليد فوق الايدي صار سببا للحفظ على البيعة فقال تعالى يدالله فوق ايديهم يحفظهم على البيعة كما يحفظ ذلك المتوسط ايدي المتبايعين وقوله تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه اما على قولنا المراد من اليد النعمة او الغلبة والقوة فلا من نكث فوت على نفسه الاحسان الجزيل في مقابلة العمل القليل فقد خسر ونكثه على نفسه واما على قولنا المراد الحفظ فهو عائد الى قوله انما يبايعون الله يعني من يبايعك ابها النبي اذا نكث لا يكون نكثه عائدا اليك لان البيعة مع الله ولا الى الله لانه لا ينضر بشئ فضرره لا يعود الا اليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما وقد ذكرنا ان العظم في الاجرام لا يقال الا اذا اجتمع فيه الطول البالغ والعرض الواسع والسمك الغليظ فيقال للجبل الذي هو مرتفع ولا اتساع لعرضه جبل عال او مرتفع او شاهق فاذا انضم اليه الاتساع في الجوانب يقال عظيم والاجر كذلك لان ما كل الجنة تكون من ارفع الاجناس وتكون في غاية الكثرة وتكون ممتدة الى الابد لا انقطاع لها فحصل فيه ما يناسب ان يقال له عظيم والعظيم في حق الله تعالى اشارة الى كماله في صفاته كانه في الجسم اشارة الى كماله في جهاته ﴿ثم قال تعالى﴾ (سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيرا) لما بين حال المنافقين ذكر المخلفين فان قوما من الاعراب امتنعوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لظنهم انه يهزم فانهم قالوا اهل مكة يقاتلون عن باب المدينة فكيف يكون حالهم اذا دخلوا بلادهم واحاط بهم العدو فاعتذروا وقولهم شغلنا اموالنا واهلونا فيه امران يفيدان وضوح العذر (احدهما) اموالنا ولم يقولوا شغلنا الاموال وذلك لان جمع المال لا يصلح عذرا لانه لانهاية له واما حفظ ما جمع من الثنات ومنع الحاصل من القوات يصلح عذرا فقالوا اموالنا اي ماصار مالنا لا مطلق الاموال (وثانيهما) قوله تعالى واهلونا وذلك لوان قائلا قال لهم المال لا ينبغي

والسلام وما في معه الهدى ليعلم انه لا يريد الحرب وتشاقلوا عن الخروج وقالوا نذهب الى قوم قد عزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقابلهم فأوحى الله تعالى اليه عليه الصلاة والسلام بانهم سيعتلون ويقولون ( شغلنا اموالنا واهلونا) ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرى شغلنا بالتشديد والتكثير ( فاستغفر لنا) الله تعالى ليغفر لنا نخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار ( يقولون ما ليس في قلوبهم) بدل من سيقولوا واستئناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار ( قل ) ردالهم عند اعتذارهم اليك بأباطيلهم ( فمن يملك لكم من الله شيئا ) اي فمن يقدر لاجلكم من مشيئة الله تعالى وقضائه على شئ من النفع ( ان اراد بكم ضرا ) اي ما يضركم من هلاك الاهل والمال وضياعهما حتى تغفلوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما وقرى ضرا بالضم ( او اراد بكم نفعاً ) اي

ان يبلغ الى درجة يمنعكم حفظه من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم لكان لهم ان يقولوا فالاهل يمنع الاشتغال بهم وحفظهم عن اهم الامور ثم انهم مع العذر تضرعوا وقالوا فاستغفرنا يعني قمنا مع اقامة العذر معترفون بالاساءة فاستغفرنا واعف عنا في امر الخروج فكذبهم الله تعالى وقال يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم وهذا يحتمل امرين ( احدهما ) ان يكون التكذيب راجعا الى قولهم فاستغفرنا وتحقيقه هو انهم اظهروا انهم يعتقدون انهم مسيئون بالخلف حتى استغفروا ولم يكن في اعتقادهم ذلك بل كانوا يعتقدون انهم بالخلف محسنون ( ثانيهما ) قالوا شغلنا اشارة الى ان امتناعنا لهذا لا غير ولم يكن ذلك في اعتقادهم بل كانوا يعتقدون امتناعهم لاعتقاد ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يقهرون ويغلبون كما قال بعده بل ظنتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهلهم ابدا وقوله قل فغن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا معناه انكم تحتزون عن الضرر وتتركون امر الله ورسوله وتعدون طلبا للسلامة ولو اراد بكم الضرر لا ينفعكم قعودكم من الله شيئا او معناه انكم تحتزون عن ضرر القتال والمقاتلين وتعتقدون ان اهلهم وبلادكم تحفظكم من العدو فهب انكم حفظتم انفسكم عن ذلك فغن يدفع عنكم عذاب الله في الآخرة مع ان ذلك اولى بالاحترار وقد ذكرنا في سورة يس في قوله تعالى ان يردن الرحمن بضره انه في صورة كون الكلام مع المؤمن ادخل الباء على الضر فقال ان ارادني الله بضر وقال وان يمسسك الله بضر وفي صورة كون الكلام مع الكافر ادخل الباء على الكافر فقال ههنا ان اراد بكم ضرا وقال من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا وقد ذكرنا الفرق الفائق هناك ولا نعيده ليكون هذا باعنا على مطالعة تفسير سورة يس فانهما درج الدرر اليقينة بل كان الله بما تعملون خيرا اي بما تعملون من اظهار الحرب واصمار غيره \* ثم قال تعالى ( بل ظنتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهلهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظنتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ) يعني لم يكن تخلفكم لما ذكرتم بل ظنتم ان لن ينقلب وان مخففة من النقلة اي ظنتم انهم لا ينقلبون ولا يرجعون وقوله وزين ذلك في قلوبكم يعني ظنتم او لافزين الشيطان ظنكم عندكم حتى قطعتم به وذلك لان الشبهة قد زينها الشيطان ويضم اليها محالة يقطع بها الغافل وان كان لا يشك فيها العاقل وقوله تعالى وظنتم ظن السوء يحتمل وجهين ( احدهما ) ان يكون هذا العطف عطفافيد المغايرة فقوله وظنتم ظن السوء غير الذي في قوله بل ظنتم وحينئذ يحتمل ان يكون الظن الثاني معناه وظنتم ان الله يخلف وعده وظنتم ان الرسول كاذب في قوله ( وثانيهما ) ان يكون قوله وظنتم ظن السوء هو ما تقدم من ظن ان لا ينقلبوا ويكون على حد قول القائل علمت هذه المسئلة وعلمت كذا اي هذه المسئلة لا غيرها وذلك كانه قال بل ظنتم ظن ان ان ينقلب وظنتم ذلك فاسد وقد بينا التحقيق في ظن السوء وقوله تعالى وكنتم قوما بورا يحتمل

ومن يقدر على شيء من الضرر ان اراد بكم ما ينفعكم من حفظ اموالكم واهليكم فأى حاجة الى الخلف لاجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر مقاتلهم الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج من القتل والهزيمة والظفر والغنية برده قوله تعالى ( بل كان الله بما تعملون خيرا ) فانه اضرب عما قالوا وبيان لكذبه بعد بيان فساد على تقدير صدقه اي ليس الامر كما تقولون بل كان الله خيرا بجميع ما تعملون من الاعمال التي من جللتها تخلفكم وما هو من مبادئه وقوله تعالى ( بل ظنتم ) الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الاتهام اي بل ظنتم ( ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهلهم ابدا ) بان يستأصلهم المشركون بالمرءة فخشيت ان كنتم معهم ان يصيبكم ما اصابهم فلاجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعالير الباطلة والاهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات



وجهمين (احدهما) وصرتهم بذلك الظن بأثرين هالكين (وثانيهما) انتم في الاصل باثرون  
 وظنتم ذلك الظن الفاسد \* ثم قال تعالى (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين  
 سعيرا) على قولنا قوله وظنتم ظن السوء ظن آخر غير ما في قوله بل ظنتم ظاهر لاننا بينا ان  
 ذلك ظنهم بأن الله يخلف وعده او ظنهم بأن الرسول كاذب فقال ومن لم يؤمن بالله ورسوله  
 ووظن به خلفا وبرسوله كذبا فانا اعتدنا له سعيرا وفي قوله للكافرين بدلا عن ان يقول  
 فانا اعتدنا له فائدة وهي التعميم كأنه تعالى قال ومن لم يؤمن بالله فهو من الكافرين وانا  
 اعتدنا للكافرين سعيرا \* ثم قال تعالى (ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء  
 ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما) بعد ما ذكر من له اجر عظيم من المبايعين  
 ومن له عذاب أليم من الظانين الضالين اشار الى انه يغفر للاولين بمشيئته ويعذب  
 الآخرين بمشيئته وغفرانه ورحمته اعم واشمل وأتم وأكمل وقوله تعالى ولله ملك  
 السموات والارض يفيد عظمة الامرين جميعا لان من عظم ملكه يكون اجره وهبته في  
 غاية العظم وعذابه وعقوبته كذلك في غاية السكال والالم \* ثم قال تعالى (سيقولون  
 الخلفون اذا انطلقتم الى معانم لتأخذوها ذرونا تتبعكم) اوضح الله كذبهم بهذا حيث  
 كانوا عند ما يكون السير الى معانم يتوقعونها يقولون من تلقاء انفسهم ذرونا تتبعكم  
 فاذا كان اموالهم وأهلهم شغلهم يوم دعوتكم اياهم الى اهل مكة فابالهم لا يشتغلون  
 بأولهم يوم اخذ الغنيمة والمراد من المعانم معانم اهل خير وقتها وغنم المسلمون  
 ولم يكن معهم الا من كان معه في المدينة وفي قوله سيقول الخلفون وعد المبايعين  
 الموافقين بالغنية والمتخلفين المخالفين بالحرمات \* وقوله تعالى (يريدون ان يدلوا كلام  
 الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل) يحتمل وجوها (احدها) هو ما قال الله ان  
 غنية خير لمن شاهد الحديبية وعاهد بها لا غير وهو الاشهر عند المفسرين والظاهر نظرا  
 الى قوله تعالى كذلكم قال الله من قبل (ثانيها) يريدون ان يدلوا كلام الله وهو قوله  
 وغضب الله عليهم وذلك لانهم لو اتبعوكم لكانوا في حكم يعة اهل الرضوان الموعودين  
 بالغنية فيكونون من الذين رضى الله عنهم كما قال تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ  
 يبايعونك تحت الشجرة فلا يكونون من الذين غضب الله عليهم فيلزم تبديل كلام الله  
 (ثالثها) هو ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تخلف القوم اطلعه الله على باطنهم واطهره  
 نفاقهم وانه يريد ان يعاقبهم وقال للنبي صلى الله عليه وسلم قل لن يخرجوا معي ابد اولن  
 تقاتلوا معي عدوا فأرادوا ان يدلوا ذلك الكلام بالخروج معه لا يقال فلاية التي  
 ذكرتتم وارادة في غزوة تبوك لافي هذه الواقعة لاننا نقول قد وجدناها بقوله لن تتبعونا على  
 صيغة النفي بدلا عن قوله لا تتبعونا على صيغة النهي معنى لطيف وهو ان النبي صلى الله  
 عليه وسلم بنى على اخبار الله تعالى عنهم النفي لو توفقه وقطعه بصدقه فجزم وقال لن تتبعونا

كأرضيات على تقديرنا التأنيث  
 واما الاهالي فاسم جمع كاللالي  
 وقرئ الى اهلهم (وزين ذلك في  
 قلوبكم) وقيلتموه واشغلتهم بشأن  
 انفسكم غير مباين بهم وقرئ  
 زين على البناء للفاعل باسناده الى  
 الله سبحانه والى الشيطان (وظنتم  
 ظن السوء) المراد به اما الظن  
 الاول والتكرير لتشديد التوبيخ  
 والنسجيل عليه بالسوء او ما يعنه  
 وغيره من الطنون الفاسدة التي  
 من جعلها الظن بعدم صحة رسالته  
 عليه الصلاة والسلام فان الجازم  
 بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر  
 من الاستئصال (وكنتم قوموا بورا)  
 اى هالكين عند الله مستوجبين  
 لخطئه وعقابه على انه جمع باثر  
 كما تذكروا عودا وفاسدين في انفسكم  
 وقلوبكم ونيسانكم لا خير فيكم  
 وقيل البور من بارك اليك من  
 هلك بناء ومعنى ولذلك وصف  
 به الواحد والجمع والمذكر  
 والمؤنث (ومن لم يؤمن بالله  
 ورسوله) كلام مبتدأ من جهته  
 تعالى غير داخل

يعنى لو اذنتكم ولو امرتكم ارلوا ردتكم واخترتم لايتهم لكم ذلك لما اخبر الله تعالى \* ثم قال تعالى ( فسبقولون بل تحسدونا ) ردا على قوله تعالى كذلك قال الله من قبل كانوا قائلوا ما قال الله كذلك من قبل بل تحسدونا وبل للاضراب والمضروب عنه محذوف في الموضوعين اما ههنا فهو بتقدير ما قال الله كذلك فان قيل بماذا كان الحسد في اعتقادهم نقول كانوا قائلوا نحن كنا مصيبين في عدم الخروج حيث رجعوا من الحديبية من غير حاصل ونحن استرحنا فان خرجنا معهم ويكون فيه غنية يقولون هم غنوا معنا ولم يتعبوا معنا \* ثم قال تعالى ردا عليهم كما ردوا عليه ( بل كانوا لا يفقهون الا قليلا ) اى لم يفقهوا من قولك لا تخرجوا الا ظاهر النبي ولم يفهموا من حكمه الا قليلا فحملوه على ما ارادوه وعلوه بالحسد \* ثم قال تعالى ( قل للمخلفين من الاعراب سندعون الى قوم اولى بأس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان طيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تولوا كما توليتهم من قبل يعذبكم عذابا اليما ) قال النبی صلى الله عليه وسلم قل لن تتبعونا وقال فقل لن تخرجوا معي ابدا فكان المخلفون جمعا كثيرا من قبائل منسوبة دعت الحاجة الى بيان قبول توبتهم فانهم لم يبقوا على ذلك ولم يكونوا من الذين مردوا على النفاق بل منهم من حسن حاله وصلاحه فجعل لقبول توبتهم علامة وهو انهم يدعون الى قتال قوم اولى بأس شديد ويطيعون بخلاف حال ثعلبة حيث امتنع من اداء الزكاة ثم اتى بها ولم يقبل منه النبي صلى الله عليه وسلم واستمر عليه الحال ولم يقبل منه احد من الصحابة كذلك كان يستمر حال هؤلاء لانه تعالى بين انهم يدعون فان كانوا يطيعون يؤتون الاجر الحسن وما كان احد من الصحابة يتركهم يتبعونه والفرق بين حال ثعلبة وبين حال هؤلاء من وجهين ( احدهما ) ان ثعلبة جازا ان يقال حاله لم يكن يتغير في علم الله فلم يبين ثبوته علامة وحال الاعراب تغيرت فان بعد النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق من المنافقين على النفاق احد على مذهب اهل السنة ( وثانيهما ) ان الحاجة الى بيان حال الجمع الكثير والجم الغفير اس لانه لولا البيان لكان يقضى الامر الى قيام الفتنة بين فرق المسلمين وفي قوله تعالى سندعون الى قوم اولى بأس شديد وجوه اشهرها واظهرها انهم بنو حنيفة حيث تابعوا مسيلة وغزاهم ابو بكر ( وثانيها ) هم فارس والروم غزاهم عمر ( ثالثها ) هم هوازن وثقيف غزاهم النبي صلى الله عليه وسلم واقرى الوجوه هو ان الدعاء كان من النبي صلى الله عليه وسلم وان كان الاظهر غيره اما الدليل على قوة هذا الوجه هو ان اهل السنة اتفقوا على ان امر العرب في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ظهر ولم يبق الا كافر مجاهر او مؤمن تقي طاهر وامتنع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة على موتى المنافقين وترك المؤمنين مخالطتهم حتى ان عبادة بن كعب مع كونه بين المؤمنين لم يكلمه المؤمنون مدة وما ذكره الله علامة يظهر حال من كان منافقا فان كان ظن حالهم بغير هذا فلا معنى لجعل هذا علامة وان

في الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيتهما ومن لم يؤمن بهما كذاب هؤلاء الخلفين ( فانا اعتدنا للكافرين الضمير الكافرون وانما وضع موضع الضمير الكافرون ابدا نانا من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه مستوحش للعبير بكفره وتكبر سعيه التويل ولانها نار مخصوصة ( والله ملاك السموات والارض ) وما فيها يتصرف في الكل كيف يشاء ( يعرف لمن يشاء ) ان يعرفه ( ويعذب من شاء ) ان يعذبه من غير دخل لاحد في شيء منهمما وجودا وعدما وفيه حسم لاطماعهم الفارعة في استغفاره عليه الصلاة والسلام لهم ( وكان الله خفورا رحما ) مبالغة في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء الامن تقتضي الحكمة معفرته بمن يؤمن به وبرسوله واما من عداه من الكافرين فهم يعمرل من ذلك قطعا ( سيقول المخلفون ) اى المذكورون وقوله تعالى ( اذا انطلقتم الى معام لتأخذوها ) طرف لما قبله لاشترط ما بعده اى سيقولون عند انطلاقتكم الى معام خيبر لتعوزوها حسما وعدمكم اياها وحسبك بها عوضا بما فاسكم من غنائم مكة ( ذرونا تتبعكم ) الى خيبر ونشهد معكم قال اهلها ( يريدون ان يبدلوا

ظهر بهذا والظهور كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي عليه الصلاة والسلام  
لو امتنع من قبولهم لاتباعه لامتنع ابوبكر وعمر لقوله تعالى واتبعوه وقوله فاتبعوني فان  
قيل هذا ضعيف لوجهين ( احدهما ) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال  
لن تخرجوا معي ايدا كيف كانوا يتبعونه مع النبي ( الثاني ) قوله تعالى اولى بأس شديد  
ولم يبق بعد ذلك للنبي عليه الصلاة والسلام حرب مع قوم اولى بأس شديد فان العرب  
استولى على قلوب الناس ولم يبق للكفار بعده شدة وبأس واتفق الجمهور يدل على  
القوة والظهور نقول اما الجواب عن الاول فن وجهين ( احدهما ) ان يكون ذلك  
مقيدا تقديره لن تخرجوا معي ايدا وانتم على ما انتم عليه ويجب هذا التقيد لانا اجمعنا  
على ان منهم من اسلم وحسن اسلامه بل الاكثر ذلك وما كان يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم  
ان يقول لهم لستم مسلمين لقوله تعالى ولا تقولوا لمن اتى اليكم السلام لست مؤمنا ومع  
القول باسلامهم ما كان يجوز ان يمنعهم من الجهاد في سبيل الله مع وجوبه عليهم وكان  
ذلك مقيدا وقد تبين حسن حالهم فان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى جهاد فأطاعه  
قوم وامتنع آخرون وظهر امرهم وعلم من استمر على الكفر من استقر قلبه على الايمان  
( الثاني ) المراد من قوله لن تتبعونا في هذا القتال فحسب وقوله لن تخرجوا معي كان في غير  
هذا وهم المنافقون الذين تخلفوا في غزوة تبوك واما اتفاق الجمهور فنقول لا مخالفة بيننا  
وبينهم لانا نقول النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم اولا وابوبكر رضى الله عنه ايضا دعاهم  
بعد معرفته جواز ذلك من فعل النبي صلى الله عليه وسلم انما نحن نثبت ان النبي صلى الله  
عليه وسلم دعاهم فان قالوا ابوبكر رضى الله عنه دعاهم لا يكون بين القولين تناف وان قالوا  
لم يدعهم النبي صلى الله عليه وسلم فالتنفي والجزم به في غاية البعد لجواز ان يكون ذلك قد وقع  
وكيف لا والنبي عليه الصلاة والسلام قال من كلام الله ان كنتم تحبون الله فاتبعوني  
وقال واتبعوني هذا صراط مستقيم ومنهم من أحب الله واختار اتباع النبي محمد صلى الله  
عليه وسلم لان بقاء جمعهم على النفاق والكفر بعد ما اتسعت دائرة الاسلام واجتمعت  
العرب على الايمان بعيد ويوم قوله صلى الله عليه وسلم لن تتبعونا كان اكثر العرب على  
الكفر والنفاق لانه كان قبل فتح مكة وقبل اخذ حصون كثيرة واما قوله لم يبق للنبي  
صلى الله عليه وسلم حرب مع اولى بأس شديد قلنا لانسلم ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم  
عام الحديبية دعاهم الى الحرب لانه خرج محرما ومعه الهدى ليعلم قريش انه لا يطلب القتال  
وامتنعوا فقال سئدعون الى الحرب ولا شك ان من يكون خصمه مسلحا محاربا اكثر  
بأسا ممن يكون على خلاف ذلك فكان قد علم من حال مكة انهم لا يوقرون حاجا ولا معتمرا  
فقوله اولى بأس شديد يعنى اولى سلاح من آله الحديبية فان الحديبية فيه بأس شديد ومن قال  
بأن الداعى ابوبكر وعمر تمسك بالآية على خلافتها ودلائلها ظاهرة وحيث قد تنازلوا عنهم  
اويسلون اشارة الى ان احدهما يقع وقرئ اويسلوا بالنصب باضممار ان على معنى

كلام الله ) بأن يشار كوا في العنائم  
التي خصها بأهل الحديبية فانه  
عليه الصلاة والسلام رجع من  
الحديبية في ذى الحجة من سنة ست  
وايام بالمدينة بقيتها واولا اهل الحرم  
من سنة سبع ثم عرا خيبر بمن شهد  
الحديبية ففتحها وغنم اموالا  
كثيرة فخصها بهم حسبما امره الله  
عز وجل وقرئ كلم الله وهو  
جمع كلمة وايا ما كان فالمراد ما ذكر  
من وعده تعالى عنائهم خيبر لاهل  
الحديبية خاصة لا قوله تعالى لن  
تخرجوا معي ايدا فان ذلك في  
غزوة تبوك ( قل ) اقتطاعهم  
( لن تتبعونا ) اى لا تتبعونا فانه  
نبي في معنى النبي للبالغة ( كذلك  
قال الله من قبل ) اى عند الانصراف  
من الحديبية ( فيقولون ) للمؤمنين  
عند سماع هذا النهى ( بل  
يحسدونا ) اى ليس ذلك النهى  
حكم الله بل تحسدونا ان  
نشارككم في العنائم وقرئ  
يحسدونا بكسر السين وقوله تعالى  
( بل كانوا لا يفقهون ) اى  
لا يفهمون ( الا قليلا ) اى  
الافهاما قليلا وهم فطنهم لامور  
الديار لدقولهم الباطل ووظف  
لهم بما هو اعظم من الحسد واطم  
من الجهل المفرط وسوء الفهم في  
امور الدين ( قل للخلفين من  
الاعراب ) كرر ذكرهم بهذا  
العنوان مبالغة في ذمهم

تقاتلونهم الى ان يسلموا او التحق فيدهوان او لا تبغى الاين المتغيرين وتبغى عن الحصر  
فيقال العدد زوج او فرد ولهذا لا يصح ان يقال هوزيد او عمرو ولهذا يقال العدد زوج  
او خمسة او غيرهما اذا علم هذا فقول القائل لا تزمنك او تقضيني حتى يفهم منه ان الزمان  
انحصر في قسمين قسم يكون فيه الملازمة وقسم يكون فيه قضاء الحق فلا يكون بين  
الملازمة وقضاء الحق زمان لا يوجد فيه الملازمة ولا قضاء الحق فيكون في قوله لا تزمنك  
او تقضيني كما حكى في قول القائل لا تزمنك الى ان تقضى لامتناد زمان الملازمة الى  
القضاء وهذا ما يضعف قول القائل الداعي هو عمر والقوم فارس والروم لان الفريقين  
يقران بالجزية فالقتال معهم لا يمتد الى الاسلام لجواز ان يؤدوا الجزية وقوله تعالى فان  
ططيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تولوا كما توليتم من قبل فيه فائدة لان التولي اذا كان  
بعذركا قال تعالى ليس على الاعمى حرج لا يكون للمتولي عذاب اليم فقال وان تولوا كما  
توليتم يعنى ان كان توليكم بناء على الظن الفاسد والاعتقاد الباطل كما كان حيث قلتم  
بأسننكم لا يقبلوكم شغلنا اموالنا فالله يعذبكم عذابا عاليا \* ثم ان الله تعالى قال ( ليس  
على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ) بين من يجوز له التحلف  
وترك الجهاد وما بسببه يجوز ترك الجهاد وهو ما يمنع من الكرو والقرويين ذلك ببيان ثلاثة  
اصناف ( الاول ) الاعمى فانه لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز  
والهرب والاعرج كذلك والمريض كذلك وفي معنى الاعرج الاقطع والمقعذ بل ذلك  
اولى بان يعذر ومن به عرج لا يمنعه من الكر والفر لا يغفر وكذلك المرضى القليل الذى  
لا يمنع من الكر والفر كالطحال والسعال اذ به يضعف وبعض اوجاع المفاصل لا يكون  
عذرا وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) ان هذه اعذار تكون في نفس المجاهد ولما اعذار  
خارجة كالفر الذى لا يمكن صاحبه من استحباب ما يحتاج اليه والاستغفار بمن لولاه  
لضاع كطفل او مريض والاعذار تعلم من الفقه ونحن نبحث فيما يتعلق بالتفسير في بيان  
مسائل ( المسئلة الاولى ) ذكر الاعذار التى في السفر لان غيرها يمكن الازالة بخلاف  
العرج والعمى ( المسئلة الثانية ) اقتصر منها على الاصناف الثلاثة لان العذر امان  
يكون باخلال في عضو او باخلال في القوة والذى بسبب اخلال العضو فاما ان يكون  
بسبب اخلال في العضو الذى به الوصول الى العدو والانتقال في مواضع القتال او في  
العضو الذى تتم به فائدة الحصول في المعركة والوصول والاول هو الرجل والثاني هو العين  
لان بالرجل يحصل الانتقال وبالعين يحصل الانتفاع في الطلب والهرب واما الاذن  
والانف واللسان وغيرها من الاعضاء فلا مدخل لها في شيء من الامرين بقيت اليد  
فان المقطوع اليد لا يقدر على شيء وهو عذر واضح ولم يذكره نقول لان فائدة الرجل وهى  
الانتقال تبطل بالخلل في احدهما وفائدة اليد وهى الضراب والبطش لا تبطل الا بطلان  
اليدين جميعا ومقطوع اليدين لا يوجد الا نادرا ولعل في جاعة النبي صلى الله عليه وسلم لم

( ستدعون الى قوم اولى باس  
شديد ) هم بنو حنيفة قوم مسيلة  
الكذاب او غيرهم عن ارتدوا  
بعذر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
او المشركون لقوله تعالى  
( تقاتلونهم اويسلون ) اى يكون  
احد الامرين اما المعاتلة ابدأ  
او الاسلام لا غير كما يفتضح عند قراءة  
او اسلموا وامان عداهم فيبقى  
قائلهم بالجزية كما ينتهى بالاسلام  
وفيه دليل على امامة ابي بكر  
رضى الله عنه اذ لم تنفق هذه  
الدعوة لغيره الا اذا صح انهم  
تقيفوه هو اذن فان ذلك كان في  
عهد النبوة فيقص دوام نفي  
الاتباع بما في عزوة خير كما قاله  
مجي السنة وقبل هم فارس  
والروم ومعنى يسلمون يتقادون  
فان الروم نصارى وفارس  
محوس يقبل منهم الحرية فان  
ططيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا  
هو الغنية في الدنيا والجنة  
في الآخرة ( وان تولوا )  
عن الدعوة كما توليتم من قبل في  
الحديثة ( يعذبكم عذابا عاليا )  
لنضاع جرمكم ( ليس  
على الاعمى حرج ولا على الاعرج  
حرج ولا على المريض حرج )  
اى في التحلف عن الفر ولما بهم  
من العذر والعاهة فان التكليف  
يدور على الاستطاعة وفي نفي  
الحرج عن كل من الطوائف  
المعدودة مريدا اعتناء بأمرهم  
وتوسيع لدائرة الرخصة

(ومن يطع الله ورسوله) فيبادر  
من الأوامر والنواهي (يدخله  
جنات تجري من تحتها الأنهار)  
وقرى ندخله بنون العظمة  
(ومن يتول) أي من الطاعة  
(يعده) وقرى بالنون (عذابا  
أليما) لا يبادر قدره (لقد رضى الله  
عن المؤمنين) هم الذين ذكرشان  
مبايعتهم وهذه الآية سميت بيعة  
الرضوان وقوله تعالى (اذ  
يبايعونك تحت الشجرة) منصوب  
برضى وصيغة المضارع لاستحضار  
صورتهما وتحت لشجرة متعلق به  
أو محذوف وحوال من فعله  
روى أنه عليه الصلاة والسلام  
لما نزل الحديدية بعث خراش بن  
أمية الخراشي رسولاً إلى أهل مكة  
فهموا به فجمعهم إلى أبيش فرجع  
فبعث عثمان بن عفان رضى الله عنه  
فأخبرهم أنه عليه الصلاة والسلام  
ليأت لحرب وإنما جاء أثر هذا  
البيت معطياً لحرمته فوقروه  
وفالوا إن شئت لا تطوف بالبيت  
فاقبل فقال ما كنت لا تطوف قبل  
أن يطوف رسول الله صلى الله عليه  
وسلم واحتس مندهم فأرجف  
أبهم قتلوه فقال عليه الصلاة  
والسلام لا أبرح حتى تهاجر القوم  
ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه  
تحت الشجرة وكانت سمره وقيل  
سدره على أن يقابلوا قريشاً  
ولا يفرؤا وروى على الموت دونه  
وأن لا يفرؤا فقال لهم رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم خير  
أهل الأرض وكانوا ألفاً وخمسمائة  
وخمسة وعشرين وقيل ألفاً  
وربعمائة وقيل ألفاً وثلاثمائة  
وتسعة قال (فلم مافي تلويهم)  
عطف على يبايعونك لما عرفت  
من أنه بمعنى يبايعونك لا على رضى فان

يكن أحد مقطوع اليدين فلم يذكره أولان المقطوع ينتفع به في الجهاد فانه ينظر ولو لاه  
لاستقل به مقاتل فيمكن أن يقاتل وهو غير معذور في التخلف لأن المجاهدين ينتفعون به  
بخلاف الأعمى فان قيل كما أن المقطوع اليد الواحدة لا تبطل منفعة بطشه كذلك الأعور  
لا تبطل منفعة رؤيته وقد ذكر الأعمى وما ذكر الأشل واقطع اليدين قلنا لما بينا أن مقطوع  
اليدين نادر الوجود والآفة النازلة بأحدى اليدين لاتعمهما والآفة النازلة بالعين الواحدة  
تم العينين لأن منبع النور واحد وهما متجاذبان والوجود يفرق بينهما فان الأعمى كثير  
الوجود ومقطوع اليدين نادر (المسئلة الثالثة) قدم الآفة في الآلة على الآفة في القوة  
لأن الآفة في القوة تزول وتطرا والآفة في الآلة اذا طرأت لاتزول فان الأعمى لا يعود  
بصيرا فالعذر في محل الآلة اتم (المسئلة الرابعة) قدم الأعمى على الأعرج لأن عذر الأعمى  
يستمر ولو حضر القتال والأعرج ان حضر راكباً أو بطريق آخر يقدر على القتال بالرمي  
وغیره \* قوله تعالى (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار) ومن يتول  
يعذبه عذاباً أليماً لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم  
فأنزل السكينة عليهم وأنانهم فتحاً قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً  
اعلم ان طاعة كل واحد منهما طاعة للآخر فجمع بينهما بإنا طاعة الله فان الله تعالى لو  
قال ومن يطع الله كان لبعض الناس ان يقول نحن لانرى الله ولا نسمع كلامه فن ان نعلم  
امر حتى نطيعه فقال طاعته في طاعة رسوله وكلامه يسمع من رسوله ثم قال ومن يتول أي  
بقلبه سم لما بين حال المخلفين بعد قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله عادى إلى بيان حالهم  
وقال لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم من الصدق كما  
علم ما في قلوب المنافقين من الرضا فأنزل السكينة عليهم حتى يبايعوا على الموت وفيه معنى  
لطيف وهو ان الله تعالى قال قبل هذه الآية ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات فجعل  
طاعة الله والرسول علامة لادخال الله الجنة في تلك الآية وفي هذه الآية بين ان طاعة الله  
والرسول وجدت من اهل بيعة الرضوان اما طاعة الله فالاشارة إليها بقوله لقد رضى الله  
عن المؤمنين واما طاعة الرسول فبقوله اذ يبايعونك تحت الشجرة بقي الموعود به وهو  
ادخال الجنة اشارة اليه بقوله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين لان الرضا يكون معه ادخال  
الجنة كما قال تعالى ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار حالدين فيها رضى الله عنهم  
قال تعالى فعلم ما في قلوبهم والفاء للتعقيب وعلم الله قبل الرضا لانه علم ما في قلوبهم من  
الصدق فرضى عنهم فكيف يفهم التعقيب في العلم نقول قوله فعلم ما في قلوبهم متعلق بقوله  
اذ يبايعونك تحت الشجرة كما يقول القائل فرحت اس اذ كنت زيدا فقام الى او اذ دخلت  
عليه فأكرمني فيكون الفرح بعد الاكرام ترتيباً كذلك ههنا قال تعالى لقد رضى الله عن  
المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم من الصدق اشارة الى ان الرضا لا يمكن  
سده المبداً فحسب بل هذه المبايعة التي كان علم الله بصدقهم والفاء في قوله فأنزل

رضاء تعالى عنهم مربي على  
تعالى بما في قلوبهم من الصدق  
والاخلاص عند مبايعتهم له صلى  
الله عليه وسلم وقوله تعالى (فارل  
السكينة عليهم) عطف على رضى اى  
فأنزل عليهم الطمأنينة والامن  
وسكون النفس بالربط على  
قلوبهم وقيل بالصلح (وأنابهم قحاً  
قريباً) هو فتح خير عب انصرافهم  
من الحديبية كما سرت قصبه وقرئ  
وآثامهم (ومغاث كثيرة يأخذونها)  
اي مغاث خير والالتفات الى  
المخاطب على قراءة الاعش  
وطلحة ونافع لشرهم في مقام  
الامتنان (وكان الله عزيراً) غالباً  
(حكيماً) سراها لقتضى الحكمة في  
احكامه وقضايها (وعدم الله مغاث  
كثيرة) هي ما يفيقه على المؤمنين الى  
يوم القيامة (تأخذونها) في اوقاتها  
المقدرة لكل واحدة منها (فجعل  
لكم هذه) اي غنائم خير (وكف  
ايدى الناس عنكم) اي ايدى اهل  
خير وخلفائهم من بني اسد  
وغطفان حيث جاؤا لنصرتهم  
فغذف الله في قلوبهم الرعب  
فكنصوا وقيل ايدى اهل مكة  
بالصلح (ولتكون آية للمؤمنين)  
امارة يعرفون بها صدق الرسول  
صلى الله عليه وسلم في وعده اياهم  
عند رجوعه من الحديبية ما ذكر  
من المعاثم وفتح مكة ودخول  
المسجد الحرام واللام متعلقة اما  
بمحذوف مؤخرى ولتكون آية  
لهم فصل ما فعل من التعجيل  
والكف او بما يتعلق به علة اخرى  
محذوفة من احد الفعلين اي  
فجعل لكم هذه او كف ايدى  
لناس لتنجوها ولتكون الح  
ثاوية على الاول اعتراضية وعلى  
الثاني عاطفة (ويهدبكم)

السكينة عليهم للتعقيب الذي ذكرته فانه تعالى رضى عنهم فأنزل السكينة عليهم وفي علم  
بيان وصف المبايعات بكونها معقبة بالعلم بالصدق الذي في قلوبهم وهذا توفيق لا يتأتى الا من  
هداه الله تعالى الى معاني كتابه الكريم وقوله تعالى وانابهم قحاً قريباً هو فتح خير ومغاث  
كثيرة يأخذونها مغاثها وقيل مغاث هجر وكان الله عزيراً كاملاً القدرة غنيا عن اعانتكم  
ايه حكيماً حيث جعل هلاك اعدائه على ايديكم لينيبكم عليه اولان في ذلك اعزاز قوم  
واذلال آخرين فانه بذل من يشاء بعزته ويعز من يشاء بحكمته \* قال تعالى (وعدم الله  
مغاث كثيرة تأخذونها فجعل لكم هذه وكف ايدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين  
ويهدبكم صراطاً مستقيماً) اشارة الى ان ما آتاهم من الفتح والمغاث ليس هو كل الثواب  
بل الجزاء قدامهم وانما هي لعاجلة مجل بها وفي المغاث الموعود بها أقوال اصحها انه وعد  
مغاث كثيرة من غير تعيين وكل ما غنوه كان منها والله كان عالماً بها وهذا كما يقول الملك  
الجواد لمن يخدمه يكون لك مني على ما فعلته الجزاء ان شاء الله ولا يريد شيئاً بعينه ثم كل  
ما يأتي به و يؤتيه يكون داخلاً تحت ذلك الوعد غير ان الملك لا يعلم تفاصيل ما يصل اليه  
وقت الوعد والله عالم بها وقوله تعالى وكف ايدى الناس عنكم لاتمام المنة كما أنه قال  
رزقكم غنية باردة من غير مس حر القتال ولو نعتهم فيه لقلتم هذا جزاء تعبنا وقوله تعالى  
ولتكون آية للمؤمنين عطف على مفهوم لانه لما قال الله تعالى فجعل لكم هذه واللام نبي  
عن النفع كما ان على نبي عن الضر القائل لا على ولا ليا بمعنى لا ما تضرره ولا ما تنفع به  
ولا تضر به ولا تنفع فكذلك قوله فجعل لكم هذه لتفنعكم ولتكون آية للمؤمنين وفيه  
معنى لطيف وهو ان المغاث الموعود بها كل ما يأخذه المسلمون فقوله ولتكون آية للمؤمنين  
بمعنى لينفعكم بها وليجعلها لمن بعدكم آية تدلهم على ان ما وعدهم الله يصل اليهم كما وصل اليكم  
او نقول معناه لتفنعكم في الظاهر وتفنعكم في الباطن حيث يزداد بقيتكم اذا رأيتم  
صدق الرسول في اخباره عن الغيوب فجعل اخباركم ويكمل اعتقادكم وقوله ويهدبكم  
صراطاً مستقيماً وهو التوكل عليه والتفويض اليه والاعتزاز به \* قوله تعالى (واخرى  
لم تقدر واعليها قد احاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً) قيل غنية هو اذن وقيل  
غنائم فارس والروم وذكر الزمخشري في اخرى ثلاثة اوجه ان تكون منصوبة بفعل مضر  
يفسر قد احاط ولم تقدر او عليها صفة لاخرى كما أنه يقول وغنية اخرى غير مقدورة قد  
احاط الله بها (واناها) ان تكون مرفوعة وخبرها قد احاط الله بها وحسن جعلها مبتدأ مع  
كونها نكرة لكونها موصوفة بل تقدر (ونالها) الجرا يا ضمير رب ويحتمل ان يقال  
منصوبة بالعطف على منصوب وفيه وجهان (احدهما) كأنه تعالى قال فجعل لكم هذه  
واخرى ما قدرتم عليها وهذا ضعيف لان اخرين لم يجعل بها (واناها) على مغاث كثيرة  
تأخذونها واخرى اي وعدكم الله اخرى وحيث ذكر كأنه قال وعدكم الله مغاث تأخذونها  
ومغاث لا تأخذونها انتم ولا تقدرون عليها وانما يأخذها من يحميكم بعدكم من المؤمنين وعلى

بتلك الآية (صراطا مستقيما)

هو الله بفضل الله تعالى والتوكل عليه في كل ماتاتون وما تذرون (واخرى) عطف على هذه اي فجعل لكم هذه المفاسم ومفاسم اخرى (لم تقدرُوا عليها) وهي مفاسم هوازن في غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى (قد احاط الله بها) صفة اخرى لاجرى مفيدة لسهولة تأنيها بالنسبة الى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة مثالها بالنظر الى قدرتهم اي قد قدر الله عليها واستولى وظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان اخرى منصوب بضمير يفسره قد احاط الله بها اي وقضى الله اخرى ولا ريب في ان الاخبار بقضاء الله اياها بعد اندارجها في جملة المفاسم الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله مفاسم كثيرة تأخذونها ليس فيه مزيد فائدة وانما الفائدة في بيان تعجيلها (وكان الله على كل شيء قديرا) لان قدرته تعالى ذاتة لا تختص بشيء دون شيء (ولو قال لكم الذين كفروا اي اهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر (ولو الادبار) منبرين (ثم لا يجدون وليا) يحرسهم (ولا نصيرا) ينصرهم (سنة الله التي قد دخلت من قبل) اي سنة الله عليه انبياءه سنة قديمة فحين مضى من الامم (ولن تجد لسنة الله تبديلا) اي تعييرا (وهو الذي كيف ايديهم) اي ايدي كفار مكة (عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة) اي في داخلها (من بعد ان اظفركم عليهم) وذلك ان هكرمة بن ابي جهل خرج في جسمائه الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله

هذا تبين لقول الفراء حسن وذلك لانه فسر قوله تعالى قد احاط الله بها اي حفظها للمؤمنين لا يجري عليها هلاك الى ان يأخذها المسلمون كاحاطة الحراس بالخزائن \* ثم قال تعالى (ولو قال لكم الذين كفروا لولو الادبار) وهو يصلح جوابا لمن يقول كف ايدي عنهم كان امرا اتفاقيا ولوا اجتماع عليهم العرب كما عزموا لمنعهم من فتح خير واغتنام غنائمها فقال ليس كذلك بل سواء قاتلوا او لم يقاتلوا لا ينصرون والغلبة واقعة للمسلمين فليس امرهم امرا اتفاقيا بل هو امر الهى محكوم به محتوم \* وقوله تعالى (ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا) قد ذكرنا مرارا ان دفع الضرر عن الشخص اما ان يكون بولى ينفع بالطف او بنصير يدفع بالعنف وليس للذين كفروا شيء من ذلك وفي قوله تعالى ثم لطيفة وهي ان من بولى دبره يطلب الخلاص من القتل بالالتحاق بما ينجيهِ فقال وليس اذا ولوا الادبار يتخلصون بل بعد التولى الهلاك لاحق بهم \* وقوله تعالى (سنة الله التي قد دخلت من قبل) جواب عن سؤال آخر يقوم مقام الجهاد وهو ان الطوابع لها تأثيرات والانصالات لها تغيرات فقال ليس كذلك سنة الله نصرته رسوله واهلاك عدوه \* وقوله تعالى (ولن تجد لسنة الله تبديلا) بشارة ودفع وهن يقع بسبب وهم وهوانه اذا قال الله تعالى ليس هذا بالتأثيرات فلا يجب وقوعه بل الله فاعل مختار ولو اراد ان يهلك العباد لهلكهم بخلاف قول المنجم بان الغلب لمن له طالع وشواهد تقتضى غلبته قطعاً فقال الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا يعنى ان الله فاعل مختار يفعل ما يشاء وبقدرته على اهلاك اصدقائه ولكن لا يبدل سنته ولا يغير عادته \* ثم قال تعالى (وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم) تبينا لما تقدم من قوله ولو قال لكم الذين كفروا لولو الادبار اي هو بتقدير الله لانه كف ايديهم عنكم بالفرار وايديكم عنهم بالرجوع عنهم وتركهم وقوله تعالى ببطن مكة اشارة الى امر كان هناك يقتضى عدم الكف ومع ذلك وجد كف ايدي وذلك الامر هو دخول المسلمين ببطن مكة فان ذلك يقتضى ان يصبر المكفوف على القتال لكون العدو دخل دارهم طالين نأرهم وذلك مما يوجب اجتهد البليد في الذب عن الحرم ويقتضى ان يبالح المسلمون في الاجتهاد في الجهاد لكونهم لو قصروا لكسروا واسروا لبعدها منهم فقوله ببطن مكة اشارة الى بعد الكف ومع ذلك وجد بمشيئة الله تعالى وقوله تعالى من بعد اظفركم عليهم صالح الامرين (احدهما) ان يكون منة على المؤمنين بان الظفر كان لكم مع ان الظاهر كان يستدعى كون الظفر لهم لكون البلاد لهم ولكثرة عددهم (الثاني) ان يكون ذكر امرين مانعين من الامرين الاولين مع ان الله حققهما مع المنافقين اما كف ايدي الكفار فكان بعيدا لكونهم في بلادهم ذابين عن اهليهم واولادهم واليه اشار بقوله ببطن مكة واما كف ايدي المسلمين فلا نه كان بعد ان ظفروا بهم ومتى ظفر الانسان بعدوه الذى لو ظفر هو به لاستأصله بعد ان كفاه عنه مع ان الله كف الدين \* وقوله تعالى (وكان الله بما تعملون بصيرا) يعنى كان الله يرى فيه من المصلحة وان كنتم لاترون ذلك وبينه



عليه وسلم خالد بن الوليد على  
جند فنهزمهم حتى ادخلهم حيطان  
مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح  
وبه اسشهد ابو حنيفة على ان  
مكة فتحت عنوة لاصحابها وكان  
الله ياتعملون من مقابلتهم  
وهزمهم اولاً والكف عنهم  
ثانياً لتعظيم بيته الحرام وقرئ  
بالياء (نصيلاً) فيجازيكم بذلك  
او يجازيهم (هم الذين كفروا  
وصدوكم عن المسجد الحرام  
والهدى) بالنصب عطفاً على  
الضمير المنصوب في صدوكم وقرئ  
بالجر عطفاً على المسجد مجدى  
المضاف اى ونحر الهدى  
وبالرفع على وصد الهدى وقوله  
تعالى (معكوا) حال من الهدى  
اى محبوسا وقوله (ان يبلغ محله)  
بدل اشتغال من الهدى او منصوب  
ببزع الحافض اى محبوسا من ان  
يلعب مكانه الذى يحل فيه محرمه  
وبه استدلال ابو حنيفة رحمه الله  
على ان المحصر محل هديه  
الحرم فالوا بعض الحديثية  
من الحرم وروى ان خيامه صلى  
الله عليه وسلم كانت فى الحل  
ومصلاته فى الحرم وهالك صحت  
هدايا صلى الله عليه وسلم والمراد  
صدها عن محلها المعهود الذى هو  
مى (ولولا رجال مؤمنون ونساء  
مؤمنات لم تعلموهم) لم تعرفوهم  
ماعيانهم لاختلاطهم وهو صفة  
لرجال ونساء وقوله تعالى (ان  
تظوهم) اى توقعوهم (فتصيبكم  
منهم) بدل اشتغال منهم او من الضمير  
المنصوب فى تعلموهم (فتصيبكم  
منهم) اى من جهتهم (معرفة) اى  
مشقة ومكره كوجوب الدية  
او الكفارة بقتلهم والتأسف  
عليهم وتعمير الكفار وسوء فالتهم  
والاثم بالتقصير فى البحث

بقوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوا الى ان قال ولولا  
رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يعنى كان الكف مخالفة على ما فى مكة من المسلمين ليخرجوا  
مها ويدخلوها على وجه لا يكون فيه اذى من فيها من المؤمنين والمؤمنات واختلف  
المفسرون فى ذلك الكف منهم من قال المراد ما كان عام الفتح ومنهم من قال ما كان عام  
الحديبية فان المسلمين هزموا جيش الكفار حتى ادخلوهم بيوتهم وقيل ان الحرب كان  
بالحرارة \* وقوله تعالى (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوا) ان  
يلغ محله) اشارة الى ان الكف لم يكن لامر فهم لانهم كفروا وصدوا واحصروا وكل ذلك  
يقتضى قتالهم فلا يقع لاحدان الفريقين اتفقوا ولم يبق بينهما خلاف واصطالحوا ولم يبق  
بينهما نزاع بل الاختلاف باق والنزاع مستمر لانهم هم الذين كفروا وصدوكم ومنعوا  
فازدادوا كفرا وعداوة وانما ذلك للرجال المؤمنين والنساء المؤمنات وقوله والهدى  
منصوب على العطف على كم فى صدوكم ويجوز الجر عطفاً على المسجد اى وعن الهدى  
ومعكوا حال وان يبلغ تقديره عن ان يبلغ ويحتمل ان يقال ان يبلغ محله رفع تقديره معكوا  
بلوغه محله كما يقال رايت زيداً شديداً باسه ومعكوا اى ممنوعا ولا يحتاج الى تقدير عن على  
هذا الوجه \* وقوله تعالى (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطوهم  
فتصيبكم منهم معرفة بغير علم) وصف الرجال والنساء يعنى لولا رجال ونساء يؤمنون غير  
معلومين وقوله تعالى ان تطوهم بدل اشتغال كما نه قال رجال غير معلومى الوطاء فتصيبكم  
منهم معرفة عيب او اثم وذلك لانكم ربما قتلوهم فتنزكمكم الكفارة وهى دليل الاثم  
او يعيبكم الكفار بانهم فعلوا باخوانهم ما فعلوا باعدائهم وقوله تعالى بغير علم قال  
الزمخشري هو متعلق بقوله ان تطوهم يعنى تطوهم بغير علم وجاز ان يكون بدلا عن الضمير  
المنصوب فى قوله لم تعلموهم ولقاتل ان يقول يكون هذا تكرار لان على قولنا هو بدل من  
الضمير يكون التقدير لم تعلموا ان تطوهم بغير علم فيلزم تكرار بغير علم لخصوله بقوله لم تعلموهم  
قالوا لى ان يقال بغير علم هو فى موضعه تقديره لم تعلموا ان تطوهم فتصيبكم منهم معرفة بغير علم  
من الذى يعركم ويعيب عليكم يعنى ان وطئتموهم غير عاين بصبكم مسببة الدفار بغير علم اى  
بجهل لا يعلمون انكم معذورون فيه او نقول تقديره لم تعلموا ان تطوهم فتصيبكم منهم معرفة  
بغير علم اى قتلوهم بغير علم او تؤذوهم بغير علم فيكون الوطاء سبب القتل والوطاء غير معلوم  
لكم والقتل الذى هو سبب المعرفة وهو الوطاء الذى يحصل بغير علم او نقول المعرفة قسمان  
(احدهما) ما يحصل من القتل الحمد من هو غير العالم بحال المحل (والثانى) ما يحصل من  
القتل خطأ وهو غير عدم العلم فقال تصيبكم منهم معرفة غير معلومة لالتى تكون عن العلم  
وجواب لولا محذوف تقديره لولا ذلك لما كف ايديكم عنهم هذا ما قاله الزمخشري وهو  
حسن ويحتمل ان يقال جوابه ما يدل عليه قوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد  
الحرام يعنى قد استحقوا ان لا يعلموا لولا رجال مؤمنون لوقع ما استحقوه كما يقول القائل

عنهم مفعلة من عمره اذا عراه  
ودهاه ماكرهه (بغير علم)  
متعلق بان تطوهم اى غير  
عالمين بهم وحوابلولا محذوف  
لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا  
كراهة ان يتهاكوا ناسا مؤمنين بين  
الكافرين غير عالمين بهم فيصيبكم  
بذلك مكروها كفايديكم عنهم  
وقوله تعالى (اي دخل الله في رحته)  
متعلق بما يدل عليه الجواب  
المحذوف كأنه قيل عقبيه لكن كفها  
ضمنه ليدخل ذلك الكف المؤدى  
الى القبح بلا محذور في رحته  
الواسعة بقسميها (من يشاء) وهم  
المؤمنون فانهم كانوا خارجين من  
الرحمة الدنيوية التي من جللتها  
الامن مستضعفين تحت ايدى  
الكفرة واما الرحمة الاخرية  
فهم وان كانوا غير محرومين منها  
المرة لكنهم كانوا قاصرين في اقامة  
مراسم العبادة كما ينبغي فوفيقهم  
لاقامتها على الوحدة الاتم ادخال  
لهم في الرحمة الاخرية وقد جوز  
ان يكون من يشاء عبارة عن رغب  
في الاسلام من المنكرين وبآيه  
وقوله تعالى (لوتزبلوا) الح فان  
فرض التزبل وترتيب التعذيب  
عليه يصحى تحتق المسانبة بين  
العربين بالايان والكفر قبل  
التزبل حتمائى لو تغرفوا وتيمز  
بعضهم من بعض وقرئ لوتزبلوا  
(لعذبا الذين كفروا منهم عذابا  
ايما) بقتل متاناتهم ومسى ذرارهم  
والجملة مستأنفة معررة لما قبلها  
(اذ جعل الذين كفروا) منصوب  
بذكر على المفعولية اريد بذنا على  
الظرفية وقيل بضمير هو  
احسن الله اليكم واما كان فوضع  
الموصول موضع ضميرهم اذ هم  
بما في حيز الصلة وتاميل الحكم به

هو سارق ولولا فلان لقطعت يده وذلك لان لولا لاستعمل الامتناع التثني لوجود  
غيره وامتناع التثني لا يكون الا اذا وجد مقتضى له فغنه الغير فذكر الله تعالى اولا للمقتضى  
النام البالغ وهو الكفر والصد والمنع وذكر ما امتنع لاجله مقتضاه وهو وجود الرجال  
المؤمنين \* وقوله تعالى (ليدخل الله في رحته من يشاء لوتزبلوا لعذبا الذين كفروا منهم  
عذابا ايما) فيه ابحاث (الاول) في الفعل الذي يستدعى الام الذي بسببه يكون الادخال  
وفيه وجوه (احدها) ان يقال قوله كف ايديكم عنهم ليدخل لا يقال بانك ذكرت ان  
المانع وجود رجال مؤمنين فيكون كأنه قال كف ايديكم لثلاث طوفا فكيف يكون لشيء  
آخر نقول الجواب عنه من وجهين (احدهما) ان نقول كف ايديكم لثلاث طوفا لتدخلوا  
كما يقال اطعمته ليسبغ ليغفر الله لى اى الاطعام للشبع كان ليغفر (الساقى) هو انابنا  
ان لولا جوابه ما دل عليه قوله هم الذين كفروا فيكون كأنه قال هم الذين كفروا  
واستحقوا التعجل في اهلاكهم ولولا رجال لعجل بهم ولكن كف ايديكم ليدخل (ثانيها)  
ان يقال فعل ما فعل ليدخل لان هناك افعالا من اللطاف والهداية وغيرها وقوله  
ليدخل الله في رحته من يشاء ليؤمن منهم من علم الله تعالى انه يؤمن في تلك السنة  
او ليخرج من مكة ويهاجر فيدخلهم في رحته وقوله تعالى لوتزبلوا اى لو تميزوا والضمير  
يحتمل ان يقال هو ضمير الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات فان قيل كيف يصح هذا وقد  
قلتم بان جواب لولا محذوف وهو قوله لما كف او لعجل ولو كان لوتزبلوا راجعا الى  
الرجال لكان لعذبا جواب لولا نقول وقد قال به الزمخشري فقال لوتزبلوا يتضمن ذكر  
لولا فيحتمل ان يكون لعذبا جواب لولا ويحتمل ان يقال هو ضمير من يشاء كأنه قال  
ليدخل من يشاء في رحته لوتزبلواهم وتميزوا وآمنوا لعذبا الذين كتب الله عليهم  
انهم لا يؤمنون وفيه ابحاث (البحث الاول) وهو على تقدير نفيه فالكلام يفيد  
ان العذاب الاليم اندفع عنهم اما بسبب عدم التزبل او بسبب وجود الرجال وعلم تقدير  
وجود الرجال والعذاب الاليم لا يندفع عن الكافر نقول المراد عذابا مجسما بأيديكم  
يبدأ بالجنس اذ كانوا غير مقرين ولا منقلبين اليهم فيظهرون ويقتدرون يكون اليما  
(البحث الثاني) ما الحكم في ذكر المؤمنين والمؤمنات مع ان المؤنث يدخل في ذكر المذكر  
عند الاجتماع قلنا الجواب عنه من وجهين (احدهما) ما تقدم يعنى ان الموضع موضع وهم  
اختصاص الرجال بالحكم لان قوله تطوهم فتصيبكم معناه تهلكوههم والمرأة لا تقا تل  
ولا تقتل فكان المانع هو وجود الرجال المؤمنين فقال والنساء المؤمنات ايضا لان تخريب  
بيوتهن ويتم اولادهن بسبب قتل رجالهن وطأة شديدة (وثانيهما) ان في محل الشفقة  
تعد الموضع لترقيق القلب يقال لمن يعذب شخصا لتعذبه وارحم ذله وقره وضعفه ويقال  
اولاده وصغارهم واهله الضعفاء عاجزين فكذلك ههنا قال لولا رجال مؤمنون ونساء  
مؤمنات لترقيق قلوب المؤمنين ورضاهم بما جرى من الكف بعد الظفر \* ثم قال تعالى

والجعل اما بمعنى الالقاء فقلوه تعالى ( في قلوبهم الحية ) اي الالفة والتكبر متعلق به او بمعنى النصيب فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له اي جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم ( حية الجاهلية ) بدل من الحية اي حية الملل الجاهلية او الحية الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى ( فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ) على الاول عطف على جعل والمراد تكبير حسن صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بنو في الله تعالى وسوء صنيع الكفرة وعلى الثاني على ما يدل عليه الجملة الامتناعية كأنه قيل لم يتربلوا فلم تذهب فأنزل الخ وعلى الثالث على المفسر تفسير له والسكينة الثبات والوقار يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديدية بعث قريش سهيل ابن عمرو الفرسى وحويط بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجع من حامي ذلك على ان تخلى له قبرش مكة من الدام القابل ثلاثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه اكتب باسم الله الرحمن الرحيم نعلوا ما نعرف ما نذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ماصالح عليه رسول الله اعمل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صدناك عن البيت وما فاتناك اكتب هذا ماصالح عليه محمد ابن عبد الله اهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان بأوا دلت وحطشه ادهم قال الله

( اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحية حية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ) والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل شيء عليما اذ يحتمل ان يكون ظرفا لابد من فعل يقع فيه ويكون عاملا له ويحتمل ان يكون مفعولا به فان قلنا انه ظرف فالفعل الواقع فيه يحتمل ان يقال هو مذكور ويحتمل ان يقال هو مفهوم غير مذكور فان قلنا هو مذكور ففيه وجهان ( احدهما ) هو قوله تعالى وصدوكم اي وصدوكم حين جعلوا في قلوبهم الحية ( وثانيها ) قوله تعالى لعذبا الذين كفروا منهم اي لعذباهم حين جعلوا في قلوبهم الحية ( والثاني ) اقرب لقربه لفظا وشدة مناسبتة معنى لانهم اذا جعلوا في قلوبهم الحية لا يرجعون الى الاستسلام والانقياد والمؤمنون لما أنزل الله عليهم السكينة لا يتركون الاجتهاد في الجهاد والله مع المؤمنين فيعذبونهم عذابا أليما وغير المؤمنين واما ان قلنا ان ذلك مفهوم غير مذكور ففيه وجهان ( احدهما ) حفظ الله المؤمنين عن ان يطؤهم وهم الذين كفروا الذين جعل في قلوبهم الحية ( وثانيها ) احسن الله اليكم اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحية وعلى هذا فقلوه تعالى فأنزل الله سكينته تفسير لذلك الاحسان واما ان قلنا انه مفعول به فالعامل مقدر تقديره اذكر اى اذكر ذلك الوقت كما تقول اذكر اذ قام زيد اى اذكر وقت قيامه كما تقول اذكر زيدا وعلى هذا يكون الظرف للفعل المضاف اليه عاملا فيه وفيه لطائف معنوية ولفظية ( الاولى ) هو ان الله تعالى ابان غاية البون بين الكافر والمؤمن فاشار الى ثلاثة اشياء ( احدها ) جعل ما للكافرين يجعلهم فقال اذ جعل الذين كفروا وجعل ما للمؤمنين يجعل الله فقال فأنزل الله وبين الفاعلين ما لا يخفى ( ثانيها ) جعل للكافرين الحية وللمؤمنين السكينة وبين المفعولين تفاوت على ما سذكره ( ثالثها ) اضاف الحية الى الجاهلية و اضاف السكينة الى نفسه حيث قال حية الجاهلية وقال سكينته وبين الاضافتين ما لا يذكر ( الثانية ) زاد المؤمنين خيرا بعد حصول مقابلة شيء بشيء فملهم بفعل الله والحية بالسكينة والاضافة الى الجاهلية بالاضافة الى الله تعالى والزمهم كلمة التقوى وندكر معناه واما اللفظية فتلاط لطائف ( الاولى ) قال في حق الكافر جعل وقال في حق المؤمن انزل واما يقل - نلقى ولا جعل سكينته اشارة الى ان الحية كانت مجعولة في الحال في العرض الذي لا يبقى واما السكينة فكانت كالحفظة في خزائفة الرحمة معدة لعباده فأنزلها ( الثانية ) قال الحية ثم اضافها بقوله حية الجاهلية لان الحية في نفسها صفة مذمومة وبالاضافة الى الجاهلية تزداد قبحا والحية في القبح درجة لا يعتبر معها قبح القبائح كالمضاف الى الجاهلية واما السكينة في نفسها وان كانت حسنة لكن الاضافة الى الله فيها من الحسن ما لا يبقى معه لحسن اعتبار فقال سكينته اكتفاء بحسن الاضافة ( الثالثة ) قوله فأنزل بالفاء لا بالواو اشارة الى ان ذلك كالمقابلة تقول اكرمنى فاكرمته للمجازاة والمقابلة ولو قلت اكرمنى واكرمته لا ينبىء عن ذلك وحينئذ يكون فيه لطيفة وهى ان عند اشتداد غضب احد العدوين فالعدو الآخر امان يكون

ضعيفا او قويافان كان ضعيفا ينهزم ويتقهر وان كان قويا فيورث غضبه فيه غضبا وهذا  
 سبب قيام الفتن والقتال فقال في نفس الحركة عند حركتهم ما اقدمنا وما انهزنا وقوله  
 تعالى فأتزل الله بالقاء يدل تعلق الا تزال بالقاء على ترتيبه على شيء نقول فيه وجهان  
 (احدهما) ما ذكرنا من ان اذ ظرف كانه قال احسن الله اذ جعل الذين كفروا وقوله فأتزل  
 يفسر لذلك الاحسان كما يقال اكرمني فاعطاني لتفسير اكرام (وثانيهما) ان تكون القاء  
 للدلالة على ان تعلق ازال السكينة يجعلهم الحمية في قلوبهم على معنى المقابلة تقول  
 اكرمني فأثبتت عليه ويجوز ان يكونا فعلين واقعين من غير مقابلة كما تقول جاني زيد  
 وخرج عمرو وهو هنا كذلك لانهم لما جعلوا في قلوبهم الحمية فاسلطنوا على مجرى العادة  
 لو نظرت اليهم لزم ان يوجد منهم احدا الامرين اما اقدام واما انهم لان احدا العدوين  
 اذا اشتد غضبه فالعدو الآخر ان كان مثله في القوة يقضب ايضا وهذا شير الفتن وان كان  
 اضعف منه ينهزم او يتقاده فآله تعالى ازل في مقابلة حجة الكافرين على المؤمنين  
 سكينته حتى لم يقضوا ولم ينهزموا بل يصبروا وهو بعيد في العادة فهو من فضل الله تعالى  
 وقوله تعالى على رسوله وعلى المؤمنين فانه هو الذي اجاب الكافرين الى الصلح وكان في نفس  
 المؤمنين ان لا يرجعوا الا باحد الثلاثة بالخروج في المنحربا وان لا يكتبوا بمحمد رسول الله  
 وبسم الله فلما سكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سكن المؤمنون \* وقوله تعالى والزهم كلمة  
 التقوى فيه وجوه اظهرها انه قول لاله الا الله فان بها يقع الاتقاء عن الشرك وقيل هو  
 بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله فان الكافرين ابوا ذلك والمؤمنون التزموه وقيل  
 هي الوفاء بالعهد الى غير ذلك ونحن نوضح فيه ما يترجم بالدليل فنقول والزهم يحتمل ان  
 يكون عائدا الى النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين جميعا يعنى الزم النبي والمؤمنين كلمة  
 التقوى ويحتمل ان يكون عائدا الى المؤمنين فحسب فان قلنا انه عائدا اليهما جميعا نقول  
 هو الامر بالتقوى فان الله تعالى قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي اتق الله ولا تطع  
 الكافرين وقال للمؤمنين يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا امر بتقوى الله حتى  
 تذهله تقواه عن الالتفات الى ما سوى الله كما قال في حق النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله  
 ولا تطع الكافرين وقال تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ثم بين له حال من صدقه  
 بقوله الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله واما في حق المؤمنين  
 فقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وقال فلا تخشوههم واخشوني وان قلنا بأنه  
 راجع الى المؤمنين فهو قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الا ترى  
 الى قوله واتقوا الله وهو قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وفي  
 معنى قوله تعالى والزهم كلمة التقوى على هذا المعنى لئلا يذهب وهو انه تعالى اذا تاملت اتوا  
 يكون الامر واردا ثمان من الناس من يقبل بتوفيقاته وبالترحم منهم من لا يلتزمه ومن  
 التزمه فقد التزمه بالزام الله اياه فكانه قال تعالى والزهم كلمة التقوى وفي هذا المعنى رجاء

السكينة عاجهم فوقروا وحلوا  
 ( والزهم كلمة التقوى ) اى كلمة  
 الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم  
 او بمحمد رسول الله وقيل كلمة  
 التقوى هي الوفاء بالعهد والنيات  
 عليه وادناها الى التقوى لانها  
 سبب المسوى واساسها وكلمة اهلها  
 ( وكانوا احق بها ) متصفين بزيد  
 استحقاق لها على ان صيغة التفضيل  
 للزيادة مطلقا وقيل احق بها من  
 الكفار ( واهلها ) اى المستأهل  
 لها ( وكان الله بكل شيء عليا ) فيعلم  
 حق كل شيء فيسوقه الى مستحقه  
 ( لقد صدق الله رسوله الرؤيا ) رأى  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل  
 خروجه الى الحديبية كأنه  
 واصحابه قد دخلوا مكة آمنين  
 وقد حلقوا وارؤسهم وقصروا قصص  
 رؤيا على اصحابه فقرحوا  
 واستبشروا وحسبوا انهم  
 داخلوها في عامهم فلما تأخر  
 ذلك قال عبدالله بن ابي وعبدالله  
 بن نفيل ورباعة بن الحرث والله  
 ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد  
 الحرام فنزلت اى صدقه صلى  
 الله عليه وسلم في رؤياه كما في قولهم  
 صدرنى سن بكره وتحقيقه اراه  
 الرؤيا الصادقة وقوله تعالى  
 ( بالحق ) اما صفة المصدر مؤكدة  
 محذوف اى صدقا ملتبسا بالحق  
 اى بالعرض الصحيح والحكمة  
 بالغة التي هي التمييز بين الراسخ  
 في الايمان والمازول فيه احوال  
 من الرؤيا اى ملتبسة بالحق ليست  
 من قبيل اضاث الاحلام وقد  
 جاز ان يكون قسما بالحق الذي  
 هو من اسرار الله تعالى ايتين  
 الباطن وقوله تعالى ( اتدخان  
 المسجد الحرام ) جوابه وهو على  
 الاولين جواب قسم محذوف

من حيث ان التقوى وان كان كاملا ولكنه أقرب الى الكلمة وعلى هذا فقرله ودبروا  
 احق بها واهلها مع انهم كانوا عند الله اكرم الناس فالتقوا و ذلك لان توله تعالى  
 ان اكرمكم عند الله اتقاكم يحتمل وجهين (احدهما) ان يكون معناه ان من يكون تقواه  
 اكثر يكرمه الله اكثر (والثاني) ان يكون معناه ان من سيكون اكرم عند الله واقرب  
 اليه كان اتقى كفى قوله والمخلصون على خطر عظيم وقوله تعالى وهم من خشية ربهم  
 مشفقون وعلى الوجه الثاني يكون معنى قوله وكانوا احق بها لانهم كانوا اعلم بالله لقوله  
 تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله واهلها يحتمل وجهين (احدهما) انه يفهم  
 معنى الاحق انه يثبت رجاءنا على الكافرين ان لم يثبت الاهلية كما لو اختار الملك اثنين  
 لشغل وكل واحد منهما غير صالح له ولكن احدهما ابعد عن الاستحقاق فقال في الاقرب  
 الى الاستحقاق اذا كان ولا بد فهذا احق كما يقال الحبس اهون من القتل مع انه لاهين  
 هناك فقال واهلها ذاك (الثاني) وهو اقوى وهو ان يقال قوله تعالى واهلها فيه  
 وجوه نبيها بعد ما نين معنى الاحق فتقول هو يحتمل وجهين (احدهما) ان يكون الاحق  
 بمعنى الحق لا للتفضيل كما قوله تعالى خير مقاما واحسن نديا اذ لا خير في غيره (والثاني) ان  
 يكون للتفضيل وهو يحتمل وجهين (احدهما) ان يكون بالنسبة الى غيرهم اى المؤمنون  
 احق من الكافرين (والثاني) ان يكون بالنسبة الى كلمة التقوى من كلمة اخرى غير تقوى  
 تقول زيد احق بالاكرام منه بالاهانة كما اذا سأل شخص عن زيد انه بالطب اعلم او بالفقه  
 تقول هو بالفقه اعلم اى من الطب \* وقوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق  
 لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمين محققين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم  
 تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) بيان لفساد ما قاله المنافقون بعد انزال الله السكينة  
 على رسوله وعلى المؤمنين ووقوفهم عندما امروا به من عدم الاقبال على القتال  
 وذلك قولهم ما دخلنا المسجد الحرام ولا حلقنا ولا قصرنا حيث كان النبي صلى  
 الله عليه وسلم رأى في منامه ان المؤمنين يدخون مكة ويتون الحج ولم يعين له وقتا  
 فقص رؤياه على المؤمنين فقطعوا بان الامر كما رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه  
 وظنوا ان الدخول يكون عام الحديبية والله اعلم انه لا يكون الا عام الفتح فلما صالحوا  
 ورجعوا قال المنافقون استهزاء ما دخلنا ولا حلقنا فقال تعالى لقد صدق الله رسوله  
 الرؤيا بالحق وتعدية صدق الى مفعولين يحتمل ان يكون بنفسه وكونه من الافعال  
 التى تدى الى المفعولين ككلمة جعل وخلق ويحتمل ان يقال عدى الى الرؤيا بحرف  
 تقديره صدق الله رسوله فى الرؤيا وعلى الاول معناه جعلها واقعة بين صدق وعده اذ  
 وقع الموعد به واتى به وعلى الثاني معناه ما رآه الله ان يكذب فيه وعلى هذا فيحتمل  
 ان يكون رأى في منامه ان الله تعالى يقول ستدخلون المسجد الحرام فيكون قوله  
 صدق ظاهرا لان استعجال الصدق فى الكلام ظاهر ويحتمل ان يكون عليه الصلاة

اى والله امدها الخ و قوله تعالى (ان شاء الله) على لعمري ما لمسة  
 لعلم العباد اول الاشعار بأن  
 بعضهم لا يدخلونه لموت او عبة  
 او غير ذلك اوهى حكاية لما قاله  
 ملك الرؤيا لرسول الله صلى الله  
 عليه وسلم اولما قاله عليه الصلاة  
 والسلام لاصحابه (آمين) حال  
 من فاعل لتدخلن والشرط  
 معترض وكذا قوله تعالى (محققين  
 رؤسكم ومقصرين) اى محققا  
 بعضكم ومقصرا آخرون وقيل  
 محققين حال من ضمير آمين فتكون  
 متداخلة (لا تخافون) حال  
 مؤكدة من فاعل لتدخلن او  
 آمين او محققين او مقصرين او  
 استئناف اى لا تخافون بعد ذلك  
 (فلم ما لم تعلموا) عطف على  
 صدق والمراد بعلمه تعالى العلم  
 الفعلى المعلق بأمر حادث بعد  
 المعلوم عليه اى فعلم عقيب  
 ما رآه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا  
 من الحكمة الداعية الى تقديم  
 ما يشهد بالصدق علما فليبا  
 (يجل) لاجله (من دون ذلك)  
 اى من دون تحقيق مصداق ما رآه  
 من دخول المسجد الحرام الخ (فتح  
 قريبا) وهو فتح خير والمراد  
 بجعله وعده وانجاز من غير  
 تسويف ليستدل به على صدق  
 الرؤيا حسبا قال ولتكون آية  
 للمؤمنين واما جعل ما فى قوله  
 تعالى ما لم تعلموا تعلو عبارة عن الحكمة  
 فى تأخير فتح مكة الى العام القابل  
 كما جنح البه الجهور فاباه العام  
 فان علمنا نعال بذلك متقدم على  
 اراء الرؤيا قطعا

والسلام رأى انه يدخل المسجد فيكون قوله صدق الله معه مائة اى بما يحقق المسام  
وبدل على كونه صادقا يقال صدقنى سن بكره مثلا فيما اذا حقق الامر الذى يريه من  
نفسه مأخوذ من الابل اذا قيل له هدى سكن فحقق كونه من صغار الابل فان هدى كلمة  
يسكنها صغار الابل وقوله تعالى خالق قال الزمخشرى هو حال او قسم او صفة صدق  
وعلى كونه حال تقديره صدقه الرؤيا ملتبسة بالحق وعلى تقدير كونه صفة تقديره صدقه  
صدقا ملتبسا بالحق وعلى تقدير كونه قسما اما ان يكون قسما بالله فان الحق من اسمه  
واما ان يكون قسما بالحق الذى هو نقيض الباطل هذا ما قاله ويحتمل ان يقال فيه  
وجهين آخرين ( احدهما ) ان يقال فيه تقديم وتأخير تقديره صدق الله رسوله بالحق  
الرؤيا اى الرسول الذى هو رسول بالحق وفيه اشارة الى استناع الكذب فى الرؤيا لانه  
لما كان رسولا بالحق فلا يرى فى منامه الساطل ( والثاني ) ان يقال بأن قوله لتدخلن  
المسجد الحرام ان قلنا بأن الحق قسم فامر اللام ظاهر وان لم يقل به فتقديره لقد صدق  
الله رسوله الرؤيا بالحق والله لتدخلن وقوله والله جازان يكون تفسيراً للرؤيا  
يعنى الرؤيا هى والله لتدخلن وعلى هذا تين ان قوله صدق الله كان فى المنام لان  
الرؤيا كانت كلاما ويحتمل ان يكون تحقيقا لقوله تعالى صدق الله رسوله يعنى والله  
ليقعن الدخول وليظهرن الصدق فتدخلن ابتداء كلام وقوله تعالى ان شاء الله فيه  
وجوه ( احدها ) انه ذكره تعليما للعباد الادب وتأكيذا لقوله تعالى ولا تقولن لنى انى  
فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ( الثانى ) هو ان الدخول لما لم يقع عام الحديبية وكان  
المؤمنون يريدون الدخول وبأبواب الصلح قال لتدخلن ولكن لا بجحلا دتكم  
ولا بارادتكم وانما تدخلون بمشيئة الله تعالى ( الثالث ) هو ان الله تعالى لما قال فى الوحى  
المنزّل على النبى صلى الله عليه وسلم لتدخلن ذكرانه بمشيئة الله تعالى لان ذلك من الله وعد  
ليس عليه دين ولا حق واجب ومن وعد نبى لا يحققه الا بمشيئة الله تعالى والا فلا يلزمه  
به احد واداك كان هذا حال الموعود به فى الوحى المنزل صريحا فى البقعة فساطكم بالوحى  
بالمنام وهو يحتمل التأويل اكثر مما يحتمله الكلام فاداك تأخر الدخول لم يستمرؤن  
( الرابع ) هو ان ذلك تحقيقا للدخول وذلك لان اهل مكة قالوا لا تدخلوها الا مارادتسا  
ولا تريد دخولكم فى هذه السنة ونختار دخولاكم فى السنة القابلة والمؤمنون ارادوا  
الدخول فى عامهم ولم يقع فكان لقائل ان يقول ببق الامر موقوفا على مشيئة اهل  
مكة ان ارادوا فى السنة الآتية يتركونا ندخلها وان كرهوا لا ندخلها فقال لا تشترط  
ارادتهم ومشيتهم بل تمام الشرط بمشيئة الله وقوله محققين رؤسكم ومقصرين لانخافون  
اسارة الى انكم تتون الحج من اوله الى آخره فقوله لتدخلن اشارة الى الاول وقوله  
محققين اسارة الى الآخر وفيه مسئلتان ( المسئلة الاولى ) محققين حال الداخلين  
والداخل لا يكون الا محرما والمحرّم لا يكون محققا فقوله آمنين بنى على الدوام فيه الى

(هو الذى ارسل رسوله بالهدى)  
اى ملتسبا او نسباه ولاجله  
( ودين الحق ) وبدن الاسلام  
( ليظهره على الدين كله ) ايعليه  
على جنس الدين بجميع افراده  
النبى هى الاديان المتلعة بنسخ  
ما كان حقا من بعض الاحكام  
المتبدلة بتبدل الاعصار واظهار  
بطلان ما كان باطلا او بتسليط  
المسلمين على اهل سائر الاديان  
اذمان اهل دين لا وقد هزمهم  
المسلمون وفيه فضل تأكيد لما  
وعده من الفتح وتوطين لقلوس  
المؤمنين على انه سبحانه سبقهم  
من اللادويين لهم من الغلبة على  
الافاليم ما يستسلمون اليدهم مكة  
( وكفى بالله شهيدا ) على ان ما وعده  
كاش لا محالة او على نبوته عليه  
الصلاة والسلام باظهار المجزئات  
( محمد ) حرم مبتدأ محذوف وقوله  
تعالى ( رسول الله ) بدل اوبيان  
او نعمت اى ذلك الرسول المرسل  
بالهدى ودين الحق محمد رسول  
الله وقيل محمد مبتدأ رسول الله  
حيزه والجملة مبنية للسهود به  
وقوله تعالى ( والذين معه ) مبتدأ  
حيزه ( اشداء على الكفار رجاء  
ينهم ) وانما جمع شديد ورجاء  
جمع رحيم والمعنى انهم يظهرهم  
لن خالعيهم السد والصلابة  
ولمن واقفهم فى الدين الرجسة  
والرافعة كقوله تعالى ادلة على

الحلق فكأنه قال تدخلونها آمين متمكنين من ان تنموا الحنح محلقيين ( المسئلة الثانية )  
قوله تعالى لا تخافون ايضا حال معناه غير خاشعين وذلك حصل بقوله تعالى آمين فالفائدة  
في اعادته نقول فيه بيان كمال الامن وذلك لان بعد الحلق يخرج الانسان عن الاحرام  
فلا يحرم عليه القتال وكان عنداهل مكة يحرم قتال من احرم ومن دخل الحرم فقال  
تدخلون آمين وتحلقون ويبقى امنكم بعد خروجه عن الاحرام وقوله تعالى فعلم ما لم  
تعلموا اي من المصلحة وكون دخولكم في سنتكم سببا لوط المؤمنين والمؤمنات او فعلم  
للتعقيب فعلم وقع عقيب ماذا نقول ان قلنا المراد من فعل وقت الدخول فهو عقيب صدق  
وان قلنا المراد فعل المصلحة فالمعنى علم الوقوع والشهادة لاعلم الغيب والتقدير بعني حصلت  
المصلحة في العام القابل فعلم ما لم تعلموا من المصلحة المتجددة فجعل من دون ذلك فتحا قريبا  
اما صلح الحديبية واما فتح خيبر وقد ذكرناه وقوله تعالى وكان الله بكل شيء عليما يدفع وهم  
حدوث علمه من قوله فعلم وذلك لان قوله وكان الله بكل شيء عليما يفيد سبق علمه العام لكل  
علم محدث ثم قال تعالى (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله  
وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والدين معه اشداء على الكفار رجاء بينهم تراهم ركعا  
سجدا يتبعون فضلا من الله ورضوانا) تأكيد لبيان صدق الله في الرؤيا وذلك لانه  
لما كان مرسله ليهدي لا يريد ما لا يكون مهديا للناس فيظهر خلافه فيقع ذلك سببا  
للضلال ويحتمل وجوها اقوى من ذلك وهو ان الرؤيا بحيث توافق الواقع تقع لغير الرسل  
لكن رؤية الاشياء قبل وقوعها في البقطة لاتقع لكل احد فقال تعالى هو الذي ارسل  
رسوله بالهدى وحكى له ما سيكون في البقطة ولا يبعد من ان يريه في المنام ما يقع فلا استبعاد  
في صدق رؤياه وفيها ايضا بيان وقوع الفتح ودخول مكة بقوله تعالى ليظهره على الدين  
كله اي من يقويه على الاديان لا يستبعد منه فتح مكة له والهدى يحتمل ان يكون هو  
القرآن كما قال تعالى انزل فيه القرآن هدى للناس وعلى هذا دين الحق هو ما فيه من  
الاصول والفروع ويحتمل ان يكون الهدى هو المعجزة اي ارسله بالحق اي مع الحق  
اشارة الى ما شرع ويحتمل ان يكون الهدى هو الاصول ودين الحق هو الاحكام وذلك  
لان من الرسل من لم يكن له احكام بل بين الاصول فحسب والالف واللام في الهدى يحتمل  
ان تكون للاستغراق اي كل ما هو هدى ويحتمل ان تكون للعهد وهو قوله تعالى ذلك  
هدى الله يهدي به من يشاء وهو اما القرآن لقوله تعالى كتابا متشابها مثاني تقشعر الى  
ان قال ذلك هدى الله يهدي به من يشاء واما ما اتفق عليه كلمة الرسل لقوله تعالى اولئك  
الذين هدى الله فبهداهم اقتده والكل من باب واحد لان ما في القرآن موافق لما اتفق  
عليه الانبياء وقوله تعالى ودين الحق يحتمل وجوها (احدها) ان يكون الحق اسم الله  
تعالى فيكون كأنه قال بالهدى ودين الله (وانها) ان يكون الحق نقبض الباطل فيكون  
كأنه قال ودين الامر الحق (ونالها) ان يكون المراد به الانقياد الى الحق والتزامه

المؤمنين اعزة على الكافرين  
وقرى اشداء ورجاء بالنصب على  
المدح او على الحال من المستكن  
في معناه لوقوعه صلة بالخبر حينئذ  
قوله تعالى (تراهم ركعا سجدا)  
اي تشاهدكم حال كونهم  
راكعين ساجدين لمواظبتهم على  
الصلاة وهو على الاول خبر آخر  
او استئناف (يتبعون)  
فضلا من الله ورضوانا اي توابا  
ورضا اما خبر آخر او حال من ضمير  
تراهم او من المستتر في ركعا سجدا  
او استئناف معنى على سؤال نشأ  
من بيان مواظبتهم على الركوع  
والسجود كأنه قيل مادام يريدون  
بذلك فليقل يتبعون فضلا من الله  
الح (سيماهم) اي ستمهم وقرى  
سيماؤهم بالياء يمد الميم والمد  
وهما لمتان وفيها لعة ثالثة هي  
السيما بالمد وهو مبتدأ خبره (في  
وجوههم) اي في جباههم وقوله  
تعالى (من اتر السجود) حال من  
المسكن في الجار اي من التأثير  
الذي يؤثره كثرة السجود وما  
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم  
من قوله عليه الصلاة والسلام  
لا تلبسوا صوركم اي لا تسموها عما  
هو فيما اذا اعتمد بجبهته على  
الارض ليحدث فيها تلك السمة  
ودلك محض رياء ونفاق والكلام  
فيما حدث في جهة السجود الذي  
لا يجعد الا حالصا لوجه الله عز



ليظهره اى ارسله بالهدى وهو المعجز على احد الوجوه ليظهره على الدين كله اى جنس الدين فينسخ والاديان دون دينه واصكثر المفسرين على ان الهاء في قوله ليظهره راجعة الى الرسول والظاهر انه راجع الى دين الحق اى ارسل الرسول بالدين الحق ليظهره اى ليظهر الدين الحق على كل الاديان وعلى هذا فيحتمل ان يكون الفاعل للاظهار هو الله ويحتمل ان يكون هو النبي اى ليظهر النبي دين الحق وقوله تعالى وكفى بالله شهيدا اى في انه رسول الله وهذا مما يسلى قلب المؤمنين فانهم تأذوا من رد الكفار عليهم العهد المكتوب وقالوا لانعم انه رسول الله فلا تكتبوا محمد رسول الله بل اكتبوا محمد بن عبد الله فقال تعالى كفى بالله شهيدا في انه رسول الله وفيه معنى لطيف وهو ان قول الله مع انه كاف في كل شئ لكفه في الرسالة اظهر كفاية لان الرسول لا يكون الا بقول المرسل فاذا قال ملك هذا رسولى لو انكر كل من في الدنيا انه رسول فلا يفيده انكارهم فقال تعالى اى خلل في رسالته بأنكارهم مع تصديق اياه بأنه رسول وقوله محمد رسول الله فيه وجوه (احدها) خبر مبتدأ محذوف تقديره هو محمد الذى سبق ذكره بقوله ارسل رسوله ورسول الله عطف بيان (وثانيها) ان محمدا مبتدأ خبره رسول الله وهذا تأكيد لما تقدم لانه لما قال هو الذى ارسل رسوله ولا تتوقف رسالته الاعلى شهادته وقد شهد له بها فهو محمد رسول الله من غير تكبر (وثالثها) وهو مستنبط وهو ان يقال محمد مبتدأ ورسول الله عطف بيان سبق للمدح للتمييز والذين معه عطف على محمد وقوله اشداء خبره كأنه قال تعالى والذين معه جميعهم اشداء على الكفار رجاء بينهم لان وصف الشدة والرجة وجد في جميعهم اما في المؤمنين فكما في قوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين واما في حق النبي صلى الله عليه وسلم فكما في قوله واغلظ عليهم وقال في حق المؤمنين رؤوف رحيم وعلى هذا قوله تراهم لا يكون خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم بل يكون عاما اخرج مخرج الخطاب تقديره تراهم ايها السامع كأننا من كان كما قلنا ان الواعظ يقول انبه قبل ان يقع الانتباه ولا يريد به واحدا بعينه وقوله تعالى ينتفون فضلا من الله ورضوانا تمييز ركوعهم وسجودهم عن ركوع الكفار وسجودهم وركوع المرائي وسجوده فانه لا ينبغي به ذلك وفيه اشارة الى معنى لطيف وهو ان الله تعالى قال الراكعون والساجدون لوجهه فيوفيه اجورهم ويزيدهم من فضله وقال الراكع ينتفى الفضل ولم يذ كر الاجر لان الله تعالى اذا قال لكم اجر كان ذلك منه تفضلا وشارة الى ان عملكم جاء على ما طلب الله منكم لان الاجرة لا تستحق الاعلى العمل الموافق للطلب من المالك والمؤمن اذا قال انا ابتغى فضلك يكون منه اعتراف بالتقصير فقال ينتفون فضلا من الله ولم يقل اجرا \* وقوله تعالى (سيماهم في وجوههم من اثار السجود) فيه وجهان (احدهما) ان ذلك يوم القيامة كما قال تعالى يوم تبيض وجوه وجوه وتسعى وجوههم يسعى وعلى هذا فنقول نورهم في وجوههم بسبب توجههم نحو الحق كما قال ابراهيم

وحل كان الامام زين العابدين  
وعلى بن عبد الله بن العباس  
رضي الله عنهما يقال لهما ذوا  
الثغنت لما حدثت كثرة سجودهما  
في مواقعه منهما اشباه ثغنت  
البعير قال فائلم

ديار على والحسين وجعفر

وحجرة والسجاد ذى الثغنت  
وقيل صفرة الوجه من خشية  
الله تعالى وقيل ندى الطهور وتراب  
الارض وقيل استنارة وحوهم  
من طول ماصلوا بالليل قال عليه  
الصلاة والسلام من كثرت صلاته  
بالليل حسن وجهه بالنهار  
وقرى من اثار السجود ومن اثر  
السجود تكسر الهمة (ذلك)  
اشارة الى ما ذكر من نعمتهم  
الحليلة وما فيه من معنى البعدهم  
قرب العهد بالشار اليه لا يبدان  
لعلو شأنه ويعد منزله في الفضل  
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (مثلهم)  
اى وصفهم الجيب الشان الجارى  
في الغرابة محمى الامثال وقوله  
تعالى (في التوراة) حال من مثلهم  
والعامل معنى الاشارة وقوله تعالى  
(ومثلهم في الانجيل) عطف  
على مثلهم الاول كأنه قيل ذلك  
مثلهم في التوراة والانجيل ونكرر  
مثلهم لتأكيد عرابته وزيادة  
تقريبها وقوله تعالى (كررع)  
اخرج شطاه) الختميل مستأنف  
اى هم كرع اخرج

عليه السلام اتى وجهته وجهى للذى فطر السموات والارض ومن بعد ادى الشمس يقع  
شعاعها على وجهه فبين على وجهه الدور مبسطا مع ان الشمس لها نور ماضى يقبل  
الزوال والله نور السموات والارض فمن توجه الى وجهه يظهر في وجهه نور بهر الانوار  
(ونابهما) ان ذلك في الدنيا وفيه وجهان (احدهما) ان المراد ما يظهر في ابداه بسبب  
كثرة السجود (والثاني) ما يظهره الله تعالى في وجوه الساجدين ايلامن الحسن نهرا  
وهذا محقق لمن يعقل فان رجلين يسهران بالليل احدهما قد اشتعل بالنسب والاهب  
والآخر قد اشتغل بالصلاة والقراءة واستفاد العلم هكل احد في اليوم السني يترق دين  
الساهر في النرب واللعب وبين الساهر في الذكر والشكر \* وقوله تعالى (ذلك سلمهم  
في التوراة) فيه دلالة اوجه مذكورة (احدها) ان يكون ذلك مبتدا ومنهم في التوراة  
ومنهم في الانجيل خبرا له وقوله تعالى كررع اخرج شطأه خبرا له مبتدا محذوف تقديره  
ومنهم في التوراة والانجيل كررع (ونابها) ان يكون خبر ذلك هو قوله مثلهم في التوراة  
وقوله ومنهم في الانجيل مبتدا وخبره كررع (ونابها) ان يكون ذلك اشارة غير معينة  
او ضحت بقوله تعالى كررع كقوله ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وفيه وجه  
اينع وهو ان يكون ذلك خبرا له مبتدا محذوف تقديره هذا الظاهر في وجوههم ذلك يقال  
ظهر في وجهه ان الضرب فقول اي والله ذلك اي هذا ذلك الظاهر او الظاهر الذي تقوله  
ذلك \* وقوله تعالى (ومنهم في الانجيل كررع اخرج شطأه) فآزره فاستغلف فاستوى على  
سوفه يعجب ازراع) اي وصفوا في الكتائب به ومنلو بالذات وانما جعلوا كالزراع لانه اول  
ما يخرج مما يكون ضعيفا وله نمو الى حد الكمال فكذلك المؤمنون والشطأ الفرخ فآزره  
ويحتمل ان يكون المراد اخرج الشطأ وآزر الشطأ وهو اقوى واظهر والكلام يتم عند  
قوله يعجب الزراع \* وقوله تعالى (ليعظ بهم الكفار) اي تنبيه الله ذلك ليعظ او يكون  
الفعل المحلل هو \* وقوله تعالى (وعدا الله الدين آمنوا وعملوا الصالحات) اي وعد ليعظ بهم  
الكفار يقال رعدا لانك انعم عليه \* وقوله تعالى (منهم مغفرة واجر عظيما) لبيان الجنس  
لالتبعض ويحتمل ان يقال هو للتبعض ومعناه ليعظ الكفار والذين آمنوا من  
الكفار اهم الاجر العظيم والعظيم والمغفرة قد تقدم مرارا والله تعالى اعلم وههنا لطفية  
وهو انه تعالى قال في حق الراكعين الساجدين انهم يبتغون فضلا من الله وقال لهم اجر  
ولم يقل لهم ما يطلونه من ذلك الفضل وذلك لان المؤمن عند العمل لم يلتفت الى عمله  
ولم يجعل له اجرا يعتد به فقال لا تبغى الا فضلك فان عملك ان لا يكون له اجر والله تعالى  
آته ما آتاه من الفصل وسماه اجرا اشارة الى قول عمله ووقوعه الموقوع وعدم كونه عد  
الله نزر الا يستحق المؤمن عليه اجرا وقد علم بما ذكرنا مرارا ان قوله وعد الله الذين آمنوا  
وعملوا الصالحات لبيان ترتب المغفرة على الايمان فان كل مؤمن يغفر له كما قال تعالى  
ان الله لا يعفر ان يشرك به ويعفر ما دون ذلك لمن يشاء والاجر العظيم على العمل الصالح

فراخذ قبل هو تفسير لذلك على  
انه اشارة مبهمة وقيل خبر لقوله  
تعالى ومثلهم في الانجيل على ان  
الكلام قد تم عند قوله تعالى  
مثلهم في التوراة وفري شطأه  
بفتحات وقرئ شطأه بفتح لطاء  
وتخفيف الهمزة وشطأه بالمد  
وشطأه بحذف الهمزة ونقل حركتها  
الى ما قبلها وشطوه بقلبه واوا  
(فآزره) فقواه من المؤازرة  
يعني المعاونة ومن الاير روهي  
الاعانة وقرئ فارره بالتخفيف  
وأزره بالشد اى شد أزره  
و-وله تعالى (فاستغلف) فصار  
عليط بعد ما كان ديبسا  
(فاستوى على سوفه) فاستقام  
على قصبه جمع ساق وفري سوفه  
بالهمزة (يعجب ازراع) بعوته  
وكثافته وعاطه وحسن نظره  
وهو مثل ضربه الله عز وجل  
لاصحابه عليه الصلاة والسلام  
قلوا في بدء الاسلام م كثروا  
واسمكموا فترقي امرهم يوما  
فيوما بحسب اعجاب الناس وقيل  
مكتوب في الانجيل سيخرج قوم  
ينبتون نبات الزرع يأمرسون  
بالعرو وينهون عن المنكر  
وقوله تعالى (ليعظ بهم الكفار)  
علة لما يمرب عنه الكاذم من  
تشبيههم بالزراع في زكائه  
واستقامته او لما بعده من قوله  
تعالى (وعدا الله الدين آمنوا وعملوا  
الصالحات) منهم معبرة واحرا

والله اعلم ( قال المصنف رحمه الله تعالى ) تم تفسير هذه السورة يوم الخميس السابع عشر من شهر ذي الحجة سنة ثلاث وستمائة من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين

( سورة الحجرات ثمان عشرة آية مدنية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم ) في بيان حسن الترتيب وجوه ( احدها ) ان في السورة المقدمة لما جرى منهم ميل الى الامتناع مما اجار النبي صلى الله عليه وسلم من الصلح وترك آية التسمية والرسالة وأزعمهم بكلمة التقوى كأن رسول الله قال لهم على سبيل العموم لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ولا تتجاوزوا ما يأمر الله تعالى ورسوله ( الثاني ) هو ان الله تعالى لما بين محل النبي عليه الصلاة والسلام وعلو درجته بكونه رسوله الذي يظهر دينه وكرهه بأنه رحيم بالمؤمنين بقوله رحيمًا قال لا تتركوا من احترامه شيئًا لا بالمعل ولا بالقول ولا تعتزوا برأفته وانظروا الى رفعة درجته ( الثالث ) هو ان الله تعالى وصف المؤمنين بكونهم أشداء ورجاء فيما بينهم راكعين ساجدين نظرًا الى جانب الله تعالى وذكر ان لهم من الحرمة عند الله ما اورثهم حسن الشاء في الكتب المقدمة بقوله ذلك مثلهم في التواراة ومثلهم في الانجيل فان الملك العظيم لا يترك احدا في غيبته الا اذا كان عذره محترما ووعدهم بالاجرا العظيم فقال في هذه السورة لا تفعلوا ما يوجب انحطاط درجتكم واحباط حسناتكم ولا تقدموا وقيل في سبب نزول الآية وجوه قيل نزات في صوم يوم الشك وقيل نزلت في التضحية قبل صلاة العيد وقيل نزلت في ثلاثة تنالوا اثنين من سليم ظنوهما من بني عامر وقيل نزلت في جماعة اكثروا من السؤال وكان قد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفود والاصح انه ارشاد عام يشمل الكل ومنع مطلق يدخل فيه كل اباء وتقدم واستبداد بالامر وافدام على فعل غير ضروري من غير مشاورة وفي التفسير مسائل ( المسئلة الاولى ) قوله تعالى لا تقدموا يحتمل وجهين ( احدهما ) ان يكون من التقديم الذي هو متعد وعلى هذا فقيه وجهان ( احدهما ) ترك مفعوله برأسه كما في قوله تعالى يجي ويميت وقول القائل فلان يعطى ويمنع ولا يريد بهما اعطاء شيء معين ولا منع شيء معين وانما يريد بهما ان له منعا واعطاء كذلك ههنا كأنه تعالى يقول لا ينبغي ان يصدر منكم تقديم اصلا ( والثاني ) ان يكون المفعول الفعل او الامر كأنه يقول لا تقدموا يعني فعلا بين يدي الله ورسوله ولا تقدموا امرا ( الثاني ) ان يكون المراد لا تقدموا بمعنى لا تقدموا وعلى هذا فهو مجاز ليس المراد هو نفس التقديم بل المراد لا تجعلوا لانفسكم تقدما عند النبي صلى الله عليه وسلم يقال فلان تقدم من بين الناس

عظيما فان الكفار اذا دعوا بمعاينة احد المؤمنين في الآخرة مع ما لهم في الدنيا من العز غلظهم ذلك استدعيهم ومنهم للبيان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات فكأنما كان ممن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة

( سورة الحجرات مدنية )

( وهي ثمان عشرة آية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( يا أيها الذين آمنوا ) بتفسير الخطأ بالبدء لثانيه انما ينبغي على ان ما في حيزه اسر حطير يستدعي مزيدا عن انهم بشاءه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووضوئهم بالايصال لفتش طهم لان ان كان دع الى المحافظة سلبه ووزع عن الاخلاص به ( لا تفعلوا ) اي لا تفعلوا لتقديم على ان ترك المفعول للتفصيل نفس اسعمل من غير اعتبار تعاميا بأمر من الامور على طريقه قواهم فاذن عطى ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع او لا تقدموا امرا من الامور على ان حذف المفعول للقصد الى تعميمه ولاول اوفى بحق المقام لافادته النهي عن التباس بنفس الفعل الموجب لانتهاه بالكتابة المستلزم لانتفاء تعاقده بمفعوله بالطريق البرهاني وقد حور ان يكون التقديم بمعنى

إذا ارتفع امره وعلا شأنه والسبب فيه أن من ارتفع يكون متقدما في الدخول في  
 الامور العظام وفي الذكر عند ذكر الكرام وعلى هذا نقول سواء جعلناه متعديا ولازما  
 لا يتعدى الى ما يتعدى اليه التقديم في قولنا قدمت زيدا فالمعنى واحد لان قوله لا تقدموا  
 اذا جعلناه متعديا ولازما لا يتعدى الى ما يتعدى اليه التقديم في قولنا قدمت زيدا  
 فتقديره لا تقدموا انفسكم في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم اى لا تتجملوا لانفسكم  
 تقدما ورأيا عنده ولا نقول بأن المراد لا تقدموا امرا وفعلا وحينئذ نتخذ القراءتان  
 في المعنى وهما قراءة من قرأ بفتح التاء والدال وقراءة من قرأ بضم التاء وكسر الدال وقوله  
 تعالى بين يدي الله ورسوله اى بحضرتها لان ما بحضرة الانسان فهو بين يديه وهو ناظر  
 اليه وهو نصب عينيه وفي قوله بين يدي الله ورسوله فوائد (احدها) ان قول القائل ولان  
 بين يدي فلان اشارة الى كون كل واحد منهما حاضرا عند الآخر مع ان لاحدهما  
 علو الشأن وللآخر درجة العبيد والعلمان لان من يجلس بحجب الانسان يكلفه تقليب  
 الحديقة اليه وتحريك الرأس اليه عند الكلام والامر ومن يجلس بين يديه لا يكلفه ذلك  
 ولان اليمين تنبئ عن القدرة يقول القائل هو بين يدي فلان اى يقبله كيف شاء في اشغاله  
 كما يفعل الانسان بما يكون موضوعا بين يديه وذلك مما يفيد وجوب الاحتراز من التقديم  
 وتقديم النفس لان من يكون كمناع يقبله الانسان بيديه كيف يكون له عنده التقديم  
 (وانها) ذكر الله اشارة الى وجوب احترام الرسول عليه الصلاة والسلام والانقياد  
 لاوامره وذلك لان احترام الرسول صلى الله عليه وسلم فديتكم على بعد المرسل وعدم  
 اطلاعه على ما يفعل برسوله فقال بين يدي الله اى اتم بحضرة من الله تعالى وهو  
 ناظر اليكم وفي مثل هذه الحالة يجب احترام رسوله (وثالثها) هو ان هذه العبارة كما تقرر  
 النهي المتقدم تقرر معنى الامر المتأخر وهو قوله واتقوا لان من يكون بين يدي الغير  
 كمناع الموضوع بين يديه يفعل به ما يشاء يكون جديرا بأن يقيه وقوله تعالى واتقوا الله  
 يحتمل ان يكون ذلك عطفًا بوجوب مغيرة مثل المعايير التي في قول القائل لانتم واستغل  
 اى فائدة ذلك النهي هو ما في هذا الامر وليس المطلوب به ترك النوم كيف كان بل المطلوب  
 بذلك الاشتغال فكذلك لا تقدموا انفسكم ولا تتقدموا على وجه التقوى ويحتمل ان  
 يكون بينهما مغيرة اتم من ذلك وهى التي في قول القائل احترم زيدا واحدهما اى ائت  
 بأتم الاحترام فكذلك ههنا معناه لا تقدموا عنده واذا تركتم التقدم فلا تسكلوا  
 على ذلك فلا تأنفوا بل مع انكم قائمون بذلك محترمون له اتقوا الله واخشوه والام  
 تكونوا أيتيم بواجب الاحترام وقوله تعالى ان الله سميع عليم يؤكم ما تقدم لانهم قالوا  
 أما لان الخطاب يفهم بقوله يا أيها الذين آمنوا فقد يسمع قولهم ويعلم فعلهم وما في  
 قلوبهم من التقوى والخيانة فلا ينبغي أن يختلف قولكم وفعلكم وضمير قلبكم بل ينبغي  
 أن يتم ما في سمعه من قولكم أما وسمينا وأطعنا وما في علمه من فعلكم الظاهر وهو عدم

المقدم ومنه مقدمة الجيش  
 لاجتماع المقدمة ويمضيه قراءة  
 من قرأ لا تقدموا بحذى احدى  
 التابن من تقدموا وقرئ  
 لا تقدموا من الصدوم وقوله تعالى  
 (بين يدي الله ورسوله) مستعار  
 مما بين الجهتين السامتين ليدى  
 الانسان لهما جينا لما هو عنه  
 والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان  
 يحكم به وقيل المراد بين يدي  
 رسول الله وذكر الله تعالى لعظمته  
 والايادى بجلالة محله عنده عز  
 وجل قبل نزل فيما حرى بين  
 ابى بكر وعمر رضى الله عنهما ليدى  
 التى صلى الله عليه وسلم في تأمير  
 الافرق بن حابس والقعقاع بن  
 معبد (واتقوا الله) في كل ما تأتون  
 وما تدرسون من الاقوال والافعال  
 التى من جعلتها مانع فيه (ان الله  
 سميع) لا قواكم (عليم) بافعالكم  
 من حقه ان يتقوا ويراقب (يا أيها  
 الذين آمنوا) لا ترفعوا أصواتكم  
 فوق صوت النبي (شروع في النهي  
 عن التجاوز في كيفية القول عند  
 النبي عليه الصلاة والسلام بعد  
 النهي عن التجاوز في نفس القول  
 والفعل واعادة النداء مع قرب  
 العهد له لمبالغة في الايضاح  
 والتهنية والاشعار باستقلال كل  
 من الكلامين باستدعاء الاعضاء  
 بشأنه اى لا تسمعوا باصواتكم وراء  
 خديله عليه الصلاة والسلام  
 بصوته وقرئ لا ترفعوا  
 باصواتكم على ان الباء زائدة  
 (ولا تخرجه) والله

التقدم وما في قلوبكم من الضمائر وهو التقوى \* ثم قال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم بعضا لئلا تحبط أعمالكم وأنتم لا تعلمون ) لا تقدموا نهى عن فعل ينهى عن كونهم جاعلين لأنفسهم عند الله ورسوله بالنسبة إليهما وزنا ومقدارا ومدخلا في أمر من أوامرهما ونواهيهما وقوله لا ترفعوا نهى عن قول ينهى عن ذلك الأمر لأن من يرفع صوته عند غيره يجعل لنفسه اعتبارا زائدا وعظمة وفيه مباحث ( البحث الأول ) ما الفائدة في إعادة النداء وما هذا النمط من الكلامين على قول القائل يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله لا ترفعوا أصواتكم نقول في إعادة النداء فوائد خمسة منها أن يكون في ذلك بيان زيادة الشفقة على المسترشد كما في قول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله يا بني أنها إن تك منقال حبة يا بني اقم الصلاة لأن النداء لتنبيه المادى ليقبل على استماع الكلام ويجعل بالله منه فاعادته تفيد ذلك ومنها أن لا يتههم متوهم أن المخاطب ثانيا غير المخاطب أولا فإن من الجائز أن يقول القائل يا زيد افعل كذا وقل كذا يا عمرو فاذا اعاده مرة أخرى وقال يا زيد قل كذا يعلم من أول الكلام أنه هو المخاطب ثانيا أيضا ومنها أن يعلم أن كل واحد من الكلامين مقصود ليس الثاني تأكيد للاول كما تقول يا زيد لا تنطق ولا تتكلم إلا بالحق فإنه لا يحسن أن يقال يا زيد لا تنطق يا زيد لا تتكلم كما يحسن عند اختلاف المطلوبين وقوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم يحتمل وجوها ( أحدها ) أن يكون المراد حقيقة وذلك لأن رفع الصوت دليل قلة الاحتشام وترك الاحترام وهذا من مسئلة حكمية وهى أن الصوت بالخارج ومن خشى قلبه ارتجف وتضعف حركته الدافعة فلا يخرج منه الصوت بقوة ومن لم يخف ثبت قلبه وقوى فرفع الهواء دليل عدم الخشية ( ثانيا ) أن يكون المراد المنع من كثرة الكلام لأن من يكثر الكلام يكون متكلما عند سكوت الغير فيكون في وقت سكوت الغير لصوته ارتفاع وإن كان خائفا إذا نظرت إلى حال غيره فلا ينبغي أن يكون لاحد عند النبي صلى الله عليه وسلم كلام كثير بالنسبة إلى كلام النبي صلى الله عليه وسلم لأن النبي عليه الصلاة والسلام مبلغ فالتكلم عنده أن أراد الأخبار لا يجوز وأن استخبر النبي عليه السلام عما وجب عليه البيان فهو لا يسكت عما يسأل وإن لم يسأل وربما يكون في السؤال حقيقة برد جواب لا يسهل على المكلف الاتيان به فيبقى في ورطة العقاب ( ثالثها ) أن يكون المراد رفع الكلام بالتعظيم أى لا تجعلوا لكلامكم ارتفاعا على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب كما يقول القائل لغيره امرتك مرارا بكذا عندما يقول له صاحبه مرني بأمر مثله فيكون أحد الكلامين أعلى وأرفع من الآخر والاول اصح والكل يدخل في حكم المراد لأن المنع من رفع الصوت لا يكون إلا الاحترام واظهار الاحتشام ومن بلغ احترامه إلى حيث تنخفض الاصوات

بالقول ) اذا كلمتموه ( كجهر بعضهم بعضا ) أى جهرنا كأننا كالجهر الحارى فيما بينكم بل اجعلوا أصواتكم اخفض من صوته عليه الصلاة والسلام وتعهذوا في مخاطبة الذين الغريب من الغميس كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة الهبة النبوة وجلالة مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا جند وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضى الله عنهما لما زلت هذه الآية قال أبو بكر يا رسول الله والله لا أكلك إلا لسرا أو أكل السرار حتى اتقى الله تعالى وعن عمر رضى الله عنه أنه كان يكلمه عليه الصلاة والسلام كما يخشى السرار لا يسمعه حتى يسمعهم وكان أبو بكر رضى الله عنه اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفود أرسل إليهم من يعلمهم كيف يملكون ويأمرهم بالسكينة والودار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ( ان تجبوا عما لكم مائة ) للنهى أى لا تجهروا خشية أن تحبطوا كراهة أن تحبط كما في قوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا أو للنهى أى لا تجهروا لأجل الحبوط فإن الجهر حيث كان بصدد الاداء إلى الحبوط فكانه فعل لأجله على طريقة التثنية كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحرا وليس المراد بما

فهو عنه من الرفع والمهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فان ذلك كفر بل ما يترجم ان يؤدى اليه بما يجري بينهم في اسماء المحاوراة من الرفع والمهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى تكبر بعضكم بعضا لان رفع الصوت فوق صوته عليه الصلاة والسلام لما كان منكرا محمدا لم يفيد شئ ولا ما يقع منهما في حرب او محادثة معاند او رهاب عدوا ونحو ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما رلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهورى لصوت وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى لصوته وعن انس رضي الله عنه انه لما نزلت الآية فقد مات ونفقه عليه الصلاة والسلام فأحس بشأه فدعاها فسأله فقال برسول الله لقد نزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فأخاف ان يكون علي قد حبط فقال له عليه الصلاة والسلام لست هناك انك تعيش مخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وامام ابروى عن الحسن من انها نزلت في بعض المنافقين لدين كانوا يرفعون اصواتهم فوق صوته عليه الصلاة والسلام فقد قيل مجله ان منهم مندرج تحت نبي المؤمنين بدلالة النص (واتم تشعرون) حال من فاعل تحبط اى والحال انكم لاتشعرون بحبوطها فيه مزيد تحذير بما نهوا عنه وقوله تعالى

عنده من هيئته وعلوم مرتبته لا يترعده السلام ولا يرجع المثل من رايه اب ودوا، تعالى ولا تجهروا له بالقول بكبر بعضكم بعضا فيه فوائد (احداها) ان ما ول حصل المنع من ان يجعل الانسان كلامه او صوته اعلى من كلام الله صلى الله عليه وسلم وصوته ولقائل ان يقول فامنع من المساواة فقل تعالى ولا تجهروا له كاتجهرون لاقرانكم ونظرائكم بل اجعلوا كلمه عليا (والثانية) ان هذا افادانه لا ينبغي ان يتكلم المؤمن عند النبي عليه السلام كاتكلم العبد عند سيده لان العبد داخل تحت قوله بكبر بعضكم بعضا لانه للعموم فلا ينبغي ان يجهر المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم كما يجهر العبد للسيد والالكان قد جهر له كاتجهر بعضكم بعضا لا يقال المعلوم من هذا الخط ان لا تجعلوه كما يتفق بديكم بل تميزوه بان لا تجهروا عند ابداء وفيما بينكم لاتحافظون على الاحترام لانقول ما ذكرنا اقرب الى الحقيقة وفيه ما ذكرتم من المعنى وزيادة ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم والسيد ليس اولى عند عبده من نفسه حتى لو كانا في مخمصة ووجد العبد مالولم يأكله لمات لا يجب عليه بذله لسيدته ويجب البذل للبي صلى الله عليه وسلم ولو علم العبد ان يموت بنبو سيده لا يلزمه ان يلقي نفسه في التهلكة لانجاء سيده ويجب لانجاء النبي عليه الصلاة والسلام وقد ذكرنا حقيقة عند تفسير الآية وان الحكمة تقتضى ذلك كما ان العضو الرئيس اولى بالرعاية من غيره لان عند خلل القلب مثلا لا يبقى اليدين والرجلين استقامة فلو حفظ الانسان نفسه وترك النبي عليه الصلاة والسلام لهلك هو ايضا بخلاف العبد والسيد (الفائدة السالسة) ان قوله تعالى لاترفعوا اصواتكم لما كان من جنس لاتجهروا لم يستأنف النداء ولما كان هو يخالف التقدم لكون احدهما فعلا والاخر قولا استأنف كما في قول لقمان يابني لاتشرك وقوله يابني أقم الصلاة لكون الاول من عمل القلب والثاني من عمل الجوارح وقوله يابني أقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المكر من غير استئناف الداء لكون الكل من عمل الجوارح واعلم اننا قلنا المراد من قوله لاترفعوا اصواتكم اى لاتكثروا الكلام فقوله ولا تجهروا يكون مجازا عن الانسان بالكلام عند النبي صلى الله عليه وسلم بقدر ما يؤتى به عند غيره اى لاتكثروا وقلوا غاية التقليل وكذلك ان قلنا المراد بالرفع الخطاب فالمراد بقوله لاتجهروا اى لاتخطبوه كما تخطبون غيره وقوله تعالى ان تحبط اعمالكم فيه وجهان مشهوران (احدهما) لثلا تحبط (والثاني) كراهة ان تحبط وقد ذكرنا ذلك في قوله تعالى بين الله لكم ان تضلوا وامناله ويحتمل ههنا وجه آخر وهو ان يقال معناه واتقوا الله واجتنبوا ان تحبط اعمالكم والدليل على هذا ان الاضمار لما لم يكن منه بد فادل عليه الكلام الذى هو فيه اولى ان يضمر الامر بالنوى وسبق في قوله تعالى واتقوا وامام المعنى فقول قوله ان تحبط اشارة الى انكم ان رفعت اصواتكم وتقدمتم تتكلمن مكم هذه الرذائل وتؤدى

الى الاستمارة وانه يفضى الى الانفراد والارتداد المحبط وقوله تعالى وانتم لاتشعرون  
 اسارة الى ان الردة تتمكن من النفس بحيث لا يشعر الانسان فان من ارتكب ذنبا  
 لم يرتكبه في عمره تراه نادما غاية الندامة خائفا غاية الخوف فاذا ارتكبه مرارا يقل  
 الخوف والندامة ويصير مادة من حيث لا يعلم انه لا يتمكن وهذا كان للتمكن في المرة  
 الاولى او الثانية او الثالثة او غيرها وهذا كما ان من بلغه خبر فانه لا يقطع بقول المخبر في  
 المرة الاولى فاذا تكرر عليه ذلك وبلغ حد النواتر يحصل له اليقين ويتمكن الاعتقاد  
 ولا يدري متى كان ذلك وعند اي خبر حصل هذا اليقين فقوله وانتم لاتشعرون تأكيده  
 لمنع اي لا تقولوا بأن المرة الواحدة تعفى ولا توجب ردة لان الامر غير معلوم فاحسبوا  
 الباب وفيه بيان آخر وهو ان المكلف اذا لم يحترم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويجعل  
 نفسه مثله فيما يأتي به بناء على امره يكون كما يأتي به بناء على امر نفسه لكن ما تأمر به النفس  
 لا يوجب النوب وهو محبط كذا ذلك ما يأتي به بغير امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم  
 حينئذ حابط محبط والله اعلم واعلم ان الله تعالى لما امر المؤمنين باحترام النبي صلى الله عليه وسلم  
 واكرامه وتقديمه على انفسهم وعلى كل من خلقه الله تعالى امر نبيه عليه السلام بالرأفة  
 والرحمة وان يكون ارف بهم من للوالد كما قال واخفص جناحك للؤمنين وقال تعالى  
 واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقال ولا تكن كصاحب الحوت الى غير ذلك لثلاث  
 تكون خدمته خدمة الجبارين الذين يستعبدون الاحرار بالقهر فيكون اقتيادهم لوجه  
 الله ﷻ بمقال تعالى ( ان الذين يفضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله  
 قلوبهم للتقوى ) وفيه احث على ما ارشدهم اليه من وجهين ( احدهما ) ظاهر لكل أحد  
 وذلك في قوله تعالى امتحن الله قلوبهم للتقوى وبيانه هو ان من يقدم نفسه ويرفع صوته  
 يريد اكرام نفسه واحترام شخصه فقال تعالى ترك هذا الاحترام يحصل به حقيقة الاحترام  
 وبالاعراض عن هذا الاكرام يكمل الاكرام لان به تبيين تقواكم وان اكرمكم عند الله  
 اتقاكم ومن القبح ان يدخل الانسان جاما فيخير لنفسه فيه منصبا ويفوت بسببه  
 منصبه عند السلطان ويعظم نفسه في الخلاء والاستراح وبسبه يهون في الجمع العظيم  
 وقوله تعالى امتحن الله قلوبهم للتقوى فيه وجوه ( احدها ) امتحنها يعلم منها التقوى فان  
 من يعظم واحدا من ابناء جنسه لكونه رسول مرسل يكون تعظيمه للرسول اعظم وخوفه  
 منه اقوى وهذا كما في قوله تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب اي تعظيم  
 أو امر الله من تقوى الله فكذلك تعظيم رسول الله من تنواه ( الثاني ) امتحن اي علم  
 عرف لان الامتحان تعرف الشيء فيجوز استعماله في معناه وعلى هذا فاللام تتعلق بمحذوف  
 تدبره عرف الله قلوبهم صالحة اي كاشة للتقوى كما يقول القائل انت لكنا اي صالح  
 او كان ( الثالث ) امتحن اي اخلص يقال للذهب تمتن اي اخلص في اثاره منه الوجوه  
 كلها مذكورة ويحتمل ان يقال معناه امتحنها للتقوى اللام للتعليل وهو يحتمل وجهين

( ان الذين يفضون اصواتهم عند  
 رسول الله ) الخ ترعيب في الاتهام  
 عماثوا عند بعد الريحيب عن  
 الاخلال به اي يتخضون بها مراعاة  
 للادب او خشية من مخالفة النهي  
 ( اولئك ) اشارة الى الموصول  
 باعتبار اتصفه بما في حيز الصلة  
 وما فيه من معنى البعد مع قرب  
 العهد بالمشار اليه لما مر مرارا  
 من تفخيم شأنه وهو مبتدأ خبره  
 ( الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى )  
 اي جرب بها للتقوى ورسنها عليها  
 وعرفها كاشة للتقوى خالصة  
 لها فان الامتحان سبب المعرفة  
 واللام صلة لمحذوف والفاعل  
 باعتبار الاصل او ضرب فلو بهم  
 تضروب الممن والكناية الشاقة  
 لاجل التقوى فانها لا تظهر الا  
 بالاصطلاح عليها او انما حياها  
 للتقوى من امتحن الذهب اذا  
 اذابه وميزا برز من خبئه وعن  
 عمر رضي الله عنه اذهب عنها  
 الشهوة ( لهم ) في الاثرة  
 ( مغفرة ) عطية لذنوبهم ( واجر  
 عظيم ) لا يقدر قدره والجملة اما  
 خبر آخر لان كالجمل المصدر باسم  
 الاشارة او استئناف لبيان جزائهم  
 احادا لحالهم وتعر ايضا بسوء  
 حال من ليس منهم ( ان الذين  
 يادونان من وراء الجبرات ) اي  
 من خارجها من خلفها او قدمها



(احدهما) ان يكون تعليلا يجرى مجرى بيان السبب المتقدم كما يقول القائل جئتكم  
لا كرامتك لى امس اى صار ذلك السابق سبب الجئ (وانبها) ان يكون تعليلا يجرى  
مجرى بيان غاية المقصود المتوقع الذى يكون لاحقا لاسبقا كما يقول القائل جئتكم لاداء  
الواجب فان قلنا بالاول فتحقيقه هو ان الله علم ما فى قلوبهم من تقواه وامتنح قلوبهم  
للتقوى التى كانت فيها ولولا ان قلوبهم كانت مملوءة من التقوى لما امرهم بتعظيم رسوله  
وتقديم نبه على انفسهم بل كان يقول لهم آمنوا برسولى ولا تؤذوه ولا تكذبوه فان  
الكافر اول ما يؤمن يؤمن بالاعتراف بكون النى صلى الله تعالى عليه وسلم صادقا وبين من  
قيل له لا تستهزئ برسول الله ولا تكذب ولا تؤذوه وبين من قيل له لا ترفع صوتك عنده  
ولا تجعل لنفسك وزنا بين يديه ولا تجهر بكلامك الصادق بين يديه بون عظيم واعلم ان بقدر  
تقديمك للنبي عليه الصلاة والسلام على نفسك فى الدنيا يكون تقديم النبي عليه الصلاة  
والسلام اياك فى العقى فانه لا يدخل احد الجنة مالم يدخل الله امته المتقين الجنة وان قلنا  
بالتانى فتحقيقه هو ان الله تعالى امتحن قلوبهم بمعرفته ومعرفة رسوله بالتقوى اى ليرزقهم  
الله التقوى التى هى حق النقا وهى التى لا تخشى مع خشية الله احد افتراه آنا من كل  
خيف لا يخاف فى الدنيا بخسا ولا يخاف فى الآخرة نخسا والناظر العاقل اذا علم ان  
بالخوف من السلطان يأمن جور العلمان ويتجنب الاراذل ينجموا من بأس السلطان  
فيجعل خوف السلطان جنة فكذلك العالم لو امن النظر لعلم ان بخشية الله النجاة فى  
الدارين وبالخوف من غيره الهلاك فيهما فيجعل خشية الله جنة التى يحرس بها نفسه  
فى الدنيا والآخرة \* ثم قال تعالى (لهم مغفرة واجر عظيم) وقد ذكرنا ان المغفرة  
ازالة السيئات التى هى فى الدنيا لازمة للنفس والاجر العظيم اشارة الى الحياة التى هى بعد  
مفارقة الدنيا عن النفس فيزيل الله عنه القبايح البهيمية ويلبسه المحاسن الملكية \* ثم قال  
تعالى (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون) بانا لحال من كان  
فى مقابلة من تقدم فان الاول غص صوته والآخر رفعه وفيه اشارة الى انه ترك لادب  
الحضور بين يديه وعرض الحاجة عليه واما قول القائل للملك يا فلان من سوء الادب فان  
قلت كل احد يقول يا الله مع ان الله اكبر نقول الداء على قسمين (احدهما) لتنبه  
النادى (وثانيهما) لظاهر حاجة المنادى (مثال الاول) قول القائل لرفيقه او غلامه  
يا فلان (ومثال الثانى) قول القائل فى الندبة يا امير المؤمنين او يا زيدا ولقائل ان يقول ان  
كان زيد بالمشرق لا تنبه فانه محال فكيف يناديه وهو ميت فتقول قولنا يا الله لظاهر  
حاجة النفس لا تنبه المنادى وانما كان فى الداء الامر ان جميعا لان المنادى لا ينادى  
الا الحاجة فى نفسه يعرضها ولا ينادى فى الاكثر الامعرضا او غافلا فحصل فى الداء  
الامر ان ونداؤهم كان للتنبيه وهو سوء ادب واما قول احدا للكبير ياسيدى ويا مولاي  
فهو جار مجرى الوصف والاخبار (الثانى) النداء من وراء الحجرات فان من ينادى غيره

ومن ابتدائية دالة على ان المائدة  
نشأت من جهة الراء وان  
النادى داخل الحجر لوجوب  
اختلاف المبدأ والنتهى بحسب  
الجهة بخلاف ما لو قيل يادونك  
وراء الحجرات وقرى الحجرات  
بفتح الجيم وبكونها ولا تتأجج  
حجرة وهى القطعة من الارض  
المحجورة بالحائط ولذلك يقال  
لخطيرة الابل حجرة وهى فعلة  
من الحجر بمعنى مفعول كالفرقة  
والقبضة والمراد بها حجرات  
امهات المؤمنين ومنازلهم من  
ورائها اما بانهم اتوها حجرة  
حجرة فسادوه عليه الصلاة  
والسلام من ورائها وبأنهم تفرقوا  
على الحجرات متطلبين له عليه  
الصلاة والسلام فتاداه بعض  
من وراء هذه وبعض من وراء  
ذلك فاستند فعل الابعاض الى الكل  
وقد جوز ان يكونوا قد نادوه  
من وراء الحجرة التى كائن عليه  
الصلاة والسلام فيها ولكنها  
جمعت اجلالا له عليه الصلاة  
والسلام وقيل ان الذى  
ناداه عبيثة بن حصن الفزارى  
والافرع ابن حانس وفدا على  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى  
سبعين رجلا من بنى تميم وقت  
الطهيرة وهو راقد فقال يا محمد  
اخرج البنا واما اسند

ولا حائل بينهما لا يكلفه المشي والجمي بل يحبس من مكانه ويكلمه ولا يطلب المنادى  
 الالتفات المنادى اليه ومن ينادى غيره من وراء الحائل فكأنه يريد منه حضوره كن  
 ينادى صاحب البستان من خارج البستان ( الثالث ) قوله الحجرات اشارة الى كون  
 النبي صلى الله عليه وسلم في خلوته التي لا يحسن في الادب اتيان المحتاج اليه في حاجته  
 في ذلك الوقت بل الاحسن التأخير وان كان في ورطة الحاجة وقوله تعالى اكثرهم لا  
 يعقلون فيه بيان المعايير بقدر ما في سوء ادبهم من القبايح وذلك لان الكلام من خواص  
 الانسان وهو اعلى مرتبة من غيره وليس لمن دونه كلام لكن النداء في المعنى كالنبيه وقد  
 يحصل بصوت بضرب شيء على شيء وفي الحيوانات العجم ما ينظر لكل أحد كالنداء فان  
 الشاة تصيح وتطلب ولدها وكذلك غيرها من الحيوانات والسحرة كذلك فكان النداء  
 حصل في المعنى لغير الآدمي فقال الله تعالى في حقهم اكثرهم لا يعقلون يعني النداء الصادر  
 منهم لالم يكن مقرونا بحسن الادب كانوا فيه خارجين عن درجة من يعقل وكان نداؤهم  
 كصياح صدر من بعض الحيوان وقوله تعالى اكثرهم فيه وجهان ( احدهما ) ان العرب  
 تذكر الاكثر وتريد الكل وانما تأتي بالاكثر احترازا عن الكذب واحتياطا في الكلام لان  
 الكذب مما يحبط به عمل الانسان في بعض الاشياء فيقول الاكثر وفي اعتقاده الكل ثم  
 ان الله تعالى مع احاطة علمه بالامور التي بما يناسب كلامهم وفيه اشارة الى لطيفة وهي ان  
 الله تعالى يقول انا مع احاطة على بكل شيء جريت على عادتك استحسانا لتلك العادة وهي  
 الاحتراز عن الكذب فلا تتركوها واجعلوا اختياري ذلك في كلامي دليلا قاطعا على  
 رضائي بذلك ( وثانيهما ) ان يكون المراد انهم في اكثر احوالهم لا يعقلون وتحقيق هذا  
 هو ان الانسان اذا اعتبر مع وصف نعم اعتبر مع وصف آخر يكون المجموع الاول غير المجموع  
 الثاني مثاله الانسان يكون جاهلا وفقيرا فيصير عالما وغنيا فيقال في العرف زيد ليس هو  
 الذي رأيت من قبل بل الآن على احسن حال فيجعله كأنه ليس ذلك اشارة الى ما ذكرنا اذا علم  
 هذا فهم في بعض الاحوال اذا اعتبرتهم مع تلك الحالة مغايرون لانفسهم اذا اعتبرتهم  
 مع غيرها فقال تعالى اكثرهم اشارة الى ما ذكرناه وفيه وجه ثالث وهو ان يقال لعل منهم  
 من رجع عن تلك الاهواء ومنهم من استمر على تلك العادة الرديئة فقال اكثرهم اخراجا  
 لمن ندم منهم عنهم \* ثم قال تعالى ( ولوانهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم ) اشارة  
 الى حسن الادب الذي على خلاف ما أتوا به من سوء الادب فانهم لو صبروا لما احتاجوا  
 الى النداء واذا كنت تخرج اليهم فلا يصح اتيانهم في وقت اختلاطك بنفسك او  
 بأهلك او بربك فان لنفس حقوا للاهل حقوا وقوله تعالى لكان خيرا لهم يحتمل وجهين  
 ( احدهما ) ان يكون المراد ان ذلك هو الحسن والخير كقوله تعالى خير مستقرا ( وثانيهما )  
 ان يكون المراد هو ان النداء وعدم الصبر يستفيدون تنجيم الشغل ودفع الحاجة في الحال  
 وهو مطلوب ولكن المحافظة على حرمة النبي صلى الله عليه وسلم خير من ذلك لانها

النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك  
 او امرؤا به اولانه وجد فيما بينهم  
 ( اكثرهم لا يعقلون ) اذ لو كان لهم  
 عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة  
 من سوء الادب ( ولوانهم صبروا  
 حتى تخرج اليهم ) اي ولو تحقق  
 صبرهم وانتظارهم حتى تخرج  
 اليهم فان ان وان دلت بما في حيزها  
 على المصدر لكنها تنقيد بنفسها  
 التحق والشبوت للفرق بين بين  
 قولك بلغني قيامك وبلغني انك  
 قائم وحتى تنقيد ان الصبر ينبغي  
 ان يكون مني بخروجه عليه  
 الصلاة والسلام فانها مختصة  
 بما هو غاية للنبي في نفسه ولذلك  
 تقول اكلت السمكة حتى رأسها  
 ولا تقول حتى نصفها او ثلثها  
 بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم  
 شعار بأنه لو خرج للاحكام ينبغي  
 ان يصبروا حتى يأتهم بالكلام  
 او يتوجه اليهم ( اكان ) اي الصبر  
 المذكور ( خيرا لهم ) من  
 الاستعجال لما فيه من رعاية حسن  
 الادب وتعظيم الرسول الموحين  
 للشأن والنواب والاسعاف بالمسؤول  
 ادروى انهم قدودا شافعين في  
 امارى بنى العنبر فاطلق النصف  
 وفادى النصف ( والله غفور رحيم )

تدفع الحاجة الاصلية التي في الآخرة وحاجات الدنيا فضلية والمرفوع الذي يقتضيه كلمة كان اما الصبر وتقديره لو انهم صبروا لكان الصبر خيرا او الخروج من غير نداء وتقديره لو صبروا حتى تخرج اليهم لكان خروجك من غير نداء خيرا لهم وذلك مناسب للحكمة لانهم طلبوا خروجه عليه الصلاة والسلام لياخذوا درايهم فخرج واعتق نصفهم واخذوا نصفهم ولو صبروا لكان يعتق كلهم والاول اصح \* ثم قال تعالى (والله غفور رحيم) تحقيقا لامرين (احدهما) لسوء صنيعهم في التجمل فان الانسان اذا اتى بقبيح ولا يعاقبه الملك او السيد يقال ما احلم سيده لالبان حلمه بل لبان عظيم جناية العبد (وثانيهما) لحسن الصبر يعني بسبب آياتهم بما هو خير بغفر الله لهم سياتهم ويجعل هذه الحسنة كفارة لكثير من السيئات كما يقال للآبق اذ ارجع الى باب سيده احسنت في رجوعك وسيدك رحيم أي لا يعاقبك على ما تقدم من ذنبك بسبب ما ثبت به من الحسنة ويمكن ان يقال بان ذلك حدث للنبي صلى الله عليه وسلم على الصريح وقوله تعالى أكثرهم لا يعقلون كالعذر لهم وقد ذكرنا ان الله تعالى ذكر في بعض المواضع الغفران قبل الرحمة كما في هذه السورة وذكر الرحمة قبل المغفرة في سورة سبأ في قوله وهو الرحيم الغفور غيث قال غفور رحيم أي يغفر سياتهم ثم ينظر اليه فيراه عاريا محتاجا فيرجه ويلبسه لباس الكرامة وقديره مغمورا في السيئات فيعفر سياتهم ثم يرجه بعد المغفرة فتارة تقع الاشارة الى الرحمة التي بعد المغفرة فيقدم المغفرة وتارة تقع الرحمة قبل المغفرة فيؤخرها ولما كانت الرحمة واسعة توجد قبل المغفرة وبعدها ذكرها قبلها وبعدها \* ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) هذه السورة فيها ارشاد المؤمنين الى مكارم الاخلاق وهي امامع الله تعالى او مع الرسول صلى الله عليه وسلم او مع غيرهما من ابناء الجنس وهم على صنفين لانهم اما ان يكونوا على طريقة المؤمنين وداخلين في رتبة الطاعة او خارجا عنها وهو الفاسق والداخل في طاعتهم السالك لطريقهم اما ان يكون حاضرا عندهم او غائبا عنهم فهذه خمسة اقسام (احدها) يتعلق بجانب الله (وثانيها) بجانب الرسول (وثالثها) بجانب الفاسق (ورابعها) بالمؤمن الحاضر ( وخامسها) بالمؤمن الغائب فذكر الله تعالى في هذه السورة خمس مرات يا أيها الذين آمنوا وارشد في كل مرة مكرمة مع قسم من الاقسام الخمس فقال اوليا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وذكر الرسول كان لبان طاعة الله لانها لا تعلم الا بقول رسول الله وقال ثانيا يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي لبان وجوب احترام النبي صلى الله عليه وسلم وقال ثالثا يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ لبان وجوب الاحتراز عن الاعتماد على اقوالهم فانهم يريدون القاء الفتنة بينكم وبين ذلك عند تفسير قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقال رابعا يا أيها الذين آمنوا لا يخرقون من قوم وقال ولاتنازوا لبان وجوب ترك ايذاء المؤمنين في حضورهم

بلبع المغفرة والرحمة واسعهما قلن يضيق ساحتها عن هؤلاء ان تابوا واصحوا (يا أيها الذين آمنوا) ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا (أي فتعرفوا او تمحصوا) روى انه عليه الصلاة والسلام بعث الوليد بن عتبة اخا عثمان رضي الله عنه لانه مصدق الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب انهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد اردتوا ومنعوا الزكاة فهم عليه الصلاة والسلام يقتالهم فزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدتهم متادين بالصلاة متعبدين فسلوا اليه الصدقات فرجع وفي ترتيب الاسرار التبيين على فسق الخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل في بعض المواد وقرئ فتبينوا اي توقفوا الى ان يتبين لكم الحال (ان تصيبوا) حذار ان تصيبوا (قوما بجهالة) ملتبسين بجهالة حالهم (فتصبحوا) بعد ظهور برائتهم عما اسند اليهم (على ما فعلتم) في حقهم (نادمين) معتين غملا لازما متعنين انه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلاثة يدور مع الدوام (واعلموا ان فيكم رسول الله)

والازدراء بحالهم ومنعهم وقال خامساً يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من النتن ان بعض  
النتن ام وقال ولا تجسسوا وقال ولا يغتب بعضكم بعضاً لبيان وجوب الاحتراز عن اهانة  
جانب المؤمن حال غيبته وذكر ما لو كان حاضر التأذى وهو في غاية الحسن من الترتيب فان  
قيل لم يلزم ذكر المؤمن قبل الفاسق لتكون المراتب متدرجة ابتداء بالله ورسوله ثم المؤمن  
الحاضر ثم المؤمن الغائب ثم بالفاسق نقول قدم الله ما هو الا هم على مادونه فذكر جانب  
الله ثم ذكر جانب الرسول ثم ذكر ما يفضي الى الاقتتال بين طوائف المسلمين بسبب الاصغاء  
الى كلام الفاسق والاعتماد عليه فانه يذكر كل ما كان اسد نفارا للصدور واما المؤمن  
الحاضر والغائب فلا يؤذى المؤمن الى حد يفضي الى القتال الا ترى ان الله تعالى ذكر  
عقيب نبأ الفاسق آية الاقتتال فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلا وفي التفسير مسائل  
(المسئلة الاولى) في سبب نزول هذه الآية هو ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عتبة  
وهو اخو عثمان لأمه بنى المصطلق واليا وصدقا فالتقوه فظنهم مقاتلين فرجع الى  
النبي صلى الله عليه وسلم وقال انهم امنعوا ومنعوا فهم الرسول صلى الله عليه وسلم  
بالايقاع بهم فنزلت هذه الآية واخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانهم لم يفعلوا من ذلك شيئا  
وهذا جديان قالوا بان الآية نزلت في ذلك الوقت واما ان قالوا بأنها نزلت لذلك مقتصر  
عليه ومتعديا الى غيره فلا بل نقول هو نزل عام لبيان التبت وترك الاعتماد على قول  
الفاسق ويدل على ضعف قول من يقول انها نزلت لكذا ان الله تعالى لم يقل اني اترتها  
لكذا والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل عنه انه بين ان الآية وردت لبيان ذلك فحسب غاية  
ما في الباب انها نزلت في ذلك الوقت وهو مثل التاريخ لنزول الآية ونحن نصدق ذلك  
وتأكد ما ذكرنا ان اطلاق لفظ الفاسق على الوليد شيء بعيد لانه توهم وظن فاختطأ والمخضئ  
لا يسمى فاسقا وكيف والفاسق في اكثر المواضع المراد به من خرج عن رتبة الايمان لقوله  
تعالى ان الله لا يهدي القوم الفاسقين وقوله تعالى ففسق عن امر به وقوله تعالى واما  
الذين فسقوا فإنا واهم النار كما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدها فيها الى غير ذلك (المسئلة  
الثانية) قوله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ اشارة الى لطيفة وهي ان المؤمن كان موصوفاً بأنه  
شديد على الكافر غليظ عليه فلا يتمكن الفاسق من ان يخبره بنبأ فان تمكن منه يكون نادرا  
فقال ان جاءكم بحرف الشرط الذي لا يذكر الامع التوقع اذ لا يحسن ان يقال ان اجر  
البسروا نطلعت الشمس (المسئلة الثالثة) النكرة في معرض الشرط تعميم اذا كانت في  
جانب الثبوت كما انها تعم في الاخبار اذا كانت في جانب النفي وتخص في معرض الشرط اذا  
كانت في جانب النفي كما تخصص في الاخبار اذا كانت في جانب الثبوت فلنذكر بانه بالمال  
ودله اما بيانه بالنال فنقول اذا قال قائل لبعده ان كنت رجلاً فانت حريكون كأنه قال  
لا اكرم رجلاً حتى يعتق بشك كل رجل واد اقل ان لم اكرم اليوم رجلاً فانت حريكون  
كأنه قال لا اكرم اليوم رجلاً حتى لا يعتق العبد بترك كلام كل رجل كما لا ينهر الخلف

رما في سببها ساد مسد متعولي  
اعبوا باعتزاز ما بعده من قوله  
تعالى (لو يطيعكم في كبر من  
الامر لعنتم) فانه حال من احد  
الضميرين في حكمه وبلغني ان  
فيكم رسول الله كأنه على  
حال يجب عليكم تغييرها او كاشين  
على حاله الخ وهي انكم تريدون  
ارتيج عليه الصلاة والسلام  
رايكم في كثير من الحوادث ولو  
عمل ذلك اوقعتم في الهدم والهلاك  
وفيه ايدان بان بعدتهم ذنوا  
لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
الايقاع ابني المصطلق تصديها  
لقول الوليد وانه عليه الصلاة  
والسلام لم يطع رأيهم واما صيغة  
المضارع فقد قيل انها للدلالة على  
ان امتناع عنهم لامتناع استمرار  
داعيه عليه الصلاة والسلام لهم  
لان عنتم انما يازم من استمرار  
الطاعة فيما يعن لهم من الامور  
ادفيه احتلال امر الابالة  
واقبال الرئيس مرؤسا لامن  
اطاعة في بعض ما يروونه نادرا بل  
فيها استمالتهم فالمرءة وقيل انها  
للدلالة على ان امتناع عنهم  
لا استمرار امتناع طاعته عليه  
لصلاة والسلام لهم في ذلك فان  
المضارع انقضى فيدل على استمرار

في كلامه بكلام كل رجل اذا ترك الكلام مع رجل واحد واما الدليل فلان الفلأول الى  
 جانب الابنات ألا ترى انه من غير حرف لما ان الوضع للابنات والنفي يحرف فقول القائل  
 زيد قائم وضع اولاً ولم يحتج الى ان يقال مع ذلك حرف يدل على بقاء القيام لزيد وفي جانب  
 النفي احتجنا الى ان نقول زيد ليس بقائم ولو كان الوضع والتركيب اولاً للنفي لما احتجنا  
 الى الحرف الزائد اقتصاراً او اختصاراً واذ كان كذلك فقول القائل رأيت رجلاً يركب فيه  
 ما يصح القول وهو رؤية واحد فاذ قلت ما رأيت رجلاً وهو وضع لمقابلة قوله رأيت رجلاً  
 وركب لتلك المقابلة والمتقابلان ينبغي ان لا يصدق فقول القائل ما رأيت رجلاً لو كفي فيه  
 انتفاء الرؤية عن غير واحد لصح قولنا رأيت رجلاً وما رأيت رجلاً فلا يكونان متقابلين  
 فيلزمنا من الاصطلاح الاول الاصطلاح الثاني ولزم منه العموم في جانب النفي اذا علم هذا  
 فقول الشرطية وضعت اولاً ثم ركبت بعد الجزمية بدليل زيادة الحرف وهو في مقابلة  
 الجزمية وكان قول القائل اذا لم تكن أنت حراً ما كنت رجلاً يرجع الى معنى النفي وكما علم  
 عموم القول في الفاسق علم عمومته في البناء فغناه اي فاسق جاءكم بأي بناء فالتثبت فيه واجب  
 (المسئلة الرابعة) متمسك اصحابنا في ان خبر الواحد حجة وشهادة الفاسق لا تقبل اما في  
 المسئلة الاولى فقالوا علل الامر بالتوقف بكونه فاسقاً ولو كان خبر الواحد العدل لا يقبل  
 لما كان للترتيب على الفاسق فائدة وهو من باب التمسك بالمفهوم واما في الثانية فلو جهين  
 (احدهما) امر بالتبين فلو قبل قوله لما كان الحاكم مأموراً بالتبين فلم يكن قول الفاسق  
 مقبولاً ثم ان الله تعالى امر بالتبين في الخبر والبناء وباب الشهادة اضيق من باب الخبر  
 (والثاني) هو انه تعالى قال ان تصيبوا قوماً بجهالة والجهل فوق الخطأ لان المجتهدا اذا اخطأ  
 لا يسمى جاهلاً والذي يلحق الحكم على قول الفاسق ان لم يصب جهل فلا يكون البناء على قوله  
 جائزاً (المسئلة الخامسة) ان تصيبوا ذكراً نافيها وجهين (احدهما) مذهب الكوفيين وهو  
 ان المراد لثلاث تصيبوا (وثانيهما) مذهب البصريين وهو ان المراد كراهة ان تصيبوا ويحتمل ان  
 يقال المراد فثبينا واتقوا وقوله تعالى ان تصيبوا قوماً بين ما ذكرنا ان بقول الفاسق تظهر  
 الفتن بين اقوام ولا كذلك بالالفاظ المؤدية في الوجه والغيبة الصادرة من المؤمنين لان  
 المؤمن يمنع منه من الاخفاس والمبالغة في الانحاش وقوله بجهالة في تقدير حال اي ان  
 تصيبوهم جاهلين وفيه لطيفة وهو ان الاصابة تستعمل في السيئة والحسنة كما في قوله تعالى  
 ما اصابك من حسنة فمن الله لكن الاكثر انها تستعمل فيما يسوء لكن الظن السوء بذكركم مما  
 في قوله تعالى وان تصيبهم سيئة ثم حقق ذلك بقوله فتصحبوا على ما فاعلمت نادمين باننا لان الجاهل  
 لا بد من ان يكون على فعله نادماً وقوله فتصحبوا معناه تصبروا قال النخاعة اصبح يستعمل على  
 ثلاثة اوجه (احدها) بمعنى دخول الرجل في الصباح كما يقول القائل اصبحنا نقضي  
 عليه (وثانيها) بمعنى كان الامر وقت الصباح كذا وكذا كما يقال اصبح اليوم مريضاً  
 خير انما كان غير انه تغير ضحوة النهار ويريد كونه في الصبح على حاله كأنه يقول كان

النفي بحسب المقام كما في نظائر  
 قوله تعالى ولا هم يحزنون  
 والتعقيب ان الاستمرار الذي  
 تفيد صيغة المضارع يعتبر تارة  
 بالنسبة الى ما يتعلق بالفعل من  
 الامور الزمانية المتجددة وذلك  
 بان يعتبر الاستمرار في نفس  
 الفعل على الالهام م يعتبر تعلق  
 ما يتعلق به بياناً لما فيه الاستمرار  
 و اخرى بالنسبة الى ما يتعلق به  
 من نفس الزمان المتجدد وذلك  
 اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به اولاً  
 ثم اعتبر استمراره فيعين ان  
 يكون ذلك بحسب الزمان فان  
 اريد استمرار الطاعة استمرارها  
 وتجددها بحسب تجمد مواقعها  
 الكثيرة التي يفصح عنها قوله  
 تعالى في كثير من الامر فالحق هو  
 الاول ضرورة ان مدار امتناع  
 العنت هو امتناع ذلك الاستمرار  
 سواء كان ذلك الامتناع بعدم  
 وقوع الطاعة في امر من تلك  
 الامور الكثيرة اصلاً وعدم  
 وقوعها في كلها مع وقوعها في  
 بعض يسير منها حتى لو لم يمنع ذلك  
 الاستمرار بأحد الوجهين  
 المذكورين بل وقعت الطاعة فيما  
 ذكر من كثير من الامر في وقت  
 من الاوقات وقع العنت قطعاً وان  
 اريد به استمرار الطاعة الواقعة

المراض وقت الصبح خيرا وتغير ضحوة النهار (الثاني) بمعنى صار يقول القائل اصبح زيد غنيا ويريد به صار من غير ارادة وقت دون وقت والمراد ههنا هو المعنى الثالث وكذلك امسى واضحى ولكن لهذا تحقيق وهو ان نقول لا بد في اختلاف الالفاظ من اختلاف المعاني واختلاف الفوائد فقول الصيرورة قد تكون من ابتداء امر وتدوم وقد تكون في آخر الامر بمعنى آل الامر اليه وقد تكون متوسطة (منال الاول) قول القائل صار الطفل فاهما اي اخذ فيه وهو في الزيادة (منال الثاني) قول القائل صار الحق بيانا واجبا اي انتهى حده واخذ حقه (منال الثالث) قول القائل صار زيد عالما وقويا اذا لم يرد اخذه فيه ولا بلوغه نهايته بل كونه متلبسا به متصفا به اذا علمت هذا فاصل استعمال اصبح فيما يصير الشيء اخذا في وصف ومبتدأ في امر واصل امسى فيما يصير الشيء بالغافي الوصف نهايته واصل اضحى النوسط لا يقال اهل الاستعمال لا يفرقون بين الامور ويستعملون الالفاظ الثلاثة بمعنى واحد نقول اذا تقاربت المعاني جاز الاستعمال وجواز الاستعمال لا ينافي الاصل وكثير من الالفاظ اصله مضى واستعمل استعمالا شائعا فيما لا يشاركه اذا علم هذا فنقول قوله تعالى فتصبحوا اي فتصيروا آخذين في الندم متلبسين به ثم تستدعيونه وكذلك في قوله تعالى فأصبحتم بنعمته اخوانا اي اخذتم في الاخوة وانتم فيها زائدون ومستمرون وفي الجملة اختار في القرآن هذه اللفظة لان الامر القرون به هذه اللفظة اما في الثواب او في العقاب وكلاهما في الزيادة والنهاية للامور الالهية وقوله تعالى نادمين الدم هم دائم والنون والدال والميم في تقاليبها لا تنفك عن معنى الدوام كما في قول القائل ادمن في السرب ومد من اي اقام ومنه المدينة وقوله تعالى فتصبحوا على ما فعلتم نادمين فيه فائدتان (احدهما) تقرير التحذير وتأكيده ووجهه هو انه تعالى لما قال ان تصيدوا قوما بجهالة قال بعده وليس ذلك مما لا يلتفت اليه ولا يجوز للعاقل ان يقول هب اني اصبت قوما فنادا على بل عليكم منه الهم الدائم والخرن المقيم ومنل هذا الشيء واجب الاحتراز منه (والثانية) مدح المؤمنين اي لستم ممن اذا فعلوا سيئة لا يلتفتون اليها بل تصبحون نادمين عليها \* ثم قال تعالى (واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) ولذا ذكر في تفسير هذه الآية ما قيل وما يجوز ان يقال اما ما قيل فلنختار احسنه وهو ما اختاره الزمخشري فانه بحث في تفسير هذه الآية بحثا طويلا فقال قوله تعالى لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ليس كلاما مستأنفا لادائه الى تنافر الظم اذ لا يتفق ما سببه بين قوله واعلموا وبين قوله لو يطيعكم ثم وجه التعلق هو ان قوله لو يطيعكم في تقدير حال من الضمير المرفوع في قوله فيكم كائن التقدير كائن فيكم او موجود فيكم على حال تريدون ان يطيعكم او يفعل باستصوابكم ولا ينبغي ان يكون على تلك الحال لانه لو فعل ذلك لعنتم او وقعتم في شدة او اولتم ثم قال تعالى ولكن الله حبيب اليكم الايمان

في لكل وتجدد ما يحسب تجديد  
لزمان واستمراره فالحق هو الثاني  
فان منافع امتناع النعت حشده  
ليس امتناع استمرار الطاعة  
المدكورة ضروره نه موجب  
لوقوع العنت بل هو الاستمرار  
لزمان لا امتناع ملك الطاعة  
لواقعة في تلك الامور الكثيرة  
أحد الوجهين المذكورين حتى  
لو لم يستمر امتناعها ما وقعت  
لك الطاعة في وقت من الاوقات  
وقع العنت حتما وعلم ان الاحق  
بالاختيار والاولى بالاعتبار هو  
الوجه الاول لانه اوفق بالقياس  
المسمى لاعتبار الامتناع واردا  
على الاستمرار حسب ورود كلمة  
المعيدة الاول على صيغة المضارع  
المعيدة للثاني على ان اعتبار  
الاستمرار واردا على الثاني على  
حالات القياس بمعونة المقام اما  
يصار اليه اذا عذر الخرجان على  
موجب القياس او لم يكن فيه  
مريد سرية كما في مثل قوله تعالى  
ولا هم يحزنون حيب جل على  
استمرار في الحزن عنهم ادليس

خطاباً مع بعض من المؤمنين غير المخاطبين بقوله اوبطيعكم قال الزمخشري اكتب بالفتح  
 في الصفة واختر ولم يقل حبيب الي بعضكم الايمان وقال ايضا بان قوله تعالى لو اطعتم  
 دون اطاعكم يدل على انهم كانوا يريدون استمرار تلك الحالة ودوام النبي صلى الله عليه وسلم  
 على العمل باستصوابهم ولكن يكون ما بعدهما على خلاف ما قبلها وههنا كذلك وان لم  
 تحصل المخالفة بصريح اللفظ لان اختلاف المخاطبين في الوصف يدلنا على ذلك لان  
 المخاطبين اولاً بقوله لو يطيعكم هم الذين ارادوا ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم يعمل  
 بمرادهم والمخاطبين بقوله حبيب اليكم الايمان هم الذين ارادوا عملهم بمراد النبي صلى الله  
 عليه وسلم هذا ما قاله الزمخشري واختاره وهو حسن والذي يجوز ان يقال وكأنه هو  
 الاقوى ان الله تعالى لما قال ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا اي فتبينوا واكشفوا قال بعده  
 واعلموا ان فيكم رسول الله اي الكشف سهل عليكم بالرجوع الى النبي صلى الله عليه  
 وسلم فانه فيكم مبين مرشد وهذا كما يقول القائل عند اختلاف تلاميذ شيخ في مسألة هذا  
 الشيخ قاعد لا يريد به بيان قعوده وانما يريد امرهم بالمراجعة اليه وذلك لان المراد منه انه  
 لا يطيعكم في كثير من الامر وذلك لان الشيخ فيما ذكرنا من المثال لو كان يعتمد على قول  
 التلاميذ لا تطعن قلوبهم بالرجوع اليه اما اذا كان لا يذكر الامن النقل الصحيح ويقرره  
 بالدليل القوي يراجعهم كل واحد فكذا هنا قال استرشدوه فانه يعلم ولا يطيع احدا فلا  
 يوجد فيه حيف ولا يروج عليه زيف والذي يدل على ان المراد من قوله لو يطيعكم في كثير  
 من الامر لعنتم بيان انه لا يطيعكم هو ان الجملة الشرطية في كثير من المواضع ترد لبيان  
 امتناع الشرط لامتناع الجزاء كما في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقوله  
 تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فانه لبيان انه ليس فيهما آلهة  
 وانه ليس من عند غير الله ثم قال تعالى ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم  
 اسارة الى جواب سؤال يريد على قوله فتبينوا وهو ان يقع لواحد ان يقول انه لا حاجة الى  
 المراجعة وعقولنا كافية بها ادر كنا الايمان وتركنا العصيان فكذلك نجتهد في امورنا  
 فقال ليس ادراك الايمان بالاجتهاد بل الله بين البرهان وزين الايمان حتى حصل اليقين  
 وبعد حصول اليقين لا يجوز التوقف والله انما امركم بالتوقف عند تقليد قول الفاسق  
 وما امركم بالعناد بعد ظهور البرهان فكأنه تعالى قال توقفوا فيما يكون مشكوكا فيه  
 لكن الايمان حبيه اليكم بالبرهان فلا توقفوا في قبوله وعلى قولنا المخاطب بقوله حبيب  
 اليكم هو المخاطب بقوله اوطيعكم اذا علمت معنى الآية تجلة فاسمعه ففصله في  
 مسائل (المسألة الاولى) او قال قائل اذا نازل المراد بتوليه واعلموا ان فيكم رسول الله  
 الرجوع اليه والاعتماد على قوله فلم لم يتل بصريح اللفظ فتبينوا وراجعوا النبي صلى الله  
 عليه وسلم وما الفائدة في العدول الى هذا المجاز نقول الفائدة زيادة التأكيد وذلك لان  
 قول القائل فيما ذكرنا من المثال هذا الشيخ قاعد كدفي وجوب المراجعة اليه من قوله

في نفي استمرار الحزن من فائدة  
 واما اذا انتظم الكلام مع مراعاة  
 موجب القياس حق الانتظام  
 فالعدول عنه تمحل لا يخفى وقوله  
 تعالى ( ولكن الله حبيب اليكم  
 الايمان ) الخ تجريد الخطاب  
 وتوجيهه الى بعضهم بطريق  
 الاستدراك بيانا لبراءتهم عن  
 اوصاف الاولين واجاد الافعالهم  
 اي ولكنه تعالى جعل الايمان  
 محبوبا اليكم (وزينه في قلوبكم)  
 حتى رسخ فيه فيها ولذلك اتيتم بما  
 يليق به من الاقوال والافعال  
 (وكره اليكم الكفر والفسوق  
 والعصيان) ولذلك اجتنبت عما  
 يليق بها مما لاخير فيه من آثارها  
 واحكامها ولما كان في الخيب  
 والتكره معنى النهاء المحبة  
 والكرهه وايضا لهما اليهم  
 استعلا كلمة الى وقيل هو  
 استدراك ببيان عذر الاولين  
 كأنه قيل لم يكن ما صدر  
 عنكم في حق بني المصطلق  
 من خلل في عقيدتكم بل من  
 فرط حبكم للايمان وكرهتكم  
 للكفر والفسوق والعصيان  
 والاول هو الاظهر لقوله تعالى



راجعوا شخكم وذلك لان القائل يجعل وجوب المراجعة اليه متفقا عليه ويجعل سبب عدم الرجوع عدم علمهم بقعوده فكأنه يقول انكم لا تشكون في ان الكاشف هو الشيخ وان الواجب مراجعته فان كنتم لا تعلمون قعوده فهو قاعد فيجعل حسن المراجعة اظهر من امر القعود كأنه يقول خفي عليكم قعوده فتركتم مراجعته ولا يخفى عليكم حسن مراجعته فيجعل حسن المراجعة اظهر من الامر الحسى بخلاف ما لو قال راجعوه لانه حينئذ يكون قائلا بانكم ما علمتم ان مراجعته هو الطريق وبين الكلامين بون بعيد فكذلك قوله تعالى واعلموا ان فيكم رسول الله يعني لا يخفى عليكم وجوب مراجعته فان كان خفي عليكم كونه فيكم فاعلموا انه فيكم فيجعل حسن المراجعة اظهر من كونه فيهم حيث ترك بيانه واخذ في بيان كونه فيهم وهذا من المعاني العزيرة التي توجد في المجازات ولا توجد في الصرائح (المسئلة الثانية) اذا كان المراد من قوله لو يطيعكم بيان كونه غير مطيع لاحد بل هو متبع لالوحى فلم يصرح به نقول بيان نفي الشئ مع بيان دليل النفي اتم من بيانه من غير دليل والجملة الشرطية بيان النفي مع بيان دليله فان قوله ليس فيما آلهة لوقال قائل لم قلت انه ليس فيما آلهة يجب ان يذكر الدليل فقال لو كان فيما آلهة الا الله لفسدنا فكذلك ههنا لوقال لا يطيعكم وقال قائل لم لا يطيع لوجب ان يقال لو اطاعكم لاطاعكم لاجل مصلحتكم لكن لا مصلحة لكم فيه لانكم تعنون وتاثمون وهو يشق عليه عنتكم كما قال تعالى عزيز عليه ما عنتم فان طاعتكم لا تنفيه شيئا فلا يطيعكم فهذا نفي الطاعة بالدليل وبين نفي الشئ بدليل ونفيه بغير دليل فرق عظيم (المسئلة الثالثة) قال في كثير من الامر ليعلم انه قد يوافقهم ويفعل بمقتضى مصلحتهم تحقيقا لقائدة قوله تعالى وشاورهم في الامر (المسئلة الرابعة) اذا كان المراد بقوله تعالى حبيب اليكم الايمان فلا تتوقفوا فلم لم يصرح به قلنا لما بيناه من الاشارة الى ظهور الامر يعني انكم تعلمون ان اليقين لا يتوقف فيه اذ ليس بعده مرتبة حتى يتوقف الى بلوغ تلك المرتبة لان من بلغ الى درجة الظن فانه يتوقف الى ان يبلغ درجة اليقين فلما كان عدم التوقف في اليقين معلوما متفقا عليه لم يقل فلا تتوقفوا بل قال حبيب اليكم الايمان اي بينه وزينه بالبرهان اليقيني (المسئلة الخامسة) ما المعنى في قوله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم نقول قوله تعالى حبيب اليكم اي قربه اليكم وادخله في قلوبكم ثم زينه فيها بحيث لا تفارقونه ولا يخرج من قلوبكم وهذا لان من يحب اشياء فقد يمل شيئا منها اذا حصل عنده وطال لبسه والايمان كل يوم يزداد حسنا ولكن من كانت عبادته اكثر وتحمله لمشاق التكليف اتم تكون العبادة والتكليف عنده الذواكل ولهذا قال في الاول حبيب اليكم وقال ثانيا زينه في قلوبكم كأنه قربه اليهم ثم اقامه في قلوبهم (المسئلة السادسة) ما الفرق بين الامور الثلاثة وهي الكفر والفسوق والعصيان فنقول هذه امور ثلاثة في مقابلة الايمان الكامل لان الايمان الكامل المزين

(أولئك هم الراشدون) اي السالكون الى الطريق السوي الموصل الى الحق والالتفات الى الغيبة كالذي في قوله تعالى وما آتيتكم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون (فضلا من الله ونعمة) اي وانعاما يعطى لما حجبوا وكرموا بينهما اعتراض وقيل نصبهما بفعل مضمر اي جرى ذلك فضلا وقيل ينتقون فضلا (والله اعلم) مبالغ في العلم فيعلم احوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل (حكيم) يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة (وان

هو ان يجمع التصديق بالجان والاقرار باللسان والعمل بالاركان (احدها) قوله تعالى  
وكره اليكم الكفر وهو التكذيب في مقابلة التصديق بالجان والفسوق هو الكذب  
(وثانيها) هو ما قبل هذه الآية وهو قوله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ سمى من كذب فاسقا  
فيكون الكذب فسوقا (وثالثها) ما ذكره بعده هذه الآية وهو قوله تعالى بئس الاسم  
الفسوق بعد الايمان فانه يدل على ان الفسوق امر قولي لاقرانه بالاسم وسنبين تفسيره  
ان شاء الله تعالى (ورابعها) وجه معقول وهو ان الفسوق هو الخروج عن الطاعة على  
ما علم في قول القائل فسقت الرطبة اذا خرجت وغير ذلك لان الفسوق هو الخروج زيد  
في الاستعمال كونه الخروج من الطاعة لكن الخروج لا يكون له ظهور بالامر القلي  
اذ لا اطلاع على ما في القلوب لأحد الا الله تعالى ولا يظهر بالافعال لان الامر قديرك  
اما للنسيان او سهو فلا يعلم حال التارك والمرتكباته مخفية او تعتمد واما الكلام فانه  
حصول العلم بما عليه حال المتكلم فالدخول في الايمان والخروج منه يظهر بالكلام  
فتمنحيص الفسوق بالامر القولي أقرب واما العصيان فترك الامر وهو بالفعل البق  
فاذا علم هذا فقيه ترتيب في غاية الحسن وهو انه تعالى كره اليكم الكفر وهو الامر الاعظم  
كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم ثم قال تعالى والفسوق يعني ما يظهر لسانكم ايضا  
قال والعصيان وهو دون الكل ولم يترك عليكم الامر الادنى وهو العصيان وقال بعض  
الناس الكفر ظاهر والفسوق هو الكبيرة والعصيان هو الصغيرة وما ذكرناه أقوى  
\* ثم قال تعالى (اولئك هم الراشدون) خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم وفيه معنى  
لطيف وهو ان الله تعالى في اول الامر قال واعلموا ان فيكم رسول الله اي هو مرشدكم  
فخطاب المؤمنين للتنبيه على شفقتهم بالمؤمنين فقال في الاول كفي النبي مرشدا لكم  
ما نترشدونه فاشفق عليهم وارشدهم وعلى هذا قوله الراشدون اي الموافقون للرشد  
ياخذون ما يأتهم ويتهنون عما ينهاهم \* ثم قال تعالى (فضلا من الله ونعمة والله عليم  
حكيم) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) نصب فضلا لاجل امور اما لكونه مفعولا له وفيه  
وجهان (احدهما) ان العامل فيه هو الفعل الذي في قوله الراشدون فان قيل كيف  
يجوز ان يكون فضل الله الذي هو فعل الله مفعولا له بالنسبة الى الرشد الذي هو فعل العبد  
نقول لما كان الرشد توفيقا من الله كان كاشا فعل الله فكأنه تعالى ارشدهم فضلا  
اي يكون متفضلا عليهم منعما في حقهم (الوجه الثاني) هو ان العامل فيه هو قوله حبيب  
اليكم الايمان وكره اليكم الكفر فضلا وقوله اولئك هم الراشدون جملة اعترضت بين  
الكلامين او يكون العامل فعلا مقدرا فكأنه قال تعالى جرى ذلك فضلا من الله واما  
لكونه مصدرا وفيه وجهان (احدهما) ان يكون مصدرا من غير اللفظ ولان الرشد فضل  
فكأنه قال اولئك هم الراشدون رشدا (وثانيها) هو ان يكون مصدرا لفعل مضمركا كأنه  
قال حبيب اليكم الايمان وكره اليكم الكفر فأفضل فضلا وانعم نعمة والقول بكونه

طائفتان من المؤمنين اقتتلوا (اي قاتلوا والجمع باعتبار المعنى)  
(فأصلحوا بينهما) بالنصح والدعاء  
الى حكم الله تعالى (فان بقت)  
اي تعدت (احدهما على  
الآخرى) ولم تتأثر بالنصيحة  
(فقاتلوا التي تبغي حتى تفي) اي  
ترجع (الى امر الله) الى حكمه او  
الى ما امر به (فان قامت) اليه  
واقلمت عن القتال حذرا من  
قتالكم (فأصلحوا بينهما بالعدل)  
بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى  
ولا تكتفوا بمجرد تاركتهما عسى

منصوبا على انه مفعول مطلق وهو المصدر او مفعول له قول الزمخشري واما ان يكون فضلا مفعولا به والفعل مضرا دل عليه قوله تعالى أولئك هم الراشدون أى يتبعون فضلا من الله ونعمة (المسئلة الثانية) ما الفرق بين الفضل والنعمة فى الآية تقول فضل الله اشارة الى ما عنده من الخير وهو مستغن عنه والنعمة اشارة الى ما يصل الى العبد وهو محتاج اليه لان الفضل فى الاصل ينبىء عن الزيادة وعنده خزائن من الرحمة لا الحاجة اليها ويرسل منها على عباده ما لا يقون معه فى ورطة الحاجة بوجه من الوجوه والنعمة تنبىء عن الرأفة والرحمة وهو من جانب العبد وفيه معنى لطيف وهو تأكيد الاعطاء وذلك لان المحتاج يقول للغنى اعطني ما فضل عنك وعندك وذلك غير ملتفت اليه وانا به قايى وبقائى فاذا قوله فضلا من الله اشارة الى ما هو من جانب الله الغنى والنعمة اشارة الى ما هو من جانب العبد من اندفاع الحاجة وهذا مما يؤكد قولنا فضلا منصوب بفعل مضمر وهو الاتعاء والطلب (المسئلة الثالثة) ختم الآية بقوله والله عليم حكيم فيه مناسبات عدة (منها) انه تعالى لما ذكر نبال الفاسق قال ان يشبهه على المؤمن كذب الفاسق فلا تعتمدوا على تروجه عليكم الزور فان الله عليم ولا تقولوا كما كان عادة المنافق لو لا يعذبنا الله بما نقول فان الله حكيم لا يفعل الا على وفق حكمته (ثانيها) لما قال الله تعالى واعلموا أن فيكم رسول الله لو بطيعكم بمعنى لا يطيعكم بل يتبع الوحي قال فان الله من كونه عليم يعلم ومن كونه حكما يأمره بما تقتضيه الحكمة فاتبوه (ثالثها) المناسبة التى بين قوله تعالى عليم حكيم وبين قوله حبيب اليكم الايمان اى حبيب بعلمه الايمان لاهل الايمان واختار له من يشاء بحكمته (رابعها) وهو الاقرب وهو انه سبحانه وتعالى قال فضلا من الله ونعمة ولما كان الفضل هو ما عند الله من الخير المستغنى عنه قال تعالى هو عليم بما فى خزائن رحته من الخير وكانت النعمة هو ما يدفع به حاجة العبد قال هو حكيم ينزل الخير بقدر ما يشاء على وفق الحكمة قال سبحانه وتعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تقيء الى امر الله) لما حذر الله المؤمنين من النبأ الصادر من الفاسق اشار الى ما يلزم منه استدار كما ينفوت فقال فان اتفق انكم تبغون على قول من يوقع بينكم وآل الامر الى اقتتال طائفتين من المؤمنين فأزيلوا ما بينهما ذلك الفاسق وأصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى اى الظالم يجب عليكم دفعه عنه ثم ان الظالم ان كان هو الرعية فالواجب على الامير دفعهم وان كان هو الامير فالواجب على المسلمين منعه بالنصيحة فافوقها وشرطه ان لا يبرقنة مثل التى فى اقتتال الطائفتين او اشد منها وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله تعالى وان اشارة الى ندرة وقوع القتال بين طوائف المسلمين فان قيل فحقن ترى اكثر الاقتتال بين طوائفهم نقول قوله تعالى وان اشارة الى انه ينبغى ان لا يقع الا نادرا غاية ما فى الباب ان الامر على خلاف ما ينبغى وكذلك ان جاءكم فاسق بنبأ اشارة الى ان مجيء

يكون بينهما مال فى وقت آخر  
وتقييد الاصلاح بالعدل لانه  
مظة الحيف لو توقعه بعد المقاتلة  
وقد اكد ذلك حيث قيل  
(واقسطوا) اى واعدوا الى كل  
ما باتون وما تدرون (ان الله يحب  
القسطين) فيجازيهم احسن  
الجزاء والآية نزلت فى قتال  
حدث بين الاوس والخزرج فى  
عهده عليه الصلاة والسلام  
بالسيف والنعال وفيها دلالة على  
ان الباغى لا يخرج بالبغي عن  
الايمان وانه اذا امسك عن  
الحرب ترك لانه فى الى امر الله

الفاسق بالنبا ينبغي ان يقع قليلا مع ان مجئ الفاسق بالنبا كبير وقول الفاسق صارع  
اولى الامر اشد قبولا من قول الصادق الصالح (المسئلة الثانية) قال تعالى وان طائفتان  
ولم يقل وان فرقان تحقيقا للمعنى الذى ذكرناه وهو التقليل لان الطائفة دون الفرقة  
ولهذا قال تعالى فلولانفر من كل فرقة منهم طائفة (المسئلة الثالثة) قال تعالى من المؤمنين  
ولم يقل منكم مع ان الخطاب مع المؤمنين لسبق قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم  
فاسق بنبا تنبىها على قبح ذلك وتبعيدا لهم عنهم كما يقول السيد لعبد ان رأيت احدا  
من غلمانى يفعل كذا فامنع فيصير بذلك مانعا للمخاطب عن ذلك الفعل بالطريق الحسن  
كأنه يقول انت حاشاك ان تعمل ذلك فان فعل غيرك فامنع كذلك ههنا قال وان  
طائفتان من المؤمنين ولم يقل منكم لما ذكرنا من التنبيه مع ان المعنى واحد (المسئلة  
الرابعة) قال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ولم يقل وان اقتتل طائفتان من  
المؤمنين مع ان كلمة ان اتصالها بالفعل أولى وذلك ليكون الابتداء بما يمنع من القتال  
فتبا كدمعنى النكرة المدلول عليها بكلمة ان وذلك لان كونها طائفتين مؤمنتين يقتضى  
أن لا يقع القتال بينهما فان قيل فلم يقل يا ايها الذين آمنوا ان فاسق جاءكم أو ان أحد من  
الفساق جاءكم ليكون الابتداء بما يمنعهم من الاصغاء الى كلامه وهو كونه فاسقا نقول  
المجئ بالنبا الكاذب يورث كون الانسان فاسقا أو يزداد بسببه فسقه فالجئ به سبب  
الفسق فقدمه واما الاقتال فلا يقع سببا للايمان او الزيادة فقال ان جاءكم فاسق أى  
سواء كان فاسقا أو لا وجاءكم بالنبا فاصار فاسقا به ولو قال وان أحد من الفساق جاءكم كان  
لا يتناول الامشهور الفسق قبل المجئ اذا جاءهم بالنبا (المسئلة الخامسة) قال تعالى  
اقتلوا ولم يقل يقتلوا لان صيغة الاستقبال تنبى عن الدوام والاستمرار فيهم من ههنا  
طائفتين من المؤمنين ان تمادى الاقتال بينهما فاصحوا وهذا لان صيغة المستقبل تنبى  
عن ذلك يقال فلان يشهد ويصوم (المسئلة السادسة) قال اقتلوا ولم يقل اقتلوا وقال  
فأصلحوا بينهما ولم يقل بينهم وذلك لان عند الاقتال تكون الفتنة قائمة وكل واحد برأسه  
يكون فاعلا فعلا فقال اقتلوا وعند العود الى الصلح تنفق كلمة كل طائفة واللم يكن  
يتحقق الصلح فقال بينهما لكون الطائفتين حينئذ كنفسين ثم قال تعالى فان نعت  
احدهما اشارة الى نادرة اخرى وهى البغى لانه غير متوقع فان قيل كيف يصح فى هذا  
الموضع كلمة ان مع انها تستعمل فى السرط الذى لا يتوقع وقوعه وبغى احدهما عند  
الاقتال لابد منه اذ كل واحد منهما لا يكون محسنا فوله ان تكون من قبيل قول العائل  
ان طلعت الشمس نقول فيه معنى لطيف وهو ان الله تعالى يقول الاقتال بين طائفتين  
لا يكون الا نادر الوقوع وهو كما تظن كل طائفة ان الاخرى فيها الكفر والفساد فالقتال  
واجب كما سبق فى البالي المظلمة او يقع لكل واحد ان القتال جائز بالاجتهاد وهو خطأ  
فقال تعالى لا يقع الا كذا فان بان لهما او لاحدهما خطا واستمر عليه فهو نادر

تعالى وانه يجب معاودة من نعى  
عليه بعد تقديم النصيح والسعى  
فى المصالحة (نمسا المؤمنون  
احوة) استثنافى مقرر لما قبله من  
الامر بالاصلاح اى اهم منتسبون  
الى اصل واحد هو الايمان  
الموجب للحبة الاندية والقاء  
قوله تعالى ( فأصلحوا بين  
اخويكم ) للايذان بان الاخوة  
الدينية موحدة للاصلاح ووضع  
المظهر مقام المضمير متناظرا الى  
المأمورين بالبائة فى تأكيد  
وجوب الاصلاح والتحصيض  
عليه وتخصيص الاسمين بالذكر

وعند ذلك يكون قد بصرى فقال فان بغت احدهما على الاخرى يعنى بعد استبانة الامر  
وحينئذ فقولاه ان بغت في غاية الحسن لانه بعيد الدرة وقلة الوقوع وفيه ايضا مباحث  
(الاول) قال فان بغت ولم يقل فان تغ لما ذكرنا في قوله تعالى اقتتلوا ولم يقل يقتلوا  
(الثاني) قال حتى تفي اشارة الى ان القتال ليس جزاء للباغى كحد الشرب الذي يقام  
وان ترك الشرب بل القتال الى حد الفئسة فان فاءت الفئة الباغية حرم قتالهم (الثالث)  
هذا القتال لدفع الصائل فيسدرج فيه وذلك لانه لما كانت الفئة من احدا هما  
فان حصلت من الاخرى لا يوجد البغى الذي لاجله حل القتال (الرابع) هذا دليل على ان  
المؤمن بالكبيرة لا يخرج عن كونه مؤمنا لان الباغى جعله من احدى الطائفتين وسماهما  
مؤمنين (الخامس) قوله تعالى الى امر الله يحتمل وجوها (احدها) الى طاعة الرسول  
واولى الامر لقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم (ثانيها) الى  
امر الله اى الى الصلح فانه مأموره بدل عليه قوله تعالى فاصلحوا ذات بينكم (ثالثها)  
الى امر الله بالتقوى فان من خاف الله حق الخوف لا يبق له عداوة الامع الشيطان كما قال  
تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا (السادس) لو قال قائل قد ذكرتم ما يدل على  
كون الشرط غير متوقع الوقوع وقتلتم بان القتال والبغى من المؤمن نادر فان تكون  
الفئسة متوقعة فكيف قال فان فاءت فنقول قول القائل لعبد هان مت فاءت حر مع ان  
الموت لابد من وقوعه لكن لما كان وقوعه بحيث يكون العبد محلا للعقوب بان يكون  
باقيا في ملكه حيا يعيش بعد وفاته غير معلوم فكذلك ههنا لما كان الواقع فيئتهم من  
تلقاء انفسهم فلما يقع دل على تأكيد الاخذ بيدهم فقال تعالى فان فاءت بقتالكم  
اياهم بعد استداد الامر والتمام الحرب فاصلحوا وفيه معنى لطيف وهو انه تعالى اشار الى  
ان من لم يخف الله وبغى لا يكون رجوعه بقتالكم الاجبرا (السابع) قال ههنا فاصلحوا  
بينهما بالعدل ولم يذكر العدل في قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا فنقول لان  
الاصلاح هناك بازالة الاقتتال نفسه وذلك يكون بالنصيحة او التهديد والزجر والتعذيب  
والاصلاح ههنا بازالة آثار القتل بعد اندفاعه من ضمان المتلفات وهو حكم فقال  
بالعدل فكأنه قال واحكموا بينهما بعد تركهما القتال بالحق واصلحوا بالعدل بما يكون  
بينهما لثلا يؤدى الى بوران الفتنة بينهما مرة اخرى (الثامن) اذا قال فاصلحوا بينهما  
بالعدل فاية فائدة في قوله واقسطوا فنقول قوله فاصلحوا بينهما بالعدل كان فيه تخصيص  
بحال دون حال فم الامر بقوله واقسطوا الى في كل امر منقض الى اشرف درجة وارف  
منزلة وهى محبة الله والاقساط ازالة القسط وهو الجور والقاسط هو الجائر والتركيب  
دال على كون الامر غير مرضى من القسط والقاسط في القلب وهو ايضا غير مرضى  
ولامعت به فكذلك القسط م قال تعالى (اتما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم)  
تيمنا للارتداد وذلك لانه لما قال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا كان لظان ان يظن

لاتبات وحب لاصلاح فيما فوق  
ذلك بطريق الاولوية لضعاف  
الفئة والعداوة وقيل المراد  
بالاخوان الاوس والخزرج  
وقرى بين اخوتكم واخوانكم  
(واتقوا الله) في كل ما تاتون  
وما تدرسون من الامور التي من  
جملتها ما أمرتم به من الاصلاح  
(لكنم ترجون) راجين ان  
ترجعوا على تقواكم (يا أيها الذين  
آمنوا لا يخفروا) اى منكم  
(من قوم) آخر ين ايضا منكم  
وقوله تعالى (عسى ان يكونوا  
خيرا منهم) لتعليل للنهي او لموجبه

اولتوهم ان يتوهم ان ذلك عند اختلاف قوم فاما اذا كان الاقتتال بين اثنين فلا تم  
المفسدة فلا يؤمر بالاصلاح وكذلك الامر بالاصلاح هناك عند الاقتتال واما اذا  
كان دون الاقتتال كالتشاتم والتسافه فلا يجب الاصلاح فقال بين اخويكم وان لم تكن  
الفتنة مامة وان لم يكن الامر عظيما كالتقتال بل لو كان بين رجلين من المسلمين ادنى  
اختلاف فاسعوا في الاصلاح **وقوله تعالى (واتقوا الله لعلكم ترحون)** فيه مسائل (المسئلة  
الاولى) قوله تعالى انما المؤمنون اخوة قال بعض اهل اللغة الاخوة جمع الاخ من النسب  
والاخوان جمع الاخ من الصداقة فالله تعالى قال انما المؤمنون اخوة تأكيذا  
للامر واشارة الى ان ما بينهم ما بين الاخوة من النسب والاسلام كالأب قال قائلهم  
ابى الاسلام لأب سواء \* اذا اقتحروا بقبس او تميم

(المسئلة الثانية) عند اصلاح الفريقين والطائفتين لم يقل اتقوا قال ههنا اتقوا مع ان  
ذلك أهم تقول الفائدة هو ان الاقتتال بين طائفتين يفضى الى ان تم المفسدة ويحقق كل  
مؤمن من مهابته وكل يسعى في الاصلاح لامر نفسه فلم يؤكد بالامر بالثقوى واما عند  
تحاصم رجلين لا يخاف الناس ذلك وربما يريد بعضهم تأكيد الخصام بين الخصوم لغرض  
فاسد فقال فأصلحوا بين اخويكم واتقوا الله او نقول قوله فأصلحوا اشارة الى الصلح وقوله  
واتقوا الله اشارة الى ما يصونهم عن التشاجر لان من اتق الله شغله تقواه عن الاشغال  
بغيره ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم الناس من لسانه لان المسلم يكون  
مقادا لامر الله مقبلا على عبادة الله فيشغله عيه عن عيوب الناس وينعمه ان يهرب  
الاخ المؤمن واليه اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله المؤمن من يأمن جاره بوائقه يعنى  
اتق الله فلا تنفرغ لغيره (المسئلة الثالثة) انما للحصر اى لاختوة الايين المؤمنين واما بين  
المؤمن والكافر فلا لان الاسلام هو الجامع ولهذا ادامات المسلم وله اخ كافر يكون ماله  
للمسلمين ولا يكون لاختيه الكافر واما الكافر فكذلك لان في النسب المعتبر الاب  
الذى هو اب شرعا حتى ان ولدى الزنا من رجل واحد لا يرث احدهما الاخر فكذلك  
الكفر كالجامع الفاسد فهو كالجامع العاجز لا يفيد الاختوة ولهذا من مات من الكفار  
وله اخ مسلم ولا وارث له من النسب لا يجعل ماله للكفار ولو كان الدين يجمعهم  
لكان مال الكافر للكفار كما ان مال المسلم للمسلمين عند عدم الوارث فان قيل قد نبت ان  
الاخوة للاسلام اقوى من الاختوة النفسية بدليل ان المسلم يرث المسلمون ولا يرثه الاخ  
الكافر من النسب فلم يقدموا الاختوة الاسلامية على الاختوة النفسية مطلقا  
حتى يكون مال المسلم للمسلمين لا لاختوته من النسب نقول هذا سؤال فاسد وذلك لان  
الاخ المسلم اذا كان اخا من النسب فقد اجتمع فيه اخوتان فصار اقوى والعصوبة لمن له  
القوة ألا ترى ان الاخ من الابوين يرث ولا يرث الاخ من الاب معه فكذلك الاخ المسلم  
من النسب له اخوتان فيقدم على سائر المسلمين والله اعلم (المسئلة الرابعة) قال النحاة

أى عسى ان يكون المغفور منهم  
خيرا عند الله تعالى من الساخرين  
والقوم مختص بالرجال لانهم  
القوام على النساء وهو فى الأصل  
اما جمع فانه كصوم وزور في جمع  
صائم وزائر ومصدر نعت به فشاخ  
في الجمع واما تسميته للفريقين في  
مثل قوم عاد وقوم فرعون فلما  
للقليب اولاهن تواقع واختيار  
الجمع لعبة وقوع الخيرية في  
المجامع والتكبر اما للتعميم او  
للقصد الى نهى بعضهم عن  
سخيرية بعض لما انها مما يحرى  
بين بعض وبعض (ولانساء) اى

ما في هذا الموضع كافة تكف ان عن العمل ولولا ذلك لقليل انما المؤمنين اخوة وفي قوله تعالى فبما رحمة من الله وقوله عما قليل ليست كافة والسؤال الاقوى هو ان رب من حروف الجر والباء وعن كذلك وما في رب كافة وفي عما وبما ليست كافة والتحقيق فيه هو ان الكلام بعد ربما وانما يكون تاما يمكن جعله مستقلا ولو حذف ربما وانما لما ضر فتقول ربما قام الامير وربما زيد في الدار ولو حذف ربما وقلت زيد في الدار وقام الامير لصح وكذلك في انما ولكنما واما عما وبما فليست كذلك لان قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم لو اذهبت بما وقلت رحمة من الله لنت لهم لما كان كلاما قابلا بعد تعلقها بما يحتاج اليها فهي باقية حقيقة ولكنما وانما وربما لما استغنى عنها فكانها لم يبق حكمها ولا عمل للعدوم (فان قيل) ان اذا لم تكف بما فا بعده كلام تام فوجب ان لا يكون له عمل تقول ان زيدا قائم ولو قلت زيد قائم لكني وتم (نقول) ليس كذلك لان ما بعد ان جاز ان يكون نكرة تقول ان رجلا جاءني واخبرني بكذا واخبرني بعكسه وتقول جاءني رجل واخبرني ولا يحسن انما رجل جاءني كما لو لم تكن هناك وانما وكذلك القول في بينا وانما فانك لو حذفتهما واقتصرت على ما يكون بعدهما لا يكون تاما فلم يكف والكلام في لعل قد تقدم مرارا ثم قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا يستخفروا من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تملؤوا انفسكم ولا تاتوا بالالقب) وقدينا السورة للارشاد بعد ارشاد الى ما ينبغي ان يكون عليه المؤمن مع الله تعالى ومع النبي صلى الله عليه وسلم ومع من يخالفهما ويعصيهما وهو الفاسق بين ما ينبغي ان يكون عليه المؤمن مع المؤمن وقد ذكرنا ان المؤمن اما ان يكون حاضرا واما ان يكون غائبا فان كان حاضرا فلا ينبغي ان يستخف منه ولا يلتفت اليه بما ينافي التعظيم وفي الآية اشارة الى امور ثلاثة مرتبة بعضها دون بعض وهي السخرية واللمز والنبز فالسخرية هي ان لا ينظر الانسان الى اخيه بعين الاجلال ولا يلتفت اليه ويسقطه عن درجته وحينئذ لا يذكر ما فيه من المعاييب وهذا كما قال بعض الناس تراهم اذا ذكر عندهم عدوهم يقولون هو دون ان يذكر واقل من ان يلتفت اليه فقال لا تحقروا اخوانكم ولا تستغفروهم (الثاني) هو اللمز وهو ذكر ما في الرجل من العيب في غيبته وهذا دون الاول لان في الاول لم يلتفت اليه ولم يرض بأن يذكره احد وانما جعله مثل السخرية الذي لا يعضبه ولا عليه (والثالث) هو البرز وهو دون الثاني لان في هذه المرتبة يضيف اليه وصفا نابيا فيه يوجب بضعفه وحط منزلته واما البرز فهو مجرد التسمية وان لم يكن فيه وذلك لان اللقب الحسن والاسم المستحسن اذا وضع لواحد وعلق عليه لا يكون معناه موجودا فان من يسمى سعدا وسعيدا قد لا يكون كذلك وكذا من لقب امام الدين وحسام الدين لا يفهم منه انه كذلك وانما هو علامة وزينة وكذلك البرز بالمروان ومروان الحمار لم يكن كذلك وانما كان ذلك سمعة ونسبة ولا يكون اللفظ مراد اذا لم يرد به الوصف كما ان الاعلام

ولا تستخف نساء من المؤمنات (من نساء) منهن (عسى ان يكن) اي المستخفون منهن (خيرامنهن) اي من السخرات فان مناط الحيرة في الفريقين فليس ما يظهر للناس من الصور والاشكال ولا الاوضاع والاطوار التي عليها يدور امر السخرية غالبا بل انما هو الامور الكامنة في القلوب،



كذلك فانك اذا قلت لمن سمي بعبد الله انت عبد الله فلا تعبد غيره وتريده وصفه لا تكون قد أتيت باسم علمه الا اشارة فقال لا تكبروا قستحقروا اخوانكم وتستصغروهم بحيث لا تلتفوا اليهم اصلا واذا نزلتم عن هذا من النعم اليهم فلا تعيبوا طالين حط درجاتهم والغض عن منزلتهم واذا تركتم النظر في معائبهم ووصفهم بما يعيبهم فلا تسبواهم بما يكرهونه ولا تقولوا هذا ليس يعيب يذكر فيه انما هو اسم تلفظ به من غير قصد الى بيان صفة وذكر في الآية مباحث (الاول) قوله لا يسخر قوم من قوم القوم اسم يقع على جمع من الرجال ولا يقع على النساء ولا على الاطفال لانه جمع قائم كصوم جمع صائم والقائم بالامورهم الرجال فعلى هذا الاقوام الرجال لا النساء (قائدة) وهي ان عدم الالتفات والاستحقار انما يصدر في اكثر الامر من الرجال بالنسبة الى الرجال لان المرأة في نفسها ضعيفة فاذا لم يلتفت الرجال اليها لا يكون لها امر قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم النساء لجم على وضم الامر ددت عنه واما المرأة فلا يوجد منها استحقار الرجل وعدم التفاتها اليه لا يضطرها في دفع حوائجها واما الرجال بالنسبة الى الرجال والنساء بالنسبة الى النساء فيوجد فيهم هذا النوع من القبح وهذا اشهر (المسئلة الثانية) قال في الدرجة العالية التي هي نهاية المنكر عسى ان يكونوا خيرا منهم كسرا له وبغض النكره وقال في المرتبة البانية لا تلزوا انفسكم جعلهم كاتفسهم لما نزلوا درجة رفعهم الله درجة وفي الاول جعل المسخور منه خيرا وفي الثاني جعل المسخور منه مثلا وفي قوله عسى ان يكونوا خيرا منهم كحكمة وهي انه وجد منهم النكر الذي هو مفض الى الاهمال وجعل نفسه خيرا منهم كافعل ابليس حيث لم يلتفت الى آدم وقال انا خير منه فصار هو خيرا او يمكن ان يقال المراد من قوله ان يكونوا يصيروا فان من استحق انسانا فقره او وحدته او ضعفه لا يأمن ان يفتقر هو ويستعنى الفقير ويضعف هو ويقوى الضعيف (المسئلة الثالثة) قال تعالى قوم من قوم ولم يقل نفس من نفس وذلك لان هذا فيه اشارة الى منع التكبر والتكبر في اكثر الامر يرى جبروته على رؤس الاشهاد واذا اجتمع في الخلوات مع من لا يلتفت اليه في الجامع يجعل نفسه متواضعا فذكرهم بلفظ القوم منعاهم عما يفعلونه (المسئلة الرابعة) قوله تعالى ولا تلزوا انفسكم فيه وجهان (احدهما) ان عيب الاخ مائد الى الاخ فاذا عاب عائب نفسا فكأنه عاب نفسه (وثانيهما) هو انه اذا عابه وهو لا يخلو من عيب يحاربه المعيب فيعيه فيكون هو بعيه حاملا للغير على عيبه وكأنه هو العائب نفسه وعلى هذا يحمل قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اي انكم اذا قتلتم نفسا قتلتم فتكونوا كاتكم قتلتم انفسكم ويحتمل وجه آخر ثالثا وهو ان تقول لا تعيبوا انفسكم اي كل واحد منكم فانكم ان فعلتم فقد عيبتم انفسكم اي كل واحد عاب كل واحد فصرتم عابين من وجه معينين من وجه وهذا الوجه ههنا ظاهر ولا كذلك في قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم (المسئلة الخامسة) ان قيل قد ذكرتم ان هذا ارشاد

فلا يحترق احد على استحقار احد فله اجمع منه لما يخط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله تعالى وقرى صوا ان يكونوا وعسين ان تكن فعسى حينئذ هي ذات الجبر كما في قوله تعالى فهل عسيتم واما على الاول فهي التي لا خبر لها (ولا تلزوا انفسكم) اي ولا يعيب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلزون به فان من فعل ما يستحق به المرق فقد لزم نفسه والمز الطعن بالسان وقرى بضم الميم (ولا تنازوا بالالقاء) اي ولا يدع بعضكم بعضا بقلب السوء فان التبرز مختص به عرفا

للمؤمنين الى ما يجب ان يفعله المؤمن عند حضوره بعد الاشارة الى ما يفعله في غيبته لكن قوله تعالى ولا تزلوا قيل بأنه العيب خلف الانسان والهمز هو العيب في وجه الانسان فنقول ليس كذلك بل العكس اولى وذلك لانا اذا نظرنا الى قلب الحروف دللنا على العكس لان لمز قلبه لزم وهمز قلبه هزم والاوّل بدل على القرب والثاني على البعد فان قيل المز هو الطعن والعيب في الوجه كان اولى مع ان كل واحد قيل بمعنى واحد (المسئلة السادسة) قال تعالى ولا تنازروا ولم يقل لا تنزروا وذلك لان المماز اذلّز فالملوز قد لا يجد فيه في الحال عيبا يلزمه به وانما يبحث ويتبعه ليطلع منه على عيب فيوجد المز من جانب واما النبز فلا يجز كل واحد عن الايتان به فان من نبز غيره بالهمز وهو ينزه بالنور وغيره فانظروا ان النبز يفرض في الحال الى التنازروا كذلك المز \* وقوله تعالى (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) قيل فيه ان المراد بئس ان يقول للسلّم يا بهودي بعد الايمان اي بعدما آمن فبئس تسميته بالكافر ويحتمل وجهها احسن من هذا وهو ان يقال هذا تمام للزجر كأنه تعالى قال يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم ولا تزلوا ولا تنازروا فانه ان فعل يفسق بعدما آمن والمؤمن يقبح منه ان يأتي بعد ايمانه بفسوق فيكون كقوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ويصير التقدير بئس الفسوق بعد الايمان وبئس ان تسموا بالفاسق بسبب هذه الافعال بعدما سميتوهم مؤمنين \* قال تعالى (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) وهذا يحتمل وجهين (احدهما) ان يقال هذه الاشياء من الصغائر فمن يصير عليه يصير ظالما فاسقا وبالمرّة الواحدة لا يتصف بالظلم والفسق فقال ومن لم يترك ذلك ويجعله عادة فهو ظالم (وانبيها) ان يقال قوله تعالى لا يسخرؤا ولا تزلؤا ولا تنازروا منع لهم عن ذلك في المستقبل وقوله تعالى ومن لم يتب امرهم بالتوبة عمامضى واظهار الندم عليها مبالغة في التحذير وتشديدا في الزجر والاصل في قوله تعالى ولا تنازروا لا تنازروا اسقطت احدى التائين كما اسقط في الاستفهام احدى الهمزتين فقال سواء عليهم أنذرتهم والحذف ههنا اولى لان تاء الخطاب وتاء التفاعل حرفان من جنس واحد في كلمة وهمزة الاستفهام كلمة برأسها وهمزة أنذرتهم أخرى واحتمال حرفين في كلمتين أسهل من احتماله في كلمة ولهذا وجب الادغام في قولنا مدولم يجب في قولنا امدد وقولنا مردود وقوله امر ربنا \* ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا احتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا يحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم) لأن الظن هو السبب فيما تقدم وعليه تنبى القبايح ومنه يظهر العد والمكاشح والقائل اذا اوقف اموره على اليقين قفلا يتقن في احد عياف لزمه به فان الفعل في الصورة قد يكون قبيحا وفي نفس الامر لا يكون كذلك لجواز ان يكون فاعله ساهيا او يكون الراى

(بئس الاسم الفسوق) بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان او اشتغالهم به فان الاسم ههنا بمعنى الذكروا قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او بالثوم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنن خصوصا اذ روى ان الآية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال عليه الصلاة والسلام هلا قلت ان ابى هرون وعمر موسى وزوجى محمد عليهم السلام او الدلالة على ان التنازير فسق والجمع بينه وبين الايمان فيج (ومن لم يتب) عما نهى عنه (فأولئك هم الظالمون) بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب (يا أيها الذين آمنوا احتنبوا كثيرا من الظن) اي كونوا على جانب منه

مخطئا وقوله كثيرا اخراج للظنون التي عليها بنى الخيرات قال النبي صلى الله عليه وسلم  
ظنوا بالؤمن خيرا وبالجمله كل امر لا يكون بناؤه على اليقين فالظن فيه غير مجتنب  
متاله حكم الحاكم على قول الشهود وبرائة الذمة عند عدم الشهود الى غير ذلك فقوله  
اجتنبوا كثيرا وقوله تعالى ان بعض الظن اثم اشارة الى الاخذ بالاحوط كما ان الطريق  
المخوفة لا يتفق في كل مرة فيه قاطع طريق لكنك لاتسلك لاتتفاد ذلك فيه مرة ومرتين  
الاذا تعين فتسلكه مع رفقة كذلك الظن ينبغي بعد اجتهاد تام ووثوق بالغ ثم قال تعالى  
ولا تجسسوا تماما لما سبق لانه تعالى لما قال اجتنبوا كثيرا من الظن فهم منه ان المعتبر  
اليقين فيقول القائل انا اكشف فلانا يعني اعلمه يقينا واطلع على عيبه مشاهدة فأعيب  
فاكون قد اجتنبت الظن فقال تعالى ولا تتبعوا الظن ولا تجتهدوا في طلب اليقين في  
معاب الناس ثم قال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا اشارة الى وجوب حفظ عرض المؤمن  
في غيبته وفيه معان (احدها) في قوله تعالى بعضكم بعضا فانه للعموم في الحقيقة كقوله  
لاتزوا أنفسكم وامان اغتاب فالغتاب اولاي علم عيبه فلا يحمل فعله على ان يغتابه فليقل  
ولا تغتابوا أنفسكم لمان الغيبة ليست حاملة للغائب على غيبة من اغتابه والعيب حامل  
على العيب (ثانيها) لو قال قائل هذا المعنى كان حاصلا بقوله تعالى لاتعتابوا مع الاقتصار  
عليه نقول لا وذلك لان المنوع اغتياب المؤمن فقال بعضكم بعضا واما الكافر فليمن  
ويذكر بما فيه وكيف لا والفاسق يجوز ان يذكر بما فيه عند الحاجة (ثالثها) قوله تعالى  
أحب احداكم ان يأكل لحم اخيه ميتا دليل على ان الاغتياب المنوع اغتياب المؤمن  
لا ذكر الكافر وذلك لانه شبه بأكل لحم الاخ وقال من قبل انما المؤمنون اخوة فلا  
اخوة الا بين المؤمنين ولا منع الا من شيء يشبه اكل لحم الاخ ففي هذه الآية نهى عن  
اغتياب المؤمن دون الكافر (رابعها) ما الحكمة في هذا التشبيه نقول هو اشارة الى ان  
عرض الانسان كدمه ولحمه وهذا من باب القياس الظاهر وذلك لان عرض المرء اشرف  
من لحمه فاذا لم يحسن من العاقل اكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق  
الاولى لان ذلك الم وقوله لحم اخيه آكد في المنع لان العدو يحمله الغضب على مضغ لحم  
العدو فقال اصدق الاصدقاء من ولدته امك فأكل لحمه اقبح ما يكون وقوله تعالى ميتا  
اشارة الى دفع وهم وهو ان يقال القول في الوجه يؤلم فيحرم واما الاغتياب فلا اطلاع  
عليه للغتاب فلا يؤلم فقال أكل لحم الاخ وهو ميت ايضا لا يؤلم ومع هذا هو في غاية القبح  
لأنه لو اطلع عليه لتألم كما ان الميت لو احس بأكل لحمه لا ألم فيه معنى وهو ان  
الاغتياب كأكل لحم الآدمي ميتا ولا يحل اكله الا للضرر بقدر الحاجة والمضطر اذا  
وجد لحم الشاة الميتة ولحم الآدمي الميت فلا يأكل لحم الآدمي فكذلك الغتاب ان وجد  
لحاجته مدفع غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب وقوله تعالى ميتا حال عن اللحم او عن الاخ  
فان قيل اللحم لا يكون ميتا قلنا بلى قال النبي صلى الله عليه وسلم ما بين من حي فهو

واهم الكثير لا يجاب الاحتياط  
والتأمل في كل ظن ظن حتى يعلم  
انه من اى قبيل فان من الظن  
ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قطع  
فيه من العمليات وحسن الظن  
بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن  
في الالهيات والنبوات وحيث  
يتخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين  
ومنه ما يباح كالظن في الامور  
المعاشية (ان بعض الظن اثم)  
تعليل للامر بالاغتياب والموجه  
بطريق الاستثنا في التحقيق  
والاثم الذنب الذي يستحق  
العقوبة عليه وهمزة منقلبة  
من الواو كأنه يتم الاعمال اى  
يكسرها (ولا تجسسوا) اى ولا  
تجسسوا عن عورات المسلمين تفعل  
من الجس لما فيه من معنى الطلب  
كما ان التمس بمعنى التطلب لما في  
اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى  
الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا  
السمو قرى بالحامن الحس الذي  
هو اتر الجس وعائته ولتقار بها

ميت فسمى القلفة ميتا فان قيل اذا جعلناه حالا عن الاخ لا يكون هو الفاعل ولا المفعول فلا يجوز جعله حالا كما يقول القائل مررت بأخي زيد قائما ويريد كون زيدا قائما قلت يجوز ان يقال من اكل لحمه فقد اكل فصار الاخ مأكولا مفعولا بخلاف المرور بأخي زيد فيحوز ان تقول ضربت وجهه أما اى وهو أتم اى صاحب الوجه كما انك اذا ضربت وجهه فقد ضربته ولا يجوز ان تقول مررت ثوبه أما فجعل الأتم حالا من غيرك وقوله تعالى فكرهتموه فيه مسئلتان (المسئلة الاولى) العائد اليه الضمير يحتمل وجوها (الاول) وهو الظاهر ان يكون هو الاكل لان قوله تعالى اوجب احدكم ان يأكل معناه اوجب احدكم الاكل لان مع الفعل تكون للمصدر يعنى فكرتهم الاكل (الثاني) ان يكون هو اللحم اى فكرتهم اللحم (الثالث) ان يكون هو الميت في قوله ميتا وتقديره اوجب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا متغيرا فكرتهموه فكأنه صفة لقوله ميتا ويكون فيه زيادة مبالغة في التحذير يعنى الميتة ان اكلت في الندرة لسبب كان نادرا ولكن اذا نأنت واروح وتغير لا يؤكل اصلا فكذلك ينبغي ان تكون الغيبة (المسئلة الثانية) الفاء في قوله تعالى فكرتهموه تقتضى وجود تعلق فاذا قل نقول فيه وجوه (احدها) ان يكون ذلك تقدير جواب كلام كأنه تعالى لما قال اوجب قيل في جوابه ذلك (وثانيها) ان يكون الاستفهام في قوله اوجب للانكار كأنه قال لا يوجب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرتهموه اذا ولا يحتاج الى اضمار (وثالثها) ان يكون ذلك التعلق هو تعلق السبب بالسبب وترتبه عليه كما تقول جاء فلان ماشيا فتعب لان المشى يورث التعب فكذا قوله ميتا لان الموت يورث النفرة الى حد لا يشتهى الانسان ان يبيت في بيت فيه ميت فكيف يقربه بحيث يأكل منه ففيه اذا كراهة شديدة فكذلك ينبغي ان يكون حال الغيبة ثم قال تعالى واتقوا الله ان الله تواب رحيم عطف على ماتقدم من الاوامر والنواهي اى اجتنبوا واتقوا وفي الآية لطائف منها ان الله تعالى ذكر في هذه الآية امور ثلاثة مرتبة بيانها هو ان الله تعالى قال اجتنبوا كثيرا اى لا تقولوا في حق المؤمنين ما لم تعلموه فيهم بناء على الظن ثم اذا سئلتهم عن المظنون ان لا تقولوا نحن نكشف امورهم لنستيقن قبل ذكرها ثم ان علمت منها شيئا من غير تجسس فلا تقولوه ولا تنشوه عنهم ولا تعيوا ففي الاول نهى عمالم يعلم ثم نهى عن طلب ذلك العلم ثم نهى عن ذكر ما علم ومنها ان الله تعالى لم يقل اجتنبوا أن تقولوا أمرا على خلاف ما تعلمونه ولا قال اجتنبوا الشك بل اول ما نهى عنه هو القول بالظن وذلك لان القول على خلاف العلم كذب وافتراء والقول بالشك والرجم بالغيب سفه وهزؤ وهما في غاية القبح فلم ينه عنه اكتفاء بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لان وصفهم بالايمان بمنعهم من الافتراء والارتياح الذي هو دأب الكافر وأما منهم عما يكثر وجوده في المسلمين ولذلك قال في الآية لا يسخر ومنها انه اختم الآيتين بذكر التوبة فقال في الاولى ومن لم يمتب فأولئك هم الظالمون وقال في

للمشاعر الحواس بالحاء والجيم  
وفي الحديث لا تتبعوا عورات  
المسلمين فان من تتبع عورات  
المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه  
ولو في جوف بيته (ولا يقتب  
بعضكم بعضا) اى لا يذكر  
بعضكم بعضا بالسوء في غيبته و سئل  
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن  
الغيبه فقال ان تذكر اخاك بما يكره  
فان كان فيه فقد اغتبت به وان لم يكن  
فيه فقد بته وعن ابن عباس  
رضي الله عنهما الغيبة ادم كلاب  
الناس (ايجب احدكم ان يأكل لحم  
اخيه ميتا) تمثيل وتصوير لما  
يصدر عن المعتاب من حيث  
صدوره عنه ومن حيث تعلقه  
بصاحبه على الخس وجهه واشنعه  
طباعا وعقلا وشرعاً مبالغات  
من فنون شتى الاستفهام التقريري  
واسناد الفعل الى احد اذا

بأن احدا

الآخرة ان الله تواب لكن في الآية الاولى لما كان الابتداء بالنهى في قوله لا يسخر قوم من قوم ذكر النفي الذى هو قريب من النهى وفي الآية الثانية لما كان الابتداء بالامر في قوله اجتنبوا ذكر الارتباب الذى هو قريب من الامر \* ثم قال تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) تبينا لما تقدم وتقريره وذلك لان السخرية من الغير والعيب ان كان بسبب التفاوت في الدين والايمان فهو جائز لما بينا ان قوله لا يعقب بعضكم بعضا وقوله ولا تلذوا أنفسكم منع من عيب المؤمن وغيبته وان لم يكن لذلك السبب فلا يجوز لان الناس يعومهم كفارا كانوا او مؤمنين يشتركون فيما يقتربه المقتخر غير الايمان والكفر والافتخار ان كان بسبب الغنى فالكافر قد يكون غنيا والمؤمن فقيرا وبالعكس وان كان بسبب النسب فالكافر قد يكون نسيبا والمؤمن قد يكون عبدا اسود وبالعكس فالناس فيما ليس من الدين والتقوى متساوون متقاربون وشئ من ذلك لا يؤثر مع عدم التقوى فان كل من يتدين بدين يعرف ان من يوافقه في دينه اشرف ممن يخالفه فيه وان كان ارفع نسبا او اكثر نشبا فكيف من له الدين الحق وهو فيه راسخ وكيف يرجح عليه من دونه فيه بسبب غيره وقوله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى فيه وجهان (احدهما) من آدم وحواء (ثانيهما) كل واحد منكم ايها الموجودون وقت النداء خلقناه من اب وام فان قلنا ان المراد هو الاول فذلك اشارة الى ان لا يفاخر البعض على البعض لكونهم ابنا من رجل واحد وامرأة واحدة وان قلنا ان المراد هو الثاني فذلك اشارة الى ان الجنس واحد فان كل واحد خلق كما خلق الآخر من أب وام والتفاوت في الجنس دون التفاوت في الجنسين فان من سنن التفاوت ان لا يكون تقدير التفاوت بين الذباب والذئب لكن التفاوت الذى بين الناس بالكفر والايمان كالتفاوت الذى بين الجنسين لان الكافر جاد اذ هو كالانعام بل اضل والمؤمن انسان في المعنى الذى ينبغي ان يكون فيه والتفاوت في الانسان تفاوت في الجنس لا في الجنس اذ كلهم من ذكر وانثى فلا يبقى لذلك عندهذا اعتبار وفيه مباحث (البحث الاول) فان قيل هذا مبنى على عدم اعتبار النسب وليس كذلك فان للنسب اعتبارا عرفا وشرعا حتى لا يجوز تزويج الشريفة بالنبطى فنقول اذا جاء الامر العظيم لا يبقى الامر الحقير معتبرا وذلك في الجنس والسرع والعرف اما الجنس فلان الكواكب لا ترى عند طلوع الشمس ولجناح الذباب دوى ولا يسمع عند ما يكون رعد قوى واما في العرف فلان من جاء مع الملك لا يبقى له اعتبار ولا اليه التفات اذا علمت هذا فهما في السرع كذلك اذا جاء السرف الدينى الالهى لا يبقى لامر هناك اعتبار بالنسب ولان النسب لا ترى ان الكافر وان كان من اعلى الناس نسبا والمؤمن وان كان من ادونهم نسبا لا يقاس احدهما بالآخر وكذلك ما هو من الدين مع غيره ولهذا يصلح للمناصب الدينية كالقضاء

من الاحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل المأكول اخا للاكل وميتا واخراج تماثيلها مخرج امرين غنى عن الاخبار به وقرى ميتا بالتشديد واتصافه على الحالية من اللحم وتبيل من الاخ والفاء في قوله تعالى (فكرهتموه) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كأنه قيل وحيث كان الامر كما ذكر فقد كرهتموه وقرى كرهتموه اى جبلم على كراهته (واتقوا الله) بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل (ان الله تواب رحيم) مبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة حيث يعمل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعالج الجميع وان كثرت ذنوبهم روى ان رجلين من الصحابة رضى الله عنهم بعنا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه

والشهادة كل شريف ووضع اذا كان ديننا عالم الصالحا ولا يصلح لشيء منها فاسق وان كان قرشي النسب وقاروني النشب ولكن اذا اجتمع في اثنين الدين التين واحدهما نسيب ترجح بالنسب عند الناس لاعند الله لان الله تعالى يقول وان ليس للانسان الاماسعى وشرف النسب ليس مكتسبا ولا يحصل بسعى (البحث الثاني) ما الحكمة في اختيار النسب من جملة اسباب التفاخر ولم يذكر المال نقول الامور التي يفخر بها في الدنيا وان كانت كثيرة لكن النسب اعلاها لان المال قد يحصل للفقير فيبطل اقتضار المفقره والحسن والسن وغير ذلك غير ثابت دائم والنسب ثابت مستمر غير مقدور التحصيل لمن ليس له ذلك فاختره الله للذكر وابطل اعتباره بالنسبة الى التقوى يعلم منه بطلان غيره بالطريق الاولى (البحث الثالث) اذا كان ورود الآية لبيان عدم جواز الافتخار بغير التقوى فهل لقوله تعالى انا خلقناكم فائدة نقول نعم وذلك لان كل شيء يترجم على غيره فاما ان يترجم بأمر فيه يلحقه ويترتب عليه بعد وجوده واما ان يترجم عليه بأمر هو قبله والذي بعده كالحسن والقوة وغيرهما من الاوصاف المطلوبة من ذلك الشيء والذي قبله فاما راجع الى الاصل الذي منه وجد أو الى الفاعل الذي هو له اوجد كما يقال في انامين هذا من النحاس وهذا من الفضة ويقال هذا عمل فلان وهذا عمل فلان فقال تعالى لاترجع فيما خلقتم منه لانكم كلكم من ذكروا نثي ولا بالنظر الى جاعلكم لانكم كلكم خلقكم الله فان كان بينكم تفاوت يكون بامور تلحقكم وتحصل بعده وجودكم واشرفها التقوى والقرب من الله تعالى نعم قال تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل وفيه وجهان (احدهما) جعلناكم شعوبا متفرقة لا يدري من يجمعكم كالجمع وقبائل يجمعكم واحد معلوم كالعرب وبنى اسرائيل (وثانيهما) جعلناكم شعوبا داخلين في قبائل فان القبيلة تحتها شعوب وتحت الشعوب البطون وتحت البطون الافخاذ وتحت الافخاذ الفصائل وتحت الفصائل الاقارب وذكر الامم لانه اذهب للافتخار لان الامر الامم منها يدخله فقراء واغنياء كثيرة غير محصورة وضعفاء واقوياء كثيرة غير معدودة ثم بين فائدة ذلك وهي التعارف وفيه وجهان (احدهما) ان فائدة ذلك التناصر لا التفاخر (وثانيهما) ان فائدته التعارف لا التناكر واللمز والمخزية والغيبة تفضي الى التناكر لا الى التعارف وفيه معان لطيفة (الاولى) قال تعالى انا خلقناكم وقال وجعلناكم لان الخلق اصل تفرع عليه الجعل شعوبا فان الاول هو الخلق والايحاد ثم الاتصاف بما اتصفوا به لكن الجعل شعوبا للتعارف والخلق للعبادة كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واعتبار الاصل متقدم على اعتبار الفرع فاعلم ان النسب يعتبر بعد اعتبار العبادة كما ان الجعل شعوبا بالتحقق بعد ما يتحقق الخلق فان كان فيكم عبادة تعتبر فيكم انسابكم والافلا (الثانية) قوله تعالى خلقناكم وجعلناكم اشارة الى عدم جواز الافتخار لان ذلك ليس لسعيكم ولا قدرة لكم على شيء من ذلك فكيف

وسلم يبنى لهما ادا ما و كان اسامه  
على طعمه عليه الصلاة والسلام  
فقال ما عندي شيء فأخبرهما  
سلمان فقالا لوبعثنا سلمان الى بئر  
سميحة لغار ماؤها فلما راها الى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال  
لهما مالي ارى خضرة اللحم  
في افواهكما فقالا ماتا ولنا لحما  
فقال عليه الصلاة والسلام انكما  
قد اعتبما فزت (بابها الناس  
انا خلقناكم من ذكروا نثي) من آدم  
وحواء وخلقنا كل واحد منكم  
من اب وأم فالكل سواء في ذلك  
فلا وجه للتفاخر بالنسب وفد  
يجوز ان يكون تأكيد للنبي  
السابق بتقرير الاحوة المانعة  
من الاعتباب (وجعلناكم شعوبا  
وقبائل) الشعب الجمع العظيم  
المنسبون الى اصل واحد وهو  
يجمع القبائل والقبيلة تجمع  
العماة والعمارة تجمع البطون  
والبطون يجمع الافخاذ والفخذ  
يجمع الفصائل فخرجة شعب  
وكثانة

تفتخرون بما لمدخل لكم فيه فان قيل الهداية والضلال كذلك لقوله تعالى انا هديناه  
 السبيل نهدي من نشاء فنقول اثبت الله لنا فيه كسبا مبني على فعل كما قال الله تعالى  
 فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ثم قال تعالى وماتشاورن الا ان يشاء الله وما في النسب فلا  
 (الثالثة) قوله تعالى لتعارفوا اشارة الى قياس خفي وبياه هو انه تعالى قال انكم  
 جعلتم قبائل لتعارفوا وانتم اذا كنتم اقرب الى شريف تفتخرون به فخلقكم لتعرفوا  
 ربكم فاذا كنتم اقرب منه وهو اشرف الموجودات كان الاحق بالافتخار هناك من  
 الكل الافتخار بذلك (الرابعة) فيه ارشاد الى برهان يدل على ان الافتخار ليس بالانساب  
 وذلك لان القبائل لتعارف بسبب الانساب الى شخص فان كان ذلك الشخص  
 شريفا صح الافتخار في غنكم وان لم يكن شريفا لم يصح فشرف ذلك الرجل الذي تفتخرون  
 به هو بالنسب الى فضيلة او بالانساب ففضيلة فان كان بالانساب لزم الانتهاء وان كان  
 بالانساب فالدين الفقيه الكريم المحسن صار مثل من يفتخره المقتخر فكيف يفتخر  
 بالاب واب الاب على من حصل له من الحظ والخير ما فضل به نفسه عن ذلك الاب واجلد  
 اللهم الان يجوز شرف الانساب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان احدا لا يقرب من  
 رسول في الفضيلة حتى يقول انما مثل ابيك ولكن في هذا النسب اثبت النبي صلى الله  
 عليه وسلم الشرف لمن انتسب اليه بالانساب ونفاه لمن اراد الشرف بالانساب فقال  
 نحن معاشر الانبياء لا نورث وقال العلماء ورثة الانبياء اي لا نورث بالانساب وانما نورث  
 بالانساب سمعت ان بعض الشرفاء في بلاد خراسان كان في النسب اقرب الناس  
 الى علي عليه السلام غير انه كان فاسقا وكان هناك مولى اسود تقدم بالعلم والعمل ومال  
 الناس الى التبرك به فاتفق انه خرج يوما من بيته يقصد المسجد فاتبعه خلق فلقية الشريف  
 سكران وكان الناس يطردون الشريف ويعيدونه عن طريقه فغلهم وتعلق باطراف  
 الشيخ وقال له يا اسود الخوافر والشوافر يا كافرين كافرين ان رسول الله اذل وتجمل  
 واذم وتكرم واهان وتعان فهم الناس بضربه فقال الشيخ لا هذا محتمل منه جده وضربه  
 معدود حده ولكن يا ايها الشريف بيضت باطني وسودت باطنك فيرى الناس بياض  
 قلبي فوق سواد وجهي فحسنت واخذت سيرة ابيك واخذت سيرة ابي فراآني الخلق في سيرة  
 ابيك ورأوك في سيرة ابي فظنوني ابن ابيك وظنوك ابن ابي فعملوا معك ما يعمل مع ابي  
 وعلو ما معي ما يعمل مع ابيك ثم قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وفيه وجهان  
 (احدهما) ان المراد ان من يكون اتقى يكون عند الله اكرم اي التقوى تقيد الاكرام  
 (ثانيهما) ان المراد ان من يكون اكرم عند الله يكون اتقى اي الاكرام يورث التقوى  
 كما يقال المخلصون على خطر عظيم والاول اشهر والثاني اظهر لان المذكور ثانيا ينبغي ان  
 يكون محمولا على المذكور اولافي الظاهر فيقال الاكرام للتي لكن ذو العموم في المشهور  
 هو الاول يقال الذ الاطعمة احلاها اي الذة بقدر الحلاوة لان الحلاوة بقدر الذة وهي

قبيلة وفريش عمارة وقصى بطن  
 وهاشم فخذ والعباس فضيلة  
 وقيل الشعوب بطون العجم  
 والقبائل بطون العرب  
 (لتعارفوا) ليعرف بعضكم بعضا  
 بحسب الانساب فلا يعتز احد  
 الى غير انائه لا لتفاخروا بالآباء  
 والقبائل وتدعوا التفاوت  
 والتفاضل في الانساب وفري  
 لتتعارفوا على الاصل ولتعارفوا  
 بالادغام ولتعارفوا (ان اكرمكم  
 عند الله اتقاكم) لتعليل للنهي  
 عن التفاخر بالانساب المستفاد  
 من الكلام بطريق الاستثناء  
 التحقيق كانه قيل ان الاكرم  
 عنده تعالى هو الاتقي فان فاخرتم  
 تفاخروا بالتقوى وقرى بان  
 المفتوحة على حذف لام التعليل  
 كانه قيل لا لتفاخر بالانساب  
 فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم  
 لا أنسبكم فان مدارك الالاف  
 وتفاوت الاشخاص هو التقوى  
 فمن رام نيل الدرجات العلى فعليه  
 بالتقوى فال عليه الصلاة والسلام  
 من



أبانت لتكون التقوى مقدمة على كل فضيلة فإن قيل التقوى من الأعمال والعلم أشرف  
قال النبي صلى الله عليه وسلم لقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد نقول التقوى ثمرة  
العلم قال الله تعالى إنما نخشى الله من عباده العلماء فلا تقوى إلا للعالم فالتقى العالم أتم علمه  
والعالم الذي لا يتقى كشجرة لا ثمرة لها لكن الشجرة المثمرة أشرف من الشجرة التي لا تثمر بل  
هو حطب وكذلك العالم الذي لا يتقى حصص جهنم وأما العابد الذي يفضل الله عليه لقيه  
فهو الذي لا علم له وحينئذ لا يكون عنده من خشية الله نصاب كامل ولعله يعبد مخافة  
اللقاء في النار فهو كالمكره أول دخول الجنة فهو يعمل كالفاعل له أجره ويرجع إلى بيته  
والتقى هو العالم بالله المواظب لبابه أي المقرب إلى جنبه عنده بيت وفيه مباحث (البحث  
الأول) الخطاب مع الناس والأكرم يقتضي اشتراك الكل في الكرامة ولا كرامة للكافر  
فإنه أصل من الأنعام وأذل من الهوام نقول ذلك غير لازم مع أنه حاصل بدليل قوله تعالى  
ولقد كرمنا بني آدم لأن كل من خلق فقد اعترف بربه كأنه تعالى قال من استمر  
عليه وزاد زيد في كرامته ومن رجع عنه أزيل عنه أثر الكرامة (الثاني) ما حد التقوى  
ومن الاتقى نقول أدنى مراتب التقوى أن يحتنب العبد المناهى ويأتى بالأوامر ولا يقر  
ولا يأمن إلا عندهما فإن اتفق أن ارتكب منهما لا يأمن ولا يتكل له بل يتبعه بحسنة  
ويظهر عليه ندامة وتوبة ومتى ارتكب منها ومات في الحال واتكل على المهلة في  
الأجل ومنعه عن التذاكر طول الأمل فليس بمتقى أما الاتقى فهو الذي يأتي بما أمر به  
ويترك ما نهى عنه وهو مع ذلك خاشع ربه لا يشتغل بغير الله فينور الله قلبه فإن التفت  
لحظة إلى نفسه أو ولده جعل ذلك ذنبه وللأولين النجاة لقوله تعالى ثم نجى الذين اتقوا  
وللآخرين السوق إلى الجنة لقوله تعالى إن أكرمكم عند الله اتقاكم فيمن من أعطاه  
السلطان بستاناً أو أسكنه فيه وبين من استخلصه لنفسه يستفيد كل يوم بسبب القرب منه  
بساتين وضياعاً بون عظيم ثم قال تعالى إن الله عليم خبير أي عليم بطواهركم يعلم أنسابكم  
خبير ببواطنكم لا تخفى عليه أسراركم فاجعلوا التقوى عملكم وزيدوا في التقوى  
كما زادكم \* نعم قال تعالى ( قالت الأعراب آمنا به قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما  
يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتمس من أفعالكم شيئاً إن الله  
غفور رحيم ) لما قال تعالى إن أكرمكم عند الله اتقاكم والاتقى لا يكون إلا بعد حصول  
التقوى وأصل الإيمان هو الاتقاء من الشرك قالت الأعراب لنا النسب الشريف وإنما  
يكون لنا الشرف قال الله تعالى ليس الإيمان بالقول وإنما هو بالقلب فما آمنتم لانه خير  
يعلم ما في الصدور ولكن قولوا أسلمنا أي اتقنا واستسلمنا قيل إن الآية نزلت في بني أسد  
أظهروا الإسلام في سنة مجدة طالبين الصدقة ولم يكن قلبهم مطمئناً بالإيمان وقد بينا أن  
ذلك كالتاريخ للنزول للاختصاص بهم لأن كل من أظهر فعل المتقين وأراد أن يصير له  
مالاً تقياً من الأكرام لا يحصل له ذلك لأن التقوى من عمل القلب وقوله تعالى

سره إن يكون أكرم الناس  
فليتق الله وقال عليه الصلاة  
والسلام يا أيها الناس إنما الناس  
رجلان مؤمن نقي كريم على الله  
تعالى وفاجر شقي هين على  
الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله  
عنهما كرم الدنيا العنى وكرم  
الآخرة التقوى (إن الله عليم)  
بكم وبأعمالكم (خير) ببواطن  
أحوالكم (قالت الأعراب آمنا)  
نزلت في نفر من بني أسد قدموا  
المدينة في سنة جدب فأنظروا  
الشهادتين وكانوا يقولون  
لرسول الله صلى الله عليه وسلم آتيناك  
بالأنفال والعيال ولم تقابل كما  
فعلت بنو فلان يريدون الصدقة  
ويهنون عليه الصلاة والسلام  
ما فعلوا (قل) رد إليهم (لم تؤمنوا)  
إذا الإيمان هو التصديق المقارن  
للثقة وطمأنينة القلب ولم يحصل  
لكم ذلك إلا لما منتم على  
ما ذكرتم كما بينى عنه آخر السورة  
( ولكن قولوا أسلمنا ) فإن

قل لم تؤمنوا في تفسيره مسائل ( المسئلة الاولى ) قال تعالى ولا تقولوا لمن اتى اليكم السلام لست مؤمنا وقال ههنا قل لم تؤمنوا مع انهم القوا اليهم السلام نقول اسارة الى ان عمل القلب غير معلوم واجتناب الظن واجب وانما يحكم بالظاهر فلا يقال لمن يفعل فعلا هو مرأى ولا لمن اسلم هو منافق ولكن الله خير بما في الصدور اذا قال فلان ليس بمؤمن حصل الجزم وقوله تعالى قل لم تؤمنوا فهو الذي جوز لذلك القول وكان معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم حيث اطلعه الله على الغيب وضمير قلوبهم فقال انا انتم لا تقولوا لمن اتى اليكم السلام لست مؤمنا لعدم علمكم بما في قلبه ( المسئلة البائية ) لمولما حرفا في وما وان ولا كذلك من حروف النفي ولمولما يحزمان وغيرهما من حرف النفي لا يجزم فالفرق بينهما تقول لم ولما يفعلان بالفعل لا يفعل به غيرهما فانهما يغيران معناه من الاستقبال الى المضى تقول لم يؤمن امس وآمن اليوم ولا تقول لا يؤمن امس فلما فعلا بالفعل مالم يفعل به غيرهما جزم بهما فان قيل مع هذا لم يجزم بهما غاية ما في الباب ان الفرق حصل ولكن ما الدليل على وجوب الجزم بهما نقول لان الجزم والقطع يحصل في الافعال الماضية فان من قال قام حصل القطع بقيامه ولا يجوز ان يكون ماقام والافعال المستقبلية اما متوقعة الحصول واما ممكنة غير متوقعة ولا يحصل القطع والجزم فيه فاذا كان لم ولما يقلبان اللفظ من الاستقبال الى المضى كانا يفيدان الجزم والقطع في المعنى فجعل لهما تناسب بالمعنى وهو الجزم لفظا وعلى هذا نقول السبب في الجزم ما ذكرنا وهذا في الامر يجزم كانه جزم على المأمور انه يفعله ولا يتركه فأى فائدة في ان اللفظ يجزم مع ان الفعل فيه لابد من وقوعه وان في الشرط تغيير وذلك لان ان تغير معنى الفعل من المضى الى الاستقبال كما ان لم تغيره من الاستقبال الى المضى تقول ان جئتني جئتك وان اكرمتني اكرمتك فلما كان ان مثل لم في كونه حرفا وفي لزوم الدخول على الافعال وتغييره معنى الفعل صار جازما لشبه لفظي اما الجزاء فجزم لما ذكرنا من المعنى فان الجزاء يجزم بوقوعه عند وجود الشرط فالجزم اذا ما المعنى اولسبه لفظي كما ان الجزاء كذلك في الاضافة وفي الجر بحرف ( المسئلة الثالثة ) قوله تعالى ولكن قولوا يقتضى قولنا سابقا محالما بعده كقولنا لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا وفي ترك التصريح به ارشاد وتأديب كانه تعالى لم يحز النبي عن قولهم آمنا فلم يقل لا تقولوا آمنا وارسلهم الى الامتناع عن الكذب فقال لم تؤمنوا فان كنتم تقولون شيئا فقولوا امرا اما لا يلزم منه كذبكم وهو كقولهم اسلمنا فان الاسلام بمعنى الاتقياد حصل ( المسئلة الرابعة ) المؤمن والمسلم واحد عند اهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا تقول بين العام والخاص فرق فالإيمان لا يحصل الا بالقلب وقد يحصل باللسان والاسلام اعم لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون امرا آخر غيره مثاله الحيوان اعم من الانسان لكن الحيوان في صورة الانسان ليس امرا ينفك عن الانسان ولا يجوز ان يكون ذلك الحيوان حيوانا

الاسلام اتقياد ودخول في السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة منعه و ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا اولم تؤمنوا ولكن اسلمتم للاحتراز من النهى عن التلغظ بالإيمان وللتفادي عن اخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداده مع كونه تقولا محضا ( ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ) حال من ضمير قولوا الى ولكن قولوا اسلمنا حال عدم مواطاة قلوبكم لا لستكم وما في ما من معنى التوقع مشعر بان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد ( وان تطيعوا الله ورسوله ) بالاخلاص وترك النفاق ( لا يلبسكم من اعمالكم ) لا ينقصكم ( شيئا ) من اجورها من لات يلبس ليتاذا نقص وقرئ لا يلبسكم من الالاء وهي لغة عطفان او شثمان النقص ( ان الله غفور ) لما فرط من المطيعين ( رحيم ) بالفضل عليهم

ولا يكون انسانا فالعام والخاص مختلفان في العموم متحدان في الوجود فكذلك المؤمن والمسلم وسنين ذلك في تفسير قوله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غيريت من المسلمين ان شاء الله تعالى (المسئلة الخامسة) قوله تعالى ولما دخل الايمان في قلوبكم هل فيه معنى غير معنى قوله تعالى قل لم تؤمنوا نقول نعم وبيانه من وحوه (الاول) هو انهم لما قالوا آمنا وقيل لهم لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا قالوا ادا أسلمنا فقد آما قيل لا فان الايمان من عمل القلب لا غير والاسلام قديكون عمل اللسان واذا كان ذلك عمل القلب ولم يدخل في قلوبكم الايمان لم تؤمنوا (الثاني) قالوا آمنا وقيل لهم لم تؤمنوا قالوا اجدا لا قد آما عن صدق نية مؤكدين لما خبروا فقال ولما دخل الايمان في قلوبكم لان لما فعل يقال في مقابلة قد فعل ويحتمل ان يقال بان الآية فيها اشارة الى حال المؤلف اذا أسلموا ويكون ايمانهم بعد ضعيفا قال لهم لم تؤمنوا لان الايمان ايقان وذلك بعد لم يدخل في قلوبكم وسيدخل باطلاعكم على محاسن الاسلام وان تطيعوا الله ورسوله يكمل لكم الاجر والذي يدل على هذا هو ان لما فيها معنى التوقع والانتظار والايمان اما ان يكون بفعل المؤمن واكتسابه ونظره في الدلائل واما ان يكون الهاما يقع في قلب المؤمن فقوله قل لم تؤمنوا اي ما فعلتم ذلك انتم وقوله تعالى ولما دخل الايمان في قلوبكم اي ولما دخل الايمان في قلوبكم الهاما من غير فعلكم فلا ايمان لكم حينئذ نعم انه تعالى عند فعلهم قال لم تؤمنوا بحرف ليس فيه معنى الانتظار لقصور نظرهم وفقر فكرهم وعند فعل الايمان قال لم يدخل بحرف فيه معنى التوقع لظهور قوة الايمان كانه يكاد يعنى القلوب بأسرها ثم انه تعالى قال وان تطيعوا الله ورسوله لا يلبتكم اي لا يقصكم والمراد انكم اذا اتيت بما يلبق بضعفكم من الحسنة فهو يؤتيكم ما يلبق به من الجزاء وهذا لان من حل الى ملك فاكهة طيبة يكون منها في السوق درهم او اعطاه الملك درهم او دينارا ينسب الملك الى قلة العطاء بل البخل فليس معناه انه يعطى مثل ذلك من غير نقص بل المعنى يعطى ما توقعون باعمالكم من غير نقص وفيه تحريض على الايمان الصادق لان من أتى بفعل من غير صدق نية بضيع عمله ولا يعطى عليه أجر فقال ان تطيعوا وتصدقوا لا ينقص عليكم فلا تضيعوا اعمالكم بعدم الاخلاص وفيه ايضا تسلية لقلوب من تأخر ايمانه كانه يقول غيرى سبقنى وآمن حين كان النبي وحيدا وآواه حين كان ضعيفا ونحن آمنا عند ما مجزنا عن مقاومته وغلبنا بقوته فلا يكون لايماننا وقع ولاننا عليه أجر فقال تعالى ان أجركم لا ينقص وما توقعون تعطون غاية ما في الباب ان التقدم يزيد في اجورهم وماذا عليكم اذا رضىكم الله ان يعطى غيركم من خزائن رحته رحمة واسعة وما حالكم في ذلك الاحال ملك اعطى واحدا شيئا وقال لغيره وماذا تنتنى فتمنى عليه بلدة واسعة واما الا فأعطاه ووقاه ثم زاد ذلك الاول أشياء أخر من خزائنه فان تأذى من ذلك يكون بخلا وحسدا وذلك في الآخرة لا يكون وفي الدنيا هو من صفة الاراذل وقوله تعالى ان الله

(انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) لم يشكوا من ارتاب مطاوع رايه اذا وقع في الشك مع النهمة وفيه اشارة الى ان فيهم ما يوجب نفى الايمان عنهم وتم للاشعار بأن اشراط عدم الارتباب في اعتبار الايمان ليس في حال انشائه فقط بل وفيما يستقبل ففيه كما في قوله تعالى ثم استقاموا (وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله) في طاعته على كثر فتونها من العبادات البدنية الحضة والمالية الصرفة والسمة عليهما معا كالج والجهاد (اولئك) الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الجميلة (هم الصادقون) اي الذين صدقوا في دعوى الايمان لا غيرهم روى انه لما نزلت الآية جاؤا وحلقوا انهم مؤمنون صادفون فتول لتكديسهم قوله تعالى (قل اتعلمون الله يدبكم) اي اتخبرونه بذلك بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لعناية تشنيعهم (والله يعلم ما في السموات وما في الارض) حال من مفعول تعلمون مؤكدة لتشنيعهم وقوله تعالى (والله بكل شئ عليم) تدليل مقرر لما قبله اي

غفور رحيم اى يغفر لكم ما قد سلف ويرحكم بما اتيتكم \* ثم قال تعالى ( انما المؤمنون  
الذين آمنوا بالله ورسوله لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم  
الصادقون ) ارشادا للاعراب الذين قالوا آمنا الى حقيقة الايمان فقال ان كنتم تريدون  
الايمان فالمؤمنون من آمن بالله ورسوله ثم لم يرتابوا يعنى ايقنوا بان الايمان ايقان وثم  
للتراخي في الحكاية كما نه يقول آمنوا ثم اقول شيئا آخر لم يرتابوا ويحتمل ان يقال هو  
للتراخي في الفعل تقديره آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فيما قال النبي صلى الله عليه وسلم  
من الخسر والنشر وقوله تعالى وجاهدوا بأموالهم وانفسهم يحقق ذلك اى ايقنوا ان  
بعد هذه الدار دارا فجاهدوا طالبين العقبى وقوله اولئك هم الصادقون في ايمانهم  
لا الاعراب الذين قالوا قولا ولم يخلصوا عملا \* ثم قال تعالى ( قل اتعملون الله دينكم والله  
يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شىء عليم ) فانه عالم به لا يخفى عليه شىء وفيه  
اشارة الى ان الدين ينبغي ان يكون لله وأتم اظهر ثبوتنا لله فلا يقبل منكم ذلك \* وقوله  
تعالى ( يمينون عليكم ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمين عليكم ان هذاكم للايمان  
ان كنتم صادقين ) ويقرر ذلك ويبين ان اسلامهم لم يكن لله وفيه لطائف ( الاولى ) في قوله  
تعالى يمينون عليكم زيادة بيان لقبج فعلهم وذلك لان الايمان له شرفان ( احدهما ) بالنسبة  
الى الله تعالى وهو تنزيه الله عن الشرك وتوحيد في العظمة ( وثانيهما ) بالنسبة الى المؤمن  
فانه يزهو النفس عن الجهل ويزينها بالحق والصدق فهم لا يطلبون باسلامهم جانب الله  
ولا يطلبون شرف انفسهم بل منوا ولو علموا ان فيه شرفهم لما منوا به بل شكروا ( اللطيفة  
الثانية ) قال قل لا تمنوا على اسلامكم اى الذى عندكم اسلام ولهذا قال تعالى ولكن قولوا  
اسلمنا ولم يقل لم تؤمنوا ولكن اسلمتم لثلا يكون تصديقهم في الاسلام ايضا كما لم يصدقوا  
في الايمان فان قيل لم لم يحز ان يصدقوا في اسلامهم والاسلام هو الانقياد وقد وجد منهم  
قولا وفلا وان لم يوجد اعتقادا وعلمنا ذلك القدر كاف في صدقهم نقول التكذيب يقع  
على وجهين ( احدهما ) ان لا يوجد نفس المخبر عنه ( وثانيهما ) ان لا يوجد كما اخبر في نفسه  
فقد يقول ما جئنا بل جاءت بك الحاجة فآله تعالى كذبهم في قولهم آمنا على الوجه الاول  
اى ما آسّم اصلا ولم يصدقهم في الاسلام على الوجه الثانى فانهم انقادوا للحاجة واخذ  
الصدقة ( اللطيفة الثالثة ) قال بل الله يمين عليكم يعنى لامة لكم ومع ذلك لا تسلمون رأسا  
برأس بحيث لا يكون لكم علينا ولا لنا عليكم منة بل المنة عليكم وقوله تعالى بل الله يمين  
عليكم حسن ادب حيث لم يقل لا تمنوا على بل لى المنة عليكم حيث بينت لكم الطريق  
المستقيم ثم في مقابلة هذا الادب قال الله تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم ( اللطيفة  
الرابعة ) لم يقل يمين عليكم ان اسلمتم بل قال ان هذاكم للايمان لان اسلامهم كان ضلالة  
حيث كان نقا فامن به عليهم فان قيل كيف من عليهم بالهداية الى الايمان مع انه بين  
انهم لم يؤمنوا نقول الجواب عنه من ثلاثة اوجه ( احدها ) انه تعالى لم يقل بل الله يمين

مبالغ في العلم بجميع الاشياء الى  
من جعلها ما اخفوه من الكفر  
عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد  
تجهيل وتويخ لهم ( يمينون عليكم  
ان اسلموا ) اى يعدون اسلامهم  
منة عليكم وهى النعمة التى  
لا يطلب مولبها نوابا من انم بها  
عليه من المن بمعنى القطع لان  
المقصود بها قطع حاجته وقبل  
المنة الثقيمة من المن ( قل لا تمنوا  
على اسلامكم ) اى لا تعدوا اسلامكم  
منة على اولادكم على باسلامكم  
فنصب نزع الحافض ( بل الله  
يمين عليكم ان هذاكم للايمان ) على  
ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم  
الاهتداء وقرئ ان هذاكم  
واذ هذاكم ( ان كنتم صادقين )  
في ادعاء الايمان وجوابه  
محذوف يدل عليه ما قبله اى فآله  
المنة عليكم وفي سياق النظم  
الكريم من اللطف ما لا يخفى  
فانهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا  
وهو نوابه فنفي كونه ايمانا وسمى  
اسلاما يقبل يمينون عليكم بما هو في  
الحقيقة اسلام وليس بحديث بل ان  
بل لوصح ادعاهم للايمان فآله  
المنة عليهم بالهداية اليه لآلهم

عليكم ان رزقكم الايمان بل قال ان هذا كم للايمان وارسل الرسل بالآيات البينات هداية (ثانيها) هو انه تعالى يمن عليهم بما زعموا فكانه قال انتم قلتم آمنا فذلك نعمة في حقكم حيث تخلصتم من النار فقال هذا كم في زعمكم (ثالثها) وهو الاصح هو ان الله تعالى ين بعد ذلك شرطا فقال ان كنتم صادقين \* ثم قال تعالى (ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون) اشارة الى انه لا يخفى عليه اسراركم واعمال قلوبكم الخفية وقال بصير بما تعملون يبصر اعمال جوارحكم الظاهرة وآخر السورة مع التثامه بما قبله فيه تقرير مافي اول السورة وهو قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله فانه لا يخفى عليه سر فلا تتركوا خوفه في السر ولا يخفى عليه علن فلا تأمنوه في العلانية والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

(سورة ق اربعون وخمس آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ق \* والقرآن المجيد) وقبل التفسير نقول ما يتعلق بالسورة وهي امور (الاول) ان هذه السورة تقرأ في صلاة العبد لقوله تعالى فيها ذلك يوم الخروج وقوله تعالى كذلك الخروج وقوله تعالى ذلك حشر علينا يسير فان العبد يوم الزينة فينبغي ان لا ينسى الانسان خروجه الى عرصات الحساب ولا يكون في ذلك اليوم فرحا فخورا ولا يرتكب فسقا ولا فجورا ولما امر النبي صلى الله عليه وسلم بالتذكير بقوله في آخر السورة فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ذكرهم بما يناسب حالهم في يومهم بقوله ق والقرآن (الثاني) هذه السورة وسورة ص يشتركان في افتتاح اولهما بالحرف المجمع والقسم بالقرآن وقوله بل والتعجب ويشتركان في شيء آخر وهو ان اول السورتين واخرهما متناسبان وذلك لان في ص قال في اولها والقرآن ذي الذكرو قال في آخرها ان هو الا ذكر للعالمين وفي ق قال في اولها والقرآن المجيد وقال في آخرها فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فافتتح بما اختتم به (الثالث) وهو ان في تلك السورة صرف العناية الى تقرير الاصل الاول وهو التوحيد بقوله تعالى أجعل الآلهة الها واحدا وقوله تعالى ان امشوا واصبروا على آلهتكم وفي هذه السورة الى تقرير الاصل الآخر وهو الحشر بقوله تعالى أنذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد ولما كان افتتاح السورة في ص في تقرير المبدأ قال في آخرها اذ قال ربك لللائكة اني خالق بشرا من طين وختمه بحكاية بدء آدم لانه دليل الوحداية ولما كان افتتاح هذه لبيان الحشر قال في آخرها يوم نشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير \* واما التفسير ففيه مسائل (المسئلة الاولى) قبل (ق) اسم جبل محيط بالعالم وقيل معناه حكمة هي قولنا قضى الامر وفي (ص) صدق الله وقد ذكرنا ان الحروف تنبهات قدمت على القرآن ليبقى السامع مقبلا على استماع ما يرد عليه فلا يفوته من الكلام الرائق والمعنى العائق \* وذكرنا ايضا ان العبادة منها قلبية

( ان الله يعلم غيب السموات والارض ) اى ما غاب فيهما (والله بصير بما تعملون) في سركم وعلايتكم فكيف يخفى عليه مافي ضمائركم وقرئ بالياء \* عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات اعطى من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

\* (سورة ق مكية وهي خمس)

(واربعون آية) \*

\*(بسم الله الرحمن الرحيم) \*

( ق والقرآن المجيد ) اى ذى الحمد والشرف على سائر الكتب ولانه كلام المحمدي الاول من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذى فصل في مطلع سورة ص وقوله تعالى

ومنها لسانية ومنها جارحية ظاهرة ووجد في الجارحية ما عقل معناه ووجد منها ما لم يعقل معناه كاعمال الحج من الرمي والسعي وغيرهما ووجد في القلبية ما عقل بدليل كعلم التوحيد وامكان الخسر وصفات الله تعالى وصدق الرسل ووجد فيها ما يبعدها عن كونها معقولة المعنى امور لا يمكن التصديق والحزم بها لولا السمع كالصراط الممدود الاخذ من السيف الارق من الشعر والميزان الذي يوزن به الاعمال فكذلك كان ينبغي ان تكون الاذكار التي هي العبادة اللسانية منها ما يعقل معناه كجميع القرآن الا قليلا منه ومنها ما لا يعقل ولا يفهم كحرف التمجى لكون التلفظ به محض الانتقاد للامر لا لما يكون في الكلام من طيب الحكاية والقصد الى غرض كقولنا ربنا اغفر لنا وارحنا بل يكون النطق تعبدًا محضًا ويؤيد هذا وجه آخر وهو ان هذه الحروف مقسم بها وذلك لان الله تعالى لما قسم بالتين والتيتون كان تشريفا لهما فاذا اقسام بالحروف التي هي اصل الكلام الشريف الذي هو دليل المعرفة وآلة التعريف كان اولي واذا عرفت هذا فنقول على هذا فيه مباحث (الاول) القسم من الله وقع بأمر واحد كما في قوله تعالى والعصر وقوله تعالى والنجم وبحرف واحد كما في قوله تعالى ص و ن و وقع بأمرين كما في قوله تعالى والضحى والليل اذا سجي وفي قوله تعالى والسماء والطارق وبحرفين كما في قوله تعالى طه وطس ويس وجم وبناتة امور كما في قوله تعالى والصفات فالزاجرات فالتاليات وبناتة احرف كما في الم وفي طسم والرو بأربعة امور كما في والذاريات وفي والسماء ذات البروج وفي والتين وبأربعة احرف كما في المص والمر وبخمس امور كما في والطور وفي والمرسلات وفي والنازعات وفي والفجر وبخمس احرف كما في كهيعص وجم عسق ولم يقسم بأكثر من خمسة اشياء الا في سورة واحدة وهي الشمس وضحاها ولم يقسم بأكثر اصول لانه يجمع كلمة الاستنقال ولما استنقل حين ركب لمعنى كان استنقالها حين ركب من غير احاطة العلم بالمعنى اولا لمعنى كان اشد (البحث الثاني) عند القسم بالاشياء الممهودة ذكر حرف القسم وهي الواو فقال والطور والنجم والشمس وعند القسم بالحروف لم يذكر حرف القسم فلم يقل وق وجم لان القسم لما كان بنفس الحروف كان الحرف مقسمًا به فلم يورده في موضع كونه آلة القسم تسوية بين الحروف \* (البحث الثالث) اقسام الله بالاشياء كالتين والطور ولم يقسم بأصولها وهي الجواهر الفردة والماء والتراب ١ واقسم بالحروف من غير تركيب لان الاشياء عنده بركبها على احسن حالها واما الحروف ان ركبت بمعنى يقع الحلف بمعناه لا باللفظ كقولنا والسماء والارض وان ركبت لابعنى كان المفرد اشرف فاقسم بمفردات الحروف (البحث الرابع) اقسام بالحروف في اول ثمانية وعشرين سورة وبالاشياء التي عددها عدد الحروف وهي غير الشمس في اربع عشرة سورة لان القسم بالامور غير الحروف وقع في اوائل السور وفي اثنائها كقوله تعالى كلا والقمر والليل اذا دبر وقوله تعالى والليل وما وسق وقوله والليل اذا عسعس والقسم بالحروف لم يوجد ولم يحسن الا في اوائل السور لان ذكر ما لا يفهم معناه في اثناء

(بل يحبوا ان جاءهم منذر منهم)  
اي لان جاءهم منذر من جنسهم  
لا من جنس الملك او من جلدتهم  
اضراب عما ينهى عنه جواب  
القسم المحذوف كأنه قبل  
والقرآن المجيد انزلناه اليك  
لتنذره الناس حسبما ورد في  
صدر سورة الاعراف كأنه قيل  
بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا

الكلام المنظوم المفهوم يخل بالفهم ولما كان القسم بالاشياء له موضعان والقسم بالحروف له موضع واحد جعل القسم بالاشياء في اوائل السور على نصف القسم بالحروف في اوائلها ( البحث الخامس ) القسم بالحروف وقع في النصفين جميعا بل في كل سبع وبالاشياء المعدودة لم يوجد الا في النصف الاخير بل لم يوجد الا في السبع الاخير غير والصفات وذلك لانا بينا ان القسم بالحروف لم ينفك عن ذكر القرآن او الكتاب او التنزيل بعده الا نادرا فقال تعالى يس والقرآن الحكيم حم تنزيل الكتاب الم ذلك الكتاب ولما كان جميع القرآن معجزة مؤداة بالحروف وجد ذلك عاما في جميع المواضع ولا كذلك القسم بالاشياء المعدودة وقد ذكرنا شيئا من ذلك في سورة العنكبوت \* ولندكر ما يختص بقاف قيل انه اسم جبل محيط بالارض عليه اطراف السماء وهو ضعيف لوجوه (احدها) ان القراءة الكثيرة الوقف ولو كان اسم جبل لما جاز الوقف في الادراج لان من قال ذلك قال بان الله تعالى اقسامه (ثانيها) انه لو كان كذلك لذكر بحرف القسم كما في قوله تعالى والطور وذلك لان حرف القسم يحذف حيث يكون القسم به مستحقا لان يقسم به كقولنا الله لافعلن كذا واستحقاقه لهذا غنى عن الدلالة عليه باللفظ ولا يحسن ان يقال زيد لافعلن (ثالثها) هو انه لو كان كذا ذكر لكان يكتب قاف مع الالف والفاء كما يكتب عين جارية ويكتب أليس الله بكاف عبده وفي جميع المصاحف يكتب حرف ق (رابعها) هو ان الظاهر ان الامر فيه كالامر في ص ون وحم وهي حروف لا كلمات وكذلك في ق \* فان قيل هو منقول عن ابن عباس نقول المنقول عنه ان ق اسم جبل واما ان المراد في هذا الموضع به ذلك فلا وقيل ان معناه قضى الامر وفي ص صدق الله وقيل هو اسم الفاعل من قفا يقفو وص من صاد من المصاداة وهي المعارضة ومعناه هذا قاف جميع الاشياء بالكشف ومعناه حينئذ هو قوله تعالى ولا تطرب ولا يابس الا في كتاب مبين اذ قلنا ان الكتاب هناك القرآن هذا ما قيل في ق \* واما القراءة فيه فكثيرة وحصرها بيان معناها فنقول ان قلنا هي مبنية على ما بينا فحقها الوقف اذ لا عامل فيها فيشبه بناء الاصوات ويجوز الكسر حذرا من التقاء الساكنين ويجوز الفتح اختيارا للاخف فان قيل كيف جاز اختيار الفتح ههنا ولم يجز عند التقاء الساكنين اذا كان احدهما آخر كلمة والآخر أول اخرى كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا ولا تطرد الذين نقول لان هناك انما وجب التحريك وعين الكسر في الفعل لشبهة تحريك الاعراب لان الفعل محل ودعليه الرفع والنصب ولا يوجد فيه الجر فاخترت الكسرة التي لا تخفى على احد انها ليست بجر لان الفعل لا يجوز فيه الجر ولو فتح لاشتبه بالنصب واما في اوائل الاسماء فلا اشتباه لان الاسماء محل ترد عليه الحركات الثلاث فلم يكن يمكن الاحتراز فاخترنا الاخف واما ان قلنا انها حرف مقسم به فحقها الجر ويجوز النصب يجعله مفعولا باقسم على وجه الاتصال وتقدير الباء كأن ام يوجد وان قلنا هي اسم السورة فان قلنا مقسم بهامع ذلك فحقها الفتح لانها

كلا من المنذر والمندبر به عرضة  
للتكبر ولتجرب مع كونهما  
اوفق شئ لقضية العقول واقربه  
الى التلقى بالقبول وقيل التقدير  
والقرآن المجيد انك لنذرهم قيل  
بعده انهم شكوا فيه ثم اضرب  
عنه وقيل بل يحبوا ان لم يكتبوا  
بالشك والرد بل جزموا بالخلاف  
حتى جعلوا ذلك من الامور الجهمية  
وقيل هو اضرب عما يفهم من



لأنصرف حيثنذ ففتح في موضع الجر كما تقول وإبراهيم واحداً في القسم بهما وإن قلنا أنه ليس مقسماً بهما وقلنا اسم السورة فحقها الرفع أن جعلناها خبراً تقديره هذه هي وإن قلنا هو من قفا يقفو فحقه التنوين كقولنا هذا داع وراع وإن قلنا اسم جبل فالجر والتنوين إن كان قسماً ولنعدي التفسير فقوله الوصف قد يكون للتمييز وهو الأكثر كقولنا الكلام القديم لتمييزه عن الحادث والرجل الكريم لتمييزه عن التميم وقد يكون لمجرد المدح كقولنا الله الكريم إذ ليس في الوجود الله آخر حتى نميزه عنه بالكريم وفي هذا الموضع يحتمل الوجهين والظاهر أنه لمجرد المدح وأما التمييز فبأن نجعل القرآن اسماً للقراءة ويدل عليه قوله تعالى ولو أن قرآننا سرت به الجبال (والمجيد) العظيم وقيل المجيد هو كثير الكرم وعلى الوجهين القرآن مجيد أما على قولنا المجيد هو العظيم فلأن القرآن عظيم الفائدة ولأنه ذكر الله العظيم وذكر العظيم عظيم ولأنه لم يقدر عليه أحد من الخلق وهو آية العظمة يقال ملك عظيم إذا لم يكن يغلب ويدل عليه قوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم أي الذي لا يقدر على مثله أحد ليكون معجزة دالة على نبوتك وقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ أي محفوظ من أن يطلع عليه أحد إلا بإذنه تعالى فلا يبدل ولا يغير ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو غير مقدور عليه فهو عظيم وأما على قولنا المجيد هو كثير الكرم فالقرآن كريم كل من طلب منه مقصوده وجده وأنه معنى كل من لا ذبه واغناء المحتاج غاية الكرم ويدل عليه هو أن المجيد مقرون بالمجيد في قولنا أنك جيد مجيد فالمجيد هو المشكور والشكور على الأنعام والمنعم كريم فالمجيد هو الكريم البالغ في الكرم وفيه مباحث (الاول) القرآن مقسم به فالتقسيم عليه ماذا نقول فيه وجوه وضبطها بأن نقول ذلك إما أن يفهم بقرينة حالبة أو قرينة مقابلية والمقابلية إما أن تكون مقدمة على المقسم به أو متأخرة فإن قلنا بأنه مفهوم من قرينة مقابلية مقدمة فلا تقدم هناك لفظاً إلا فيكون التقدير هذا في القرآن المجيد أوق اتزلهما الله تعالى والقرآن كما يقول هذا حاتم والله أي هو المشهور بالسخاء أو يقول الهلال رأيته والله وإن قلنا بأنه مفهوم من قرينة مقابلية متأخرة فنقول ذلك أمران أحدهما المنذر والناني الرجوع فيكون التقدير والقرآن المجيد أنك المنذر أو والقرآن المجيد أن الرجوع لكأن لأن الأمرين وردا القسم عليهما ظاهراً أما الاول فيدل عليه قوله تعالى يس والقرآن الحكيم أنك لمن المرسلين إلى أن قال لتنذر قوما ما اندر آباؤهم وأما الثاني فدل عليه قوله تعالى والطور وكتاب مسطور إلى أن قال إن عذاب ربك لواقع وهذا الوجه يظهر غاية الظهور على قول من قال في اسم جبل فإن القسم يكون بالجبل والقرآن وهناك القسم بالطور والكتاب المسطور وهو الجبل والقرآن. فإن قيل أي الوجهين منهما أظهر عندك قلت الاول لأن المنذر أقرب من الرجوع ولأن الحروف رأيناها مع القرآن والمقسم كونه مرسلًا ومنذراً ومارأينا الحروف ذكرت وبعدها الحسروا اعتبر ذلك في سور منها

وصف القرآن بالمجيد كما أنه قيل ليس سبب امتناعهم من الإيمان بالقرآن أنه لا يجده ولكن لجهلهم (فقال الكافرون هذا شيء عجيب) تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارناً لغاية الإنكار مع زيادة تفصيل محل التعجب وهذا إشارة إلى كونه عليه الصلاة والسلام

قوله تعالى المتنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتستذر ولان القرآن معجزة دالة على كون محمد رسول الله فالقسم به عليه يكون اشارة الى الدليل على طريقة القسم وليس هو نفسه دليلا على الحشر بل فيه امارات مفيدة للجزم بالحشر بعد معرفة صدق الرسول واما ان قلنا هو مفهوم بقرينة حالبة فهو كون محمد صلى الله عليه وسلم على الحق ولكلامه صفة الصدق فان الكفار كانوا ينكرون ذلك والمختار ما ذكرناه (المبحث الثاني) بل يحبوا يقتضي ان يكون هناك امر مضرب عنه فاذالك نقول قال الواحدى ووافقه الزمخشري انه تقدير قوله ما الامر كما يقولون وتزيده وضوحا فنقول على ما اخترناه فان التقدير والله اعلم ق والقرآن المجيد انك لتستذركا انه قال بعده وانهم شكوا فيه فأضرب عنه وقال تعالى (بل يحبوا ان جاءهم منذر) بمعنى لم يقتنعوا بالشك في صدق الامر وطرحه بالتزك وبعد الامكان بل جزموا بخلافه حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة فان قيل فا الحكمة في هذا الاختصار العظيم في موضع واحد حذف المقسم عليه والمضرب عنه واتى بأمر لا يفهم الا بعد الفكر العظيم ولا يفهم مع الفكر الا بالتوفيق العزيز فنقول انما حذف المقسم عليه لان التزك في بعض المواضع يفهم منه ظهور لا يفهم من الذكرو ذلك لان من ذكر الملك العظيم في مجلس واثني عليه يكون قد عظمه فاذا قاله غيره هو لا يذكرك في هذا المجلس يكون بالارشاد الى ترك الذكردا لاعلى عظمته فوق ما يستفيد صاحبه بذكره قاله تعالى يقول لبيان رسالتك اظهر من ان يذكر واما حذف المضرب عنه فلان المضرب عنه اذا ذكر واضرب عنه بأمر آخر انما يحسن اذا كان بين المذكورين تفاوت ما فاذا عظم التفاوت لا يحسن ذكرهما مع الاضراب مثاله يحسن ان يقال الوزير يعظم فلانا بل الملك يعظمه ولا يحسن ان يقال البواب يعظم فلانا بل الملك يعظمه لكون البون بينهما بعيدا اذا الاضراب للتدرج فاذا ترك المتكلم المضرب عنه صريحا وأتى بحرف الاضراب استفيد منه امران احدهما انه يشير الى امر آخر قبله وثانيهما انه يجعل الثاني تفاوتا عظيما مثل ما يكون وما لا يذكر وههنا كذلك لان الشك بعد قيام البرهان بعيد لكن القطع بخلافه في غاية ما يكون من البعد (المبحث الثالث) ان مع الفعل يكون بمثابة ذكر المصدر تقول امرت بأن اقوم وامرت بالقيام وتقول ما كان جوابه الا ان قال وما كان جوابه الا قوله كذا وكذا واذا كان كذلك فلم ينزل عن الاتيان بالمصدر حيث جاز ان يقال امرت ان اقوم من غير حرف الا لصاق ولا يجوز ان يقال امرت القيام بل لابد من الباء ولذلك قالوا اى عجبوا من مجيئه نقول ان جاءهم وان كان في المعنى قائما مقام المصدر لكنه في الصورة فعل وحرف وحروف التعدي كلها حروف جارة والجار لا يدخل على الفعل فكان الواجب ان لا يدخل فلا قل من ان يجوز عدم الدخول فجاز ان يقال عجبوا ان جاءهم ولا يجوز عجبوا مجيئهم لعدم المانع من ادخال الحرف عليه وقوله تعالى (منهم) يصلح ان يكون مذكورا كالمقرر

منذرا بالقرآن واضمارهم اولا  
للاشعار بتعينهم بما اسند اليهم  
واظهارهم ثانيا للسجيل عليهم  
بالكفر بموجبه او عطف لتعجبهم  
من البعث على تعجبهم من البعث  
على ان هذا اشارة الى مبهم يفسره  
ما بعده من الجملة الانكارية ووضع  
المظهر موضع المضمرة اما لسبق

لتعجبهم ويصلح ان يكون مذكور الابطال تعجبهم اما التقرير فلا ثمهم كانوا يقولون ابشرا  
 منا واحدا تتبعه وقالوا ما اتمم الابطال مثلنا اشارة الى انه كيف يجوز اختصاصكم بهذه  
 المنزلة الرفيعة مع اشتراكنا في الحقيقة والواجب واما الابطال فلانه اذا كان واحدا منهم  
 ويرى بين اظهرهم وظهر عليه ما يجز عنه كلهم ومن بعدهم كان يجب عليهم ان يقولوا  
 هذا ليس من عنده ولا من عند احد من جنسنا فهو من عند الله بخلاف ما لوجاء هم واحد من  
 خلاف جنسهم واني بما يجزون عنه فانهم كانوا يقولون نحن لانقدر لان لكل نوع خاصية  
 فان خاصية النعامة بلع النار والطيور الطير في الهواء وابن آدم لا يقدر عليه فان قيل  
 الابطال جائز لان قولهم كان باطلا ولكن تقرير الباطل كيف يجوز فنقول المبين لبطلان  
 الكلام يجب ان يورده على ابلغ ما يمكن ويذكر فيه كل ما توهم انه دليل عليه ثم يبطله  
 فذلك قال عجبتم بسبب انه منكم وهو في الحقيقة سبب لهذا التعجب فان قيل النبي صلى  
 الله عليه وسلم كان بشيرا ونذيرا والله تعالى في جميع المواضع قدم كونه بشيرا على كونه  
 نذيرا فلم يذكر عجبوا ان جاءهم بشير منهم فنقول هو لما لم يتعين البشارة موضعا كان في حقهم  
 منذرا لا غير \* ثم قال تعالى ( فقال الكافرون هذا شيء عجيب ) قال ان تخشروا هذا التعجب  
 آخر من امر آخر وهو الخشوع الذي اشار اليه بقوله ائذنا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد  
 فعجبوا من كونه منذرا ومن وقوع الخشوع ويدل عليه النظر في اول سورة ص حيث قال  
 فيه وعجبوا ان جاءهم منذر وقال اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا شيء عجيب ذكر  
 تعجبهم من امرين والظاهر ان قولهم هذا شيء عجيب اشارة الى مجيء المنذر لا الى الخشوع  
 ويدل عليه وجوه ( الاول ) هو ان هناك ذكر ان هذا شيء عجيب بعيد الاستفهام الانكارى  
 فقال اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا شيء عجيب وقال ههنا هذا شيء عجيب ولم يكن  
 ما يقع الاشارة اليه الا مجيء المنذر \* ثم قالوا ائذنا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد ( الثاني )  
 ههنا وجد بعد الاستبعاد بالاستفهام امر يؤدى معنى التعجب وهو قولهم ذلك رجع  
 بعيد فانه استبعاد وهو كالتعجب فلو كان التعجب ايضا ما ائذنا اليه لكان كالتكرار فان قيل  
 التكرار الصريح يلزم من جعل قولك هذا شيء عجيب عائدا الى مجيء المنذر فان تعجبهم  
 منه علم من قوله عجبوا ان جاءهم فقوله هذا شيء عجيب يكون تكرارا نقول ذلك ليس بتكرار  
 بل هو تقرير وذلك لانه لما قال بل عجبوا بصيغة الفعل وجاز ان تعجب الانسان مما لا يكون  
 عجيبا كما قال تعالى ان تعجبين من امر الله ويقال في العرف لا وجه لتعجبك مما ليس بعجب  
 فكأنهم لما عجبوا قيل لهم لا معنى لفعلكم وعجبكم فقالوا هذا شيء عجيب فكيف لا تعجب  
 منه ويدل عليه انه تعالى قال ههنا فقال الكافرون بحرف الفاء وقال في ص وقال  
 الكافرون هذا ساحر كذاب لان قولهم ساحر كذاب كان تغنا غير مرتب على ما تقدم  
 وهذا شيء عجيب امر مرتب على ما تقدم اى عجبوا وانكروا عليه ذلك فقالوا هذا شيء  
 عجيب فكيف لا تعجب منه ويدل عليه ايضا قوله تعالى ذلك رجع بعيد بلفظ الاشارة الى

اتصافهم بما يوجب كفرهم واما  
 للايدان ان تعجبهم من البعث  
 لدلالته على استقصارهم لقدرة  
 الله سبحانه عنه مع معانيته  
 لقدرة تعالى على ما هو اشق منه  
 في قياس العقل من مصنوطاته  
 البديعة اشنع من الاول واعرق  
 في كونه كفرا

البعد وقوله هذا إشارة الى الحاضر القريب فينبغي ان يكون المشار اليه بذلك غير المشار اليه بهذا وذلك لا يصح الاعلى قولنا ﴿ ثم قال تعالى ﴾ (أُتْمَأْمِتُنَا وَكُنَّا تَرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) فانهم لما اظهروا العجب من رسالته اظهروا استبعاد كلامه وهذا كما قال تعالى عنهم قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى ، وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله أُتْمَأْمِتُنَا وَكُنَّا تَرَابًا انكار منهم بقول او بمفهوم دل عليه قوله تعالى جاءهم منذر لان الانذار لما لم يكن الا بالاعذاب المقيم والعقاب الاليم كان فيه الاشارة للحشر فقالوا أُتْمَأْمِتُنَا وَكُنَّا تَرَابًا (المسئلة الثانية) ذلك اشارة الى ما قاله وهو الانذار وقوله هذا شئ عجيب اشارة الى العجى على ما قلنا فلما اختلفت الصفتان نقول المجىء والجاتى سئل واحد حاضر واما الانذار وان كان حاضرا لكن كون المنذره لما كان غير حاضر قالوا فيه ذلك والرجع مصدر رجوع اذا كان متعبدا والرجوع مصدره اذا كان لازما وكذلك الرجعى مصدر عند نزومه والرجع ايضا يصح مصدر لازم فيحتمل ان يكون المراد بقوله ذلك رجوع بعيد ويحتمل ان يكون المراد الرجوع المتعدى ويدل على الاول قوله تعالى ان الى ربك الرجعى وعلى الثانى قوله تعالى اُنْشَأْ لِرَمَدٍ دُونَ اِيٍّ مَرَجْعُونَ فَانَّهُمْ مِنَ الرَّجْعِ الْمُتَعَدَّى فَانْ قُلْنَا هُوَ مِنَ الْمُتَعَدَّى فَقَدَانْ كَرُوا كَوْنَهُ مَقْدُورًا فِي نَفْسِهِ ﴿ ثُمَّ اَنْ اَللّٰهُ تَعَالٰى قَالَ ﴾ ( قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْاَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ) اشارة الى دليل جواز البعث وقدرته تعالى عليه وذلك لان الله تعالى عالم بجميع اجزاء كل واحد من الموقى لا يشبهه عليه جزء احد على الآخر وقادر على الجمع والتأليف فليس الرجوع منه بعيد وهذا كقوله تعالى وهو الخلاق العليم حيث جعل للعلم مدخلا فى الاعادة وقوله قد علمنا ما تنقص الارض يعنى لا تخفى علينا اجراؤهم بسبب تشتتها فى تخوم الارضين وهذا جواب لما كانوا يقولون اُنْشَأْ لَنَا فِي الْاَرْضِ يَعْنِى اَنْ ذَلِكْ اِشَارَةٌ اِلَى اَنْهُ تَعَالٰى كَيْ يَعْلَمَ اَجْزَاءَهُمْ يَعْلَمُ اَعْمَالَهُمْ مِنْ ظُلْمِهِمْ وَتَعْدِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَقُولُونَ وَبِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَيَحْتَمِلُ اَنْ يُقَالَ مَعْنٰى قَوْلِهِ تَعَالٰى وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ هُوَ اَنْهُ عَالِمٌ بِتَفَاصِيلِ الْاَشْيَاءِ وَذَلِكَ لِاَنْ الْعِلْمَ اِجَالِيَّ وَتَفْصِيلِيَّ فَلَا يَجَالِيَّ كَمَا يَكُونُ عِنْدَ الْاِنْسَانِ الَّذِى يَحْفَظُ كِتَابًا وَيَفْهَمُهُ وَيَعْلَمُ اَنْهُ اِذَا سَأَلَ عَنْ اَيَّةِ مَسْئَلَةٍ تَكُونُ فِي الْكِتَابِ يَحْضُرُ عِنْدَهُ الْجَوَابُ وَلَكِنْ ذَلِكْ لَا يَكُونُ نَصَبٌ عَلَيْهِمْ حَرْفًا بِحَرْفٍ وَلَا يَخْطُرُ بِأَلِهَةٍ فِي حَالَةِ بَابِ الْاَوْفَصِلَا فَصِلَا وَلَكِنْ عِنْدَ الْعَرَضِ عَلَى الذَّهْنِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَجْدِيدِ فِكْرٍ وَتَحْدِيدِ نَظَرٍ وَتَفْصِيلِيٍّ مِثْلَ الَّذِى يَعْبُرُ عَنِ الْاَشْيَاءِ وَالْكِتَابِ الَّذِى كُتِبَ فِيهِ تِلْكَ الْمَسَائِلُ وَهَذَا لَا يَوْجَدُ عِنْدَ الْاِنْسَانِ اِلَّا فِي مَسْئَلَةٍ وَمَسْئَلَتَيْنِ اِمَّا بِالنَّسْبَةِ اِلَى كِتَابٍ فَلَا يُقَالُ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ يَعْنِى الْعِلْمُ عِنْدِي كَمَا يَكُونُ فِي الْكِتَابِ اَعْلَمُ جُزْأً وَشَيْئًا شَيْئًا وَالْحَفِيفُ يَحْتَمِلُ اَنْ يَكُونَ مَعْنٰى الْمَحْفُوظِ اَيَّ مَحْفُوظٍ مِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ وَيَحْتَمِلُ اَنْ يَكُونَ مَعْنٰى الْحَافِظِ اَيَّ حَافِظٍ اَجْزَاءَهُمْ وَاعْمَالَهُمْ بِحَيْثُ لَا يَنْسِي شَيْئًا مِنْهَا وَالتَّانِي هُوَ الْاَصَحُّ لَوْ جُهِدَ (اَحَدُهُمَا) اَنْ الْحَفِيفُ بِمَعْنٰى الْحَافِظِ

( اُنْشَأْ لَنَا وَكُنَّا تَرَابًا ) تَفْرِيرٌ لِلْعَجَبِ وَتَأْكِيدٌ لِلانْكَارِ وَالْعَامِلُ فِي اِذَا مُضْمَرٌ غَنَى عَنِ الْبَيَانِ لِعَالِيَةِ شَهْرَتِهِ مَعَ دَلَالَةِ مَا بَعْدَهُ عَلَيْهِ اَيَّ اَحْيَا نَمُوتُ وَنُصِيرُ تَرَابًا رَجْعُ كَمَا يَنْطَقُ بِهِ النَّذِيرُ وَالْمُنْذِرُ مَعَ كَلِّ التَّبَايُنِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْحَيَاةِ حَيْثُ نَذِيرٌ وَقُرْءٌ اِذَا مَتَنَّا عَلَى لَفْظِ الْخَبَرِ اَوْ عَلَى حَذْفِ اِدَاةِ الْاِنْكَارِ ( ذَلِكْ ) اِشَارَةٌ اِلَى مَحَلِّ التَّزَاوُعِ ( رَجْعٌ بَعِيدٌ ) اَيَّ عَنِ الْاَوْهَامِ اَوْ الْعَادَةِ اَوْ اَلْاِمْكَانِ وَقِيلَ الرَّجْعُ بِمَعْنٰى الْمَرْجُوعِ الَّذِى هُوَ الْحَوَابُ فَنَاصِبُ الطَّرَفِ حَيْثُ نَذِيرٌ مَائِنٌ عَنْهُ الْمُنْذَرُ مِنَ الْبَعْثِ

وارد في القرآن قال تعالى وما انت عليهم بحفيظ وقال تعالى والله حفيظ عليهم (وثانيهما) ان الكتاب على ما ذكرنا للتشليل فهو يحفظ الاشياء وهو مستغن عن ان يحفظ \* وقوله تعالى (بل كذبوا بالحق) رد عليهم فان قيل ما المضروب عنه نقول فيه وجهان (احدهما) تقديره لم يكذب المنذر بل كذبواهم وتقديره هو انه تعالى لما قال عنهم انهم قالوا هذا شيء عجيب كان في معنى قولهم ان المنذر كاذب فقال تعالى لم يكذب المنذر بل هم كذبوا فان قيل ما الحق نقول يحتمل وجوها (الاول) البرهان القائم على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (الثاني) الفرقان المنزل وهو قريب من الاول لانه برهان (الثالث) النبوة الباتة بالمجزة القاهرة فانها حق (الرابع) الحشر الذي لا بد من وقوعه فهو حق فان قيل بين لنا معنى الباء في قوله تعالى بالحق واية حاجة اليها يعني ان التكذيب متعبد بنفسه فهل هي التعبدية الى مفعول ثان او هي زائدة كافي قوله تعالى فستبصر ويبصرون بأيكم الفتون نقول فيه بحث وتحقيق وهي في هذا الموضع لاظهار معنى التعبدية وذلك لان التكذيب هو النسبة الى الكذب لكن النسبة تارة توجد في القائل واخرى في القول تقول كذبت فلان وكنت صادقا وتقول كذب فلان قول فلان ويقال كذبه اى جعله كاذبا وتقول قلت لفلان زيدا يحكي غدا فتأخر عما احتجى كذبتى وكذب قولى والتكذيب في القائل يستعمل بالباء وبدونها قال تعالى كذبت نمود المرسلين وقال تعالى كذبت نمود بالندر وفي القول كذلك غير ان الاستعمال في القائل بدون الباء اكثر قال تعالى فكذبوه وقال وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك الى غير ذلك وفي القول الاستعمال بالباء اكثر قال الله تعالى كذبوا باياتنا كلها وقال كذبوا بالحق وقال تعالى وكذب بالصدق اذ جاءه و التحقيق فيه هو ان المفعول المطلق هو المصدر لانه هو الذى يصدر من الفاعل فان من ضرب لم يصدر منه غير الضرب غير ان له محلا يقع فيه فيسمى مضروبا ثم اذا كان ظاهرا لكونه محلا للفعل يستغنى بظهوره عن الحرف فيعدى من غير حرف يقال ضربت عمرا وشربت خرا للعلم بأن الضرب لابد له من محل يقوم به والترب لا يستغنى عن مشروب يتحقق فيه واذا قلت مررت يحتاج الى الحرف ليظهر معنى التعبدية لعدم ظهوره في نفسه لان من قال مر السحاب يفهم منه مروره ولا يفهم منه من مر به ثم ان الفعل قديكون في الظهور دون الضرب والشرب وفي الخفاء دون المرور فيجوز الاتيان فيه بدون الحرف لظهوره الذى فوق ظهور المرور ومع الحرف لكون الظهور دون ظهور الضرب ولهذا لا يجوز ان تقول ضربت بعمر والاذا جعلته آلة الضرب اما اذا ضربته بسوط او غيره فلا يجوز فيه زيادة الباء ولا يجوز مروا به الامع الاشتراك وتقول مسحته ومسحت به وشكرته وشكرت له لان المسح امرار اليد بالشيء فصار كالمرور والشكر فعل جليل غير أنه يقع بمحسن فالاصل في الشكر الفعل الجميل وكونه واقعا بغيره كالبيع بخلاف الضرب فانه اساس جسم يحسم بعنف فالمضروب داخل في مفهوم الضرب اولا والمشكور

(قد علمنا ما تنقص الارض منهم) رد لاستبعادهم واذا حله فان من علم ولطف حتى انتهى الى حيث علم ما تنقص الارض من اجساد الموتى وبأكل من لحومهم وعظامهم كيف يسنبعد رجعه اياهم احياء كما كانوا عن النى صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وقيل ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم (وعندنا كتاب حفيظ) حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات الاشياء وجزئياتها يعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شيء او يؤكد لعله تعالى بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده (بل كذبوا بالحق) اضراب وانتقال من بيان شاعتهم الساقطة الى بيان ما هو اشنع منه واطلع

داخل في مفهوم الشكر ثانيا اذا عرفت هذا فالتكذيب في القائل ظاهر لانه هو الذي  
بصدق او يكذب وفي القول غير ظاهر فكان الاستعمال فيه بالباء أكثر والباء فيه لظهور  
معنى التعبدية \* وقوله تعالى (لما جاءهم) في الجاني وجهان (احدهما) انه هو المكذب تقديره  
كذبوا بالحق لما جاءهم الحق اي لم يؤخروه الى الفكر والتدبر (ثانيهما) الجاني ههنا هو  
الجاني في قوله تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم تقديره كذبوا بالحق لما جاءهم المنذر  
والاول لا يصح على قولنا الحق هو الرجوع لانهم لا يكذبون به وقت المجيء بل يقولون هذا  
ما وعد الرحمن \* وقوله تعالى (فهم في امر مريب) اي مختلف مختلط قال الزجاج وغيره لانهم تارة  
يقولون ساحروا أخرى شاعروا طوراً ينسبونه الى الكهانة وأخرى الى الجنون والاصح ان  
يقال هذا بيان الاختلاف المذكور في الآيات وذلك لان قوله تعالى بل عجبوا يدل على امر  
سابق اضرب عنه وقد ذكرنا الشك وتقديره والقرآن المجيد انك لمنذر وانهم شكوا  
فيك بل عجبوا بل كذبوا وهذه مراتب ثلاث (الاولى) الشك وفوقها التعجب لان الشاك  
يكون الامران عنده سيين والتعجب يترجح عنده اعتقاد عدم وقوع العجيب لكنه  
لا يقطع به والمكذب الذي يحزم بخلاف ذلك فكأنهم كانوا شاكين وصاروا ظانين وصاروا  
جازمين فقال فهم في امر مريب ويدل عليه الفاء في قوله فهم لانه حينئذ يصير كونههم في امر  
مريب مرتبا على ما تقدم وفيما ذكره لا يكون مرتبا فان قيل المريب المختلط وهذه امور  
مرتبة متميزة على مقتضى العقل لان الشاك ينتهي الى درجة الظن والظان ينتهي الى درجة  
القطع وعند القطع لا يبقى الظن وعند الظن لا يبقى الشك واما ما ذكره فقيه يحصل  
الاختلاط لانهم لم يكن لهم في ذلك ترتيب بل تارة كانوا يقولون كاهن واخرى مجنون ثم  
كانوا يعودون الى نسبته الى الكهانة بعد نسبته الى الجنون وكذا الى الشعر بعد الحجر  
والي شعر بعد الشعر فهذا هو المريب نقول كان الواجب ان ينتقلوا من الشك الى الظن  
بصدقه لعلمهم بأمانته واجتنابه الكذب طول عمره بين اظهرهم ومن اظن الى القطع  
بصدقه لظهور المعجزات القاهرة على يديه ولسانه فلما غيروا الترتيب حصل عليه المرج  
ووقع الدرك مع المرج واما ما ذكره فاللائق به تفسير قوله تعالى انكم لفي قول مختلف لان  
ما كان يصدر منهم في حقه كان قولا مختلفا واما الشك والظن والجزم فامور مختلفة وفيه  
لطيفة وهي ان اطلاق لفظ المريب على ظنهم وقطعهم ينفي عن عدم كون ذلك الجزم صحيحا  
لان الجزم الصحيح لا يتغير وكان ذلك منهم واجب التغير فكان أمرهم مضطربا بخلاف  
المؤمن الموفق فانه لا يقع في اعتقاده تردد ولا يوجد في معتقده تعدد \* ثم قال تعالى  
(افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) اشارة الى الدليل  
الذي يدفع قولهم ذلك رجع بعد وهذا كما في قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات  
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق  
الناس وقوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي مخلقه بقادر

وهو تكذيبهم للنبوة الشابتة  
بالمعجزات الباهرة (لما جاءهم) من  
غير تأمل وتفكر وقرئ لما جاءهم  
بالكسر على ان اللام للتوعد  
اي وقت مجيئه اياهم وقيل الحق  
القرآن أو الاخبار بالبعث (فهم  
في امر مريب) اي مضطرب لا قرار  
له من مرج الحاتم في اصبه حيث  
يقولون تارة انه شاعر وتارة ساحر  
واخرى كاهن (افلم ينظروا) اي  
أعقلوا أو أعلموا (افلم ينظروا) الى  
السماء فوقهم (بحيث يشاهدونها  
كل وقت) كيف بنيناها (اي  
رفعناها بغير عمد) وزيناها (بما  
فيها من الكواكب المرتبة على  
نظام بديع) وما لها من فروج  
من فتوق ملاستها وسلامتها من  
كل عيب وخلل ولعل بأحير  
هذا لمراعاة القواصل (والارض  
مددناها) اي بسطناها (والقينا  
فيها رواسي)

على ان يحكي الموقى بلى وفيه مسائل (المسئلة الاولى) همزة الاستفهام تارة تدخل على الكلام ولا وفيه تارة تدخل عليه وبعدها او فهل بين الحالتين فرق نقول فرق ادق بما على الفرق وهو ان يقول القائل ازيد في الدار بعد وقد طلعت الشمس يذكره لانكار فاذا قال اوزيد في الدار بعد وقد طلعت الشمس يشير بالواو اشارة خفية الى ان قبض فعله صار بمنزلة فعلين فيجب ان كانه يقول بعدما سمع من صدر عن زيد هو في الدار اغفل وهو في الدار بعد لان الواو تنبي عن ضيف امر مغاير لما بعده وان لم يكن هناك سابق لكنه يومي بالواو اليه زيادة في الانكار فان قيل قال في موضع او لم ينظروا وقال ههنا افلم ينظروا بالفاء فما الفرق نقول ههنا سبق منهم انكار الرجوع فقال بحرف التعقيب بمخالفة فان قيل ففي يس سبق ذلك بقوله قال من يحكي العظام نقول هناك الاستدلال بالسموات لمسلم يعقب الانكار على عقيب الانكار استدلال بدليل آخر وهو قوله تعالى قل يحبسها الذي انشأها اول مرة ثم ذكر الدليل الآخر وههنا الدليل كان عقيب الانكار فذكر بالفاء واما قوله ههنا بلفظ النظرو في الاحقاف بلفظ الرؤية فقيه لطيفة وهي انهم ههنا لما استبعدوا امر الرجوع بقولهم ذلك رجع بعيد استبعد استبعادهم وقال افلم ينظروا الى السماء لان النظر دون الرؤية فكان النظر كان في حصول العلم بانكار الرجوع ولا حاجة الى الرؤية ليقع الاستبعاد في مقابلة الاستبعاد وههنا لم يوجد منهم انكار مذكور فأرشدهم اليه بالرؤية التي هي اتم من النظر ثم انه تعالى كل ذلك وجهه بقوله الى السماء ولم يقل في السماء لان النظر في الشيء ينبي عن التأمل والمبالغة والنظر الى الشيء لا ينبي عنه لان الغاية فيتمى النظر عنده في الدخول في معنى الظرف فاذا انتهت النظر اليه ينبغي ان ينفذ فيه حتى يصح معنى الظرفية وقوله تعالى فوقهم تأكيد آخر أي وهو ظاهر فوق رؤسهم غير غائب عنهم وقوله تعالى كيف بنيها وزينها ومالها من فروج اشارة الى وجه الدلالة واولوية الوقوع وهي الرجوع اما وجه الدلالة فان الانسان له اساس هي العظام التي هي كالدمامة وقوى وانوار كالسمع والبصر فبناء السماء ارفع من اساس البدن وزينة السماء اكمل من زينة الانسان بلحم وشحم واما الالوية فان السماء مالها من فروج فتأليفها أشد وللا انسان فروج ومسام ولا شك ان التأليف الاشد كالنسج الاصفق والتأليف الاضعف كالنسج الاسخف والاول اصعب عند الناس واجب فكيف يستبعدون الادون مع علمهم بوجود الاعلى من الله تعالى قالت الفلاسفة الآية دالة على ان السماء لا تقبل الخرق وكذلك قالوا في قوله هل ترى من فطور وقوله سباعا شدادا وتعسفا وفيه لان قوله تعالى مالها من فروج صريح في عدم ذلك والاخبار عن عدم الشيء لا يكون اخبارا عن عدم امكانه فان من قال مال فلان قال لا يدل على نفي امكانه ثم انه تعالى بين خلاف قولهم بقوله واذا السماء فرجت وقال اذا السماء انفطرت وقال فهي يومئذ واهية في مقابلة قوله سباعا شدادا وقال فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان الى غير ذلك والكل

جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايدان بان لقاهما بارساء الارض بها (واثبتنا فيها من كل زوج) من كل صنف (يخرج) حسن (تبصرة وذكري) علتان للافعال المذكورة معنى وان اتصبتا بالفعل الاخير او لفعل مقدر بطريق الاستئناف اي فعلنا ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا (لكل عبد منيب) اي راجع الى ربه متفكر في بدائع صنائعه وقوله تعالى (ونزلنا من السماء ماء مباركا) اي كثير المنافع شروع في بيان كيفية انبات ما ذكر من كل زوج يخرج وهو عطف على اثبتنا وما بينهما على الوجه الاخير اعراض مقرر لما قبله ومنبه على ما بعده (فاتبتابه) اي بذلك الماء (جنات) كثيرة اي اشجار اذوات ثمار



في الرد عليهم صريح وماذكروه في الدلالة ليس بظاهر بل وليس له دلالة خفية ايضا وما  
 دليلهم المعقول فاضعف واسخف من تمسكهم بالمنقول \* ثم قال تعالى ( والارض مددناها  
 والقيافيهارواسى وابنتنا فيها من كل زوج بييج ) اشارة الى دليل آخر ووجه دلالة  
 الارض هو انهم قالوا الانسان اذامات وفارقت القوة الغازية والنامية لانعود اليه تلك  
 القوى فقول الارض اشد جودا واكثر جودا والله تعالى ينبت فيها انواع النبات وينمو  
 ويزيد فكذلك الانسان تعود اليه الحياة وذكر في الارض ثلاثة امور كما ذكر في السماء  
 ثلاثة امور في الارض المد والقاء الرواسى والانبات فيها وفي السماء البناء والترزين وسد  
 الفروج وكل واحد في مقابلة واحد فالمد في مقابلة البناء لان المد وضع والبناء رفع  
 والرواسى في الارض نابتة والكواكب في السماء مركوزة مزينة لها والانبات في  
 الارض سقمها كما قال تعالى انا صيبنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا وهو على خلاف سد  
 الفروج واعدامها اذا علمت هذا ففي الانسان اشياء موضوعة واشياء مرفوعة واشياء  
 نابتة كالانف والاذن واشياء متحركة كالقطة واللسان واشياء مسدودة الفروج كدور  
 الرأس والاعشى المنسوجة لسجا ضعيفا كالصفاق واشياء لها فروج وشقوق كالمنابر  
 والصماخ والفم وغيرها فالقادر على الاضداد في هذا المهاد في السبع الشداد غير عاجز  
 عن خلق نظيرها في هذه الاجساد \* تفسير الراسي قد ذكرناه في سورة لقمان والبيج  
 الحسن \* وقوله تعالى ( تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ) يحتمل ان يكون الامر ان عالمين  
 الى الامرين المذكورين وهما السماء والارض على ان خلق السماء تبصرة وخلق  
 الارض ذكرى ويدل عليه ان السماء زيتتها مستمرة غير متجددة في كل عام فهو كالشيء  
 المرنى على مرور الزمان واما الارض فهي كل سنة تأخذ زخرفها فذكر السماء تبصرة  
 والارض تذكرة ويحتمل ان يكون كل واحد من الامرين موجودا في كل واحد من  
 الامرين فالسما تبصرة والارض كذلك والفرق بين التبصرة والتذكرة هو ان فيها آيات  
 مستمرة منصوبة في مقابلة البصائر وآيات متجددة مذكرة عند التناسي وقوله لكل عبد  
 منيب اي راجع الى التفكير والتذكر والنظر في الدلائل \* ثم قال تعالى ( ونزلنا من  
 السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات ) اشارة الى دليل آخر  
 وهو ما بين السماء والارض فيكون الاستدلال بالسماء والارض وما بينهما وذلك انزال  
 السماء من فوق واخراج النبات من تحت وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) هذا الاستدلال  
 قد تقدم بقوله تعالى وابنتنا فيها من كل زوج بييج فالقائمة في اعادته بقوله فأنبتنا به  
 جنات وحب الحصيد نقول قوله فأنبتنا استدلال بنفس النبات اي الاشجار تنمو وتزيد  
 فكذلك بدن الانسان بعد الموت ينمو ويزيد بأن يرجع الله تعالى اليه قوة النشوء والنماء  
 كما يعيدها الى الاشجار بواسطة ماء السماء وحب الحصيد فيه حذف تقديره وحب الزرع

( وحب الحصيد ) اي حب الزرع  
 الذي شأنه ان يحصد من البر  
 والشعير واما الهماو تخصيص  
 انبات حبه بالذكر لانه المقصود  
 بالذات ( والنخل ) عطف على  
 جنات وتخصيصها بالذكر مع  
 اندارجها في الجنات لبيان فضلها  
 على سائر الاشجار وتوسيط الحب  
 بينهما لتأكيد استغلالها  
 وامتنانها عن البقية مع ما فيه  
 من مراعاة الفواصل ( باسقات )  
 اي طولا او حوامل من البسقت  
 الشاة اذا حلت فيكون من باب  
 اقل فهو فاعل وقرى باسقات  
 لاجل الغافق ( لها طلع نصيب ) اي  
 منضود بعينه فوق بعض المراد  
 تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر

الحصيد وهو المحصول اى انشأنا جنات يقطف ثمارها واصولها باقية وزرعاً يحصد كل سنة  
 ويزرع في كل عام او عامين ويحتمل ان يقال التقدير وثبت الحب الحصيد والاول هو  
 المختار وقوله تعالى والنخل باسقات اشارة الى المختلط من جنسين لان الجنات تقطف  
 ثمارها وتثمر من غير زراعة في كل سنة لكن النخل يؤبر ولولا التأبير لم يثمر فهو جنس مختلط  
 من الزرع والشجر فكانه تعالى خلق ما يقطف كل سنة ويزرع وخلق ما لا يزرع كل سنة  
 ويقطف مع بقاء اصلها وخلق المركب من جنسين في الامار لان بعض الثمار فاكهة  
 ولا قوت فيه واكثر الزرع قوت والثمر فاكهة وقوت والباسقات الطوال من النخل  
 وقوله تعالى باسقات يؤكد كمال القدرة والاختيار وذلك من حيث ان الررع ان قيل  
 فيه انه يمكن ان يقطف منه ثمرته لضعفه وضعف حجمه فكذلك يحتاج الى اعادته كل سنة  
 والجنات لكبرها وقوتها تبقى وتثمر سنة بعد سنة يقال اليس النخل الباسقات اكبر واقوى  
 من الكرم الضعيف والنخل محتاجة كل سنة الى عمل عامل والكرم غير محتاج  
 قاله تعالى هو الذى قدر ذلك لذلك لا لكبر والصغر والطول والقصر \* قوله تعالى (لها  
 طلع نصيد) اى منضود بعضها فوق بعض فى اكمامها كما فى سنبله الزرع وهو عجيب فان  
 الاشجار الطوال اثمارها بارزة متميز بعضها من بعض لكل واحد منها اصل يخرج منه  
 كالجوز والوز وغيرهما والطلع كالسنبله الواحدة يكون على اصل واحد \* ثم قال  
 تعالى (رزقا للعباد) وفيه وجهان احدهما نصب على المصدر لان الانبات رزق فكانه  
 تعالى قال انبتناها انباتا للعباد والثاني نصب على كونه مفعولاً له كأنه قال انبتناها  
 رزق العباد وههنا مسائل (المسئلة الاولى) قال فى خلق السماء والارض تبصرة وذكرى  
 وفى الثمار رزقا والثمار ايضا فيها تبصرة وفى السماء والارض ايضا منفعة غير التبصرة  
 والتذكيرة فالحكمة فى اختيار الامرين تقول فيه وجوه (احدها) ان نقول الاستدلال  
 وقع لوجود امرين احدهما الاعادة والثاني البقاء بعد الاعادة فان النبي صلى الله عليه  
 وسلم كان يخبرهم بحشر وجع يكون بعده الثواب الدائم والعقاب الدائم وانكروا  
 ذلك فأما الاول فالله القادر على خلق السموات والارض قادر على خلق الخلق بعد الفناء  
 واما الثانى فلان البقاء فى الدنيا بالرزق والقادر على اخراج الارزاق من النجم والشجر  
 قادر على ان يرزق العبد فى الجنة ويبقى فكان الاول تبصرة وتذكيرة بالخلق والثاني  
 تذكيرة بالبقاء بالرزق ويدل على هذا الفصل بينهما بقوله تبصرة وذكرى حيث ذكر ذلك  
 بعد الآيتين ثم بدأ بذكر الماء واتزاله وانباته النبات (ثانيها) ان منفعة الثمار الظاهرة هى  
 الرزق فذكرها ومنفعة السماء الظاهرة ليست امرأعائدا الى انتفاع العباد لبعدها عن  
 ذهنهم حتى انهم لو توهموا عدم الزرع والثر لظنوا ان يهلكوا ولو توهموا عدم السماء  
 فوقهم لقالوا لا يضرنا ذلك مع ان الامر بالعكس اولى لان السماء سبب الارزاق بتقدير  
 الله وفيها غير ذلك من المنافع والثمار ان لم تكن كان العيش كما انزل الله على قوم المن

واجله حال من النخل كباسقات  
 بطريق الترادف او من ضميرها فى  
 باسقات على التداخل او الحال  
 هو الجار والمحروور وطلع مرتفع  
 به على الفاعلية وقوله تعالى (رزقا  
 للعباد) اى ليرزقهم علة لقوله  
 تعالى فاتبتنا وفى تعليقه بذلك بعد  
 تعليل آيتنا الاول بالتبصرة  
 والتذكير تنبيه على ان الواجب  
 على العبد ان يكون انتفاعه بذلك  
 من حيث التذكر والاستبصار  
 اهم واقدم من تمتعه به من حيث  
 الرزق وقيل رزقا مصدر من  
 معنى انبتنا لان الانبات رزق  
 (واحيينا به) اى بذلك الماء (بلدة  
 ميتا) ارضا جدبة لانما فيها  
 اصلا بأن حلتها بحيث ربت  
 وانبت

والسلوى وعلى قوم المائدة من السماء فذكر الاظهر للناس في هذا الموضع (الثالث) قوله  
 رزقا اشارة الى كونه منعمالكون تكذيبهم في غاية القبح فانه يكون اشارة بالمنعم وهو  
 اقبح ما يكون (المسئلة الثانية) قال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب فقيد العبد بكونه منيبا  
 وجعل خلقها تبصرة لعباده المخلصين وقال رزقا للعباد مطلقا لان الرزق حصل لكل  
 أحد غير ان المنيب يأكل ذاكر اشكر الانعام وغيره يأكل كما تأكل الانعام فلم يخص  
 الرزق بقيد (المسئلة الثالثة) ذكر في هذه الآية امور ثلاثة ايضا وهي انبات الجنات والحب  
 والنخل كما ذكر في السماء والارض في كل واحدة أمور ثلاثة وقد ثبت ان الامور الثلاثة  
 في الآيتين المتقدمتين متناسبة فهل هي كذلك في هذه الآية نقول قدينا ان الامور  
 الثلاثة اشارة الى الاجناس الثلاثة وهي التي بقي اصلها سنين ولا تحتاج الى عمل عامل  
 والتي لا يبقى اصلها وتحتاج كل سنة الى عمل عامل والتي يجتمع فيها الامر ان وليس شيء من  
 الثمار والزرع خارجا عنها اصلا كان امور الارض منحصرة في ثلاثة ابتداء  
 وهو المدو وسط وهو الثبات بالجلال الراسية ونالها هو غاية الكمال وهو الانبات والترين  
 بالزخارف \* ثم قال تعالى (واحييناه بلدة ميتا) عطفًا على انبتناه وفيه بحثان (الاول)  
 ان قلنا ان الاستدلال بانبات الزرع وانزال الماء كان لا مكان البقاء بالرزق فقوله واحييناه  
 اشارة الى انه دليل على الاعادة كما انه دليل على البقاء ويدل عليه قوله تعالى كذلك الخروج  
 فان قيل كيف يصح قولك استدلالا وانزال الماء كان ابيان البقاء مع انه تعالى قال بعد ذلك  
 واحييناه بلدة ميتا \* وقال تعالى (كذلك الخروج) فيكون الاستدلال على البقاء قبل  
 الاستدلال على الاحياء والاحياء سابق على الابقاء فينبغي ان يبين اولانه يحیی الموتي ثم يبين  
 انه يبقیهم نقول لما كان الاستدلال بالسموات والارض على الاعادة كما فيا بعد ذكر دليل الاحياء  
 ذكر دليل الابقاء نعم عادوا استدرك فقال هذا الدليل الدال على الابقاء دال على الاحياء وهو  
 غير محتاج اليه لسبق دليلين قاطعين فبدأ ببيان البقاء وقال وانبتناه جنات ثم نبى باعادة ذكر  
 الاحياء فقال واحييناه وان قلنا ان الاستدلال بانزال الماء وانبات الزرع لا بيان لما كان  
 الحسنة فقوله واحييناه ينبغي ان يكون مغايرا لقوله فأنبتناه بخلاف ما قلنا ما نقول  
 الاول لان الاحياء وان كان غير الانبات لكن الاستدلال لما كان به على امرين متغايرين  
 جاز العطف نقول خرج للتجارة وخرج للريادة ولا يجوز ان يقال خرج للتجارة وذهب  
 للتجارة الا اذا كان الذهاب غير الخروج فقول الاحياء غير انبات الرزق لان بانزال الماء  
 من السماء يخضر وجه الارض ويخرج منها انواع من الازهار ولا يتغذى به ولا يقتات  
 وانما يكون به زينة وجه الارض وهوام من الزرع والشجر لانه يوجد في كل مكان  
 والزرع والثمر لا يوجدان في كل مكان فكذلك هذا الاحياء فان قيل فكان ينبغي ان يقدم  
 في الذكر لان اخضرار وجه الارض يكون قبل حصول الزرع والثمر ولانه يوجد في كل  
 مكان بخلاف الزرع والثمر نقول لما كان ابان الزرع والثمر اكمل نعمة قدمه في الذكر

انواع النبات والازهار فصارت  
 تنبت بها بعد ما كانت جامدة  
 هامة وتذكير ميا لان البلدة  
 بمعنى البلد والمكان (كذلك  
 الخروج) جملة قدم فيها الخبر  
 للقصد الى القصر وذلك اشارة  
 الى الحياه المستفاده من الاحياء  
 وما فيه من معنى البعد للاشعار  
 بعد رتبته اى مثل تلك الحياه  
 البديعة حيانكم بالبعث من  
 الفبور لاشئ مخالف لها وفي  
 التعبير عن احراج النبات من  
 الارض بالاحياء وعن حياه الموتي  
 بالخروج تفخيم لشان الابات  
 وتهوين لاسر العب وتحقيق  
 للسائلة بين اخراج النبات واحياء

(الباقي) في قوله بلدة ميتا نقول جازا بات التاء في الميت وحذفها عند وصف المؤنث بها لان الميت تخفيف للميت والميت فيعمل بمعنى فاعل فيجوز فيه انبات التاء لان التسوية في الفاعل بمعنى المفعول كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين فان قيل لم سوى بين المذكور والمؤنث في الفاعل بمعنى المفعول قلنا لان الحاجة الى التمييز بين الفاعل والمفعول اشد من الحاجة الى التمييز بين المفعول المذكور والمفعول المؤنث نظرا الى المعنى ونظرا الى اللفظ فأما المعنى فظاهر واما اللفظ فلان المخالفة بين الفاعل والمفعول في الوزن والحرف اشد من المخالفة بين المفعول والمفعول له اذا علم هذا فنقول في الفاعل لم يتميز الفاعل بحرف فان فعلا جاء بمعنى الفاعل كالنصير والبصير وبمعنى المفعول كالكسير والاسير ولا يتميز بحرف عند المخالفة الا الاقوى فلا يتميز عند المخالفة الا الأدنى والتحقيق فيه ان فعلا وضع لمعنى لفظي والمفعول وضع لمعنى حقيقي فكأن القائل قال استعملوا لفظ المفعول للمعنى الفلاني واستعملوا لفظ الفاعل مكان لفظ المفعول فصار فاعل كالموضوع للمفعول والمفعول كالموضوع للمعنى ولما كان تغير اللفظ تابعا لتغير المعنى تغير المفعول لكونه بازا المعنى ولم يتغير الفاعل لكونه بازا للفظ في اول الامر فان قيل فما الفرق بين هذا الموضوع وبين قوله وآية لهم الارض المبتة احييناها حيث اثبت التاء هناك نقول الارض اراد بها الوصف فقال الارض المبتة لان معنى الفاعلية ظاهر هناك والبلدة الاصل فيها الحياة لان الارض اذا صارت حية صارت آهلة واقام بها الناس وعمروها فصارت بلدة فأسقط التاء لان معنى الفاعلية ثبت فيها والذي بمعنى الفاعل لا يثبت فيه التاء وتحقق هذا قوله بلدة طيبة حيث اثبت التاء حيث ظهر بمعنى الفاعل ولم يثبت حيث لم يظهر وهذا بحث عزيز \* وقوله تعالى (كذلك الخروج) أي كالأحياء الخروج فان قيل الأحياء يشبه به الإخراج لا الخروج فنقول تقديره احييناها بلدة ميتا فتشقت وخرج منها النبات كذلك تشقق ويخرج منها الاموات وهذا يؤكد قولنا الرجوع بمعنى الرجوع في قوله ذلك رجوع بعيد لانه تعالى بين لهم ما استبعدوه فلو استبعدوا الرجوع الذي هو من المتعدي لاسب ان يقول كذلك الإخراج ولما قال كذلك الخروج فهم انكروا الرجوع فقال كذلك الخروج نقول فيه معنى لطيف على القول الآخر وذلك لانهم استبعدوا الرجوع الذي هو من المتعدي بمعنى الإخراج والله تعالى اثبت الخروج وفيهما مبالغة تنبها على بلاغة القرآن مع انها مستغنية عن البيان ووجهها هو ان الرجوع والإخراج كالسبب للرجوع والخروج والسبب اذا اتفق ينتفي السبب جزما واذا وجد قد يتخلف عن السبب لمانع فتقول كسرتة فلم يكسروا وان كان مجازا والسبب اذا وجد فقد وجد سببه واذا اتفق لا ينتفي السبب لما تقدم اذا علم هذا فهم انكروا وجود السبب ونفوه وينتفي السبب عند انتفائه جزما فبالغوا وانكروا الامرين جميعا لان في السبب نفي السبب انما ثبت الله الامرين جميعا بالخروج كما نفوا الامرين جميعا بنفي الإخراج \* ثم قال تعالى (كذب

الموتى لتوضح منهاج القياس وتقريره الى افهام الناس وقوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح) الخ استئناف وارد لتقرير حقيقة البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام عليها وتعذيب منكريها (واصحاب الرس) نيل هم من بعث اليهم شعيب عليه السلام وقيل وقيل كما سرفي سورة الفرقان على التفصيل (وثمود وعاد وفرعون) أي هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده (واخوان لوط) قيل كانوا من اصهاره عليه الصلاة والسلام (واصحاب الايكة) هم من بعث اليهم شعيب عليه السلام غير اهل مدين (وقوم تبع) سبق شرح حالهم في سورة الدخان

(كل كذب الرسل) اي فيما  
ارسلوا به من النوافع التي من  
جلتها البعث الذي ايجعوا عليه  
فاطية اي كل فرم من الافوام  
المذكورين كذبوا رسولهم او  
كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى  
المذكور وافراد الضمير باعتبار  
لفظ الكل او كل واحد منهم  
كذب جميع الرسل لانتقامهم على  
الدعوة الى التوحيد والانذار  
بالبعث والحشر فكذب واحد  
منهم تكذيب للكل وهذا على  
تقدير رسالتهم ظاهر واماعلى  
تقدير عدمها وهو الاظهر فعنى  
تكذيب قومه الرسل بكذبهم  
عن قبلهم من الرسل المجمعين على  
التوحيد والبعث والى ذلك كان  
يدعوههم تبع (فحق وعيد) اي  
فوجب وحل عليهم وعيدى  
وهى كله العذاب وفيه تسلية  
للسلوة صلى الله عليه وسلم  
وتهديد لهم (أفصينا بالخلق الاول)  
استئناف مقرر لسخة البعث  
الذى حكيت احوال المنكرين له  
من الامم المهلكة والى بالامر  
المجرب عنه يقال عى بالامر وعي به  
اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة  
لانتكار والفاء العطف على مقدر  
ينبئ عنه الى من القصد  
والمباشرة كأنه قيل اقصدنا الخلق  
الاول فجبرنا عليه حتى يتوهم  
مجرنا عن الاعادة (بل هم فى لبس  
من خلق جديد) عطف على مقدر  
يدل عليه ما قبله كأنه قيل هم غير  
مكرين لقد رتبنا الى الخلق الاول  
بل هم فى خلط وشبهة فى شأن  
مستأنف لافيه من مخالفة العادة  
وتكثير خلق لتفخيم شأنه

قبلهم قوم نوح واصحاب الرس ومودو وعادو وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم  
تبع ( ذكر المكذبين تذكيرا لهم بحالهم ووبالهم وأنذرهم باهلا كهم واستئصالهم وتفسيره  
نفاه وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتبليبه بأن حاله كحال من تقدمه من الرسل  
كذبوا وصبروا فأهلك الله مكذبيهم ونصرهم واصحاب الرس فيهم وجوه من  
المفسرين من قال هم قوم شعيب ومنهم من قال هم الذين جاءهم من اقصى المدينة رجل  
يسعى وهم قوم عيسى عليه السلام ومنهم من قال هم اصحاب الاخدود والرس موضع  
نسبوا اليه او فعل وهو حقر البثر يقال رس اذا حفر بثرًا وقد تقدم في سورة الفرقان ذلك  
وقال ههنا اخوان لوط وقال قوم نوح لان لوطا كان مرسلًا الى طائفة من قوم ابراهيم  
عليه السلام معارف لوط ونوح كان مرسلًا الى خلق عظيم وقال فرعون ولم يقل قوم  
فرعون وقال قوم تبع لان فرعون كان هو المغتر المستخف بقومه المستبد بأمره وتبع  
كان معتمدا بقومه فجعل الاعتبار لفرعون ولم يقل الى قوم فرعون \* وقوله تعالى  
(كل كذب الرسل فحق وعيد) يحتمل وجهين (احدهما) ان كل واحد كذب رسوله فهم  
كذبوا الرسل واللام حينئذ لتعريف العهد (وثانيهما) وهو الاصح هو ان كل واحد كذب  
جميع الرسل واللام حينئذ لتعريف الجنس وهو على وجهين (احدهما) ان المكذب للرسول  
مكذب لكل رسول (وثانيهما) وهو الاصح ان المذكورين كانوا منكرين للرسالة والحشر  
بالكلية وقوله فحق وعيد اي ما وعد الله من نصرة الرسل عليهم واهلاكهم \* ثم قال تعالى  
( افصينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد) وفيه وجهان (احدهما) انه استدلال  
بدلائل الانفس لانا ذكرنا مرارا ان الدلائل اقفية ونفسية كما قال تعالى سزيمهم آياتنا فى  
الآفاق وفى أنفسهم ولما قرن الله تعالى دلائل الآفاق عطف بعضها على بعض بحرف  
الواو فقال والارض مددناها وفى غير ذلك ذكر الدليل النفسى وعلى هذا فيه لطائف  
لفظية ومعنوية \* اما اللفظية \* اما اللفظية \* فهى انه تعالى فى الدلائل الاقفية عطف بعضها على بعض  
بحرف الواو فقال والارض مددناها وقال وانزلنا من السماء ماء مباركا ثم فى الدليل  
النفسى ذكر حرف الاستفهام والفاء بعدها اشارة الى ان تلك الدلائل من جنس وهذا من  
جنس فلم يجعل هذا تبعا لذلك ومثل هذا مراعى فى اواخر يس حيث قال تعالى اولم ير  
الانسان انا خلقناه ثم لم يعطف الدليل الاقنى ههنا نقول والله اعلم ههنا وجد منهم  
الاستبعاد بقوله ذلك رجوع بعيد فاستدل بالاكبر وهو خلق السموات ثم نزل كأنه قال  
لا حاجة الى ذلك الاستدلال بل فى أنفسهم دليل جواز ذلك وفى سورة يس لم يذكر  
استبعادهم فبدأ بالادنى وارتقى الى الاعلى (والوجه الثانى) يحتمل ان يكون المراد بالخلق  
الاول هو خلق السموات لانه هو الخلق الاول وكأنه تعالى قال افلم ينظروا الى السماء  
ثم قال أفصينا بهذا الخلق ويدل على هذا قوله تعالى اولم يروا ان الله الذى خلق السموات

والارض ولم يعي بخلقهن ويؤيد هذا الوجه هو ان الله تعالى قال بعده هذه الآية ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه فهو كالاستدلال بخلق الانسان وهو معطوف بحرف الواو على ما تقدم من الخلق وهو بناء السماء ومد الارض وتنزيل الماء وابات الجنات وفي تعريف الخلق الاول وتنكير خلق جديد وجهان (احدهما) ما عليه الامران لان الاول عرفه كل واحد وعلم نفسه والخلق الجديد لم يعلم نفسه ولم يعرفه كل واحد لان الكلام عنهم وهم لم يكونوا عالمين بالخلق الجديد (والوجه الثاني) ان ذلك لبيان انكارهم للخلق الثاني من كل وجه كما أنهم قالوا أليكون لنا خلق ما على وجه الانكار له بالكلية وقوله تعالى بل هم في لبس تقديره ما عينا بل هم في شك من خلق جديد يعنى لا مانع من جهة الفاعل فيكون من جانب المفعول وهو الخلق الجديد لانهم كانوا يقولون ذلك محال وامتناع وقوع المحال بالفاعل لا يوجب عجزا فيه ويقال للشكوك فيه ملتبس كما يقال لليقين انه ظاهر وواضح ثم ان اللبس يسند الى الامر كما قلنا انه يقال ان هذا امر ظاهر وهذا امر ملتبس وههنا اسند الامر اليهم حيث قال هم في لبس وذلك لان الشئ يكون وراء حجاب والناظر اليه بصير فيخفى الامر من جانب الراى فقال ههنا بل هم في لبس ومن في قوله من خلق جديد فيفيد فائدة وهي ابتداء الغاية كأن اللبس كان حاصل لهم من ذلك \* وقوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان) فيه وجهان \* احدهما ان يكون ابتداء استدلال بخلق الانسان وهذا على قولنا أفعينا بالخلق الاول معناه خلق السموات \* وثانيهما ان يكون تميم بيان خلق الانسان وعلى هذا قولنا الخلق الاول هو خلق الانسان اول مرة ويحتمل ان يقال هو تنسعه علم امر بوجوب عودهم عن مقالهم وبانه انه تعالى لما قال ولقد خلقنا الانسان (ونعلم ما توسوس به نفسه) كان ذلك اشارة الى انه لا يخفى عليه خافية ويعلم ذوات صدورهم وقوله تعالى (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) بيان لكمال علمه والوريد العرق الذي هو مجرى الدم يجري فيه ويصل الى كل جزء من اجزاء البدن والله اقرب من ذلك بعلمه لان العرق يحجبه اجزاء اللحم ويخفى عنه وعلم الله تعالى لا يحجب عنه شئ ويحتمل ان يقال ونحن اقرب اليه من حبل الوريد بتفرد قدرتنا فيه يجري فيه امرنا كما يجري الدم في عروقه \* ثم قال تعالى (اذ تلقى المتلقين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) اذ ظرف والعامل فيه ما في قوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وفيه اشارة الى ان المكلف غير متروك سدى وذلك لان الملك اذا اقام كتابا على امر اتكل عليهم فان كان له غفلة عنه فيكون في ذلك الوقت يتكل عليهم واذا كان عند اقامة الكتاب لا يبعد عن ذلك الامر ولا يففل عنه فهو عند عدم ذلك اقرب اليه واشد اقبالا عليه فقول الله في وقت اخذ الملكين منه فعلة وقوله اقرب اليه من عرقه المخالط له فعند ما يخفى عليهما شئ يكون حقلنا بحاله اكل واتم ويحتمل ان يقال التلقى من الاستقبال يقال فلان يلقي الركب وعلى هذا الوجه فيكون معناه وقت ما يتلقاه المتلقيان

والاشعار بخروجه عن حدود العادات والايدان بانه حقيق بان يبحث عنه ويهتم بمعرفته (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) اي ما تحده به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الخلق والضمير لما ان جعلت موصولة بالباء كما في صوت بكذا اول الانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدي (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) اي اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزا لانه موجب له وحبل الوريد مثل في فرط القرب والحبل العرق واضافته بيانية والوريدان عريان مكتنفان بصفتي العنق في مقدمهما متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمي وريد لان الروح ترده (اذ يتلقى المتلقيان) منصوب بما في اقرب من معنى الفعل والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى ما لا شئ اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايدان بأنه تعالى غنى عن استغناهما لاحاطة علمه بما يخفى عليهما وانما ذلك لما في كتبهما وحفظهما لاعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطته تعالى بتفاصيل احواله خبرا من زيادة لطفه في الكنف عن السيات والرغبة في الحساب \* وعنه عليه الصلاة والسلام ان مقعد ملكيك على نيتيك

يكون عن يمينه وعن شماله قعيد فالتلقين على هذا الوجه هما الملكان اللذان يأخذان روحه من ملك الموت احدهما يأخذ ارواح الصالحين وينقلها الى السرور والخبور الى يوم النشور والاخر يأخذ ارواح الطالحين وينقلها الى الويل والتبور الى يوم الحشر من القبور فقال تعالى وقت تلقيهما وسؤالهما انه من اى القبيلين يكون عند الرجل قعيد عن اليمين وقعيد عن الشمال يعنى الملكان يزلان وعنده ملكان آخر ان كاتبان لاعماله يسألهما من اى القبيلين كان فان كان من الصالحين يأخذ روحه ملك السرور ويرجع الى الملك الآخر مسرورا حيث لم يكن مسرورا بمن يأخذها هو وان كان من الطالحين يأخذها ملك العذاب ويرجع الى الآخر محزوناً حيث لم يكن بمن يأخذها هو ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى سائق وشهيد فالشهيد هو القعيد والسائق هو الملقى تلى اخذ روحه من ملك الموت فيسوقه الى منزله وقت الاعادة وهذا عرف الوجهين واقربهما الى الفهم وقول القائل جلست عن يمين فلان فيه انباء عن تخ ماعنه احترامه واجتناباً منه وفيه لطيفة وهى ان الله تعالى قال نحن اقرب اليه من حبل الوريد المخالط لاجزائه المداخل في اعضائه والملك منته عن فيكون علمنا به اكل من علم الكاتب لكن من اجلس عنده احد ليكتب افعاله واقواله ويكون الكاتب ناهضاً خبيراً والملك الذى اجلس الرقيب يكون جباراً عظيماً بنفسه اقرب اليه من الكاتب بكثير والقعيد هو الجلوس كما ان قعد بمعنى جلس \* وقوله تعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) اى شدته التى تذهب العقول وتذهل الفطن وقوله بالحق يحتمل وجوهاً احدها ان يكون المراد منه الموت فانه حق كأن شدة الموت تحضر الموت والبلاء حينئذ للتعديرة يقال جاء فلان بكذا اى احصره \* وثانيها ان يكون المراد من الحق ما أتى به من الدين لانه حق وهو يظهر عند شدة الموت وامن احداً وهو فى تلك الحالة يظهر الايمان لكنه لا يقبل الا من سبق منه ذلك وآمن بالغيب ومعنى المجئ به هو انه يظهر كما يقال الدين الذى جاء به النبى صلى الله عليه وسلم اى اظهره ولما كانت شدة الموت مظهرة له قيل فيه جاء به والبلاء حينئذ يحتمل ان يكون المراد منها ملتبسة يقال جئتكم بأمل فسيح وقلب خاسع وقوله ذلك يحتمل ان يكون اشارة الى الموت ويحتمل ان يكون اشارة الى الحق وحاد عن الطريق اى مال عنه والخطاب قيل مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو منكر وقيل مع الكافرين وهو اقرب والاقوى ان يقال هو خطاب عام مع السامع كأنه يقول ذلك ما كنت منه تحيد أيها السامع \* وقوله تعالى (ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد) عطف على قوله وجاءت سكرة الموت والمراد منه اما النفخة الاولى فيكون بياناً لما يكون عند مجئ سكرة الموت او النفخة الثانية وهو اظهر لان قوله تعالى ذلك يوم الوعيد بالنفخة الثانية ألبق ويكون قوله وجاءت سكرة الموت اشارة الى الامانة وقوله ونفخ في الصور اشارة الى الاعادة والاحياء وقوله تعالى ذلك ذكر الزمخشري انه اشارة الى المصدر الذى من قوله ونفخ اى وقت

ولسناك قلها وربك مدادها وانت تجري فيما لا يبتلى لانتحي من الله ولا منهما وقد جوز ان يكون نلقى الملكين بياناً للقرب على معنى انا اقرب اليه مطلقاً وعلى اعماله لان حفظنا وكتبنا موكولون به (عن اليمين وعن الشمال قعيد) اى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اى مفاعد كالجلس بمعنى المجلس لفظاً ومعنى فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كفى قول من قال

رمانى بامر كنت منه والدى  
برياً ومن اجل الطوى رمانى  
وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كفى قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير (ما يلفظ من قول)  
ما يرى به من فيه من حيواته  
وفرى ما يلفظ على البناء للفعول  
(الالديه رقيب) ما لا يرفى غوله  
ويكتبه فان كان خيراً فهو  
صاحب الجين بعينه والافهرو  
صاحب النخال ووجد يعبر  
العنوان غنى عن البيان والافراد  
مع وقوفهما على ما صدر عنه  
لما ان كل منهما رقيب لما فرض اليه  
لما فرض الى صاحبه كما ينبغي \*  
ع وقوله تعالى (عنيد) اى معدمها  
لكتابة ما امر به من الخير او الشر  
ومن لم يتيه له توهم ان معناه رتيباً  
عتيدان وتخصيص القول بالذكر  
لانبات الحكم فى الفعل بدلالة  
النص واختلاف فيما يكتبانه فقيل  
يكتبان كل شئ حتى انينه فى مرضه  
وقيل انما يكتبانه ما فيه اجرا ووزر  
وهو الاظهر كما ينبنى عنه قوله  
صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنة  
على يمين الرجل وكاتب السيئات



ذلك النسخ يوم الوعيد وهو ضعيف لان يوم لو كان منصوباً لكان ماذكرنا ظاهراً وامارفع  
يوم فيفيد ان ذلك نفس اليوم والمصدر لا يكون نفس الزمان وانما يكون في الزمان فالاولى  
ان يقال ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من قوله ونفخ لان الفعل كما يدل على المصدر  
يدل على الزمان فكأنه تعالى قال ذلك الزمان يوم الوعيد والوعيد هو الذي اوعده من  
الحشر والاياء والمجازاة \* وقوله تعالى (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) قد بينا من  
قبل ان السائق هو الذي يسوقه الى الموقف ومنه الى مقعده والشهيد هو الكاتب  
والسائق لازم للبر والفاجر اما البر فيساق الى الجنة واما الفاجر قال النار وقال تعالى  
وسيق الذين كفروا وسيق الذين اتقوا ربهم \* وقوله تعالى (لقد ست في عفلة من هذا)  
اما على تقدير يقال له اوقبله لقد كنت كما قال تعالى وقال لهم خزنتها وقال تعالى قيل  
ادخلوا ابواب جهنم والخطاب عام اما للكافر فعلم الدخول في هذا الحكم واما المؤمن  
فانه يزاد علماً ويظهر له ما كان مخفياً عنه ويرى الى علمه يقيناً اى المعتبر يقيناً فيكون  
بالنسبة الى تلك الاحوال وشدة الاحوال كالغافل وفيه الوجهان اللذان ذكرناهما  
في قوله تعالى ما كنت منه تحيد والغفلة شئ من الغطاء كاللبس واكثر منه لان الشاك  
يلتبس الامر عليه والغافل يكون الامر بالكلية محجوباً قلبه عنه وهو الغلف \* وقوله  
تعالى (فكشفنا عنك غطاءك) اى ازالنا عنك غفلك (فبصرك اليوم حديد) وكان من  
قبل كلبلاً وقرينك حديد او كان في الدنيا خليلاً واليه الاشارة \* بقوله تعالى (وقال  
قرينه هذا مالدى عتيد) وفي القرين وجهان (احدهما) الشيطان الذى زين الكفر له  
والعصيان وهو الذى قال تعالى فيه وقضنا لهم قراءه وقال تعالى نقيض له شيطاناً فهو  
له قرين وقال تعالى فبئس القرين فالاشارة بهذا السوق الى المرتكب الفجور والفسوق  
والعتيد معناه المعد للنار وجلة الآية معناها ان الشيطان يقول هذا العاصى شئ هو  
عندى معدلهم اعدده بالاعواء والاضلال (والوجه الثانى) قال قرينه اى القعيد  
الشهيد الذى سبق ذكره وهو الملك وهذا اشارة الى كتاب اعماله وذلك لان الشيطان  
في ذلك الوقت لا يكون له من المكانة ان يقول ذلك القول ولان قوله هذا مالدى عتيد  
فيكون عتيد صفته وثانيهما ان تكون موصولة فيكون عتيد محتملاً لثلاثة اوجه احدها  
ان يكون خبراً بعد خبر والخبر الاول مالدى معناه هذا الذى هو لى وهو عتيدوناتها ان  
يكون عتيد هو الخبر لا غير ومالدى يفع كالوصف المميز للعتيد عن غيره كما تقول هذا الذى  
عندى زيد وهذا الذى يحيى عمرو فيكون الذى عندى والذى يحيى لتمييز المشار اليه  
عن غيره ثم يخبر عنه بما بعده ثم يقال للسائق او الشهيد (القيافى جهنم) فيكون هو امراً  
لواحد وفيه وجهان احدهما انه مثنى تكرر الامر كما يقال ألقى ألقى ونانيتها عادة العرب  
ذلك \* وقوله (كل كفار عتيد) الكفار يحتمل ان يكون من الكفران فيكون بمعنى كثير

على كاتب السيات فاذا عمل  
حسنة كتبها ملك اليمين عشر  
واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين  
لصاحب الشمال دعه سبع ساعات  
لعله يسبح او يستغفر (وجاءت  
سكرة الموت بالحق) بعدما ذكر  
استبعادهم للبعث والجرام وان  
ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعمله  
وبين ان جمع اعمالهم محفوفة  
مكتوبة عليهم اتبع ذلك ببيان  
ما يلاقونه لاجل حاله من الموت  
والبعث وما ينفرع عليه من  
الاحوال والاهوال وفدع عن  
وقوع كل منها بصفة الماضى  
اذا ما يتحققها وغاية اقتربها  
وسكرة الموت شدته الذاهبة  
بالعقل والبلاء المتعدية كما في  
قولك جاء الرسول بالخير والمعنى  
احضرت سكرة الموت حقيقة  
الامر الذى نطق به كتب الله  
ورسله او حقيقة الامر وجلة  
الحال من سعادة الميت وشقاوته  
وقيل الحق الذى لا بد ان يكون  
لاجل حاله من الموت او الجرام ان  
الانسان خلق له واما الملائكة  
كالتى في قوله تعالى تنبت بالدهن  
اى ملتبة بالحق اى بحقيقة  
الامر او بالحكمة والغاية الجميلة  
وقرى سكرة الحق بالموت  
والمعنى انها السكرة التى كتبت  
على الانسان بموجب الحكمة  
وانها لشدتها توجب زهوق  
الروح او تستعقبه وقيل الباء  
بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة  
الله تعالى على ان الاضافة للتحويل  
وقرى سكرات الموت (ذلك)  
اى الموت (ما كنت منه تحيد)  
اى تميل وتتفر عنه والخطاب  
للانسان فان الفترة عنه شاملة  
لكل فرد قوله لثلاثة اوجه  
قد اخل بالثالث اه قوله وانيهما الخ وقد اخل ايضا عدليه اعنى كون ما موصوفة اه

من افراده طبعاً (و تقع في الصور)

هي النفخة الثانية (ذلك اي وقت

ذلك النفخ على حذف المنفصل

(يوم الوعيد) اي يوم ابتجاز

الوعيد الواقع في الدنيا ويوم

وفور الوعيد على انه عبارة

عن العذاب الموعود وقيل دلت

اشارة الى الزمان المفهوم من نفخ

فان الفعل كما يدل على الحدث

يدل على الزمان وتخصيص

الوعيد بالذكر مع انه يوم الوعد

ايضاً لتهويله ولذلك بدى ببيان

حال الكفرة (وجاءت كل نفس)

من النفوس البرة والصاحرة

(معها سائق وشهيد) وان

اختلفت كفية السوف والسهادة

حسب اختلاف النفوس عند

اي معها ملكان احدهما يسوقها

الى الخسر والاخر يشهد بعملها

او ملأ جامع بين الوصفين كأنه

قل معها ملاك يسوقها ويشهد

عليها وقل السائق كاتب

السيات والشهيد كاتب الحسنات

وييل السائق نفسه اذ رينه

والشهيد جوارحه واعماله

ومحل معها النصب على الخالصة

من كل لاضافته الى ما هو في حكم

المعرفة كأنه قيل كل النفوس

او الجور على انه وصف لنفس

او الرفع على انه وصف لكل

وقوله تعالى (لقد كنت في غفلة

من هذا) محكي بخلاف قول هو

ما صفة اخرى لنفس او حال

اخرى منها او استثنى مبي على

سؤال نسأ مما قبله كأنه قيل فاذا

يفعل بها قيل يقال لقد كنت في

غفلة الخ وخطاب الكل بذلك

لما انه ما من احد الا وله غفلة

ما من الاخرة وقيل الخطاب

للكافر وقري كنت بكسر التاء

الكفران ويحتمل ان يكون من الكفر فيكون بمعنى شديد الكفر والتشديد في لفظة فعال  
يدل على شدة في المعنى والعيد فعيل بمعنى فاعل من عند عنودا ومنه العناد فان كان  
الكفار من الكفران فهو انكر نعم الله مع كثرتها \* وقوله تعالى (منع للخير) فيه  
وجهان (احدهما) كثير المنع للمال الواجب وان كان من الكفر فهو انكر دلائل وحدانية  
الله مع قوتها وظهورها فكان شديد الكفر عنيدا حيث انكر الامر الاثم والحق  
الواضح وكان كثير الكفران لوجود الكفران منه عند كل نعمة عنيد تنكرها مع كثرتها  
عن المستحق الطالب واخير هو المال فيكون كقوله تعالى وويل للمسركين الذين  
لا يؤتون الزكاة حيث بدأ ببيان الشرك ونهى بالامتناع اثناء الزكاة وعلى هذا فقيه  
مناسبة شديدة اذا جعلنا الكفار من الكفران كأنه يقول كفر أنعم الله تعالى ولم يؤد  
منها شيئاً لتكر أنعمه (بانيهما) شديد المنع من الايمان فهو منع الخير وهو الايمان الذي هو  
خير محض من ان يدخل في قلوب العباد وعلى هذا فقيه مناسبة شديدة اذا جعلنا الكفار  
من الكفر كأنه يقول كفر بالله ولم يقنع بكفره حتى منع الخير من الغير \* وقوله تعالى  
(معتد) فيه وجهان (احدهما) ان يكون قوله معتد مرتباً على منع بمعنى منع الزكاة  
فيكون مناه لم يؤد الواجب وتعدى ذلك حتى اخذ الحرام ايضاً بالزبا والسرقة كما كان  
عادة المشركين (وانبيهما) ان يكون قوله معتد مرتباً على منع اي منع الايمان كأنه  
يقول منع الايمان ولم يقنع به حتى تعداه واهان من آمن وآذاه واعان من كفر وآواه  
وقوله تعالى (مريب) فيه وجهان احدهما ذوريب وهذا على قولنا الكفار كبير  
الكفران والمناع مانع الزكاة كأنه يقول لا يعلى الزكاة لانه في ريب من الآخرة  
والثواب فيقول لا قرب ما لامن عوض وتانيهما مريب يوقع الغير في الريب بالقاء  
الشبهة والارابة جاءت بالمعنيين جميعاً وفي الآية ترتيب آخر غير ماذكرناه وهو ان يقال  
هذان بيان احوال الكفار بالنسبة الى الله والى رسول الله والى اليوم الآخر فقوله  
كفار عنيد اشارة الى حاله مع الله يكفر به ويعاند آياته وقوله منع للخير معتد اشارة الى  
حالهم مع رسول الله فيمنع الناس من اتباعه ومن الاتفاق على من عنده ويتعدى بالايداء  
وكثرة الهذاء وقوله مريب اشارة الى حاله بالنسبة الى اليوم الآخر يريب فيه  
ويرتاب ولا يظن ان الساعة قائمة فان قيل قوله تعالى ألقيا في جهنم كل كفار عنيد منع  
للخير الى غير ذلك يوجب ان يكون الالتقاء خاصاً بمن اجتمع فيه هذه الصفات بأسرها  
والكفر كاف في ايراث الالتقاء في جهنم والامر به فقول قوله تعالى كل كفار عنيد ليس  
المراد منه الوصف المميز كما يقال اعط العالم الزاهد بل المراد الوصف الملبس بكون  
الموصوف موصوفاً به اما على سبيل المدح او على سبيل الذم كما يقال هذا حاتم السخني  
فقوله كل كفار عنيد فيد ان الكفار عنيد ومنع فالكفار كافر لان آيات الوحداية  
ظاهرة ونعم الله تعالى على عباده وافرقة وعيد ومنع الخير لانه يمدح دينه ويذم دين الحق

فهو يمنع ومريب لانه شاك في الخسر فكل كافر فهو موصوف بهذه الصفات \* وقوله تعالى ( الذي جعل مع الله الها آخر فألقياه في العذاب الشديد ) فيه ثلاثة اوجه ( احدها ) انه بدل من قوله كل كفار عنيد ( ثانيها ) انه عطف على كل كفار عنيد ( ثالثا ) ان يكون عطفا على قوله القيا في جهنم كما قال القيا في جهنم كل كفار عنيد اي والذي جعل مع الله الها آخر فألقياه بعدما اقيمت في جهنم في عذاب شديد من عذاب جهنم \* ثم قال تعالى ( قال قرينه ربنا ما اطغيته ) وهو جواب لكلام مقدر كان الكافر حين ما يلقي في النار يقول ربنا اطغاني شيطاني فيقول الشيطان ربنا ما اطغيته يدل عليه قوله تعالى بعدها قال لا تختصموا لذي لان الاختصاص يستدعي كلاما من الجانبين وحينئذ هذا كما قال الله تعالى في هذه السورة وفي ص قالوا بل انتم لمرحبا بكم وقوله تعالى قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده الى ان قال ان ذلك لحق تحاصم اهل النار وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قال الزمخشري المراد بالقرين في الآية المتقدمة هو الشيطان لا الملك الذي هو شهيد وقعيد واستدل عليه بهذا وقال غيره المراد الملك لا الشيطان وهذا يصلح دليلا ان قال ذلك وبيانه هو انه في الاول لو كان المراد الشيطان فيكون قوله هذا ما لذي عنيد معناه هذا الشخص عندي عنيد معتدلا لتاراعته باغوائى فان الزمخشري صرح في تفسير تلك بهذا وعلى هذا فيكون قوله ربنا ما اطغيته مناقضا لقوله اعتدته ولزمخشري ان يقول الجواب عنه من وجهين ( احدهما ) ان يقول ان الشيطان يقول اعتدته بمعنى زينته الامر وما لجأته فبصح القولان من الشيطان ( وثانيهما ) ان تكون الاشارة الى حالين في الحالة الاولى انما فعلت به ذلك اظهارا للانتقام من بنى آدم وتحكيما لما قال فبعتك لاغوينهم اجمعين ثم اذا رأى العذاب وانه معه مشترك وله على الاغواء عذاب كما قال تعالى فالحق واخلاقول لاملأن جهنم منك ومن تبعك فيقول ربنا ما اطغيته فيرجع عن مقالته عند ظهور العذاب ( المسئلة الثانية ) قال ههنا قال قرينه من غير واو وقال في الآية الاولى وقال قرينه بالواو العاطفة وذلك لان في الاول الاشارة وقعت الى معنيين مجتمعين وان كل نفس في ذلك الوقت تجي ومعهما سائق ويقول الشهيد ذلك القول وفي الثاني لم يوجد هناك معنيان مجتمعان حتى يذكر بالواو والقاء في قوله فألقياه في العذاب لا يناسب قوله تعالى قال قرينه ربنا ما اطغيته مناسب مقتضية للعطف بالواو ( المسئلة الثالثة ) القائل ههنا واحد وقال ربنا ولم يقل رب وفي كثير من المواضع مع كون القائل واحدا قال رب كما في قوله قال رب ارنى نظرك وقل نوح رب اغفر لي وقوله تعالى قال رب السجين احبالي وقوله قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة الى غير ذلك وقوله تعالى قال رب انظرني الى يوم يبعثون تقول في جميع تلك المواضع القائل طالب ولا يحسن ان يقول الطالب يارب عزني واخصني واعطني كذا وانما يقول اعطنا لان كونه ربا لا يناسب تخصيص الطالب واما هذا الموضع فوضع الهيبة

على اعتبار تأنيث النفس والتذكير على القراءة المشهور بتأويل الشخص كما في قول جبهة بن حرث يا نفس انك بالذات مسرور فاذا كبر فهل ينفعك اليوم تذكير ( فكيفنما عنك غطاءك ) الغطاء الحجاب المغطى لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها ( فبصرك اليوم حديد ) نافذ لزوال المانع للابصار وقرئ بكسر الكاف في المواضع الثلاثة ( وقال قرينه ) اي الشيطان المقيض له مشيرا اليه ( هذا ما لذي عنيد ) اي هذا ما عندي وفي ملكتي عنيد لجهنم قد هيأتها لها باغوائى واضلاي وقيل قال الملك الموكل به مشيرا الى مامعه من كتاب عمله هذا مكتوب عندي عتيد مهيأ للعرض وما ان جعلت موصوفة فتعبد صفتها وان جعلت موصولة فهي بدل منها او خبر بعد خبر او خير لمبتدأ محذوف ( القيا في جهنم كل كفار ) خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد على تنزيل تنبيه الفاعل منزلة تنبيه الفعل وتكريره كقول من قال

فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا منعا

قوله المسئلة الثالثة اطراف الكلام فيها غير ملتزمة كما لا يخفى

والعظمة وعرض الحال دون الطلب فقال ربنا ما طغيته \* وقوله تعالى (ولكن كان في ضلال بعيد) يعني ان ذلك لم يكن بالقائه وانما كان ضلالا متغلغلا في الضلال فطغى وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما الوجه في اتصاف الضلال بالبعيد تقول الضال يكون اكثر ضلالا عن الطريق فاذا تبادى في الضلال وبقي فيه مدة يبعد عن المقصود كثيرا واذا علم الضلال قصر في الطريق من قريب فلا يبعد عن المقصود كثيرا فقوله ضلال بعيد وصف المصدر بما يوصف به الفاعل كما يقال كلام صادق وعيشة راضية اى ضلال ذو بعد والضلال اذا بعد مداه وامتد الضال فيه يصير يبتا ويظهر الضلال لان من حاد عن الطريق وابتعد عنه تغير عليه السمات والجهات ولا يرى عين المقصود ويبين له انه ضل عن الطريق وربما يقع في اودية ومفاوز ويظهر له امارات الضلال بخلاف من حاد قليلا فالضلال وصفه الله تعالى بالوصفين في كثير من المواضع فقال تارة في ضلال مبين واخرى قال في ضلال بعيد (المسئلة الثانية) قوله تعالى ولكن كان في ضلال بعيدا شارة الى قوله الاعبادك منهم المخلصين وقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان اى لم يكونوا من العباد فجعلهم اهل العناد ولو كان لهم في سبيلك قدم صدق لما كانى عليهم من يد والله اعلم (المسئلة الثالثة) كيف قال ما طغيته مع انه قال لا اغوينهم اجعين قلنا الجواب عنه من ثلاثة اوجه وجهان قد تقدم ما فى الاعتذار عما قاله الزمخشري والثالث هو ان يكون المراد من قوله لا اغوينهم اى لا دينهم على الغواية كما ان الضال اذا قال له شخص انت على الجادة فلا تتركها يقال انه يضلله كذلك ههنا وقوله ما طغيته اى ما كان ابتداء الاطغاء منى \* ثم قال تعالى (قال لا تختصموا لى) قد ذكرنا ان هذا دليل على ان هناك كلاما قبل قوله قال قرينه ربنا ما طغيته وهو قول الملقى في النار ربنا اطغاني وقوله لا تختصموا لى يفيد مفهومه ان الاختصام كان ينبغى ان يكون قبل الحضور والوقوف بين يدى \* وقوله تعالى (وقد قدمت اليكم بالوعيد) تقرير لل منع من الاختصام وبيان لعدم فائدته كأنه يقول قد قلت انكم اذا اتبعتم الشيطان تدخلون النار وقد اتبعتموه فان قيل ما حكم الباء في قوله تعالى بالوعيد قلنا فيها وجوه (احدها) انها مزيدة كما في قوله تعالى تبث بالدهن على قول من قال انها هناك زائدة وقوله وكفى بالله (ثانيها) معدية قدمت بمعنى تقدمت كما في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله (ثالثها) في الكلام اضمار تقديره وقد قدمت اليكم مقترنا بالوعيد ما يبدل القول لى فيكون المقدم هو قوله ما يبدل القول لى (رابعها) هى الحصا حبة يقول القائل اشتريت القرس بلجامة وسرجه اى معه فيكون كأنه تعالى قال قدمت اليكم ما يجب مع الوعيد على تركه بالانذار \* وقوله تعالى (ما يبدل القول لى) يحتمل وجهين احدهما ان يكون قوله لى متعلقا بالقول اى ما يبدل القول لى وثانيهما ان يكون ذلك متعلقا بقوله ما يبدل اى لا يقع التبديل عندى وعلى الوجه الاول في القول

او على ان الالف بدل من تون التأكيد على اجراء الوصل مجزئ الوقت ويؤيده انه قرئ ألقين بالنون الخفيفة (عنيد) معاند للحق (منع الخير) كثير المنع للمال عن حقوقه المقرضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بنى اخيه منه (معتد) ظالم متطلل للحق (مرتب) شك في الله وفي دينه (الذي جعل مع الله الها آخر) مبتدأ متضمن لمعنى الشرط خبره (فالتقياء في العذاب الشديد) او بدل من كل كفار وقوله تعالى فالتقياء تكرر للتوكيد او مفعول لمخبر يقسره فالتقياء (قال قرينه) اى الشيطان القبيض له وانما استوقف استئناف الجمل الواقعة في حكاية المقابلة لما انه جواب لمخدوف دل عليه قوله تعالى (ربنا ما طغيته) فانه معنى عن سابقة كلام اعتذر به الكافر كأنه قال اطغاني فأجاب قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان اليه بخلاف الجملة الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها دلالة على ان الجمع بين مفهوميهما في الحصول اعنى مجئ كل نفس مع المسلمين وقول قرينه (ولكن كان) هو بالذات (في ضلال بعيد) من الحق فأعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجماء كما في قوله تعالى وما كان لى عليكم

الذي لديه وجوه (احدها) هوانهم لما قالوا حتى يبدل ما قيل في حقتهم ألقيا بقول الله بعد.  
اعتذارهم لالتقياء فقال تعالى لا يبدل هذا القول لدى وكذلك قوله وقبل ادخلوا أبواب  
جهنم لا تبديل له (ثانيها) هو قوله ولكن حق القول مني لا ملأن جهنم اى لا تبديل لهذا  
القول (ثالثها) لا خلف في ايعاد الله تعالى كالاخلاف في ميعاد الله وهذا يرد على المرجئة  
حيث قالوا ما ورد في القرآن من الوعيد فهو تخويف لا يحقق الله شيئا منه وقالوا الكريم  
اذا وعد انجز ووفى واذا اوعدا خلف وعفا (رابعها) لا يبدل القول السابق ان هذا ساقى  
وهذا ساعد حين خلقت العباد قلت هذا ساقى ويعمل عمل الاشقياء وهذا ساقى ويعمل عمل  
الأتقياء وذلك القول عندى لا تبديل له بسعى ساع ولا سعادة الا بتوفيق الله تعالى واما على  
الوجه الثاني ففي لا يبدل وجوه ايضا (احدها) لا يكذب لدى ولا يفترى بين يدي فاني عالم  
علمت من طغي ومن كان طاغيا ومن كان اطغي فلا يفيدكم قولكم اطغاني  
شيطاني ولا قول الشيطان ربنا ما طغيته (ثانيها) اشارة الى معنى قوله تعالى فارجعوا  
وراءكم فالتمسوا نورا كانه تعالى قال لو اردتم ان لا تقول فالتقياء في العذاب الشديد  
كنتم بدلتهم هذا من قبل بتبديل الكفر بالايمان قبل ان تقفوا بين يدي واما الآن فانا  
يبدل القول لدى كما قلنا في قوله تعالى قال لا تختصموا لدى المراد ان اختصاكم كم كان  
يجب ان يكون قبل هذا حيث قلت ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا (ثالثها) معناه  
لا يبدل الكفر بالايمان لدى فان الايمان عند الالباس غير مقبول فقولكم ربنا والهنا  
لا يفيدكم فن تكلم بكلمة الكفر لا يفيد قوله ربنا ما شر كنا وقوله ربنا آمننا وقوله تعالى  
ما يبدل القول اشارة الى نفى الحال كانه تعالى يقول ما يبدل اليوم لدى القول  
لان ما ينفي بها الحال اذا دخلت على الفعل المضارع يقول القائل ماذا تفعل غدا يقال  
ما افعل شيئا اى في الحال واذا قال القائل ماذا يفعل غدا يقال لا يفعل شيئا ولن يفعل شيئا  
اذا اريد زيادة بيان النفي فان قيل هل فيه بيان معنوى يفيد افتراق ما ولا في المعنى نقول  
نعم وذلك لان كلمة لا ادل على النفي لكونها موضوعة للنفي وما في معناه كالنهي خاصة لا يفيد  
الاثبات الا بطريق الحذف او الاضمار وبالجمله فبطريق المجاز كما في قوله لا اقسم واما ما  
فغير متمحضة للنفي لانها وارده لغيره من المعاني حيث تكون اسما والنفي في الحال لا يفيد  
النفي المطلق لجواز ان يكون مع النفي في الحال الاثبات في الاستقبال كما يقال ما يفعل  
اذن شيئا وسيفعل ان شاء الله فاخص بمالم يتمحض نفيا حيث لم تكن متمحضة للنفي  
لا يتال ان لا لا في في الاستقبال والاثبات في الحال فاكتفي في الاستقبال بمالم يتمحض نفيا  
لا نأقول ليس كذلك اذ لا يجوز ان يقال لا يفعل زيد ويفعل الآن نعم يجوز ان يقال  
لا يفعل غدا ويفعل الآن لكون قولك غدا يجعل الزمان مميزا فلم يكن قولك لا يفعل  
لنفي في الاستقبال بل كان للنفي في بعض ازمته الاستقبال وفي مثالنا قلنا ما يفعل  
وسيفعل وما قلنا سيفعل غدا وبعد غدا بل ههنا نفينا في الحال وانبنا في الاستقبال من غير

من سلطان الا ان دعوتكم  
فاستجبتم لي (قال) استئناف مبنى  
على سؤال نشأما قبله كانه قيل  
فاذا قال الله تعالى قبيلا قال  
(لا تختصموا لدى) اى في موقف  
الحساب والجزاء اذ لا فائدة في  
ذلك (وقد قدمت اليكم بالوعيد)  
على الطغيان في دار الكسب في  
كتبي وعلى السنة رسل فلا  
تطمعوا في الخلاص عنه بما تم  
فيه من تعلل بالمعاذير الباطلة  
والجمله حال فيها تعليل للنهي على  
معنى لا تختصموا وقد صرح عندكم  
اني قدمت اليكم بالوعيد حيث  
قلت لا لبليل لا ملأن جهنم مذك  
ومن تبعك منهم اجعين فاني عتوه  
معرضين عن الحق فلا وجه  
للاختصاص في هذا الوقت والباء  
مزيدة او معدية على ان تدم بمعنى  
تقدم وندحوز ان يكون قد تمت  
واقعا على موله تعالى (ما يبدل  
القول لدى) الخ ويكون بالوعيد  
متعلقا بمحذوف هو حال من  
المفعول والفاعل اى وقد تقدمت  
اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد  
مقتربا به او تدمته اليكم موعدا  
لكم به فلا تطمعوا ان ابدل  
وعيدي والغنوب بعض المذنبين  
لا باب داعية الالباس بتبديل  
فان دلائل الغفوة تدل على  
تخصيص الوعيد

تميز زمان من ازمنة الاستقبال عن زمان ومثاله في العكس ان يقال لايفعل زيد وهو يفعل من غير تعيين وتميز ومعلوم ان ذلك غير جائز \* وقوله تعالى (وما انا بظلام للعبيد) مناسب لما تقدم على الوجهين جميعا اما اذا قلنا بأن المراد من قوله لدى ان قوله فالتقياء وقول القائل في قوله قيل ادخلوا ابواب جهنم لا تبديل له فظاهر لان الله تعالى بين ان قوله ألقيا في جهنم لا يكون الا للكافر العنيد فلا يكون هو ظلاما للعبيد واما اذا قلنا باز المراد لا يبدل القول لدى بل كان الواجب التبديل قبل الوقوف بين يدي فكذلك لانه انذر من قبل وما عذب الابدان ارسل الرسل وبين السبل \* وفيه مباحث لفظية ومعنوية (اما اللفظية) فهي في الباء من قوله ليس بظلام وفي اللام من قوله للعبيد اما الباء فنقول الباء تدخل في المفعول به حيث لا يكون تعلق الفعل به ظاهرا ولا يجوز ادخالها فيه حيث يكون في غاية الظهور ويجوز الادخال والترك حيث لا يكون في غاية الظهور ولا في غاية الخفاء فلا يقال ضربت زيد لظهور تعلق الفعل بزيد ولا يقال خرجت وذبحت زيدا بدل قولنا خرجت وذبحت بزيد خلفاء تعلق الفعل بزيد فيهما ويقال شكرته وشكرت له للتوسط فكذلك خبر ما لما كان مشبها بالمفعول وليس في كونه فعلا غير ظاهر غاية الظهور لان الحاق الضمائر التي تلتحق بالافعال الماضية كالثناء والنون في قوله لست ولستم ولستن ولسنا صحيح كونها فعلا كما في قولك كنت وكنا لكن في الاستقبال بين الفرق حيث نقول يكون وتكون وكن ولانقول ذلك في ليس وما يشبهها فاصارتا كالفعل الذي لا يظهر تعلقه بالمفعول غاية الظهور فجاز ان يقال ليس زيد جاهلا وليس زيد بجاهل كما يقال مسحته ومسحت به وغير ذلك مما تعدى بنفسه وبالباء ولم يجوز ان يقال كان زيد بخارج وصار عمرو بدارج لان صار وكان فعل ظاهر غاية الظهور بخلاف ليس وما التافية وهذا يؤيد قول من قال ما هذا بشر وهذا ظاهر (البحث الثاني) لو قال كان ينبغي ان لا يجوز اخلاء خبر ما عن الباء كما لا يجوز ادخال الباء في خبر كان وخبر ليس يجوز فيه الامران وتقرير هذا السؤال هو ان كان لما كان فعلا ظاهرا جعلناه بمنزلة ضرب حيث منعنا دخول الباء في خبره كما منعناه في مفعوله وليس لما كان فعلا من وجه نظرا الى قولنا لست ولسنا ولستم ولم يكن فعلا ظاهرا نظرا الى صيغ الاستقبال والامر جعلناه متوسطا وجوزنا ادخال الباء في خبره وتركه كقولنا في مفعول شكرته وشكرت له وما لما لم يكن فعلا بوجه كان ينبغي ان يكون بمنزلة الفعل الذي لا يتعدى الى المفعول بالاحرف وكان ينبغي ان لا يجرى خبره الامع الباء كما لا يجرى مفعول ذهب الامع الباء ويؤيد هذا ان فرقنا بين ما وليس وكان وجعلنا الكل واحدة مرتبة ليست للآخرى فجوزنا تأخير كان في اللفظ حيث جوزنا ان يقول القائل زيد حار جا كان وما جوزنا زيد حار جا ليس لان كان فعل ظاهر وليس دونه في الظهور وما جوزنا تأخير ما عن احد شطري الكلام ايضا بخلاف ليس حيث لا يجوز ان يقول القائل زيد ما بظلام الا عند بعيد ما يرجع اليه فيقول زيد ما هو بظلام

وقوله تعالى (وما انا بظلام للعبيد) وارجو لتحقيق الحق على الوجه الكلي وتبين ان عدم تبديل القول وتحقيق موجب الوجود ليس من جهة تعالى من غير استحقاق له منهم بل انما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة حسبا اشير اليه آنفا اي وما انا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعير عنه بالظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا

فصار بينهما ترتيب ما بوجه وليس يؤخر عن احدا لشرطين ولا يؤخر في الكلام بالكلية  
وكان يؤخر بالكلية لما ذكرنا من الظهور والخفاء فكذلك القول في الحاق الباء كان ينبغي  
ان لا يصح اخلاء خبر ما عن الباء وفي ليس بجواز الامران وفي كان لا يجوز الادخال وهذا  
هو المعتمد عليه في لغة بني تميم حيث قالوا ان ما بهدما اذا جعل خبرا يجب ادخال الباء عليه  
فان لم تدخل عليه يكون ذلك معربا على الابتداء او على وجه آخر ولا يكون خبرا والجواب  
عن السؤال هو ان نقول الاكثر ادخال الباء في خبر ما ولا سيما في القرآن قال الله  
تعالى وما انت بهادي العمى عن ضلالتهم وما انت بسمع وما هم بخارجين وما انا بظلام  
واما الوجوب فلان ما شبه ليس في المعنى في الحقيقة وخالفها في العوارض وهو لحوق  
الناء والنون واما في المعنى فهما لنفي الحال فالشبه مقتضى لجواز الاخلاء والمخالفة مقتضية  
لوجوب الادخال لكن ذلك المقتضى اقوى لانه راجع الى الامر الحقيقي وهذا  
راجع الى الامر العارضى وما بالنفس اقوى مما بالعارض واما التقديم والتأخير فلا يلزم  
منه وجوب ادخال الباء \* واما الكلام في اللام فنقول اللام لتحقيق معنى الاضافة يقال  
غلام زيد وغلام زيد وهذا في الاضافات الحقيقية باثبات التنوين فيه واما في الاضافات  
اللفظية كقولنا ضارب زيد وقاتل عمرو فان الاضافة فيه غير معنوية فاذا خرج الضارب  
عن كونه مضافا باثبات التنوين فقد كان يجب ان يعاد الاصل وينصب ما كان مضافا اليه  
الفاعل بالمفعول به ولا يؤتى باللام لانه حينئذ لم يبق الاضافة في اللفظ ولم تكن اضافة في  
المعنى غير ان اسم الفاعل منقطع الدرجة عن الفعل فصار تعلقه بالمفعول اضعف من تعلق  
الفعل بالمفعول وصار من باب الافعال الضعيفة التعلق حيث بينا جواز تعديتها الى  
المفعول بحرف وغير حرف فلذلك جاز ان يقال ضارب زيد او ضارب زيد كما جاز مسحته  
ومسحته به وشكرته وشكرته له وذلك اذا تقدم المفعول كما في قوله تعالى ان كنتم لرؤيا  
تعبرون للضعف (واما المعنوية فباحث الاول) الظلام مبالغة في الظالم ويلزم من اثباته  
اثبات اصل الظلم اذا قال القائل هو كذاب يلزم ان يكون كاذبا كثر كذبه ولا يلزم من نفيه  
نفي اصل الكذب لجواز ان يقال فلان ليس بكذاب كثير الكذب لكنه يكذب احيانا ففي  
قوله تعالى وما انا بظلام لاي فهم منه نفي اصل الظلم والله ليس بظالم فالوجه فيه نقول  
الجواب عنه من ثلاثة اوجه (احدها) ان الظلام بمعنى الظالم كالتماز بمعنى التامر وحينئذ  
يكون اللام في قوله للعبيد لتحقيق النسبة لان الفاعل حينئذ بمعنى ذي ظلم وهذا وجه جيد  
مستفاد من الامام زين الدين ادام الله فوائده (والثاني) ما ذكره الزمخشري وهو ان ذلك  
امر تقديرى كأنه تعالى يقول لو ظلمت عبدى الضعيف الذى هو محل الرحمة لكان ذلك  
غاية الظلم وما انا بذلك فيلزم من نفي كونه ظلاما نفي كونه ظالما ويحقق هذا الوجه اظهار  
لفظ العبيد حيث يقول ما انا بظلام للعبيد اى في ذلك اليوم الذى امتلأت جهنم مع  
سعتها حتى تصبح وتقول لم يبق لي طاقة بهم ولم يبق في موضع لهم فهل من مزيد استنفهم

عن كونه ظالما مفرطا لبيان كمال  
نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره  
بصورة ما يستحيل صدوره عنه  
سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة  
لتأكيد هذا المعنى بابرار ما ذكر  
من التعذيب بغير ذنب في معرض  
المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية  
جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم  
لعبدته وظلام لعبيده على انها



استكنار فذلك اليوم مع انى التي فيها عددا لا حصر له لا كون بسبب كثرة التعذيب كثير  
الظلم وهذا مناسب وذلك لانه تعالى خصص النقي بالزمان حيث قال ما انا بظلام يوم نقول  
اى وما انا بظلام في جميع الازمان ايضا وخصص بالعبد حيث قال وما انا بظلام للعبيد ولم  
يطلق فكذلك خصص النقي بنوع من انواع الظلم ولم يطلق فلم يلزم منه ان يكون ظالما في غير  
ذلك الوقت وفي حق غير العبيد وان خصص والفائدة في التخصيص انه اقرب الى التصديق  
من التعميم (الثالث) هذا يدل على ان التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ما عداه لانه نفي كونه  
ظلاما ولم يلزم منه نفي كونه ظالما ونفي كونه ظلاما للعبيد ولم يلزم منه نفي كونه ظلاما  
لغيرهم كما قال في حق الأدمي ومنهم ظالم لنفسه (البحث الثاني) قال ههنا وما انا بظلام  
للعبيد من غير اضافة وقال ما انت بهادى العبي وما انت بمجمع من في القبور على وجه  
الاضافة فما الفرق بينهما نقول الكلام قد يخرج اولا مخرج العموم ثم يخصص لامر ما  
لا لغرض التخصيص يقول القائل فلان يعطى ويمنع ويكون غرضه التعميم فان سأل سائل  
يعطى من ويمنع من يقول زيدا وعمرا ويأتى بالتخصيص لا لغرض التخصيص وقد يخرج  
اولا مخرج الخصوص فيقول فلان يعطى زيدا ماله اذا علمت هذا فاقوله ما انا بظلام كلام  
لواقتصر عليه لكان للعموم فأتى بلفظ العبيد لالكون عدم الظلم مختصا بهم بل لكونهم  
اقرب الى كونهم محل الظلم من نفسه تعالى واما النبي صلى الله عليه وسلم فكان في نفسه  
هاديا وانما أراد نفي ذلك الخاص فقال ما انت بهادى العبي وما قال ما انت بهادى وكذلك  
قوله تعالى أليس الله بكاف عبده (البحث الثالث) العبيد يحتمل ان يكون المراد مند  
الكفار كما في قوله تعالى يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول يعنى اعذبهم وما انا بظلام  
لهم ويحتمل ان يكون المراد منه المؤمنين ووجهه هو ان الله تعالى يقول لو بدلت القول  
ورجعت الكافر لكنت في تكليف العباد ظالما لالعبادى المؤمنين لاني منعهم من الشهوات  
لاجل هذا اليوم فان كان ينال من لم يأت بما أتى المؤمن ما يناله المؤمن لكان آتيانه بما  
أتى به من الايمان والعبادة غير مفيد فائدة وهذا معنى قوله تعالى لا يستوى اصحاب النار  
واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون ومعنى قوله تعالى قل هل يستوى الذين يعملون  
والذين لا يعملون وقوله تعالى لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر ويحتمل  
ان يكون المراد التعميم \* ثم قال تعالى (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من  
مزيد) العامل في يوم ما ذافيه وجوه (الاول) ما انا بظلام مطلقا (والثاني) الوقت حيث قال  
ما انا يوم كذا ولم يقل ما انا بظلام في سائر الازمان وقد تقدم بيانه فان قيل فما فائدة  
التخصيص نقول النقي الخاص اقرب الى التصديق من النقي العام لان المتوهم ذلك فان  
قاصر النظر يقول يوم يدخل الله عبده الضعيف جهنم يكون ظالمه ولا يقول بأنه يوم  
خلقه يرزقه ويرببه يكون ظالما ويتوهم انه يظلم عبده بادخاله النار ولا يتوهم انه يظلم نفسه  
او غير عبده المذكور بن ويتوهم انه من يدخل خلقا كثيرا لا يحوزه حد ولا يدركه عد النار

مبالغة كالا كيف (يوم نقول  
لجهنم هل امتلأت وتقول هل  
من مزيد) سؤال وجواب جئ  
بهما على منهاج التمثيل والتخييل  
لتهويل امرها والمعنى انها مع  
اتساعها وتباعد اطرافها نظرح  
فيها من الجنة والناس فوجا بعد  
فوج حتى تمتلئ اوانها من السعة  
بحيث يدخلها من يدخلها وفيها  
بعد عمل فارغ اوانها لفيظها على  
العصاة تطلب زيادتهم وفري  
يقول بالباء والمريد امام صدر  
كالجند والصيد او مفعول كالبيع  
ويوم اما منصوب باد كر

ويتركهم فيها زمانا لانها ياله كثير الظلم ففي ما توهم دون ما لا توهم وهو قوله هل امتلأت  
 بيان لتصديق قوله تعالى لا ملأن جهم وقوله هل من مزيد فيه وجهان (احدهما) انه لبيان  
 استكثارها الداخلين كما ان من يضرب غيره ضربا مبرحا او يشتمه شتما فيجأ فاحشا يقول  
 المضروب هل بقي شيء آخر ويدل عليه قوله تعالى لا ملأن لان الاملاء لابد من ان يحصل  
 فلا يبقى في جهم موضع خال حتى تطلب المزيدو (ثانيهما) هو انها تطلب الزيادة وحيثذلو قال  
 قائل فكيف يفهم مع هذا معنى قوله تعالى لا ملأن نقول الجواب عنه من وجوه (الاول)  
 ان هذا الكلام ربما يقع قبل ادخال الكل وفيه لطيفة وهي ان جهم تنغيظ على الكفار  
 فتطلبهم ثم يبقى فيها موضع لعصاة المؤمنين فتطلب جهم امتلاءها لظنها بقاء احدهم  
 الكفار خارجا فيدخل العاصي من المؤمنين فيبرد ايمانه حرارتها ويسكن ايقانه غيظها  
 فتسكن وعلى هذا يحمل ماورد في بعض الاخبار ان جهم تطلب الزيادة حتى يضع الجبار  
 قدمه والمؤمن جبار متكبر على ماسوى الله تعالى ذليل متواضع لله (الثاني) ان تكون  
 جهم تطلب اول اسعة في نفسها ثم مزيدا في الداخلين لظنها بقاء احد من الكفار (الثالث)  
 ان الله له درجات فان الكيل اذا ملئ من غير كبس صح ان يقال ملئ وامتلاء فاذا كبس  
 يسع غيره ولا ينافي كونه ملائ او لا فكذلك في جهم ملائها الله ثم تطلب زيادة تضيقا  
 للمكان عليهم وزيادة في التعذيب والمزيد جاز ان يكون بمعنى المفعول اي هل بقى احد  
 تزيد به ثم قال تعالى (وازلت الجنة للمتقين غير بعيد) بمعنى قريبا او بمعنى قربت  
 والاول اظهر وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما وجه التقريب مع ان الجنة مكان  
 والامكنة بقرب منها وهي لا تقرب نقول الجواب عنه من وجوه (الاول) ان الجنة لا تزال  
 ولا تنقل ولا المؤمن يؤمر في ذلك اليوم بالانتقال اليها مع بعدها لكن الله تعالى يطوى  
 المسافة التي بين المؤمن والجنة فهو التقريب فان قيل فعلى هذا ليس ازلاف الجنة من  
 المؤمن بأولى من ازلاف المؤمن من الجنة فالقاعدة في قوله وازلفت الجنة نقول اكراما  
 للمؤمن كما انه تعالى اراد بيان شرف المؤمن المتقنه ان من يمشى اليه ويدني منه (الثاني) قربت  
 من الحصول في الدخول لا بمعنى القرب المكاني يقال يطلب من الملك امر اخطيرا والملك  
 بعيد عن ذلك ثم اذا رأى منه مخايل انجاز حاجته يقال قرب الملك وما زلت انهي اليه حاله  
 حتى قربته فكذلك الجنة كانت بعيدة الحصول لانها بما فيها لا قيمة لها ولا قدرة للمكلف  
 على تحصيلها لولا فضل الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم ما من احد يدخل الجنة  
 الا بفضل الله تعالى فقبل ولا انت يا رسول الله فقال ولا أنا وعلى هذا فقوله غير نصب على  
 الحال تقديره قربت من الحصول ولم تكن بعيدة في المسافة حتى يقال كيف قربت (الثالث)  
 هو ان الله تعالى قادر على نقل الجنة من السماء الى الارض فيقربها للمؤمن وأما ان قلنا  
 انها قربت فمعناه جمعت محاسنها كما قال تعالى فيها ما تشتهى الانفس (المسئلة الثانية) على  
 هذا الوجه وعلى قولنا قربت تقرب حصول ودخول فهو يحتمل وجهين (احدهما) ان

او انذر او ظرف لنفخ فيكون ذلك  
 حيثئذ اشارة اليه من غير حاجة  
 الى تقدير مضاف او لقدر مؤخر  
 اي يكون من الاحوال والاهوال  
 ما يفصر عنه المقال (وازلت الجنة  
 للمتقين) شروع في بيان حال  
 المؤمنين بعد النفخ وجمي  
 النفوس الى موقف الحساب وفد  
 مر سر تقديم بيان حال الكفرة  
 عليه وهو عطف على نفخ اي  
 قربت للمتقين عن الكفر  
 والمعاصي بحيث يشاهدونها من  
 الموقف ويقفون على ما فيها من  
 فنون المحاسن فيستبجون بأنهم  
 محشورون اليها فاثرون بها وقوله  
 تعالى (غير بعيد) تأكيد للازلاف

يكون قوله تعالى وازلفت اى فى ذلك اليوم ولم يكن قبل ذلك واما فى جمع المحاسن فربما يزيد فيها زينة وقت الدخول واما فى الحصول فلا ان الدخول قبل ذلك كان مستبعدا اذ لم يقدر الله دخول المؤمنين الجنة فى الدنيا ووعده فى الآخرة فقربت فى ذلك اليوم (وثانيهما) ان يكون معنى قوله تعالى وازلفت الجنة اى ازلفت فى الدنيا اما بمعنى جمع المحاسن فلانها مخلوقة وخلق فيها كل شئ واما بمعنى تقرب الحصول فلانها تحصل بكلمة حسنة واما على تفسير الازلاف بالتقريب المكاني فلا يكون ذلك مجحولا الاعلى ذلك الوقت اى ازلفت فى ذلك اليوم للمتقين (المسئلة الثالثة) ان جل على القرب المكاني فالفائدة فى الاختصاص بالمتقين مع ان المؤمن والكافر فى عرصة واحدة فنقول قديكون شخصان فى مكان واحد وهناك مكان آخر هو الى احدهما فى غاية القرب وعن الآخر فى غاية البعد مثاله مقطوع الرجلين والسليم الشديد العدو واذا اجتمعا فى موضع وبخضرتهما شئ لاتصل اليه اليد بالمد فذلك بعيد عن المقطوع وهو غاية القرب من العادى او نقول اذا اجتمع شخصان فى مكان واحد احيط به سدن حديد ووضع بقربه شئ لانتاله يده بالمد والآخر لم يحيط به ذلك السد يصح ان يقال هو بعيد عن المسدود وقرب من المحفوظ والمجدود وقوله تعالى غير بعيد يحتمل ان يكون نصبا على الظرف يقال اجلس غير بعيد منى اى مكانا غير بعيد وعلى هذا فقوله غير بعيد يفيد التأكيد وذلك لان القريب قديكون بعيدا بالنسبة الى شئ فان المكان الذى هو على مسيرة يوم قريب بالنسبة الى البلاد النائية وبعيد بالنسبة الى منتهات المدينة فاذا قال قائل ايما اقرب المسجد الاقصى او البلد الذى هو بأقصى المغرب او المشرق يقال له المسجد الاقصى قريب وان قال ايهما اقرب هو او البلد يقال له هو بعيد فقوله تعالى ازلفت غير بعيد اى قربت قربا حقيقيا لانسيا حيث لا يقال فيها انها بعيدة عنه مقايسة او مناسبة ويحتمل ان يكون نصبا على الحال تقديره قربت حال كون ذلك غاية التقريب او نقول على هذا الوجه يكون معنى ازلفت قربت وهى غير بعيد فيحصل المعنيان جميعا الاقارب والاقتراب او يكون المراد القرب والحصول لاللمكان فيحصل معنيان القرب المكاني بقوله غير بعيد والحصول بقوله ازلفت وقوله غير بعيد مع قوله ازلفت على التأييث يحتمل وجوها (الاول) اذا قلنا ان غير نصب على المصدر تقديره مكانا غير بعيد (الثاني) التذكير فيه كما فى قوله تعالى ان رحمة الله قريب اجراء لفعل بمعنى فاعل مجرى فعل بمعنى مفعول (الثالث) ان يقال غير منصوب نصبا على المصدر على انه صفة مصدر محذوف تقديره ازلفت الجنة ازلافا غير بعيد اى عن قدرتنا فانا قد ذكرنا ان الجنة مكان والمكان لا يقرب وانما يقرب منه فقال الازلاف غير بعيد عن قدرتنا فاننا طوى المسافة بينهما \* ثم قال تعالى (هذا ما توعدون) قال الزخشرى هى جملة معتزة بين كلامين وذلك لان قوله تعالى لكل اواب بدل عن المتقين كما نه تعالى قال ازلفت الجنة للمتقين لكل اواب كما فى قوله تعالى جعلنا لمن يكفر بالرحن لبيوتهم غير ان ذلك بدل

اى مكانا غير بعيد بحيث يشاهدونها اوحال كونها غير بعيد اى شيئا غير بعيد ويجوز ان يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذى يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث اولتا ويل الجنة بالبستان (هذا ما توعدون) اشارة الى الجنة والتذكير لان المسار اليه هو المسمى من غير ان يخطر بالبال لفظ بدل عليه فضلا عن تذكيره ونأينيه فانها من احكام اللفظ العربى كما مر فى قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي وقوله تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب طالوا

الاشتمال وهذا بدل الكل وقال هذا اشارة الى الثواب اى هذا الثواب ما توعدون  
اوالى الازلاف المدلول عليه بقوله ازلقت اى هذا الازلاف ما وعدتم به ويحتمل ان يقال  
هو كلام مستقل ووجه ان ذلك محمول على المعنى لا ما يوعده يقال للموعود هذا لك وكأنه  
تعالى قال هذا ما قلت انه لكم \* نعم قال تعالى (لكل اواب حفيظ) بدلا عن الضمير فى  
توعدون وكذلك ان قرئ بالياء يكون تقديره هذا لكل اواب بدلا عن الضمير والاواب  
الرجاع قيل هو الذى يرجع من الذنوب ويستغفر والحفيظ الحافظ الذى يحفظ توبته من  
النقض ويحتمل ان يقال الاواب هو الرجاع الى الله بفكره والحفيظ الذى يحفظ الله فى  
ذكره اى يرجع اليه بالفكر فيرى كل شئ واقعا به وموجودا منه ثم اذا انتهى اليه حفظه  
بحيث لا ينساه عند الرخاء والنعماء والاواب والحفيظ كلاهما من باب المبالغة اى يكون  
كثير الاواب شديد الحفظ \* وفيه وجه آخر ادق وهو ان الاواب هو الذى يرجع عن متابعة  
هواه فى الاقبال على مساواه والحفيظ هو الذى اذا دركه بأشرف قواه لا يتركه فيكمل بها  
تقواه ويكون هذا تفسير المتيقن لان المتقن هو الذى اتقى الشرك والتعطيل ولم ينكره  
ولم يعترف بغيره والاواب هو الذى لا يعترف بغيره ويرجع عن كل شئ غير الله تعالى والحفيظ  
هو الذى لم يرجع عنه الى الشئ مما عداه \* نعم قال تعالى (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب  
منيب) وفى من وجوه (احدها) وهو اغربها انه منادى كأنه تعالى قال يا من خشى الرحمن  
ادخلوها بسلام وحذف حرف النداء شائع (ثانيها) من بدل عن كل فى قوله تعالى لكل اواب  
من غير اعادة حرف الجر تقديره ازلقت الجنة لمن خشى الرحمن بالغيب (ثالثها) فى قوله تعالى  
اواب حفيظ موصوف غير مذكور كأنه يقول لكل شخص اواب او عبداً وغير ذلك  
فقوله تعالى من خشى الرحمن بالغيب بدل عن ذلك الموصوف هذه وجوه ثلاثة ذكرها  
ان مختصرى وقال لا يجوز ان يكون بدلا عن اواب او حفيظ لان اواب وحفيظ قد وصف  
به موصوف معلوم غير مذكور كما بيناه والبدل فى حكم المبدل منه فتكون من موصوفها  
ومن لا يوصف بها لا يقال الرجل من جاءنى جالسنى كما يقال الرجل الذى جاءنى جالسنى هذا  
تمام كلام ان مختصرى فان قال قائل اذا كان من والذى يشتركان فى كونهما من الموصولات  
فلماذا لا يشتركان فى جواز الوصف بهما نقول الامر معقول نيته فى ما ومنه يتبين الامر فيه  
فنقول ما اسم مبهم يقع على كل شئ ففهو موهوشى لكن الشئ هو اعم الاشياء فان الجوهر  
شئ والعرض شئ والواجب شئ والممكن شئ والاعم قبل الاخص فى الفهم لانك اذا رأيت  
من البعد شجحات قول اولائه شئ ثم اذا ظهر لك منه ما يختص بالناس تقول انسان فاذا  
بان لك انه ذكر قلت هو رجل فاذا وجدته ذاقوة تقول شجاع الى غير ذلك فالاعم اعرف  
وهو قبل الاخص فى الفهم ففهو ما قبل كل شئ فلا يجوز ان يكون صفة لان الصفة بعد  
الموصوف هذا من حيث المعقول واما من حيث النحو فلان الحقائق لا يوصف بها فلا  
يقال جسم رجل جاءنى كما يقال جسم ناطق جاءنى لان الوصف يقوم بالموصوف والحقيقة

هذا ما وعدنا الله ورسوله ويحوز  
ان يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل  
هو اشارة الى الثواب وقيل الى  
مصدر ازلقت وقرئ يوعدون  
والجملة اما اعتراض بين البدل  
والمبدل منه واما مقدر يقول هو  
حال من المتقين او من الجنة  
والعامل ازلقت اى مقولا لهم  
او مقولا فى حقها هذا ما توعدون  
(لكل اواب) اى رجاع الى الله  
تعالى بدل من المتقين باعادة الجار  
(حفيظ) حافظ لتوبته من  
النقض وقيل هو الذى يحفظ  
ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر  
منها وقبل هو الحافظ لاوامر الله  
تعالى وقيل لما استودعه الله تعالى  
من حقوقه (من خشى الرحمن  
بالغيب وجاء بقلب منيب)

تقوم بنفسها لا بغيرها وكل ما يقع وصفا لغيره يكون معناه شيء له كذا فقولنا عالم معناه شيء له علم او عالمية فيدخل في مفهوم الوصف شيء مع امر آخر وهو له كذا لكن المجرد شيء فلا يوجد فيه ما يتم به الوصف وهو الامر الآخر الذي معناه ذو كذا فلم يحزان يكون صفة واذا بان القول فن في العقلاء كما في غيرهم وفيهم فن معناه انسان او ملك او غيرهما من الحقائق العاقلة والحقائق لا تقع صفات واما الذي يقع على الحقائق والوصاف ويدخل في مفهومه تعريف اكثر مما يدخل في مجاز الوصف بما دون من \* وفي الآية لطائف معنوية (الاولى) الخشية والخوف معناهما واحد عند اهل اللغة لكن بينهما فرق وهو ان الخشية من عظمة المخشى وذلك لان تركيب حروف خ ش ي في تقاليها يلزمه معنى الهيبة يقال شيخ للسيد والرجل الكبير السن وهما جميعا مهيبان والخوف خشية من ضعف الخاشي وذلك لان تركيب خ و ف في تقاليها يدل على الضعف تدل عليه الخيفة والخفية ولولا قرب معناهما لما ورد في القرآن تضربا وخيفة وتضرعا وخفية والخفي فيه ضعف كالحائف اذا علمت هذا تبين لك الطيفة وهي ان الله تعالى في كثير من المواضع ذكر لفظ الخشية حيث كان الخوف من عظمة المخشى قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت حاشعا متصدعا من خشية الله فان الجبل ليس فيه ضعف يكون الخوف من ضعفه وانما الله عظيم يخشاه كل قوى وهم من خشية ربهم مشفقون مع ان الملائكة اقوياء وقال تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه اى تخافهم اعظاما لهم اذ لا ضعف فيك بالنسبة اليهم وقال تعالى لا تخف ولا تحزن اى لا تخف ضعفا فانهم لا عظمة لهم وقال يخافون يوما حيث كان عظمة اليوم بالنسبة الى عظمة الله ضعيفة وقال لا تخافوا ولا تحزنوا اى بسبب مكروه يلحقكم من الآخرة فان المكروهات كلها مدفوعة عنكم وقال تعالى خائفا يترقب وقال انى اخاف ان يقتلون لوحده وضعفه وقال هرون انى خشيت لعظمة موسى في عين هرون لا للضعف فيه وقال فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا حيث لم يكن للضعف فيه وحاصل الكلام انك اذا تأملت استعمال الخشية وجدتها مستعملة لخوف بسبب عظمة المخشى واذا نظرت الى استعمال الخوف وجدته مستعملا خشية من ضعف الحائف وهذا في الاكثر وربما يخلف المدعى عنه لكن الكثرة كافية (الثانية) قال الله تعالى ههنا خشى الرحمن مع ان وصف الرحمة غالبا يقابل الخشية اشارة الى مدح المتقي حيث لم تمنعه الرحمة من الخوف بسبب العظمة وقال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت حاشعا متصدعا من خشية الله اشارة الى ذم الكافر حيث لم تحمله الالهية التي تنبئ عنها لفظه الله وفيها العظمة على خوفه وقال انما يخشى الله من عباده العلماء لان انما للحصر فكان فيه اشارة الى ان الجاهل لا يخشاه فذكر الله ليعين ان عدم خشيته مع قيام مقتضى وعدم المانع وهو الرحمة وقد ذكرنا ذلك في سورة يس وتزيد ههنا شيئا آخر وهو ان نقول لفظه الرحمن اشارة الى مقتضى الخشية لا الى المانع

بدل بعد بدل من موصوف  
اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه  
لان من لا يوصف به ولا يوصف  
الا بالذى او مبتدأ خبره

وذلك لان الرحمن معناه واهب الوجود بالخلق والرحيم واهب البقاء بالرزق وهو في الدنيا رحان حيث اوجدنا بالرحمة ورحيم حيث ابقى بالرزق ولا يقال لغيره رحيم لان البقاء بالرزق قد يظن ان مثل ذلك يأتي بمن يطعم المضطربة قال فلان هو الذي ابقى فلانا وهو في الآخرة ايضا رحان حيث يوجدنا ورحيم حيث يرزقنا واذ كرنا ذلك في نفسه الفاتحة حيث قلنا قال بسم الله الرحمن الرحيم اشارة الى كونه رحانا في الدنيا حيث خلقنا رحيميا في الدنيا حيث يرزقنا رحمة ثم قال مرة اخرى بعد قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم اى هو رحمن مرة اخرى في الآخرة بخلقنا نانيا واستدلينا عليه بقوله بعد ذلك مالك يوم الدين اى يخلقنا نانيا ورحيم يرزقنا ويكون هو المالك في ذلك اليوم اذا علمت هذا فمن يكون منه وجود الانسان لا يكون خوفه خشية من غيره فان القائل يقول لغيره اخاف منك ان تقطع رزقي او تبدل حياتي فاذا كان الله تعالى رحانا منه الوجود ينبغي ان يخشى فان من يبدى الوجود ببداهة العدم وقال صلى الله عليه وسلم خشية الله رأس كل حكمة وذلك لان الحكم اذا تفكر في غير الله وجدته محل التغيير يجوز عليه العدم في كل طرفة عين وربما يقدر الله عدمه قبل ان يتمكن من الاضرار لان غير الله ان لم يقدر الله ان يضر لا يقدر على الضرر وان قدر عليه بتقدير الله فيسزول الضرر بموت المعذب او المعضب واما الله تعالى فلا راد لما اراد ولا آخر لعذابه وقال تعالى بالغيب اى كانت خشيتهم قبل ظهور الامور حيث ترى رأى العين وقوله تعالى وجاء بقلب منيب اشارة الى صفة مدح اخرى وذلك لان الخاشي قبيح وبترك القرب من الخشي ولا ينفع واذا علم الخشي انه تحت حكمه تعالى علم انه لا ينفعه الهرب فيأتى الخشي وهو خاش فقال وجاء ولم يذهب كما يذهب الا بى وقوله تعالى بقلب منيب الباء فيه يحتمل وجوها ذكرناها في قوله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق (احدها) التعديفة اى احضر قلبا سليما كما يقال ذهب به اذا اذهب (ثانيها) المصاحبة يقال اشترى فلان الفرس بسرجه اى مع سرجه وجاء فلان بأهله اى مع اهله (ثالثها) وهو اعرفها الباء للسبب يقال ما اخذ فلان الا بقول فلان وجاء بالرجاء له فكأنه تعالى قال جاء وما جاءه الا بسبب انابة في قلبه علم انه لا يرجع الا الى الله فجا بسبب قلبه الميب والقلب المنب كالقلب السليم في قوله تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم اى سليم من الشرك ومن سلم من الشرك يترك غير الله ويرجع الى الله فكان منيبا ومن اناب الى الله برى من الشرك فكان سليما \* ثم قال تعالى (ادخلوها بسلام) فالضمير عائذ الى الجنة التي في وازلفت الجنة اى لما تكامل حسنهما وقربهما وقيل لهم انما منزلكم بقوله هذا ما توعدون اذن لهم في دخولها وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الخطاب مع من نقول ان قرىء ما توعدون بالثناء فهو ظاهر لا يخفى ان الخطاب مع الموعودين وان قرىء بالياء فالخطاب مع المتقين اى يقال للمتقين ادخلوها (المسئلة الثانية) هذا يدل على ان ذلك يتوقف على الاذن وفيه من الانتظار ما لا يليق بالاكرام نقول ليس كذلك فان من دعاكم الى بستانه يفتح له الباب ويجلس

(ادخلوها) بتأويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشي او مفعوله اوصفه لمصدره اى خشيته ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو عائب عنه او هو عائب عن الاعين لا يراه احد والتعريض لعنوان الرجانية للاشارة بأنهم مع خشيتهم عقابه راجون رجته او بان عليهم بسعة رجته تعالى لا يصدهم عن خشيتهم تعالى وانهم عاملون بموجب قوله تعالى نبي عبادى اى انا العفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ووصف القلب بالانابة لما ان العبد يرجوعه الى الله تعالى (بسلام) متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها اى لمنسبين بسلامة من العذاب وزوال النعم او بسلام من جهة الله تعالى وملائكة

في موضعه ولا يقف على الباب من رجه ويقول اذا بلغت بستاني فادخله وان لم يكن هناك احد يكون قد اخل باكرامه بخلاف من يقف على بابه قوم يقولون ادخل باسم الله يدل على الاكرام قوله تعالى بسلام كما يقول المضيف ادخل مصاحباً بالسلامة والسعادة والكرامة والبناء للمصاحبة في معنى الحال اى سالمين مقرونين بالسلامة او معناه ادخلوها مسلماً عليكم يسلم الله وملائكته عليكم ويحتمل عندى وجهاً آخر وهو ان يكون ذلك ارشاداً للمؤمنين الى مكارم الاخلاق في ذلك اليوم كما ارشدوا اليها في الدنيا حيث قال تعالى لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسألوا على اهلها فلكانه تعالى قال هذه داركم ومزلكم ولكن لا تتركوا حسن عادتكم ولا تخلوا بمكارم اخلاقكم فادخلوها بسلام ويصيحون سلاماً على من فيها ويسلم من فيها عليهم ويقولون السلام عليكم ويدل عليه قوله تعالى الاقبلا سلاماً سلاماً اى يسلمون على من فيها ويسلم من فيها عليهم وهذا الوجه ان كان منقولاً فهو منقولاً فهو مناسب معقول ايده دليل منقول قال تعالى (ذلك يوم الخلود) حتى لا يدخل في قلبهم ان ذلك ربما ينقطع عنهم فتبقى في قلبهم حسرته فان قيل المؤمن قد علم انه اذا دخل الجنة خلد فيها فا القائدة في التذكير والجواب عنه من وجهين (احدهما) ان قوله ذلك يوم الخلود قول الله في الدنيا اعلاماً واخباراً وليس ذلك قولاً يقوله عند قوله ادخلوها فلكانه تعالى اخبرنا في يومنا ان ذلك اليوم يوم الخلود (ثانيهما) اطمان القلب بالقول اكثر قال الرحمن في قوله يوم الخلود اضمار تقديره ذلك يوم تقدير الخلود ويحتمل ان يقال اليوم يذكرو براد الزمان المطلق سواء كان يوماً او ليلاً تقول يوم يولد فلان ابن يكون السرور العظيم ولو ولد له بالليل لكان السرور حاصلاً فتريده الزمان فلكانه تعالى قال ذلك زمان الاقامة الدائمة \* ثم قال تعالى (لهم ما يشاؤون فيها ولدناهم) وفي الآية ترتيب في غاية الحسن وذلك لانه تعالى بدأ ببيان اكرامهم حيث قال وازلفت الجنة للمتقين ولم يقل قرب المتقون من الجنة بيانا للاكرام حيث جعلهم ممن تنقل اليهم الجنان بما فيها من الحسان ثم قال لهم هذا لكم بقوله هذا ما وعدون بين انه اجر اعمالهم الصالحة بقوله لكل اواب حفيظ وقوله من خشي الرحمن فان تصرف المالك الذي ملك شيئاً بعوض اتم فيه من تصرف من ملك بعير عوض لا مكان الرجوع في التملك بغير عوض ثم زاد في الاكرام بقوله ادخلوها كما بينا ان ذلك اكرام لان من فتح بابه للداس ولم يقف بابه من رحب الداخلين لا يكون قد ادى بالاكرام التام ثم قال ذلك يوم الخلود اى لا تخافوا ما لحقكم من قبل حيث اخرج ابويكم منها فهذا دخول لا خروج بعده منها \* ثم لما بين انهم فيها خالدون قال لا تخافوا انقطاع ارزاقكم وبقاءكم في حاجة كما كنتم في الدنيا من كان يهمل ينكس ويحتاج بل لكم الخلود ولا ينقذ ما تمتعون به فلكنم ما تشاؤون في اى وقت تشاؤون والى الله المنتهى وعند الوصول اليه والمول بين يديه فلا يوصف بالديه ولا يطلع احد عليه وعظمة عهده تدل ذلك

(ذلك) إشارة الى الزمان الممتد الذى وقع في بعض منه ما ذكر من الامور (يوم الخلود) اذلاتها له ابدأ (لهم ما يشاؤون) من فتون المطالب كما كنا ما كان (فيها) متعة في يشاؤون وقيل بمحذوف هو حال من الموصول او من عائد المحذوف من صلته (ولدناهم) هو ما لا يختر ببالهم ولا يندرج تحت مشيتهم من معالي الكرامات التى لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل ان السموات تمر باهل الجنة فتطهرهم الحور فتقول نحن المريد الذى قال تعالى ولدناهم



على فضيلة ما عنده هذا هو الترتيب واما التفسير فقيه مسئلتان ( المسئلة الاولى ) قال تعالى ادخلوها بسلام على سبيل الخاطبة ثم قال لهم ولم يقل لكم ما الحكمة فيه الجواب عنه من وجوه (الاول) هو ان قوله تعالى ادخلوها مقدر فيه يقال لهم اى يقال لهم ادخلوها فلا يكون على هذا التفاتاً (الثاني) هو انه من باب الالتفات والحكمة الجمع بين الطريقين كأنه تعالى يقال اكرمهم به في حضورهم ففي حضورهم الحبور وفي غيبتهم الحور والقصور (الثالث) هو ان يقال قوله تعالى لهم جازان يكون كلاما مع الملائكة يقول للملائكة توكلوا بخدمة الله واعلموا ان لهم ما يشاؤون فيها فأحضروا بين ايديهم ما يشاؤون واما انافندي ما لا يخطر بالبال ولا تقدر انتم عليه ( المسئلة الثانية ) قد ذكرنا ان لفظ مز يدى يحتمل ان يكون معناه الزيادة فيكون كما في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة ويحتمل ان يكون بمعنى المفعول اى عندنا ما تزيده على ما يرجون وما يكون مما يشتهون \* ثم قال تعالى ( وكم اهلكنا من قرن هم اشد منهم بطشا ) لما ائذهم بما بين ايديهم من اليوم العظيم والعذاب الاليم ائذهم بما يجعل لهم من العذاب المهلك والاهلاك المدرك وبين لهم حال من تقدمهم وقد تقدم تفسيره في مواضع والذى يختص بهذا الموضوع امور ( احدها ) اذا كان ذلك للجمع بين الانذار بالعذاب العاجل والعقاب الآجل فلم توسطها قوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين الى قوله ولدينا مزيد نقول ليكون ذلك دعاء بالخوف والطمع فذكر حال الكفورا المعاند وحال الشكور العابد في الآخرة ترهيبا وترغيبا ثم قال تعالى ان كنتم في شك من العذاب الابدى الدائم فانتم في ريب من العذاب العاجل المهلك الذى اهلك امثالكم فان قيل فلم لم يجمع بين الترهيب والترغيب في العاجلة كما جمع بينهما في الآجلة ولم يذكر حال من اسلم من قبل وانتم عليه كاذكر حال من اشرك به فاهلكه نقول لان النعمة كانت قد وصلت اليهم وكانوا متقلين في الزم فلم يذكرهم به وانما كانوا غافلين عن الهلاك فانذرهم به واما في الآخرة فكانوا غافلين عن الامرين جميعا فاخبرهم بهما ( الثاني ) قوله تعالى ( فقبوا في البلاد ) في معناه وجوه (احدها) هو ما قال تعالى في حق نوح والذين جاؤا الصخر بالواد من قوتهم خرخوا الطرق وتقبوها وقطعوا الصخور وتقبوها ( ثانيها ) تقبوا اى ساروا في الاسفار ولم يجدوا ملجأ ومهربا وعلى هذا يحتمل يكون المراد اهل مكة اى هم ساروا في الاسفار ورأوا ما فيها من الآثام ( ثالثها ) تقبوا في البلاد اى صاروا نقباء في الارض ارادما افادهم بطشهم وقوتهم ويدل على هذا اللفظ لانها تصير حيثئذ مفيدة ترتب الامر على مقتضاه نقول كان زيد اقوى من عمرو فقلبه وكان عمرو مريضاً فقلبه زيد كذلك ههنا قال تعالى هم اشد منهم بطشا صاروا نقباء في الارض وقرئ فقبوا بالتشديد وهو ايضا يدل على ما ذكرنا في الوجه الثالث لان التنقيب البحث وهو من نقب بمعنى صار نقبيا (الثالث) قوله تعالى ( هل من محيص ) يحتمل وجوها ثلاثة (الاول) على قراءة من قرأ بالتشديد يحتمل ان يقال هو مفعول اى يحصوا عن المحيص

( وكم اهلكنا قبلهم ) اى قبل قومك ( من قرن هم اشد منهم بطشا ) اى قوة كما دواضربها ( فقبوا في البلاد ) اى خرخوا فيها ودوخوا وتصرفوا في اقطارها او جالوا في اكناف الارض كل حال حذار الموت واصل التنقيب والتنقيب التفتيش عن الاسرار والبحت والطلب والماء للدلالة على ان شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب قبل هـ عاطفة في المعنى كأنه قيل اسد بطشهم فتقبوا الخ وقرئ بالتخفيف ( هل من محيص ) اى هل لهم من مخلص من امر الله تعالى والجللة اعالى اخبار قول هو حال من واوتقبوا اى فتقبوا في البلاد فائلم هل من محيص او على اجراء التنقيب لما فيه من معنى التفتيش مجرى القول او هو كلام مستأنف واراد لنى ان يكون لهم محيص وقيل ضمير تقبوا لاهل مكة اى ساروا في مساربهم وأسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويعضده القراءة على صيغة الامر وقرئ فنبوا بكسر القاف من النقب وهوان ينتقب خف البعير اى اكثروا السير حتى نقتب اقدامهم او اخفاف ابلهم

هل من محبص ( الثاني ) على القرا آت جيعا استفهام بمعنى الانكار اى لم يكن لهم محبص  
 ( الثالث ) هو كلام مستأنف كأنه تعالى يقول لقوم محمد صلى الله عليه وسلم هم اهلكوا مع  
 قوة بطشهم فهل من محبص لكم تعتمدون عليه والمحبص كالمحبس غير ان المحبص معدل  
 ومهرب عن الشدة يدلك عليه قولهم وقعو فى حبص يبص اى فى شدة وضيق والمحبس  
 معدل وان كان لهم بالاخيار يقال حاد عن الطريق نظرا ولا يقال حاص عن الامر نظرا  
 \* ثم قال تعالى ( ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ) الاشارة الى الاهلاك ويحتمل ان يقال  
 هو اشارة الى ما قاله من ازالاف الجنة ومل جهنم وغيرهما والذكرى اسم مصدر هو التذكير  
 والتذكيرة وهى فى نفسها مصدر ذكره يذكره ذكر او ذكرى وقوله لمن كان له قلب قبل المراد  
 قلب موصوف بالوعى اى لمن كان له قلب واع يقال فلان مال اى كثير فالتذكير يدل على  
 معنى فى الكمال والاولى ان يقال هو لبيان وضوح الامر بعد الذكروا ولا خفاء فيه لمن  
 كان له قلب ما ولو كان غير كامل كما يقال اعطه شيئا ولو كان درهما ونقول الجنة لمن عمل  
 خيرا ولو حسنة فكانه تعالى قال ان فى ذلك لذكرى لمن يصح ان يقال له قلب وحينئذ فن  
 لا يتذكر لالقلب له اصلا كما فى قوله تعالى صم بكم عى حبت لم تكن آذانهم وألستهم  
 واعينهم مفيدة لما يطلب منها كذلك من لا يتذكر كأنه لا قلب له ومنه قوله تعالى اولئك  
 كالانعام بل هم اضل اى هم كالجماد وقوله تعالى كأنهم خشب مسندة اى لهم صور وايس  
 لهم قلب للذكر واللسان للشكر \* وقوله تعالى ( اوالقى السمع وهو شهيد ) اى استمع والقاء  
 السمع كناية فى الاستماع لان من لا يسمع كأنه حفظ سمعه وامسكه فاذا ارسله حصل  
 الاستماع فان قيل على قول من قال التذكير فى القلب للتكثير يظهر حسن ترتيب فى قوله  
 اوالقى السمع وذلك لانه يصير كأنه تعالى يقول ان فى ذلك لذكرى لمن كان ذا قلب واع ذكرى  
 يستخرج الامور بذكائه اوالقى السمع ويستمع من المنذر فيتذكر واما على قولك المراد من  
 صح ان يقال له قلب ولو كان غير واع لا يظهر هذا الحسن نقول على ما ذكرنا ربما يكون  
 الترتيب احسن وذلك لان التقدير يصير كأنه تعالى قال فيه ذكرى لكل من كان له قلب  
 ذكرى يستمع ويتعلم ونحن نقول الترتيب من الادنى الى الاعلى كأنه يقول فيه ذكرى لكل  
 واحد كيف كان قلبه لظهور الامر فان كان لا يحصل لكل احد فلن يستمع حاصل ويؤيد  
 ما ذكرنا قوله تعالى اوالقى السمع حيث لم يقل او استمع لان الاستماع نبى عن طلب زائد  
 واما القاء السمع فضاء ان الذكرى حاصلة لمن لا يمسك سمعه بل يرسله ارسالا وان لم يقصد  
 السماع كالسماع فى الصوت الهائل فانه يحصل عند مجرد قمع الاذن وان لم يقصد السماع  
 والصوت الخفى لا يسمع الا باستماع وتطلب فنقول الذكرى حاصلة لمن كان له قلب كيف كان  
 قلبه لظهورها فان لم تحصل فلن له اذن غير مسدودة كيف كان حاله سواء استمع باجتهاد أو لم  
 يجتهد فى سماعه فان قيل فقوله تعالى وهو شهيد للحال وهو يدل على ان القاء السمع بمجرد  
 غير كاف نقول هذا الصحيح ما ذكرناه لان قلنا بأن الذكرى حاصلة لمن له قلب ما فان لم تحصل له

( ان فى ذلك ) اى فيما ذكر من  
 قصتهم وقيل فيما ذكر فى  
 السورة ( اذكرى ) لتذكيرة وعظة  
 ( لمن كان له قلب ) اى قلب سليم  
 يدرك به كنه ما يشاهده من الامور  
 ويعتكر فيها كما ينبغي ان كان  
 له ذلك يعلم مدار دمارهم هو  
 الكفر فيرد عنه بمجرده مشاهدة  
 الآثار من غير تذكير ( اوالقى  
 السمع ) اى الى ما يتلى عليه من  
 الوحي الناطق بما جرى عليهم فان  
 من فعله يعف على حيلة الامر  
 ينزجر عما يؤدى اليه من الكفر  
 فكلمة اوالقى السمع لجمع وان  
 القاء السمع لا يجدى بدون سلامة  
 القلب كما لا يحصى به قوله تعالى ( وهو  
 شهيد ) اى حاضر بظننه لان  
 من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب  
 وتجريد القلب عما ذكر من  
 الصفات للايدان بأن من هرب  
 قلبه عنها كمن لا قلب له اصلا

فتمحصل له اذا التى السمع وهو حاضر بآله من القلب واما على الاول فغناه من ليس له قلب واع يحصل له الذكر اذا التى السمع وهو حاضر بقلبه فيكون عند الحضور بقلبه يكون له قلب واع وقد فرض عدمه هذا اذا قلنا بان قوله وهو شهيد بمعنى الحال وادالم نقل به فلا يرد ما ذكر وهو محتمل غير ذلك بيانه هو ان يقال ذلك اشارة الى القرآن وتقريره هو ان الله تعالى لما قال في اول السورة ق والقرآن المجيد بل مجبوا ان جاءهم منذر منهم وذكرا ما يدفع تعجبهم وبين كونه منذرا صادقا وكون الحشر امر او اقعا ورغب وارهب بالثواب والعذاب آجلا وما جلا واتم الكلام قال ان في ذلك اى القرآن الذى سبق ذكره لذكرى لمن له قلب او لمن يستمع ثم قال وهو شهيد اى المنذر الذى تعجبتم منه شهيد كما قال تعالى انا ارسلناك شاهدا و قال تعالى ليكون الرسول عليكم شهيدا \* ثم قال تعالى ( ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب ) اعاد الدليل مرة اخرى وقد ذكرنا تفسير ذلك في الم السجدة وقلنا ان الاجسام ثلاثة اجناس (احدها) السموات ثم حركتها وخصصها بامور ومواضع وكذلك الارض خلقها ثم دحاها وكذلك ما بينهما خلق اعيانها واصنافها في ستة ايام اشارة الى ستة اطوار والذى يدل عليه ويقرره هو ان المراد من الايام لا يمكن ان يكون هو المفهوم في وضع اللغة لان اليوم عبارة في اللغة عن زمان مكث الشمس فوق الارض من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات لم يكن شمس ولا قر لكن اليوم يطلق ويراد به الوقت يقال يوم يولد للملك ابن يكون سرور عظيم ويوم يموت فلان يكون حزن شديد وان اتفقت الولادة والموت ليل ولا يتعين ذلك ويدخل في مراد العاقل لانه اراد باليوم مجرد الحين والوقت اذا علمت الحال من اضافة اليوم الى الافعال فافهم ما عند اطلاق اليوم في قوله ستة ايام وقال بعض المفسرين المراد من الآية الرد على اليهود حيث قالوا بدأ الله تعالى خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه في ستة ايام آخرها يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على عرشه فقال تعالى وما مسنا من لغوب رداعليهم والظاهر ان المراد الرد على المشرك والاستدلال بخلق السموات والارض وما بينهما وقوله تعالى وما مسنا من لغوب اى ماتعنا بالخلق الاول حتى لا نقدر على الاعادة ثانيا والخلق الجديد كما قال تعالى افعيننا بالخلق الاول واما مقاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو اما تحريف منهم او لم يعلموا تأويله وذلك لان الاحد والاثنين ازمة متميزة بعضها عن بعض فلو كان خلق السموات ابتدئ يوم الاحد لكان الزمان متحققا قبل الاجسام والزمان لا ينفك عن الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام اجسام آخر فيلزم القول بقديم العالم وهو مذهب الفلاسفة ومن العجب ان بين الفلاسفة والمشيبة غاية الخلاف فان الفلسفي لا يثبت لله تعالى صفة أصلا ويقول بان الله تعالى لا يقبل صفة بل هو واحد من جميع الوجوه فعلمه وقدرته وحياته هو حقيقته وعينه وذاته والمشيبي يثبت لله صفة الاجسام من الحركة والسكون والاستواء والجلوس والصعود والنزول فبينهما منافاة ثم ان اليهود في هذا

(ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما) من اصناف المخلوقات (في ستة ايام وما مسنا) بذلك مع كونه مما لا ينفك به القوى والقدر (من لغوب) من اعياء ما ولا تعب في الجملة وهذا رد على جهلة اليهود في زعمهم انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا

الكلام جمعوا بين المسئلتين فأخذوا بمذهب الفلاسفة في المسئلة التي هي اخص المسائل  
بهم وهي القدم حيث اثبتوا قبل خلق الاجسام اياما معدودة وازمنة محدودة واخذوا  
بمذهب المشبهة في المسئلة التي هي اخص المسائل بهم وهي الاستواء على العرش فأخطوا  
واضلوا في الزمان والمكان جميعا \* ثم قال تعالى ( فأصبر على ما يقولون ) قال من تقدم  
ذكرهم من المفسرين ان معناه اصبر على ما يقولون من حديث التعب بالاستلقاء وعلى  
ما قلنا معناه اصبر على ما يقولون ان هذا لشيء عجيب وسبح بحمد ربك وما ذكرناه اقرب  
لانه مذكور و ذكر اليهود وكلامهم لم يجر \* وقوله تعالى ( وسبح بحمد ربك ) يحتمل وجوها  
( احدها ) ان يكون الله امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالصلاة فيكون كقوله تعالى وأقم  
الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل \* وقوله تعالى ( قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ) اشارة  
الى طرفي النهار \* وقوله تعالى ( ومن الليل فسبحه ) اشارة الى زلفا من الليل ووجه هذا هو ان  
النبي صلى الله عليه وسلم له شغلان احدهما عبادة الله وثانيهما هداية الخلق فاذا هداهم ولم  
يبتدؤا قبل له اقبل على شغلك الآخر هو عبادة الحق ( ثانيها ) سبح بحمد ربك اي تزهه عما  
يقولون ولا تسأم من امتناعهم بل ذكرهم بعظمة الله تعالى وتزهه عن الترك والعجز عن  
الممكن الذي هو الحشر قبل الطلوع وقبل الغروب فانهما وقت اجتماعهم ومن الليل  
فسبحه اي اوائل الليل فانه ايضا وقت اجتماع العرب ووجه هذا انه لا ينبغي ان تسأم من  
تكذيبهم فان الرسل من قبلك او ذوا وكذبوا وصبروا على ما كذبوا واوذوا وعلى هذا فلقوله  
تعالى ( وادبار السجود ) فائدة جلية وهي الاشارة الى ما ذكرنا ان شغل الرسول امران  
العبادة والهداية فقله وادبار السجود اي عقب ما سجدت وعبدت تزهه ربك بالبرهان  
عند اجتماع القوم ليحصل لك العبادة بالسجود والهداية ادبار السجود ( ثالثها ) ان يكون  
المراد قل سبحان الله وذلك لان الفاظا معدودة جاءت بمعنى التلغظ بكلامهم فقولنا كبر  
يطلق ويراد به قول القائل الله اكبر وسلم يراد به قوله السلام عليكم وحده يقال لمن قال  
الحمد لله ويقال هلل لمن قال لا اله الا الله وسبح لمن قال سبحان الله ووجه هذا ان هذه امور  
تكرر من الانسان في الكلام والحاجة تدعو الى الاخبار عنها فلو قال القائل فلان قال  
لا اله الا الله او قال الله اكبر طول الكلام فست الحاجة الى استعمال لقطة واحدة مفيدة  
ذلك لعدم تكرار ما في الاول واما مناسبة هذا الوجه للكلام الذي هو فيه فهي  
ان تكذيبهم الرسول وتعجبهم من قوله واستهزاءهم كان يوجب في العادة ان يشتغل  
النبي صلى الله عليه وسلم بلغتهم وسبهم والدعاء عليهم فقال فاصبر على ما يقولون واجعل  
كلامك بدل الدعاء عليهم التسبيح لله والحمد لله ولا تكن كصاحب الخوت او كنوح عليه  
السلام حيث قال رب لاتدر على الارض من الكافرين ديارا بل ادع الى ربك فاذا  
ضجرت عن ذلك بسبب اصرارهم فاشتغل بذكر ربك في نفسك وفيه مباحث ( الاول )  
استعمل الله التسبيح تارة مع اللام في قوله تعالى يسبح لله ويسبحون له واخرى مع

( فاصبر على ما يقولون ) اي  
ما يقوله المشركون في شأن البعث  
من الاباطيل المبنية على الانكار  
والاستبعاد فان من فعل هذه  
الافاعيل بلا فتور قادر على  
بعضهم والاستقامتهم او ما يقوله  
اليهود من مقالات الكفر  
والنسيه ( وسبح بحمد ربك ) اي  
تزهه تعالى عن العجز عما يمكن  
وعن وقوع الحلف في اخباره التي  
من جلتها الاخبار بوقوع البعث  
وعن وصفه تعالى بما يوجب  
النسبة حامدا لله تعالى على ما انعم  
به عليك من اصابة الحق وغيرها  
( قبل طلوع الشمس وقبل  
الغروب ) هما وقت العبادة  
والعصر وفضيلتهما مشهورة  
( ومن الليل فسبحه ) وسبح بعض  
الليل ( وادبار السجود ) واعقاب  
الصلوة جمع دبر وقرئ بالكسر  
من ادبرت الصلاة اذا انقضت  
وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود  
وقيل بالتسليم الصلوات والمراد  
بما قبل الطلوع صلاة الفجر وما  
قبل الغروب الظهر والعصر  
وبما من الليل العشاء والسهجد  
وما يصلي بادبار السجود التواصل  
بعد المكتوبات

الباء في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم وسبح بحمد ربك وثلاثة من غير حرف في قوله وسبحه وقوله وسبحوه بكرة وقوله سبح اسم ربك الاعلى فالفرق بينهما قول اما الباء فهي الاهم والتقديم اولى في هذا الموضع كقوله تعالى وسبح بحمد ربك فقول اما على قولنا المراد من سبح قل سبحان الله فالباء للمصاحبة اى مقتزنا بحمد الله فيكون كانه تعالى قال قل سبحان الله والحمد لله وعلى قولنا المراد التنزيه لذلك اى تزهه واقربه بحمد اى سبجه واشكره حيث وفقك الله لتسبجه فان السعادة الابدية لمن سبجه وعلى هذا فيكون المفعول غير مذكور لحصول العلم به من غير ذكر تقديره سبح الله بحمد ربك اى ملتبسا ومقتزنا بحمد ربك وعلى قولنا صل نقول يحتمل ان يكون ذلك امرا بقراءة الفاتحة في الصلاة يقال صلى فلان بسورة كذا او صلى بقل هو الله احد فكأنه يقول صل بحمد الله اى مقروافيا الحمد لله رب العالمين وهو ابعد الوجوه واما التعدية من غير حرف فقول هو الاصل لان التسبيح يتعدى بنفسه لان معناه تبعيد من السوء واما اللام فيحتمل وجهين احدهما ان يكون كما في قول القائل فصحت ونصحت له وشكرته وشكرت له وثانيهما ان يكون لبيان الاظهر اى يسبحون الله وقلوبهم لوجه الله خالصة ( البحث الثانى ) قال ههنا سبح بحمد ربك ثم قال تعالى ومن الليل فسبحه من غير باء فا الفرق بين الموضعين نقول الامر في الموضعين واحد على قولنا التقدير سبح الله مقتزنا بحمد ربك وذلك لان سبح الله كقول القائل فسبحه غير ان المفعول لم يذكر او لالدلالة قوله بحمد ربك عليه وثانيا للدلالة ماسبق عليه لم يذكر بحمد ربك الجواب الثانى على قولنا سبح بمعنى صل يكون الاول امرا بالصلاة والثانى امرا بالتنزيه اى وصل بحمد ربك فى الوقت وبالليل تزهه عما لا يليق وحيث يذكرون هذا اشارة الى العمل والذكر والفكر فقوله سبح اشارة الى خير الاعمال وهو الصلاة وقوله بحمد ربك اشارة الى الذكر وقوله ومن الليل فسبحه اشارة الى الفكر حين هدوا الاصوات وصفاء الباطن تزهه عن كل سوء بفكره واعلم انه لا يتصف الا بصفات الكمال ونعوت الجلال وقوله تعالى وادبار السجود قد تقدم بعض ما يقال في تفسيره ووجه آخر هو انه اشارة الى الامر بادامة التسبيح فقوله بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه اشارة الى اوقات الصلاة وقوله وادبار السجود يعنى بعد ما فرغت من السجود وهو الصلاة فلا تترك تسبيح الله وتنزيهه بل داوم ادبار السجود ليكون جميع اوقاتك في التسبيح فيفيد فائدة قوله تعالى واذكر ربك اذ انسييت وقوله فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب وقرئ وادبار السجود ( البحث الثالث ) الفاء في قوله تعالى فسبحه ما وجهها نقول هى تقييد تأكيد الامر بالتسبيح من الليل وذلك لانه يتضمن الشرط كأنه يقول واما من الليل فسبحه وذلك لان الشرط يفيد ان عند وجوده يجب وجود الجراء وكأنه تعالى يقول النهار محل الاشتغال وكثرة الشواغل فاما الليل فمحل السكون والانقطاع فهو وقت التسبيح او نقول بالعكس

الليل محل النوم والثبات والغفلة فقال اما الليل فلا تجعله للغفلة بل اذكر فيه ربك وتزهره  
 ( البحث الرابع ) من في قوله ومن الليل يحتمل وجهين ( احدهما ) ان يكون لابتداء العاية  
 أى من اول الليل فسبحه وعلى هذا فلم يذكر له غاية لاختلاف ذلك بغلبة النوم وعدمها  
 يقال انا من الليل انتظرك ( ثانيهما ) ان يكون للتبعض أى اصرف من الليل طرفا الى  
 التسبيح يقال من مالك متع ومن الليل انتبه أى بعضه ( البحث الخامس ) قوله وادبار  
 السجود عطف على ماذا نقول يحتمل ان يكون عطفاً على ما قبل الغروب كأنه قال  
 تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وادبار السجود وذكر بينهما  
 قوله ومن الليل فسبحه وعلى هذا فذكرنا من الفائدة وهى الامر بالداومة كأنه قال  
 سبح قبل طلوع الشمس واذا جاء وقت الفراغ من السجود قل الطلوع فسبح وسبح قبل  
 الغروب وبعد الفراغ من السجود قبل الغروب فسبحه فيكون ذلك اشارة الى صرف  
 الليل الى التسبيح ويحتمل ان يكون عطفاً على ومن الليل فسبحه وعلى هذا يكون عنده  
 على الجار والمجرور جميعاً تقديره وبعض الليل فسبحه وادبار السجود \* ثم قال تعالى  
 ( واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب ) هذا اشارة الى بيان غاية التسبيح معنى اشتعل  
 تنزيه الله وانتظر المنادى كقوله تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وفيه مسائل  
 ( المسئلة الاولى ) ما الذى يستمع قلنا يحتمل وجوه ثلاثة ( احدها ) ان يترك مفعوله رأساً  
 ويكون المقصود كن مستمعا ولا تكن مثل هؤلاء المعرضين العافلين يقال هو رجل سمع  
 مطيع ولا يراد مسموع بعينه كايقـال فلان وكاس فلان يعطى ويمنع ( ثانيها ) استمع  
 لما يوحى اليك ( ثالثها ) استمع نداء المادى ( المسئلة الثانية ) يوم ينادى المادى منصوب بار  
 فعل نقول هى مبنى على المسئلة الاولى ان قلنا استمع لامفعوله فعامله ما يدل عليه  
 قوله تعالى يوم الخروج تقديره يخرجون يوم ينادى المادى وان قلنا مفعوله لما يوحى  
 فتقديره واستمع لما يوحى يوم ينادى ويحتمل مادركنا وجهاً آخر وهو ما يوحى اى ما يوحى  
 يوم ينادى المادى اسمعه فان قيل استمع عطف على فانه يربى سبج وهو فى الدنيا  
 والاستماع يكون فى الدنيا وما يوحى يوم ينادى المادى لا يستمع فى الدنيا فنقول ليس  
 لازم ذلك لجواز ان يقال صل وادخل الجنة اى صل فى الدنيا وادخل الجنة فى العقبى  
 فكذلك ههنا ويحتمل ان يقال بان استمع بمعنى انتظر فيحتمل الجمع فى الدنيا وان قلنا  
 استمع الصحة وهوناء المنادى يعظما انتسرى والسؤال الذى ذكره علم الجواب منه  
 وجواب آخر نقوله حينئذ وهوان الله تعالى قال ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات  
 ومن فى الارض الا من شاء الله قلنا ان من شاء الله هم الذين علموا وقوع الصبح  
 واستيقظوا لها فلم ترجعهم كن يرى برقاً ومض وعلم ان عقبيه يكون رعد قوى فينفثه  
 ويستعمله وآخر غافل فاذا ردد بقوة ربما يفتى على الغافل ولا تأثر منه المستمع قـا  
 استمع ذلك لى لانه يكون ممن يصعق فى ذلك اليوم ( المسئلة الثالثة ) ما الذى ينادى المادى

( واستمع ) اى لما يوحى اليك من  
 احوال القيامة وفيه تهويل  
 وتفظيع للخبيرة ( يوم ينادى  
 المادى ) اى اسرافيل او جبريل  
 عليهما السلام فقول ايها  
 العظام لباليه وللحوم المنزفة  
 والشعور المنفرقة ان الله يامركن  
 ان تختمن لفصل القضاء وقيل  
 اسرافيل ينفخ وجبريل ينادى  
 بالحسر ( من مكان قريب )  
 بحيث يصل نداؤه الى الكل على  
 سواء وقيل من صخرة بيت المقدس  
 وقيل من تحت اقدامهم وقيل  
 من منابت شعورهم يسمع من  
 كل شعرة ولعل ذلك فى الاعادة  
 مثل كن فى البدء

نقول فيه وجوه محتملة منقولة معقولة وحصرها بان نقول المادى اما ان يكون هو الله تعالى او الملائكة او غيرهما وهم المكافون من الانس والجن في الظاهر وغيرهم لا ينادى فان قلنا هو الله تعالى فيه وجوه (احدها) ينادى احتسروا الذين ظلموا وازواجهم (ثانيها) ينادى القيا في جهنم كل كفار عنيد مع قوله ادخلوها بسلام وملة قوله تعالى خذوه فقلوه يدل على هذا قوله تعالى يوم ينادى المنادى من مكان قريب وقال واخذوا من مكان قريب (الثالث) غيرهما لقوله تعالى يناديهم اين شركائي وغير ذلك واما على قولنا المادى غير الله ففيه وجوه ايضا (احدها) قول اسرافيل ايها العظام البالية اجتمعوا للوصل واستمعوا للفصل (ثانيها) النداء مع النفس يقال للنفس ارجعي الى ربك لتدخلى مكانك من الجنة او النار (الثالث) ينادى مناد هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار كما قال تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وعلى قولنا المنادى هو المكلف فيحتمل ان يقال هو ما بين الله تعالى في قوله ونادوا يا مالكا او غير ذلك الا ان الظاهر ان المراد احد الوجهين الاولين لان قوله المنادى للتعريف وكون الملك في ذلك اليرم مناديا معروف عرف حاله وان لم يجر ذكره فيقال قال صلى الله عليه وسلم وان لم يكن قد سبق ذكره واما ان الله تعالى مناد فقد سبق في هذه السورة في قوله القيا وهذا نداء وقوله يوم نقول لجهنم وهوناء واما المكلف فليس كذلك وقوله تعالى من مكان قريب اشارة الى ان الصوت لا يخفى على احد بل يستوى في استماعه كل احد وعلى هذا فلا يبعد جل المنادى على الله تعالى اذ ليس المراد من المكان القريب نفس المكان بل ظهور النداء وهو من الله تعالى اقرب وهذا كما قال في هذه السورة ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وليس ذلك بالمكان ثم قال تعالى (يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج) هذا تحقيق ما بينا من القائدة في قوله واستمع اى لانك من الغافلين حتى لا تصعق يوم الصيحة وبيانه هو انه قال استمع اى كن قبل ان تستمع مستيقظا لوقوعه فان السمع لا بد منه انت وهم فيه سواء فهم يسمعون لكن من غير استماع فيصعقون وانت تسمع بعد الاستماع فلا يؤزر فيك الا ما لا بد منه ويحتمل وجوها (احدها) ما قاله الزمخشري انه يدل من يوم في قوله واستمع يوم ينادى المنادى والعامل فيهما الفعل الذي يدل عليه قوله ذلك يوم الخروج اى يخرجون يوم يسمعون (ثانيها) ان يوم يسمعون العامل فيه ما في قوله ذلك ويوم ينادى المنادى العامل فيه ما ذكرنا (الثالث) ان يقال استمع عامل في يوم ينادى كما ذكرنا وينادى عامل في يوم يسمعون وذلك لان يوم نادى وان لم يجز ان يكون منصوبا بالمتضاف اليه وهو ينادى لكن غيره يجوز ان يكون منصوبا به يقال اذكر حال زيد ومذاته يوم ضربه عمرو يوم كان عمرو واليا اذا كان القائل يريد ان ينادى زيد عند ما صار زيد يكرم بسبب من الاسباب فلا يكون يوم كان عمرو واليا منصوبا بقوله اذكر لان غرض القائل التذكير بحال زيد ومذاته وذلك يوم الضرب لكن يوم كان عمرو ومنسوب بقوله ضربه عمرو يوم كان واليا فكذلك

(يوم يسمعون الصيحة) يدل من يوم ينادى الخ وهى النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والعامل في الطرف ما يدل عليه قوله تعالى (ذلك يوم الخروج) اى يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذى هو البعث يخرجون من القبور



ههنا قال استمع يوم ينادى المنادى لثلاثكون ممن يفرح ويصعق نهمين هذا النداء بقوله ينادى المنادى يوم يسمعون اى لا يكون نداء خفيا بحيث لا يسمعه بعض الناس بل يكون نداؤه بحيث تكون نسبته الى من فى اقصى المغرب كنسبته الى من فى المشرق وكلكم تسمعون ولا شك ان مثل هذا الصوت يجب ان يكون الانسان منهيا لاستماعه وذلك يشغل النفس بعبادة الله تعالى وذكره والتفكر فيه فظهر فائدة جليلة من قوله فاصبر وسمع واستمع يوم ينادى المنادى ويوم يسمعون واللام فى الصيحة للتعريف وقد عرف حالها وذكرها الله مرارا كما فى قوله تعالى ان كانت الاصيحة واحدة وقوله قائمهاى زجرة واحدة وقوله نفخة واحدة وقوله بالحق جاز ان يكون متعلقا بالصيحة اى الصيحة بالحق يسمعونها وعلى هذا ففيه وجوه (الاول) الحق الخشوع اى الصيحة بالخشوع وهو حق يسمعونها يقال صاح زيد يا قوم اجتمعوا على حد استعمال تكلم بهذا الكلام وتقديره حينئذ يسمعون الصيحة بيا عظام اجتماعى وهو المراد بالحق (الثانى) الصيحة بالحق اى باليقين والحق هو اليقين يقال صاح فلان ييقن لا يظن وتحمين اى وجد منه الصياح يقينا لا كالصدى وغيره وهو يجرى مجرى الصفة للصيحة يقال استمع سمايا بطلب وصاح صيحة بقوة اى قوية فكانه قال الصيحة المحققة (الثالث) ان يكون معناه الصيحة المقرنة بالحق وهو الوجود يقال كن فيتحقق ويكون ويقال اذهب بالسلامة وارجع بالسعادة اى مقرونا ومكحوبا فان قيل زدبانا فان الباء فى الحقيقة للالصاق فكيف يفهم معنى الالصاق فى هذه المواضع نقول التعدية قد تتحقق بالباء يقال ذهب زيد على معنى الصق الذهاب زيد فوجد قائما به فصار مفعولا فعلى قولنا المراد يسمعون صيحة من صاح بيا عظام اجتماعى هو تعدية المصدر بالباء يقال اعجبني ذهب زيد بعمره وكذلك قوله الصيحة بالحق اى ارفع الصوت على الحق وهو الخشوع وله وعد نبيه فى موضع آخر ان شاء الله تعالى (الوجه الثانى) ان يكون الحق متعلقا بقوله يسمعون اى يسمعون الصيحة بالحق وفيه وجهان الاول هو قول القائل سمعته ييقن الباء فى يسمعون بالحق قسم اى يسمعون الصيحة بالله الحق وهو ضعيف وقوله تعالى ذلك يوم الخروج فيه وجهان احدهما ذلك اشارة الى يوم اى ذلك اليوم يوم الخروج فانهما ذلك اشارة الى نداء المادى \* ثم قال تعالى (انا نحن نحيى ونميت والينا المصير) قد ذكرنا فى سورة يس ما يتعلق بقوله انا نحن واما قوله نحيى ونميت فآراد من الاحياء الاحياء او لا ونميت اشارة الى الموت الاول وقوله والينا بيان للحشر فقدم انا نحن لتعريف عظمتهم يقول القائل انا انا اى مشهور ونحىي رنميت امور مؤكدة معنى العظمة والينا المصير بيان لمقصود \* وقوله تعالى يوم تشقى الارض عنهم سراعا) العامل فيه هو ما فى قوله يوم الخروج من القبل اى يخرجون يوم تشقى الارض عنهم سراعا وقوله سراعا حال للخارجين لان قوله تعالى عنهم يفيد كونهم مفعولين بالتشقى فكان التشقى عند الخروج من القبر كما يقال كشف ع

(انا نحن نحيى ونميت فى الدنيا من غير ان يشاركن فى ذلك احد والينا المصير) للجزاء فى الآخرة لالى غيرنا لا استقلال ولا اشتراكا (يوم تشقى الارض عنهم) بحذف احدى التاءين من تشقى وقرئ بشديد الشين وتشقى على البناء للمعول من التفضيل وتشقى (سراعا) سرعين

فهو مكشوف عنه فيصير سرايا شية المفعول كأنه قال «سرعين والسراع جمع سريع كالكرام جمع كريم» قوله تعالى (ذلك حشر) يحتمل أن يكون إشارة إلى التشقة عنهم ويحتمل أن يكون إشارة إلى الإخراج المدلول عليه بقوله سرايا ويحتمل أن يكون معناه ذلك الحشر حشر يسير لأن الحشر علم مما تقدم من الألفاظ \* وقوله تعالى (علينا يسير) بتقديم الظرف يدل على الاختصاص أي هو علينا حين لا على غيرنا وهو إعادة جواب قولهم ذلك رجع بعيد والحشر الجمع ويوم القيامة جمع الأجزاء بعضها إلى بعض وجمع الأرواح مع الأشباح أي يجمع بين كل روح وجسدها وجمع الأمم المتفرقة والرم المتفرقة والكل واحد في الجمع \* ثم قال تعالى (نحن اعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) فيه وجوه (أحدها) تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وتخريض لهم على ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الصبر والتسبيح أي اشتغل بما قلناه ولا يشغلك الشكوى إلينا فإننا نعلم أقوالهم ونرى أعمالهم وعلى هذا فقوله وما أنت عليهم بجبار مناسب له أي لا تقل بأني أرسلت إليهم لاهدبهم فكيف اشتغل بما يشغلني عن الهداية وهو الصلاة والتسبيح فأنك ما بعثت مسلطا على دواعيهم وقدرهم وإنما أمرت بالتبليغ وقد بلغت فأصبر وسمح وانتظر اليوم الذي يفصل فيه بينكم (ثانيها) هي كلمة تهديد وتخويف لأن قوله وإلينا المصير ظاهر في التهديد بالعلم بعملكم لأن من يعلم أن مرجعه إلى الملك ولكنه يعتقد أن الملك لا يعلم ما يفعله لا يمنع من القيام أما إذا علم أنه يعلمه وعنده غيبه وإليه عوده يمنع فقال تعالى وإلينا المصير ونحن اعلم وهو ظاهر في التهديد وهذا حينئذ كقوله تعالى ثم إلينا مرجعكم فننبشكم بما كنتم تعملون أنه عليهم بذات الصدور (ثالثها) تقرير الحشر وذلك لأنه لما بين أن الحشر عليه يسير لكمال قدرته ونفوذه أرادته ولكن تمام ذلك بالعلم الشامل حتى يميز بين جزءه بدنين جزءه بدني وجزءه بدني عرو فقال ذلك حشر علينا يسير لكمال قدرتنا ولا يخفى علينا الأجزاء لمكان علمنا وعلى هذا فقوله نحن اعلم بما يقولون معناه نحن نعلم عين ما يقولون في قولهم أئذ امتنا وكناترا أئذنا ضلنا في الأرض فيقول نحن اعلم الأجزاء التي يقولون فيها أنها ضالة وخفية ولا يكون المراد نحن نعلم قولهم وفي الأول جاز أن تكون ما مصدرية فيكون المراد من قوله ما يقولون أي قولهم وفي الوجه الآخر تكون خبرية وعلى هذا الدليل فلا يصح قوله نحن اعلم إذ لا عالم بتلك الأجزاء سواه حتى يقول نحن اعلم نقول قد علم الجواب عنه مرارا من وجوه (أحدها) أن الفعل لا يقتضي الاشتراك في أصل الفعل كما في قوله تعالى والله أحق أن أعشاه رثي قوله تعالى أحسن نديا وفي قوله رثي رثوا دون «(ثانيها)» بناءً نحن اعلم بما يقولون من كل عالم بما يعلمه والأول أصح وأظهر وأوضح وأشهر وقوله تعالى وما أنت عليهم بجبار فيه وجوه (أحدها) أنه للتسلية أيضا وذلك لأنه لما من عليه بالاقبال على الشغل الأخرى وهو العبادة أخبر بأنه لم يصرف عن الشغل الآخر وهو البعث كما أن

(ذلك حشر) بعث وجمع وسوق (علينا يسير) أي هين وتقديم الحار والجرور لتخصيص اليسر به تعالى (نحن اعلم بما يقولون) من نفى البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لاخير فيه (وما أنت عليهم بجبار) يتسلط تقسهم على الإيمان أو تفصل بهم ما تريد وما أنت مذكر (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) وأما من عداهم فنحن نفعل بهم ما توجهه أقوالهم وتستدعيه أعمالهم من الوان العقاب وفنون العذاب \* عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة ق هون الله عليه ثارات الموت وسكرات

المالك اذا امر بعض عبده بشغلين فظهر مجزه في احدهما يقول له اقبل على الشغل الآخر  
منهما ونحن نبعث من يقدر على الذى مجزت عنه منهما فقال اصبر وسج ومانت بجبار  
اى فاك ان امتناعهم بسبب تجبر منك او تكبر فاشمأزوا من سوء خلقك بل كنت بهم  
رؤفا وعليهم عطوفا وبالغت وبلغت وامتنعوا فاقبل على الصبر والتسليم غير مصروف  
عن الشغل الاول بسبب جبروتك وهذا فى معنى قوله تعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون الى  
ان قال واثق لعل خلق عظيم (ثانيها) هو بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بما عليه من  
الهداية وذلك لانه ارسله منذرا وهاذيا للمجثا ومجبرا وهذا كما فى قوله تعالى وما ارسلناك  
عليهم حفيظا اى تحفظهم الكفر والنار وقوله ومانت عليهم فى معنى قول القائل اليوم  
فلان علينا فى جواب من يقول من عليكم اليوم اى من الوالى عليكم (ثالثها) هو بيان  
لعدم وقت نزول العذاب بعد ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم لما تذر واعذر واطهر  
ولم يؤمنوا كان يقول ان هذا وقت العذاب فقال نحن اعلم بما يقولون ومانت عليهم  
بمسلط فذكر بعد اى ان لم يؤمنوا من بقي منهم ممن تعلم انه يؤمن ثم تسلط عليهم ويؤيد هذا  
قول المفسرين ان الآية نزلت قبل نزول آية القتال وعلى هذا فقوله فذكر بالقرآن من  
يخاف وعيد اى من بقي منهم ممن يخاف يوم الوعيد وفيه وجوه آخر (احدها) ان ابينا  
فى احد الوجوه ان قوله تعالى فاصبر على ما يقولون وسج معناه اقبل على العبادة ثم قال  
ولا تترك الهداية بالكلية بل وذكر المؤمنين فان الذكرى تنفع المؤمنين واعرض عن  
الجاهلين وقوله بالقرآن فيه وجوه (الاول) فذكر بما فى القرآن وانزل عليهم القرآن  
يحصل لهم بسبب ما فيه المنفعة (الثاني) فذكر بالقرآن اى بين به انك رسول لكونه مجبرا  
واذا ثبت كونك رسولا لزمهم قبول قولك فى جميع ما تقول به (الثالث) المراد فذكر  
بمقتضى ما فى القرآن من الاوامر الواردة بالتبليغ والتذكير وحيدن يكون ذكر القرآن  
لا تنفع النبي صلى الله عليه وسلم به اى اجعل القرآن امامك وذكرهم بما اخبرت فيه  
بان تذكرهم وعلى الاول معناه انزل عليهم القرآن ليتذكروا بسببه وقوله تعالى من يخاف  
وعيد من جملة ما بين كون الخشية دالة على عظيمة الختمى اكثر مما يدل عليه الخوف  
حيث قال يخاف عند ما جعل الخوف عذابه ووعيدة وقال اخشونى عند ما جعل  
الخوف نفسه العظيم وفى هذه الآية اشارة الى الاصول الثلاثة قوله وذكر اشارة  
الى انه مرسل مأمور بالتذكير منزل عليه القرآن حيث قال بالقرآن وقوله وعيد  
اشارة الى اليوم الآخر وضمير المتكلم فى قوله وعيد يدل على الوحدة فانه لو قال  
من يخاف وعيد الله كان يذهب وهم الجاهل الى كل صوب فلذا قال وعيدى والمتكلم  
اعرف المعارف وابتعد عن الاشراك به وقبول الاشتراك فيه وقد بينا فى اول السورة  
ان اول السورة وآخرها متقاربان فى المعنى حيث قال فى الاول والقرآن المجيد  
وقال فى آخرها فذكر بالقرآن ، وهذا آخر تفسير هذه السورة والحمد لله رب العالمين

\* (سورة الذاريات مكية وآيةها)  
(ستون)\*

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( والذاريات ذروا ) اى الرياح  
التي تذر والبراب وغيره وقرئ  
بادغام التاء فى الذال ( فالحاملات  
وقرا ) اى السحب الحاملة للمطر  
او الرياح الحاملة للسحب وقرئ  
وقرا على تسمية المحمول بالمصدر  
( فالجاريات يسرا ) اى السفن  
الجارية فى البحر والرياح الجارية  
فى مهايها او السحب الجارية فى  
الجو بسوق الرياح او الكواكب  
الجارية فى مجاريها ومنازلها  
ويسرا صفة لمصدر محذوف اى

وصلاته على خاتم الدين وسيد المرسلين محمد السى وآله وصحبه وازواجه وذرياته  
اجمعين

(سورة الذاريات ستون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والذاريات ذروا فالخاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا) اول هذه  
السورة مناسب لاخر ما قبلها وذلك لانه تعالى لما بين الحشر بدلائله وقال ذلك حشر  
علينا يسير وقال وما انت عليهم بجبار اى تجبرهم وتجبهم الى الايمان اشارة الى اصرارهم  
على الكفر بعد اقامة البرهان وتلاوة القرآن عليهم لم يبق الا اليقين فقال والذاريات ذروا  
انما توعدون لصادق واول هذه السورة وآخرها متناسبان حيث قال في اولها انما  
توعدون لصادق وقال في آخرها فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون \* وفي تفسير  
الايات مسائل (المسئلة الاولى) قد ذكرنا الحكمة وهى فى القسم من المسائل الشريفة  
والمطالب العظيمة فى سورة والصفات ونعيدها ههنا وفيها وجوه (الاول) ان الكفار  
كانوا فى بعض الاوقات يعترفون بكون النبي صلى الله عليه وسلم غالبا فى اقامة الدليل  
وكانوا ينسبونهم الى المجادلة والى انه عارف فى نفسه بفساد ما يقوله وانه يغلبنا بقوة الجدل  
لا يصدق المقال كما ان بعض الناس اذا أقام عليه الخصم الدليل ولم يبق له حجة يقول انه  
غلبنى لعلم بطريق الجدل ويجزى عن ذلك وهو فى نفسه يعلم ان الحق بيدى فلا يبقى للمتكلم  
المبرهن طريق غير اليقين فيقول والله ان الامر كما اقول ولا أجادل بالباطل وذلك لانه  
لو سلك طريقا آخر من ذكر دليل آخر فاذا تم الدليل الآخر يقول الخصم فيه مل ما قال  
فى الاول ان ذلك تقرير بقوة علم الجدل فلا يبقى الا السكوت او التمسك بالايمان وترك  
اقامة البرهان (الثاني) هو ان العرب كانت تَحْتَرِزُ عن الايمان الكاذبة وتمتدح انها نزع  
الديار بلا قع م اى الى صلى الله عليه وسلم اكثر من الايمان بكل شريف ولم يزد ذلك  
الارفعة وباتا وكان يحصل لهم العلم بأنه لا يخلف بها كاذبا والا لاصابه شؤم الايمان  
ولله المكروه فى بعض الازمان (الثالث) وهو ان الايمان الذى حلف الله تعالى بها كلها  
دلائل اخرجها فى صورة الايمان ماله قول القائل لمنعه وحق نعمك الكثيرة انى  
لازال اشكره فيذكر العلم وهى سبب مفيد لدوام الشكر ونسلك مسلك القسم كذلك  
هذه الاشياء كلها دلائل على قدرة الله تعالى على الامادة فان قيل فلم اخرجها مخرج الايمان  
نقول لان المتكلم اذا شرع فى اول كلامه يخاف يعلم السامع انه يريد ان يتكلم بكلام  
عظيم فيصغى اليه اكثر من ان يصغى اليه حيث يعلم ان الكلام ليس بمعتبر فبدأ بالحلف  
وادرج الدليل فى صورة اليقين حتى اقبل القوم على سماعه فخرج لهم البرهان المبين  
والتيان المتين فى صورة اليقين وقد استوفينا الكلام فى سورة والصفات (المسئلة الثانية)

حرىا ذايسر (فالمقسمات امرا)  
اى الملائكة التى تقسم الامور  
من الامطار والارزاق وغيرها  
السحاب التى يسم الله تعالى بها  
ارزاق العباد وقد جواز ايراد  
بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف  
العنوان منزلة اختلاف الذات  
فانها كما تدرى ما تدرى تشير  
السحاب وتحمله وتجرى فى الجو  
جريا سهلا وتقسم الامطار  
بتصريف السحاب فى الاقطار  
فان حلت الامور المقسم بها على  
ذوات مختلفة فالفساء لترتيب  
الاتسام باعتبار ما بينها من  
التفاوت فى الدلالة على كمال  
القدرة والافهمى لترتيب ماصد  
عن الربح من الافاعيل فاهبا  
تدرو الانجزة الى الحس حتى  
تعتقد سحابا فيجرى به بأسطة له  
الى ما امرت به فتقسم المطر وقوله

في جميع السور التي اقسام الله تعالى في ابتدائها بغير الحروف كان القسم لاثبات احد  
الاصول الثلاثة وهي الوجدانية والرسالة والخشروهي التي يتم بها الايمان ثم انه تعالى  
لم يقسم لاثبات الوجدانية الا في سورة واحدة من تلك السور وهي والصفات حيث قال  
فيها ان الهكم لواحد وذلك لانهم وان كانوا يقولون اجعل الالهة الها واحدا على سبيل  
الانكار وكانوا يبالغون في الشرك لكنهم في تضاعيف اقوالهم ونصاريهم احوالهم  
كانوا يصرحون بالتوحيد وكانوا يقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وقال تعالى  
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلم يبالغوا في الحقيقة في انكار  
المطلوب الاول فاكفى بالبرهان ولم يكثر من الايمان وفي سورتين منها اقسام لاثبات صدق  
محمد صلى الله عليه وسلم وكونه رسولا في احدهما بامر واحد وهو قوله تعالى والنجم اذا  
هوى ما ضل صاحبكم وفي الثانية بأمرين وهو قوله تعالى والضحى والليل اذا سجي  
ما وعدك ربك وما قلنا ذلك لان القسم على اثبات رسالته قد كثر بالحروف والقرآن كما في  
قوله تعالى يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين وقد ذكرنا الحكم فيه ان من مجزات  
النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فاقسم به ليكون في القسم الاشارة واقعة الى البرهان وفي  
باقي السور كان القسم عليه الخشرو والجزاء وما يتعلق به ليكون انكارهم في ذلك خارجا  
عن الحدو عدم استيفاء ذلك في صورة القسم بالحروف (المسئلة الثالثة) اقسام الله تعالى  
بمجموع السلامة المؤنة في سور خمس ولم يقسم بمجموع السلامة المذكورة في سورة اصلا  
فلم يقل والصالحين من عبادي ولا المقرين الى غير ذلك مع ان المذكر اشرف وذلك لان  
جوع السلامة بالواو والنون في الامر الغالب ان يعقل وقد ذكرنا ان القسم بهذه  
الاشياء ليس لبان التوحيد الا في صورة ظهور الامر فيه وحسوا الاعتراف به منهم به  
ولالرسالة لخصول ذلك في صور اقسام بالحروف والقرآن في ان يكون امة مصدات لاثبات  
الخشرو والجزاء لكن اثبات الخشرو لبواب الصالح وعذاب الدمالخ ففائدة ذلك راجع الى  
من يعقل فكان الامر يقتضي ان يكون القسم بغيرهم والله اعلم (المسئلة الرابعة) في  
السورة التي اقسام لاثبات الوجدانية اقسام في اول الامر بالسالكات حيث قال  
والصفات وفي السور الاربع الباقية اتمم بالتحركات وتمثال والذاريات وتال  
والمرسلات وقال بالازاعات وتزيمه قوله تعالى والسابحات والسابقات وقال والعاديات  
وذلك لان الخشرو فيه جمع وتريق وذلك بالحركة البقية او ان نقول في جميع السور الاربع  
اقسم بالرياح على ما بين وهي التي تجمع وتفرق فالقادر على تأليف السحاب المتفرق  
بالرياح الذارية والمرسلة قادر على تأليف الاجزاء المتفرقة بطريق من الطرق التي  
يختارها بمشبهته تعالى (المسئلة الخامسة) في الذاريات اقوال (الاول) هي الرياح تذرو  
التراب غيره كما قال تعالى تذروه الرياح (الثاني) هي الكواكب من ذرا يذرو اذا  
امرع (الثالث) هي الملائكة (الرابع) رب الذاريات والاول اصح (١) مسئلة السادسة

تعالى (ان ما تعدون لصادق  
وان الدين لواقع) احوال القسم  
وفي تخصيص الامور المذكورة  
بالاقسام دها رمز الى شهادتها  
بمحقق مضمون الجملة المقسم عليها  
من حيث انها امور بديعه مخالفة  
لقتضى الطبيعة فن قدر عليها  
فهو قادر على البعث الموعود وما  
موصوله او مصدريه ووصف  
الوعد بالصدق كوصف العيشة  
بالرضا والدين الخزاء ووفوعه  
حصوله (والسما دات الحبك)  
قال ابن عباس وقتاده وعكرمة

الامور الاربعة جازان تكون امورا متباينة وجاز ان تكون امراله اربع اعتبارات  
والاول هو ما روى عن علي عليه السلام ان الذاريات هي الرياح والحاملات هي السحاب  
والجاريات هي السفن والمقسمات هي الملائكة الذين يقسمون الارزاق والثاني وهو  
الاقرب ان هذه صفات اربع للرياح فالذاريات هي الرياح التي تنسي السحاب اولا  
والحاملات هي الرياح التي تحمل السحب التي هي بخار المياه التي اذا سحبت جرت السبول  
العظيمة وهي اوقار انقل من جبال والجاريات هي الرياح التي تجري بالسحب بعد حملها  
والمقسمات هي الرياح التي تفرق الامطار على الاقطار ويحتمل ان يقال هذه امور اربعة  
مذكورة في مقابلة امور اربعة بهاتم الاعادة وذلك لان الاجزاء التي تفرقت بعضها في  
تحوم الارضين وبعضها في قمر البحور وبعضها في جوال الهواء وهي الاجزاء اللطيفة  
البخارية التي تفصل عن الابدان فقوله تعالى والذاريات يعني الجامع للذاريات من  
الارض على ان الذارية هي التي تذر والتراب عن وجه الارض وقوله تعالى فالحاملات  
وقرأ هي التي تجمع الاجزاء من الجو وتحمله جلا فان التراب لا ترفعه الرياح جلا بل تنقله  
من موضع وتربه في موضع بخلاف السحاب فانه يحمله وينقله في الجو جلا لا يقع منه  
شيء وقوله فالجاريات بسرا اسارة الى الجامع من الماء فان من يجري السفن الثقيلة من  
تيار البحار الى السواحل يقدر على نقل الاجزاء من البحر الى البر فاذا تبين ان الجمع من  
الارض وجوال الهواء ووسط البحار يمكن واذا اجتمع بقي نفخ الروح لكن الروح من امر الله  
كما قال تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي فقال فالمقسمات امر الملائكة  
التي تنفخ الروح في الجسد بأمر الله وانما ذكرهم بالمقسمات لان الانسان في الاجزاء  
الجسمية غير مخالف تخالفا بينا فان لكل واحد رأسا ورجلا والناس متقاربة في الاعداد  
والاقدار ولكن التفاوت الكثير في النفوس فان الشريفة والخسيسة بينهما غاية الخلاف  
وتلك القسمة المتفاوتة تنقسم بمقسم مختار ومأمور مختار فقال فالمقسمات امرا (المسئلة  
السابعة) ماهذه المنصوبات من حيث الخوف قول اما ذروا فلا شك في كونه منصوبا  
على انه مصدر واما وقرأ فهو مفعول به كما يقال جل فلان عدلا ثقلا ويحتمل ان يكون  
اسما اقيم مقام المصدر كما يقال ضربه سوطا يؤيده قراءة من قرأ بفتح الواو واما يسرافه  
ايضا منصوب على انه صفة مصدر تقديره جريذا يسر واما المقسمات امرافه واما مفعول  
به كما يقال فلان قسم الرزق او المال واما حال اتى على صورة المصدر كما يقال قلته صبرا  
اي مصبورا كذلك ههنا المقسمات امرا اي مأمورة فان قيل ان كان وقرأ مفعولا  
به فلم يجمع وما قيل والحاملات او قارا نقول لان الحاملات على ما ذكرنا صفة الرياح  
وهي تنوار على وقرأ واحد فان ريمتهب وتسوق السحابة فتسبق السحاب قهبا اخرى  
وتسوقها وربما تحول عنه يمنة ويسرة بسبب اختلاف الرياح وكذلك القول في  
المقسمات امرا اذا قلنا هو مفعول به لان جاعة يكونون مأمورين تنقسم امرا واحدا

دات الخلق المستوى وقال سعيد  
ابن حيدر ذات الزينة وقال مجاهد  
هي المتقنة البنياي وقال مقاتل  
والكلبي والضحاك ذات الطرائق  
والمراد اما الطرائق المحسوسة  
التي هي مسير الكواكب والمعقولة  
الى يسلكها النظار والجوم  
فان لها طرائق وعن الحسن  
حبكها نجومها حيث تزينها كما  
تزين الموشى طرائق الوشى وهي  
اما جمع حباك او حبيكة كشال  
ومثل وطريقه وطرق وقرئ  
الحبك بوزن القفل والحبك  
بوزن السلك والحبك كالجليل  
والحبك كالبرق والحبك كالنم  
والحبك كالابل (انكم لفي قول  
مختلف)

او نقول هو بى تقدير التكرير كأنه قال فالخاملات وقراوقرا والمقسمات أمرا أمرا  
 ( المسئلة السابعة ) ما فائدة الفاء نقول ان قلنا انها صفات الرياح فليبان ترتيب الامور  
 فى الوجود فان الذاريات تنشى السحاب فتقسم الامطار على الاقطار وان قلنا انها امور  
 اربعة فالفاء للترتيب فى القسم للترتيب فى المقسم به كأنه يقول اقسام الرياح الذاريات  
 بم السحب الخاملات ثم بالسفن الجاريات ثم بالملائكة المقسمات وقوله فالخاملات وقوله  
 فالجاريات اشارة الى بيان ما فى الرياح من الفوائد اما فى البر فانشاء السحب واما فى البحر  
 فاجراء السفن ثم المقسمات اشارة الى ما يترتب على حمل السحب وجرى السفن من  
 الارزاق والارياح التى تكون بقسمة الله تعالى فتجبرى سفن بعض الناس كما يشتهى  
 ولا ترجح وبعضهم ترجح وهو غافل عنه كما قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم \* ثم قال  
 تعالى ( ان ماتوا عدون لصادق ) ما يحتمل ان تكون مصدريه معناه الابعاد صادق وان  
 تكون موصولة اى الذى توعدون صادق والصادق معناه ذو صدق كعيشة راضية  
 ووصف المصدر بما يوصف به الفاعل بالمصدر فيه افادة مبالغة فكما ان من قال فلان لطف  
 محض وحلم يحب ان يكون قد بالغ كذلك من قال كلام صادق وبرهان قاهر للخصم او غير  
 ذلك يكون قد بالغ والوجه فيه هو انه اذا قال هو لطف بدل قوله لطيف فكأنه قال اللطيف  
 شئ له لطف فى اللطيف لطف وشئ آخر فأراد ان يبين كثرة اللطف فجعله كله لطف او فى  
 الثانى لما كان الصدق يقوم بالتمكلم بسبب كلامه فكأنه قال هذا الكلام لا يحوج الى  
 شئ آخر حتى يصح اطلاق الصادق عليه بل هو كاف فى اخلاق الصادق لكونه سباقويا  
 وقوله تعالى توعدون يحتمل ان يكون من وعد ويحتمل ان يكون من اوعد والثانى هو الحق  
 لان اليمين مع المنكر بوعد لا بوعد \* وقوله تعالى ( وان الدين لواقع ) اى الجزاء كاش وعلى  
 هذا فالاعداد بالخسر فى الموعد هو الحساب والجزاء هو العقاب فكأنه تعالى يبين بقوله  
 انما توعدون لصادق وان الدين لواقع ان الحساب يستوفى وان العقاب يوفى \* ثم قال  
 تعالى ( والسماء ذات الحبك ) وفى تفسيره مباحث ( الاول ) والسماء ذات الحبك قيل الطرائق  
 وعلى هذا فيحتمل ان يكون المراد طرائق الكواكب وممراتها كما يقال فى الحباك  
 ويحتمل ان يكون المراد ما فى السماء من الاسكال بسبب النجوم فان فى سميت كواكبها  
 طريق النين والعقرب والنسر الذى يقول به اصحاب الصور ومطقة الجوزاء وغير ذلك  
 كالطرائق وعلى هذا فالمراد به السماء المزينة بزينة الكواكب ومثله قوله تعالى  
 والسماء ذات البروج وقيل حبكها صفاقها يقال فى اللوب الصفيق حسن الحبك  
 \* \* \* \* \* وقوله تعالى والسماء ذات الرجح لشدهتها وقوتها هذا ما قيل فيه ( البين  
 السان ) فى المقسم عليه وهو قوله تعالى ( انكم لى قول مخلف ) وفى تفسيره اقوال  
 يخففه كلها محكمة ( الاول ) انكم فى قول مخلف فى حق محمد صلى الله عليه وسلم تارة  
 تقولون انه امين واخرى انه كاذب وتارة تنسبونه الى الجنون وتارة تقولون انه كاهن

اى يخالف مشائش وهو قولهم  
 فى حقه عليه الصلاة والسلام  
 تارة شاعر واخرى ساحر  
 واخرى عمنون وفى شأن المرات  
 الكريم تارة شعرواخرى سحر  
 واخرى اساطير وفى هذا الخواص  
 بأيدى لكون الحبك عبارة عن  
 الاستواء كما يلوح به ما نقل من  
 الصحاح من اقول الكهرة لا  
 يكون مسوا انما هو متافض  
 مختلف وقيل المكتد فى هذا  
 القسم اشبه اقوالهم فى احتلاهما  
 وتساوى اعراسا طرائق السموات  
 فى تباعدها واختلاف غاياتها  
 وليس بذلك ( يؤمنه من اكل )



وساحر وساحر وهذا محتمل لكنه ضعيف اذ لا حاجة الى اليقين على هذا لانهم كانوا يقولون ذلك من غير انكار حتى يؤكد بين (الاني) انكم لفي قول مختلف اي غير بابين على امر ومن لا يثبت على قول لا يكون متيقنا في اعتقاده فيكون كأنه قال تعالى والسما انكم غير جازمين في اعتقادكم وانما تظهرون الجزم لشدة عنادكم وعلى هذا القول فيه فائدة وهي انهم لما قالوا النبي صلى الله عليه وسلم انك تعلم انك غير صادق في قولك وانما تجادل ونحن نجهز عن الجدل قال والذاريات ذروا أي انك صادق ولست معاندا ثم قال تعالى بل أنتم والله جازمون بأني صادق فعكس الامر عليهم (الثالث) انكم لفي قول مختلف اي متناقض اما في الحشر فلا نكم تقولون لاحسنو ولا حياة بعد الموت ثم تقولون انا وجدنا آباءنا على امة فاذا كان لاحياة بعد الموت ولا شعور للميت فسا ذا يصيب آباءكم اذا خالفتموه وانما يصح هذا ممن يقولون بأن بعد الموت عذابا فلو علمنا شيئا يكرهه الميت يبدى فلامعنى لقولكم انا لاننسب آباءنا بعدموتهم الى الضلال وكيف وأنتم تربطون الركائب على قبور الاكابر واما في التوحيد فتقولون خالق السموات والارض هو الله تعالى لا غير ثم تقولون هو اله الآلهة وترجعون الى التمر ك واما في قول النبي صلى الله عليه وسلم فتقولون انه مجنون ثم تقولون له انك تغلبنا بقوة جدلك والمجنون كيف يقدر على الكلام المنتظم المجزأ الى غير ذلك من الامور المتناقضة \* ثم قال تعالى (يؤفك عنه من افك) وفيه وجوه (احدها) انه مدح للمؤمنين اي يؤفك عن القول المختلف ويصرف من صرف عن ذلك القول ويرشد الى القول المستوي (ثانيها) انه ذم معناه يؤفك عن الرسول (ثالثا) يؤفك عن القول بالحشر (رابعها) يؤفك عن القرآن وقرى يؤفك عنه من افن اي يحرم وقرى يؤفك عنه من افك اي كذب \* ثم قال تعالى (قتل الخراصون) وهذا يدل على ان المراد من قوله لفي قول مختلف انهم غير ثابتين على امر وغير جازمين بل هم يظنون ويخربون ومعناه لعن الخراصون دعاء عليهم بمكرهم وصفتهم فقال تعالى (الدين هم في غمرة ساهون) وفيه (مستلثان) احدهما لفظية والاخرى معنوية (اما اللفظية) فقوله ساهون يحتمل ان يكون خبرا بعد خبر والمبتدأ هو قوله هم وتقديره هم كاثون في غمرة ساهون كما يقال زيد جاهل جائر لا على قصد وصف الجاهل بالجائر بل الاخبار بالوصفين عن زيد ويحتمل ان يكون ساهون خبرا وفي غمرة ظرف له كما يقال زيد في بيته قاعد يكون الخمر هو القاعد لا غير وفي بيته لبيان ظرف القعود كذلك في غمرة لبيان ظرف السهو الذي يصحح وحذف المعرفة بالجملة ولولاها لما جاز وصف المعرفة بالجملة (واما المعنوية) فهي ان مدح الخراس بالدين (الانهماء) في افك يعنى كون انهم ليس بسمة ذم وذلك لان ما لا يسبيل اليه الا التلذذ اذا سرى انما هو الحق والارصا فيكون ذلك مفيد نقص كما يقال في خراس القواكه والعساكر وغير ذلك واما الخراس في محل المعرفة واليقين فهو دم فقال قتل الخراصون الذي هم جاهلون ساهون لا الذين تعين طريقهم في التخمين والخزر

اي يصرف عن القرآن والرسول عليه الصلاة والسلام من صرف ادلا صرف افطع منه واشد وقيل يصرف عنه من صرف في علم الله تعالى وقضائه ويحوز ان يكون الضمير للقول المختلف على معنى يصدر افك من افك عن ذلك القول وقرى من افك اي من افك الناس وهم مريش حيث كانوا يصدون الناس عن الايمان (قتل الخراصون) دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاكة ثم جرى مجرى لعن الخراصون الكذابون المقصدون ما لا صحة له وهم اصحاب القول المختلف كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرى قتل الخراصين اي قتل الله (الدين هم في غمرة) من الجهل والضلال (ساهون) غافلون عما امروا به

وقوله تعالى ساهون بعد قوله في غرة يفيد انهم وقعوا في جهل وباطل ونسوا انفسهم فيه فلم يرجعوا عنه \* ثم قال تعالى (يسئلون ايان يوم الدين) فان قيل الزمان يجعل ظرف الافعال ولا يمكن ان يكون الزمان ظرفا لظرف آخر وههنا جعل ايان ظرف اليوم فقال ايان يوم الدين ويقال متى يقدم زيد فيقال يوم الجمعة ولا يقال متى يوم الجمعة فالجواب التقدير متى يكون يوم الجمعة وايا ان يكون يوم الدين وايا ان من المركبات ركب من اى التى يقع بها الاستفهام وان التى هى الزمان او من اى وأوان فكأنه قال اى أو ان فلما ركب بنى وهذا منهم جواب لقوله وان الدين لواقع فكأنهم قالوا ايان يقع استهزاء وترك المسؤل في قوله يسئلون حيث لم يقل يسألون من يدل على ان غرضهم ليس الجواب وانما يسألون استهزاء \* وقوله تعالى (يوم هم على النار يفتنون) يحتمل وجهين (احدهما) ان يكون جوابا عن قولهم ايان يقع وحينئذ كما انهم لم يسألوا سؤال مستفهم طالب لحصول العلم كذلك لم يجبه جواب مجيب معلم مبين حيث قال يوم هم على النار يفتنون وجهلهم بالنار اقوى من جهلهم بالاول ولا يجوز ان يكون الجواب بالاخفى فاذا قال قائل متى يقدم زيد فلو قال المجيب يوم يقدم رفيقه ولا يعلم يوم قدوم الرفيق لا يصح هذا الجواب الا اذا كان الكلام في صورة جواب ولا يكون جوابا كما ان القائل اذا قال كم تعد عدائى وتخلفها الى متى هذا الاخلاف فيغضب ويقول الى اشأم يوم عليك الكلامان في صورة سؤال وجواب ولا الاول يريد به السؤال ولا الثانى يريد به الجواب فكذلك ههنا قال يوم هم على النار يفتنون مقابلة استهزائهم بالايعاد لاعلى وجه الاتيان بالبيان (والثانى) ان يكون ذلك ابتداء كلام تامه في قوله تعالى (ذوقوا فنتنكم) فان قيل هذا ينضى الى الاضمار تقول الاضمار لا بد منه لان قوله ذوقوا فنتنكم غير متصل بما قبله الاضمار يقال ويفتنون قيل معناه يحرقون والاولى ان يقال معناه يعرضون على النار عرض المجرب الذهيب على النار لان كلمة على تناسب ذلك ولو كان المراد يحرقون لكان بالنار أو في النار البق لان الفتنة هى التجربة وامامنا يقال من اختبره ومن انه تجربة الحجارة فعنى بذلك المعنى مصدر الفتنة وههنا قال ذوقوا فنتنكم والفتنة الامتحان فان قيل فاذا جعلت يوم هم على النار يفتنون مقولا لهم ذوقوا فنتنكم فاقوله تعالى (هذا الذى كتم به تستجملون) فليست محتمل ان يكون المراد كنتم تستجملون بصريح القول كما في قوله تعالى حكاية عنهم ربنا جعل لنا قنطرا وقوله فأتنا بما تعدنا الى غير ذلك يدل عليه ههنا قوله تعالى يسئلون ايان يوم الدين فانه نوع استجمال ويحتمل ان يكون المراد الاستجمال بالفعل وهو الاصرار على العناد و اظهار الفساد فانه يجعل العقوبة \* ثم قال تعالى (ان المتقين في جنات وعيون) بعد بيان حال المغترين المجرمين بين حال المحق المتقى وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قد ذكرنا ان المتقى له مقامات ادناها ان يتقى النسرک واعلاها ان يتقى ماسوى الله وادنى درجات المتقى الجنة فما من مكلف اجتنب الکفر الا ويدخل الجنة فيرزق نعيمها (المسئلة الثانية) الجنة تارة

يسألون ايان يوم الدين) اى متى وقوع يوم الحراء لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستجمال استهزاء وقرئ ايان بكسر الهمزة (يوم هم على النار يفتنون) جواب للسؤال اى يقع يوم هم على النار يحرقون ويعدبون ويجوز ان يكون يوم حرا لمبتدأ محذوف اى هو يوم هم الح والقبح لاضافته الى غير متضمن ويؤيده انه قرئ بالرفع (ذوقوا فنتنكم) اى مقولا لهم

وحدها كما قال تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون وأخرى جمعها كما في هذا المقام قال ان  
 المتقين في جنات وتارة بناها فقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جناتان فالحكمة فيه نقول اما  
 الجنة عند التوحيد فلانها لاتصل المنازل والاشجار والانهار بجنة واحدة واما حكمة  
 الجمع فلانها بالنسبة الى الدنيا وبلاضافة الى جناتها جنات لا يحصرها عدد واما التثنية  
 فسنذكرها في سورة الرحمن غير اننا نقول ههنا الله تعالى عند الوعد وحدا لجنه وكذلك  
 عند الثمراء حيث قال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة  
 وعند الاعطاء جمعها اشارة الى ان الزيادة في الوعد موجودة والخلاف مالم وعد بجنات  
 ثم كان يقول انه في جنة لانه دون الموعد (الثالثة) قوله تعالى وعبون يقتضي ان يكون  
 المتقي فيها ولالذة في كون الانسان في ماء او غير ذلك من المائعات نقول معناه في خلال  
 العيون وذلك بين الانهار بدليل ان قوله تعالى في جنات ليس معناه الا بين جنات وفي  
 خلالها لان الجنة هي الاشجار وانما يكون بينها كذلك القول في العيون والتكثير مع انها  
 معرفة للتعظيم يقال فلان رجل اى عظيم في الرجولية \* وقوله تعالى (آخذين ما آتاهم  
 ربهن) فيه مسائل ولطائف اما المسائل (فالاولى) منها ما معنى آخذين نقول فيه وجهان  
 (احدهما) قابضين ما آتاهم شيئا فشيئا ولا يستوفونه بكماله لامتناع استيفاء لالانهاية له  
 (ثانيهما) آخذين قابلين قبول راض كما قال تعالى ويأخذ الصدقات اى يقبلها وهذا  
 ذكره الزمخشري (وفيه وجه ثالث) وهو ان قوله في جنات يدل على السكينة فحسب وقوله  
 آخذين يدل على التملك ولذا يقال آخذ بلاد كذا وقلة كذا اذا دخلها ممتلكا لها وكذلك  
 يقال لمن اشترى دارا او بستانا آخذه بتمن قليل اى تملكه وان لم يكن هناك قبض حسا  
 ولا قبول برضا وحينئذ فأنه بيان ان دخولهم فيها ليس دخول مستعير او ضيف يسترد  
 منه ذلك بل هو ملكه الذي اشتره بماله ونفسه من الله تعالى وقوله آتاهم يكون لبيان ان  
 آخذهم تلك لم يكن حنوة وفنوحا وانما كان باعطاء الله تعالى وعلى هذا الوجه ما رجعة  
 الى الجنات والعيون \* وقوله تعالى (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) اشارة الى ثمنها اى اخذوها  
 وملكوها بالاحسان كما قال تعالى للذين احسنوا الحسن بلام الملك وهي الجنة (المسئلة  
 الثانية) آخذين حال وهو في معنى قول القائل يأخذون فكيف قال ما آتاهم ولم يقل  
 ما يؤتاهم ليتفق اللفظان ويوافق المعنى لان قوله آتاهم نبي عن الانقراض وقوله يؤتاهم  
 تنبيه على الدوام وايتاء الله في الجنة كل يوم متجدد ولانهاية له ولا سيما اذا فسرنا الاخذ  
 بالقبول كيف يصح ان يقال فلان يقبل اليوم ما آتاه زيد امس نقول اما على ما ذكرنا  
 من التفسير لا يرد لان معناه يملكون ما اعطاهم وقد يوجد الاعطاء امس ويتملك اليوم  
 واما على ما ذكرناه فنقول الله تعالى اعطى المؤمن الجنة وهو في الدنيا غير انه لم يكن جني  
 عمارها فهو يدخلها على هيئة الآخذ وربما يأخذ خيرا مما آتاه ولا ينافي ذلك كونه  
 داخلا على تلك الهيئة يقول القائل جئت خائفا فاذا انا آمن وما ذكرتم انما يلزم ان لو

هذا القول وقوله تعالى (هذا  
 الذى كنتم به تستجملون) جلة  
 من مبتدأ وخبر داخل تحت القول  
 المضمر اى هذا ما كنتم تستجملون  
 به بطريق الاستهزاء ويحوزان  
 يكون هذا بدلا من فنتمكم  
 بتأويل العذاب والذى صفته  
 (ان المتقين في جنات وعبون)  
 لا يبلغ كنهم ولا يقدر قدرها  
 (آخذين ما آتاهم ربهن) اى  
 قابلين لما اعطاهم راضين به على  
 معنى ان كل ما آتاهم حسن

كان اخذهم مقتصرًا على ما آتاهم من قبل وليس كذلك وانما هم دخلوها على ذلك ولم يخطر ببالهم غيره فيؤتيهم الله ما لم يخطر ببالهم فيأخذون ما يؤتيهم الله وان دخلوها ليأخذوا ما آتاهم وقوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل هو اخذهم ما آتاهم وقد ذكرناه في سورة يس (المسئلة الثالثة) ذلك اشارة الى ماذا نقول يحتمل وجهين (احدهما) قبل دخولهم لان قوله تعالى في جنات فيه معنى الدخول يعنى قبل دخولهم الجنة احسنوا (ثانيهما) قبل ابتاء الله ما آتاهم احسنوا فآتاهم الحسنى وهى الجنة فأخذوها وفيه وجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى يوم الدين وقد تقدم (واما اللطائف) فقد سبق بعضها (ومنها) ان قوله تعالى ان المتقين لما كان اشارة الى التقوى من الشرك كان كانه قال الذين آمنوا لكن الايمان مع العمل الصالح يفيد سعادتين ولذلك دلالة أنهم من قول القائل انهم احسنوا (الطيفة الثانية) اما التقوى فلا تله لما قال لاله فقد اتقى الشرك واما الاحسان فلا تله لما قال الا الله فقد اتى بالاحسان ولهذا قيل في معنى كلمة التقوى انها لاله الا الله وفي الاحسان قال تعالى ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله وقيل في تفسير هل جزاء الاحسان الا الاحسان ان الاحسان هو الاتيان بكلمة لاله الا الله وهما حيثئذ لا يتفاصلان بل هما متلازمان \* وقوله تعالى (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون) كالتفسير لكونهم محسنين تقول حاتم كان سخياً كان يبذل موجوده ولا يترك مجهوده وفيه مباحث (الاول) قليلاً منصوب على الظرف تقديره يهجعون قليلاً تقول قام بعض الليل فنصب بعض على الظرف وخبر كان هو قوله يهجعون وما زائدة هذا هو المشهور وفيه وجه آخر وهو ان يقال كانوا قليلاً معناه نفي النوم عنهم وهذا منقول عن الضحاك ومقاتل وانكر الزمخشري كون ما نافية وقال لا يجوز ان تكون نافية لان ما بعد ما لا يعمل فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت ويجوز ان يعمل ما بعد ما لا يعمل فيما قبلها تقول زيدا ما ضربت وسبب ذلك هو ان الفعل المتعدي انما يفعل في النفي جلاله على الاثبات لانك اذا قلت ضرب زيد عمرا ابت تعلق فعله بعمرو فاذا قلت ما ضربته لم يوجد منه فعل حتى يتعلق به ويتعدى اليه لكن النفي محمول على الانبات فاذا ثبت هذا فالنفي بالنسبة الى الانبات كاسم الفاعل بالنسبة الى الفعل فانه يعمل عمل الفعل لكن اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضى لا يعمل فلا تقول زيد ضرب عمرا امس وتقول زيد ضرب عمرا غدا واليوم والآن لان الماضى لم يبق موجوداً ولا متوقع الوجود فلا يتعلق بالمفعول حقيقة لكن الفعل لقوته يعمل واسم الفاعل لضعفه لم يعمل اذا عرفت هذا فنقول ما ضربت للنفي في الماضى فاجتمع فيه النفي والمضى فضعف واما لم اضرب وان كان يقلب المستقبل الى الماضى لكن الصيغة صيغة المستقبل فوجد فيه ما يوجد في قول القائل زيد ضرب عمرا غدا فاعمل هذا بيان قوله غير ان القائل بذلك القول يقول قليلاً ليس منصوباً بقوله يهجعون وانما ذلك خبر كانوا اى كانوا قليلين نعم قال من الليل ما يهجعون اى ما يهجعون اصلاً بل يجوز

مرضى يتلقى بحسن القبول  
( انهم كانوا قبل ذلك ) في الدنيا  
( محسنين ) اى لا اعمالهم الصالحة  
اتين بها على ما ينبغي فلذلك قالوا  
ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى  
الاحسان بالاجال ما اشار اليه  
عليه الصلاة والسلام بقوله ان  
تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن  
تراه فانه يراك وقد فسر بقوله  
تعالى ( كانوا قليلاً من الليل  
ما يهجعون ) اى كانوا يهجعون  
في طائفة قليلة من الليل على ان

الليل جميعه ومن يكون لبيان الجنس لا التبعض وهذا الوجه حينئذ فيه معنى قوله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وذلك لانا ذكرنا ان قوله ان المتقين فيه معنى الذين آمنوا وقوله محسنين فيه معنى الذين عملوا الصالحات وقوله كانوا قليلا فيه معنى قوله تعالى وقليل ما هم (البحث الثاني) على القول المشهور وهو ان ما زائدة يحتمل ان يكون قليلا صفة مصدر تقديره يجمعون هجوعا قليلا (البحث الثالث) يمكن ان يقال قليلا منصوب على انه خبر كان وما مصدرية تقديره كان هجوعهم من الليل قليلا فيكون فاعل كانوا هو المجمع ويكون ذلك من باب بدل الاشتغال لان هجوعهم متصل بهم عكائه قال كان هجوعهم قليلا كما يقال كان زيد خلقه حسنا فلا يحتاج الى القول بزيادة واعلم ان النحاة لا يقولون فيه انه بدل فيفرون بين قول القائل زيد حسن وجهه او الوجه وبين قوله زيد وجهه حسن فيقولون في الاول صفة وفي الثاني بدل ونحن حيث قلنا انه من باب بدل الاشتغال اردنا به معنى لا اصطلاحا والافقيلا عند التقديم ليس في النحو مثله عند التأخير حتى قولك فلان قليل هجوعه ليس ببدل فلان هجوعه قليل بدل وعلى هذا يمكن ان تكون ما موصولة معناه كان ما يجمعون فيه قليلا من الليل هذا ما يتعلق باللفظ اما ما يتعلق بالمعنى فقول تقديم قليلا في الذكر ليس مجرد الجمع حتى يقع يجمعون ويستغفرون في اواخر الآيات بل فيه فائدتان (الاولى) هي ان المجمع راحة لهم وكان المقصود بيان اجتهادهم وتحملهم السهر لله تعالى فلو قال كانوا يجمعون كان المذكور او لاراحتهم ثم يصفه بالقلة وربما يغفل الانسان السامع عما بعد الكلام فيقول احسانهم وكونهم محسنين بسبب انهم يجمعون واذا قدم قوله قليلا يكون السابق الى الفهم قلة المجمع وهذه الفائدة من براعيها يقول فلان قليل المجمع ولا يقول هجوعه قليل لان الغرض بيان قلة المجمع لبيان المجمع بوصف القلة او الكثرة فان المجمع لو لم يكن لكان في القلة اولى ولا كذلك قلة المجمع لانها لو لم تكن لكان بدلها الكثرة في الظاهر (الفائدة الثانية) في قوله تعالى من الليل وذلك لان النوم القليل بالهيار قد يوجد من كل احد واما الليل فهو زمان النوم لايسهه في الطاعة لا يتبعه مقبل فان قيل المجمع لا يكون الا بالليل والنوم نهارا لا يقال له المجمع قلنا ذكر الامر العام واردة التخصيص حسن فتقول رأيت حيوانا ناطقا فصيحاً وذكر الخاص واردة العام لا يحسن الا في بعض المواضع فلا تقول رأيت فصيحاً ناطقا حيوانا اذا عرفت هذا فتقول في قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ذكر امرا هو كالعام يحتمل ان يكون بعده كانوا من الليل يسبحون ويستغفرون او يسهرون او غير ذلك فاذا قال يجمعون فكأنه خصص ذلك الامر العام المحتمل له ولغيره فلا اشكال فيه \* ثم قال تعالى (وبالاسحار هم يستغفرون) اشارة الى انهم كانوا يتعبدون ويجهدون ويريدون ان يكون عملهم اكثر من ذلك واخلص منه ويستغفرون من التقصير وهذا سيرة الكريم يأتي بأبلغ وجوه الكرم ويستقله ويعتذر

قليلا ظرف او كانوا يجمعون هجوعا قليلا على انه صفة للمصدر وما مزيدة في الوجهين ويجوز ان تكون مصدرية او موصولة مرتفعة بقليل على الفاعلية اي كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يجمعون فيه وفيه مبالغت في تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت الراحة والمجمع الذي هو الفرار من النوم وزيادة ما ولا مساغ لجعل ما نافية على معنى

من التقصير والثلثم يأتي بالقليل ويستكثره ويمن به وفيه وجه آخر ألفت منه وهوانه تعالى لمساين انهم يجمعون قليلا والمجموع مقتضى الطبع قال يستغفرون اى من ذلك القدر من النوم القليل وفيه لطيفة اخرى تنبيها في جواب سؤال وهوانه تعالى مدحهم بقلة المجموع ولم مدحهم بكثرة السهر وما قال كانوا كثيرا من الليل ما يسهرون فبالحكمة فيه مع ان السهر هو الكلفة والاجتهاد لا المجموع نقول اشارة الى ان نومهم عبادة حيث مدحهم الله تعالى بكونهم هاجعين قليلا وذلك المجموع اورنهم الاشتغال بعبادة اخرى وهو الاستغفار في وجوه الاسحار ومنهم من الاعجاب بأنفسهم والاستكبار وفيه مباحث ( البحث الاول ) في الباء فانها استعملت للظرف ههنا وهى ليست للظرف نقول قال بعض النحاة ان حروف الجر ينوب بعضها مناب بعض يقال في الظرف خرجت لسريقين وبالليل وفي شهر رمضان فيستعمل اللام والباء وفي وكذلك في المكان تقول ائت بالمدينة كذا وفيها ورأيت ببلدة كذا وفيها فان قيل ما التحقيق فيه نقول الحروف لها معان مختلفة كما ان الاسماء والافعال كذلك غير ان الحروف غير مستقلة باقادة المعنى والاسم والفعل مستقلان لكن بين بعض الحروف وبعضها تناف وتباعد كما في الاسماء والافعال فان البيت والمسكن مختلفان متفاوتان وكذلك سكن ومكث ولا كذلك كل اسمين يفرض او كل فعلين يوجد اذا عرفت هذا فنقول بين الباء واللام وفي مشاركة اما الباء فلانها للالصاق والتمكن في مكان ملتصق به متصل وكذلك الفعل بالنسبة الى الزمان فاذا قال سار بالنهار معناه ذهب ذهابا متصلا بالنهار وكذا قوله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون اى استغفارا متصلا بالاسحار مقترنا بها لان الكائن فيها مقترن بها فان قيل فهل يكون بينهما في المعنى تفاوت نقول نعم وذلك لان من قال قت بالليل واستغفرت بالاسحار اخبر عن الامرين وذلك ادل على وجود الفعل مع اول جزء من اجزاء الوقت من قوله قت في الليل لانه يستدعى احتواش الزمان بالفعل وكذلك قول القائل ائت ببلدة كذا لا يفيد انه كان محاطا بالبلدة وقوله ائت فيها يدل على احاطتها به فاذن قول القائل ائت بالبلدة ودعوت بالاسحار اعم من قوله قت فيه لان القائم فيه قائمه والقائم به ليس قائما فيه من كل بد اذا علمت هذا فقله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون اشارة الى انهم لا يخلون وقتا عن العبادة فاتم بالليل لا يجمعون ومع اول جزء من السحر يستغفرون فيكون فيه بيان كونهم مستغفرين من غير أن يسبق منهم ذنب لانهم وقت الانتباه في الاسحار لم يخلوا الوقت للذنب فان قيل زدنا بيانا فان من الازمان أزمانا لا تجعل ظروفها بالباء فلا يقال خرجت بيوم الجمعة ويقال بقي نقول ان كل فعل جار في زمان فهو متصل به فالخروج في يوم الجمعة متصل مقترن بذلك الزمان ولم يستعمل خرجت بيوم الجمعة نقول الفارق بينهما الاطلاق والتقييد بدليل انك ان قلت خرجت بنهارنا وبليلة الجمعة لم يحسن ولو قلت خرجت بيوم سعدو خرج هو بيوم نحس حسن فالنهار والليل لما لم يكن فيهما خصوص

انهم لا يجمعون من الليل قليلا بل يحبونه كله لما ان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها (وبالاسحار هم يستغفرون) اى هم مع قلة هجوعهم وكثرة نهجدهم يدومون على الاستغفار في الاسحار كأنهم اسلموا ليلهم باقتراف الحرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بأنهم الاصحاء بان يوصفوا بالاستغفار كأنهم المحتصون به لاستدانتهم له واغناهم فيه ( وفي اموالهم

وتقييد جاز استعمال الباء فيهما فأذا قيدت لهما وخصصت لهما زال ذلك الجواز ويوم الجمعة  
لما كان فيه خصوص لم يحز استعمال الباء وحيث زال الخصوص بالتكثير وقلت  
خرجت يوم كذا ما ذا الجواز والسرفيه ان مثل يوم الجمعة وهذه الساعة وتلك الليلة وجد  
فيها امر غير الزمان وهو خصوصيات وخصوصية الشيء في الحقيقة امور كثيرة غير  
محصورة عند العاقل على وجه التفصيل لكنها محصورة على الاجال مثاله اذا قلت هذا  
الرجل فالعام فيه هو الرجل ثم انك لو قلت الرجل الطويل ما كان بصير مخصصا لكنه يقرب  
من الخصوص ويخرج من القصار فان قلت العالم لم يصير مخصصا لكنه يخرج عن الجهال  
فاذا قلت الزاهد فكذلك فاذا قلت ابن عمرو خرج عن ابناه زيد وبكر وخاله وغيرهم فاذا  
قلت هذا يتناول تلك المخصصات التي بأجمعها لا تجتمع الا في ذلك فاذا الزمان المتعين  
فيه أمور غير الزمان والفعل حدث مقترن بزمان لانه في زمان واما في فصيح لان  
ما حصل في العام فهو في الخاص لان العام امر داخل في الخاص واما في يدخل في الذي  
فيه الشيء فصيح ان يقال في يوم الجمعة وفي هذه الساعة واما بحث اللام فتؤخره الى  
موضعه وقد تقدم بعضه في تفسير قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها وقوله هم غير خال  
عن فائدة قال الزمخشري فأنه انحصار المستغفرين اي لكمالهم في الاستغفار كأن غيرهم  
ليس بمستغفر فهم المستغفرون لا غير يقال فلان هو العالم لكمالهم في العلم كأنه تفرد به وهو  
جيد ولكن فيه فائدة اخرى وهي ان الله تعالى لما عطف وبالا سحارهم يستغفرون على  
قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون فلولم يؤكدهم معنى الانبات بكلمة هم لصلح ان يكون  
معناه وبالا سحار قليلا ما يستغفرون تقول فلان قليلا ما يؤذى والى الناس يحسن قديهم  
انه قليل الايذاء قليل الاحسان فاذا قلت قليلا ما يؤذى وهو يحسن زال ذلك الفهم وظهر  
فيه معنى قوله قليل الايذاء كثير الاحسان والاستغفار يحتمل وجوها (احدها) طلب المغفرة  
بالذكر بقولهم ربنا اغفر لنا (الثاني) طلب المغفرة بالفعل اي بالسحار يأتون بعمل آخر طلبا  
للعفوان وهو الصلاة او غيرها من العبادات (الثالث) وهو اغربها الاستغفار من باب  
استحصاء الزرع اذا جاء أو ان حصاده فكأنهم بالسحار يستحقون المغفرة ويأتيهم أو ان  
المغفرة فان قيل فالله لم يؤخر مغفرتهم الى السحر نقول وقت السحر تجتمع ملائكة الليل  
والنهار وهو الوقت المشهود فيقول الله على ملائمتهم اني غفرت لعبدي والاول اظهر  
والثاني عند المفسرين اشهر ثم قال تعالى ( وفي اموالهم حق للسائل والمحروم ) وقد  
ذكرنا مرارا ان الله تعالى بعد ذكر تعظيم نفسه يذكر الشفقة على خلقه ولاشك ان قليل  
الهمجوع المستغفر في وجوه الاسحار وجد منه التعظيم العظيم فأشار الى الشفقة بقوله  
وفي اموالهم حق وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) اضاف المال اليهم وقال في مواضع  
انفقوا مما رزقكم الله وقال ومما رزقناهم ينفقون تقول سبيه ان في تلك المواضع كان  
الذكر للحث فذكر معه ما يدفع الحث ويرفع المانع فقال هو رزق الله والله يرزقكم فلا

(حق) اي نصيب واقر يستوجبونه  
على انفسهم تقربا الى الله تعالى  
واشفاقا على الناس ( للسائل  
والمحروم ) للمستجدي والمتعفف  
الذي يحسبه الناس غنيا فيحرم  
الصدقة ( وفي الارض آيات  
للباقين ) اي دلائل واضحة على  
شؤنه تعالى على التفصيل من  
حيث انها مدحوة كالسباط  
المنهد وفيها مسالك وجاج  
للتقليين في افطارها والسالكين  
في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر



تخافوا المقر واعطوا واما ههنا فمدح على ما فعلوه فلم يكن الى الحرص حاجة ( المسئلة الثانية ) المشهور في الحق انه هو القدر الذي علم شرعا وهو الزكاة وحيث لا يبقى هذا صفة مدح لان كون المسلم في ماله حق وهو الزكاة ليس صفة مدح لان كل مسلم كذلك بل الكافر اذا قلنا انه مخاطب بفروع الاسلام في ماله حق معلوم غير انه اذا اسلم سقط عنه وان مات عوقب على تركه وان ادى من غير الاسلام لا يقع الموقع وكيف يفهم كونه مدحا نقول الجواب عنه من وجوه (احدها) ان انفس السائل بمن يطلب شرعا والمحروم هو الذي لا يمكنه من المطلب ومنعه الشارع من المطالبة ثم ان المع قديكون لكون الطالب غير مستحق وقديكون لكون المطلوب منه لم يبق عليه حق فلا يطالب فقال تعالى في ماله حق للطالب وهو الزكاة وغير الطالب وهو الصدقة المتطوع بها فان ذلك المالك لا يطالب بها ويحرم الطالب منه طلبا على سبيل الجزية والزكاة بل يسأل سؤالا اختياريا فيكون حيثنذ كانه قال في ماله زكاة وصدقة والصدقة في المال لا تكون الا برضه هو ذلك وتقديره وافراره للفقراء والمساكين (الجواب الثاني) هو ان قوله وفي اموالهم حق للسائل اى مالهم ظرف لحقوقهم فان كلمة في الظرفية لكن الظرف لا يطلب الا للمظروف فكأنه تعالى قال هم لا يطلبون المال ولا يجمعونه الا ويجعلونه ظرفا للحق ولا شك ان المطلوب من الظرف هو المظروف والظرف مالهم بفعل مالهم ظرفا للحقوق ولا يكون فوق هذا مدح فان قيل فلو قيل مالهم للسائل هل كان بالغ قلنا لا وذلك لان من يكون له اربعون دينارا فتصدق بها لا تكون صدقته دائمة لكن اذا اجتهد وانجز وعاش سنين وادى الزكاة والصدقة يكون مقدار المؤدى اكثر وهذا كافي للصلاة والصوم لو اضعف واحد نفسه بهما حتى عجز عنها لا يكون مل من اقتصدهما واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متن فأوغل فيه برفق فان المبت لا ارضاقطع ولا ظهرا انق وفي السائل والمحروم وجوه (احدها) ان السائل هو الناطق وهو الآدمي والمحروم كل دى روح غيره من الحيوانات المحرمة قال النبي صلى الله عليه وسلم لكل كبد حرى اجر ( وثانيها ) وهو الاظهر والاشهر ان السائل هو الذى يسأل والمحروم المتعفف الذى يحسبه بعض الناس غنيا فلا يعطيه شيئا والاول كقوله تعالى كلوا وارعوا انعامكم والثاني كقوله واطعموا القانع والمعتر فالقانع المحروم فان قيل على الوجه الاول الترتيب في غاية الحسن فان دفع حاجة الناطق مقدم على دفع حاجة البهائم فما وجه الترتيب في الوجه الثاني بقوله فيه وجهان (احدهما) ان السائل اندفاع حاجته قبل اندفاع حاجة المحروم في الوجود لانه يعرف حاله بمقاله ويطلب لقله ماله فيقدم بدفع حاجته والمحروم غير معلوم فلا تندفع حاجته الا بعد الاطلاع عليه فكان الذكر على الترتيب الواقع وثانيهما هو ان ذلك اشارة الى كثرة العطاء فيقول يعطى السائل فاذا لم يجدهم يسأل هو عن المحتاجين فيكون سائلا ومسؤلا (الثالث) هو ان المحاسن اللفظية غير مهيورة في الكلام الحكيم فان قول

وبحر وقطع متجاورات وعمون  
مفجيرة ومعادن مفتنة وانها تلقي  
بالون البات وانواع الابجار  
واضاف النار الختلفة الالوان  
والطعوم والروائح وفهادواب  
منمة قد درب كلها ودر لمافع  
سأكيمها ومصالهم في صحتهم  
واعتلاهم ( وفي انفسكم ) اى  
وفي انفسكم آيات ادليس في  
العالم شى الاوفى الالهس له نظير  
يدل دلالة على ما فرده من  
الهيئات الباعة والمناظر البهية

القاتل ان رجوعهم اليها وعليها حسابهم ليس كقوله تعالى ان اليها اياهم ثم ان علينا حسابهم والكلام له جسم وهو اللفظ وله روح وهو المعنى وكان الانسان الذي نور روحه بالمعرفة ينبغي ان ينور جسمه الظاهر بالنظافة كذلك الكلام ورب كلمة حكمة لا تؤثر في النفوس لركاكة لفظها اذا عرفت هذا فقوله وبالا سحارهم يستغفرون وفي اموالهم حق للسائل والمحروم احسن من حيث اللفظ من قولنا بالا سحارهم يستغفرون وفي اموالهم حق للمحروم والسائل فان قيل قدم السائل على المحروم ههنا لما ذكرت من الوجوه ولم قدم المحروم على السائل في قوله القانع والمعتز لان القانع هو الذي لا يسأل والمعتز السائل نقول قد قيل ان القانع هو السائل والمعتز الذي لا يسأل فلا فرق بين الموضوعين وقيل بان القانع والمعتز كلاهما لا يسأل لكن القانع لا يتعرض ولا يخرج من بيته والمعتز يتعرض للاخذ بالسلام والتردد ولا يسأل وقيل بان القانع لا يسأل والمعتز يسأل فعلى هذا فلحم البدنة يفرق من غير مطالبة ساع او مستحق مطالبة جزية والزكاة لها طالب وسائل هو الساعي والامام فقوله للسائل اشارة الى الزكاة وقوله والمحروم اى المنوع اشارة الى الصدقة المتطوع بها واحداً قبل الاخرى بخلاف اعطاء اللحم \* ثم قال تعالى ( وفي الارض آيات للموقنين ) وهو يحتمل وجهين ( احدهما ) ان يكون متعلقا بقوله انما توعدون لصادق وان الدين لواقع وفي الارض آيات للموقنين تدلهم على ان الحشر كائن كما قال تعالى ومن آياته انك ترى الارض خاشعة الى ان قال ان الذي احيها لمحبي الموقن ( وثانيهما ) ان يكون متعلقا بأفعال المتقين فانهم خافوا الله فعظموه فآظفروا الشفقة على عباده وكان لهم آيات في الارض وفي انفسهم على اصابتهم الحق في ذلك فان من يكون له في الارض الآيات العجيبة يكون له القدرة التامة فيختشى ويتق ومن له في انفس الناس حكم بالغة ونعم سابعة يستحق ان يعبد ويترك له مجموع لعبادته واذا قابل العبد العبادة بالنعمة يجدها دون حد الشكر فيستغفر على التقصير واذا علم ان الرزق من السماء لا ينجل بماله فالآيات الثلاث المتأخرة فيها تقرير ما تقدم وعلى هذا فقوله تعالى فو رب السماء والارض يكون عود الكلام بعد اعتراض الكلام الاول اقوى واظهر وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) كيف خصص الموقنين بكون الآيات لهم مع ان الآيات حاصلة لكل قال تعالى وآية لهم الارض الميتة احييناها نقول قد ذكرنا ان اليمين آخر ما يأتي به المبرهن وذلك لانه اول ما يأتي بالبرهان فان صدق فذلك وان لم يصدق لا بد له من ان ينسب الخصم الى اصرار على الباطل لانه اذا لم يقدر على قدح فيه ولم يصدق به يعترفه بقوة الجدل وينسبه الى المكابرة فيعين طريقه في اليمين فاذا آيات الارض لم تندهم لان اليمين بقوله والذاريات ذروا دلت على سبق اقامة البيئات وذكر الآيات ولم يقد فقال فيها وفي الارض آيات للموقنين وان لم يحصل للمصر المعاند منها فائدة واما في سورة يس وغيرها من المواضع التي جعل فيها آيات الارض للعامة لم يحصل فيها اليمين

والتركيبات العجيبة والتكن من الافعال البديعة واستنباط المصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة ( افلا تبصرون ) اى الاتظرون فلا تبصرون بعين البصيرة ( وفي السماء رزقكم ) اى اسباب رزقكم او تصديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات ( وما توعدون ) من الثواب لان الجنة في السماء السابعة اولان الاعمال ونوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مبتدأ خبره قوله تعالى

وذكر الآيات قبله فجاز أن يقال إن الأرض آيات لمن ينظر فيها (الجواب الثاني) وهو الأصح أن هنا الآيات بالفعل والاعتبار للمؤمنين أي حصل ذلك لهم وحيث قال لكل ههنا أن فيها آيات لهم أن نظروا وتأملوا (المسئلة الثانية) ههنا قال وفي الأرض آيات وقال هناك وآية لهم الأرض تقول لما جعل الآية للموقنين ذكر بلفظ الجمع لأن الموقن لا يغفل عن الله تعالى في حال ويرى في كل شيء آيات دالة وأما العاقل فلا يتنبه إلا بأمور كثيرة فيكون الكل له كآية الواحدة \* ثم قال تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) إشارة إلى دليل الأنفس وهو كقوله تعالى سزيمهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم وإنما اختار من دلائل الآفاق ما في الأرض لظهورها لمن على ظهورها فان في أطرافها واكتافها ما لا يمكن عدا صنفها فدليل الأنفس في قوله وفي أنفسكم عام ويحتمل أن يكون مع المؤمنين وإنما أتى بصيغة الخطاب لأنها أظهر لكون علم الإنسان بما في نفسه اتم وقوله تعالى وفي أنفسكم يحتمل أن يكون المراد وفيكم يقال الحجارة في نفسها صلبة ولا يراد بها النفس التي هي منبع الحياة والحس والحركات ويحتمل أن يكون المراد وفي نفوسكم التي بها حياتكم آيات وقوله أفلا تبصرون بالاستفهام إشارة إلى ظهورها \* وقوله تعالى (وفي السماء رزقكم) فيه وجوه (أحد) هافي السحاب المطر (ثانيها) في السماء رزقكم مكتوب (الثالث) تقدير الرزاق كلها من السماء ولولاه لما حصل في الأرض حبة قوت وفي الآيات الثلاث ترتيب حسن وذلك لأن الإنسان له أمور يحتاج إليها لا بد من سبقها حتى يوجد هو في نفسه وأمور تقارنه في الوجود وأمور تلحقه وتوجد بعده ليقبى بها فالأرض هي المكان واليه يحتاج الإنسان ولا بد من سبقها فقال وفي الأرض آيات ثم في نفس الإنسان أمور من الأجسام والأعراض فقال وفي أنفسكم ثم بقاءه بالرزق فقال وفي السماء رزقكم ولولا السماء لما كان للناس البقاء \* وقوله تعالى (وماتوعدون) فيه وجهان (أحدهما) الجنة الموعود بها لأنها في السماء (ثانيها) هو من الأبعاد لأن البناء لا مفعول من أوعد يوعد أي و ماتوعدون أمان الجنة والنار في قوله تعالى يومهم على النار وقوله أن المتقين في جنات فيكون أيعاداً أماناً وامن العذاب وحينئذ يكون الخطاب مع الكفار فيكون كأنه تعالى قال وفي الأرض آيات للموقنين كافيته وأما أنتم أي الكافرون ففي أنفسكم آيات هي أظهر الآيات وتكفرون بها لحطام الدنيا وحب الرياسة وفي السماء الرزاق فلو نظرتم وتأملتم حق التأمل لم تتركتم الحق لاجل الرزق فإنه أصل بكل طريق ولا تجتنبتم الباطل انتفاء لمتوعدون من العذاب النازل \* ثم قال تعالى (فأوب السماء والأرض أنه خلق مثل ما أنكم تنطقون) وفي المقسم عليه وجوه (أحدها) ماتوعدون أي ماتوعدون لحق بزيده قوله تعالى أماناً متوعدون لصادق وعلى هذا يعود كل ما قلناه في وجوه ماتوعدون أن قلنا أن ذلك هو الجنة فالمقسم عليه هو هي (ثانيها) الضمير راجع إلى القرآن أي أن القرآن حق وفيما ذكرنا في قوله تعالى يؤفك عنه دليل هذا وعلى هذا فقوله مثل

(فأوب السماء والأرض أنه خلق)  
على الضمير لما وأما على الأول  
فأما له وأما لما ذكر من أمر  
الآيات والرزق على أنه مستعار  
لأسم الإشارة (مثل ما أنكم  
تنطقون) أي كأنه لا شك لكم في  
أنكم تنطقون ينبغي أن لا تشكوا  
في حقيقته ونصبه على الحالية من  
المسكن في خلقه وعلى أنه وصف  
لمصدر محذوف أي أنه خلق حقاً  
مثل نطقكم وقيل أنه مبني على  
الفتح لاضافته إلى غير ممكن  
وهو ما كانت عبارة عن شيء  
وإن عاقب حيزها أن جعلت زائدة  
ومحلها الرفع على أنه صفة لخلق  
ويؤيده القراءة بالرفع

ما انكم تنطقون معناه تكلم به الملك النازل من عند الله به مل ما انكم تتكلمون  
وسنذكره (ثالثها) انه راجع الى الدين كما في قوله تعالى وان الدين لواقع (رابعها) انه  
الى اليوم المذكور في قوله ايان يوم الدين يدل عليه وصف الله اليوم بالحق في قوله تعالى  
ذلك اليوم الحق (خامسها) انه راجع الى القول الذي يقال هذا الذي كنتم به تستعجلون  
\* وفي التفسير مباحث (الاول) الفاء تستدعي تعقيب امر لا مرفا المتقدم نقول فيه  
وجهان (احدهما) الدليل المتقدم كانه تعالى يقول انما تعدون الحق بالبرهان المبين ثم  
بالقسم واليمين (ثانيهما) القسم المتقدم كانه تعالى يقول والذاريات ثم ورب السماء  
والارض \* وعلى هذا يكون الفاء حرف عطف اعيد معه حرف القسم كإبعاد الفعل اد  
بصح ان يقال ومررت بعمر \* فقوله والذاريات ذروا فالحاملات وقرع اعطف من غير  
اعادة حرف القسم وقوله فورب السماء مع اعادة حرفه \* والسبب فيه وقوع الفصلين  
القسمين ويحتمل ان يقال الامر المتقدم هو بيان الثواب في قوله يومهم على النار  
يفتنون وقوله ان المتقين في جنات وفيه فائدة وهوان الفاء تكون تنبيها على ان لا حاجة  
الى اليمين مع ما تقدم من الكشف المبين فكانه يقول ورب السماء والارض انه خلق كما  
يقول القائل بعد ما يظهر دعواه هذا والله ان الامر كما ذكرت فيؤكد قوله باليمين ويشير  
الى نبوته من غير يمين (البحث الثاني) اقسام من قبل بالامور الارضية وهي الرياح وبالسماء  
في قوله والسماء ذات الحجب ولم يقسم بربها وهما أقسم بربها نقول كذلك الترتيب  
بقسم المتكلم اول بالادنى فان لم يصدق به يرتقى الى الاعلى ولهذا قال بعض الناس اذا قال  
قائل وحياتك والله لا يكفر واذا قال والله وحياتك لا شك يكفرو هذا استشهاد وان كان  
الامر على خلاف ما قاله ذلك القائل لان الكفر اما بالقلب او باللفظ الظاهر في امر القلب  
او بالفعل الظاهر وما ذكره ليس بظاهر في تعظيم جانب غير الله والعجب من ذلك القائل  
انه لا يجعل التأخير في الذكر مفيدا للترتيب في الوضوء وغيره (البحث الثالث) قرئ مل  
بالرفع وحينئذ يكون وصفا لقوله الحق ومثل وان اضيف الى المعرفة لا يخرج عن جواز  
وصف المنكر به تقول رأيت رجلا مل عمر ولانه لا يفيد تعريفا لانه في غاية الابهام  
وقرئ مثل بالنصب ويحتمل وجهين (احدهما) ان يكون مقنونا لاضافته الى ما هو  
ضعيف والاجاز ان يقال زيد قاتل من يعرفه او ضارب من يشته (ثانيهما) ان يكون  
منصوبا على البيان تقديره الحق حق قاتل ويحتمل ان يقال انه منصوب على انه صفة مصدر  
معلوم غير مذكور ووجهه ان ادللنا ان المراد من الضمير في قوله انه هو القرآن فكانه قال  
ان القرآن الحق نطق به الملك نطقا مل ما انكم تنطقون وما مجرور لاشك فيه \* ثم قال  
تعالى (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين) اشارة الى تسليبة قلب النبي صلى الله  
عليه وسلم ببيان ان غيره من الانبياء عليهم السلام كان مثله واختار ابراهيم لكونه شيخ  
المرسلين وكون النبي عليه الصلاة والسلام على سنته في بعض الاشياء وانذار لقومه بما

(هل أتاك حديث ضيف ابراهيم)  
تخيم لسان الحديث وتنبيه على  
انه ليس بماعلمه رسول الله صلى الله  
عليه وسلم بغير طريق الوحي  
والضيف في الاصل مصدر ضافه  
ولذلك يطلق على الواحد  
والجماعة كالزور والصوم وكاتوا  
اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عشرهم  
جبريل وقيل ثلاثة جبريل  
وميكايل وملاك آخر معها  
عليهم السلام وتسميتهم ضيفا  
لانهم كانوا في صورة الضيف  
حيث اضافهم ابراهيم عليه السلام  
اولا لانهم كانوا في حسبانته كذلك  
(المكرمين) اي المكرمين عند  
الله تعالى او عند ابراهيم حيث  
خدمهم بنفسه وبزوجته

جرى من الضيف ومن ازال الجارة على المذنين المضلين وفيه مسائل ( المسئلة الاولى )  
 اذا كان المراد ما ذكرت من التسلية والانداز فأى فائدة في حكاية الضيافة نقول ليكون  
 ذلك اشارة الى الفرج في حق الانبياء والبلاء على الجهلة والاغبياء اذ جاءهم من حيث  
 لا يحتسب \* قال الله تعالى فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فلم يكن عند ابراهيم عليه  
 السلام خبر من ازال العذاب مع ارتفاع مكاته ( المسئلة الثانية ) كيف سماهم ضيفا  
 ولم يكونوا نقول لما حسبهم ابراهيم عليه السلام ضيفا لم يكذبه الله تعالى في حسابه اكراما  
 له يقال في كلمات المحققين الصادق يكون ما يقول والصديق يقول ما يكون ( المسئلة  
 الثالثة ) ضيف لفظ واحد المكرمين جمع فكيف وصف الواحد بالجمع نقول الضيف  
 يقع على القوم يقال قوم ضيف ولانه مصدر فيكون كلفظ الرزق مصدرا وانما وصفهم  
 بالمكرمين اما لكونهم عبادا مكرمين كما قال تعالى بل عباد مكرمون واما الاكرام  
 ابراهيم عليه السلام اياهم فان قيل بماذا اكرمهم قلنا ببشاشة الوجه اولا وبالاجلال  
 في احسن المواضع والطفها ثانيا وتجميل القرى ثالثا وبعد التكليف للضيف بالاكل  
 والجلوس وكانوا عدة من الملائكة في قول ثلاثة جبريل وميكائيل واثالث وفي قول  
 عشرة وفي آخر اثنا عشر ( المسئلة الرابعة ) هم ارسلوا للعذاب بدليل قولهم انا ارسلنا  
 الى قوم مجرمين وهم لم يكونوا من قوم ابراهيم عليه السلام وانما كانوا من قوم لوط  
 فا الحكمه في مجيئهم الى ابراهيم عليه السلام نقول فيه حكمه بالغة وبيانها من وجهين  
 ( احدهما ) ان ابراهيم عليه السلام شيخ المرسلين وكان لوط من قومه ومن اكرام الملك  
 الذي في عهده وتحت طاعته اذا كان يرسل رسولا الى غيره يقول له اعر على فلان الملك  
 واخبره برسالتك وخذ فيهارأيه ( وثانيهما ) هو ان الله تعالى لما قدر ان يهلك قوما كثيرا وجما  
 غفيرا وكان ذلك مما يحزن ابراهيم عليه السلام شفقة منه على عباد الله قال لهم بشروهم بعلام  
 يخرج من صلبه اضعاف مائة و يكون من صلبه خروج الانبياء عليهم السلام ثم قال  
 تعالى ( اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ) وفيه مسائل ( المسئلة الاولى )  
 ما العامل في اذ فيه وجوه ( احدها ) ما في المكرمين من الاشارة الى الفعل ان قلنا وصفهم  
 بكونهم مكرمين بناء على ان ابراهيم عليه السلام اكرمهم فيكون كأنه تعالى يقول  
 اكرموا اذ دخلوا وهذا من شان الكرم ان يكرم ضيفه وقت الدخول ( ثانيها ) ما في  
 الضيف من الدلالة على الفعل لا ناقلا ان الضيف مصدر فيكون كأنه يقول اضافهم  
 اذ دخلوا ( ثالثها ) يحتمل ان يكون العامل فيه اناك تقديره ما اناك حديثهم وقت  
 دخولهم فاسمع الآن ذلك لان هل ليس للاستفهام في هذا الموضع حقيقة بل للاعلام  
 وهذا اولى لانه فعل مصرح به وبمحتمل ان يقال اذكر اذ دخلوا ( المسئلة الثانية )  
 لماذا اختلف اعراب السلامين في القراءة المشهورة نقول ثنين اولا وجوه النص  
 والرفع ثم ثنين وجوه الاختلاف في الاعراب اما النص فيحتمل وجوها ( احدها )

( اذ دخلوا عليه ) ظرف للحدث  
 او لما في الضيف من معنى الفعل  
 او المكرمين ان فسر باكرام  
 ابراهيم ( فقالوا سلاما ) اي نسلم  
 عليك سلاما ( قال ) اي ابراهيم  
 ( سلام ) اي عليكم سلام عدل به  
 الى الرفع بالابتداء للقصد الى  
 البات والسدوم حتى تكون  
 تحيته عليه الصلاة والسلام  
 احسن من تحيتهم وقرنا مرفوعين  
 وقرى سلم وفري منصوبا  
 والمعنى واحد ( قوم منكرون )  
 انكرهم عليه الصلاة والسلام  
 للسلام الذي هو علم للاسلام او  
 لانهم ليسوا بمن عهدهم من  
 الناس اولا ان اوضحا هم  
 واشكالهم خلاف ما عليه  
 الناس ولعله عليه الصلاة  
 والسلام انما فاه في نفسه من  
 غير ان يشعرهم بذلك لانه خاطبهم  
 به جهرا او سألهم ان يعرفوه  
 انفسهم كما قيل والا لكشفوا  
 احوالهم عند ذلك ولم يتصد عليه  
 الصلاة والسلام لتقديم الضيافة

ان يكون المراد من السلام هو التحية وهو المشهور ونصبه حينئذ على المصدر تقديره نسلم  
سلاما (ثانها) هو ان يكون السلام نوعا من انواع الكلام وهو كلام سلم به المتكلم من  
ان يلفوا ويأتم فكأنهم لما دخلوا عليه فقالوا حسنا سلما وانهم حينئذ يكون مفعولا  
للقول لان مفعول القول هو الكلام يقال قال فلان كلاما ولا يكون هذا من باب  
ضربه سوطا لان المضروب هناك ليس هو السوط وههنا القول هو الكلام فسرده قوله  
تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقوله تعالى قولا سلاما سلاما (ثالثها) ان  
يكون مفعول فعل محذوف تقديره نبلغك سلاما لا يقال على هذا ان المراد لو كان ذلك  
لعلم كونهم رسل الله عند السلام فما كان يقول قوم منكرون ولا كان يقرب اليهم  
الطعام ولما قال نكرهم واوجس لانا نقول جازان يقال انهم قالوا نبلغك سلاما ولم  
يقولوا من الله تعالى الى ان سألهم ابراهيم عليه السلام ممن تبلغون الى السلام وذلك لان  
الحكيم لا يأتي بالامر العظيم الا بالتدريج فلما كانت هيبته عظيمة فلو ضموا اليه الامر  
العظيم الذي هو السلام من الله تعالى لاتزعج ابراهيم عليه السلام ثم ان ابراهيم عليه  
السلام اشتغل باكرامهم عن سؤالهم وآخر السؤال الى حين الفراغ فنكرهم بين  
السلام والسؤال عن منه السلام هذا وجه النصب واما الرفع فنقول يحتمل ان المراد  
منه السلام الذي هو التحية وهو المشهور أيضا وحينئذ يكون مبتدأ خبره محذوف  
تقديره سلام عليكم وكون المبتدأ نكرة يحتمل في قول القائل سلام عليكم وويل له واخبر  
مبتدأ محذوف تقديره قال جوابه سلام ويحتمل ان يكون المراد قولا يسلم به او ينبي  
عن السلامة فيكون خبره مبتدأ محذوف تقديره امرى سلام بمعنى مسالة لا تعلق بيني  
وبينكم لاني لا امر فكم او يكون المبتدأ قولكم تقديره قولكم سلام ينبي عن السلامة  
وانتم قوم منكرون فاخطبكم فان الامر اشكل على وهذا ما يحتمل ان يقال في النصب  
والرفع واما الفرق فنقول اما على التفسير المشهور وهو ان السلام في الموضعين بمعنى  
التحية فنقول الفرق بينهما من حيث اللفظ ومن حيث المعنى (اما من حيث اللفظ) فنقول  
سلام عليك انما جوز واستحسن لكونه مبتدأ وهو نكرة من حيث انه كالمتروك على  
اصله لان الاصل ان يكون منصوبا على تقدير اسلم سلاما وعليك يكون لبيان من  
أريد بالسلام ولا يكون لعلك حظ من المعنى غير ذلك البيان فيكون كالتأرجح عن  
الكلام والكلام التام اسلم سلاما كما انك تقول ضربت زيدا على السطح يكون على  
السطح خارجا عن الفعل والفاعل والمفعول لبيان مجرد الظرفية فاذا كان الامر كذلك  
وكان السلام والادعية كثير الوقوع قالوا نعدل عن الجملة الفعلية الى الاسمية ونجعل  
لعلك حظا في الكلام فنقول سلام عليك فتصير عليك لفائدة لا بد منها وهي  
الخبرية ويترك السلام نكرة كما كان حال النصب اذا علم هذا فالنصب اصل والرفع  
مأخوذ منه والاصل مقدم على المأخوذ منه فقال قالوا سلاما قال سلام قدم الاصل على

المتفرع منه ( واما المعنى ) فذلك لان ابراهيم عليه السلام اراد ان يرد عليهم بالاحسن  
فأتى بالجملة الاسمية فانها ادل على الدوام والاستمرار فان قولنا جلس زيد لا ينبي عنه لان  
الفعل لا بد فيه من الانباء عن التجدد والحدوث ولهذا لو قلت الله موجود الآن لا تثبت  
العقل الدوام اذ لا ينبي عن التجدد ولو قال قائل وجد الله الآن لكاد ينكره العاقل  
لما بينا فلما قالوا سلاما قال سلام عليكم مستمر دائم واما على قولنا المراد القول ذو  
السلامة فظاهر الفرق فانهم قالوا قولنا ذالسلام وقال لهم ابراهيم عليه السلام سلام اى  
قولكم ذو سلام وانتم قوم منكرون فالتبس الامر على وان قلنا المراد امرى مسالمة  
ومتاركة وهم سلوا عليه تسليما فنقول فيه جع بين امرين تعظيم جانب الله ورعاية قلب  
عباد الله فانه لو قال سلام عليكم وهو لم يعلم كونهم من عباد الله الصالحين كان يجوز  
ان يكونوا على غير ذلك فيكون الرسول قد امنهم فان السلام امان واما الرسول امان  
المرسل فيكون فاعلا للامر من غير اذن الله نيابة عن الله فقال انتم سلمتم على وانا متوقف  
امرى متاركة لاتعلق بيننا الى ان يتبين الحال ويدل على هذا هو ان الله تعالى قال وادا  
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال في مثل هذا المعنى للنبي صلى الله عليه وسلم فاصفح عنهم  
وقل سلام ولم يقل قل سلاما وذلك لان الاختيار المذكورين في القرآن لو سلوا على  
الجاهلين لا يكون ذلك سببا لحرمة التعرض اليهم واما النبي صلى الله عليه وسلم لو سلم  
عليهم لصار ذلك سببا لحرمة التعرض اليهم فقال قل سلام اى امرى معكم متاركة تركناه  
الى ان يأتى امر الله بأمر واما على قولنا بمعنى نبلغ سلاما فنقول هم لما قالوا نبلغك سلاما ولم  
يعلم ابراهيم عليه السلام انه ممن قال سلام اى ان كان من الله فان هذا منه قد ازداد به  
شرفى والا فقد بلغنى منه سلام به شرفى ولا تشرف بسلام غيره هذا ما يمكن ان يقال فيه  
والله اعلم بمراده والاول والثاني عليهما الاعتماد فانهما اقوى وقد قيل بهما ( المسئلة  
الثالثة ) قال في سورة هود فلما رأى ايليهم لاتصل اليه نكرهم فدل على ان انكارهم  
كان حاصل بعد تقريبه العجل منهم وقال ههنا قال سلام قوم منكرون \* ثم قال تعالى  
( فراغ الى اهله فجاء بجمل سمين فقربه اليهم قال ألا تأكلون ) بفاء التعقيب فدل على ان  
تقريب الطعام منهم بعد حصول الانكار لهم فالوجه فيه نقول جاز أن يحصل اولا  
عندهم نكر ثم زاد عند امساكهم والذي يدل على هذا هو انهم كانوا على شكل وهبة  
غير ما يكون عليه الناس وكانوا في انفسهم عند كل احد منكرين واشترك ابراهيم عليه  
السلام وغيره فيه ولهذا لم يقل انكرتكم بل قال انتم منكرون في انفسكم عند كل احد  
منهم ان ابراهيم عليه السلام تفرد بمشاهدة امرهم هو الامساك فكفرهم فوق ما كان  
منهم بالنسبة الى الكل لكن الحالة في سورة هود محكية على وجه ابسط مما ذكره ههنا فان  
ههنا لم يبين المبشر به وهناك ذكر باسمه وهو اسحق ولم يقل ههنا ان القوم قوم من وهناك  
قال قوم لوط وفي الجملة من تأمل السورتين يعلم ان الحكاية محكية هناك على وجه

( فراغ الى اهله ) اى ذهب اليهم  
على حفية من ضيفه فان من ادب  
المضيق ان يبادره بالقرى ويبادر  
به حذارا من ان تكفه ويعذره او  
يصير منتظرا والفاء في قوله تعالى  
( فجاء بجمل سمين ) فصيحة مفصحة  
عن جمل قد حذفت ثمة بدلالة  
الحال عليها وايدانا بكمال سرعة  
الجحى بالطعام كما في قوله تعالى  
فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفلق  
اى فذبح عجلا فحذاه فجاء به  
( فقربه اليهم ) بان وضعه لديهم  
حسبا هو المعتاد ( قال ألا تأكلون )  
اكارا لعدم تعرضهم للاكل



الاضافة أبسط فذكر فيها النكتة الزائدة ولم يذكر ههنا ولنعد الى بيان ما اتى به من آداب  
الاضافة وما أتوا به من آداب الضيافة فالأكرام أولامن جاءه ضيف قبل ان يجتمع به ويسلم  
أحدهما على الآخر أنواع من الأكرام وهى اللقاء الحسن والخروج اليه والتميز له  
م الكلام من الضيف على الوجه الحسن الذى دل عليه الصب في قوله سلاما مالكونه  
مؤكدا بالمصدر اولكونه مبلغا ممن هو اعظم منه ثم الرد الحسن الذى دل عليه الرفع  
والامساك عن الكلام لا يكون فيه وفاء ان قلنا ان ابراهيم عليه السلام لم يقل سلام  
عليكم بل قال امرى مسالة او قولكم سلام وسلامكم منكر فان ذلك وان كان مخلا  
بالأكرام لكن الغدر ليس من شيم الكرام ومودة اعداء الله لانلىق بالانبياء عليهم  
السلام ثم تحجيل القرى الذى دل عليه قوله تعالى فآلبث ان جاء وقوله ههنا فراغ فان  
الروغان يدل على السرعة والروغ الذى بمعنى النظر الخفى او الرواح الخفى ايضا كذلك  
م الاخفاء فان المضيف اذا احضر شيئا ينبغى ان يخفيه عن الضيف كي لا يمنع من الاحضار  
بنفسه حيث راغ هو ولم يقل هاتوا وغيبة المضيف لحظة من الضيف مستحسن ليس تريخ  
ويأتى بدفع ما يحتاج اليه وينمعه الحياء منه ثم اختيار الاجود بقوله سمين ثم تقديم  
الطعام اليهم لانقلهم الى الطعام بقوله فقر به اليهم لان من قدم الطعام الى قوم يكون كل  
واحد مستقرا في مقره لا يختلف عليه المكان فان نقلهم الى مكان الطعام ربما يحصل  
هناك اختلاف جلوس فيقرب الأدنى ويضيق على الأعلى ثم العرض لا الامر حيث قال  
ألا نأكلون ولم يقل كلوا ثم كون المضيف مسرورا بأكلهم غير مسرور بتركهم  
الطعام كما يوجد في بعض البلاء المتكفين الذين يحضرون طعاما كثيرا ويكون نظره  
ونظر اهل بيته في الطعام متى يمسك الضيف يده عنه يدل عليه \* قوله تعالى (فاوجس منهم  
خيفة قالوا لا تخف وبنسروه بعلام عليم) ثم ادب الضيف انه اذا أكل حفظ حق  
المأكلة يدل عليه انه خافهم حيث لم يأكلوا ثم وجوب اظهار العذر عند الامساك يدل  
عليه قوله لا تخف ثم تحسين العبارة في العذر وذلك لان من يكون محتما واحضر لديه  
الطعام فهناك امران أحدهما ان الطعام لا يصلح له لكونه مضرا به الساقى كونه  
ضعيف القوة عن هضم ذلك الطعام فينبغى ان لا يقول الضيف هذا طعام غليظ لا يصلح لى  
بل الحسن ان يأتى بالعبارة الأخرى ويقول لى مانع من اكل الطعام وفي بيتى لا اكل  
ايضا شيئا يدل عليه قوله وبنسروه بعلام حيث فهموه انهم ليسوا ممن يأكلون ولم يقولوا  
لا يصلح لنا الطعام والسراب ثم ادب آخر في البشارة ان لا يخبر الانسان بما يسره دفعة فانه  
يورب مرضا يدل عليه انهم جلسوا واستأنس بهم ابراهيم عليه السلام ثم قالوا بنسركم  
ذكروا الشرف الوعين وهو الذكر ولم يقتنعوا به حتى وصفوه بأحسن الاوصاف فان  
الابن قد يكون دون النبت اذا كانت البنت كاملة الخلقة حسنة الخلق والابن بالصد  
ثم انهم تركوا سائر الاوصاف من الحسن والجمال والقوة والسلامة واختاروا العلم اشارة

(فاوجس منهم) اخبر في نفسه  
(خيفة) لتوهم انهم جاؤا السر  
وقبل وقع في قلبه انهم ملائكة  
جاؤا الاهداب (فالوا لا تخف) قيل  
مسح حبر بل عليه السلام العجل  
بمجانحه فقام يدرج حتى لحق بأمه  
فعر فهم وامن منهم (ونسروه)  
وفي صورة الصافات وبسره اى  
بواسطتهم (بعلام) هو اسحق  
عليه السلام (عليم) عدد بلوعه  
واستوائه

الى ان العلم رأس الاوصاف ورئيس السموت وقد ذكرنا فائدة تقديم البشارة على الاخبار  
عن اهل اكهم قوم لوط ليعلم ان الله تعالى يهلكهم الى خلف ويأتي بدلهم خيرا منهم \* ثم  
قال تعالى ( فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم ) اي اقبلت على  
اهلها وذلك لانها كانت في خدمتهم فلما تكلموا مع زوجها بولادتها استحيت واعرضت  
عنهم فذكر الله تعالى ذلك بلفظ الاقبال على الاهل ولم يقل بلفظ الادبار عن الملائكة  
وقوله تعالى في صرة اي صيحة كما جرت عادة النساء حيث يسمعن شيئا من احوالهن يصحن  
صيحة معتادة لهن عند الاستحياء او التعجب ويحتمل ان يقال تلك الصيحة كانت بقولها  
ياويلتنا تدل عليه الآية التي في سورة هود وصك الوجه ايضا من عاداتهن واستبعدت  
ذلك لوصفين من اجتماعهما احدهما كبر السن والباقي العقم لانها كانت لاتلد في صغر  
سنها وعفوان شبابها ثم عجزت وأبست فاستبعدت فكأنها قالت يا ليتكم دعوتهم دعاء  
قريبا من الاجابة ظنا منها ان ذلك منهم كما يصدر من الضيف على سبيل الاخبار من الادعية  
كقول الداعي الله يعطيك مالا ويرزقك ولد اذ قالوا هذا منا ليس بدعاء وانما ذلك قول الله  
تعالى \* ( قالوا كذلك قال ربك ) ثم دفعوا استبعادها بقولهم \* ( انه هو الحكيم العليم )  
وقد ذكرنا تفسيرهما مرارا فان قيل لم قالهما الحكيم العليم وقال في هود جيد مجيد  
نقول لما بينا ان الحكاية هناك ابسط فذكروا ما يدفع الاستبعاد بقولهم اتعجبين من امر  
الله سم لما صدقت ارشادهم الى القيام بشكر نعم الله وذكرهم بنعمته بقولهم جيد فان  
المجيد هو الذي يتحقق منه الافعال الحسنة وقولهم مجيد اشارة الى ان الفائق العالي  
الهمة لا يحمده لفعله الخليل وانما يحمده ويسبح له نفسه وهما لما لم يقولوا اتعجبين  
اشاروا الى ما يدفع تعجبها من التنبيه على حكمه وعلمه وفيه لطيفة وهي ان هذا الترتيب  
مراعى في السورتين فالجيد يتعلق بالفعل والمجيد يتعلق بالقول وكذلك الحكيم هو الذي  
فعله كما ينبغي لعلمه قاصدا لذلك الوجه بخلاف من يتفق فعله موافقا لمقصود اتفاقا كن  
ينقلب على جنبه فيقتل حية وهونائم فانه لا يقال له حكيم واما اذا فعل فعلا قاصدا لقتلها  
بحيث يسلم عن نهشها يقال له حكيم فيه والعليم راجع الى الذات اشارة الى انه يستحق  
الحمد بمجده وان لم يفعل فعلا وهو قاصد لعلمه وان لم يفعل على وفق القاصد \* ثم قال تعالى  
( قال فما خطبكم ايها المرسلون ) وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) لما علم حالهم بدليل قوله  
مكرون لم لم يفتح بماشروه لجواز ان يكون نزولهم لابشارة لا غير نقول ابراهيم عليه  
السلام أتى بما هو من آداب المضيف حيث يقول لضيفه اذا استجمل في الخروج ما هذه  
العجلة وما شعلك الذي يمنعنا من التشرف بالاجتماع بك ولا يسكت عند خروجهم مخافة  
ان يكون سكوتهم يوهم استئثارهم سم انهم أتوا بما هو من آداب الصديق الذي لا يسرع  
الصديق الصدوق لاسيما وكان ذلك باذن الله تعالى لهم في اطلاق ابراهيم عليه السلام

( فأقبلت امرأته ) سارها لما سمعت  
لشارتهم الى بيتها وكانت في  
زاوية تنظر اليهم ( في صرة )  
في صيحة من الصرير ومجمله  
النصب على الحالالية او المفعولة  
ار جعلت اقبلت بمعنى احدث كما  
يقال اقبل يستحي ( فصكت  
وجهها ) اي اطمته من الحياء لما  
انها وجدت حرارة دم الطمث  
وفيل ضربت باطراف اصابعها  
حينها كما يفعله المتعجب ( وقالت  
عجوز عقيم ) اي انا عجوز عاقر  
فكيف الد ( قالوا كذلك ) مل  
ذلك القول الكريم ( قال ربك )  
وانما نحن معبرون بغيرك عنه  
تعالى لاننا نقوله من تلقاء انفسنا  
( انه هو الحكيم العليم ) ليكون  
قوله حقا وفعله متفقا للحسنة  
روى ان حبرل عليه السلام  
قال لها انظري الى السقف بتلك  
فقطرت فادا حذوه مورقة  
مثرة ولم تكن هاهنا المفاوضة  
مع ساره فقط بل مع ابراهيم  
عليه السلام ايضا حسنا شرح  
في صورة الحجر وانما لم يذكر  
ههما اكفاء بما ذكر هناك كما  
انه لم يذكر هناك سارة  
اكفاء بما ذكر ههما وفي سورة  
هود ( قال ) اي ابراهيم عليه  
السلام لما علم انهم ملائكة  
ارسلوا الامر ( وما خطبكم ) اي  
شأكم الخطير الذي لاحله ارسلتم  
سوى البشارة ( ايها المرسلون )

على اهلاكم وجبر قلبه بتقديم البشارة بخير البدل وهو ابو الانبياء استحق عليه السلام على الصحيح فان قيل فما الذي اقتضى ذكره بالفاء ولو كان كما ذكرت لقال ما هذا الاستجبال وما خطبكم المجمل لكم نقول لو كان اوجس منهم خيفة وخرجوا من غير بشارة وائناس ما كان يقول شيئا فلما آتسوه قال ما خطبكم اي بعد هذا الانس العظيم ما هذا الايجاش الاليم (المسئلة الثانية) هل في الخطب فائدة لا توجد في غيره من الالفاظ فنقول نعم وذلك من حيث ان الالفاظ المفردة التي يقرب منها الشغل والامر والفعل وامثالها وكل ذلك لا يدل على عظم الامر واما الخطب فهو الامر العظيم وعظم الشأن يدل على عظم من على يده ينقضى فقال ما خطبكم اي لعظمتكم لا ترسلون الا في عظيم ولو قال بلفظ مركب بأن يقول ما شعلكم الخطير وامركم العظيم للزم التطويل فالخطب أفاد التعظيم مع الايجاز (المسئلة الثالثة) من اين عرف كونهم مرسلين فنقول \* (قالوا) له بدليل قوله تعالى انا ارسلنا الى قوم لوط وانما لم يذكرهما لما بينا ان الحكاية ببسطها مذكورة في سورة هود او نقول لما قالوا لامرائه كذلك قال ربك علم كونهم منزلين من عند الله حيث كانوا يحكون قول الله تعالى يدل على هذا ان قولهم \* (انا ارسلناك الى قوم مجرمين) كان جواب سؤاله منهم (المسئلة الرابعة) هذه الحكاية بعينها هي الحكاية في هود وهاك قالوا انا ارسلنا بعدما زال عنه الروح وبشروه وهنا قالوا انا ارسلنا بعدما سألهم عن الخطب وايضا قالوا هالك انا ارسلنا الى قوم لوط وقالوا ههنا انا ارسلنا الى قوم مجرمين والحكاية عن قولهم فان لم يقولوا ذلك ورد السؤال ايضا فنقول اذا قال قائل حاكيا عن زيد قال زيد عمرو خرج ثم يقول مرة اخرى قال زيد ان بكرا خرج فلما ان يكون صدر من زيد قولان واما ان لا يكون حاكيا ماقاله زيد والجواب عن الاول هو انه لما جاز انهم ماقالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط فلما قال لهم ماذا تفعلون بهم كان لهم ان يقولوا انا ارسلنا الى قوم لوط لنهلكهم كما يقول القائل خرجت من البيت فيقال لماذا خرجت فيقول خرجت لا تبجر لكن ههنا فائدة معنوية وهي انهم انما قالوا في جواب ما خطبكم نهلكهم بأمر الله لتعلم براءتهم عن ايلام البرى واهمال الردى فأعادوا لفظ الارسال واما عن الثاني فنقول الحكاية قد تكون حكاية اللفظ كما تقول قال زيد بعمر مررت فيحكى لفظه المحكى وقد يكون حكاية لكلامه بمعناه تقول زيد قال عمرو خرج ولك ان تبدل مرة اخرى في غير تلك الحكاية بلفظة اخرى فنقول لما قال زيد بكرا خرج قلت كيت وكيت كذلك ههنا القرآن لفظ مجز وصادر بمن تقدم نينا عليه السلام سواء كان منهم وسواء كان منزلا عليهم لم يكن لعند معجزا فيلزم ان لا تكون هذه الحكايات تلك الالفاظ فكأنهم قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين وقالوا انا ارسلنا الى قوم لوط وله ان يقول قالوا انا ارسلنا الى قوم من آمن بك لانه لا يحكى لفظهم حتى يكون ذلك واحدا بل يحكى كلامهم بمعناه وله عبارات كثيرة ألا ترى انه تعالى لما حكى لفظهم

( قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين ) يعنون قوم لوط

في السلام على احد الوجوه في التفسير قال في الموضوعين سلاما وسلام ثم بين ما لاجابه  
 ارسلوا بقوله تعالى (لنرسل عليهم حجارة من طين) وقد فسرنا ذلك في العنكبوت وقلنا ان ذلك  
 دليل على وجوب الرمي بالحجارة على اللائط وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اى حاجة الى  
 قوم من الملائكة وواحد منهم كان يقرب المدائن بريشة من جناحه نقول الملك القادر قد  
 يأمر الخفير باهلاك الرجل الخطير ويأمر الرجل الخطير بخدمة الشخص الخفير اظهارا  
 لفة اذ امره فحيث اهلك الخلق الكثير بالقمل والجراد والبعوض بل بالريح التي بها الحياة  
 كان اظهر في القدرة وحيث امر آلافا من الملائكة باهلاك اهل بدر مع قتلهم كان اظهر  
 في نفاذ الامر (وفيه فائدة أخرى) وهى ان من يكون تحت طاعة ملك عظيم ويظهر له عذر  
 ويستعين بالملك فيعينه بأمر عسكره يكون ذلك تعظيما منه له وكلما كان العدو اكثر والمدد  
 اوفر كان التعظيم اتم لكن الله تعالى امان لوطا بعشرة وبنينا عليه السلام بخمسة آلاف  
 وبين العديدين من التفاوت ما لا يخفى وقد ذكرنا بنامه في تفسير قوله تعالى وما اترلنا على  
 قومه من بعده من جند من السماء (المسئلة الثانية) ما الفائدة في تأكيد الحجارة بكونها من  
 طين نقول لان بعض الناس يسمى البرد حجارة فتقوله من طين يدفع ذلك التوهم واعلم ان  
 بعض من يدعى النظر يقول لا ينزل من السماء الا حجارة من طين مدورات على هيئة البرد  
 وهيئة البنادق التي يتخذها الرماة قالوا وسبب ذلك وهو ان الاعصار يصعد الغبار من  
 الفلوات العظيمة التي لا عمارة فيها والرياح تسوقها الى بعض البلاد ويتفق وصول ذلك  
 الى هواء ندى فيصير طينا رطبا والرطب اذا نزل وتفرق استدار بدليل انك اذا رميت  
 الماء الى فوق ثم نظرت اليه رأيت ينزل كرات مدورات كاللآلى الكبارنم في النزول اذا  
 اتفق ان تضربه النيران التي في الجو جعلته حجارة كالآجر المطبوخ فينزل فيصيب من  
 قدر الله هلاكه وقد ينزل كثيرا في المواضع التي لا عمارة بها فلا يرى ولا يدري به ولهذا قال  
 من طين لان ما لا يكون من طين كالجر الذي في الصواعق لا يكون كثيرا بحيث يطر وهذا  
 تعسف ومن يكون كامل العقل يسند الفكر الى ما قاله ذلك القائل فيقول ذلك الاعصار  
 لما وقع فان وقع بحادث آخر يلزم التسلسل ولا بد من الانتهاء الى محدث ليس بحادث فذلك  
 المحدث لابد وان يكون فاعلا مختارا والمختار له ان يفعل ما ذكره ان يخلق الحجارة من  
 طين على وجه آخر من غير نار ولا غبار لكن العقل لا طريق له الى الجرم بطريق احداه  
 ولا يصل العقل اليه يجب اخذه بالقل والنس وردبه فأخذنا به ولا نعلم الكيفية وانما  
 المعلوم ان الحجارة التي من طين نزولها من السماء اغرب واغرب من غيرها لانها في العادة  
 لا بد لها من مكث في النار \* قوله تعالى (مسومة عند ربك للمسريين) اي وجوه  
 (احدها) مكتوب على كل واحد اسم واحد يقتل به (ثانيها) انها خلقت باسمهم ولعنهم  
 بخلاف سائر الاجار فانها مخلوقة للانتفاع في الابنية وغيره (الثالثة) مرارة الحجرة في  
 الارسل يقال في السواثم يقال ارسلها لزعى فيحوز ان يقول سومها بمعنى ارسلها وبهذا

(لنرسل عليهم) اى بعدما قلنا  
 قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبا  
 فصل في سائر السور الكريمة  
 (حجارة من طين) اى طين متصبر  
 هو السجيل (مسومة) مرسله  
 من اسمت الماشية اى ارسلتها  
 او معلية من السومة وهى العلامة  
 وقد مر تفصيله في سورة هود عند  
 ربك للمسريين (الماورين الحد  
 في الفجور وقوله تعالى (فاخرجنا)  
 الح حكاية من جهته تعالى لما  
 جرى على قوم لوط عليه السلام

يفسر قوله تعالى والخليل المسومة إشارة الى الاستغناء عنها وانما ليست للركوب ليكون  
ادل على الغنى كما قال والقناطير المقطرة وقوله تعالى للمسرفين إشارة الى خلاف ما يقوله  
الطبيعيون ان الحجارة اذا اصابها واحد من الناس فذلك نوع من الاتفاق فانها تنزل  
بطبعها ثم يتفق شخص لها فتصيبه فقوله مسومة اى فى اول ما خلق وارسل اذا علم هذا  
فانما كان ذلك على قصد اهلاك المسرفين فان قيل اذا كانت الحجارة مسومة للمسرفين  
فكيف قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم مع ان المسرف غير المجرم فى اللغة فنقول  
المجرم هو الآتى بالذنب العظيم لان الجرم فيه دلالة على العظم ومنه جرم النسيء لعظمته  
مقداره والمسرف هو الآتى بالكبير او من اسرف ولو فى الصغائر يصير مجرماً لان الصغير  
الى الصغير اذا انضم صار كبيراً ومن اجرم فقد اسرف لانه ائى بالكبيرة ولو دفعة واحدة  
قالو صفان اجتماعاً فيهم لكن فيه لطيفة معنوية وهى ان الله تعالى سوماً للمسرف المصر  
الذى لا يترك الجرم والعلم بالامور المستقبلية عند الله تعالى يعلم انهم مسرفون فأمر  
الملائكة بارسالها عليهم واما الملائكة فعلمهم تعلق بالحاضر وهم كانوا مجرمين فقالوا  
انا ارسلنا الى قوم نعلمهم مجرمين لنرسل عليهم حجارة خلقت لمن لا يؤمن ويصير ويسرف  
ولزم من هذا علمنا بانهم لو عاشوا سنين لتعادوا فى الاجرام فان قيل اللام لتعريف الجنس  
او لتعريف العهد فنقول لتعريف العهد اى مسومة لهؤلاء المسرفين اذ ليس لكل  
مسرف حجارة مسومة فان قيل ما اسرافهم فنقول ما دل عليه قوله سبحانه وتعالى  
ما سبقكم بها من احد من العالمين اى لم يبلغ مبلغكم احد \* وقوله تعالى ( فأخرجنا  
من كان فيها من المؤمنين ) فيه فائدتان ( احدهما ) بيان القدرة والاختيار فان من يقول  
بالاتفاق يقول يصيب البر والفاجر فلما ميز الله المجرم عن المحسن دل على الاختيار ( ثانياً )  
بيان انه بركة المحسن ينجو المسمى فان القرية مادام فيها المؤمن لم تهلك والصغير عائد الى  
القرية وهى معلومة وان لم تكن مذكورة \* وقوله تعالى ( فاوجدنا فيها غير بيت من المسلمين )  
فيه إشارة الى ان الكفر اذا غلب والفسق اذا فشا لا تنفع معه عبادة المؤمنين بخلاف ما لو  
كان اكثر الخلق على الطريقة المستقيمة وفيهم شرذمة يسيرة يسرقون وي زنون وقيل فى مناله  
ان العالم كبدين ووجود الصالحين كالاغذية الباردة والحجارة والكفار والفساق كالسموم  
الواردة عليه الضارة ثم ان البدن ان خلا عن المنافع وفيه المضار هلك وان خلا عن المضار  
وفيه المنافع طاب عيشه ونما وان وجد فيه كلاهما فالحكم للغالب فكذلك البلاد والعباد  
والدلالة على ان المسلم بمعنى المؤمن ظاهرة والحق ان المسلم اعم من المؤمن واطلاق العام  
على الخاص لا مانع منه فاذا سمى المؤمن مسلماً لا يدل على اتحاد مفهوميهما فكأنه تعالى  
قال أخرجنا المؤمنين فاوجدنا الا اعم منهم الايتنا من المسلمين ويلزم من هذا ان لا يكون  
هناك غيرهم من المؤمنين وهذا كما لو قال قائل لغيره من فى البيت من الناس فيقول له  
ما فى البيت من الحيوانات احد غير زيد فيكون مخبراً له بخلو البيت عن كل انسان غير زيد

بطريق الاجمال بعد حكاية  
ما جرى بين الملائكة وبين ابراهيم  
عليه السلام من الكلام والعاء  
فصيحة مفصلة عن جبل قد  
حذفت نقة بذكرها مواضع  
اخر كأنه قيل فباشروا ما امروا  
به فاخرجنا بقولنا فأسر بأهلك  
الح (من كان فيها) اى فى قرى قوم  
لوط واضمارها بغير ذكر لشهرتها  
( من المؤمنين ) بمن آمن بلوط (ها)  
وجدنا فيها غير بيت) اى غير اهل  
بيت ( من المسلمين ) قيل هم لوط  
وابناءه وقيل كان لوط واهل بيته

ثم قال تعالى (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) وفي الآية خلاف قيل هو ماء اسود منتن انشقت ارضهم وخرج منها ذلك وقيل جحارة مرمية في ديارهم وهى بين الشام والحجاز وقوله للذين يخافون العذاب الاليم اى المنتقع بها هو الخائف كما قال تعالى لقوم يعقلون في سورة العنكبوت وبينهما في اللفظ فرق قال ههنا آية وقال هناك آية بينة وقال هناك لقوم يعقلون وقال ههنا للذين يخافون فهل في المعنى فرق نقول هناك مذكور بأبلغ وجه يدل عليه قوله تعالى آية بينة حيث وصفها بالظهور وكذلك منها وفيها فان من التبعض فكأنه تعالى قال من نفسها لكم آية باقية وكذلك قال لقوم يعقلون فان العاقل أعم من الخائف فكانت الآية هناك اظهر وسيه ما ذكرنا ان القصد هناك تخويف القوم وههنا تسلية القلب ألا ترى الى قوله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فاوجدنا فيها غيريت من المسلمين وقال هناك انا منجوك واهلك من غير بيان واف بنجاة المسلمين والمؤمنين باسراهم ثم قال تعالى (وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسوطان ميين) قوله وفي موسى يحتمل ان يكون معطوفا على معلوم ويحتمل ان يكون معطوفا على مذكور اما الاول ففيه وجوه (الاول) ان يكون المراد ذلك في ابراهيم وفي موسى لان من ذكر ابراهيم يعلم ذلك (الثاني) لقومك في لوط وقومه عبرة وفي موسى وفرعون (الثالث) ان يكون هناك معنى قوله تعالى تفكروا في ابراهيم ولوط وقومهما وفي موسى وفرعون والكل قريب بعضهم من بعض واما الثاني ففيه ايضا وجوه (احدها) انه عطف على قوله وفي الارض آيات للوقنين وفي موسى وهو بعيد لبعده في الذكرو لعدم المناسبة بينهما (ثانيها) انه عطف على قوله وتركنا فيها آية للذين يخافون وفي موسى اى وجعلنا في موسى على طريقة قولهم علفتها تبنوا ماء باردا وتقلدت سيفا ورمحوا وهو اقرب ولا يخلو عن تعسف اذا قلنا بما قال به بعض المفسرين ان الضمير في قوله تعالى وتركنا فيها صائدا الى القرية (نالتها) ان نقول فيها راجع الى الحكاية فيكون التقدير وتركنا في حكايتهما آية او في قصتهم فيكون وفي قصة موسى آية وهو قريب من الاحتمال الاول وهو العطف على المعلوم (رابعها) ان يكون عطفا على هل أتاك حديث ضيف ابراهيم وتقديره وفي موسى حديث اذ ارسلناه وهو مناسب اذ جمع الله كثيرا من ذكر ابراهيم وموسى عليهما السلام كما قال تعالى املين نبيا بما في صحف موسى و ابراهيم الذي وفي وقال تعالى صحف ابراهيم وموسى والسلطان القوة بالجملة والبرهان والمبين الفارق وقد ذكرنا انه يحتمل ان يكون المراد منه ما كان معه من البراهين القاطعة التي حاج بها فرعون ويحتمل ان يكون المراد المعجز الفارق بين سحر الساحروا المرسلين ثم قوله تعالى (فتولى بركنه) فيه وجوه (الاول) الباء للمصاحبة والركن اشارة الى القوم كأنه تعالى يقول اعرض مع قومه يقال نزل فلان بعسكره على كذا ويدل على هذا الوجه قوله تعالى فأراه الآية الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعي قال ادبر وهو بمعنى تولى وقوله فخسر فسادى في معنى

الذين نجوا ثلاثة عشر) وتركنا فيها (اى فى القرية (آية) اى علامة دالة على ما صابهم من العذاب قيل هى تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء منتن (للذين يخافون العذاب الاليم) اى من شأنهم ان يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوى القلوب القاسية فانهم لا يعتدون بها ولا يبعدونها آية (وفي موسى) عطف على قوله تعالى وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقول من قال علفتها تبنوا ماء باردا (اذ ارسلناه) قيل هو منصوب بآية وقيل

قوله تعالى بركنه (الثاني) فتولى اى اتخذ وليا والباء للتعدي حينئذ يعنى تقوى بحجته  
 (الثالث) تولى امر موسى بعوته كأنه قال اقتل موسى لتلايدل دينكم ولا يظهر في  
 الارض الفساد فتولى امره بنفسه وحينئذ يكون المفعول غير مذكور وركنه هو نفسه  
 القوية ويحتمل ان يكون المراد من ركنه هامن فانه كان وزيره وعلى هذا الوجه الثاني  
 اطهر ثم قال تعالى ﴿وقال ساحر او مجنون﴾ اى هذا ساحر او مجنون وقوله ساحر اى يأتى  
 الجن بسحره او يقرب منهم والجن يقربون منه ويقصدونه ان كان هو لا يقصدهم فالساحر  
 والمجنون كلاهما امره مع الجن غير ان الساحر يأتيهم باختياره والمجنون يأتونه من غير  
 اختياره فكانه اراد صيانة كلامه عن الكذب فقال هو يسحر الجن او يسحر فان كان  
 ليس عنده منه خبر ولا يقصد ذلك فالجن يأتونه ﴿ثم قال تعالى﴾ (فأخذناه و جنوده فبذلناهم  
 في اليم وهو مليم) وهو اشارة الى بعض ما اوتى به كأنه يقول واتخذ الاولياء فلم ينفعوه واخذ  
 الله واخذ اركانه وألقاهم جميعا في اليم وهو البحر والحكاية مشهورة وقوله تعالى  
 وهو مليم نقول فيه بيان شرف موسى عليه السلام وبشارة للمؤمنين اما شرفه فلا ثم تعالى  
 قال بأنه اتى بما يلام عليه بمجرد قوله انى اريد هلاك اعدائك يا اهل العالمين فلم يكن له سبب  
 الا هذا واما فرعون فقال أنا ركنكم الاعلى فكان سببه تلك وهذا كما قال القائل فلان  
 عيبه انه سارق او قاتل او يعاشر الناس فيؤذيهم وفلان عيبه انه مشغول بنفسه لا يعاشر  
 فتكون نسبة العيبين لبعضهما الى بعض سببا لمدح احدهما وذم الآخر واما بشارة  
 المؤمنين فهو بسبب ان من التقمه الحوت وهو مليم نجاة الله تعالى بتسبيحه ومن اهلكه  
 الله بتعذيبه لم ينفعه ايمانه حين قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل  
 وكلاهما قد أتى بما يلام عليه فذنب المؤمن وقت ظهور البأس مغفور وايمان الكافر غير  
 مقبول ﴿ثم قال تعالى﴾ (وفي عاد ادارسلنا عليهم الريح العقيم) وفيه ما ذكرنا من الوجوه  
 التى ذكرناها في عطف موسى عليه السلام وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ذكرت ان  
 المصود ههنا تسليية قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتذكيره بحال الانبياء ولم يذكر في عاد  
 وعود انبياءهم كما ذكر ابراهيم وموسى عليهما السلام نقول في ذكر الآيات ست حكايات  
 حكاية ابراهيم عليه السلام وبشارته وحكاية قوم لوط ونجاة من كان فيها من المؤمنين  
 وحكاية موسى عليه السلام وفي هذه الحكايات الثلاث ذكر الرسل والمؤمنين لان الحاجين  
 فيهم كانوا كبيرين اما في حق ابراهيم وموسى عليهما السلام فظاهر واما في قوم لوط  
 فلا لان الحاجين وان كانوا اهل بيت واحد ولكن المهلكين كانوا ايضا اهل بقعة واحدة  
 واما عاد وحمود وقرم نوح فكان عددا المهلكين بالنسبة الى اللاحين اضعاف ما كان عدد  
 المهلكين بالنسبة الى اللاحين من قوم لوط عليه السلام فذكر الحكايات الثلاث الاول  
 للتسليية بالنجاة وذكر الثلاث التاخرة للتسليية باهلاك العدو والكل مذكور للتسليية  
 بدليل قوله تعالى في آخر هذه الآيات كذلك ما أتى الذين من قلمهم من رسول الا قالوا

بمخدوف اى كاشة وقت ارسالنا  
 وقبل بتركنا (الى فرعون سلطان  
 مدين) هو مظهر على يديه من  
 المجرات الباهرة (فتولى بركنه)  
 اى فأعرض عن الايمان به  
 وازور كعوله تعالى ونأى بجانبه  
 وقيل فتولى عما يتقوى به من  
 ملكه وعساكره فان الركن اسم  
 لما يركن اليه الشئ وقرئ بركه  
 بضم الكاف (وقال ساحر) اى  
 هو ساحر (او مجنون) كأنه  
 نسب مظهر على يديه علمه  
 الصلاة والسلام من لحوارق  
 العجبية الى الجن وتردد في انه  
 حصل باختياره وسعيه او تعبهما  
 (فأخذناه و جنوده فبذلناهم



ساحرا ويجون الى ان قال فقول عنهم فما انت بملوم وذكر فان الذي تنفع المؤمنين وفي  
هو د قال بعد الحكايات ذلك من انباء القرى نقصه عليك الى ان قال وكذلك اخذ ربك  
اذ اخذ القرى وهي ظلمة ان اخذه اليم شديد فذكر بعدها ما يؤكد التهديد وذكر بعد  
الحكايات ههنا ما يفيد التسلي وقوله العقيم اى ليست من اللواقح لانها كانت تكسر  
وتقلع فكيف كانت تلقح والفعل لا يلحق به تاء التأنيث اذا كان بمعنى مفعول وكذلك  
اذا كان بمعنى فاعل في بعض الصور وقد ذكرنا سببه ان فاعل لمساواة للمفعول والفاعل  
جميعا ولم يتميز المفعول عن الفاعل فاولى ان لا يتميز المؤنث عن المذكر فيه لانه لو يتميز  
الفاعل عن المفعول قبل تميز المؤنث والمذكر لان الفاعل جزء من الكلام محتاج اليه  
فاول ما يحصل في الفعل الفاعل ثم التذكير والتأنيث بصير كالصفة للفاعل والمفعول تقول  
فاعل وفاعلة ومفعول ومفعولة ويدل على ذلك ايضا ان التمييز بين الفاعل والمفعول جعل  
بحرف بمزج للكلمة فقيل فاعل بألف فاصلة بين الفاء والعين التي هي من اصل الكلمة  
وقيل مفعول بواو فاصلة بين العين واللام والتأنيث كان بحرف في آخر الكلمة فالمميز  
فيهما غير نظم الكلمة لشدة الحاجة وفي التأنيث لم يؤثر ولان التمييز في الفاعل والمفعول  
كان بأمرين يختص كل واحد منهما باحدهما فالالف بعد الفاء يختص بالفاعل والميم  
والواو يختص بالمفعول والتمييز في التذكير والتأنيث بحرف عند وجوده بيمر المؤنث  
وعند عدمه بقي اللفظ على اصل التذكير فاذا لم يكن فعيل يمتاز فيه الفاعل عن المفعول  
الا بامر مفصل كذلك المؤنث والمذكر لا يمتاز احدهما عن الآخر الا بحرف غير متصل به  
\* وقوله تعالى ( ما تدر من شيء ) انت عليه الاجلته كالريم ( فيه مباحث ( الاول ) في  
اعرابه وفيه وجهان ( احدهما ) نصب على انه صفة الريح بعد صفة العقيم ذكر الواحدى  
انه وصف فان قيل كيف يكون وصفا والمعرفة لا توصف بالمثل وما تدر جلة ولا يوصف بها  
الا للمكرات تقول الجواب فيه من وجهين ( احدهما ) انه يكون باعادة الريح تقديرا كما انه  
يقول وارسلنا عليهم الريح العقيم ربما ما تدر ( ثانيهما ) هو ان المعرفة نكرة لان تلك  
الريح مسكرة كما انه يقول وارسلنا الريح التي لم تكن من الرياح التي تقع ولا وقع ملها فهي  
لشدتها منكورة ولهذا اكثر ما ذكرها في القرآن ذكرها مسكرة ووصفها بالجملة من جعلتها  
قوله تعالى بل هو ما استجلمته ريح فيها عذاب اليم وقوله ريح صرصرية سخرها الى  
غير ذلك ( الوجه الثاني ) وهو الاصح انه نصب على الحال تقول جاءني ما يفهم شيئا فعلته  
وفهمته اى حاله كذا فان قيل لم تكن حال الارسل ما تدر والحال ينبغي ان يكون  
موجودا مع ذى الحال وقت الفعل فلا يجوز ان يقال جاءني زيد امسرا كباغدا والريح  
بعد ما رسلت زمان صارت ما تدر شيئا تقول المراد به البيان بالصلاحيية اى ارسلها وهي  
على قوة وصلاحيية ان لا تدر تقول لمن جاء واقام عندك يا امام سألك شيئا جئتني سائلا اى  
قل السؤال بالصلاحيية والامكان هذا ان قلنا انه نصب وهو المشهور ويحتمل انه رفع

في اليم وفيه من الدلالة على غاية  
عظم شأن القدرة الربانية ونهائنه  
قوة فرعون وقومه ما لا يخفى  
( وهو ملهم ) اى آت بما يلام عليه  
من الكبر والطفان والجملة حال  
من الضمير في فأخذناه ( وفي عاد  
ادارسلنا عليهم الريح العقيم )  
وصفت بالقم لانها اهلكتهم  
وقطعت دارهم ولانها لم تنضن  
خيراما من انشاء مطر او القاح  
شجر وهي النكباء والدبور او  
المحروب ( ما تدر من شيء ) انت  
سلي (

على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هي مآثر ( البحث الثاني ) مآثر للنفي حال التكلم  
يقال ما يخرج زيد اي الآن واذا أردت المستقل تقول لا يخرج اولن يخرج واما  
الماضي تقول ما خرج ولم يخرج والريح حالة الكلام مع النفي صلى الله عليه وسلم كانت  
ماتركت شيئاً لاجعلته كالريم فكيف قال بلفظ الحال مآثر تقول الحكاية مقدرة على  
انها حكاية حال الوقوع ولهذا قال تعالى وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد مع ان اسم الفاعل  
الماضي لا يعمل وانما يعمل ما كان منه بمعنى الحال والاستقبال ( البحث الثالث ) هل في  
قوله تعالى مآثر من شيء انت عليه مبالغة ودخول تخصيص كما في قوله تعالى تدمر كل شيء  
بامر ربها تقول هو كواقع لان قوله انت عليه وصف لقوله شيء كانه قال كل شيء انت عليه  
أو كل شيء تأتي عليه جعلته كالريم ولا يدخل فيه السموات لانها مآثر عليها وانما يدخل  
فيه الاجسام التي تهب عليها الرياح فان قيل فالجبال والصخور انت عليها وما جعلتها  
كالريم تقول المراد انت عليه قصدا وهو عاد وابنتهم وعروشهم وذلك لانها كانت  
مأمورة بأمر من عند الله فكأنها كانت قاصدة اياهم فاتركت شيئاً من تلك الاشياء  
الاجعلته كالريم مع ان الصر الرياح الباردة والمكرر لا ينفك عن المعنى الذي في اللفظ  
من غير تكرير تقول حث وحث وفيه ما في حث تقول فيه قولان ( احدهما ) انها  
كانت باردة فكانت في ايام العجوز وهي ثمانية ايام من آخر شباط واول اذار والريح  
الباردة من شدة بردها تحرق الاشجار والثمار وغيرها وتسودهما ( والثاني ) انها كانت  
حارة والصر هو الشديد لالبارد وبالشدة فسر قوله تعالى في صرة اي في شدة من الحر  
( البحث الرابع ) في قوله تعالى مآثر من شيء انت عليه لاجعلته كالريم لان في قوله  
تعالى مآثر في الترك مع انبات الاتيان فكأنه تعالى قال تأتي على اشياء ومآثرها غير  
محرقة وقول القائل مآثر على شيء لاجعله كذا يكون في الاتيان عمالم يجعله كذلك \* قوله  
تعالى ( وفي نمود ) والبحث فيه وفي عاد هو ما تقدم في قوله تعالى وفي موسى \* وقوله تعالى  
( ادقيل لهم تمتعوا حتى حين ) قال بعض المفسرين المراد منه هو ما مهلهم الله ثلاثة ايام  
بعد قتلهم الناقة وكانت في تلك الايام تغير الوانهم فتصفر وجوههم وتسود وجوههم  
لان قوله تعالى فعتوا عن امر ربهم بحرف الفاء دليل على ان العتو كان بعد قوله تمتعوا  
فاذن الظاهر ان المراد هو ما قدر الله للناس من الآجال فما من احد الا وهو مهمل مدة  
الاجل يقول له تمتع الى آخر اجلك فان احسنت فقد حصل لك التمتع في الدارين والا فإلّاك  
في الآخرة من نصيب \* وقوله تعالى ( فعتوا عن امر ربهم فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون )  
فيه بحث وهو ان عتوا يستعمل بعلى قال تعالى ايهم اشد على الرحمن عتيا وهما استعمل  
مع كلمة عن فقول فيه معنى الاستعناء فحيث قال تعالى عن امر ربهم كان كقوله  
لا يستكبرون عن عبادته وحيث قال على كان كقول القائل فلان يتكبر علينا والصاعقة  
فيدو حهان ذكرناهما هنا ( احدهما ) انها الواقعة ( والثاني ) الصوت الشديد وقوله وهم

اي حرت عليه ( لاجعلته كالريم )  
هو كل مارم وبلى وقتت من  
عظم اوتيات او غير ذلك ( وفي )  
نمود ادقيل لهم تمتعوا حتى حين )  
وهو قوله تعالى تمتعوا في داركم  
ثلاثة ايام قيل فال لهم صالح عليه  
السلام تصبح وجوهكم عدا  
مصفرة وبعد غد محجرة واليوم  
الثالث مسودة ثم يصعبكم  
العذاب ( فعتوا عن امر ربهم ) اي  
فاستكبروا عن الامتثال به  
( فاخذتهم الصاعقة ) قيل لما رأوا

ينظرون اشارة الى احد معينين اما بمعنى تسليمهم وعدم قدرتهم على الدفع كما يقول القائل  
 للمضروب يضربك فلان وانت تنظر اشارة الى انه لا يدفع واما بمعنى ان العذاب اتاهم  
 لا على غفلة بل اندروا به من قبل ثلاثة ايام وانتظروه ولو كان على غفلة لكان لموتهم ان  
 يتوهم انهم اخذوا على غفلة اخذ العاجل المحتال كما يقول المبارز الشجاع اخبرتك  
 بقصدي اياك فانتظرنى \* وقوله تعالى (فاستطاعوا من قيام) يحتمل وجهين (احدهما)  
 انه لبيان عجزهم عن الهرب والفرار على سبيل المبالغة فان من لا يقدر على قيام كيف يعيش  
 فضلا عن ان يهرب وعلى هذا فيه لطائف لفظية (احدها) قوله تعالى فاستطاعوا فان  
 الاستطاعة دون القدرة لان في الاستطاعة دلالة الطلب وهو ينبيء عن عدم القدرة  
 والاستقلال فمن استطاع شيئا كان دون من يقدر عليه ولهذا يقول المتكلمون  
 الاستطاعة مع الفعل او قبل الفعل اشارة الى قدرة مطلوبة من الله تعالى مأخوذ منه  
 واليه الاشارة بقوله تعالى هل تستطيع ربك على قراءة من قرأ بالياء وقوله فاستطاعوا  
 ابلغ من قول القائل ما قدروا على قيام (ثانيها) قوله تعالى من قيام بزيادة من وقد عرفت  
 ما فيه من التاكيد (ثالثها) قوله قيام بدل قوله هرب لما بينا ان العاجز عن القيام اولى ان  
 يعجز عن الهرب (الوجه الثاني) هو ان المراد من قيام القيام بالامر اى ما استطاعوا من  
 قيام به \* وقوله تعالى (وما كانوا منتصرين) اى ما استطاعوا الهزيمة والهرب ومن  
 لا يقدر عليه يقاتل وينتصر بكل ما يمكنه لانه يدفع عن الروح وهم مع ذلك ما كانوا  
 منتصرين وقد عرفت ان قول القائل ما هو بمنصر ابلغ من قوله ما انتصر ولا ينتصر  
 والجواب ترك مع كونه يجب تقديره وقوله ما انتصر اى لنبي من شأنه ذلك كما تقول فلان  
 لا ينصر او فلان ليس ينصر \* ثم قال تعالى (وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين)  
 قرئ قوم بالجر والنصب فاوجههما نقول اما الجر فظاهر عطف على ما تقدم في قوله تعالى  
 وفي عاد وفي موسى تقول لك في فلان عبرة وفي فلان وفلان واما النصب فعلى تقدير واهلكنا  
 قوم نوح من قبل لان ما تقدم دل على الهلاك فهو عطف عن المحل وعلى هذا فقوله من قبل  
 معناه ظاهر كما انه يقول واهلكنا قوم نوح من قبل واما على الوجه الاول فتقديره وفي قوم  
 نوح لكم عبرة من قبل نودو عاد وغيرهم \* ثم قال تعالى (والسما بنيناها بايدوا نالمسعون)  
 وهو بيان للوحداية وما تقدم كان بيانا للمحسر واما قوله ههنا والسما بنيناها بايدوا انتم  
 تعرفون ان ما تعبدون من دون الله ما خلقوا منها شيئا فلا يصح الاسراء ويمكن ان يقال  
 هذا عود بعد التهديد الى اقامة الدليل وبناء السماء دليل على القدرة على خلق الاجسام  
 نانيا كما قال تعالى اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق منهم وفيه  
 مسائل (المسئلة الاولى) النصب على شريطة التفسير يختار في مواضع اذا كان العطف  
 على جملة فعلية فالتلك الجملة نقول في بعض الوجوه التى ذكرناها في قوله تعالى وفي عاد  
 وعود تقديره وهل اناك حديث عاد وهل اناك حديث نود وعود عطف على قوله هل اناك حديث

العلامات التى بنىها صالح عليه  
 السلام من اصميرار وحوهم  
 واجرارها واسودادها عمدوا  
 الى قتله عليه السلام فمجاهد الله  
 تعالى الى ارض فلسطين ولما  
 كان ضهوة اليوم الرابع  
 تحطوا وكنفوا الاطاع فانتهم  
 الصيحة فهلكوا وقرئ الصعقة  
 وهى المزم من الصعق (وهم  
 يظرون) البها ويايونيها (فا  
 استطاعوا من قيام) كموله تعالى  
 فاصبوا في دارهم حائبن (وما

صيف ابراهيم المكرمين وعلى هذا يكون ما قدمه جملة فعلية لاختفاء فيه وعلى غير ذلك الوجه فالجار والمجرور الى النصب اقرب منه الى الرفع وكان عطفا على ما بالنصب او الى ولا ن قوله تعالى فبذلناهم وقوله ارسلنا وقوله تعالى فاخذتهم الصاعقة وها استطاعوا كلها فعليات فصار النصب مخارا (المسئلة الثانية) كر ذكر الساء في السموات قال تعالى والسماء وما بها وقال تعالى ام السماء بهاها وقال تعالى جعل الارض قرارا والسماء بناء فالحكمة فيه نقول فيه وجوه (احدها) ان البناء باق الى قيام القيامة لم يسقط منه شيء ولم يعدم منه جزء واما الارض فهي في التبدل والتغير فهي كالعرش الذي يسقط ويטوى وينقل والسماء كالبناء المني السات واليه الاشارة بقوله تعالى سبعا شدادا واما الاراضى فكم منها صار بحرا وعاد ارضا من وقت حدودها (ثانيها) ان السماء ترى كالقبة المبنية فوق الرؤس والارض مبسوطة مدحوة والبناء بالرفوع البق كما قال تعالى رفع سمكها (ثالثها) قال بعض الحكماء السماء مسكن الارواح والارض موضع الاعمال والمسكن البق كونه بناؤه الله اعلم (المسئلة الثالثة) الاصل تقديم العامل على المفعول والفعل هو العامل فقوله بنينا عامل في السماء هالحكمة في تقديم المفعول على الفعل ولو قال وبنينا السماء بأيدى كان او جر بقول الصانع قبل الصنع عند الناظر في المعرفة فلما كان المقصود ابات العلم بالصانع قدم الدليل فقال والسماء المزية التي لا تشكون فيها بنيناها فاعرفونا بها ان كنتم لا تعرفونا (المسئلة الرابعة) اذا كان المقصود ابات التوحيد فكيف قال بنيناها ولم يقل بنيتها او بناها الله تقول قوله بنيناها ادل على عدم الشريك في التصرف والاستبداد وقوله بنيتها يمكن ان يكون فيه تشريك وتمازج التقرير هو ان قوله تعالى بنينا لا يورث ايها ما بان الآلهة التي كانوا يعبدونها هي التي يرجع اليها الضمير في قوله بنينا لان تلك اما اصنام منحوتة واما كواكب جعلوا الاصنام على صورها وطائرها فاما الاصنام المنحوتة فلا يشكون انها ما بنت من السماء شيئا واما الكواكب فهي في السماء محتاجة اليها فلا تكون هي نايتها وانما يمكن ان يقال انها بنت لها وجعلت اما كها فلما لم يتوهم ما قالوا قال بنينا نحن ونحن غير ما يقولون ويدعونه فلا يصلحون لما شركاء لان كل ما هو غير السماء فهو محتاج الى السماء ودون السماء في المرتبة فلا يكون خالق السماء وبنائها فادن علم المراد جمع التعظيم وافاد الص عظمته فالعظمة انني للسريك فثبت ان قوله تعالى بنيناها ادل على نبي الشريك من بنيتها وبنائها الله فان قيل لم قلت ان الجمع يدل على التعظيم قلنا الجواب من وجهين (الاول) ان الكلام على قدر فهم السامع والسامع هو الانسان والانسان يقيس الشاهد على الغائب فان اكبر عندهم من يعلل ان شيئا يخدمه ولا يباشر بهمه ويقول الملك فلهذا اى فعله عبادنا ما مرنا ويكون في ذلك تعظيم فكذلك في حق العائب (والوجه الاخر) هو ان القول اذا وقع من واحد وكان الغير به راضيا يقول القائل فعلمنا كلنا كذا واذا اجتمع جمع على فعل لا يقع الا بالبعض كما اذا خرج

كانوا مستصرين) لعيرهم كما لم  
 يتبعوا انفسهم (وقوم نوح) اى  
 واهل كنانة قوم نوح قال ما قبله يدل  
 عليه او اواذكر ويحوزا بكون  
 معطوفا على محل فى عا- يؤنده  
 القمراء ناطرو قيل هو معطوف  
 على معقول فأجدها (من قبل)  
 اى من قبل هؤلاء المهلكين (انهم  
 كانوا قوما فاسقين) حارحين عن  
 الحدود فيما كانوا فيه من الكفر  
 والمعاصى (وأسماءها بائدة)  
 اى بقوة (وانا موسون) انما درون  
 من الوسع بمعنى الطاقة والموسع  
 القادر على الاتفاق والموسعون  
 السماء اوما يبسها وبين الارض  
 او الزرق

جم غفير وجمع كثير لقتل سبع وقتلوه يقال قتله اهل بلدة كدار صا الكل به وفصد الكل اليه اذا عرفت هذا فالله تعالى كيفما امر بفعل شيء لا يكون لا حدرده وكان كل واحد مقادله يقول بدل فعلت فعلنا ولهذا يقول الملك العظيم اجمعنا بحيث لا ينكر احد ولا يرد نفس وقوله تعالى بأيدى قوة والايدى القوة هذا هو المشهور وبه فسر قوله تعالى ذا الايدى اواب ويحتمل ان يقال ان المراد جمع اليد ودليله انه قال تعالى لما خلقت بيدي وقال تعالى بماء عجلت ايدينا انعاما وهو راجع في الحقيقة الى المعنى الاول وعلى هذا اخيت قال خلقت قال بيدي وحيث قال بنيانا قال بأيدى لمقابلة الجمع بالجمع فان قيل فلم يقل بنيانا يا ايدينا وقال مما عجلت ايدينا تقول لفائدة حليقة وهى ان السماء لا يخطر ببال احد انها مخلوقة لغير الله والانعام ليست كذلك فقال هناك مما عجلت ايدينا تصريحا بان الحيوان مخلوق لله تعالى من غير واسطة وكذلك خلقت بيدي وفي السماء بايد من غير اضافة للاستعانة عنهما وفيه لطيفة أخرى وهى ان هناك لما ثبت الاضافة بعد حذف الضمير العائد الى المفعول فلم يقل خلقته بيدي ولا قال عملته ايدينا وقال ههنا بنيانا لان هناك لم يخطر ببال احد ان الانسان غير مخلوق وان الحيوان غير معمول فلم يقل خلقته ولا عملته واما السماء فبعض الجهال يزعم انها غير مجعولة فقال بنيانا ههنا يعود الضمير تصريحا بانها مخلوقة وقوله تعالى واتالموسعون فيه وجوه (احدها) انه من السعة اى اوسعناها بحيث صارت الارض وما يحيط بها من الماء والهواء بالنسبة الى السماء وسعتها كحلفة في فلاة والبناء الواسع الفضاء عجيب فان القبة الواسعة لا يقدر عليها البناءون لانهم يحتاجون الى اقامة آلة يصح بها استدارتها ويثبت بها تماسك اجرامها الى ان تصل بعضها ببعض (ثانيها) قوله واتالموسعون اى لقادرون ومنه قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها اى قدرتها والقداسة حينئذ ظاهرة ويحتمل ان يقال بان ذلك حينئذ اشارة الى المقصود الآخر وهو الخسر كانه يقول بيها السماء وانا لقادرون على ان نخلق امثالها كما في قوله تعالى اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم (ثالثها) اتالموسعون الرزق على الخلق \* ثم قال تعالى (والارض فرشناها فعم الماهدون) استدلالا بالارض وقدر علم ما في قوله والارض فرشناها وفيه دليل على ان دحو الارض بعد خلق السماء لان بناء البيت يكون في العادة قبل الفرش وقوله تعالى فعم الماهدون اى نحن اوفعم الماهدون ماهدوها \* ثم قال تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين) استدلالا بما بينهما والزوجان اما الضدان فان الذكر والانثى كالضدين والزوجان منهما كذلك واما المتشاكلان فان كل شيء له شبه ونظير وضدونه قال المنطقيون المراد بالشيء الجنس واقل ما يكون تحت الجنس نوعان فمن كل جنس خلق نوعين من الجوهر ملا المادى والمجرد ومن المادى الناحى والجامد ومن الناحى المدرك والتبات ومن المدرك الباطق والصامت وكل ذلك يدل على

(والارض فرشناها) مهدهاها  
وسطنهاها ليستقروا عليها (فعم  
الماهدون) اى نحن (ومن كل  
شيء) اى من الاحناس (خلقنا  
زوجين) اى نوعين ذكر وانثى  
وقيل متقابلين السماء والارض  
والليل والنهار والشمس والقمر  
والبر والبحر ومخودك (لعلكم  
تذكرون) اى فعلنا ذلك كله  
تذكروا فتعرفوا انه خالق الكل  
ورارقه وانه المسحق للعباده وانه  
قادر على اعادة الجميع فتعملوا  
عقنضاه وقوله تعالى (ففر والى  
الله) مقدر بقول حوطب ه  
الى صلى الله عليه وسلم لطريق  
التلوين والعاء اما ترتيب الامر  
على ما حكى من آثار غضبه  
الموجبة للامر منها ومن احكام  
رحمته المستدعية للفرار اليها كما  
قيل قل لهم ادا كان الامر كذلك  
فاهربوا الى الله الذى هذه شؤنه

انه فرد لا كثرة فيه \* وقوله تعالى (لعلكم تذكرون) اى لعلكم تذكرون ان خالق  
الازواج لا يكون له زوج والالكان ممكناف يكون مخلوقا ولا يكون خالقا و لعلكم تذكرون  
ان خالق الازواج لا يعجز عن حشر الاجساد وجمع الازواج \* ثم قال تعالى (فقرءوا الى الله  
انى لكم منه نذير مبين) امرا بالتوحيد وفيه لطائف (الاولى) قوله تعالى فقرءوا نبى عن  
سرعة الاهلاك كما به يقول الاهلاك والعذاب اسرع واقرب من ان يحتمل الحال  
الابطاء فى الرجوع فافزعوا الى الله سريعا وفروا (الثانية) قوله تعالى الى الله بيان  
المهروب اليه ولم يذكر الذى منه الهرب لاختد وجهين اما لكونه معلوما وهو هول العذاب  
او الشيطان الذى قال فيه ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا واما لكونه عاما كما به  
يقول كل ماعدا الله عدوكم فقرءوا اليه من كل ماعداه وبيانه وهو ان كل ماعداه فانه  
يتلف عليك رأس مالك الذى هو العمر ويفوت عليك ما هو الحق والخير ومتلف رأس  
المال ومفوت الكمال عدو واما اذا فررت الى الله واقلت على الله فهو يأخذ عرك ولكن  
يرفع امرك ويعطيك بقاء لافناء معه (الثالثة) الفاء للترتيب معناه اذ ادبت ان خالق  
الزوجين فرد فقرءوا اليه واتركوا غيره تركا مؤبدا (الرابعة) فى تنوع الكلام فائدة  
وبيانها هو ان الله تعالى قال والسماء بنيناها والارض فرسناها ومن كل شئ خلقنا سم  
جعل الكلام للنبي عليه السلام وقال فقرءوا الى الله انى لكم منه نذير مبين ولم يقل همروا  
الينا وذلك لان اختلاف الكلام تأثيرا وكذلك لاختلاف المتكلمين تأثيرا ولهذا يكثر  
الانسان من الصائح مع ولده الذى حاد عن الجادة ويجعل الكلام مخنفا نوعا ترغيبا ونوعا  
ترهيبا وتبنيها بالحكايات ثم يقول لغيره تكلم معه لعل كلامك ينفع لما فى اذهان الناس  
ان اختلاف المتكلمين واختلاف الكلام كلاهما مؤثر والله تعالى ذكر انواعا من  
الكلام وكثيرا من الاستدلالات والآيات وذكر طرفا صالحا من الحكايات ثم ذكر كلاما  
من متكلم آخر هو النبى صلى الله عليه وسلم ومن المفسرين من يقول تقديره فقل لهم  
فقرءوا وقوله انى لكم منه نذير اشارة الى الرسالة وفيه أيضا لطائف (احداها) ان الله تعالى  
بين عظمته بقوله والسماء بنيناها والارض فرسناها وهيته بقوله فنبذناهم فى اليم  
وقوله تعالى ارسلنا عليهم الريح العقيم وقوله فأخذتهم الصاعقة وفيه اشارة الى انه  
تعالى اذا عذب قدر على ان يعذب بما به البقاء والوجود وهو التراب والماء والهواء  
والنار فحكاية لو طئد على ان التراب الذى منه الوجود والبقاء اذا اراد الله جعله سبب  
الفناء والماء كذلك فى قوم فرعون والهواء فى عاد والنار فى ثمود ولعل ترتيب الحكايات  
الاربع للترتيب الذى فى العاصر الاربعة وقد ذكرنا فى سورة العنكبوت شيئا منه  
ثم اذ بان عظمته وهيته قال لرسوله عرفهم الحال وقل أنا رسول بتقديم الآيات وسرد  
الحكايات فلا ردافه بذكر الرسول فائدة (ثانيها) فى الرسالة أمور ثلاثة المرسل والرسول  
والمرسل اليه وههنا ذكر الكل فبقوله لكم اشارة الى المرسل اليهم وقوله منه اشارة الى

بالإيمان والطاعة سى نجوا من  
عقابه وتقوزوا بشوايه واما للعطف  
على جهة مقدرة مترتبة على قوله  
تعالى لعلكم تذكرون كما به قيل  
قل لهم فتذكروا فقرءوا الى الله الخ  
وقوله تعالى (انى لكم منه نذير  
مبين) لتعليل للاسراف بالقرار اليه  
تعالى اولو حوب الامثال به فان  
كونه عليه الصلاة والسلام  
منذرا منه تعالى موجب عليه  
عليه الصلاة والسلام أن يأمرهم  
بالقرار اليه عليهم ان يمتثلوا به  
اى انى لكم من حجه تعالى  
منذر بين كونه منذرا منه تعالى  
او مظهر لما يجب اظهاره من  
العذاب المندبره وفى امره تعالى  
الرسول صلى الله عليه وسلم بان  
يأمرهم بالهرب اليه تعالى من  
عقابه وتعليله بأنه عليه الصلاة  
والسلام ينذرهم من حجه تعالى  
لا من لقاؤه نفسه وعد كريم

المرسل وقوله نذير بيان للرسول وقدم المرسل اليه في الذكر لان المرسل اليه ادخل في امر الرسالة لان عنده يتم الامر والملك لولم يكن هناك من يخالفه او يوافقه فيرسل اليه نذيرا او بشيرا لا يرسل وان كان ملكا عظيما واذا حصل المخالف او الموافق يرسل وان كان غير عظيم ثم المرسل لانه متعين وهو الباعث واما الرسول فباختياره ولولا المرسل المتعين لما تمت الرسالة واما الرسول فلا يتعين لان للملك اختيار من يشاء من عباده فقال منه ثم قال نذير تأخيرا للرسول عن المرسل (ثالثها) قوله مبين اشارة الى ما به تعرف الرسالة لان كل حادث له سبب وعلامة فالرسول هو الذي به تتم الرسالة ولا بد له من علامة يعرف بها فقوله مبين اشارة اليها وهي اما البرهان او المعجزة ﴿ثم قال تعالى ( ولا تجعلوا مع الله الها آخر )﴾ اتما للتوحيد وذلك لان التوحيد بين التعطيل والتشريك وطريقة التوحيد هي الطريقة فالمعطل يقول لا اله الا الله والمشارك يقول في الوجود آلهة والموحد يقول قول الانبياء باطل ونفي الواحد باطل فقوله تعالى ففروا الى الله أبعد وجود الله ولما قال ولا تجعلوا مع الله الها آخر نفى الاكثر من الواحد فصح التوحيد بالاثنتين ولهذا قال مرتين (انني لكم منه نذير مبين) اي في المقامين والموضعين وقد ذكرنا مرارا ان المعطل اذا قال لا واجب يجعل الكل ممكنا فان كل موجود ممكن لكن الله في الحقيقة موجود فقد جعله في تضاعيف قوله كالممكنات فقد اشرك وجعل الله كغيره والمشارك لما قال فان غيره اله يلزم من قوله نفى كون الاله الها لما ذكرنا في تقرير دلالة التمانع من انه لو كان فيهما آلهة الا الله للزم عجز كل واحد فلا يكون في الوجود اله الا الله فيكون نافيا للالهية فيكون معطلا فالمعطل مشرك والمشارك معطل وكل واحد من الفريقين معترف بأن خصمه مبطل لكنه هو على مذهب خصمه يقول انه نفسه مبطل وهو لا يعلم والحمد لله الذي هدانا لهذا وقوله ولا تجعلوا فيه لطيفة وهي انه اشارة الى ان الآلهة بمجمولة لا يقال فآله متخذ لقوله فآخذ وكذا قانا الجواب عنه ظاهر وقد سبق في قوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ﴿ثم قال تعالى ( كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون )﴾ والفسير معلوم مما سبق وقد ذكرنا انه يدل على ان ذكر الحكايات للتسليمية غير ان فيه لطيفة واحدة لان تركها وهي ان هذه الآية دليل على ان كل رسول كذب وحيث يرد عليه اسئلة (الاول) هو ان من الانبياء من فردين السبي الذي كان قبله وبقى القوم على ما كانوا عليه كانبيا بني اسرائيل مدة وكيف وآدم لما ارسل لم يكذب (الثاني) ما الحكمة في تقدير الله تكذيب الرسل ولم يرسل رسولا مع كثرتهم واختلاف معجزاتهم بحيث يصدقهم اهل زمانه (الثالث) قوله ما اتى الا قالوا دليل على انهم كلهم قالوا ساحر وليس كذلك لانه ما من رسول الا آمن به قوم وهم ما قالوا ذلك (والجواب عن الاول) هو ان نقول اما المقرر فلان سلم انه رسول بل هو نبى على دين رسول ومن كذب رسوله فهو مكذبه ايضا ضرورة (وعن الثاني) هو ان الله لا يرسل الا عند حاجة

نجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب وقوله تعالى ( ولا تجعلوا مع الله الها آخر ) نفى موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله تعالى ( اني لكم منه ) اي من الحل المنهي عنه (نذير مبين) فان تعلق كلمة من بالانذار مع كون صلته الباء بتضمينه معنى الافراد يقال فر منه اي هرب وافره غيره كأنه قبل وفروا من ان تجعلوا معه تعالى اعتقادا او قولا الها آخر ومبه تأكيده لما قبله من الاسرار العار من العقاب اليه تعالى لكن لا لطريق التكرير كما قيل بل بالهي عن سببه واجاب الفرار منه (كذلك) اي الامر مل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وسميتهم له ساحر او مجنون وقوله تعالى ( ما اتى الذين من قبلهم ) الخ تفسير له اي ما اتاهم (من رسول)



الخلق وذلك عند ظهور الكفر في العالم ولا يظهر الكفر الا عند كثرة الجهل نعم ان الله تعالى لا يرسل رسولا مع كون الايمان به ضروريا والا لكان الايمان به ايمان اليأس فلا يقبل والجاهل اذا لم يكن المبين له في غاية الموضوع لا يقبله فيبقى في ورطة الضلالة فهذا قدر لزوم بقضاء الله على الخلق على هذا الوجه وقد ذكرنا مرة أخرى ان بعض الناس يقول كل ما هو قضاء الله فهو خير والشر في القدر فالله قضى بأن النار فيها مصلحة للناس لانها نور ويجعلونها متاعا في الاسفار وغيرها كما ذكر الله والماء فيه مصلحة الشرب لكن النار انما تتم مصلحتها بالحرارة البالغة والماء باليسلان القوى وكونهما كذلك يلزمهما باجراء الله عادته عليهما ان يحرق ثوب الفقير ويفرق شاة المسكين فالمنفعة في القضاء والمضرة في القدر وهذا الكلام له غور والسنة ان تقول يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد (وعن الثالث) ان ذلك ليس بعام فانه لم يقل الا قال كلهم وانما قال الا قالوا ولما كان كثير منهم بل اكثرهم قائلين به قال الله تعالى الا قالوا فان قيل فلم يلزم ذكر المصدقين كما ذكر المكذبين وقال الا قال بعضهم صدقت وبعضهم كذبت نقول لان المقصود التسليية وهي على التكذيب فكأنه تعالى قال لا تأس على تكذيب قومك فان اقواما قبلت كذبوا ورسلا كذبوا \* ثم قال (اتوا صوابه بل هم قوم طاغون) اي بذلك القول وهو قولهم ساحر او مجنون ومعناه التعجب اي كيف اتفقوا على قول واحد كأنهم تواطؤوا عليه وقال بعضهم لبعض لا تقولوا الا هذا ثم قال لم يكن ذلك عن التواطؤ وانما كان لمعنى جامع هو ان الكل اتروا فاستغنوا ففسوا الله وطغوا فكذبوا رسله كما ان الملك اذا امهل اهل بقعة ولم يكلفهم بشئ \* ثم قد بعد مدة وطلبهم الى بابيه يصعب عليهم لاتخاذهم التصور والجنان ونحسين بلادهم من الوجوه الحسان فحملهم ذلك على العصيان والقول بطاعة ملك آخر \* ثم قال تعالى (فقل غنم فانت بملوم) هذه تسليية اخرى وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كان من كرم الاخلاق ينسب نفسه الى تقصير ويقول ان عدم ايمانهم لتقصيري في التبليغ فيجتهد في الانذار والتبليغ فقال تعالى قد اتيت بما عليك ولا يضررك التولى عنهم وكفرهم ليس لتقصير مك فلا تحزن فانك لست بملوم بسبب التقصير وانما هم الملمومون بالاعراض والعناد \* ثم قال تعالى (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) يعني ليس التولى مطلقا بل تول واقبل واعرض وادع فلا التولى يضررك اذا كان منهم ولا التذكير ينفع الا اذا كان مع المؤمنين وفيه معنى آخر الطف منه وهو ان الهادي اذا كانت هدايته نافعة يكون ثوابه اكثر فلما قال تعالى فتول كان يقع لتوهم ان يقول فحينئذ لا يكون للنبي عليه السلام ثواب عظيم فقال بلى وذلك لأن في المؤمنين كثرة فاذا ذكرتهم زاد هداهم وزيادة الهدى من قوله كزيادة القوم فان قوما كثيرا اذا صلى كل واحد ركعة او ركعتين وقوما قليلا اذا صلى كل واحد الف ركعة تكون العبادة في الكثرة كالعبادة عن زيادة العدد فالهادي له على عبادة كل مهتد

من رسل الله (الا قالوا) في حقه (ساحر او مجنون) ولا سبيل الى انتصاب الكاف باقى لامتناع عمل ما بعد ما النافية فيما قبلها (اتوا صوابه) اسكار وتعجب من حالهم واجاعهم على تلك الكلمة الشنيعة التي لا تسكاد تخطر ببال احد من العقلاء فضلا عن الثغور بها اي اوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه وقوله تعالى (بل هم قوم طاغون) اضراب عن كون مدار اتفافهم على الشر تواصيههم بذلك واثبات لكونه امرا افغح من التواصي واشنع من منه الطغيان الشامل لكل الدال على اسدورتك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير ان يكون ذلك مقتضى طباعهم (فتول عنهم) فاعرض

أجر ولا ينقص اجر المهتدي قال تعالى ان لك اجرا اي وان توليت بسبب انتفاع المؤمنين بل وحاله اعراضك عن المعادين وقوله تعالى فان الذكرى تنفع المؤمنين يحتمل وجوها (احدها) ان يراد قوة يقينهم كما قال تعالى ليردادوا ايماننا وقال تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايماننا وقال تعالى زادهم هدى وآتاهم تقواهم (ثانيها) تنفع المؤمنين الذين بعدك فكانك اذا كثرت التذكير بالتكرير نقل عنك ذلك بالتواتر فينتفع به من يحيى بعدك من المؤمنين (ثالثها) هو ان الذكرى ان افاد ايمان كافر فقد نفع مؤمنا لانه صار مؤمنا وان لم يفد يوجد حسنة ويزاد في حسنة المؤمنين فينتفعوا وهذا هو الذي قيل في قوله تعالى وتلك الجنة التي اورتهموها \* نعم قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وهذه الآية فيها فوائد كثيرة ولنذكرها على وجه الاستقصاء فنقول اما تعلقها بما قبلها فلو جوه (احدها) انه تعالى لما قال وذكر يعنى اقصى غاية التذكير وهو ان الخلق ليس الا للعبادة فالقصود من ايجاد الانسان للعبادة فذكرهم به واعلمهم ان كل ما عداه تضييع للزمان (الثاني) هو اننا ذكرنا مرارا ان شغل الانبياء منحصر في امرين عبادة الله وهداية الخلق فلما قال تعالى فتول عنهم فانت بعلوم بين ان الهداية قد تسقط عند اليأس وعدم المهتدي واما العبادة فهي لازمة والخلق المطلق لها وليس الخلق المطلق للهداية فانت بعلوم اذا اتيت بالعبادة التي هي اصل اذا تركت الهداية بعد بذل الجهد فيها (الثالث) هو انه لما بين حال من قبله من التكذيب ذكر هذه الآية ليعين سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة الله فكان خلقهم الا للعبادة واما التفسير فقيه مسائل (الاولى) الملائكة ايضا من اصناف المكلفين ولم يذكرهم الله مع ان المنفعة الكبرى في ايجادهم هي العبادة ولهذا قال بل عباد مكرمون وقال تعالى لا يستكبرون عن عبادته فما الحكم في نقول الجواب عنه من وجوه (الاول) قد ذكرنا في بعض الوجوه ان تعلق الآية بما قبلها بيان قبح ما يفعله الكفرة من ترك ما خلقوا له وهذا مختص بالجن والانس لان الكفر في الجن اكثر والكافر منهم اكثر من المؤمن لما بينا ان المقصود بيان قبحهم وسوء صنيعهم (الثاني) هو ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن فلما قال وذكرهم ما يذكر به وهو كون الخلق للعبادة خص امته بالذكر اي ذكر الجن والانس (الثالث) ان عباد الاصنام كانوا يقولون بأن الله تعالى عظيم الشأن خلق الملائكة وجعلهم مقرين فهم يعبدون الله وخلقهم لعبادته ونحن لنزول درجتنا لانصلح لعبادة الله فعبد الملائكة وهم يعبدون الله فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولم يذكر الملائكة لان الامر فيهم كان مسلما بين القوم فذكر المنازع فيه (الرابع) قيل الجن يتناول الملائكة لان الجن اصله من الاستتار وهم مستترون عن الخلق وعلى هذا تقديم الجن لدخول الملائكة فيهم وكونهم اكثر عبادة وخلصها (الخامس) قال بعض الناس كلما ذكر الله الخلق كان فيه التقدير في الجرم والزمان قال تعالى خلق السموات

عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاياه (فانت علوم) على التولى بعد ما بذلت الجهد ووجازت في الا بلاع كل حدمعهود (وذكر) اي افعل التذكير والموعظة ولا تدعها بالمرء اوفد كرههم وقد حذف الضمير لظهور الامر (فان الذكرى تنفع المؤمنين) اي الذين قدر الله تعالى ايمانهم او الدين آمنوا بالفعل فانها تريد بصيرة وقوة في اليقين (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) استئناف مؤكد للاس مقرر لمخوض تعليله فان كون خلقهم ميبا لعبادته تعالى بما يدعوه عليه الصلاة والسلام الى تذكيرهم ووجوب عليهم التذكر والانعاظ ولعل تقديم خلق الجن في الذكر لتقديمه على خلق الانس في الوجود ومعنى

والارض وما بينهما في ستة ايام وقال تعالى خلق الارض في يومين وقال خلقت يدي الى غير ذلك ومالم يكن ذكره بلفظ الامر قال تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقال قل الروح من امر ربي وقال تعالى االه الخلق والامر والملائكة كالارواح من عالم الامر اوجدتهم من غير مرور زمان فقوله وما خلقت اشارة الى من هو من عالم الخلق فلا يدخل فيه الملائكة وهو باطل لقوله تعالى خالق كل شيء فالملك من عالم الخلق (المسئلة الثانية) تقديم الجن على الانس لاية حكمة نقول فيد وجهان (الاول) بعضها مر في المسئلة الاولى (الثاني) هو ان العبادة سرية وجهرية وللسرية فضل على الجهرية لكن عبادة الجن سرية لا يدخلها الرياء العظيم واما عبادة الانس فيدخلها الرياء فانه قد يعبد الله لابناء جنسه وقد يعبد الله ليستخر من الجن او مخافة منهم ولا كذلك الجن (المسئلة الثالثة) فعل الله تعالى ليس لغرض والالكان بالغرض مستكملا وهو في نفسه كامل فكيف يفهم لامر الله الغرض والعلة نقول المعتزلة تمسكوا به وقالوا افعال الله تعالى لا غرض وبالعوا في الانكار على مكرى ذلك ونحن نقول فيه وجوه (الاول) ان التعليل لفظي ومعنوي واللفظي ما يطلق الناظر اليه اللفظ عليه وان لم يكن له في الحقيقة مثاله اذا خرج ملك من بلاده ودخل بلاد العدو وكان في قلبه ان يتعب عسكر نفسه لا غير في المعنى المقصود ذلك وفي اللفظ لا يصح ولو قال هو انا ما سافرت الا لابتغاء اجر أو لاستفيد حسنة يقال هذا ليس بشيء ولا يصح عليه ولو قال قائل في مثل هذه الصورة خرج لياخذ بلاد العدو وليرهبه لصدق فالتعليل اللفظي هو جعل المنفعة المعتبرة علة للفعل الذي فيه المنفعة يقال اتجر للربح وان لم يكن في الحقيقة له اذا عرفت هذا فقول الحقائق غير معلومة عند الناس والفهوم من الصوص معانيها اللفظية لكن الشيء اذا كان فيه منفعة يصح التعليل بها لفظا والنزاع في الحقيقة في اللفظ (الثاني) هو ان ذلك تقدير كالتنبي والتزجي في كلام الله تعالى وكأنه يقول العبادة عند الخلق نسي لو كان ذلك من افعالكم لقلتم انه لها كآقلنا في قوله تعالى لعله يتذكر اي بحيث يصير تذكره عندكم مرجوا وقوله عسى ربكم ان يهلك عدوكم اي يصير اهلا كه عندكم مرجوا فتقولون انه قرب (الثالث) هو ان اللام قد نسبت فيما لا يصلح غرضا كما في الوقت قال تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والمراد المقارنة وكذلك في جميع الصور وحينئذ يكون معناه قرنت الخلق بالعبادة اي بفرض العبادة اي خلقتهم وفرصت عليهم العبادة والذي يدل على عدم جواز التعليل الحقيقي هو ان الله تعالى مستغن عن المنافع فلا يكون فعله لمنفعة راجعة اليه ولا الى غيره لان الله تعالى قادر على ايصال المنفعة الى العير من غير واسطة العمل فيكون توسط ذلك لا يكون علة واد ازم القول بأن الله تعالى يفعل فعلا هو لتوسط لالعلة لزمهم المسئلة واما الصوص فاكثر من ان تعد وهي على انواع منها ما يدل على ان الاضلال بفعل الله كقوله تعالى يضل من يشاء واماله ومنها ما يدل على ان الاشياء

خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها وممكنين منها اتم استعداد واكمل تمكن مع كونها مطلوبة: هم تنزيل ترنب العاية على ما هي ثمرة له منزلة ترنب الغرض على ما هو عرض له فان ستناع افعاله تعالى لمايات جليلة مما لا تراعى فيه قطعا كلف لا وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذي لا يليق بجنايه عر وحل لتعليلها بالعرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لو لاه لم يفعل لافضائه الى استكمالها بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه واما معنى نهاية كالية يقضى اليها فعل الصاعل الحق فيعبر ما في من افعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصسه تعالى بالحكمة وبكفي في تحقيق معنى

كلها بخلق الله كقوله تعالى خالق كل شيء ومنها الصرايح التي تدل على عدم ذلك كقوله تعالى لا يسأل عما يفعل وقوله تعالى يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد والاستقصاء مفوض فيه الى المتكلم الاصولي لالي المفسر ( المسئلة الرابعة ) قال تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا وقال ليعبدون فهل بينهما اختلاف نقول ليس كذلك فان الله تعالى علل جعلهم شعوبا بالتعارف وههنا علل خلقهم بالعبادة وقوله هناك انا اكرمكم عند الله اتقاكم دليل على ما ذكره ههنا وموافق له لانه اذا كان اتقى كان أعبد وأخلص عملا فيكون المطلوب منه أتم في الوجود فيكون اكرم وأعز كالشيء الذي منفعة فائدة وبعض افراده يكون انفع في تلك الفائدة مثاله الماء اذا كان مخلوقا للتطهير والنسب فالصافي منه اكثر فائدة في تلك المنفعة فيكون اشرف من ماء آخر فكذلك العبد الذي وجد فيه ما هو المطلوب منه على وجه ابلغ ( المسئلة الخامسة ) ما العبادة التي خلق الجبر والانس لها قلنا التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فان هذين النوعين لم يخل شرع منهما وأما خصوص العبادات فالشرائع مختلفة فيها بالوضع والهيئة والقلة والكثرة والزمان والمكان والشرائط والاركان ولما كان التعظيم اللائق بذى الجلال والاكرام لا يعلم عقلا لزم اتباع الشرائع فيها والاخذ بقول الرسل عليهم السلام فقد انعم الله على عباده بارسال الرسل وايضاح السبل في نوعي العبادة وقيل ان معناه ليعرفوني روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عن ربه كنت كنزا مخفيا فاردت ان اعرف \* ثم قال تعالى ( ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ) وفيه جواب سؤال وهو ان الخلق للعرض ينبيء عن الحاجة فقال ما خلقهم ليطعمون والنفع فيه لهم لالي وذلك لان منفعة العبد في حق السيد ان يكتسب له اما بتحصيل المال له او بحفظ المال عليه وذلك لان العبد ان كان للكسب فعرض التحصيل فيه ظاهر وان كان للشغل فلولا العبد لاحتاج السيد الى استئجار من يفعل الشغل له فيحتاج الى اخراج مال والعبد يحفظ ماله عليه ويغنيه عن الاخراج فهو نوع كسب فقال تعالى ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون أي لست كالسادة في طلب العبادة بل هم الرابحون في عبادتهم وفيه وجه آخر وهو ان يقال هذا تقرير لكونهم مخلوقين للعبادة وذلك لان الفعل في العرف لا بدله من منفعة لكن العبيد على قسمين قسم منهم يكون للعظمة والجمال كماليك الملوك يطعمهم الملك ويسقيهم ويعطيهم الاطراف من البلاد ويؤتيهم الطراف بعد التلاد والمراد منهم التعظيم والمثول بين يديه ووضع اليدين على الشمال لديه وقسم منهم للانقاع بهم في تحصيل الارزاق أو لاصلاحها فقال تعالى انا خلقتهم فلا بد فيهم من منفعة فليستفكروا في انفسهم هل هم من قبيل ان يطلب منهم تحصيل رزق وليسوا كذلك فا اريد منهم من رزق او هل هم من يطلب منهم اصلاح قوت كالطباخ والحواني الذي يقرب الطعام وليسوا كذلك فا اريد ان يطعمون

التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه اهل الامة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام واما ارادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العادة عن البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول الى العاية مع تعاضد المبادئ وتأخذ المقدمات الموصلة اليها لا يمنع كونها عاية كما في قوله تعالى كتاب ارنائه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره وقيل لمعنى اللوم والعبادة كما في قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقيل المراد سعادته الحين كما ان المراد بقوله تعالى ولقد درأنا لهم كنيوزا من الجن والانس اشقياء وهما ويعتده قراءة من قرأ وما خلقت الجن

فادنهم عبید من القسم الاول فينبغي ان لا يتركوا التعظيم وفيه لطائف تذكرها في مسائل ( المسئلة الاولى ) ما الفائدة في تكرار الارادتين ومن لا يريد من احذر زقا لا يريد ان يطعمه تقول هولما ذكرناه من قبل وهو ان السيد قد يطلب من العبد الكسب له وهو طلب الرزق منه وقد يكون للسيد مال واقر يستغنى عن الكسب لكنه يطلب منه قضاء حوائجه بماله من المال واحضار الطعام بين يديه من ماله فالسيد قال لا اريد ذلك ولا هذا ( المسئلة الثانية ) لم قدم طلب الرزق على طلب الاطعام نقول ذلك من باب الارتقاء كقول القائل لا اطلب منك الامانة ولا من هو اقوى ولا يعكس ويقال فلان يكرمه الامراء بل السلاطين ولا يعكس فقال ههنا لا اطلب منكم رزقا ولا ما هو دون ذلك وهو تقديم طعام بين يدي السيد فان ذلك امر كثير الطلب من العباد وان كان الكسب لا يطلب منهم ( المسئلة الثالثة ) لو قال ما اريد منهم ان يرزقون وما اريد منهم من طعام هل تحصل هذه الفائدة نقول على مافصل لا وذلك لان بالتكسب يطلب الغنى لا الفعل فان من اشتغل بشغل ولم يحصل له غنى لا يكون كمن حصل له غنى وان لم يشتغل كالعبد المتكسب اذا ترك الشغل لحاجته ووجد مطلباً يرضى منه السيد اذا كان شغله التكسب واما من يراد منه الفعل لذات الفعل كالجائع اذا بعث عبده لاحضار الطعام فاستغل باخذ المال من مطلب فربما لا يرضى به السيد فالمقصود من الرزق الغنى فلم يقل بلفظ الفعل والمقصود من الاطعام الفعل نفسه فذكر بلفظ الفعل ولم يقل وما اريد منهم من طعام هذا مع ما في اللفظين من الفصاحة والجزالة للتنويع ( المسئلة الرابعة ) اذا كان المعنى به ما ذكرت فما فائدة الاطعام وتخصيصه بالذكر مع ان المقصود عدم طلب فعل منهم غير التعظيم نقول لما عم في المطلب الاول اكتفى بقوله من رزق فانه يعيد العموم وأشار الى التعظيم فذكر الاطعام وذلك لان ادنى درجات الافعال ان يستعين السيد بعبده او جاريته في تهية امر الطعام ونفي الادنى يستتبعه نفي الاعلى بطريق الاولى فصاركاً انه قال تعالى ما اريد منهم من عين ولا عمل ( المسئلة الخامسة ) على ما ذكرت لاتنحصر المطالب فيما ذكره لان السيد قد يشتري العبد لا لطلب عمل منه ولا لطلب رزق ولا للتعظيم بل يشتره للتجارة والربح فيه نقول عموم قوله ما اريد منهم من رزق يتناول ذلك فان من اشترى عبد التجرفيه فقد طلب منه رزقا ( المسئلة السادسة ) ما اريد في العربية يفيد النفي في الحال والتخصيص بالذكر يوهم نفي ما عدا المذكور لكن الله تعالى لا يريد منهم رزقا في الحال ولا في الاستقبال فلم يقل لا اريد منهم من رزق ولا اريد نقول مالنفي في الحال ولا النفي في الاستقبال فالقائل اذا قال فلا لا يفعل هذا الفعل وهو في الفعل لا يصدق لكنه اذا ترك مع فراغه من قوله يصدق القائل ولو قال ما يفعل لما صدق فيما ذكرنا من الصورة مساله اذا كان الانسان في الصلاة وقال قائل انه ما يصلي فانظر اليه فاذا كان نظرا اليه الناظر وقد قطع صلاة نفسه صح ان يقول اتاقلت انك لا تصلي ولو قال القائل انه ما يصلي في تلك الحالة

والانس من المؤمنين وقال مجاهد واحسنه البعوى معناه الا ليعرفون ومداره قوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن رب العزة كمت كنزاً عتقياً وأحببت ان اعزى فخلقت الخلق لا اعزى ولعل السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق اطلاق اسم السبب على السبب التنبيه على ان الاعتبار هي المعرفة الحاصلة لعبادته تعالى لا ما يحصل بعيرها كعرفة الفلاسفة ( ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعموا ) بيان لكون شانه تعالى مع عباده متعالياً عن ان يكون كشأن السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعنوا بهم في تحصيل معاشهم وتهيئة ارزاقهم اى ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزق ولا رزقهم بل اتفضل عليهم برزقهم وما يصلحهم ويعيشهم من عندى فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادى

لما صدق فادا علمت هذا فكل واحد من العظمين للمافية فيد خصوص لكن النقي في  
الحال اولى لان المراد من الحال الدنيا والاستقبال هو في امر الآخرة فالدنيا وامورها  
كأها حالية فقولها ما اريداي في هذه الحالة الراهنة التي هي ساعة الدنيا ومن المعلوم ان  
العبد بعد موته لا يصلح ان يطلب منه رزق او عمل فكان قوله ما اريد مفيد للنبي العام ولو  
قال لا اريد لما افاد ذلك \* ثم قال تعالى ( ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ) تعليلا لما تقدم  
من الامرين فقوله هو الرزاق تعليل لعدم طلب الرزق وقوله تعالى ذو القوة تعليل لعدم  
طلب العمل لان من يطلب رزقا يكون فقيرا محتاجا ومن يطلب عملا من غيره يكون عاجزا  
لاقوله فصارك انه يقول ما اريد منهم من رزق فاني انا الرزاق ولا عمل فاني قوي وفيه  
مباح ( الاول ) قال ما اريد ولم يقل اني رزاق بل قال على الحكاية عن الغائب ان الله  
فما الحكمة فيه نقول ندرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ اني انا الرزاق على ما ذكرت  
واما القراءة المشهورة فيها وجوه ( الاول ) ان يكون المعنى قل يا محمد ان الله هو الرزاق  
( الثاني ) ان يكون ذلك من باب الالتفات والرجوع من التكلم عن النفس الى التكلم  
عن الغائب وفيه ههنا فائدة وهي ان اسم الله يعبد كونه رزاقا وذلك لان الاله بمعنى  
المعبود كما قلنا مرارا وتمسكه بقوله تعالى ويذكرك وألهتك اي معبودك واذا كان الله هو  
المعبود ورزق العبد استعماله في غير الكسب اذ رزقه على السيد وههنا لما قال ما خلقت  
الجن والانس الا ليعبدون فقد بين انه استخاصهم لنفسه وعبادته وكان عليه رزقهم  
فقال تعالى ان الله هو الرزاق بلفظ الله الدال على كونه رازقا ولو قال اني انا الرزاق  
لحصلت المناسبة التي ذكرت ولكن لا يحصل ما ذكرنا ( الثالث ) ان يكون قل ضمرا  
عند قوله تعالى ما اريد منهم تقديره قل يا محمد ما اريد منهم من رزق فيكون بمعنى قوله  
قل ما اسئلكم عليه من اجر ويكون على هذا قوله تعالى ان الله هو الرزاق من قول النبي  
صلى الله عليه وسلم ولم يقل القوي بل قال ذو القوة وذلك لان المقصود تقرير ما تقدم  
من عدم ارادة الرزق وعدم الاستعانة بالغير لكن في عدم طلب الرزق لا يكتفي كون  
المستغنى بحيث يرزق واحدا فان كثيرا من الناس يرزق ولده وغيره ويسترزق والمالك  
يرزق الجند ويسترزق فادا كثر منه الرزق قل منه الطلب لان المسترزق ممن يكثر الرزق  
لا يسترزق من رزقه فلم يكن ذلك المقصود يحصل له الا بالبلد المنة في وصف الرزق فقال  
الرزاق واما ما نغني عن الاستعانة بالغير فدون ذلك وذلك لان القوي اذا كان في غاية  
القوة يعين الغير فاذا كان دون ذلك لا يعين غيره ولا يستعين به واذا كان دون ذلك يستعين  
بمنائه ما وتفاوت بعد ذلك ولما قال وما اريد ان يعلمون كفاء بان نفس القوة  
فهم والقوة في افادة معنى القوي دون القوي لان اذا لا يقال في الوصف اللازم بين  
نية ال في ادمي ذو مال ومتمول ودو جال وجيل وذو خلق حسن وناي في ادمي  
بما يلزمه لزوما يساوي لا يقال في اللامات ذات فردية ولا في الاربعة ذات زوجية وتولها

( ان الله هو الرزاق ) لذى يرزق  
كل ما يغتفر الى الرزق وفيه دلويح  
بانه على عنده وقرئ اني انا الرزاق  
( ذو القوة المتين ) بالرفع على انه  
امت للرزاق اولذا واوخر بعد حذر  
او حذر لمنه وقرئ بالخر على انه  
وصف للقوة على اوبل الافتدار  
او الابد

( فان الذين ظلموا ) اى ظلموا  
 أنفسهم بتعريضها للعذاب المالد  
 بتكذيب رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم او وضعوا مكان التصديق  
 تكديبا وهم اهل مكة ( دنوبا )  
 اى نصيبوا فرا من العذاب ( مثل  
 ذنوب اصحابهم ) مثل انصباء  
 نظراتهم من الائم المحكية وهو  
 مأخوذ من مقاسمة السقاء الماء  
 بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء  
 ( فلا يستعملون ) اى لا يظلموا  
 منى ان اعجل فى الحجة به يقال  
 استعجله اى حثه على العجلة  
 وامره بها ويقال استعجله اى  
 طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله  
 تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه  
 وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد  
 ان كنتم صادقين ( فويل للذين  
 كفروا ) وضع الموصول موضع  
 ضميرهم تسجيلا عليهم بما فى حير  
 الصلة من الكفر واشعارا بعة  
 الحكم والفناء لترتيب ثبوت  
 الويل لهم على ان لهم هذا عظيما  
 كما ان الفاء الاولى لترتيب النهى  
 عن الاستعجال على ذلك ومن فى  
 قوله تعالى ( من يومهم الذى  
 يوعدون ) للتعليل اى يوعدهونه  
 من يوم يدرو قيل يوم القيامة وهو  
 الانسب بما فى صدر السورة  
 الكريمة الآتية والاول هو  
 الاوفى لما قبله من حيث اهمان  
 العذاب النبوى \* عن النبي صلى  
 الله عليه وسلم من قرأ الذاريات  
 اعطاه الله تعالى عشر حسنات  
 بعدد كل رجب هبت وجرت  
 فى الدنيا

لم يرد فى الاوصاف الحقيقية التى ليست مأخوذة من الافعال ولدا لم يسمع ذو الوجود ولا  
 ذو الحياة ولا ذو العلم ويقال فى الانسان ذو علم وذو حياة لانها عرض فيه عارض لا لازم  
 بين وفى صفات الفعل يقال الله تعالى ذو الفضل كثيرا وذو الخلق قليلا لان ذا كذا  
 بمعنى صاحبه وربّه والصحة لا يفهم منها لزوم فضلا عن اللزوم البين والذى يؤيد هذا  
 هو انه تعالى قال وفوق كل ذى علم عليم فجعل غيره ذاعلم ووصف نفسه بالفعل فبين ذى  
 العلم والعليم فرق وكذلك بين ذى القوة والقوى ويؤيده ايضا انه تعالى قال فأخذهم الله  
 انه قوى شديد العقاب وقال تعالى الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز  
 وقال تعالى لا غلبن انا ورسلى ان الله قوى عزيز لان فى هذه الصور كان المراد بيسان  
 القيام بالافعال العظيمة والمراد هنا عدم الاحتياج ومن لا يحتاج الى الغير بكيفية من  
 القوة قدر ما ومن يقوم مستبدا بالفعل لا بدله من قوة عظيمة لان عدم الحاجة قد  
 يكون بترك الفعل والاستغناء عنه ولولين هذا البحث فى معرض الجواب عن سؤال سائل  
 عن الفرق بين قوله ذو القوة هما وبين قوله قوى فى تلك المواضع لكان احسن \* فان  
 قيل فقد قال تعالى ليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز وفيه ما ذكرت  
 من المعنى وذلك لان قوله قوى لبيان انه غير محتاج الى النصره وانما يريد ان يعلم لينيب  
 الناصر لكن عدم الاحتياج الى النصره يكفى فيه قوة ما فإلم لم يقل ان الله ذو القوة نقول  
 فيه انه تعالى قال من ينصره ورسله ومعناه انه يغنى رسله عن الحاجة ولا يطلب نصرتهم  
 من خلقه لعجزهم وانما يطلبها لنواب الناصرين للاحتياج المستصرين والا فالله  
 تعالى وعدهم بالنصرة حيث قال ولقد سبقت كتبنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون  
 ولما ذكر الرسل قال قوى ليكون ذلك تقوية لقلوب رسله والمؤمنين وتسليية  
 لصدورهم وصدور المؤمنين ( البحث الثانى ) قال المتين وذلك لان ذو القوة كما بينا  
 لا يدل الاعلى ان له قوة ما فإلم فى الوصف بياناً وهو الذى له بات لا يترزل وهو مع المتين  
 من باب واحد لفظا ومعنى فان من الشئ \* هو اصله الذى عليه بانه والمتن هو الظاهر الذى  
 عليه اساس البدن والمثانة مع القوة كالعزة مع القوة حيث ذكر الله تعالى فى مواضع  
 ذكر القوة العزة فقال قوى عزيز وقال القوى العزيز وفيه لطيفة تؤيد ما ذكرنا من  
 البحث فى القوى وذى القوة وذلك لان المتين هو الثابت الذى لا يترزل والعزيز هو  
 الغالب فى المتين انه لا يغلب ولا يقهر ولا يهزم وفى العزيز انه يغلب ويقهر ويزل الاقدام  
 والعزة اكل من المثانة كما ان القوى ابلغ من ذى القوة فقرن الاكل بالاكل وما دونه  
 بما دونه ولونظرت حق النشر وتأملت حفى التأمل رأيت فى كتاب الله تعالى لطائف تنبهك  
 على عناد المنكرين وقبح انكار المعاندين \* ثم قال تعالى ( فان الذين ظلموا ذنوبا منسل  
 ذنوب اصحابهم فلا يستعملون فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون ) وهو مناسب  
 لما قبله وذلك لانه تعالى بين ان من يضع نفسه فى موضع عبادة غير الله يكون وضع النى



في غير موضعه فيكون ظالما فقال اذا ثبت ان الانس مخلوق للعبادة فان الذين ظلموا بعبادة الغير لهم هلاك مثل هلاك من تقدم وذلك لان الشيء اذا خرج عن انتفاع المطلوب منه لا يحفظ وان كان في موضع يخلى المكان عنه الا ترى ان الدابة التي لا يبقى منتفعا بها بالموت او بمرض يخلى عنها الاصطبل والطعام الذي يتفغن يبدد ويفرغ منه الا انه فكذلك الكافر اذا ظلم ووضع نفسه في غير موضعه خرج عن الانتفاع فحسن اخلاء المكان عنه وحق نزول الهلاك به\* وفي التفسير مسائل (المسئلة الاولى) فيما يتعلق به الفاء وقد ذكرنا ذلك في وجه التعلق (المسئلة الثانية) ما مناسبة الذنوب نقول العذاب مصبوب عليهم كانه قال تعالى نصب من فوق رؤسهم ذنوبا كذنوب صب فوق رؤس أولئك ووجه آخر وهو ان العرب يستقون من الآبار على الذنوبة ذنوبا فذنوبا وذلك وقت عيشهم الطيب فكأنه تعالى قال فان للذين ظلموا من الدنيا وطياتها ذنوبا اي ملاء ولا يكون لهم في الآخرة من نصيب كما كان عليه حال اصحابهم استقوا ذنوبا وتركوها وعلى هذا فالذنوب ليس بعذاب ولا هلاك وانما هو رغد العيش وهو أليق بالعربية وقوله تعالى فلا يستعملون فان الرزق مالم يفرغ لا يأتي الاجل ثم اعاد ما ذكر في اول السورة فقال فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

(سورة الطور اربعون وتسع آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور) هذه السورة مناسبة للسورة المتقدمة من حيث الافتتاح بالقسم وبيان الحشر فيهما واول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها لان في آخرها قوله تعالى فويل للذين كفروا وهذه السورة في اولها فويل يومئذ للمكذبين وفي آخر تلك السورة قال فان للذين ظلموا ذنوبا اشارة الى العذاب وقال ههنا ان عذاب ربك لواقع وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما الطور وما الكتاب المسطور نقول فيه وجوه (الاول) الطور هو جبل معروف كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه (الثاني) هو الجبل الذي قال الله تعالى وطور سينين (الثالث) هو اسم الجنس والمراد القسم بالجبل غير ان الطور الجبل العظيم كالطود واما الكتاب ففيه ايضا وجوه (احدها) كتاب موسى عليه السلام (انيها) الكتاب الذي في السماء (نالتها) صحائف اعمال الخلق (رابعها) القرآن وكيفما كان فهي في رقوق وسنين فائدة قوله تعالى في رق منشور واما البيت المعمور ففيه وجوه (الاول) هو بيت في السماء العليا عند العرش ووصفه بالعمارة لكثرة الطائنين به من الملائكة (الثاني) هو بيت الله الحرام وهو معمور بالحاج الطائنين به

\* (سورة الطور مكية وهي)

(تسع اثمان واربعون آية)

\* (بسم الله الرحمن الرحيم)

(والطور) الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى (وكتاب مسطور) مكتوب على وجه الانظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن أو الواح موسى عليه السلام وهو الانسب بالطور او ما يكتب في اللوح او ما يكتبه الحفظة (في رق منشور) الرق الحلد الذي يكتب فيه اسمعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتكبرهما للتفخيم اول الاشعار بأنهما ليسا بمأخوذاه الناس

العاكفين (الثالث) البيت المعمور اللام فيه لتعريف الجنس كأنه بسم بالبيت المعمورة والعمائر المشهورة والسقف المرفوع السماء والبحر المسجور قيل الموقد ناراً يقال سجرت التنور وقيل هو البحر المملوء ماء المتوج وقيل هو بحر معروف في السماء يسمى بحر الحيوان (المسئلة الثانية) ما الحكمة في اختيار هذه الاشياء نقول هي تشمل وجوها (احدها) ان الاماكن الثلاثة وهي الطور والبيت المعمور والبحر المسجور اماكن كانت لثلاثة انبياء ينفردون فيها للخلوة برهبهم والخلص من الخلق والخطاب مع الله اما الطور فانتقل اليه موسى عليه السلام والبيت محمد صلى الله عليه وسلم والبحر المسجور يونس عليه السلام والكل خاطبوا الله هناك فقال موسى أتتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الافتتنك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء وقال ارنى انظر اليك واما محمد صلى الله عليه وسلم فقال سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين لاحصى تبارك عليك انت كما انيت على نفسك واما يونس فقال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فصارت الاماكن شريفة بهذه الاسباب خلف الله تعالى بها واما ذكر الكتاب فان الانبياء كان لهم في هذه الاماكن مع الله تعالى كلام والكلام في الكتاب واثباته بالامور ادا على ذلك لان موسى عليه السلام كان له مكتوب ينزل عليه وهو بالطور واما ذكر السقف المرفوع ومعه البيت المعمور ليعلم عظمة شأن محمد صلى الله عليه وسلم (بانها) وهوان القسم لما كان على وقوع العذاب وعلى انه لا دافع له وذلك لانه لا مهرب من عذاب الله لان من يريد دفع العذاب عن نفسه في بعض الاوقات يتحصن بمثل الجبال الشاهقة التي ليس لها طرف وهي متضايقه بين انه لا ينفع التحصن بها من امر الله تعالى كما قال ابن نوح عليه السلام ساوى الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم حكاية عن نوح عليه السلام (المسئلة الثالثة) ما الحكمة في تكرير الكتاب وتعريف باقي الاشياء نقول ما يحتمل الخفاء من الامور الملتبسة بأسمائها من الاحتباس يعرف باللام فيقال رأيت الامير ودخلت على الوزير فاذا بلغ الامير الشهرة بحيث يؤمن الالتباس مع شهرته ويريد الواسف وصفه بالظلمة يتول اليوم رأيت امير اماله فظنير جالسوا عليه سيما الملوك وانت تريد ذلك الامير المعلوم والسبب فيه انك بالتكثير تشير الى انه خرج عن ان يعلم ويعرف بكنهه عظمته فيكون كقوله تعالى الحاقة وما دراك الحاقة فاللام وان كانت معرفة لكن أخرجه عن المعرفة كون شدة هولها غير معروف فكذلك ههنا الطور ليس في الشهرة بحيث يؤمن الالتباس عند التكثير وكذلك البيت المعمور واما الكتاب الكريم فقد تميز عن سائر الكتب بحيث لا يسبق الى افهام السامعين من النبي صلى الله عليه وسلم لفظ الكتاب الا ذلك فلما من اللبس وحصلت فائدة التعريف سواء ذكر باللام او لم يذكر فصد الفائدة الاخرى وهي في الذكر بالتكثير وفي تلك الاشياء لما لم تحصل فائدة التعريف الا بالآلة التعريف استعمالها وهذا يؤيد كون

(والبيت المعمور) اي الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمارة والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمراته كثرة فاشبهته من الملائكة (والسقف المرفوع) اي السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور (والبحر المسجور) اي المملوء وهو البحر المحيط او الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت فالمراد به الجنس روى ان الله تعالى يجعل الجحار يوم القيامة نارا يسجربها نار جهنم

المراد منه القرآن وكذلك اللوح المحفوظ مشهور (المسئلة الرابعة) ما الفائدة في قوله تعالى في ررق منشور وعظمة الكتاب بلفظه ومعناه لا بخطه ورقه نقول هو اشارة الى الوضوح وذلك لان الكتاب المطوى لا يعلم ما فيه فقال هو في ررق منشور ليس كالكتب المطوية وعلى هذا المراد اللوح المحفوظ فعنه هو منشور لكم لا يمنعكم احد من مطالعته وان قلنا بأن المراد كتاب اعمال كل احد فالتكبير لعدم المعرفة بعينه وفي ررق منشور لبيان وصفه كما قال تعالى كتابا يلقاه منشور وذلك لان غير المعروف اذا وصف كان الى المعرفة اقرب شبا (المسئلة الخامسة) في بعض السور اقسام يجمع كافي قوله تعالى والذاريات وقوله والمرسلات وقوله والنازعات وفي بعضها بأفراد كما في هذه السورة حيث قال والطور ولم يقل والا طوار والبحار ولا سبيا قلنا المراد من الطور الجبل العظيم كالطود كافي قوله تعالى ورفعنا فوقهم الطور اى الجبل فالحكمة فيه نقول في المجموع في اكثرها اقسام بالتحركات والريح الواحدة ليست ثابتة مستمرة حتى يقع القسم بها بل هي متبدلة بأفرادها مستمرة بأنواعها والمقصود منها لا يحصل الا بالتبدل والتغير فقال والذاريات اشارة الى النوع المستمر لا الى الفرد المعين المستقر واما الجبل فهو ثابت قليل التغير والواحد من الجبال دائم زمانا ودهرا فاقسم في ذلك بالواحد وكذلك قوله والنجم والريح ما علم القسم به وفي الطور علم ثم قال تعالى (ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع) اشارة الى القسم عليه وفيه مباحث (الاول) في حرف ان وفيه مقامات (الاول) هي تنصب الاسم وترفع الخبر والسبب فيه هو انها شئت بالفعل من حيث اللفظ والمعنى اما اللفظ فلكون الفتح لازما فيها واختصاصها بالدخول على الاسماء والمنصوب منها على وزن ان أيننا واما المعنى فنقول اعلم ان الجملة الابائية قبل الجملة الانتفاية ولهذا استغنوا عن حرف يدل على الاثبات فاذا قالوا زيد منطلق فهم منه ارادة اثبات الانطلاق زيدو الانتفاية لما كانت بعد المثبتة زيد فيها حرف بغيرها عن الاصل وهو الاثبات فقل ليس زيد منطلقا فصار ليس زيد منطلقا بعد قول القائل زيد منطلق ثم ان قول القائل ان زيدا منطلق مستتب من قوله ليس زيد منطلقا كأن الواضع لما وضع اول زيد منطلق للاثبات وعند الذي يحتاج الى ما غيره اى بلفظ مغير وهو فعل من وجه لانك قد تبني مكانه ما للافية ولهذا ليس است وليسوا فالحق به ضمير الفاعل ولولا انه فعل لما جاز ذلك ثم اراد ان يضع في مقابلة ليس زيد منطلقا جملة ابائية فيها لفظ الاثبات كما ان في النافية لفظ النفي فقال ان ولم يتصد ان ان فعل لان ليس يشبه بالفعل لمافيه من معنى الفعل وهو التثنية فثنيها غيرت الجملة عن اصلها الذي هو الاثبات واما ان فلم تغير الجملة على ما كانت عليه ابائية فصارت مشبهة بالفعل وهي ليس وهذا ما يقوله الخويون في ان وان وكان وليت ولعل انها حروف مشبهة بالافعال ان اعلمت هذا فنقول كما ان ليس لها اسم كالفاعل وخبر كما ان قول ليس زيد ثانيا بالرفع والنصب كما تقول بات زيد كريما

(ان عذاب ربك لواقع اى)  
النازل حتما جواب للقسم وقوله  
تعالى (ماله من دافع) اما خبر بان  
لان اوصفة لواقع ومن دافع اما  
مبتدأ للظرف او مرتفع به على  
الفاعلية ومن مزيدة للتأكيد  
وتخصيص هذه الامور بالاقسام بها  
لما انها امور عظام تنبئ عن عظم  
قدرة الله تعالى وكال علمه وحكمته  
الدالة على احاطته تعالى بتفاصيل  
عمال العباد وضبطها الشاهدة  
بصدق اخباره التي من جللتها  
الجملة المقسم عليها وقوله تعالى

فكذلك ان لها اسم وخبر لكن اسمها يخالف اسم ليس وخبرها خبرها فان اسم ان منصوب وخبرها مرفوع لان ان لما كانت زيادة على خلاف الاصل لانها لا تقيد الا بالابت الذي كان مستفادا من غير حرف وليس لما كانت زيادة على الاصل لانها تغير الاصل ولو لاهما لما حصل المقصود جعل المرفوع والمنصوب في ليس على الاصل لان الاصل تقديم الفاعل وفي ان جعل ذلك على خلاف الاصل وقدم المشبه بالمفعول على المشبه بالفاعل تقدما لازما فلا يجوز ان يقال ان منطلق زيدا وهو في ليس منطلقا زيد جائز كما في الفعل لانها فعل (المقام الثاني) هي لم تكسر تارة وتفتح اخرى بقول الاصل فيها الكسرة والفتحة لعارض وان كان هذا في الظاهر يخالف قول النحاة لكن في الحقيقة هي كذلك (المقام الثالث) لم تدخل اللام على خبر ان المكسورة دون المفتوحة قلنا قد خرج مما سبق ان قول القائل زيد منطلق اصل لان الثبوتات هي المحتاجة الى الاخبار عنها فان التغير في ذلك واما العدميات فعلى اصولها مستمرة ولهذا يقال الاصل في الاشياء البقاء ان السامع له قديم يحتاج الى الرد عليه فيقول ليس زيد منطلقا فيقول هو ان زيدا منطلقا فيقول هو ردا عليه ليس زيد منطلقا فيقول رداعليه ان زيدا منطلقا وان ليست في مقابلة ليس وانما هي متفرعة عن المكسورة (المبحث الثاني) قوله تعالى عذاب ربك فيه لطيفة عززة وهي انه تعالى لو قال ان عذاب الله لواقع والله اسم منى عن العظمة والهيبة كان يخاف المؤمن بل انى صلى الله عليه وسلم من ان يلحقه ذلك لكونه تعالى مستغنيا عن العالم بأسره فضلا عن واحد فيه قائمه بقوله ربك فانه حين يسمع لفظ الرب يأمن (المبحث الثالث) قوله لواقع فيه اشارة الى الشدة فان الواقع والواقع من باب واحد فالواقع ادل على الشدة من الكائن \* ثم قال تعالى ماله من دافع والبحث فيه قد تقدم في قوله تعالى وماربك بظلام للعبيد وقد ذكرنا ان قوله والطور والانبث المعمر والبحر المسجور فيه دلالة على عدم الدافع فان من يدفع عن نفسه عذابا قديدا دفع التحصن بقلل الجبال ولجج البحار ولا ينفع ذلك بل الوصول الى السقف المرفوع ودخول البيت المعمر لا يدفع \* ثم قال تعالى (يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما الناصب ليوم نقول المشهور ان ذلك هو الفعل الذي يدل عليه واقع اي يقع العذاب يوم تمور السماء مورا والذي اظنه انه هو الفعل المدلول عليه بقوله ماله من دافع وانما قلت ذلك لان العذاب الواقع على هذا ينبغي ان يقع في ذلك اليوم لكن العذاب الذي به التخويف هو الذي بعد الخسر ومور السماء قبل الخسر واما اذا قلنا معاه ليس له دافع يوم تمور فيكون في معنى قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا كما أنه تعالى يقول ماله من دافع في ذلك اليوم وهو ما اذا صارت السماء تمور في اعينكم والجبال تسير وتحققون ان الامر لا ينفع شيئا ولا يدفع (المسئلة الثانية) مامور السماء نقول خروجها عن مكانها تتردد وتموج والذي نقوله الفلاسفة قد علمت ضعفه مرارا وقوله

(يوم تمور السماء مورا) ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منى عن كمال هوله وفضاعته والمور الاضطراب والتردد في المجي والذهاب وقيل هو تمركز في تموج قيل تدور السماء كما تدور الرحاوت تكفأ بأهلها كنفؤ السفينة وقيل تختلف احزائها (وتسير الجبال سيرا) اي تزلزل عن وجه الارض فتصير هباء وبأ كيد العليلين بمصدر يهما للاذنان يعرايتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة اي مورا عجيبا وسيرا يدعى لا يدرك كنههما (فويل يومئذ للمكذبين) اي اذا وقع ذلك او اذا كان الامر كما ذكر فويل يوم اذ يقع ذلك لهم (الدين هم في خوض) اي اندفاع بحسب في الاباطيل والا كاديب (يلعبون) يلهاون

تعالى وتسير الجبال سيرا يدل على خلاف قولهم وذلك لانهم وافقوا على ان خروج  
الجل العظيم عن مكانه جائز وكيف لا وهم يقولون بأن زلزلة الارض مع ما فيها من الجبال  
ببخار يجتمع تحت الارض فيحركها واذا كان كذلك فقول السماء قابله للحركة  
باخراجها خارجة عن السمities والجبل ساكن يقتضى طبعه السكون واذا قبل جسم  
الحركة مع انها على خلاف طبعه فلان يقبلها جرم آخر مع انها على موافقته اولى وقولهم  
القابل للحركة المستديرة لا يقبل الحركة المستقيمة في غاية الضعف وقوله مورا يقيد فائدة  
جلية وهى ان قوله تعالى وتسير الجبال يحتمل ان يكون بيانا لكيفية مور السماء وذلك  
لان الجبال اذا سارت وسيرت معها سكانها يظهر ان السماء كالسيارة الى خلاف تلك  
الجهة كما يشاهده راكب السفينة فانه يرى الجبل الساكن متحركا فكان لقائل ان يقول  
السماء تمور في رأى العين بسبب سير الجبال كما يرى القمر سائرا راكب السفينة والسماء  
اذا مارته كذلك فلا يبقى مهرب ولا مفرج لا في السماء ولا في الارض (المسئلة الثالثة)  
ما السبب في مورها وسيرها قلنا قدرة الله تعالى واما الحكمة فالايذان والاعلام بان  
لا عود الى الدنيا وذلك لان الارض والجبال والسماء والنجوم كلها لعبارة الدنيا والانتفاع  
لبنى آدم بها فان لم يتفق لهم عود لم يبق فيها نفع فأعدمها الله تعالى (المسئلة الرابعة)  
لو قال قائل كنت وعدت ببحث في الزمان يستفيد العاقل منه فوائد في اللفظ والمعنى  
وهذا موضعه فان الفعل لا يضاف اليه شئ غير الزمان فيقال يوم يخرج فلان وحين يدخل  
فلان وقال الله تعالى يوم ينفع الصادقين وقال يوم تمور السماء وقال يوم خلق السموات  
والارض وكذلك يضاف الى الجملة فالسبب في ذلك فقول الزمان ظرف الافعال كما ان  
المكان ظرف الاعيان وكان جوهر من الجواهر لا يوجد الا في مكان فكذلك عرض  
من الاعراض لا يتحدد الا في زمان وفيهما تحير خلق عظيم فقالوا ان كان المكان جوهر  
فله مكان آخر ويتسلسل الامر وان كان عرضا فالعرض لا بد له من جوهر والجوهر لا بد له  
من مكان فيدور الامر او يتسلسل وان لم يكن جوهر او لا عرضا فالجوهر يكون حاصل  
فيما لا وجود له او فيما لا اشارة اليه وليس كذلك وقالوا في الزمان ان كان الزمان غير متجدد  
فيكون كالامور المستمرة فلا يثبت فيه المضي والاستقبال وان كان متجددا وكل متجدد  
فهو في زمان فلزمان زمان آخر فيتسلسل الامر ثم ان الفلاسفة التزموا التسلسل في  
الازمنة ووقعوا بسبب هذا في القول بقدم العالم ولم يلتزموا التسلسل في الامكنة وفرقوا  
بينهما من غير فارق وقوم التزموا التسلسل فيهما جميعا وقالوا ان تقدم ازمان لانهاية لها  
لا تترادوا واما لانهاية لها وهم وان خالفونا في المستثنين جميعا والفلاسفة وافقوا  
في احدهما دون الاخرى لكنهم سلكوا جادة الوهم ولم يتركوا على انفسهم سبيل  
الالتزام في الارمان فان قيل فالمجدد الاول قبله ماذا نقول ليس قبله شئ فان قيل ذلك  
قبله او قبله عدمه نقول قولنا ليس قبله شئ اعم من قولنا قبله عدمه لانا اذا قلنا ليس قبل

آدم حيوان بأله رأس صدقاً رداً مستلزماً بذلك جوداً اسم الحيوان بالأساس  
 أو حيوان بالأساس بعد آدم لا تنفاه ذلك الحيوان أولاً وآخره وعدم دخوله في الوجود  
 أزلاً وأبداً فكذلك ما قلنا فان ذيل هذا لا يصح لأن الله تعالى شيء موجود وهو قبل  
 العالم نقول قولنا ليس قبل المتجدد الأول شيء معناه ليس قبله شيء بالزمان وأما الله تعالى  
 فليس قبله بالزمان إذ كان الله ولا زمان والزمان وجد مع المتجدد الأول فان قيل فامعنى  
 وجود الله قبل كل شيء غيره نقول معناه كان الله ولم يكن شيء غيره لا يقال ماذا كرت  
 إنبات شيء بشيء ولا يثبت ذلك الشيء إلا بما ترومون إثباته فان بداية الزمان غيرهم وهو  
 مبنى على المتجدد الأول والزمان في المتجدد فان عندنا الخضم ليس في الوجود متبداً أولاً  
 بل قبل كل متجدد متجدد لا نقول نحن ماذا كرتنا ذلك دليلاً وإنما ذكرناه بياناً لعدم الزمان  
 وأنه لا يرد علينا شيء إذا قلنا بالحدوث ونهاية الأبعاد والازموم والالزام فيسلم الكلام الأول  
 سم يلزم ويقول ألسنت تقول ان لنا متجدداً أولاً فكذلك قل له عدم فتقول لا ليس  
 امر بالزمان فيكون ذلك نفياً عاماً وإنما يكون ذلك لانتهاء الزمان يكرنا في المال  
 علمت هذا فصار الزمان تارة موجوداً مع عرض وأخرى موجوداً بما عرضي ذروره  
 هذا وغيره من الأيام كلها صارت متميزة بالمتجدد الأول والمتجدد الأول له زمان دوامه  
 إذا عرفت ان الزمان والمكان امرهما مشكل بالنسبة إلى بعض الأفهام والأمر ان  
 يعرف بالوصف والإضافة فأنك إذا قلت غلام لم يعرف فاذا وصفته أو أضفته وقلت  
 غلام صغير أو كبير أو أبيض أو أسود قرب من الفهم وكذلك إذا قلت غلام زيد قرب ولم يكن  
 يد من معرفة الزمان ولا يعرف الشيء إلا بما يختص به فأنك إذا قلت في الإنسان حيوان  
 موجود بعده عن الفهم وإذا قلت حيوان طويل القامة قربته منه ففي الزمان كان  
 لا يعرف بما يختص به لأن الفعل الماضي والمستقبل والحال يختص بأزمنة والمصدر  
 زمان مطابق فلو قلت زمان الخ وجب تميز عن زمان الدخول وذيره فاذ قلت يوم خرج أد  
 ما أفاد قولك يوم الخروج مع زيادة هو انه تميز عن يوم يخرج والاصح ان ما هو اشتراك  
 اولي كما أنك إذا قلت غلاماً رجلاً ميزته عن غلام امرأة وأنت غلام زيد زدت عليه  
 في الافادة وكان أحسن كذلك قواماً يوم خرج اتعريف ذلك اليوم خير من قولك يوم  
 الخروج فظاهر من هذا البعد ان الزمان يضاف إلى الفعل وغيره لا يضاف لاختصاص  
 الفعل بالزمان دون غيره إلا المكان في قوله اجلس حيث يجلس فان حيث يضاف إلى الحمل  
 مما نظرف المكان الخارف الزمان أما الحمل فهي انما يصح واسطة تضمها الفعل فلا  
 يمان يومه شيء شيء زيد في ج و رهما الله الله ان شيئاً  
 امة ما بالزمان لا شيء حين ما سى ولذا لا تزل و ذلك ان  
 الزمان يحدد بعد تبيد ولا في احد انما سيرة تجري و بعد كل حركة اخرى و بعد  
 زمان زمان واليه الإشارة بقوله تعالى كل يوم هو في شأن أى قبل الخلق لم يخلق شيء

اسكنه بعد ما خلق فهو ابداء دائما يخلق شيئا بعد شيء فبعد حياتنا موت وبعد موتنا حياة وبعد حياتنا حساب وبعد الحساب ثواب دائم او عقاب لازم ولا يترك الله الفعل فلما بعد الزمان عن النفي زيد في الحروف النافية زيادة فان قيل فالله تعالى ابعد عن الانتفاء فكان ينبغي ان لا تقرن التاء بكلمة لا هناك نقول في لات حين مناص تأويل وعليه لا يرد ما ذكرتم وهو ان لا هي المشبهة بليس تقديره ليس الحين حين مناص وهو المشهور ولذلك اختص بالحين دون اليوم والليل لان الحين اودم من الليل والنهار فالليل والنهار قد لا يكون والحين يكون \* ثم قال تعالى ( فويل يَوْمُئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ) اى اذا علم ان عذاب الله واقع وانه ليس له دافع فويل اذ المكذبين فالفاء لاتصال المعنى وهو الايدان بأمان اهل الايمان وذلك لانه لما قال ان عذاب ربك لواقع لم يبين بأن موقعه بمن فلما قال فويل يَوْمُئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ علم المخصوص به وهو المكذب وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) اذا قلت بان قوله ويل يَوْمُئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بيان لمن يقع به العذاب وينزل عليه فن لا يكذب لا يعذب فأهل الكبار لا يعذبون لانهم لا يكذبون نقول ذلك العذاب لا يقع على اهل الكبار وهذا كما في قوله تعالى كلما التقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا فنقول المؤمن لا يلقى فيها لقاء بهوان وانما يدخل فيها ليطهر ادخلنا مع نوع اكرام فكذلك الويل للمكذبين والويل ينبئ عن الشدة وتركيب حروف الواو والياء واللام لا ينفك عن نوع شدة منه لوى اذا دفع ولوى يلوى اذا كان قويا والولى فيه القوة على المولى عليه ويدل عليه قوله تعالى يدعون فان المكذب يدع والمصدق لا يدع وقد ذكرنا جواز التنكير في قوله ويل مع كونه مبتدأ لانه في تقدير المنصوب لانه دعاء ومضى وجهه في قوله تعالى قال سلام والخوض نفسه خص في استعمال القرآن بالاندفاع في الاباطيل ولهذا قال تعالى وخضتم كالذى خاضوا وقال تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وتنكير الخوض يحتمل وجهين ( احدهما ) ان يكون للتكثير اى في خوض كامل عظيم ( ثانيهما ) ان يكون التنوين نعو ايضا عن المضاف اليه كما في قوله تعالى الاوقوله وان كلا وبعضهم بعض والاصل في خوضهم المعروف منهم وقوله الذين هم في خوض ليس وصف المكذبين بما يميزهم وانما هو للذم كما انك تقول الشيطان الرجيم ولا تريد فصله عن الشيطان الذى ليس برجيم بخلاف قولك اكرم الرجل العالم فالوصف بالرجيم للذم به لا للتعريف وتقول في المدح الله الذى خلق والله العظيم للمدح لا للتمييز ولا للتعريف عن الله لم يخلق اواله ليس بعظيم فان الله واحد لا غير \* ثم قال تعالى ( يوم يدعون الى نار جهنم دعا ) وفيه مباحث لفظية ومعنوية اما اللفظية ففيها مسائل ( الاولى ) يوم منصوب بماذا نقول الظاهر انه منصوب بما بعده وهو ما يدل عليه قوله تعالى هذه النار تقديره يوم يدعون يقال لهم هذه النار التى كنتم بها تكذبون ويحتمل غير هذا وهو ان يكون يوم بدلا عن يوم في يومئذ تقديره فويل يومئذ

( يوم يدعون الى نار جهنم دعا ) اى يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بان تلعلل ايديهم الى اغناهم وتجمع نواصيهم الى اقداهم فبدفخوا الى النار وهى يدعون من الدعاء فيكون دعاء لا معنى مدعو عين ويوم اما بدل من يوم تمور واخرى بقول مقدر قيل قوله تعالى ( هذه النار التى كنتم بها تكذبون ) اى يعال لهم ذلك ومعنى التكذيب دها بكديهم بالوحى اللطيق به وقوله تعالى ( افسح هذا ) توبع وتقرع لهم حيب كانوا يسعون سحرا كانه قيل كنتم تقولون للقرآن اللطيق بهذا سحر فهذا ايضا سحر وتقديم الخبر لانه محط الاسكار ومدار الوعيد ( ام ام لا تبصرون ) اى ام ام عمى عن الخبر عنه كما كنتم عميانا الجبروا ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا



للكاذبين يوم يدعون اى المكذوبون وذلك ان قوله يومئذ معناه يوم يقع العذاب وذلك اليوم هو يوم يدعون فيه الى النار (المسئلة الثانية) قوله يدعون الى نار يدل على هول نار جهنم لان خزنتها لا يقربون منها وانما يدفعون اهلها اليها من بعيد ويلقونهم فيها وهم لا يقربونها (المسئلة الثالثة) دما مصدر وقد ذكرت فائدة ذكر المصادر وهى الايدان بأن الدع دع معتبر يقال له دع ولا يقال فيه ليس بدع كما يقول القائل فى الضرب الخفيف مستحقرا له هذا ليس بضرب والعدو المهيمن هذا ليس بعدو فى غير المصادر والرجل الخفير ليس برجل الاعلى قراءة من قرأ يدعون الى نار جهنم دما فان دما حيثئذ يكون منصوبا على الحال تقديره يقال لهم هلموا الى النار مدعوين اليها + اما المعنوية فنقول قوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم يدل على ان خزنتها يقذفونهم فيها وهم بعداء عنها وقال تعالى يوم يسحبون فى النار نقول الجواب عنه من وجوه (احدها) ان الملائكة يسحبونهم فى النار ثم اذا قربوا من نار مخصوصة هى نار جهنم يقذفونهم فيها من بعيد فيكون السحب فى النار والدفع فى نار اشد واقوى ويدل عليه قوله تعالى يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون اى يكون لهم سحب فى حوة النار ثم بعد ذلك يكون لهم ادخال (الثانى) جازان يكون فى كل زمان يتولى امرهم ملائكة قالى البار يدفعهم ملك وفى البار يسحبهم آخر (الثالث) جاز ان يكون السحب بسلاسل يسحبون فى النار والساحب خارج النار (الرابع) يحتمل ان يكون الملائكة يدفعون اهل النار الى النار اهانة واستخفافا بهم ثم يدخلون معهم النار ويسحبونهم فيها \* ثم قال تعالى (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) على تقدير يقال \* ثم قال تعالى (افسح هذا ام انتم لاتصبرون) تحقيقا للامر وذلك لان من يرى شيئا ولا يكون الامر على ما يراه فذلك الخطأ يكون لاجل احد امرين اما الامر عائد الى المرقى واما الامر عائد الى الراى فقوله افسح هذا اى هل فى المرقى شك ام هل فى بصركم خلل استفهام انكار اى لا واحد منهما بابت فالذى ترونه حق وقد كنتم تقولون انه ليس بحق وانما قال افسح وذلك انهم كانوا ينسبون المرات الى السحر فكانوا يقولون بأن انشقاق القمر واساله سحر وفى ذلك اليوم لما تعلق بهم مع المبصر الالم المدرك بحس المس وبلغ الايلام الغاية لم يمكنهم ان يقولوا هذا سحر والا لما صح منهم طلب الخلاص من النار \* ثم قال تعالى (اصلوها فاصبروا ولا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون) اى اذا لم يمكنكم انكارها وتحقق انه ليس بسحر ولا خلل فى ابصاركم فاصلوها وقوله تعالى فاصبروا ولا تصبروا فيه فائدتان (احدهما) بيان عدم الخلاص وانتفاء المناص فان من لا يصبر يدفع التئ عن نفسه اما بأن يدفع المعذب فينعه واما بان يغضبه فيقتله ويرمجه ولاشئ من ذلك يفيد فى عذاب الآخرة فان من لا يغلب المعذب فيدفعه ولا يتخلص بالاعدام فانه لا يقضى عليه فيموت فاذن

قوله الاعلى قراءة من قرأ يدعون اى من الدعاء وهى قراءة يزيدن على ودعا على حاله كافى الكشف اه

على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكوت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون (اصلوها فاصبروا اولا تصبروا) اى ادخلوها وقاسوا شدائدھا فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه (سواء عليكم) اى الامران فى عدم النفع لا يدفع العذاب ولا تخفيفه وقوله تعالى (انما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل للاستواء فان الجزاء حيب كان واجب الوقوع حتما كان الصبر وعدمه سواء فى عدم النفع (ان المتقين فى جنات ونعيم) اى فى اية جنات و اى نعيم على ان الثنوين للتفخيم او فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على انه للتنويع (فاكهين) ناعمين ملتذذين (عما آتاهم ربهم) وفرى فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف

الصبر كعدمه لان من يصبر يدوم فيه ومن لا يصبر يدوم فيه (الثانية) بيان ما يتفاوت به عذاب الآخرة عن عذاب الدنيا فان المعذب في الدنيا ان صبر برما انتفع بالصبر اما بالجزاء في الآخرة واما بالحمد في الدنيا فيقال له ما اشجعته وما اقوى قلبه وان جزع يذم فيقال يحزع كالصبيان والنسوان واما في الآخرة لامتدح ولانواب على الصبر وقوله تعالى سواء عليكم سواء خبرو مبتدأه مدلول عليه بقوله فاصبروا ولا تصبروا كما أنه يقول الصبر وعدمه سواء فان قيل يلزم الزيادة في التعذيب ويلزم التعذيب على المنوى الذي لم يفعله نقول فيه لطيفة وهى ان المؤمن بإيمانه استفاد ان الخير الذى ينوبه يناب عليه والشر الذى ينوبه ولا يحققه لا يعاقب عليه والكافر بكفره صار على الضد فالخير الذى ينوبه ولا يفعله لا يناب عليه والشر الذى يقصده ولا يقع منه يعاقب عليه ولا ظلم فان الله تعالى اخبر به وهو اختار ذلك ودخل فيه باختياره كأن الله تعالى قال فان من كفر ومات كافرا اعذبه ابدافا حذروا ومن آمن اثيبه دائما فمن ارتكب الكفر ودام عليه بعد ماسمع ذلك فاذا عاقبه المعاقب دائما تحقيقا لما وعده لا يكون ظلما \* ثم قال تعالى (ان المتقين فى جنات ونعيم) على ما هو عادة القرآن من بيان حال المؤمن بعد بيان حال الكافر وذكر الثواب عقيب ذكر العقاب ليم امر التهيب والترغيب وقد ذكرنا تفسير المتقين فى مواضع واجبة وان كانت موضع السرور لكن الناطور قد يكون فى البستان الذى هو فى غاية الطيبة وهو غير متمتع فقوله ونعيم يفيد انهم فيها يتمتعون كما يكون المنفرج لا كما يكون الساطور \* وقوله تعالى (فاكهين) يزيد فى ذلك لان المنعم قد يكون آمار التمتع على ظاهره وقلبه مشغول فلما قال فاكهين يدل على غاية الطيبة \* وقوله تعالى (بما آتاهم ربهم) يفيد زيادة فى ذلك لان الفكه قد يكون خسيس النفس فيفسره ادنى شئ ويفرح بأقل سبب فقال فاكهين لالدنوا همهم بل لعلو نعمهم حيث هى من عند ربهم \* وقوله تعالى (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) يحتمل وجهين (احدهما) ان يكون المراد انهم فاكهون بأمرين (احدهما) بما آتاهم والثانى بأنه وقاهم (وانبيها) ان يكون ذلك جملة اخرى منسوقة على الجملة الاولى كأنه بين انه ادخلهم جنات ونعما ووقاهم عذاب الجحيم \* ثم قال تعالى (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين) وفيه بيان اسباب التمتع على الترتيب فاول ما يكون المسكن وهو الجنات ثم الاكل والشرب ثم الفرس والبسط ثم الازواج فهذه أمور أربعة ذكرها الله على الترتيب وذكر فى كل واحد منها ما يدل على كماله فقوله جنات اشارة الى المسكن والمسكن للجسم ضرورى وهو المكان فقال فاكهين لان مكان التمتع قد يتنقض بأمور وبين سبب الفكاهة وعلو المرتبة بكونه مما آتاهم الله وقد ذكرنا هذا واما فى الاكل والشرب والاذن المطلق فتذكر المأكول والمشروب لتنوعهما وكثرتهما وقوله تعالى هنيئا

لغو متعلق بالخبر او خبر آخر (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) عطف على آتاهم على ان مصدرية او على خبر ان احوال باضمار قد امان المستكن فى الخبر او فى الحال واما من فاعل آتى او من مفعوله او منهما واظهار الرب فى موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتسريف والتعليل (كلوا واشربوا) اى يعال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا (هنيئا) او طعاما وشربا هنيئا وهو الذى لاتعصب فيه (بما كنتم تعملون) بسببه او بمقابلته وقبل الباء الزائدة وما فاعل هنيئا اى هنا ما كنتم تعملون اى جراؤه (متكئين على سرر مصفوفة) مصطفة (وزوجناهم بحور عين) وقرئ بحور عين على اضافة الموصوف الى صفته بالتأويل

اشارة الى خلوهما عما يكون فيهما من المفسد في الدنيا منها ان الآكل يخاف من المرض فلا يهناه الطعام ومنها انه يخاف النفاد فلا يعمحو بالاكل والكل منتف في الجنة فلا مرض ولا انقطاع فان كل احد عنده ما يفضل عنه ولا ام ولا تعب في تحصيله فان الانسان في الدنيا ربما ترك لذة الاكل لما فيه من تهيئة المأكل بالطبخ والتحصيل من التعب او المنة او ما فيه من قضاء الحاجة واستعداد ما فيه فلا يتهاون وكل ذلك في الجنة منتف وقوله تعالى بما كنتم تعملون اشارة الى انه تعالى يقول اى مع اى ربكم وخالفكم وادخلتكم بفضل الجنة وانما منى عليكم في الدنيا اذ هديتكم ووقتكم للاعمال الصالحة كما قال تعالى بل الله يمين عليكم ان هذا لكم للايان واما اليوم فلان عليكم لان هذا انجاز الوعد فان قيل قال في حق الكفار انما تجزون ما كنتم تعملون وقال في حق المؤمنين بما كنتم تعملون فهل بينهما فرق قلت بينهما بون عظيم من وجوه (الاول) كلمة انما المحصر اى لا تجزون الا ذلك ولم يذكر هذا في حق المؤمن فانه يحجزه اضعاف ما عمل ويزيده من فضله وحيث ان كان يمين الله على عبده فيمن بذلك لا بالاكل والشرب (الثاني) قال هنا بما كنتم وقال هناك ما كنتم اى تجزون عين اعمالكم اشارة الى المبالغة في المماثلة كما تقول هذا عين ما عملت وقد تقدم بيان هذا وقال في حق المؤمن بما كنتم كائن ذلك امر ثابت مستمر بعملكم هذا (الثالث) ذكر الجزاء هناك وقال ههنا بما كنتم تعملون لان الجزاء ينبئ عن الانقطاع فان من احسن الى احد فاقى بجزائه لا يشوق الحسن منه شيئا آخر \* فان قيل قاله تعالى قال في مواضع جزاء بما كنتم تعملون في الثواب نقول في تلك المواضع لم لم يخاطب المجزى لم يقل تجزى وانما أتى بما يفيد العلم بالدوام وعدم الانقطاع \* واما في السرر فذكر أمورا أيضا (احدها) الاتكاء فانه هيئة تختص بالنعم والفسارغ الذى لا كلفة عليه ولا تكلف لديه فان من يكون عنده من يتكلف له يجلس له ولا يتكى عنده ومن يكون في مهم لا يتفرغ للاتكاء فلهيئة دليل خير نعم الجمع يحتمل امرين (احدهما) ان يكون لكل واحد سرور وهو اظاهر لان قوله مصفوفة يدل على انها لواحد لان سرر الكل لا تكون في موضع واحد مصفوفة ولفظ السرر فيه حروف السرور بخلاف النحت وغيره وقوله مصفوفة دليل على انه مجرد العظم فانها لو كانت متفرقة لقيس في كل موضع واحد ليتكى عليه صاحبه اذا حضر في هذا الموضع وقوله تعالى وزوجناهم اشارة الى النعمة الرابعة وفيها أيضا ما يدل على كمال الحال من وجوه (أحدها) انه تعالى هو المزوج وهو يتولى الطرفين يزوج عباده بامائه ومن يكون كذلك لا يفعل الا ما فيه راحة العباد والاماء (ثانيها) قال وزوجناهم بحور ولم يقل وزوجناهم حورا مع ان لفظ التزويج ينعدي فعله الى مفعولين بغير حرف يقال زوجتكها قال تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وذلك اشارة الى ان المنفعة في التزويج لهم وانما زوجوا لذتهم بالحور لا للذة الحور بهم وذلك لان المفعول

قرله وقرى بعين عين في الكشف  
وقرى بعبس عين اه

المشهور وقرى بعين عين والباء  
مع ان التزويج مما يتعدى الى  
مفعولين لانه من معنى الوصل  
والا لضاف اول السببية اذ المعنى  
صيرناهم ازواجا بسببهن فان  
الزوجه لا تحقق بدون انضمامهن  
اليهن وقوله تعالى (والذين آمنوا)  
كلام مستأنف مسوق لبيان حال  
طائفة من اهل الجنة اثر بيان  
حال الكل وهم الذين شاركهم  
ذريتهم في الايمان وهو مبتدأ  
خبره الحقنا بهم وقوله تعالى  
(واتبعهم ذريتهم) عطف على  
آمنوا وقيل اعتراض وقوله تعالى  
(بايمان) متعلق بالاتباع اى اتبعهم  
ذريتهم بايمان في الحلة فاصر  
عن رتبة ايمان الاباء واعتبار هذا  
القيد للايدان بثبوت الحكم في  
الايمان الكامل اصالة لا اخافا  
وقرى ذرياتهم بالمبالغة في الكثرة

بغير حرف يعلق الفعل به كذلك التزويج يعلق بهم ثم بالخور لان ذلك بمعنى جعلنا  
ازدواجهم بهذا الطريق وهو الخور (ثالثها) عدم الاقتصار على الزوجات بل وصفهن  
بالحسن واختار الاحسن من الاحسن فان احسن ما في صورة الاكدمى وجهه واحسن  
ما في الوجه العين ولا نال الخور والعين يدلان على حسن المزاج في الاعضاء ووفرة المادة  
في الارواح اما حسن المزاج فعلامته الخور واما وفرة الروح فان سعة العين بسبب كثرة  
الروح المصوبة اليها فان قيل قوله زوجناهم ذكره بفعل ماضٍ ومنكئين حال ولم يسبق  
ذكر فعل ماضٍ يعطف عليه ذلك وعطف الماضي على الماضي والمستقبل على المستقبل  
احسن نقول الجواب من وجوه اثنان لفظيان ومعنوي (احدهما) ان ذلك حسن  
في كثير من المواضع تقول جاء زيد ويحيى عمرو وخرج زيد (ثانيها) ان قوله تعالى ان  
المتقين في جنات ونعيم تقديره ادخلناهم في جنات وذلك لان الكلام على تقدير ان في  
اليوم الذي يدع الكافر في النار في ذلك الوقت يكون المؤمن قد ادخل مكانه فكانه تعالى  
يقول في يوم يدعون الى نار جهنم ان المتقين كاثنون في جنات (والثالث المعنوي) وهو  
انه تعالى ذكر مجزة الحكم فهو في هذا اليوم زوج عباده حورا عينا وهن منتظرات  
الزفاف يوم الازفة \* ثم قال تعالى (والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقناهم  
ذرياتهم) وفيه لطائف (الاولى) ان شفقة الابوة كما هي في الدنيا متوفرة كذلك في الآخرة  
ولهذا طيب الله تعالى قلوب عباده بانه لا يولدهم باولادهم بل يجمع بينهم فان قيل قد  
ذكرت في تفسير بعض الآيات ان الله تعالى يسلي الآباء عن الابناء وبالعكس ولا يتذكر  
الاب الذي هو من اهل الجنة الابن الذي هو من اهل النار تقول الولد الصغير وجد في  
والده الابوة الحسنة ولم يوجد لها معارض ولهذا الحق الله الولد بالوالد في الاسلام في دار  
الدنيا عند الصغر واذا كبر استقل فان كفر ينسب الى غير ابيه وذلك لان الاسلام  
للمسلمين كالأب ولهذا قال تعالى انما المؤمنون اخوة جمع أخ بمعنى اخوة الولادة  
والاخوان جمعه بمعنى اخوة الصداقة والمحبة فاذا كفر من حيث الحس والعرفاء  
فان خالف دينه دين ابيه صار له من حيث الشرع اب آخرو فيه ارشاد الآباء الى ان  
لا يشغلهم شيء عن الشفقة على الولد فيكون من القبيح الفاحش ان يشغل الانسان  
بالفرج في البستان مع الاحبة والاخوان عن تحصيل قوت الولدان وكيف لا يشغل  
اهل الجنة بما في الجنة من الخور العين عن اولادهم حتى ذكروهم فاراح الله قلوبهم بقوله  
الحقناهم ذرياتهم واذا كان كذلك فما ظنك بالفاسق الذي يذر ماله في الحرام ويترك  
اولاده يتكففون وجوه اللئام والكرام فعوذ بالله منه وهذا يدل على ان من يورث اولاده  
مالا حلالا يكتب له به صدقة ولهذا لم يجوز للمريض التصرف في اكثر من الثلث (الطيفة  
الثانية) قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم فهذا ينبغي ان يكون دليلا على أنا في الآخرة  
لنحقق بهم لان في دار الدنيا مراعاة الاسباب اكثر ولهذا لم يجر الله عادته على ان يقدم بين

وذرياتهم بكسر الذال وقرئ  
واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم  
تابعين لهم في الايمان وقرئ اتبعهم  
(الحقناهم ذرياتهم) اي في  
الدرجة كما روى انه عليه الصلاة  
والسلام قال انه تعالى يرفع ذرية  
المؤمن في درجة وان كانوا دونه  
لتقربهم عينه ثم تلا هذه الآية  
(وما التناهم) وما نقصنا الآباء  
بهذا الاحاق (من عملهم) من  
نواب عملهم (من شيء) بان اعطينا  
بعض منوباتهم ابناهم فنقص  
منوباتهم ونخط درجاتهم وانما  
رفعناهم الى منزلتهم بمحض  
الفضل والاحسان وقرئ  
التناهم بكسر اللام من الت يأل  
كلم يعلم والاول كضرب يضرب  
ولتناهم من لات بليت وآلناهم  
من آلت يؤلت وولتناهم من  
ولت يلت والكل بمعنى واحد  
هذا وقد قبل

يدى الانسان طعاما من السماء فلم يتسبب له بالزراعة والطحن والجهن لا يأكله وفي الآخرة يؤتبه ذلك من غير سعي جزاءه على ما سعى له من قبل فينبغي ان يجعل ذلك دليلا ظاهرا على ان الله تعالى يلحق به ولده وان لم يعمل عملا صالحا كما اتبعه وان لم يشهد ولم يعتقد شيئا (الطيفة الثالثة) في قوله تعالى بايمان فان الله تعالى اتبع الولد الوالدين في الايمان ولم يتبعه اياه في الكفر بدليل ان من اسلم من الكفار حكمه باسلام اولاده ومن ارتد من المسلمين والعباد بالله لا يحكم بكفر ولده (الطيفة الرابعة) قال في الدنيا اتبعناهم وقال في الآخرة الحقنا بهم وذلك لان في الدنيا لا يدرك الصغير التبع مساواة المتبوع وانما يكون هو تبعا والاب اصلا لفضل الساعي على غير الساعي واما في الآخرة فاذا الحق الله بفضله ولده به جعل له من الدرجة مثل مالا به (الطيفة الخامسة) في قوله تعالى وماالتناهم تطيب لقلوبهم وازالة وهم التوهم ان نواب عمل الاب يوزع على الوالد والولد بل للوالد اجر عمله بفضل السعي ولاولاده مل ذلك فضلا من الله ورجة (الطيفة السادسة) في قوله تعالى من علمهم ولم يقل من اجرهم وذلك لان قوله تعالى وماالتناهم من علمهم دليل على بقاء عملهم كما كان والاجر على العمل مع الزيادة فيكون فيه الاشارة الى بقاء العمل الذى له الاجر الكبير الزائد عليه العظيم العائد اليه ولو قال ماالتناهم من اجرهم لكان ذلك حاصلا بأدنى شيء لان كل ما يعطى الله عبده على عمله فهو اجر كامل ولانه لو قال تعالى ماالتناهم من اجرهم كان مع ذلك يحتمل ان يقال ان الله تعالى تفضل عليه بالاجر الكامل على العمل الناقص وأعطاه الاجر الجزيل مع ان عمله كان له ولولده جيعا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله تعالى والذين آمنوا عطف على ما ذاقوا على قوله ان المتقين (المسئلة الثانية) اذا كان كذلك فلم اعاد لفظ الذين آمنوا وكان المقصود يحصل بقوله تعالى والحقناهم ذريتهم بعد قوله وزوجناهم وكان بصير التقدير وزوجناهم والحقنا بهم نقول فيه فائدة وهوان المتقين هم الذين اتقوا الشرك والمعصية وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال ههنا الذين آمنوا أى بوجود الايمان يصير ولده من اهل الجنة ثم ان ارتكب الاب كبيرة او صغيرة على صغيرة لا يعاقب به ولده بل الوالد وربما يدخل الجنة الابن قبل الاب وفيه لطيفة معنوية وهو انه ورد في الاخبار ان الولد الصغير يشفع لبيه وذلك اشارة الى الجزاء (المسئلة السالمة) هل يجوز غير ذلك نقول نعم يجوز ان يكون قوله تعالى والذين آمنوا عطف على حور عين تقديره زوجناهم بحور عين أى قرناهم بهن والذين آمنوا اشارة الى قوله تعالى اخوانا على سرر متقابلين أى جعلنا شملهم بالارواح والاخوان والاولاد بقوله تعالى وأتبعناهم وهذا الوجه ذكره الزمخشري والاول احسن واصح فان قيل كيف يصح على هذا الوجه الاخبار بلهط الماضي مع انه سبحانه وتعالى بعد ما فرن بينهم قلنا صح في زوجناهم على ما ذكر الله تعالى من تزويجهم منا من يوم خلقهم وان تأخر زمان الاقتران (المسئلة الرابعة) قرى درياتهم في الموضعين

الموصول معطوف على حور والمعنى قرناهم بالحور وبالذين آمنوا أى بالرفقاء والحلسم منهم فتمتعون تارة بملاعبة الحور واخرى بموانسة الاخوان المؤمنين وقوله تعالى واتبعهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى بايمان متعلق بما بعده أى بسبب ايمان عظيم رفع المحل وهو ايمان الآباء الحقنا بدرجاتهم درينهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آباءهم ليم سرورهم ويكمل نعيمهم او بسبب ايمان دائى المنة وهو ايمان الذرية كانه قيل بنى من الايمان لا يؤهلهم لدرجته الآباء الحقناهم بهم (كل امرئ بما كسب رهين) بل هو فعل بمعنى مفعول والمعنى كل امرئ مرهون عند الله تعالى بالعمل

بالجمع وذريتهم فهما بالفرد وقرى في الاول ذريتهم وفي الثاني ذريتهم فهل للثالث وجه  
نقول نعم معنوى لالفظى وذلك لان المؤمن يتبعه ذرياته في الايمان وان لم توجد على معنى  
انه لو وجه له الف ولد لكنوا اتباعه في الايمان حكما وأما الاخلاق فلا يكون حكما انما  
هو حقيقة وذلك في الوجود فالتابع اكثر من المخوق فجمع في الاول وأفرد في الثاني (المسئلة  
الخامسة) ما الفائدة في تكثير الايمان في قوله واتبعناهم ذرياتهم بايمان نقول هو اما  
للتخصيص او للتكثير كانه يقول اتبعناهم ذرياتهم بايمان مخلص كامل او يقول اتبعناهم  
بايمان ما اى شئ منه فان الايمان كاملا لا يوجد في الولد بدليل ان من آمن وله ولد صغير  
حكم بايمانه فاذا بلغ وصرح بالكفر وانكر التبعية قيل بانه لا يكون مرتدا وتبين  
بقوله انه لم يتبع وقيل بانه يكون مرتدا لانه كفر بعد ما حكم بايمانه كالمسلم الاصلى  
فاذن بهذا الخلاف تين ان ايمانه ليس بقوى وهذان الوجهان ذكرهما الزمخشري  
ويحتمل ان يكون المراد غير هذا وهو ان يكون التووين للعوض عن المضاف اليه كما  
في قوله تعالى بعضهم بعض وقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى وبانه هو ان التقدير  
اتبعناهم ذريتهم بايمان اى بسبب ايمانهم لان الاتباع ليس بايمان كيف كان ومن كان  
وانما هو ايمان الآباء لكن الاضافة تنبئ عن تقييد وعدم كون الايمان ايمانا  
على الاطلاق فان قول القائل ماء الشجر وماء الزمان يصح واطلاق اسم الماء من غير  
اضافة لا يصح فقوله بايمان يوهم انه ايمان مضاف اليهم كما قال تعالى فليكن ينفعهم  
ايمانهم لما رأوا بأسنا حيث اثبت الايمان المضاف ولم يكن ايمانا فقطع الاضافة مع  
ارادتها ليعلم انه ايمان صحيح وعوض التووين ليعلم انه لا يوجب الامان في الدنيا الايمان  
الآباء وهذا وجه حسن \* نعم قال تعالى (كل امرئ بما كسب رهين) قال الواحدي هذا  
عود الى ذكر اهل النار فانهم مرتبون في النار واما المؤمن فلا يكون مرتبنا قال تعالى  
كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين وهو قول مجاهد وقال الزمخشري كل امرئ  
بما كسب رهين عام في كل احد مرهون عند الله بالكسب فان كسب خيرا فك رقبته  
والاربق بالرهن والذي يظهر منه انه عام في حق كل احد وفي الآية وجه آخر وهو  
ان يكون الرهين فعلا بمعنى الفاعل فيكون المعنى والله اعلم كل امرئ بما كسب راهن  
اى دائم ان احسن ففي الجنة مؤبدا وان اساء ففي النار مخلدا وقد ذكرنا ان في الدنيا دوام  
الاعمال بدوام الاعيان فان العرض لا يبقى الا في جوهر ولا يوجد الا فيه وفي الآخرة  
دوام الاعيان بدوام الاعمال فان الله يبقى اعمالهم لكونها عند الله تعالى من الباقيات  
الصالحات وما عند الله باق وبالباقى يبقى مع عامله \* ثم قال تعالى (وامددناهم بفاكهة ولحم  
مما يشتهون) اى زدناهم مأكولا ومشروبا اما المأكول فالفاكهة واللحم واما المشروب  
فالكأس الذى يتنازعون فيها وفي تفسيرها لطائف (الطيفة الاولى) لما قال الحقابهم  
ذرياتهم بين الزيادة ليكون ذلك جارا على عادة الملوك في الدنيا اذ ازدادوا في حق عبد من

الصالح فان عمله فكه والا اهلكه  
وعيل بمعنى الفاعل والمعنى كل  
امرئ بما كسب راهن اى دائم  
ثابت وهذا النسب بالمقام فان  
الدوام يقتضى عدم المفاقة بين  
المرء وعمله ومن ضرورته ان  
لا ينقص من نواب الآباء شئ  
فالمجلة لتعليل لما تبليها (وامددناهم  
بفاكهة ولحم مما يشتهون)  
وردناهم على ما كان لهم من  
مبادئ التمتع وفتافو قتام يشتهون  
من موائد النعماء والوان الالاء  
(ينارعون فيها) اى يتعاطون فيها  
هم وحلساؤهم بكمال رغبة  
واستيقاق كما بدى عنه التعبير عن  
دلب بالشازع (كأسا) اى خرا  
تسمية لها باسم محلها (للعوفها)  
اى في شربها حت لا يكلمور  
في اثناء السرب تلفو الحديب  
وسقط الكلام (ولا

عبيدهم يزبدون في اقدار اخبارهم وأقطاعهم واحتار من المأكل ارفع الانواع وهو  
 الفاكهة واللحم فانهما طعام الشعمين وجع اوصافا حسنة في قوله مما يشتهون لانه لو  
 ذكرنوعا فربما يكون ذلك النوع غير مشتهى عند بعض الناس فقال كل احد يعطى  
 ما يشتهى فان قيل الاشتهاه كالجوع وفيه نوع المنقول ليس كذلك بل الاشتهاه به  
 اللذة والله تعالى لا يتركه في الاشتهاه بدون المشتهى حتى يتألم بل المشتهى حاصل مع  
 الشهوة والانسان في الدنيا لا يتألم الا باحد امرين اما باشتهاه صادق وعجزه عن الوصول  
 الى المشتهى واما بحصول انواع الاطعمة والاشربة عنده وسقوط شهوته وكلاهما منتف  
 في الآخرة ( اللطيفة الثانية ) لما قال وما التناهم ونفي النقصان يصدق بحصول المساوى  
 فقال ليس عدم النقصان بالاقصاار على المساوى بل بطريق آخر وهو الزيادة والامداد  
 فان قيل اكثر الله من ذكر الاكل والشرب و بعض العارفين يقولون لخاصة الله بالله  
 شغل شاغل عن الاكل والشرب وكل ماسوى الله تقول هذا على العمل ولهذا قال تعالى  
 جزاء بما كانوا يعملون وقال بما كنتم تعملون واما على العلم بذلك فذلك ولهذا قال لهم فيها  
 فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولاً من رب رحيم اى النفوس ما تنفكه به وللارواح  
 ما تنمنا من القرية والزلفى \* وقوله تعالى ( يتنازعون فيها كأساً ) فيكون ذلك على عادة  
 الملوك اذا جلسوا في مجالسهم للشرب يدخل عليهم نفوا كدولهم وهم على الشرب وقوله  
 تعالى يتنازعون اى يعاطون ويحتمل ان يقال التنازع التجاذب وحينئذ يكون تجاذبهم  
 تجاذب ملاعبة لا تجاذب منازعة وفيه نوع لذة وهو بيان ما هو عليه حال الشراب في الدنيا  
 فانهم يتفاخرون بكثرة الشرب ولا يتفاخرون بكثرة الاكل ولهذا اذا شرب احدهم  
 برى الآخر واجبا ان يشرب مثل ما شربه حريفة ولا يرى واجبا ان يأكل مثل ما اكل  
 نديمه وجليسه \* وقوله تعالى ( لا لغو فيها ولا تأثيم ) وسواء قلنا فيها عائدة الى الجنة او الى  
 الكأس فذكرهما لجرى ان ذكر الشراب وحكاية على ما في الدنيا فقال تعالى ليس في الشرب  
 في الآخرة كل ما فيه في الدنيا من اللغو بسبب زوال العقل من التأثيم الذى بسبب نهوض  
 الشهوة والغضب عند فور العقل والفهم وفيه وجه ثالث وهو ان يقال لا يعتره كما يعترى  
 الشارب بالسرب في الدنيا فلا يؤثم اى لا ينسب الى اثم وفيه وجه رابع وهو ان يكون  
 المراد من التأثيم السكر وحينئذ يكون فيه ترتيب حسن وذلك لان من الناس من يسكر  
 ويكون رزين العقل عديم اعتياد العربة فيسكن وينام ولا يؤذى ولا يتأذى ولا يهذى  
 ولا يسمع الى من هذى ومنهم من يعربد فقال لا لغو فيها \* ثم قال تعالى ( ويطوف عليهم  
 غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون ) اى بالكؤس وقال تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون  
 بأكواب وباريق وكأس من معين وقوله لهم اى ملكهم اعلامهم بقدرتهم على  
 التصرف فيهم بالامر والنهى والاستخدام وهذا هو المشهور ويحتمل وجوها اخرى هو

تأثيم) ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله  
 اى ينسب الى الاثم لو فعله في دار  
 التكليف كما هو ديدن المتأذين  
 في الدنيا وانما ينكلمون بالحكم  
 واحسان الكلام ويفعلون ما يفعله  
 الكرام وقرىء لا لغو فيها ولا  
 تأثيم بالفتح ( ويطوف عليهم ) اى  
 بالكؤس ( غلمان لهم ) اى بمالك  
 مخصوص بهم وقيل هم  
 اولادهم الذين سبقوهم ( كأنهم  
 لؤلؤ مكنون ) مصون في الصدف  
 من بياضهم وصفائهم او مخزون  
 لانه لا تخزن الا الخمين الغالى القيمة  
 قيل لقتادة هذا الحادم فكيف  
 المحمود فقال قال رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم الذى نعى بيده  
 ان فضل الحمد وم على الحادم  
 كفضل القمر ليلة البدر على سائر  
 الكواكب وعنه عليه الصلاة  
 والسلام ان ادنى اهل الجنة منزلة  
 من ينادم الحادم من خدامه  
 فيحييه الف بيا به ليك ليك



انه تعالى لما بين امتياز خيرا الآخرة عن خيرا الدنيا بين امتياز غلمان الآخرة عن غلمان الدنيا فاز الغلمان في الدنيا اذا ملأوا على السادة والملوك يطوفون عليهم لحظ انفسهم اما توقع البقع او لتوفر الصفيح واما في الآخرة فطوفهم عليهم متمحض لهم ولنفعهم ولا حاجة لهم اليهم والغلام الذي هذا شأنه له مزية على غيره وربما بلغ درجة الاولاد وقوله تعالى كأنهم لؤلؤاى في لصعاء ومكنون لبقيد زيادة في صماء الوانهم اوليان انهم كالحجرات لا يبروز لهم ولا خروج من عندهم فهم في اكنافهم \* ثم قال تعالى (واقبل بعضهم على بعض يتسألون قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فن الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم) اشارة الى انهم يعلمون ماجرى عليهم في الدنيا ويند كرونه وكذلك الكافر لا ينسى ما كان له من النعيم في الدنيا فتزداد لذة المؤمن من حيث يرى نفسه انتقلت من السجن الى الجنة ومن الضيق الى السعة ويزداد الكافر ألما حيث يرى نفسه منتقلة من النشرف الى التلف ومن النعيم الى الحبحم ثم يتذكرون ما كانوا عليه في الدنيا من الخشية والخوف فيقولون انا كنا قبل في اهلنا مشفقين وهوانهم يكون تسألهم عن سبب ما وصلوا اليه فيقولون خشية الله كنا نخاف الله فن الله علينا ووقانا عذاب السموم وفيه لطيفة وهوان يكون اشفاهم على فوات الدنيا والخروج منها ومفارقة الاخوان ثم لما نزلوا الجنة علموا خطأهم ثم قال تعالى (فذكر اننا نتبعكم بكاهن ولا يحجون ام يقولون شاعر نترى به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين) وتساؤل الآية بما فيها ظاهر لاند الى دين ان في الوجود قوما يخافون الله ويشفقون في اهلهم والى صلى الله عليه وسلم ما رر بتذكير من يخاف الله تعالى بقوله فذكر بالقرآن من يخاف وعيد خفي من يذكره فوجب التذكير واما الرسول عليه السلام فليس له الا الايتان بما امر به وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في الغناء في قوله فذكر قد علم تعلقه بما قبله فحسن ذكره بالغاء (المسئلة الثانية) معنى الغناء في قوله فانت ايضا قد علم اى انك لست تكاهن فلا تغير ولا تابع أهواءهم فان ذلك سيرة المزور فذكر فانت لست بمزور وذلك سبب التذكير (المسئلة الثالثة) ما رجه تعلق قوله نترى به ريب المنون بقوله شاعر نقول فيه وجهان (الاول) ان العرب كانت تستر عن ابناء الشعراء وتتقأ استهم فان الشتركان دندم يحفظ ويدون رثاوا لاند ارضه والحال مخافة ان يعلبوا بقوة شعره وانما سيدلنا الصبر وربى هوته (الثاني) انه صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الحق دين الله وان الزرع الذى آتيت بهيت ايا الله وكنان بتلى اما ان اعدوا اليه اليس ذلك انا اهره عروا به يناره في حن الهنا نهره لا ناصر له ورسول الله صلى الله عليه وسلم لست بكاهن ولا يحجون ام يقولون شاعر نترى به ريب المنون (المسئلة الرابعة) ما ربه ريب المنون راجع الى ربه من انزل وهو النعمان والى ربه ريب المنون وقيل المنون الدهر وربيه حوادنه وعلى هذا قولهم نترى به ريب من احتمال وجهها آخر وهو ان

(واقبل بعضهم على بعض يتسألون) اى يسأل كل بعض منهم بعضا آخر عن احواله واعماله فيكون كل بعض سائلا ومسؤلا لانه يسأل بعض معين منهم بعضا آخر معين (قالوا) اى المسؤولون وهم كل واحد منهم في الحقيقة (انا كنا قبل) اى في الدنيا (في اهلنا مشفقين) ارفاء القلوب خاشعين من غضبان الله تعالى معتبين بطاعته او وحلين من العقوبة (هن الله علينا) بالرحمة والتوفيق (لحق) ووقانا عذاب السموم (عداب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرى ووقانا بالشديد) انا كنا من قبل ندعوه اى نعبد اونسأله الوفاية (انه هو البر) الحسن (الرحيم) الكبير الرحمة الذى اذا عبد انا واداسئل اجاب وسرى انه بالبحم بمعنى لانه قد كر فابت على ما انت عليه من الذكر بما ازل اليك من الايات والذكر الحكيم ولا تكرت بما يقولون مما لاخير فيه من الاباطيل (فانت بشعمة ربك) بحمده وانعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل (بكاهن ولاعنون) كما يقولون قائلهم الله انى يؤفكون (ام يقولون شاعر نترى به ريب المنون)

يكون المراد انه اذا كان شاهرا مصروف الزمان ربما تضاعف دهره وتورث وهه في ذل  
 لكل فساد امره وكساد شعره ( المسئلة الخامسة ) كيف نال تربصوا بلفظ الامر وامر  
 النبي صلى الله عليه وسلم بوجوب المأمور او بيبذوا و تربصهم ذلك كان حراما نقول  
 ذلك ليس بأمر وانما هو تهديد معناه تربصوا ذلك فانا نترص الهلاككم على حدم ما يقول  
 السيد الغضبان لعبداه افعل ما شئت فاني لست عنك بعافل وهو امر لتهوين الامر على  
 النفس كما يقول القائل لمن يهدده برجل ويقول اشكوك الى زيد فيقول اشكني اى  
 لا يهمنى ذلك وفيه زيادة فائدة وذلك لانه لو قال لا تشكني لكان ذلك دليل الخوف وينافيه  
 معناه فأتى بجواب تام من حيث اللفظ والمعنى فان قيل لو كان كذلك لتسال تربصوا  
 او لا تربصوا كما قال اصبروا او لا تصبروا نقول ليس كذلك لانه اذا قال القائل فيما ذكرناه  
 من المثال اشكني او لا تشكني يكون ذلك مفيدا عدم خوفه منه فاذا قال اشكني يكون  
 ادل على عدم الخوف فكأنه يقول انا فارغ عنه وانما انت تنوهم انه يفيدك فافعل حتى  
 يبطل اعتقادك ( المسئلة السادسة ) في قوله تعالى فاني معكم من المتربصين وهو يحتمل  
 وجوها (احدها) اني معكم من المتربصين اتربص هلاككم وقذاها كوا يوم بدر وفي  
 غيره من الايام هذا ما عليه الاكثرون والذي نقوله في هذا المقام هو ان الكلام يحتمل  
 وجوها وبيانها هو ان قوله تعالى نتربص به ريب المنون ان كان المراد من المنون الموت  
 فقوله اني معكم من المتربصين معناه اني اخاف الموت ولا اتنمى لانفسى ولا لاحد لعدم  
 علمي بما قدمت يداه واتما انا نذير وانا اقول ما قال ربى فان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم  
 فتربصوا موتى وانما ترصد ولا يسكرم ذلك لعدم حصول ماتوقون بعدى ويحتمل ان  
 يكون كما قيل تربصوا موتى فاني متربص موتكم بالعذاب وان قلنا المراد من ريب المنون  
 صروف الدهر فمعناه انكار كون صروف الدهر مؤثرة فكأنه يقول انا من المتربصين حتى  
 ابصر ماذا يأتي به دهركم الذي تجعلونه مهلكا وماذا يصيبني منه وعلى التقديرين فنقول  
 النبي صلى الله عليه وسلم يترصد ما يترصدون غير ان في الاول ترصد مع اعتقاد الوقوع  
 وفي الثاني ترصد مع اعتقاد عدم التأثير على طريقة من يقول انا ايضا انتظر ما ينتظره  
 حتى ارى ما ذا يكون منكرا عليه وقوع ما يتوقع وقوعه وانما قلنا هذا لان ترك المفعول  
 في قوله اني معكم من المتربصين لكونه مذكورا وهو ريب المنون اولى من تركه واردة غير  
 المذكور وهو العذاب (الثاني) اتربص صروف الدهر ليظهر عدم تأثير هافهو لم يترصد  
 بهم شيئا على الوجهين وعلى هذا الوجه يترصد بقاء بعدهم وارتفاع كلمته فلم يترصد بهم  
 شيئا على الوجهين التي اخترناها فقال اني معكم من المتربصين مع قال تعالى (ام تأمرهم  
 احلامهم بهذا ام هم قوم طغوا) وام هذه ايضا على ما ذكرنا من صلة تقديرها اتزل عليهم  
 ذكر ام تأمرهم احلامهم بهذا وذلك لانه الانبياء اما ان تبنت بسمع واما ان تبت بعقل  
 فقال هل ورد امر سمعي ام عقولهم تأمرهم بما كانوا يقولون ام هم قوم طغوا يغترون

وهو ما يلقى النعوس ويشخص  
 بها من حوادث الدهر وقيل  
 المليون الموت وهو في الاصل  
 حصول من منه اذا قطعه لان الموت  
 قطع اى لا يقولون ينتظره  
 نواب الدهر (قل تربصوا فاني  
 معكم من المتربصين) اتربص  
 هلاككم كما تترصدون هلاكى  
 وفيه عدة كريمة باهلاكهم (ام  
 تأمرهم احلامهم) اى عقولهم  
 (بهذا) اى بهذا التناقض في  
 المقال فان الكاهن يكون  
 ذا فطنة ودقة نظر في الامور  
 والمحتمل مغطى عقله محتمل فكره  
 والشاعر ذو كلام موزون متسق  
 يخيل فكيف يجمع اوصاف  
 هؤلاء في واحد وأمر الاحلام  
 بذلك محاز عن ادائها اليه (ام هم  
 قوم طغوا) محاوزون الحدود  
 في المكابرة والعناد لا يحومون  
 حول الرشد والساد ولذا  
 يقولون ما يقولون من الاكاذيب  
 الحارحة عن دائرة العقول  
 والظنون وقرئ بل هم

ويقولون ما الدليل عليه سماعا ولا مقتضى له عقلا والطغيان مجاوزة الحد في العصبان  
وكذلك كل شيء ظاهره مكروه قال الله تعالى لما طغى الماء وفيه مسائل (الاولى) اذا كان  
المراد ما ذكرت فلم اسقط ما يصدر به نقول لان كون ما يقولون به مسندا الى نقل معلوم  
عدمه لا ينبغي واما كونه معقولا فهم كانوا يدعون انه معقول واما كونهم طاغين فهو حق  
فخص الله تعالى بالذكر ما قالوا به وقال الله به فهم قالوا نحن نتبع العقل والله تعالى قال هم  
طاغون فذكر الامر من الذين وقع فيهما الخلاف (المسئلة الثانية) قوله تأمرهم احلامهم  
اشارة الى ان كل ما لا يكون على وفق العقل لا ينبغي ان يقال وانما ينبغي ان يقال ما يجب  
قوله عقلا فهل صار واجب عقلا مورا به (المسئلة الثالثة) ما الاحلام نقول جمع حلم وهو  
العقل وهما من باب واحد من حيث المعنى لان العقل يضبط المرء فيكون كالبعير المعقول  
لا يتحرك عن مكانه والحلم من الحلم وهو ايضا سبب وقار المرء وبانه وكذلك يقال للعقول  
النهى من النهى وهو المنع وفيه معنى لطيف وهو ان الحلم في اصل اللغة هو ما يراه النائم  
فينزل ويلزمه الغسل وهو سبب البلوغ وعنده يصير الانسان مكلفا وكان الله تعالى من لطف  
حكيمته قرن الشهوة بالعقل وعند ظهور الشهوة كل العقل فاشار الى العقل بالاشارة الى  
ما يقارنه وهو الحلم ليعلم انه نذير كمال العقل لا العقل الذي به يحتز الانسان تخطى الشوك  
ودخول النار وعلى هذا فقيهه تأكيد لما ذكرنا ان الانسان لا ينبغي ان يقول كل معقول  
بل لا يقول الا ما امر به العقل الرزين الذي عدمه يصح التكليف (المسئلة الرابعة) هذا  
اشارة الى ما ذاقوا فيه وحوه (الاول) ان يكون هذا اشارة مبهمه الى هذا الذي يظهر  
منهم قولا وفلا حيث يعبدون الاصنام والاولان ويقولون الهذان من الكلام  
(الثاني) هذا اشارة الى قولهم هو كاهن هو شاعر هو مجنون (الثالث) هذا اشارة الى  
التربص فانهم لما قالوا انت ربص قال الله تعالى اعقولهم تأمرهم بتربص هلاكمهم فان احدا  
لم يتوقع هلاك نبيه الاوهالك (المسئلة الخامسة) هل يصح ان تكون ام في هذا الموضع  
بمعنى بل نقول نعم تقديره يقولون انه شاعر قولا بل يعتقدونه عقلا ويدخل في عقولهم ذلك  
اي ليس ذلك قولا منهم من غير عقل بل يعتقدون كونه كاهنا ومجنونا ويدل عليه قراءة  
من قرأ بل هم قوم طاغون لكن بل ههنا واضح وفي قوله بل تأمرهم احلامهم خفي  
\* ثم قال تعالى (ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون) وهو متصل بقوله تعالى ام يقولون شاعر  
نترص به وتقديره على ما ذكرنا اتقولون كاهن ام تقولون شاعر ام تقوله \* ثم قال تعالى  
اسطلان جميع الاقسام (فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) اي ان كان هو شاعر افبيكم  
الشعراء البلاء والكهنة الاذكياء ومن يرتجل الخطب واقصاؤه ويقص القصص  
ولا يختلج بالقص والزائد فليأتوا بمثل ما لقي به والتقول يراد به الكذب وفيه اشارة الى  
معنى لطيف وهو ان المتفعل للتكلف واردة النسي وهو ليس على ما يرى يقال تمرض فلان  
اي لم يكن مريضا وأردء من نفسه المرض وحينئذ كانوا يقولون كاذب وليس

(ام يقولون تقوله) اي اختلعه  
من لقاء نفسه (بل لا يؤمنون)  
فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه  
الاباطيل التي لا ينبغي على احد  
دطلانها كيف لا وما رسول الله  
صلى الله عليه وسلم الا واحد من  
العرب فكيف اتى بما يجزع عنه  
كافة الامم من العرب والعجم  
(فليأتوا بحديث مثله) مثل  
القرآن في العوت التي اسفل  
بها من حيث النظم ومن حيث  
المعنى (ان كانوا صادقين) فيما زعموا  
ان صدقهم في ذلك يستدعي  
قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية  
شاركهم له عليه الصلاة والسلام  
في البرية والعريه مع ما لهم من  
طول الممارسة للخطب والاشعار  
وكثرة المراولة لاساليب النظم  
والثر والمبالغة في حفظ الوقائع  
والايام ولا ريب في ان القدرة  
على الشيء من موجبات الاتيان  
باودواى الامر بذلك

بقوله انه وتقول سورته - سورة القول وايس في الحقيقة به ليعلم ان المكذب هو الصادق  
 وتوله تعالى بل لا يره ون بيان هذا انه كانوا في زمان نزول الوحي وحصول المعجزة كانوا  
 يشاهدونها وكان ذلك يقتضي ان يسهروا له عند غيرهم ويكونوا كالتجوم للمؤمنين كما  
 كانت الصحابة رضي الله عنهم وهم لم يكونوا كذلك بل اقل من ذلك لم يكونوا ايضا وهوان  
 يكونوا من آحاد المؤمنين الذين لم يشهدوا تلك الامور ولم يذمهم الامر عندهم ذلك الظهور  
 وقوله تعالى فليأتوا الفاء للتعقيب اي اذا كان كذلك فيجب عليهم ان يأتوا بمثل ما أتى به  
 ليصح كلامهم ويبطل كلامه وفيه مباحث (الاول) قال بعض العلماء فليأتوا امر تعجيز  
 بقوله القائل لمن يدعي امر او فعلا ويكون غرضه اظهار عجزه والظاهر ان الامر ههنا  
 مبق على حقيقته لانه لم يقل اتوا مطلقا بل قال اتوا ان كنتم صادقين وعلى هذا  
 التقدير ووجود ذلك الشرط يجب الاتيان به وامر التعجيز في كلام الله تعالى قوله  
 تعالى ان الله يأتي بالسمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر وايس هذا  
 بخنا يورث خلا في كلامهم (الثاني) قالت المعتزلة الحداث محدث والمرآن سماه حديثا  
 فيكون محدثا بقول الحديث اسم مشترك يقال للمحدث والقديم ولهذا يصح ان يقال  
 هذا حديث قديم بمعنى متقدم العهد لا بمعنى سلب الاوليه وذلك لاتزاحفه (الثالث)  
 الحجة يقولون الصفة تشع الموصوف في التعريف والتكثير لكن الموصوف حديث وهو  
 مذكور ومل مضاف الى القرآن والمضاف الى المعرف معرف فكيف هذا نقول مثل وغير  
 لا تعرفان بالاضافة وكذلك كل ما هو منلهما والسبب ان غيرا ومثلا واما لهما في غاية  
 التكثير فانك اذا قلت ما رأيت شيئا مثل زيد يتناول كل شيء فان كل شيء مثل زيد في كونه  
 شيئا فالجناد مثله في الجسم والحجم والامكان والنبات مثله في النشو والنماء والذبول والفناء  
 والحيوان مثله في الحركة والادراك وغيرهما من الاوصاف واما غير فهو عند الاضافة  
 ينكر وعند قطع الاضافة ربما يتعرف فانك اذا قلت غير زيد صار في غاية الابهام فانه يتناول  
 امور الاحصر لها واما اذا قطعت عن الاضافة ربما نقول الغير والمعامرة من باب واحد  
 وكذلك التغير فبجعل الغير كاسماء الاجناس او بجعله متدا وتريده معنى معين (البحث  
 الرابع) ان كانوا صادقين اي في قولهم تقوله وقد ذكرنا ان ذلك راجع الى ماسبق من انه  
 كاهن وانه مجنون وانه شاعر وانه متقول ولو كانوا صادقين في شيء من ذلك لهان عليهم  
 الاتيان بمثل القرآن ولما امتنع كذبوا في الكل (البحث الخامس) قد ذكرنا ان القرآن  
 معجز ولا شك فيه فان الخلق مجزوا عن الاتيان بمثل ما يقرب منه مع التحدي فاما ان يكون  
 كونه معجزا فصاحته وهو منه اكثر اهل السنة واما ان يكون معجزا للصرف الله  
 عقول العلماء عن الاتيان بمثله وحقله المستهم عن الطلق بما يرب منه ومنع القادر من  
 الاتيان بالمقدور كاتيان الواحد بفعل لا يقدر عليه غيره فان من قال لغيره انا احرك هذا  
 اجل يستبعد منه وكذا اذا قال اني افعل فعلا لا يدر الخلق على حل تما حجة من

مرسلة مدد على ان كل واحد فعل مجز اذا اتصل بالدعوى وهذا مذهب بعض  
التدجين ولافساد فيه وعلى ان يقال هو مجز بهما جميعا ثم قال تعالى (ام خلقوا من غير  
شيء ام هم الخالقون) ومن ههنا لاختلاف ان ام ليست بمعنى بل لكن اكثر المفسرين  
على ان المراد ما يقع في صدر الكلام من الاستهزام اما بالهمزة فكأنه يقول اخلقوا من  
غير شيء او هل ويحتمل ان يقال هو على اصل الوضع للاستهزام الذي يقع في اناء الكلام  
وتقديره اما خلقوا ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون وفيه مسائل (المسئلة الاولى)  
ماوجه تعلق الآية بما قبلها فنقول لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم ونسوه الى الكهانة  
والجنون والشعر وبرأ الله عن ذلك ذكر الدليل على صدقه ابطالا لتكذيبهم وبدأ بأنفسهم  
كأنه يقول كيف يكذبونه وفي انفسهم دليل صدقه لان قوله في ثلاثة اسياء في التوحيد  
والحسرو الرسالة في انفسهم ما يعل به صدقه ويانه هوانهم خلقوا وذلك دليل التوحيد  
لما بينا ان في كل شيء له آية تدل على انه واحد \* وقد بينا وجه مرارا فلانعيده واما  
الحسرو فلان الخلق الاول دليل على جواز الخلق الثاني وامكانه ويدل على ما ذكرنا ان الله  
تعالى ختم الاستهزامات بقوله ام لهم اله غير الله سبحانه الله عما يشركون (٢) (المسئلة  
الثانية) اذا كان الامر على ما ذكرت فلم تحذف قوله اما خلقوا فنقول لظهور انتفاء ذلك  
ظهورا لا يبقى معه لاختلاف وجه فان قيل فلم يصدر بقوله اما خلقوا ويقول ام خلقوا  
من غير شيء فنقول ليعلم ان قبل هذا امرا منفيًا ظاهرا وهذا المذكور قريب منه في ظهور  
الاطلان فان قيل قوله ام خلقوا من غير شيء ايضا ظاهر البطلان لانهم علموا انهم مخلوقون  
من تراب وماء ونطفة فنقول الاول اظهر في البطلان لان كونهم غير مخلوقين امر يكون  
مدعيه منكرا للضرورة فمكره مكر لا امر ضروري (المسئلة الثالثة) ما المراد من قوله  
تعالى من غير شيء فنقول فيه وجوه المقول منها انهم خلقوا من غير خالق وقيل انهم خلقوا  
لا شيء عبا وقيل انهم خلقوا من غير آب وأم ويحتمل ان يقال ام خلقوا من غير شيء اي  
الم يخلقوا من تراب او من ماء دليله قوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين ويحتمل ان يقال  
الاستهزام الثاني ليس بمعنى النفي بل هو بمعنى الابطال قال الله تعالى انتم تخلقونه ام  
نحن الخالقون انتم تزرعون ام نحن الزارعون انتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشؤون  
كل ذلك في الاول مفى وفي الثاني مثبت كذلك ههنا قال الله تعالى ام خلقوا من غير شيء  
اي الصادق هو هذا الثاني حيثئذ ودنا كما في قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من  
الدهر لم يكن شيئا مذكورا فان قيل كيف يكون ذلك الابات والآدمي خلق من تراب  
تول والتراب خلق من غير شيء فالانسان اذا نظرت الى خلقه واسندت النظر الى ابتداء  
امر وجده خلق من غير شيء او فنقول المراد ام خلقوا من غير شيء مذكور او معتبر وهو  
الماء المهين (المسئلة الرابعة) ما الوجه في ذكر الامور الثلاثة التي في الآية فنقول هي  
امور مرتبة كل واحد منها يجمع القول بالوحدانية والحسرو استهزامهم بهما قال اما خلقوا

(ام خلقوا من غير شيء) اي  
ام احدنوا وقدرنا هذا  
التقدير البديع من غير محدث  
ومقدر وقيل ام خلقوا من اصل  
لا شيء من عبادة وحراء (ام هم  
الخالقون) لانفسهم فذلك  
لا يبعدون الله سبحانه

(٢) لعله ترك الثالث لظهوره  
وهو انه اذا ثبت حقبة المبدأ  
والمعاد ثبت حقبة امر الرسالة  
الح مادكره زاده هراجه

قوله فان قيل فلم يصدر الخ  
لا يخفى ان هذا عين ما قبله فتأمل

امسلا لذلك يقول بالتوحيد لا تعبد الا بعباده هو الخلق وينكرون المشرك لا تنفاه  
 خلق الارل ام خلقتوا من غير شيء انا ربهم خالقوا لا للشيء ولا اعادة كما قال  
 اخسبتم انما خلقناكم عبا وعلى قولنا ان المراد خلقوا لا من تراب ولا من ماء فله وجه  
 ظاهر وهو ان الخلق اذا لم يكن من شيء بل يكون ابدانيا بخ كونه مخلوقا على بعض  
 الاغبياء ولهذا قال بعضهم السماء رفع اتفاقا ووجد من غير خالق واما الانسان الذي  
 يكون اول انطفة ثم علة ثم مضغة ثم لحا وعظما لا يتمكن احد من انكاره لعدم شاهدة تعبر  
 احواله فقال تعالى ام خلقوا بجهنم يخفى عليهم وجه خلقهم بأن خلقوا ابتداء من غير  
 سبق حالة عليهم يكونون فيها ترابا ولأما ولا انطفة ليس كذلك بل هم كانوا شيئا من تلك  
 الاشياء خلقوا مده خلقا فخلقوا من غير شيء حتى ينكروا الوحدة ولهذا قال تعالى  
 يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلقي ولهذا اكثر الله من قوله خلقنا الانسان  
 من نطفة وقوله ألم نخلقكم من ماء مهين يتناول الامر من المذكورين في هذا الموضع لان  
 قوله ألم نخلقكم من ماء يحتمل ان يكون في المجموع بفي الخلق فيكون كأنه قال اخلقكم  
 لا من ماء وعلى قول من قال المراد منه ام خلقوا من غير شيء اي من غير خالق فيه ترتيب  
 حسن ايضا وذلك لان في الصانع اما ان يكون بفي كون العالم مخلوقا فلا يكون ممكنا واما  
 ان يكون ممكنا لكن الممكن لا يكون محتاجا فيقع الممكن من غير مؤثر وكلاهما محال واما  
 قوله تعالى ام هم الخالقون فعنه اهم الخالقون للخلق فيعجز الخالق بكثرة العمل فان دأب  
 الانسان انه يعي بالخلق ما قولهم اما خلقوا فلا يتب لهم اله البتة ام خلقوا وخفى عليهم  
 وجه الخلق ام جعلوا الخالق مثلهم فسموا اليه العجز ومثله قوله تعالى افصينا بالخلق  
 الاول هذا بالنسبة الى الحشروا اما بالنسبة الى التوحيد فهو رد عليهم حيث قالوا الامور  
 مختلفة واختلاف الآثار يدل على اختلاف المؤثرات وقالوا اجعل الآلهة الها واحدا  
 فقال تعالى ام هم الخالقون حيث لا يقدر الخباز على الخياطة والخياط على البناء وكل  
 واحد يشعله شأن عن شأن \* ثم قال تعالى (ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون)  
 وفيه وجوه (احدها) ما اختاره الزخسرى وهو انهم لا يوقنون بانهم خلقوا وهو حينئذ  
 في معنى قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله اى هم معترفون  
 بانه خلق الله وليس خلق انفسهم (وثانيها) المراد بل لا يوقنون بان الله واحد وتقديره ليس  
 الامر كذلك اى ما خلقوا وانما لا يوقنون بوحدة الله (وثالثها) لا يوقنون اصلا من غير  
 ذكر مفعول يقال فلان ليس بمؤمن وفلان ليس بكافر لبيان مذهبه وان لم ينوه مفعولا  
 وكذلك قول التائل فلان يؤدى ونؤدى لبيان ما فيه لاعم القصد الى ذكر مفعول  
 وحينئذ يكون تقديره انهم ما خلقوا السموات والارض ولا يوقنون بهذه الدلائل بل  
 لا يوقنون اصلا وان جتتم بكل آية يدل عليه قوله تعالى بعد ذلك وان يروا كسفا من  
 السماء ساقطا يقولوا سحاب مرقوم وهذه الآية اسارة الى دليل الاثاق وقوله من قل

(ام خلقوا السموات والارض  
 دل لا يوقنون) اى دسئلوا من  
 خلقكم وخلق السموات والارض  
 فالو الله وهم غير موقنين عما قالوا  
 والاما اعرضوا عن عبادته

أم خلعوا دلائل الانصص \* ثم قال تعالى ( أم عندهم خزان ربك أم هم الميسطرون ) وفيه  
 وجوه ( احدها ) المراد من الخزان خزان الرحمة ( ثانيها ) خزان الغيب ( ثالثها ) انه اشارة  
 الى الاسرار الالهية المخفية عن الاعيان ( رابعها ) خزان مخلوقات التي لم يرها الانسان  
 ولم يسمع بها وهذه الوجوه الاول والثاني منقول والثالث والرابع مستنبط وقوله تعالى  
 أم هم الميسطرون تمة للرد عليهم وذلك انه لما قال أم عندهم خزان ربك اشار الى انهم  
 ليسوا بخزنة الله فيعملوا خزان الله وليس بمجرد انتفاء كونهم خزنة ينتفى العلم لجواز ان  
 يكون مشرقا على الخزانة فان العلم بالخزان عند الخازن والكاتب في الخزانة فقال لستم  
 بخزنة ولا كنيسة الخزانة المسلمين عليها ولا بعد تفسير الميسطرين بكنيسة الخزانة لان  
 التركيب يدل على السطر وهو يستعمل في الكتاب وقيل الميسطر المسلط وقرئ بالصاد  
 وكذلك في كثير من السينات التي مع الطاء كما في قوله تعالى بميسطر ومصيطر \* ثم قال  
 تعالى ( أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين ) وهو ايضا تنبيه لا دليل فان  
 من لا يكون خازنا ولا كاتبا قد يطلع على الامر بالسمع من الخازن او الكاتب فقال انتم  
 لستم بخزنة ولا كنيسة ولا اجتماع بهم لانهم ملائكة ولا صعودا لكم اليهم وفيه مسائل  
 ( المسئلة الاولى ) المقصود نفي الصعود ولا يلزم من نفي السلم لهم نفي الصعود فالجواب  
 عنه نقول النفي ابلغ من نفي الصعود وهو نفي الاستماع وآخر الآية شامل لكل قال تعالى  
 فليأت مستمعهم بسلطان مبين ( المسئلة الثانية ) السلم لا يستمع فيه وانما يستمع عليه فما  
 الجواب نقول من وجهين ( احدهما ) ما ذكره الزمخشري ان المراد يستمعون صاعدين فيه  
 ( وانيهما ) ما ذكره الواحدى ان في معنى على كافي قوله تعالى ولا صلبنكم في جذر النخل  
 اى على جذوع النخل وكلاهما ضعيف لما فيه من الاحتمار والعيبر ( المسئلة الثالثة )  
 لم ترك ذكر مفعول يستمعون وما داهو نقول فيه وجوه ( احدها ) المستمع هو الوحي اى هل  
 لهم سلم يستمعون فيه الوحي ( ثانيها ) يستمعون ما يقولون من انه شاعروا الله شريكا وان  
 الحسر لا يكون ( ثالثها ) ترك المفعول رأسا كانه يقول هل لهم قوة الاستماع من السماء  
 حتى يعملوا انه ليس برسول وكلامه ليس بمرسل ( المسئلة الرابعة ) قال فليأت مستمعهم  
 ولم يقل فليأتوا كما قال تعالى فليأتوا بحديث مدله نقول طلب منهم ما يدعون اهون على  
 تقدير صدقهم ليكون اجتماعهم عليه ادل على بطلان قولهم فقال هناك فليأتوا اى  
 اجتمعوا عليه وتعاونوا وأتوا بملة فان ذلك عند الاجتماع اهون واما الارتفاع في السلم  
 بالاجتماع متعذر لانه لا يرتقى الا واحد بعد واحد ولا يصل في الدرجة العليا الا واحد  
 فقال فليأت ذلك الواحد الذي كان اشد رتبة باسمه ( المسئلة الخامسة ) قوله اساطين  
 مدين ما المراده بقول هو اشارة الى لطيفة وهي انه او طلب منهم ما سمعوه قيل لهم في ان  
 ما سمعوا سمعوا لكان لواحد ان يقول انما سمعوا كما سمعوا فليأتوا  
 الواجب ان ياتي بدليل يدل عليه \* ثم قال تعالى ( أم له البنات ولهم النون ) اشارة الى ذر

( أم عندهم خزان ربك ) اى  
 خزان رزقه ووجه حتى يرزقوا  
 البهائم من شأوا ويمسكوها عن  
 شأوا او عندهم خزان علمه  
 وحكمته حتى يخبروا لها من  
 اقتضت الحكمة احتياجه ( أم هم  
 الميسطرون ) اى العالبون  
 على الامور يدبرونها كيماشأوا  
 حتى يدبروا امر الربوبية وينوا  
 الامور على ارادتهم ومشيئهم  
 وقرئ الميسطرون بالصاد لكان  
 الطاء ( أم لهم سلم ) مصوب الى  
 السماء ( يستمعون فيه ) صاعدين  
 الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم  
 من علم الغيب حتى يعملوا ما هو كائن  
 من الامور التي يقولون فيها رجا  
 بالغيب ويعلمون انها اطعاهم  
 الارعة ( فليأت مستمعهم سلطان  
 مبين ) بحجة واضحة تصدق  
 استماعه ( أم له البنات ولهم  
 النون ) تسفيه لهم وتركيب  
 لعقولهم وايدان ان من هذا رأيه  
 لا يكاد يعد من الصلاة فضلا عن  
 البرق الى عالم الملائكة والطلع  
 على الاسرار العسية والالتمات  
 الى الخضايا لشديد ماى أم  
 المقطعة من الانكار والتوبيخ





شيئاً كان يسعهم ان يقولوا نعم فلم يبق لهم الا ان يقولوا لا فنقول لهم كيف اتبعتم قول  
 الفيلسفي الذي يسوغ لكم قول الزور وما يوجب الاستخفاف يحاسب الله تعالى لفظاً ان لم  
 يكن معنى كما تقولون ولا تتبعون الذي يأمركم بالعدل في المعنى والاحسان في اللفظ  
 ويقول لكم اتبعوا المعنى الحق الواضح واستعملوا اللفظ الحسن المؤدب وهذا في غاية  
 الحسن من التقدير \* واما التفسير ففيه مسائل (المسئلة الاولى) ما الفائدة في سؤال النبي  
 صلى الله عليه وسلم حيث قال ام تسألهم ولم يقل ام يسألون اجرا كما قال تعالى ام يقولون  
 وقال تعالى ام يريدون كيداً الى غير ذلك نقول فيه فائدتان (احدهما) تسلية قلب  
 النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لانهم لما امتنعوا من الاستماع واستكفوا من الاتباع  
 صعب على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ربه انت اتيت بما عليك فلا يضيق صدرك  
 حيث لم يؤمنوا فأنت غير ملوم وانما كنت تلام لو كنت طلبت منهم اجرا فهل طلبت  
 ذلك فأثقلهم لا فلا حرج عليك اذا (ثانيتهما) انه لو قال ام يسألون لزم في طلب اجر مطلقاً  
 وليس كذلك وذلك لانهم كانوا يشركون ويطلبون بالاجر من رؤسائهم واما النبي صلى  
 الله عليه وسلم فقال له انت لا تسألهم اجرا فهم لا يتبعونك وغيرك يسألهم وهم يسألون  
 ويتبعون السائلين وهذا غاية الضلال (المسئلة الثانية) ان قال قائل ألزمت ان تبين  
 ام لاتقع الامتوسطة حقيقة او تقديراً فكيف ذلك ههنا نقول كائنه تعالى يقول  
 أتهديهم لوجه الله ام تسألهم اجرا وترك الاول لعدم وقوع الانكار عليه كما قلنا في قوله  
 ام له البنات ان المقدر أهو واحد ام له البنات وترك ذكر الاول لعدم وقوع الانكار عليه  
 من الله تعالى وكونهم قائلين بانه لا يريد وجه الله تعالى وانما يريد الرياسة والاجر في الدنيا  
 (المسئلة الثالثة) هل في خصوص قوله تعالى اجرا فائدة لا توجد في غيره لو قال ام تسألهم  
 شيئاً او ما لا او غير ذلك نقول نعم وقد تقدم القول مني ان كل لفظ في القرآن فيه فائدة وان  
 كنا لانعلمها والذي يظهر ههنا ان ذلك اشارة الى ان ما يأتي به النبي صلى الله عليه وسلم فيه  
 مصلحة لهم وذلك لان الاجر لا يطلب الا عند فعل شيء يفيد المطلوب منه الاجر فقال انت  
 أتيتهم بما لو طلبت عليه اجرا وعلموا كمال ما في دعوتك من المنفعة لهم وبهم لا ثوك  
 بجميع اموالهم ولقدوك بأنفسهم ومع هذا لا تطلب منهم اجرا ولو قال شيئاً او ما لا لما  
 حصلت هذه الفائدة والله اعلم (المسئلة الرابعة) هذا يدل على انه لم يطلب منهم اجرا ما  
 وقوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى يدل على انه طلب اجرا ما فكيف  
 الجمع بينهما نقول لا تفرقة بينهما بل الكل حق وكلاهما ككلام واحد وبيانه هو ان  
 المراد من قوله الا المودة في القربى هو اني لا اسئلكم عليه اجرا يعود الى الدنيا وانما  
 اجرى المحبة في الزلفى الى الله تعالى وان عباد الله الكاملين اقرب الى الله تعالى من عباده  
 الناقصين وعباد الله الذين كلهم الله وكلوه وارسلهم لتكميل عباده فكملاوا اقرب الى الله  
 من الذين لم يرسلهم الله ولم يكملوا وعلى هذا فهو في معنى قوله ان اجرى الا على الله واليه

أنتى وقوله صلى الله عليه وسلم فأتى أباهى بكم الائم يوم القيامة وقوله فهم من مغرم مثقلون بين ما ذكرنا ان قوله ام تسألهم اجرا المراد اجرا الدنيا وقوله قل لا تسألهم عليه اجرا المراد العموم ثم استثنى ولا حاجة الى ما قاله الواحدى ان ذلك مقطوع معناه لكن المودة فى القربى وقد ذكرناه هناك فليطلب منه (المسئلة الخامسة) قوله تعالى فهم من مغرم مثقلون اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم ما طلب منهم شيئا ولو طال بهم باجر ما كان لهم ان يتركوا اتباعه بادن شئ اللهم الا ان اتقلهم التكليف وبأخذ كل مالهم ومنعهم التخليف فيقلهم الدين بعد ما لا يبقى لهم العين \* ثم قال تعالى (ام عدهم الغيب فهم يكتبون) وهو على الترتيب الذى ذكرناه كأنه تعالى قال لهم بم اطرحتم الشرع ومحاسنه وقلتم ما قلتم بناء على اتباعكم الاوهام الفاسدة التى تسونها المعقولات والسبى صلى الله عليه وسلم لا يطلب منكم اجرا وانتم لاتعلمون فلا عذر لكم لان العذر اما فى الغرامة واما فى عدم الحاجة الى مجابهة ولا غرامة عليكم فيه ولا غنى لكم عنه وفيه مسائل (المسئلة الاولى) كيف التقدير قلنا لا حاجة الى التقدير بل هو استفهام متوسط على ما ذكرناه كأنه قال اتهديبهم لوجه الله تعالى ام تسألهم اجرا فيمتنعون ام لا حاجة لهم الى ما تقول لكونهم عندهم الغيب فلا يتبعون (المسئلة الثانية) الالف واللام فى الغيب لتعريف ماذا أجنس اول عهد تقول الظاهر ان المراد نوع الغيب كما يقول القائل اشترى اللحم يريد بيان الحقيقة لاكل لحم ولا لحماعينا والمراد فى قوله تعالى عالم الغيب والشهادة الجنس واستغراقه لكل غيب (المسئلة الثالثة) على هذا كيف يصح عندهم الغيب وما عند الشخص لا يكون غيبا تقول معناه حضر عندهم ما غاب عن غيرهم وقبل هذا متعلق بقوله نترى به ريب المنون اى أعندكم الغيب تعلمون انه يموت قبلكم وهو ضعيف بعد ذلك ذكرنا ولان قوله تعالى قل تربصوا متصل به وذلك يمنع اتصال هذا بذلك (المسئلة الرابعة) ما الفائدة فى قوله فهم يكتبون تقول وضوح الامر واشارة الى ان ما عند النى صلى الله عليه وسلم من علم الغيب علم بالوحى امورا واسرارا واحكاما واخبارا كثيرة كلها هو جازم بها وليس كما يقول المتفرس الامر كذا وكذا فان قيل اكتب به خطك انه يكون يتمتع ويقول ان لا ادعى فيه الجزم والقطع ولكن اذكره كذا وكذا على سبيل الظن والاستنباط وان كان قاطعا يقول اكتبوا هذا عني وانبتوا فى الدواوين ان فى اليوم الفلانى يقع كذا وكذا فقولهم ام عدهم الغيب فهم يكتبون يعنى هل صاروا فى درجة محمد صلى الله عليه وسلم حتى استغنوا عنه وامرضوا ونقل عن ابن قتيبة ان المراد من الكتابة الحكم معناه يحكمون وتمسك بقوله صلى الله عليه وسلم اقض بيننا بكتاب الله اى حكم الله وليس المراد ذلك بل هو من باب الاضمار معناه بما فى كتاب الله تعالى يقال فلان يقضى بمذهب الشافعى اى بما فيه ويقول الرسول الذى معه كتاب الملك للربة اعملوا بكتاب الملك \* ثم قال تعالى (ام يريدون كيدا فلذين كفروا هم المكيدون)

(أم عندهم الغيب) اى اللوح المحفوظ المثبت فيه العيوب (فهم يكتبون) ما فيه حتى يتكلموا فى ذلك بنى او اثبات (ام يريدون كيدا) هو كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة (فالذين كفروا) هم المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتجويل عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر

وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) ماوجه التعلق والمناسبة بين الكلامين قلنا بين ذلك بيان المراد من قوله ام يريدون كيدا فبعض المفسرين قال ام يريدون ان يكيدوك فهم المكيدون اى لا يقدرّون على الكيد فان الله يصونك بسببه ونصرك بصونه وعلى هذا اذا قلنا بقول من يقول ام عندهم الغيب متصل بقوله تعالى نترصد به ريب المنون فيه ترتيب في غاية الحسن وهو انهم لما قالوا نترصد به ريب المنون قيل لهم اتعلمون الغيب فتعلمون انه يموت قبلكم ام تريدون كيدا فتقولون نقتله فيموت قبلنا فان كنتم تدعون الغيب فانتم كاذبون وان كنتم تظنون انكم تقدرّون عليه فانتم غالطون فان الله يصونه عنكم وينصره عليكم واما على ما قلنا ان المراد منه انه صلى الله عليه وسلم لا يسألكم على الهداية مالا وانتم لا تعلمون مجابهة لولا هدايته لكونه من الغيوب فتقول فيه وجوه ( الاول ) ان المراد من قوله تعالى ام يريدون كيدا اى من الشيطان وازاغته فيحصل مرادهم كانه تعالى قالت انت لا تسألهم اجرا وهم لا يعلمون الغيب فهم محتاجون اليك واعرضوا فقد اختاروا كيد الشيطان ورضوا بازاغته والارادة بمعنى الاختيار والمحبة كما قال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه وكما قال انصفا آلهة دون الله تريدون واظهر من ذلك قوله تعالى انى اريد ان تبوء بائنى واثمك ( الوجه الثانى ) ان يقال ان المراد والله اعلم ام يريدون كيد الله فهو واصل اليهم وهم عن قريب مكيدون وترتيب الكلام هو انهم لما سبق لهم حجة في الاعراض فهم يريدون نزول العذاب بهم والله ارسل اليهم رسولا لا يسألهم اجرا ويهديهم الى ما لا علم لهم ولا كتاب عندهم وهم يعرضون فهم يريدون اذا ان بهلكهم ويكيدهم لان الاستدراج كيد والاملاء لازدياد الاثم كذلك لا يقال هو فاسد لان الكيد والاساءة لا يطلق على فعل الله تعالى الا بطريق المقابلة وكذلك المكر فلا يقال اساء الله الى الكفار ولا اعتدى الله الا اذا ذكر اولاً فيهم شيء من ذلك ثم قال بعد ذلك بسببه لفظا في حق الله تعالى كما في قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ومكروا ومكر الله وقال يكيدون كيدا واكيد كيدا لاننا نقول الكيد مايسوء من نزل به وان حسن ممن وجد منه الا ترى ان ابراهيم عليه السلام قال لا يكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين من غير مقابلة ( المسئلة الثانية ) ما الفائدة في قوله تعالى فالذين كفروا هم المكيدون وما الفرق بين معنى هذا الكلام ومعنى قول القائل ام يريدون كيدا فهم المكيدون نقول الفائدة كون الكافر مكيدا في مقابلة كفره لا في مقابلة ارادته الكيد ولو قال ام يريدون كيدا فهم المكيدون كان يفهم منه انهم ان لم يريدوه لا يكونوا مكيدين وهذا يؤيد ما ذكرنا ان المراد من الكيد كيد الشيطان او كيد الله بمعنى عذابه اياهم لان قوله فالذين كفروا هم المكيدون عام في كل كافر كاده الشيطان ويكيده الله اى بعذبه وصار المعنى على ما ذكرناه ا تهديهم لوجه الله ام تسألهم اجرا فتسألهم فيمتنعون عن الاتباع

وتعليل الحكم به اوجيع الكفرة وهم داخلون فيهم دخولا اوليا (هم المكيدون) اى هم الذين يحمق بهم كيدهم او يهود عليهم وباله لامن أرادوا ان يكيدوه وهو ما اصابهم يوم بدر او هم الملوون في الكيد من كايده فكدته

ام عندهم الغيب فلا يحتاجون اليك فيعرضون عليك ام ليس شيء من هذين الامرين  
الاخيرين فيريدون العذاب والعذاب غير مدفوع عنهم بوجه من الوجوه لكفرهم  
فالذين كفروا معذبون (المسئلة الثالثة) ما الفائدة في تكثير الكيد حيث لم يقل ام يريدون  
كيدك او الكيد او غير ذلك ليرول الابهام نقول فيه فائدة وهى الاشارة الى وقوع  
العذاب من حيث لا يشعرون فكأنه قال يأتيهم بغتة ولا يكون لهم به علم او يكون  
ايرادا لعظمته كما ذكرنا مرار ثم قال تعالى (ام لهم اله غير الله سبحانه الله عما يشركون)  
اعاد التوحيد وهو يفيد فائدة قوله تعالى ام له البنات ولكم البنون وفي سبحانه الله بحث  
شريف وهو ان اهل اللغة قالوا سبحانه اسم علم للتسبيح وقد ذكرنا ذلك في تفسير قوله فسبحان الله  
حين تمسون وحين تصبحون واكثرنا من الفوائد فان قيل يجوز ان نقول سبحانه اسم مصدر  
ونقول سبحانه على وزن فعلا نذكر سبحانه في غير مواضع الايقاع الله كما يقال في التسبيح  
نقول ذلك مثل قول القائل من حرف جروى كلمة ظرف حيث يخبر عنه مع ان الحرف لا يخبر  
عنه فيجاء بأن من وفى حيثنذ جعلنا كالا سم ولم يترك على اصلهما المستعمل في مثل قولك  
اخذت من زيدو الدرهم في الكيس فكذلك سبحانه فيما ذكر من المواضع لم يترك على مواضع  
استعماله فانه حيثنذ لم يترك علما كما يقال زيد على وزن فعل بخلاف التسبيح فيما ذكرنا (المسئلة  
الرابعة) ما فى قوله تعالى عما يشركون يحتمل وجهين (احدهما) ان تكون مصدرية معناه  
سبحانه عن اشراكهم (ثانيهما) خبرية معناه عن الذين يشركون وعلى هذا فيحتمل ان يكون  
عن الولد لانهم كانوا يقولون البنات لله فقال سبحانه الله عن البنات والبنين ويحتمل ان  
يكون عن مثل الإلهة لانهم كانوا يقولون هو مثل ما يعبدونه فقال سبحانه الله عن مثل  
ما يعبدونه ثم قال تعالى (وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم)  
وجه الترتيب فيه هو انه تعالى لما بين فساد اقوالهم وسقوطها عن درجة الاعتبار اشار  
الى انه لم يبق لهم شيء من وجه الاعتذار فان الآيات ظهرت والحجج تميزت ولم يؤمنوا وبعد  
ذلك ان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب اى ينكرون الآية لكن الآية اذا  
اظهرت في اظهر الاشياء كانت اظهر وبيانه هو ان من يأتي بجسم من الاجسام من بيته  
وادعى فيه انه فعل به كذا فرما يخطر ببال السامع انه في بيته ولما يدعه فاذا قال للناس  
هاؤنا جسمنا تريدون حتى اجعل لكم منه كذا يزول ذلك الوهم لكن اظهر الاشياء عند  
الانسان الارض التى هى مهده وفرشه والسماء التى هى سقفه وعرشه وكانت العرب  
على مذهب الفلاسفة فى اصل المذهب ولا يلتفت الى قول الفلاسفة نحن ننزه غاية  
التنزيه حتى لا تجوز رؤيته واتصافه بوصف زائد على ذاته ليكون واحدا فى الحقيقة  
فكيف يكون مذهبنا مذهب من يتسرك بالله صنما منحوتا نقول انتم لما نسبتم الحوادث  
الى الكواكب وشرعتم فى دعوة الكواكب اخذ الجاهل عنكم ذلك واتخذوه مذهباً

(ام لهم اله غير الله) يعينهم  
وعرضهم من عذابه (سبحان الله  
عما يشركون) اى عن اشراكهم  
او عن شركة ما يشركونه (وان  
يروا كسفا) قطعة (من السماء  
ساقطا) لتعذيبهم (يقولوا)  
من فرط طغيانهم وعنادهم  
(سحاب مركوم) اى هم فى  
الطغيان بحيث لو اسقطاه عليهم  
حسما قالوا او تسقط السماء كما  
زعمت علينا كسفا لقالوا هذا  
سحاب تراكم بعضه على بعض  
يطرنا ولم يصدقوا انه كسف  
ساقط للعذاب

واذا ثبت ان العرب في الجاهلية كانت في الاصل على مذهب الفلاسفة وهم يقولون  
 بالطبائع فيقولون الارض طبعها التكوين والسماء طبعها يمنع الانفصال والانفكاك  
 فقال الله تعالى ردا عليهم في مواضع ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من  
 السماء ابطالا للطبائع واشارا للاختيار في الوقائع فقال ههنا ان أتينا بشئ غريب في غاية  
 الغرابة في اظهر الاشياء وهو السماء التي يرونها ابدا ويعلمون ان احدا لا يصل اليها ليعمل  
 بالادوية وغيرها ما يوجب سقوطها لانكروا ذلك فكيف فيما دون ذلك من الامور  
 والذي يؤيد ما ذكرناه وانهم كانوا على مذهب الفلاسفة في امر السماء انهم قالوا  
 او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا اي ذلك في زعمك ممكن فاما عندنا فلا والكسفة  
 القطعة يقال كسفة من ثوب اي قطعة وفيه مباحث ( البحث الاول ) استعمل في السماء  
 لفظة الكسف والغويون ذكروا استعمالها في الثوب لان الله تعالى شبه السماء بالثوب  
 المنشور ولهذا ذكره فيما مضى فقال والسموات مطويات وقال تعالى يوم نطوى السماء  
 ( البحث الثاني ) استعمل الكسف في السماء والخسف في الارض فقال تعالى نخسف  
 بهم الارض وهو يدل على قول من قال يقال في القمر خسوف وفي الشمس كسوف  
 ووجهه ان يخرج الخلاء دون مخرج الكاف ومخرج الكاف فوقه متصل به فاستعمل  
 وصف الاسفل للاسفل والاعلى للاعلى فقالوا في الشمس والسماء الكسوف والكسف  
 وفي القمر والارض الخسوف والخسف وهذا من قبل قولهم في الماتح والماتح ان  
 ماتقطه فوق لمن فوق البئر وماتقطه من اسفل عند من يجوز نقطه من اسفل لمن تحت في  
 اسفل البئر ( البحث الثالث ) قال في السحاب ونجعله كسفا مع انه تحت القمر وقال  
 في القمر وخسف القمر وذلك لان القمر عند الخسوف له نظير فوقه وهو الشمس  
 عند الكسوف والسحاب اعتبر فيه نسبته الى اهل الارض حيث ينظرون اليه فلم يقل  
 في القمر خسف بالنسبة الى السحاب وانما قيل ذلك بالنسبة الى الشمس وفي السحاب  
 قيل بالنسبة الى الارض ( المسئلة الثانية ) ساقطا يحتمل وجهين ( احدهما ) ان يكون  
 مفعولا مانيا يقال رأيت زيدا عالما ( وثانيهما ) ان يكون حالا كناية عن ضربته قائما  
 والثاني أولى لان الرؤية عند التعدى الى مفعولين في اكثر الامر تكون بمعنى العلم تقول  
 ارى هذا المذهب صحيحا وهذا الوجه ظاهرا وعند التعدى الى واحد تكون بمعنى  
 رأى العين في اكثر تقول رأيت زيدا وقال تعالى لما رأوا بأسنا وقال فاماترين من  
 البسر احدا والمراد في الآية رؤية العين ( المسئلة الثالثة ) في قوله ساقطا فائدة لا تحصل  
 في غير السقوط وذلك لان عندهم لا يجوز الانفصال على السموات ولا يمكن نزولها  
 وهبوطها فقال ساقطا ليكون مخالفا لما يعتقدونه من وجهين ( احدهما ) الانفصال  
 ( والاخر ) السقوط ولو قال وان يروا كسفا منفصلا او معلقا لما حصلت هذه الفائدة  
 ( المسئلة الرابعة ) في قوله يقولوا فائدة أخرى وذلك لانه يفيد بيان العناد الذي هو مقصود

سرد الآية وذلك لانهم في ذلك الوقت يستخرجون وجوها حتى لا يلزمهم التسليم فيقولون  
 سبحانه قولاً من غير عقيدة وعلى هذا يحتمل ان يقال وان يروا المراد العلم ليكون ادخل  
 في العباد اي اذا علموا وتيقنوا ان السماء ساقطة غيروا وما ندوا وقالوا هذا سبحانه  
 مركوم (المسئلة الخامسة) قوله تعالى يقولوا سبحانه مركوم اشارة الى انهم حين يعجزون  
 عن التكذيب ولا يمكنهم ان يقبلوا لم يقع شيء على الارض يرجعون الى التأويل  
 والتخييل وقوله مركوم اي مركب بعضه على بعض كأنهم يدفعون عن انفسهم  
 ما يورد عليهم بأن السحاب كالهواء لا يمنع نفوذ الجسم فيه وهذا اقوى مانع فيقولون  
 انه ركام فصار صلباً قوياً (المسئلة السادسة) في اسقاط كلمة الاشارة حيث لم يقل يقولوا  
 هذا اشارة الى وضوح الامر وظهور العناد فلا يستحسنون ان يأتوا بما لا يلقى معهم  
 فيقولون سبحانه مركوم مع حذف المبتدأ ليقى للقائل فيه مجال فيقولون عند تكذيب  
 الخلق اي اياهم قلنا سبحانه مركوم شبهه ومثله وان يتشبه الامر مع عوامهم استمروا وهذا  
 مجال من يخاف من كلام ولا يعلم انه يقبل منه ولا يقبل فيجعله داو جهين فان رأى السكر  
 على احدهما فسرهما بالآخر وان رأى القبول خرج بمراة \* ثم قال تعالى ( فذرهم حتى  
 يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون ) اي اذا تبين انهم لا يرجعون فدعهم حتى يلاقوا وفيه  
 مسائل ( المسئلة الاولى ) فذرهم امر وكان يجب ان يقال لم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم  
 حواجز دعائهم الى الاسلام وليس كذلك والجواب عنه من وجوه ( احدها ) ان هذه  
 الآيات مثل قوله تعالى فاعرض وتول عنهم الى غير ذلك كلها منسوخة بأية القتال  
 وهو ضعيف ( ثانيها ) ليس المراد الامر وانما المراد التهديد كما يقول سيد العبد الجاني لمن  
 ينسجه دعه فانه سينال وبال جنابته ( ثالثها ) ان المراد من يعاند وهو غير معين والى  
 صلى الله عليه وسلم كان يدعو الخلق على سبيل العموم ويجوز ان يكون المراد بالخطاب  
 من لم يظهر عناده لامن ظهر عناده فلم يقل الله في حقه فذرهم ويدل على هذا انه تعالى  
 قال من قبل فذكرنا انت بنعمة ربك بكاهن ولا يجنون وقال ههنا فذرهم فمن يذكرهم  
 هم المشفقون الذين قالوا انا كما قبل في اهلنا مشفقين ومن يذكرهم الذين قالوا اشاعر نتر بص  
 به رب المون الى غير ذلك ( المسئلة الثانية ) حتى للغاية فيكون كأنه تعالى قال ذرهم الى  
 ذلك اليوم ولا تكلمهم ثم ذلك اليوم تجدد الكلام وتقول الم اقل لكم ان الساعة آتية  
 وان الحساب يقوم والعذاب يدوم فلا تكلمهم الى ذلك اليوم ثم كلمهم لتعلمهم ( ثانيها ) ان  
 المراد من حتى للغاية التي يستعمل فيها اللام كما يقول القائل لا تطعمه حتى يموت اي ليموت  
 لان اللام التي للغرض عدها ينتهي الفعل الذي للغرض فيوجد فيها معنى للغاية ومعنى  
 التعليل ويجوز استعمال الكلمتين فيها ولعل المراد من قوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك  
 اليقين هذا اي ان يأتيك اليقين فان قيل فمن لا يذره ايضا يلاق ذلك اليوم نقول  
 المراد من قوله يصعقون يهلكون فالذكر المشفق لا يهلك ويكون مستثنى منهم كما قال

( فذرهم حتى يلاقوا ) وقرئ  
 حتى يلقوا ( يومهم الذي فيه  
 يصعقون ) على البناء للفعول  
 من صعقته الصاعقة او من صعقته  
 وقرئ يصعقون بفتح الياء  
 والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة  
 بالقتل يوم بدر لا النفخة الاولى كما  
 قيل ادلا يصعق بها الامن كان  
 حياً حينئذ ولا قوله تعالى



تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وقد ذكرنا هناك ان من اعترف بالحق وعلم ان يوم الحساب كائن فاذا وقعت الصيحة يكون كمن يعلم ان الرعد يرد ويستعد لسماعه ومن لا يعلم يكون كالغافل فاذا وقعت الصيحة ارتجف الغافل ولم يرتجف العالم وحينئذ لا يكون التوعد بملاقاة يومهم لان كل احد يلاقى يومه وانما يكون بملاقاة يومهم الذي فيه يصعقون اى اليوم الموصوف بهذه الصفة وهذا كما قال تعالى لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبد بالعراء وهو مذموم فان المنفى ليس النبد بالعراء لانه يتحقق بدليل قوله تعالى فنبدناه بالعراء وهو سقيم وانما المنفى النبد الذي يكون هو معه مذموما وهذا لم يوجد (المسئلة الثالثة) حتى ينصب ما بعدها من الفعل المستقبل تارة ويرفع اخرى والفاصل بينهما ان الفعل اذا كان مستقبلا منتظرا لا يقع في الحال ينصب تقول نعلت الفقه حتى ترفع درجتي فانك تنتظره وان كان حالا يرفع تقول اكررح حتى تسقط قوتي ثم انا والسبب فيه هو ان حتى في المستقبل للغاية ولا م التعليل للغرض والغرض غاية الفعل تقول لم تبنى الدار يقول للسكنى فصار قوله حتى ترفع كقوله لا ترفع وفيهما اضمار ان فان قيل ما قلت شيئا وما ذكرت السبب في النصب عند ارادة الاستقبال والرفع عند ارادة الحال نقول الفعل المستقبل اذا كان منتظرا وكان نصب العين ومنصوبا لدى الذهن يرقبه يفعل بلفظه ما كان في معناه ولهذا قالوا في الاضافة ان المضاف لما جر امرا الى امر في المعنى جره في اللفظ والذي يؤيد ما ذكرنا ان الفعل انما ينصب بأن ولن وكى واذن وخلص الفعل للاستقبال في هذه المواضع لازم والحرف الذي يجعل الفعل للحال يجمع النصب حيث لا يجوز ان تقول انا فلانا ليضرب فان قيل السين وسوف مع انها يخلصان الفعل للاستقبال لا ينصبان ويمعان النصب بالنصب كما في قوله تعالى علم ان سيكون منكم مرضى نقول سوف والسين ليسا بمعنى غير اختصاص الفعل بالاستقبال وان لن بمعنى لا يصح الا في الاستقبال فلم يثبت بالسين الا الاستقبال ولم يثبت به معنى في الاستقبال والمنتظر هو ما في الاستقبال لانفس الاستقبال مثله اذا قلت اعيد الله كى يغفرلى اول يغفرلى ابنت كى غرضا وهو المغفرة وهى في المستقبل من الزمان واذا قلت استغفرك ربى اثبت السين استقبال المغفرة وفرق بين ما يكون المقصود من الكلام بيان الاستقبال لكن الاستقبال لا يوجد الا في معنى فأتى بالمعنى ليين به الاستقبال وبين ما يكون المقصود منه معنى في المستقبل فتذكر الاستقبال ليين محل مقصودك \* ثم قال تعالى (يوم لا يعنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون) لما قال يلاقوا يومهم وكل برفا جر يلاقى يومه اعا دصفة يومهم وذكر ما يميز به يومهم عن يوم المؤمنين فقال يوم لا يعنى وهو يخالف يوم المؤمنين فانه تعالى قال فيه هذا يوم ينفع الصادقين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في يوم لا يعنى وجهان الاول بدل عن قوله يومهم ناهيا عن الظرف يلاقوا اى يلاقوا يومهم يوم فان قيل هذا يلزم منه ان يكون اليوم في يوم فيكون اليوم

(يوم لا يعنى عنهم كيدهم شيئا)  
اى شيئا من الاعناء بدل من يومهم  
ولا يعنى ان التعرض لبيان عدم  
نفع كيدهم يستدعى استعمالهم  
له طمعاً في الانتفاع به وليس ذلك  
الامام دبروه في امره صلى الله عليه  
وسلم من الكيد الذى من جلته  
مناصبتهم يوم بدر واما الفتحة  
الاولى فليست مما يحرى في  
مدافعتهم الكيد والحيل وقيل  
هم يوم موتهم وفيه ما فيه مع  
ما نأباه الاصافة المبشئة عن  
اختصاصهم (ولا هم ينصرون)  
من جهة العير في دفع العذاب  
عنهم

ظرف اليوم نقول هو على حد قول من يقول يأتي يوم قتل فلان يوم تين جرائمه ولا مانع منه وقد ذكرنا بحث الزمان وجواز كونه ظرفا في قوله تعالى يومئذ وجواز اضافة اليوم الى الزمان مع انه زمان (المسئلة الثانية) قال تعالى يوم لا يغني عنهم كيدهم ولم يقل يوم لا يغنيهم كيدهم مع ان الاغناء يتعدى بنفسه لفائدة جلية وهي ان قول القائل اغناني كذا يفهم منه انه نفعتني وقوله اغني عني يفهم منه انه دفع عني الضرر وذلك لان قوله اغناني معناه في الحقيقة افادني غير مستفيد وقول اغني عني اي لم يحوجني الى الحضور فأغني غيري عن حضوري يقول من يطلب الامر خذوا عني ولدي فانه يغني عني اي يعينكم عني في دفع عني ايضا مشقة الحضور فقوله لا يغني عنهم اي لا يدفع عنهم الضرر ولا شك ان قوله لا يدفع عنهم ضررا ابلغ من قوله لا ينفعهم نعماء وانما في المؤمن لو قال يوم يغني عنهم صدقهم لما فهم منه نفعهم فقال يوم ينفع كانه قال يوم يغنيهم صدقهم فكانه استعمل في المؤمن يغنيهم وفي الكافر لا يغني عنهم وهو مما لا يطلع عليه الا من يكون عنده من علم البيان طرف وينفكر بقريحة وقادة آيات الله ووقفه الله (المسئلة الثالثة) الاصل تقديم الفاعل على المفعول والاصل تقديم المضمرة على المظهر (اما في الاول) فلان الفاعل متصل بالفعل ولهذا قالوا فعلت فاسكنوا اللام لثلا يلزم اربع متحركات في كلمة واحدة وقالوا ضربك ولم يسكنوا لان الكاف ضمير المفعول وهو منفصل (واما تقديم المضمرة) فلانه يكون اشد اختصارا فانك اذا قلت ضربني زيد يكون اقرب الى الاختصار من قولك ضرب زيد اي اي فان لم يكن هناك اختصار كقولك مررت زيد ومرزید بی فالاولى تقديم الفاعل وههنا لو قال يوم لا يغنيهم كيدهم كان الاحسن تقديم المفعول فاذا قال يوم لا يغني عنهم صار كما قلنا في مرزید بی فلم لم يقدم الفاعل نقول فنه فائدة مستفادة من علم البيان وهو ان تقديم الهم اولى فلو قال يوم لا يغني كيدهم كان السامع لهذا الكلام ربما يقول لا يغني كيدهم غيرهم فيرجو الخير في حقهم واذا سمع لا يغني عنهم انقطع رجاؤه وانتظر الامر الذي ليس بمن (المسئلة الرابعة) قد ذكرنا ان معنى الكيد هو فعل يسوء من نزول به وان حسن ممن صدر منه فا الفائدة في تخصيص العمل الذي يسوء بالذكر ولم يقل يوم لا يغني عنهم افعالهم على الاطلاق نقول هو قياس بالطريق الاولى لانهم كانوا يأتون بفعل يسيء النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وكانوا يعتقدون انه احسن اعمالهم فقال ما اغني احسن اعمالهم الذي كانوا يعتقدون فيه ليقطع رجاءهم عمادونه (وفيه وجه آخر) وهوانه تعالى لما قال من قبل ام يريدون كيدا وقد قلنا ان اكثر المفسرين على ان المراد به تدبيرهم في قتل النبي صلى الله عليه وسلم قال هم المكيدون اي لا ينفعهم كيدهم في الدنيا فسادا يفعلون يوم لا ينفعهم ذلك الكيد بل يضربهم وقوله ولا هم ينصرون فيه وجوه (احدها) انه متمم بيان وجهه هوان الداهي او لا يرتب امورا لدفع المكروه بحيث لا يحتاج الى الانتصار بالغير والملة بما اذا

لم ينفعه ذلك ينتصر بالاغيار فقال لا ينفعهم افعال انفسهم ولا ينصرهم غيرهم عند  
البأس وحصول اليأس عن اقبالهم (ثانيها) ان المراد منه ما هو المراد من قوله تعالى  
لاتعن عني شفاعتهم شيئا ولا يتقذون فقوله يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي عبادتهم  
الاصنام وقولهم هؤلاء سفعاؤنا وقولهم مانعبدكم الا ليقربونا وقوله ولا هم ينصرون  
اي لانصيرلهم كالاشفيع ودفع العذاب اما شفاعة شفيع او بنصر ناصر (بالها) ان  
نقول الاضافة في كيدهم اضافة المصدر الى المفعول لا اضافته الى الفاعل فكأنه قال  
لا يغني عنهم كيد الشيطان اياهم وبانه هوانك تقول اعجنى ضرب زيد عمرا واعجنى  
ضرب عمرو فاد اقتصرت على المصدر والمضاف اليه لا يعلم الا بالقرينة والية فاد اسمعت  
قول القائل اعجنى ضرب يريديحتمل ان يكون زيد ضاربا ويحتمل ان يكون مضروبا فاذا  
سمعت قول القائل اعجنى قطع اللص على سرقة دلت القرينة على انه مضاف الى المفعول  
فان قيل هذا فاسد من حيب انه ايضاح واضح لان كيد المكيد لا ينفع قطعاً ولا يخفي  
ذلك على احد فلا يحتاج الى بيان لكن كيد الكائد يظن انه ينفع فقال تعالى ذلك لا ينفع  
نقول كيد الشيطان اياهم على عبادة الاصنام وهم كانوا يظنون انها تنفع واما كيدهم  
التي اوصى الله عليه وسلم كانوا يعلمون انه لا ينفع في الآخرة وانما طلبوا ان ينفعهم في  
الدنيا لافي الآخرة فالاشكال يقلب على صاحب الوجه الاول ولا اشكال على الوجهين  
جميعا اذا تمكرت فيما قلناه \* ثم قال تعالى (وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولن  
اكرمهم لايعلمون) في اتصال الكلام وجهان (احدهما) متصل بقوله تعالى فذرهم وذلك  
لانه يدل على عدم جواز القتال وقد قيل انه نازل قبل سرعة القتال وحيث ذكره قال  
فذرهم ولا تذرهم مطلقا من غير قتال بل لهم قبل يوم القيامة عذاب يوم بدر حيب تؤمر  
بقتالهم فيكون بياناً ووعدا بنسخ فذرهم بالعذاب يوم بدر (بانيهما) هو متصل بقوله  
تعالى لا يغني وذلك لانه لما بين ان كيدهم لا يغني عنهم قال ولا يقتصر على عدم الاعمال  
لهم مع ان كيدهم لا يغني ويل آخر وهو العذاب المعدلهم ولو قال لا يغني عنهم كيدهم  
كان يوهم انه لا ينفع ولكن لا يضروا لما قال مع ذلك وان للذين ظلموا عذابا رال ذلك وفيه  
مسائل (المسئلة الاولى) الذين ظلمواهم اهل مكة ان قلنا العذاب هو عذاب يوم بدر وان  
قلنا العذاب هو عذاب القرى الذين ظلموا عام في كل ظالم (المسئلة الثانية) ما المراد من  
الظلم ههنا بقول فيه وجوه (الاول) هو كيدهم نبيهم والباقي عاداتهم الا وبان والبالغ  
كفرهم وهذا مناسب للوجه الثاني (المسئلة الثالثة) دون ذلك على قول اكر المفسرين  
معناه قبل ذلك ويؤيده قوله تعالى ولنديقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر  
ويحتمل وجهين آخرين (احدهما) دون ذلك اي اقل من ذلك في الدوام والسدة يقال  
الضرب دون القتل في الايام ولا سك ان عذاب الدنيا دون عذاب الآخرة على هذا  
المعنى وعلى هذا فيه فائدة التنبيه على عذاب الآخرة العظيم وذلك لانه اذا قال عذابا

وان للذين ظلموا اي لهم ووضه  
الموصول موضع الضمير لما ذكر  
من دل اي وان لهؤلاء الظلة  
(عذابا) آخر (دون ذلك) دون  
مالاتوه من القتل اي قبله وهو  
التحط الذي اصابهم سبع سنين  
او وراءه كما في قوله

ترك القذى من دونها وهو دونها  
وهو عذاب القبر وما بعده من  
فتن عذاب الآخرة وقرئ  
دون ذلك قريبا (ولكن اكثرهم  
لا يعلمون) ان الامر كاد كروفيه  
اساره الى ان فهم من يعلم ذلك  
واما يصري على الكفر عذابا ولا  
لعلوا سنا اصلا

دون ذلك اى قتل وعذابا في القبر فيفكر المتفكر ويقول ما يكون القتل دونه لا يكون الاعظيا فان قيل فهذا المعنى لا يمكن ان يقال في قوله تعالى ولنديقنهم من العذاب الادنى سون العذاب الا كبر قلنا نسلم ذلك ولكن لا مانع من ان يكون المراد ههنا هذا الثاني على طريقة قول القائل تحت لجأك مفسد ودون غرضك متاعب وبيان هوانهم لماعبدوا غير الله ظلوا انفسهم حيث وضعوها في غير موضعها الذي خلقت له فقيل لهم ان لكم دون ذلك الظلم عذابا (المسئلة الرابعة) ذلك اشارة الى ما دانقول الفناهر انه اشارة الى اليوم وفيه وجهان آخران (احدهما) في قوله يصعقون وقوله لا يغنى عنهم اشارة الى عذاب واقع فقوله ذلك اشارة اليه ويمكن ان يقال قد تقدم قوله ان عذاب ربك لواقع وقوله دون ذلك اى دون ذلك العذاب (ثانيهما) دون ذلك اى كيدهم فذلك اشارة الى الكيد وقدينا وجهه في المال الذي ملنا وهو قول القائل تحت لجأك حرماتك والله اعلم (المسئلة الخامسة) ولكن اكثرهم لا يعلمون ذكرنا فيه وجوها (احدها) انه جرى على عادة العرب حيث تعبر عن الكل بالاكثر كما قال تعالى اكثرهم بهم مؤمنون ثم ان الله تعالى تكلم على تلك العادة ليعلم ان الله استحسنهم من المتكلم حيث يكون ذلك بعيدا عن الخلف (ثانيها) منهم من آمن فلم يكن ممن لا يعلم (ثالثها) هم في اكثر الاحوال لم يعلموا وفي بعض الاحوال علموا واقوله انهم علموا حال الكسوف وان لم يفهمهم (المسئلة السادسة) مفعول لا يعلمون جازان يكون هو ما تقدم من الامر وهو ان لهم عذابا دون ذلك و جازان لا يكون له مفعول اصلا فيكون المراد اكثرهم غافلون جاهلون \* ثم قال تعالى (فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم) وقد ذكرنا في تفسير قوله تعالى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس ونشير الى بعضه ههنا فان طول العهد ينسى فقول لما قال تعالى فذرهم كان فيه الاشارة الى انه لم يبق في نصيحهم نفع ولا سيما وقد تقدم قوله تعالى وان يروا كسفا من السماء وكان ذلك مما يحمل النبي صلى الله عليه وسلم على الدعاء كما قال نوح عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وكادما يونس عليه السلام فقال الله تعالى اصبر و بدل اللعن بالتسليم وسبح بحمد ربك بدل قولك اللهم اهلكهم ألا ترى الى قوله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت وقوله تعالى فانك باعيننا فيه ر - وه (الاول) انه تعالى لما بين انهم يكيدونه كان ذلك مما يقتضى في العرف البادرة الى اهلاكهم لثلاثتهم كيدهم فقال اصبر ولا تخف فانك محفوظ باعيننا (ثانيها) انه تعالى قال فاصبر ولا تدع عليهم فانك برأى منا نراك وهذه الحالة تقتضى ان تكون افضل ما يكون من الاحوال لكن كونك مسجعا لنا افضل من كونك داعيا على اعدائنا فاختارنا افضل فانك برأى منا (ثالثها) ان من يشكو حاله عند غيره يكون فيه شبهة عن عدم علم المشكو اليه بحال الشاكي فقال تعالى اصبر ولا تشك حالك فانك باعيننا نراك فلا فائدة في شكواك وفيه مسائل مختصة

( فاصبر لحكم ربك ) بامهالهم الى يوم . وعود وابعائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان ومعاناة الهموم ( فانك باعيننا ) اى في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك وسلكوك وجمع العين لجمع الضمير والايذان بعبادة الاعتناء بالحفظ ( وسبح ) اى ترهه تعالى عما لا يليق به ملتسنا ( بحمد ربك ) على نعمائه العاشية للعصر ( حين تقوم ) من اى مكان هت قال سعيد ابن جبير وعطاء اى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه صل لله حين تقوم من منامك وقال الصالح والربيع اداغت الى الصلاة قتل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقوله تعالى

بهذا الموضع لا توجد في قوله فاصبر على ما يقولون (المسئلة الاولى) اللام في قوله فاصبر  
لحكم تحتمل وجوها (الاول) هي بمعنى الى اي اصبر الى ان يحكم الله (الثاني) الصبر فيه  
معنى التبات فكأنه يقول فانت لحكم ربك يقال نبت فلان لحمل قرنه (الثالث) هي  
اللام التي تستعمل بمعنى السبب يقال لم خرجت فيقال لحكم فلان على بالخروج فقال  
فاصبر واجعل سبب الصبر امثال الامر حين قال فاصبر اي فاصبر لهذا الحكم  
عليك لالشيء آخر (المسئلة الثانية) قال ههنا بأعيننا وقال في موضع آخر ولتصنع على  
عيني نقول لما وجد الضمير هناك وهو اء المتكلم وحده وحد العين ولما ذكر ههنا ضمير  
الجمع في قوله بأعيننا وهو النون جمع العين وقال بأعيننا هذا من حيث اللفظ وامامنا  
حيث المعنى فلان الحفظ ههنا اتم لان الصبر مطية الرحمة بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث  
اجتمع له اللباس وجعواله مكايده وتشاوروا في امره وكذلك امره بالقلك وامره بالاتخاذ  
عند عدم الماء وحفظه من الفرق مع كون كل البقاع مغمورة تحت الماء تحتاج الى حفظا  
عظيم في نظر الخلق فقال بأعيننا (المسئلة الثالثة) ما وجه تعلق الباء ههنا قلنا قد ظهر  
من جميع الوجوه اما ان قلنا بأنه للحفظ فتقديره محفوظ بأعيننا وان قلنا للعلم فعناه برأي  
منا اي بمكان نراك وتقديره فانك بأعيننا امرئي وحينئذ هو كقول القائل رأته بمعنى كما  
يقال كتب بالقلم الاكلة وان كان رؤية الله ليست بأكله فان قيل فما الفرق في الموضعين  
حيث قال في طه على عيني وقال ههنا بأعيننا وما للفرق بين على وبين الباء نقول معنى على  
هناك هو انه يرى على ما يرضاه الله تعالى كما يقول افعله على عيني اي على رضى تقديره  
على وجه يدخل في عيني والثفت اليه فان من يفعل شيئا لغيره ولا يرضيه لا ينظر فيه ولا  
يقلب عينه اليه والبا في قوله وسبح بحمد ربك قد ذكرناها وقوله حين تقوم فيه وجوه  
(الاول) تقوم من موضعك والمراد قبل القيام حين ماتعزم على القيام حين مجئ القيام  
وقد ورد في الخبر ان من قال سبحان الله من قبل ان يقوم من مجلسه يكتب ذاك كفارة  
لما يكون قد صدر منه من اللفظ والغو في ذلك الجمل (الثاني) حين تقوم من النوم وقد  
ورد ايضا فيه خبر يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يسبح بعد الاتباه (الثالث) حين  
تقوم الى الصلاة وقد ورد في الخبر انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في افتتاح الصلاة  
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك (الرابع) حين تقوم  
لامر ما ولا سيما اذا قت منتصبا لمجاهدة قومك ومعاداتهم والدعاء عليهم فسبح بحمد ربك  
وبدل قيامك للمعاداة وانتصابك للاتقام بقيامك لذكر الله وتسبيحه (الخامس) حين  
تقوم اي بالنهار فان الليل محل السكون والنهار محل الابتغاء وهو بالقيام اولى وعلى هذا  
يكون كقوله ومن الليل فسبحه اشارة الى ما سبق من الزمان وكذلك ادبار النجوم وهو اول  
الصبح وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه وادبار النجوم) قد تقدم تفسيره وهو كقوله تعالى  
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقد ذكرنا فائدة الاختصاص بهذه الاوقات

(ومن الليل فسبحه) افراد لبعض  
الليل بالسبح لما ان العباد فيه  
اسق على النفس وابتعد عن الرءاء  
كما يلوح به تقديمه على الفعل  
وادبار النجوم اي وقت ادبارها  
من آخر الليل اي عبادتوا  
الصباح وقيل السبح من الليل  
صلاة العشاءين وادبار النجوم  
صلاة الفجر وهى ادبار النجوم  
بافتتح اي في اعقابها اذا  
اوحشت عن السجدة الصلاة  
والطورك كان حقاً على الله تعالى  
ان يؤمنه من عذابه وان يسعته  
في جنته

ومعناه ونحتم هذه السورة بفائدة وهى انه تعالى قال ههنا وادبار النجوم وقال فى ق وادبار السجود ويحتمل ان يقال المعنى واحد والمراد من السجود جمع ساجد وللنجوم سجود قال تعالى والنجم والتجر يسجدان وقيل المراد من النجم نجوم السماء وقيل النجم مالا ساق له من النبات قال الله تعالى والله يسجد من فى السموات ومن فى الارض او المراد من النجوم الوظائف وكل وظيفة نجم فى اللغة اى اذا فرغت من وظائف الصلاة فقل سبحان الله وقد ورد فى الحديث من قال عقيب الصلاة سبحان الله عشرين مرارا والمحمد لله عشرين مرارا والله اكبر عشرين مرارا كتب له الف حسنة فيكون المعنى فى الموضوعين واحدا لان السجود من الوظائف والمشهور الظاهر ان المراد من ادبار النجوم وقت الصبح حيث يدبر النجم وينحني ويذهب ضياؤها بضوء الشمس وحينئذ تين ماذكرنا من الوجه الخامس فى قوله حين تقوم ان المراد منه النهار لانه محل القيام ومن الليل القدر الذى يكون الانسان يقظان فيه وادبار النجوم وقت الصبح فلا يخرج عن التسييح الا وقت النوم وهذا آخر تفسير هذه السورة والله اعلم والمحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

(سورة النجم ستون وآيتان مكية)  
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنجم اذا هوى) وقبل الشروع فى التفسير تقدم مسائل ثم تنفرغ للتفسير وان لم تكن منه (المسئلة الاولى) اول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها لفظا ومعنى (اما اللفظ) فلان ختم والطور بالنجم وافتتاح هذه بالنجم مع واو القسم (واما المعنى) فنقول الله تعالى لما قال لنبىه صلى الله عليه وسلم ومن الليل فسجد وادبار النجوم بين له انه جزأه فى اجزاء مكيدة النبى صلى الله عليه وسلم بالنجم وبعده فقال ماضل صاحبكم وما غوى (المسئلة الثانية) السور التى تقدمت وافتتاحها بالقسم بالاسماء دون الحروف هى والصفات والذاريات والطور وهذه السورة بعدها فالاولى فيها القسم لانبات الوحداية كما قال تعالى ان الهكم لواحد وفى النانية لوقوع الحشر والجزء كما قال تعالى انما توعدون لصاديق وان الدين لواقع وفى الثالثة لدوام العذاب بعد وقوعه كما قال تعالى ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع وفى هذه السورة لنبوة النبى صلى الله عليه وسلم لتكمل الاصول الثلاثة الوحداية والحشر والنبوة (المسئلة الثالثة) لم يقسم الله على الوحداية ولا على النبوة كثيرا اما على الوحداية فلانه اقسام بأمر واحد فى سورة الصفات واما على النبوة فلانه اقسام بأمر واحد فى هذه السورة وبأمرين فى سورة الضحى واكثر من القسم على الحشر وما يتعلق به فان قوله تعالى والليل اذا يغنى وقوله تعالى والشمس وضحاها وقوله تعالى والسماء ذات البروج الى غير ذلك كلها فيها الحشر وما يتعلق به وذلك لان دلائل الوحداية كثيرة كلها عقلية كما قيل

\* (سورة والنجم مكية وآيتها  
احدى او اثنتان وستون) \*

\*(بسم الله الرحمن الرحيم)\*

(والنجم اذا هوى) المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب له او جنس النجوم وبهويه غرو به وقيل طلوعه يقال هوى هويا يوزن فبول اذا غرب وهو ياوزن دخول اذا علا وصعد واما النجم من نجوم القرآن فهو به نزوله والعامل فى اذا فعل القسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ من معنى الاستقبال كما فى فوالك آتيك اذا اجر البسر وفى الاقسام بذلك على نزاهته عليه الصلاة والسلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع مالا غاية وراءه اما على الاولين فلائن النجم شأنه ان يتدى به السارى الى مسالك الدنيا كأنه قيل والنجم الذى يتدى به السالبة الى سواء السبيل

وفي كل شئ له آية \* تدل على انه واحد

ودلائل النبوة ايضا كثيرة وهى المعجزات المشهورة والمتواترة واما الحشر فامكانه يثبت بالعقل واما وقوعه فلا يمكن اثباته الا بالسمع فأكثر القسم ليقطع به المكلف ويعتقده اعتقادا جازما واما التفسير ففقيه مسائل (الاولى) الواو للقسم بالنجم او رب النجم ففقيه خلاف قدمناه والاظهر انه قسم بالنجم يقال ليس للقسم فى الاصل حرف اصلا لكن الباء الواو استعملتا فيه لمعنى عارض وذلك لان الباء فى اصل القسم هى الباء التى للصاق والاستعانة فكما يقول القائل استعنت بالله يقول اقسمت بالله وكما يقول اقوم بعون الله على العدو يقول اقسم بحق الله فالباء فيها بمعنى كما تقول كتب بالقلم فالباء فى الحقيقة ليست للقسم خبران القسم كثر فى الكلام فاستغنى عن ذكره وغيره لم يكثر فلم يستغن عنه فاذا قال القائل بحق زيد فهم منه القسم لان المراد لو كان هو مثل قوله ادخل بحق زيد او اذهب بحق زيد او لم يقسم بحق زيد لذكر كما ذكر فى هذه الاشياء لعدم الاستغناء فلما لم يذ كر شئ علم ان الحذف للشهرة والاستغناء وذلك ليس فى غير القسم فعلم ان المحذوف فعل القسم فكأنه قال اقسم بحق زيد فالباء فى الاصل ليس للقسم لكن لما عرض ما ذكرنا من الكثرة والاشتهار قيل الباء للقسم ثم ان المتكلم نفى فيه فقال هذا لا يخلو عن التباس فاقى اذا قلت بالله توقف السامع فان سمع بعده فعلا غير القسم كقوله بالله استعنت وبالله قدرت وبالله مستيت واخذت لا يحمله على القسم وان لم يسمع حله على القسم ان لم يتوهم وجود فعل ذكرته ولم يسمعه امان توهم انى ذكرت مع قولى بالله شيئا آخر وسمعه هو ايضا يتوقف فيه فى الفهم توقف فاذا أراد المتكلم الحكيم اذهاب ذلك مع الاختصار وترك ما استغنى عنه وهو فعل القسم ابدل الباء بالتاء وقال تالله فتكلم بهانى كلمة الله لاستتار كلمة الله والاثن من الالتباس فان التاء فى اوائل الكلمات قد تكون اصلية وقد تكون للخطاب والتأنيث فلواقسم بحرف التاء بمن اسمه داعى او راعى او هادى او عادى يقول تداعى او تراعى او تهادى او تعادى فيلتبس وكذلك فبين اسمه رومان او توران اذا قلت ترومان او توران على انك تقسم بالتاء تلتبس بتاء الخطاب وتأنيث فى الاستقبال فأبدلوا واو الايقال عليه اشكالان (الاول) مع الواو لم يؤمن الالتباس نقول ولى فتلتبس الواو الاصلية بالتى للقسم لانا نقول ذلك لم يلزم فيما ذهبنا اليه وانما كان ذلك فى الواو حيث يدل وينبى عن العطف وان لم يستعمل الواو للقسم كيف وذلك فى الباء التى هى كالاصل متحقق نقول برام فى جمع برمة وبهام فى جمع بهمة وبغال للبسية الباء الاصلية التى فى البغال والبرام بالباء التى تلصقها بقولك مال ورأى فتقول بمال واما التاء لما استعملت للقسم لزم من ذلك الاستعمال الالتباس حيث لم يكن من قبل حرفا من الادوات كالباء والواو (والاشكال الثانى) لم تركت الباء بمالا الالتباس فيه كقولك تارحيم وتالعظيم يقول لما كان كلمة الله تعالى فى غاية الشهرة والظهور استعملت التاء فيها على خلاف

(ماضى صاحبكم) اى ما عدل عن طريق الحق الذى هو مسلك الآخرة (وما عوى) اى وما اعتقد باطلا فط اى هو فى غاية الهدى والرشد وليس مما تنوهمونه من الضلال والغواية فى نبي اصلا واما على الثالث فلانه تنويه بشأن القرآن كما يشير اليه فى مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه على مناط اهتدائه عليه الصلاة والسلام ومدار رشاده كانه قبل القرآن الذى هو علم فى الهداية الى ما هج



الاصل بمعنى لم يجوز ان يقاس عليها الا ما يكون في شهرتها واما غيرها فربما يخفى عند البعض فان من لم يسمع الرحيم وسمع في النذرة تربيعي قطع ربما يقول ترحيم فعل وفاعل او فعل ومفعول وان كان ذلك في غاية البعد لكن الاستواء في الشهرة في المنقول منه والمنقول اليه لازم ولا مشهور مثل كلمة الله على اننا نقول لم قلت ان عنداء من لا تستعمل الا ترى انه نقل عن العرب ترب الكعبة والذي يؤيد ما ذكرنا انك تقول اقسام بالله ولا تقول اقسام بالله لان الثناء فيه مخافة الانباس عند حذف الفعل من القسم وعند الايمان به لم يخف ذلك فلم يجوز (المسئلة الثانية) اللام في قوله تعالى والنجم لتعريف العهد في قول وتعريف الجنس في قول والاول قول من قال والنجم المراد منه النزيا قال فائلمهم ان بدا النجم عشيا \* ابتغى الراعي كسبا

والثاني فيه وجوه (احدها) النجم هو نجم السماء التي هي ثابتة فيها للاهتداء وقيل لابل النجوم المقضية فيها التي هي رجوم للشياطين (باينها) نجوم الارض وهي من النبات ما لا ساق له (بالتا) نجوم القرآن ولذا كرماسة كل وجه ونين فيه المختار منها ما على قولنا المراد التريا فهو اظهر النجوم عند الرائي لان له علامة لا يلبس بغيره في السماء ويظهر لكل احد والنبي صلى الله عليه وسلم تميز عن الكل بايات بينات فأقسم به ولان التريا اذا ظهرت من المشرق بالبكر حان ادراك الحمار واذا ظهرت بالعشاء أو اخر الخريف تقل الامراض والنبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر قل الشك والامراض القلبية وادركت النار الحكيمة والحلية وعلى قولنا المراد هي النجوم التي في السماء للاهتداء نقول النجوم بها الاهتداء في البراري فأقسم الله بها لما بينهما من المشابهة والمناسبة وعلى قولنا المراد الرجوم من النجوم فالنجوم تبعد الشياطين عن اهل السماء والانبياء يعدون الشياطين عن اهل الارض وعلى قولنا المراد القرآن فهو استدلال بمجزة النبي صلى الله عليه وسلم على صدقه وبرائه فهو كقوله تعالى يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم ماضلت ولا غويت وعلى قولنا النجم هو النبات فقول النبات به نبات القوى الجسمانية وصلاتها والقوة العقلية اولى بالاصلاح وذلك بارسل وابطاح السبل ومن هذا يظهر ان المختار هو النجوم التي هي في السماء لانها اظهر عند السامع وقوله اذا هوى ادل عليه ثم بعد ذلك القرآن ايضا فيه ظهور بم النزيا (المسئلة الثالثة) القول في والنجم كالقول في والطور وحيث لم تقل والنجوم ولا والاطوار وقال والذاريات والمرسلات وقد تقدم ذكره (المسئلة الرابعة) ما الفائدة في تقيد القسم به بوقت هويه بقول النجم اذا كان في وسط السماء يكون بعيدا عن الارض لا يتهدى به الساري لانه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال فاذا زال تين بزواله جانب المغرب من المشرق والجنوب من الشمال كذلك النبي صلى الله عليه وسلم خفض جناحه للمؤمنين وكان على خلق عظيم كما قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وكما قال تعالى فبما رحمة من الله

الدين ومسالل الحق ماضل عنهم محمد عليه الصلاة والسلام وما عوى والخطاب لقريش وايراده عليه الصلاة والسلام بعنوان صاحبيته لهم للايدان بوقوفهم على تفاصيل احواله السريفة واحاطتهم خيرا ببراهته عليه الصلاة والسلام مما نفى عنه بالكايه وباتصافه عليه الصلاة والسلام بعاية الهدى والرشاد فان طول محبتهم له عليه الصلاة والسلام ومشاهدتهم لمحاسن شؤنه العظمى مقتضية لذلك حتما

لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لاتفضوا من حولك فان قيل الاهتداء بالنجم اذا كان على أفق المشرق كالاhtداء به اذا كان على أفق المغرب فلم يبق ما ذكرته جوابا عن السؤال نقول الاهتداء بالنجم وهو مائل الى المغرب اكثر لانه يهتدى في الطريقين الديني والديني اما الديني فلما ذكرنا واما الديني فكما قال الخليل لاحب الاقلين وفيه لطيفة وهي ان الله لما قسم بالنجم شرفه وعظمه وكان من المشركين من يعبدون ققرن بتعظيمه وصفا يدل على انه لم يبلغ درجة العبادة فانه ها اقل \* نعم قال تعالى (ماض صاحبكم وماغوى) اكثر المفسرين لم يفرقوا بين الضلال والغى والذى قاله بعضهم عند محاوله الفرق ان الضلال في مقابلة الهدى والغى في مقابلة الرشدا قال تعالى وان يروا سبيلا الرشدا لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيلا الغى يتخذوه سبيلا وقال تعالى قدتين الرشدا من الغى وتحقيق القول فيه الضلال اعم استعمالا في الوضع تقول ضل بعيرى ورحلى ولا تقول غوى فالمراد من الضلال ان لا يجد السالك الى مقصوده طريقا اصلا والغواية ان لا يكون له طريق الى المقصد مستقيم بذلك على هذا انك تقول للمؤمن الذى ليس على طريق السداد انه سفيه غير رشيد ولا تقول انه ضال كالكافر والغاوى كالفاسق فكما نه تعالى قال ماضل اى ما كفر ولا اقل من ذلك فافسق ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى فان آتستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم او نقول الضلال كالعدم والغواية كالوجود الفاسد في الدرجة والمرتبة وقوله صاحبكم فيه وجهان (الاول) سيدكم والاخر مصاحبكم يقال صاحب البيت ورب البيت ويحتمل ان يكون المراد من قوله ماضل اى ماجن فان المجنون ضال وعلى هذا فهو كقوله تعالى والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وانك لاجرا غير ممنون فيكون اشارة الى انه ماغوى بل هو رشيد مرشد الى الله بارشاد آخر كما قال تعالى قل ما اسئلكم عليه من اجر وقال ان اجرى الاعلى الله وقوله تعالى وانك لعلى خاق عظيم اشارة الى قوله ههنا (وما ينطق عن الهوى) فان هذا خلق عظيم ولين الترتيب فنقول قال اول ماضل اى هو على الطريق وماغوى اى طريقه الذى هو عليه مستقيم وما ينطق عن الهوى اى هو راكب منه اخذ سمت المقصود وذلك لان من يسلك طريقا يصل الى مقصده فربما يبقى بلا طريق وربما يجد اليه طريقا بعد افيه متاعب ومهالك وربما يجد طريقا واسعا آمنا ولكنه يميل يمنة ويسرة فيبعد عنه المقصود ويتأخر عليه الوصول فاذا سلك الجادة وركب منها كان اسرع وصولا ويمكن ان يقال وما ينطق عن الهوى دليل على انه ماضل وماغوى تقديره كيف يضل او يغوى وهو لا ينطق عن الهوى وانما يضل من يتبع الهوى ويدل عليه قوله تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فان قيل ما ذكرت من الترتيب الاول على صيغة الماضى في قوله ماضل وصيغة المستقبل في قوله وما ينطق في غاية الحسن اى ماضل حين اعتزلكم ومتعبدون في صغره وماغوى حين اختلى بنفسه ورأى في منامه مارأى وما ينطق عن الهوى الآن حيب ارسل اليكم

وتقسيم القسم بوقت الهوى على الوحه الاخير ظاهر واما على الاولين فلا ان النجم لا يهتدى به السارى عند كونه في وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدى به عند هبوطه او صعوده مع مافيه من كمال المناسبة لما ينبغي من تدلى حبل من الافق الاعلى ودنوه منه عاينهما السلام هذا هو اللائق بنسأ التنزيل الحبل واما جل هو به على اقتناره

وجعل رسولا ساهدا عليكم فلم يكن اولاضالا ولا عاويا وصار الآن منقذا من الضلالة  
ومرسدا وهاديا واما على ما ذكرت ان تقديره كيف يضل وهو لا ينطق عن الهوى فلا توافقه  
الصيغة نقول بلى وبياته ان الله تعالى يصون من يريد ارساله في صغره عن الكفر والمعائب  
القيمة كالسرقة والزنا واعتياد الكذب فقال تعالى ماضل في صغره لانه لا ينطق عن الهوى  
واحسن ما يقال في تفسير الهوى انها المحبة لكن من النفس يقال هوته بمعنى احبته  
لكن الحروف التي في هوى تدل على الدنو والنزول والسقوط ومنه الهاوية فالنفس اذا  
كانت ذنيئة وتركت المعالي وتعلقت بالسفاسف فقد هوت فاخص الهوى بالنفس  
الامارة بالسوء ولو قلت أهواه بقلبي لزال ما فيه من السفالة لكن الاستعمال بعد استبعاد  
استعمال القرآن حيب لم يستعمل الهوى الا في الموضع الذي يخالف المحبة فانها مستعملة  
في موضع المدح والذي يدل على ما ذكرنا قوله تعالى فأما من طغي وآثر الحياة الدنيا الى قوله  
ونهى النفس عن الهوى اسارة الى علوم مرتبة النفس \* ثم قال تعالى (ان هو الا وحى يوحى)  
بكلمة البيان وذلك لانه تعالى لما قال وما ينطق عن الهوى كأن قائل قال فمادنا ينطق  
أعن الدليل او الاجتهاد فقال لا وانما ينطق عن الله بالوحى وفيه مسائل (المسئلة الاولى)  
ان استعمال مكان ما للشيء كما استعملت ما للسرط مكان ان قال تعالى ما ننسخ من آية او ننسها  
بأت بخير منها والمناسبة بينهما من حيب اللفظ والمعنى اما اللفظ فلان ان من الهمة  
والنون واما من الميم والالف والالف كالهمة والنون كالميم اما الاول فدل على جواز القلب  
واما الثانى فدل على جواز الادغام ووجوبه واما المعنى فلان ان تدل على النفي من وجه  
وعلى الايات من وجه ولكن دلالتها على النفي اقوى وابلغ لان السرط والجزاء في صورة  
استعمال لفظه ان يجب ان يكون في الحال معدوما اذا كان المقصود الحث او المنع تقول  
ان تحسن فلك الثواب وان تسيء فلك العذاب وان كان المراد بيان حال القسمين المشكوك  
فيهما كقولك ان كان هذا القص زجاجا فقيمه نصف وان كان جوهر فقيمه ألف فهما  
وحد شيء مهمما غير معلوم وعدم العلم حاصل وعدم العلم ههما كعدم الحصول في الحب  
والمنع فلا بد في صور استعمال ان من عدم اما في الامر واما في العلم واما الوجود فذلك  
عند وجود السرط في بيان الحال ولهذا قال النحاة لا يحسن ان يقال ان اجر البسر أنك  
لان ذلك امر سيوجد لا محالة وحوزوا استعمال ان فيما لا يوجد اصلا يقال في قطع الرجاء  
ان ابيض القار تعلبني قال الله تعالى فان استقر مكانه فسوف تراني ولم يوجد الاستمرار  
ولا الرؤية فعلم ان دلالة على النفي اتم فان مدلوله الى مدلول ما قرب فاستعمل احدهما  
مكان الآخر هذا هو الظاهر وما يقال ان واما حرفان ناقيان في الاصل فلا حاجة الى  
الترادف (المسئلة الثانية) هو ضمير معلوم او ضمير مذكور نقول فيه وجهان (اسهرهما)  
انه ضمير معلوم وهو القرآن كأنه يقول ما القرآن الا وحى وهذا على قول من قال النجم  
ليس المراد منه القرآن واما على قول من يقول هو القرآن فهو عائد الى مذكور (والوجه

يوم القيامة او على انقضاء  
النجم الذى يرحم به او حل النجم  
على النبات وحل هويه على  
سقوطه على الارض او على ظهوره  
مها لهما لا يناسب المقام (وما  
ينطق عن الهوى) اى وما يصدر  
نطقه بالقرآن عن هواء ورأيه  
اصلا فان المراد استمراره على النطق  
عن الهوى لاننى استمرار النطق  
عنه كما مر مرارا (ان هو) اى  
ما الذى ينطق به من القرآن  
(الاوحى) من الله تعالى وقوله  
تعالى (يوحى) صفة مؤكدة  
لوحى رافعة لاحتمال المحاربه  
للاستمرار التجددى

(الثاني) انه ما ندال مذكور ضموا هو قول النبي صلى الله عليه وسلم وكلامه وذلك لان قوله تعالى وما ينطق عن الهوى في ضمنه الطق وهو كلام وقول فكأنه تعالى يقول وما كلامه وهو نطقه الا وحى وفيه وجه آخر ابعاد وادق وهو ان يقال قوله تعالى ما ضل صاحبكم قد ذكر ان المراد منه في وجه انه ما جن وماسه الجن فليس بكاهن وقوله وما غوى اى ليس بيسنه وبين الغواية تعلق فليس بشاعر فان الشعراء يتبعهم الغاؤون وحينئذ يكون قوله وما ينطق عن الهوى رداعليهم حيث قالوا قوله قول كاهن وقالوا قوله قول شاعر فقال ما قوله الا وحى وليس بقول كاهن ولا شاعر كما قال تعالى وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تدكرون (المسئلة الثالثة) الوحي اسم او مصدر نقول يحتمل الوجهين فان الوحي اسم معناه الكتاب ومصدر وله معان منها الارسال والالهام والكتابة والكلام والاشارة والافهام فان قلنا هو ضمير القرآن فالوحي اسم معناه الكتاب كما أنه يقول ما القرآن الا كتاب ويوحى بمعنى يرسل ويحتمل على هذا ايضا ان يقال هو مصدر اى ما القرآن الارسال والهام بمعنى المفعول اى مرسل وان قلنا المراد من قوله ان هو قوله وكلامه فالوحي حينئذ هو الالهام بمعنى ملهم اى كلامه ملهم من الله او مرسل وفيه مباحث (البحث الاول) الظاهر خلاف ما هو المشهور عند بعض المفسرين وهو اننى صلى الله عليه وسلم ما كان ينطق الا عن وحى ولا جهة لمن توهم هذا في الآية لان قوله تعالى ان هو الا وحى يوحى ان كان ضمير القرآن فظاهر وان كان ضميرا عائدا الى قوله فالمراد من قوله هو القول الذى كانوا يقولون فيه انه قول شاعر ورد الله عليهم فقال ولا يقول شاعر وذلك القول هو القرآن وان قلنا بما قالوا به فينبغى ان يفسر الوحي بالالهام (البحث الثانى) هذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يجتهد وهو خلاف الظاهر فانه في الحروب اجتهد وحرم ما قال الله لم تجرم واذن لمن قال تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم نقول على ما نبت لاندل الآية عليه (البحث الثالث) يوحى يحتمل ان يكون من وحى يوحى ويحتمل ان يكون من اوحى يوحى تقول عدم يعدم واعد عدم يعدم وكذلك علم يعلم واعلم يعلم فنقول يوحى من اوحى لامن وحى وان كان وحى واوحى كلاهما جاء بمعنى ولكن الله في القرآن عند ذكر المصدر لم يذكر الالحاء الذى هو مصدر اوحى وعند ذكر الفعل لم يذكر وحى الذى مصدره وحى بل قال عند ذكر المصدر الوحي وقال عند ذكر الفعل اوحى وكذلك القول في احب وحب فان حب واحب بمعنى واحد والله تعالى عند ذكر المصدر لم يذكر في القرآن الاحباب وذكر الحب قالوا شذبا وحبوا وعبد الفعل لم يقل حبه الله بل قال يحبه ويحبونه وقال يحب احدكم وقال لن تنالوا البرحتى تفقوا مما تحبون الى غير ذلك وفيه سر من علم الصرف وهو ان المصدر والفعل الماضى اللانى فيهما خلاف قال بعض علماء الصرف المصدر مشتق من الفعل الماضى والماضى هو الاصل والدليل عليه وجهان لفظى ومعنوى اما اللفظى فانهم يقولون مصدر فعل يفعل اذا كان متعديا فعل بسكون العين واذا كان لازما

( علمه شديد القوى ) اى ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة في ابداء الحوارق وناهيك دليلا على شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذى هوت تحت الثرى وجلبها على جناحه ورفعها الى لسماء ثم قلبها وصاح بثود صيحة فاصبحوا جائعين وكان هبوطه على الانبياء او صعوده في اسرع من رجة الطرف (ذو مرة) اى حصافة في عقله ورأيه ومثانة في دينه (فاستوى) عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى

فـعـول في الاكثر ولا يقولون الفعل الماضي من فعول فعل وهذا دليل ما ذكرنا واما  
 المعنوى فلان ما يوجد من الامور لا يوجد الا وهو خاص وفي ضمنه العام مثاله الانسان  
 الذي يوجد ويتحقق يكون زيدا او عمرا او غيرهما ويكون في ضمنه انه هندي او تركي  
 وفي ضمن ذلك انه حيوان وناطق ولا توجد الا انسان ثم بصير تركيا ثم بصير زيدا او عمرا  
 اذا علمت هذا فالفعل الذي يتحقق لا ينفك من ان يكون ماضيا او مستقبلا وفي ضمنه  
 انه فعل مع قطع النظر عن مضيه واستقباله مثاله الضرب اذا وجد فاما ان يكون قد  
 مضى او بعد لم يمض والاول ماض والثاني حاضر او مستقبل ولا يوجد الضرب من  
 حيث انه ضرب خاليا عن المضي والحضور والاستقبال غير ان العاقل يدرك من فعل  
 وهو يفعل الآن وسيفعل غدا امرا مشتركا فيسميه فعلا وكذلك يدرك في ضرب وهو  
 يضرب الآن وسيضرب غدا امرا مشتركا فيسميه ضربا فـضرب يوجد ولا ويستخرج  
 منه الضرب والالفاظ وضعت لامور تتحقق فيها فيعبر بها عنها والامور المشتركة لا تتحقق  
 الا في ضمن اشياء اخر فالوضع الاول ما يوجد منه لا يدرك منه قبل الضرب وهذا ما يمكن  
 ان يقال لمن يقول الماضي اصل والمصدر مأخوذ منه \* واما الذي يقول المصدر اصل  
 والماضي مأخوذ منه فله دلائل منها ان الاسم اصل والفعل متفرع والمصدر اسم ولا ان  
 المصدر معرب والماضي مبني والاعراب قبل البناء ولان قال وقال وراع وراع اذا اردنا  
 الفرق بينهما ترد ابنتهما الى المصدر فنقول قال الالف منقلبة من واو بدليل القول  
 وقال الفه منقلبة من ياء بدليل القيل وكذلك الروع والريع واما المعقول فلان  
 الالفاظ وضعت للامور التي في الازمان والعام قبل الخاص في الذهن فان الموجود  
 اذا ادرك معناه يقول المدرك هذا الموجود جوهر او عرض فاذا ادرك انه جوهر يقول  
 انه جسم او غير جسم عند من يجعل الجسم جوهر او هو الاصح الاظهر ثم اذا ادرك كونه  
 جسما يقول هو نام وكذلك الامر الى ان ينتهي الى اخص الاشياء ان امكن الانتهاء اليه  
 بالتقسيم فالوضع الاول الفعل وهو المصدر من غير زيادة ثم اذا انضم اليه زمان تقول  
 ضرب او سيضرب فالمصدر قبل الماضي وهذا هو الاصح اذا علمت هذا فنقول على  
 مذهب من يقول المصدر في الثلاثي من الماضي فالحب واحب كلاهما في درجة واحدة  
 لان كليهما من حب يحب والمصدر من الثلاثي قبل مصدر المنتسبة بمرتبة وعلى مذهب من  
 يقول الماضي في الثلاثي مأخوذ من المصدر فالمصدر الثلاثي قبل المصدر في المنتسبة  
 بمرتبتين فاستعمل مصدر الثلاثي لانه قبل مصدر المنتسبة واما الفعل في احب واوحى  
 فلان الالف فيهما قيد فائدة لا يفيدها الثلاثي المجرد لان احب ادخل في التعديتة وابعده  
 عن توهم الزوم فاستعمله (المسئلة الرابعة) ان هو الاوحى ابلغ من قول القائل هو وحي  
 وفيه فائدة غير المبالغة وهي انهم كانوا يقولون هو قول كاهن هو قول شاعر فأراد نفي قولهم  
 وذلك يحصل بصيغة النفي فقال ما هو كما يقولون وزاد فقال بل هو وحي وفيه زيادة فائدة

قوله تعالى ما اوحى بيان لكيفية  
 التعليم اى فاستقام على صورته  
 التي خلقه الله تعالى عليها دون  
 الصورة التي كان يتنزل بها كما  
 هبط بالوحى وذلك ان رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم احب ان يراه  
 في صورته التي جبل عليها وكان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 بحرا فطلع له جبريل عليه السلام  
 من المشرق فسد الارض من  
 المغرب وملا الافق فخر رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم قزل  
 جبريل عليه السلام في صورة  
 الادميين

أخرى وهو قوله يوحى وذلك كقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه وفيه تحقيق الحقيقة  
فإن الفرس الشديد العدو ربما يقال هو طائر فاذا قال يطير بجناحيه يزيل جواز المجاز  
كذلك يقول بعض من لا يحرز في الكلام ويبالغ في المبالغة كلام فلان وحى كما يقول  
شعره سحرو كما يقول قوله معجز فاذا قال يوحى يزول ذلك المجاز أو بعد \* ثم قال تعالى  
(علمه شديد القوى) وفيه وجهان أشهرهما عند المفسرين أن الضمير في علمه عائذ إلى  
الوحى أى الوحى علمه شديد القوى والوحى أن كان هو الكتاب فظاهر وإن كان  
الإلهام فهو كقوله تعالى نزل به الروح الأمين والاولى أن يقال الضمير عائذ إلى محمد صلى  
الله عليه وسلم تقديره علم محمد شديد القوى جبريل وحيث أن يكون عائذ إلى صاحبكم  
تقديره علم صاحبكم وشديد القوى هو جبريل أى قوام العملية والعملية كلها شديدة فيعلم  
ويعمل وقوله شديد القوى فيه فوائد (الاولى) أن مدح المعلم مدح المتعلم فلو قال علمه  
جبريل ولم يصفه ما كان يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم به فضيلة ظاهرة (الثانية) هى أن  
فيه ردًا عليهم حيث قالوا أساطير الأولين سمعها وقت سفره إلى الشام فقال لم يعلمه أحد  
من الناس بل علمه شديد القوى والإنسان خلق ضعيفا ومأثوق من العلم الا قليلا (الثالثة)  
فيه وثوق بقول جبريل عليه السلام كقوله تعالى شديد القوى جمع ما يوجب الوثوق لأن  
قوة الإدراك شرط الوثوق بقول القائل لأننا ظننا بواحد فساد ذهن ثم نقل الياعن  
بعض الأكابر مسألة مشكلة لأنق بقوله ونقول هو ما فهم ما قال وكذلك قوة الحفظ حتى  
لا نقول أدر كها لكن نسبهاو كذلك قوة الأمانة حتى لا نقول حرفها وغيرها فقال شديد  
القوى ليجمع هذه الشرائط فيصير كقوله تعالى ذى قوة عذذى العرش مكين إلى أن  
قال أمين (الرابعة) فيه تسليية النبي صلى الله عليه وسلم وهى من حيث أن الله تعالى لم يكن  
مختصا بمكان فنسبته إلى جبريل كنسبته إلى محمد صلى الله عليه وسلم فاذا علم بواسطته  
يكون نقصا عن درجته فقال ليس كذلك لأنه شديد القوى يثبت لمكاننا وانت بعد  
ما استويت فتكون كموسى حيث خرفكأه تعالى قد علمه بواسطة ثم علمه من غير واسطة  
كما قال تعالى وعلك ما لم تكن تعلم وقال صلى الله عليه وسلم ادبني ربى فاحس تأديبي  
\* ثم قال تعالى (ذومرة فاستوى) وفي قوله تعالى ذومرة وجوه (أحدها) ذوق قوة  
(ثانيها) ذو كمال في العقل والدين جميعا (ثالثها) ذو منظر وهيبة عظيمة (رابعها) ذو خلق  
حسن فإن قيل على قولنا المراد ذوق قوة قد تقدم بيان كونه ذاقوى في قوله شديد القوى  
فكيف نقول قوامه شديدة وله قوة نقول ذلك لا يحسن أن جاء وصفه بعد وصفه واما أن  
جاءه لا يجوز كأنه قال علمه ذوق قوة وترك شديد القوى فليس وصفه ذوق قوة  
عظيمة أو كاملة وهو حيث أن كقوله تعالى أنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش  
مكين فكأنه قال علمه ذوق قوة فاستوى والوجه الآخر في الجواب هو أن أفراد قوة  
بالذكر ربما تكون لسان أن قوام الشهورة سديدة وله قوة أخى خصه الله بها يقال فلان

فضه إلى نفسه وجعل يسمع الغبار  
عن وجهه قيل مارآه أحد من  
الانبياء في صورته غير النبي عليه  
الصلاة والسلام فإنه رآه فيها  
مرتين مرة في الأرض ومرة في  
السماء وقيل استوى بهوته على  
ما جعل له من الأمر وقوله تعالى  
(وهو بالافق الأعلى) أى افق  
الشمس حال من فاعل استوى (ثم  
دنا) أى أراد الدنو من النبي  
عليهما الصلاة والسلام (فتدلى)  
أى استرسل من الافق الأعلى مع  
تعلق به فدنا من النبي يقال بدلت

كثير المال وله مال لا يعرفه احد اى امواله الفاضلة كثيرة وله مال باطن على انا نقول  
المراد ذوشدة وتقديره علمه من قواه شديدة وفي ذاته ايضا شدة فان الانسان ربما تكون  
قواه شديدة وفي جسمه صغرو حقارة ورخاوة وفيه لطيفة وهى انه تعالى اراد بقوله شديد  
التقوى قوته في العلم \* ثم قال تعالى ذومرة اى شدة في جسمه فقدم العلية على الجسمية  
كما قال تعالى وزاده بسطة في العلم والجسم وفي قوله فاستوى وجهان المشهور ان المراد  
جبريل او فاستوى جبريل في خلقه \* ثم قال تعالى (وهو بالافق الاعلى) والمشهور  
ان هو ضمير جبريل وتقديره استوى كما خلقه الله تعالى بالافق الشرقى فسد المشرق  
لعظمته والظاهر ان المراد محمد صلى الله عليه وسلم معناه استوى بمكان وهو بالمكان العالى  
رتبة ومنزلة في رفعة القدر لاحقيقة في الحصول في المكان فان قيل كيف يجوز هذا والله  
تعالى يقول ولقد رآه بالافق المبين اشارة الى انه رأى جبريل بالافق المبين نقول وفي ذلك  
الموضع ايضا نقول كما قلنا ههنا انه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل وهو بالافق المبين  
يقول القائل رأيت الهلال فيقال له ابن رأيت فيقول فوق السطح اى ان الرأى فوق  
السطح لا المرئى والمبين هو الفارق من أبان اى فرق اى هو بالافق الفارق بين درجة  
الانسان ومنزلة الملك فانه صلى الله عليه وسلم انتهى وبلغ الغاية وصار نبيا كما صار بعض  
الانبياء نبيا يأتيه الوحي في نومه وعلى هيئته وهو واصل الى الافق الاعلى والافق الفارق  
بين المزلتين فان قيل ما بعده يدل على خلاف ما ذهب اليه فان قوله ثم دنا فتدلى الى غير  
ذلك وقوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى كل ذلك يدل على خلاف ما ذكرته  
نقول سنين موافقته لما ذكرنا ان شاء الله تعالى في مواضعه عند ذكر تفسيره فان قيل  
الاحاديث تدل على خلاف ما ذكرته حيث ورد في الاخبار ان جبريل صلى الله عليه وسلم  
أرى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه على صورته فسد المشرق فنقول نحن ما قلنا انه لم يكن  
وليس في الحديث ان الله تعالى أراد بهذه الآية تلك الحكاية حتى يلزم مخالفة الحديث  
وانما نقول ان جبريل أرى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه مرتين وبسط جناحيه وقدرت  
الجانب الشرقى وسده لكن الآية لم ترد لبيان ذلك \* ثم قال تعالى (ثم دنا فتدلى) وفيه  
وجوه مشهورة (احدها) ان جبريل دنا من النبي صلى الله عليه وسلم اى بعد ما مد  
جناحه وهو بالافق عاد الى الصورة التي كان يعتاد النزول عليها وقرب من النبي صلى الله  
عليه وسلم وعلى هذا ففي تدلى ثلاثة وجوه (احدها) فيه تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى من  
الافق الاعلى فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم (الثاني) الدنو والتدلى بمعنى واحد كما  
قال دنا فاقرب (الثالث) دنا اى قصد القرب من محمد صلى الله عليه وسلم وتحرك عن المكان  
الذي كان فيه فتدلى فنزل الى النبي صلى الله عليه وسلم (الثاني) على ما ذكرنا من  
الوجه الاخير في قوله وهو بالافق الاعلى ان محمد صلى الله عليه وسلم دنا من الخلق والامة  
ولان لهم وصار كواحد منهم فتدلى اى فتدلى اليهم بالقول اللين والدعاء الزفريق فقال انا

الثرة ودلى وحليه من السرير  
وادلى دلوه والدولى الثمر المعلق  
(فكان) اى مقدار امتداد  
ما بينهما (قاب قوسين) اى  
مقدارهما فان القاب والقريب  
والقاد والقيد والقيس المقدار  
وقيل فكان جبريل عليه السلام  
كما في قولك هو منى معقد الازار  
(او ادنا) اى على تقديركم كافي  
قوله تعالى او يزيدون والمواد  
تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق  
استماعه لما اوحى اليه بنفى البعد  
المليس (فاوحى) اى جبريل  
عليه السلام



بشر مثلكم يوحى الى وعلى هذا فى الكلام كما لان كانه تعالى قال الاوحى يوحى جبريل  
على محمد فاستوى محمد وكل فدان من الخلق بعد علوه وتدى اليهم وبلغ الرسالة (الثالث)  
وهو ضعيف سخيف وهوان المراد منه هوربه تعالى وهو مذهب القائلين بالجهة والمكان  
الله لا ان يريد القرب بالمنزلة وعلى هذا يكون فيه ما فى قوله صلى الله عليه وسلم حكاية  
عن ربه تعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه  
بأما ومن مشى الى أئنته هرولة اشارة الى المعنى المجازى وههنا لما بين ان النبي صلى الله  
عليه وسلم استوى وعلا فى المنزلة العقلية لافى المكان الحسى قال وقرب الله منه تحقيقا  
لما فى قوله من تقرب الى ذراعا تقربت اليه بأما \* ثم قال تعالى ( فكان قاب قوسين  
اودنى ) اى بين جبريل ومحمد عليهما السلام مقدار قوسين او اقل ورد هذا على  
استعمال العرب وعادتهم فان الاميرين منهم او الكبيرين اذا اصطلحا وتعاهدا خرجا  
بقوسيهما ووتر كل واحد منهما طرف قوسه بطرف قوس صاحبه ومن دونهما من الرعية  
يكون كفه بكفه فينهان باعيهما ولذلك تسمى مبايعة وعلى هذا فقيه لطيفة وهى ان قوله  
قاب قوسين على جعل كونهما كبيرين وقوله اودنى لفضل احدهما على الآخر فان  
الامير اذا بايعه الرعية لا يكون مع المبايع قوس فيصافه الامير فكأنه تعالى اخبر انهما  
كأثيرين كبيرين فكان بينهما مقدار قوسين او كان جبرائيل عليه السلام سفيرا بين  
الله تعالى ومحمد صلى الله عليه وسلم فكان كالتبع لمحمد صلى الله عليه وسلم فصار كالمبايع  
الذى يمد الباع لا القوس هذا على قول من يفضل النبي صلى الله عليه وسلم على جبرائيل  
عليه السلام وهو مذهب اهل السنة الاقليلا منهم اذ كان جبرائيل رسولا من الله واجب  
التعظيم والاتباع فصار النبي صلى الله عليه وسلم عنده كالتبع له على قول من يفضل جبريل  
على النبي صلى الله عليه وسلم وفيه وجه آخر على ما ذكرنا وهوان يكون القوس عبارة  
عن بعد من قاس يقوس وعلى هذا فقول ذلك البعد هو البعد النوعى الذى كان للنبي  
صلى الله عليه وسلم فانه على كل حال كان بشرا وجبريل على كل حال كان ملكا فالنبي  
صلى الله عليه وسلم وان زال عن الصفات التى تخالف صفات الملك من الشهوة والغضب  
والجهل والهوى لكن بشرته كانت باقية وكذلك جبريل وان ترك الكمال والطف  
الذى يمنع الرؤية والاحتجاب لكن لم يخرج عن كونه ملكا فلم يبق بينهما اختلاف  
حقيقتهما واما سائر الصفات الممكنة ازوال فزالتهما فارتفع البى صلى الله عليه  
وسلم حتى بلغ الافق الاعلى من البشرية وتدى جبريل عليه السلام حتى بلغ الافق الادنى  
من الملكية فتقاربا ولم يبق بينهما الاحقيقتهما وعلى هذا ففى فاعل اوحى الاول وجهان  
(احدهما) ان الله تعالى اوحى وعلى هذا فى عبده وجهان (احدهما) انه جبريل عليه  
السلام ومعناه اوحى الله الى جبريل وعلى هذا فى فاعل اوحى الاخير وجهان  
(احدهما) الله تعالى ايضا والمعنى حينئذ اوحى الله تعالى الى جبريل عليه السلام الذى

( الى عبده ) عبدالله تعالى  
واضماره قبل الذ كرعاية ظهوره  
كافى قوله تعالى ماترك على ظهرها  
(ما اوحى) اى من الامور العظيمة  
التي لا تنفى بها العبارة او فاعل الله  
تعالى حينئذ بواسطة جبريل  
ما اوحى قبل اوحى اليه ان الجنة  
محرمة على الانبياء حتى تدخلها  
وعلى الامم حتى تدخلها امتك  
(ما كذب الفؤاد) اى فؤاد محمد  
عليه الصلاة والسلام (ماراى)  
اى مارآه بصره من صورة  
جبريل عليهما السلام اى ما قال  
فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال  
دليل كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما  
رآه بصره

اوحاه اليه تفخيما وتعظيما للموحى (ثانيهما) فاعل اوحى ثانيا جبريل والمعنى اوحى الله الى جبريل ما اوحى جبريل الى كل رسول وفيه بيان ان جبريل امين لم يخن في شيء مما اوحى اليه وهذا كقوله تعالى نزل به الروح الامين وقوله مطاع ثم امين (الوجه الثاني) في عبده على قولنا الموحى هو الله انه محمد صلى الله عليه وسلم معناه اوحى الله الى محمد ما اوحى اليه للتفخيم والتعظيم وهذا على ما ذكرنا من التفسير ورد على ترتيب في غاية الحسن وذلك لان محمدا صلى الله عليه وسلم في الاول حصل في الافق الاعلى من مراتب الانسان وهو النبوة ثم دان من جبريل وهو في مرتبة النبوة فصار رسولا فاستوى وتكامل ودنا من الامة بالطف وتدلى اليهم بالقول الرفيق وجعل يتردد مرارا بين امته وربهم فأوحى الله اليه من غير واسطة جبريل ما اوحى (والوجه الثاني) في فاعل اوحى اولا هو انه جبريل اوحى الى عبده اى الى عبد الله والله معلوم وان لم يكن مذكورا وفي قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ما يوجب القطع بعدم جواز اطلاق هذا اللفظ على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا ففاعل اوحى ثانيا يحتمل وجهين (احدهما) انه جبريل اى اوحى جبريل الى عبد الله ما اوحاه جبريل للتفخيم (وثانيهما) ان يكون هو الله تعالى اى اوحى جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم ما اوحى الله اليه وفي الذى اوحى وجوه (اولها) الذى اوحى الصلاة (ثانيها) ان احدا من الانبياء لا يدخل الجنة قبلك وامة من الامة لا تدخل الجنة قبل امتك (ثالثها) ان ما للعموم والمراد كل ما جاء به جبريل وهذا على قولنا بان المراد جبريل صحيح والوجهان المتقدمان على قولنا المراد محمد عليه الصلاة والسلام اظهر وفيه وجه غريب من حيث العربية مشهور معناه عند الاصوليين ولتين ذلك في معرض الجواب عن سؤال وهو ان يقال بمعرفة محمد صلى الله عليه وسلم ان جبريل ملك من عند الله وليس احدا من الجن والذى يقال ان خديجة كشفت رأسها امتحانا في غاية الضعف ان ادعى ذلك الفائل ان المعرفة حصلت بائنا ذلك وهذا ان اراد القصة والحكاية وان خديجة فعلت هذا لان فعل خديجة غير منكر وانما المنكر دعوى حصول المعرفة بفعلها وامثالها وذلك لان الشيطان ربما استتر عند كشف رأسها اصلا فكان يشتبه بالملائكة فيحصل اللبس والابهام والجواب الصحيح من وجهين (احدهما) ان الله اظهر على يد جبريل معجزة عرفه النبي صلى الله عليه وسلم بها كما اظهر على يد محمد معجزات عرفناه بها (وثانيهما) ان الله تعالى في خلق محمد صلى الله عليه وسلم علما ضروريا بان جبريل من عند الله ملك لاجنى ولا شيطان كما ان الله تعالى خلق في جبريل علما ضروريا ان المتكلم معه هو الله تعالى وان المرسل له ربه لا غيره اذا علم الجوابان فنقول ﴿قوله تعالى﴾ (فاوحى الى عبده ما اوحى) وفيه وجهان (احدهما) اوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم ما اوحاه الى جبريل اى كله الله انه وحي

وقرى ما كذب اى صدقه ولم يشك انه جبريل بصورة (افتقارونه على ما يرى) اى اتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معانية او ابعدا ما ذكر من احواله المنافية للممارسة تمارونه من المراء وهو الملاحة والمجادلة واشتقاقه من مرى النافعة كما ورد من التجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرى افتقروا اى اقتلبونه في المراء من ماريته فمرته ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما يقال غلبته على كذا وقيل افتقروا اى اقتبعتونه من مراء حقه ادا ججده (ولقد رآه نزلة اخرى) اى

او خلق فيه علم ضروريا (ثانيهما) اوحى الى جبريل ما اوحى الى محمد دليله الذي به يعرف انه وحي فعلى هذا يمكن ان يقال ما مصدرية تقديره فاوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم الانحاء اى العلم بالانحاء ليفرق بين الملك والجن \* ثم قال تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الفؤاد فؤاد من نقول المشهور انه فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم معناه انه ما كذب فؤاده واللام لتعريف ما علم حاله لسبق ذكر محمد عليه الصلاة والسلام في قوله الى عبده وفي قوله وهو بالافق الاعلى وقوله تعالى ماضل صاحبكم ويحتمل ان يقال ما كذب الفؤاد اى جنس الفؤاد لان المكذب هو الوهم والخيال يقول كيف يرى الله او كيف يرى جبريل مع انه اللطف من الهواء والهواء لا يرى وكذلك يقول الوهم والخيال ان رأى ربه رأى في جهة ومكان وعلى هيئة والكل ينافى كون المرئى أهلا ولورأى جبريل عليه السلام مع انه صار على صورة دحية او غيره فقد انقضت حقيقته ولو جاز ذلك لارتفع الايمان عن المراتب فنقول رؤية الله تعالى ورؤية جبريل عليه السلام على ما رآه محمد عليه الصلاة والسلام جائزة عند من له قلب فالفؤاد لا ينكر ذلك وان كانت النفس المتوهمة والمتخيلة تنكره (المسئلة الثانية) ما معنى ما كذب نقول فيه وجوه (الوجه الاول) ما تاله ان يخسرى وهو ان قلبه لم يكذب وما قال ان ما رآه بصره ليس بصحيح ولو قال فؤاده ذلك لكان كاذبا فيما قاله وهو قريب مما قاله المبرد حيث قال معناه صدق الفؤاد فيما رأى شيئا فصدق فيه (الثاني) قرئ ما كذب الفؤاد بالتشديد ومعناه ما قال ان المرئى خيال لاحتماله (الثالث) هو ان هذا مقرر لما ذكرنا من ان محمد صلى الله عليه وسلم لما رأى جبريل عليه السلام خلق الله له علما ضروريا علم انه ليس بخيال وليس هو على ما ذكرنا قصد الحفي وتقديره ما يجوز ان يكون كاذبا ونفى الوقوع وارادة نفي الجواز كبير قال الله تعالى لا يخفى على الله منهم شيء وقال لا تدركه الابصار وقال وما ربك بئاءل والكل لى الجواز بخلاف قوله تعالى لا نضيع اجر المحسنين ولا نضيع اجر من احسن عملا ولا يفتقران بسره نانه لى الوقوع (المسئلة الثالثة) الرأى في قوله ما رأى هو الفؤاد او البصر او خبر ما تولى فيه رجوه (الاول) الفؤاد كانه تعالى قال ما كذب الفؤاد ما رآه الفؤاد اى لم يقل انه جنى او شيطان بل يتقن ان ما رآه بفؤاده صدق صحيح (الثاني) البصر اى ما كذب الفؤاد ما رآه البصر ولم يقل ان ما رآه البصر خيال (الثالث) ما كذب الفؤاد ما رأى محمد عليه الصلاة والسلام وهذا على قولنا الفؤاد الجنس ظاهر اى القلوب تتدبحة ما رآه محمد صلى الله عليه وسلم وان كانت الاوهام لا تعترف بها (المسئلة الرابعة) ما المرئى في قوله ما رأى نقول على الاختلاف السابق والذي يحتمل الكلام وجود ثلاثة (الاول) الرب تعالى (الثاني) جبريل عليه السلام (الثالث) الآيات البحيمة الالهية فان قبل كيف يمكن رؤية الله تعالى بحيث لا يقدح فيه ولا يلزم منه كونه جسماني جهمة نتول ان علم ان العاقل اذا تأدل

وبالله لقد رأى جبريل في صورته مرة اخرى من النزول لصبت النزله نصب الظرف الذى هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها وقبل تقديره ولقد رآه نازلا نزله اخرى فنصبتها على المصدر (عند سدره المنتهى) هى شجرة نبت في السماء السابعة عن عرش العرش ثم رها كقلال هجر وورها كاذان الفيول تبع من اصلها الانهار التي ذكرها الله تعالى في كتابه يسر الراكب في ظله سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء والانتها

وتفكر في رجل موحد في مكان وقال هذا مرئى الله تعالى يراه الله وتفكر في امر  
لا يوجد اصلا وقال هذا مرئى الله تعالى يراه الله تعالى يحد بينهما فرقا وعقله يصحح  
الكلام الاول ويكذب الكلام الثانى فذلك ليس بمعنى كونه معلوما لانه لو قال الموجود  
معلوم الله والمعدوم معلوم الله لما وجد في كلامه خللا واستبعادا قاله راء بمعنى كونه  
عالمنا ان الله يكون رائيا ولا يصير مقابلا للرئى ولا يحصل في جهة ولا يكون مقابلا له  
وانما يصعب على الوهم ذلك من حيث انه لم ير شيئا الا في جهة فيقول ان ذلك واجب وبما  
يصح هذا انك ترى في الماء قرا وفي الحقيقة مارأيت القمر حالة نظرك الى الماء الا في  
مكانه فوق السماء فأريت القمر في الماء لان الشعاع الخارج من البصر اتصل به فرد  
الماء ذلك الشعاع الى السماء لكن وهمك لما رأى أكثر مارأه في المقابلة لم يعمد  
رؤية شئ يكون خلفه الا بالتوجه اليه قال اتى أرى القمر ولا رؤية الا اذا كان المرئى  
في مقابلة الحدقة ولا مقابل للحدقة الا الماء فتحكم ادن براء على هذا انه يرى القمر في  
الماء فالوهم يعلب العقل في العالم ليكون الامور العاجلة اكثرها وهمية حسية وفي  
الآخرة تزول الاوهام ونجلي الافهام فترى الاشياء لوجودها لا تعجزها واعلم ان من  
يسكر جواز رؤية الله تعالى يلزمه ان ينكر جواز رؤية جبريل عليه السلام وفيه  
انكار الرسالة وهو كفر وفيه ما يكاد ان يكون كفرا وذلك لان من شك في رؤية الله تعالى  
يقول لو كان الله تعالى جائز الرؤية لكان واجب الرؤية لان حواسنا سليمة والله تعالى  
ليس من وراء حجاب ولا هو في غاية البعد عما لعدم كونه في جهة ولا مكان فلو جاز ان يرى  
ولا يراه للرم القدح في المحسوسات المشاهدات اذ يجوز حينئذ ان يكون عندنا جبل  
ولا نراه فيقال لذلك القائل قد صح ان جبريل عليه السلام كان ينزل على محمد صلى  
الله عليه وسلم وعنده غيره وهو يراه ولو وجب ما يجوز لراه كل احد فان قيل ان هالك حجابا  
نقول وحب ان يرى هالك حجابا فان الحجاب لا يحجب اذا كان مرئيا على مذهبهم فما  
الصوص وردت ان محمد صلى الله عليه وسلم رأى ربه بفؤاده فجعل بصره في فؤاده اوراه  
بصره فجعل فؤاده في بصره وكيف لا وعلى مذهب اهل السنة الرؤية بالارادة لا بقدره  
العبد فاذا حصل الله تعالى العلم بالسئ من طريق البصر كان رؤية وان حصله من طريق  
القلب كان معرفة والله قادر على ان يحصل العلم بخلق مدرك للمعلوم في البصر كما قدر على  
ان يحصله بخلق مدرك في القلب والمسئلة مختلف فيها بين الصحابة في الوقوع واختلاف  
الوقوع بما ينشئ عن الاتفاق على الجواز والمسئلة مذكورة في الاصول فلا تطولها  
\* قال تعالى (أفتمارونه على ما يرى) اى كيف تجادلونه وتوردون سكوككم عليه مع  
انه رأى مارأى عين اليقين ولا شك بعد الرؤية فهو جارم متيقن وانتم تقولون اصابه الجن  
ويمكن ان يقال هو مؤكد للعين الذى تقدم وذلك لان من يقن شيئا قد يكون بحيث  
لا يزول عن نفسه تنكيك \* واكده بقوله تعالى (ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى)

في منتهى الحلة وقدر الها منتهى  
علم الخلاق واعمالهم ولا يعلم  
احدا ما وراءها وقيل ينتهى اليها  
ارواح الشهداء وفعل ينهى  
اليها ما يهبط من فوقها ويصعد  
من تحتها قيل اضافة السدرة الى  
المنتهى اما اضافة السئ الى  
مكانه كقولك اشجار الستار او  
اضافة المحل الى الحال كقولك  
كتاب الفقه والتقدير سدرة  
عندها منتهى علوم الخلاق او  
اضافة الملك الى المال على حدى  
الجار والمحرور اى سدرة المنتهى  
اليه وهو الله عز وجل قال  
تعالى الى ربك المنتهى

وذلك لانه صلى الله عليه وسلم لما رآه وهو على بسط الارض كان يحتمل ان يقال انه من الجن احتمالا في غاية البعد لما بينا انه صلى الله عليه وسلم حصل له العلم الضروري بانه ملك مرسل والاحتمال البعيد لا يقدح في الجزم واليقين ألا ترى انا اذا نمنا بالليل وانتهينا بالنهار نجزم بان البحار وقت نومنا ما نشفت ولا غارت والجمال ما عدت ولا سارت مع احتمال ذلك فان الله قادر على ذلك وقت نومنا ويعيدها الى ما كانت عليه في يومنا فلما رآه عند سدرة المنتهى وهو فوق السماء السادسة لم يحتمل ان يكون هناك جن ولا انس فنتي ذلك الاحتمال ايضا فقال تعالى أفتمارونه على ما يرى رأى العين وكيف وهو قادر على السماء فماذا تقدر ان تقولوا فيه وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الواو يحتمل ان تكون عاطفة ويحتمل ان تكون الحال على ما بينا اى كيف تجادلونه فيما رآه على وجه لا يشك فيه ومع ذلك لا يحتمل ايراد الشكوك عليه فان كثيرا ما يشك المعتقد لشيء فيه ولكن ترد عليه الشكوك ولا يمكنه الجواب عنها ولا تثرب مع ذلك في ان الامر كما ذكرنا من المثال لانا لان شك في ان البحار ما صارت ذهباً والجمال ما صارت عهنا واذا اورد علينا مورد شكاً وقال وقت نومك يحتمل ان الله تعالى قلبها ثم اعادها لا يمكننا الجواب عنه مع اننا نشك في استمرارها على ما هي عليه لا يقال اللام تنا في كون الواو للحال فان المستعمل يقال أفتمارونه وقدرأى من غير لام لانا نقول الواو التى للحال تدخل على جملة والجملة تتركب من مبتدأ وخبر او من فعل وفاعل وكلاهما يجوز فيه اللام (المسئلة الثانية) قوله نزلة فعلة من النزول فهى كجلسة من الجلوس فلا بد من نزول فذلك النزول لمن كان نقول فيه وجوه وهى مرتبة على ان الضمير في رآه عائد الى من وفيه قولان (الاول) عائد الى الله تعالى اى رأى الله نزلة اخرى وهذا على قول من قال ما رأى في قوله ما كذب القواد ما رأى هو الله تعالى وقد قيل بان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه بقلبه مرتين وعلى هذا فالنزلة تحتمل وجهين (احدهما) انها لله تعالى وهذا فوجهان (احدهما) قول من يجوز على الله تعالى الحركة والانتقال وهو باطل (وثانيهما) النزول بالقرب المعنوى لا الحسى فان الله تعالى قد يقرب بالرجة والفضل من عبده ولا يراه العبد ولهذا قال موسى عليه السلام رب ارنى اى ازل بعض عجب العظمة والجلال وادن من العبد بالرجة والافضل لاراك (والوجه الثانى) ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى الله نزلة اخرى وحيثئذ يحتمل ذلك وجهين (احدهما) ان النبى صلى الله عليه وسلم نزل على متن الهوى ومركب النفس ولهذا يقال لمن ركب متن هواه انه علا في الارض واستكبر قال تعالى علا في الارض (ثانيهما) ان المراد من النزلة ضدها وهى العرجة كما قال رآه عرجة اخرى وانما اختار النزلة لان العرجة التى في الآخرة لا نزلة لها فقال نزلة ليعلم انها من الذى كان في الدنيا (والقول الثانى) انه عائد الى جبريل عليه السلام اى رأى جبريل نزلة اخرى والنزلة حيثئذ يحتمل ان تكون لمحمد صلى الله عليه وسلم كما ذكرناه لان النبى صلى الله

(عندها جنة الماوى) اى الجنة التى يأوى اليها المقون او ارواح الشهداء والجملة حالية وقيل الاحسن ان يكون الحال هو الطرف وجنة الماوى مرتفع به على الصاعلية وقوله تعالى (اذ يعشى السدرة ما يعشى) ظرف زمان لآه لاما بعده من الجملة المنفية كما قيل فان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والعشيان بمعنى التعطية والستر ومنه الغواشى او معنى الاتيان يقال فلان يعشأى كل حين اى يأتيه والاول هو الايق بالمقام وفى اهتمام ما يعشى من التفتيم مالا يخفى وتأخير عن المفعول للتشويق اليه اى ولقد رآه عند السدرة وقت ما عشيها ما عشيها مما لا يكتنه الوصف ولا يفي به البيان كيفاً ولا كما وصية المضارع لحكاية الحال الماضية استحضاراً لصورتها البديعة والايادى باستمرار العشيان فطرقى

عليه وسلم على ما ورد في بعض اخبار ليلة المعراج جبريل عليه السلام وقل له  
جبريل عليه السلام لودنوب اثثة لاحترقت سم عاد اليه فذئذ نزل فاقبل و يقف قال  
اخرى نقول لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في امر الصلاة ترد مرارا فربما كان يهز  
كل مرة وينزل الى جبريل ويحتمل أن تكون جبريل عليه السلام واللاه ما قول وعلم  
هذا الوجه فنزلة اخرى ظاهر لان جبريل كان له نزلات وكان له نزلان عليه وهو  
على صورته وقوله تعالى عند سدره المنتهى المشهور ان السدره سجرة في السماء السابعة  
وعليها مثل النبق وقيل في السماء السادسة ورد في الخبر انه صلى الله تعالى عليه وسلم  
قال نبهها كقلال هجر وورقها كادان القلعة ونيل سدره المنتهى هي الحيرة التي روى  
السدره والسدره كالركبة من الركاب يعني عند ما يحار العقل حيرة لاحيرة فوقها ما  
النبي صلى الله عليه وسلم وما غاب ورأى ما رأى وقوله عند ظرف كان او ظرف زمان  
هذا الموضع نقول المشهور انه ظرف مكان تقديره رأى جبريل او غيره بقرب سدرته  
وقيل ظرف زمان كما يقال صليت عدد طلوع الصبح وتقديره رآه في الزمان الذي يسمى  
الزمان الذي تحار فيه عقول العقلاء والرؤية من اتم العلوم وذلك الوقت الذي  
الجهل والحيرة فهو عليه الصلاة والسلام ما حار وقتا من سنده ان يحار العقلاء به و  
اعلم (المسئلة السابعة) ان قلنا معناه رأى الله كيف يفهم عند سدره المنتهى قلنا فيه اقوال  
(الاول) قول من يجعل الله في مكان وهو باطل وقد بالغنا في بيان بطلانه في سورة العجدة  
(الثاني) رآه محمد صلى الله عليه وسلم وهو عند سدره المنتهى لان الظرف قد يكون ظرفا  
لرائي كما ذكرنا من المثال يقال رأيت الهلال فيقال لقائله اين رأيت فيقول على السطح  
وربما يقول عند السجرة الفلانية واما ان قلنا ان المراد جبريل عليه السلام فالوجهان  
ظاهران وكون النبي صلى الله عليه وسلم مع جبريل عند سدره المنتهى اظهر (المسئلة الثامنة)  
اضافة السدره الى المنتهى من اى الاصافة نقول يحتمل وجوها (احدها) انه قد  
الشيء الى مكانه يقال اسماء بلدة كذا لان طول من البرد ويقال اسماء لاجلته لا تبس  
ولا تخلو من النار فالمنتهى حيثن موضع لا يعدها ملك وقيل لا يعدها روح من الارواح  
(وثانيهما) اضافة المحل الى الحال فيه يقال كتاب الفقه ومحل السواد وعلى هذا فالمنتهى  
عند السدره تقديره سدره عندها انتهى العلوم (بالسها) اضافة الملك الى مالكه يقال دار  
زيدا واشجار زيد وحيثن فالمنتهى اليه محذوف تقديره سدره المنتهى اليه تعالى الله تعالى  
الى ربك المنتهى فالمنتهى اليه هو الله واطافة السدره اليه حيثن كان الله اليه  
تسريته والاعجاز ويقال في التسبيح باغاية مناه وادنى الامهات تعالى  
(عدها: الاولى) وفي نزلة السدره السدره هي الجنة المأوى هي الجنة التي وعد بها  
المتقون وحيثن الاضافة كما في قوله تعالى دار المصاة وقيل هي جنة اخرى عندها يكون  
ارواح السهداء وقيل هي جنة للملائكة وقرى جبه بالسها من جن بمعنى اجن يقال جن

التجدد وقيل يعيشها الم العقب  
من الملائكة يعبدون الله تعالى  
عندها وقيل يروونها متبركين  
بها كما يروى الناس الكعبة وقيل  
يعيشها سجدات ابواب الله عز وجل  
حين تنجلي لها كما تنجلي للجناب لها  
كانت اقوى من الجبل وان  
حيث لم يصعب ما صاه من ذلك  
وقيل يعيشها فراس او حرد من  
ذهب وهو قول ابن عباس وابن  
مسعود والصحاح وروى عن  
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال  
رأيت السدره يعيشها فراس من  
ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا  
فاما يسبح الله تعالى وعنه عليه  
الصلاة والسلام يعيشها فراس  
من طير خضر (مارع البصر)  
اي مامل نصر رسول الله صلى  
الله عليه وسلم عماره (وماطى)  
وما تجاوزه مع ما شاهد ههنا من  
الامور العجبة المذهلة ما لا يحصى  
بل انتم انما تسمعون متيسرا او ما  
عدل عن رؤية العجائب التي امر





السلام فانه قطع النظر وغشى عليه وفي الاول بيان ادب محمد صلى الله عليه وسلم وفي الثاني بيان قوته (الوجه الثاني) في اللام انه تعريف الجنس اى مازاغ بصرا صلا في ذلك الموضوع لعظمة الهيبة فان قيل لو كان كذلك لقال مازاغ بصرا لانه ادل على العموم لان النكرة في معرض النفي تم نقول هو كقوله لا تدركه الابصار ولم يقل لا يدركه بصرا (المسئلة الثانية) ان كان المراد محمدا فلو قال مازاغ قلبه كان يحصل به فائدة قوله مازاغ البصر نقول لا وذلك لان من يحضر عند ملك عظيم يرى من نفسه انه بهابه ويرتجف اظهارا لعظمته مع ان قلبه قوى فاذا قال مازاغ البصر يحصل منه فائدة ان الامر كان عظيما ولم يزغ بصره من غير اختيار من صاحب البصر (المسئلة الثالثة) وما طغى عطف جلة مستقلة على جلة اخرى او عطف جلة مقدرة على جلة مثال المستقلة خرج زيد ودخل عمرو ومثال المقدرة خرج زيد ودخل بقول الوجهان جائزان (اما الاول) فكأنه تعالى قال عند ظهور النور مازاغ بصرا محمد صلى الله عليه وسلم وما طغى محمد بسبب الالتفات ولو التفت لكان طاغيا (واما الثاني) فظاهر على الوجه اما على قولنا غشى السدرة جراد فلم يلتفت اليه وما طغى اى ما التفت الى غير الله فلم يلتفت الى الجراد ولا الى غير الجراد سوى الله واما على قولنا غشيتها نور فقوله مازاغ اى مامل عن الانوار وما طغى اى ما طلب شيئا وراءها (وفيه لطيفة) وهى ان الله تعالى قال مازاغ وما طغى ولم يقل مامل وما جاوز لان الميل في ذلك الموضوع والمجازة مذمومة فاستعمل الزيف والطغيان فيه وفيه وجه آخر وهوان يكون ذلك بآثار الوصول محمد صلى الله عليه وسلم الى سدرة البقيين الذى لا يقين فوقه ووجه ذلك ان بصرا محمد صلى الله عليه وسلم مازاغ اى مامل عن الطريق فلم ير الشئ على خلاف ما هو عليه بخلاف من ينظر الى عين الشمس مثلا ثم ينظر الى شئ ابيض فانه يراه اصفرا واخضر يزيف بصره عن جادة الابصار وما طغى ما تخيل المعدوم موجودا فرأى المعدوم مجاوزا لحد \* ثم قال تعالى (لقدرأى من آيات ربه الكبرى) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) فيه دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ليلة المعراج آيات الله ولم ير الله وفيه خلاف ووجهه هو أن الله تعالى ختم قصة المعراج برؤية الآيات وقال سبحانه الذى اسرى بعبده ليلا الى ان قال لنزله من آياتا ولو كان رأى ربه لكان ذلك اعظم ما يمكن فكانت الآية الرؤية وكان اكبر شئ هو الرؤية ألا ترى ان مرله مال يقال له سافر لتريح ولا يقال سافر لتفرج لما ان الرمح اعظم من التفرج (المسئلة الثانية) قال بعض المفسرين لقد رأى من آيات ربه الكبرى هى انه رأى جبريل عليه السلام في صورته فهل هو على ما قاله نقول الظاهر ان هذه الآيات غير تلك وذلك لان جبريل عليه السلام وان كان عظيما لكن ورد في الاخبار ان الله ملائكة اعظم منه والكبرى تأنيث الاكبر فكأنه تعالى يقول رأى من آيات ربه آيات هن اكبر الآيات فان قيل قال الله تعالى انها الاحد الكبر مع ان اكبر من سقر عجائب الله فكذلك الآيات

الاعز كانت لعطفان وهى سيرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا بن الوليد فقطعها فخرحت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهى تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العرى وان تعبد ابدا ومائة مضرة لهذيل وخراطة وقيل لتغيف وكان لها سميت مائة لان دماء المسائك تحى عندها هى تراقى وقرى ومائة وهى معقة من النوء كأنهم كانوا يستطرون عند انوارها انوارا تتركها والاحرى صفة ذم لها وهى المتأخرة الوضعية المقدار وقد حوز ان تكون الاولى والتقدم عندهم لاث والعرى ثم انهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة وتلك الاصنام بات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبخا وتبكيئا افرأيت الخ والهجرة للانكار والفاء

الكبرى تكون جبريل ومافيه وان كان لله آيات اكبر منه نقول سقراحدى الكبرى  
احدى الدواهي الكبرى ولاشك ان في الدواهي سقر عظيمة كبيرة واما آيات الله فليس  
جبريل اكبرها ولان سقر في نفسها اعظم واعجب من جبريل عليه السلام فلا يلزم من  
صفته بالكبر صفتها بالكبرى ( المسئلة الثالثة ) الكبرى صفة ما دا نقول فيه وجهان  
(احدهما) صفة محذوف تقديره لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى (ثانيهما) صفة آيات ربه  
وعلى هذا يكون مفعول رأى محذوفا تقديره رأى من الآيات الكبرى آية اوشيشا \* ثم قال  
تعالى ( افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ) لما قرر الرسالة ذكر ما يدعى ان  
يبتدى به الرسول وهو التوحيد ومنع الخلق عن الاشرار فقله تعالى افرأيتم اشارة الى  
ابطال قولهم بنفس القول كما ان ضعيفا اذا ادعى الملك ثم رآه العقلاء في غاية البعد عما  
يدعيه يقولون انظروا الى هذا الذي يدعى الملك منكرين عليه غير مستدلين بدليل  
لظهور أمره فذلك قال افرأيتم اللات والعزى اى كما هم وكيف تشركون لهما بالله والتاء  
في اللات تامة تأنيث كما في المناة لكن هنا كتب مطولة لثلا يوقف عليها بتصير هاء فيشتمه باسم  
الله تعالى فان الهاء في الله اصلية ليس تامة تأنيث وقف عليها فان قلبت هاء وهى صنم كانت  
لثقيف بالطائف قال الخزيمى هى فعلة من لوى يلقى وذلك لانهم كانوا يلون عليها  
وعلى ما قال فاصله لوية اسكنت الباء وحذفت لالتقاء الساكنين فقيت لوه قلبت  
الواو الفاقح ما قبلها فصارت لات وفرى اللات بالثديد من لت قيل انه مأخوذ من رجل  
كان يلبس باليمن الطعام ويطعم الناس فبعد واتخذ على صورته وثن وسموه باللات وعلى  
هذا فاللات ذكر واما العزى فتأنيث الاعز وهى شجرة كانت تعبد فعت النبي صلى الله  
عليه وسلم خالد بن الوليد رضى الله عنه فقطعها وخرجت منها شيطانة مكشوفة الرأس  
منشورة الشعر تضرب رأسها وتدعو بالويل والشبور فقتلها خالد وهى تقول  
يا عز كفرائك لا سبحانك \* انى رأيت الله قداها نك \* ورجع الى النبي صلى الله عليه وسلم  
وأخبره بما رأى وفعل فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا واما مناة فهى فعلة صنم الصفا وهى  
صخرة كانت لهذيل وخزاعة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الاخر لا يصح ان يقال الا اذا  
كان الاول مشاركا للثانى فلا يقال رأيت امرأة ورجلا آخر ويقال رأيت رجلا ورجلا  
آخر لاشتراك الاول والثانى في كونهما من الرجال وهما نقوله الثالثة الاخرى يقتضى على  
ما ذكرنا ان تكون العزى ثالثة اولى ومناة ثالثة اخرى وليس كذلك والجواب عنه من  
وجوه (الاول) الاخرى كما هى تستعمل للذم قال الله تعالى وقالت اولاهم لا خراهم اى  
لنا خرتهم وهم الاتباع ويقال لهم الاديان لتأخرهم في المراتب فهى صفة ذم كأنه تعالى  
يقول ومناة الثالثة المتأخرة الذليلة ونقول على هذا الاصنام الثلاثة ترتيب وذلك لان  
الاول كان وناعلى صورة آدمى والعزى صورتها صورة نبات ومناة صورتها صورة صخرة  
هى جاد فالآدمى اشرف من النبات والنات اشرف من الجاد فالجاد متأخر والمناة جاد

لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ما  
ذكر من شأن الله تعالى المافية  
لهاعاية المسافة وهى قلسة  
ومفعولها الثانى محذوف لدلالة  
الحال عليه فالمعنى اعقب ما  
سمعت من آثار كمال عظمة الله عز  
وجل في ملكه وملكوته وحلاله  
وحيروته واحكام قدرته وبعاد  
امره في الملأ الاعلى وما تحت  
الثرى وما بينهما رأيت هذه  
الاصنام مع عاية حقارتها وقائتها  
بنات له تعالى وقيل المعنى امرأته  
هذه الاصنام مع حقارتها ودلتها  
شركاء الله تعالى مع ما تقدم من عظمتها  
وقيل احبرونى عن آلهتكم هل  
لها شئ من القدرة والعظمة  
التي وصف بها رب العزة فى لآى  
السابقة وقيل المعنى اطمئن ان  
هذه الاصنام التي تعبدونها  
تضعكم وقيل اطمئن انها تشفع  
لكم فى الآخرة وقيل افرأيت  
الى هذه الاصنام ان عندتموها  
لا تضعكم وان تركتموها لا تضركم  
والاول





نسبتكم البتات الى الله تعالى مع ان لكم البنين قسمة ضائرة فالمكر تلك النسبة وان كان  
المكر القسمة نقول يجوز ان يكون تقديره أيجوز جعل البتات لله تعالى كما ان واحدا  
اذا كان بينه وبين شريكه شيء مشترك على السوية فيأخذ نصفه لنفسه ويعطى من  
النصف الباقي نصفه لظالمه ونصفه لصاحبه فقال هذه قسمة ضائرة لالكونه اخذ النصف  
فذلك حقه بل لكونه لم يوصل اليه النصف الباقي \* ثم قال تعالى ( ان هي الا أسماء  
سميتوها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ) وفيه مباحث تدق عن ادراك الغوى  
ان لم يكن عنده من العلوم حظ عظيم ولتذكر ما قيل فيه اولا فنقول قبل معناه ان هي  
الاسماء اى كونها اثنا وكونها معبودات اسماء لا مسمى لها فانها ليست باناث حقيقة  
ولا معبودات وقيل اسماء اى قلتم بعضها عزى ولا عزة لها وقيل قلتم انها آلهة وليست  
بآلهة والذى نقوله هو ان هذا جواب عن كلامهم وذلك على ما بينا انهم قالوا نحن لان شك  
في ان الله تعالى لم يلد كما تلد النساء ولم يولد كما تولد الرجال بالمجاعة والاحبال غير انارأينا لفظ  
الولد مستعملا عند العرب في المسبب تقول بنت الجبل وبنت الشفة لما يظهر منهما  
ويوجد لكن الملائكة اولاد الله بمعنى انهم وجدوا بسببه من غير واسطة فقلنا انهم اولاده  
ثم ان الملائكة فيها ثناء التأنيث فقلنا هم اولاد مؤنثة والولد المؤنث بنت فقلنا لهم بنات الله  
اى لا واسطة بينهم وبين الله تعالى في اليجاد كما تقول الفلاسفة فقال تعالى هذه الاسماء  
استنبطتوها انتم بهوى انفسكم واطلقتم على الله ما يوهم النقص وذلك غير جائز وقوله  
تعالى يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وقوله يده الخير اسماء موهمة غير انه تعالى انزلها  
وله ان يسمى نفسه بما اختار وليس لاحد ان يسميه باسم يوهم النقص من غير ورود الشرع  
به ولين التفسير في مسائل ( المسئلة الاولى ) هي ضمير عائدة الى ما دانقول الظاهر انها عائدة الى  
امر معلوم وهو الاسماء كما أنه قال ما هذه التى وضعتوها انتم وهو المشهور ويحتمل  
ان يقال هي عائدة الى الاصنام بأنفسها اى ما هذه الاصنام الاسماء وعلى هذا فهو على  
سبيل المبالغة والتجوز يقال لتحقير انسان ما زيد الاسم وما الملك الاسم اذا لم يكن  
مشتلا على صفة تعتر في الكلام بين الناس ويؤيد هذا القول قوله تعالى ماتعبدون من  
دونه الاسماء اى ما هذه الاصنام الاسماء ( المسئلة الثانية ) ما الفائدة في قوله سميتوها  
مع ان جميع الاسماء هم وضعوها او بعضها هم وضعوها ولم ينكر عليهم فنقول المسئلة  
مختلف فيها ولا يتم الذم الا بقوله تعالى ما أنزل الله بها من سلطان ويانه هو ان الاسماء ان  
نزلها الله تعالى فلا كلام فيها وان وضعها الناس للتفاهم فينبغي ان لا يكون في ضمن تلك  
العائدة مفسدة أعظم منها لكن ايها النقص في صفات الله تعالى اعظم فالله تعالى  
ما يجوز وضع الاسماء للحقائق الاحيث تسلم عن المحرم فلم يوجد في هذه الاسماء دليل نقلي  
ولا وجه عقلي لان ارتكاب المفسدة العظيمة لاجل المنفعة القليلة لا يجوز العاقل فاذا  
ما أنزل الله بها من سلطان ووضع الاسم لا يجوز الا بدليل نقلي او عقلي وهو انه يقع خاليا

لتحقيق ان تلك الاصنام التى  
يسمونها آلهة اسماء مجردة ليس  
لها مسميات قطعا كما في قوله تعالى  
ما تعبدون من دونه الاسماء  
سميتوها الآية لان هناك مسميات  
لكونها لا تستحق السمية وقيل هي  
للأسماء الثلاثة المذكورة حيث  
كانوا يطلقونها على ملك الاصنام  
لاعتقادهم انها تستحق العكوف  
على عبادتها والاعزاز والتقرب  
اليها بالقرابين وانت خبير بأه  
لوسم دلالة الاسماء المذكورة على  
نسوت لآل المعالى الخاصة بالاصنام  
فليس في سلبها عنها منيدة فائدة  
بل انما هي في سلب الالوهية عنها  
كما هو عظم المشهور في حق جميع  
الاصنام على وجه برهاني وان  
اتناء الموصوف يقتضى انتفاء  
الوصف طريق الاولوية اى  
ما هي الاسماء حامية عن المسميات  
وضعتوها ( انتم وآباؤكم ) يقتضى  
اهواؤكم الباطلة ( ما أنزل الله  
بها من سلطان ) برهان تعلقون به

عن وجوه المضار ارجحة ( المسئلة الثالثة ) كيف قال سميتوها اُتِم مع ان هذه الاسامي  
 لاصنامهم كانت قبلهم نقول فيه لطيفة وهي انهم لو قالوا ماسميها واتماهي موضوعة  
 قبلنا قيل لهم كل من يطلق هذه الالفاظ فهو كالمبتدئ الواضع وذلك لان الواضع الاول  
 لهذه الاسماء لما يكن واضعا بدليل نقل ولا واضعا بدليل عقل لم يجب اتباعه فن يطلق  
 اللفظ لان فلانا اطلقه لا يصح منه كما لا يصح ان يقول اضلني الاعمى ولو قاله لقب  
 له بل أنت اضلك نفسك حيث اتبعت من عرفت انه لا يصلح للاقتداء به ( المسئلة  
 الرابعة ) الاسماء لا تسمى وانما يسمى بها فكيف قال سميتوها نقول عنه جوابان  
 ( احدهما ) لغوى وهو ان التسمية وضع الاسم فكأنه قال اسماء وضعتوها فاستعمل  
 سميتوها استعمال وضعتوها ويقال سميت زيدا وسميته يزيد فسميتوها بمعنى سميت بها  
 ( وثانيهما ) معنوى انه لو قال اسماء سميت بها لكان هناك غير الاسم شيء يتعلق به الباء  
 في قوله بها لان قول القائل سميت به يستدعي مفعولا آخر نقول سميت يزيد ابني او عبدي  
 او غير ذلك فيكون قد جعل للاصنام اعتبارا وراء اسمائها واذا قال ان هي الاسماء  
 سميتوها اي وضعتوها في انفسها لسميات لهالم يكن ذلك فان قيل هذا باطل بقوله تعالى  
 واتى سميتها مريم حيث لم يقل واتى سميتها بمریم ولم يكن ماذ كرت مقصودا والالكانت  
 مريم غير ملتفت اليها كما قلت في الاصنام نقول بينهما بون عظيم وذلك لان هاء قال  
 سميتها مريم فذكر المفعولين فاعتبر حقيقة مريم بقوله سميتها واسمها بقوله مريم واما  
 ههنا فقال ان هي الاسماء سميتوها اي ماهناك الاسماء موضوعة فلم تعتبر الحقيقة ههنا  
 واعتبرت في مريم ( المسئلة الخامسة ) ما نزل الله بها من سلطان على اي وجه استعملت  
 الباء في قوله بها من سلطان نقول كما يستعمل القائل ارحل فلان بأهله ومتاعه اي ارحل  
 ومعه الاهل والمتاع كذلك ههنا \* نعم قال تعالى ( ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس  
 ولقد جاءهم من ربهم الهدى ) وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قرئ ان يتبعون بالناء على الخطاب  
 وهو ظاهر مناسب لقوله تعالى اُتِم وآبؤكم وعلى المعايبة وفيه وجهان ( احدهما ) أن  
 يكون الخطاب معهم لكنه يكون التفاتا كما نه قطع الكلام معهم وقال لبيه انهم لا يتبعون  
 الا الظن فلا تلتفت الى قولهم ( ثانيهما ) ان يكون المراد غيرهم وفيه احتمالات  
 ( احدهما ) ان يكون المراد آباءهم وتقديره هو انه لما قال سميتوها اُتِم كما أنهم قالوا هذه  
 ليست اسماء وضعتها نحن واتماهي كسائر الاسماء تلقيناها ممن قبلنا من آباءنا فقال  
 وسمها آبؤكم وما يتبعون الا الظن فان قيل كان ينبغي ان يكون بصيغة الماضي نقول  
 وبصيغة المستقبل ايضا كما نه يفرض الزمان بعد زمان الكلام كما في قوله تعالى وكلهم باسط  
 ذراعيه ( ثانيهما ) ان يكون المراد عامة الكفار كانه قال ان يتبع الكافرون الا الظن  
 ( المسئلة الثانية ) ما معنى الظن وكيف ذمهم به وقد وجب علينا اتباعه في الفقه وقال  
 صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أنا عند ظن عبدي في نقول اما الظن فهو خلاف العلم

( ان يتبعون ) التفات الى الفبيية  
 للايذان بأن تعداد قبائحهم  
 اقتضى الاعراض عنهم وحكاية  
 جناياتهم لغبرهم اي ما يتبعون  
 فيما ذكر من التسيبة والعمل  
 بموجبها ( الا الظن ) الاتوهم ان  
 ما هم عليه حق توهم باطلا وما  
 تهوى الانفس ) اي تشتهيه  
 انفسهم الامارة بالسوء ( ولقد  
 جاءهم من ربهم الهدى ) قيل  
 هي حال من فاعل يتبعون او  
 اعتراض وايماء كان فقهه ما كيد  
 ليطلان اتباع الظن وهوى النفس  
 وزيادة تقييح حالهم فان اتباعهما  
 من اي شخص كان قبيح وعن  
 هداة الله تعالى بارسال الرسول  
 صلى الله عليه وسلم واتزل الكتاب  
 اقم

وقد استعمل مجازا مكان العلم والعلم مكانه واصل العلم الظهور ومنه العلم والعالم وقد يما  
 في تفسير العالمين ان حروف علم في تقاليها فيها معنى الظهور ومنها لمع الأكل اذا ظهر  
 وميض السراب ولمع الغزال اذا عدا وكذا النعام وفيه الظهور وكذلك علمت والظن اذا  
 كان في مقابلة العلم فيه الخفاء ومنه نثر ظنون لا يدري افيها ماء أم لا ومنه الظنين المتهم  
 لا يدري ما يظن نقول يجوز بناء الامر على الظن العايب عند المجزع عن درك اليقين  
 والاعتقاد ليس كذلك لان اليقين لم يتعذر علينا والى هذا اشار بقوله ولقد جاءهم من  
 ربهم الهدى اى اتبعوا الظن وقد امكنهم الاخذ باليقين وفي العمل يمتنع ذلك ايضا  
 (المسئلة الثالثة) ما في قوله تعالى وماتھوى الانفس خبرية او مصدرية نقول فيه  
 وجهان (احدهما) مصدرية كما أنه قال ان يتبعون الا الظن وهوى الانفس فان  
 قيل ما الفائدة في العدول عن صريح المصدر الى الفعل مع زيادة ما وفيه تطويل نقول  
 فيه فائدة وانها في اصل الوضع ثم نذكرها هنا فنقول اذا قال القائل اعجبني صنعك يعلم من  
 الصيغة ان الاعجاب من مصدر قد تحقق وكذلك اذا قال أعجبني ما تصنع يعلم ان الاعجاب  
 من مصدر هو فيه فلو قال أعجبني صنعك وله صنع أمس وصنع اليوم لا يعلم ان المحجب  
 اى صنع هو اذا علمت هذا فنقول ههنا قوله وماتھوى الانفس يعلم منه ان المراد انهم  
 يتبعون ماتھوى انفسهم في الحال والاستقبال اشارة الى انهم ليسوا بنابتين على ضلال  
 واحد وما هوى انفسهم في الماضي شيئا من انواع العبادة فالترموا به وداموا عليه بل  
 كل يومهم يستخرجون عبادة واذا انكسرت اصنامهم اليوم أتوا بغيرها غدا ويغيرون  
 وضع عبادتهم بمقتضى شهوتهم اليوم (ثانيهما) انها خبرية تقديره والذي تشبيهه  
 انفسهم والفرق بين المصدرية والخبرية ان المتبع على الاول الهوى وعلى الثاني مقتضى  
 الهوى كما اذا قلت اعجبني مصنوعك (المسئلة الرابعة) كيف قال وماتھوى الانفس بلفظ  
 الجمع مع انهم لا يتبعون ماتھواه كل نفس فان من النفوس ما لا تهوى ماتھواه غيرها  
 نقول هو من باب مقابلة الجمع بالجمع معناه اتبع كل واحد منهم ماتھواه نفسه يقال خرج  
 الناس بأهلهم اى كل واحد بأهله لا كل واحد بأهل الجمع (المسئلة الخامسة) بين لنا  
 معنى الكلام جملة نقول قوله تعالى ان يتبعون الا الظن وماتھوى الانفس أمر ان  
 مذكور ان يحتمل ان يكون ذكرهما لامرين تقديرين يتبعون الظن في الاعتقاد  
 ويتبعون ماتھوى الانفس في العمل والعبادة وكلاهما فاسد لان الاعتقاد ينبغي أن  
 يكون مبناه على اليقين وكيف يجوز اتباع الظن في الامر العظيم وكلما كان الامر أشرف  
 وأخطر كان الاحتياط فيه اوجب واحذر واما العمل فالعبادة مخالفة للهوى فكيف  
 تبني على متابعتها ويحتمل ان يكون في أمر واحد على طريقة النزول درجه فقال ان  
 يتبعون الا الظن وتهوى الانفس اى ومادون الظن لان القرونة تهوى ما لا يظن به  
 خير وقوله تعالى ولقد جاءهم من ربهم الهدى اشارة الى انهم على حال لا يعتد به لان



اليقين مقدور عليه وتحقق بمجى الرسل \* والهدى فيه وجوه ثلاثة (الاول) القرآن  
 ( الثاني ) الرسل ( الثالث ) المعجزات \* ثم قال تعالى ( ام للانسان ما تمنى ) المشهور ان ام  
 منقطعة معناه الانسان ما اختاره واشتهاه وفي ما تمنى وجوه ( الاول ) الشفاعة  
 تمنوها وليس لهم شفاعة ( الثاني ) قولهم ولئن رجعت الى ربى انى عنده للحسنى ( الثالث )  
 قول الوليد بن المغيرة لا وتين مالا ولا ( الرابع ) تمنى جماعة ان يكونوا انبياء ولم تحصل  
 لهم تلك الدرجة الرفيعة فان قلت هل يمكن ان تكون أم ههنا متصلة نقول نعم والجملة  
 الاولى حينئذ تحتل وجهين ( احدهما ) انها مذكورة في قوله تعالى الكم الذكروه  
 الاثنى كانه قال الكم الذكروه الاثنى على الحقيقة او يجعلون لانفسكم ما تشتهون  
 وتمنون وعلى هذا فقوله تلك اذا قسمه ضربى وغيرها جل اعترفت بين كلا من متصلين  
 ( ثانيهما ) انها محذوفة وتقرير ذلك هو اننا بينا ان قوله افرايتم لبيان فساد قولهم  
 والاشارة الى ظهور ذلك من غير دليل كما اذا قال قائل فلان يصلح للملك فيقول آخر لثالث  
 امارأت هذا الذى يقوله فلان ولا يذكر انه لا يصلح للملك ويكون مراده ذلك فيذكره  
 وحده منها على عدم صلاحه فلهذا قال تعالى افرايتم اللات والعزى اى يستحقان  
 العبادة ام للانسان ان يعبد ما يشبهه طبعه وان لم يكن يستحق العبادة وعلى هذا فقوله  
 ام للانسان اى هل له ان يعبد بالتنى والاشتهاء ويؤيد هذا قوله تعالى وما تنهى الانفس  
 اى عبادتم بهوى انفسكم ما لا يستحق العبادة فهل لكم ذلك \* ثم قال تعالى ( فقل لا الآخرة  
 والاولى ) وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) في تعلق الفاء بالكلام وفيه وجوه ( الاول ) ان  
 تقديره الانسان اذا اختار معبودا في دنياه على ما تمناه واشتهاه فقل لا الآخرة والاولى  
 يعاقبه على فعله في الدنيا وان لم يعاقبه في الدنيا فيعاقبه في الآخرة وقوله تعالى وكم من ملك  
 الى قوله تعالى لا تغنى شفاعتهم يكون مؤكدا لهذا المعنى اى عقابهم يقع ولا يشفع  
 فيهم احد ولا يغنيهم شفاعة شافع ( الثاني ) انه تعالى لما بين ان اتخاذ اللات والعزى باتباع  
 الظن وهوى الانفس كانه قررهم وقال ان لم تعلموا هذا فقل لا الآخرة والاولى وهذه الاصنام  
 ليس لها من الامر شئ فكيف يجوز الاشرار وقوله تعالى وكم من ملك على هذا الوجه  
 جواب كلامهم قالوا لا نشرك بالله شيئا واما هذه الاصنام شفعاءونا فانها صور ملائكة  
 مقربين فقال وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا ( الثالث ) هذا تسلية كانه  
 تعالى قال ذلك لنبيه حيث بين رسالته ووحداية الله ولم يؤمنوا فقال لا تأس فقل لا الآخرة  
 والاولى اى لا يعجزون الله ( الرابع ) هو ترتيب حق على دليله بيانه هو انه تعالى لما بين  
 رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان هو الاوحى يوحى الى آخره وبين بعض ما جاء  
 به محمد صلى الله عليه وسلم وهو التوحيد قال اذا علمتم صدق محمد ببيان رسالة الله تعالى  
 فقل لا الآخرة والاولى لانه صلى الله عليه وسلم اخبركم عن الحشر فهو صادق ( الخامس )  
 هو ان الكفار كانوا يقولون للمؤمنين اهؤلاء اهتدوا منا وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا

( أم للانسان ما تمنى ) أم منقطعة  
 وما فيها من دل للاستفاد من بيان  
 ان ما هم عليه غير مستند الا الى  
 توهمهم وهوى انفسهم الى بيان  
 ان ذلك مما لا يهدى نفعا اصلا  
 والهمزة للانكار والنفى اى  
 ليس للانسان كل ما تمناه وتشتهيه  
 نفسه من الامور التى من جعلها  
 اطاعهم الفارغة فى شفاعته  
 الآلهة ونظائرهما التى لا سكاد  
 تدخل تحت الوجود ( فقل لا  
 الآخرة والاولى ) تعليل  
 لا تمنى ان يكون للانسان  
 ما تمناه حتما فان اختصاص  
 امور الآخرة والاولى جميعا به  
 تعالى مقتضى لا تنفاد ان يكون له  
 امر من الامور

اليه فقال تعالى ان الله اختار لكم الدنيا واعطاكم الاموال ولم يعط المؤمنين بعض ذلك الامر بل قلتم لو شاء الله لاغناهم وتحققتم هذه القضية فله الآخرة والاولى قولوا في الآخرة ما قلتم في الدنيا يهدي الله من يشاء كما يغني الله من يشاء (المسئلة الثانية) الآخرة صفة ماذا نقول صفة الحياة او صفة الدار وهى اسم فاعل من فعل غير مستعمل نقول آخرته فتأخر وكان من حقه ان نقول فأخر كما نقول غيرته فغير ففعلت منه سماحا ولهذا البحث فائدة ستأتى ان شاء الله تعالى (المسئلة الثالثة) الاولى فعلى للتأنيث فالاول اذن افعال صفة وفيه مباحث (الاول) لابد من فاعل اخذ منه الافعل والفعل والفعل فان كان فعلى وافعل للتأنيث والتذكير له اصل فليؤخذ منه كالفضلى والافضل من الفاضلة والفاضل فاذا ذلك نقول ههنا اخذ من اصل غير مستعمل كما قلنا ان الآخر فاعل من فعل غير مستعمل وسبب ذلك هو ان كل فعل مستعمل فله آخر وذلك لان له ماضيا فاذا استعملت ماضيه لزم فراغ الفعل والالكان الفاعل بعد في الفعل فلا يكون ماضيا فانك لا تقول لمن هو بعد في الاكل اكل المتجاوزا عندما يبق له قليل فيقول اكل اشارة الى ان ما بقى غير معتد به وتقول لمن قرب من الفراغ فرغت فيقول فرغت بمعنى ان ما بقى قليل لا يعتد به فكأنى فرغت واما الماضى في الحقيقة لا يصح الا عند تمام الشئ والفراغ عنه فاذا للفعل المستعمل آخر فلو كان لقولنا آخر على وزن فاعل فعل هو آخر يأخر كما مر يأمر لكان معناه صدر مصدره بجلس معناه صدر الجلوس منه بالتمام والكمال فكان ينبغي ان القائل اذا قال فلان آخر كان معناه وجد منه تمام الآخرة وفرغ منها فلا يكون بعده ما يكون آخره لكن تقدم ان كل فعل فله آخر بعده لا يقال بشكل بقولنا تأخر فان معناه صار آخره لاننا نقول وزن الفعل ينادى على صحة ما ذكرنا فانه من باب التكلف والتكبر اذا استعمل في غير المتكبر اى يرى انه آخر وليس في الحقيقة كذلك اذا علمت هذا فنقول الآخر فاعل ليس له فعل ومبالغة بأفعل وهو كقولنا أأخر فقلت الهمزة الى مكان الالف والالف الى مكان الهمزة فصارت الالف همزة والهمزة الفا ويدل عليه التأويل في المعنى فان آخر الشئ جزء منه متصل به والآخر مباين عنه منفصل والمنفصل بعد المتصل والآخر اشد تأخرا عن الشئ من آخره والاول افعال ليس له فاعل وليس له فعل والاول أبعد عن الفعل من الآخر وذلك لان الفعل الماضى علم له آخر من وصفه بالماضى ولو لا ذلك الوصف لما علم له آخر واما الفعل لتفسير كونه فعلا علم له اول لان الفعل لا بد له من فاعل يقوم به او يوجد منه فاذا الفاعل او لا نم الفعل فاذا كان الفاعل اول الفعل كيف يكون الاول له فعل يوجد منه فلا فعل له ولا فاعل فلا يقال آل الشئ بمعنى سبق كما يقال قال من القول او نال من النيل لا يقال ان قولنا سبق اخذ منه السابق ومن السابق الاسبق مع ان الفاعل يسبق الفعل وكذلك يقال تقدم الشئ مع ان الفاعل متقدم على الفعل الى غير ذلك نقول اما تقدم قدمضى الجواب عنه في تأخر واما سبق

يقول القائل سابقته فسبقته فجيئ عنه بان ذلك مفتقر الى امر يصدر من فاعل  
 فالسابق ان استعمل في الاول فهو بطريق المشابهة لبطريق الحقيقة والفاعل اول  
 الفعل بمعنى قبل الفعل وليس سابق الفعل لان الفاعل والفعل لا يتسابقان فالفاعل  
 لا يسبقه والذي يوضح ما ذكرنا ان الآخر بعد من الاول عن الفعل بخلاف الآخر  
 وما يقال ان اول بمعنى جعل الآخر اول لا استخراج معنى من الكلام فبعد والام يكن  
 أخر دونه في افادة ذلك بل التأويل من آل الشيء اذ ارجع الى المعنى المراد  
 وابتعد من اللفظين قبل وبعد فان الآخر فاعل من غير فعل والاول افعول من غير فاعل  
 ولا فعل وقبل وبعد لفاعل ولا فاعل فلا يصح من فعل اصلا لان الاول اول لما فيه من  
 معنى قبل وليس قبل قبل لما فيه من معنى الاول والآخر آخر لما فيه من معنى بعد وليس  
 بعد بعد لما فيه من معنى الآخر ذلك عليه انك تعلم احدهما بالآخر ولا تعكسه فتقول  
 هذا آخر من جاء لانه جاء بعد الكل ولا تقول هو جاء بعد الكل لانه آخر من جاء يؤيده ان  
 الآخر لا يتحقق الابعدية مخصوصة وهي التي لا بعدية بعدها وبعد ليس لا يتحقق الا  
 بالآخر فان المتوسط بعد الاول ليس بالآخر وهذا البحث من بحاث الزمان ومنه يعلم معنى قوله  
 صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله اى الذى يفهم منه القبلية والبعدية والله  
 تعالى هو الذى يفهم منه ذلك والبعدية والقبلية حقيقة لا بات الله ولا مفهوم للزمان  
 الاما به القبلية والبعدية فلا تسبوا الدهر فان ما تفهمونه منه لا يتحقق الا فى الله وبالله  
 ولولا لما كان قبل ولا بعد (البحث الثانى) ورد فى كلام العرب الاولة تأنيث الاول وهو  
 يتأنيث صحة استعمال الاولى لان الاولى تدل على ان الاول افعول للفضيل وافعل  
 للفضيل لا يلحقه تاء التأنيث فلا يقال زيد اعلم وزينب اعلم لسبب يطول ذكره وسنذكره  
 فى موضع آخر ان شاء الله تعالى فنقول الجواب عنه هو ان اول لما كان افعول وليس له  
 فاعل شابه الاربع والارنب فجاز الحاق التاء به ولما كان صفة شابه الاكبر والاصغر فقبل  
 اولى (المسئلة الرابعة) اولى تدل على ان اول لا ينصرف فكيف يقال افعله ولا يقال  
 جاء زيدا ولا وعمر ونانيا فان قيل جاز فيه الامر ان بناء على اوله واولى فن قال بان تأنيث  
 اول اولة فهو كالاربع والاربعة فجاز التنوين ومن قال اولى لا يجوز فنقول اذا كان  
 كذلك كان الاسهر ترك التنوين لان الاسهر ان تأنيثه اولى وعليه استعمال القرآن  
 فاذا الجواب ان عبد الله تأنيث الاولى ان يقال اولى نظرا الى المعنى وعند العرب اولة لانه  
 هو الاصل ودل عليه دليل وان كان اضعف من العير وربما يقال بان منع الصرف من  
 افعول لا يكون الا اذا لم يكن تأنيثه الافعل واما اذا كان تأنيثه بالتاء اوجاز ذلك فيه  
 لا يكون غير منصرف \* ثم قال تعالى (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من  
 بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقد علم وجه تعلقها بما قبلها فى الوجوه المتقدمة فى  
 قوله تعالى فلله الآخرة ان قلنا ان معناه ان اللات والعزى وغيرهما ليس لهم من الامر

وقوله تعالى (وكم من ملك فى  
 السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا)  
 اقاط لهم عما علقوا به اطباعهم  
 من شفاعته الملائكة لهم موجب  
 لا فناء لهم من شفاعته الاصنام  
 بطريق الاولوية وكم خبرية  
 مفيدة للتكثير محلها الرفع على  
 الابتداء والخبر هى الجملة المنفية  
 وجع الضمير فى شفاعتهم مع  
 افراد الملك باعتبار المعنى اى  
 وكثير من الملائكة لا تغنى  
 شفاعتهم عند الله تعالى شيئا من  
 الاعناء فى وقت من الاوقات (الا  
 من بعد ان يأذن الله) لهم فى  
 الشفاعة (لمن يشاء) ان يشعروا  
 له (ويرضى) ويراه اها للشفاعة  
 من اهل التوحيد والايمان واما  
 من عداهم من اهل الكفر  
 والطفيان فهم من اذن الله تعالى  
 يعزل ومن الشفاعة بالفم  
 فادا كان حال الملائكة فى باب  
 الشفاعة كاد كرهاظهم بحال  
 الاصنام

شيء فلهذا الآخرة والاولى فلا يجوز اشراكهم فيقولون نحن لاننكر بالله شيئا وانما نقول هؤلاء شفعاؤنا فقال كيف تشفع هذه ومن في السموات لا يملك الشفاعة وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) كم كلمة تستعمل في المقادير اما لاستبانها فتكون استفهامية كقولاتكم ذراعا طوله وكم رجلا جاءكم اى كم عدد الجائين تستبين المقدار وهى حينئذ مثل كيف لاستبانة الاحوال واى لاستبانة الافراد وما لاستبانة الحقائق واما لبيانها على الاجال فتكون خبرية كقولاتكم رجل اى كثير منهم اكرموني غير ان عليه اسئلة ( الاول ) لم لم يحز ادخال من على الاستفهامية وجاز على الخبرية ( الثانى ) لم نصب ميم الاستفهامية وجر الذى للخبرية ( الثالث ) هى تستعمل في الخبرية في مقابلة رب فلم جعل اسما مع ان رب حرف \* اما الجواب عن الاول فهو ان من يستعمل في الموضع المتعين بالاضافة تقول خاتم من فضة كما تقول خاتم فضة ولما لم تضيف في الاستفهامية لم يحز استعمال ما يضاويه وسنين هذا الجواب \* والجواب عن السؤال الثانى هو ان نقول ان الاصل في الميم بالاضافة \* وعن الثالث هو ان كم يدخل عليه حرف الجر فنقول الى كم تصير وفي كم يوم جئت وبكم رجل مررت ومن حيث المعنى ان كم اذا قرن بها من وجعل ميمه جمعا كما في قول القائل كم من رجال خدمتهم يكون معناه كثير من الرجال خدمتهم ورب وان كانت للتقليل لكن لا تقوم مقام القليل فلا يمكن ان يقال في رب انها عبارة عن قليل كما قلنا في كم انه عبارة عن كثير ( المسئلة الثانية ) قال شفاعتهم على عود الضمير الى المعنى ولو قال شفاعته لكان العود الى اللفظ فيجوز ان يقال كم من رجل رأيتكم وكم من رجل رأيتم فان قلت هل بينهما فرق معنوى قلت نعم وهو انه تعالى لما قال لا تغنى شفاعتهم يعنى شفاعة الكل ولو قال شفاعته لكان معناه كثير من الملائكة كل واحد لا تغنى شفاعته فربما كان يخطر ببال احد ان شفاعتهم تغنى اذا اجتمعت وعلى هذا ففي الكلام امور كلها تشير الى عظم الامر ( احدها ) كم فانه للتكثير ( ثانيها ) لفظ الملك فانه اشرف اجناس المخلوقات ( ثالثها ) في السموات فانها اشارة الى علوم منزلتهم ودنور مرتبتهم من مقر السعادة ( رابعها ) اجتماعهم على الامر في قوله شفاعتهم وكل ذلك لبيان فساد قولهم ان الاصنام يشفعون اى كيف تشفع مع حقارتها وضعفها ودناءة منزلتها فان الجماد اخس الاجناس والملائكة اشرفها وهم في اعلى السموات ولا تقبل شفاعة الملائكة فكيف تقبل شفاعة الجمادات ( المسئلة الثالثة ) ما الفائدة في قوله تعالى كم من ملك بمعنى كثير من الملائكة مع ان كل من في السموات منهم لا يملك الشفاعة تقول المقصود الرد عليهم في قولهم هذه الاصنام تشفع وذلك لا يحصل ببيان ان ملكا من الملائكة لا تقبل شفاعته فاكتفى بذكر الكثير ولم يقل ما منهم احد يملك الشفاعة لانه اقرب الى المنازعة فيه من قوله كثير مع ان المقصود حاصل به : ثم ههنا بحث وهو ان في بعض الصور يستعمل صيغة العموم والمراد الكثير وفي البعض يستعمل الكثير والمراد الكل وكلاهما على

طريقة واحدة وهو استقلال الباقي وعدم الاعتداد في قوله تعالى تدمر كل شيء كأنه  
يخرج الخارج عن الحكم غير ملتفت اليه وفي قوله تعالى وكم من ملك وقوله بل أكثرهم  
لا يعلمون وقوله أكثرهم بهم مؤمنون يجعل الخارج غير ملتفت اليه فيجعل كأنه ما أخرجه  
كلام الخارج عن الحكم كأنه ما خرج وذلك يختلف باختلاف المقصود من الكلام  
فان كان الكلام مذكورا لأمريه يبالغ يستعمل الكل مثاله يقال للملك كل الناس  
يدعون لك اذا كان الغرض بيان كثرة الدعاء له لا غير وان كان الكلام مذكورا  
لأمر خارج عنه لا يبالغ فيه لان المقصود غيره فلا يستعمل الكل مثاله اذا قال الملك لمن  
قال له اغتصم دعائي كثير من الناس يدعون لي اشارة الى عدم احتياجه الى دعائه لالبيان  
كثرة الدعاء له فكذلك ههنا ( المسئلة الرابعة ) قال لا تغني شفاعتهم ولم يقل لا يشفعون  
مع ان دعواهم ان هؤلاء شفاعونا لان شفاعتهم تنفع او تغني وقال تعالى في مواضع  
آخر من ذا الذي يشفع عنده الا بذنه ففي الشفاعة بدون الاذن وقال ما لهم من ولي ولا  
شفيع نفى الشفيع وههنا نفى الاغناء نقول هم كانوا يقولون هؤلاء شفاعونا وكانوا  
يعتقدون نفع شفاعتهم كما قال تعالى ليقرّبونا الى الله زلفى ثم نقول نفى دعواهم يشتمل على  
فائدة عظيمة امان نفى دعواهم لانهم قالوا الاصنام تشفع لنا شفاعة مقربة مغنية فقال لا تغني  
شفاعتهم بدليل ان شفاعة الملائكة لا تغني واما الفائدة فلانه لما استثنى بقوله الا من بعد  
ان يأذن الله اى فيشفع ولكن لا يكون فيه بيان انها تقبل وتغني او لا تقبل فاذا قال  
لا تغني شفاعتهم ثم قال الا من بعد ان يأذن الله فيكون معناه تغني فيحصل البشارة لانه  
تعالى قال الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به  
ويسغفرون للذين آمنوا وقال تعالى ويستغفرون لمن في الارض والاستغفار شفاعة  
واما قوله من ذا الذي يشفع عنده الا بذنه فليس المراد نفى الشفاعة وقبولها كما في هذه  
الآية حيث رد عليهم قولهم وانما المراد عظيمة الله تعالى وانه لا ينطق في حضرته احد  
ولا يتكلم كما في قوله تعالى لا يتكلمون الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء (المسئلة  
الخامسة) اللام في قوله لمن يشاء ويرضى تحتل وجهين ( احدهما ) ان تتعلق بالاذن  
وهو على طريقين ( احدهما ) ان يقال الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء من الملائكة في  
الشفاعة لمن يشاء الشفاعة ويرضى (الطريق الثاني) ان يكون الاذن في المشفوع له لان الاذن  
حاصل لكل في الشفاعة للمؤمنين لانهم جميعهم يستغفرون لهم فلامعنى للتخصيص  
ويمكن ان ينزع فيه ( وثانيهما ) ان تتعلق بالاغناء يعنى الا من بعد ان يأذن الله لهم في  
الشفاعة فتغني شفاعتهم لمن يشاء ويمكن ان يقال بأن هذا بعيد لان ذلك يقتضى ان تشفع  
الملائكة والاغناء لا يحصل الا لمن يشاء فيجاب عنه بأن فيه التنبيه على معنى علمية الله تعالى  
فان الملك اذا شفع فأنه تعالى على مشيئته بعد شفاعتهم يغفر لمن يشاء ( المسئلة السادسة )  
ما الفائدة في قوله تعالى ويرضى نقول فيه فائدة الارشاد وذلك لانه لما قال لمن يشاء كان

المكلف متردد لا يعلم مشيئته فقال ويرضى ليعلم انه العابد الشاكر لا المعاند الكافر قاله تعالى قال ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم فكأنه قال لمن يشاء تم قال ويرضى بيانا لمن يشاء (وجواب) آخر على قولنا لا تغنى شفاعتهم شيئا ممن يشاء هو ان فاعل يرضى المدلول عليه لمن يشاء كأنه قال ويرضى هو أى تغنيه الشفاعة شيئا صالحا لم يحصل به رضاه كما قال ويرضى هو أى تغنيه الشفاعة وحينئذ يكون يرضى للبيان لانه لما قال لا تغنى شفاعتهم اشارة الى نفى كل قليل وكثير كان اللازم عنده بالاستثناء ان شفاعتهم تغنى شيئا ولو كان قليلا ويرضى المشفوع له ليعلم انها تغنى اكثر من اللازم بالاستثناء ويمكن ان يقال ويرضى لتبيين ان قوله يشاء ليس المراد المشيئة التى هى الرضا فان الله تعالى اذا شاء الضلالة بعد لم يرض به واذا شاء الهداية رضى فقال لمن يشاء ويرضى ليعلم ان تلك المشيئة ليست هى المشيئة العامة انما هى الخاصة \* ثم قال تعالى (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى) وقدينا ذلك فى سورة الطور واستدلنا بهذه الآية ونذكر ما يقرب منه ههنا فقول الذين لا يؤمنون بالآخرة هم الذين لا يؤمنون بالرسول ولا يتبعون الشرع وانما يتبعون ما يدعون انه عقل فيقولون اسماء الله تعالى ليست توقيفية ويقولون الولد هو الموجود من الغير ويستدلون عليه بقول اهل اللغة كذا يتولد منه كذا يقال الزاج يتولد من الآجر بمعنى يوجد منه وكذا القول فى بنت الكرم وبنت الجبل ثم قالوا الملائكة وجدوا من الله تعالى فهم اولاده بمعنى اليجاد ثم انهم رأوا فى الملائكة انه التأنيت وصح عندهم ان يقال سجدت الملائكة فقالوا بنات الله فقال ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى اى كماسمى الاناث بنات وفيه مسائل (المسئلة الاولى) كيف يصح ان يقال انهم لا يؤمنون بالآخرة مع انهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكان من عاداتهم ان يربطوا مراكبهم على قبر من يموت ويعتقدون انه يحشر عليه فقول الجواب عنه من وجهين (احدهما) انهم لما كانوا لا يجزمون به كانوا يقولون لا حشر فان كان فلنا شفعاؤنا يد عليه قوله تعالى وما ظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي انى عنده للحسنى (ثانيهما) انهم كانوا يعترفون بالآخرة على الوجه وهو ما ورد به الرسل (المسئلة الثانية) قال بعض الناس انثى فعلى من افعال يقال فى فعلها آنت ويقال فى فعلها انثى يقال حديد ذكر وحديد انثى والحق ان الانثى يستعمل فى الاكثر على خلاف ذلك بدليل جمعها على اناث (المسئلة الثالثة) كيف قال تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث نقول عنه جوابان (احدهما) ظاهره والآخر دقيق (اما الظاهر) فهو ان المراد بيان الجنس وهذا اللفظ البق بهذا الموضع لما جاء على وقد آخر الآيات (والدقيق) هو انه لو قال يسمونهم تسمية الاناث كان يحتمل وجهين (احدهما) البنات (وثانيهما) الاعلام المعتادة للاناث كعائشة وحفصة فان تسمية الاناث كذلك تكون فاذا قال تسمية الانثى

(ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) وبمذاهبهم من العقاب على ما يعاطونه من الكفر والمعاصى (ليسمون الملائكة) المزهدين عن سمات النصارى الى الادلاق اى يسمون كل واحد منهم (تسمية لانثى) فان قولهم الملائكة بنات الله قول منهم فان كلامهم بئس سبانه وهى التسمية بالانثى وفى تعلقها بعدم الايمان بالآخرة اشعار بانها فى الشناعة والفظاعة واستدباع العقوبة فى الآخرة بحيث لا يجترئ عليها الا من لا يؤمن بها رأسا

تعين ان تكون للجنس وهى البنت والبنات ومناسبة هذه الآية لما قبلها هى انهم لما  
 قيل لهم ان الصنم جاد لا يشفع ودين لهم ان اعظم اجناس الخلق لاشعة لهم  
 الا بالاذن قالوا نحن لانعبد الاصنام لانها جادات وانما نعبد الملائكة بعبادتها فانها على  
 صورها ونصبها بين ايدينا ليدكرنا الشاهد الغائب فنعظم الملك الذى نبت انه مقرب  
 عظيم الشأن رفيع المكان فقال تعالى ردا عليهم كيف تعظمونهم وانتم تسبونهم تسمية  
 الاناث ثم ذكر فيه مستندهم فى ذلك وهو لفظ الملائكة ولم يقل ان الذين لا يؤمنون  
 بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى بل قال ليسمون الملائكة فانهم اغتروا بالناء  
 واغترارهم باطل لان الناء تجى لمعان غير التائيت الحقيقى والبنت لا تطلق الا على المؤنث  
 الحقيقى بالاطلاق والناء فيها لتأكيد معنى الجمع كافى صياغة وهى تشبه تلك الناء  
 وذلك لان الملائكة فى المشهور جمع ملك والملك اختصار من الملائكة بحذف الهمزة  
 والملائكة قلب الملائك من الالوكة وهى الرسالة فالملائكة على هذا القول مفاعلة والاصل  
 مفاعل ورد الى ملائكة فى الجمع فهى تشبه فعائل وفعالة والظاهر ان الملائكة فعالة  
 جمع ملكى منسوب الى الملك بدليل قوله تعالى عند ملك مقتدر فى وعد المؤمنين وقال  
 فى وصف الملائكة فالذين عند ربك وقال ايضا فى الوعد وان له عندنا لى وقال فى وصف  
 الملائكة ولا الملائكة المقربون فهم اذن عباد مكرمون اختصهم الله بمزيد قربه  
 ويفعلون ما يؤمرون كأمر الملوك والمستخدمين عند السلاطين الواقفين بأبوابهم  
 منتظرين لورود امر عليهم فهم منتسبون الى الملك المقتدر فى الحال فهم ملكيون  
 وملائكة فالتاء للنسبة فى الجمع كافى الصياغة والبيارة فان قيل هذا باطل من وجوه  
 (الاول) ان احدا لم يستعمل لواحد منهم ملكى كما استعمل صير فى (الثانى) ان الانسان  
 عند ما يصير عند الله تعالى يجب ان يكون من الملائكة وليس كذلك لان المفهوم من  
 الملائكة جنس غير الآدمى (الثالث) هو ان فعالة فى جمع فعيل لم يسمع وانما يقال فعيلة  
 كما يقال جاء بالسمية والحقيقة (الرابع) لو كان كذلك لما جمع ملك \* نقول اما عدم  
 استعمال واحده فسلم وهو لسبب وهو ان الملك كلما كان اعظم كان حكمه وخدمه  
 وحشمه اكثر فاذا وصف بالعظمة وصف بالجمع فيقال صاحب العسكر الكثير ولا يوصف  
 بواحد وصف تعظيم واما ذلك الواحد فان نسب الى الملك عين الخبر بأن يقال هذا ملكى  
 وذلك عندما تعرف عينه فقبعله مبتدأ وتخبر بالملكى عنه والملائكة لم يعرفوا بأعيانهم  
 الا قليلا منهم كجبريل وميكائيل وحينئذ لا فائدة فى قولنا جبريل ملكى لان من عرف  
 المبتدأ عرف الخبر ولا يصاغ الجمل الالبان نبوت الخبر للمبتدأ فلا يقال للانسان حيوان  
 لوجسم لانه ايضاح واضح اللهم الا ان يستعمل ذلك فى ضرب مثال أو فى صورة نادرة  
 فرض واما ان ينسب الى الملك وهو مبتدأ فلا لان العظمة فى ان يقول واحد من  
 الملائكة فنبه على كثرة المقرين اليه كما تقول واحد من اصحاب الملك ولا تقول صاحب

وتوله تعالى (ومالهم به من علم)  
 حال من فاعل يسبون أى  
 يسبونهم والحال انه لا علم لهم  
 بما يقولون اصلا وقرئ بهاءى  
 بالملائكة او بالسمية (ان يقتبون)  
 فى ذلك (الا الظن) العاسد (وان  
 الظن) أى جنس الظن كما يلوح به  
 الاظهار فى موقع الاختصار (لا يغنى  
 من الحق شيئا) من الاعناء فان  
 الحق الذى هو عبارة عن حقيقة  
 الشئ لا يدرك الا بالعلم والظن  
 لا اعتداده فى شأن المعارف  
 الحقيقية وانما يعتد به فى  
 العمليات وما يؤدى اليها



الملك فآذا أردت التعظيم البالغ فعند الواحد استعمل اسم الملك غير منسوب بل هو موضع لشدة وقوته كما قال تعالى ذو مرة وذوقوه فقال شديد القوى وم ل ل تدل على الشدة في تقاليها على ما عرف وعند الجمع استعمل الملائكة للتعظيم كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو (واما الجواب عن الثاني) فنقول قد يكون الاسم في الاول لوصف يختص ببعض من تصف به وغيره لو صار متصفا بذلك الوصف لا يسمى بذلك كالدابة فاعلة من دب ولا يقال للمرأة ذات الدب دابة اسما وربما يقال لها صفة عند حالة ما تدب بدب مخصوص غير الدب العام الذي في الكل كالودبت لبيل لاخذشيء او غيره او يقال انما سميت الملائكة ملائكة لطول انتسابهم من قبل خلق الآدمي بسنين لا يعلم عددها الا الله فمن لم يصل الى الله ويقوم ببابه لا يحصل له العهد والانتساب فلا يسمى بذلك الاسم (واما عن الثالث) فنقول الجموع القياسية لا مانع لها كفعال في جمع فعل كجمال وثمار وافعال كاتقال واشجار وفعلان وغيرها واما السماع وان لم يرد الا قليلا فاكتفى بما فيه من التعظيم من نسبة الجمع الكثير الى باب الله ويكون من باب المرأة والنساء (واما الجواب عن الرابع) فالتمنع ولعل هذا منه او نقول حل فعلى على فعل في الجمع كما حل فعل في الجمع على فعل قليل في جمع جيد جاد ولا يقال في فعل أفاعل ويؤيد ما ذكرنا ان ابليس عندما كان واقفا بالباب كان داخلا في جملة الملائكة فنقول قوله تعالى واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس عندما صرف وابعدهم عنهم وصار من الجن واما ما قاله بعض اهل اللغة من الملائكة جمع ملائكة واصل ملائكة مأثك من الاثوكة وهي الرسالة فقيه تعسفات اكثر مما ذكرنا بكثير منها ان الملك لا يكون فعل بل هو مفعول وهو خلاف الظاهر ولم يستعمل مآلك على اصله كما رب وماثم وماكل وغيرها مما لا يعد الابتساف ومنها ان ملكا لم جعل ملائكة ولم يفعل ذلك باخوانه التي ذكرناها ومنها ان التاء لم الحقت بجمعهم ولم يقل ملائكة كما في جمع كل مفعول والذي يرد قواهم قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا فهم غير الرسل فلا يصح ان يقال جعلت الملائكة رسلا كما لا يصح جعلت الرسل مرسلين وجعل المقرب قريبا لان الجعل لا بد فيه من تغيير وما يدل على خلاف ما ذكرنا ان الكل منسوبون اليه موقوفون بين يديه منتظرون امره لورود الاوامر عليهم \* نعم قال تعالى (وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن) وفيما يعود اليه الضمير في به وجوه (احدها) ما نقله از مخشري وهو انه عائد الى ما كانوا يقولون من غير علم (ثانيها) انه عائد الى ما تقدم في الآية المتقدمة من علم اى ما لهم بالله من علم فيشركون وقرى ما لهم بها وفيه وجوه ايضا (احدها) ما لهم بالآخرة (ثانيها) ما لهم بالتسمية (ثالثها) ما لهم بالملائكة فان قلنا ما لهم بالآخرة فهو جواب لما قلنا انهم وان كانوا يقولون بأن الاصنام شفعائنا عند الله وكانوا يربطون الابل على قبور الموتى ليركبوها لكن ما كانوا يقولون به من علم وان قلنا بالتسمية فقيه اشكال وهو ان العلم

(فاعرض عن قولى عن ذكرنا) اى عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به الى وصفهم بما في حيز صلتهم من الاوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها اى فاعرض عن امراض عن ذكرنا المقيد للعلم البقنى وهو القرآن المنطوى على علوم الاولين والآخرين المذكر لأمور الآخرة اوهن ذكرنا كما ينبغي فان ذلك مستتب لذكر الآخرة وما فيها من الامور المرغوب فيها والرهوب عنها (ولم يرد الا الحياة الدنيا) راضيا بها قاصرا نظره عليها والمراد

بالسمية حاصل لهم فأنهم يعلمون أنهم ليسوا في شك اذ السمية قد تكون وضعا اوليا وهو لا يكون بالظن بل بالعلم بأنه وضع وقد يكون استعمالا معنويا وينطبق اليه الكذب والصدق والعلم مثال الاول من وضع اول اسم السماء لموضوعها وقال هذا سماء مثال الثاني اذ قلنا بعد ذلك للماء والجحر هذا سماء فانه كذب ومن يعتقده فهو جاهل وكذلك قولهم في الملائكة انها بنات الله لم تكن تسمية وضعية وانما أرادوا به أنهم موصوفون بامر يجب استعمال لفظ البنات فيهم وذلك كذب ومعتقده جاهل فهذا هو المراد بما ذكرنا ان الظن يتبع في الامور المصححة والافعال العرفية او التبرعية عند عدم الوصول الى اليقين واما في الاعتقادات فلا يغني الظن شيئا من الحق فان قيل أليس الظن قد يصيب فكيف يحكم عليه بأنه لا يغني اصلا نقول المكلف يحتاج الى يقين يميز الحق من الباطل ليعتد الحق ويميز الخير من الشر ليفعل الخير لكن في الحق ينبغي ان يكون جازما لا اعتقاد مطابقه والظان لا يكون جازما وفي الخير ربما يعتبر الظن في مواضع ويحتمل ان يقال المراد من الحق هو الله تعالى ومعناه ان الظن لا يفيد شيئا من الله تعالى اى الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون يدل عليه قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق وفيه لطيفة وهى ان الله تعالى في ثلاثة مواضع منع من الظن وفي جميع تلك المواضع كان المنع عقيب التسمية والدعاء باسم موضعان منها في هذه السورة ( احدهما ) قوله تعالى ان هى الاسماء سميتوها اتم وآبأؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن ( والثاني ) قوله تعالى ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا ( والثالث ) في الجرات قال الله تعالى ولا تنازروا باللقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يأبها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن عقيب الدعاء بالقلب وكل ذلك دليل على ان حفظ اللسان اولى من حفظ غيره من الاركان وان الكذب اقبح من السيئات الظاهرة من الايدي والارجل وهذه المواضع الثلاثة ( احدها ) مدح من لا يستحق المدح كاللات والعزى من العزى ( وثانيها ) ذم من لا يستحق الذم وهم الملائكة الذين هم عباد الرحمن يسمونهم تسمية الانثى ( وثالثها ) ذم من لم يعلم حاله وامامدح من حاله لا يعلم فليقل فيه لا يتبعون الا الظن بل الظن فيه معتبر والاخذ بظاهر حال العاقل واجب \* ثم قال تعالى ( فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ) اى اترك مجادلتهم فقد بلغت واتيت بما كان عليك واكثر المفسرين يقولون بان كل ما في القرآن من قوله تعالى فأعرض منسوخ بآية القتال وهو باطل فان الامر بالاعراض موافق لآية القتال فكيف ينسخ به وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه بأطيلهم قيل له وجادلهم بالتى هى احسن ثم لما لم ينفع قال له ربه فأعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان فأنهم لا يتبعون الا الظن ولا يتبعون الحق وقابلهم بالاعراض عن المناظرة بشرط جواز المقاتلة فكيف يكون منسوخا

النهي عن دعوته والاعتناء بشأنه فان من اعرض عما ذكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت هى منتهى همته وقصارى سعيه لا تزيد الدعوة الى خلافها الاعنادا واصرارها على الباطل ( ذلك ) اى ماداهم الى ما هم فيه من التولى وقصر الارادة على الحياة الدنيا ( مبلغهم من العلم ) لا يكادون يجاوزونه الى غيره حتى تجديهم الدعوة والارشاد وجه الضمير في مبلغهم باعتبار معنى من كان افراده فيسبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك

والاعراض من باب اشكاه والهمزة فيه للسلب كأنه قال ازل العرض ولا تعرض عليهم  
بعد هذا امرا وقوله تعالى عن تولى عن ذكرنا لبيان تقديم فائدة العرض والمباظرة  
لان من لا يصغى الى القول كيف يفهم معناه وفي ذكرنا وجوه (الاول) القرآن (الثاني)  
الدليل والبرهان (الثالث) ذكر الله تعالى فان من لا ينظر في الشئ كيف يعرف صفاته  
وهم كانوا يقولون نحن لا نتفكر في آلاء الله لعدم تعلقنا بالله وانما امرنا مع من خلقنا وهم  
الملائكة او الدهر على اختلاف اقاويلهم وتباين اباطيلهم وقوله تعالى ولم يرد الاحياء  
الدنيا اشارة الى انكارهم الحشر كما قالوا ان هي الاحياء الدنيا وقال تعالى ارضيتم  
بالحياة الدنيا يعني لم يثبتوا وراهاشيئا آخر يعملون له فقوله عن تولى عن ذكرنا اشارة  
الى انكارهم الحشر لانه اذا ترك النظر في آلاء الله تعالى لا يعرفه فلا يشبع رسوله فلا ينفعه  
كلامه واذا لم يقل بالحشر والحساب لا يخاف فلا يرجع عما هو عليه فلا يبقى اذن فائدة في  
الدعاء واعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان طيب القلوب فأتى على ترتيب الاطباء  
وترتيبهم ان الحال اذا امكن اصلاحه بالعذاء لا يستعملون الدواء وما امكن اصلاحه  
بالدواء الضعيف لا يستعملون الدواء القوي ثم اذا عجزوا عن المداواة بالمشروبات وغيرها  
عدلوا الى الحديد والكي وقيل آخر الدواء الكي قال النبي صلى الله عليه وسلم ولا امر  
القلوب بذكر الله فحسب فان بذكر تطمئن القلوب كما ان بالغذاء تطمئن النفوس فالذكر  
غذاء القلب ولهذا قال اول قولوا لا اله الا الله امر بالذكر لمن انتفع مثل ابى بكر وغيره  
من انتفع ومن لم ينتفع ذكر لهم الدليل وقال اولم يتفكروا قل انظروا افلا ينظرون الى غير  
ذلك ثم اتى بالوعيد والتهديد فلما لم ينفعهم قال اعرض عن المعالجة واقطع الفاسد لثلا  
يفسد الصالح ثم قال تعالى (ذلك مبلغهم من العلم) ذلك فيه وجوه (الاول) اظهرها  
انه عائد الى الظن اى غاية ما يبلغون به انهم يأخذون بالظن (وثانيها) اثار الحياة الدنيا  
مبلغهم من العلم اى ذلك الايات غاية ما يبلغوه من العلم (ثالثها) فأعرض عن تولى وذلك  
الاعراض غاية ما يبلغوه من العلم والعلم على هذا يكون المراد منه العلم بالعلوم وتكون  
الالف واللام للتعريف والعلم بالعلوم هو ما في القرآن وتقرير هذا ان القرآن لما ورد  
بعضهم تلقاه بالقبول وانشرح صدره فبلغ الغاية القصوى وبعضهم قبله من حيث انه  
مجهز واتباع الرسول فبلغ الدرجة الوسطى وبعضهم توقف فيه كافي طالب وذلك ادنى  
المراتب وبعضهم رده وعابه فالاولون لم يجز الاعراض عنهم والآخرين وجب الاعراض  
عنهم وكان موضع بلوغه من العلم انه قطع الكلام معه واعرض عنه وعليه سؤال وهو ان  
الله تعالى بين ان عايتهم ذلك ولا يكاف الله نفسا الا وسعها المجنون الذي لا علم له والصبي  
لا يؤمر بما فوق احتماله فكيف يعاقبهم الله نقول ذكر قبل ذلك انهم تولوا عن ذكر الله  
فكان عدم علمهم لعدم قبولهم العلم وانما قدر الله تولىهم ليضاف الجهل الى ذلك فيحقق  
العقاب قال الزمخشري ذلك مبلغهم من العلم كلام معترض بين كلامين والمتصل قوله

المنظم للظن الفاسد والجملة  
اعتراض مقرر لمخبر ما قبلها  
من قصر الارادة على الحياة الدنيا  
وقوله تعالى (ان ربك هو اعلم بمن  
ضل عن سبيله وهو اعلم بمن  
اهتدى) تعليل للاعراض  
وبكرير قوله تعالى هو اعلم لزيادة  
التقرير والابداً بكمال تبيين  
المعلومين والمراد بمن ضل من  
اصر عليه ولم يرجع الى الهدى  
اصلاً وبين اهتدى من من شأنه  
الاهتداء في الجملة اى هو المبالغ  
في العلم بمن لا يرعوى عن الضلال  
ابداً وبين يعبد الاهتداء في الجملة

تعالى فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا أن ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وعلى ما ذكرنا المقصود لا يتم إلا به ويكون كأنه تعالى قال اعرض عنهم فإن ذلك غايتهم ولا يوجد وراء ما ظهر منهم شيء وكان قوله عن تولى إشارة إلى قطع عذرهم بسبب الجهل فإن الجهل كان بالتولى وإنباء العاجل \* ثم ابتدأ وقال تعالى (أن ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) وفي المناسبة وجوه (الاول) أنه تعالى لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم اعرض وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الميل إلى إيمان قومه كان ربما هجس في خاطره أن في الذكرى بعد منفعة وربما يؤمن من الكافرين قوم آخرون من غير قتال فقال له ربك اعلم بمن ضل عن سبيله علم أنه لا يؤمن بمجرد الدعاء أحد من المكلفين وإنما ينفع فيهم أن يقع السبب والقتال فأعرض عن الجدال وأقبل على القتال وعلى هذا فقوله بمن اهتدى أي علم في الأزل من ضل في تقديره ومن اهتدى فلا يشبهه عليه الأوامر ولا بأس في الأعراض وبعد في العرف مصلحة (ثانيها) هو على معنى قوله تعالى وأنا وإياكم لعل هدى أو في ضلال مبين وقوله تعالى الله يحكم بيننا وجهه أنهم كانوا يقولون نحن على الهدى وأنتم مبطلون وأقام النبي صلى الله عليه وسلم الحجّة عليهم فلم يفهم فقال تعالى اعرض عنهم وأجررك وقع على الله فإنه يعلم أنكم مهتدون ويعلم أنهم ضالون والمتناظران إذا تناظرا عند ملك قادر مقصودهم ظهور الأمر عند الملك فإن اعترف الخصم بالحق فذاك والا فعرض المصيب يظهر عند الملك فقال تعالى جادلت وأحسنن والله اعلم بالحق من المبطل (ثالثها) أنه تعالى لما أمر نبيه بالأعراض وكان قد صدر منهم إيذاء عظيم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتحمله رجاء أن يؤمنوا فتسخ جميع ذلك فلما لم يؤمنوا فكأنه قال سعيي وتحملتي لا بدائهم وقع هباء فقال الله تعالى أن الله يعلم حال المضلين والمهتدين لله ما في السموات والأرض ليحزى الذين أسأوا بما عملوا ويحزى الذين أحسنوا من المهتدين وفيه مسائل (المسألة الأولى) هو يسمى عمادا وفصلا ولو قال أن ربك اعلم ثم الكلام غير أن عند خلو الكلام عن هذا العماد ربما توقف السامع على سماع ما بعده ليعلم أن اعلم خبر ربك أو هو مع شيء آخر خبر مثاله لو قال أن زيدا اعلم منه عمرو يكون خبر زيد الجملة التي بعده فإن قال هو اعلم انتفى ذلك التوهم (المسألة الثانية) اعلم يقتضى مفضلا عليه يقال زيدا اعلم من عمرو والله اعلم بمن نقول أفعول يجر كثير بمعنى عالم لا عالم مله وحينئذ أن كان هناك عالم فذاك مفضل عليه وأن لم يكن ففي الحقيقة هو العالم لا غير وفي كثير من المواضع أفعول في صفات الله بذلك المعنى يقال الله أكبر وفي الحقيقة لا كبير مثله ولا أكبر إلا هو والذي يناسب هذا أنه ورد في الدعوات يا أكرم الأكرمين كأنه قال لا أكرم مثلك وفي الحقيقة لا أكرم إلا هو وهذا معنى قول من يقول اعلم بمعنى عالم بالهدى والضلال ويمكن أن يقال اعلم من كل عالم بفرض عالم غيره (المسألة الثالثة) علمته وعلمت به مستعملان قال الله تعالى في الأنعام هو اعلم من يضل عن سبيله ثم

لا غيره فلا تنع نفسك في دعوتهم فإنهم من القبيل الأول وفي تعليل الأمر ما عرضه عليه السلام عن الاعتناء ما رهم باقتصار العلم بأحوال العريقتين عليه تعالى رمز إلى أنه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزى كلامهم عما يليق به من الحزاء فيه وعيد ووعد ضمنا كما سيأتي صريحا (ولله ما في السموات وما في الأرض) أي خلقا وملاكا لا غيره أصلا لا استقلال ولا اشتراكا وقوله تعالى (ليجزي) الخ متعلق بما دل عليه اعلم الخ

ينبغي ان يكون المراد من المعلوم ان العلم اذا كان تعلقه بالمعلوم اقوى اما لقوة العلم واما لظهور المعلوم واما تأكيد وجوب العلم به واما لكون الفعل له قوة اما قوة العلم فكما في قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من نلتى الليل ونصفه وقال الم يعلم بأن الله يرى لما كان علم الله تعالى تاما شاملا علقه بالمفعول الذى هو حال من احوال عبده الذى هو برأى منه من غير حرق ولما كان علم العبد ضعيفا حادنا علقه بالمفعول الذى هو صفة من صفات الله تعالى الذى لا يحبطه علم البشر بالحرف او لما كان كون الله رايضا لم يكن محسوسا به مشاهدا خلق الفعل به بنفسه وبالأخر بالحرف واما ظهور المعلوم فكما قال تعالى أولم يعلموا ان الله يسطر الرزق لمن يشاء وهو معلوم ظاهر واما تأكيد وجوب العلم به كما في قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله ويمكن ان يقال هو من قبيل الطاهر وكذلك قوله تعالى واعلموا انكم غير معجزى الله واما قوة الفعل فقال تعالى علم ان لن تحصوه وقال تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى لما كان المستعمل صفة الفعل علقه بالمفعول بعير حرق وقال تعالى ان ربك اعلم بمن لما كان المستعمل اسما دالا على فعل ضعف عمله لتعلقه بالمفعول (المسئلة الرابعة) قدم العلم بمن ضل على العلم بالمتهدى فى كثير من المواضع منها فى سورة الانعام ومنها فى سورة ن ومنها فى هذه السورة لان فى المواضع كلها المذكور نبيه صلى الله عليه وسلم والمعادون فذكرهم اولا تهديدهم وتسليته لقلب نبيه عليه الصلاة والسلام (المسئلة الخامسة) قال فى موضع واحد من المواضع هو اعلم من يضل عن سبيله وفى غيره قال بمن ضل فهل عندك فيه شئ قلت نعم ونيين ذلك ببحث عقلى وآخر عقلى (اما العقلى) فهو ان العلم القديم يتعلق بالمعلوم على ما هو عليه ان وجد امس علم انه وجد امس فى نهار امس وليس مثل علمنا حيث يجوز ان يتحقق الشئ امس ونحن لانعلمه الا فى يومنا هذا بل لا يعزب عنه منقال ذرة فى السموات والارض ولا يتأخر الواقع عن علمه طرفه عين (واما العقلى) فهو ان اسم الفاعل يعمل عمل الفعل اذا كان بمعنى المستقبل ولا يعمل عمله اذا كان ماضيا فلا تقول انا ضارب زيدا امس والواجب ان كنت تنصب ان تقول ضربت زيدا وان كنت تستعمل اسم الفاعل فالواجب الاضافة تقول ضارب زيدا امس انا ويجوز ان يقال انا غدا ضارب زيدا والسبب فيه ان الفعل اذا وجد فلا تجدد له فى الاستقبال ولا يتحقق له فى الحال فهو عدم وضعف عن ان يعمل واما الحال وما يتوقع فله وجود فيمكن اعماله ادا ثبت هذا فقول لما قال ضل كان الامر ماضيا وعلمه تعلق به وقت وجوده فعلم وقوله اعلم بمعنى عالم فيصير كأنه قال عالم بمن ضل فلو ترك الباء لكان اعمالا للفاعل بمعنى الماضى ولما قال يضل كان يعلم الضلال عند الوقوع وان كان قد علم فى الأزل انه سيضل لكن العلم بعد ذلك تعلق آخر سيوجدوه وتعلقه بكون الضلال قد وقع وحصل ولم يكن ذلك فى الأزل فانه لا يقال انه تعالى علم ان فلانا ضل فى الأزل وانما الصحيح ان يقال علم فى الأزل انه سيضل فيكون كأنه يعلم انه يضل فيكون اسم الفاعل بمعنى

وما يهيهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل محلو فله تعالى مما يقرر علمه تعالى بأحوالهم ألا يعلم من خلق كأنه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما الجرى (الذين اسأوا بما عملوا) اى يعقاب ما عملوا من الضلال الذى عبر عنه بالاساءة بما حاله او بسبب ما عملوا (ويجرى الدين احسنوا) اى اهتدوا (بالحسنى) اى بالمتوبة الحسنى التى هى الجنة او بسبب اعمالهم الحسنى وقيل متعلق بما دل عليه قوله تعالى والله

المستقبل وهو يعمل عمل الفعل فلا يقال زيد اعلم مستلثنا من عمرو وانما الواجب ان يقال  
زيد اعلم مستلثنا من عمرو ولهذا قالت النحاة في سورة الانعام ان ربك هو اعلم من يضل يعلم  
من يضل وقالوا اعلم للتفضيل لا يبنى الامن فعل لازم غير متعد فان كان متعد ياردى لازم  
وقولنا اعلم كانه من باب علم بالضم وكذا في التعجب اذا قلنا ما اعلمه بكذا كانه من فعل لازم  
واما ان فقد اجبت عن هذا بأن قوله اعلم من يضل معناه عالم وقد قدمنا ما يجب ان يعتقد  
في اوصاف الله في اكثر الامر ان معناه انه عالم ولا عالم مثله فيكون اعلم على حقيقته وهو  
احسن من ان يقال هو بمعنى عالم لا غير فان قيل فلم قال ههنا بمن ضل وقال هناك يضل قلنا  
لان ههنا حصل الضلال في الماضي وتأكده حيث حصل يأس الرسول صلى الله عليه وسلم  
وامر بالاعراض واما هناك فقال تعالى من قبل وان قطع اكثر من في الارض يضلوك  
عن سبيل الله ثم قال تعالى ان ربك هو اعلم من يضل بمعنى ان ضللت يعلمك الله فكان  
الضلال غير حاصل فيه فلم يستعمل صيغة الماضي (المسئلة السادسة) قال في الضلال عن  
سبيله ولم يقل في الاهتداء الى سبيله لان الضلال عن السبيل هو الضلال وهو كاف  
في الضلال لان الضلال لا يكون الا في السبيل واما بعد الوصول فلا ضلال اولان من ضل  
عن سبيله لا يصل الى المقصود سواء سلك سبيلا اولم يسلك وما من اهتدى الى سبيل فلا  
وصول له ان لم يسلكه ويصح هذان من ضل في غير سبيله فهو ضال ومن اهتدى اليها  
لا يكون مهتديا الا اذا اهتدى الى كل مسئلة بضرا الجهل بها بالامان فكان الاهتداء  
اليقيني هو الاهتداء المطلق فقال بن اهتدى وقال بالمهتدين \* ثم قال تعالى (ولله مافى  
السموات وما فى الارض ليجزى الذين اساؤا بما عملوا ويجزى الذين احسوا بالחסنى)  
اشارة الى كمال غناه وقدرته ليذكر بعد ذلك ويقول ان ربك هو اعلم من الغنى القادر  
لان من علم ولم يقدر لا يتحقق منه الجزاء فقال والله مافى السموات وما فى الارض وفى الآية  
مسائل (المسئلة الاولى) قال ان يخفى ما يدل على انه يعتقد ان اللام فى قوله ليجزى كاللام  
فى قوله تعالى والخيول والبغال والحمير لتركبوها وهو جرى فى ذلك على مذهبه فقال والله  
ما فى السموات وما فى الارض معناه خلق ما فيهما لغرض الجزاء وهو لا يتحاشى بما ذكره لما  
عرف من مذهب الاعتزال وقال الواحدى اللام للعاقبة كما فى قوله تعالى ليكون لهم عدوا  
اى اخذوه وعاقبه انه يكون لهم عدوا والتحقيق فيه هو ان حتى ولا م لغرض متقاربان  
فى المعنى لان الغرض نهاية الفعل وحتى للعاية المطلقة فينهما مقاربة فيستعمل احدهما  
مكان الآخر يقال سرت حتى ادخلها ولما ادخلها فلام العاقبة هى التى تستعمل فى  
موضع حتى للغاية ويمكن ان يقال هنا وجه اقرب من الوجهين وان كان اخفى منهما  
وهو ان يقال ان قوله ليجزى متعلق بقوله ضل واهتدى لا بالعالم ولا بتخلق ما فى السموات  
تقديره كانه قال هو اعلم بمن ضل واهتدى ليجزى اى من ضل واهتدى ليجزى الجزاء  
والله اعلم به فيصير قوله والله مافى السموات وما فى الارض كلاما معترضا ويحتمل ان

ما فى السموات وما فى الارض  
كانه قيل خلق ما فيهما ليجزى  
الخ وقيل متعلق بضل واهتدى  
على ان اللام للعاقبة اى هو اعلم  
بن ضل ليؤل امره الى ان  
يجزى الله تعالى لعسله ومن  
اهتدى ليؤل امره الى ان  
يجزى به بالحسنى وفيه من البعد  
مالا يخفى وكرير الفعل لا يراز  
كال الاعتناء بامر الجزاء والنبية  
على تبين الجرائم (الذين  
يجتنبون كبار الانم) يدل  
من الموصول الثانى وصيغة  
الاستقبال فى صلته للدلالة على  
تجدد الاحتساب واستمراره اوبيان

يقال هو متعلق بقوله تعالى فأعرض أى اعرض عنهم ليقع الجزاء كما يقال المريد فعلا  
 لمن يعنه منه ذرني لأفعله وذلك لأن مادام السى صلى الله عليه وسلم يأس ما كان العذاب  
 ينزل والاعراض وقت اليأس وقوله تعالى ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى حيث يكون  
 مذكورا ليعلم أن العذاب انذى عند اعراضه يتحقق ليس مثل الذى قال تعالى فيه  
 واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة بل هو مختص بالذين ظلموا وغيرهم لهم  
 الحسنى وقوله تعالى فى حق المسىء بما عملوا وفى حق المحسن بالحسنى فيه لطيفة لأن جراه  
 المسىء عذاب فنه على ما يدفع الظلم فقال لا يعذب الا عن ذنب واما فى الحسنى فلم يقل بما  
 عملوا لأن الثواب ان كان لأعلى حسنة يكون فى غاية الفضل فلا يحل بالمعنى هذا اذا قلنا  
 الحسنى هى النبوة بالحسنى واما اذا قلنا الاعمال الحسنى ففيه لطيفة غير ذلك وهى ان  
 اعمالهم لم يذكر فيها التساوى وقال فى اعمال المحسنين الحسنى اشارة الى الكرم والصفح  
 حيث ذكر احسن الاسمين والحسنى صفة اقيمت مقام الموصوف كأنه تعالى قال بالاعمال  
 الحسنى كقوله تعالى الاسماء الحسنى وحيث هو كقوله تعالى لنكفرن عنهم سيئاتهم  
 ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون أى يأخذ احسن اعمالهم ويجعل ثواب كل ما وجد  
 منهم لجزاء ذلك الاحسن او هى صفة النبوة كأنه قال ويجزي الذين احسنوا بالنبوة  
 الحسنى او بالعاقبة الحسنى أى جزاؤهم حسن العاقبة وهذا جزاء فحسب واما الزيادة  
 التى هى الفضل بعد الفضل فغير داخله فيه \* ثم قال تعالى (الذين يحتنبون كبراً الاثم  
 والفواحش الا اللهم) الذين يحتنبون كبراً الاثم (الذين يحتنبون كبراً الاثم) والذين  
 تعالى قال يجزي الذين اساءوا ويجزي الذين احسنوا ويطين به ان المحسن ليس ينفع الله  
 باحسانه شيئاً وهو الذى لا يسيء ولا يرتكب القبيح الذى هو فى نفسه عند ربه فالذين  
 احسنوا هم الذين اجتنبوا ولهم الحسنى وبهذا يبين المسىء والمحسن لأن من لا يحتنب  
 كبراً الاثم يكون مسيئاً والذى يحتنبها يكون محسناً وعلى هذا فقه لطيفة وهو ان المحسن لما  
 كان هو من يحتنب الاثم فالذى يأتى بالنوافل يكون فوق المحسن لكن الله تعالى وعد المحسن  
 بالزيادة فالذى فوقه يكون له زيادات فوقها وهم الذين لهم جزاء الضعف ويحتمل ان يكون  
 ابتداء كلام تقدبره الذين يحتنبون كبراً الاثم يغفر الله لهم والذى يدل عليه قوله تعالى ان  
 ربك واسع المغفرة وعلى هذا تكون هذه الآية مع ما قبلها مبنية لحال المسىء والمحسن  
 وحال من لم يحسن ولم يسيء وهم الذين لم يرتكبوا سيئة وان لم تصدر منهم الحسنات  
 وهم كالصبيان الذين لم يوجد فيهم شرائط التكليف ولهم الغفران وهو دون الحسنى  
 ويظهر هذا بقوله تعالى بعده هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة أى يعلم الحالة  
 التى لا احسان فيها ولا اساءة كما علم من اساء وضل ومن احسن واهتدى وفيه مسائل (المسئلة  
 الاولى) اذا كان بدلا عن الذين احسنوا فلم خالف ما بعده بالمضى والاستقبال حيث قال  
 تعالى الذين احسنوا وقال الذين يحتنبون ولم يقل اجتنبوا نقول هو كما يقول القائل الذين

اوانعت او منصوب على المدح  
 وكبار الاثم ما يكبر عقابه  
 من الذنوب وهو ما ترتب عليه  
 الوعيد بخصوصه وقرئ كبير  
 الاثم على ارادة الجنس او الشرك  
 ( والفواحش ) وما فحش  
 من الكبر خصوصاً ( الا اثم )  
 أى الاماقل وصغر فاته مقفور  
 بمن يحتنب الكبر فىل هى  
 النظرة والفجرة والقبلة وقيل  
 هى الخطرة من الذنب وقيل كل  
 ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا  
 عذابا وقيل عادة النفس الحين  
 بعد الحين والاستثناء منقطع



سألوني اعطيهم الدين يترددون الى سائلين اى الذين عادتهم التردد والسؤال سألوني  
واعطيهم فكذلك هما قال الذين يجتنبون اى الذين عادتهم ودأبهم الاجتناب لا الذين  
اجتنبوا مرة وقدموا عليها اخرى فان قيل في كثير من المواضع قال في الكبار والكبار  
يجتنبون كبار الانم والفواحش واذما غضبواهم يغفرون وقال في عباد الطاغوت  
والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانا بوا الى الله فالفرق نقول عبادة الطاغوت  
راجعة الى الاعتقاد والاعتقاد اذا وجد دما ظاهرا فمن اجتنبها اعتقد بطلانها فيستمر  
واما مثل الشرب والزنا امر يختلف احوال الناس فيه فيتركه زمانا ويعود اليه ولهذا  
يستبرأ الفاسق اذا تاب ولا يستبرأ الكافر اذا اسلم فقال في الآم الذين يجتنبون دائما  
ويذابرون على الترك ابدأ وقال في عبادة الاصنام اجتنبوا بصيغة الماضي ليكون ادل  
على الحصول ولان كبار الانم لها عدد وانواع فينبغي ان يجتنب عن نوع ويجتنب عن آخر  
ويجتنب عن ثالث ففيه تكرر وتجدد فاستعمل فيه صيغة الاستقبال وعبادة الصنم امر  
واحد متحد فترك فيه ذلك الاستعمال واتى بصيغة الماضي الدالة على وقوع الاجتناب لها  
دفعاً (المسئلة المائة) الكبار جمع كبيرة وهى صفة فالموصوف نقول هى صفة الفعلة  
كأنه يقول الفعلات الكبار من الانم فان قيل فبال اختصاص الكبيرة بالذنوب في  
الاستعمال ولو قال قائل الفعلة الكبيرة الحسنة لا يمنع مانع نقول الحسنة لا تكون كبيرة  
لانها اذا قبلت بما يجب ان يوجد من العبد في مقابلة نعم الله تعالى تكون في غاية الصغر  
ولو لان الله يقبلها لكانت هباء لكن السيئة من العبد انذى انعم الله عليه بانواع النعم  
كبيرة ولولا فضل الله لكان الاشتغال بالأكل والشرب والاعراض عن عبادته سيئة  
لكن الله غفر بعض السيئات وخفف بعضها (المسئلة الثالثة) اذا ذكر الكبار  
فالفواحش بعدها نقول الكبار اشارة الى ما فيها من مقدار السيئة والفواحش اشارة  
الى ما فيها من وصف القبح كأنه قال عظمة المقادير فبحسب الصور والفاحش في اللغة مختص  
بالقبح الخارج قبحه عن حد الخفاء وتركيب الحروف في التاليف يدل عليه فانك اذا  
قلبتها وقلت حشف كان فيه معنى الرداءة الخارجة عن الحد ويقال فنحش الناقة اذا  
وقفت على هيئة مخصوصة للبول فالفحش يلزمه القبح ولهذا لم يقل الفواحش من الانم  
وقال في الكبار كبار الام لان الكبار ان لم يميزها بالاضافة الى الام لما حصل  
المقصود بخلاف الفواحش (المسئلة الرابعة) كثرت الاقوال في الكبار والفواحش  
فقيل الكبار ما وعد الله عليه بالنار صريحا وظاهرا والفواحش ما اوجب عليه حدا في  
الدنيا وقيل الكبار ما يكفر مستحله وقيل الكبار ما لا يغفر الله لفاعله الا بعد التوبة وهو  
على وجه المعتزلة وكل هذه التعريفات تعريفات بما هو مثله في الخفاء او فوقه وقد  
ذكرنا ان الكبار هى التى مقدارها عظيم والفواحش هى التى قبحها واضح فالكبيرة  
صفة حادثة الى المقدار والفاحشة صفة حادثة الى الكيفية كما يقال سلا في الابصر علمته

(ان ربك واسع المغفرة) حيث  
يفغر الصغار باجتنب الكبار  
فالجملة تعليل لاستثناء النعم وتبنيه  
على ان اخراجه عن حكم  
المؤاخذه به ليس مخلوفاً عن الذنب  
في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية  
وقيل المعنى له ان يفغر لمن يشاء  
من المؤمنين ما يشاء من الذنوب  
صغيرها وكبيرها ولعل تعقيب  
وعيد المسيئين ووعيد المحسنين  
بذلك حينئذ لثلاثيأس صاحب  
الكبيرة من رحمة تعالى ولا يتوهم  
وجوب العقاب عليه تعالى (هو  
اعلم بكم) اى بأحوالكم يعلمها  
(اذ انشأكم) فى ضمن انشاء ايكم  
آدم عليه السلام (من الارض)  
انشاء اجاليا حسبا مر تقريره

بأض لطحه كيرة ظاهرة اللون فالكيرة لبيان الكمية والظهور لبيان الكيفية وعلى هذا فقول على ما قلنا ان الاصل في كل معصية ان تكون كيرة لان نعم الله كثيرة ومخالفة المنعم سيئة عظيمة غير ان الله تعالى حط عن عباده الخطأ والنسيان لانها لا يدان على ترك التعظيم اما العموم في العباد اول كثره وجوده منهم كالكذبة والغيبة مرة او مرتين والظرة والقبائح التي فيها شبهة فان المجتب عنها قليل في جميع الاعصار ولهذا قال اصحابنا ان اجتماع الغناء الذي مع الاوتار يفسق به وان استمع من اهل بلده لا يعتدون امر ذلك لا يفسق فعادت الصغيرة الى ما ذكرنا من ان العقلاء ان لم يعدوه تاركا للتعظيم لا يكون مرتكبا للكيرة وعلى هذا تختلف الامور باختلاف الاوقات والاشخاص فالعالم المتقي اذا كان يتبع النساء او يكثر من اللعب يكون مرتكبا للكيرة والدلال والباعة والمفرغ الذي لا شغله لا يكون كذلك وكذلك اللعب وقت الصلاة واللعب في غير ذلك الوقت وعلى هذا كل ذنب كيرة اما علم المكلف او ظن خروجه بفضل الله وعفوه عن الكبائر (المسئلة الخامسة) في اللهم وفيه اقوال (احدها) ما يقصده المؤمن ولا يحققه وهو على هذا القول من لم يل اذ اجمع فكأنه جمع عزمه واجمع عليه (وثانيها) ما يأتي به المؤمن ويندم في الحال وهو من اللهم الذي هو مس من الجنون كأنه مسه وفارقه وبؤيد هذا قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم (وثالثها) اللهم الصغير من الذنب من لم اذا تزل تزول من غير لبث طويل ويقال لم بالطعام اذا قل من اكله وعلى هذا فقوله الا اللهم يحتمل وجوها (احدها) ان يكون ذلك استثناء من الفواحش وحيث ذفيه وجهان (احدهما) استثناء منقطع لان اللهم ليس من الفواحش (وثانيها) غير منقطع لما بينا ان كل معصية اذا نظرت الى جانب الله تعالى وما يجب ان يكون عليه فهي كيرة وفاحشة ولهذا قال الله تعالى واذا فعلوا فاحشة غير ان الله تعالى استثنى منها امورا يقال الفواحش كل معصية الا ما استثناء الله تعالى منها ووعدها بالعفو عنه (ثانيها) الابعنى غير وتقديره والفواحش غير اللهم وهذا الوصف ان كان للتمييز كما يقال الرجال غير اولى الاربعة فاللهم عين الفاحشة وان كان لغيره كما يقال الرجال غير النساء جاؤ في لنا كيد وبيان فلا (ثالثها) هو استثناء من الفعل الذي يدل عليه قوله تعالى الذين يحبون لان ذلك يدل على انهم لا يقربونه فكأنه قال لا يقربونه المقاربة من غير موافقة وهو اللهم \* ثم قال تعالى (ان ربك واسع المغفرة) وذلك على قولنا الذين يحبون ابتداء الكلام في غاية الظهور لان المحسن مجزى وذنبه مغفور ومجتنب الكبائر كذلك ذنبه الصغير مغفور والمقدم على الكبائر اذا تاب مغفور للذنوب فلم يبق ممن لم تصل اليهم المغفرة الا الذين اساءوا واصروا عليها فالمغفرة واسعة وفيه معنى آخر لطيف وهو انه تعالى لما اخرج المسئ عن المغفرة بين ان ذلك ليس لضيق فيها بل ذلك بمشيئة الله تعالى ولو اراد الله مغفرة كل من احسن واساء لفعل وما كان يضيق عنهم مغفرته

مما رواه واذا تم اجنة اي ووقت  
صكونكم اجنة ( في بطون  
امهاتكم ) على اطوار مختلفة  
مرتبة لا يخفى عليه حال من  
احوالكم وعمل من اعمالكم  
التي من جلته اللهم الذي لولا  
المغفرة الواسعة لاصابكم وباله  
فالجلة استئناف مقرر لما قبلها  
والفاء في قوله تعالى (فلا تزكوا  
انفسكم ) لترتيب النهي عن  
تزكية النفس على ما سبق من ان  
عدم المؤاخذه باللهم ليس لعدم  
كونه من قبيل الذنوب بل لحض  
مغفرته تعالى مع علمه بصدوره  
عنكم اي اذا كان الامر كذلك  
فلا تنهوا عليها بالطهارة عن  
المعاصي بالكلمة او بما يستلزمها

والمغفرة من السر وهو لا يكون الاعلى قبج وكل من خلقه الله اذا نظرت في فعله ونسبته الى نعم الله تجده مقصرا مسيئا فان من جازى النعم بنم لاتحصى مع استغناؤه بالظاهر وعظمته الواضحة بدرهم او اقل منه يحتاج الى ستر ما فعله ﴿ ثم قال تعالى ( هو اعلم بكم ) اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى ( وفي المناسبة وجوه ( احدها ) هو تقرير لما مر من قوله اعلم بمن ضل كان العامل من الكفار يقول نحن نعمل امورا في جوف الليل المظلم وفي البيت الخالي فكيف يعلمه الله تعالى فقال ليس علمكم اخفى من احوالكم وانتم اجنة في بطون امهاتكم والله عالم بتلك الاحوال ( ثانيها ) هو اشارة الى ان الضال والمهتدى حصلوا على ما هما عليه بتقدير الله فان الحق علم احوالهم وهم في بطون الامهات فكتب على البعض انه ضال والبعض انه مهتد ( ثالثها ) تأكيد وبيان للجزء وذلك لانه لما قال ليجزى الذين أساءوا بما عملوا قال الكافرون هذا الجزء لا يتحقق الا بالخشع وجع الاجزاء بعد تفرقها واعادة ما كان لزيد من الاجزاء في بدنه من غير اختلاط غير ممكن فقال تعالى هو اعلم اذ انشأكم فيجمعها بتدبره على وفق علمه كما انشأكم وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) العامل في الاجنة ان يكون ما يدل عليه اعلم اى علمكم وقت الانشاء ويحتمل ان يكون اذكروا فيكون تقريراً لكونه عالماً ويكون تقديره هو اعلم بكم وقد تم الكلام ثم يقول ان كنتم في شك من علمه بكم فاذكروا حال انشاءكم من التراب ( المسئلة الثانية ) ذكرنا مراراً ان قوله من الارض من الناس من قال آدم فانه من تراب وقررنا ان كل احدا صله من التراب فانه يصير غذاء ثم يصير دما ثم يصير نطفة ( المسئلة الثالثة ) لو قال قائل لا بد من صرف اذ انشأكم من الارض الى آدم لان واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم عائد الى غيره فانه لم يكن جنينا ولو قلت بأن قوله تعالى اذ انشأكم عائد الى جميع الناس فينبغي ان يكون جميع الناس اجنة في بطون الامهات وهو قول الفلاسفة نقول ليس كذلك لانا نقول الخطاب مع الموجودين حالة الخطاب وقوله تعالى هو اعلم بكم خطاب مع كل من بعد الاتزال على قول ومع من حضر وقت الاتزال على قول ولا شك ان كل هؤلاء من الارض وهم كانوا اجنة ( المسئلة الرابعة ) الاجنة هم الذين في بطون الامهات وبعدها خروج لا يسمى الا ولدا او سقطا فافادة قوله تعالى في بطون امهاتكم نقول التنبيه على كمال العلم والقدرة فان بطن الام في غاية الظلمة ومن علم بحال الجنين فيها لا يخفى عليه ما ظهر من حال العباد ( المسئلة الخامسة ) لقائل ان يقول اذ قلنا ان قوله هو اعلم بكم تقرير لكونه عالماً بمن ضل فقوله تعالى فلا تزكوا انفسكم تعلقه به ظاهر واما ان قلنا انه تأكيد وبيان للجزء فانه يعلم الاجزاء فيعيدها الى ابدان اشخاصها فكيف يتعاقب فلا تزكوا انفسكم نقول معناه حينئذ فلا تبرئوا انفسكم من العذاب ولا تقولوا فترة - الاجزاء فلا يقع العذاب لان العالم بكم عند الانشاء عالم بكم عند الاعادة وعلى هذا قوله اعلم بمن اتقى اى يعلم اجزائه فيعيدها اليه ويأبى بما اقدم عليه

من زكاه العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته ( هو اعلم بمن اتقى ) المعاصي جميعا وهو استئناف مقرر للنهي ومشرباً فيهم من يتقيها بأسرها وقيل كان ناس يعملون اعمالاً حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا قُذِلَتْ وهذا اذا كان بطريق الإعجاب اول الرياء فأما من اعتقد ان ما عمله من الاعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتأيدته ولم يقصد به التقديح لم يكن من المذمومين انفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر ( افرأيت الذي تولى ) اى عن اتباع الحق والنبات عليه ( واعطى قليلاً ) اى شيئاً قليلاً او اعطاء قليلاً ( واكدى ) اى

(المسئلة السادسة) الخطاب مع من فيه بلباح احتمالات (الاول) مع الكفار وهذا على قولنا انهم قالوا كيف يعلم الله فرد عليهم قولهم (الثاني) كل من كان زمان الخطاب وبعده من المؤمنين والكفار (الثالث) هو مع المؤمنين وتقريره هو ان الله تعالى لما قال فاعرض عن تولى عن ذكرنا قال لبيد صلى الله عليه وسلم قد علم كونك ومن معك على الحق وكون المشركين على الباطل فاعرض عنهم ولا تقولوا نحن على الحق وانتم على الضلال لانهم يقابلوكم بمثل ذلك وفوض الامر الى الله تعالى فهو اعلم بمن اتقى ومن طغى وعلى هذا فقول من قال فاعرض منسوخ اظهر وهو كقوله تعالى وانا اواياكم على هدى او في ضلال مبين والله اعلم بحملة الامور ويحتمل ان يقال على هذا الوجه الثالث انه ارشاد للمؤمنين فخطابهم الله وقال هو اعلم بكم ايها المؤمنون علم مالكم من اول خلقكم الى آخر يومكم فلا تزكوا انفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا الاخر انا خير منك وانا ازكى منك واتقى فان الامر عند الله ووجه آخر وهو اشارة الى وجوب الخوف من العاقبة اى لا تقطعوا بخلاصكم ايها المؤمنون فان الله يعلم عاقبة من يكون على التقى وهذا يؤيد قول من يقول انا مؤمن ان شاء الله للصرف الى العاقبة ﴿ثم قال تعالى﴾ افرأيت الذى تولى واعطى قليلا واكدى اعنده علم العيب فهو يرى وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال بعض المفسرين نزلت الآية في الوليد بن المغيرة جلس عند النبي صلى الله عليه وسلم وسمع وعظه وانرت الحكمة فيه تأثيرا قويا فقال له رجل لم تترك دين اباك ثم قال له لا تخف واعطى كذا وانا اتحمل عنك اوزارك فاعطاه بعض ما التزمه وتولى عن الوعظ وسمع الكلام من النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم نزلت في عثمان رضى الله عنه كان يعطى ماله عطاء كثيرا فقال له اخوه من امه عبد الله بن سعد بن ابى سرح يوشك ان يفنى مالك فامسك فقال له عثمان انى ذنوبا ارجوان يغفرلى بسبب العطاء فقال له اخوه انا اتحمل عنك ذنوبك ان تعطى ناقنك مع كذا فاعطاه ما طلب وامسك يده عن العطاء فنزلت الآية وهذا قول باطل لا يجوز ذكره لانه لم يتواتر ذلك ولا اشتهر وظاهر حال عثمان رضى الله عنه اى ذلك بل الحق ان يقال ان الله تعالى لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم من قبل فاعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا وكان التولى من جملة أنواعه تولى المستغنى فان العالم بالنسبة لا يحضر مجالس ذكر ذلك السيئ ويسعى في تحصيل غيره فقال افرأيت الذى تولى عن استغناء اعلم بالغيب (المسئلة الثانية) الفاء تقتضى كلا ما يترتب هذا عليه فاداهو نقول هو ما تقدم من بيان علم الله وقدرته ووعدته المسىء والحسن بالجزاء وتقريره هو انه تعالى لما بين ان الجزاء لا بد من وقوعه على الاساءة والاحسان وان المحسن هو الذى يحتجب كباثر الام فلم يكن الانسان مستغنيا عن سماع كلام النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه فبعد هذا من تولى لا يكون تولىه الا بعد غاية الحاجة ونهاية الافتقار (المسئلة الثالثة) الذى على ما قال بعض المفسرين عائد الى معلوم وهو ذلك الرجل وهو الوليد والظاهر انه عائد الى المذكور

قطع العطاء من قولهم اكدى الحاقرا اذا بلغ الكدية اى الصلابة كالصخرة فلا يمكنه ان يحمر قالوا نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعبره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطاه بعض المشروط ويحل بالباقي وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي لما انه كان يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وفيل في اى جهل كان ربما يوافق الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وكان يقول والله ما يامرنا محمد

فإن الله تعالى قال من قبل فأعرض عن تولى عن ذكرنا وهو المعلوم لأن الأمر بالأعراض  
غير مختص بواحد من المعاندين فقال أفرأيت الذى تولى أى الذى سبق ذكره فإن قيل كان  
ينبغي أن يقول الذين تولوا لأن من فى قوله عن تولى للعموم نقول العود إلى اللفظ كثير  
شائع قال تعالى من جاء بالحسنة فله ولهم (المسئلة الرابعة) قوله تعالى واعطى قليلا  
ما المراد منه نقول على ما تقدم هو المقدر الذى اعطاه الوليد وقوله واكدى هو  
ما امسك عنه ولم يعط الكل وعلى هذا لو قال قائل ان الكداء لا يكون مذموما لأن  
الاعطاء كان بغير حق فلا مناع لا يذم عليه وايضا فلا يبقى له قوله قليلا فائدة لأن الاعطاء  
حينئذ نفسه يكون مذموما نقول فيه بيان خروجهم عن العقل والعرف أما العقل فلأنه  
منع من الاعطاء لاجل حل الوزر فانه لا يحصل به وأما العرف فلأن عادة الكرام من  
العرب الوفاء بالعهد وهو لم يف به حيث ألزم الاعطاء وامتنع والذى يليق بما ذكرناه  
أن نقول تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا يعنى اعطاء ما وجب اعطاؤه فى مقابلة ما يجب  
لأصلاح أمور الآخرة ويقع قوله تعالى أعنده علم الغيب فى مقابلة قوله تعالى ذلك مبلغهم  
من العلم أى لم يعلم الغيب وما فى الآخرة وقوله تعالى أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وإبراهيم  
الذى وفى أن لا تزور وزر أخرى فى مقابلة قوله هو أعلم بمن ضل إلى قوله ليحزى  
الذين اسأوا لأن الكلامين جميعا لبيان الجزاء ويمكن أن يقال أن الله تعالى لما بين حال  
المشركين المعاندين العائدين للآل والعزى والقائلين بأن الملائكة بنات الله شرع فى بيان  
أهل الكتاب وقال بعد ما رأيت حال المشرك الذى تولى عن ذكرنا أفرأيت حال من تولى وله  
كتاب واعطى قليلا من الزمان حقوق الله تعالى ولما بلغ زمان محمد أكدى فهل علم الغيب  
فقال سيئالم يرد فى كتبهم ولم ينزل عليهم فى الصحف المتقدمة ووجد فيها بأن كل واحد يؤخذ  
بفعله ويجازى بعمله وقوله تعالى أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وإبراهيم الذى وفى يخبران  
المثولى المذكور من أهل الكتاب (المسئلة الخامسة) أكدى قيل هو من بلغ الكدبة  
وهى الأرض الصلبة لا تحفر وحافر البئر اذا وصل إليها امتنع عليه الحفر او تعسر يقال  
أكدى الحافر والظاهر انه الردو المانع يقال أكدته أى رددته وقوله تعالى أعده علم  
الغيب فهو يرى قد علم تفسيره جلة أن المراد جهل المثولى وحاجته وبيان قبح التولى مع  
الحاجة إلى الإقبال وعلم الغيب أى العلم بالغيب أى علم ما هو غائب عن الخلق وقوله فهو  
يرى ثمة بيان وقت جواز التولى وهو حصول الرؤية وهو الوقت الذى لا ينفع الإيمان فيه  
وهناك لا يبقى وجوب متابعة أحد فيما رآه لأن الهادى يهدى إلى الطريق فإذا رأى  
المهتدى مقصده بعينه لا ينفعه السماع فقال تعالى هل علم الغيب بحيث رآه فلا يكون علمه  
علما نظريا بل علما بصريا فسمى فتولى وقوله تعالى فهو يرى يحتمل أن يكون مفعول يرى هو  
احتمال الواحد وزر الآخر كأنه قال فهو يرى أن وزره محمول المسموع أن وزره غير محمول  
فهو عالم بالحل وغافل عن عدم الحل ليكون معذورا ويحتمل أن لا يكون له مفعول تقديره

الابتكارم الاخلاق وذلك قوله  
تعالى واعطى قليلا واكدى  
والاول هو الاشهر المناسب لما  
بعده من قوله تعالى (اعنده علم  
الغيب فهو يرى) الخ أى أعنده  
علم بالامور العينية التى من جهتها  
تحمل صاحبها عنه يوم القيامة  
(أم لم ينبأ بما فى صحف موسى  
وإبراهيم الذى وفى) أى وفروا تم  
ما ابتلى به من الكلمات أو امر به  
أو بالسخى الوفاء بما عاهد الله  
وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم  
يحتمله غيره كالصبر على نار مرود  
حتى انه اتاه جبريل عليه السلام  
حين يلقى فى النار فقال الكاحلة  
فقال أما إليك فلا وعلى ذبح الولد  
ويروى انه كان يعنى كل يوم

فهو يرى رأى نظير غير محتاج الى هاد ونذير ﴿ قوله تعالى ﴾ ( أم لم ينبأ بما في صحف موسى  
 وإبراهيم الذي وفى ) حال اخرى مضادة للاولى يعذر فيها المتولى وهو الجهل المطلق فان من  
 علم الشيء علماً تاماً لا يؤمر بتعلمه والذي جهله جهلاً مطلقاً وهو الغافل على الاطلاق كالنائم  
 ايضا لا يؤمر فقال هذا المتولى هل علم الكل فجازله التولى او لم يسمع شيئاً وما بلغه دعوة  
 اصلاً فيعذر ولا واحد من الامرين بكائن فهو في التولى غير معذور وفيه مسائل ( المسئلة  
 الاولى ) قوله تعالى بما فى يحتمل وجهين ( احدهما ) ان يكون المراد ما فيها لا بصفة كونه فيها  
 فكأنه تعالى يقول ام لم ينبأ بالتوحيد والحشرو غير ذلك وهذه امور مذكورة فى صحف  
 موسى مناله يقول القائل لمن توضعاً بغير الماء توضعاً بما توضع به النبي صلى الله عليه  
 وسلم لا يريد به نفس الماء الذى توضع به النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فالكلام مع الكل  
 لان المشرك واهل الكتاب نبأهم النبي صلى الله عليه وسلم بما فى صحف موسى ( ثانيهما ) ان  
 يكون المراد بما فى الصحف مع كونه فيها كما يقول القائل فيأذكرنا من المثل توضعاً بما فى القربة  
 لا بما فى الجرة فيريد عين ذلك لاجنسه وعلى هذا فالكلام مع اهل الكتاب لانهم الذين نبأ به  
 ( المسئلة الثانية ) صحف موسى وإبراهيم هل جمعها لكونها صحفاً كثيرة او لكونها مضافة  
 الى اثنين كما قال تعالى فقد صغت قلوبكما الظاهر انها كثيرة قال الله تعالى واخذ الألواح  
 وقال تعالى والى الألواح وكل لوح صحيفة ( المسئلة الثالثة ) ما المراد بالذى فيها نقول قوله  
 تعالى ان لاترروا زرة وزراً اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى وما بعده من الامور المذكورة  
 على قراءة من قرأ ان بالفتح وعلى قراءة من يكسر ويقول وان الى ربك المنتهى فقيهه  
 وجوه ( احدها ) هو ما ذكره بقوله ان لاترروا زرة وزراً اخرى وهو الظاهر وانما احتمل  
 غيره لان صحف موسى وإبراهيم ليس فيها هذا فقط وليس هذا معظم المقصود بخلاف قراءة الفتح  
 فان فيها تكون جميع الاصول على ما بين ( ثانيها ) هو ان الآخرة خير من الاولى يدل عليه  
 قوله تعالى ان هذا لى الصحف الاولى صحف إبراهيم وموسى ( ثالثها ) اصول الدين كلها  
 مذكورة فى الكتب باسرها ولم يخل الله كتاباً عنها ولهذا قال لنبيه صلى الله عليه وسلم  
 فبهذا هم اقتده وليس المراد فى القروع لان فروع دينه مغايرة لقروع دينهم من غير شك  
 ( المسئلة الرابعة ) قدم موسى ههنا ولم يقل كما قال فى سبح اسم ربك الاعلى فهل فيه فائدة  
 نقول مثل هذا فى كلام الفصحاء لا يطلب له فائدة بل التقديم والتأخير سواء فى كلامهم  
 فيصح ان يقتصر على هذا الجواب ويمكن ان يقال ان الذكر هناك لمجرد الاخبار والانداز  
 وههنا المقصود بيان انتفاء الاعذار فذكر هناك على ترتيب الوجود صحف إبراهيم قبل  
 صحف موسى فى الاتزال واما ههنا فقد قلنا ان الكلام مع اهل الكتاب وهم اليهود فقدم  
 كتابهم وان قلنا الخطاب عام فصحف موسى عليه السلام كانت كثيرة الوجود فكأنه قيل  
 لهم انظروا فيها تعلمون ان الرسالة حق وارسل من قبل موسى رسل والتوحيد صدق  
 والحشرو واقع فلما كانت صحف موسى عند اليهود كثيرة الوجود قدمها واما صحف إبراهيم

فترها يرتاد ضياعاً فان واقفه  
 اكرمه والانوى الصوم وتقديم  
 موسى لما ان صحفه التى هى التوراة  
 اشهر عندهم واكثر ( ان لاترروا  
 زرة وزراً اخرى ) أى انه لا  
 تحمل نفس من شأنها الحمل  
 حمل نفس اخرى على ان اى  
 الحففة من الثقبلة وضمير الشأن  
 الذى هو اسمها محذوف والجملة  
 التسمية خبرها ومحل الجملة الجر  
 على انها بدل مما فى صحف موسى  
 او الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف  
 كأنه قيل ما فى صحفه ما قيل  
 هو ان لاترروا زرة وزراً  
 لا يؤخذ احد بدنب غيره  
 ليخلص الثانى عن عقابه ولا يقدح  
 فى ذلك توله عليه الصلاة والسلام  
 من سن سنة سيئة

فكانت بعيدة وكانت المواضع التي فيها غير مشهورة فيما بينهم كحشف موسى فأخذ كرها  
 (المسئلة الخامسة) كثير اما ذكر الله موسى فأخذ كره عليه السلام لانه كان منسلي في اكثر  
 الامر بمن حو اليه وهم كانوا مشركين ومتهودين والمشركون كانوا يعظمون ابراهيم عليه  
 السلام لكونه أباهم واما قوله تعالى وفي فيه وجهان (احدهما) انه من الوفاء الذي  
 يذكر في اليهود وعلى هذا فالتشديد للمبالغة يقال وفي وفي كقطع وقطع وقتل وقتل  
 وهو ظاهر لانه وفي بالندروا ضجع ابنه للذبح وورد في حقه قد صدقت الرؤيا وقال تعالى  
 ان هذا لهو والبلاء المبين (وانتيهما) انه من التوفية التي من الوفاء وهو التمام والتوفية  
 الاتمام يقال وفاء اى اعطاه تاما وعلى هذا فهو من قوله واذا نبلى ابراهيم ربه بكلمات  
 فآتمن وقيل وفي اى أعطى حقوق الله في بدنه وعلى هذا فهو على ضد من قال تعالى فيه  
 وأعطى قليلا وكدى مدح ابراهيم ولم يصف موسى عليه السلام نقول اما بيان توفيته  
 فقيه لطيفة وهى انه لم يمهدها الاوفى به وقال لا يبه سأستغفر لك ربى فاستغفروا وفي  
 بالعهد ولم يغفر الله له فلم أن ليس للانسان الاماسعى وان وزره لا تزره نفس اخرى  
 واما مدح ابراهيم عليه السلام فلانه كان متفقا عليه بين اليهود والمتركين والمسلمين  
 ولم ينكر احد كونه وفيا وموفيا وربما كان المشركون يتوقفون في وصف موسى عليه  
 السلام \* ثم قال تعالى (أن لا تروا زرة وزرا اخرى) وقد تقدم تفسيره في سورة الملائكة  
 والذي يحسن بهذا الموضع مسائل (الاولى) أنا بينا ان الظاهر أن المراد من قوله بما في  
 حشف موسى هو ما بينه بقوله ان لا تروا يكون هذا بدلا عن ما وتقديره أم لم ينأ بال لا ترو  
 ودكرنا هناك وجهين احدهما المراد ان الآخرة خير وابقى وانيهما الاصول (المسئلة  
 البانية) أن لا تروا خفيفة من القيلة كما أنه قال انه لا ترو وتخفيف القيلة لازم غير لازم  
 جازئ وغير جازئ فاللازم عندما يكون بعدها فعل او حرف داخل على فعل ولزم فيها التخفيف  
 لانها مشبهة بالفعل في اللفظ والمعنى والفعل لا يمكن ادخاله على فعل فاخرج عن شبه الفعل  
 الى صورة تكون حرفا مختصا بالفعل فتناسب الفعل فتدخل عليه (المسئلة السالبة) ان  
 قال قائل الآية مذكورة لبيان ان وزر المسمى لا يحمل عنه وبهذا الكلام لا نحصل هذه  
 الفائدة لان الوازرة تكون منقلة بوزرها فيعلم كل احد انها لا تحمل شيئا ولو قال لا تحمل  
 فارغة وزرا اخرى كان أبغ نقول ليس كما ظننت وذلك لان المراد من الوازرة هى التي توقع  
 بها الوزر والجل لا التي وزرت وحلت كما يقال شقاني الحمل وان لم يكن عليه في الحال حل  
 واذ لم تزل تلك النفس التي يتوقع منها ذلك فكيف تحمل وزر غير هاف تكون الفائدة كاملة  
 \* وقوله تعالى (وان ليس للانسان الاماسعى) تنبئة بيان احوال المكلف فانه لما بين له ان  
 سيئته لا يتحملها عنه احد دين له ان حسنة الغير لا تجدى نفعاً ومن لم يعمل صالحا لا ينال  
 خيرا فيكمل بها ويظهر ان المسمى لا يجذب بسبب حسنة الغير وبأول لا يتحمل عنه احد عقاب فيه  
 ايضا مسائل (المسئلة الاولى) ليس للانسان فيه وجهان (احدهما) انه تام وهو الحق وقيل

فعله وزرها ووزر من عمل نهالى  
 يوم لقيامته فان ذلك وزر الاضلال  
 الذى هو وزره وقوله تعالى (وان  
 ليس للانسان الاماسعى) بيان  
 لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره  
 من حيث جلب النفع اليه اثر  
 بيان عدم انتفاعه به من حيث  
 دفع الضرر عنه واما شفاععة  
 الانبياء عليهم السلام واستغفار  
 الملائكة عليهم السلام ودعاء  
 الاحياء للاموات وصدقهم عنهم  
 وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من  
 الامور السافعة للانسان مع انها  
 ليست من عمله قطعا حيث كان  
 مداط متفعة كل منها على الذى  
 هو الايمان والصلاح ولم يكن  
 لى منها نفع ما بدونه جعل النافع



عليه بان في الاخبار ان ما يأتي به القريب من الصدقة والصوم يصل الى الميت والدعاء  
ايضا نافع فلانسان شيء لم يسع فيه وايضا قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها  
وهي فوق ماسعى والجواب عنه ان الانسان ان لم يسع في ان يكون له صدقة القريب  
بالايمان لا يكون له صدقته فليس له الاماسعى واما الزيادة فقول الله تعالى لما وعد المحسن  
بالامثال والعشرة وبالاضعاف المضاعفة فاذا أتى بحسنة راجيا ان يؤتيه الله ما يفضل  
به فقد سعى في الامثال فان قيل انتم اذن جعلتم السعى على المبادرة الى الشيء يقال سعى فلان اى  
في كذا اذا اسرع اليه والسعى في قوله تعالى الاماسعى معناه العمل يقال سعى فلان اى  
عمل ولو كان كاذ كرم لقال الاماسعى فيه نقول على الوجهين جميعا لا بد من زيادة فان قوله  
تعالى ليس للانسان الاماسعى ليس المراد منه ان له عين ماسعى بل المراد على ما ذكرت ليس له  
الانواب ماسعى او الأجر ماسعى او يقال بان المراد ان ماسعى محفوظ له مصون عن الاحباط  
فان له فعله يوم القيامة (الوجه الثاني) ان المراد من الانسان الكافر دون المؤمن وهو  
ضعيف وقيل بان قوله ليس للانسان الاماسعى كان في شرع من تقدم ثم ان الله تعالى نسخ  
في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وجعل للانسان ماسعى وما لم يسع وهو باطل اذ لا حاجة الى  
هذا التكلف بعد ما بان الحق وعلى ما ذكر فقوله ماسعى مبقى على حقيقته معناه عين  
ماسعى محفوظ عند الله تعالى ولا نقصان يدخله ثم يحزى به كما قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة  
خيرا يره (المسئلة الثانية) ان ما خبرية او مصدرية نقول كونها مصدرية اظهر بدليل  
قوله تعالى وان سعيه سوف يرى اى سوف يرى السعى والمصدر للمفعول يحى كثيرا يقال  
هذا خلق الله اى مخلوقه (المسئلة الثالثة) المراد من الآية بيان ثواب الاعمال الصالحة  
او بيان كل عمل نقول المشهور انها لكل عمل فالخير مثاب عليه والشر معاقب به والظاهر  
انه لبيان الخيرات يدل عليه اللام في قوله تعالى للانسان فان اللام لعود المنافع وعلى لعود  
المضار تقول هذا له وهذا عليه ويتهد له ويشهد عليه في المنافع والمضار وللقاتل الاول  
ان يقول بان الامرين اذا اجتماعا غلب الافضل كجموع السلامة تذكر اذا اجتمعت  
الاثان مع الذكور وايضا يدل عليه قوله تعالى ثم يحزاه الجزاء الا وفي والا وفي لا يكون الا  
في مقابلة الحسنة واما في السيئة فالل او دونه والعفو بالكلية (المسئلة الرابعة) الا  
ماسعى بصيغة الماضي دون المستقبل لزيادة الحث على السعى في العمل الصالح وتقديره  
هو انه تعالى لو قال ليس للانسان الاماسعى تقول النفس انى اصلى غذا كذا ركعة  
واتصدق بكذا درهما ثم يجعل منبئا في صحيفتى الآن لانه امر يسعى فيه وله ما يسعى فيه  
فقال ليس له الاماسعى وحصل وفرغ منه واما تسويلات الشيطان وعداته فلا اعتماد  
عليها ثم قال تعالى (وان سعيه سوف يرى ثم يحزاه الجزاء الا وفي) اى يعرض عليه  
ويكشف له من آريته النى وفيه بشارة للمؤمنين على ما ذكرنا وذلك ان الله يريه اعماله  
الصالحة ليفرح بها او يكون يرى ملائكته وسائر خلقه ليفتخر العامل به على ما هو

نفس عمله وان كان باضماع عمل  
غيره اليه وان محقة كاختها  
معطوفة عليها وكذا قوله تعالى  
(وان سعيه سوف يرى) اى  
يعرض عليه ويكشف له يوم  
القيامة في صحيفته وميزانه من  
آريته التى (ثم يحزاه) اى يحزى  
الانسان سعيه يقال جزاه الله  
بعمله وجزاه على عمله وجزاه عمله  
بجذف الجار وايصال الفعل  
ويجوز ان يجعل الضمير للجزاء ثم  
يفسر يقوله تعالى (الجزاء  
الا وفي) او يبدل هو عنه كما في قوله  
تعالى واسر التجوى الذين ظلموا

المشهور وهو مذکور لمرح المسلم ولحزن الكافر فان سعيه يرى للخلق ويرى لنفسه  
ويحتمل ان يقال هو من رأى يرى فيكون كقوله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم  
ورسوله وفيها وفي الآية التي بعدها مسائل (المسئلة الاولى) العمل كيف يرى بعد وجوده  
ومضيه تقول فيه وجهان (احدهما) يراه على صورة جيلة ان كان العمل صالحا  
(ثانيهما) هو على مذهبا غير بعيد فان كل موجود يرى والله قادر على اعادة كل معدوم  
فبعد الفعل يرى وفيه وجه ثالث وهو ان ذلك مجاز عن الثواب يقال سترى احسانك  
عند الملك اى جزاءه عليه وهو بعيد لما قال بعده ثم يحزاء الجزاء الاوفى (المسئلة الثانية)  
الهاء ضمير السعي اى ثم يحزى الانسان سعيه بالجزاء والجزاء يتعدى الى مفعولين قال  
تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحررا ويقال جزاك الله خيرا ويتعدى الى ثلاث  
مفاعيل بحرف يقال جزاء الله على عمله الخير الجنة ويحذف الجار ويوصل الفعل  
فيقال جزاء الله عمله الخير الجنة هذا وجه وفيه وجه آخر وهو ان الضمير للجزاء وتقديره  
ثم يحزى جزاء ويكون قوله الجزاء الاوفى تفسيرا او بدلا من قوله تعالى واسروا النجوى  
الذين ظلموا فان التقدير والذين ظلموا اسروا النجوى الذين ظلموا والجزاء الاوفى على  
ما ذكرنا يليق بالمؤمنين الصالحين لانه جزاء الصالح وان قال تعالى فان جهنم جزاؤكم  
جزاء موفورا وعلى ما قيل يحجب ان الاوفى بالنظر اليه فان جهنم ضررها اكثر بكثير  
من نفع الآثام فهي في نفسها اوفى (المسئلة الثالثة) ثم لتراخي الجزاء اول تراخي الكلام  
اى ثم تقول يحزاء فان كان لتراخي الجزاء فكيف يؤخر الجزاء عن الصالح وقد ثبت ان  
الظاهر ان المراد منه الصالح نقول الوجهان محتملان وجواب السؤال هو ان الوصف  
بالاوفى يدفع ما ذكرت لان الله تعالى من اول زمان يموت الصالح يحزى به جزاء على خيره  
ويؤخر له الجزاء الاوفى وهى الجنة او نقول الاوفى اشارة الى الزيادة فصارت كقوله تعالى  
للذين احسنوا الحسنى وهى الجنة وزيادة وهى الرؤية فكأنه تعالى قال وان سعيه سوف  
يرى ثم يرزق الرؤية وهذا الوجه يليق بتفسير اللفظ فان الاوفى مطلق غير مبين فلم يقل اوفى  
من كذا فينبغى ان يكون اوفى من كل واف ولا يتصف به غير رؤية الله تعالى (المسئلة  
الرابعة) في بيان لطائف الآيات (الاولى) قال في حق المسى لاترر وازرة وازرة اخرى  
وهو لا يدل الاعلى عدم الحمل عن الوزرة وهذا لا يلزم منه بقاء الوزر عليها من ضرورة  
اللفظ لجواز ان يسقط عنها ويمحو الله ذلك الوزر فلا يبق عليها ولا يتحمل عنها غيرها  
ولو قال لاترر وازرة الا وزر نفسها كان من ضرورة الاستثناء انها ترر وقال في حق المحسن  
ابس الانسان الا ماسعى ولم يقل ايس له مالم يسع لان العبارة الثانية ليس فيها ان له ماسعى  
في الآية الاولى اياه ماسعى فنارا الى الاستثناء وقال في حق المسى بصارة لاتتدابع  
الذين هم في صراط مستقيم خرفه كل ذلك اشارة الى ان الآية الثانية  
قال تعالى (وان الى ربك المنتهى) القراءة مشهورة فتح الهمزة على العطف على ما يعنى ان

(وان الى ربك المنتهى) اى انتهاء  
الحلق ورجوعهم اليه تعالى  
لالاى غيره استقلال ولا اشتراكا  
وقرى بكسر الهمزة على الابتداء

هذا أيضا في الصحف وهو الحق وقرئ بالكسر على الاستئناف وفيه مسائل (المسئلة الاولى)  
 ما المراد من الآية قلنا فيه وجهان (احدهما) وهو المشهور بيان المعاد اى للناس بين  
 يدى الله وقوف وعلى هذا فهو يتصل بما تقدم لانه تعالى لما قال سم يحزاه كأن قائل قال  
 لا ترى الجزاء ومتى يكون فقال ان المرجع الى الله وعند ذلك يجازى الشكور ويجزى  
 الكفور (وثانيهما) المراد التوحيد وقد فسر الحكماء اكز الآيات التى فيها الانتهاء  
 والرجوع بما سذكروه غير ان فى بعضها تفسيرهم غير ظاهر وفى هذا الموضع ظاهر فقول  
 هو بيان وجود الله تعالى ووحدانيته وذلك لانك اذا نظرت الى الموجودات الممكنة  
 لا تجد لها بدا من موجد ثم ان وحدتها ربما يظن انه يمكن آخر كالحرارة التى تكون  
 على وجه يظن انها من اشراق الشمس او من النار فيقال الشمس والسار بمكنتان فم  
 وجودهما فان استندنا الى يمكن آخر لم يجد الفعل بدا من الانتهاء الى غير يمكن فهو واجب  
 الوجود فالبه ينتهى الامر فالرب هو المنتهى وهذا فى هذا الموضع ظاهر معقول موافق  
 للمقول فان المروى عن ابي بن كعب انه قال عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال  
 وان الى ربك المنتهى لا فكرة فى الرب اى انتهى الامر الى واجب الوجود وهو الذى  
 لا يكون وجوده بموجد ومنه كل وجود وقال أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال  
 اذا ذكر الرب قاتلوه وهو محتمل لما ذكرنا واما بعض الناس فيبالغ ويفسر كل آية  
 فيها الرجعى والمنتهى وغيرهما بهذا التفسير حتى قيل اليه يصعد الكلم الطيب بهذا  
 المعنى \* هذا دليل الوجود واما دليل الوحدانية فمن حيث ان العقل انتهى الى واجب  
 الوجود من حيث انه واجب الوجود لانه لو لم يكن واجب الوجود لما كان منتهى بل  
 يكون له موجد قبله فالمنتهى هو الواجب من حيث انه واجب وهذا المعنى واحد فى  
 الحقيقة والعقل لانه لا بد من الانتهاء الى هذا الواجب اولى ذلك الواجب فلا ثبت  
 للواجب معنى غير انه واجب فيبعد اذا وجوبه فلو كان واجبا فى الوجود لكان كل  
 واحد قبل المنتهى لان المجموع قبله الواجب فهو المنتهى وهذان دليلان ذكرتهما على  
 وجه الاختصار (المسئلة الثانية) قوله تعالى الى ربك المنتهى فى الخطاب وجهان  
 (احدهما) انه عام تقديره الى ربك ايها السامع او العاقل (ثانيهما) الخطاب مع النبى  
 صلى الله عليه وسلم وفيه بيان صحة دينه فان كل احد كان يدعى ربا وبالهال لكنه صلى الله  
 عليه وسلم لما قال ربى الذى هو احد وصمد يحتاج اليه كل ممكن فاذا ربك هو المنتهى وهو  
 رب الارباب ومسبب الاسباب وعلى هذا القول الكاف احسن موقعا اما على قولنا ان  
 الخطاب عام فهو تهديد ببلغ للمسى وحث شديد للمحسن لان قوله ايها السامع كأن  
 من كان الى ربك المنتهى يفيد الامرين افادة بالغة حشد الكمال واما على قولنا  
 الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم فهو تسليية لقلبه كأنه يقول لا تحزن فان المنتهى الى  
 الله فيكون كقوله تعالى فلا يحزبك قولهم انا تعلم ما يسرون وما يعلنون الى ان قال تعالى

في آخر السورة واليه ترجعون وامثاله كثيرة في القرآن (المسئلة الثالثة) اللام على الوجه الاول للعهد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ابدا ان مرجعكم الى الله فقال وان الى ربك المنتهى الموهود المذكور في القرآن وكلام النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الوجه الثاني للعموم اي الى الرب كل منتهى وهو مبدأ وعلى هذا الوجه نقول منتهى الادراكات المدركات فان الانسان اول يدرك الاشياء الظاهرة ثم يعين النظر فيتنبى الى الله فيقرب عنده ثم قال تعالى (وانه هو اضحك وابكى) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) على قولنا اليه المنتهى المراد منه اثبات الوجدانية هذه الآيات منبتات لسائل يتوقف عليها الاسلام من جللتها قدرة الله تعالى فان من الفلاسفة من يعترف بان الله المنتهى وانه واحد لكن يقول هو موجب لا قادر فقال تعالى هو اوجد ضددين الضحك والبكاء في محل واحد والموت والحياة والذكورة والانوثة في مادة واحدة وان ذلك لا يكون الا من قادر واعترف به كل عاقل وعلى قولنا ان قوله تعالى وان الى ربك المنتهى بيان المعاد فهو اشارة الى بيان امره فهو كما يكون في بعضها ضاحكا فرحا وفي بعضها باكيا محزونا كذلك يفعل به في الآخرة (المسئلة الثانية) اضحك وابكى لامفعول لهما في هذا الموضع لانهما مسوقتان لقدرة الله لا لبيان المقدور فلا حاجة الى المفعول يقول القائل فلان بيده اخذوا العطاء يعطى ويمنع ولا يريد منوما ومعطى (المسئلة الثالثة) اختار هذين الوصفين للذكر والانثى لانهما امران لا يعلنان فلا يقدر احد من الطبيعيين ان يبدى في اختصاص الانسان بالضحك والبكاء وجهها وسببا واذا لم يعمل باسرها ولا بدله من موحد فهو الله تعالى بخلاف الصحة والسقم فانهم يقولون سببهما احلال المراح وخروج عن الاعتدال وبذلك على هذا انهم اذا ذكروا في الفصحى امر الله الغدر قالوا هو واجب وهو في غاية البطلان لان الانسان ربما يهت عبثا في الامور النجسة في صحبت وفل قوة الفرح وليس كذلك لان الانسان يفرح كثيرا وله ضحك وخرس اذ يمتد عذبة الحزن يضحك المضحك وكذلك الامر في السكاء وان قيل لا تتركهم الامور التي يدعها الطبيعيون ان خروج الدمع من العين عند امور مخصوصة لماذا لا يقدر على تعليل جميع وعند الخواص كالتي في العاطيس وغيرها ينقطع الطبيعي كما ان عند اصراع الكواكب يقطع هو المهندس الذي لا يفاوض امره الى قدرة الله تعالى وارادته ثم قال تعالى (وانه هو اومات واحيى) والبحث فيه كما في الضحك والبكاء غير ان الله تعالى في الاول بين خاصة النوع الذي هو اخص من الجنس فانه اظهر وعن التعليل ان بعد ثم عطف عليه ما هو اعم منه ودونه في البعد عن التعليل وهي الامانة والاحياء وهما صفتان متضادتان اي الموت والحياة كالضحك والبكاء والموت على هذا ليس بمجرد العدم والالكان المنقطع ميتا وكيفما كان فالامانة والاحياء امر وجودى وهما من خواص الحيوان ويقول الطبيعي في الحياة لا اعتدال المراج والمراج من اركان متضادة هي السار والهواء والماء

(وانه هو اضحك وابكى) اي هو خلق قوتي الضحك والبكاء (وانه هو اومات واحيى) لا يقدر على الامانة والاحياء غيره فان ار القاتل تقضى البينة وتبريق الاتصال واما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة

والتراب وهى متداعية الى الاله ككاهن الاترك ، فيه من المتفاداة لاهوت له لان المتضادات كل احد يطلب مفارقة مجاوره فقال تعالى الذى خلق ومرج العاصر وحفظها مدة قادر على ان يحفظها اكثر من ذلك فاذا مات فليس عن ضرورة فهو يفعل فاعل مختار وهو الله تعالى فهو الذى أمات واحياها ، قيل دعى اماتة واحيا حتى يعلم ذلك بل مشاهدة الاحياء والاماتة بناء على الحياة والموت نقول فيه وجوه ( احدى ) انه على التقديم والتأخير كانه قال احيا وأمات ( ثانيها ) هو بمعنى المسئلة ل فان الامر قريب يقال فلان وصل والليل دخل اذا قرب مكانه وزمانه فكذلك الاحياء والاماتة ( ثالثها ) امات اى خلق الموت والجود فى العناصر ثم ركبها واحيا اى خلق الحس والحركة فيها \* ثم قال تعالى ( وانه خلق الزوجين الذكر والانثى ) وهو ايضا من جملة المتضادات التى تنوارد على النطفة فبعضها يحاق ذكرها وبعضها انثى ولا يصل اليه فهم الطبيعى الذى يقول انه من البرد والرطوبة فى الانثى قرب امرأة ايبس مزاجا من الرجل وكيف واذا نظرت فى المميزات بين الصغير والكبير تجدها امورا عجيبة منها نبات اللحية واغوى ما قالوا فى نبات اللحية انهم قالوا الشعور مكونة من بخار دخانى ينحدر الى المسام فاذا كانت المسام فى غاية الرطوبة والتحلل كما فى مزاج الصبي والمرأة لا ينبت الشعر لخروج تلك الادخنة من المسام الرطبة بسهولة قبل ان يتكون شعرا واذا كانت فى غاية اليوسة والتكافى ينبت الشعر لعسر خروجه من المخرج الضيق ثم ان تلك المواد تنجذب الى مواضع مخصوصة فتندفع اما الى الرأس فتندفع اليه لانه مخلوق كقبة فوق الابخرة والادخنة فتصاعد اليه تلك المواد فلماذا يكون شعر الرأس اكثر واطول ولهذا فى الرجل مواضع تنجذب اليها الابخرة والادخنة منها الصدر لحرارة القلب والحرارة تجذب الرطوبة كالسراج للزيت ومنها قرب آلة التناسل لان حرارة الشهوة تجذب ايضا ومنها اللحيان فانها كبيرة الحركة بسبب الاكل والكلام والحركة ايضا جاذبة فاذا قيل لهم فالسبب الموجب لئلا تنبت شعر اللحية وآله التناسل فانها اذا قطعت لم تنبت اللحية وما الفرق بين سن الصبا وسن الشباب وبين المرأة والرجل ففى بعضها يهت وفي بعضها يتكلم بامور واهية ولو فوضها الى حكمة آلهية لكان اولى وفيه مسئلتان ( الاولى ) قال تعالى وانه خلق ولم يقل وانه هو خلق كما قال وانه هو اضمك وابكى وذلك لان الضحك والبكاء ربما يتوهم متوهم انه بفعل الانسان وفى الامانة والاحياء وان كان ذلك التوهم بعيدا لكن ربما يقول به جاهل كما قال من حاج ابراهيم الخليل عليه السلام حيث قال انا احبى واميت فاكد ذلك بذكر الفصل واما خلق الذكر والانثى من النطفة فلا يتوهم احد انه بفعل احد من الناس فلم يؤكد بالفصل الا ترى الى قوله تعالى وانه هو اعنى واقنى حيث كان الاغناء عندهم غير مستند الى الله تعالى وكان فى معتقدهم ان ذلك بفعلهم كما قال قارون انما اوتيته على علم عندى ولذلك

( وانه خلق الزوجين الذكر والانثى )

قال وانه هو رب الشعري لانهم كانوا يستبعدون ان يكون رب محمد هو رب الشعري  
فأكد في مواضع استبعادهم النسبة الى الله تعالى الاسناد ولم يؤكد في غيره ( المسئلة  
الناية ) الذكروا لاني اسمان هما صفة او اسمان ليسا بصفة المشهور عند اهل اللغة  
الثاني والظاهر انهما من الاسماء التي هي صفات فالذكر كالحسن والعزب والاني كالحلي  
والكبرى وانما قلنا انها كالحلي في رأي لانها جها لها انشئت لا كالكبرى وان قلنا  
انها كالكبرى في رأي وانما قلنا ان الظاهر انهما صفتان لان الصفة ما يطلق على  
شيء ثبت له امر كالعلم يطلق على شيء له علم والتحريك يقال لشيء له حركة بخلاف الشجر  
والجرفان الشجر لا يقال لشيء بشرط ان ثبت له امر بل هو اسم ووضع لشيء معين والذكر  
اسم يقال لشيء له امر ولهذا يوصف به ولا يوصف بالشجر يقال جاءني شخص ذكر او انسان  
ذكر ولا يقال جسم شجر والذي ذهب الى انه اسم غير صفة انما ذهب اليه لانه لم ير له  
فعلا والصفة في الغالب له فعل كالعلم والجاهل والحسن والعزب والكبرى والحلي  
وذلك لا يدل على ما ذهب اليه لان الذكورة والاثوثة من الصفات التي لا يتبدل بعضها  
ببعض فلا يصاغ لها افعال لان الفعل لما يتوقع له تجديد في صورة الغالب ولهذا لم يوجد  
للاضافيات افعال كالابوة والبنوة والاخوة اذ لم تكن من الذي يتبدل ووجد  
للاضافيات المتبدلة افعال يقال واخاه وتناه لما لم يكن متبنا يتكلف قبيل التبدل  
\* وقوله تعالى ( من نطفة ) اي قطعة من الماء \* وقوله تعالى ( اذ انمى ) من امنى المنى  
اذا نزل او من منى يعني اذا قدر وقوله تعالى من نطفة تنبيه على كمال القدرة لان النطفة  
جسم متناسب الاجزاء ويخلق الله تعالى منه اعضاء مختلفة وطبعا متباينة وخلق  
الذكر والانثى منها اعجب ما يكون على ما بينا ولهذا لم يقدر احد على ان يدعيه كالميفر  
احد على ان يدعي خلق السموات ولهذا قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله  
كما قال ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله \* ثم قال تعالى  
( وان عليه النشأة الاخرى ) وهي في قول اكثر المفسرين اسارة الى الحشر والذي  
ظهر لي بعد طول التفكير والسؤال من فضل الله تعالى الهداية فيه الى الحق انه يحتمل ان يكون  
المراد نفخ الروح الانسانية فيه وذلك لان النفس النورية لا الامارة تخالط الاجسام  
الكشفية المظلمة وبها كرم الله بنى آدم واليه الاشارة في قوله تعالى فكسونا العظام لحما  
نم انشأناه خلقا آخر غير خلق النطفة علقه والمعلقة مضغ والمضغ عظاما وبهذا الخلق  
الآخر تميز الانسان عن انواع الحيوانات وشارك الملاك في الادراكات فكما قال هنالك  
انشأناه خلقا آخر بعد خلق النطفة قال ههنا وأن عليه النشأة الاخرى فجعل نفخ  
الروح نشأة اخرى كما جعله هنالك انشاء آخر والذي أوجب القول بهذا هو ان قوله  
تعالى وان الى ربك المنتهى عند الاكثرين لبيان الامادة وقوله تعالى ثم يجزاه الجزاء  
الاول في كذا فيكون ذكر النشأة الاخرى امادة ولانه تعالى قال بعد هذا وانه هو اغنى

من نطفة اذ انمى ( تدفق في الرحم  
او تخلق او يقدر منها الولد من  
منى بمعنى قدر ) وان عليه النشأة  
الاطرية اي الاحياء بعد الموت  
وفاء بوعد وقرى النشأة بالمد  
وهي ايضاً مصدر انشاء

واقنى وهذا من احوال الدنيا وعلى ما ذكرنا يكون الترتيب في غاية الحسن فانه يقول تعالى خلق الذكر والانثى ونفخ فيهما الروح الانسانية السريفة ثم اغشاء بلبن الام وبسقة الاب في صعره ثم اقامه بالكسب بعد كبره فان قيل فقد وردت النشأة الاخرى للحسر في قوله تعالى فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينسئ النشأة الآخرة نقول الآخرة من الآخر لان الآخر لان الآخر اقبل وقد تقدم على ان هناك لما ذكر البسء جل على الامادة وهما ذكر خلقه من نقطة كما في قوله ثم خلقنا الطمعة علقه ثم قال انشأناه خلقتا آخرو في الآية مسائل (المسئلة الاولى) على اللوجوب ولا يجب على الله الامادة لما معنى قوله تعالى وان عليه قال از محسرى على ما هو مذهبه عليه عقلا فان من الحكمة الجزاء وذلك لا يتم الا بالحسر فيجب عليه عقلا الامادة ونحن لانتقول بهذا نقول ونقول فيه وجهان (الاول) عليه بحكم الوعد فانه تعالى قال انا نحن نحى الموتى فعليه بحكم الوعد لا بالعقل ولا بالسرعة (الثاني) عليه للتعين فان من حضرين جمع وحاولوا امر او يحجزوا عنه يقال وجب عليك ادن ان تفعله اى تعبت له (المسئلة البانية) قرئ النشأة على انه مصدر كالضربة على وزن فعلة وهى المرة تقول ضربته ضربتين اى مرة بعد مرة يعنى النشأة مرة اخرى عليه وقرئ النشأة بالمد على انه مصدر على وزن فعالة كالكفالة وكيفما قرئ فهى من نشأ وهو لازم وكان الواجب ان يقال عليه الانشاء لا النشأة نقول فيه فائدة وهى ان الجزم يحصل من هذا وجودا لخلق مرة اخرى ولو قال عليه الانشاء ربما يقول قائل الانشاء من باب الاجلاس حيث يقال فى السعة اجلسه فاجلس واقته ما قام فيقال انشاء وما نشأ اى قصده لينشأ ولم يوجد فاذا قال عليه النشأة اى يوجد النشء ويمحقه بحيث يوجد جزم (المسئلة الثالثة) هل بين قول القائل عليه النشأة مرة اخرى وبين قوله عليه النشأة الاخرى فرق نقول نعم اذا قال عليه النشأة مرة اخرى لا يكون النشء قد علم اولا واذا قال عليه النشأة الاخرى يكون قد علم حقيقة النشأة الاخرى فنقول ذلك المعلوم عليه \* ثم قال تعالى (وانه هو اغنى واقنى) وقد ذكرنا تفسيره فنقول اغنى يعنى دفع حاجته ولم يتركه محتاجا لان الفقير فى مقابلته العنى فمن لم يبق فقير اوجه من الوجوه فهو غنى مطلقا ومن لم يبق فقيرا من وجه فهو غنى من ذلك الوجه قال صلى الله عليه وسلم اغنهم عن المسئلة فى هذا اليوم وحل ذلك على زكاة الفطر ومعاه اذا اتاه ما احتاج اليه وقوله تعالى اقنى معاه وزاد عليه الاقناء فوق الاغناء والذى عدى ان الحروف متناسبة فى المعنى فنقول لما كان مخرج القاف فوق مخرج العين جعل الاقناء حاله فوق الاغناء وعلى هذا فالاغناء هو ما آتاه الله من العين واللسان وهداه الى الارصاع فى صباه او هو ما اعطاه الله تعالى من القوت واللباس المحتاج اليهما وفى الجملة كل ما دفع الله به الحاجة فهو اغناء وكل ما زاد عليه فهو اقناء \* ثم قال تعالى (وانه هو رب الشعرى) اسارة الى فساد قول قوم آخرين وذلك لان بعض

(وانه هو واعى اقنى) واعطى القنية وهى ما يتأكل من الاموال وافردا بالذكر لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضاه قنية) وان هو رب الشعرى) اى رب معبودهم وهى لعبور وهى اشد ضياء من العيصاء وكانت حراعه تعبد هاسن لهم ذلك البركة شقة رحل من اشرفهم وكانت ترس نقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو كشة تشديدا له عليه الصلاة والسلام به لمخالفته اياهم فى دينهم



الناس يذهب الى ان الفقر والعنى بكسب الانسان واجتهاده فمن كسب استغنى ومن كسل افتقر وبعضهم يذهب الى ان ذلك بالبخت وذلك بالنجوم فقال هو اغنى واقنى وان قائل العنى بالنجوم غلط فتقول هورب النجوم وهو محرکہا كما قال تعالى هورب الشعري وقوله هورب الشعري لانكارهم ذلك اكد بالفصل والشعري نجم مضى وفي النجوم شعريان احدهما شامية والاخرى يمانية والظاهر ان المراد اليمانية لانهم كانوا يعبدونها \* ثم قال تعالى (وانه اهلك عاد الاولى) لما ذكر انه اغنى واقنى وكان ذلك بفضل الله لا بعباء الشعري وجب الشكر لمن قد اهلك وكفى لهم دليلا حال مادومود وغيرهم وعادا الاولى قيل بالاولى تميزت من قوم كانوا بمكة ثم عاد الآخرة وقيل بالاولى لبيان تقدمهم لا لتمييزهم تقول زيد العالم جاءني فتصفه لا لتمييزه ولكن لتبين علمه وفيه قرأت عاد الاولى بكسر نون التنوين لالتقاء الساكنين وعاد الاولى باسقاط نون التنوين ايضا لالتقاء الساكنين كقراءة عزير بن الله وقل هو الله احد الله الصمد وعاد الاولى بادغام النون في اللام ونقل ضمة الهمزة الى اللام وعاد الاولى بهمز الواو وقرأ هذا القارئ على سؤفه ودليله ضعيف وهو يحتمل هذا في موضع المؤقدة والمؤقدة للضمة والواو فهي في هذا الموضع تجرى على الهمزة وكذا في سؤفه لوجود الهمزة في الاصل وفي موسى وقوله لا يحسن \* ثم قال تعالى (ونمود فابقي) يعنى واهلك نمود وقوله فابقي ما تدلى مادونمود اى فابقي عليهم ومن المفسرين من قال ما ابقاهم اى فابقي منهم احدا ويؤيد هذا قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وتمسك الحاج على من قال ان بقيا من نمود بقوله تعالى فابقي \* (وقوم نوح) اى اهلكهم (من قبل) والمسئلة مشهورة في قل وبعد تقطع عن الاضافة فتصير كالعباية فتبنى على الضمة اما البناء فتضمه الاضافة واما على الضمة فلانها لو بنيت على الفتحة لكان قد امنت فيه ما يستحقه بالاعراب من حيث انها ظروف زمان فتستحق النصب والفتح مثله ولو بنيت على الكسر لكان الامر على ما يقتضيه الاعراب وهو الجر بالجار فبنى على ما يخالف حالتى اعرابها \* وقوله تعالى (انهم كانوا هم اظلم واظلمى) اما الظلم فلا تهم هم البادئون به المتقدمون فيه ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها والبادى اظلم واما اظلمى فلا تهم سمعوا المواعظ وطال عليهم الامد ولم يرتدعوا حتى دعا عليهم نبيهم ولا يدعونى على قومه الا بعد الاصرار العظيم والظلم واضع الشئ في غيره موضعه والطاعى المجاوز الحد فالطاعى ادخل في الظلم فهو كالغايير والمخالف فان المخالف معاريف وصف آخر زائد وكذا الغايير والمضاد وكل ضد خبر ولي كل غير ضد او عليه سؤال وهو ان قوله وقوم نوح المقصود منه تخويف الظالم

(وانه اهلك عاد الاولى) هي قوم هود عليه السلام وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الائم هلاكا بعد قوم نوح وقرى عاد الاولى بمعد الهمزة ونقل ضمها الى اللام وعاد الاولى بادغام التنوين في اللام وطرح همزة اولى ونقل حركتها الى لام التعريف (ونمود) عطف على عادا لان مانعه لا يعمل فيه وقرى ونمود بالتنوين (ها ابقى) اى احدا من المريقين (وقوم نوح) عطف عليه ايضا (من قبل) اى من قبل اهلاك عاد ونمود (انهم كانوا هم اظلم واظلمى) من المريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه وكان يحذرون صديهم ان يسموا منه وكانوا يضربونه عليه الصلاة والسلام حتى لا يكون به حر الكوما ارضهم دعاؤه قريامن الف سنة

فالهلكوا بمالهم في الظلم ونحن ما بعد بلابيت واما لو قال اهلكوا لانهم ظلمه حاف

كل ظالم فإلّا فإنه في قوله اظلم نقول المقصود بيان شدتهم وقوة اجسامهم قائم لهم  
 يقدموا على الظلم والطغيان الشديد الابتعاد بهم وطول اعمارهم ومع ذلك ما نجا احد  
 منهم فاحال من هودونهم في العمر والقوة فهو كقوله تعالى اشد منهم بطشا \* وقوله تعالى  
 (المؤتفة اهوى) المؤتفة المقلبة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرئ والمؤتفات  
 والمشهور فيه انها قرئ قوم لوط لكن كانت لهم مواضع اشكت فهي مؤتفات  
 ويحتمل ان يقال المراد كل من انقلبت مساكنه وذرت اماكنه ولهذا ختم المهلكين  
 بالمؤتفات كما يقول مات فلان وفلان وكل من كان من امثالهم واشكالهم (المسئلة  
 الثانية) اهوى اى اهواها بمعنى اسقطها قليل اهواها من الهوى الى الارض من  
 حيث جعلها جبريل عليه السلام على جناحه ثم قلبها وقيل كانت عمارتهم مرتفعة  
 فاهواها بالزلزلة وجعل عاليها سافلها (المسئلة الثالثة) قوله تعالى والمؤتفة اهوى على  
 ما قلت كقول القائل والمقلبة قلبها وقلب القلب تحصيل الحاصل نقول ليس معناه  
 المقلبة ما انقلبت بنفسها بل الله قلبها فانقلبت (المسئلة الرابعة) ما الحكمة في  
 اختصاص المؤتفة باسم الموضع في الذكر وقال في عاد وثمود وقوم نوح اسم القوم  
 نقول الجواب عنه من وجهين (احدهما) ان عود اسم الموضع فذكر عادا باسم القوم  
 وثمود باسم الموضع وقوم نوح باسم القوم والمؤتفة باسم الموضع ليعلم ان القوم لا يمكنهم  
 صون اماكنهم عن عذاب الله تعالى ولا الموضع يحصن القوم عنه فان في العادة تارة  
 يقوى الساكن فيذب عن مسكنه واخرى يقوى المسكن فيرد عن ماكنه وهذاب الله  
 لا يمنعه مانع وهذا المعنى حصل للمؤمنين في آيتين (احدهما) قوله تعالى وكف ايدي  
 الناس عنكم وقوله تعالى وظلوا انهم مانعهم حصونهم من الله ففي الاول لم يقدر  
 الساكن على حفظ مسكنه وفي الثاني لم يقو الحصن على حفظ الساكن (والوجه  
 الثاني) هو ان عادا وثمود وقوم نوح كان امرهم متقدما واماكنهم كانت قد دثرت  
 ولكن امرهم كان مشهورا متواترا وقوم لوط كانت مساكنهم وآثار الانقلاب فيها  
 ظاهرة فذكر الاظهر من الامرين في كل قوم \* ثم قال تعالى (فضاها ما غشى) يحتمل ان  
 يكون ما مفعولا وهو الظاهر ويحتمل ان يكون فاعلا يقال ضربه من ضربه وعلى هذا  
 نقول يحتمل ان يكون الذى غشى هو الله تعالى فيكون كقوله تعالى والسماء وما بناها  
 ويحتمل ان يكون ذلك اشارة الى سبب غضب الله عليهم اى فشاها عليهم السبب بمعنى  
 ان الله غضب عليهم بسببه يقال لمن اغضب ملكا بكلام فضربه الملك كلامك الذى  
 ذك \* ثم قال تعالى (فأى آلاء ربك تتارى) قيل ايضا ما فى الصحف وقيل هو  
 ابتداء كلام والخطاب بام كانه يقول بأى الم ايها السامع تشك او تبادل وقيل هو  
 خطاب مع الكافر ويحتمل ان يقال مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقال كيف يجوز  
 ان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم تتارى لانا نقول هو من باب لئن اشركت ليحطن

(والمؤتفة) هي قرى قوم لوط  
 اشكت بأهلها اى انقلبت بهم  
 (اهوى) اى اسقطها الى الارض  
 بعد ان رفعها على جناح جبريل  
 عليه السلام الى السماء (فضاها  
 ما غشى) من فتون العذاب وفيه  
 من التهويل والتفطيع ما لا غاية  
 وراءه (فأى آلاء ربك تتارى)  
 تشكك والخطاب للرسول عليه  
 الصلاة والسلام على طريقة قوله  
 تعالى لئن اشركت ليحطن عمك  
 او لكل احد واستاند فعل تتارى  
 الى الواحد باعتبار تعدده بحسب  
 تعدد متعلقه فان صيغة التفاعل  
 وان كانت موضوعة لافادة صدور  
 الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه  
 بحيث يكون كل من ذلك فاعلا  
 ومفعولا مالم يكن قد تجرد عن  
 المعنى الثاني فيراد بها المعنى الاول  
 فقط كما في تداعونهم اى يدعونهم  
 وقد تجرد عنهم ايضا فيكتفى  
 بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما  
 فيما نحن فيه فان المراد متعدد  
 بتعدد الآلاء فتدبر وتسمية  
 الامور المعدودة آلاء مع ان  
 بعضها تقم لما انها ايضا نعم من  
 حيث انها نصرة للانبياء والمؤمنين  
 واتقام لهم وفيها عظات وعبر  
 للمعتبرين

(هنا يدبر من النذر الاولى) هذا  
 اما اشارة الى القرآن والنذر  
 مصدر اولى الرسول عليه الصلاة  
 والسلام والنذر عنى المنذر  
 وايا ما كان فالتنوين للتفخيم  
 ومن متعلقة بمحدود هولاء  
 ليدبر مقرر له ومتضمن للوعيد  
 هذا القرآن الذى تشاهدونه  
 نذير من قبيل الانذارات المقدمة  
 التى سمعتم عاقبتها او هذا الرسول  
 منذر من جنس المنذرين الاولين  
 والاولى على تأويل الجماعة  
 اراء الفواصل وقد علم احوال  
 قومهم المنذرين وفى تعقيب بقوله  
 تعالى ( اذت الآفة ) اشار  
 بان تعذيبهم مؤخر الى يوم القيامة  
 اى دنت الساعة الموصوفة بالذو  
 فى نحو قوله تعالى افرئت الساعة  
 ( ليس لها من دور الله كاشفة )  
 اى ليس لها نفس قادرة على  
 كشفها عند وقوعها الا الله تعالى  
 لا يكشفها اولس لها  
 الا س كاسة بتأخيرها  
 الا الله تعالى فانه المؤخر لها  
 اولس لها كاشفة لوقتها الا الله  
 تعالى كقولته تعالى لا يحلها لوقتها  
 الا هو اولس لها من غير الله تعالى  
 كشف على ان كاشفة مصدر  
 كالعافية (افن هذا الحديث)  
 اى القرآن (هـ جون) انكارا  
 (وهـ هـ كون) استبراع كونه

عملات يعنى لم يبق فيه امكان الشك حتى ان فارضا لو فرض الله صلى الله عليه وسلم  
 يشك او يجادل فى بعض الامور الخفية لما كان يمكنه المراء فى نعم الله والعموم هو الصحيح  
 كما انه يقول بأى آلاء ربك تتماهى اياها الانسان كما قال يا ايها الانسان ما غرك ربك الكريم  
 وقال تعالى وكان الانسان اكثر شىء جدلا فان قيل المذكور من قبل نعم والآلاء نعم  
 فكيف قال آلاء ربك نقول لما عد من قبل نعم وهو الخلق من الطقة ونفخ الروح  
 الشريفة فيه والاعضاء والافناء وذكر ان الكافر بنعمه اهلك قال فبأى آلاء ربك تتماهى  
 فيصيبك مثل ما اصاب الذين تماروا من قبل او نقول لما ذكر الاهلاك قال للشاك انت  
 ما اصابك الذى اصابهم وذلك بحفظ الله اياك فبأى آلاء ربك تتماهى وسنزيده بيانا فى قوله  
 تعالى فبأى آلاء ربك تتكذبون فى مواضع العذاب \* ثم قال تعالى ( هذا نذير من النذر  
 الاولى ) وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) المشار اليه بهذا ما ذاق قول فيه وجوه ( احدها )  
 محمد صلى الله عليه وسلم من جنس النذر الاولى ( ثانيا ) القرآن ( ثالثا ) ما ذكره من اخبار  
 المهلكين ومعناه حيث نذر هذا بعض الامور التى هى منذرة وعلى قولنا المراد محمد صلى الله  
 عليه وسلم فالنذر هو المنذرون لبيان الجنس وعلى قولنا المراد هو القرآن يحتمل ان يكون  
 النذر بمعنى المصدر ويحتمل ان يكون بمعنى الفاعل وكون الاشارة الى القرآن بعيد لفظا  
 ومعنى اما معنى فلا ان القرآن ليس من جنس الصحف الاولى لانه مجزئ وتلك لم تكن مجزئة  
 وذلك لانه تعالى لما بين الوحداية وقال فبأى آلاء ربك تتماهى قال هذا نذير اشارة الى  
 محمد صلى الله عليه وسلم وابا بالرسالة وقال بعد ذلك اذت الآفة اشارة الى القيامة  
 ليكون فى الآيات الثلاث المرتبة ابات أصول ثلاث مرتبة فان الاصل الاول هو الله  
 ووحدايته ثم الرسول ورسالته ثم الخشر والقيامة واما لفظ اعلان النذر ان كان كاهلا  
 فادكره من حكاية المهلكين اولى لانه اقر و يكون على هذا من بقى على حقيقة التبعض  
 اى هذا الذى ذكرنا بعض ما جرى ونبذما وقع او يكون لابتداء الغاية بمعنى هذا اذار  
 من المنذرين المتقدمين يقال هذا الكتاب وهذا الكلام من فلان وعلى الاقوال كلها  
 ليس ذكر الاولى لبيان الموصوف وتمييزه عن النذر الآخرة كما يقال الفرقة الاولى  
 احترازا عن الفرقة الآخرة وانما هو لبيان الوصف للموصوف كما يقال زيد العالم جاءنى  
 فيذكر العالم ما لبيان ان زيدا عالم غير انك لا تذكره بلفظ الخبر فتأتى به على طريقة الوصف  
 واما المدح زيد به واما الامر آخرو الاولى على العود الى لفظ الجمع وهو النذر ولو كان لمعنى  
 الجمع لقال من النذر الاولين يقال من الاقوام المتقدمة والمتقدمين على اللفظ والمعنى  
 \* ثم قال تعالى ( اذت الآفة ) وهو كقوله تعالى وقعت الواقعة وبقا كانت الكاشفة  
 وهذا الاستعمال يقع على وجوه منها ما اذا كان الفاعل صار فاعلا لمل ذلك الفعل من  
 قبل م صدر منه مرة اخرى بل الفعل يقال فعل الفاعل اى الذى كان فاعلا صار فاعلا  
 مرة اخرى يقال حاك الحائك اى من شغله ذلك من قبل فعله ومنها ما يصير الفاعل فاعلا

ابعد شيء من ذلك (ولا تكبر) حرنا على ما فرطتم في شأنه وحوفا من ان يحرق بكم ما خلق بالام المذكورة (وانتم سامدون) اى لاهون او مستكبرون من سجد البعير اذا رفع رأسه او مضمون لتسعلوا اللبس عن استماعه من السمود بمعنى لعناء على لغة حير او خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجود والخشوع كما في قول من قال

رحى الخلدان اسود آل سعد

بمقدار سجد له سمود فرد شعورهن السود ينفنا وردو حوهم انض سودا والجملة حال من فاعل لا تكون حالا ان مضمونها على لوجه الاخير مد للنفى والاسكار وار على نفى الكاء والسمود معا وعلى الوضوء لاول تدل على والاسكار متوجه الى نفى لبقاء ووجود السمود والاول اولى بحق المقام فتدبر والعاء في قوله تعالى (فاسجدوا لله واعبدوا) لترتيب الامر او موجه على ما تقرر من لطايف مقالته القرآن والادكار والاستهزاء ووجوب بلقبه بالاعمال مع كمال الخضوع والخشوع اى واداك الامر كذلك فاسجدوا لله الذى امره واعبدوه عن التنى عليه الصلاة

بدلان الفعل ومنه يقال اذا مات الميت انقطع عمله واداغصب العين غاصب ضمنه فقوله أزفت الأزفة يحتمل ان يكون من القبل الاول اى قربت الساعة التى كل يوم يزداد قربها فمى كاشفة قريبة وازدادت فى القرب ويحتمل ان يكون كقوله تعالى وقعت الواقعة اى قرب وقوعها وازفت فاعلمها فى الحقيقة القيامة او الساعة فكأنه قال أزفت القيامة الأزفة او الساعة او مثلها \* وقوله تعالى (ليس لها من دون الله كاشفة) فيه وجوه (احدها) لا مظهر لها الا الله فمن يعلمها لا يعلم الا باعلام الله تعالى اياه واظهاره اياهاله فهو كقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وقوله تعالى لا يحلبها لوقتها الا هو (انها) لا يأتى بها الا الله كقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وفيه مسائل (المسئلة الاولى) من زائدة تقديره ليس لها غير الله كاشفة وهى تدخل على النفي فتؤكدها تقول ما جاءنى احد وما جاءنى من احد وعلى هذا يحتمل ان يكون فيه تقديم وتأخير تقديره ليس لها من كاشفة دون الله فيكون نفيها عاما بالنسبة الى الكواشف ويحتمل ان يقال ليست بزائدة بل معنى الكلام انه ليس فى الوجود نفس تكشفها اى تخبر عنها كما هى ومتى وقفها من غير الله تعالى يعنى من يكشفها قائما يكشفها من الله لا من غير الله يقال كشف الامر من زيد ودون يكون بمعنى غير كما فى قوله تعالى انما كفالكافى من الله لا من غير الله (المسئلة الثانية) كاشفة صفة لمؤنث اى نفس كاشفة وقيل هى للمبالغة كما فى العلامة وعلى هذا لا يقال انه نفي ان يكون لها كاشفة بصيغة المبالغة ولا يلزم من نفي الكاشف العائق نفي نفس الكاشف لانا نقول لو كشفها احد لكان كاشفا بالوجه الكامل فلا كاشف لها ولا يكشفها احد وهو كقوله تعالى وما انا بظلام للعبيد من حيث نفي كونه ظالما مبالعا ولا يلزم منه نفي كونه ظالما وقلنا هناك انه لو ظلم عبده الضعفاء بغير حق لكان فى غاية الظلم وليس فى غاية الظلم فلا يظلم اصلا (المسئلة الثالثة) اذا قلت ان معناه ليس لها نفس كاشفة فقوله من دون الله استثناء على الاشهر من الاقوال فيكون الله تعالى نفسا لها كاشفة نقول الجواب عنه من وجوه (الاول) لا مصادف ذلك قال الله تعالى ولا اعلم ما فى نفسك حكايته عن عيسى عليه السلام والمعنى الحقيقة (الثانى) ليس هو صريح الاستثناء فيجوز فيه ان لا يكون نفسا (الثالث) الاستثناء الكاشف المدلغ \* ثم قال تعالى (ان هذا الحديث تعجبون) قبل من القرآن ويحتمل ان يقال هذا اشارة الى حديث ازفت الأزفة فانهم كانوا تعجبون من حشر الاجساد وجع العظام بعد الفساد \* وقوله تعالى (وتضحكون) يحتمل ان يكون المعنى وتضحكون من هذا الحديث كما قال تعالى فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون فى حق موسى عليه السلام وكانوا هم ايضا يضحكون من حديث النبی والقرآن ويحتمل ان يكون انكارا على مطلق الضحك مع سماع حديث القيامة اى انضحكون وقد سمعتم ان القيامة قربت فكان حقا ان لا تضحكوا حينئذ. \* وقوله تعالى (ولا تكبرون) اى كان حقكم ان تبكوا منه فتمتكون ذلك وتأثون بضده

﴿ وقوله تعالى (وانتم سامعون) اى غافلون وذكر باسم الفاعل لان العفلة دائمة واما الضحك والعجب فهما امران يتجددان ويعدمان ﴿ وقوله تعالى (فاسجدوا لله واعبدوا) يحتمل ان يكون الامر عاما ويحتمل ان يكون التفاتا فيكون كأنه قال ايها المؤمنون اسجدوا شكرا على الهداية واشتغلوا بالعبادة ولم يقل اعبدوا الله اما لكونه معلوما واما لان العبادة في الحقيقة لا تكون الا لله فقال واعبدوا اى اتوا بالأمور ولا تعبدوا غير الله لانها ليست بعبادة وهذا يناسب السجدة عند قراءته مناسبة اشد واتم بما اذا جلاء على العموم والحمد لله رب العالمين وصلاته على سيدنا محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين

والسلام من قرأ سورة النجم اعطاه الله تعالى عشر حسات تعدد من صدق محمد وجده به بكمه شرفها الله تعالى

« (سورة القمر مكية وهى ) »

« (خمس وخسون آية ) »

« (سورة القمر خمسون وخمس آيات مكية ) »

(بسم الله الرحمن الرحيم)

« (بسم الله الرحمن الرحيم ) »

( اقتربت الساعة وانشق القمر )

روى ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آتة انشق القمر قال ابن عباس رضى الله عنهما انفلق فلقين فلقة ذهب وثلقة بقت وقال ابن مسعود رأيت حرايين فلقى القمر وعن عثمان بن عطاء عن اسه ان معناه سنديق يوم القمة وورده قوله تعالى ( وان يروا آتة امرؤا ويقولوا سحر مستمر ) فانه ناطق بانه قد وقع وانهم قد شاهدوه ومد مشاهدة طائره وقرئ وقد انشق القمر اى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات ابراهيم ان القمر قد انشق ومعنى الاسترار الا لراد او الاستحكام اى وان يروا آتة من آيات الله يعرضوا عن التأمل فيه بالتفوا على حثيتها وعلو طبقها ويقولوا سحر مطرد دائم بآى به محمد على مر الزمان لا تكاختلف بحال كسائر انواع السحر اوقوى مستحكم لا يمكن ازالته وقتل مسخر داهب بربول ولابقى

( اقتربت الساعة وانشق القمر ) اول السورة مناسب لآخر ما قبلها وهو قوله ازفت الآزفة فكأنه اعاد ذلك مع الدليل وقال قلت ازفت الآزفة وهو حق اذ القمر انشق والمفسرون بأمرهم على ان المراد ان القمر انشق وحصل فيه الانشقاق ودلت الاخبار على حديث الانشقاق وفي الصحيح خبر مشهور رواه جمع من الصحابة وقالوا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم آتة الانشقاق بعينها معجزة فسأل ربه فشقه ومضى وقال بعض المفسرين المراد سيشق وهو بعيد ولا معنى له لان من منع ذلك وهو الفلسفى يعمه فى الماضى والمستقبل ومن يحوزه لاحاجة الى التأويل واتماذهب اليه ذلك المذهب لان الانشقاق مر هائل فلو وقع لم وجه الارض وكان ينبغي ان يبلغ حد التواتر فنقول الذى صلى الله عليه وسلم لما كان يتخفى فى القرآن وكانوا يقولون انما نأتى بأفصح ما يكون من الكلام ومعجزوا عنه فكان القرآن معجزة باقية الى قيام القيامة لا يتمسك بمعجزة اخرى فلم يقله العلماء بحيث يبلغ حد التواتر واما المؤرخون تركوه لان التواريخ فى اكثر الامر يستعملها المنجم وهو لما وقع الامر قالوا بأنه مثل خسوف القمر وظهور شئ فى الجوع على شكل نصف القمر فى موضع آخر فتروا حكايته فى تواريخهم والقرآن أدل دليل واقوى مبداه وامكانه لا يشك فيه وقد اخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه وحديث امتناع الحرق والالتهام حديث الثام وقد ثبت جواز الحرق والتخريب على السموات وذكرناه مرارا فلا نعيد ﴿ وقوله تعالى (وان يروا آتة يعرضوا وية ولوا سحر مستمر) تقديره وبعد هذا ان يروا آتة يقولوا سحر فانهم رأوا آيات ارضية وآيات سماوية ولم يؤمنوا ولم يتركوا حادهم فان يروا ما يرون بعد هذا لا يؤمنون وفيه وجه آخر وهو ان يقال المعنى ان عادتهم انهم ان يروا آتة يعرضوا فما رأوا انشقاق القمر اعرضوا للثام العادة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله آتة ما دناقول آتة اقتراب الساعة فان انشقاق القمر من آياته وقد ردوا

وكذبوا فان يروا غيرها ايضا يعرضوا آية الانشقاق فانها معجزة اما كونها معجزة ففي غاية الظهور واما كونها آية الساعة فلأن مكر خراب العالم يتكر انشقاق السماء وانهارها وكذلك قوله في كل جسم سماوى من الكواكب فاذا انشق بعضها ببت خلاف ما يقول به وبأن جواز خراب العالم وقال اكثر المفسرين معناه ان من علامات قيام الساعة انشقاق القمر عن قريب وهذا ضعيف حمله على هذا القول ضيق المكان وخفاء الامر على الازدهان وبيان ضعفه هو ان الله تعالى لو اخبر في كتابه ان القمر ينشق وهو علامة قيام الساعة لكان ذلك امرا لا بد من وقوعه مثل خروج دابة الارض وطلوع الشمس من المغرب فلا يكون معجزة لى صلى الله عليه وسلم كما ان هذه الاشياء عجائب وليست بمعجزة لى لا يقال الاخبار عنها قبل وقوعها معجزة لاننا نقول فينتد يكون هذا من قبيل الاخبار عن العيوب فلا يكون هو معجزة رأسه وذلك فاسد ولا يقال بأن ذلك كان معجزة وعلامة فأخبر الله في الصحف والكتب السالفة ان يكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وتكون الساعة قريبة حينئذ وذلك لان بعثة النبي صلى الله عليه وسلم علامة كاشة حيث قال بعثت انا والساعة كهاتين ولهذا يحكى عن سطح انه لما خبر بوجود النبي صلى الله عليه وسلم قال عن امور تكون فكان وجوده دليل امور وايضا القمر لما انشق كان انشقاقه عند امتداد لال النبي صلى الله عليه وسلم على المسركين وهم كانوا غافلين عما في الكتب واما اصحاب الكتب فلم يفتقروا الى بيان علامة الساعة لانهم كانوا يقولون بها وبقرنها فهي اذا آية دالة على جواز تخريب السموات وهو العدة الكبرى لان السموات اذا طويت وجوز ذلك فالارض ومن عليها لا يستبعد فناؤها اذا ثبت هذا فقول معنى اقتربت الساعة يحتمل ان يكون في العقول والاذهان يقول من يسمع امرا لا يقع هذا بعيد مستبعد وهذا وجه حسن وان كان بعض ضعفاء الاذهان ينكره وذلك لان حله على قرب الوقوع زمانا لا مكانا يمكن الكافر من مجادلة فاسدة فيقول قال الله تعالى في زمان النبي صلى الله عليه وسلم اقتربت ويقولون بان من قبل ايضا في الكتب كان يقول اقتربت الوعد ثم مضى مائة سنة ولم يقع ولا يبعد ان يمضى الف آخرو لا يقع ولو صح اطلاق لفظ القرب زمانا على مثل هذا لبقى ووق بالاجابات وايضا قوله اقتربت لا تهاز الرمة والايان قل ان لا يصح الايمان للكافر ان يقول اذا كان القرب بهذا المعنى فلا خوف منها لانها لا تدركني ولا تدرك اولادى ولا اولادى اولادى واذا كان امكانها قريبا في العقول يكون ذلك ردا بالعا على المشركين والفلاسفة والله سبحانه تعالى اول ما كلف الاعتراف بالوحداية واليوم الآخر وقال اعلموا ان الخسر كائن فخالف المسرك والفلسفي ولم يقع بمجرد انكار ما ورد السرع ببيانه ولم يقل لا يقع او ليس بكائن بل قال ذلك بعيد ولم يقع بهذا ايضا بل قال ذلك غير ممكن ولم يقع به ايضا بل قال فان امتناعه ضرورى فان مذهبه ان اعادة المدوم واحياء الموتى محال

تمنية لانفسهم وتعليلوه هو الانسب بفلوهم في العناد والمكابرة ويؤيده ما سألني رده وقرئ وان يروا على البناء المفعول من الارادة (وكذبوا) اى بالنبي صلى الله عليه وسلم وما عاشوه مما اظهره الله تعالى على يده من المعجزات (واتبعوا اهلهم) التي زينها الشيطان لهم او كذبوا الآية التي هي انشقاق القمر واتبعوا اهلهم وقالوا سحر القمر وسحر اعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقوله تعالى (وكل امر مستقر) استثنى مسوق لاقطاعهم عما علقوا به امانهم الفارعة من عدم استقرار امره عليه الصلاة والسلام حسبا قالوا سحر مستقر ببيان ثباته ورسوخه اى وكل امر من الامور مستقر اى منه الى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جعلها امرا للنبي صلى الله عليه وسلم فسيصير الى غاية يتبين عندها حقيقته وعلو شأنه وابهام المسكر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به

بالضرورة ولهذا قالوا أنذا أنذا كنا عظاما أنذا ضلنا في الأرض بلفظ الاستفهام  
بمعنى الإنكار مع ظهور الأمر فلا استبعدوا لم يكتف الله ورسوله ببيان وقوعه بل قال ان  
الساعة آتية لا ريب فيها ولم يقتصر عليه بل قال وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا  
ولم يتركها حتى قال اقتربت الساعة واقترب الوعد الحق اقترب للساعات حسبهم اقتربا  
عقليا لا يجوز ان ينكر ما يقع في زمان طرفه عين لانه على الله يسير كما ان تقليب الحديقة  
علينا يسير بل هو اقرب منه بكنير والذي يقويه قول العامة ان زمان وجود العالم زمان  
مديد والباقي بالنسبة الى الماضي شيء يسير فلهذا قال اقتربت الساعة واما قوله صلى الله  
عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين فمعناه لانني بعدى فان زمانى يمتد الى قيام الساعة  
فزمانى والساعة متلاصقان كهاتين ولا شك ان الزمان زمان النبي صلى الله عليه وسلم  
ومدامت او امره نافذة فالزمان زمانه وان كان ليس هو فيه كما ان المكان الذى تنفذ فيه  
او امر الملك مكان الملك يقال له بلاد فلان فان قيل كيف يصح حمله على القرب بالمعقول مع  
انه مقطوع به قلت كما صح قوله تعالى لعل الساعة تكون قريبا فان لعل للترجي والامر عند  
الله معلوم وفأنته ان قيام الساعة ممكن لا امكانا بعيدا عن العادات كحمل الاكدمي في  
زماننا حلا في غاية النحل او قطعه مسافة بعيدة في زمان يسير فان ذلك ممكن امكانا بعيدا  
واما تقليب الحديقة فممكن امكانا في غاية القرب (المسئلة الثانية) الجمع الذين تكون  
الواو ضميرهم في قوله يروا ويعرضوا غير مذكور فمنهم نقول هم معلومون وهم الكفار  
تقديره وهؤلاء الكفار ان يروا آية يعرضوا (المسئلة الثالثة) التكثير في الآية للتعظيم  
اي ان يروا آية قوية او عظيمة يعرضوا (المسئلة الرابعة) قوله تعالى وبقولوا سحر مستمر  
ما افأئدة فيه نقول فأئدته بيان كون الآية خالية عن شوائب الشبه وان الاعتراض لمرهم  
لانهم لا يدروا ان يقولوا نحن نأتى بملها وبيان كونهم معرضين لاعتراض معذور فان  
من يعرض اعراض مشغول بامرهم فلم ينظر في الآية لا يستقبح منه الاعراض مثل  
ما يستقبح لمن ينظر فيها الى آخرها ويجوز عن نسبتها الى احد ودعوى الاتيان بملها  
م بقول هذا ليس بشيء هذا سحر لان ما من آية الا ويمكن المعاند ان يقول نبي هذا  
القول (المسئلة الخامسة) ما لمستم نقول فيه وجريه (احدها) دائم فان محمدا صلى الله  
عليه وسلم كان يأتي كل زمان بمجزة قولية او فعلية ارضية او سماوية فقالوا هذا سحر مستمر  
دائم لا يختلف بالذبة الى السى عليه السلام بخلاف سحر السحرة فان بعضهم يقدر على  
امروا من وثلاثة ويجوز عن غيرها وهو قادر على الكل (ثانيها) مستمر اي قوى من حل  
مرير القتل من المرة وهى الشدة (ثالثها) من المرارة اي سحر مر مستبشع (رابعها)  
مستمر اي مازا هب فان السحر لا بقاء له ثم قال تعالى (وكنبوا واتبعوا اهلهم) وهو  
يحتمل امرين (احدهما) وكنبوا محمدا الخبر عن اقتراب الساعة (وثانيهما) كذبوا بالآية  
وهى انشقاق القمر فان قلنا كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم قواه واتبعوا اهلهم اي

وفيل المعنى كل امر من امرهم  
وأمره عليه الصلاة والسلام  
مستمر اي سيثبت ويستقر على  
حاله حدلان او نصره في الدنيا  
وشعاوة او سعادة في الآخرة  
وقرى بالفتح على انه مصدر او  
اسم مكال او اسم زمان اي ذو  
استقرار او ذو موضع استقرار  
او ذو زمان استقرار وبالكسر  
والجر على انه صفة امر وكل عطى  
على الساعة اي او برت الساعة  
وكل امر مستقر (ولقد جاءهم)  
اي في القرآن وقوله تعالى (من  
الاباء) اي ابناء القرون الخالية  
او ابناء الآخرة متعلق بمحذوف  
هو حال معانده اي والله لقد  
جاءهم كاشا من الاساء (واقبه  
مزدحر) اي اردجار من عديب  
او وعيد او موضع اردجار على  
ان في تجر بية والمعنى انه في بعض  
موضع اردجار وناهى الافعال تغلب  
دالامع الدل والذال والزاي  
للساسب وقرى مر حربها رايا  
وادغاها (حكمة بالغة) غاية  
لا حلل ميا هو بدل من ما وحر  
لدوى وقرى بالعصب حالا  
مها



تركوا الحجة واولوا الايات وقالوا هو بمنون تعينه الجن وكاهن يقول عن النجوم  
وينتار الاوقات للافعال وساحر فهذه اهواؤهم وان قلنا كذبوا بالشقاق التمر فقلوه  
واتبعوا اهواءهم في انه سحر القمر وانه خسوف والقمر لم يصبه شيء فهذه اهواؤهم  
وكذلك قولهم في كل آية ﴿ وقوله تعالى ( وكل امر مستقر ) فيه وجوه ( احدها ) كل امر  
مستقر على سنن الحق ثبت والباطل يزهدق وحينئذ يكون تهديدا لهم وتسلية للذي صلى  
الله عليه وسلم وهو كقوله تعالى ﴿ الى ربكم مرجعكم فينبئكم اي بانها حق ( ثانيها ) وكل  
امر مستقر في علم الله تعالى لا يخفى عليه شيء فهم كذبوا واتبعوا اهواءهم والانبياء صدقوا  
وبلغوا ما جاءهم كقوله تعالى لا يخفى على الله منهم شيء ﴿ وكما قال تعالى في هذه السورة وكل  
شيء ﴿ فملوه في الزر وكل صغير وكبير مستطر ( ثالثها ) هو جواب قولهم سحر مستمر اي ليس  
امر بهذه بل كل امر من اموره مستقر ﴿ ثم قال تعالى ( ولقد جاءهم من الانبياء ما فيه  
مزدجر ) اشارة الى ان كل ما هو لطف بالعباد قد وجد فاخبرهم الرسول باقتراب الساعة  
واقام الدليل على صدقه وامكان قيام الساعة عقيب دعواه بانشقاق القمر الذي هو آية  
لا من يكذب بها لا يصدق بشيء من الايات فكذبوا بها واتبعوا الاباطيل الذاهبة  
وذكروا الاقاويل الكاذبة فذكر لهم انباء المهلكين بالآيتين تخويفاً لهم وهذا هو  
الترتيب الحكمي ولهذا قال بعد الايات حكمة بالغة اي هذه حكمة بالغة والانبياء هي  
الاخبار العظام وبذلك على صدقه ان في القرآن لم يرد النبأ والانبياء الامالة وقيل قال  
وجئتكم من سبأ نبأ يقين لانه كان خبرا عظيما وقال ان جاءكم فاسق بنبأ اي محاربة  
او مسالمة وما يشبهه من الامور العرفية وانما يجب التثبت فيما يتعلق به حكم ويترب  
عليه امر ذوال وكذلك قال تعالى تلك من انباء الغيب نوحيها اليك فكذلك الانبياء ههنا  
وقال تعالى عن موسى لمعي آيكم منها بخبر اوجذوة حيث لم يكن يعلم انه يظهر له شيء عظيم  
يصح ان يقال له نبأ ولم يقصده والظاهر ان المراد انباء المهلكين بسبب التكذيب وقال  
بعضهم المراد القرآن وتقديره جاءكم فيه الانبياء وقيل قوله جاءكم من الانبياء يتناول جميع  
ما ورد في القرآن من ازواج و المواعظ وما ذكرنا ظهر لقوله فيه مزدجر وفي ما وجهان  
( احدهما ) انها موصولة اي جاءكم الذي فيه مزدجر ( ثانيها ) موصوفة تقديره جاءكم  
من الانبياء شيء موصوف بان فيه مزدجر وهذا اظهر والمزدجر فيه وجهان احدهما  
ازد جار ونايهما موضع ازدجار كالمرتقي ولفظ المفعول بمعنى المصدر كثير لان المصدر هو  
المفعول الحقيقي ﴿ ثم قال تعالى ( حكمة بالغة ) وفيه وجوه ( الاول ) على قول من قال ولقد  
جاءهم من الانبياء المراد منه القرآن قال حكمة بالغة بدل كانه قال ولقد جاءهم حكمة بالغة  
( الثاني ) ان يكون بدلا عن ما في قوله ما فيه مزدجر ( الثالث ) حكمة بالغة خبر مبتدأ محذوف  
تقديره هذه حكمة بالغة والاشارة حينئذ تحتمل وجوها ( احدها ) هذا الترتيب الذي في  
ارسال الرسول وايضاح الدليل والانذار بمن مضى من القرون وانقضى حكمة بالغة

فانها موصولة او موصوفة  
تخصت بصفتها فساغ نصب  
الحال عنها ( فاتفق النذر ) نفى  
للاغناء او انكار له والفاء لترتيب  
عدم الاعناء على معنى الحكمة  
البالغة مع كونه مظنة للاغناء  
وصيغة المضارع للدلالة على تجديد  
عدم الاعناء واستمراره حسب  
تجدد مجيء الزواجر واستمراره  
وما على الوجه الثاني منصوبة  
اي فاي اعناء تغني النذر وهو  
جمع نذر بمعنى المنذر او مصدر  
بمعنى الانذار ( فتول عنهم ) لعلك  
بان الانذار لا يؤثر فيهم البتة  
( يوم يدع الداع ) مندوب  
يخرجون اونا ذكر والداخي  
اسرافل عليه السلام ويغوز  
ان يكون الدعاة فيه كالامر  
في قوله تعالى كن فيكون واسقاط  
الياء للاكساف بالكسر تخفيفا  
( الى شيء نكر ) اي منكر فظيع  
تكره النحوس لعدم العهد  
بثله وهو هوول القيامة وقرى نكر  
بالخفيف وبكر بمعنى انكر  
( خشعا البصارهم ) حال من فاعل  
( يخرجون ) والتقديم لان العامل  
منصرف اي يخرجون ( من )

(ثانيها) انزال ما فيه الانباء حكمة بالغة (ثالثها) هذه الساعة المقربة والآية الدالة عليها حكمة (الرابع) قرئ بالنصب فيكون حالا وذو الحال ما في قوله ما فيه مزدجر اى جاءكم ذلك حكمة فان قيل ان كان ماموصولة تكون معرفة فيحسن كونه ذا الحال فاما ان كانت بمعنى جاءهم من الانباء شئ فيه ازدياد يكون منكرا وتكثير ذى الحال فيصح نقول كونه موصوفا يحسن ذلك \* وقوله تعالى (فاتغنى النذر) فيه وجهان (احدهما) ان ما فيه ومعناه ان النذر لم يعشوا ليغنىوا ولجؤا قلوبهم الى الحق وانما ارسلوا مبلغين وهو كقوله تعالى فان اعرضوا فاعرسلناك عليهم حفيظا ويؤيد هذا قوله تعالى فتول عنهم اى ليس عليك ولا على الانبياء الاغواء والالقاء فاذا بلغت فقد أتيت بما عليك من الحكمة البالغة التى امرت بها بقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وتول اذا لم تقدر (ثانيهما) ما استفهامية ومعنى الآيات حيث ذكرك انك أتيت بما عليك من الدعوى واظهار الآية عليها وكذبوا فانذرتهم بما جرى على المكذبين فلم يفدهم فهذه حكمة بالغة وما الذى تغنى النذر غير هذا فلم يبق عليك شئ آخر \* قوله تعالى (فتول عنهم) قد ذكرنا ان المفسرين يقولون ان قوله تول منسوخ وليس كذلك بل المراد منه لا تناظرهم بالكلام \* ثم قال تعالى (يوم يدع الداع الى شئ نكر) قد ذكرنا ايضا ان من ينصح شخصا ولا يؤثر فيه النصيح يعرض عنه ويقول مع غيره ما فيه نصيح المعرض عنه ويكون فيه قصدا رشادا ايضا فقال بعد ما قال فتول عنهم يوم يدع الداع يخرجون من الاجداث للتخويف والعامل في يوم هو ما بعده وهو قوله يخرجون من الاجداث والداعى معرف كالمادى في قوله يوم ينادى المناد لانه معلوم قد اخبر عنه فقيل ان مناديا ينادى داعيا يدعوه وفي الداعى وجوه احدها انه اسرافيل وثانيها انه جبريل وثالثها انه ملك موكل بذلك والتعريف حيث ذكرا لا يقطع حدا لعلية وانما يكون ذلك كقولنا جاء رجل فقال الرجل وقوله تعالى الى شئ نكر اى منكرو وهو يحتل وجوها (احدها) الى شئ نكر في يومنا هذا لانهم انكروه اى يوم يدعوا الداعى الى الشئ الذى انكروه يخرجون (ثانيها) نكر اى منكرو يقول ذلك القائل كان ينبغي ان لا يكون اى من شأنه ان لا يوجد يقال فلان ينهى عن المنكر وعلى هذا فهو عندهم كان ينبغي ان لا يقع لانه يردبهم في الهاوية فان قيل ماذا الشئ النذر نقول الحساب او الجمع له او التمسك للجمع وهذا اقرب فان قيل النشر لا يكون منكرا فانه احياء ولان الكافر من اين يعرف وقت النشر وما يجري عليه لينكره نقول يعرف ويعلم بدليل قوله تعالى عنهم يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا \* ثم قال تعالى (خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث كما نهم جراد منتثر) وفيه قراآت خاشعا وخاشعة وخشعا فمن قرأ خاشعا على قول القائل يخشع ابصارهم على ترك التأنيث لتقدم الفعل ومن قرأ خاشعة على قوله تخشع ابصارهم ومن قرأ خشعا فله وجوه (احدها) على قول من يقول ينتشر ابصارهم على طريقة من يقول أكلوني البراغيش (ثانيها) في خشع ضمير ابصارهم بدل عنه

لاجدات ( ادلة ابصارهم من شدة الهول وقرئ خاشعا والافراد والنذكر لان فاعله نثار غير حقيق التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر على ان جملة حال ( كما نهم جراده منتثر ) في لكثرة والتجوز والتفرق في الانتظار ( مهطعين الى السداع ) مسرعين مادي اعنائهم اليه او انشأ اليه ( يقول الكافرون ) استنشاف وقع جوابا عما ذُكر من وصف اليوم بالاوهال واضلله لسوء الحال كما انه قيل فشاذا يكون حيث ذكرا قيل يقول الكافرون ( هذا يوم عسر ) يصعب شديد وفي اسناد القول المذكور الى الكفار ناوليح بان المؤمنين ليسوا في المرتبة من الشدة ( كذبت نبالهم قوم نوح ) شروع في تعداد بعض ما ذكر من الانباء الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تأثرهم بها تقريرا

تقديره بخشعون ابصارهم على بدل الاشتغال كقول التائل اعجبوني حسنهم (بالها)  
فيه فعل مضر يفسره يخرجون تقديره يخرجون خشعا ابصارهم على بدل الاشتغال  
والصحيح خاشعاروي ان مجاهدا رأى النبي صلى الله عليه وسلم في سامه فقال له يا نبي الله  
خشعا ابصارهم او خاشعا ابصارهم فقال عليه السلام خاشعا ولهذه القراءة وجه آخر  
اظهر مما قالوه وهو ان يكون خشعا منصوبا على انه مفعول بقوله يوم يدع الداع خشعا  
اي يدعو هؤلاء فان قيل هذا فاسد من وجوه (احدها) ان التخصيص لا فائدة فيه لان  
الداعي يدعو كل احد (بابها) قوله يخرجون من الاجداث بعد الدماء فيكونون خشعا  
قبل الخروج وانه باطل (بالها) قراءة خاشعا تبطل هذا نقول (اما الجواب عن الاول) فهو  
ان يمان قوله الى شيء نكر يدفع ذلك لان كل احد لا يدعى الى شيء نكر (وعن الثاني) المراد  
من شيء نكر الحساب العسري يعني يوم يدعو الداعي الى الحساب العسري خشعا ولا يكون  
العامل في يوم يدعو يخرجون بل اذ كروا او فاعني الذر كما قال تعالى فانتقمهم  
شفاعة الشافعين ويكون يخرجون ابتداء كلام (وعن الثالث) انه لامنافاة بين القراءة بين  
وخاشعا نصب على الحال او دلي انه مفعول يدعو كما انه يقول يدعو الداعي قوم خاشعا  
ابصارهم والخشوع السكون قال تعالى وخشعت الاصوات لخشوع الابصار سكونها  
على حال لا تقلب يمنة ولا يسرة كما في قوله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم وقوله تعالى يخرجون  
من الاجداث كما ثم حراد متسرسلهم بالجراد المتسر في الكثرة والتجوج ويحتمل ان يقال  
المتسر مطاوع نسرهم اذا احباه فكأنهم جراد يتحرك من الارض ويدب اشارة الى  
كيفية خروجهم من الاجداث وضعفهم \* ثم قال تعالى (مهطعين الى الداع) اي  
مسرعين اليه انقيادا (يقول الكافرون هذا يوم عسر) يحتمل ان يكون العامل الناصب  
ليوم في قوله تعالى يوم الداع اي يوم يدعو الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسر وفيه  
فائدتان (احدهما) تنبيه المؤمن ان ذلك اليوم على الكافر عسير فحسب كما قال تعالى  
فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير يعني له عسر لا يسره معه (ثانيتهما) هي ان  
الأميرين منفقان مشتركان بين المؤمن والكافر لان الخروج من الاجداث كما أنهم جراد  
والاهطاع الى الداعي يكون للمؤمن فانه يذاف ولا يأمن العذاب الا بآيات الله تعالى  
ايام فيؤتيه الله الواب فينتي الكافر فيقول هذا يوم عسر \* ثم انه تعالى أعاد بعض الانبياء  
بما قال (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازجر) فيها تهوين  
وتسليه لقلب محمد صلى الله عليه وسلم فان حاله كحال من تقدمه وفيه مسائل (المسئلة  
الاول) الحاق ضمير المؤنث بالفعل قبل ذكر الفاعل جائز بالاتفاق وحسن والحاق ضمير  
الجمع به قبيح عند الاكبرين لا يسرزون كذبوا قوم نوح ويوزون كذبت فالعرق  
نقول الآية قبل الجمع لان الانوثة والذكورة لا تامل امر لا يتبدل ولم تحصل الانوثة  
للفاعل بسبب فعلها الذي هو فاعله فليس اذا قلنا ضربت هذه كانت هذه انثى لاجل

لفحوى قوله تعالى فاتغى البدر  
اي فعل التكذيب قبل كذب  
قومك قوم نوح وقوله تعالى  
(فكذبوا عبدا) تفسير الداع  
التكذيب المهم كما في قوله تعالى  
ونادى نوح ربه فقال رب اخرجني  
وفيه مراد تقرر وتحقق  
للتكذيب وقيل معناه كذبه  
كذبيا ر تكذيب كلما حالهم  
فرن مكذب جاء عنه قر  
آخر مكذب مثله وقيل كذبت  
يوم نوح انزل فكذبوا  
عبدنا لانه من جاتهم وفي  
ذكره عليه الصلاة والسلام  
عنوا العبودية مع الاضافة الى  
نور العظمة يعظم له عليه الصلاة  
والسلام ورفع لحيته وريادة  
تسليم المكذب (وقالوا سمعون) اي  
لم يقرصوا على يرد التكذيب  
بل اسبوه الى الامور (وارد حر)  
عطف على قالوا اي وزجر عن  
اتباعه بأنواع لادته وقيل هو  
من جلة ما قالوه اي هو مخنون  
وقد اردجته الحن وتخططه

الضرب بخلاف الجمع لان الجمع للفاعلين بسبب فعلهم الذى هم فاعلوه فانا اذا قلنا جمع ضربوا وهم ضاربون ليس مجرد اجتماعهم في الوجود <sup>يصح</sup> قولنا ضربوا وهم ضاربون لانهم ان اجتمعوا في مكان فهم جمع ولكن ان لم يضرب الكل لا يصح قولنا ضربوا فضمير الجمع من الفعل فاعلون جمعهم بسبب الاجتماع في الفعل والفاعلية وليس بسبب الفعل فلم يجز ان يقال ضربوا جمع لان الجمع لم يفهم الا بسبب انهم ضربوا جميعهم فينبغي ان يعلم او لا اجتماعهم في الفعل فيقول الضاربون ضربوا واما ضربت هند <sup>فصح</sup> لانه لا يصح ان يقال التأنيث لم يفهم الا بسبب انها ضربت بل هي كانت انثى فوجد منها ضرب فصارت ضاربة وليس الجمع كانوا جمعا فضربوا فصاروا ضارين بل صاروا ضارين لاجتماعهم في الفعل ولهذا ورد الجمع على اللفظ بعد ورود التأنيث عليه فقبل ضاربة وضاربات ولم يجمع اللفظ او لا انثى ولذا ذكر ولهذا لم يحسن ان يقال ضرب هند وحسن بالاجماع ضرب قوم والمسلون (المسئلة النانية) لما قال تعالى كذبت ما القائدة في قوله تعالى فكذبوا عبدنا نقول الجواب عنه من وجوه (الاول) ان قوله كذبت قبلهم قوم نوح اى بآياتنا وآية الانشقاق فكذبوا (الناني) كذبت قوم نوح الرسل وقالوا لم يبعث الله رسولا وكذبوهم في التوحيد فكذبوا عبدنا كما كذبوا غيره وذلك لان قوم نوح كانوا مشركين يعبدون الاصنام ومن يعبد الاصنام يكذب كل رسول ويشكر الرسالة لانه يقول لا تعلق لله بالعالم السفلى وانما امره الى الكواكب فكان مذهبهم التكذيب فكذبوا (البالت) قوله تعالى فكذبوا عبدنا للتصديق والرد عليهم تقديره كذبت قوم نوح وكان تكذيبهم عبدنا اى لم يكن تكذبا بحق كما يقول القائل كذبتنى فكذب صادقا (المسئلة الثالثة) كبيرا ما يخص الله الصالحين بالاضافة الى نفسه كما في قوله تعالى ان عبادى يا عبادى واذكر عبدنا انه من عبادنا وكل واحد عبده فالسرفيه نقول الجواب عنه من وجوه (الاول) ما قيل في المشهور ان الاضافة اليه تشرى منه فن خصصه بكونه عبده شرف وهذا كقوله تعالى ان طهرا بيتى وقوله تعالى ناقة الله (الناني) المراد من عبدنا اى الذى عبدنا فلكل عباد لانهم مخلوقون للعبادة لقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولكن منهم من عبد فحقق المقصود فصار عبده ويؤيد هذا قوله تعالى كونوا عبادا لى حققوا المقصود (البالت) الاضافة تفيد الحصر فعنى عبدنا هو الذى لم يقل بمعبود سوانا ومن اتبع هواه فقد اتخذها فالعبد المضاف هو الذى بكليته في كل وقت لله فاكله وشربه وجيع اموره لوجه الله تعالى وقليل ما هم (المسئلة الرابعة) ما القائدة في اختيار لفظ العبد مع انه لو قال رسولنا لكان ادل على قبح فعلهم نقول قوله عبدنا ادل على صدقه وقبح تكذيبهم من قوله رسولنا لوقاله لان العبد اقل تحريفا لكلام السيد من الرسول فيكون كقوله تعالى ولتقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين نعم لقطعنا منه الوتين (المسئلة الخامسة) قوله تعالى وقالوا مجنون اشارة الى انه

أتى بالآيات الدالة على صدقه حيثراً واما عجزوا عنه وقالوا هو مصاب الجن او هو زيادة بيان قبح صنعهم حيث لم يقتعوا بقولهم انه كاذب بل قالوا مجنون اى يقول ما لا يقبله عاقل والكاذب العاقل يقول ما يظن به انه صادق فقالوا مجنون اى يقول ما لم يقبل به عاقل فينبى مبالغتهم في التكذيب (المسئلة السادسة) وازدجر اخبار من الله تعالى او حكاية قولهم نقول فيه خلاف منهم من قال اخبار من الله تعالى وهو عطف على كذبوا وقالوا اى هم كذبوا وهو ازدجر اى اوذى وزجر وهو كقوله تعالى كذبوا واوذوا وعلى هذا ان قيل لو قال كذبوا عبدنا وزجره كان الكلام اكثر مناسبة نقول لابل هذا ابلغ لان المقصود تقوية قلب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر من تقدمه فقال وازدجر اى فعلوا ما يوجب الانزجار من دعائهم حتى ترك دعوتهم وعدل عن الدماء الى الايمان الى الدماء عليهم ولو قال زجره ما كان يفيد انه تأذى منهم لان في السعة يقال آذونى ولكن ما تأذيت واما واوذيت فهو كاللازم لا يقال الا عند حصول الفعل لا قبله ومنهم من قال وازدجر حكاية قولهم اى هم قالوا ازدجر تقديره قالوا مجنون مزدجر ومعناه ازدجره الجن او كائهم قالوا جن وازدجر والاول اصح ويرتب عليه \* قوله تعالى (قد عاربه انى مغلوب فاتصر) تربا في غاية الحسن لانهم لما زجره وازجره عن دعائهم دعا ربه انى مغلوب وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرئ انى بكسر الهمزة على انه دعاء فكأنه قال انى مغلوب وبالفصح على معنى بانى (المسئلة الثانية) ما معنى مغلوب نقول فيه وجوه (الاول) غلبنى الكفار فاتصرلى منهم (الثانى) غلبتنى نفسى وجلبتنى على الدماء عليهم فاتصرلى من نفسى وهذا الوجه نقله ابن عطية وهو ضعيف (الثالث) وجه مركب من الوجهين وهو احسن منهما وهو ان يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدعو على قومه مادام في نفسه احتمال وحلم واحتمال نفسه يمتد مادام الايمان منهم محتملا ثم ان يأسه يحصل والاحتمال يفر بعد اليأس بمدة بدليل قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم لعلك باخع نفسك فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال الله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرورون فقال نوح الهى ان نفسى غلبتنى وقد امرتنى بالدماء عليهم فأهلكهم فيكون معناه مغلوب بحكم البتيرية اى غلبت وعيل صبرى فاتصرلى منهم لامن نفسى (المسئلة الثالثة) فاتصرلى اول نفسك فانهم كفروا بك وفيه وجوه (احدها) فاتصرلى مناسب لقوله مغلوب (ثانيها) فاتصرلك ولديك فانى غلبت وعجزت عن الانتصار لديك (ثالثها) فاتصرلحق ولا يكون فيه ذكره ولا ذكر ربه وهذا يقوله قوى انفس بكون الحق معه يقول القائل اللهم اهلك الكاذب منا وانصر الحق منا \* ثم قال تعالى (ففتحنا ابواب السماء بما عنهم) عقيب دعائه وفيه مسائل (المسئلة الاولى) المراد من الفتح والابواب والسماء حقائقها او هو مجاز نقول فيه قولان (احدهما) حقائقها والسماء ابواب تفتح وتغلق ولا استبعاد فيه (وثانيهما) هو على طريق

(قد عاربه انى) اى بانى وقرئ  
بالكسر على ارادة القول  
(مغلوب) اى من جهة قوى مالى  
قدرة على الانتقام منهم (فاتصر)  
اى فاتقم لى منهم وذلك بعد  
تقرر يأسه منهم بعد التيا والتى  
قد روى ان الواحد منهم كان  
يلقاه فيخفه حتى يخر مغشيا  
عليه ويقول اللهم اغفر لمولى  
فانهم لا يعلمون (ففتحنا ابواب  
السماء بما عنهم) منصب وهو  
تمثيل لكثرة الا مطار وشدة  
انصبابها وقرئ ففتحنا بالنشيد  
لكثرة الابواب

الاستعارة فان الظاهر ان الماء كان من السحاب وعلى هذا فهو كما يقول القائل في المطر  
الوابل جرت ميازيب السماء وقمح افواه القرب اى كأمه ذلك فالمطر في الطوفان كان  
بحيث يقول القائل قمت أبواب السماء ولا شك ان المطر من فوق كان في غاية الهطلان  
(المسئلة الثانية) قوله تعالى ففتحنا بيان ان الله انتصر منهم وانتقم بماء لا يجند انزله كما  
قال تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت  
الاصيحة واحدة بيانا لكمال القدرة ومن العجيب انهم كانوا يطلبون المطر سنين فأهلكهم  
بمطلوبهم (المسئلة الثالثة) الباء في قوله بماء منهمر ما وجهه وكيف موقعه نقول فيه  
وجهان (احدهما) كما هي في قول القائل قمت الباب بالفتح وتقديره هو ان يجعل  
كأن الماء جاء وقمح الباب وعلى هذا تفسير قول من يقول بفتح الله ك بخير اى يقدر خيرا  
يأتى ويقمح الباب وعلى هذا فقيه لطيفة وهى من بدائع المعاني وهى ان يجعل المقصود  
مقدما في الوجود ويقول كأن مقصودك جاء الى باب مغلق ففتحته وجاءك وكذلك قول  
القائل لعل الله يفتح برزق اى يقدر رزقا يأتى الى الباب الذى كالمغلق فيدفعه ويفتحه  
فيكون الله قد فتحه بالرزق (ثانيهما) فتحنا أبواب السماء مقرونة بماء منهمر والاهتمام  
بالانسكاب والانصباب صبا شديدا والتحقيق فيه ان المطر يخرج من السماء التى هى  
السحاب خروج مترشح من ظرفه وفي ذلك اليوم كان يخرج خروج مرسل خارج من باب  
\* ثم قال تعالى (وجفنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر) وفيه من البلاغة  
ماليس في قول القائل وجفنا عيون الارض وهذا بيان التمييز في كثير من المواضع اذا  
قلت ضاق زيد ذمرا اثبت ما لا يتبته قولك ضاق ذرع زيد وفيه مسائل (المسئلة الاولى)  
قال وجفنا الارض عيونا ولم يقل ففتحنا السماء أبوابا لان السماء أعظم من الارض وهى  
للمبالغة ولهذا قال أبواب السماء ولم يقل انايب ولا منافذ ولا مجارى او غيرها واما قوله  
تعالى وجفنا الارض عيونا فهو ابغ من قوله وجفنا عيون الارض لانه يكون حقيقة  
لامبالغة فيدويكى في صحة ذلك القول ان يجعل في الارض عيونا ثلاثة ولا يصلح مع هذا  
في السماء الا قول القائل فانزلنا من السماء ماء او مياه ومثل هذا الذى ذكرناه في المعنى  
لا في المعجز والحكمة قوله تعالى الم تر ان الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض  
حيث لامبالغة فيه وكلامه لا يماثل كلام الله ولا يقرب منه غير انى ذكرته مثلا والله المثل  
الاعلى (المسئلة النانية) العيون في عيون الماء حقيقة اوجاز نقول المشهور ان لفظ  
العين مشترك والظاهر انها حقيقة في العين التى هى آلة الابصار ومجاز في غيرها اما في  
عيون الماء فلانها تشبه العين الباصرة التى يخرج منها الدمع اولاً لأن الماء الذى في العين  
كالنور الذى في العين غير انها مجاز مشهور صار غالبا حتى لا يفتقر الى القرينة عند  
الاستعمال الالتميز بين العينين فكما لا يحمل اللفظ على العين الباصرة الاقرينة كذلك  
لا يحمل على الفؤارة الاقرينة مثل شربت من العين واغتسلت منها وغير ذلك من الادوار

(وجفنا الارض عيونا) اى جعلنا  
الارض كلها كأنها عيون متفجرة  
واصله وجفنا عيون الارض فغير  
قضاء لحق المقام (فالتقى الماء) اى  
ماء السماء وماء الارض والافراد  
لتحقيق ان التقاء الماءين لم يكن  
بطريق المجاورة والتقارب بل  
بطريق الاختلاط والاتحاد  
وقرى الما الآن لاختلاف النوعين  
والما وان بقلب الهمزة واوا  
(على امر قد قدر) اى كاشا على  
حال قد قدرها الله تعالى من غير  
تفاوت او على حال قدرت  
وسويت وهو ان قدر ما انزل على  
قدر ما اخرج او على امر قدره الله  
تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان

التي توجد في الينبوع ويقال عانه يعينه اذا اصابه بالعين وعينه تعيننا حقيقته جعله بحيث تقع عليه العين وعينه معانية وعينا اي صار بحيث تقع عليه العين (المسئلة الثالثة) قوله تعالى فالتقى الماء قرى فالتقى الماء انما هو من ماء السماء وماء الارض فتني اسماء الاجناس على تأويل صنف وتجمع ايضا يقال عندي تمران وتمور واتمار على تأويل نوعين وانواع منه والصحيح المشهور فالتقى الماء معنى لطيف وذلك انه تعالى لما قال ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر ذكر الماء وذكر الانهار وهو النزول بقوة فلما قال وبفجرنا الارض عيونا كان من الحسن البديع ان يقول ما يفيد ان الماء نبع منها بقوة فقال فالتقى الماء اي من العين فار الماء بقوة حتى ارتفع والتقى بماء السماء ولو جرى جريا ضعيفا لما كان هو يلتقي مع ماء السماء بل كان ماء السماء يرد عليه ويتصل به ولعل المراد من قوله وفار التور مثل هذا وقوله تعالى على امر قد قدر فيه وجوه (الاول) على حال قد قدره الله تعالى كاشاء (الثاني) على حال قدر احد الماءين بقدر الآخر (الثالث) على سائر المقادير وذلك لان الناس اختلفوا فيهم من قال ماء السماء كان اكثر ومنهم من قال ماء الارض ومنهم من قال كانتسا وين فقال على اي مقدار كان والاول اشارة الى عظمة امر الطوفان فان تكبير الامر يفيد ذلك يقول القائل جرى على فلان شيء لا يمكن ان يقال اشارة الى عظمته وفيه احتمال آخر وهو ان يقال التقي الماء اي اجتمع على امر هلاكهم وهو كان مقدورا مقدرا وفيه رد على النجمين الذين يقولون ان الطوفان كان بسبب اجتماع الكواكب السبعة حول برج مائي والفرق لم يكن مقصودا بالذات وانما ذلك امر لازم من الطوفان الواجب وقوعه فقال لم يكن ذلك الا لامر قد قدر ويدل عليه ان الله تعالى اوحى الى نوح بأنهم من المغرقين \* وقوله تعالى (وجلنا على ذات الواح ودرس تجري باعيننا) اي سفينة حذف الموصوف واقام الصفة مقامه اشارة الى انها كانت من الواح مركبة موثقة بدسروكان انفسا كما في غاية السهولة ولم يقع فهو بفضل الله والدسر المسامير وقوله تعالى تجري اي سفينة ذات الواح جارية وقوله تعالى باعيننا اي بمرأى منا وبمحفظنا لان العين آلة ذلك فتستعمل فيه \* وقوله تعالى (جزا لمن كان كفر) يحتمل وجوها (احدها) ان يكون نصبه بقوله جلنا اي جلنا جزاء اي ليكون ذلك الحمل جزاء الصبر على كفرانهم (ثانيها) ان يكون بقوله تجري باعيننا لان فيه معنى حفظنا اي متركنا عن اعيننا وعونا جزاءه (ثالثها) ان يكون بفعل حاصل من مجموع ما ذكره كانه قال قمنا ابواب السماء وبفجرنا الارض عيونا وجلنا وكل ذلك فعلنا جزاءه وانما ذكرنا هذا لان الجزاء ما كان يحصل الا بحفظه وانجاءه لهم فوجب ان يكون جزاء منصوبا بكونه مفعولا به هذه الافعال ولذا كرمافيه من اللطائف في مسائل (المسئلة الاولى) قال في السماء ففتحنا ابواب السماء لان السماء ذات الرجوع ومالها فطور ولم يقل وشققنا السماء وقال في الارض وبفجرنا الارض لانها ذات الصدع (الثانية) لما جعل المطر كالماء الخارج

(وجلنا) اي نوحا عليه السلام (على ذات الواح) اي اخشاب عريضة (ودسر) ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تؤدي مؤداها (تجري باعيننا) بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا (جزا لمن كان كفر) اي فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام لانه كان نعمة كفرها فان كل نبي نعمة من الله تعالى على امته ورجة واي نعمة واي رجة وقد جوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير واستناره في الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرئ لمن كفر اي للكافرين



من ابواب مفتوحة واسعة ولم يقل في الارض واجرينا من الارض بحارا وانهار ابل قال  
عيونا والخارج من العين دون الخارج من الباب ذكر في الارض انه تعالى فجيرها كلها  
فقال وفجيرنا الارض لتقابل كثرة عيون الارض سعة ابواب السماء فيحصل بالكثرة ههنا  
ما حصل بالسعة (الثالثة) ذكر عند الغضب سبب الاهلاك وهو فتح ابواب السماء وفجر  
الارض بالعيون واسار الى الاهلاك بقوله تعالى على امر قد قدر اى امر الاهلاك ولم  
يصرح وعند الرحمة ذكر الانجاء صريحا بقوله تعالى وجلنا و اشار الى طريق النجاة بقوله  
ذات الواح وكذلك قال في موضع آخر فأخذهم الطوفان ولم يقل فاهلكوا وقال فأنجينا  
واصحاب السفينة فصرح بالانجاء ولم يصرح بالاهلاك اشارة الى سعة الرحمة وغاية الكرم  
اى خلقنا سبب الهلاك ولورجعوا لما ضرهم ذلك السبب كما قال صلى الله عليه وسلم يا بنى  
اركب معنا وعند الانجاء انجاء وجعل للنجاة طريقا وهو اتخاذ السفينة ولو انكسرت  
لما ضره بل كان ينجيه فالمقصود عند الانجاء هو النجاة فذكر المحل والمقصود عند الاهلاك  
اظهار البأس فذكر السبب صريحا (الرابعة) قوله تعالى تجرى بأعيننا ابلغ من  
حفظنا يقول القائل اجعل هذا نصب عينك ولا يقول احفظه طلبا للمبالغة (الخامسة)  
بأعيننا يحتمل ان يكون المراد بحفظنا ولهذا يقال الرؤية لسان العين (السادسة) قال  
كان ذلك جزاء على ما كفروا به لاعلى ايمانه وشكره فاجوزى به كان جزاء صبره على  
كفرهم واما جزاء شكره لنا فباق وقرئ جزاء بكسر الجيم اى مجازاة كقتال ومقاتلة  
وقرئ لمن كان كفر بفتح الكاف واما كفر ففيه وجهان (احدهما) ان يكون كفر  
مثل شكر يعدى بالحرف وبغير حرف يقال شكرته وشكرت له قال تعالى واشكروا لى  
ولا تكفروا وقال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله (ثانيهما) ان يكون من الكفر  
لا من الكفر ان اى جزاء لمن ستر امره وانكر شانه ويحتمل ان يقال كفر به وترك لظهور  
المراد \* ثم قال تعالى (ولقد تركناها آية) وفي العائد اليه الضمير وجهان (احدهما)  
عائد الى مذكوره وهو السفينة التى فيها الواح وعلى هذا فقيه وجهان (احدهما) ترك  
الله عينها مدة حتى رؤيت وعلمت وكانت على الجودى بالجزيرة وقيل بارض الهند  
(وثانيهما) ترك مثلها فى الناس يذكر (ونانى الوجهين الاولين) انه عائد الى معلوم اى  
تركنا السفينة آية والاول اظهر وعلى هذا الوجه يحتمل ان يقال تركناها اى جعلناها  
آية لانها بعد الفراغ منها صارت متروكة ومجعولة يقول القائل تركت فلانا مثله اى جعلته  
لمابنا انه من فرغ من امر تركه وجعله فذكر احد الفعلين بدلا عن الآخر \* وقوله  
تعالى (فهل من مدكر) اشارة الى ان الامر من جانب الرسل قد تم ولم يبق الا جانب  
المرسل اليهم بأن كانوا منذرين متفكرين يهتدون بفضل الله فهل من مدكر مهتد  
وهذا الكلام يصلح حقا ويصلح تخويفا وزجرا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال ههنا ولقد  
تركناها وقال فى العنكبوت وجعلناها آية قلناها وان كانا فى المعنى واحدا على ما تقدم

(ولقد تركناها) اى السفينة او  
الفعلة (آية) يعتبر بهما من يف  
على خبرها وقال قتادة ابهاها الله  
تعالى بأرض الجزيرة وقيل على  
الجودى دهرى طويلا حتى نظر  
الها اوائل هذه الامة (فهل  
من مدكر) اى معتبر بتلك الآية  
الحقيقة بالاعتبار وقرئ مذكر  
على الاصل ومذكر بقلب التاء  
دالا والادغام فيها

يبانه لكن لفظ الترك يدل على الجعل والفراغ بالايام فكأنها هنا مذكورة بالتفصيل حيث بين الامطار من السماء وتنجير الارض وذكر السفينة بقوله ذات الواح ودرس وذكر جريها فقال تركناها اشارة الى تمام الفعل المقدور وقال هناك وجعلناها اشارة الى بعض ذلك فان قيل ان كان الامر كذلك فكيف قال ههنا وجلناه ولم يقل واصحابه وقال هناك وأنجينا واصحاب السفينة نقول النجاة ههنا مذكورة على وجه ابلغ مما ذكره هناك لانه قال تجري بأعيننا اي حفظنا وحفظ السفينة حفظ لاصحابه وحفظ لاموالهم ودوابهم والحيوانات التي معهم فقلوه وأنجينا واصحاب السفينة لا يلزم منه انجاء الاموال الا ببيان آخر والحكاية في سورة هود اشد تفصيلا وأتم فلهاذا قال قلنا اجل فيها من كل زوجين اثنين يعني المحمول ثم قال تعالى واستوت على الجودي تصريحاً بخلص السفينة واشارة الى خلاص كل من فيها وقوله آية منصوبة على انها مفعول ثان للترك لانه بمعنى الجعل على ما تقدم بيانه وهو الظاهر ويحتمل ان يقال حال فالتقول تركتها وهي آية وهي ان لم تكن على وزن الفاعل والمفعول فهي في معناه كأنه قال تركناها دالا ويحتمل ان يقال نصبها على التمييز لانها بعض وجوه الترك كقوله ضربته سوطا (المسئلة الثانية) مذكر مقتعل من ذكر يذكر واصله مذكر وكان مخرج الذال قريبا من مخرج التاء والحروف المتقاربة المخرج يصعب النطق بها على التوالى ولهذا اذا انضرت الى الذال مع التاء عند النطق تقرب الدال من ان تصير تاء والتاء تقرب من ان تصير دال فاجعل التاء دالا ثم ادغمت الدال فيها ومنهم من قرأ على الاصل مذكر ومنهم من قلب التاء دالا وقرأ مذكر ومن اللغويين من يقول في مذكر مدكر فيقلب التاء ولا يدغم ونكل وجهة والمذكر المعبر المتفكر وفي قوله مذكر اما اشارة الى ما في قوله ألست بربكم قالوا بلى اي هل من يتذكر تلك الحالة واما الى وضوح الامر كأنه حصل لكل آيات الله ونسوها فهل من مذكر يتذكر شيئاً منها \* ثم قال تعالى (فكيف كان عذابى ونذر) وفيه وجهان (احدهما) ان يكون ذلك استفهاما من النبي صلى الله عليه وسلم تنبيهه ووعدا بالعاقبة (وثانيهما) ان يكون عاما تنبيها للخلق ونذر اسقط منه اياه الاضافة كما حذف ياء يسرى في قوله تعالى والليل اذا يسر وذلك عند الوقف ومثله كثير كافي قوله تعالى فاي اى فاعبدون ولا يتقنون وقوله تعالى يا عباد فاتقون وقوله تعالى ولا تكفرون وقرئ باثبات الياء عذابى ونذرى \* وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما الذى اقتضى الفاء في قوله تعالى فكيف كان نقول اما ان قلنا ان الاستفهام من النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى قال له قد علمت اخبار من كان قبلك فكيف كان اى بعدما احاط بهم علمك بنقلها اليك واما ان قلنا الاستفهام عام فنقول لما قال هل من مذكر فرض وجودهم وقال يامن يتذكر وعلم الحال بالتذكير فكيف كان عذابى ويحتمل ان يقال هو متصل بقوله فهل من مذكر تقديره مذكر كيف كان عذابى (المسئلة الثانية) مارأوا العذاب ولا النذر فكيف استفهم منهم نقول

قوله والحروف المتقاربة الخ ليس هنا توالى وعبارة المحلى اصله مذكرا بدلت التاء دالا مهملة وكذا المحجمة وادغمت فيها هـ

( فكيف كان عذابى ونذر ) استفهام تعظيم وتعجيب اى كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار

اما على قولنا الاستفهام من النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم لما علم واما على قولنا عام فهو على تقدير الادكار وعلى تقدير الادكار يعلم الحال ويحتمل ان يقال انه ليس باستفهام وانما هو اخبار عن عظمة الامر كما في قوله تعالى الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة وهذا لان الاستفهام يذكر للاخبار كما ان صيغة الاخبار تذكر للاستفهام فيقال زيد في الدار بمعنى هل زيد في الدار ويقول المجزوعه هل صدقت فكأنه تعالى قال عذابي وقع وكيف كان أي كان عظيما وحينئذ لا يحتاج الى علم من يستفهم منه (المسئلة الثالثة) قال تعالى من قبل فقتلنا وجرنا وبأعيننا ولم يقل كيف كان عذابنا نقول لوجهين (احدهما) لفظي وهو ان باء المتكلم يمكن حذفها لانها في اللفظ تسقط كثيرا فيا اذا التقي ساكنان نقول غلامي الذي وداري التي وهنا حذف لتواخي آخر الآيات واما النون والالف في ضمير الجمع فلا تحذف (واما الثاني) وهو المعنوي فنقول ان كان الاستفهام من النبي صلى الله عليه وسلم فتوحيد الضمير للانباء وفي قتلنا وجرنا لترهيب العصاة ونقول قد ذكرنا ان قوله مذكرفيه اشارة الى قوله ألسنت بربكم فلما وجد الضمير بقوله ألسنت بربكم قال فكيف كان (المسئلة الرابعة) النذر جمع نذير فهل هو مصدر كالنسيب والتعيب او فاعل كالكبير والصغير نقول اكثر المفسرين على انه مصدر ههنا أي كيف كان عاقبة عذابي وعاقبة انذارى والظاهر ان المراد الانباء أي كيف كان عاقبة أعداء الله ورسوله هل اصاب العذاب من كذب الرسل ام لا فاذا علمت الحال يا محمد فاصبر فان عاقبة امرئ كهاقبة اولئك النذر ولم يجمع العذاب لانه مصدر ولو جمع لكان في جمعه تقدير وفرض ولا حاجة اليه فان قيل قوله تعالى كذبت ثمود بالنذراي بالانذارات لان الانذارات جاءتهم واما الرسل فقد جاءهم واحد نقول كل من تقدم من الامم الذين اشرکوا بالله كذبوا بالرسل وقالوا ما نزل الله من شيء وكان المشركون مكذبين بالكل ما خلا ابراهيم عليه السلام فكانوا يعتقدون فيه الخير لكونه شيخ المرسلين فلا يقال كذبت ثمود بالنذر أي بالانباء بأسرهم كما انكم ابها المشركون تكذبون بهم \* ثم قال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر) وفيه وجوه (الاول) للحفظ فيمكن حفظه ويسهل ولم يكن شيء من كتب الله تعالى يحفظ على ظهر القلب غير القرآن \* وقوله تعالى (فهل من مذكر) أي هل من يحفظه ويتلوه (الثاني) سهلناه للاتعاظ حيث أتينا فيه بكل حكمة (الثالث) جعلناه بحيث يعلق بالقلوب ويستلذ سماعه ومن لا يفهم يتفهمه ولا يسأم من سمعه وفهمه ولا يقول قد علمت فلا سمعه بل كل ساعة يزداد منه لذة وعلما (الرابع) وهو الاظهار ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر بحال نوح عليه السلام وكان له معجزة قيل له ان معجزتك القرآن ولقد يسرنا القرآن للذكر تذكركه لكل احد وتحدي به في العالم ويبقى على مرور الدهور ولا يحتاج كل من يحضره الى دعاء ومسئلة في اظهار معجزة وبعده لا ينكر احد وقوع ما وقع كما ينكر البعض انشقاق القمر وقوله تعالى فهل من مذكر

(ولقد يسرنا القرآن) الحجة  
فسمية وردت في اواخر القصص  
الاربع تقريرا لضمون ماسبق  
من قوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء  
ما فيه مردجر حكمة بالغة فأتفنى  
النذر وتنبها على ان كل قصة منها  
مستقلة بإيجاب الادكار كافية  
في الازدجار ومع ذلك لم تقع  
واحدة في حيز الاعتبار اي وبالله  
لقد سهلنا القرآن لقومك بان  
انزلناه على لقتهم وشحنا بانواع  
المواعظ والعبر وصرفنا فيه من  
الوعيد والوعد (لذكر) ي  
للتذكر والا تعاظ (فهل من  
مذكر) انكار ونفي للمتعط على ابلغ  
وجه وآكده حيث يدل على انه  
لا يفدر احدان يحجب المستفهم  
بنعم وحل تيسيره على تسهيل  
حفظه بجزالة نظمه وعذوبة  
الفاظه وعباراته مما لا يساعده المعام

اي متذكر لان الافعال والتفعل كبيرا مايجي بمعنى وعلى هذا فلو قال قائل هذا يقتضي وجود امر سابق فنسى نقول ما في الفطرة من الانقياد للحق هو كالمسنى فهل من مدكر يرجع الى ما فطر عليه وقيل فهل من مدكر اي حافظ او منعظ على ما فسرنا به قوله تعالى يسرنا القرآن للذكر وقوله فهل من مدكر وعلى قولنا المراد متذكر اشارة الى ظهور الامر فكأنه لا يحتاج الى فكر بل هو امر حاصل عنده لا يحتاج الى معاودة ما عند غيره \* قال تعالى (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال في قوم نوح كذبت قوم نوح ولم يقل في عاد كذبت قوم هود وذلك لان التعريف كلما امكن ان يؤتى به على وجه ابلغ فالاولى ان يؤتى به والتعريف بالاسم العلم اولى من التعريف بالاضافة اليه فانك اذا قلت بيت الله لا يفيد ما يفيد قولك الكعبة فكذلك اذا قلت رسول الله لا يفيد ما يفيد قولك محمد فعاد اسم علم للقوم لا يقال قوم هود اعرف لوجهين (احدهما) ان الله تعالى وصف عاد ادا بقوم هود حيث قال لا بعد العاد قوم هود ولا يوصف الاظهر بالاخفى والاختصاص بالاعم (ثانيهما) ان قوم هود واحد وعاد قيل انه لفظ يقع على اقوام ولهذا قال تعالى عاد الاولى لانا نقول اما قوله تعالى لعاد قوم هود فليس ذلك صفة وانما هو بدل ويجوز في البدل ان يكون دون المبدل في المعرفة ويجوز ان يبدل عن المعرفة بالنكرة واما عاد الاولى فقد قد منا ان ذلك لبيان تقدمهم اي عاد الذين تقدموا وليس ذلك للتمييز والتعريف كما تقول محمد النبي شفيعى والله الكريم ربى ورب الكعبة المشرفة لبيان الشرف لا لبيانها وتعريفها كما تقول دخلت الدار المعمرة من الدارين ونخدت الرجل الزاهد من الرجلين فبين المقصود بالوصف (المسئلة الثانية) لم يقل كذبوا هودا كما قال فكذبوا عبدا وذلك لوجهين (احدهما) ان تكذيب نوح كان ابلغ واشد حيث دعاهم قريبا من الف سنة واصروا على التكذيب ولهذا ذكر الله تعالى تكذيب نوح في مواضع ولم يذكر تكذيب غير نوح صريحا وان به عليه واحد منها في الاعراف قال قبيصاه والذين معه في الفلك وقال حكاية عن نوح قال رب ان قومى كاذبون وقال انهم عصوني وفي هذه المواضع لم يصرح بتكذيب قوم غيره منهم الا قليلا ولذلك قال تعالى في مواضع ذكر شعيب فكذبوه وقال الذين كذبوا شعيبا وقال تعالى عن قومه وانا لنظنك من الكاذبين لانه دعا قومه زمانا مديدا (وثانيهما) ان حكاية عاد مذكورة ههنا على سبيل الاختصار فلم يذكر الاتكذيبهم وتعذيبهم فقال كذبت عاد كما قال كذبت قوم نوح ولم يذكر دعاه عليهم واجابته كما قال في نوح (المسئلة الثالثة) قال تعالى فكيف كان عذابى قبل ان بين العذاب وفي حكاية نوح بين العذاب ثم قال فكيف كان فالحكمة فيه نقول الاستفهام الذى ذكره في حكاية نوح مذكور ههنا وهو قوله تعالى فكيف كان عذابى ونذر كما قال من قبل ومن بعد في حكاية نوح غير انه تعالى حكي في حكاية عاد فكيف كان مرتين المرة الاولى استفهام لبيان كما يقول المعلم ان

(كذبت عاد) اي هود عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له رومالاختصار ومسارة الى بيان ما فيه الازدجار من العذاب وقوله تعالى (فكيف كان عذابى ونذر) لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقي اليهم قبل ذكره لاثباته وتعظيمه ونعيمه من حاله بعد بيان ما قبله وما بعده كما انه قيل كذبت عاد فهل سمعتم او فاسمعوا كيف كان عذابى وانا رأتى لهم

لا يعرف كيف المسئلة الفلائية ليصير المسؤل سائلا فيقول كيف هي فيقول انها كذا وكذا فكذلك ههنا قال كذبت عاد فكيف كان عذابى فقال السامع بين انت فانى لا اعلم فقال انا ارسلنا واما المرة الثانية فاستفهم للتعظيم كما يقول القائل للعارف المشاهد كيف فعلت وصنعت فيقول نعم ما فعلت ويقول اتيت بعجبة فيحقق عظمة الفعل بالاستفهام وانما ذكر ههنا المرة الاولى ولم يذكر في موضع آخر لان الحكاية ذكرها مختصرة فكان يفوت الاعتبار بسبب الاختصار فقال كيف كان عذابى حثا على التدبر والتفكر واما الاختصار في حكايتهم فلا نكثرا منهم الاستكبار والاعتماد على القوة وعدم الالتفات الى قول النبي صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد متاقوة وذكر استكبارهم كثيرا وما كان قوم محمد صلى الله عليه وسلم مباغين في الاستكبار وانما كانت مباغتهم في التكذيب ونسبته الى الجنون وذكر حالة نوح على التفصيل فان قومه جمعوا بين التكذيب والاستكبار وكذلك حال صالح عليه السلام ذكرها على التفصيل لشدة مناسبتها بحال محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى ( انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر ) وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قال تعالى فكيف كان عذابى بتوحيد الضمير هناك ولم يقل عذابنا وقال ههنا انا ولم يقل انى والجواب ما ذكرناه في قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء ( المسئلة الثانية ) الصرصر فيها جوه ( احدها ) الريح الشديدة الصوت من الصرير والصرة شدة الصباح ( ثانيها ) دأمة الهبوب من اصر على الشيء اذا دام وبنت وفيه بحث وهو ان الاسماء المشتقة هي التي تصلح لان يوصف بها واما الاسماء الاجناس فلا يوصف بها سواء كانت اجراما او معاني فلا يقال انسان رجل جاء ولا يقال لون ابيض وانما يقال انسان عالم وجسم ابيض وقولنا ابيض معناه شيء له بياض ولا يكون الجسم مأخوذا فيه ويظهر ذلك في قولنا رجل عالم فان العالم شيء له علم حتى الحداد والنجار ولو امكن قيام العلم بهما لكان عالما ولا يدخل الحى في المعنى من حيث المفهوم فانا اذا قلنا عالم يفهم ان ذلك حى لان اللفظ ما وضع لى يعلم بل اللفظ وضع لشيء يعلم ويبريده ظهورا قولنا معلوم فانه شيء يعلم او امر يعلم وان لم يكن شيئا ولو دخل الجسم في الابيض لكان قولنا جسم ابيض كقولنا جسم له بياض فيقع الوصف بالجنة اذا علمت هذا فمن المستفاد بالجنس شيء دون شيء فان قولنا الهندي يقع على كل منسوب الى الهند واما المهند فهو سيف منسوب الى الهند فيصح ان يقال عبدهندى وتمر هندى ولا يصح ان يقال مهند وكذا الابلق ولون آخر في فرس ولا يقال للبوب ابلق كذلك الافطس انف فيه تغيير اذا قال القائل انف افطس فيكون كما انه قال انف به فطس فيكون وصفه بالجنة وكان ينبغي ان لا يقال فرس ابلق ولان انف افطس ولا سيف مهند وهم يقولون فما الجواب وهذا السؤال يرد على الصرصر لانها الريح الباردة فاذا قال ريح صرصر فليس ذلك كقولنا ريح باردة فان الصرصر هي

وقوله تعالى ( انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا ) استئناف يبينان ما اجل اولاي ارسلنا عليهم ريحا باردة او شديدة الصوت ( في يوم نحس ) شؤم ( مستمر ) اي شؤمه او مستمر عليهم الى ان اهلكهم او شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم او مشد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر

الريح الباردة فحسب فكأنه قال ريح باردة فنقول الالفاظ التي في معانيها  
امر ان فصاعدا كقولنا عالم فانه يدل على شيء له علم ففيه شيء وعلم هي على ثلاثة اقسام  
( احدها ) ان يكون الحال هو المقصود والمحل تبع كما في العالم والضارب والابيض فان  
المقاصد في هذه الالفاظ العلم والضرب والبياض بخصوصها واما المحل فمقصود من  
حيث انه على عمومه حتى ان البياض لو كان يبدل بلون غيره اختل مقصوده كالاسود  
واما الجسم الذي هو محل البياض ان امكن ان يبدل وامكن قيام البياض بجوهر غير  
جسم لما اختل الغرض ( ثانيا ) ان يكون المحل هو المقصود كقولنا الحيوان لانه اسم  
جنس ماله الحياة لا كالحى الذي هو اسم لشيء له الحياة فالمقصود هنا المحل وهو الجسم حتى  
لو وجد حتى ليس بجسم لا يحصل مقصود من قال الحيوان ولو حل اللفظ على الله الحى  
الذى لا يموت لحصل غرض المتكلم ولو حل لفظ الحيوان على فرس قائم او انسان قائم لم  
تفارق الحياة لم يبق السامع نفع ولم يحصل للمتكلم غرض فان القائل اذا قال لانسان قائم  
وهو ميت هذا حيوان مما بان موته لا يرجع عما قال بل يقول اما قلت انه حى بل قلت انه  
حيوان فهو حيوان فارقته الحياة ( ثالثا ) ما يكون الامر ان مقصودين كقولنا رجل  
وامرأة وناقة وجل فان الرجل اسم موضوع لانسان ذكر والمرأة لانسان انثى والناقة  
لغير انثى والجل لغير ذكر فالناقة ان اطلقت على حيوان فظهر فرسا او ثورا اختل  
الغرض وان بان جلا كذلك اذا علمت هذا في كل صورة كان المحل مقصودا اما وحده  
واما مع الحال فلا يوصف به فلا يقال جسم حيوان ولا يقال بغير ناقة وانما يجعل ذلك جملة  
فيوصف بالجملة فيقال جسم هو حيوان وبغير هو ناقة ثم ان الابلق والافطس شأنه  
الحيوان من وجهه وشأنه العالم من وجهه وكذلك المهندس لكن دليل ترجيح الحال فيه ظاهر  
لان المهندس لا يذكر الالمدح السيف والافطس لا يقال الا لوصف الانف للحقيقة وكذلك  
الابلق بخلاف الحيوان فانه لا يقال لوصفه وكذلك الناقة اذا علمت هذا فالصرصر يقال  
لشدة الريح او لبردها فوجب ان يعمل به ما يعمل بالبارد والشديد فجاز الوصف وهذا  
بحث عزيز ( المسئلة الثالثة ) قال تعالى ههنا انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا وقال في  
الطور وفي عاد اذا رسلنا عليهم الريح العقيم فعرف الريح هناك ونكرها ههنا لان العقم في  
الريح اظهر من البرد الذى يضر النبات او الشدة التى تعصف الاشجار لان الريح العقيم  
هى التى لا تنسى سمها ولا تلقح شجرا وهى كثيرة الوقوع واما الريح المهلكة الباردة فقلا  
توجد فقال الريح العقيم اى هذا الجنس المعروف بمزاده بيانا بقوله ماتذر من شيء انت  
عليه الاجعلته كالريم فتميزت عن الرياح العقم واما الصرصر فقليلة الوقوع فلا تكون  
مشهورة فكرها ( المسئلة الرابعة ) قالها في يوم نحس مستمر وقال في السجدة في ايام  
نحسات وقال في الحاقة سبع ليال وثمانية ايام حسوما والمراد من اليوم هنا الوقت  
والزمان كما في قوله تعالى يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا وقوله مستمر يفيد ما يفيد

الايام لان الاستمرار ينشأ عن استمرار الزمان كما ينشأ عنه الايام واتما اختلف اللفظ مع اتحاد المعنى لان الحكاية هنا مذكورة على سبيل الاختصار فذكر الزمان ولم يذكر مقداره ولذلك لم يصفها ثم ان فيه قراءتين (احدهما) يوم نحس باضافة يوم وتسكين نحس على وزن نفس (وثانيتهما) يوم نحس بتووين الميم وكسر الحاء على وصف اليوم بالنحس كما في قوله تعالى في ايام نحسات فان قيل ايتهما اقرب قلنا الاضافة اصح وذلك لان من يقرأ يوم نحس مستمرا يجعل المستمر صفة ليوم ومن يقرأ يوم نحس مستمرا يكون المستمر وصفا للنحس فيحصل منه استمرار النحوسة فالاول اظهر واليق فان قيل من يقرأ يوم نحس بسكون الحاء فاذا يقول في النحس نقول يحتمل ان يقول هو تخفيف نحس كتحذف ونحذف في غير الصفات ونصرو ونصرو رعد ورعد وعلى هذا يلزمه ان يقول تقديره يوم كائن نحس كما تقول في قوله تعالى يحاسب العربي ويحتمل ان يقول نحس ليس بعت بل هو اسم معنى او مصدر فيكون كقولهم يوم برد وحر وهو اقرب واصح (المسئلة الخامسة) ما معنى مستمر نقول فيه وجوه (الاول) ممتد ثابت مدة مديدة من استمرار الامرا اذا دام وهذا كقوله تعالى في ايام نحسات لان الجمع يفيد معنى الاستمرار والامتداد وكذلك قوله حسوما (الثاني) شديد من المرة كما قلنا من قبل في قوله سحر مستمر وهذا كقولهم ايام الشدائد واليه الاشارة بقوله تعالى في ايام نحسات لذيقهم بعض الذي فانه يذيقهم المرائض من العذاب \* ثم قال تعالى (تنزع الناس كأنهم اعجاز نخل منقعر) فيه مسائل (المسئلة الاولى) تنزع الناس وصف احوال نقول يحتمل الامرين جميعا اذ يصح ان يقال ارسل رجا صر صرا نازعة للناس ويصح ان يقال ارسل الرج نازعة فان قيل كيف يمكن جعلها حالا وذو الحال نكرة نقول الامر هنا اهون منه في قوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدرج فانه نكرة واجابوا عنه بان ما موصوفة فتخصصت فحسن جعلها ذات الحال وكذلك نقول ههنا الرج موصوفة بالصر صر والتكثير فيه للتعظيم والافهى بلانة فلا يبعد جعلها ذات حال وفيه وجه آخر وهو انه كلام مستأنف على فعل وفاعل كما تقول جاء زيد جذبي وتقديره جاء فجذبني كذلك ههنا قال انا ارسلنا عليهم رجحا فاصبت تنزع الناس ويدل عليه قوله تعالى فتري القوم فيها صرعى فالتاء في قوله تنزع الناس اشارة الى ما اشار اليه بقوله صرعى وقوله تعالى كأنهم اعجاز نخل منقعر فيه وجوه (احدها) نزعتهم فصرعتهم كأنهم اعجاز نخل كما قال صرعى كأنهم اعجاز نخل (ثانيها) نزعتهم فهم بعد النزح كأنهم اعجاز نخل وهذا اقرب لان الانقعار قبل الوقوع فكان الرج تنزع وتقرر فيه نعر فيقع فيكون صرعى فيخلو الموضع عنه فيخوى وقوله في الخافقة فتري القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية اشارة الى حاله بعد الانقعار الذي هو بعد النزح وهذا بعيد ان الحكاية ههنا مختصرة حيث لم يشر الى صرعتهم وخلو منازلهم عنهم بالكلية فان حال الانقعار لا يحصل الخلو التام اذ هو مل السروع في الخروج والاخذ فيه (ثالثها) تنزعهم نزما

(تنزع الناس) ملعهم روى عنهم  
دخلوا الشعب والحجر وتمسك  
بعضهم ببعض فنزعهم الرج  
وصرعتهم موتى كأنهم اعجاز نخل  
منقعر اي منقطع عن معارسة  
قيل شبهوا باعجاز النخل وهي  
اصولها بلا فروع لان الرج  
كانت تقلع رؤسهم فتبقى اجسادا  
وحشا بلا رؤس وتذكير صفة  
نخل للنظر الى اللفظ كما ان تأنيدها  
في قوله تعالى اعجاز نخل خاوية  
لانتظر الى المعنى



بعنف كأنهم اعجاز نخل تنقرهم فينقرها إشارة إلى قوتهم وبناتهم على الأرض وفي  
 المعنى وجوه (أحدها) أنه ذكر ذلك إشارة إلى عظمة أجسادهم وطول أقدادهم  
 (ثانيها) ذكره إشارة إلى بناتهم في الأرض فكأنهم كانوا يعملون أرجلهم في الأرض  
 ويقصدون المنع به على الريح (ثالثها) ذكره إشارة إلى يسهم وجفاهم بالريح  
 فكانت تقتلهم ونحرهم بردها المفرط فيقعون كأنهم أخشاب يابسة (المسئلة  
 الثانية) قال ههنا منقر فذكر النخل وقال في الحاقفة كأنهم اعجاز نخل خاوية فأنها  
 قال المفسرون في تلك السورة كانت أواخر الآيات تقتضي ذلك لقوله مستمر ومنهم  
 ومنشرو هو جواب حسن فإن الكلام كإيزين بحسن المعنى يزين بحسن اللفظ ويمكن  
 أن يقال النخل لفظه لفظ الواحد كالنخل والنعل ومعناه معنى الجمع فيجوز أن يقال فيه  
 نخل منقر ومنقعة ومنقرات ونخل خاو وخاوية وخاويات ونخل باسقى وباسقة  
 وباسقات فإذا قال قائل منقر أو خاو أو باسقى جرد النظر إلى اللفظ ولم يراع جانب المعنى  
 وإذا قال منقرات أو خاويات أو باسقات جرد النظر إلى المعنى ولم يراع جانب اللفظ وإذا  
 قال منقعة أو خاوية أو باسقة جمع بين الاعتبارين من حيث وحدة اللفظ وربما قال  
 منقعة على الأفراد من حيث اللفظ والحق به ثناء التأنيث التي في الجماعة إذا عرفت هذا  
 فنقول ذكر الله تعالى لفظ النخل في مواضع ثلاثة ووصفها على الوجوه الثلاثة فقال  
 والنخل باسقات فأنها حال منها وهي كالوصف وقال نخل خاوية وقال نخل منقر فثبت  
 قال منقر كان المختار ذلك لأن المنقر في حقيقة الأمر كالمفعول لأنه الذي ورد عليه  
 القعر فهو مقعور والخارى والباقى فاعل ومعناه إخلاء ما هو مفعول عن علامة  
 التأنيث أولا كما تقول امرأة كليل وامرأة كليل وامرأة كليل وامرأة كليل وأما  
 الباسقات فهي فاعلات حقيقة لأن البسوق امرقام بها وأما الخاوية فهي من باب حسن  
 الوجه لأن الخاوي موضعها فكأنه قال نخل خاوية الموضع وهذا غاية الانحياز حيث  
 أتى بلفظ مناسب للفاظة السابقة واللاحقة من حيث اللفظ فكان الدليل يقتضي  
 ذلك بخلاف الشاعر الذي يختار اللفظ على المذهب الضعيف لأجل الوزن والقافية  
 \* ثم قال تعالى (فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)  
 وتفسيره قد تقدم والتكرير للتقرير وفي قوله عذابي ونذر لطيفة ما ذكرناها وهي تثبت  
 بسؤال وجواب لو قال القائل أكثر المفسرين على أن النذر في هذا الموضع جمع نذير الذي  
 هو مصدر معناه انذار فما الحكمة في توحيد العذاب حيث لم يقل فكيف كان أنواع  
 عذابي ووبال انذارى تقول فيه إشارة إلى غلبة الرحمة الغضب وذلك لأن الانذار اشفاق  
 ورحمة فقال الانذارات التي هي نعم ورحمة تواترت فلما لم تنفع وقع العذاب دفعة واحدة  
 فكانت السم كثيرة والنقمة واحدة وسنين هذا زيادة بيان حين نفسر قوله تعالى فبأى  
 آلاء ربكما تكذبان حيث جمع الآلاء وكثر ذكرها وكرر لها ثلاثين مرة ثم بين الله تعالى حال

وقوله تعالى (فكيف كان عذابي ونذر) تهويل لهما وتنجيب من امرهما بعد بيانها فليس فيه شائبة تكرار وما قيل من أن الأول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة يرد ترتيب الشائ على العذاب الدنيوي (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) الكلام فيه كالذي مر فيما سبق

قوم آخرين \* فقال (كذبت عمود بالندر) وقد تقدم تفسيره غير انه في قصة عاد قال كذبت ولم يقل بالندر وفي قصة نوح قال كذبت قوم نوح بالندر فقوله هذا يؤيد ما ذكرنا من ان المراد بقوله كذبت قبلهم قوم نوح ان عاداتهم ومذهبهم انكار الرسل وتكذيبهم فكذبوا نوحا بناء على مذهبهم وانما صرح ههنا لان كل قوم يأتون بعد قوم وأنها رسولان فالكذب المتأخر يكذب المرسلين جميعا حقيقة والا ولون يكذبون رسولا واحدا حقيقة ويلزمهم تكذيب من بعده بناء على ذلك لانهم لما كذبوا من تقدم في قوله الله تعالى واحد والحشر كائن ومن ارسل بعده كذلك قوله ومذهبه لزم منه ان يكذبوه ويدل على هذا ان الله تعالى قال في قوم نوح فكذبوه فانجينا وقال في عاد وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واما قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين فاشارة الى انهم كذبوا وقالوا ما ينفي الى تكذيب جميع المرسلين ولهذا ذكره بلفظ الجمع المرفوع للاستغراق ثم انه تعالى قال هناك عن نوح رب ان قومي كذبون ولم يقل كذبوا رسلك اشارة الى ما صدر منهم حقيقة لان ما زعمهم زعمه اذا عرفت هذا فلما سبق قصة عمود ذكر رسولين ورسولهم فالنهم قال كذبت عمود بالندر هذا كله اذا قلنا ان النذر جمع نذير بمعنى منذرا ما اذا قلنا انها الانذارات فقوله قوم نوح وعاد لم تستر المجرات التي ظهرت في زمانهم واما عمود فانذروا واخرج لهم نافقة من صخرة وكانت تدور بينهم وكذبوا فكان تكذيبهم بالانذارات وآيات ظاهرة فصريح بها وقوله فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه يؤيد الوجه الاول لان من يقول لا أتبع بشرا مني وجميع المرسلين من البشر يكون مكذبا للرسول والباء في قوله بالندر يؤيد الوجه الثاني لانا بينا ان الله تعالى في تكذيب الرسل عدى التكذيب بغير حرف فقال كذبوه وكذبوا رسلنا وكذبوا عبدنا وكذبوني وقال كذبوا بآيات ربهم وبآياتنا فعدى بحرف لان التكذيب هو النسبة الى الكذب والقائل هو الذي يكون كاذبا حقيقة والكلام والقول يقال فيه كاذب مجازا وتعلق التكذيب بالقائل اظهر فيستغنى عن الحرف بخلاف القول وقد ذكرنا ذلك وبيناه بآنا شافيا \* وفي قوله تعالى (فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه) مسائل (المسئلة الاولى) زيدا ضربته وزيد ضربته كلاهما جائز والنصب مختار في مواضع منها هذا الموضع وهو الذي يكون ما يرد عليه النصب والرفع بعد حرف الاستفهام والسبب في اختيار النصب امر معقول وهو ان المستفهم يطلب من المسؤول ان يجعل ما ذكره بعد حرف الاستفهام مبدءا لكلامه ويخبر عنه فاذا قال ازيد عندك معناه اخبرني عن زيد واذكر لي حاله فاذا انضم الى هذه الحالة فعل مذكور ترجع جانب النصب فيجوز ان يقال ازيدا ضربته وان لم يجب فالاحسن ذلك فان قيل من قرأ ابشرا منا واحد نتبعه كيف ترك الاجود تقول نظرا الى قوله تعالى فقالوا اذا ما بعد القول لا يكون الاجلة والاسمية أولى والاولى أقوى وظهر (المسئلة الثانية) اذا كان بشرا منصوبا بفعل فالحكمة في تأخر الفعل في الظاهر تقول قد تقدم مرارا

(كذبت عمود بالندر اي)  
الانذارات والمواظاتي سمعوها  
من صالح او بالرسول عليهم السلام  
فان تكذيب احدهم تكذيب  
للكل لاتفاقهم على اصول  
الشرائع (فقالوا ابشرا منا اي)  
كاشا من جنسنا واتصابه بفعل  
يفسر ما بعده (واحد اي)  
منفردا لاتسعه او واحدا من  
آحادهم لام اشرا فهم وهو صفة  
اخرى لبشرا بآخيره عن الصفة  
المؤولة للتنبية على ان كلا من  
الجنسية والوحدة بما يمنع الاتباع  
ولو قدم عليها لغانت هذه النكتة  
وفرى ابشرا منا واحد على  
الابتداء وقوله تعالى (نتبعه) خبر  
والاول اوجه للاستفهام

ان البليغ يقدم في الكلام ما يكون تعلق غرضه به اكثر وهم كانوا يريدون تبين كونهم محققين في ترك الاتباع فلو قالوا اتبع بشرا يمكن ان يقال نعم اتبعوه وماذا يمنعكم من اتباعه فاذا قدموا حاله وقالوا هو من نوعنا بشروا من صنفنا رجل ليس غريبا نعتقد فيه انه يعلم ما لا تعلم او يقدر على ما لا تقدر وهو واحد وحيد وليس له جند وحشم وخيل وخدم فكيف نبعه فيكونون قد قدموا الموجب لجواز الامتناع من الاتباع واعلم ان في الآية اشارات الى ذلك (احدها) نكروه حيث قالوا بشرا ولم يقولوا اتبع صالحا او الرجل المدعى النبوة او غير ذلك من المعارف والتشكيك تحقير (ثانيها) قالوا ابشرا ولم يقولوا ارجلا (ثالثها) قالوا منا وهو يحتمل امرين احدهما من صنفنا ليس غريبا وثانيهما منا اي تبغنا يقول القائل لغيره انت منا فيأذى السامع ويقول لابل انت منا ولست انا منك وتتحققه ان من التبعض والبعض يتبع الكل لالكل يتبع البعض (رابعها) واحدا يحتمل امرين ايضا احدهما وحيدا اشارة الى ضعفه \* وثانيهما واحدا اي هو من الاحاد لامن الاكابر المشهورين وتحقيق القول في استعمال الاحاد في الاصاغر حيث يقال هو من آحاد الناس هو ان لا يكون مشهورا بحسب ولا نسب اذا حدث عنه من لا يعرفه فلا يمكن ان يقول عنه قال فلان او ابن فلان فيقول قال واحد وفعل واحد فيكون ذلك غاية الجمل لان الارذل لا ينضم اليه احد فيبقى في اكثر اوقاته واحدا فيقال للارذل آحاد \* وقوله تعالى عنهم (انا اذنا لقي ضلال وسعر) يحتمل وجهين (احدهما) ان يكونوا قد قالوا في جواب من يقول لهم ان لم تتبعوه تكونوا في ضلال فيقولون له لابل ان تبغنا نكون في ضلال (ثانيهما) ان يكون ذلك ترتيبا على ماضى اي حاله ما ذكرنا من الضعف والوحدة فان اتبعناه نكون في ضلال وسعر اي جنون على هذا الوجه فان قلنا ان ذلك قالوه على سبيل الجواب فيكون القائل قال لهم ان لم تتبعوه فانا اذا في الحال في ضلال وفي سعر في العقبي فقالوا لابل لو اتبعناه فانا اذا في الحال في ضلال وفي سعر من الذل والعبودية مجازا فانهم ما كانوا يعترفون بالسعر (المسئلة الثالثة) السعير في الآخرة واحد فكيف جع نقول الجواب عنه من وجوه (احدها) في جهنم دركات يحتمل ان تكون كل واحد سعيرا او فيها سعير (ثانيها) لدوام العذاب عليهم فانه كلما نضجت جلودهم يبدلهم جاودا كاشنهم في كل زمان في سعير آخر وعذاب آخر (ثالثها) لسعة السعير الواحد كاشنها سعير قال للرجل الواحد فلان ليس برجل واحد بل هو رجل \* ثم قال تعالى عنهم (أألقى الذكر عليه من بينا بل هو كذاب اشر) وقد تقدم ان البنى بطريق الاستفهام ابلغ لان من قال ما نزل عليه الذكر ربما يعلم او يظن او يتوهم ان السامع يكذبه فيه فاذا ذكر بطريق الاستفهام يكون معناه ان السامع يجهل بقبوله ما نزل فيجعل الامر حينئذ منفيا ظاهرا لا يخفى على احد بل كل احد يقول ما نزل والذكر الرسالة او الكتاب ان كان ويحتمل ان يراد به ما ذكره من الله تعالى كما يقال الحق

(انا اذ) اي على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن امة جمة (لقي) ضلال) عن الصواب (وسعر) اي جنون فان ذلك بمنزل من مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر اي نيران جمع سعير فكمسوا عليه عليه السلام لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول (أألقى الذكر) اي الكتاب والوحى (عليه من بينا) وفيها من هواحق منه بذلك (بل هو كذاب اشر) اي ليس الامر كذلك بل هو كذا وكذا حله نظره على الترفع علينا بما ادعاه

ويراد به ما يحل من الله وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قولهم ألقى بدل أنزل وفيه إشارة الى ما كانوا ينكرونه من طريق المبالغة وذلك لان الالتقاء انزال بسرعة والنبي كان يقول جاءني الوحي مع الملك في لحظة يسيرة فكأنهم قالوا الملك جسم والسما بعيدة فكيف ينزل في لحظة فقالوا ألقى وما قالوا أنزل وقولهم عليه انكار آخر كلهم قالوا ما ألقى ذكر اصلا ثم قالوا ان ألقى فلا يكون عليه من بيننا وفيما من هو فوقه في النصف والذكاء وقولهم ألقى بدلا عن قولهم ألقى الله للإشارة الى ان الالقاء من السماء غير ممكن فضلا عن ان يكون من الله تعالى (المسئلة الثانية) عرفوا الذكرو لم يقولوا ألقى عليه ذكر وذلك لان الله تعالى حكى انكارهم لما لا ينبغي ان ينكر فقال انكروا الذكرا الظاهر المبين الذي لا ينبغي ان ينكر فهو كقول القائل انكروا العلوم (المسئلة الثالثة) بل استدعى امرا مضروبا عنه سابقا فاذك نقول قولهم ألقى للانكار فهم قالوا ما ألقى ثم ان قولهم ألقى عليه الذكرا لا يقتضي الا انه ليس بنبي ثم قالوا بل هو ليس بصادق (المسئلة الرابعة) الكذاب فعال من فاعل للمبالغة او يقال بل من فاعل للنسب كخياط وتماز نقول الاول هو الصحيح الاظهر على ان الثاني من باب الاولى لان المنسوب الى النبي لا بد له من ان يكثر من مزاوله الشيء فان من خاط يوما نوبه مرة لا يقال له خياط اذا عرفت هذا فقول المبالغة اما في الكثرة واما في الشدة فالكذاب اما شديد الكذب يقول ما لا يقبله العقل او كثير الكذب ويحتمل ان يكونوا وصفوه به لاعتقادهم الامر فيه وقولهم اشر إشارة الى انه كذاب للضرورة وحاجة الى خلاص كما يكذب الضعيف وانما هو استغنى وبطروا طلب الرياسة عليكم وأراد اتباعكم له فكان كل وصف مانعا من الاتباع لان الكاذب لا يلتفت اليه ولا سيما اذا كان كذبه للضرورة وقرئ اشر فقال المفسرون هذا على الاصل المرفوض في الاشر والآخر على وزن افعال التفضيل وانما رفض الاصل فيه لان افعال اد افسر قد يفسر بأفعال ايضا والثاني تأفل ثالث ماله اذا قال ما معنى العلم يقال هو الأكثر عما فاذا قيل الأكثر ماذا فيقال الازيد عددا او شيء ماله فلا بد من امر يفسر به الأفعال لان بابها ففعلوا افعال التفضيل والفضيلة اصلها الخير والخير اصل في باب افعال فلا يقال فيه اخير ثم ان الشر في مقابلة الخير يفعل به ما يفعل بالخير فيقال هو شر من كذا وخير من كذا والاشر في مقابلة الاخير ثم ان خيرا يستعمل في موضعين (احدهما) مبالغة الخير بفعل او افعال على اختلاف يقال هذا خير وهذا اخير ويستعمل في مبالغة خير على المشابهة لا على الاصل فن يقول اشر يكون قد ترك الاصل المستعمل لانه اخذ في الاصل المرفوض بمعنى هو شر من غيره وكذا معنى العلم ان علمه خير من علم غيره او هو خير من غيره الجمل كذلك القول في الاضعف وغيره \* ثم قال تعالى (سيعلمون غدا من الكذاب الاشر) فان قال قائل سيعلم للاستقبال ووقت انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم كانوا قد علموا لان بعد الموت تبين الامور وقد عاينوا ما عاينوا فكيف القول فيه نقول

وقوله تعالى (سيعلمون غدا من الكذاب الاشر) حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعداله ووعيدا لقومه والسين لتقريب مضنون الجملة وبأكيد والمراد بالغد وقت نزول العذاب اى سيعلمون البتة عن قرب من الكذاب الاشر الذي حمله اشره وبطروا على الترفع او صالح هو ام من كذبه وقرئ سيعلمون على الالتفات الشديد للتوبيخ وعلى حكاية ما جالهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذرى حذرى وقرئ الاشرى الابلى في السراره وهو اصل مرفوض كلاحير وقيل المراد بالعيد يوم القيامة وبأياه

فيه وجهان ( احدهما ) ان يكون هذا القول مفروض الوقوع في وقت قولهم بل هو كذاب اشرفكاً <sup>نه</sup> تعالى قال يوم قالوا بل هو كذاب اشرف سيعلمون غدا ( وثانيهما ) ان هذا التهديد بالتعذيب لا يحصل العلم بالعذاب الا ليم وهو عذاب جهنم لا عذاب القبر فهم سيعذبون يوم القيامة وهو مستقل وقوله تعالى غدا القرب الزمان في الامكان والاذهان ثم ان قلنا ان ذلك للتهديد بالتعذيب لا للتكذيب فلا حاجة الى تفسيره بل يكون ذلك اعادة لقولهم من غير قصد الى معناه وان قلنا هو الرد والوعد ببيان انكشاف الامر فقوله تعالى سيعلمون غدا معناه سيعلمون غدا انهم الكاذبون الذين كذبوا بالحاجة وضرورة بل بطروا واشروا لما استغفوا وقوله تعالى غدا يحتمل ان يكون المراد يوم القيامة ويحتمل ان يكون المراد يوم العذاب وهذا على الوجه الاول ثم قال تعالى ( انا امرسلوا الباقية فنتة لهم فارتقبهم واصطبر ) وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) قوله انا امرسلوا الباقية بمعنى الماضي او بمعنى المستقبل ان كان بمعنى الماضي فكيف يقول فارتقبهم واصطبر وان كان بمعنى المستقبل فما الفرق بين حكاية عاد وحكاية ثمود حيث قال ههنا انا امرسلوا الباقية بمعنى نرسل نقول هو بمعنى المستقبل وما قبله وهو قوله سيعلمون غدا يدل عليه فان قوله انا امرسلوا الباقية كالبیان له كأنه قال سيعلمون حيث نرسل الباقية وما بعده من قوله فارتقبهم ونبتهم ايضا يقتضى ذلك فان قيل قوله تعالى فسادوا دليل على ان المراد الماضي قلنا سنجيب عنه في موضعه واما الفارق فنقول حكاية ثمود مستقصاة في هذا الموضع حيث ذكر تكذيب القوم بالذر وقولهم لرسولهم وتصديق الرسل بقوله سيعلمون وذكر المعجزة وهى الباقية وما فعلوه بها والعذاب والهلاك بذكر حكاية على وجه الماضي والمستقبل ليكون وصفه لى صلى الله عليه وسلم كأنه حاضر هافى قتيدي صالح في الصبر والراء الى الحق وينقى بربه في الصبر على الاعداء بالحق فقال انى مؤيدك بالمعجزة القاطعة واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه السورة خمس قصص وجعل القصصة المتوسطة مذكورة على اتم وجه لان حال صالح كان اكثر مشابة بحال محمد صلى الله عليه وسلم لانه اتى بأمر عجيب ارضى كان اعجب مما جاء به الانبياء لان عيسى عليه السلام احيا الميت لكن الميت كان محلا للحياة فابنت بأذن الله الحياة في محل كان قابلا لها وموسى عليه السلام انقلبت عصاه دعبانا فابنت الله في الخشبة الحياة لكن الخشبة نبات كان له قوة في النماء يشبه الحيوان في النمو فهو اعجب وصالح عليه السلام كان الظاهر في يده خروج الباقية من الحجر والججر جرادا محل للحياة ولا محل للنمو والنبي صلى الله عليه وسلم اتى بأعجب من الكل وهو التصرف في جرم السماء الذى يقول المسرك لا وصول لأحد الى السماء ولا مكان لشقه وخرقه واما الارضيات فقالوا انها اجسام مشتركة المواد يقبل كل واحد منها صورة الاخرى والسموات لا تقبل ذلك فلما اتى بما عرفوا فيه انه لا يقدر على مثله آدمى كان اتم والمبلغ من معجزة صالح عليه السلام التى هى اتم معجزة من

معجرات من كان من الانبياء غير محمد صلى الله عليه وسلم (وفيه لطيفة) وهو ان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي وذكر معه مفعوله فالواجب الاضافة تقول وحشى قاتل عم النبي صلى الله عليه وسلم فان قلنا قاتل عم النبي بالاعمال فلا بد من تقدير الحكاية في الحال كما في قوله تعالى وكأهم ناسط ذراعيه على انه يحكى القصة في حال وقوعها تقول خرجت أمس فاذا ريد ضارب عمرا كما تقول يضرب عمرا وان كان الضرب قد مضى واذا كان بمعنى المستقبل فالاحسن الاعمال تقول انى ضارب عمرا غدا فان قلت انى ضارت عمرو غدا حيث كان الامر وقع وكان جار لكنته غير الاحسن والتحقيق فيه ان قولنا ضارب وسارق وقاتل اسماء في الحقيقة غير ان لها دلالة على الفعل فاذا كان الفعل تحقق في الماضي فهو قد عدم حقيقة فلا وجود للفعل في الحقيقة ولا في التوقع فيجب الحمل على ما للاسم من الاضافة وترك ما للفعل من الاعمال لعلبة الاسمية وفقدان الفعل بالماضى واذا كان الفعل حاضرا أو متوقعا في الاستقبال فله وجود حقيقة او في التوقع فتجوز الاضافة لصورة الاسم والاعمال لتوقع الفعل او لوجوده ولكن الاعمال اولى لان في الاستقبال لن يضرب يفيد لا يكون ضاربا فلا ينبغي ان يضاف اما الاعمال فهو ينشأ عن توقع الفعل او وجوده لانه اذا قال زيد ضارب عمرا فالسامع اذا سمع بضرب عمرو علم انه يفعل فاذا لم يره في الحال يتوقعه في الاستقبال غير ان الاضافة تفيد تخفيفا حيث سقط بها التووين والنون فتختار لمظا لا معنى اذا عرفت هذا فنقول مرسلو الناقة مع ما فيه من التخفيف فيه تحقيق الامر وتقديره كانه وقع وكان بخلاف ما لو قيل ان ترسل الناقة (المسئلة الثانية) فتنة مفعول له فتكون الفتنة هي المقصودة من الارسال لكن المقصود منه تصديق النبي صلى الله عليه وسلم وهو صالح عليه السلام لانه معجزة التحقيق في تفسيره نقول فيه وحيهان (احدهما) ان المعجزة فتنة لانها تميز حال من ياب من يعذب لان الله تعالى بالمعجزة لا يعذب الكفار الا اذا كان ينبتهم بصدقه من حيث نبوته فالمعجزة ابتلاء لانها تصديق وبعد التصديق تميز المصدق عن المكذب (وانيهما) وهو اذق ان اخراج الناقة من الصحرة كان معجزة وارسالها اليهم ودورانها فجا بينهم وقسمة الماء كان فتنة ولهذا قال ان امرسلو الناقة فتنة ولم يقل ان اخرجو الناقة فتنة والتحقيق في الفتنة والابتلاء والامتحان قد تقدم مرارا واليه اشارة خفية وهى ان الله تعالى يهدى من يشاء وللهداية طرق منها ما يكون على وجه يكون للانسان مدخل فيه بالكسب ماله يخلق شيئا دالا ويقع تفكر الانسان فيه ونشره اليه على وجه يترجح عنده الحق فيتبعه وتارة يلجئه اليه ابتداء ويصونه عن الخطأ من صغره فاظهار المعجز على يد الرسول امر يهدى به من يشاء اهتداه مع الكسب وهداية الانبياء من غير كسب منهم بل يخلق فيهم علوما غير كسبية فقولنا امرسلو الناقة فتنة اشارة اليهم ولهدا قال لهم ومعه على وجه يصلح لان يكون فتنة وعلى هذا كل من كانت معجزته اظهر يكون نواب قومه أهل

وقوله تعالى فارتقبهم اي فارتقبهم بالعذاب ولم يقل فارتقب العذاب اشارة الى حسن  
الادب والاجتناب عن طلب النسر وقوله تعالى واصطبر يؤيد ذلك بمعنى ان كانوا يؤيدونك  
فلا تستعجل لهم العذاب ويحتمل ان يكون ذلك اشارة الى قرب الوقت الى امرهما والامر  
بحيث يعجز عن الصبر \* ثم قال تعالى (ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر) اي  
مقسوم وصف بالمصدر مراد به المشتق منه كقوله ماء ملح وقول زور وفيه ضرب من  
المبالغة يقال للكرم كرم كانه هو عين الكرم ويقال فلان لطف محض ويحتمل ان تكون  
القسمة وقعت بينهما لان الناقة كانت عظيمة وكانت حيوانات القوم تنفر منها ولا ترد  
الماء وهي على الماء فصعب عليهم ذلك فجعل الماء بينهما يوما للناقة ويوما للقوم ويحتمل  
ان تكون لقلة الماء فشربه يوما للناقة ويوما للحيوانات ويحتمل ان يكون الماء كان بينهم  
قسمة يوم لقوم ويوم لقوم ولما خلق الله الناقة كانت ترد الماء يوما فكان الذين لهم  
الماء في غير يوم ورودها يقولون الماء كله لنا في هذا اليوم ويومكم كان امس والناقة  
ما خرت شيئا فلا تمكنكم من الورود ايضا في هذا اليوم فيكون النقصان واردا على الكل  
وكانت الناقة تشرب الماء بأسره وهذا ايضا ظاهر ومنقول والمشهور هنا الوجه الاوسط  
ونقول ان قوما كانوا يكتفون بلبنها يوم وورودها الماء والكل يمكن ولم يرد في شيء خبر  
متواتر والثالث قطع وهو من القسمة لانها منبئة بكتاب الله تعالى اما كيفية القسمة  
والسبب فلا وقوله تعالى كل شرب محتضر مما يؤيد الوجه الثالث اي كل شرب محتضر  
للقوم بأسره لانه لو كان ذلك لبيان كون الشرب محتضرا للقوم او الناقة فهو معلوم  
لان الماء ما كان يترك من غير حضور وان كان ابيان انه تحضره الناقة يوما والقوم يوما  
فلا دلالة في اللفظ عليه واما اذا كانت العادة قبل الناقة على ان يرد الماء قوم في يوم  
وآخرون في يوم آخر ثم لما خلقت الناقة كانت تنقص شرب البعض وتترك شرب الباقيين  
من غير نقصان فقال كل شرب محتضركم ايها القوم فردوا كل يوم الماء وكل شرب ناقص  
تقاسموه وكل شرب كامل تقاسموه \* ثم قال تعالى (فنادوا صاحبه) ناداء المستغيث كما أنهم  
قالوا يا القدر للقوم كما يقول القائل بالله للمسلمين وصاحبه قدار وكان اشجع واهجم  
على الامور ويحتمل ان يكون رئيسهم \* وقوله تعالى (فتعاطى فعقر) يحتمل وجوها  
(الاول) تعاطى آلة العقر فعقر (الثاني) تعاطى الناقة فعقرها وهو اضعف (الثالث)  
التعاطى يطلق ويراد به الاقدام على العظيم والتحقيق هو ان الفعل العظيم يقدم  
كل احد فيه صاحبه ويرى نفسه منه فمن قبله ويقدم عليه يقال تعاطاه كانه كان فيه  
تدافع فأخذه هو بعد التدافع (الرابع) ان القوم جعلوا له على عمله جعلوا تعاطاه وعقر  
الناقة \* ثم قال تعالى (فكيف كان عذابي ونذر) وقد تقدم بيانه وتفسيره غير ان  
هذه الآية ذكرها في ثلاثة مواضع ذكرها في حكاية نوح بعد بيان العذاب وذكرها ههنا  
قبل بيان العذاب وذكرها في حكاية عاد قبل بيانه وبعد بيانه فحيث ذكر قبل بيان العذاب

قوله تعالى (اناسرسلوا الناقة)  
الح فانه استئناف مسوق لبيان  
مبادئ الموعود حتاى يخرجوها  
من الهضبة حسبا سألوا فتنه  
لهم (اي امتحاما) فارتقبهم (ي  
فانتظرهم وتصر ما يصنعون  
(واصطبر) على اديتهم (ونبئهم  
ان الماء قسمة بينهم) مقسوم لها  
يوم ولهم يوم وبينهم لتعليب  
العقلاء (كل شرب محتضر)  
يحضره صاحبه في نوبته (فنادوا  
صاحبه) هو قدار بن سالف  
احير عود (فتعاطى فعقر)  
فاجترأ على تعاطى الامر العظيم  
غير مكثرت له فاحدث العقر  
بالناقة وقيل تعاطى الناقة  
فمقرها او تعاطى السيف فقتلها  
والتعاطى تناول النسي يكلف  
(فكيف كان عذابي ونذر)  
الكلام فيه كالذى مر في صدر  
قصة عاد



ذكرها للبيان كما تقول ضربت فلانا اى ضرب واما ضرب وتقول ضربته وكيف  
ضربته اى قويا وفي حكاية عاد ذكرها مرتين للبيان والاستفهام وقد ذكرنا السبب فيه  
ففي حكاية نوح ذكر الذى للتعظيم وفي حكاية نوح ذكر الذى للبيان لان عذاب قوم نوح كان  
بأمر عظيم عام وهو الطوفان الذى عم العالم ولا كذلك عذاب قوم هود فانه كان مختصا  
بهم \* ثم قال تعالى (انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر) سمعوا صيحة  
فاتوا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) كان في قوله فكانوا من اى الاقسام تقول قال النحاة  
تجى تارة بمعنى صار وتمسكوا بقول القائل

بنبياء قفر والمطى كانوا \* قطا الحزن قد كانت فراخا بوضها

بمعنى صارت فقال بعض المفسرين في هذا الموضع انها بمعنى صار والتحقيق ان كان  
لاتخالف غيرها من الافعال الماضية اللازمة التى لاتعدى والذى يقال ان كان تامة  
وناقصه وزائدة وبمعنى صار فليس ذلك يوجب اختلاف احوالها اختلافا يفارق غيرها  
من الافعال وذلك لان كان بمعنى وجد او حصل او تحقق غير ان الذى وجد تارة يكون  
حقيقة الشئ واخرى صفة من صفاته فاذا قلت كانت الكائنة وكن فيكون جعلت  
الوجود والحصول للشئ في نفسه فكانت قلت وجدت الحقيقة الكائنة وكن اى  
احصل فيوجد في نفسه واذا قلت كان زيد عالما اى وجد علم زيد غير اننا نقول في وجد زيد  
عالما ان عالما حال وفي كان زيد عالما نقول انه خبر كقولنا حصل زيد عالما غير ان قولنا  
وجد زيد عالما ربما يفهم منه ان الوجود والحصول لزيد في تلك الحال كما نقول قام زيد  
منتحبا حيث يكون القيام لزيد في تلك الحال وقولنا كان زيد عالما ليس معناه كان زيد وفي  
تلك الحال هو عالم لكن هذا لا يوجب ان كان على خلاف غيره من الافعال اللازمة التى  
لها بالحال تعلق شديد لان من يفهم من قولنا حصل زيد اليوم على احسن حال ما يفهمه  
من قولنا خرج زيد اليوم في احسن زى لا يمنع ما منع من ان يفهم من قولنا كان زيد على  
احسن حال مثل ما فهم هناك \* اذا عرفت هذا فقول الفعل الماضى يطلق تارة على  
ما يوجد في الزمان المتصل بالحاضر كقولنا قام زيد في صباء ويطلق تارة على ما يوجد في  
الزمان الحاضر كقولنا قام زيد فقم وقم فان زيدا قام وكذلك القول في كان ربما يقال كان  
زيد قائما عام كذا وربما يقال كان زيد قائما الآن كما في قام زيد فقوله تعالى فكانوا فيه  
استعمال الماضى فيما اتصل بالحال فهو كقولك ارسل عليهم صيحة فاتوا اى متصلا  
بتلك الحال نعم لو استعمل في هذا الموضع صار يجوز لكن كان وصار كل واحد بمعنى في  
نفسه وانما يلزم جل كان على صار اذا لم يمكن ان يقال هو كذا كما في البيت حيث لا يمكن  
ان يقال البيوض فراخ واما هنا يمكن ان يقال هم كهشيم ولولا الكاف لا يمكن ان يقال  
يجب جل كان على صار اذا كان المراد انهم انقلبوا هشيما كما يقلب المسوخ وليس  
المراد ذلك (المسئلة الثانية) ما الهشيم تقول هو المهشوم اى المكسور ومسمى هاشم

(انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة)  
هى صيحة جبريل عليه السلام  
(فكانوا) اى فصاروا (كهشيم  
المحتظر) اى كالبحر اليابس  
الذى يتخذ من يعمل الخطيرة  
او كالخيش اليابس الذى يجمعه  
صاحب الخطيرة لما شيته في الشتاء  
وقرى بفتح الطاء اى كهشيم  
الخطيرة او السجر المتخذ لها

هاشما لهتمه الثريد في الجفان غير ان الهشم استعمال كبيرا في الحطب المتكسر اليابس فقال المفسرون كانوا كالخشيش الذي يخرج من الحظائر بعد اللاتفتت واستدلوا عليه بقوله تعالى هاشما تدروه الرياح وهو من باب اقامة الصفة مقام الموصوف كما يقال رأيت جريحا ومثله السعير (المسئلة الثالثة) لماذا سبهم به قلنا يحتمل ان يكون التشبيه بكونهم يابسين كالخشيش بين الموتى الذين ماتوا من زمان وكأنه يقول سمعوا الصيحة فكانوا كأنهم ماتوا من ايام ويحتمل ان يكون لانهم انضموا بعضهم الى بعض كما ينضم الرفقاء عند الخوف داخلين بعضهم في بعض فاجتمعوا بعضهم فوق بعض كحطب الحاطب الذي يصفه شيئا فوق شيء منتظرا حضور من يشتري منه شيئا فان الحطاب الذي عنده الحطب الكثير يجعل منه كالخظيرة ويحتمل ان يكون ذلك لبيان كونهم في الجحيم اى كانوا كالحطب اليابس الذي للوقيد فهو محقق لقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقوله تعالى فكانوا لجهنم حطباً وقوله اخرقوا فادخلوا نارا كذلك ماتوا فصاروا كالحطب الذي لا يكون الا للاحراق لان الهشم لا يصلح للبناء \* ثم قال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) والتكرار للتدكار ميمين حال قوم آخرين وهم قوم لوط \* فقال تعالى (كذبت قوم لوط بالنذر) ميمين عذابهم واهلاكهم \* فقال تعالى (انا ارسلنا عليهم حاصبا الا لوط نجيناهم بسحر) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الحاصب فاعل من حصب ادارمى الحصاء وهى اسم الحجارة والمرسل عليهم هو نفس الحجارة قال الله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل وقال تعالى عن الملائكة لازلل عليهم حجارة من طين فالمرسل عليهم ليس بحاصب فكيف الجواب عنه نقول الجواب من وجوه (الاول) ارسلنا عليهم ريحا حاصبا بالحجارة التى هى الحصاء وكثرا استعمال الحاصب في الريح الشديدة فاقام الصفة مقام الموصوف (فان قيل) هذا ضعيف من حيث اللفظ والمعنى اما اللفظ فلان الريح مؤنثة قال تعالى ريح صرصرة عاتية بريح طيبة وقال تعالى انا سنخرنالها الريح تجري بأمره وقال تعالى غدوها شهر وقل تعالى في الرياح لواقع وما قل لقاحا ولا لقحة واما المعنى فلان الله تعالى بين انه ارسل عليهم حجارة من سجيل مسومة عليها علامة كل واحد وهى لا تسمى حصاء وكان ذلك بايدي الملائكة لا بالريح (نقول) تأنيث الريح ليس حقيقة ولها اوصاف الغالب فيها التدكير كالا عصار قال تعالى اعصار فيه نار فلما كان حاصب حجارة كان كالذى فيه نار واما قوله كان الرمي بالسجيل لا بالحصاء وبايدى الملائكة لا بالريح فنقول كل ريح برمي بحجارة يسمى حاصبا وكيف لا والسحاب الذي يأتي بالبرد يسمى حاصبا تشبها بالبرد بالحصاء فكيف لا يقال في السجيل واما الملائكة فانهم حركوا الريح وهى حصبت الحجارة عليهم (الجواب الثانى) المراد عذاب حاصب وهذا اقرب لتناوله الملك والسحاب والريح وكل ما يمرض (الجواب الثالث) قوله حاصبا هو اقرب من الكل لان قوله انا ارسلنا يدلى على مرسل هو مرسل الحجارة وحاصبا فان

(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا اى ريحا تحصبهم اى ترميهم بالحصاء (الا لوط نجيناهم بسحر) لوط نجيناهم بسحر (فى سحر وهو آخر الليل وقيل هو السدس الاخير منه اى ملتبسين لسحر

قيل كان ينبغي ان يقول حاصين نقول لما لم يذكر الموصوف رجح جانب اللفظ كما أنه قال  
 شيئا حاصبا اذ المقصود بيان جنس العذاب لا بيان من على يده العذاب وهذا وارد على من  
 قال الرجح مؤنث لان ترك التأنيث هناك كترك علامة الجمع هنا (المسئلة الثانية) ما رتب  
 الارسال على التكذيب بالفاء فلم يقل كذبت قوم لوط بالذر فارسلنا كما قال ففتحا  
 ابواب السماء لان الحكاية مسوقة على مساق ما تقدم من الحكايات فكأنه قال فكيف  
 كان عذابي ونذركا قال من قبل ثم قيل لا علم لنا به وانما انت العليم فاخبرنا فقال انا ارسلنا  
 (المسئلة الثالثة) ما الحكمة في ترك العذاب حيث لم يقل فكيف كان عذابي كما قال في  
 الحكايات الثلاث نقول لان التكرار ثلاث مرات بالغ ولهمذا قال صلى الله عليه وسلم  
 الاهل بلغت نلانا وقال صلى الله عليه وسلم فكاحها باطل باطل باطل والادكار  
 تكرر ثلاث مرات فبلاث مرار حصل التأكيذ وقدينا انه تعالى ذكر فكيف كان  
 عذابي في حكاية نوح للتعظيم وفي حكاية نوح للبيان وفي حكاية عاد أعادها مرتين للتعظيم  
 والبيان جميعا واعلم انه تعالى ذكر فكيف كان عذابي في ثلاث حكايات اربع مرات فالمرّة  
 الواحدة للانذار والمارات الثلاثة للادكار لان المقصود حصل بالمرّة الواحدة وقوله تعالى  
 فبأى آلاء ربكماتكذبان ذكره مرة للبيان وأعادها ثلاثين مرة غير المرة الاولى كما أعاد  
 فكيف كان عذابي ونذر ثلاث مرات غير المرة الاولى فكان ذكر الآلاء عشرة امسال  
 ذكر العذاب اشارة الى الرحمة التي قال في بيانها من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن  
 جاء بالسيسة فلا يجزى الا مثلها وسنين ذلك في سورة الرحمن (المسئلة الرابعة) الآل لوط  
 استثناء مما اذا ان كان من الذين قال فيهم انا ارسلنا عليهم حاصبا فالضمير في عليهم  
 حائلا الى قوم لوط وهم الذين قال فيهم كذبت قوم لوط ثم قال انا ارسلنا عليهم لكن لم يستن  
 عند قوله كذبت قوم لوط وآله من قومه فيكون آله قد كذبوا ولم يكن كذلك الجواب عنه  
 من وجهين (احدهما) ان الاستثناء ممن عاد اليهم الضمير في عليهم وهم القوم باسرههم غير  
 ان قوله كذبت قوم لوط لا يوجب كون آله مكذبين لان قول القائل عصي اهل بلدة كذا  
 يصح وان كان فيها شرذمة قليلة يطيعون فكيف اذا كان فيهم واحدا وانما من المطيعين  
 لا غير فان قيل ماله حاجة الى الاستثناء لان قوله انا ارسلنا عليهم يصح وانما منهم طائفة  
 يسيرة نقول العائدة لما كانت لا تحصل الا بسان اهلاك من كذب وانجاء من آمن فكان  
 ذكر الانجاء مقصودا وحيث يكون القليل من الجمع الكبير مقصودا لا يجوز التعميم  
 والاطلاق من غير بيان حال ذلك المقصود بالاستثناء او بكلام مفصل ماله فسجد  
 الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استثنى الواحد لانه كان مقصودا وقال تعالى وأوتيت  
 من كل شيء ولم يستن اذ المقصود بيان انها اوتيت لا بيان انها ما اوتيت وفي حكاية ابليس  
 كلاهما مراد ليعلم ان من تكبر على آدم عوقب ومن تواضع ايب كذلك القول ههما  
 واما عند التكذيب فكان المقصود ذكر المكذبين فلم يستن (الجواب الثاني) ان

الاستثناء من كلام مدلول عليه كأنه قال انا ارسلنا عليهم حاصبا فما انجينا من الحاصب  
 الا آل لوط و جازان يكون الارسال عليهم والاهلاك يكون عاما كما في قوله تعالى واتقوا  
 فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فكان الحاصب اهلاك من كان الارسال عليه  
 مقصودا ومن لم يكن كذلك كاطفالهم ودوابهم ومساكنهم فانجناهم احدا لا آل لوط  
 فان قيل ادا لم يكن الاستثناء من قوم لوط بل كان من امر عام فيجب ان يكون لوط ايضا  
 مستثنى فنقول هو مستثنى عقلا لان من المعلوم انه لا يجوز تركه وانجاء اتباعه والذي يدل  
 عليه انه مستثنى قوله تعالى عن الملائكة نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته في  
 جوابهم لبراهيم عليه السلام حيث قال ان فيها لوطا فان قيل قوله في سورة الحجر الا آل  
 لوط انا لنجوههم استثناء من المجرمين وآل لوط لم يكونوا مجرمين فكيف استثنى منهم  
 والجواب مثل ما ذكرنا ( فاحدا الجوابين ) انا ارسلنا الى قوم يصدق عليهم انهم مجرمون  
 وان كان فيهم من لم يجرم ( فانهم ) الى قوم مجرمين باهلاكهم الكل الا آل لوط وقوله  
 تعالى نجيناهم بسحر كلام مستأنف لبيان وقت الانجاء اول بيان كيفية الاستثناء لان آل  
 لوط كان يمكن ان يكونوا فيهم ولا يصيبهم الحاصب كما في عاد كانت الريح تقلع الكافر  
 ولا يصيب المؤمن منها مكروه او يجعل لهم مدفعا كما في قوم نوح فقال نجيناهم بسحرأى  
 امرناهم بالخروج من القرية في آخر الليل والمحر قبل الصبح وقيل هو السدس الاخير  
 من الليل ثم قال تعالى ( نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر ) اي ذلك الانجاء كان  
 فضلا منا كما ان ذلك الاهلاك كان عدلا ولو اهلكوا لكان ذلك عدلا قال تعالى واتقوا  
 فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال الحكماء العضو الفاسد يقطع ولا بد ان يقطع  
 معه جزء من الصحيح ليحصل استئصال الفساد غير ان الله تعالى قادر على التمييز التام فهو  
 مختار ان شاء اهلاك من آمن وكذب ثم يتب الذين اهلكهم من المصدقين في دار الجزاء وان  
 شاء اهلاك من كذب فقال نعمة من عندنا اشارة الى ذلك وفي نصبها وجهان ( احدهما )  
 انه مفعول له كأنه قال نجيناهم نعمة منا ( فانهم ) على انه مصدر لان الانجاء منه انعام  
 فكأنه تعالى قال انعمنا عليهم بالانجاء انعاما وقوله تعالى كذلك نجزي من شكر فيه  
 وجهان ( احدهما ) ظاهر وعليه اكثر المفسرين وهو انه من آمن كذلك نجيحه من  
 عذاب الدنيا ولا نهلكه وعدامة محمد صلى الله عليه وسلم المؤمنين بأنه يصونهم عن  
 الاهلاكات العامة والسيئات المطلقة الشاملة ( وفانهم ) وهو الاصح ان ذلك وعد لهم  
 وجزاؤهم بالواب في دار الآخرة كأنه قال كما نجيناهم في الدنيا اي كما انعمنا عليهم نعم  
 عليهم يوم الحساب والذي يؤيدها ان النجاة من الاهلاكات في الدنيا ليس بلازم ومن  
 عذاب الله في الآخرة لازم بحكم الوعيد وكذلك ينجي الله الشاكرين من عذاب النار  
 ويذر الظالمين فيه ويدل عليه قوله تعالى من يردنواب الدنيا نؤته منها ومن يردنواب  
 الآخرة فؤته منها وسنجزي الشاكرين وقوله تعالى فأنا بهم الله بما قالوا جنات تجري

( نعمة من عندنا ) اي انعاما منا  
 وهو علة لنجينا ( كذاك ) اي  
 مثل ذلك الجراء العجيب ( مجرى  
 من شكر ) نعمتنا بالايام والطاعة

من تحتها الا انها خالدين فيها وذلك جزاء الحسنين والشاكر محسن فعلم ان المراد جزاؤهم في الآخرة \* ثم قال تعالى (ولقد انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر) وفيه تبرة لوط عليه السلام وبيان انه اتى بما عليه فانه تعالى لما رتب التعذيب على التكذيب وكان من الرحمة ان يؤخره ويقدم عليه الانذارات البالغة بين ذلك فقال اهلكناهم وكان قد انذرهم من قبل وفي قوله بطشتنا وحمان (احدهما) المراد البطشة التي وقعت وكان يخوفهم بها ويدل عليه قوله تعالى انا ارسلنا عليهم حاصبا فكاه نه قال انا ارسلنا عليهم ماسبق ذكره الا انذار بها والخوف (وثانيهما) المراد بها ما في الآخرة كما في قوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى وذلك لان الرسل كلهم كانوا ينذرون قومهم بعذاب الآخرة كما قال قال تعالى فانذر تكلم نارا تلظى وقال وانذرهم يوم الآزفة وقال تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا الى غير ذلك وعلى هذا ففيه لطيفة وهي ان الله تعالى قال ان بطش ربك لشديد وقال ههنا بطشتنا ولم يقل بطشتنا وذلك لان قوله تعالى ان بطش ربك لشديد بيان لجنس بطشه فاذا كان جنسه شديدا فكيف الكبرى منه واما لوط عليه السلام فذكر لهم البطشة الكبرى لئلا يكون مقصرا في التبليغ وقوله تعالى فتماروا بالنذر يدل على ان النذر هي الانذارات \* ثم قال تعالى (ولقد راودوه عن ضيقه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي ونذر) والمرادة من الرود ومنه الارادة وهي قريبة من المطالبة غير ان المطالبة تستعمل في العين يقال طالب زيد عمرا فالدرهم والمرادة لا تستعمل الا في العمل يقال راودوه عن المساعدة ولهذا تعدى المرادة الى معقول بان نعم والمطالبة بالبلاء وذلك لان الشغل منوط باختيار الفاعل والعين قد ترجد من غير اختيار منه وهذا فرق الحال فاذا قلت اخبرني بأمره تعين عليه الخبر بالعين بخلاف ما اذا قيل عن كذا يزيد هذا ظهورا قول القائل اخبرني زيد عن مجي فلان وقوله اخبرني بمجيته فان من قال عن مجيته ربما يكون الاخبار عن كيفية المجي لاعتن نفسه واخبرني بمجيته لا يكون لاعتن نفس المجي والضيف يقع على الواحد والجماعة وقد ذكرناه في سورة الذاريات وكيفية المرادة المذكورة فيما تقدم وهي انهم كانوا مفسدين وسمعوا بضيف دخلوا على لوط فراودوه عنهم وقوله فطمسنا اعينهم نقول ان جبريل كان بهم فضرب ببعض جناحه على وجوههم فاعماهم وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) الضمير في راودوه ان كان عائدا الى قوم لوط فافي قوله اعينهم ايضا عائدا اليهم فيكون قد طمس اعين قوم لوط ولم يطمس الا عين قليل منهم وهم الذين دخلوا دار لوط وان كان عائدا الى الذين دخلوا الدار فلا ذكر لهم فكيف القول فيه نقول المرادة حقيقة حصلت من جمع منهم لكن لما كان الامر من القوم وكان غيرهم ذلك مذهبه اسندها الى الكل نعم بقوله راودوه حصل قومهم المرادون حقيقة فعاد الضمير في اعينهم اليهم مناله قول القائل الذين آمنوا صلوا فصحت لا تهم فيكون هم في صلاتهم عائدا الى الذين صلوا بعدما آسوا ولا يعود الى مجرد الذين آمنوا الا انك

(واقد انذرهم) لوط عليه السلام  
(بطشتنا) اي اخذتنا الشديدة  
بالعذاب (فتماروا) فكذبوا  
(بالنذر) مشاكين (ولقد راودوه عن ضيقه) قصدوا  
العمور لهم (فطمسنا اعينهم)  
فطمسنا احوالهم وسواها كسائر الود  
روى انهم دخلوا داره عنوا  
صفتهم جبريل عليه السلام صفقا  
فتركهم يترددون لا يلتدون الى  
الباب حتى اخرجهم لوط عليه  
السلام (فذوقوا عذابي ونذر)  
اي قلنا لهم ذوقوا على السنن  
الملائكة اوظاهر الحال والمراد  
به الطمس فانه من حله ما نذروا  
من العذاب

لواقتصرت على الدين اسوا فصحت صلاتهم لم يكن كلاما مظلوما ولو قلت الذين صلوا  
فصحت صلاتهم صح الكلام فلم ان الضمير مائد الى ما حصل بعد قوله راودوه والضمير في  
راودوه مائد الى المذنبين المتأمرين بالذبح (المسئلة الثانية) قال ههنا فطمسنا اعينهم  
وقال فييس ولونشاء لطمسنا على اعينهم فما الفرق نقول هذا مما يؤيد قول ابن عباس  
فانه نقل عنه انه قال المراد من الطمس الحجب عن الادراك فاجعل على بصرهم شي غير  
انهم دخلوا ولم يروا هناك شيئا فكانوا كالمطموسين وفييس أراد انه لونشاء لجعل على  
بصرهم غشاوة اى الزق احد الجفنين بالآخر فيكون على العين جلدة فيكون قد طمس  
عليها وقال غيره انهم هموا وصارت عينهم مع وجههم كالصفحة الواحدة ويؤيد قوله  
تعالى فذوقوا عذابى لانهم ان بقوا مبصرين ولم يروا شيئا هالك لا يكون ذلك عذابي  
والطمس بالمعنى الذى قاله غير ابن عباس فذوقوا عذابى فذوقوا العذاب الاول ان يقال انه تعالى حكى  
ههنا ما وقع وهو طمس العين وادها ب ضوئها وصورتها بالكلية حتى صارت وجوههم  
كالصفحة الملساء ولم يمكنهم الانكار لانه امر وقع واما هناك فقد خوفهم بالممكن المقدور  
عليه فاختر ما يصدق كل احد ويعرف به وهو الطمس على العين لان اطاق الجفن على  
العين امر كبير الوقوع وهو بقدرته الله تعالى وارادته فقال ولونشاء لطمسنا على اعينهم  
وما شققنا جفنفهم عن عينهم وهو امر ظاهر الامكان كثير الوقوع والطمس على ما وقع  
لقوم لوط نادى فقال هالك على اعينهم ليكون اقرب الى القبول (المسئلة الثالثة) قوله  
تعالى فذوقوا عذابى ونذر خطاب ممن وقع ومع من وقع قلبا فيه وجوه (احدها) فيه  
اضمار تقديره فقلت على لسان الملائكة ذوقوا عذابى (ثانيها) هذا خطاب مع كل  
مكذب تقديره كنتم تكذبون فذوقوا عذابى فانهم لما كذبوا ذاقوه (ثالثا) ان هذا  
الكلام خرج مخرج كلام الناس فان الواحد من الملوك اذا امر بضرب مجرم وهو شديد  
الغضب فاذا ضرب ضربا مبرحا وهو يصرخ والملك يسمع صراخه يقول عند سماع  
صراخه دق انك مجرم مستأهل ويعلم الملك ان المعذب لا يسمع كلامه ويخاطب بكلامه  
المستغيب الصارخ وهذا كثير فكذلك لما كان كل احد يراى من الله تعالى يسمع اذا  
عذب معاندا كان قد سخط الله عليه بقول دق انك انت العزيز الكريم ذوقوا لقاء يومكم  
هذا فذوقوا عذابى ولا يكون به مخاطبا لمن يسمع ويحجب وذلك اظهار العدل اى لست  
بغافل عن تعذيبك فتخلص بالصراخ والضراعة وانما انابك عالم وانت له اهل لما قد صدر  
ملك فان قيل هذا وقع بغير الفاء واما بالفاء فلا نقول وبالفاء فانه ربما يقول كنتم  
تكذبون فذوقوا (المسئلة الرابعة) الدر كيف يذاق نقول معناه دق فعلك اى مجازاة  
فعلك وموجبه ويقال دق الالم على فعلك وقوله فذوقوا عذابى كقولهم دق الالم وقوله  
ونذر كقولهم دق فعلك اى دق ما نمر من اندارى فان قيل فعلى هذا لا يصح العطف لان  
قرله فذوقوا عذابى وما نمر من اندارى وهو العذاب يكون كقول القائل ذوقوا عذابى

وعذابي نقول قوله تعالى فذوقوا عذابي اي العاجل منه وما لزم من انذارى وهو العذاب  
الآجل لان الانذار كان به على ما تقدم بيانه فكأنه قال ذوقوا عذابي العاجل وعذابي  
الآجل فان قيل هما لم يكونا في زمان واحد فكيف يقال ذوقوا نقول العذاب الآجل  
اوله متصل بآخر العذاب العاجل فهما كالواقع في زمان واحد وهو كقوله تعالى اغرقوا  
فادخلوا نارا \* ثم قال تعالى ( ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ) اي العذاب الذي  
عم القوم بعد انخلص الذي طمس اعين البعض وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) صبحهم  
فيه دلالة على الصبح فامعنى بكرة نقول فأنذته تبين انظرافه فيه فقول بكرة يحتمل وجهين  
( احدهما ) انها منصوبة على انها ظرف ومثله نقول في قوله تعالى اسرى بعبد ليل  
وفيه بحث وهو ان الزمخشري قال ما الفائدة في قوله ليل وقال جوابا في التكرير دلالة  
على انه كان في بعض الليل وتمسك بقراءة من قرأ من الليل وهو غير ظاهر والظاهر  
فيه ان يقال بأن الوقت المبهم يذكر لبيان ان تعيين الوقت ليس بمقصود المتكلم وانه  
لا يريد بيانه كما يقول خرجنا في بعض الاوقات مع ان الخروج لابد من ان يكون في  
بعض الاوقات فانه لا يريد بيان الوقت المعين ولو قال خرجنا فربما يقول السامع متى  
خرجتم فاذا قال في بعض الاوقات اشار الى ان غرضه بيان الخروج لانعين وقته فكذلك  
قوله تعالى صبحهم بكرة اي بكرة من البكر واسرى بعبد ليل اي ليل من الليالي فلا ايئنه  
فان المقصود نفس الاسراء ولو قال اسرى بعبد من المسجد الحرام لكان للسامع ان  
يقول اي باليلة فاذا قال ليلة من الليالي قطع سؤاله وصار كأنه قال لا ايئنه وان كان القائل  
من يجوز عليه الجهل فانه يقول لا اعلم الوقت فهذا اقرب فاذا علمت هذا في اسرى ليل فاعلم  
مسه في صبحهم بكرة ويحتمل ان يقال على هذا الوجه صبحهم بمعنى قال لهم عوا صباحا  
استهزاء بهم كما قال فبشرهم بعذاب اليم فكأنه قال جاءهم العذاب بكرة كالمصبح والاول  
اصح ويحتمل قوله تعالى صبحهم بكرة على قولنا انها منصوبة على الظرف ما لا يحتمله  
قوله تعالى اسرى بعبد ليل وهو ان صبحهم معناه اتاهم وقت الصبح لكن التصريح بطلق  
على الاتيان في ازمة كثيرة من اول الصبح الى ما بعد الاسفار فاذا قال بكرة افاد انه  
كان اول جزء منه وما اخر الى الاسفار وهذا الوجه والبق لان الله تعالى اوعدهم به وقت  
الصبح بقوله ان موعدهم الصبح وكان من الواجب بحكم الاخبار تحققه بمجيء العذاب  
في اول الصبح وبمجرد قوله صبحهم ما كان يفيد ذلك وهذا اقوى لانك تقول صبيحة  
امس بكرة واليوم بكرة فيأتى فيه ما ذكرنا من ان المراد بكرة من البكر ( الوجه الثاني )  
انها منصوبة على المصدر من باب ضربته سوطا ضربا فان المنصوب في ضربته ضربا على  
المصدر وقد يكون غير المصدر كما في ضربته سوطا لا يقال ضربته سوطا بين احد  
انواع الضرب لان الضرب قد يكون بسوط وقد يكون بغيره واما بكرة فلا يبين ذلك لانا  
نقول قد بينا ان بكرة بين ذلك لان الصبح قد يكون بالاتيان وقت الاسفار وقد يكون بالاتيان

( ولقد صبحهم بكرة ) وقرئ  
بكرة غير مصروفة على ان المراد  
بها اول نهار مخصوص ( هذاب  
مستقر ) لا يفارقهم حتى يسلمهم  
الى النار وفي وصفه بالاستقرار  
اياء الى ان ما قبله من عذاب  
الطمس ينتهي اليه



بالابكار فان قيل مثله يمكن ان يقال في اسرى بعده لبقا فلنا نعم فان قيل ليس هناك بيان نوع من انواع الاسراء نقول هو كقول القائل ضربه شيئا فان شيئا لا بد منه في كل ضرب ويصح ذلك على انه نصب على المصدر وفائدته ما ذكرنا من بيان عدم تعلق الغرض بانواعه وكان القائل يقول اني لا ابين ما ضربه به ولا احتاج الى بيانه لعدم تعلق المقصود به ليقطع سؤال السائل بماذا ضربه بسوط او بعضا فكذلك القول في اسرى بعده ليلا يقطع سؤال السائل عن الاسراء لان الاسراء هو السير اول الليل والسرى هو السير آخر الليل او غير ذلك (المسئلة الثانية) مستقر يحتمل وجوها (احدها) عذاب لا مدفع له اى يستقر عليهم ويثبت ولا يقدر احد على ازالته ورفعه واحالته ودفعه (ثانيها) دائم قائم لما هلكوا نقلوا الى الجحيم فكان ما اتاهم عذاب لا يندفع بموتهم فان الموت يخلص من الالم الذى يجده المضروب من الضرب والمحسوس من الحبس وموتهم ما خلسهم (الثاني) عذاب مستقر عليهم لا يتعدى غيرهم اى هو امر قد قدره الله عليهم وقرره فاستقر وليس كما يقال انه امر اصابهم اتفاقا كالبرد الذى يضر زرع قوم دون قوم ويظن به انه امر اتفاقى وليس لو خرجوا من اماكنهم لجوا كما نجوا آل لوط بل كان ذلك يتبعهم لانه كان امرا قد استقر (المسئلة الثالثة) الضمير فى صجهم مائد الى الذين عاد اليهم الضمير فى اعينهم فيعود لفظا اليهم للقرب ومعنى الى الذين تماروا بالندرا والذين عاد اليهم الضمير فى قوله ولقد اندرهم بطشتنا ثم قال تعالى (فذوقوا عذابي ونذر) مرة اخرى لان العذاب كان

(فذوقوا عذابي ونذر) حكاية لما قيل لهم حيثئذ من جهته تعالى تشديدا للعذاب (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) مرما فيه من الكلام (ولقد جاء آل فرعون النذر) صدرت قصتهم بالتوكيد القسوى لا يراز كال الاعتناء بشأنها لغاية عظم ما فيها من الايات وكثرتها وهول ما لاقوه من العذاب وقوة يجابها الاتعاذ والاكتفاء بدكر آل فرعون للعلم بان نفسه اولى بذلك اى وبالله لقد جاءهم الانذارات وقوله تعالى (كذبوا باياتنا كلها) استثناء مبنى على سؤال نشأ من حكاية مجي النذر كأنه قيل فماذا فعلوا حينئذ فهيل كذبوا بجميع آياتنا وهى الايات التسع (فاخذناهم اخذ عزيز) لا يغال (مقتدر) لا يجبره شئ

مرتين (احدهما) خاص بالمراد دين والآخر عام ثم قال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) قد فسرنا مرارا او بينا ما لاجله كررت تكرارا ثم قال تعالى (ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا باياتنا كلها فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما الفائدة فى لفظ آل فرعون بدل قوم فرعون نقول القوم اهم من الاكل فالقوم كل من يقوم الرئيس بأمرهم او يقومون بأمره والاكل كل من يؤل الى الرئيس خيرهم وشهرهم او يؤل اليهم خيره وشهره فالبعيد الذى لا يعرفه الرئيس ولا يعرف هو عين الرئيس وانما يسمع اسمه فليس هو باله اذا عرفت الفرق نقول قوم الانبياء الذين هم خير موسى عليهم السلام لم يكن فيهم قاهر يقهر الكل ويجمعهم على كلمة واحدة وانما كانوا هم رؤساء واتباء والرؤساء اذا كثروا لا يبقى لاحد منهم حكم نافذ على احدا ما على من هو مثله فظاهروا ما على الاراذل فلا تنهم يلجئون الى واحد منهم ويدفعون به الآخر فيصير كل واحد برأسه فكان الارسال اليهم جميعا واما فرعون فكان قاهرا يقهر الكل وجعلهم بحيث لا يخالفونه فى قليل ولا كثير فارسل الله اليه الرسول وحده غير انه كان عنده جماعة من التابعين المقربين مثل قارون تقدم عنده لاله العظم وهامان لدهائه فاعتبرهم الله فى الارسال حيث قال فى مواضع ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه وقال تعالى باياتنا الى فرعون وهامان وقارون وقال فى العنكبوت وقارون وفرعون وهامان ولقد

جاءهم موسى لانهم ان آمنوا آمن الكل بخلاف الاقوام الذين كانوا قبلهم وبعدهم  
 قتال ولقد جاء آل فرعون النذر وقال كثيرا مثل هذا كما في قوله ادخلوا آل فرعون اشد  
 العذاب وقال تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه وقال بلفظ الملا ايضا  
 كثيرا (المسئلة الثانية) قال ولقد جاء ولم يقل في غيرهم جاء لان موسى عليه السلام ما جاءهم  
 كما جاء المرسلون اقوامهم بل جاءهم حقيقة حيث كان غائبا عن القوم فقدم عليهم  
 ولهذا قال تعالى فلما جاء آل لوط المرسلون وقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم  
 حقيقة ايضا لانه جاءهم من الله من السموات بعد المعراج كما جاء موسى قومه من الطور  
 حقيقة (المسئلة الثالثة) النذر ان كان المراد منها الانذارات وهو الظاهر فالكلام الذي  
 جاءهم على لسان موسى ويده تلك وان كان المراد الرسل فهو لان موسى وهرون عليهما  
 السلام جاءه وكل مرسل تقدمهما جاءه لانهم كلهم قالوا ما قالوا من التوحيد وعبادة الله  
 وقوله بعد ذلك كذبوا بآياتنا من غير فاء تقتضي ترتب التكذيب على الجحى فيه وجهان  
 (احدهما) ان الكلام تم عند قوله ولقد جاء آل فرعون النذر وقوله كذبوا كلام  
 مستأنف والضمير حائد الى كل من تقدم ذكرهم من قوم نوح الى آل فرعون (ثانيهما)  
 ان الحكاية مسوقة على سياق ما تقدم فكأنه قال فكيف كان عذابي ونذر وقد كذبوا  
 بآياتنا كلها فاخذناهم وعلى الوجه الاول آياتنا كلها ظاهرة وعلى الوجه الثاني المراد  
 آياته التي كانت مع موسى عليه السلام وهي التسع في قول اكثر المفسرين ويحتمل  
 ان يقال المراد انهم كذبوا بآيات الله كلها السمعية والعقلية فان في كل شيء آية تدل  
 على انه واحد وقوله تعالى فاخذناهم اشارة الى انهم كانوا كالا يبقين او الى انهم حاصون  
 يقال اخذ الامير فلانا اذا حبسه وفي قوله عزيز مقتدر لطيفة وهي ان العزيز المراد منه  
 الغالب لكن العزيز قديكون يغلب على العدو ويظفر به وفي الاول يكون غير متمكن  
 من اخذه لبعده ان كان هاربا ولمنعته ان كان محاربا فقال اخذ غالب لم يكن عاجزا وانما  
 كان ممهلا \* ثم قال تعالى (اكفاركم خير من اولئكم ام لكم براءة في الزبر) تبهيهم  
 لثلاثا يأمنوا العذاب فانهم ليسوا بخير من اولئك الذين اهلكوا وفيه مسائل (المسئلة  
 الاولى) الخطاب مع اهل مكة فينبغي ان يكون كفارهم بعضهم والاقوال انتم خير من  
 اولئكم واذا كان كفارهم بعضهم فكيف قال ام لكم براءة ولم يقل ام لهم كما يقول  
 القائل جاءنا الكرماء فاكرمناهم ولا يقول فاكرمناكم تقول الجواب عنه من  
 وجهين (احدهما) المراد منه اكفاركم المسترون على الكفر الذين لا يرجعون وذلك  
 لان جمعا عظيما ممن كان كافرا من اهل مكة يوم الخطاب ايقنوا بوقوع ذلك والعذاب  
 لا يقع الا بعد العلم بانه لم يبق من القوم من يؤمن فقال الذين يصرون منكم على الكفر  
 يا اهل مكة خير ام الذين اصروا من قبل فيصح كون التهديد مع بعضهم واما قوله تعالى  
 ام لكم براءة فقيه وجهان (احدهما) ام لكم لعمومكم براءة فلا يخاف المصرونكم

(اكفاركم) (يامعشر العرب خير)  
 قوة وشدة وعدة وعدة او مكانة  
 (من اولئكم) الكفار المعدودين  
 والمعنى انه اصحابهم ما اصحابهم مع  
 ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر  
 من الامور فهل تطمعون ان  
 لا يصيبكم مثل ذلك واتم شرمهم  
 مكانا واسوا حالا وقوله تعالى (ام  
 لكم براءة في الزبر) اضراب  
 وانتقال من التبكيت بما ذكر الى  
 التبكيت بوجه آخر اى بل لكم  
 براءة وامن من تبعات ما تعملون  
 من الكفر والمعاصي وغوائلهما  
 في الكتب السماوية فلذلك  
 تصرون على ما انتم عليه وقوله  
 تعالى

لكونه في قوم لهم براءة (وثانيهما) ام لكم براءة ان اصررتم فيكون الخطاب عاما والتهديد كذلك فالشرط غير مذكور وهو الاصرار (المسئلة الثانية) ما المراد بقوله خير وقول القائل خير يقتضى اشتراك امرين في صفة محمودة مع رجحان احدهما على الآخر ولم يكن فيهم خير ولا صفة محمودة نقول الجواب عنه من وجوه (احدها) منع اقتضاء الاشتراك يدل عليه قول حسان \* فشركا خيرا كذا الفداء \* مع اختصاص الخير بالنبي عليه السلام والشر بمن هجاء وعدم اشتراكهما في شيء منهما (ثانيها) ان ذلك حائد الى ما في زعمهم اى يزعم كفاركم انهم خير من الكفار المتقدمين الذين اهلكوا وهم كانوا يزعمون في انفسهم الخير وكذا فيمن تقدمهم من عبدة الاوثان ومكذبي الرسل وكانوا يقولون ان الهلاك كان بأسباب سماوية من اجتماع الكواكب على هيئة مدمومة (ثالثها) المراد اكفاركم اشد قوة فكأنه قال اكفاركم خير في القوة والقوة محمودة في العرف (رابعها) ان كل موجود ممكن ففيه صفات محمودة واخرى غير محمودة فاذا نظرت الى المحمودة في الموضعين وقابلت احدهما بالآخرى تستعمل فيها لفظ الخير وكذلك في الصفات المدمومة تستعمل فيها لفظ الشر فاذا نظرت الى كافرين وقلت احدهما خير من الآخر فلك حيثن ان تريد احدهما خير من الآخر في الحسن والجمال واذا نظرت الى مؤمنين يؤذيائك قلت احدهما شر من الآخر اى في الاذية لا الايمان فكذلك ههنا اكفاركم خير لان النظر وقع على ما يصلح مخلصا لهم من العذاب فهو كما يقال اكفاركم فيهم شيء مما يخلصهم لم يكن في غيرهم فهم خيرا لاشي فيهم يخلصهم لكن الله بفضله أمنهم لا بخصال فيهم (المسئلة الثالثة) ام لكم براءة اشارة الى سبب آخر من اسباب الخلاص وذلك لان الخلاص اما ان يكون بسبب امر فيهم او لا يكون كذلك فان كان بسبب امر فيهم وذلك السبب لم يكن في غيرهم من الذين تقدموهم فيكونون خيرا منهم وان كان لا بسبب امر فيهم فيكون بفضل الله ومساعدته اياهم وايمانه اياهم من العذاب فقال لهم انتم خير منهم فلا تهلكون ام لستم بخير منهم لكن الله آمكم واهلكهم وكل واحد منهما منتف فلا تأمنوا وقوله تعالى ام لكم براءة في الزبر اشارة الى لطيفة وهى ان العاقل لا يأمن الا اذا حصل له الجزم بالامن او صار له آيات تقرب الامر من القطع فقال لكم براءة يوثق بها وتكون متكررة في الكتب فان الحاصل في بعض الكتب ربما يحتمل التأويل او يكون قد تطرق اليه التحريف والتبديل كما في التوراة والانجيل فقال هل حصل لكم براءة متكررة في كتب تأمنون بسببها العذاب فان لم يكن كذلك لا يجوز الامن لكن البراءة لم تحصل في كتب ولا في كتاب واحد ولا في شبه كتاب فيكون أمنهم من غاية الغفلة وعند هذا تين فضل المؤمن فانه مع ما في كتاب الله الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من الوعد لا يأمن وان بلغ درجة الاولياء والانبياء لما في آيات الوعيد من احتمال التخصيص وكون كل واحد ممن يستثنى من الامة ويخرج عنها فالؤمن خائف والكافر

آمن في الدنيا وفي الآخرة الامر على العكس \* ثم قال تعالى ( ام يقولون نحن جميع منتصر ) تتيما لبيان اقسام الخلاص وحصره فيها وذلك لان الخلاص اما ان يكون لاستحقاق من يخلص عن العذاب كما ان الملك اذا عذب بجاعة ورأى فيهم من احسن اليه فلا يعذبه واما ان يكون لامر في المخلص كما اذارأى فيهم من له ولد صغير او ام ضعيفة فيرجه وان لم يستحق ويكتب له الخلاص واما ان لا يكون فيه ما يستحق الخلاص بسببه ولا في نفس المعضب مما يوجب الرحمة لكنه لا يقدر عليه بسبب كثرة اعوانه وتعصب اخوانه كما اذهرب واحد من الملك والتجأ الى عسكر يمعون الملك عنه فكما في القسمين الاولين كذلك في القسم الثالث وهو التمتع بالاعوان وتخرب الاخوان \* وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) في حسن الترتيب وذلك لان المستحق لذاته اقرب الى الخلاص من المرحوم فان المستحق لم يوجد فيه سبب العذاب والمرحوم وجد فيه ذلك ووجد المانع من العذاب وما لا سبب له لا يتحقق اصلا وماله مانع ربما لا يقوى المانع على دفع السبب وما في نفس المعضب من المانع اقوى من الذي بسبب الغير لان الذي من عنده يمنع الداعية ولا يتحقق الفعل عند عدم الداعية والذي من الغير بسبب التمتع لا يقطع قصده بل يجتهد فيه وربما يقلب فيكون تعذيبه اضعاف ما كان من قبل بخلاف من يرق له قلبه وتمنعه الرحمة فانها وان لم تمنعه لكن لا يزيد في حله وحبسه وزيادته في التعذيب عند القدرة فهذا ترتيب في غاية الحسن ( المسئلة الثانية ) جميع فيه فائدتان ( احدهما ) الكثرة ( والاخرى ) الاتفاق كأنه قال نحن كثير متفقون لما الانتصار ولا يقوم غير هذه اللفظة مقامها من الالفاظ المفردة انما قلنا ان فيه فائدتين لان الجميع يدل على الجماعة بحروفه الاصلية من ( ج م ع ) وبوزنه وهو فاعيل بمعنى مفعول على انهم جمعوا جميعتهم العصبية ويحتمل ان يقال معناه نحن الكل لا خارج عنا اشارة الى ان من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم لا اعتدابه قال تعالى في نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون الا الذين هم ارادوا لبادي الرأي وعلى هذا جميع يكون التنوين فيه لقطع الاضافة كأنهم قالوا نحن جميع الناس ( المسئلة الثالثة ) ما وجه افراد المنتصر مع ان نحن ضمير الجمع نقول على الوجه الاول ظاهر لانه وصف الجزء الآخر الواقع خبرا فهو كقول القائل اتم جنس منتصروهم عسكرا غالب والجميع كالجنس لفظه لفظ واحد ومعناه جمع فيه الكثرة واما على الوجه الثاني فالجواب عنه من وجهين ( احدهما ) ان المعنى وان كان جميع الناس لا خارج عنهم الا من لا يعتد به لكن لما قطع ونون صار كالملك في الاصل فجاز وصفه بالسكر نظرا الى اللفظ فعاد الى الوجه الاول ( وثانيهما ) انه خبر بعد خبر ويجوز ان يكون احدا الخبرين معرفة والاخر نكرة قال تعالى وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد وعلى هذا فقولنا نحن جميع منتصر افراده مجاورة جميع ويحتمل ان يقال معنى نحن جميع منتصر ان جميعا بمعنى كل واحد كما قاله قال نحن كل واحد منا منتصر كما نقول هم جميعهم اقوياء بمعنى ان كل واحد منهم قوى وهم

( ام يقولون نحن جميع منتصر )  
اضراب من التبييت المدكور  
الى وجه آخر من التبييت  
والالتفات للايذا باقتضامها لهم  
للاعراض عنهم واسقاطهم عن  
رتبة الخطا وحكاية قبائحهم  
لغيرهم اى بل يقولون وايقين  
نشوكتهم ممن اولو حرم ورأى  
امرا محتمل لانزام ولا نضام او  
منتصر من الاعداء لانه لعل او  
متناصر ينصر بعضا بعضا  
والافراد باعتبار لفظ الجميع

كلهم علماء كل واحد عالم فترك الجمع واختار الافراد لعود الخبر الى كل واحد فانهم كانوا يقولون كل واحد منا يغلب محمد صلى الله عليه وسلم كما قال ابى بن خلف الجمسى وهذا فيه معنى لطيف وهو انهم ادعوا ان كل واحد غالب والله رد عليهم باجمعهم بقوله (سيهزم الجمع ويولون الدبر) وهو انهم ادعوا القوة العامة بحيث يغلب كل واحد منهم محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى بين ضعفهم الظاهر الذى يعمهم جميعهم بقوله ويولون الدبر وحينئذ يظهر سؤال وهو انه قال يولون الدبر ولم يقل يولون الادبار وقال في موضع آخر يولوكم الادبار ثم لا ينصرون وقال ولقد كانوا ما هادوا الله من قبل لا يولون الادبار وقال في موضع آخر فلا تولوهم الادبار فكيف تصحح الافراد وما الفرق بين المواضع نقول اما التصحيح فظاهر لان قول القائل فعلوا كقوله فعل هذا وفعل ذاك وفعل الآخر قالوا وفى الجمع تنوب مناب الواوات التى فى العطف وقوله يولون بمثابة يولى هذا الدبر ويولى ذاك ويولى الآخراى كل واحد يولى دبره واما الفرق فنقول اقتضاء واخر الآيات حسن الافراد فقوله يولون الدبر افراده اشارة الى انهم فى التولية كنفس واحدة فلا يتخلف احد عن الجمع ولا ينبت احد للزحف فهم كانوا فى التولية كدبر واحد واما فى قوله فلا تولوهم الادبار أى كل واحد وجده ينبغى ان ينبت ولا يولى دبره فليس المنهى هناك توليتهم باجمعهم بل المنهى ان يولى واحد منهم دبره فكل احد منهم عن تولية دبره فجعل كل واحد برأسه فى الخطاب ثم جمع الفعل بقوله فلا تولوهم ولا يتم الا بقوله الادبار وكذلك فى قوله ولقد كانوا ما هادوا الله أى كل واحد قال انا نبت ولاولى دبرى واما فى قوله ليولن الادبار فان المراد المناقون الذين وعدوا اليهودهم متفرقون بدليل قوله تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى واما فى هذا الموضع فهم كانوا ايدا واحدة على من سواهم ثم قال تعالى (بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر) اشارة الى ان الامر غير مقتصر على انهزامهم وادبارهم بل الامر اعظم منه فان الساعة موعدهم فانه ذكر ما يصيبهم فى الدنيا من الدبر ثم بين ما هو منه على طريقة الاصرار هذا قول اكثر المفسرين والظاهر ان الانذار بالساعة عام لكل من تقدم كانه قال اهلكنا الذين كفروا من قبلك واصروا وقوم محمد عليه السلام ليسوا بخير منهم فبصيبهم ما صابهم ان اصروا ثم ان عذاب الدنيا ليس لاتمام المجازاة فاتمام المجازاة بالاليم الدائم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما الحكمة فى اختصاص كون الساعة موعدهم مع انها موعده كل احد نقول الموعد الزمان الذى فيه الوعد والوعيد والمؤمن موعود بالخبر ومأمور بالصبر فلا يقول هو متى يكون بل يفوض الامر الى الله واما الكافر فغير مصدق فيقول متى يكون العذاب فيقال له اصبر فانه آت يوم القيامة ولهذا كانوا يقولون عجل لنا قنطنا وقال ويستجملونك بالعذاب (المسئلة الثانية) ادهى من اى شئ نقول يحتمل وجهين (احدهما) ماضى من انواع عذاب الدنيا (ثانيهما) ادهى الدواهى فلا داهية مثلها (المسئلة الثالثة) ما المراد من قوله وامر قلنا فيه وجهان (احدهما) هو

وقوله تعالى (سيهزم الجمع) ر واطال لذلك والسبب للتاكيد اى يهزم جمعهم البتة (ويولون الدبر) اى الادبار وقد قرئ كذلك والتوحيد لارادة الجنس او ارادة ان كل واحد منهم يولى دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اى جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها وقرئ سيهزم الجمع اى الله عز وعلا (بل الساعة موعدهم) اى ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعداصل عذابهم وهذا من طلائمه (والساعة ادهى وامر) اى فى اقصى غاية من الفظاعة والمرارة والداهية الامر الفظيع الذى لا يمتدى الى الخلاص عنه واظهار الساعة فى موقع اختارها لتربية تهويلها

مبالغة من المر وهو مناسب لقوله تعالى فدوقوا عذابي وقوله ذوقوا مس سقرو على هذا فأدهى أى اشد وامر أى آلم والفرق بين الشديد والاليم ان الشديد يكون اشارة الى انه لا يطيقه احد لقوته ولا يدفعه احد بقوته مثاله ضعيف القى في ماء يغليه او نار لا يقدر على الخلاص منها وقوى القى في بحر او نار عظيمة يستويان في الالم والعذاب ويتساويان في الالام لكن يفترقان في الشدة فان نجاة الضعيف من الماء الضعيف باعانة معين ممكن ونجاة القوى من البحر العظيم غير ممكن (ثانيهما) امر مبالغة في المار اذهى اكثر مرورا بهم اشارة الى الدوام فكأنه يقول اشدوا دوما وهذا مختص بعذاب الآخرة فان عذاب الدنيا ان اشتد قتل المذنب وزال فلا يدوم وان دام بحيث لا يقتل فلا يكون شديدا (ثالثها) انه المرير وهو من المرة التي هي الشدة وعلى هذا فاما ان يكون الكلام كما يقول القائل فلان نحيف نحيل وقوى شديد فيأتى بلفظين مترادفين اشارة الى التأكيد وهو ضعيف واما ان يكون أدهى مبالغة من الداهية التي هي اسم الفاعل من دهاه امر كذا اذا أصابه وهو أمر صعب لان الداهية صارت كالاسم الموضوع للشديد على وزن الباطنة والسابعة التي لا تكون من اسماء الفاعلين وان كانت الداهية اصلها ذلك غير انها استعملت استعمال الاسماء وكتبت في ابوابها وعلى هذا يكون معناه ازم واضيق أى هي بحيث لا تدفع ثم قال تعالى (ان الجرمين في ضلال وسع) وفي الآية مسائل (الاولى) فيمن نزلت الآية في حقهم اكثر المفسرين اتفقوا على انها نازلة في القدرية روى الواحدى في تفسيره قال سمعت الشيخ رضى الدين المؤيد الطوسى بنيسابور قال سمعت عبد الجبار قال اخبرنا الواحدى قال اخبرنا ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج قال اخبرنا ابو محمد عبد الله الكهبي قال حدثنا جد ان بن صالح الاشج حدثنا عبد الله بن عبد العزيز بن ابى داود حدثنا سفيان الثورى عن زياد بن اسمعيل الخزومى عن محمد بن عباد بن جعفر عن ابى هريرة قال جاء مشركو قريش يحاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فاتزل الله تعالى ان الجرمين في ضلال وسع الى قوله انا كل شئ خلقناه بقدر وكذلك نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الآية نزلت في القدرية وروى عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مجوس هذه الامة القدرية وهم الجرمون الذين سماهم الله تعالى في قوله ان الجرمين في ضلال وسع وكثرت الاحاديث في القدرية \* وفيها مباحث (الاول) في معنى القدرية الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم نزلت الآية فيهم فنقول كل فريق في خلق الاعمال يذهب الى ان القدرى خصمه فالجبرى يقول القدرى من يقول الطاعة والمعصية ليستا بخلق الله وقضائه وقدره فهم قدرية لانهم ينكرون القدر والمعتزلى يقول القدرى هو الجبرى الذى يقول حين ينزى ويسرق الله قدرنى فهو قدرى لاثباته القدر وهما جميعا يقولان لاهل السنة الذى يعترف بخلق الله وليس من العبدانه قدرى والحق ان القدرى الذى نزل فيه الآية هو الذى ينكر القدر ويقول بأن

(ان الجرمين) من الاولين والآخرين (في ضلال وسع) أى في هلاك ونيران مسعرة وقيل في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة وقوله تعالى (يوم يسهبون) الح منصوب اما بما يفهم من قوله تعالى في ضلال أى كاشون في ضلال وسع يوم يحرون (في النار) على وجوههم) واما بقول مقدر بعده أى يوم يسهبون يقال لهم (ذوقوا مس سقر) أى فاسوا حرها والمها وسقر علم جهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته والقول المقدر على الوجه الاول حال من ضمير يسهبون

الحوادث كلها حادثة بالكواكب واتصالاتها ويدل عليه قوله جاء مشركو قريش  
يحاجون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فان مذهبه ذلك وما كانوا يقولون مثل  
ما يقول المعتزلة ان الله خلق لي سلامة الاعضاء وقوة الادراك ومكنني من الطاعة  
والمعصية والله قادر على ان يخلق في الطاعة الجاء والمعصية الجاء وقادر على ان يطعم  
الفقير الذي اطعمه انا بفضل الله والمشركون كانوا يقولون انطعم من لويشاء الله اطعمه  
منكرين لقدرة الله تعالى على الاطعام واما قوله صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الامة هم  
القدريّة فنقول المراد من هذه الامة اما الامة التي كان محمد صلى الله عليه وسلم مرسلًا  
اليهم سواء آمنوا به او لم يؤمنوا كلفظ القوم واما امته الذين آمنوا به فان كان المراد الاول  
فالقدريّة في زمانه هم المشركون الذين انكروا قدرة الله على الحوادث فلا يدخل فيهم  
المعتزلة وان كان المراد هو الثاني فقوله مجوس هذه الامة يكون معناه الذين نسبتهم الى  
هذه الامة كنسبة المجوس الى الامة المتقدمة لكن الامة المتقدمة اكثرهم كفرًا  
والمجوس نوع منهم اضعف شبهة واشد مخالفة للعقل فكذلك القدريّة في هذه الامة  
تكون نوعًا منهم اضعف دليلًا ولا يقتضي ذلك الجزم بكونهم في النار فالحق ان القدري  
هو الذي ينكر قدرة الله تعالى ان قلنا ان النسبة للنفي او الذي يثبت قدرة غير الله تعالى  
على الحوادث ان قلنا ان النسبة للانبات وحينئذ يقطع بكونه في ضلال وسعروانه ذائق  
مس سقر ( البحث الثاني ) في بيان من يدخل في القدريّة التي في الص من هو متسبب  
الى انه من امة محمد صلى الله عليه وسلم ان قلنا القدريّة سموا بهذا الاسم لنفيهم قدرة الله  
تعالى فالذي يقول لا قدرة لله على تحريك العبد بحركة هي الصلاة وحركة هي الزنا مع ان  
ذلك امر ممكن لا يبعد دخوله فيهم واما الذي يقول بأن الله قادر غير انه لم يجبره وتركه مع  
داعية العبد كالوالد الذي يجرب الصبي في جل شيء تركه معه لا يعجز الوالد بل للابتلاء  
والامتحان لا كالمفلوج الذي لا قوة له اذا قال لغيره اجل هذا فلا يدخل فيهم ظاهرًا وان  
كان مخطئًا وان قلنا ان القدريّة سموا بهذا الاسم لاثباتهم القدرة على الحوادث  
لغير الله من الكواكب والجبري الذي قال هو الحائط الساقط الذي لا يجوز تكليفه  
شيء لصدور الفعل من غيره وهم اهل الاباحة فلا شك في دخوله في القدريّة فانه يكفر  
بفيه التكليف واما الذي يقول خلق الله تعالى فينا الافعال وقدرها وكلفنا ولا يسهل  
عما يفعل فما هو منهم ( البحث الثالث ) اختلف القائلون في التعصب ان الاسم بالمعتزلة  
احق ام بالاشاعرة فقالت المعتزلة الاسم بكم احق لان النسبة تكون للانبات لا للنفي يقال  
للدهري دهرى لقوله بالدهر وانباته وللباحي اباحي لانباته الاباحة وللثوية ثوية  
لانباتهم لانباتهم واما النواخذة وكذلك امثاله وانتم تبتون القدر وقالت الاشاعرة  
النصوص تدل على ان القدري من ينفي قدرة الله تعالى ومشركو قريش ما كانوا قدريّة  
الا لانباتهم قدرة لغير الله قالت المعتزلة انما سمي المشركون قدريّة لانهم قالوا ان كان



قادرا على الحوادث كما تقول يا محمد فلو شاء الله لهذا ناولو شاء لا طعم الفقير فاعتقدوا  
ان من لوازم قدرة الله تعالى على الحوادث خلقه الهداية فيهم ان شاء وهذا مذهبكم ايها  
الاشاعرة والحق الصراح ان كل واحد من المسلمين الذين ذهبوا الى المذهب خارج  
عن القدرة ولا يصبر واحد منهم قدريا الا اذا صار الساقى نافيا للقدرة والمبت منكر  
للتكليف (المسئلة الثانية) المجرمون هم المشركون ههنا كما في قوله تعالى ولو ترى اذ  
المجرمون ناكسوا رؤسهم وقوله يود المجرم لو يفتدى وفي قوله يعرف المجرمون بسيماهم  
فالاية عامة وان تزل في قوم خاص وجرمهم تكذيب الرسل والنذر بالاشراك وانكار  
الحشر وانكار قدرة الله تعالى على الاحياء بعد الامانة وعلى غيره من الحوادث (المسئلة  
الثالثة) في ضلال وسعري يحتمل وجوها ثلاثة (احدها) الجمع بين الامرين في الدنيا اي هم  
في الدنيا في ضلال وجون لا يعقلون ولا يهتدون وعلى هذا فقولهم يسبحون بيان حالهم في  
تلك الصورة وهو اقرب (ثانيها) الجمع في الآخرة اي هم في ضلال الآخرة وسعرا ايضا  
اما السعير فكونهم فيها ظاهر واما الضلال فلا يحدون الى مقصدهم او الى ما يصلح مقصدا  
وهم متخبرون سبيلا فان قيل الصحيح هو الوجه الاخير لا غير لان قوله تعالى يوم يسبحون  
تطرف القول اي يوم يسبحون يقال لهم ذوقوا وسنين ذلك فقول يوم يسبحون يحتمل ان  
يكون منصوبا بصل ما لم يذكر أو مفهوما غير مذكور والاحتمال الاول له وجهان  
(احدهما) العامل سابق وهو معنى كائن ومستقر غير ان ذلك صار نسبيا منسيا (ثانيهما)  
العامل متأخر وهو قوله ذوقوا تقديره ذوقوا مس سقرو يوم يسبح المجرمون والخطاب  
حينئذ مع من خوطب بقوله ا كفاركم خير من اولئكم ام لكم براءة (والاحتمال الثاني) ان  
المفهوم هو ان يقال لهم يوم يسبحون ذوقوا وهذا هو المشهور وقوله تعالى ذوقوا  
استعارة وفيه حكمة وهو ان الذوق من جملة الادراكات فان المذوق اذا لاقى اللسان  
يدرك ايضا حرارته وبرودته وخشونته وملاسته كما يدرك سائر اعصابه الحسية ويدرك  
ايضا طعمه ولا يدرك غير اللسان فادراك اللسان اتم فاذا تأذى من نار تأذى بحرارته  
ومراته ان كان الحار او غيره لا يتأذى بالبحرارة فاذن الذوق ادراك لمسى اتم من غيره  
في الملبوسات فقال ذوقوا اشارة الى ان ادراكهم بالذوق اتم الادراكات فيجتمع في  
العذاب شدته وايلامه بطول مدته ودوامه ويكون المدرك له لاعتذله بشغله وانما هو  
على اتم ما يكون من الادراك فيحصل الالم العظيم وقد ذكرنا ان على قول الاكثرين يقال  
لهم او تقول مضمر وقد ذكرنا انه لا حاجة الى الاضمار اذا كان الخطاب مع غير من قيل في  
حقهم ان المجرمين في ضلال فانه يصير كما نه قال ذوقوا ايها المكذبون بمحمد صلى الله عليه  
وسلم مس مقروم يسبح المجرمون المتقدمون في النار \* ثم قال تعالى (انا كل شيء خلقناه  
بقدر) وفيه مسائل (الاولى) المسموران قوله انا كل شيء متعلق بما قبله كما نه قال ذوقوا  
فانا كل شيء خلقناه بقدر اي هو جزاء لمن انكر ذلك وهو كقوله تعالى ذق انك انت العير

(انا كل شيء) من الاشياء (خلقناه)  
بقدر (اي ملتصقا بغير معين)  
اقتضته الحكمة التي عليها تدور  
امور الكون او مقدرها مكتوبا  
في اللوح قبل وقوعه وكل شيء  
منصوب بفعل يفسره ما بعده  
وقرى بالرفع على انه مبتدأ  
وخلقناه خبره

قوله وحوها ثلاثة سقط ثالث  
وهو التفريق بقوله في ضلال اي  
في الدنيا وسعرا اي في  
الآخرة وقوله هو الوجه  
الاخير فيه انه ياسب الثاني  
ايضا وبالجملة فالعبارة تحتاج لتحرير

الكريم والظاهر انه ابتداء كلام وتم الكلام عند قوله ذو قوا مس سقر ثم ذكر بيان العذاب لان عطف وما امرنا الا واحدة يدل على ان قوله انا كل شيء خلقناه بقدر ليس آخر الكلام ويدل عليه قوله تعالى انا الذي خلقنا الامر وقد ذكر في الآية الاولى الخلق بقوله انا كل شيء خلقناه فيكون من اللائق ان يذكر الامر فقال وما امرنا الا واحدة وامامنا من الجدل فنقول النبي صلى الله عليه وسلم تمسك عليهم بقوله ان المجرمين في ضلال الى قوله ذو قوا مس سقر وتلا آية أخرى على قصد التلاوة ولم يقرأ الآية الاخيرة اكتفاء بعلم من علم الآية كما تقول في الاستدلالات لاننا كلوا اموالكم الآية ولاننا كلوا مما لم يذكر اسم الله عليه الآية واداننا بآية الى غير ذلك (المسئلة الثانية) كل قرى بالنصب وهو الاصح المشهور وبالرفع فنقرأ بالنصب فنصبه بفعل مضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه وقوله والظالمين اعد لهم وذلك الفعل هو خلقناه وقد فسره قوله خلقناه كما قال انا خلقنا كل شيء بقدر وخلقناه على هذا لا يكون صفة لشيء كما في قوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين غير ان هناك يمنع من ان يكون صفة كونه خاليا عن ضمير عائد الى الموصوف وههنا لم يوجد ذلك المانع وعلى هذا فالآية تجة على المعتزلة لان افعالنا شيء فنكون داخله في كل شيء فنكون مخلوقة لله تعالى ومن قرأ بالرفع لم يمكنه ان يقول كما يقول في قوله وامامنا مود فهديناهم حيث قرى بالرفع لان كل شيء نكرة فلا يصح مبتدأ فيلزمه ان يقول كل شيء خلقناه فهو بقدر كقوله تعالى وكل شيء عنده بمقدار في المعنى وهذان الوجهان ذكرهما ابن عطية في تفسيره وذكر أن المعتزلي يتمسك بقراءة الرفع ويحتمل أن يقال القراءة الاولى وهو النصب له وجه آخر وهو أن يقال نصبه بفعل معلوم لا بمضمر مفسر وهو قدرنا او خلقنا كما قال انا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر او قدرنا كل شيء خلقناه بقدر واما قلنا انه معلوم لان قوله ذلكم الله ربكم خالق شيء دل عليه وقوله وكل شيء عنده بمقدار دل على انه قدر وحيث لا يكون في الآية دلالة على بطلان قول المعتزلي وانما يدل على بطلان قوله الله خالق كل شيء واما على القراءة البانية وهي الرفع فنقول جاز أن يكون كل شيء مبتدأ وخلقناه بقدر خبره وحيث تكون اللمحة قائمة عليهم بأبلغ وجه وقوله كل شيء نكرة فلا يصلح مبتدأ ضعيف لان قوله كل شيء عم الاشياء كلها باسرها فليس فيه المحذور الذي في قولنا رجل قائم لانه لا يفيد فائدة ظاهرة وقوله كل شيء بعيد ما بعيد زيد خلقناه وعمر وخلقناه مع زيادة فائدة ولهذا جوزوا ما اخبرهم به لانه أفاد العموم ولم يحسن قول القائل احد خير منك حيث لم يفد العموم (المسئلة الثالثة) ما معنى القدر قلنا فيه وجوه (احدها) المقدار كما قال تعالى وكل شيء عنده بمقدار وعلى هذا فكل شيء مقدر في ذاته وفي صفاته اما المقدر في الذات فالجسم وذلك ظاهر فيه وكذلك القائم بالجسم من المحسوسات كالبياض والسواد واما الجوهر الفرد ما لا مقدار له والقائم بالجوهر ما لا مقدار له بمعنى الامتداد كالعلم والجهل وغيرهما فنقول ههنا

فقد رتب لا بمعنى الامتداد اما الجوهر الفرد فان الاثنين منه اصغر من الثلاثة ولولا ان له  
 حجما يزاد به الامتداد والا لما حصل دون الامتداد فيه واما القائم بالجوهر فله نهاية  
 وبداية مقدار العلوم الحادثة والقدر المخلوقة متناهية واما الصفة فلان لكل شيء ابتدئ  
 زمانا فله مقدار في البقاء لكون كل شيء حادثا فان قيل الله تعالى وصف به ولا مقداره  
 ولا ابتداء لوجوده نقول المتكلم اذا كان موصوفا بصفة او مسمى باسم ثم ذكر الاشياء  
 السماة بذلك الاسم والاشياء الموصوفة بتلك الصفة واستند فعلا من افعاله اليه يخرج  
 هو عنه كما يقول القائل رأيت جميع من في هذا البيت فرأيتهم كلهم اكرمني ويقول مافي  
 هذا البيت احدا لا وضربني وضربته يخرج هو عنه لالعدم كونه مقتضى الاسم بل بما  
 في التركيب من الدليل على خروجه عن الارادة فكذلك قوله خلقناه وخالق كل شيء  
 يخرج عنه لا بطريق التخصيص بل بطريق الحقيقة اذا قلنا ان التركيب وضعي فان هذا  
 التركيب لم يوضع حينئذ الا لغير المتكلم (انيها) القدر التقدير قال الله تعالى فقد رنا فنع  
 القادرون وقال الشاعر \* وقد قدر الرحمن ما هو قادر \* اي قدر ما هو مقدر وعلى هذا  
 فالمعنى ان الله تعالى لم يخلق شيئا من غير تقدير كما يرمى الراعي السهم فيقع في موضع لم يكن  
 قد قدره بل خلق الله كما قدر بخلاف قول الفلاسفة انه فاعل لذاته والاختلاف للقوابل  
 فالذي ~~ما يقصده~~ او صغيرا فلا استعداد مادته والذي جاء طويلا وكبيرا فلا استعداد آخر فقال  
 تعالى كل شيء خلقناه بقدر منا فالصغير جازان يكون كبيرا والكبير جاز خلقه صغيرا  
 (بالها) بقدر هو ما يقال مع القضاء يقال بقضاء الله وقدره وقالت الفلاسفة في القدر  
 الذي مع القضاء ان ما يقصد اليه قضاء وما يلزمه فقدر فيقولون خلق النار حارة بقضاء  
 وهو مقضى به لانها ينبغي ان تكون كذلك لكن من لوازمها انها اذا تعلقت بقطن عجوز  
 او وقعت في قصب صعلوك تحرقه فهو بقدر لا بقضاء وهو كلام فاسد بل القضاء مافي العلم  
 والقدر مافي الارادة فقوله كل شيء خلقناه بقدر أي بقدره مع ارادته لا على ما يقولون انه  
 موجب رد على المشركين \* ثم قال تعالى (وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر) اي الكلمة  
 واحدة وهو قوله له كن هذا هو المشهور الظاهر وعلى هذا فالله اذا اراد شيئا قال له كن  
 فهناك شئ ان الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضاء وقوله واحدة يحتمل امرين  
 (احدهما) بيان انه لا حاجة الى تكرير القول اشارة الى نفاذ الامر (انيهما) بيان عدم  
 اختلاف الحال فامر عذ خلق العرش العظيم كأمره عند خلق النمل الصغير فامر عذ  
 الكل واحد وقوله كلمح بالبصر تشبيه الكون لا تشبيه الامر فكأنه قال امرنا واحدة  
 فادن المأمور كأن كلمح بالبصر لانه لو كان راجعا الى الامر لا يكون ذلك صفة مدح  
 يليق به فان كلمة كن شيء ايضا يوجد كلمح بالبصر هذا هو التفسير الظاهر المشهور وفيه  
 وجه ظاهر ذهب اليه الحكماء وهي ان مقدورات الله تعالى هي الممكنات بوجودها بقدرته  
 وفي عدمها خلاف لا يليق بانه هذا الموضع لطوله لا لسبب غيره نعم ان الممكنات التي

(وما امرنا الا واحدة) اي كلمة  
 واحدة سريعة التكوين وهو  
 قوله تعالى كن والافعة واحدة  
 هو الاجماع بلا معالجة (كلمح  
 بالبصر) في اليسر والسرعة وقيل  
 معناه قوله تعالى وما امر الساعة  
 الا كلمح البصر



كلاما بإيجاد الله على الترتيب والروح لها وجود واحد بإيجاد الله تعالى هذا قولهم ولنذكر ما في الخلق والامر من الوجوه المقولة والمقولة (أحدها) ما ذكرنا ان الامر هو كلمة كن والخلق هو ما بالقدرة والارادة (ثانيها) ما ذكرنا في الاجسام ان منها الارواح (ثالثها) هو ان الله له قدرة بها الاجساد و ارادة بها التخصيص وذلك لان المحدث له وجود مختص بزمان وله مقدار معين فوجوده بالقدرة واختصاصه بالزمان بالارادة فالذي بقدرته خلق والذي بالارادة أمر حيث يخصه بأمره بزمان ويدل عليه المقول والمقول اما المقول فقوله تعالى اذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون جعل كن لتعلق الارادة واعلم ان المراد من كن ليس هو الحرف والكلمة التي من الكاف والنون لان الحصول أسرع من كلمة كن اذا حملتها على حقيقة اللفظ فان الكاف والنون لا يوجد من متكلم واحد الاعلى الترتيب ففي كن لفظ زمان والكون بعده بدليل قوله تعالى فيكون بالفاء فاذن لو كان المراد بكن حقيقة الحرف والصوت لكان الحصول بعده بزمان وليس كذلك فان قال قائل يمكن أن يوجد الحرفان معا وليس كلام الله تعالى ككلامنا يحتاج الى الزمان قلنا قد جعل له معنى غير ما نفهمه من اللفظ واما المعقول فلان الاختصاص بالزمان ليس لمعنى وعلة وان كان بعض الناس ذهب الى أن الخلق والاجساد لحكمة وقال بان الله خلق الارض لتكون مقر للناس او مثل هذا من الحكم ولم يمكنه أن يقول خلق الارض في الزمان ~~المتصور~~ <sup>المتصور</sup> لمقر لهم لانه لو خلقها في غير ذلك لكانت ايضا مقر لهم فاذن التخصيص ليس لمعنى فهو لمحض الحكمة فهو يشبه امر الملك الجبار الذي يأمر ولا يقال له لم امرت ولم فعلت ولا يعلم مقصود الامر الامسه (رابعها) هو ان الاشياء المخلوقة لا تفك عن اوصاف ثلاثة او عن وصفين متقابلين مثاله الجسم لا بدله بعد خلقه ان يكون متغيرا ولا بدله من ان يكون ساكنا او متحركا فاجاده ولا بخلقها وما هو عليه بأمره يدل عليه قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام الى ان قال مسخرات بأمره فجعل ما لها بعد خلقها من الحركة والسكون وغيرهما بأمره ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله تعالى العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر جعل الخلق في الحقيقة والامر في الوصف وكذلك قوله تعالى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم قال يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يرج اليه في يوم كان مقداره وقد ذكرنا تفسيره (خامسها) مخلوقات الله تعالى على قسمين (أحدهما) خلقه الله تعالى في اسرع ما يكون كالعقل وغيره (وثانيهما) خلقه بمهلة كالسموات والانسان والحيوان والنبات فالخلق سريعا اطلق عليه الامر والخلق بمهلة اطلق عليه الخلق وهذا مثل الوجه الثاني (سادسها) ما قاله فخر الدين الرازي في تفسير قوله تعالى فقال لها وللارض انبثيا طوعا او كرها وهو ان الخلق هو التقدير والاجساد بعده بعدية ترتيبية لازمانية ففي علم الله تعالى ان السموات تكون سبع سموات في يومين

تقديرية فهو قدر خلقه كما علم وهو ايجاد فالاول خلق والثاني وهو الايجاد أمر وأخذ هذا من المفهوم اللغوي قال الشاعر \* وبعض الناس يخلق ثم لا يفرى \* أى يقدر ولا يقطع ولا يفصل كالحياط الذى يقدر او لا يقطع ثانيا وهو قريب الى اللغة لكنه بعيد الاستعمال فى القرآن لان الله تعالى حيث ذكر الخلق أراد الايجاد منه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق ومنه قوله تعالى أولم ير الانسان أنا خلقناه من نقطة وليس المراد اننا قدرنا انه سيوجد منها الى غير ذلك (سابعها) الخلق هو الايجاد ابتداء والامر هو ما به الاعادة فان الله خلق الخلق او لا بمهلة ثم يوم القيامة يعثم فى أسرع من لحظة فيكون قوله وما أمرنا الا واحدة كقوله تعالى فانما هى زجرة واحدة وقوله صحيحة واحدة ونقطة واحدة وعلى هذا فقوله انا كل شئ خلقناه بقدر اشارة الى الوحدانية وقوله تعالى وما أمرنا الا واحدة اشارة الى الحشرف كما أنه بين الاصل الاول والاصل الآخر بالآيات (ثامنها) الايجاد خلق والاعدام أمر يعنى يقول للملائكة الغلاظ الشداد اهلكوا وافعلوا فلا يعصون الله ما أمرهم ولا يوقفون الامثال على اعادة الامر مرة اخرى فامر مرة واحدة يعقبه العدم والهلاك (وفيه لطيفة) وهى ان الله تعالى جعل الايجاد الذى هو من الرحمة بيده والاهلاك يسلط عليه رسله وملائكته وجعل الموت بيد ملك الموت ولم يجعل الحياة بيد ملك وهذا مناسب لهذا الموضع لانه بين النعمة بقوله انا كل شئ خلقناه بقدر وبين قدرته على القمة فقال وما أمرنا الا واحدة وانا على ذهاب به لقائهم وهو كقوله اذا جاء أمرنا وفار التنور عند العذاب وقوله تعالى فلما جاء أمرنا نجينا صالحا وقوله تعالى فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وكما ذكر فى هذه الحكايات العذاب بلفظ الامر وبين الاهلاك به كذلك ههنا ولا سيما اذا نظرت الى ماتقدم من الحكايات ووجدتها عين ثلاث الحكايات يقوى هذا القول وكذلك قوله تعالى ولقد اهلكنا اشياكم فهل من مدكر يدل على صحة هذا القول (تاسعها) فى معنى اللحم بالبصر وجهان (احدهما) النظر بالعين يقال لحته ببصرى كما يقال نظرت اليه بعينى والباء حيثن كما يذكر فى الآلات فيقال كتبت بالقلم واختار هذا النال لان النظر بالعين اسرع حركة توجد فى الانسان لان العين وجد فيها امور تعين على سرعة الحركة (احدها) قرب المحرك منها فان المحرك العصبية ومنبتها الدماغ والعين فى غاية القرب منه (ثانيها) صغر حجمها فانها لا تعصى على المحرك ولا تنقل عليه بخلاف العظام (ثالثها) استدارة شكلها فان درجة الكرة اسهل من درجة المربع والمثلث (رابعها) كونها فى رطوبة مخلوقة فى العضو الذى هو موضعها وهذه الحكمة فى ان المراتب فى غاية الكثرة بخلاف الماء كولات والسمومات والمقاصد التى تقصد بالارجل والمذوقات فلو لا سرعة حركة الآلة التى بها ادراك المصبرات لما وصل الى الكل الا بعد طول زمان (وثانيهما) اللحم بالبصر معناه البرق يخطف بالبصر ويمر به سريعا والباء حيثنذ للصاق لا للاستعانة كقوله

مررت به وذلك في غاية السرعة وقوله بالبصر فيه فائدة وهي غاية السرعة فانه اوقال كلمح  
البرق حين برق ويتبدى حركته من مكان وينتهي الى مكان آخر في اقل زمان يفرض  
لصح لكن مع هذا فالقدر الذي مروره يكون بالبصر اقل من الذي يكون من مبتداه الى  
منتهاه فقال كلمح لا كما قيل من المبدأ الى المنتهى بل القدر الذي يمر بالبصر وهو في غاية  
القلّة ونهاية السرعة \* ثم قال تعالى ( ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مذكر ) والاشياع  
الاشكال وقد ذكرنا ان هذا يدل على ان قوله وما امرنا الا واحدة تهديد بالهلاك والثاني  
ظاهر \* وقوله تعالى ( وكل شئ فعلوه في الزبر ) اشارة الى ان الامر غير مقتصر على  
اهلاكهم بل الاهلاك هو العاجل والعذاب الآجل الذي هو معدلهم على ما فعلوه  
مكتوب عليهم والزبر هي كتب الكتبة الذين قال تعالى فيهم كلابل تكذبون بالدين وان  
عليكم لحافظين كراما كاتين وفعلوه صفة شئ والنكرة توصف بالجلل \* وقوله تعالى  
( وكل صغير وكبير مستطر ) نعيم للحكم اى ليست الكتابة مقتصرة على ما فعلوه بل  
ما فعله غيرهم ايضا مسطور فلا يخرج عن الكتب صغيرة ولا كبيرة وقد ذكرنا في قوله تعالى  
لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب  
الذي في قوله اكبر فائدة عظيمة وهي ان من يكتب حساب انسان فانما يكتبه في غالب الامر  
لثلاثين \* فاذا حاده الجملة العظيمة التي يأمن نسيانها ربما يترك كتابتها ويستغل بكتابة  
ما يخاف نسيانها فلما قال ولا اكبر من ذلك اشار الى الامور العظام التي يؤمن من نسيانها  
انها مكتوبة اى ليست كتابتنا مثل كتابتكم التي يكون المقصود منها الامن من النسيان  
فكذلك نقول ههنا في قوله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها  
وفي جميع هذه المواضع قدم الصغيرة لانها البق بالتبت عند الكتابة فيبتدى بها حفظا  
عن النسيان في عادة الخلق فاجرى الله الذكر على عاداتهم وهذا يؤيد ما ذكرنا من قل  
ان كلا وان كان نكرة يحسن الابتداء به للعموم وعدم الابهام \* ثم قال تعالى ( ان المتقين  
في جنات ونهر ) قد ذكرنا تفسير المتقين والجنات في سور منها الطور واما النهر  
ففيه قراآت قح النون والهاء كجروها اسم جنس ويقوم مقام الانهار وهذا هو الظاهر  
الاصح + وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) لاشك ان كمال اللذة بالبستان ان يكون الانسان فيه  
وليس من اللذة بالنهر ان يكون الانسان فيه بل لذته بأن يكون في الجنة عند النهر ف  
معنى قوله تعالى ونهر نقول قد اجبنا عن هذا في تفسير قوله تعالى ان المتقين في جنات  
وعيون في سورة الذاريات وقلنا المراد في خلال العيون وفيما بينها من المكان وكذلك  
في جنات لان الجنة هي الاشجار التي تستر شعاع الشمس ولهذا قال تعالى في ظلال وعيون  
واذا كانت الجنة هي الاشجار الساترة فالانسان لا يكون في الاشجار وانما يكون بينها  
او في خلاليها كذلك النهر ( وتزيد ههنا وجها آخر ) وهو ان المراد في جنات وعند نهر  
ليكون المجاورة تحسن اطلاق اللفظ الذي لا يحسن اطلاقه عند عدم المجاورة كما قال

( ولقد اهلكنا اشياعكم ) اى  
اشياعكم في الكفر من الامم وقبل  
اتباعكم ( فهل من مذكر ) يتع  
بذلك ( وكل شئ فعلوه ) مؤ  
الكفر والمعاصي مكتوب على  
التفصيل ( في الزبر ) اى في ديوار  
الحفظة ( وكل صغير وكبير ) من  
الاعمال ( مستطر ) مسطور في  
اللوحة المحفوظ بتفاصيله ولما كان  
سوء حال الكفرة بقوله تعالى  
ان المحرمين الح ما يستدعي بيان  
حسن حال المؤمنين لبيان  
الترهيب والترغيب بين ما لهم من  
حسن الحال بطريق الاجال  
ف قيل ( ان المتقين ) اى من الكفر  
والمعاصي ( جنات ) عظيمة الشان  
( ونهر ) اى انهار كذلك والافراد  
للاكتفاء باسم الجنس مراعاة  
للفواصل وقري نهر جمع نهر  
كاسد واسد



علفتها تبنا وماء باردوا قالوا تقلدت سيفاً ورمحاً والماء لا بعلف والرمح لا يتقلد ولكن لمجاورة  
 التبن والسيف حسن الاطلاق فكذلك هنالميات في الثاني بما تأتي به في الاول من كذا في  
 ( المسئلة الثانية ) وحدانته مع جمع الجنات وجمع الانهار في كثير من المواضع كما في قوله  
 تعالى تجري من تحتها الانهار الى غيره من المواضع فالحكمة فيه نقول اما على الجواب  
 الاول فنقول لما بين ان معنى في نهر في خلال فلم يكن للسامع حاجة الى سماع الانهار لعلمه  
 بان النهر الواحد لا يكون له خلال واما في قوله تعالى تجري من تحتها الانهار فلو لم يجمع  
 الانهار لجاز ان يفهم ان في الجنات كلهن انهارا واحدا كما في الدنيا فقد يكون نهر واحد تمتد  
 جارا في جنات كثيرة واما على الثاني فنقول الانسان يكون في جنات لا نابينا ان الجمع  
 في جنات اشارة الى سعتها وكثرة اشجارها وتنوعها والتوحيد عندما قال مثل الجنة وقال  
 ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة لاتصال اشجارها ولعدم  
 وقوع القيعان الخربة بينها واذ اعلنت هذا قال انسان في الدنيا اذا كان في بيت في دار وتلك  
 الدار في محلة وتلك المحلة في مدينة يقال انه في بلدة كذا واما القرب فاذا كان الانسان  
 في الدنيا بين نهرين بحيث يكون قربه منهما على السواء يقال انه جالس عند نهرين فاذا  
 قرب من احدهما يقال هو عند احد النهرين دون الآخر لكن في دار الدنيا لا يمكن ان  
 يكون عند ثلاثة انهار وانما يمكن ان يكون عند نهرين والتالث منه ابعد من النهرين  
 فهو في الحقيقة ليس يكون في زمان واحد عند انهار والله تعالى يذكر امر الآخرة على  
 ما نفهمه في الدنيا فقال عند نهر لما بينا ان قوله ونهر وان كان يقتضى في نهر لكن ذلك  
 للمجاورة كما في تقلدت سيفاً ورمحاً واما قوله تجري من تحتها الانهار فحقيقته مفهومة  
 عندنا لان الجنة الواحدة قد يجري فيها انهار كثيرة اكثر من ثلاثة واربعة فهذا ما فيه  
 مع ان اواخر الآيات يحسن فيها التوحيد دون الجمع ويحتمل ان يقال ونهر التنكير  
 للتعظيم وفي الجنة نهر وهو اعظم الانهر واحسنها وهو الذي من الكور ومن عين  
 الرضوان وكان الحصول عنده شرقا وغربا وكل احد يكون له مقعد عنده وسائر الانهار  
 تجري في الجنة ويراها اهلها ولا يرون القاعد عندها فقال في جنات ونهر اي ذلك النهر  
 الذي عنده مقاعد المؤمنين وفي قوله تعالى ان الله مبتليكم بنهر لكونه غير معلوم لهم وفي  
 هذا وجه حسن ايضا ولا يحتاج على الوجهين ان نقول نهر في معنى الجمع لكونه اسم جنس  
 ( المسئلة الثالثة ) قال ههنا في نهر وقال في الذاريات وعبون فالفرق بينهما نقول انا ان  
 قلما في نهر معناه في خلال فالانسان يمكن ان يكون في الدنيا في خلال عيون كثيرة تحيط به  
 اذا كان على مرتفع من الارض والعيون تنفجر منه وتجرى فتصير انهارا عمدة  
 الامتداد ولا يمكن ان يكون في خلال انهار وانما هي نهران فحسب واما ان قلنا ان المراد  
 عند نهر فكذلك وان قلنا نهر اي عظيم عايد مقاعد فنقول يكون ذلك النهر ممتدا وادوارا  
 الى كل واحد وله عند مقعده عيون كثيرة تابعة فالنهر للثريف والعيون للتفرج والتنزه

مع ان النهر العظيم يجتمع مع العيون الكبيرة فكان النهر مع وحدته يقوم مقام العيون مع  
كثرتها وهذا كله مع النظر الى اواخر الآيات ههنا وهناك يحسن ذكر لفظ الواحد ههنا  
والجمع هناك ( المسئلة الرابعة ) قرئ في جنات ونهر على انها جمع نهار اذ لايل ههنا وعلى  
هذا فكلمة في حقيقة فيه فقوله في جنات ظرف مكان وقوله ونهر اى وفي نهر اشارة الى  
ظرف زمان وقرئ ونهر بسكون الهاء وضم النون على انه جمع نهر كما سُد في جمع اسد نقله  
الزمخشري ويحتمل ان يقال نهر بضم الهاء جمع نهر كثر في جمع نهر \* ثم قال تعالى ( في مقعد  
صدق عندمليك مقتدر ) وفيه مسائل ( المسئلة الاولى ) في مقعد صدق كيف مخرجه  
نقول يحتمل وجهين ( احدهما ) ان يكون على صورة بدل كما يقول القائل فلان في بلدة  
كذا في دار كذا وعلى هذا يكون مقعد من جملة الجنات موضعا مختارا له مزية على ما في  
الجنات من المواضع وعلى هذا قوله عندمليك لاننا في احد الوجوه ان المراد من قوله  
في جنات ونهر في جنات عند نهر فقال في مقعد صدق عندمليك مقتدر ويحتمل ان يقال  
عندمليك صفة مقعد صدق تقول درهم في ذمة على خير من دينار في ذمة معسروا قيل  
عند امين افضل من كثير عند خائن فيكون صفة والا لما حسن جعله مبتأ ( ثانيهما ) ان  
يكون في مقعد صدق كالصفة لجنات ونهر اى في جنات ونهر موصوفين بانهما في مقعد  
صدق ~~يقول وفيه في سبيل الله~~ افضل من كذا وعندمليك صفة بعد صفة ( المسئلة الثانية )  
قوله في مقعد صدق بدل على لبث لا يدل عليه المجلس وذلك لان قعد وجلس ليسا على  
ما يظن انهما بمعنى واحد لافرق بينهما بل بينهما فرق ولكن لا يظن الا باري ع والفرق هو  
ان القعد وجلس فيه مكث حقيقة واقضاء ويدل عليه وجوه ( الاول ) هو ان الزمن  
يسمى مقعدا ولا يسمى مجلسا لطول المكث حقيقة ومنه سمي قواعد البيت والقواعد  
من النساء قواعد ولا يقال لهن جوالس لعدم دلالة الجلوس على المكث الطويل فذكر  
القواعد في الموضوعين لكونه مستقراين الدوام والثبات على حاله واحدة ويقال للمركوب  
من الابل قعود لدوام اقتعاده واقضاء وان لم يكن حقيقة فهو لصونه عن الحمل والخذاه  
للمركوب كانه وجد فيه نوع قعود دائم اقتضى ذلك ولم يرد للاجلاس ( الثاني ) النظر الى  
تقاليب الحروف فانك اذا نظرت الى قع ودو قلبتها تجد معنى المكث في الكل فاذا قدمت  
القاف رأيت قعد وقعد بمعنى ومنه تقادع الفراش بمعنى تهافت واذا قدمت العين رأيت  
عقد وعقد بمعنى المكث في غاية الظهور وفي عقد خفاء يقال عقد يدك الدلو في البئر  
اذا امره بطلبه بعد وقوعه فيها والعودقة خشية عليها كلاب يخرج معه الدلو الواقع في  
البئر واذا قدمت الدال رأيت دفع ودعق والمكث في الدفع ظاهر والدفعاء هي التراب  
المتصق بالاض والفقر المدقع هو الذي يلصق صاحبه بالتراب وفي دفع ايضا اذ الدعق  
مكان تلوذ الدواب بحوافره فاذا يكون صلبا اجزائه متداخلة بعضها ببعض لا يتحرك شيء  
منها عن موضعه ( الوجه الثالث ) الاستعمالات في القعود اذا اعتبرت ظهر ما ذكرنا قال

( في مقعد صدق ) في مكان مرضى  
وقرئ في مقاعد صدق ( عند  
مالك مقتدر ) اى مقربين عند  
ملك لا يقادر قدر ملكه وسلطانه  
فلا شيء الا هو تحت ملكوته  
سجانه ما عظم شأنه عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ  
سورة القمر في كل غيب بعثه الله  
تعالى يوم القيامة ووجهه مثل  
القمر ليلة الدر

تعالى لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمراد الذى لا يكون بعده اتباع  
وقال تعالى مقاعد القتال مع انه تعالى قال ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانوا  
بنين مروضين فاشار الى الثبات العظيم وقال تعالى اذا قيمت فقة فابنوا فالمقاعد اذن  
هى المواضع التى يكون فيها المقاتل بثبات ومكث واطلاق مقعدة على العضو الذى عليه  
العقود ايضا يدل عليه اذا عرفت هذا الفرق بين الجلوس والقعود حصل لك فوائدها منها  
فانه يدل على دوام المكث وطول البت ومنها فى قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد فان  
القعيد بمعنى المجلس والنديم ثم اذا عرفت هذا وقبل للمفسرين الظاهرين فى الفائدة فى  
اختيار لفظ القعيد بدل لفظ المجلس مع ان المجلس اشهر يكون جوابهم ان آخر الآيات  
من قوله جبل الوريد ولدى عتيد وقوله بجبار عنيد يناسب القعيد ولا يناسب المجلس  
وامجاز القرآن ليس فى السجع واذا نظرت الى ما ذكر تين لك فائدة جلية معنوية حكيمية فى  
وضع اللفظ المناسب لان القعيد دل على انهما لا يفارقاته ويداومان الجلوس معه وهذا  
هو المجز وذلك لان الشاعر يختار اللفظ الفاسد لضرورة الشعر والسجع ويجعل المعنى  
تعالى لفظ والله تعالى بين الحكمة على ما ينبغي وجاء باللفظ على احسن ما ينبغي وفائدة اخرى  
فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس فافسحوا بفسح الله لكم  
واذا قيل انشزوا فانشزوا فان قوله فافسحوا اشارة الى الحركة وقوله فانشزوا اشارة الى  
ترك الجلوس فذكر المجلس اشارة الى ان ذلك موضع جلوس فلا يجب ملازمته وليس  
بمقعد حتى لا يفارقه (المسئلة الثالثة) فى مقعد صدق وجهان (احدهما) مقعد صدق  
اى صالح يقال رجل صدق لل صالح ورجل سوء للفاسد وقد ذكرناه فى سورة اناقنا فى  
قوله تعالى وظنتم ظن السوء (وبانيهما) الصدق المراد منه ضد الكذب وعلى هذا  
ففيه وجهان (الاول) مقعد صدق من اخبر عنه وهو الله ورسوله (الثاني) مقعدنا له من  
صدق فقال بان الله واحد وان محمدا رسوله ويحتمل ان يقال المراد انه مقعد لا يوجد فيه  
كذب لان الله تعالى صادق ويستحيل عليه الكذب ومن وصل اليه امتنع عليه الكذب  
لان مظنة الكذب الجهل والواصل اليه يعلم الاشياء كما هى ويستغنى بفضل الله عن ان  
يكذب ليستفيد بكذبه شيئا فهو مقعد صدق وكلمة صدق قد عرفت معناها والمراد منه قرب  
المزلة والشان لا قرب المعنى والمكان وقوله تعالى عليك مقتدر لان القرية من الملوك لذينة  
كلما كان الملك اشد اقتدارا كان المتقرب منه اشد التذاذا وفيه اشارة الى مخالفة معنى  
القرب منه من معنى القرب من الملوك فان الملوك يقربون من يكون ممن يحبونه ومن  
يرهونه مخافة ان يعصوا عليه وينحازوا الى عدوه فيغلبونه والله تعالى قال مقتدر لا يقرب  
احدا الا بفضله والحمد لله وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه وسلامه

